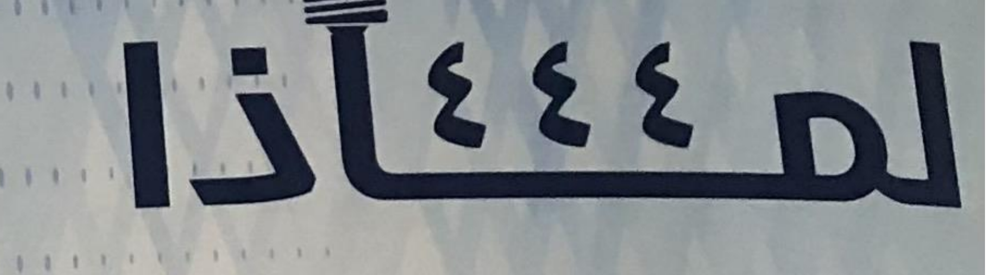


أسئلة و اجابات من القرآن و السنة

المجلد الأول

جمع و إعداد

عبد الرحمن بن حامد الثقفي

رقم فسح وزارة الإعلام ٥٧٨٠٤٩٢٠٢١٠٧١١
في ١١ / ٧ / ٢٠٢١ م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
لماذا / عبدالرحمن حامد محمد الثقفي- الطائف — ١٤٤٢ هـ. ٣ مج.
ردمك ٦- ٨٢٥٧ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك ٣- ٨٢٥٨ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (ج١)
١- الثقافة الإسلامية : العنوان
ديوي ٢١٤ ١٠٩٣٤ / ١٤٤٢
رقم الإيداع ١٠٩٣٤ / ١٤٤٢
دمك ٦- ٨٢٥٧ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك ٣- ٨٢٥٨ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (ج١)


بسم الله الرحمن الرحيم



أسئلة وإجابات من القرآن والسنة

المجلد الأول

جمع وإعداد

عبدالرحمن بن حامد الثقفي





إهداء

إلى كل من يريد أن يعرف عن ديننا الحنيف وما فيه من أحكام ؛ أهدي هذا الكتاب مجانا وأرجو أن يكون صدقة جارية لي ولوالدي .

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

أشكر أهل بيتي – زوجتي وأولادي – الذين أخذت من أوقاتهم الكثير لأخرج هذا الكتاب ، وأرجو الله أن لا يحرمهم الأجر .

كما أشكر الصديق الدكتور عبدالله أحمد العلاف الذي ساعد في نشر هذا الكتاب وأرجو الله ألاّ يحرمه الأجر .

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وبعد :

الإسلام هو دين الله الخالد ، ذلك الدين الذي اهتم بكل ما يتعلق بهذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى واستعمره في هذه الأرض ، ولم يترك هذا الدين خيرا إلا دله عليه ولا شرا إلا حذره منه .

وحين ننظر في كتاب الله تعالى ونطّلع على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم نرى هذا الأمر واضحا جليا ، يحتاج منا فقط إلى أن نتلمس الخير في ثنايا القرآن الكريم وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد يجهل الإنسان أشياء كثيره عن دينه أو عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو هنا :

١- إما أن يسكت على جهله ، وهذا ليس من الدين في شيء ، فالمسلم مطالب أن يعرف عن أمر دينه ما يفيده في دنياه وآخرته ..

٢- إما أن يسأل من ليس له علم فيضله ولا يهديه .

٣- وإما أن يسأل من يفيده ويدله على الطريق الصحيح .

ولكن المسلم قد يجد صعوبة في إيجاد شخص موثوق يرد على تساؤلاته ، ولذلك فقد يبحث هنا وهناك عن إجابات شافية لما يختلج في نفسه ، ولكن تلك الإجابات قد يجدها مفرقة هنا وهناك داخل صفحات الكتب ، أو من خلال المواقع الدينية الكثيرة ، فعندئذ يصعب عليه اختيار الملائم والجواب الصحيح على تساؤلاته ، فيزداد حيرة .

من هذا المنطلق برزت فكرة جمع هذا الكتاب من أقوال العلماء الموثوقين من السلف والخلف الذين قضوا أعمارهم في خدمة دين الله الحنيف ، همهم الأول والأخير نشر هذا الدين بين الناس على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ورد كل الشبهات والافتراءات التي حاول أعداء الإسلام من بزوغ فجر هذا الدين إلى يومنا هذا بثها بين المسلمين .

و الحمد لله تعالى الذي أعانني على جمع مادة هذا الكتاب من خلال أربع مئة وأربعة وأربعين سؤالا طرحتها واجتهدت في البحث عنها في فتاوى وأقوال ومدونات علمائنا الموثوقين قديما وحديثا، والتي نقلت إجاباتهم حرفيا في أكثر الأحيان وذلك للأمانة العلمية حتى وإن استغرق ذلك صفحات عدة سواء من الكتب القديمة والحديثة أو من التسجيلات الصوتية لمشائخنا الكرام ، أو من المواقع الموثوقة على الشبكة الألكترونية ، وخرجت من ذلك بهذا السفر والذي يحوي إجابات كثيرة لتساؤلات الناس في :

١- ما ورد في القرآن الكريم من أحكام .

٢- أو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من خلال :

أ- ما أمر به وحث عليه .

ب- أو نهى عنه وحذّر منه .

ت- أو من خلال ما سكت عنه .

ث- أو من خلال ما أقر الناس عليه .

٣- أو من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

أما بالنسبة لتخريج الأحاديث فقد رجعت إلى كتب الحديث المعتبرة لدى أهل السنة والجماعة للتأكد من صحة الأحاديث التي أريد الاستشهاد بها من خلال ما كتبه صاحب الموضوع الذي نقلت منه ، فأجد أحيانا أنها أحاديث منكرة أو ضعيفة ولذلك أوردها أحيانا وأشير إلى درجة صحتها أو أنني أبحث عن أحاديث صحيحة لنفس الموضوع ليكون الاحتجاج بها صحيحا ومقنعا للقارئ وللباحث الكريم .

أما ما يورده شيخنا الجليل عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى من أحاديث غير مخرجة نظرا لأنها منقولة صوتيا فإنني في الغالب لا أقوم بتخريجها لثقتي فيه رحمه الله بأنه لا يستشهد إلا بأحاديث صحيحة وكذلك الحال بالنسبة لشيخنا الجليل محمد بن عثيمين رحمه الله تعالى .

وبالنسبة لما أنقله من الموسوعات ، فإني اكتفي أحيانا بالإشارة أن مصدر ما نقلته هو من الموسوعة ولا أرى من داع لتخريج ما ورد فيها من أحاديث .

وأرجو أن يجد القارئ الكريم في هذا الكتاب ما يسأل عنه في أمور دينه ، وأن يكون عونا له على البحث عن الحق .

وأولا وأخيرا أشكر الله تعالى على ما تهيأ لي من صحة ووقت وعزم لأخرج هذا الكتاب لأضعه بين يدي القراء الكرام ، وأرجو الله أن لا يحرمني أجره ، وأن يكون عونا للناس على الطاعة ، والبحث عن الحق ، فالدال على الخير كفاعله ..

والحمد لله أولا وأخيرا وصلى الله وسلم على نبينا محمد

عبدالرحمن بن حامد بن محمد الثقفي

غرة ذي القعدة ١٤٤٢ هـ.

الطائف


محتويات الكتاب

س١: لماذا خلق الله الخلق ؟.

ج١ : خلق الله الخلق لعبادته ، يقول الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللهَّ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨))[(١)] ، ويقول تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥))[(٢)].

س٢ : لماذا خلق الله تعالى السماوات والأرض وما بينهما ؟.

ج٢: لم يخلق الله تعالى السماوات والأرض وما بينهما عبثا يقول تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣٩))[(٣)]، ويقول تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩))[(٤)] ، ويقول تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧))[(٥)]، وبناء عليه فقد خلق الله تعالى كل هذا الخلق لحكمة بالغة يعلمها سبحانه وتعالى ، والله تعالى أشار حين خلق الأرض بإشارة جميلة يقول تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩))[(٦)] ، فجميع ما في الأرض من مخلوقات سواء كائنات حية أو غيرها هي للإنسان لعيش عليها فالماء والهواء والحيوانات والنباتات وكذلك التراب والصخور وأنواع المعادن كلا خلقها الله تعالى لخدمة الإنسان على هذا الأرض .

---

(١) سورة الذاريات .
(٢) سورة المؤمنون .
(٣) سورة الدخان .
(٤) سورة الأنبياء
(٥) سورة ص .
(٦) سورة البقرة.

س٣: لماذا خلق الله ما يضر بالإنسان مثل الشياطين والجراثيم والفيروسات والحيوانات القاتلة والنباتات السامة ..؟.

ج٣: لا يُسأل الله تعالى عما يفعل يقول تعالى: (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣))[١] ، فلله الحكمة البالغة، وما غاب عن الأذهان فهمه لا يعني أن لا حكمة من خلقة وبالتالي لا فائدة من هذا الخلق ، فحين خلق الله الأمراض جعلها تكفيرا لذنوبه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما يُصِيبُ المسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولا وصَبٍ، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذًى ولا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ)[٢] ، والحيوانات السامة كالأفاعي قد يكون فيها شفاء لأمراض لا نعرفها وهذه الأفاعي تتغذى على القوارض التي تتلف المزروعات ، وهكذا حين نمعن النظر في دراسة ما خلق الله تعالى نجد أنه كما قال تعالى لخدمة هذا الإنسان ، عرف ذلك الإنسان أم لم يعرفه ، وما زال الإنسان يكتشف كل يوم شيئا جديدا في هذا الأمور تدل على عظمة الخالق تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩))[٣] .

س٤: لماذا يخلق الله الخلق ثم يعذبهم ؟.

ج٤: خلق الله تعالى ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، يقول تعالى : (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٢٢))[٤]، ويقول تعالى في الحديث القدسي : (في الحديث القدسي :(يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا)[٥].

وحين خلق الله تعالى الناس أرسل إليهم رسله ليدلوهم على الخير(الإيمان) ويبعدوهم عن الشر

---

(١) سورة الأنبياء .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦٤١ من الدرر السنية الموسوعة الحديثية .
(٣) سورة القمر .
(٤) سورة الجاثية.
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٧٧ .

(الشرك) و يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (وأما الحق الذي هو غاية خلقها أي : السموات والأرض وما بينهما : فهو غاية تُراد من العباد ، وغاية تراد بهم .

فالتي تُراد منهم : أن يعرفوا الله تعالى ، وصفات كماله عز و جل ، وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، فيكون هو وحده إلههم ، ومعبودهم ، ومطاعهم ، ومحبوبهم ، قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢))[١] ، فأخبر أنه خلق العالم ليَعرف عبادُه كمالَ قدرته ، وإحاطة علمه ، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده ، وقال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦))[٢] ، فهذه الغاية هي المرادة من العباد ، وهي أن يعرفوا ربهم ، ويعبدوه وحده ، وأما الغاية المرادة بهم : فهي الجزاء بالعدل ، والفضل ، والثواب ، والعقاب ، قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١))[٣] ، وقال تعالى(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥))[٤] ، وقال تعالى (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩))[٥] ، قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ(٤))[٦] .

---

(١) سورة الطلاق .
(٢) سورة الدخان.
(٣) سورة النجم .
(٤) سورة طه .
(٥) سورة النحل .
(٦) سورة يونس ، ثم ما نقل أعلاه من كلمام ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ج٤ ، ص ٩٧١

س٥ : لماذا يسمح الله تعالى بالشر للناس ؟.

ج٥: تسمى شبهة وجود الشر (وتسمى معضلة أبيقور) تتلخص في أن الخالق لا يمكن أن يتصف بصفتي الرحمة والقدرة معا، لأن وجود الشر يمنع إحدى الصفتين؛ فهو إما أنه قدير ويرضى بوقوع الشر فتنتفي عنه صفة الرحمة وإما أنه رحيم لا يرضى بوقوع الشر فتنتفي عنه صفة القدرة على منع وقوع ذلك الشر.

١- الله عز وجل لم يأمر بالشر ولا يحب الشر ولا أهله، والبشر هم من يختارون فعل الشر قال الله تعالى (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٢٨))[١] .

٢- ان ما يصيب الانسان من مرض ونحوه هو ابتلاء من الله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١))[٢]، ويقول تعالى: (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢))[٣]، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم(ما يُصِيبُ المسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ.)[٤].

٣- المالك للشيء في الدنيا يتصرف فيه كيف شاء دون أن يحاسبه الخلق على ذلك لأن هذا الشيء هو ملكه ؛ فإن الله الخالق الذي ليس كمثله شيء له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ، ونوقن نحن المسلمين أن ربنا الذي خلقنا له الحكمة البالغة التي لا يمكن أن يتطرق إليها أدنى نقص بأي وجه من الوجوه

٤- إن الحكمة أحيانا أن نفعل بعض الأمور المكروهة لنا لما فيها من الفائدة ولو لم

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة التغابن .
(٣) سورة الحديد .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦٤١

نفعلها لأصبحنا متهمين بنقص الحكمة والعقل ، فمثلا المريض الذي يخاف على نفسه الهلاك ويعلم أن شفاءه بإذن الله إذا شرب هذا الدواء ، فإن الحكمة هي أن يشرب ذلك الدواء ولو كانُ مراً ، ولو لم يشربه لعد تقصيرا منه ونقصا في عقله ، وهكذا في أمور كثيرة في حياتنا نفعلها ونحن لها كارهون لما يترتب عليها من المصالح

٥- إن الأنبياء والرسل هم أحب الخلق إلى الله ومع ذلك فهم أشد الناس بلاء وأكثرهم مصائب ، فلماذا ؟ ليس عقوبة لهم ولا لهوانهم على ربهم ، ولكن لأن الله يحبهم فقد ادخر لهم كامل الأجر ليستوفوه في الجنة و كتب عليهم هذه المصائب ليزيدهم رفعة ودرجة. فهو سبحانه يفعل ما شاء كيف شاء متى شاء لا معقب لحكمه ولا راد لأمره وهو الحكيم العليم

٦- أن من ضعف الإنسان وقصر نظره ؛أن يقتصر على رؤية المصائب ولا يتفطن لما فيها من الفوائد ، ولا ينظر في بقية النعم الأخرى له وفيما حوله ، فنِعم الله على بني البشر لا تقارن بمقدار ما يصيبهم به من المصائب .ولو كان هناك إنسانٌ كثير الإحسان ولكنه لا يحسن أحياناً فإن نسيان إحسانه يعد من الجحود والنكران ، فكيف بالله سبحانه وله المثل الأعلى ، فكل تصرفاته في الكون هي خير ولا يمكن أن تكون شراً من جميع الوجوه.

٧- يقول تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب(١٠))[١] ، ونحن المسلمين لا تنتهي حياتنا بوفاتنا بل نحن نؤمن أن وراء الموت جنة ونارا ، هي التي فيها الحياة الحقيقية ، فأهل الخير يجدون جزاء ما عملوه من الخير في الدنيا بانتظارهم عند الله ، وأهل الشر كذلك ، فلا يمكن أن يستوي الطيب والخبيث ، وهكذا فمن ابتلي وصبر لا يمكن أن يضيع هذا الصبر عند الله ، بل ربما يتمنى الذي لم يصب في الدنيا بمثل مصيبته أن يكون قد أصيب بمثل مصابه لما يرى له من المكانة العظيمة)[٢] .

---

(١) سورة الزمر
(٢) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٢ / ١ / ٢٠٠٢ م.

٨- يمكن للشر الظاهر أن يكون في حقيقته خيرا، وقد ذكر الله تعالى قصة الخضر وكيف أنه خرق السفينة وقتل الغلام، وهذه من الأعمال التي تبدو شرا ظاهريا، ولكنها في الحقيقة خير كما بيّن الخضر لموسى عليهما السلام.

س٦: لماذا خلق الله خلقه وهو يعلم مصيرهم في الجنة أو النار ؟!

ج٦: **أولاً**: إن معرفة الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق فيها الجواب عن كثير من الإشكالات والشبهات التي يرددها كثير من الملحدين ، وقد يتأثر بها بعض المسلمين ، ومن تلك الشبهات الظن بأن الله تعالى خلق الناس من أجل أن يضع بعضهم في الجنة ، وآخرين في النار ! وهذا ظن خاطئ ، وما من أجل ذلك خلق الله الخلق ، وأوجدهم .

إن الغاية من خلق الإنسان ، وخلق السموات ، والأرض : ليُعرف سبحانه وتعالى ، ويوحَّد ، ويطاع ، قال تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون(٥٦))[1].

قال ابن كثير رحمه الله :أي : إنما خلقتُهم لآمرهم بعبادتي ، لا لاحتياجي إليهم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (إلا ليعبدون) أي : إلا ليقروا بعبادتي طوعاً ، أو كرهاً ، وهذا اختيار ابن جرير .

وثمة خلط عند كثيرين بين الغاية المرادة من العباد ، وهي : شرعه الذي أحبه منهم ، وأمرهم به ، والغاية المرادة بالعباد ، وهي إثابة المطيع ، ومعاقبة العاصي ، وهذا من قدره الكائن الذي لا يرد ولا يبدل .

قال ابن القيم رحمه الله :وأما الحق الذي هو غاية خلقها أي : السموات والأرض وما بينهما : فهو غاية تُراد من العباد ، وغاية تراد بهم ، فالتي تُراد منهم :

أن يعرفوا الله تعالى ، وصفات كماله عز و جل ، وأن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً ، فيكون هو وحده إلههم ، ومعبودهم ، ومطاعهم ، ومحبوبهم ، قال تعالى : (اللهُّ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَّ

---

(١) سورة الذاريات .

(٢) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص ٢٣٩

قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢))[1] ، فأخبر أنه خلق العالم ليَعرف عبادُه كمالَ قدرته ، وإحاطة علمه ، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده ، وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، فهذه الغاية هي المرادة من العباد ، وهي أن يعرفوا ربهم ، ويعبدوه وحده .

وأما الغاية المرادة بهم : فهي الجزاء بالعدل ، والفضل ، والثواب ، والعقاب ، قال تعالى (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١))[2] ، قال تعالى (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥))[3] ، وقال تعالى : (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩))[4] ، قال تعالى(إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣))[5] ،[6] .

ثانياً: إن الله تعالى لا يُدخل الناس الجنة أو النار ، لمجرد أنه يعلم أنهم يستحقون ذلك ؛ بل يُدخلهم الجنة والنار بأعمالهم التي قاموا بها في دنياهم ، ولو أن الله تعالى خلق خلّقاً وأدخلهم ناره لأوشك أن يحتجوا على الله بأنه لم يختبرهم ، ولم يجعل لهم مجالاً للعمل ، وهذه حجة أراد الله تعالى دحضها ؛ فخلقهم في الدنيا ، وركّب لهم عقولاً ، وأنزل كتبه ، وأرسل رسله ، وكل ذلك لئلا يكون لهؤلاء حجة على الله يوم القيامة ، قال تعالى : (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً(١٦٥))[7] .

---

(١) سورة الطلاق
(٢) سورة النجم .
(٣) سورة طه .
(٤) سورة النحل .
(٥) سورة يونس
(٦) ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ج٤ ، ص ٩٧١ .
(٧) سورة النساء .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله :فصرح في هذه الآية : بأن لا بد أن يقطع حجة كل أحدٍ بإرسال الرسل ، مبشِّرين من أطاعهم بالجنة ، ومنذرين مَن عصاهم النار ، وهذه الحجة التي أوضح هنا قطعَها بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين : بيَّنها في آخر سورة طه بقوله (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤))[١] ، وأشار لها في سورة القصص بقوله تعالى : (وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٤٧))[٢] ،وقوله جلَّ وعلا : (ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ(١٣١))[٣] ، وقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ(١٩))[٤] ، وكقوله : (وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ(١٥٧) أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ (١٥٨))[٥] .

ويوضح ما دلت عليه هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن العظيم من أن الله جلَّ وعلا لا يعذب أحداً إلا بعد الإنذار والإعذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام : تصريحه جلَّ وعلا في آيات كثيرة : بأنه لم يُدخل أحداً النار إلا بعد الإعذار والإنذار على ألسنة الرسل ، فمن ذلك قوله جلَّ وعلا : (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ(٨) نَذِيرٌ قَالُواْ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُّ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩))[٦] ، ومعلوم أن

---

(١) سورة طه .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة الأنعام .
(٤) سورة المائدة .
(٥) سورة الأنعام .
(٦) سورة الملك .

قوله جلّ وعلا : (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) يعم جميع الأفواج الملقين في النار ، قال أبو حيان في (البحر المحيط) في تفسير هذه الآية التي نحن بصددها ما نصه : و (كُلَّمَا) تدل على عموم أزمان الإلقاء ، فتعم الملقَيْن ، ومن ذلك قوله جلّ وعلا : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧١))[١] ، وقوله في هذه الآية : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ) عام لجميع الكفار ، فقوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً) إلى قوله (قَالُوا بَلَى) : عام في جميع الكفار ، وهو ظاهر في أن جميع أهل النار قد أنذرتهم الرسل في دار الدنيا ، فعصوا أمر ربهم ، كما هو واضح)[٢] ، وفي اعتقادنا أن معرفة الغاية التي خلَق الله الخلق من أجلها ، ومعرفة أن الله تعالى لا يعذِّب أحداً وفق ما يعلم منه سبحانه ، بل جزاء أعماله في الدنيا ، وأن في هذا قطعاً لحجته عند الله : يكون بذلك الجواب عن الإشكال الوارد في السؤال .

ثالثاً: وأما لماذا أنزل إبليس إلى الأرض ، مع آدم وذريته ، ففرق بين نزول آدم ونزول إبليس ؛ آدم عليه السلام نزل إلى الأرض ، وقد تاب إلى ربه جل جلاله ، فتاب عليه وهداه ، وأنزله إلى الأرض، نبيا مكرما ، مغفورا له ، يبقى في دار الدنيا إلى أجله الذي أجله الله له ،وأما عدو الله إبليس ، فإنه لم يتب أصلا ، ولا ندم عن ذنبه ،ولا رجا التوبة ، ولا سلك لها سبيلا ، بل عاند واستكبر ، وطغى وكفر ، وطلب من الله جل جلاله ، ألا يعجل بهلاكه وعذابه ، بل يؤخر ذلك إلى يوم الوقت المعلوم ، لا ليأخذ فرصته في التوبة ، ويتمكن من الإنابة ، بل ليكمل طريق الشقاء ، ويأخذ أهل الغواية معه إلى دار البوار ؛ فنزل إماما لحزبه ، حزب الشيطان الخاسرين ، لتتم حكمة الله في خلقه ، وابتلائه لهم : هل يطيعونه ، أم يطيعون عدوه ؛ ولتتم الشقوة على العدو اللعين : بعناده وفساده ، ويستحق من ربه الخسران المبين .)[٣].

(١) سورة الملك .
(٢) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٣ ، ص ٦٦ ، ٦٧
(٣) الاسلام سؤال وجواب ، ١٦-١٢-٢٠٠٨

س٧: لماذا خلق الله النار؟.

ج٧: (**أولًا** :اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من أهل البدع، فأنكرت ذلك ، ومن نصوص الكتاب الدالة على هذا الأصل: قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣)﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(٢١)﴾[2] ، وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(٢٤)﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا(٣٠)﴾[4] [5].

ثانيًا : وردت أحاديث متعددة أن النار عياذاً بالله منها موجودة الآن ، ومن ذلك: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَالْجَنَّةُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَالنَّارُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي تُبْعَثُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[7] .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد صلاة صلاها: (رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أُقَدِّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ابْنَ لُحَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ)[7] .

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الحديد .
(٣) وردت في سورة البقرة ، ووردت في سورة آل عمران آية ١٣١
(٤) سورة النبأ .
(٥) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، ج٢ ، ص ٦١٤
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٢٤٠ ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٨٦٦
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري، رقم الحديث ١٢١٢ ، ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٠١

ومن أصرح الأحاديث الدالة على أن الجنة والنار مخلوقتان ، وموجودتان الآن ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلى الله عَليهِ وسَلمَ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ!!قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا[١] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: قَالَتِ النَّارُ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأْذَنْ لِي أَتَنَفَّسْ، فَأْذِنْ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ بَرْدٍ، أَوْ زَمْهَرِيرٍ فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ، وَمَا وَجَدْتُمْ مِنْ حَرٍّ، أَوْ حَرُورٍ فَمِنْ نَفَسِ جَهَنَّمَ[٢] .

قال ابن القيم : "لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد: على اعتقاد ذلك ، وإثباته ، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة، فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، ولهذا يذكر السلف في عقائدهم: أن الجنة والنار مخلوقتان، ويذكر من صنف في المقالات أنهذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة، لا يختلفون)[٣]، وقال ابن أبي العز : " وأما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد، وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن، لوجب اضطرارا أن تفنى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى:

---

(١) صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢٧٣٦ وقال حسن صحيح .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري، رقم الحديث ٥٣٦ ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث٦١٧
(٣) ابن القيم ، هادي الأرواح ، ص ١١

(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ... (٨٨))[١] و(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (١٨٥))[٢] ، فَالْجَوَابُ: أَنَّكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ بِقَوْلِكُمْ، أَنَّهَا الْآنَ مَعْدُومَةٌ، بِمَنْزِلَةِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ وَقِيَامِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ؛ فَهَذَا بَاطِلٌ، يَرُدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ، وَأَمْثَالِهَا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهَا لَمْ يَكْمُلْ خَلْقُ جَمِيعِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا، وَأَنَّهَا لَا يَزَالُ اللَّهُ يُحْدِثُ فِيهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ، وَإِذَا دَخَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَحْدَثَ اللَّهُ فِيهَا عِنْدَ دُخُولِهِمْ أُمُورًا أُخَرَ – فَهَذَا حَقٌّ لَا يُمْكِنُ رَدُّهُ، وَأَدِلَّتُكُمْ هَذِهِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ.

وَأَمَّا احْتِجَاجُكُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ..(٨٨))[٣] فَأُتِيتُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِكُمْ مَعْنَى الْآيَةِ، وَاحْتِجَاجُكُمْ بِهَا عَلَى عَدَمِ وُجُودِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ الْآنَ – نَظِيرُ احْتِجَاجِ إِخْوَانِكُمْ عَلَى فَنَائِهِمَا وَخَرَابِهِمَا وَمَوْتِ أَهْلِهِمَا!! فَلَمْ تُوَفَّقُوا أَنْتُمْ وَلَا إِخْوَانُكُمْ، لِفَهْمِ مَعْنَى الْآيَةِ، وَإِنَّمَا وُفِّقَ لِذَلِكَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ. فَمِنْ كَلَامِهِمْ: أَنَّ الْمُرَادَ: كُلُّ شَيْءٍ، مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ: هَالِكٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَتَا لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ، فَإِنَّهُ سَقْفُ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ: إِلَّا مُلْكَهُ ، وَقِيلَ: إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(٢٦))[٤] ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: هَلَكَ أَهْلُ الْأَرْضِ، وَطَمِعُوا فِي الْبَقَاءِ، فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنَّهُمْ يَمُوتُونَ، فَقَالَ: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ.. (٨٨))[٥] ، لِأَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، فَأَيْقَنَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ ، وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ تَوْفِيقًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ النُّصُوصِ الْمُحْكَمَةِ، الدَّالَّةِ عَلَى بَقَاءِ الْجَنَّةِ، وَعَلَى بَقَاءِ النَّارِ أَيْضًا،)[٦].

ثالثا: أما قوله (وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢))[٧] ، فمعناه : أوقد عليها فأحميت، والمقصود بتسعيرها : أن يزاد في حرها في ذلك اليوم، عياذًا بالله من النار ؛ لا أنها كانت خامدة،

---

(١) سورة القصص .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة القصص.
(٤) سورة الرحمن .
(٥) سورة القصص"
(٦) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ج٢ ' ص ٦٢٠
(٧) سورة التكوير .

فأشعلت وسعرت يوم القيامة[١]: أوقدت فأضرمت للكفار، وزيد في إحمائها[٢]وقال السعدي: " أي: أوقد عليها ، فاستعرت، والتهبت التهابا لم يكن لها قبل ذلك[٣] .

فالمقصود بالآية الكريمة أن النار - والعياذ بالله - يزاد في حرها يوم القيامة، وتُهيأ لأهلها، وبئس المصير لهم، وبئس النزل لأهلها ، كما قال تعالى: (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧))[٤] .أي: كلما سكنت، زيد في سعيرها والعياذ بالله .)[٥].

س٨ : لماذا لا يدخل الله خلقه جميعًا الجنة؟.

ج٨ : (الجنة في الإسلام هي المكان الذي أعده الله لعباده الصالحين بعد الموت والبعث والحساب مكافأة لهم، وهي من الأمور الغيبية أي أن وسيلة العلم بها هي القرآن والسنة النبوية فقط. والإيمان بالجنة ووجودها هو جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة في الإسلام.

ويؤمن المسلمون بأن الجنة دار نعيم لا يشوبه نقص ولا يعكر صفوه كدر، ولا يُمكن أن يتصور العقل هذا النعيم. فقد قال الله في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم:(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٧))[٦].

ويؤمن المسلمون بأنها أعدت للمؤمنين الموحدين الذينَ أخلصوا عبادتهم لِلَّهِ عَزَ وجَل ذوي الأعمال الصالحة، وأنه من كان موحدٌ ذو أعمال فاسدة فإنهُ تحت المشيئة أن شاء الله غفر له وأن شاء عذبه بقدر ذنبه. فإنه يُعذّب في النار ثم يدخلها، وأنه من أشرك أو كفر بالله فإنها

---

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٢٤ ، ص ١٥٠ .
(٢) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٩ ، ص ٢٣٥ .
(٣) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ٩١٢ ،
(٤) سورة الإسراء
(٥) الإسلام سؤال وجواب ، ٠٣-٠٧-٢٠١٩
(٦) سورة السجدة .

محرمة عليه، ويؤمنون بأنها مليئة بالعيون والأنهار والأشجار والثمار وكل ما ينعم به الإنسان، وأنهم يدخلونها في أكمل صورة وينعمون بأكمل نعيم، ويؤمنون بأنها درجات متفاوتة حسب أعمالهم الصالحة. ويكون خازنها هو رضوان.

ويؤمن المسلمون أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، إلا برحمة الله وفضله، فهي ليست ثمنًا للعمل، وإنما يكون العمل سببًا لدخولها. قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ". قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ)[1] وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن الجنة تتحدث، وقد تحاجت مع النار: (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِيَ لا يَدْخُلُنِي إِلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا)[2] .

يؤمن المسلمون بأن أصحاب الجنة هم المؤمنون الموحدون، فكل من أشرك بالله أو كفر به أو كذب بأصل من أصول الإيمان فإنه يحرم من الجنان ويكون في النيران[3]، وكثيرًا ما يذكر القرآن أن أصحاب الجنة هم المؤمنون الذين يعملون الصالحات، كقوله تعالى : (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٥٦))[4] وأحيانًا يفصل هذه الأعمال وأحيانًا يذكر أنهم استحقوا الجنة لتحقيقهم أمرًا من أمور الإيمان أو عملًا صالحًا.

يؤمن المسلمون بأن الدخول للجنة أمر شاقٌ وليس بالسهل. فقد قال النبي صلى الله

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٨١٦ .
(٢) المرجع السابق ، رقم الحديث ٥٠٨٧ .
(٣) عمر سليمان الأشقر ، الجنة والنار ، ص ١٧٧
(٤) سورة الحج .

عليه وسلم: (حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره)[1]، أي أنه لا يدخل الجنة إلا بارتكاب المكاره –وهي الأعمال الصالحة التي تشق على النفس–، ولا يدخل النار إلا بوقوعه في الشهوات[2]، وجعل الله لكل واحد من بني آدم منزلين: منزلًا في الجنة وآخر في النار، فمن كتب لهم السعادة من أهل الجنة يرثون منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة[3]، قال العزيز الحكيم: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ(١٠)الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(١١))[3]، [4] .

س٩: لماذا أخرج الله آدم وزوجه من الجنة ؟.

ج٩: قال تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣))[4]، وقال تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ

---

(١) ابن الأثير ، جامع الأصول الرقم ٨٠٦٩ .
(٢) شرح النووي على مسلم ، ج١٧ ، ص ١٦٥ .
(٣) عمر سليمان الأشقر ، الجنة والنار ، ص
(٤) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .
(٥) سورة المؤمنون . ١٨٣ .
(٦) سورة طه .

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨))[1].

يقول الشيخ ابن باز : (هذه المسألة للناس فيها كلام والجواب عنها أن يقال الله أعلم، المقصود أنه وسوس بالطريقة التي يعلمها الله تعالى ، فإبليس وسوس لآدم حتى وقع ما وقع من أكله من الشجرة هو وزوجته حواء، ثم اهبطوا جميعا، هبط آدم وهبطت حواء وهبط إبليس ،كلهم أهبطوا كما قال الله: (..وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ..) ، فالله أهبطهم جميعا بسبب عصيان إبليس أمر ربه واستكباره عن السجود لآدم وبسبب عصيان آدم وزوجته حواء بأكلهما من الشجرة التي منعا منها أما الطريقة التي حصل بها والوسوسة لآدم وحواء فالله أعلم بها لا مانع من أن يكونا دخلا الجنة لأنها حرمت على الكفار بعد البعث والنشور وليس الآن، حرمت على الكفار يوم البعث والنشور، حين الجزاء، أما الآن فليس هناك دليل يدل على منعهم من دخولها لأنها فكونه دخل ووسوس وتمكن ليس هناك مانع شرعي فيما نعلم يمنع من الدخول لها ذاك الوقت وإنما يمنع الكفار يوم القيامة لا يدخلونها، يساقون إلى النار وقد تكون هناك طريقة أيضاً استعملها للوسوسة غير الدخول بالمكاتبة بشيء آخر بكلام فالحاصل أنها حصلت الوسوسة وحصلت التأثر بها من آدم ومن حواء ثم تاب الله عليهما كما قال تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ) ، وقال سجانه: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى) ، ولم يكن خروج آدم وزوجه من الجنة عقوبة؛ وذلك لأن الهبوط إلى الأرض حصل بعد التوبة، وقد قُبلت توبة آدم وتم اصطفاؤه، فلا يُعقل أن تكون العقوبة بعد التوبة والاجتباء، جاء في الحديث الصحيح، حديث محاجة آدم وموسى عن أبي هريرة عن رسول صلّى الله عليه وسلم قال:(التَقَى آدَمُ ومُوسَى، فقالَ مُوسَى لِآدَمَ: آنْتَ الذي أشْقَيْتَ النَّاسَ وأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ؟ قالَ آدَمُ: أنْتَ مُوسَى الذي اصْطَفاكَ اللَّهُ برِسالَتِهِ، واصْطَفاكَ لِنَفْسِهِ وأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْراةَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَوَجَدْتَهَا كُتِبَ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ

---

(١) سورة البقرة .

يَخْلُقَنِي، قالَ: نَعَمْ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى)[1].

قال القرطبي: (لم يكن إخراج الله تعالى آدم من الجنة وإهباطهِ منها عقوبة؛ لأنه أهبطه بعد أن تاب وقُبل توبته، وإنما أهبطه إما تأدباً وإما تغليظاً للمحنة، والصحيح في إهباطهِ وسكناه في الأرض ما قد ظهر الحكمة الأزليةِ في ذلك، وهي نشر نسلهُ فيها، من أجل أن يكلفهم ويَمتحنهم ويرتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الأخروي، إذ الجنة والنار ليستا بِدار تكليف، فكانت تلك الأكلة سبب هبوطهِ من الجنة، ولله أن يفعل ما يشاء، وهذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة)[2].

و عند أهل الكتاب نجد الآتي :

٥ وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتاه ٤ فقالت الحية للمرأة لن تموتاه. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. ٦ فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل. ٧ فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر ٨ وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. ٩ فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ١٠ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. ١١ فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. ١٢ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. ١٣ فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت. ١٤ فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧٣٦ .
(٢) القرطبي ، فسير القرطبي ، ج١ ، ص ٢٧٦ .(موقع الشيخ ابن باز ، تفريغ نصي)

وترابا تأكلين كل أيام حياتك. ١٥ وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. ١٦ وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. ١٧ وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. ١٨ وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل. ١٩ بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود ٢٠ ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي. ٢١ وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما ٢٢ وقال الرب الإله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد. ٢٣ فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. ٢٤ فطرد الانسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة[١] .

وفي سفر التكوين :

تك – ٢–٨: وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقاً وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ.

تك – ٢–٩: وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

تك – ٢–١٥: وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا.

تك – ٢–١٦: وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: ((مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً

تك – ٢–١٨: وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: ((لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ)).

تك – ٢–١٩: وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ

---

(١) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، الاصحاح الثاني ، الكنيسة ، ص ٦و ٧

فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا.

تك – ٢–٢١: فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْماً.

تك – ٢–٢٢: وَبَنَى الرَّبُّ الإِلَهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ.

تك – ٣–١: وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلَهُ فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: ((أَحَقّاً قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟))

تك – ٣–٨: وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ.

تك – ٣–٨: وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلَهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ.

تك – ٣–٩: فَنَادَى الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ: ((أَيْنَ أَنْتَ؟)).

تك – ٣–١٣: فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْمَرْأَةِ: ((مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟)) فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: ((الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ)).

تك – ٣–١٤: فَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِلْحَيَّةِ: ((لأَنَّكِ فَعَلْتِ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعِينَ وَتُرَاباً تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ.

تك – ٣–٢١: وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلَهُ لِآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.

تك – ٣–٢٢: وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: ((هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفاً الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ.

تك – ٣–٢٣: فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا).

س١٠: لماذا اقتتل ابنا آدم عليه السلام ؟.

---

(١) الكتاب المقدس(العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح الثاني من ٨ - ٢٢ ، والإصحاح الثالث من ٨ – ٢٣ .

ج ١٠: يقول الله تعالى :(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١))[١].

جاء في الكتب السابقة : (قايين (قابيل) وهابيل هما شخصيتان ذكرا بالعهد القديم، وهما أول ابنين لادم وحواء. كان قايين عاملاً بالأرض أما هابيل فكان راعيا للغنم، وفي يوم قررا أن يعبدا الله فقدما قرابين. يقول الكتاب: (وحدث من بعد أيام، أن قايين قدم من ثمار الأرض قرباناً للرب. وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر. فأغتاظ قايين جداً، وسقط وجهه)[٢]. (ولم ينظر الرب إلى قربان قايين لأنه كان مخالفا لما كان يتطلبه وهو الذبيحة الدموية اما هابيل فقد فعل. يقول الكتاب: بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين. فبه شُهِد له انه بارٌ إذ شهِد الله لقرابينه)[٣]. (حيث قايين ادعى ايمانه بالرب ولكنه لم يفعل. لم يقبل الرب قربان قايين فأغتاظ قايين جداً وسقط وجهه)[٤]. (فقام على اخيه هابيل في الحقل وقتله، فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك؟ فقال لا أعلم ؛ أحارس أنا لأخي. فقال: ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ من الأرض. فالآن، ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملْت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض)[٥].

---

(١) سورة المائدة .
(٢) العهد القديم ، سفر التكوين ٤:٣-٥)
(٣) العهد القديم ، سفر العبرانيين١١:٤)
(٤) العهد القديم ، سفر التكوين ٤:٥)
(٥) العهد القديم ، سفر التكوين ، ت٤:٩-١٢

أما في التاريخ الإسلامي فالأمر مختلف تماما ، وإنما كان القتل بسبب ما ذكره السدي :(عن أبي مالك، وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى، وأن قابيل أراد أن يتزوج بأخت هابيل، وكان أكبر من هابيل، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانًا.

وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السماوات على بنيه، فأبين، والأرضين، والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك.

فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب، وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.)[١].

يقول النعماني في اللباب : (إن آدم – عليه السلام – لما بعث إلى أولاده، كانوا مسلمين مطيعين، ولم يحدث بينهم اختلاف في الدين، إلى أن قتل قابيل هابيل؛ بسبب الحسد والبغي)[٢].

لكنني أرى أن القتل بسبب زواج أخ من أخته لا تصح ، فالحرام حرام من يوم خلق الله الأرض ومن عليها ، والدين واحد وان اختلفت الشرائع ، فهذا زنى محارم والعياذ بالله ، وهذا النقل من السدي والسدي اثنان أحدهما ينعت بالسدي الكذاب وهو السدي الصغير قال عنه المزي في تهذيب الكمال أيضا : محمد بن مروان السدي الصغير ، وهو محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكوفي ، مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب.

والسدي الصغير من الوضاعين الكذابين عند أهل السنة ، وهو رافضي غال ، وله ترجمة في كتب الرافضة مثل " الكنى والألقاب " للقمي ج٢ ص٣١١ – ٣١٢) فقال في ترجمة السدي

---

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج١ ، ٨٦.
(٢) عمر بن علي النعماني ، اللباب في علوم الكتاب ، ج٣ ، ص ٥٠١

الكبير والصغير ، والسدي الصغير حفيده محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي ، روى عن محمد بن السائب الكلبي كتاب التفسير ذكره الخطيب البغدادي وقال : قدم بغداد وحدث بها ، وقال انه ضعيف متروك الحديث ، والسدي بضم السين وتشديد الدال المهملتين منسوب إلى سدة مسجده الكوفة ، وهي ما يبقى من الطاق المسدود. محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الرحمن السُدّي الكوفي.

يروي عن سليمان الأعمش وعبيد الله بن عمر وعمرو بن ميمون بن مهران ومحمد بن السائب الكلبي صاحب التفسير.

وهو ضعيف ، متهم بالوضع ، قال عنه أبو حاتم الرازي : ذاهب الحديث ، متروك الحديث ، لا يكتب حديثه البتة . وقال صالح بن محمد جزرة : كان ضعيفاً ، وكان يضع الحديث ، ويروي في التفسير عن ابن عباس)[1] .

قال السيوطي في التدريب : أوهى أسانيد ابن عباس مطلقاً : السُدّي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عنه . قال شيخ الإسلام ابن حجر : هذه سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب. توفي سنة . ١٨٩ هـ .)[2].

اما ابن بنت السدي وقيل ابن اخته : ابن بنت السُدّي وقيل ابن أخته. أبو محمد إسماعيل بن موسى الفزاري الكوفي. وقد جزم البخاري ومسلم في الكنى وابن سعد والنسائي وغيرهم بأنه ابن بنت السدي. لكن قال أبو حاتم : سألته عن قرابته من السدي ، فأنكر أن يكون ابن ابنته ، وإذا قرابته منه بعيدة. قال الذهبي في السير معلّقاً على هذا الاختلاف : فهذه رواية ثابتة تدفع أنه ابن ابنة السدي ، لكنه شيء غلب عليه.

روى له : أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة. قال ابن عَدِيّ : سمعت عبدان الأهوازي يقول : سمعت أبا بكر بن أبي شيبة أو هَنَّاد بن السَّرِيّ : أنكر علينا ذهابنا إلى إسماعيل هذا ،

---

(١) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٦ ، ص ٣٩٢

(٢) الضعفاء الكبير للعقيلي ١٣٦/٤ ، تاريخ بغداد ٢٩١/٣ ، تهذيب الكمال ٣٩٢/٢٦ ، الأنساب للسمعاني ٢٣٩/٣ ، ميزان الاعتدال ٣٢/٤ ، تدريب الراوي ١٨١.)

وقال :إيش عملتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف.. وإنما أنكروا عليه الغلو في التشيع ، وأمّا في الرواية ، فقد احتمله الناس ، ورووا عنه.

قال الحافظ في التقريب : رُمي بالرفض. مات وهو من أبناء التسعين ، سنة ٢٤٥ هـ)[١] ، فلعل خبر هذا الزواج بين أولاد آدم هو من أحد هاذين الكذابين .

س١١ : لماذا أرسل الله الرسل ؟.

ج١١ : أرسل الله الرسل ليبلغوا رسالة ربهم إلى الناس ، وهذه الرسالة تتلخص في أن لا يشركوا بالله شيئا ، وهذا هو الإسلام وهو الدين الذي أرسل الله به الأنبياء إلى الناس من آدم عليه الصلاة والسلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، وحتى تقوم الحجة على الناس يقول تعالى :(رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥))[٢] ، يقول الشيخ بن عثيمين :(حكمة إرسال الرسل تتلخص في:

١- إقامة الحجة على الخلق، حتى لا يحتج أحد على الله فيقول: (لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى(١٣٤))[٣] لقد قطع الله هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأييدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم، وصحة نبوتهم وسلامة طريقتهم كما في آية سورة النساء السابقة الذكر.

٢- توجيه الناس وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم؛ فإن الناس مهما أوتوا من الفهم والعقل والذكاء لا يمكنهم أن تستقل عقولهم بالتنظيم العام المصلح للأمة بأكملها، كأمة متماسكة متكافئة متساوية في إعطاء ذي الحق حقه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّما مَثَلِي ومَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا، فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الفَراشُ وهذِه الدَّوابُّ الَّتي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ

---

(١) (الجرح والتعديل ١٩٦/٢ ، الكامل في ضعفاء الرجال ٣٢٥/١ ، الميزان ٢٥١/١ ، سير النبلاء ١٧٦/١١ ، تهذيب التهذيب ٣٢٩/٣
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة طه

فيها، فأنا آخُذُ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وهُمْ يَقْتَحِمُونَ فيها)[١]، فالرسل يذودون الناس عما يضرهم ويدعونهم إلى ما ينفعهم.

٣- جمع الأمة على دين واحد ورجل واحد، فإن انقياد الناس لما يشاهدونه من الآيات المؤيدة للأنبياء أسرع وأقوى وأشد تماسكاً؛ فإنهم يجتمعون عليه عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت فيحصل الصلاح والإصلاح، تأييد الرسل بالآيات وكوْنها من جنس ما شاع في عصرهم: لو جاء رجل من بيننا وقال إنه نبي يُوحَى إليه، وأن طاعته فرض، وأن من عصاه فله النار، ومن أطاعه فله الجنة، ثم نظم قوانين، وسن سنناً، وقال امشوا على هذه النظم، وإلا فلكم النار؛ ما كان أحد ليقبل منه مهما بلغ في الصدق والأمانة حتى يأتي ببرهان يدل على صدقه، فلو رد أحد دعوة هذا المدعي الذي لم يأتِ ببرهان على صدقه ما كان ملوماً، فالقضية التي تسلم بها العقول أن المدعي عليه البينة وإلا فلا يجب قبول مدَّعاه.

٤- إتماماً لإقامة الحجة بالرسل على الخلق: أيد الله رسله بالآيات المبينات الدالة على صدقهم، وأنهم رسل الله حقاً، فاصطفى الله للرسالة من الناس من يعلم أنه أهل للرسالة وكفؤ لها، ومستطيع للقيام بأعبائها، والصبر على مكائد أعدائها :(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥))[٢] ، ويقول تعالى :(وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤))[٣] فاصطفى الرجال الكُمَّل الأقوياء أهل الحضارة واللين والفهم، قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩))[٤]،[٥] .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٨٣ من الدرر السنية ..
(٢) سورة الحج .
(٣) سورة الأنعام .
(٤) سورة يوسف
(٥) الشيخ ابن عثيمين حكمة إرسال الرسل منذ ٢٠١٤-٠٤-١٧

س١٢ : لماذا جاء الأنبياء بمعجزات مع ما أرسلهم الله به ؟.

س ١٢: في هذا الأمر يقول الشيخ ابن عثيمين :

١- بيان قدرة الله تعالى: فإن هذه الآيات لا بد أن تكون أمورًا خارقة للعادة، كشاهد دليل على صحة ما جاء به الرسل، وإذا كانت خارقة للعادة كانت دليلاً على قدرة الخالق، وأنه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها، ولذا تجد المرء يندهش عند هذه الآيات ولا يمكنه إلا أن يصدق برسالة الرسول الذي جاء بها حيث جاء بما لا يقدر عليه أحد سوى الله تعالى.

٢- بيان رحمة الله بعباده: فإن هذه الآيات التي يرونها مؤيدة للرسل تزيد إيمانهم وطُمأنينتهم لصحة الرسالة، ومن ثم يزداد يقينهم وثوابهم ولا يحصل لهم حيرة ولا شك ولا ارتباك. .

٣- بيان حكمة الله البالغة: حيث لم يرسل رسولاً فيدعه هملاً من غير أن يؤيده بما يدل على صدقه، وإن المرء لو أرسل شخصاً بأمر مهم من غير أن يصحبه بدليل أو أَمارة على صحة إرساله إياه لعُدّ ذلك سفهاً وموقفاً سلبياً من هذا الرسول، فكيف برسالة عظيمة من أحكم الحاكمين؟! إنها لا بد أن تكون مؤيدة بالبراهين والآيات البينات.

٤- رحمة الله بالرسول الذي أرسله الخالق: حيث ييسر قبول رسالته بما يجريه على يديه من الآيات؛ ليتسنى إقناع الخلق بطريقة لا يستطيعون معارضتها ولا يمكنهم ردها إلا جحوداً وعناداً؛ قال الله تعالى(..فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ..) أي لما يرون من الآيات الدالة على صدقك: (ولَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُون(٣٢))[١].

٥- إقامة الحجة على الخلق: فإن الرسول لو أتى بدون آية دالة على صدقه لكان للناس حجة في رد قوله وعدم الإيمان به، فإذا جاء بالآيات المقنعة الدالة على رسالته لم يكن للناس أي حجة في رد قوله.

٦- بيان أن هذا الكون خاضع لقدرة الله وتدبيره، ولو كان مدبراً لنفسه، أو طبيعة تتفاعل

---

(١) سورة الأنعام

مقوماتها وتظهر من ذلك نتائجها وآثارها لما تغيرت فجأة، واختلفت عادة بمجرد دعوى شخص لتؤيده بما ادعاه، فانظرْ إلى الأكوان التي لا تتغير بعوامل الزمن إلا بإرادة الله[1].

س١٣ لماذا: تتكرر قصص القرآن الكريم كما في قصص نوح وقومه وود وقومه وصالح وقومه وموسى وبنو إسرائيل وغيرهم ؟.

ج ١٣: يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠)﴾[2] ، ويقول تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾[3].

ولهذا القصص القرآني المتكرر من الحكم ما يلي :

١- بيان أهمية تلك القصة لأن تكرارها يدل على العناية بها .

٢- توكيد تلك القصة لتثبت في قلوب الناس .

٣- مراعاة الزمن وحال المخاطبين بها ، ولهذا تجد الإيجاز والشدة غالبا فيما أتى من القصص في السور المكية والعكس فيما أتى في السور المدنية .

٤- بيان بلاغة القرآن في ظهور هذه القصص على هذا الوجه وذاك الوجه على ما تقضيه الحال.

٥- ظهور صدق القرآن ، وأنه من عند الله تعالى ، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدو تناقض.

س ١٤: لماذا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ(٣)﴾[4].؟.

ج ١٤ – قصص القرآن هو أحسن القصص لأنه :

---

(١) الشيخ ابن عثيمين ، الموقع الرسمي ، تفريغ نصي

(٢) سورة هود.

(٣) سورة يوسف .

(٤) سورة يوسف .

١- من كلام الله تعالى .

٢- لتمام مطابقته على الواقع.

٣- لاشتماله على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى.

٤- قوة تأثيره في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق.

وقد اشتمل القرآن الكريم على عدة أنواع من القصص القرآنية منها ما يأتي:

١- قصص الأنبياء وأقوامهم: ذكر الله سبحانه وتعالى خمسة وعشرين نبياً في كتابه الكريم، منهم محمد صلى الله عليه وسلم وآدم، وهود، وصالح، وشعيب، وادريس، وذو الكفل، وذَكَرَ الثمانية عشر الآخرون في قوله تعالى: (وَتِلكَ حُجَّتُنا آتَيناها إِبراهيمَ عَلى قَومِهِ نَرفَعُ دَرَجاتٍ مَن نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ(٨٠)وَوَهَبنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعقوبَ كُلًّا هَدَينا وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوودَ وَسُلَيمانَ وَأَيّوبَ وَيوسُفَ وَموسى وَهارونَ وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ(٨١)وَزَكَرِيّا وَيَحيى وَعيسى وَإِلياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحينَ(٨٢)وَإِسماعيلَ وَاليَسَعَ وَيونُسَ وَلوطًا وَكُلًّا فَضَّلنا عَلَى العالَمينَ(٨٣))[١].

٢- قصص الأنبياء ومعجزاتهم، وتطوّر دعوتهم ومراحلها، وموقف المخالفين لهم، ومصيرهم ومصير المؤمنين بهم، ومن هذه القصص قصص أولي العزم من الرسل وغيرهم[٣].

٣- قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت للرسول -صلى الله عليه وسلم-: وقعت عدد من الحوادث للنبي -عليه السلام-؛ كحادثة الإفك، والهجرة النبويّة، وحادثة الإسراء والمعراج، وذكر الغزوات المختلفة كبدر، وأحد، والخندق، وتبوك[٤].

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) عثمان الخميس ، فبهداهم اقتده: قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء عليهم السلام ص :٢٠
(٣) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ص: ٣١٧.
(٤) أحمد أبو شوفة ، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة ، ص: ٢٠٨..

٤- قصص قرآنية تتعلق بأحداث قديمة، وأشخاص غير الأنبياء: وردت عدد من القصص في القرآن؛ كقصة مريم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وحب المال في قصة قارون، وأصحاب السبت، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل، وطالوت وجالوت، وابنيّ آدم، وقصّة الذين أُخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت(١) .

٥- قصص الحيوانات: ذُكرت مجموعة من الحيوانات في القرآن الكريم على طبيعتها؛ كالنَّملة، والهدهد، ودابّة الأرض في قصص نبيّ الله سليمان عليه السلام، والحوت في قصّة نبيّ الله يونس عليه السلام، والذئب في قصّة نبيّ الله يوسف عليه السلام، وغيرها كبقرة بني إسرائيل، وحمار عزير، وفيل أبرهة، وغراب ابنيّ آدم، وكلب أهل الكهف، وبعضها ذُكرت على غير طبيعتها وإنّما كانت آية من آيات الله تعالى-؛ كعصا موسى عليه السلام التي تحوّلت إلى أفعى، وطير عيسى عليه السلام الذي صنع منه على هيئة الطير، ونفخ فيه فأصبح طيراً بإذن الله -تعالى-، ومن ذلك أيضاً الطير الأبابيل التي أرسلها الله تعالى على أبرهة وقومه(٢) .

طريقة عرض قصص القرآن:

للقرآن في طريقة عرض القصص صور متعددة:

١- يسرد القصة من أولها إلى آخرها كما في سورة يوسف.

٢- يعرض جانبا من القصة في سورة والجانب الآخر في سورة أخرى.

٣- يعرض السورة مرة مبسوطة ومرة مقبوضة، ويراعي مكان العبرة ومقتضى المقام والغرض من القصة.

فوائد ذكر القصص في القرآن :

١- التحذير من وقوع المسلمين فيما وقع فيه بنو إسرائيل(٣) .

---

(١) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٣١٧.

(٢) . أحمد بهجت ، قصص الحيوان في القرآن ، صفحة ٧-٨..(براءة أيمن شلتوني موقع موضوع ٩ أغسطس ٢٠٢٠).

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ج١٥ ص ٣٩.

٢- جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسرّ، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم والعزّ، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب[١] .

٣- ليس مقصودُهُ مقصوراً على ذكر الأولين فقط بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة في أمد يومها من شبه أحوال من قص عليهم قصصه[٢] .

٤- لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنما هي عبرة للناس[٣].

٥- ليست مخترعة ولا مفتراة، بدليل وجود أمثالها بين الناس، قبل نزوله[٤].

٦- جميعها مملوءة بالحكم[٥].

٧- جعلها كالتمهيد لتفسيرها[٦] .

٨- آيات بينة على صدق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ونذر عظيمة مما فيها من بيان سنن الله تعالى في الأمم، وعاقبة أمرهم مع الرسل[٧] .

٩- تبين سنن الله في خلقه مع الأقوام الذين كذبوا الرسل وكان عاقبة أمرهم الدمار والنكال[٨].

١٠- بيان أصول الدين المشتركة بين جميع الأنبياء من الإيمان بالله وتوحيده وعلمه وحكمته وعدله ورحمته والإيمان بالبعث والجزاء.

١١- بيان أن وظيفة الرسل تبليغ وحي الله لعباده فحسب، ولا يملكون وراء ذلك نفعا ولا ضرا.

---

(١) ابن الجوزي ،زاد الميسر في علم التفسير، ج٢ ، ص٤١٣
(٢) االبقاعي ،ظم الدرر في تناسب الآيات والسور ' ج١ ، ص٣٩٠
(٣) القاسمي ، تفسير القاسمي محاسن التأويل، ج١ ص٧٤
(٤) المصدر السابق ج٦ ، ص ٢٣٧ .
(٥) المصدر السابق ج٦ ، ص ٢٤٧
(٦) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار، ج٢ ص٣٧٣
(٧) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٩١ .
(٨) المراغي ، تفسير المراغي (الإيضاح) ج٧ ص٩٩

١٢- بيان سنن الله في استعداد الإنسان النفسي والعقلي لكل من الإيمان والكفر والخير والشر.

١٣- بيان سنن الله في الاجتماع وطباع البشر وما في خلقه للعالم من الحكمة.

١٤- آيات الله وحججه على خلقه في تأييد رسله.

١٥- نصائح الأنبياء ومواعظهم الخاصة بكل قوم بحسب حالهم كقوم نوح في غوايتهم وغرورهم، وقوم فرعون وملئه في ثروتهم وعتوهم، وقوم عاد في قوتهم وبطشهم، وقوم لوط في فحشهم، فإن أمكن أن يكون كل هذا حديثا مفترى، فان مفتريه يكون أكمل منهم جميعا علما وعملا وهداية وإصلاحا، فما أجدرهم أن يتبعوه، وما أحقهم أن يهتدوا بهديه[1] .

س١٥ : لماذا كل هذا القصص القرآني ؟.

ج١٥ : الله تعالى عليم بما في القلوب وبالتالي عليم بما يضرها وما ينفعها ، والقصص القرآني بشكل عام يحوي الكثير من الحكم التي نوجزها في الآتي :

١- بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص.

٢- بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين.

٣- يان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين.

٤- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما أصابه من المكذبين له.

٥- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه ، إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد.

٦- تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم.

٦- إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله عز وجل.

س ١٦ : لماذا اعتمد بعض المفسرين على الإسرايليات في القصص القرآني ؟.

ج١٦ :الإسرائيليات : هي الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر ، أو من النصارى

---

(١) المراغي ، تفسير المراغي ما حوته قصص القرآن،١٢ ص١٤. نقلا عن موقع المعرفة الألكتروني .

تنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع :

١- ما أقره الإسلام ، وشهد بصدده فهو حق، مثاله : ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع فيقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(٦٧))[١] .

٢- ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه فهو باطل مثاله ما رواه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها ، جاء الولد أحول ؛ فنزلت : (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣))[٢] .

٣- ما لم يقره الإسلام ، ولم ينكره ، فيجب التوقف فيه ، لما رواه البخاري: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦))[٣] . ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ،ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده م النار[٥].

---

(١) سورة الزمر .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة العنكبوت .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، حديث رقم ٣٤٦١

س١٧- لماذا اختلفت مواقف العلماء حول موضوع الإسرائيليات؟ وما مدى هذا الاختلاف ؟.

ج ١٧- اختلفت مواقف العلماء ، ولا سيما المفسرون من هذه الإسرائيليات على أربعة أنحاء :

١- فمنهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها ، ورأي أنه بذكر أسانيدها خرج من عهدتها ، مثل ابن جرير الطبري.

٢- منهم من أكثر منها ، وجردها من الأسانيد غالبا ، فكان حاطب ليل مثل البغوي الذي قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسيره : إنه مختصر من الثعلبي ، لكنه صانه عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة ، وقال عن الثعلبي : إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع [(١)].

٣- منهم من ذكر كثيرا منها، وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير .

٤- منهم من بالغ في ردها ولم يذكر منها شيئا يجعله تفسيرا للقرآن كمحمد رشيد رضا[(٢)] .

س١٨- لماذا لا نرى قصصا قرآنيا عن الأمم الأخرى مثل الزنوج والفرس والترك والهنود والصينيين ؟.

ج١٨ : القرآن عربي يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣))[(٣)] **وهذه العروبة ترتكز على ثلاث دعائم وهي :**

١- عروبة اللسان ، يقول تعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥))[(٤)]

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ج ، ١٣ ، ص ٣٠٤
(٢) موقع منتديات أتباع المرسلين.
(٣) سورة طه .
(٤) سورة الشعراء .

٢- عروبة المكان : فجغرافية المكان الذي جرت فيه القصص القرآنية للأمم السابقة هي جغرافية بلاد العرب من النيل إلى الفرات والخليج العربي ومن هضبة الأناضول إلى خليج عدن ، وهذه هي ديار العرب قديما وحديثا حيث تتحرك القبائل بين مناطقها طلبا للحياة الأفضل .

٣- عروبة الإنسان : فالقرآن لم يتحدث إلا عن العرب وأنبياهم من نوح عليه السلام إلى نبينا محمد غليه الصلاة والسلام ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو نبي عربي وإلا لما عاش في وسط بلاد العرب وفي أقدس مكان ألا وهو مكة المكرمة ، والتي رفع فيها القواعد من البيت وبالتالي فإن جميع الأنبياء من نسل إبراهيم عم عرب بعثهم الله لأقوامهم من العرب[١] .

وبناء على ما ذكرت أعلاه فالقرآن لم يتحدث إلا عن العرب والله تعالى بعث في كل أمة رسولا يقول الله تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦))[٣]، ويقول تعالى: (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤))[٤] .

إن ما يقوله بعضهم أن إبراهيم كان يتكلم بلغة سريانية أو آرامية فيه شيء من الصحة لأن هذه اللغات هي لغات محلية وفروع من اللغة العربية الأم التي كان يتكلم بها الأسلاف من العرب بعد نوح عليه الصلاة والسلام ، وليست لغات مستقلة بذاتها ، والعربية هي أقدم اللغات ومنها خرجت لغات أخرى كالعبرية ، والعربية الشمالية والعربية الجنوبية والأمهرية .

س١٩ : إذا كان القرآن عربيا لماذا وردت أحاديث نبوية تقول أن أول من نطق بالعربية هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ؟.

ج١٩ : جاء في موقع الإسلام اليوم حول هذا الموضوع ما نصه (لم يثبت حديث مرفوع في

(١) عبدالرحمن حامد الثقفي ، تزييف الشرائع والتاريخ ، ج١ ، ص٢١٦
(٢) سورة النحل .
(٣) سورة النساء .

تحديد أول من تكلم بالعربية:

١- لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تحديد أول من تكلم بالعربية، ولم ترد بذلك الأسانيد التي تقوم لها قائمة، وما روي في هذا الباب مدخول معلول بما يقدح في أصله وأساسه، وهو الحديث الذي يروى بلفظ: (أول من تكلم بالعربية، ونسي لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما) ، ويروى أيضا بلفظ: (أَوَّلُ مَنْ فُتِقَ لِسانُهُ بالعَرَبِيَّةِ المبَيِّنةِ إسْماعِيلُ، وهُوَ ابنُ أرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً):

أ- يروى هذا الحديث من طريق (محمد بن سلام الجمحي، وأبو عبيدة معمر بن المثنى)، عن مسمع بن عبد الملك، عن محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه محمد بن سلّام الجمحي[١] قال: أخبرني مسمع بن عبد الملك، أنه سمع محمد بن علي يقول ... قال أبو عبد الله بن سلام - لا أدري أرفعه أم لا، وأظنه قد رفعه ،.

ب- رواه سعيد بن يحيى الأموي في كتابه "المغازي" قال: حدثني علي بن المغيرة (هو الأثرم)، حدثنا أبو عبيدة (هو معمر بن المثنى)، حدثنا مسمع بن مالك (هكذا، ولم يقل مسمع بن عبد الملك)، عن محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له يونس: صدقت يا أبا سيار هكذا أبو جري حدثني. نقلناه عن ابن كثير، ورواه الشيرازي في "الألقاب" قال: أخبرنا أحمد بن سعيد الميداني، أنبأنا محمد بن أحمد بن إسحاق الماسي، ثنا محمد بن جابر، ثنا أبو يوسف يعقوب بن السكيت، قال حدثني الأثرم، عن أبي عبيدة، حدثنا مسمع بن عبد الملك، عن محمد بن على بن الحسين، عن آبائه، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم. نقلناه عن "المزهر" للسيوطي[٣] حيث لم يطبع كتاب الشيرازي بعد .

---

(١) ابن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، ج١ ، ص ٩ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٣) السيوطي ، المزهر ، ج١ ، ص ٣١ .

ت- وهذا إسناد لا تثبت بمثله الأحاديث، ولا تحل به الرواية، بسبب ما اجتمع فيه من جهالة الحال ، وجهالة العين، والإبهام، وبيان ذلك:

ث- مسمع بن عبد الملك مجهول، ليس له ترجمة في كتب الرجال والحديث، وغاية ما وجدناه ترجمة لمسمع بن مالك، وليس ابن عبد الملك، وذلك في "تاريخ دمشق[1] ، ونحن نستبعد أن يكون هو المقصود؛ لأدلة عديدة، ومع ذلك فليس له في هذه الترجمة توثيق في الحديث من أحد، بل فيها نقل عن ميمون أبي السمط، مولى مسمع بن مالك، أنه قال: كان مسمع بن مالك مع الحجاج في جميع مشاهده لا يفارقه، يوم رستق آباذ، ويوم ابن الأشعث، ويوم الزاوية، ويوم دير الجماجم. وهذه مذمة قادحة في عدالته ، ولم يبين في السند من هم آباء محمد بن علي بن الحسين، إن كان يبلغ بهم السماع من النبي صلى الله عليه وسلم، أم في الحديث إرسال.

ج- وتردد محمد بن سلام الجمحي في رفع الخبر ووقفه، وهو أعلى من وقفنا عليه من المصنفين في رواية هذا الخبر، ومع ذلك وقع في الشك والتردد. وقد قال فيه أبو خيثمة رحمه الله: "لا يكتب عن محمد بن سلام الحديث، رجل يرمى بالقدر، إنما يكتب عنه الشعر، فأما الحديث فلا" انتهى من "تاريخ بغداد[2].

ح- كذلك أبو عبيدة، معمر بن المثنى، لا يبلغ به التوثيق في الأحاديث المرفوعة أن يقبل منه هذا التفرد الغريب، بل قال فيه الإمام الذهبي رحمه الله: "كان هذا المرء من بحور العلم، ومع ذلك فلم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا البصير بالفقه واختلاف أئمة الاجتهاد" ا من "سير أعلام النبلاء[3] .

خ- قول الحافظ ابن حجر رحمه الله[4] :وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن قال: أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل" فلم نقف

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٨ ، ص ١٥٥ – ١٥٨

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص ٢٧٦ .

(٣) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٩ ، ص ٤٤٧ .

(٤) ابن حجر ، فتح الباري ،ج٦ ، ص ٤٠٣ .

عليه في كتب الزبير بن بكار المطبوعة ، ولم يتبين لنا إن كان قصد الحديث مرفوعا أو موقوفا من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والغالب أنه يريد الموقوف؛ فقد سبق هذا الكلام قوله: (وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم في المستدرك بلفظ: أول من نطق بالعربية إسماعيل).

وحديث ابن عباس مروي في المستدرك[١] موقوفا من كلامه، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك لم يصح أيضا عن ابن عباس.

٢- قال الحاكم رحمه الله: أخبرنا الحسين بن الحسن بن أيوب، ثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني عبد العزيز بن عمران، حدثني إسماعيل بن إبراهيم بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:(أول من نطق بالعربية ووضع الكتاب على لفظه ومنطقه، ثم جعل كتابا واحدا مثل بسم الله الرحمن الرحيم الموصول حتى فرق بينه ولده : إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما) ، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، علق عليه الإمام الذهبي بقوله:(عبد العزيز بن عمران واه. ، يريد الإمام الذهبي تضعيف حديثه جدا، فقد اتفقت كلمة النقاد على ترك حديثه ونكارته، فقال البخاري: منكر الحديث، لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: يروي المناكير عن المشاهير. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، منكر الحديث جدا[٢]، [٣]..

والخلاصة : أن هذا الخبر ضعيف ، لا تصح نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ويبقى النظر في تاريخ اللغة العربية ونشأتها وأصلها مبحثا مهما يرجع فيه إلى مطولات اللغة وتاريخ الألسن، وسنحاول في مباحث أخرى توضيح بعض من العلاقة بين لغتنا العربية التي نزل بها القرآن واللغات السابقة .

س٢٠: لماذا صنع السامري من حلي قوم فرعون عجلا ولم يصنع حيوانا آخر ؟.

---

(١) الحاكم ، المستدرك ، ج٢ ، ص ٦٠٢ .
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص ٣٥١ .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر بتاريخ ٧ / ٥ / ٢٠١٧ م.

ج٢٠: لأنهم حين خروجهم من مصر رأوا قدماء المصريين وهم يعبدون العجل لمزية ظنوا أنها فيه فقد كانوا يرون فيه مظهر قوة كما عبد الآخرون الشمس حين رأوا فيها مظهر قوة وكذلك من عبدوا القمر والنجوم وقدماء المصريين عبدوا العجل لأن فيضان النيل كان يغمر الأرض بالمياه وكانوا يستخدمون العجل حين يريدون حرث الأرض. ولكن كيف اتخذ قوم موسى من بعده عجلاً يعبدونه بعد أن أتم عليهم الله المنة العظيمة حين انجاهم وأغرق فرعون وآله؟ هنا أوضح لنا الله أنه جاوز ببنى إسرائيل البحر ومروا على قوم يعبدون الأصنام فقالوا لموسى عليه السلام :(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨))[١] ، ويأتى القول من الحق سبحانه وتعالى :(وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨))[٢].

إذن العجل كان عجلاً مقدسًا وكان المصريون القدامى يعبدونه، بل كانوا يحتفلون بيوم ميلاده كعيد قومي، وكان يوم موته يوم مأتم قومي، وكانوا يستمرون في إقامة المآتم له إلى أن يعثروا على عجل جديد فيه كل تلك المواصفات التي تدل في زعمهم على كونه مظهرًا لله تعالى ، وبما أن عبادة العجل كانت شائعة بين قوم فرعون فكانت الأفكار الوثنية هذه قد تسربت في بني إسرائيل أيضًا بحكم كونهم خاضعين لحكم المصريين. فاستغل السامري غياب موسى عن قومه، ودفعهم إلى الشرك، فشرعوا ينظرون إلى العجل نظرة إجلال وتعظيم. كان السامري كافرًا في الحقيقة، فاستغل ضعف إيمان قومه، وقال لهم أعطوني حليكم أصنع بها وبما عندي من الذهب عجلاً لكم كعجل المصريين. فابتهجوا باقتراحه، لأنهم ورثوا تعظيم العجل من المصريين. والثابت تاريخيًّا أن العجل أكبر صنم في مصر، كما أنه من الثابت تاريخيًّا أن أهل البلاد الزراعية كانوا يعتبرون البقر إلهًا.

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الأعراف .

يخبرنا الله تعالى هنا أن السامري قد ركّب العجل تركيبًا يحدث منه صوت لا معنى له. ويبدو أنه صنعه بحيث كان الهواء يمر من خلفه ويخرج من فمه محدثًا صوتًا كالصفارة. فانخدع به اليهود السذج، الذين كانوا عبيدًا لقوم فرعون ومتأثرين بدينهم، فظنوا أن موسى، الذي كان يقول إن الله يكلمه، كان عنده عجل كهذا في الواقع، فكان يتفاءل بصوته.

(وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)[1] ، ثم تقول التوراة إن هارون جعل للعجل مذبحًا، واعتبره إلهًا لبني إسرائيل، حيث ورد: (فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ)[2].

الإيمان الضعيف لبني إسرائيل وفتنة السامري :

قال الله تعالى لموسى أنت مشتاق للقائنا هذا الشوق الشديد، وأما قومك فإنهم ما إن تركتَهم وجئت إلينا حتى وقعوا في خدعة السامري. فرجع موسى إلى قومه في غضب وأسف شديدين، وقال لهم ألم يعدكم ربكم وعدًا عظيمًا.. ألم يدعُ ربكم نبيكم ليشرفه بكلامه؟ هل كان إيمانكم ضعيفًا لدرجة أنه ضاع في هذه الفترة القصيرة؟ أم أنكم تريدون أن يحل عليكم الغضب من ربكم فنسيتم الله تعالى في هذه الفترة القصيرة، وخالفتم ما عاهدتموني عليه من الطاعة لأوامري؟ قالوا لم نخالف عهدنا برغبتنا، وإنما الواقع أن مجوهرات قوم فرعون كانت قد

---

(١) الكتاب المقدس ، سفر الخروج ، ٣٢: ١-٤

(٢) المرجع السابق ٣٢ : ٥ – ٦ .

وُضعتْ علينا عند الخروج من مصر، وكنا قد ألقيناها جانبًا بعد أن غادرتنا، وقد فعل السامري أيضًا مثلما فعلنا، ولكنه أخذها فيما بعد وأذابها وصاغ منها عجلاً لا حياة فيه ويخرج منه صوت لا معنى له. فقال للقوم إن هذا إلهكم وإله موسى في الحقيقة، ولكنه نسيه من شدة شوقه للذهاب إلى الجبل.

يبدو من قولهم أن هذه الحلي والمجوهرات قد أعطاهم المصريون إياها بأنفسهم. ولكن التوراة تقول أن بني إسرائيل استعاروا أواني الذهب والفضة من المصريين، ثم سلبوهم إياها، وأن المصريين أيضًا ما زالوا يعطونهم إياها لأنهم أرادوا خروج هؤلاء من بينهم حتى لا يهلكوا بسببهم. ورد في التوراة: :(وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُِيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ)[1] .

وكأن التوراة تتهم موسى عليه السلام بأن بني إسرائيل سألوا المصريين حلي الذهب والفضة والثياب وسلبوهم بأمر من موسى. ولكن القرآن الكريم يفنّد ذلك ويقول إنهم لم يطلبوا من المصريين الحلي، بل إن المصريين أنفسهم أعطوهم إياها. والعقل يصدق هذا البيان، لأن النبي لا يكون من الصعاليك واللصوص. ولكن التوراة من جهة تعد موسى عليه السلام نبيًّا، ومن جهة أخرى تعده لصًّا. والحق أن الشهادة الداخلية للتوراة نفسها تبطل هذه التهمة

فهذا هو مثل قوم موسى عليه السلام ، حيث قالوا له إننا لم نخالف عهدنا معك برغبتنا، وإنما اضطُررنا لذلك اضطرارًا. لقد وُضع علينا عبءُ حلي قوم فرعون، فرميناه بعيدًا، وكذلك ألقاه السامري؛ ولكنه صاغ فيما بعد من هذه الحلي عجلاً رائعًا له صوت. فلم نتمالك أنفسنا، وأخذنا نعبده. فما ذنبنا في ذلك؟ إن واقعة السامري هذه تكشف لنا حقيقة ما فعله السحرة أيضًا، حيث تدل على شيوع مثل هذه الخدع والشعوذة بينهم، وأنهم كانوا يصنعون اللعب الميكانيكية.

---

(١) الكتاب المقدس ، سفر الخروج١٢: ٣٥-٣٦

كيف عبد بني إسرائيل العجل؟

الواقع أن قوم موسى عليه السلام كانوا قادمين من مصر، وكان قوم فرعون يعبدون العجل بكثرة، بل كان أكبر معبد في مصر هو معبد العجل حيث كانوا يضعون فيه عجلاً لا شيّة فيه ولا عيب. فقد ورد أن العجل كان يحتل الصدارة بين قائمة الحيوانات التي كان المصريون يعبدونها. فكلما مات عجلهم المعبود بحثوا عن بديل له. وإذا وجدوا عجلهم المنشود في قطيع من القطعان أكرموا صاحب القطيع إكرامًا عظيمًا، كما كانوا يجازون من يعثر على مثل هذا العجل بمكافأة ضخمة[١] .

وورد في مصدر آخر أنه كان عجلاً مقدسًا وكان المصريون القدامى يعبدونه. كانوا يحتفلون بيوم ميلاده كعيد قومي، وكان يوم موته يوم مأتم قومي، وكانوا يستمرون في إقامة المآتم له إلى أن يعثروا على عجل جديد فيه كل تلك المواصفات التي تدل في زعمهم على كونه مظهرًا لله تعالى.

فبما أن عبادة العجل كانت شائعة بين قوم فرعون فكانت الأفكار الوثنية هذه قد تسربت في بني إسرائيل أيضًا بحكم كونهم خاضعين لحكم المصريين. فاستغل السامري غياب موسى عن قومه، ودفعهم إلى الشرك، فشرعوا ينظرون إلى العجل نظرة إجلال وتعظيم. كان السامري كافرًا في الحقيقة، فاستغل ضعف إيمان قومه، وقال لهم أعطوني حليكم أصنع بها وبما عندي من الذهب عجلاً لكم كعجل المصريين. فابتهجوا باقتراحه، لأنهم ورثوا تعظيم العجل من المصريين. والثابت تاريخيًّا أن العجل أكبر صنم في مصر، كما أنه من الثابت تاريخيًّا أن أهل البلاد الزراعية كانوا يعتبرون البقر إلهًا.

يخبرنا الله تعالى هنا أن السامري قد ركّب العجل تركيبًا يحدث منه صوت لا معنى له. ويبدو أنه صنعه بحيث كان الهواء يمر من خلفه ويخرج من فمه محدثًا صوتًا كالصفارة. فانخدع به اليهود السذج، الذين كانوا عبيدًا لقوم فرعون ومتأثرين بدينهم، فظنوا أن موسى، الذي

---

(١) موسوعة الأديان ، مجلد١ ص ٥٠٧

كان يقول إن الله يكلمه، كان عنده عجل كهذا في الواقع، فكان يتفاءل بصوته.

يتضح أن هارون عليه السلام لم يشترك مع القوم في الشرك، بل قد منعهم منه بكل صرامة. ولكن التوراة تزعم أنه كان شريكًا معهم في هذا الشرك. فقد جاء فيها:

(وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا. فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)[1].

ثم تقول التوراة إن هارون جعل للعجل مذبحًا، واعتبره إلهًا لبني إسرائيل، حيث ورد:

(فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ)[2].

إن كل إنسان عنده مسحة من العقل ليدرك أن مَن يكلّمه الله تعالى يستحيل أن يتخذ العجل إلهًا. فمثلاً هل يمكن لشخص يكلّم أخاه يوميًا أن يعتبر ابن آوى أخًا له؟ ولكن الغريب أن التوراة، التي يقال عنها أنها نزلت على موسى، تقول أن هارون اشترك مع قومه في هذا العمل الوثني؟

وقالوا أن موسى عليه السلام كان يملك عجلا اسمه (أبيس) نسيه وقت هروبه من مصر ، فأقنع السامري بني إسرائيل أن موسى كان يعبد ذلك العجل فنسيه في أرض مصر ، وسأصنع لكم عجلا من الحلي مثل (أبيس) لتعبدوه حتى إذا عاد موسى يرضى عنكم ، ورغم

---

(١) الكتاب المقدس ، سفر الخروج ٣٢: ١-٤
(٢) المرجع السابق ، ٣٢ : ٥-٦

نهي هارون لقومه عن هذا العمل الشركي إلا أنهم لم يطيعوه وعبدوا هذا العجل حتى جاء موسى ، وأحرق العجل الذهبي ورماه في البحر .

س ٢١: لماذا أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة ، ولم يأمرهم بذبح ناقة مثلا ؟.

ج٢١: نقول وبالله التوفيق :

١- البقرة من جنس العجل الذي عبده بنو إسرائيل فأراد الله تعالى أن يهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيم العجل، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته .

٢- في زمن موسى عليه السلام كانت الأبقار من أنفس الأموال وأفضلها عندهم . فيتباهون بما لديهم من أبقار . فهم أصحاب بقر وليسوا أصحاب ماشية أو ابل مثل أهل البادية. ولذلك فإن الله تعالى طلب منهم أن يذبحوا بقرة لعلمه سبحانه أنهم بخلاء وسوف يترددون في ذبحها لأنها من أنفس أموالهم. إلا أنهم شددوا في أصافها ظناً منهم أن موسى عليه السلام سوف يصرف النظر عن ذبح البقرة الى ما هو أهون وأقل تكلفة.

٣- كثرة الأبقار في المكان الذي تواجد فيه بنو إسرائيل بعد خروجهم من البحر ، وهذا دليل على أنهم لم يخرجوا في صحراء مقفرة كصحراء سيناء .

جاء في التوراة ما نصه:(١) إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعاً في الحقل لا يعلم من قتله (٢) يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل (٣) فالمدينة القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك القرية عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالنهير (٤) وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي (٥) ثم يتقدم الكهنة بني لاوى ، لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه، ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة (٦) ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي (٧) ويصحون ويقولون: أيدينا لم

تسفك هذا الدم، وأعيننا لم تبصر (٨) اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم بريء في وسط شعبك إسرائيل، فيغفر لهم الدم[١] ..

س٢٢: لماذا كثر قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم دون غيرهم من شعوب الأرض ؟.

ج٢٢:يقول الشيخ عبدالرحمن البراك : (اللهُ أعلمُ؛ لأنَّهم يعني؛ (وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ(٣٢))[٢] ، اللهُ فضَّلَ أنواعًا مِن مخلوقاتٍ بعضُها على بعضٍ، فضَّل، فبنو إسرائيلَ مُفضَّلون على سائرِ الأجناس في وقتهم: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ(٤٧))[٣] ، وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ فذكرهم.. ثمَّ تأمَّلْ هم الشَّعبُ الَّذي بعثَ منهم عددًا كثيرًا مِن الأنبياءِ :أنبياءُ بني إسرائيل)[٤].

إن كثر الحديث عن بني إسرائيل في القرآن الكريم له مغاز وأهداف نوجزها في ما يلي ليحذر منه المسلمون :

١- شدة العداوة للمؤمنين وبغضهم. قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...(٨٢))[٥]، وقال تعالى: (.... قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩))[٦] وقال تعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ....(١٢٠))[٧] .

٢- قتل الأنبياء والرسل قال تعالى: (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً

---

(١) الكتاب المقدس ، سفر الاشتراع ، ٢١ : ١-٨
(٢) سورة الخان .
(٣) سورة البقرة .
(٤) الموقع الرسمي للشيخ عبدالرحمن البراك .
(٥) سورة المائدة .
(٦) سورة آل عمران

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿......أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(٨٧)﴾[٢].

٣- تحريف التوراة وتزييف كلام الله والافتراء عليه: قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ...(٤٦)﴾[٤] وقال تعالى: ﴿....وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٥)﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ....(١٨١)﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا.... (٦٤)﴾[٧] .

٤- اتخاذ الإلهة والوقوع في الشرك: فقد عبدوا العجل فقال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)﴾[٨] وقال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)﴾[٩]، وقال تعالى : ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... (١٨)﴾[١٠] ، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ....(٣٨)﴾[١١].

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة النساء .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) سورة آل عمران .
(٧) سورة المائدة .
(٨) سورة البقرة .
(٩) سورة الأعراف .
(١٠)سورة المائدة .
(١١)سورة التوبة .

٥- نشر الفتنة والفساد: قال تعالى: (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٦٤))[١].

٦- الغيرة والحسد وعدم حب الخير للمؤمنين: قال تعالى: (إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا...(١٢٠))[٢]، وقال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ... (١٠٨))[٣] .

٧- نقض المواثيق والعهود: قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣))[٤] ، وقال تعالى: (أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠))[٥] ، وقال سبحانه وتعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً..(١٣))[٦] .

٨- الاستهزاء بالدين وشعائره: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ..(٥٧))[٧].

٩- أكل الربا والمال الحرام: قال تعالى: (وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢))[٨]، وقال تعالى: (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ... (١٦١))[٩].

١٠- قسوة القلب: قال تعالى فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً(١٣))[١٠].

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة البقرة .
(٦) سورة المائدة
(٧) .سورة المائدة
(٨) سورة المائدة .
(٩) سورة النساء .
(١٠) سورة المائدة .

وقال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...(٧٤))[١].

١١- الجبن وحب الدنيا: قال تعالى: (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ... (٩٦))[٢] ، وقال تعالى :(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا...(٢٢))[٣]، وقال تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤))[٤]، وقال تعالى (لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ.... (١٤))[٥].

١٢- وحدتهم ظاهرية وحقيقتهم اختلاف: قال تعالى: (بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى... (١٤))[٦].

١٣- الذلة والمسكنة: قال تعالى: (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ...(٦١))[٧]، وقال تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ(١١٢))[٨].

١٤- نبه الله سبحانه وتعالى إلى أن الصراع مع اليهود صراع مستمر وأن عداوتهم دائمة: قال تعالى: (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا....(٢١٧))[٩] ، وقال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة البقرة ز
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة المائدة .
(٥) سورة الحشر .
(٦) سورة الحشر .
(٧) سورة البقرة
(٨) سورة آل عمران .
(٩) سورة البقرة .

الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...(٨٢))[١] .

١٥- أشار الله سبحانه وتعالى إلى مرحلتين من علو بني إسرائيل في الأرض: كما في فواتح سورة الإسراء يرافقهما فساد كبير قال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤))[٢] .

١٦- ذكر الله سبحانه وتعالى أن ضررًا وأذى سيصيب المؤمنين بسبب كيد هؤلاء اليهود وعلوهم: ولكنه ضرر عارض سينتهي بالتزام المؤمنين بدينهم وتحقيق وعد الله سبحانه وتعالى بالنصر قال تعالى: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمْ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١١١))[٣]، وخاطب سبحانه وتعالى بني إسرائيل مخبرًا لهم عما يفعله المؤمنون بهم : (...فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا(٧))[٤]، وهناك رأيان لهما وجاهتهما في فهم العلو اليهودي الحالي إن كان هو العلو الأول أو الثاني.. فيرى كثيرون أن العلو الحالي هو العلو الثاني، لكن يختلفون في العلو الأول، فيرى بعضهم أنه كان في أثناء دولة بني إسرائيل في فلسطين، التي قضى عليها الأشوريون والبابليون (قضى على مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م على يد الملك الآشورى سرجون الثاني، وقضى على مملكة يهودا سنة ٥٨٦ ق.م على يد الملك البابلي نبوخذ نصر)، ويرى البعض الآخر أن العلو اليهودي الأول كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم عندما قضى عليهم في المدينة وخيبر.

١٧- إن الظاهرة الغالبة على بني إسرائيل السابقين كانت الكفر والعصيان: قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) سورة الإسراء .

تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦))[1]، وقال تعالى: (وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ(١١٠))[2] ، وقال تعالى: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِّ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣))[3] ، وقال تعالى: (...بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُّ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ(٨٨))[4] .

١٨- اليهود وبني إسرائيل صنفان: صنف مؤمنون صالحون، وصنف ظالمون عصاة فاسقون، وقد مدح القرآن مؤمنيهم كما ذمَّ فاسقيهم، ولا يتعامل القرآن مع بني إسرائيل أو اليهود باعتبارهم جنسًا أو قومًا يُقبل بأكمله أو يُرفض بأكمله، وإنما باعتبارهم أفرادًا ينتمون إما إلى معسكر الإيمان أو معسكر الكفر قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُون(٢٣))[5] ، وقال تعالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِّ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢))[6] ، [7].

---

(١) سورة المائدة .
(٢) آل عمران .
(٣) آل عمران .
(٤) البقرة
(٥) السجدة .
(٦) النساء .
(٧) شبكة الالوكة ، حسام العيسوي ، ٢٠١٣/١/١٦ ميلادي - ١٤٣٤/٣/٤ هجري

س٢٣: لماذا عاتب موسى عليه السلام السامري عتابا خفيفا ولم ينتقم منه لصنعه العجل ليعبده بنو إسرائيل وهل للسامري علاقة بجبريل عليه السلام ؟.

ج٢٣: قال الله تعالى: (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا(٩٧))[1].

جاء في الوسيط للطنطاوي : (قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) ، و قوله سبحانه : (قَالَ فاذهب فَإِنَّ لَكَ فِي الحياة أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ) حكاية لما قاله موسى عليه السلام للسامري .

والمساس : مصدر ماسّ – بالتشديد – كقتال من قاتل ، وهو منفى بلا التي لنفى الجنس .

والمعنى : قال موسى للسامري : ما دمت قد فعلت ذلك فاذهب ، فإن لك في مدة حياتك ، أن تعاقب بالنبذ من الناس ، وأن تقول لهم إذا ما اقترب أحد منك : (لاَ مِسَاسَ) أي لا أَمَسُّ أحدا ولا يَمسُّني أحد ، ولا أخالط أحداً ولا يخالطني أحد .

قال صاحب الكشاف : عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أطم منها وأوحش وذلك أنه مُنِع من مخالطة الناس منعا كليا ، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمه ومبايعته ومواجهته ، وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا . وإذا اتفق أن يماس أحدا – رجلا أو امرأة – حم الماس والممسوس – أي أصيبا بمرض الحمى – فتحامى الناس وتحاموه ، وكان يصيح : لا مساس . وعادى في الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ، ومن الوحش النافر في البرية . . .

وقال الآلوسي ما ملخصه : والسر في عقوبته على جنايته بما ذكر . أنه ضد ما قصده من إظهار ذلك ليجتمع عليه الناس ويعززوه ، فكان ما فعله سببا لبعدهم عنه وتحقيره . وقيل : عوقب بذلك ليكون الجزاء من جنس العمل ، حيث نبذ فنبذ ، فإن ذلك التحامي عنه

---

(١) سورة طه .

شيء بالنبذ ، قالوا : وهذه الآية الكريمة أصلى في نفى أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم ، ثم بين – سبحانه – عقوبة السامري في الآخرة ، بعد بيان عقوبته في الدنيا فقال : (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُ) ، وقوله : (تُخْلَفَهُ) قرأها الجمهور بضم التاء وفتح اللام . أي : وإن لك موعدا في الآخرة لن يخلفك الله – تعالى – إياه . بل سينجزه لك ، فيعاقبك يومئذ العقاب الأليم الذى تستحقه بسبب ضلالك وإضلالك ، كما عاقبك في الدنيا بعقوبة الطرد والنفور من الناس .

وقرأ ابن كثير وأبو عمر (لَّن تُخْلِفَهُ) بضم التاء وكسر اللام أي : وإن لك موعدا في الآخرة لن تستطيع التخلف عنه ، أو المهرب منه ، بل ستأتيه وأنت صاغر . . .

ثم بين سبحانه أيضا للسامري : وانظر إلى معبودك العجل الذى أقمت على عبادته أنت وأتباعك في غيبتي عنكم ، (لَّنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار أمام أعينكم ، والجملة جواب لقسم محذوف ، أي : والله لنحرقنه (ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي اليم نَسْفاً) أي : لَنُذرِينَّه في البحر تذرية ، بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ، يقال : نسف الطعام ينسفه نسفا ، إذا فرقه وذراه بحيث لا يبقى منه شيء.

وقد نفذ موسى عليه السلام ذلك حتى يظهر للأغبياء الجاهلين الذين عبدوا العجل ، أنه لا يستحق ذلك . وإنما يستحق الذبح والتذرية ، وأن عبادتهم له إنما هي دليل واضح على انطماس بصائرهم ، وشدة جهلهم) الوسيط للطنطاوي تفسير سورة طه.

وذكر بعض المفسرين أن فرعون كان يقتل البنين ممن يولد لبني إسرائيل : سنة ، ويدعهم سنة ، وأن السامري ولد في السنة التي يقتل فيها البنون ، فوضعته أمه في كهف خوفا عليه ، فبعث الله إليه جبريل ليربيه ويغذيه ؛ ولذلك عرفه حين شاهده ، فقبض قبضة من أثره .

فقد روى ابن جرير عن ابن جُرَيج ، قال : لما قتل فرعون الولدان ، قالت أمّ السامريّ : لو نحيتُه عني حتى لا أراه ، ولا أرى قتله ، فجعلتْه في غار ، فأتى جبرائيل ، فجعل كفّ نفسه في فيه ، فجعل يُرضعه العسل واللبن ، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه ، فمن ثم معرفته

إياه حين قال : (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ)[1].

وقال البغوي رحمه الله :(فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ عَرَفَهُ وَرَأَى جِبْرِيلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ ؟ .قِيلَ : لِأَنَّ أُمَّهُ لَمَّا وَلَدَتْهُ فِي السَّنَةِ الَّتِي يُقْتَلُ فِيهَا الْبَنُونَ ، وَضَعَتْهُ فِي الْكَهْفِ حَذَرًا عَلَيْهِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ لِيُرَبِّيَهُ لِمَا قَضَى عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْفِتْنَةِ)[2] .

وقال القرطبي رحمه الله :(رُوِيَ فِي قَصَصِ الْعِجْلِ : أَنَّ السَّامِرِيَّ ، وَاسْمُهُ مُوسَى بْنُ ظَفَرَ ، يُنْسَبُ إِلَى قَرْيَةٍ تُدْعَى سَامرةَ . وُلِدَ عَامَ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ ، وَأَخْفَتْهُ أُمُّهُ فِي كَهْفِ جَبَلٍ ، فَغَذَّاهُ جِبْرِيلُ فَعَرَفَهُ لِذَلِكَ)[3] .

وأنشد بعضهم :

فموسى الذي رباه جبريل كافر   وموسى الذي رباه فرعون مرسلا[4]

وهذا لا يعرف له أصل في نصوص الشريعة ، فلا يعول عليه ، بل ذكر العلامة المحقق الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تفسيره " التحرير والتنوير : أن هذا لا يوجد – أيضا – في كتب الإسرائيليين[5] .

قال ابن عطية رحمه الله : وسبب معرفة السامري بجبريل ، ومَيْزِه له ، فيما روي : أن السامري ولدته أمه عام الذبح ، فطرحته في مغارة ، فكان جبريل عليه السلام يغذوه ويحميه ، حتى كبر وشب ، فميزه بذلك ، قال القاضي أبو محمد : وهذا ضعيف[6] .

إن نقل مثل هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما : منكر لا يصح ، فإنها من رواية الكلبي عنه ، كما ذكر الرازي في تفسيره وطريق الكلبي : هو طرق رواية التفسير عن ابن عباس[7].

قال السيوطي رحمه الله :" وأوهى طرقه – يعني طرق التفسير عن ابن عباس – طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير

---

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٨ ، ص ٣٦١ .
(٢) البغوي ، تفسير البغوي ، ج٥ ، ص ٢١١ .
(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص ٢٨٤ ، وانظر تفسير الخازن ج٣ ، ص ٢١١ ؟
(٤) الألوسي ، تفسير الألوسي ، ج٢ ، ص ٢١٣ ، وتاج العروس ، ج١٢ ، ص ٨٢ .
(٥) الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١٦ ، ص ٢٩٦ .
(٦) ابن عطية ، تفسير ابن عطية ، ج٤ ، ص ٦١ .
(٧) الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٢ ، ص ٩٥ .

فهي سلسلة الكذب[1] .

وقد قيل في تأويل ذلك أيضا : (أنه السامري ألقى في روعه : أنك إنَّ أخذت مِنَ أثر هَذَا الفرس قبضة ، فألقيتها في شيء : كان لك ما تريد ، كما قال عكرمة فيما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره [2] بسند صحيح عنه .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : قال المفسرون : فقال له موسى : وما ذاك ؟ قال : رأيت جبريل على فرس ، فأُلقي في نفسي : أن اقبض من أثرها ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً [3]، [4].

س٢٤: لماذا أمر فرعون بقتل أبناء بني إسرائيل ؟؟.

ج: قال الله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ(٤٩))[5] .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : (وكان الحامل له على هذا الصنيع القبيح أن بني إسرائيل كانوا يتدارسون فيما بينهم، ما يأثرونه عن إبراهيم عليه السلام من أنه سيخرج من ذريته غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه، وذلك والله أعلم حين كان جرى على سارة امرأة الخليل من ملك مصر من إرادته إياها على السوء وعصمة الله لها ، وكانت هذه البشارة مشهورة في بني إسرائيل فتحدث بها القبط فيما بينهم، ووصلت إلى فرعون، فذكرها له بعض أمرائه وأساورته، وهم يسمرون عنده، فأمر عن ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل، حذرا من وجود هذا الغلام، ولن يغني حذر من قدر[6].

وذكر السدي عن أبي صالح وأبي مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة: أن فرعون رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس،

---

(١) السيوطي ،الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ٤٩٧- ٤٩٨ ، وينظر : " الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة " (ص ٣١٦) .وينظر في ترجمة الكلبي ، ورد مروياته : " ميزان الاعتدال " (٣ /٥٥٧-٥٥٩) .
(٢) ابن أبي حاتم ، تفسير ابن أبي حاتم ، ج٧ ، ص ٢٤٣١ .
(٣) ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٣ ، ص ١٧٤ .
(٤) الاسلام سؤال وجواب : ٢١-٠٦-٢٠١٤
(٥) سورة البقرة .
(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٢٧٣ .

فأحرقت دور مصر وجميع القبط ولم تضر بني إسرائيل ، فلما استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة، والحزأة، والسحرة، وسألهم عن ذلك فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء، يكون سبب هلاك أهل مصر. على يديه فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان ولهذا قال الله تعالى (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥))[١]، وهم بنو إسرائيل (ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) أي الذين يؤل ملك مصر وبلادها إليهم (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦))[٢] أي سنجعل الضعيف قويا والمقهور قادرا والذليل عزيزا وقد جرى هذا كله لبني إسرائيل كما قال تعالى (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧))[٣] ، وقال تعالى (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨))[٤] ، والمقصود أن فرعون احترز كل الاحتراز أن لا يوجد موسى حتى جعل رجالا وقوابل يدورون على الحبالى ويعلمون ميقات وضعهن فلا تلد امرأة ذكرا إلا ذبحه أولئك الذباحون من ساعته ، وعند أهل الكتاب أنه إنما كان يأمر بقتل الغلمان لتضعف شوكة بني إسرائيل فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم. وهذا فيه نظر بل هو باطل وإنما هذا في الامر بقتل الولدان بعد بعثة موسى كما قال تعالى: (فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولا حذرا من وجود موسى. هذا والقدر يقول يا أيها ذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه قد حكم العظيم الذي لا يغالب

---

(١) سورة القصص .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة الدخان .

ولا يمانع ولا يخالف أقداره إن هذا المولود الذي تحترز منه وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا بعد ولا يحصى لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك وأنت الذي تتبناه وتربية وتتعداه ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين تكذيبك ما أوحى إليه لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد وأنه هو القوي الشديد ذو البأس العظيم والحول والقوة والمشيئة التي لا مرد لها، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن القبط شكوا إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون فأمر فرعون بقتل الأبناء عاما وأن يتركوا عاما فذكروا أن هارون عليه السلام ولد في عام المسامحة عن قتل الأبناء وأن موسى عليه السلام ولد في عام قتلهم)[1].

س٢٥ : لماذا حدد الله تعالى لبني إسرائيل بقاءهم في التيه أربعين عاما ؟.

ج٢٥ :قال الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦))[2].

---

(١) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٢٧٤ .
(٢) سورة المائدة .

لقد أورد لنا القرآن الكريم قصة خذلان بني إسرائيل لنبي الله موسى ورفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لعباده المؤمنين بحجة الخوف والجبن، أشار إلى معضلة نفسية غريبة، وهي: أن يتعالى الجبن والخوف الشديد ويتحول إلى وقاحة شديدة في حق موسى وربه فقالوا (اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون).فعاقبهم الله تعالى وواسى عبده :

١- حكم بأن هذه الأرض المقدسة (محرمة عليهم)، فهي أطهر وأقدس من أن يدخلها الفاسقون فاتحين ، ولن يدخلوها إلى قيام الساعة ، وليس هناك أرض مقدسة سوى مكة المكرمة ، والتي قال لهم بيهم (اجعلوا بيوتكم قبلة) فليس هناك قبلة غير مكة المكرمة .

٢- عاقبهم بـ (أربعين سنة يتيهون في الأرض)، ، فالتيه في الأرض وفي هذه المدة الطويلة ينعكس بظلال مؤلمة على النفس جراء شنيع فعلتهم ووقاحتهم، وهي كفيلة أن يشعروا بشعور الخذلان الذي قطّع قلب نبي الله موسى وأخيه، فنبي الله قد تحمل معهم حملاً ثقيلاً لم يخفف منه إلا ارتباطه بالعظيم وكلامه المباشر معه، وبهذه المدة الطويلة يبدّل الله جيل الجبن والوقاحة والخذلان، بجيل تربى على الحق المنشود، يسمع حكاية النبي الذي كابد التعب والنصب مع قوم خذلوه، ويتشرب معاني العزة والكبرياء من قسوة الصحراء، ويغير عالم أفكاره الصدأ وتصديق فعل الأقدمين إلى أفكار النبوة الحية حتى لو قضى موسى نحبه.

٣- واسى نبيه موسى عليه السلام فقال (فلا تأس على القوم الفاسقين)، فقد خسروا دنياهم وأخراهم، وفاتتهم العزة بأيديهم، فالعبرة بالجيل العائد من لجّة التيه.

لقد خرج بنو إسرائيل من التيه بعد أربعين سنة، واستجابوا لأمر الله على لسان نبيهم فمكن الله لهم، ولكن لنقف أولاً عند الأربعين سنة، لماذا كانت أربعين سنة، وماذا حدث فيهن، حتى تتحول العقوبة إلى نصر وتمكين، بل ومعجزات أيضًا.

لقد خرج بنو إسرائيل من التيه بعد أربعين سنة، واستجابوا لأمر الله على لسان نبيهم فمكن الله لهم، ولكن لنقف أولاً عند الأربعين سنة، لماذا كانت أربعين سنة، وماذا حدث فيهن،

حتى تتحول العقوبة إلى نصر وتمكين، بل ومعجزات أيضًا.

والعلماء ذكروا في قضية النصب نصب أربعين سنة منصوبة فهل هي محرمة عليهم أربعين بالنصب، أي الأربعين منصوبة بهذا التحريم أربعين منصوبة على التحريم، أم يتيهون أربعين سنة، هذا جائز وهذا جائز، هذا وارد وهذا وارد، ومن الممكن أن نقول أن الله جل وعلا عاقب هؤلاء القوم أربعين سنة حتى يأتي جيل جديد فيتيهون في هذه المنطقة في سيناء حتى يعودوا إلى ربهم، إذا عادوا لهدي ربهم كتب الله عليهم جل وعلا أن يدخلوا الأرض المقدسة مرة ثانية.

أن هذه الفترة كما ذكر كثير من العلماء، لأن هذه الفترة هي فترة الجيل، الجيل من ٣٣ إلى ٤٠ سنة، كون هؤلاء تربوا على حياة الذل والاستعباد وهذا الأمر كما ذكرت أشربوه في قلوبهم، هذا الجيل يحتاج إلى تغير، هذا الجيل أذاق موسى عليه السلام الأمرين كما يقال، فكان لا بد من هذا الجيل الذي وصل إلى لحظة من لحظات العناد ولحظة من لحظات الجبن، ولحظة من لحظات بين قوسين عفواً الوقاحة، فهذا لم يكن جبن وفقط، لكنه جبن على وقاحة.

تاهوا أربعين سنة لكن العجب العجاب أن هذه اللفظة خرجت من القوم بعد أراهم الله ما أراهم من الآيات العظيمة التي من الآية الواحدة منها من الممكن أن تؤمن أمم، انظر إلى نجاة سيدنا موسى مع قومه ثم نجاته، أول ما خرجوا ماذا قالوا وجدوا قوم يعبدون آلهة من دون الله (قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) هذا الأمر، إذن هذا الجيل كان لا بد أن يتغير ولا بد أن يجلسوا فترة، فترة مدة طويلة من الزمن، حاجة من اثنين إما أن يذهب هذا الجيل برمته أو أن تتغير هذه الصفات التي أصبحت كأنها صفات موروثة أو أصبحت كأنها صفات جبلية.

وقال بعضهم أنه تحريم ابتلاء، منع بمعنى ماذا أنهم لا يستطيعون مهما حاولوا أن يدخلوا إلى الأرض المقدسة، لماذا منعهم الله جل وعلا عنه، أم تحريم تعبد وكأنهم في استطاعتهم أو في مقدورهم لكن الله جل وعلا أمرهم أن يظلوا على الأرض على هذه الحال ولا يدخلوها

والأقرب أن هذا التحريم هو تحريم منع، هو تحريم منع لأن فيه نوع من أنواع العقوبة، فالله جل وعلا يعاقبهم على عصيانهم أن يتيهوا في الأرض فحرمهم الله جل وعلا ومنعهم من دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم[1].

إذن بعد الأربعين عاما لم يبق من أولئك الذين رفضوا دخول الأرض المقدسة أحد فقد هلكوا جميعا كما هلك معم أنبياؤهم هارون وموسى عليهما السلام .

س٢٦ : لماذا يكره اليهود داوود عليه السلام؟.

ج٢٦: يقول الله تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٨٧))[2] ، ونتيجة لعنه لهم زعموا أنه زنى بامرأة أحد جنوده، وحبلت من ذلك الزنى، ثم إنه تسبب في مقتل زوجها حيث أمر أن يُجعل في مقدمة الجيش حتى يعرِّضه للقتل، ثم بعد مقتل زوجها تزوَّجها ومات ذلك المولود الأول، ثم حبلت مرة أخرى، فأنجبت النبي سليمان عليه السلام.

إن أول شيء يمكن أن تقتبسه من العهد القديم عن داود عليه السلام نسبه ليس إسرائيلياً خالصاً في سفر (راعوت) يحكى لنا قصة هذا النسب وخلاصته : (أن إسرائيلياً من بيت لحم ومن سبط يهوذا اسمه أليمالك نزح إلى موآب مع زوجته وولديه تحت ضغط الجوع ثم مات الرجل وبعد فترة تزوج الولدان من فتاتين من موآب إحداهما اسمها " غرفة " والثانية اسمها (راعوث) ثم مات الولدان وأرادت أمهما العودة إلى بيت لحم فحاولت أرملتا ابنيها العودة معها ولكن المرأة نصحتهما بالذهاب إلى أهلهما فقبلت غرفة ورفضت (راعوث) وأصرت على أن تصحب حماتها وفى بيت لحم تزوجت (راعوث) رجلاً من أقارب حماتها اسمه (بوعز) فولدت له ولد اسمه (عوبيد) وكبر هذا وتزوج وولد ولد اسمه (يسى) وهو والد داود) أهمية هذا النسب خطيرة بالنسبة للفكر الذى حدده اليهود مع قيام دولتهم فاليهودية الجديد تعتبر السلالة من ناحية الأم هي

---

(١) هيئة علماء فلسطين لجمعة ١٦ ديسمبر ٢٠١١.
(٢) سورة المائدة .

السلالة التي يعتمد عليها في نقاء الدم اليهودي ويعتبر غير نظيف عند اليهود من اختلط دمه ويعتبر غير يهودي من كانت أمه غير يهودية ومن العجيب أن واضع هذا أسفار العهد القديم كانوا في غاية الحرص على إثبات ذلك النسب وتقريره ودفعهم ذلك إلى كتابة سفر قائم بنفسه على بيان هذا النسب وتفصيله وخلاصة القول تنحصر في أن نسب داود عليه السلام مطعون في اسرائيليته بل مطعون في شرفه وحصانته على حد قول التوراة المحرفة وكذلك لم تقتصر التوراة على الطعن في نسب داود وشرفه وأنه سليل الزنا بل واصلت تلطيخ شرفه فوصفته بأحط المناكير وارذلها دركة فتحدثت عن بيت داود وصورته على أنه بيت زنا وفسوق ودعارة وفجور لا على انه بيت نبوة وحكم وملك)[١] .

إن ما جاء في كتب الإسرائيليات من وقوع نبي الله داود عليه والسلام في الزنا فهو من القبائح المنكرة ، وهي من جملة افتراءات الكذبة على رسل الله المحرِّفين لدينهم ، فقد جاء في " العهد القديم " صموئيل الثاني ، الإصحاح الحادي عشر ما نصُّه : **(وأما داود فأقام في أورشليم ، وكان وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدّاً ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه (بَتْشَبَعَ بنت أَلِبعَام) " امرأة أُوريا الحثي ، فأرسل داود رسلاً وأخذها ، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مُطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة ، فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلى.إلى أن قالوا كاذبين :كتب داود مكتوبًا إلى (يواب) وأرسله بيد (أوريا) ، وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا (أوريا) في وجه الحرب الشديدة وأرجعوا مَن وراءه ، فيُضرب ويموت ، وكان في محاصرة(يواب) المدينة : أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البائس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا (يواب) فسقط بعض الشعب من عبيد**

---

(١) مقارنة أديان د / مشرح ١٧٩

(داود) ، ومات (أوريا) الحثي أيضاً .إلى أن قالوا مفترين ،فلما سمعت امرأة (أوريا) أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل (داود)وضمها إلى بيته ، وصارت له امرأة ، وولدت له ابناً ، وأما الأمر الذي فعله داود فَقَبح في عيني الرب (1).[1]

وقد تسرَّبت هذه القصة إلى بعض كتب التفسير التي لا يُعنى أصحابها بالتحقيق ، ولم ينزهوا تفاسيرهم عن الإسرائيليات ، فذكروها عند قوله تعالى (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(٢٥))[2].

قال ابن حزم رحمه الله بعد أن ساق الآيات السابقة :وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك ، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغَى أحدهما على الآخر على نص الآية ، ومَن قال إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء : فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه ، وكذب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذَّب الملائكة ؛ لأن الله تعالى يقول (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ) فقال هو : لم يكونوا قط خصميْن ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له (أَكْفِلْنِيهَا) فاعجبوا لما يقحم فيه أهل الباطل

---

(١) العهد القديم ، صموئيل الثاني ، الإصحاح الحادي عشر ، ص ٤٩٨ .
(٢) سورة ص

أنفسهم ، ونعوذ بالله من الخذلان ، ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله إن كل امرئ منّا ليصون نفسَه وجارَه المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرّض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها ، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه ، هذه أفعال السفهاء المتهوّكين الفسّاق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى ، فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه كتابَه وأجرى على لسانه كلامَه ؟! لقد نزهه الله عز و جل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف إلى أفعاله ؟! .

قال ابن تيمية :(إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر : هو قول أكثر علماء الإسلام ، وجميع الطوائف ، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول الأشعرية ، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل لم يُنقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول)[1] .

قال ابن عطية الأندلسي رحمه الله : (وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في معنى التبليغ ، ومن الكبائر ، ومن الصغائر التي فيها رذيلة)[2] .

قال ابن العربي المالكي رحمه الله : (من قال إنَّ نبيّاً زنى فإنه يُقتل)[3] .

س٢٧: لماذا ارسل عبد المطلب حفيده محمد صلى الله عليه وسلم الى بادية بني سعد؟.

ج٢٧: يقول بعض أصحاب السير بأن ذلك كان لما في هواء البادية من الصفاء، وفي أخلاق البادية من السلامة والاعتدال، والبعد عن المفاسد ، ولأنّ لغة البادية سليمة أصيلة" ولكن :

١- هواء البادية لم يكن يختلف عن هواء مكة المكرمة كثيرا ، فالتلوث لم يكون موجودا.

٢- لغة قريش هي أفصح اللغات وبها نزل القرآن الكريم ، فكيف يرسلون أبناءهم ليكونوا فصحاء ، وهم أهل البلاغة والفصاحة .

٣- كان حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة من ثويبة ، فلماذا لم

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٤ ، ص ٣١٩ .
(٢) ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٣) ابن العربي المالكي ، أحكام القرآن .

يرسلوه إلى بادية بني سعد أو إلى أي مكان آخر ، ليرضع هناك ؟.

(هناك أسباب غير ما ذكر أصحاب السير وهي الأقرب إلى الصواب ، ولعل منها:

١- أن السيدة آمنة كانت معتلة الصحة، ويعزز ذلك عدم ورود أي خبر عن إرضاعها لوليدها عليه الصلاة والسلام. ولعل الأمر بدا لعبد المطلب أنه أكثر من مجرد حُمّى نِفاس تعطل عن الإرضاع أو توقف إمكانيته إن طالت ولذلك ربما تصور أن مرضها يمكن أن يكون معديًا وخطرًا على الطفل ، فآثر أن يبعده عنها حرصًا على سلامته ، وهي لم تتزوج بعد وفاة زوجها، علمًا أن المجتمع آنذاك لم يكن يفرض أي قيود على ذلك كما تفعل بعض مجتمعاتنا اليوم بشكل أو بآخر، بل إن وجود أخوة لزوجها مع إمكانية التعدد كان يتيح لها أن تبقى ضمن نطاق آل عبد المطلب ويُنشّأ محمد في كنف أعمامه ، لكن هذا لم يحدث، وهو أمر غريب، أرملة شابة ذات حسب ونسب، لم لا تتزوج؟

٢- ولد الرسول عليه الصلاة والسلام في عام الفيل كما تقدم، أي السنة التي تعرض فيها جيش أبرهة للوباء (قيل الجدري وقيل الحصبة) ، أي أن مكة كانت في هذه السنة تحديدًا معرضة أكثر من السنوات الأخرى إلى خطر الأمراض، ولعل عبد المطلب فضل أن يسرع بإخراج الطفل الوليد منها بعيدًا إلى حيث يكون في مأمن من الخطر. ولعل هذا يفسر اختيار بادية بني سعد)[1].

س٢٨ :لماذا قاتل النبي صلى الله عليه وسلم الناس والله تعالى يقول:(ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥))[2] .

ج٢٨: هذه دعوى المستشرقين وغيرهم: بأن الإسلام استخدم السيفَ وسيلةً لإرغام الناس

---

(١) أحمد خيري العمري ١٣ فبراير ٢٠١٨ بالعربيك (موقع)
(٢) سورة النحل .

على الدخول فيه دعوى باطلةٌ، يَرُدُّها كتابُ الله، وسنة رسوله، والواقعُ العملي على مرِّ الزمان، وسوف نبيِّن ذلك في النقاط التالية:

١- أثبت القرآن الكريم: أن الدخول في دين الإسلام، لا يصح إلا طواعيةً دون إكراه؛ قال الله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦))(١).

٢- الأصل في الدعوة إلى الإسلام أن تكون بالتي هي أحسن، وقد ورد الأمر الإلهي بذلك؛ إذ قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥))(٢)، قال ابن كثير في "تفسيره": "يقول تعالى آمرًا رسولَه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يدعوَ الخلقَ إلى الله بالحِكْمَةِ.

٣- أن الجهاد في الإسلام لم يوكَّل إلى الأفراد، وإنما لا بد فيه من إذنِ إمام المسلمين، فيلزم الرعيةَ طاعةُ ولي الأمر فيما يراه مِن ذلك؛ لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...(٥٩))(٣) ، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومَن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني)(٤).

٤- من القواعد المقررة في شرع الله تعالى أنه لا عقوبة، إلا بسبب يُوجبها، وأن العقوبة تتناسب دائمًا مع المخالفة الموجِبة لها، ومن رحمة رب العالمين أنه جعل العقابَ على المخالفة في حقوق الخلق بالمِثل، دون تعدٍّ أو تجاوز يؤدي إلى العدوان؛ قال تعالى:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة النحل .
(٣) سورة النساء .
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥)
(٥) سورة النحل.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ(١٢٨)﴾[1]. قال ابن كثير: (يأمر تعالى بالعدل في الاقتصاص، والمماثلة في استيفاء الحق)[2].

٥- أن الإسلام يدعو إلى مسالمة الآخرين، وهذا هو الأصل، ولو تأمَّلْنا قول الله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) ﴾[3] .

٦- أن الإسلام قد نعى على المقلِّدين، الذين ساروا على طريق الآباء والأجداد، دون أن يتفكروا فيما كانوا عليه من باطل وضلال، مع ترك النظر فيما جاءت به الرسل، وأنزلت به الكتب؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)﴾[4]

س٢٩: لماذا تم اختيار دار الأرقم بالذات لتعليم المسلمين أمور دينهم؟.

ج٢٩: إنّ في اختيار دار الأرقم مقرًّا للدعوة السريّة دليلٌ على الفقه الأمني لدى رسول الله ونفاذ بصيرته صلّى الله علي وسلّم حيث كان اختيارًا موفقًّا ومكانًا آمنًا إذ لم يخطر ببال قريش أن تُداهم المسلمين في دار الأرقم ولم تشك أنّها دار الدعوة والإعداد في تلك الفترة، وفيما يأتي جملة من الأسباب التي جعلت اختيار دار الأرقم مقرًّا للدعوة هو الأمثل:

١- لم تُراقب قريش بيت الأرقم لأنّه رضي الله عنه لم يكن معروفًا بإسلامه، بالإضافة إلى حداثة سنّه إذ كان يبلغ سبعة عشر عامًا، فهذا ما جعل اختيار داره احتمالًا بعيدًا عن نظر قريش بوجود بيوت كبار الصحابة كأبي بكر وعثمان بن عفّان ممّن عُرف إسلامهم وظهر.

---

(١) سورة الأنفال .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة الأنفال
(٤) سورة البقرة .

٢- بُعد دار الأرقم عن قلب مكة إذ كانت تقع عند جبل الصفا، وكان عدد المارّين بتلك المنطقة قليل نظرًا لقلّة البيوت حولها، ما جعل مراقبتها وملاحظة تردّد المسلمين عليها ليس بالأمر السهل.

٣- انتماء الأرقم لقبيلة بني مخزوم وهي القبيلة المتنازعة مع بني هاشم فلم يخطر ببال قريش أنّ رسول الله سيمهّد للدعوة الإسلامية في دارٍ ينتمي أصحابها لقبيلةٍ متنازعةٍ مع عشيرته.

٤- أن هذه الدار كانت قريبة من الكعبة المشرفة .

س٣٠ : لماذا كان رسول الله يصلي إلى بيت المقدس ؟.

ج٣٠: المسجد الأقصى أول قبلة للمسلمين، وهذا فيه العديد من الدلالات والمعاني الجليلة، والبعد العقدي والارتباط الإيماني، فالقبلة رابط لتوحيد الأمة، إذ لو تُرك كل إنسان يتجه حسبما يريد، لافترق الناس واختلفت وجهاتهم، ففي معنى القبلة الترابط والتآخي والنصرة والوحدة ورمز الوجود والقوة.

رغم المشقة والاضطهاد والضائقة التي لقيها من مشركي قريش؛ كان عليه الصلاة والسلام في مكة يصلي إلى بيت المقدس ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها، كما قال سبحانه (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ(٣٩))[١] ، فَالْمُرَادُ بِالتَّسْبِيحِ: الصَّلَاةُ وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الصَّلَاةِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: أَجْمَعَ الْمُتَأَوِّلُونَ عَلَى أَنَّ التَّسْبِيحَ هُنَا الصَّلَاةُ[٢].

استقبال بيت المقدس وجعله قبلة للمسلمين، ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة، قال سبحانه (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا...(١٤٣))[٣]، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَهُوَ بِمَكَّةَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالْكَعْبَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبَعْدَ

(١) سورة ق .
(٢) ابن عاشور ، تفسير ابن عاشور ، ج٢٦ ، ص ٣٢٦ .
(٣) سورة البقرة

مَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ)[1].

قال ابن إسحاق: كانت قبلة رسول الله بمكة إلى الشام، وكانت صلاته بين الركن اليماني والركن الأسود، ويجعل الكعبة بينه وبين الشام[2].

اما الأسباب الظاهرة للصلاة نحو بيت المقدس فهي :

١- كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم القومي.. ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله، وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نعرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة، المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية أو أرضية على العموم.. فقد نزعهم نزعاً من الاتجاه إلى البيت الحرام، واختار لهم الاتجاه فترة إلى المسجد الأقصى، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما كانت تتعلق به في الجاهلية، وليظهر من يتبع الرسول اتباعاً مجرداً من كل إيحاء آخر، اتباع الطاعة الواثقة الراضية المستسلمة، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنعرة جاهلية تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ، أو تتلبس بها في خفايا المشاعر وحنايا الضمير، أي تلبس من قريب أو من بعيد.. حتى إذا استسلم المسلمون، واتجهوا إلى القبلة التي وجههم إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وفي الوقت ذاته بدأ اليهود يتخذون من هذا الوضع حجة لهم، صدر الأمر الإلهي الكريم بالاتجاه إلى المسجد الحرام. ولكنه ربط قلوب المسلمين بحقيقة أخرى بشأنه، هي حقيقة الإسلام، حقيقة أن هذا البيت بناه إبراهيم وإسماعيل ليكون خالصاً لله، وليكون تراثاً للأمة المسلمة التي نشأت تلبية لدعوة إبراهيم ربَه أن يبعث في بنيه رسولاً منهم بالإسلام، الذي كان عليه هو وبنوه وحفدته، كما قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤))[3] .

٢-كانت الأصنام تحيط بالكعبة من كل مكان والصلاة نحو الكعبة وهي بهذا الوضع

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح، وصححه الألباني في الثمر المستطاب ص٨٣٦
(٢) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٥٩ (من موقع صيد الفوائد) .
(٣) سورة البقرة .

جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يبتعد بصلاته عن الكعبة بأصنامها .

س٣١ :لماذا عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى إلى الكعبة بعد أن كان يصلي إلى بيت المقدس ؟.

ج٣١ : عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : (كانَ أوَّلَ ما قَدِمَ المدِينَةَ نَزَلَ علَى أجْدَادِهِ، أوْ قالَ أخْوَالِهِ مِنَ الأنْصَارِ، وأنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكانَ يُعْجِبُهُ أنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وأنَّهُ صَلَّى أوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ العَصْرِ، وصَلَّى معهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى معهُ، فَمَرَّ علَى أهْلِ مَسْجِدٍ وهُمْ رَاكِعُونَ، فَقالَ: أشْهَدُ باللَّهِ لقَدْ صَلَّيْتُ مع رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كما هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وكَانَتِ اليَهُودُ قدْ أعْجَبَهُمْ إذْ كانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وأَهْلُ الكِتَابِ، فَلَمَّا ولَّى وجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أنْكَرُوا ذلكَ.)[١].

ومن خلال ذلك نقول :

١- أننا نحن المسلمين إذا أتانا الأمر من الله وجب علينا قبوله والتسليم له وإن لم تظهر لنا حكمته كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا(٣٦))[٢].

٢- أن الله سبحانه وتعالى لا يحكم بحكم إلا لحكمة عظيمة – وإن لم نعلمها – كما قال تعالى : (.....ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠))[٣] .

٣- أنّ الله سبحانه وتعالى لا ينسخ حكماً إلا إلى ما هو أفضل منه أو مثله ، كما قال تبارك وتعالى: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦))[٤].

إذن تبين ذلك فإن في تحويل القبلة حِكَما منها :

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٠ .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة الممتحنة .
(٤) سورة البقرة.

أ- امتحان المؤمن الصادق واختباره ، فالمؤمن الصادق يقبل حكم الله جل وعلا ، بخلاف غيره ، وقد نبّه الله على ذلك بقوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٤٣))[١]

ب- أن هذه الأمة هي خير الأمم ، كما قال تعالى : (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠))[٢] وقال تعالى في ثنايا آيات القبلة : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...(١٤٣))[٣]، والوسط : العدول الخيار . فالله عز وجل اختار لهذه الأمة الخير في كل شيء والأفضل في كلّ حكم وأمر ومن ذلك القبلة فاختار لهم قبلة إبراهيم عليه السلام .

وقد روى الإمام أحمد في مسنده ، من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أهل الكتاب : (إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة ، التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين)[٤] ، [٥].

وظل المسلمون طيلة العهد المكّي يتوجّهون في صلاتهم إلى المسجد الأقصى امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى ، الذي أمر باستقباله وفي تلك الأثناء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتثل للحكم الإلهي وفي فؤاده أمنية كبيرة طالما راودته، وهي التوجّه إلى الكعبة بدلاً من

---

(١) سورة البقرة
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة البقرة
(٤) الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ،ج٦ ، ص ١٣٤ – ١٣٥
(٥) الإسلام سؤال وجواب في ٨/٨/ ١٩٩٩م.

المسجد الأقصى، لأنها قبلة أبيه النبي إبراهيم وهو أولى الناس به، وأوّل بيتٍ وضع للناس، ولحرصه على أن تتميّز الأمة الإسلامية في عبادتها عن غيرها من الأمم التي حرّفت وبدّلت. يقول البراء بن عازب: (لَمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ المدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وكانَ يُحِبُّ أنْ يُوَجَّهَ إلى الكَعْبَةِ، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ نَرَى)[1].

وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخالف أمر ربّه، لكنه استطاع الجمع بين رغبته في التوجّه إلى الكعبة وعدم مخالفة الأمر بالتوجّه إلى المسجد الأقصى بأن يصلّي أمام الكعبة متّجها إلى الشمال، كما يدلّ عليه الحديث الذي رواه ابن عباس: (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي وهو بمكةَ نَحْوَ بيتِ المقدسِ والكعبةُ بينَ يدَيهِ وبعدما هَاجَرَ إلى المدينةِ سِتَّةَ عَشَرَ شهرًا ثم صُرِفَ إلى الكعبةِ)[2].

ثم أذن الله بالهجرة، ووصل المسلمون إلى المدينة، وبُنيت المساجد، وشرع الأذان، والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينس حبّه للكعبة ويحزنه ألا يستطيع استقبال القبلتين معا كما كان يفعل في مكّة، وكان شأنه بين أن يخفض رأسه خضوعاً لأمر الله وأن يرفعه أملاً في إجابة دعوته يقول الله تعالى له: (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤))[3].

وفي منتصف شعبان، وبعد مرور ستة عشر شهراً من استقبال المسجد الأقصى ، نزل جبريل عليه السلام بالوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليزفّ البشرى بالتوجّه إلى الكعبة)[4].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢٥٢
(٢) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٤ ، ص ٣٥٧
(٣) سورة البقرة .
(٤) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، القبلة

س٣٢ : لماذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة من مكة المكرمة إلى الحبشة ؟ .

ج٣٢: فيما يلي بيان للأسباب التي دفعت النبيّ إلى السماح لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة:

١- نفاذ صبر المسلمين؛ بسبب اشتداد تعذيب قريش لهم حتى وصل بهم الأمر إلى أن سألوا الرسول عن موعد نصر الله، فخاف رسول الله على دينهم، وأنفسهم.

٢- الحفاظ على الدعوة من الانهيار، والضياع بعدما ازداد عدد الداخلين في الإسلام، والخوف من تكوين قريش قوة ضدّهم، وذلك عند شعورها بالخطر منهم، وقد يكون ذلك بتأييد من العرب لقريش.

٣- الدور المهمّ الذي قد تلعبه رابطة القرابة، والرحم في تلطُّف القرشيّين بالمسلمين، والتوقُّف عن إيذائهم، وربّما الدخول في الإسلام، على الرغم من أنّ منهم أيضاً من كانت له ردّة فِعل عكسيّة، فازدادوا إيذاءً للمسلمين.

س٣٣ : ماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة لهجرة المسلمين ؟ .

ج٣٣: هناك أسباب ودواع منها:

١- النجاشي العادل: أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدل النجاشي بقوله لأصحابه: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد)[1] .

٢- النجاشي الصالح: فقد ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ثناؤه على ملك الحبشة بقوله: «وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه»، ويظهر هذا الصلاح في حمايته للمسلمين، وتأثره بالقرآن الكريم عندما سمعه من جعفر، وكان معتقده في عيسى عليه السلام صحيحًا.

٣- الحبشة متجر قريش: إن التجارة كانت عماد الاقتصاد القرشي، والحبشة تعتبر من مراكز التجارة في الجزيرة، فربما عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة، أو ذكرها لهم من ذهب إليهم قبلهم، وقد ذكر الطبري في معرض ذكره لأسباب الهجرة

---

(١) موسى بن راشد العازمي ، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون ج١ ، صفحة ٣٧٣

للحبشة:

(وكانت أرض الحبشة متجرًا لقريش، يتجرون فيها، يجدون فيها رفاها من الرزق وأمنًا، ومتجرًا حسنًا)[١].

٤- الحبشة البلد الآمن: (فلم يكن في حينها في خارج الجزيرة بلد أكثر أمنًا من بلاد الحبشة، ومن المعلوم بُعد الحبشة عن سطوة قريش من جانب وهي لا تدين لقريش بالاتباع كغيرها من القبائل)[٢]، وفي حديث ابن إسحاق عن أسباب اتخاذ الحبشة مكانًا للهجرة أنها: (أرض صدق، وأن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد فهي أرض صدق، وملكها عادل، وتلك من أهم سمات البلد الآمن)[٣].

٥- محبة الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة ومعرفته بها: ففي حديث الزهري أن الحبشة كانت أحب الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهاجر إليها[٤]، ولعل تلك المحبة لها أسباب منها:

أ- التزام الأحباش بالنصرانية، وهي أقرب إلى الإسلام من الوثنية.

ب- معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأخبار الحبشة من خلال حاضنته أم أيمن رضي الله عنها ، وأم أيمن هذه ثبت في صحيح مسلم وغيره أنها كانت حبشية[٥] كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان خبيرًا بطبائع وأحوال الدول التي في زمانه)[٦].

٦- فراغ أرض الحبشة من القبائل العربيّة؛ فعدم وجود القبائل فيها يُغلق الباب أمام قريش للتحالُف معها، وتكوين قوة ضدّ المسلمين.

---

(١) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام ، صفحة ٧٢-٧٧
(٢) راغب السرجاني ، السيرة النبوية، صفحة ٥.
(٣) عاتق البلادي ، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ صفحة ٩١.
(٤) شعيب الأرناؤوط، ، تخريج سير أعلام النبلاء، عن أم سلمة، ج١، ص٢٠٨، سنده صحيح
(٥) الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، صفحة ٢١٩-٢٢٠. بتصرّف.
(٦) موقع مداد ٢٧ شوال ١٤٢٨

٧- أنّ ملك الحبشة وهو النجاشيّ كان معروفاً بعَدله؛ نتيجة عِلمه بالتوراة، والإنجيل، وقد عَرف أهل مكة عنه ذلك؛ بسبب حركة التجارة المتبادلة فيما بينهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه عندما أشار عليهم بالهجرة للحبشة: (إنَّ بأرضِ الحَبَشةِ ملِكًا لا يُظلَمُ أحدٌ عندَه؛ فالحَقوا بِبلادِه حتى يَجعَلَ اللهُ لكم فَرَجًا ومَخرجًا. فخرَجْنا إليه أرسالًا، حتى اجتَمَعْنا، فنزَلْنا بخيرِ دارٍ إلى خيرِ جارٍ، أمِنَّا على دِينِنا)[1].

٨- أنّ الأحباش كانوا نصارى من أهل الكتاب، وهم أقرب مودّة للذين آمنوا، قال تعالى: (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(٨٢))[2].

٩- أن الحبشة أرضاً يعمُّها الأمان، والراحة، والطمأنينة.[3] .

١٠- كانت الحبشة بعيدة عن مكّة وعن عن قريش وامتداد نفوذها.

١١- أنّها بلد مُستقِلّة سياسيّاً ولا تخضع لأحد، ولها اسمها، وقوّتها، وتجارتها، واقتصادها الخاص والعظيم بين القبائل.

١٢- أنّ تبادُل الهدايا والمراسلات فيما بينهم كان ممّا ساعد على تأمين الحماية، وتوفيرها لهم، ولاستقرارهم هناك[4].

١٣- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان خبيرًا بطبائع وأحوال الدول التي في زمانه، ولذلك كان يعرف مسبقا وقبل أن يرسل إلى النجاشي رسالة أن هذه البلاد ستكون مكانا آمنا للمسلمين الفارين بدينهم .

---

(١) شعيب الأرناؤوط، تخريج سير أعلام النبلاء، عن أم سلمة: ج١، ص٢٠٨، سنده صحيح.
(٢) سورة المائدة .
(٣) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، صفحة ٢٢٣-٢٢٤. بتصرّف
(٤) موقع موضوع في ١٩ يوليو ٢٠٢٠

س٣٤: لماذا لم يُعِدِ النجاشي المسلمين مع وفد قريش الذي جاء لاستعادة المسلمين من الحبشة ؟.

ج٣٤: يروي ابن اسحاق عن ام سلمة أنها قالت :(لما نزلنا ارض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي كان أمينا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ،ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم(أي تآمروا) أن يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا الى النجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة ..فجمعوا أدما كثيرا (أي جلود)، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن ربيعة وعمرو بن العاص ، أمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا الى كل بطريق هديته، قبل ان تُكلما النجاشي فيهم ، ثم قَدِّما الى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم ، فخرجا حتى قَدِما على النجاشي ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، ولم يبق من بطارقة الملك(مستشاري الملك) بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يُكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوى الى بلد الملك منا غلمانٌ سفهاء ، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم، وقد بعثنا الى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردهم إليهم ، فإن كلمنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهما أعلى بهم عينا ،وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا أي البطارقة :نعم. .

فوعدهم البطارقة (وهم مستشارو الملك) بتلبية طلبهم ومساندتهم لهما في بلاط الملك تم تقديم الهدايا للملك ، فقبلها منهما ، ثم قالا للملك : أيها الملك ، إنه قد ضَوى (أي لجأ) الى بلدك منا غِلْمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

لم يتحقق البطارقة من صحة اقوال مندوبي قريش ، ولكن الهدايا الثمينة التي حصلوا عليها قد حركت مشاعرهم وقلبت موازينهم ودفعتهم للوقوف بجانب مندوبي مكة وتقديم النصيحة الملك ضد المظلومين .

فقال البطارقة بدون تردد : صَدَقَا ، أيها الملك ، قومُهم أعلى بهم عينا ، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما ، ليرداهم الى بلادهم وقومهم.

غضب النجاشي ، ثم قال : لا أُسلمهم إليهما ، ولا يُكاد قومٌ جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على مَنْ سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم الى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما ، وأحسنت جوارهم ماجاوروني.

استدعى النجاشي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليواجهه الرجلان ، جاءوا ، ودعا الاساقفة ، فدعاهم النجاشي. فلما حضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب "يستأذن عليك حزب الله" فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليعد كلامه. ففعل. قال: نعم. فليدخلوا بإذن الله وذمته. فدخلوا ولم يسجدوا له. فقال: ما منعكم أن تسجدوا لي؟ قالوا: إنما نسجد لله الذي خلقك وملكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان. فبعث الله فينا نبيا صادقًا. وأمرنا بالتحية التي رضيها الله. وهي " السلام " تحية أهل الجنة.

فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال: أيكم الهاتف يستأذن؟ فقال جعفر: أنا. قال: فتكلم.

قال: إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم. وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي. فأمُرْ هذين الرجلين فليتكلم أحدهما، فتسمع محاورتنا.

فقال عمرو لجعفر: تكلم. فقال جعفر للنجاشي: سله، أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيدًا أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم. فقال عمرو: بل أحرار كرام.

فقال: هل أهرقنا دمًا بغير حق فيقتص منا؟ قال عمرو: ولا قطرة.

فقال: هل أخذنا أموال الناس بغير حق، فعلينا قضاؤها؟ فقال عمرو: ولا قيراطًا.

فقال النجاشي: فما تطلبون منهم؟ قال: كنا نحن وهم على أمر واحد،

على دين آبائنا. فتركوا ذلك واتبعوا غيره.

فقال النجاشي: ما هذا الذي كنتم عليه، وما الذي اتبعتموه؟ قل واصْدُقني.

فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركناه وهو دين الشيطان: كنا نكفر بالله، ونعبد الحجارة. وأما الذي تحولنا إليه: فدين الله الإسلامُ، جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقًا له.

فقال: تكلمت بأمر عظيم. فعلى رِسْلك.

ثم أمر بضرب الناقوس، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب. فقال لهم: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا؟ قالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى، وقال: مَن آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي.

فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وما يأمركم به؟ وما ينهاكم عنه؟ .

فقال: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر. ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبر اليتيم. ويأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له.

فقال: اقرأ مما يقرأ عليكم. فقرأ سورتي العنكبوت والروم. ففاضت عينا النجاشي من الدمع.

فقال: زدنا من هذا الحديث الطيب. فقرأ عليهم سورة الكهف.

فأراد عمرو أن يُغْضِب النجاشي. فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه.

فقال: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ عليهم سورة مريم. فلما أتى على ذكر عيسى وأمه: رفع النجاشي بقَشّةٍ من سواكه قدر ما يقذِي العين. فقال: والله ما زاد المسيح على ما تقولون نقيرًا ، وفيه نزل قول الله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤))[١] .

فأقبل النجاشي على جعفر. ثم قال: اذهبوا فأنتم سُيوم بأرضي ، والسيوم الآمنون ، من سَبّكم غرم. فلا هوادة اليوم على حزب إبراهيم.)[٢].

---

(١) سورة المائدة .
(٢) محمد بن عبدالوهاب ، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص٨٦- ٨٨).

س٣٥: لماذا سميت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم ، وكم عددها ؟.

ج٣٥: الغَزْوُ: السيرُ إلى قِتالِ العَدُو، والغزوة المرَّةُ من الغزو، والجمع غزوات كشهوات، وغزو العدو إنما يكون في بلاده يمكن تعريف الغزوة على أنَّها كلُّ معركة خاضها المسلمون وخرج فيها رسول الله، وفي الغالب يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائد الجيش في كلِّ الغزوات ، والغزوات بالترتيب هي :

١ – غزوة ودان وهي غزوة الأبواء:

– وقعت في صفر سنة ٢ هـ.

– عدد المسلمين: ٧٠ صحابيًا، بقيادة: النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أول غزوة غزاها رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

– الأحداث والنتائج: خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم بنفسه، بعد أن استخلف على المدينة سعد بن عبادة، في سبعين رجلا من المهاجرين خاصة، يعترض عيرا لقريش حتى بلغ ودان، فلم يلق كيدا، وفي هذا الغزوة عقد معاهدة حلف مع عمرو بن مخشي الضمري، وكان سيد بني ضمرة في زمانه، وهاك نص المعاهدة: "هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله، ما بل بحر صوفة، وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه".

٢– غزوة بواط:

– وقعت في ربيع الأول سنة ٢ هـ

– عدد المسلمين: ٢٠٠ صحابيًا، بقيادة: النبي صلى الله عليه وسلم.

– عدد المشركين: ١٠٠ مقاتلٍ بقيادة أمية بن خلف.

– الأحداث والنتائج: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بواط من ناحية رضوى ثم رجع إلى المدينة، ولقي في الطريق قريشًا وأمية. ورضوى: اسم جبل بالقرب من ينبع.

٣– غزوة سفوان أو غزوة بدر الأولى:

- وقعت في ربيع الأول سنة ٢ هـ.

- عدد المسلمين: ٧٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: كان كرز بن جابر الفهري قد أغار على مواش لأهل المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى بلغ سفوان، فلم يدركه.

٤- غزوة ذي العشيرة:

- وقعت في جمادى الآخرة سنة ٢ هـ.

- عدد المسلمين: ١٥٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ذو العشيرة موضع بين مكة والمدينة من بطن ينبع.

٥- غزوة بدر الكبرى:

- وقعت في رمضان سنة ٢ هـ.

- عدد المسلمين: ٣١٣ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد المشركين: ١٠٠٠ مشركٍ، بقيادة أبي جهل.

- عدد شهداء المسلمين: ٢٢ صحابيًا.

- عدد قتلى المشركين: ٧٠ مشركٍ، و٧٠ مشركٍ جريح.

- الأحداث والنتائج: لما علم بخروج قريش إلى المدينة ارتحل دفاعا عن المسلمين، وانتصر المسلمون على قريش. بين بدر ومكة سبعة منازل، وبين بدر والمدينة ثلاثة منازل.

٦- غزوة بني قينقاع:

- وقعت في شوال سنة ٢ هـ.

- بقيادة: النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: تم إجلاء قبيلة بني قينقاع، حيث أتوا بالشر في المدينة، حين كان المسلمون في بدر فأُجلوا لذلك.

٧- غزوة السويق:

- وقعت في ذي الحجة سنة ٢ هـ.

- عدد المسلمين: ٢٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد المشركين: ٢٠٠ مشركًا، بقيادة أبي سفيان بن حرب الأموي.

- الأحداث والنتائج: بعث أبو سفيان رجالا من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية منها، فحرّقوا في أصوار من نخل ووجدوا بها رجلين فقتلوهما، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه فلم يدركه.

٨- غزوة قرقرة الكدر أو غزوة بني سليم:

- وقعت في محرم الحرام سنة ٢ هـ.

- عدد المسلمين: ٢٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: خرجت قبيلة بني غطفان وبني سليم يغزوان المدينة، فانصرفوا حين رأوا جمعا من المسلمين، وقد أُسر عبد اسمه يسار، فأطلق سراحه.

٩- غزوة ذي أمر، أو غزوة غطفان أو غزوة أنمار:

- وقعت في ربيع الأول سنة ٣ هـ.

- عدد المسلمين: ٤٥٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: حيث اجتمعت بنو ثعلبة وبنو محارب للإغارة على المدينة، فانصرفوا حين رأوا جمعا من المسلمين. خرج النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ نجدا، وهنا أسلم الذي كان هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- غزوة أحد:

- وقعت في شوال سنة ٣ هـ.

- عدد المسلمين: ٦٥٠ راجلًا، و٢٠٠ راكبًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد المشركين: ٣٠٠٠ مشركًا، بقيادة أبي سفيان بن حرب الأموي.

- خسائر المسلمين: ٤٠ جريحًا، و٧٠ شهيدًا.

- خسائر المشركين: ٣٠ قتيلًا.

- الأحداث والنتائج: كانت قريش زحفت من مكة إلى أحد، ولحقت خسارة فادحة بالمسلمين، ولكن فشل الكفار نتيجة لرعب أصابهم. بين أحد وبين المدينة ثلاثة أميال.

١١- غزوة حمراء الأسد:

- وقعت في يوم غد غزوة أحد، ٧ شوال ٣ هـ.

- عدد المسلمين: ٥٤٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد المشركين: ٩٧٠ مشركًا، بقيادة أبي سفيان.

- الأحداث والنتائج: خرج النبي صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم أحد خرج المسلمون إلى معسكر العدو لئلا يغير عليهم ثانية ظانا بهم ضعفا، وأسر رجلان وقتل أبو عزة الشاعر؛ لأنه كان وعد في بدر بأنه لا يظاهر أبدا على المسلمين ثم نقض عهده، وحث المشركين على المسلمين.

١٢- غزوة بني النضير:

- وقعت في ربيع الأول سنة ٤ هـ.

- بقيادة: النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: تم إجلاء قبيلة بني النضير لأنهم همُّوا بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم. كانت بنو النضير في المدينة ولما أرادوا الغدر بالمسلمين. أجلوا إلى أرض خيبر، وقد وقعت غزوة خيبر جزاء شرهم.

١٣- غزوة بدر الأخرى:

- وقعت في ذي القعدة سنة ٤ هـ.

- عدد المسلمين: ١٥٠٠ راجلًا، و١٠ راكبًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد المشركين: ٢٠٠٠ راجلًا، و٥٠ راكبًا، بقيادة أبي سفيان بن حرب.

- الأحداث والنتائج: خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل بناحية الظهران أو عسفان، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدومه، خرج إليه فرجع أبو سفيان فرجع النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، ولم تحدث مواجهة.

١٤- غزوة دومة الجندل:

- وقعت في ربيع الأول سنة ٥ هـ.

- عدد المسلمين: ١٠٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: كان النبي صلى الله عليه وسلم سمع باجتماع حاشد بدومة الجندل للإغارة على المدينة، فخرج إليها فعلم بكذبه، فرجع قبل أن يصل إليها ولم يلق كيدا، ووادع عيينة بن حصين في الطريق.

١٥- غزوة بني المصطلق، أو المريسيع:

- وقعت في شعبان المعظم سنة ٥ هـ.

- بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم. وبنو المصطلق بقيادة الحارث بن أبي ضرار.

- الأحداث والنتائج: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له، فبعث إليهم بريدة الأسلمي يأتيه منها بخبر فعلم بصحته، فخرج إليهم فقاتله بنو المصطلق فقط وفر الباقون، وانهزم العدو وأطلق الأسرى كلهم.

١٦- غزوة الأحزاب أو الخندق:

- وقعت في شوال المحرم أو في ذي القعدة سنة ٥ هـ.

- عدد المسلمين: ٣٠٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد المشركين: ١٠٠٠٠ مشركًا، بقيادة أبي سفيان بن حرب، وغيره.

- الأحداث والنتائج: إن نفرا من اليهود دعوا قريشا والقبائل الأخرى للحرب ضد المسلمين فضرب المسلمون الخندق على المدينة دفاعا عن أنفسهم. فحاصرهم الأعداء شهرا ثم شمروا راجعين إلى بلادهم، وانقلب العدو خائبا خاسئا.

١٧- غزوة بني قريظة:

- وقعت في ذي الحجة سنة ٥ هـ.

- بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم بنو قريظة.

- خسائر المسلمين: ٤ شهداءً، و٢٠٠ جريحًا.

- خسائر اليهود: ٤٠٠ من الأعداء من قتل ومنهم من أسر.

الأحداث والنتائج: كان لبني قريظة عقد مع المسلمين فلما أرادوا الغدر أسروا فحكم رسول الله رجلا في بني قريظة ليحكم بما أنزل الله، فحكم بقتل أربعمائة رجل حسب التوراة التي كانوا يؤمنون بها[١].

١٨- غزوة بني لحيان:

- وقعت في ربيع الأول سنة ٦ هـ.

- عدد المسلمين: ٢٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: كانت هذه الغزوة لتأديب أهل الرجيع الذين كانوا قتلوا عشرة من الدعاة الأبرياء، وبنو لحيان من بطون هذيل، وقد تفرق العدو حين علم بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليه.

١٩- غزوة ذي قرد أو الغابة:

- وقعت في ربيع الآخر سنة ٦ هـ.

- عدد المسلمين: ٥٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: عدت خيل من غطفان تحت قيادة عيينة الفزاري على لقاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلوا رجلا وأسروا امرأته، فخرج سلمة بن الأكوع الأسلمي من أصحابه في طلبهم ثم لحقهم النبي صلى الله عليه وسلم بهم.

٢٠- غزوة الحديبية:

- وقعت في ذي القعدة سنة ٦ هـ.

- عدد المسلمين: ١٤٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: كان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فصدته قريش عن البيت في

---

(١) السيرة النبوية ج ٢ ص ٧١٧ –٧٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ص ١٨١، لبداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١١٩.، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٢٣. مسند أحمد ج ١ ص ١٦٦، وسنن أبي داوود ج ١ ص ٦٣١. سنن الترمذي ج ٣ ص ٧٢، صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٢، وسنن أبي داوود ج ٢ ص ٣٤.

الحديبية التي بينها وبين مكة أربعة عشر ميلا فتم فيها الصلح بين المسلمين وبين قريش بقيادة سهيل بن عمرو القرشي لعشر سنوات ورجع النبي صلى الله عليه وسلم.

٢١- غزوة خيبر:

- وقعت في محرم الحرام سنة ٧ هـ.

- عدد المسلمين: ١٤٠٠ رجلًا، و ٢٠ راكبًا، وامرأةً ممرضةً، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- عدد اليهود: ١٠٠٠٠ يهودي من خيبر، بقيادة كنانة ابن أبي الحقيق.

خسائر المسلمين: ٥٠ جريحًا، و ١٨ شهيدًا.

خسائر اليهود: ٩٣ قتيلًا.

الأحداث والنتائج: سبق لليهود أن قاتلوا المسلمين في أحد والأحزاب، وكانوا يريدون بعدها غزو المدينة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر فأفسد عليهم نواياهم العدوانية، وفتح الله للمسلمين فتحا مبينا.

٢٢- غزوة وادي القرى:

- وقعت في محرم الحرام سنة ٧ هـ.

- عدد المسلمين: ١٣٨٢ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- وقتل ١١ من يهود من سكان وادي القرى.

٢٣- غزوة ذات الرقاع:

- وقعت في محرم الحرام سنة ٧ هـ.

- عدد المسلمين: ٤٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- قوات المشركين: بنو غطفان وبنو محارب وبنو ثعلبة وبنو أنمار.

- الأحداث والنتائج: كانت بنو غطفان قد جمعوا جموعا من بني محارب وبني ثعلبة وبني أنمار للإغارة على المسلمين، فلما قام المسلمون بحشودهم تفرقوا جميعا.

٢٤- غزوة فتح مكة:

- وقعت في رمضان سنة ٨ هـ.

- عدد المسلمين: ١٠٠٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: اختلف العلماء هل دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا أم مصالحا؟ والحقيقة أنه صلى الله عليه وسلم كان أمر الجيوش بأن تدخلها ولا تستخدم الأسلحة ما لم تتعرض لها جماعة مسلحة، فدخلت الجيوش مكة بطرق متفرقة ولم تتعرض لها إلا كتيبة من الجنود، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وجعل الناس كلهم طلقاء لا تثريب عليهم.

٢٥- غزوة حنين أو أوطا س أو هوازن:

- وقعت في شوال سنة ٨ هـ.

- عدد المسلمين: ١٢٠٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- قوات المشركين: بنو هوازن وبنو ثقيف وبنو معز وبنو أحسم.

- خسائر المسلمين: ٦ شهداء، و٦٠٠٠ جريحًا، وقتل من المشركين ٧١ مشركًا.

- الأحداث والنتائج: انتصر المسلمون، وأطلق النبي صلى الله عليه وسلم جميع الأسرى دون عوض وأعطاهم الكسوة كذلك.

٢٦- غزوة الطائف:

- وقعت في شوال سنة ٨ هـ.

- عدد المسلمين: ١٢٠٠٠ صحابيًا، بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

- قوات المشركين: جمع كثير من ثقيف.

- الأحداث والنتائج: رجع النبي صلى الله عليه وسلم بعد محاصرة دامت شهرا. لما رفع النبي صلى الله عليه وسلم عنهم الحصار قدموا عليه وأسلموا.

٢٧- غزوة تبوك:

- وقعت في رجب سنة ٩ هـ.

- عدد المسلمين: ٣٠٠٠٠ صحابيًا، بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم.

- الأحداث والنتائج: كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن هرقل قيصر الروم يريد الإغارة على المدينة ليغسل العار الذي لحقه في وقعة مؤتة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى الثغور فأصاب الذعر الأعداء فقعدوا عن الحرب، ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

س٣٦: لماذا سميت سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم ، وكم كان عددها ؟.

ج٣٦: السرايا فهي التي عدّها العلماء إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة أو أكثر في مهمة تستهدف نقل أخبار العدو أو تنفيذ مهمة عسكرية محدودة.

عدد السرايا أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم ٧٣ سريّةً، وهي :

١- سريّة سيف البحر حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر رمضان / ١ هـ

٢- سريّة رابغ عُبَيدة بن الحارث إلى بطن رَابِغ شوال/ ١ هـ

٣- سريّة الخَرَّار سعد بن أبي وقاص الخَرَّار ذو القعدة/ ١ هـ

٤- سريّة سعد بن أبي وقاص حيٍّ من كنانة رجب/ ٢ هـ

٥- سريّة نخلة عبدالله بن جحش إلى نخلة رجب/ ٢ هـ

٦- سريّة عمير بن عَدِي لقتل عَصْماء بنت مَرْوان رمضان/ ٢ هـ .

٧- سريّة سالم بن عُمَير إلى أبي عَفَك اليهودي شوال/ ٢ هـ

٨- سريّة محمد بن مَسْلمة لقتل كَعْب بن الأشرف ربيع الأول/ ٣ هـ

٩- سريّة زيد بن حارثة إلى القَرْدة جمادى الآخرة/ ٣ هـ

١٠- سريّة أبي سلمة إلى طُلَيحة الأسدي محرَّم/ ٤ هـ

١١- سريّة عبدالله بن أُنَيس إلى خالد الهُذَلي محرم/ ٤ هـ

١٢- سريّة الرَّجِيع عاصم بن ثابت الأنصاري لرصد أخبار قريش صفر/ ٤ هـ

١٣- سريّة بئر مَعُونة المنذر بن عمرو إلى نجد صفر/ ٤ هـ

١٤- سريّة عمرو بن أبي أمية لقتل أبي سفيان ٤ هـ

١٥- سريّة عبدالله بن عَتِيك لقتل أبي رافع سلاَّم اليهودي ذو الحجة/ ٥ هـ.

١٦- سريّة محمد بن مَسْلَمة إلى القُرْطاء المحرم/ ٦ هـ

١٧- سريّة الغَمْر عكاشة بن محصن الأسدي إلى الغَمْر ربيع الآخر/ ٦ هـ

١٨- سريّة محمد بن مَسْلمة ذي القَصَّة ربيع الآخر/ ٦ هـ

١٩- سريّة أبي عبيدة بن الجراح ذي القَصَّة ربيع الآخر/ ٦ هـ

٢٠- سريّة زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجَمُوم ربيع الآخر/ ٦ هـ

٢١- سريّة زيد بن حارثة إلى العِيص جمادى الأولى/ ٦ هـ

٢٢- سريّة زيد بن حارثة إلى الطَّرِف جمادى الآخرة/ ٦ هـ

٢٣- سريّة زيد بن حارثة إلى حِسْمَى جمادى الآخرة/ ٦ هـ

٢٤- سريّة زيد بن حارثة زيد بن حارثة إلى وادي القُرَى رجب/ ٦ هـ

٢٥- سريّة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل شعبان/ ٦ هـ

٢٦- سريّة علي بن أبي طالب إلى فَدَك شعبان/ ٦ هـ

٢٧- سريّة زيد بن حارثة إلى أم قِرْفَة رمضان/ ٦ هـ

٢٨- سريّة عبد الله بن رواحة أُسَير بن زَارِم اليهودي في خيبر شوال/ ٦ هـ .

٢٩- سريّة كُرْز بن جابر إلى العُرَنِيِّين شوال/ ٦ هـ

٣٠- سريّة الخَبَط أبو عبيدة بن الجراح إلى جهينة ٦ هـ

٣١- سريّة بني عَبْس ٩ صحابة من قبيلة عبس للقاء قافلة لقريش قادمة من الشام ٦ هـ

٣٢- سريّة أبان بن سعيد بن العاص نجد ٧ هـ

٣٣- سريّة غالب بن عبدالله الليثي بني ثَعْلبة صفر/ ٧ هـ

٣٤- سريّة أبي بكر الصديق إلى بني فَزَارة بنجد شعبان/ ٧ هـ

٣٥- سريّة عمر بن الخطاب إلى تُرْبَة شعبان/ ٧ هـ

٣٦- سريّة بشير بن سعد إلى بني مرَّة بفَدَك شعبان/ ٧ هـ

٣٧- سريّة غالب بن عبدالله الليثي إلى الميفَعة رمضان/ ٧ هـ

٣٨- سريّة بشير بن سعد إلى يَمْن وجَبَار شوال/ ٧ هـ

٣٩- سريّة أبي أبي العَوْجاء السُّلَمي إلى بني سليم ذو الحجة / ٧ هـ

٤٠- سريّة غالب بن عبدالله الليثي إلى بني الملَوِّح بالكَدِيد صفر/ ٧ هـ .

٤١- سريّة غالب بن عبدالله الليثي إلى فَدَك صفر/ ٨ هـ

٤٢- سريّة شجاع بن وَهْب الأسدي إلى بني عامر ربيع الأول/ ٨ هـ.

٤٣- سريّة كعب بن عُمَير الغِفَاري إلى ذات أَطْلاح ربيع الأول/ ٨ هـ .

٤٤- سريّة زيد بن حارثة إلى مَدْين ٨ هـ

٤٥- سريّة مُؤتَة الحارث بن عمير الأزدي إلى الشام جمادى الأولى/ ٨ هـ

٤٦- سريّة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل جمادى الآخرة/ ٨ هـ

٤٧- سريّة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خَضِرة شعبان/ ٨ هـ

٤٨- سريّة عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة شعبان/ ٨ هـ

٤٩- سريّة أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى إِضَم رمضان/ ٨ هـ

٥٠- سريّة أسامة بن زيد إلى الحُرقات ٨ هـ

٥١- سريّة خالد بن الوليد لهدم العُزَّى رمضان/ ٨ هـ .

٥٢- سريّة عمرو بن العاص لهدم سُوَاع رمضان/ ٨ هـ .

٥٣- سريّة سعد بن زيد الأَشْهَلي سعد بن زيد الأَشْهَلي لهدم مَنَاة رمضان/ ٨ هـ .

٥٤- سريّة خالد بن الوليد إلى بني جُذَيمة شوال/ ٨ هـ .

٥٥- سريّة قيس بن سعد بن عُبَادة إلى صُدَاء ٨ هـ

٥٦- سريّة أَوطاس أبي عامر الأشعري أَوطاس شوال/ ٨ هـ .

٥٧- سريّة الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسي لهدم ذي الكفَّينِ شوال/ ٨ هـ .

٥٨- سريّة عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم المحرم/ ٩ هـ

٥٩- سريّة قطبة بن عامر بن حديدة إلى خَثْعَم صفر/ ٩ هـ

٦٠- سريّة الضحَّاك بن سفيان الكلابي إلى القُرْطاء ربيع الأول/ ٩ هـ.

٦١-   سريّة علقمة بن مُجَزِّز المدلجي إلى الأحباش بجُدَّة ربيع الآخر/ ٩ هـ .

٦٢-   سريّة علي بن أبي طالب علي بن أبي طالب لهدم الفُلْس ربيع الآخر/ ٩ هـ

٦٣-   سريّة عُكَاشة بن مِحْصَن عكاشة بن محصن إلى الجِبَاب ربيع الآخر/ ٩ هـ .

٦٤-   سريّة طَلْحَة بن عُبَيد الله طَلْحَة بن عُبَيد الله لحرقِ بيت سُوَيلم اليهودي رجب ٩ هـ..

٦٥-   سريّة خالد بن الوليد خالد بن الوليد إلى أُكَيدر ملك دُومَة رجب/ ٩ هـ .

٦٦-   سريّة خالد بن الوليد إلى خَثْعم ٩ هـ

٦٧-   سريّة أبي سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم اللاَّت رمضان/ ٩ هـ

٦٨-   سريّة خالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن ٩ هـ

٦٩-   سريّة خالد بن الوليد إلى بني عبد المِدَان بنَجْران ربيع الآخر/ ١٠ هـ

٧٠-   سريّة إلى رِعْية السُّحَيمي ١٠ هـ .

٧١-   سريّة علي بن أبي طالب إلى اليمن رمضان/ ١٠ هـ

٧٢-   سريّة جَرير بن عبدالله البَجَلي لهدم ذي الخَلَصة رمضان/ ١٠ هـ

٧٣-   سريّة أسامة بن زيد إلى البَلْقاء بالشام صفر/ ١١ هـ.

س٣٧ : لماذا وقعت غزوة بدر الكبرى ؟.

ج٣٧: إن السبب الرئيسي لوقوع غزوة بدر، هو سماع النبي صلى الله عليه وسلم ، بقدوم قافلة لكفار قريش من الشام يقودها أبو سفيان، ومحملة بالبضائع، والنقود، فطلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، من مجموعة من المسلمين أن يذهبوا لأخذ هذه القافلة بدلاً من القافلة التي استولى عليها كفار قريش من المسلمين عندما هاجروا من مكة المكرمة، إلى المدينة المنورة. كان أبو سفيان كلما اقترب من منطقة الحجاز، يسأل الناس عن الأخبار، حتى سمع بأن مجموعة من المسلمين، ستهاجم القافلة، فأرسل إلى مكة رجلاً يدعى ضمضم الغافري، ليخبر كفار قريش، بأن أموالهم مع أبي سفيان، وأن جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يستولي عليها، وتمكن أبو سفيان من الوصول إلى مكة، والحفاظ على القافلة، فأخبر كفار قريش بأنه لا يوجد أي سبب للقتال مع المسلمين، ولكنهم رفضوا ، وقرروا أن

يجهزوا جيشاً لمحاربة المسلمين.

س٣٨: لماذا انهزم المسلمون في غزوة أحد؟.

ج ٣٨ : لهزيمة في أي معركة بمعناها العسكري تتحقق بإحدى ثلاث :

١- القضاء على الجيش المعادي .

٢- الاستسلام للعدو .

٣- الفرار من المعركة .

وعن تطبيق هذه الثلاث لا نجد أيا منها يتحقق في غزوة أحد ؛ فالقضاء على جيش المسلمين لم يحدث بأي حال ؛ إذ من المعروف أنه استشهد في هذه الغزوة سبعون من الصحابة ، ورغم عدم الاستهانة بهذا العدد إلا أنه في الحقيقة لا يشكل أكثر من عشر الجيش ؛ وهو ما يعني بقاء تسعة أعشار الجيش على قيد الحياة .

أن ما لحق بالمسلمين في أحد لم يكن هزيمة بمعناها العسكري ، وإنما يمكن القول أنها كانت ضربة قاسية لحقت بهم ؛ بسبب مخالفة الرماة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم لمواقعهم .

س٣٩ : لماذا سميت غزوة الأحزاب بهذا الاسم ؟.

ج٣٩ : لقد سميت غزوة الأحزاب بذلك الاسم، بسبب اجتماع أحزاب وطوائف من المشركين فيها لمحاربة المسلمين، وعلى رأسهم قريش وغطفان ومعهم اليهود، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى اسم الأحزاب في قوله تعالى : (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧))[1] .

وسميت أيضًا بغزوة الخندق؛ لأنه عندما علم المسلمون بقدوم الأحزاب استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه عليه بحفر خندق حول المدينة يحول بينهم وبين الأحزاب ففعلوه بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وقد وردت هذه التسمية على ألسنة الصحابة رضي الله عنهم، حيث روي عن عبد الرحمن وهو ابن عبد الله بن دينار، عن أبيه، أن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (أول يوم شهدته يوم الخندق)[2] .

وعن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب يحدث، قال: (لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيته ينقل من تراب الخندق، حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه)[3] .

حكمة تسمية سورة باسمها:

لما تحزب المشركون من قريش وغطفان وبعض العرب ويهود بني قريظة، واجتمعوا لغزو المسلمين في المدينة، وقد رد الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال في غزوة الأحزاب، ذكر الله سبحانه وتعالى تفاصيل هذه الغزوة وقصتها في سورة سميت بسورة الأحزاب، ولما كانت غزوة الأحزاب حدًا فاصلًا لمرحلة جديدة، أعلن فيها النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يأتي أحد بعد هذه الغزوة ليغزو المسلمين، بل هم سيقومون بغزو أعدائهم، حيث روي عن سليمان بن صرد، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (نغزوهم، ولا يغزوننا)[4].

ونصر الله سبحانه وتعالى في الغزوة نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأيدهم بجنوده من الملائكة الكرام والريح والخندق، قال الله تعالى :

---

(١) محمد بن بكر آل عابد ، حديث القرآن عن غزوات الرسول ، ج٢ ، ص ٤١٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤١٠٧ كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ح ٥، ص ١١٠..
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤١٠٦ ، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج ٥ ، ص ١١٠..
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤١٠٩، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ج ٥ ، ص ١١٠..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)﴾[١].

فكانت غزوة الأحزاب معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لذلك سميت سورة باسمها تأييدًا للنبي صلى الله عليه وسلم وتخليدًا لهذه الغزوة، وبيانًا لأحداثها، ولما فيها من دروس وعبر للمؤمنين، وهذا من أعظم مقاصد القرآن الكريم[٢]. [٣] .

س٤٠ : لماذا حفر المسلمون خندقا حول المدينة ؟

ج٤٠ :أسباب حفر الخندق :

خرج حيي بن أخطب ومعه نفر من يهود بني النضير (الذين أُجْلوا إلى خيبر) وقدموا إلى قريش ودعَوهم إلى قتال المسلمين، وقالوا: إنا سنكون معكم عليهم، ثم ذهبوا إلى قبيلة غطفان، وقالوا لهم مثل ذلك، فتجمع الأحزاب يقود كفار قريش أبو سفيان ويقود غطفان ومن تبعهم من بني فزارة وبني مرة: (عيينة بن حصن) وبلغ عددُ الأحزاب عشرةَ آلاف مقاتل.

علم المسلمون بالأمر فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأشار سلمان الفارسي رضي اللّه عنه[٢] بحفر خندق حول المدينة ليمنع تقدم الأحزاب وقام الصحابة والرسول صلى الله عليه وسلم معهم بحفر الخندق وتم لهم ذلك قبل قدوم الأحزاب، وتحصن المسلمون خلفه،

---

(١) سورة الأحزاب .

(٢) يقول الشيخ العوشن في كتابه ما شاع ولم يثبت من السيرة (اشتهر في كتب السيرة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما سمع بقّدوم الأحزاب لغزو المدينة، شاور أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي - رضي الله عنه - بقوله: "إِنا كنا بفارس إذا حُوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بحفر الخندق حول المدينة .. " قال الحافظ في (الفتح): "وكان الذي أشار بذلك سلمان، فيما ذكر أصحاب المغازي، منهم أبو معشر، قال: قال سلمان .. ". فذكره، ولم يسق له إسنادًا. وأبو معشر هو: نجيح بن عبد الرحمن السندى (ت١٧١هـ) روى له الأربعة، وضعّفه الجمهور، وكان الإمام أحمد يرضاه ويقول: كان بصيراً بالمغازي. وليست العلة في ضعف أبى معشر فحسب؛ بل كون الخبر مرسلًا، حيث ساقه دون إسناد.، ولم يشرْ ابن إسحاق إلى مشورة سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وإنما قال: "فلما سمع بهم (أي الأحزاب) رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وما أجمعو له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترغيبًا للمسلمين في الأجر ... ". وإنما ذكره ابن هشام بدون إسناد حيث قال: "يقال إنّ سلمان الفارسي أشار به على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ".)(راجع فتح الباري (٧/ ٣٩٣). سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٧)، التهذيب (١٠/ ٤٢٠). الروض الأنف (٦/ ٢٦٢ - ٦٧٢).

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن، مجموعة مؤلفين ٦٣/٦، ٦٦..

وكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل. وعندما وصل الأحزاب إلى المدينة فوجئت جيوشهم بالخندق، وعند ذلك احتاروا في كيفية اقتحامه، وبدأ الحصار على المسلمين واشتدت وطأته، وتبادل الطرفان الرمي بالنبال، وحاول بعض فرسان المشركين اجتياز الخندق فتصدى لهم فرسان المسلمين فقتلوا بعضهم وفر الآخرون.

وكانت النتيجة :

١- استشهد ثمانية من المسلمين.

٢- قتل أربعة من المشركين.

كانت آخر مظهر لقوة قريش حيث قال صلى الله عليه وسلم بعد رحيلهم: "الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم.

س٤١ : لماذا سميت غزوة السويق بهذا الاسم ؟.

ج٤١ : حدثت هذه الغزوة في عام ٢ للهجرة، ومفادها أنّ أبا سفيان حلف يمينًا ألّا يتطهّر من جنابة، ولا يمس الدهن جلده حتّى يثأر من محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من وقعة بدر الكبرى التي قُتل فيها كبراء قريش وزعمائهم من المشركين، فخرج في مئتي راكب إلى المدينة فيما عُرف لاحقًا باسم غزوة السويق، ولما بقي بينه وبين المدينة ثلاثة أميال وجد رجلًا من الأنصار واسمه معبد بن عمرو، فقتله أبو سفيان، وحرق أبياتًا هناك وتِبنًا، ورأى بذلك أنّه قد برّت يمينه، فولّى هاربًا. ولما وصل الخبر إلى النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم خرج في مئتين من أصحابه، ولكنّ أبا سفيان قد علم بخروج النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في أثره، فجعل يرمي مؤونته هو ورجاله، وكانت جرب السّويق، وهو قمح أو شعير يُقلى ثمّ يطحن ليُسفّ تارة بماء وتارة بسمن، وأخرى بسمن وعسل، فلمّا وصل النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم وأصحابه وجدوا أنّ القوم قد فرّوا، فأخذ المسلمون ما وجدوه من متاع القوم الهاربين، ولذلك سُمّيت هذه الغزوة غزوة السويق، وقد استخلف رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم على المدينة أبا لبابة، وعاد النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم بعد خمسة أيّام.

قال ابن هشام: حدَّثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: ثم

غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة، سنة ٢هـ بعد بدر بشهرين وولي تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدَّثني محمد بن جعفر بن الزبير، ويزيد بن رومان، ومَن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة.

ورجعت قوافَلّ قريش من بدر، نذر أن لا يمس رأسَهُ ماءٌ من جنابةٍ، حتى يغزوَ محمداً صلَّى الله عليه وسلَّم، فخرج في مائتي راكبٍ، من قريش، ليبرَّ يمينه، فسلك النجدية، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يُقال له ثيب[1] ، من المدينة على بريد أو نحوه ،ثم خرج من الليل حتى أتى بني النَّضير تحت الليل، فأتى حُيي بن أخطب، فضرب عليه بابه، فأبى أن يفتحَ له بابَهُ، وخافه فانصرف عنه إلى سلاَّم بن مِشكم، وكان سيِّدَ بني النَّضيرِ في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه، وبطن له من خبر الناس، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابَهُ، فبعث رجالاً من قريشٍ، إلى المدينة، فأتوا ناحيةً منها، يُقال لها: العريض"، فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَرثٍ، لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين ونذرَ بهم الناسُ، فخرج رسولُ الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– في طلبهم، واستعمل على المدينة بشيرَ بن عبد المنذر –وهو أبو لُبابة فيما قال ابن هشام–، حتى بلغ قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً، وقد فاته أبو سفيان وأصحابُه وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث، يتخفَّفُون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: يا رسولَ الله أتطمعُ لنا أن تكون غزوة ؟ قال: نعم)[2].

س٤٢: لماذا سميت غزوة ذات الرقاع بهذا الاسم ؟.

ج٤٢ : يرى بعض العلماء أنّ سبب تسمية ذات الرقاع بهذا الاسم أنّ الصحابة رضي الله عنهم، وفي أثناء مسيرهم لتلك الغزوة جُرحت أقدامهم من المسير، والحجارة، والأشواك التي قابلتهم في رحلتهم، فرقعوها بالخرق، ولفّوها بها حتى يتوقف تدفّق الدماء منها، وحتى يصلوا

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٢ ، ص ٤٨٤ ، عيون الأثر ، ج١ ، ص ٢٩٦ .
(٢) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص ٥٨ ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٣١١

إلى وجهتهم، لذلك سميت الغزوة بذات الرقاع[1].

يرى فريق آخر من العلماء أنّ سبب تسمية غزوة ذات الرقاع يعود إلى المنطقة التي جرت فيها الغزوة، حيث جرت الغزوة في منطقة تسمّى ذات الرقاع؛ نسبةً إلى ما فيها من الجبال المختلطة ألوانها بين السواد والحُمرة والبياض، وتلك الألوان تنتشر في جبال تلك المنطقة على شكل بقع، لذلك أخذت الغزوة اسم المنطقة لهذا السبب[2].

س٤٣: لماذا سميت غزوة العُسَيْرة أو العُشَيْرة، بهذا الاسم .؟.

ج٤٣ : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وغادر إلى العشيرة .

قال ابن إسحاق: فسلك على نقب بني دينار، ثم على فيفاء الخبار فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها: ذات الساق فصلى عندها. فثم مسجده صلى الله عليه وسلم وصنع له عندها طعام فأكل منه وأكل الناس معه فموضع أثافي البرمة معلوم هنالك واستقى له من ماء به يقال له المشترب، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فترك الخلائق بيسار وسلك شعبة يقال لها: شعبة عبد الله، وذلك اسمها اليوم ثم صب لليسار حتى هبط بليل، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة، واستقى من بئر بالضبوعة ثم سلك الفرش فرش ملل، حتى لقي الطريق بصحيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع. فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن محمد بن خيثم المحاربي، عن محمد بن كعب القرظي، عن محمد بن خيثم أبي يزيد عن عمار بن ياسر، قال كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها، رأينا أناسا من

---

(١) . الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (١٩٩٦)، المقتفى من سيرة المصطفى (الطبعة الأولى)، القاهرة - مصر: دار الحديث، صفحة ١٥٤. بتصرّف

(٢) "المبهمات في الأسماء والكنى - د. صالح بن سعد اللحيدان في ٠٣ أغسطس ٢٠١٧).

بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل، فقال لي علي بن أبي طالب: يا أبا اليقظان هل لك في أن تأتي هؤلاء القوم فننظر كيف يعملون؟ قال قلت: إن شئت، قال فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم. فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صور من النخل وفي دقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب ما لك يا أبا تراب لما يرى عليه من التراب ثم قال ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال (أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته)[١] ، قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي عليا أبا تراب، أنه كان إذا عتب على فاطمة في شيء لم يكلمها، ولم يقل لها شيئا تكرهه إلا أنه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه[٢] ، قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى عليه التراب عرف أنه عاتب على فاطمة فيقول ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان[٣].

س٤٤ : لماذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عصماء بنت مروان ؟.

ج٤٤: سرية عمير بن عدي هي أحد سرايا الرسول، المرسل هو الصحابي عمير بن عدي الخطمي، لقتل الشاعرة عصماء بنت مروان وهي من بني أمية بن زيد، وقد تعرضت هذه الرواية لنقد مجموعة من المحققين وعلماء الحديث كابن عدي وابن الجوزي والألباني وعدوها من الروايات المكذوبة والموضوعة.

كانت عصماء بنت مروان تحت رجل من بني خطمة ويقال له يزيد بن زيد، وكانت تعيب الإسلام وأهله، وكان يرد عليها شاعر الرسول حسان بن ثابت، فقال رسول الله حين

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ، ص ١٤٠ بمتن غير هذا وقال عنه به والد علي بن المديني وهو ضعيف توضيح حكم المحدث: إسناده ضعيف

(٢) الحديث الصحيح لتسمية علي رضي الله عنه بأبي تراب : (وفى رواية سهل بن سعد قال جاء رسول الله عليه الصلاة والسلام بيت فاطمة فلم يجد عليا فى البيت فقال لها أين ابن عمك قالت كان بينى وبينه شىء فغاضبنى فخرج فلم يقل عندى فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لانسان أنظر أين هو فجاء فقال يا رسول الله هو فى المسجد راقد فجاء رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن ظهره وأصابه تراب فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يمسحه عنه ويقول قم يا أبا تراب)رواه البخاري في صحيحه برقم ٤٤١ .

(٣) السهيلي ، الروض الآنف، غزوة العشيرة ، ج٣ ، ص ٣٤

بلغه ذلك، ألا آخذ لي من ابنة مروان، فسمع ذلك من قول رسول الله عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله فقال : يا رسول الله إني قد قتلتها، فقال نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال هل علي شيء من شأنها يا رسول الله، فقال لا ينتطح فيها عنزان.

قول العلماء في أحداث السرية :

قال محمد ناصر الدين الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: (الحديث رقم ٦٠١٣ حديث موضوع، أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/٤٦/٨٥٦)، وكذا ابن عدي (٦/٢١٥٦)، ومن طريقه ابن الجوزي في كتاب العلل (١/١٧٥)، وابن عساكر في كتاب تاريخ دمشق (١٤/٧٦٨ المدينة) من طريق محمد بن إبراهيم بن العلاء الشامي حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي أبو إبراهيم الواسطي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عن ابن عباس قال : هجت امرأة من بني خطمة النبي بهجاء لها، قال فبلغ ذلك النبي، فاشتد عليه ذلك، وقال من لي بها، فقال رجل من قومها : أنا يا رسول الله، وكانت تمارة تبيع التمر، قال فأتاها فقال لها عندك تمر، فقالت نعم فأرته تمرا، فقال أردت أجود من هذا، قال : فدخلت لتريه. قال : فدخل خلفها ونظر يمينا وشمالا، فلم ير إلا خوانا، فعلا به رأسها حتى دمغها به، قال ثم أتى النبي فقال يا رسول الله قد كفيتكها، قال فقال النبي إنه لا ينتطح فيها عنزان، فأرسلها مثلا.

وقال ابن عدي وتبعه ابن الجوزي : هذا مما يتهم بوضعه محمد بن الحجاج، يقول الألباني: وهو كذاب خبيث، كما قال ابن معين، وهو واضع حديث الهريسة، وقد تقدم (٦٩٠) وقبله حديث آخر له موضوع، والراوي عنه محمد بن إبراهيم الشامي، كذاب أيضا، كما تقدم بيانه في الحديث الذي قبله، ولكنه قد توبع. أخرجه الخطيب في التاريخ (١٣/٩٩) من طريق مسلم بن عيسى – جار أبي مسلم المستملي حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي به، ذكره في ترجمة ابن عيسى هذا، ولم يرد فيها على أن ساق له هذا الحديث، فهو مجهول العين والله أعلم.

والحديث علقه ابن سعد في الطبقات (٢/٢٧ – ٢٨) بأتم مما هنا، والظاهر أنه مما تلقاه عن شيخه الواقدي، وقد وصله القضاعي (٢/٤٨/٨٥٨) من طريقه بسند آخر نحوه، لكن الواقدي متهم بالكذب، فلا يعتدُ به، وأورد منه الشيخ إسماعيل محمد العجلوني الجراحي في كشف الخفاء (٢/٣٧٥/٣١٣٧) حديث الترجمة فقط من رواية ابن عدي، وسكت عنه فأساء[١])[٢].

جاء في موقع الإسلام سؤال وجواب :(وقد أخبر الله تعالى في كتابه المجيد أنه إنما أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للناس كلهم فقال سبحانه : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧))[٢] .

يقول ابن كثير رحمه الله : فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة)[٣] ، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة) ، وهو صلى الله عليه وسلم الذي عفا عن قريش كلها ، وقد خذلوه وعادوه وأخرجوه وحاربوه وألبوا عليه العرب ، فلما فتح مكة عفا عنهم ولم يؤاخذهم بسوء صنيعهم ولا انتقم منهم .

وهو الذي عفا عن اليهودية التي دست له السم في الشاة ، فروى البخاري ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ : أَلَا نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ لَا)[٦] .

وقالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ بِهَا لِلَّهِ)[٧].

---

(١) الألباني ، سلسلة الأحاديث الموضوعة ، ج١٣ ، ص ٣٣
(٢) (شبكة الحقيقة الإسلامية : افتراء ورد قتلة صلي الله علية وسلم عصماء بنت مروان نسخة محفوظة ١٥ ديسمبر ٢٠٠٩ على موقع واي باك مشين.
(٣) سورة الأنبياء .
(٤) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٥ ، ص ٣٨٥ .
(٥) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٣٤٥
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٦١٧ ، والإمام مسلم ، رقم الحديث ٥٨٣٤ .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦١٢٦ ، والإمام مسلم ، رقم الحديث ٢٣٢٧ .

وروى البخاري رحمه الله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا(٥٤))[١] ، قَالَ : فِي التَّوْرَاةِ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ)[٢] .

وأخباره صلى الله عليه وسلم في الصبر على الأذى والعفو والصفح وعدم المؤاخذة ومقابلة السيئة بالحسنة لا تحصى ، وإنما يريد هؤلاء النيل منه صلى الله عليه وسلم زيادة في الكفر وحسدا من عند أنفسهم ، وبغضا ومقتا ، وإرادة لما يهوونه ويشتهونه من إطفاء نور الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قتل النساء ؛ فروى أبو داود عَنْ رَبَاحِ بْنِ رَبِيعٍ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى شَيْءٍ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : انْظُرْ عَلَامَ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ فَجَاءَ فَقَالَ : عَلَى امْرَأَةٍ قَتِيلٍ فَقَالَ : مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ ، قَالَ : وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ : (قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا)[٣] .

أما خبر مقتل عصماء بنت مروان الذي يروج له هؤلاء الأفاكون فهو خبر موضوع[٤] ، وهذا إسناد باطل ، وخبر موضوع ؛ راويه محمد بن الحجاج قال البخاري : منكر الحديث.

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٨٣٨
(٣) الألباني ،، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٢٦٦٩ .
(٤) رواه القضاعي في "مسند الشهاب" (٨٥٦) والخطيب في "التاريخ" (٩٩/١٣) وابن عساكر في "تاريخه" (٢٢٤/٥١) وابن عمر الحربي في "فوائده" (٥٠) كلهم من طريق محمد بن الحجاج اللَّخمي أبو إبراهيم الواسطي عن مجالد بن سعيد عن الشعبي عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قال :((هجت امرأة من بني خطمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجاء لها ، قال : فبلغ ذلك النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاشتد عليه ذلك ، وقال : (من لي بها) ، فقال رجل من قومها : أنا يا رسول الله ! وكانت تمّارة ؛ تبيع التمر ، قال : فأتاها ، فقال لها : عندك تمر ؛ فقالت : نعم ، فأرته تمراً ، فقال أردتُ أجود من هذا ، قال : فدخلت لتريه ، قال : فدخل خلفها ونظر يميناً وشمالاً ، فلم ير إلا خِواناً ، فعلا به رأسها حتى دمغها به ، قال : ثم أتى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا رسول الله ! قد كفيتُكَها . قال : فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إنه لا ينتطح فيها عنزان) ، وهذه المرأة هي عصماء بنت مروان .

وقال ابن معين : كذاب خبيث ، وقال الدارقطني : كذاب ، وقال مرة : ليس بثقة[1] .

وقال ابن عدى : (محمد بن الحجاج وضع حديث المرأة التي كانت تهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قتلت قال : لا تنتطح فيها عنزان)[2] .

والحديث ذكره الشيخ الألباني رحمه الله في الضعيفة وقال (موضوع) ورواه الواقدي في (المغازي ص١٧٣) ومن طريقه القضاعي (٨٥٨) : حَدّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْحَارِثِ ، عَنْ أَبِيهِ : (أَنّ عَصْمَاءَ بِنْتَ مَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ بْنِ زَيْدٍ كَانَتْ تَحْتَ يَزِيدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حِصْنٍ الْخَطْمِيّ وَكَانَتْ تُؤْذِي النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَتَعِيبُ الْإِسْلَامَ وَتُحَرّضُ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، قَالَ عُمَيْرُ بْنُ عَدِيّ بْنِ خَرَشَةَ بْنِ أُمَيّةَ الْخَطْمِيّ حِينَ بَلَغَهُ قَوْلُهَا وَتَحْرِيضُهَا : اللّهُمّ إنّ لَك عَلَيّ نَذْرًا لَئِنْ رَدَدْت رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى الْمَدِينَةِ لَأَقْتُلَنّهَا - وَرَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ يَوْمَئِذٍ بِبَدْرٍ - فَلَمّا رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مِنْ بَدْرٍ جَاءَهَا عُمَيْرُ بْنُ عَدِيّ فِي جَوْفِ اللّيْلِ حَتّى دَخَلَ عَلَيْهَا فِي بَيْتِهَا ، وَحَوْلَهَا نَفَرٌ مِنْ وَلَدِهَا نِيَامٌ مِنْهُمْ مَنْ تُرْضِعُهُ فِي صَدْرِهَا ؛ فَجَسّهَا بِيَدِهِ فَوَجَدَ الصّبِيّ تُرْضِعُهُ فَنَحّاهُ عَنْهَا ، ثُمّ وَضَعَ سَيْفَهُ عَلَى صَدْرِهَا حَتّى أَنْفَذَهُ مِنْ ظَهْرِهَا ، ثُمّ خَرَجَ حَتّى صَلّى الصّبْحَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَلَمّا انْصَرَفَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ نَظَرَ إلَى عُمَيْرٍ فَقَالَ أَقَتَلْت بِنْتَ مَرْوَانَ ؟ قَالَ نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللّهِ .

وَخَشِيَ عُمَيْرٌ أَنْ يَكُونَ افْتَاتَ عَلَى النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِقَتْلِهَا ، فَقَالَ هَلْ عَلَيّ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ فَإِنّ أَوّلَ مَا سَمِعْت هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ، قَالَ عُمَيْرٌ فَالْتَفَتَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ إلَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : إذَا أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إلَى رَجُلٍ نَصَرَ اللّهَ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ فَانْظُرُوا إلَى عُمَيْرِ بْنِ عَدِيّ)[3] . وهذا إسناد تالف ، الواقدي وهو محمد بن عمر بن واقد : قال الإمام أحمد : هو

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص ٥٠٩ .
(٢) ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٣ ، ص ١٨ .
(٣) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٦٠١٣ .

كذاب ، يقلب الأحاديث ، وقال ابن معين: ليس بثقة ، وقال مرة : لا يكتب حديثه ، وقال البخاري وأبو حاتم: متروك ، وقال أبو حاتم أيضا والنسائي: يضع الحديث ، وقال ابن عدى: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه ، وقال ابن المديني : الواقدي يضع الحديث[1] .

وقال النسائي : الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة : إبراهيم بن أبي يحي بالمدينة والواقدي ببغداد ومقاتل بخراسان ومحمد بن سعيد بالشام[2] ، [3] .

س٤٥ : لماذا سميت غزوة مؤتة بهذا الاسم؟

ج٤٥: سمّيت غزوة مؤتة بذلك لأنها وقعت في منطقة في بلاد الشام تُعرف باسم مؤتة، أمّا تسميتها بالغزوة، فجميعنا يعلم أنّ لفظ غزوة يُطلق على المعارك التي شارك بها رسول الله صلوات الله عليه بنفسه لقتال الكفار، أو بإشرافه على المعركة دون أن يكون في الجيش مباشرة، لذا فإطلاق لفظ غزوة على معركة مؤتة أمر صحيح؛ وذلك لخروج الجيش بأمر من رسول الله، ولإشرافه عليها.

س٤٦ : لماذا لم يشارك الرسول صلى الله عليه في غزوة مؤتة؟.

ج٤٦: لفظ غزوة يطلق على أي قتال لكفار، قاده الرسول محمد بنفسه أو بجيش من قبله ولو لم يشارك فيه. ففي غزوة مؤته لم يشارك النبي في أحداثها، لكن الأمر انطلق منه صلى الله عليه وسلم وتحت إشرافه مباشرة. وقد وضح الحافظ بن حجر في شرح كتاب المغازي في صحيح البخاري: (المغازي جمع مغزى، يقال: غزا يغزو غزوا ومغزى. والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي الكفار لنفسه أو بجيش من قبله.)[4].

الذين أرخوا لحياة النبي صلى الله عليه وسلم أطلقوا على المعارك التي قادها عليه الصلاة والسلام اسم: (غزوات) لأهميتها وعظيم شأنها، وعدد هذه الغزوات (٢١) غزوة، أما المعارك التي سيَّر لها الجيوش ولم يشارك فيها فقد أطلقوا عليها اسم: (سرايا)، وعددها (٥٦)؛ لأنها

---

(١) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص ٦٦٣ .
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص ١٦٣ .
(٣) الاسلام س ١٢-٠٤-٢٠١٢.
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص ٢١٧ .

أقل شأنا من الغزوات، إلا معركة مؤتة، فقد أطلقوا عليها اسم: (غزوة) مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها، وما ذلك إلا لأهميتها في تاريخ الإسلام والمسلمين، وما ترتب عليها من نتائج وأحداث فيما بعد، فقد كانت الاحتكاك المسلح الأول بين الدولة الإسلامية . الناشئة بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تحمل راية التوحيد، وتنشد العدالة والمساواة . و بين الدولة الرومانية المستكبرة، التي كانت تستعمر بلاد الشام العربية، وبلغت بها الغطرسة أن يقتل مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي الذي كان يحمل كتابا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نائب هرقل على بصرى " المدينة العربية "، يدعوه فيه إلى الإسلام، ومن المؤسف أن الذي قتله عربي، أراد أن يتقرب بذلك إلى هرقل الرومي، بينما هرقل نفسه لم يقتل مبعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل تدبر الرسالة النبوية التي حملها إليه، وجمع لها كبار الناس، وكاد يسلم، كما روى ذلك البخاري في صحيحه.

إن قتل السفير عمل عدواني يمس كرامة الدولة، ولا يجوز السكوت عليه، والنبي صلى الله عليه وسلم حوله رجال(صدقوا ما عاهدوا الله عليه) شعارهم (سمعنا وأطعنا)، (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)، فأرسل جيشا قوامه ثلاثة آلاف مجاهد بقيادة رجل كان يدعى: ابن محمد، وهو زيد بن حارثة، واحتياطا لهذه المعركة الخطيرة؛ ولأن القائد لا بد أن يكون في الطليعة على تماس مع العدو، أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم إن أصيب زيد أن يخلفه جعفر بن أبي طالب الهاشمي، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان يشبهه صلى الله عليه وسلم، وكان قد عاد آنفا من جبهة أخرى، عاد من الحبشة التي ذهب إليها مهاجرا وداعيا إلى الله، فأسلم على يده ملك الحبشة، لكن المعركة الفاصلة لا يدخر عنها عزيز، وفي ساح الوغى و أرض السلام لا يكون إلا ما قدَّره الله، ونظرا لاحتمالات الموقف أيضا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أُصيب جعفر أن يكون الأمير حبيب آخر، وثقة ثالث، إنه عبد الله بن رواحة، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمدافع عن الإسلام بشعره وبيانه، ليدافع عنه أيضا بسيفه وسنانه، ولم تكن هذه الإمارة منصبا بلا تعب

ولا نصب، بل كانت مخاطرة حقيقية، وإلا ما معنى أن يُؤمِّر النبيُّ الموحى إليه من السماء صلى الله عليه وسلم أميرا بعد أمير بعد أمير، فإن أصيب الثالث أمّر المسلمون عليهم واحدا منهم.

س٤٧:لماذا وافق الرسول صلى الله عليه وسلم على صلح الحديبية مع الكفار ؟.

ج٤٧: كانت هناك شروط رأى أنها في صالح المسلمين وهي :

١- أن يرجع المسلمون ذلك العام بغير عمرة، ويقضون عمرتهم من العام المقبل، فقد روى الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: (فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة[١] ولكن ذلك من العام المقبل)[٢]،وأن يقضي المسلمون بمكة ثلاثة أيام، ولا يدخلوها إلا بسلاح المسافر، كما روى الإمام مسلم في صحيحه: (وكان فيما اشترطوا أن يدخلوا مكة فيقيموا بها ثلاثًا، ولا يدخلها بسلاح إلا جُلُبأَّن السلاح[٣] .

٢- أن من جاء من قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن وليه يرده عليهم، ومن جاء قريشًا من المسلمين لا ترده، روى الإمام البخاري رحمه الله: (قال سهيل: على أنه لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا)[٤]وقد اغتم المسلمون لهذا الشرط المجحف وكرهوه، فطمأنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعند الإمام مسلم: أنهم (اشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: (نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا و مخرجًا[٥].

٣- أن توضع الحرب بينهم عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض[٦].

---

(١) ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ، ص ٩٠
(٢) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ٣/٢.١٨١
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٣٦.٣، كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية ٣/ ١٤١٠، ح ٩٠..
(٤) كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ٣/ ١٨١،
(٥) كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية ٣/ ١٤١١ ح ٩٣..
(٦) مسند الإمام أحمد ٤/٣٢٥، وانظر سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -: ابن هشام ٣/ ٣٦٦.

٤- أن يكون بينهم موادعة ومكافَّة، وصدورًا نقيةً من الغل، كما جاء في مسند الإمام أحمد[١] رحمه الله: (وأن بيننا عيبة مكفوفة)[٢]. ، وأنه(لا إسلال ولا إغلال، الإغلال: الخيانة أو السرقة الخفية، والإسلال: من سل البعير وغيره في جوف الليل: إذا انتزعه من بين الأبل)[٣].

٥- أن من أراد من قبائل العرب أن يدخل في عقد أحد الفريقين وعهده، دخل فيه، قال ابن إسحاق رحمه الله: (وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده، دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم، دخل فيه)[٤] .

إن هذه لشروط تبدو مجحفة في الظاهر، ويتضح فيها ظلم قريش للمسلمين، وصدها عن البيت العتيق من أراد تعظيمه، وقد ظنت قريش أنها انتصرت على المسلمين في هذا **الصلح ولكن كانت عكس كذلك فقد** :

١- كان هذا الصلح مع قريش لأخذ الوقت الكافي لإعداد الجيوش للقتال.

٢- أصبح تركيز الجهاد على اليهود في المدينة وما حولها .

٣- تفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام في كل مكان فأعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به؛ مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه، يقول الإمام الزهري رحمه الله : "فما فتح في الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضًا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر[٥].

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١، والبداية والنهاية ٣٢٥/١٠، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصفهاني ١٦١/٩،
(٢) النهاية في غريب الحديث ١٩٠/٤، وانظر الفتح الرباني ٢١/ ١٠٣
(٣) النهاية في غريب الحديث ٣٨٠/٣، والفتح الرباني ٢١/ ٣٦٦.١٠] [١١ المسند ٤/ ٣٢٥.].
(٤) سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ٣/ ٣٦٦.
(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص١٨٥ .

٤- ساعد صلح الحديبية النبي صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام.

٥- كان حقنا لدماء المسلمين . ن دخول المسلمين بالقوة يعني أن تحدث مذابح، وتزهق أرواح كثيرة، وتسفك دماءٌ غزيرةٌ من الطرفين، كما أنه من المحتمل أن ينال الأذى والقتل والتشريد على أيدي المؤمنين بعض المستضعفين من إخوانهم من المسلمين في مكة، وهذا فيه ما فيه من المعرة التي لا يليق بمسلم أن يقع فيها.

٦- اعتراف المشركين بان المسلمين اصبحوا قوة لا يسنهان بها . فدخلت المهابة في قلوب المشركين والمنافقين، وتيقّن الكثير منهم بغلبة الإسلام، وقد تجلّت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام، مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، كما تجلت في مسارعة الأعراب المجاورين للمدينة إلى الاعتذار عن تخلفهم.

٧- ضمان حياد قريش وعزلها عن أي صراع يحدث في الجزيرة العربية، سواء كان هذا الصراع مع القبائل العربية الأخرى، أم مع اليهود ذلك العدو اللئيم الغادر الذي يتربص بالمسلمين الدوائر.

٨- دخول المسلمين مكة للعمرة في العام المقبل وهو بكامل الراحة والطمأنينة، بل دخلها دخول المنتصر الذي دب في قلب العدو الخور والضعف عندما رأوا عزيمة المسلمين وهمتهم العالية في الطواف والسعي.

٩- الدعاية الإعلامية السيئة لقريش حيث إن العقلاء حين يسمعون كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه جاء معظمًا للبيت، والمشركون يردونه، وهو يصر على تعظيمه، سيقف هؤلاء بجانبه ويتعاطفون معه فيقوى مركزه، ويضعُف مركز قريش الإعلامي والديني في نفوس الناس.

س٤٨: لماذا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة الكذاب رسولا وهو يعلم أنه كذاب ؟.

ج٤٨: عن عبدالله بن العباس رضي الله عنهما قال : (قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت. فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: بينما أنا نائم، رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين، يخرجان بعدي فكان أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة الكذاب، صاحب اليمامة)[1] .

فاشتراطه الاشراك في الأمر ورفض النبي عليه السلام اعطائه قطعة الجريد : يرى بعضهم أنه لم يسلم ، لكن قول النبي عليه السلام (وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ) يدل على أنه أسلم ، لذلك قال فيه ذلك وتنبأ أنه المقصود بالسوار الذي رآه في المنام لكن هذا الاسلام في الظاهر لأنه أبطن الكفر في الداخل.

قال النووي في شرح مسلم :قوله : ان مسيلمة الكذاب ورد المدينة في عدد كثير فجاء إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، قال العلماء : إنما جاءه تألفا له ولقومه رجاء إسلامهم وليبلغ ما أنزل إليه ، قال القاضي : ويحتمل أن سبب مجيئه إليه أن مسيلمة قصده من بلده للقائه فجاءه مكافأة له قال : وكان مسيلمة إذ ذاك يظهر الاسلام وإنما ظهر كفره وارتداده بعد ذلك[2] .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية :وكان مسيلمة قد قدم في

(١) الإمام البخاري ،صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٢٠ .
(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١٥ ، ص ٣٣

وفد بني حنيفة إلى النبي صلى الله عليه و سلم وأظهر الإسلام ثم لما رجع إلى بلده قال لقومه إن محمد قد أشركني في الأمر معه واستشهد برجلين أحدهما الرحال بن عنفوة فشهد له بذلك ويروي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لثلاثة أحدهم أبو هريرة والثاني الرحال هذا إن أحدكم ضرسه في النار أعظم من كذا وكذا فاستشهد الثالث في سبيل الله وبقي أبو هريرة خائفا حتى شهد هذا لمسيلمة بالنبوة واتبعه فعلم أنه هو كان المراد بخبر النبي صلى الله عليه و سلم وكان مؤذن مسيلمة يقول أشهد أن محمدا ومسيلمة رسولا الله[1]. [ويقول ايضا رحمه الله: استفحل أمر مسيلمة الكذَّاب في بني حنيفة، ويبدو أنَّهم كانوا على استعدادٍ للتجاوب مع زيفه، وخداعه ، وافتتن به الرَّجَّال بن عنفوه الَّذي هاجر إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وأسلم، وقرأ القران، وحفظ بعض سوره، كان قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسيلمة ليخذل عنه الأتباع، وليوضِّح جلية الأمر للنَّاس في هذه الفتنة الغاشية، فما كان منه عندما وصل إليه إلا أن انقلب على وجهه، وأخذ يشهد لمسيلمة أمام النَّاس: أنَّ رسول الله أشركه معه في النُّبوَّة، فكان هذا الشَّقيُّ أشدَّ فتنةً على النَّاس من مسيلمة نفسه.

إن تواتر ردة مسليمة وقتال الصديق وحربة له كتواتر هرقل وكسرى وقيصر ونحوهم ممن قاتله الصديق وعمر وعثمان وتواتر كفر من قاتله النبي صلى الله عليه و سلم من اليهود والمشركين مثل عتبة وأبي ابن خلف وحيي بن أخطب وتتواتر نفاق عبد الله بن أبي بن سلول وأمثال ذلك بل تواتر ردة مسيلمة وقتال الصديق له أظهر عند الناس من قتال الجمل وصفين ومن كون طلحة والزبير قاتلا عليا ومن كون سعد وغيره تخلفوا عن بيعة علي.

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته فقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد النبي صلى الله عليه و سلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : لو

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ج٨ ، ص ٣٢٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٢٦ .

سألني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عني ثم انصرف عنه قال ابن عباس فسألت عن قول النبي صلى الله عليه و سلم أريت فيك ما رأيت فأخبرني أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إلى في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان أحدهما العنس صاحب صنعاء والآخر مسيلمة[١].

ويقول الإمام أبو عبد الله الشافعي رحمه الله تعالى : (وَأَهلُ الرِّدَّةِ بَعدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنهُم قَومٌ كَفرُوا بَعدَ الإِسلامِ مِثلُ طُلَيحَةَ وَمُسَيلِمَةَ وَالعَنسِيِّ وَأَصحَابِهِم)[٢].

وفي الحديث الصحيح أن رسولي مسيلمة الكذاب جاءا إلى رسول الله وشهدا عنده بأن الكذاب رسول الله فقال لهما: لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ، ولما جاء مع وفد بني حنيفة جعل يقول: (إن جعل لي محمّد الأمر من بعده تبعته)[٣].البخاري ٣٦٢٠.

ولما وقف عليه السلام على مسيلمة فكلّمه قال له مسيلمة: (إن شئت خلّيت بيننا وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو سألتني هذا القضيب ما أعطيتكه، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس، وسيجيبك عنّي فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم)[٣].

(وفي العام العاشر للهجرة عندما أصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرض موته، تجرَّأ الخبيث، فكتب رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم لنفسه فيها الشَّركة معه في النُّبوَّة، كتبها له عمرو بن الجارود الحنفيُّ، وبعثها إليه مع عبادة بن الحارث الحنفيِّ المعروف بابن النَّواحة، هذا نصُّها: من مسيلمة رسول الله(كَذَبَ) إلى محمَّد رسول الله: أمَّا بعد: فإنَّ

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٢٠ .
(٢) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص ٢٢٧ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٣٧٣ .

لنا نصف الأرض، ولقريشٍ نصفها، ولكنَّ قريشاً لا يُنصفون. فردَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة كتبها به أبي بن كعبٍ ـ رضي الله عنه ـ نصُّها: « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، من محمَّد النَّبيِّ إلى مسيلمة الكذَّاب، أمَّا بعد: فإنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتَّقين، والسَّلام على من اتبع الهدى ».وكان مسيلمة قد بعث برسالته إلى الرَّسول صلى الله عليه وسلم مع رجلين أحدهما ابن النَّواحة المذكور، فلمَّا اطَّلع عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: وماذا تقولان أنتما؟ فقالا: نقول كما قال. فقال صلى الله عليه وسلم : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل؛ لضربت أعناقكم!

حمل حبيب بن زيدٍ الأنصاريُّ ابن أمِّ عمارة نسيبة بنت كعب المازنيَّة ـ رضي الله عنهما ـ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مُسيلمة الكذَّاب، فعندما سلَّمه الرِّسالة؛ قال له مسيلمة الكذَّاب: أتشهد أنَّ محمَّداً رسول الله فيقول: نعم، فيقول له: أو تشهد أنِّي رسول الله؟ فيقول: أنا أصمُّ لا أسمع، ففعل ذلك مراراً، وكان في كلِّ مرَّة لا يجيبه فيها حبيب إلى طلبه يقتطع من جسمه عضواً، ويبقى حبيب محتسباً صابراً إلى أنْ قطَّعه إرْباً إرْباً، فاستشهد رضي الله عنه بين يديه، ولننظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كانت سيرته، فلا يقتل الرُّسل، ولو كانوا من قبل أعدائه الألدَّاء الكفَّار، وحتَّى ولو كفروا أمامه، ما دام لهم هذه الحصانة .

أمَّا مسيلمة فيتعامى عن العهود، والمواثيق، فيقتل السُّفراء لا قتلاً عادياً بل قتل تشويهٍ، وتمثيلٍ، وتَشَفٍّ. إنَّه الفارق بين الإسلام الَّذي يحترم الكلمة، ويحترم الإنسان ويخاصم بشرفٍ، ورجولةٍ، وبين الجاهليَّة الَّتي لا تعرف إلا الفساد في الأرض، وتحكيم الهوى)[1] .

تبين إذن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل رسولا إلى مسيلمة الكذاب :

١- ردا على ما أرسل مسيلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- ليقول رسول الرسول صلى الله عليه وسلم لمسيلمة وقومه من بني حنيفة ومن ديارهم

---

(١) د. علي محمد ، موقع ، محرم ١٤٤١هـ/ سبتمبر ٢٠١٩

أن صاحبكم كذاب ولن يتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قتله مسيلمة شر قتلة.

س٤٩: لماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل الرسائل إلى ملوك الأرض آنذاك ، وماذا قال فيها لهم ، وما موقفهم من تلك الرسائل ؟.

ج٤٩: يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨))[١] ويقول تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣))[٢] ويقول تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١))[٣]، ويقول تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨))[٤] .

وبناء على ما ورد في هذه الآيات الكريمة نقول أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي رسالة عالمية إلى الناس جميعا ، ولذلك حين وقع صلح الحديبية ورأى أن دعوة الناس إلى الإسلام في هذه الظروف المواتية فرصة عظيمة يدب استغلالاها والعمل على إرسال رسائل

---

(١) سورة سبأ .
(٢) سورة التوبة .
(٣) سورة الفرقان .
(٤) سورة الأعراف .

وفود إلى ملوك المناطق المجاورة فأرسل رسلا ورسائل إلى :

١- المنذر بن ساوى ملك البحرين يدعوه إلى الإسلام وفيه «بسم الله الرحمن الرحيم أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو. أما بعد: فإن من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول، من أحب ذلك من المجوس فإنه امن، ومن أبى فإن عليه الجزية» فأسلم وكتب في ردّ الجواب: (أما بعد يا رسول الله فإني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحبّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إليّ في ذلك أمرك فكتب إليه عليه الصلاة والسلام «بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلّا هو وأشهد ألا إله إلّا الله وأن محمّدا عبده ورسوله، أمّا بعد فإني أذكرك الله عزّ وجلّ فإنه من ينصح ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتّبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني شفّعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية[١] .

٢- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم : بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فعليك إثم الأريسيين، و(يأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَّ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهَّ ، فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤))[٢][٣] .

---

(١) المباركفوري ، الرحيق المختوم ٣٢٧ – ٣٢٨ .
(٢) سورة آل عمران.
(٣) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص ٣٢٥ .

٣- رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس : («بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبدالله ورسوله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم، فإن أبيت، فإن عليك إثم المجوس)[١]

٤- رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤))[٢]، [٣] .

٥- رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي : (التجأ المهاجرون الأولون إلى الحبشة فأكرمهم النجاشي وبقوا هنالك آمنين من اضطهاد قريش ولما هاجر رسول الله إلى المدينة عاد أربعون من المهاجرين والتحقوا بالنبي صلى الله عليه و سلم بالمدينة وبقي منهم في الحبشة نحو خمسين أو ستين تحت حماية النجاشي وقد حمل عمرو بن الضمري رسالتين إليه يدعوه في إحداهما إلى الإسلام وفي الأخرى يأمره أن يزوجه أم حبيبة وهذه صورة كتابه صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي الذي يدعوه فيه إلى الإسلام :(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة مسلم أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

---

(١) رجب محمود بخيت ، تهذيب تاريخ الطبري ، ص ٢٠٨ .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) محمد أبو الحديد ، المذكرة في فقه الدعوة، ص ١٨٥

وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصنة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فإذا جاءك فاقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى)[1] فما وصل إليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الأرض ثم أسلم وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه و سلم وهذا هو بسم الله الرحمن الرحيم . إلى محمد رسول الله . من النجاشي الأصحم بن أبجر سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام . أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض أن عيسى ما يزيد على ما ذكرت . وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت بن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين وارسلت إليك يا بني ارها بن الأصحم بن أبجر فأني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله)[2].

٦- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة :(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن على ، سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك)[3] .

٧- من الزعماء الذين أرسل إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام الرسائل الحارث بن أبي شمر الغساني أمير دمشق، وكان هذا الرجل نصرانياً تابعاً لـ هرقل قيصر الروم، وكان

---

(١) الطبري ـ تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص ١٣٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص٣٢٨

رده تقريباً نفس رد كسرى زعيم فارس، ألقى الخطاب وقال: من ينزع ملكي مني؟ وأنا سائر إليه، وبدأ في تجهيز الجيوش من أجل أن يغزو المدينة المنورة، لكن قبل أن يفعل هذا أحب أن يستأذن هرقل وبعث له برسالة، فتزامن وصول رسالة الحارث مع وصول رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل، فـ هرقل قال له: لا، انتظر، لا ندري ماذا سيحدث بعد ذلك من الأحداث؟ فأمره ألا يرسل الجيوش، فانصاع الحارث إلى كلام هرقل ولم يرسل الجيوش، وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم رد فعل الحارث قال: (باد ملكه)، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ما لبث أن مات وباد ملكه تماماً، بل دخل ملكه بعد ذلك في ملك المسلمين[1].

٨- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين، ملكي عمان بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، (رسول الله)، إلى جيفر وعبد ابني الجلندى ، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما إن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما.[2]

س٥٠: لماذا أرسل المقوقس عظيم القبط هدايا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ وما هي هذه الهدايا ؟.

ج:٥٠ :وصل حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب حتى قدم على المقوقس إلى مصر فلم يجده فذهب إلى الاسكندرية وأعطاه كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فضمه إلى صدره وجعله في حق عاج ودعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب :(إلى النبي صلى الله عليه و سلم . بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط . سلام عليك . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما

(١) كتاب السيرة النبوية - راغب السرجاني ، ج٣٣ ، ص١١
(٢) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص ٣٣٤ .

تدعوا إليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام) وذكر له ما كان من إكرامه لحاطب وقيل أنه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب ودعا رجلا عاقلا فلم يجد بمصر أحسن ولا أجمل من مارية (مريم) وأختها سيرين وهما من أهل حفن من كورة أنصا قرية بصعيد مصر فبعث بهما إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وأهدى له بغلة وعسلا من عسل بنها . وقيل بعث له غير ذلك عشرين ثوبا من قباطي مصر وطيبا وعودا ومسكا . ولكنه لم يسلم وقد قبل رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الهدايا فأخذ مارية لنفسه وأهدى سيرين لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان والبغلة تسمى (الدلدل) وكانت شهباء ولم يكن في العرب يومئذ بغلة غيرها ودعا في عسل بنها بالبركة.

وقد ذكر المرحوم حفني ناصف بك أصناف الهدايا التي أرسلها المقوقس إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وهي:

١- مارية بنت شمعون وكانت أمها رومية.

٢- جارية أخرى يقال لها سيرين ولكنها أقل جمالا من مارية.

٣- جارية أخرى يقال لها قيسر.

٤- جارية سوداء يقال لها بريرة.

٥- غلام أسود يقال له هابو.

٦- بغلة شهباء وهي التي سميت بدلدل.

٧- فرس مسرج ملجم وهو الذي سمى بميمون.

٨- حمار أشهب وهو الذي سمى بيعفور.

٩- مريعة فيها مكحلة ومرآة ومشط وقارورة دهن ومقص وسواك.

١٠- جانب من عسل بنها.

١١- ألف مثقال من الذهب.

١٢- عشرون ثوبا من قباطي مصر.

١٣- جانب من العود والند والمسك.

١٤- قدح من قوارير.

ويقال أنه كان من ضمن الهدية طبيب فقال له النبي صلى الله عليه و سلم (أرجع إلى أهلك نحن قوم لان نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع). "

وقد أسلمت مارية قبل أن تصل إلى المدينة هوي وسيرين بدعوة حاطب بن أبي بلتعة[١] .

س٥١ : لماذا أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود من المدينة ؟.

ج٥١: تشير كتب السيرة إلى أن يهود بني قينقاع أظهروا الغضب والحسد عندما انتصر المسلمون ببدر، وقد بلغ بهم الأمر إلى حد المجاهرة بالعداء ،ولتصوير الجو النفسي الذي أحاط بجلائهم لابد من استعراض بعض الأحداث، ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن يجمعهم وينصحهم بعد انتصاره ببدر فجمعهم في سوق بني قينقاع، فقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشاً. قالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفراً في قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال. إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا" ولا يخفى ما في ردهم من تحد وتهديد مع أنهم كانوا قد انضموا تحت لواء رئاسته بموجب المعاهدة، وهذه الرواية وردت من طريق ابن إسحاق. وقد حسنها الحافظ ابن حجر. ولكن في سندها محمد بن محمد مولى زيد بن ثابت، حكم عليه الحافظ نفسه بأنه مجهول.

كانت المواجهة، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبني قينقاع بأن ذهبت امرأة من المسلمين إلى سوقهم لبيع شيء لديها، فرادوها على كشف وجهها، فأبت، فربط أحدهم طرف ثوبها إلى ظهرها، فلما وقفت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت، فأسرع رجل من المسلمين لنصرتها فقتل اليهودي، فاجتمع عليه اليهود فقتلوه. ثم وصل الخبر إلى الرسول في المدينة المنورة، فحاصرهم الرسول خمسة عشر يومًا، ثم أجلاهم إلى الشام، وقد قبل وساطة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فيهم، وكان قد أسلم قبل نحو الشهر، فعامله بالمراعاة، ووهبهم له، وقبض منهم الرسول أموالهم)[٢].

---

(١) الموسوعة الشاملةج١ ، ص ٤٢٩
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد، ج٢، ص ١١٤- ١١٦

إن الموقف يدل على خسة أخلاقية عظيمة من اليهود تتمثل في: تحديهم للرسول علانية بالقتال، وسخريتهم من قدرات المسلمين القتالية رغم انتصار المسلمين في بدر، ثم تعمدهم الاستهزاء بالمسلمين نساء ورجالا، وأخيرًا ما فعلوه مع المسلمة؛ إن جريمة هتك العرض أشد من القتل، فاستحقوا ما لقوا.

لقد أجلى الرسول صلى الله عليه وسلم بني النضير لأنهم غدروا به، وما حدث أنه صلى الله عليه وسلم خرج إلى بني النضير في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف. فلما أتاهم رسول الله، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعين بهم في دية هذين القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان صلى الله عليه وسلم أعطاهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد وحلف، فلما أتاهم صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت. ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه – ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعد – فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، فيهم: أبو بكر، وعمر، وعلي.

فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث (بقي) النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه، قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام، ويعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، وحمى حيي بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود،

فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

فحاصروهم خمس عشرة ليلة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذلك في شهر ربيع الأول(١) .

محاربة بني قريظة وخيبر وإجلاؤهم:

قَدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار على بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث؛ قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم. قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا(٢) .

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه والسبب في هذه الغزوة: غدر يهود بني قريظة بالمسلمين أثناء حصار الكفار للمدينة المنورة، وقد سعوا إلى التعاون مع الكفار من أجل الهجوم المزدوج على الرسول والمسلمين، بل السعي إلى أخذ النساء والذراري من حصن حسان بن ثابت – رضي الله عنه – رهينة لإذلال(٣).
المسلمين بعد ذلك. وقد كان عقاب هؤلاء بعد حصارهم أن يحكم فيهم زعيم الخزرج سعد بن معاذ، وقد ظنوا أنه حليف سابق لهم، ولكن سعد – رضي الله عنه – حكم فيهم أن:

---

(١) لبداية والنهاية، ابن كثير، دار المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م، ص١٩٢٠. وكذلك السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني، ص١٩٠ – ١٩١.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني، ص ٢٣٣ - ٢٤٧.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، القسم الثاني، ص٢٣٥

يقتل الرجال، وتسبى الذرية، وتقسم الأموال. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات. ونفس الأمر ينطبق على يهود خيبر، فقد كانت وكر الدس والتآمر، فأهلها حزبوا الأحزاب، وحرضوا - سابقًا - بني قريظة على الغدر والخيانة، واتصلوا بالمنافقين وبغطفان وأعراب البادية ضد المسلمين، ووضعوا خطة لاغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم وإزاء ذلك حاصرهم الرسول، فسقطوا مهزومين، ما بين قتلى وأسرى[1] .

من خلال أحداث هذه القصة نلاحظ عدة أمور:

١- إن اليهود نقض العهد مرتين: الأولى: عندما قتلوا رجلين من بني عامر وبينهم وبين بني عامر حلف واتفاق. والثانية: عندما تآمروا لقتل الرسول بأن يرتقي أحدهم جدارًا فوقه، ويرميه بحجر.

٢- تدخّل أهل النفاق وهم المسلمون الذين أظهروا الإسلام وبطنوا الكفر والتآمر ضد الرسول وصحبه، فاستمع اليهود لهم، وحمي زعيمهم حيي بن أخطب، وقرروا مواجهة المسلمين وقتالهم. وهذا الخطأ الثاني، فقد كانت الفرصة معهم لتداوي المسألة، ولكنهم - لخستهم ونذالتهم - ظلوا يتآمرون، ويريدون إيذاء المسلمين.

٣- حاصرهم المسلمون، وأجلوهم، فخرجوا وهم يخربون بيوتهم، حاملين ما خف حمله وغلا ثمنه.

٤- لو شاء النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، لانتقموا منهم، ولكنهم سمحوا لهم بالخروج، بالرغم من أن الخائن عقابه القتل والخزي.

٥- تعامل معهم الرسول بكل أمانة وعهد، وتشهد على ذلك وثيقته الموقعة معهم، والتي فيها من العهود والأمانات الكثير ومن أهم بنودها: أنهم مع المؤمنين أمة واحدة، ولكل فئة دينها، وحقها في إقامة شعائرها، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين

---

(١) الرحيق المختوم، ص٣٣٤- ٣٤٤. والسيرة النبوية لابن هشام، ج٢. فتح خيبر.

نفقتهم، وبينهم النصح والإرشاد، والنصر للمظلوم، واليهود متفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وبينهم النصر على كل من يداهم يثرب، وعدم حماية الظا لم والآثم من الجانبين[1] .

٦- مادامت الأمور بهذه الوضوح، والبنود مدونة، والصحف شاهدة، فلماذا غدر اليهود بالمسلمين؟ ولماذا يهاجم الرسول الذي تصرف معهم بمنطق رئيس الدولة الذي يحمي دولته من تهديدات أقلية وافدة عليها، إن سائر أحداث الغزوات يسبقها:

أ- تآمر من اليهود ضد شخص الرسول.

ب- أو ضد أحد المسلمين أو المسلمات.

ت- أو تحالف مع الأعداء للهجوم على الرسول.

٧- لقد طبّق عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم حكم الله تعالى في القرآن الكريم، جزاء نكالاً على ما قدموا[2] .

س٥٢ : لماذا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح مطأطئ الرأس ؟.

ج٥٢: في يوم الأربعاء العاشر من شهر رمضان المبارك، من السنة الثامنة للهجرة، غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في عشرة آلاف من أصحابه بعد أن استخلف عليها أبا ذر الغفاري رضي الله عنه.

سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى «ذي طوى»، وهناك وزّع الجيش، فأمَر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخل مكة من أسفلها، وأمر الزبير بن العوام وكان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل مكة من أعلاها (من كداء) وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وأمر أبا عبيدة أن يأخذ بطن الوادي حتى ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم دخلت الجيوش الإسلامية مكة من كل مكان، ولم

---

(١) زاد المعاد، ج٢، ص ١٠٢، ١٠٣. وابن هشام، ج١، بنود معاهدة الرسول مع بني عوف.
(٢) شبكة الالوكة د. مصطفى عطية جمعة٢٠١٧/٧/٢٢ ميلادي - ١٤٣٨/١٠/٢٧

تلق قتالاً يذكر إلا عند منطقة الخندمة، وتزعم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية مشركي قريش، وقاتلوا في هذه المنطقة خالد بن الوليد بفرقة قوية من الفرسان،، وما هي إلا لحظات حتى سارت الفرقة المشركة ما بين قتيل وأسير وفارٍّ، وهرب صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل من مكة المكرمة، وخمدت المقاومة تمامًا، وفتحت مكة أبوابها لخير البشر – عليه الصلاة والسلام، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها من (كداء) وهو مطأطئ الرأس تواضعاً وخضوعا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح .

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام وهو واضع رأسه تواضعًا لله، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، ودخل وهو يقرأ سورة الفتح مستشعرًا بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وإفاضة النصر العزيز وعندما دخل مكة فاتحًا –وهي قلب جزيرة العرب ومركزها الروحي والسياسي– رفع كل شعار من شعائر العدل والمساواة، والتواضع والخضوع، فأردف أسامة بن زيد –وهو ابن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم– ولم يردف أحداً من أبناء بني هاشم وأبناء أشراف قريش وهم كثير، وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمانٍ من الهجرة.

يقول الأستاذ محمد الغزالي في وصف دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة: على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته تتوج هامته عمامة دسماء، ورأسه خفيض من شدة التخشع لله، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجمّ.. إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثا إلى جوف الحرم، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن، إن هذا الفتح المبين ليذكره بماض طويل الفصول: كيف خرج مطاردًا؟ وكيف يعود اليوم منصورًا مؤيدًا؟ وأي كرامة عظمى حفه الله بها هذا الصباح الميمون؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد لله على راحلته خشوعًا وانحناء[1] .

---

(١) الشيخ محمد الغزالي ، ثمرات القلم ٢١ مارس ٢٠١٣ (موقع)

هذا وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تأمين الجبهة الداخلية في مكة عند دخوله يوم الفتح؛ ولذلك عندما بلغته مقولة سعد بن عبادة لأبي سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم نستحل الكعبة، قال صلى الله عليه وسلم: «هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة»، وأخذ الراية من سعد بن عبادة وسلمها لابنه قيس بن سعد؛ وبهذا التصرف الحكيم حال دون أي احتمال لمعركة جانبية هم في غنى عنها، وفي نفس الوقت لم يثره ، ولا أثار الأنصاري، فهو لم يأخذ الراية من أنصاري ويسلمها لمهاجر، بل أخذها من أنصاري وسلمها لابنه، ومن طبيعة البشر ألا يرضى الإنسان بأن يكون أحد أفضل منه إلا ابنه.

س٥٣ : لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؟.

ج٥٣ : عنِ ابنِ عبَّاسٍ، قالَ: لما نزلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ مرَّ الظَّهرانِ قالَ العبَّاسُ: قلتُ واللَّهِ، لئن دخلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ مَكَّةَ عُنوةً، قبلَ أن يأتوهُ فيَستأمنوهُ إنَّهُ لَهَلاكُ قُرَيْشٍ، فجلَستُ على بغلةِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقلتُ لعلِّي: أجدُ ذا حاجةٍ يأتي أَهْلَ مَكَّةَ فيخبرُهُم بمَكانِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ليَخرجوا إليهِ، فيستأمِنوهُ فإنِّي لأسيرُ إذ سَمِعْتُ كلامَ أبي سفيانَ، وبُدَيْلِ بنِ ورقاءَ، فقلتُ: يا أبا حنظلةَ، فعرفَ صوتي، فقالَ: أبو الفضلِ؟ قلتُ: نعَم، قالَ: ما لَكَ فداكَ أبي وأمِّي؟ قلتُ: هذا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، والنَّاسُ، قالَ: فما الحيلةُ؟ قالَ: فرَكِبَ خلفي، ورجعَ صاحبُهُ، فلمَّا أصبحَ غَدوتُ بِهِ على رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ، فأسلَمَ، قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ يحبُّ هذا الفخرَ، فاجعَل لَهُ شيئًا، قالَ: نعَم، من دخلَ دارَ أبي سفيانَ فَهوَ آمِنٌ، ومن أغلقَ علَيهِ دارَهُ فَهوَ آمِنٌ، ومن دخلَ المسجدَ فَهوَ آمنٌ قالَ: فتفرَّقَ النَّاسُ إلى دورِهِم وإلى المسجِدِ[١].

---

(١) الألباني، : صحيح أبي داود رقم الحديث ٣٠٢٢ ، حديث حسن

س٥٤ : لماذا لم يعط الرسول صلى الله عليه وسلم الانصار من غنائم هوازن؟ .

ج٥٤: رجع رسول الله إلى الجعرانة بمن معه من الناس، وقسّم بها ما أصاب من الغنائم يوم حُنين، وهي: ستّة آلاف من الذراري والنساء، ومن البهائم ما لا يُحصى[١] .

سبى المسلمون من المشركين في ذلك اليوم سبايا كثيرة، بلغت عدّتهم ألف فارس، وبلغت الغنائم أثني عشر ألف ناقة سوى الأسلاب. ثم جمعت إلى رسول الله سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو القاري، فأمر النبي بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحُبست بها ، وقد كان فيما سُبي أُخته بنت حليمة السعدية، فلمّا قامت على رأسه قالت: يا محمّد أُختك شيماء بنت حليمة، فنزع رسول الله برده فبسطه لها فأجلسها عليه، ثمّ أكبّ عليها يسألها، وهي التي كانت تحضنه إذ كانت أُمّها ترضعه[٢].

وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنائم على قريش ولم يعط الأنصار منها شيئا ، فوجدوا في أنفسهم لأجل ذلك ، حيث بدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل فقال: ابني يزيد؟ فقال: (أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل)، فقال: ابني معاوية؟ قال: (أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل)، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه، وأعطى النضر بن الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي خمسين، وأعطى العباس بن مرداس أربعين، فقال في ذلك شعراً، فكمل له المائة، ثم أمر زيد بن ثابت بإحصاء الغنائم والناس، ثم فضها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً وعشرين ومائة شاة[٣] .

لقد قال أحد حدثاء الأنصار لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الاعتراض، وعمل على إزالة التوتر، وبين لهم الحكمة في تقسيم الغنائم، وخاطب الأنصار خطابًا إيمانيًّا عقليًّا عاطفيًّا وجدانيًّا، فعندما دخل

---

(١) الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ، ج ٥ ، ص٣٦.
(٢) الطبرسي ، أعلام الورى بأعلام الهدى، ، ج١ ، ص٢٣٩).
(٣) زاد المعاد: (٤٠٨/٣)، الرحيق المختوم: (٤٢٦).

عليه سعد بن عبادة، قال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم؛ لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء! قال: (فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي. قال: (فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ) قال: فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا أتى سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فَهَدَاكُمْ اللّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللّهُ بِي؟ وَأَعْدَاءً فَأَلّفَ اللّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟) قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ. ثُمّ قَالَ: (أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟) قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ اللّهِ؟ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: (أَمَا وَاَللّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ: "أَتَيْتَنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ"، أَوَجَدْتُمْ عَلَيّ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا؟، وَوَكَلْتُكُمْ إلَى إسْلَامِكُمْ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللّهِ إلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَ اَلّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَوَادِيًا، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا وَوَادِيًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَوَادِيَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنّاسُ دِثَارٌ٥، اللّهُمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ) فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله -صلى الله عليه وسلم قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم- وتفرقوا[1] .

(١) ابن القيم ، زاد المعاد، ج٣ و ص ٤٠٨ ، وأصل القصة في صحيح البخاري: (٣٩٨٥)، ومسلم: (١٧٥٨).

س٥٥: لماذا لم ينتقم الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش يوم الفتح؟.

ج٥٥: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل البيت، فصلى بين الساريتين ، ثم وضع يديه على عضادتي الباب، فقال: لا إله إلا الله وحده ماذا تقولون، وماذا تظنون؟ قالوا: نقول خيرًا، ونظن خيرًا: أخ كريم، وابن أخ، وقد قدرت، قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف صلى الله عليه وسلم: (لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٩٢)) ، قال ابن إسحاق: حدَّثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى، وقف على راحلته مُعتجِرًا بشقة برد حبرة حمراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تَواضُعًا لله حين رأى ما أكرَمَه الله به من الفتح، حتى إن عُثْنُونه ليكاد يَمَس واسطة الرَّحل[1] .

عد أن تحقَّق النصرُ العظيم والفتح المبين، صلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في البيت، ثم دار وكبَّر في نواحيه، ثم خرج من البيت وقريش قد ملأت المسجد صفوفًا ينتظرون ماذا يصنَع، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدَق وعْده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألاَ كل مأثُرة أو مال أو دم فهو تحت قدميَّ هاتَين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية وتعظُّمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب؛ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)) ثم قال: (يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟)، قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن اخ كريم ، قال: (فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء)[4].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم بدخول

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ / ١٠٧٢
(٢) سورة يوسف .
(٣) سورة الحجرات .
(٤) سيرة ابن هشام (٤ / ١٠٧٨)، وزاد المعاد (٣ / ٤٠٧، ٤٠٨)

مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سمَّاهم بقتلهم، وإن وُجِدُوا تحت أستار الكعبة، و هم عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وعبد العزى بن خطل، وعكرمة بن أبى جهل، ومقيس بن صبابة، وقينتا ابن خطل كانتا تغنيان ابن خطل بهَجْوِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسارة مولاة لبنى عبد المطلب. فكان هؤلاء جميعًا أشد عداوة وبُغضًا للإسلام وللمسلمين ولسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، **وكانوا شديدي الأذى له بمكة:**

١- عبدالله بن سعد بن أبي سرح فكان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأهدر دمه فَرَّ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاعة، فلما جاء به ليستأمن له صمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (نعم)، وعفا عنه.

٢- عبد الله بن خطل فكان مسلمًا، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقًا، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له مسلمٌ يخدمه، فغضب عليه غضبةً فقتله، ثم ارتد مشركًا، وكان له قينتان، فكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ فأهدر دمه وقينتيه، فقُتِلَ، وقُتِلت إحدى قينتيه واستُؤْمِن للأخرى.

٣- مقيس بن صبابة فكان قد قتل قاتل أخيه خطأ بعد ما أخذ الدية، ثم ارتد مشركًا.

٤- سارة مولاة لبني عبد المطلب ولعكرمة بن أبى جهل، فكانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بمكة، فأهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمها، فهربت حتى استؤمن لها منه صلى الله عليه وسلم فأمَّنها فعاشت إلى زمن عمر رضي الله عنه.

٥- عكرمة بن أبى جهل فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، واستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمَّنه، فذهبت في طلبه حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم، وحَسُن إسلامه، وكان يُعَدُّ من فضلاء الصحابة[1] .

---

(١) ابن سيد الناس عيون الأثار ، ج٢ ، ص ٢٣٦ . ابن كثير: السيرة النبوية٥٦٣/٣.

س٥٦ : لماذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خالد بن سفيان الهذلي؟ .

ج٥٦: قال ابن كثير رحمه الله تعالى : (ذكره الحافظ البيهقي في الدلائل تلو مقتل أبي رافع) [١] ، قال الامام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرنة [٢] فائته فاقتله ، قال: قلت: يا رسول الله انعته لي، حتى أعرفه ، قال: إذا رأيته وجدت له قشعريرة،

قال: فخرجت متوشحا سيفي، حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلا، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، اومئ برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت إليه قال: من الرجل ؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك ، قال: أجل أنا في ذلك قال فمشيت معه شيئا، حتى إذا أمكنني، حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال: أفلح الوجه قال: قلت: قتلته يا رسول الله ، قال: صدقت ، قال: ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل في بيته فأعطاني عصا فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس ، قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا ؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أمسكها ، قالوا: أو لا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله عن ذلك ، قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة إن أقل الناس المتخصرون يومئذ. قال فقرنها عبد الله بسيفه فلم تزل معه، حتى إذا مات أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعا [٣].م رواه الامام أحمد:

---

(١) البيهقي ، دلائل النبوة ج ٤ ، ص ٤٠ باب قتل ابن نبيح الهذلي.

(٢) عرنة: موضع بقرب عرفة موقف الحجيج. معجم ما استعجم ٣ / ٩٣٥.

(٣) أخرجه الامام أحمد في مسنده ج ٣ ، ص ٤٩٦.

عن يحيى بن آدم، عن عبد الله بن ادريس، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير عن بعض ولد عبد الله بن أنيس أو قال عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن عبد الله بن أنيس فذكر نحوه.

وهكذا رواه أبو داود: عن أبي معمر، عن عبد الوارث عن محمد بن إسحاق: عن محمد بن جعفر، عن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكر نحوه ورواه الحافظ البيهقي من طريق محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن أبيه فذكره.

وقد ذكر قصة عروة بن الزبير وموسى بن عقبة في مغازيهما مرسلة فالله أعلم.

قال ابن هشام وقال عبد الله بن أنيس في قتله خالد بن سفيان:

تركت ابن ثور كالحوار وحوله	**نوائح تفري كل جيب معدد**
تناولته والظعـــن خلفي وخلفه	**بأبيض من مـــاء الحديد المهند**
عجوم لهام الدارعيـــن كأنه	**شهاب غضـــى من ملهب متوقد**
أقول له والسيف يعجم رأسه	**أنا ابن أنيس فارس غير قعدد**
انا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره	**رحيب فناء الـــدار غير مزند**
وقلت له: خذها بضربة ماجد	**خفيف علـــى دين النبي محمد**
وكنت إذا هم النبي بكافر	**سبقت إليه باللســـان وباليـد**

قلت: عبد الله بن أنيس[1] بن حرام: أبو يحيى الجهني صحابي مشهور كبير القدر، كان فيمن شهد العقبة وشهد أحدا والخندق وما بعد ذلك وتأخر موته بالشام إلى سنة ثمانين على المشهور وقيل توفي سنة أربع وخمسين والله أعلم.

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١٦٠

(٢) قال ابن الاثير في أسد الغابة: عبد الله بن أنيس بن أسعد بن حرام بن خبيب بن مالك بن مالك بن غنم.كان مهاجريا انصاريا عقبيا شهد بدرا وأحدا وما بعدهما.قيل من جهينة حليف للانصار وقيل هو من الانصار.مات سنة أربع وسبعين.قال ابن منده: فرق أبو حاتم بينه وبين ابن أنيس الجهني وأراهما واحدا.(انظر أسد الغابة ٣ / ١١٩. الاصابة ٢ / ٢٧٨.كلها من ابن كثير البداية والنهاية ج٤ ، ص١٦٠ – ١٦١

وقد فرق علي بن الزبير وخليفة بن خياط بينه وبين عبد الله بن أنيس أبي عيسى الانصاري الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا أحد بأداوة فيها ماء فحل فمها وشرب منها، كما رواه أبو داود والترمذي من طريق عبد الله العمري عن عيسى بن عبد الله بن أنيس عن أبيه ثم قال الترمذي وليس إسناده يصح وعبد الله العمري ضعيف من قبل حفظه. [1]

وجاء في موقع الاسلام سؤال وجواب :

(هذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود في سننه واللفظ له من طريق عبد الله بن عبد الله بن أُنيس عن أبيه ، قال: " بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى خَالِدِ بْنِ سُفْيَانَ الْهُذَلِيِّ – وَكَانَ نَحْوَ عُرَنَةَ وَعَرَفَاتٍ – فَقَالَ : (اذْهَبْ فَاقْتُلْهُ) .فَرَأَيْتُهُ وَحَضَرَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ ، فَقُلْتُ : إِنِّي لأَخَافُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَا إِنْ أُؤَخِّرُ الصَّلاَةَ ، فَانْطَلَقْتُ أَمْشِي وَأَنَا أُصَلِّي ، أُومِئُ إِيمَاءً نَحْوَهُ .فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ قَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ ؟قُلْتُ : رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ ؛ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَجْمَعُ لِهَذَا الرَّجُلِ ، فَجِئْتُكَ فِي ذَاكَ . قَالَ: إِنِّي لَفِي ذَاكَ .فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً ، حَتَّى إِذَا أَمْكَنَنِي عَلَوْتُهُ بِسَيْفِي حَتَّى بَرَدَ أي مات).[2] ، [3].

وليس في هذه الرواية أن عبد الله بن أنيس قطع رأس خالد بن سفيان الهذلي وحمله إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ولقد ورد ذلك في بعض الروايات الضعيفة التي لا تثبت :

أخرجه ابن شبَّة في "تاريخ المدينة قال : حَدَّثَنَا الْحِزَامِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ قَالَ: " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ إِلَى ابْنِ نُبَيْحٍ

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١٦١ .

(٢) الإمام أحمد (١٦٠٤٧) ، وأبو داود في سننه (١٢٤٩)

(٣) والحديث سكت عنه الإمام أبو داود ، وقد قال في "رسالته إلى أهل مكة" (ص: ٢٧): "مَا لم أذكر فِيهِ شَيْئا فَهُوَ صَالح(٣)" وصححه ابن خزيمة في "صحيحه" (٩٨٢) ، وابن حبان في "صحيحه" (٧١٦٠) ، وحسَّن إسناده النووي في "خلاصة الأحكام" (٧٥٠/٢) ، والعراقي في "طرح التثريب" (١٥٠/٣) ، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٤٣٧/٢) ، وقال الحافظ ابن كثير : " إسناده لا بأس به " انتهى من " إرشاد الفقيه" (١٨٨/١).

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، انْعَتْهُ لِي ؛ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُهُ، فَنَعَتَهُ لَهُ ، فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ هِبْتَهُ، فَقَالَ: مَا هِبْتُ شَيْئًا قَطُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَخَرَجَ حَتَّى لَقِيَهُ خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ يُرِيدُ عُرَنَةَ ، فَلَمَّا لَقِيَهُ ابْنُ نُبَيْحٍ قَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ هَا هُنَا؟ قَالَ: جِئْتُ فِي طَلَبِ قَلَائِصَ .

وَكَانَ ابْنُ أُنَيْسٍ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فِي مَكَانٍ خَبَّأَهَا فِيهِ ، فَمَرَّ يُمَاشِيهِ سَاعَةً وَيُسَائِلُهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنْهُ كَأَنَّهُ يُصْلِحُ شَيْئًا، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ رِجْلَهُ ، قَالَ ابْنُ أُنَيْسٍ: فَأَخَذَ رِجْلَ نَفْسِهِ فَرَمَانِي بِهَا، فَلَوْ أَصَابَتْنِي لَأَوْجَعَتْنِي ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ بِرَأْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وهذه الرواية معضلة ، حيث لم يذكر الإمام مالك سنده فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الواقدي في "المغازي فقال: حَدّثَنَا إسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: " بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنّ سُفْيَانَ بْنَ خَالِدِ بْنِ نُبَيْحٍ الْهُذَلِيّ ، وَكَانَ نَزَلَ عُرَنَةَ وَمَا حَوْلَهَا فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ ، فَجَمَعَ الْجُمُوعَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُنَيْسٍ ، فَبَعَثَهُ سَرِيّةً وَحْدَهُ إلَيْهِ لِيَقْتُلَهُ ،... قال عبد الله : فَجَلَسْت مَعَهُ ، حَتّى إذَا هَدَأَ النّاسُ وَنَامُوا وَهَدَأَ، اغْتَرَرْته فَقَتَلْته وَأَخَذْت رَأْسَهُ ...حَتّى جِئْت الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدْت رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمّا رَآنِي قَالَ: أَفْلَحَ الْوَجْهُ! قُلْت: أَفْلَحَ وَجْهُك يَا رَسُولَ اللهِ! فَوَضَعْت رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخْبَرْته خَبَرِي) ، وإسناد هذه الرواية ضعيف جدا ، فالواقدي حكم عليه جمعٌ من الأئمة بالكذب ، منهم الإمام أحمد ، وقال الحافظ الذهبي : " واستقر الاجماع على وهن الواقدي[2] ، ثم إن موسى بن جبير من أتباع التابعين ولم يذكر سنده في هذه الرواية ، والروايات الصحيحة ليس فيها إلا أن عبد الله بن أنيس قتله ، دون قطع رأسه وحمله للنبي صلى الله عليه وسلم ،ولذلك فهذه الزيادة في الحديث: منكرة .

---

(١) ابن شبة ، تاريخ المدينة ، ج٢ ، ص ٤٦٧ .
(٢) الذهبي ،ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص ٦٦٦

وجميع الروايات التي فيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم حُملت له بعض رؤوس أعدائه ، كإتيانه برأس كعب بن الأشرف ، أو الأسود العنسي ، أو رأس رفاعة بن قيس ، واحتزاز ابن مسعود لرأس أبي جهل في غزوة بدر : جميع هذه الروايات ضعيفة ، ولا يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم حُمل إليه شيء منها ، وإنما الثابت قتلهم فحسب .

قال الإمام أبو داود السجستاني في المراسيل: : (فِي هَذَا أَحَادِيثُ عَن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم ، وَلَا يَصِحُّ مِنْهَا شَيْءٌ)[١]،وروى النسائي في السنن الكبرى سند صحيح كما قال الحافظ في "التلخيص عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَشُرَحْبِيلَ ابْنَ حَسَنَةَ، بَعَثَاهُ بَرِيدًا [أي : رسولا مسرعا بِرَأْسِ (يَنَّاقِ الْبِطْرِيقِ) إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالرَّأْسِ : أَنْكَرَهُ [٢]، فَقَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِنَا ، فقَالَ: " أَفَاسْتِنَانًا بِفَارِسَ وَالرُّومِ ؟ لَا يُحْمَلَنَّ إِلَيَّ رَأْسٌ ، فَإِنَّمَا يَكْفِينِي الْكِتَابُ والْخَبَرُ[١] .

وفي رواية أخرى عند البيهقي في السنن الكبرى أنه قال: (إِنَّمَا هَذِهِ سُنَّةُ الْعَجَمِ) ، وفي سنن سعيد بن منصور عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: (لَمْ يُحْمَلْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسٌ قَطُّ ، وَلَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَحُمِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَأْسٌ ، فَأَنْكَرَهُ[٣] ، والله أعلم)[٤] .

إذن ومن خلال ما تقدم نقول :

١- أن كل الروايات التي تذكر أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يأتونه برؤوس أعدائه مقطوعة هي روايات مكذوبة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ساروا على سيرته فلم يثبت عنهم أنهم استقبلوا رؤوس أعدائهم مقطوعة .

٣- لا يصح في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيرة خلفائه أنهم قطعوا شجرا أو حرقوا زرعا ، كما تعج به كتب السيرة التي وضع غالبها الكذابون من الروافض .

---

(١) أبو داود السجستاني ،"المراسيل ، ص ٣٢٨

(٢) النسائي ، السنن الكبرى ، رقم ٨٦٢٠ ، الحافظ ابن حجر ، التلخيص .، ج٤ ، ص ٢٠١ .

(٣) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص ١٣٢ ، وسنن ابن منصور ، رقم ٢٦٥١ .

(٤) الشيخ المنجد الإسلام سؤال وجوال ، في ٦ / ٣ / ٢٠١٥ م.

س٥٧: لماذا جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين أكثر من أربع نساء والإسلام لم يحل للمسلم الجمع بين أكثر من أربع ؟ وما القول لمن قال إن الإسلام أباح الجمع بين تسع نساء لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، بعد أن جمع المثنى والثلاث والرباع على العدد تسعة؟.

ج٥٧: نَصَّ القرآن العظيم على جواز أن يجمع المسلم بين أربع زوجات في وقت واحد، وأقرَّ النبيَّ أن يُبقي على زوجاته –علماً أن عددهنَّ أكثر من أربع دون جريان حُكْم الإبقاء على أربع زوجات عليه . فرأى المستشرقون – خصوصاً– وباقي أعداء الإسلام ما يظنونه مدخلاً لهم في الطَّعْن بالرسالة والرسول من خلال نظام تعدد الزوجات في الإسلام وجمعه بين أكثر من أربع زوجات .

ويمكن إجمال الردِّ على هذه الشبهة من خلال النقاط التالية:

١- لم يكن فعل النبي بدعاً من أفعال الأنبياء، فقد بيَّن القرآن العظيم أن تَزَوُّج النبي النساء لا يتعارض مع نبوته. قال تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّة ....(٣٨))[(١)] ، فمن الأنبياء من جمع بين أكثر من زوجة[(٢)].

٢- بعث الله رسوله في بيئة تعرف التعدد؛ بل لم يكن لديهم حدٌّ مُعَيَّنٌ من العدد يقفون عنده، واستمر الأمر بهم على هذا الحال إلى أن نزل القرآن بتحديد الجمع بين أربع زوجات فقط، وكان ذلك في السنة الثامنة للهجرة أي بعد تزوج النبي من جميع زوجاته، فكانت آخرهن ميمونة ، التي تزوجها النبي في عُمْرَة القضاء سنة سبعٍ من الهجرة.

٣- جعل القرآن العظيم الإباحة عند أتباع الرسول إباحة عدد بينما النبي ليس له العدد، وإنما المعدود. والفرق بين العدد والمعدود: أن المعدود إنما أبيح للرسول بذاته، بحيث لو ماتت واحدة من زوجاته لا يأتي بواحدة مكانها، بينما تابعُ الرسول إن ماتت واحدة من زوجاته أو طلَّقها يأتي بأخرى مكانها ما دام قد أبيح له المعدود

(١) سورة الرعد
(٢) الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٠ ، ص ٦٩

،فإن تلك بخصوصيته كما قال تعالى: (لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنّ ....(٥٢)َ)[1] ، وهذا الحُكْم ليس لتابع من أتباع النبي ، إذ يمكن أن يدور عند تابع النبي العدد أربعة، فقد يتزوج أربعة ثم يطلقهن، ثم يتزوج غيرهن، بينما النبي لا يستطيع أن يتزوج غير زوجاته الموجودات ولا بواحدة؛ حتى لو مُتْن جميعاً[1] .

٤- قد يكون في إبقاء النبي لزوجاته جميعاً خصوصية لهنَّ أيضاً؛ لأن القرآن العظيم حرَّم على المسلمين نكاح زوجات النبي من بعده، وجعلهن أمهات المؤمنين، فإذا افترضنا أن النبي أبقى على أربع زوجات، وسرَّح الأخريات، فحينها لا يجوز لأي مسلم أن يتزوجهنَّ لأنهن أمهاتهم؛ فيحصل بذلك إضرار بهنَّ لمنعهن الزواج من غيره .

٥- ومن جهة أخرى: إذا أُمِر من كان عنده أكثر من أربع زوجات أن يمسك على أربعٍ منهن ويفارق الباقي، فإن من فارقها تجد في المسلمين من يساوي أو يفضل زوجها فتنكحه، لكن كيف يمكن أن تحظى امرأة من زوجات النبي بمثل هذه المنقبة عند غيره؟! أنها زوجة نبيٍّ!!

٦- بالنسبة لمن زعم أن الرسول رجلٌ غارق في حُبِّ النساء، وأنه مطواع لِسَوْقِ غرائزه له، أقول لهم: تزوج النبي خديجة وهو ابن خمسٍ وعشرين سنة، وكانت ثيباً في الأربعين من عمرها، ولم يَعْرِف رسول الله النساء قبلها أبداً، ولم يَمَسَّ لحمه لحم امرأة لا تحل له، فبقي مع خديجة خمساً وعشرين سنة، دون أن يتزوج عليها قبل نبوته -وهو من أجلِّ قريش نسباً ومكانة- ولا بعدها، فلو كان شهوانيّاً لما أنفق شبابه على امرأة تزيد عنه في العمر هذه المدة الطويلة دون أن يتزوج غيرها، ولا شيء يمنعه من ذلك.

ثم يتزوج من سودة بنت زمعة ، تلك المرأة الثَّيِّب التي لم تَشْتَهِر بصباها وجمالها،

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) الشعراوي، دروس في بناء الأسرة المسلمة، ص١٧-٢٦.

إلى أن تزوج عائشة وهي الزوجة البِكْر الوحيدة من بين زوجاته ، تزوجها وقد دخل في السنة الثالثة والخمسين من عمره، ثم بعدها بنى بباقي زوجاته ، ولكل زواج حكاية عجيبة وهدف نبيل.

أين يكون اتباع الشهوة والجري وراءها في زوجات تزوجهن النبي في هذه السِّنِّ المتأخرة، ومن نساء ثيبات إلا واحدة، ولم يعرف عنهن في غالبهن جمال وشباب؟! ويظهر ذلك من خلال أحاديث وروايات فيها إشارات لما قلته؛ ليس من الأدب ذكرها في معرض الكلام هنا!

أين يكون اتباع الشهوة والجري وراءها في شخص جمع بين هذا العدد من النسوة – اللاتي عرفنا من حالهن– قبل لحاقه بربه بثماني سنين، جمع فيها بين جهد الدعوة والجهاد وتنظيم أمور الدولة والعبادة و..؟! لا أدري أين تكون الشهوة بين هذا الكَمِّ الكبير من المسؤوليات والأعباء!

أين يكون اتباع الشهوة والجري وراءها في حياة من إذا نام أَثَّرَ الحَصِير في جنبه؟! ويعيش وزوجاته في بيوت لا توقد فيها النار شهرين، لا يجد أهلها طعاماً غير التمر والماء، ويأتي ضيف إلى رسول الله ، فيذهب النبي العظيم إلى بيوت نسائه فلا يجد ما يطعم به ضيفه؛ فَيُحَوِّلُهُ إلى أحد أصحابه!

قال العقاد: "لقد أقام زوجات النبي في بيت لا يجدن فيه من الرَّغَد ما يجده الزوجات في بيوت الكثيرين من الرجال، مسلمين كانوا أو مشركين. وعلى هذا الشرف الذي لا يدانيه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات، شَقَّت عليهن شدَّة العيش في بيت لا يُصِبْن فيه من الطعام والزينة فوق الكفاف، والقناعة بأيسر اليسير، فاتفقن على مفاتحته في الأمر، واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة، وهي موفورة لديه لو شاء أن يزيد في حصته من الفيء، فلا يعترضه أحد ولا يحاسبه عليه ، إلا أن الرجل المحَكَّم في الأنفس والأموال سيد الجزيرة العربية لم يستطع أن يزيدهن على نصيبه ونصيبهن من الطعام والزينة، فأمهلهن شهراً وخيَّرهن بعده أن يفارقنه، ولهن منه حق المرأة المفارقة من المتاع والحسنى، أو يَقْبَلْنَ ما قَبِلَه لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف.

ومن وقف على أسباب التنزيل، وليس بينها ما هو أشهر في كتب التفسير من أسباب نزول هذه الآيات من سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً (٢٨) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الله وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ الله أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً (٢٩) ﴾[١] تبيّن له أن النبي لا يلتفت إلى الشهوة؛ فضلاً عن الجري وراءها.

يقول العقاد رحمه الله : أقول للمبشرين المحترفين ولعاً بالتفتيش عن خفايا السيرة النبوية: خليق أن يُطَّلَع على تفاصيل هذا الحادث بحذافيره؛ لأنه ورد في القرآن الكريم خاصّاً بالمسألة التي يتكالب المبشرون المحترفون على استقصاء أخبارها، وإحصاء شواردها، وهي مسألة الزواج وتعدد الزوجات[٢].

لم يكن زواجه من زوجاته واختياره لهن لأجل الشهوة ولو مرة واحدة، فالذي يتتبع كيف تزوجهن ولماذا تزوجهن يرى فعلاً أن الشهوة ليست الدافع وراء زواجه منهن، وإنما كانت صلة الرحم ورفع المهانة هي الباعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الزواج بهن، ومعظمهن كنَّ أرامل فقدن الأزواج أو الأولياء.

تزوج النبي سودة بنت زمعة بعد موت خديجة ، فبعد أن مات زوج سودة، لم تقدر أن ترجع إلى أهلها الكفار، وقد فرّت بدينها من قبل خوفاً منهم أن يعيدوها إلى الشرك، ولم يكن من يكفلها، فكفلها النبي بأن تزوجها.

ثم بعد شهر عقد على عائشة ، والحكمة في ذلك كالحكمة في التزوج من حفصة ، وهي إكرام صاحبيه -أبي بكر وعمر - بمصاهرته لهما

وأما التزوج بزينب بنت جحش فالحكمة فيه تعلو كل حكمة، وهي إبطال تلك البدع في الجاهلية التي كانت لاحقة ببدعة التبني كتحريم التزوج بزوجة المتبنى بعده.

---

(١) سورة الأحزاب ،. للوقوف على تفصيل سبب نزول الآية ينظر: تفسير أبي السعود (٢٢٢/٥)، وابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢٢/٦).
(٢) عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص١٣١-١٣٢.

وتزوج النبي بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري، فأراد أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى، فتزوج بسيدتهم؛ فقال الصحابة عليهم الرضوان: أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم وأعتقوهم؛ فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون.

وقبل ذلك تزوج بزينب بنت خزيمة بعد أن قُتل زوجها عبدالله بن جحش، وذلك لفضلها وعطفها على المساكين، فكان زواجه مكافأة لها، وهذه ماتت في حياته.

وتزوج بعدها أم سلمة ، وكان زوجها قبل النبي عبدالله أبو سلمة ابن عمة النبي وأخوه من الرضاعة-، ترك لها أيتاماً صغاراً، فتزوجها النبي واحتضن أولادها.

وأما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان فكان مواساة لها بعد تَنَصُّر زوجها أثناء هجرتها في الحبشة، وهو أيضاً من باب التقريب بين قومها – خصوصاً أبوها – وبين الإسلام.

وتظهر حكمة زواجه من صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من قول الصحابة لرسول الله : إنها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك، فاستحسن رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة؛ بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها؛ فأعتقها وتزوجها.

وكانت ميمونة بنت الحارث آخر أزواجه ، والذي زوجها منه هو عمه العباس، وهي خالة عبدالله بن عباس وخالد بن الوليد.

ولعل الحكمة في تزوجه بها تَشَعُّب قرابتها في بني هاشم وبني مخزوم ، فلو كان أراد بتعدد الزواج ما يراه الملوك والأمراء من التمتع بالحلال فقط لاختار حسان الأبكار على أولئك الثيبات المكتهلات، كما قال لمن اختار ثيباً:

هلاّ بكراً تلاعبها وتلاعبك" والحديث في "الصحيحين" قاله لجابر بن عبدالله[1] .

٧- ١- كان لتزوجه منهن هدف آخر عظيم؛ وهو تبليغ الدعوة، لا سيما أنه النبي الخاتم، خصوصاً في الأمور التي تتعلق بأحكام النساء ويتحرج من ذكرها الرجال.

---

(١) عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، ص١٣١-١٣٢.

وزوجات الرسول خير معاون على تبليغ الرسالة باعتبارهنَّ المصدر الأساسي في الوقوف على خصائص بيت النبوة وأسراره الداخلية والتشريعية، ومعرفة دقائق الأحكام، وخاصة فيما يتعلق بأحكام النساء، مما هو مناط التشريع، حيث لا يصلح أحد غيرهن في الوقوف على ما يريده الرسول دون حياء، أو تردد من الإفضاء به، لما يرافقه من الحساسية التي يتورع الرجل أن يتباسط فيها مع النساء الغريبات عنه، ومن هنا كانت زوجات الرسول مشاعل حكمة ورسل دعوة"[١].

وبعد أن تبين الرشد من الغي، لا يسع المسلم إلا أن يفخر بدينه وبنبيه الكريم ، الذي قال الله عنه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً...(٢١))[٢]،[٣] .

وأما القول لمن قال إن الإسلام أباح الجمع بين تسع نساء لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، بعد أن جمع المثنى والثلاث والرباع على العدد تسعة: قال الله تعالى : (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا(٣))[٤] ، وهذه الآية الكريمة دلت على أن أكثر ما يتزوجه الرجل من النساء : أربع ، وهو ما فهمه العلماء منها ، وذلك من عدة وجوه :

١- أن الآية لم تذكر أكثر من أربع ، فيدل ذلك على أنه لا يجوز للرجل أن يتجاوز هذا العدد ، كما لو قيل :

(قسِّم هذه الدراهم بين هؤلاء الرجال درهمين ...درهمين وثلاثة... ثلاثة ،وأربعة.... أربعة ، لم يكن له أن يعطي أحدا أكثر من أربعة).

---

(١) أبو ليلى، الزواج وبناء الأسرة، ص٢٣٢.
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) علي شهوان ملتقى اهل التفسير٢٠٠٩/١٢/٢٨
(٤) سورة النساء .

٢- لو كانت الآية تدل على عدم الحصر بعدد معين ، لكان ذكر العدد في الآية لغو لا فائدة منه ، لأن العموم مستفاد من قوله : (ما طاب لكم من النساء) .

٣- أن الآية سيقت في معرض الامتنان على الرجال بما أحل الله لهم ، فلو جاز للرجل أن يتزوج أكثر من أربع ، لكان ذكره في الآية أولى ، لأنه كلما كثرت النعم والمباحات ، كانت المنة أتم .

قال أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى :" (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) فظاهر هذا التخصيص : تقسيم المنكوحات إلى : أن لنا أن نتزوج اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، ولا يجوز لنا أن نتزوج خمسة خمسة ، ولا ما بعد ذلك من الأعداد . وذلك كما تقول : اقسم الدراهم بين الزيدين ، درهمين درهمين ، وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، فمعنى ذلك : أن تقع القسمة على هذا التفصيل دون غيره ، فلا يجوز لنا أن نعطي أحدا من المقسوم عليهم خمسة خمسة[(١)]

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى :" المقام مقام امتنان وإباحة ، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره[(٢)].

وأما السنة النبوية فقد أكدت هذا الحكم وبينت أن الآية تدل على أنه لا يجوز للرجل أن يتجاوز هذا العدد :

١- روى الترمذي ، وابن ماجه عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ : " أَنَّ غَيْلَانَ بْنَ سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أَسْلَمَ وَلَهُ عَشْرُ نِسْوَةٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، فَأَسْلَمْنَ مَعَهُ ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْبَعًا مِنْهُنَّ [(٣)] .

٢- قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى :" وبالجملة فالحديث صحيح بمجموع طريقيه عن سالم عن ابن عمر . وقد صححه ابن حبان والحاكم والبيهقى وابن القطان ، لاسيما

---

(١) أبو حيان الغرناطي ، البحر المحيط ، ج٣ ، ص١٧١ .
(٢) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٢٠٩ .
(٣) الترمذي رقم الحديث (١١٢٨)، ابن ماجه رقم الحديث (١٩٥٣)

وفى معناه أحاديث أخرى[1] .

٣- قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهن في بقاء العشرة وقد أسلمن معه ، فلما أمره بإمساك أربع وفراق سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال ، وإذا كان هذا في الدوام ، ففي الاستئناف بطريق الأولى والأحرى ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب[2] .

وقد جاءت أحاديث أخرى بهذا المعنى:

١- فعَنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ الْأَسَدِيِّ أو قَيْسُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : " أَسْلَمْتُ وَعِنْدِي ثَمَان نِسْوَةٍ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا)[3] .

٢- وروى الشافعي في كتابه (الأم) بسنده عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ قَالَ : " أَسْلَمْت وَعِنْدِي خَمْسُ نِسْوَةٍ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمْسِكْ أَرْبَعًا أَيَّتُهُنَّ شِئْت وَفَارِقْ الْأُخْرَى [4].

٣- قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه كلها شواهد بصحة ما تقدم من حديث غيلان كما قاله الحافظ أبو بكر البيهقي ، رحمه الله[5] .

٤- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :" فدلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن انتهاء الله عز وجل في العدد بالنكاح إلى أربع ، تحريم أن يجمع رجل بنكاح بين أكثر من أربع [6] ..

---

(١) الألباني ، إرواء الغليل ،ج٦ ، ص ٢٩٤ .
(٢) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٢١١ .
(٣) أبو داود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٢٢٤١ ، والألباني ، إرواء الغليل ، ج٦ ، ص ٢٩٥.
(٤) الشافعي ، الأم ، ج٥ ، ص ٦٥٢
(٥) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٢١٢ .
(٦) الشافعي ، الأم ، ج٦ ، ص ١٣١ .

وأما الإجماع ، فقد نقله عدد من أهل العلم ، على أنه لا يجوز للرجل أن يتجاوز هذا العدد:

١- قال ابن حزم رحمه الله تعالى :" واتفقوا على أن نكاح أكثر من أربع زوجات ، لا يحل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] .

٢- قال البغوي رحمه الله تعالى : وهذا إجماع : أن أحدا من الأمة لا يجوز له أن يزيد على أربع نسوة ، وكانت الزيادة من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، لا مشاركة معه لأحد من الأمة فيها[٢] .

٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وهو يذكر مفاسد القول بجواز التحليل : ومنها : أنه يجمع ماءه في أكثر من أربع نسوة ، بل أكثر من عشر ، وهو ما أجمع الصحابة على تحريمه [٣].

أما الاستدلال بزواج النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ، فهو استدلال باطل لأن السنة وإجماع الأمة ، قد بينا أن هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، كما مرّ بيان ذلك ، والله تعالى يقول :(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥))[٤].

أما قول الله تعالى :(الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١))[٥] ، فهذه الآية لا يصح الاعتراض بها على الاستدلال السابق ، لأن الآية نفسها قد جاء فيها ما يشير إلى أنه يوجد من الملائكة من له أجنحة أكثر من هذا العدد ، وذلك في قوله تعالى : (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) .قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى :" وذلك زيادته تبارك وتعالى في

---

(١) ابن حزم ، مراتب الإجماع ، ص ١١٥

(٢) البغوي ، ج٢ ، ص ١٦١ .

(٣) ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، ج٦ ، ص ٢٦٤ .

(٤) سورة النساء .

(٥) سورة فاطر .

خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء ، ونقصانه عن الآخر ما أحب ، وكذلك ذلك في جميع خلقه ، يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه ، وينقص ما شاء من خلق ما شاء ، له الخلق والأمر ، وله القدرة والسلطان[1] .

كما بيّنت السنة النبوية أن من الملائكة من له أجنحة أكثر من أربع ، كذلك بيّنت أنه لا يجوز للرجل أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات .فيجب علينا الرجوع إلى السنة في فهم القرآن في جميع الأحوال ولا نتخيّر ونتبع الهوى ، أما حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ : أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا ، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ)[2] فليس فيه دلالة على جواز الجمع بين أكثر من أربع زوجات ، للآتي :

١- الحديث في مقام الإخبار عن فتن آخر الزمان ، وليس في مقام بيان المباحات ، فالحديث فيه (**وَيَظْهَرَ الزِّنَا**) فهل يستدل به عاقل على إباحة الزنا ؟!

٢- لفظة " القيّم " لا تطلق على الزوج فقط ؛ بل على كل من يقوم على شؤون المرأة وقضاء مصالحها ، فالرجل يجتمع عنده من البنات وبناتهن ومحارمه : ما يصل إلى الخمسين نفسا ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :" وقال القرطبي في التذكرة : يحتمل أن يراد بالقيم من يقوم عليهن ، سواء كن موطوءات أم لا ، ويحتمل أن يكون ذلك يقع في الزمان الذي لا يبقى فيه من يقول الله الله ، فيتزوج الواحد بغير عدد جهلا بالحكم الشرعي، وقد وجد ذلك من بعض أمراء التركمان وغيرهم من أهل هذا الزمان ، مع دعواه الإسلام [3]،[4] .

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٩ ، ص ٣٢٧ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٨١ ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٧١
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ١٧٩ .
(٤) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٨-٠٨-٢٠١٥ م.

أما نساؤه صلى الله عليه وسلم فهن :

١- خديجة بنت خويلد ، وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى، من قريش: زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولى، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة، ولدت وتوفيت بمكة، ونشأت في بيت شرف ويسار، فكانت صاحبة خلق وصاحبة عفة وفضيلة، كانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، فكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تجارة لها ولمَّا رأت فيه من الصفات العظيمة والحميدة أرسلت له من عرض عليه الزواج بها فقبل صلى الله عليه وسلم وتزوجها، فولدت له من الأبناء القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم كلهم منها، غير إبراهيم ابن مارية القبطية، ولما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها إلى الإسلام، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء، ومكثا يصليان سرا إلى أن ظهرت الدعوة، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها.

٢- سودة بنت زمعة بعد أن توفيت السيدة خديجة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس، وكانت في الجاهلية زوجة لابن عمها السكران بن عمرو بن عبد شمس، وأسلمت مع زوجها، وهاجرا إلى الحبشة، ولمَّا توفي عنها زوجها خاف عليها النبي صلى الله من كفار قريش فتزوجها تكريم لها وحماية لدينها من الفتنة، وتوفيت في المدينة.

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق الزوجة الثالثة التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، وهي الوحيدة التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بكرًا، فعن عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ المَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّه، يُمْضِهِ مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل عائشة (٦٤٣٦). ، وهي أفقه نساء

المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب، وكانت أحب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إليه، وأكثرهن رواية للحديث عنه، ولها خطب ومواقف، وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، وكانت ممن حضر وقعة الجمل بموقفها المعروف، وتوفيت في المدينة وروي عنها ٢٢١٠ أحاديث.

٤- حفصة بنت عمر وهي : حفصة بنت عمر بن الخطاب: صحابية جليلة صالحة، ولدت بمكة وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، ولمَّا ظهر الإسلام أسلما معًا وهاجرا إلى المدينة فمات عنها، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيها وتزوجها، قال عمر بعد أن ترملت حفصة: أتيت عثمان بن عفان وقلت له: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر في أمري، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبابكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يرجع إليَّ شيئاً، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه، فجاء أبو بكر وقال: لم يمنعني أن أرجع إليك إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله قبلتها، واستمرت حفصة في المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفيت بها، وروى لها البخاري ومسلم في الصحيحين ٦٠ حديثا.

٥- زينب بنت خزيمة و هي زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية: كانت تسمى أم المساكين، لكثرة إطعامها لهم وصدقتها عليهم رحمتها ورقتها بهم، كانت زوجة لعبد الله بن جحش، فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها لم تلبث إلا قليلا معه فماتت بعد الزواج بشهرين أو ثلاثة أشهر.

٦- أم سلمة وهي أم سلمة هند بنت أبي أمية، وهي قديمة الإسلام، هاجرت مع زوجها الأول أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة إلى الحبشة، ثم رجعا إلى مكة، ثم هاجرا إلى المدينة، ولمَّا مات عنها زوجها خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها، وكانت

من أكمل النساء عقلًا وخلقًا وكان لها يوم الحديبية رأي أشارت به على النبي صلى الله عليه وسلم دل على وفور عقلها، وبلغ ما روته من الحديث ٣٧٨ حديثًا وكانت وفاتها بالمدينة ودفنت بالبقيع.

٧- زينب بنت جحش وهي زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، إحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة فطلقها، فأنزل الله تعالى يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا.....(٣٧))[1] فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان اسمها بَرّةُ فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها زينب.

٨- جويرية بنت الحارث وهي ، جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، من خزاعة: كان أبوها سيد قومه في الجاهلية، فسبيت في غزوة بني المصطلق ووقعت في نصيب الأنصاري ثابت بن قيس، فأدى الرسول عنها مكاتبتها لثابت بن قيس، وعرض عليها الزواج بعد أن أسلمت وتزوجها صلى الله عليه وسلم، وكان اسمها بَرّةُ فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية، وكانت من فضليات النساء أدبا وفصاحة، روى لها البخاري ومسلم وغيرهما سبعة أحاديث، وتوفيت في المدينة.

٩- صفية بنت حيي بن أخطب ، وهي صفية بنت حيي بن أخطب، كان أبوها سيد بني النضير، كانت ممن سبي خيبر، فأسلمت واصطفاها النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه وأعتقها وتزوجها، وهي من سلالة الأنبياء هارون وموسى عليهما السلام، توفيت في المدينة لها في كتب الحديث ١٠ أحاديث.

١٠- أم حبيبة ، هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ابن أمية: وهي أخت معاوية، كانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة، تزوجها أولا عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، ثم ارتد زوجها عن الإسلام فأعرضت عنه

---

(١) سورة الأحزاب .

١١- إلى أن مات، ولمَّا توفي زوجها أرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبها وعهد للنجاشي ملك الحبشة بعقد نكاحه عليها، ثم رجعت إلى المدينة لتأخذ مكانها بين أمهات المؤمنين، توفيت بالمدينة، ولها في كتب الحديث ٦٥ حديثا.

١٢- ميمونة بنت الحارث ، وهي ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية: كانت ممن بايع بمكة قبل الهجرة، وكانت متزوجة في الجاهلية من مسعود بن عروة الثقفي ففارقها، ثم تزوجها في الإسلام أبو رهم بن عبد العزى، فمات عنها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي آخر امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من مات من زوجاته، وكان اسمها بَرّةُ فسماها ميمونة، وروت عنه ٧٦ حديثا. وتوفيت في الموضع الذي كان فيه زواجها بالنبي صلى الله عليه ودفنت به[١].

من إمائه :

١- ماريَّة بنت شمعون القبطية آخر زوجات الرسول محمد بن عبد الله، بعث بها الملك المقوقس للنبي محمد سنة ٧ هـ مع حاطب بن أبي بلتعة فعرض عليها الإسلام فأسلمت، فاتخذها سرية ولم يعقد عليها، لذلك يرى بعض الفقهاء من أهل السنة والجماعة أنها أخذت حُكم أمهات المؤمنين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن تُعد منهن ، وولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، بل كانت أمَة له ، وكان قد أهداها له المقوقس صاحب مصر ، وذلك بعد صلح الحديبية ، وقد كانت مارية القبطيَّة نصرانيَّة ثم أسلمت رضي الله عنها .

قال ابن سعد : فأنزلها – يعني مارية القبطية – رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) للاستزادة ، انظر ابن هشام: السيرة النبوية، مصطفى السقا، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ= ١٩٥٥م، ٢/ ٦٤٣- ٦٤٧، وابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٦م، ٤/ ٥٧٩- ٦١٥، وتقي الدين المقريزي: إمتاع الأسماع، تحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م، ٦/ ٩٢، ١٣٣، وصفي الرحمن المباركفوري: الرحيق المختوم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ص٤٣٤- ٤٧٤. والزركلي: الأعلام، ومحمد بن صامل السلمي: صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر، مكتبة روائع المملكة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م. ص٣٠٥- ٣٠٩.

وأختها على أم سليم بنت ملحان فدخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهما الإسلام فأسلمتا فوطئ مارية بالملك وحولها إلى مال له بالعالية ... وكانت حسنة الدِّين[1].

وقال ابن عبد البر :وتوفيت مارية في خلافة عمر بن الخطاب ، وذلك في المحرم من سنة ست عشرة ، وكان عمر يحشر النَّاس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر ، ودفنت بالبقيع [2]..

ومارية رضي الله عنها من إمائه صلَّى الله عليه وسلَّم ، لا من أزواجه وأمهات المؤمنين هن أزوج النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال الله تعالى : (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..... (٦)) [3].

وقد كان للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم أربع إماء ، منهم مارية .

٢- ريحانة هي ريحانة بنت زيد بن عمرو، وقيل: ريحانة بنت زيد بن عمر خنافة بن شمعون بن زيد من بني النضير[4] .

قصة إسلام ريحانة :كانت ريحانة متزوجةً رجلًا من بني قريظة يُقال له: الحكم. وكان زوجها محبًّا لها يُكرمها ويُحسن إليها، وقد كانت امرأةً جميلة تحظى بمكانة رفيعة في قومها، وكانت معروفة بكمال عقلها، وحسن تدبرها للأمور، فلما وقع السبي على بني قريظة سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنَّها أبت إلَّا اليهوديَّة ولم ترضَ الإسلام، فوجد رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلم في نفسه، فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فبشره وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول اللَّه، بل تتركني في ملكك، فهو أخفّ عليَّ وعليك، فتركها[5].

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .
(٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص ١٩١٢ .
(٣) سورة الأحزاب .
(٤) المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٦ ، ص ١٣١ .
(٥) المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٦ ، ص ١٣٢ ، ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص ٣٠٦ .

٣- جارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبي .

٤- جارية وهبتها له زينب بنت جحش[(١)، (٢)] .

زوجات عقد عليهن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بهن:

بعدما ذُكِرَت أسماء زوجات الرسول اللاتي تزَّوجَهن ودخلَ بهن، سيأتي الآن ذِّكر أسماء زوجات الرسول اللاتي لم يدخل بهنَّ، وطَلقهنَّ قبل الدخول، وأمّا بعد الدخول فقد طلق النبي صلّى الله عليه وسلّم زوجةً واحدةً وهي حفصةُ رضي الله عنها وأرّجعها بعدما أوحي إليه إرجاعها أما من عقد عليهنَّ ولم يدخل بهن[(٣)] ابنة الجون: روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قد طلقها بعدما عَقَدَ عليها، وكان قد دخل عليها فاستعاذت منه، فطلقها لأنها استعاذت منه، وقال لها "لقد عُذتِ بعظيم[(٤)] فاطمة بنت الضحاك: طلقها النبي صلّى الله عليه وسلّم لأنه وجدَ بها بياضاً. أميمة بنت شراحيل: بعد أن عقد عليها النبي صلّى الله عليه وسلّم ودخلت إليه، مدَّ النبي صلّى الله عليه وسلّم يده إليها، فشعر أنها كرهت ذلك، فطلقها.

قال الحافظ أبو محمد المقدسي و غيره: وعقد على سبعةٍ، ولم يدخل بهن.

فالصلاة على أزواجه تابعة له لاحترامهن وتحريمهن على الأمة، وأنهن نساؤه في الدنيا والآخرة، فمن فارقها في حياتها ولم يدخل بها لا يثبت لها أحكام زوجاته اللاتي دخل بهن ومات عنهن، صلى الله عليه وعلى أزواجه وذريته وسلم تسليماً.

وبعد أن ذكرنا نُبذة مختصرة عن أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم اللاتي دخل بهن فإننا نذكر كذلك أزواجه اللاتي لم يدخل بهن ، وهنَّ:

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ،ج١ ، ص ١١٤

(٢) الاسلام سؤال وجواب تاريخ النشر : ٣٠-٠٨-٢٠٠٤

(٣) المغني ، ابن قدامة ، ج٧ ، ص ١٥١ .

(٤) الطبراني ، المعجم الكبير ، رقم الحديث ١٨٥٢٠

١- عمرة الكلابيَّة: بنت يزيد بن رواس بن كلاب. بلغ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن بها بياضاً، فطلّقها –صلى الله عليه وسلم– ولم يدخل بها[(١)].

٢- قُتيلة الكندّية :بنت قيس بن معدي كرب بن جبلة الكندّية، أخت الأشعث بن قيس، قُبض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قبل خروجها إليه من اليمن، فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل، وكانت سبب تزوجه إياها : أن الأشعث قال للنبي –لما بلغه تَعوَّذ أسماء منه–: والله يا رسول الله لأزوجنك من هي أشرف وأجمل وأنبت منها، فزوَّجه قتيلة أخته.[(٢)] .

٣- سَنَا السُّلَميّة بنت أسماء بن الصَّلت بن حبيب بن جابر بن حارثة بن هلال بن حرام بن سَمَّال بن عوف السُلمي، ماتت قبل أن يصل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)].

٤- شَرَافُ الكَلبيَّةُ :أخت دِحية الكلبي الذي كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– على صورته، ماتت قبل دخول النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها[(٤)].

٥- العاليّةُ الكلابية :بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن عبيد بن أبي بكر بن كلاب. روي أنها مكثت عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما شاء الله ثم طلّقها عليه الصلاة والسلام[(٥)] .

٦- ليلى الأوسيّةُ: بنت الخطيم الأوسي، أتته وهو غافل، فتخطت منكبه، فقال: (من هذا أكله الأسد؟) قالت: أنا ليلى بنت الخطيم، بنت مطعم الطير، جئتك لأعرض عليك نفسي، قال: قد قبلتُك. فرجعت إلى أهلها، فقلن لها: إن رسول الله صلى الله

---

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٧ ، ص ٢٠٥ ، مختصر تاريخ دمشق ، ج٢،ص ٢٧٠

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص ١٤٧- ١٤٨ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٧ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٣) ابن الأثير ، أسجد الغابة ، ج ٧ ، ص ١٥٣ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص ١٤٩ .

(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٧ ، ص ١٦١ .

(٥) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٨٨ .

عليه وسلم كثير الضَّرائر وأنت امرأة غيور، ولسنا نأمن أن تغضبيه فيدعو عليك، فأتته، فأقالها، فدخلت حيطان المدينة فشدَّ عليها الأسد فأكلها[1].

٧- الجونيّة الكندية :ليست بأسماء بنت النُّعمان، كان أبو أسيد الساعدي قدم بها عليه، فتولّت عائشةُ وحفصة مشطها وإصلاح أمرها، وقالت إحداهما لها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم- يعجبه من المرأة إذا دخلت أن تقول: أعوذ بالله منك. فلما دخل عليها قالت: أعوذ بالله منك. فوضع كمه على وجهه وقال: (عُذتِ بمعاذ) أخرجه البخاري في صحيحة ولكن ليس فيه قوله (فعلمها نساؤه أن تقول عند لقائه: أعوذ بالله منك)[2]، فهذه الزيادة ليس لها أصل صحيح، وهي ضعيفة جداً، من حيث الإسناد، ومن حيث المعنى. قاله النووي في تهذيب الأسماء. وقال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء إسناده واه .وابن حجر في الفتح ص قال عن عائشة أن عمرة بنت الجون تعوذت من رسول الله حين دخلت عليه، قال: (لقد عذت بمعاذ) قال : متروك والصحيح أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شرا حيل[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين في بلوغ المرام في إسناده راوٍ، متروك ، وأصل القصة في الصحيح يريد بدون زيادة :(فعلمها نساؤه أن تقول عند لقائه : أعوذ بالله منك)، فظهر أن قولها :(أعوذ بالله منك) هو من قولها من نفسها ، لا من إيعاز حفصة أو عائشة رضي الله عنهما ، وقد كان يُشكل هذا على كثير من الناس لأن فيه نسبة الخداع والمخاتلة والكذب إلى أميِّ المؤمنين حفصة وعائشة ، ولا يُستبعد أن ترويج هذا من أفعال الشيعة الشنيعة ، فللشيعة في بُغض السيدتين الطاهرتين عائشة وحفصة رضي الله عنهما أقوال وحكايات شنيعة يشيب من سماعها وهولها شعر الطفل الصغير ، فأخزى الله الشيعة وردهم على أعقابهم خاسرين ، آمين[4]!

---

(١) ابن الأثير ، أسد الغابة ،ج٧ ، ص ٢٥٧، ابن منظور ،مختصر تاريخ دمشق ، ج٢ و ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢١٢٠ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ٢٦٩ و الذهبي في سير أعلام النبلاء ، ج٢ و ص ٢٥٩ ، والنووي في تهذيب الأسماء ج٣ ، ص ٥١٢ .
(٤) ابن عثيمين ،بلوغ المرام ، ص ٣١١ .

٨- أسماء بنت النُّعمان: هي بنت النعمان بن الجون بن شراحبيل، وقيل: أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحبيل بن النعمان من كِندة، أجمعوا على أنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تزوجها. واختلفوا في قصة فراقه لها، فقال بعضهم: لما دخلت عليه دعاها، فقالت: تعال أنت، فأبت أن تجيء. وقال بعضهم إنها قالت: أعوذ بالله منك. فقال: (قد عذت بمعاذ، وقد أعاذك الله مني) فطلقها. وقيل: إنما قالت ذلك امرأة جميلة من بني سليم، تزوّجها، فخاف نساؤه أن تغلبهن على النبي صلى الله عليه وسلم فقلن لها: إنه يعجبه أن تقولي: أعوذ بالله منك. فلما قالت ذلك فارقها، فكانت تُسمِّي نفسها الشقية. وقيل إنها الكندية كما تقدم والله أعلم.

قال ابن القيم في زاد المعاد بعد أن ذكر زوجات الرسول اللاتي دخل بهن قال: فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتي دخل بهن، وأما من خطبها ولم يتزوجها، ومن وهبت نفسها له، ولم يتزوجها، فنحو أربع أو خمس، وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة، وأهل العلم بسيرته وأحواله -صلى الله عليه وسلم- لا يعرفون هذا، بل ينكرونه والمعروف عندهم أنه بعث إلى الجونية ليتزوجها، فدخل عليها ليخطبها، فاستعاذت منه، فأعاذها ولم يتزوجها، وكذلك الكلبية، وكذلك التي رأى بكشحها بياضاً. فلم يدخل بها، والتي وهبت نفسها له فزوجها غيره على سورة من القرآن، هذا هو المحفوظ والله أعلم(١).

ولا خلاف أنه -صلى الله عليه وسلم- تُوفي عن تسع، وكان يقسم لثمانٍ، منهن: عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية.

وأول نسائه لحوقاً به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش تُوفيت سنة عشرين ، وآخِرهن موتاً أم سلمة، تُوفيت سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد، والله أعلم(٢).

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ١١٣ .
(٢) يحيى بن موسى الزهراني ، صيد الفوائد

س٥٨: لماذا سميت أيام التشريق بهذا الاسم ؟ .

ج٥٨ : فقد اختلف في سبب تسمية أيام التشريق بهذا الاسم على قولين:

أحدهما: أنهم كانوا يشرقون فيها لحوم الأضاحي، أي يقددونها ويبرزونها للشمس، فسموها أيام التشريق لذلك.

والقول الثاني: أنها سميت بذلك لأن صلاة العيد إنما تصلى بعد أن تشرق الشمس، فسميت الأيام كلها بأيام التشريق تبعاً لليوم الأول: يوم العيد، وهذا من باب تسمية الشيء باسم بعضه، وهو مشهور ومعروف لغة.

يقول ابن منظور في لسان العرب: "التشريق مصدر شرَّق اللحم أي قددَّه. ومنهُ أيام التشريق، وهي ثلاثة أيامٍ بعد يوم النحر لأن لحوم الأضاحِي تُشرَّق أي تُشرَّر في الشّمس. وقيل سميت بهذا الاسم لأن العرب كانوا قديماً يقولون (أشرق ثبير كيما نغير)، وثبير أحد جبال منى، وكيما نغير أي لكي ندفع للنحر، كما جاء في كتاب ابن الأثير "النهاية في غريب الحديث والأثر".

وقال ابن الأعرابيّ سُمِّيَت بذلك لأن الهَدْي لا يُذْبح حتى تشرق الشّمس[(١)].

الناس كانوا قديماً يقومون بتقطيع اللحم إلى أجزاء صغيرة، ويضعونه في الشمس كطريقة لحفظه لعدم وجود ثلاجات في ذلك الوقت، وذلك ليأكلوا منه مدّة الأيّام الثلاث دون أن يفسد[(٢)]. و كانت تُتَّبع نفس الطريقة في حفظ لحوم الأضاحي، والهدي عندما تكثر في الحَجّ، ويتساوى في ذلك الفقير والغني، وذلك من خلال نشر اللحوم على الجبال، والصخور، بعد أن تُقَطَّع إلى شرائح صغيرة، لتتعرض لأشعة الشمس فتذهب منها الرطوبة التي تُفسدها؛ فتحافظ اللحوم على تركيبتها الطبيعية من الألياف والخلايا التي تجعلها تبقى لفترات طويله صالحة للأكل، وكانت تُسمى القديد، كما أنَّ هناك سبباً آخر في تسمية أيام التشريق بهذا الاسم، وذلك أنَّ الناس كانوا يؤخّرون الذبح إلى أن تطلع الشمس، ولا يذبحون ليلاً[(٢)].

---

(١) علي با دحدح، دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح، صفحة ٣٥، جزء ٦٦. بتصرّف

(٢) عطية سالم، شرح بلوغ المرام، صفحة ٣، جزء ١٥٥. بتصرّف.

وقال أبو العبّاس أنّها سُمّيت بأيام التشريق؛ لأنّ الذبح لا يُصبح واجباً فيها إلّا بعد شروق الشمس، واحتجوا على قولهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَن كانَ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيُعِدْ)[١] ؛ أي أنَّ أيام التشريق تبعت في التسمية يوم النحر حيث لا تُصلى صلاة العيد فيه إلّا بعد شروق الشمس[٢] كما أنّها سُمّيت أيام التشريح؛ لأنّ التشريق هو نفسه التشريح وذهب أبو حنيفة إلى قول لم يذهب له غيره، وهو أنَّ المقصود بالتشريق: التكبير[٣].

س٥٩: لماذا سميت عمرة القضاء بهذا الاسم؟

ج٥٩: عمرة القضاء هي العمرة المتفق عليها في صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش، وهي العمرة التي تمَّت في أواخر العام السابع من الهجرة وعُرِفَتْ بعمرة القضاء[٤]

ان مما أملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل بن عمرو، (عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ). فقال سهيل: والله لا تَتَحَدَّثُ العرب أنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، ولكنْ ذلك من العام المقبل. فكتب[٥].

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألفين من أصحابه، وحمل معه سلاحًا كثيفًا، وأخذ عُدَّةَ حربٍ كبيرةً تحسُّبًا لأي خيانة من قريش، ولكنه كان ينوي دخول مكة كما اتفق مع أهلها العام الماضي بسلاح المسافر فقط، ورأت عيون قريش الأسلحة فَفَزِعَتْ، وأرسلت وفدًا برئاسة (مِكْرَز بن حفص) ليستوضحوا حقيقة الأمر، فقابلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطن يأجج بمر الظهران، فقالوا له: يا محمد؛ والله ما عرفناك صغيرًا ولا كبيرًا بالغدر.. تدخل بالسلاح الحرم على قومك، وقد شرطتَ ألاَّ تدخل إلاَّ على العهد، وأنه لن يدخل الحرم غير السيوف في أغمادها؟! أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثقة: (لا

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٩٦٢ ، ابن الأنباري ، الزاهر في معاني كلمات الناس صفحة ٤٢١، جزء ١.
(٢) محمد الشنقيطي ، كوثر المعاني ، الدَّرَارِي في كشف خفايا صحيح البخاري صفحة ٢٦٢-٢٦٣، جزء ١٠.
(٣) مكي بن أبي طالب ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه صفحة ٦٧٢، جزء ١
(٤) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل صفحة ٨١، جزء ٢.
(٥) (ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢و ص٣٧٠ ، وابن كثير: السيرة النبوية، ج ٣و ص٤٢٨.)(البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (٢٥٨١)، وأحمد (١٨٩٤٨)، وابن حبان (٤٨٧٢).

نَدْخُلُهَا إِلاَّ كَذَلِكَ). وسمع مِكْرَز الكلمة وطار مسرعًا إلى مكة يقول لهم: إن محمدًا لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذي شرط لكم [١].

لقد قال مِكْرَز هذه الكلمات وهو على يقين من تحقُّقها، وما دام قد قال صلى الله عليه وسلم فلا شَكَّ أنه صادق.

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاح خارج مكة، وترك معه محمد بن مسلمة وقيل أوس بن خَوْلِي في مائتي فارس لحمايته، ودخل هو وبقية الصحابة لأداء العمرة بالسيوف في أغمادها كما وَعَدَ.. وكان الاتفاق على أن تُخْلِيَ قريشٌ مكة بكاملها للمسلمين مدَّة ثلاثة أيام كاملة لأداء مناسك العمرة، وقد تمَّ ذلك، ووقف المشركون على رءوس الجبال المحيطة يُشاهدون مناسك العمرة ، وبعد انتهاء الأيام الثلاثة المحدَّدة للعمرة جاء سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى موفدين من قِبَل قريش لحثِّ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الخروج؛ فقالوا له بغلظة: إنه قد انقضى أجلك؛ فاخرج عنا. فأراد صلى الله عليه وسلم أن يتلطَّف معهم بالرغم من جفائهم، فقال لهم: (وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَصَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوهُ؟)[٢]، [٣] .

س٦٠: لماذا لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهود من المدينة ومات ودرعه مرهون عند يهودي ؟وكيف نوفق بين الرهن لليهودي وحديث اخرجوا المشركين من بلاد العرب ؟.

ج٦٠ : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب منهاج السنة النبوية :(بل في الصحيح إن النبي صلى الله عليه و سلم مات و درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين و سقا من شعير ابتاعها لأهله)[٤].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري :قال العلماء: الحكمة في عدوله صلى الله عليه

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ، ج ٢، ص ١٢١، و ابن كثير: السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص٤٣٦.
(٢) الحاكم (٦٧٩٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وانظر: ابن هشام: السيرة النبوية ٣٧٢/٢، والطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢٥/٣.
(٣) قصة الاسلام ٥/٣/ ٢٠١٤ م.
(٤) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٧ ، ص ٣٥٨ .

وسلم عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود إما لبيان الجواز ، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة غيرهم ، أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمنا ، أو عوضا فلم يرد التضييق عليهم فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر على ذلك ، وأكثر منه فلعله لم يطلعهم على ذلك وإنما اطلع عليه من لم يكن موسرا به ممن نقل ذلك ، والله أعلم[1] وقد يقال : أنه لم يطلب منهم خشية أن يعطوه ، وهم بحاجة إليه ويتحرجون من رده ، ولم يكن يحب عليه الصلاة والسلام أن يعطى شيئا على تبليغه(قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى... (٢٣))[2].

أكثر الأدلّة النصية تداولاً في هذه القضية حديث (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)[3] وهو حديث صحيح غير ضعيف، محكم غير منسوخ قاله صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت قبل وفاته بخمس.

وإن أولى الأمة أن يتبع في معرفة فقه هذا الحديث صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهم الذين سمعوا هذا الحديث وأدوه إلينا وفقهوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأيهم وفقههم هو الأعلم والأحكم لأنهم أعلم بملابسات الأمر النبوي، وأفقه الأمة بمراده صلى الله عليه وسلم.

وأوْلى الصحابة أن يراعى فقهه هم الخلفاء الراشدون لقوله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)[4] ، وقوله عليه الصلاة والسلام: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر)[5] ، ولأنهم كانت لهم الولاية على المسلمين فهم أوْلى الناس بإنفاذ هذا العهد المحمدي.

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص ١٤١ .
(٢) سورة الشورى .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٥٣ .
(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ٤٩٣ .
(٥) أورده الألباني في السلسلة الضعيفة ، برقم٢٣٣٠ ، وقال عنه العقيلي وابن حزم أنه لا يصح .

فإذا نظرنا إلى فقه الصحابة لهذا الحديث رأينا ما يلي:

١- تولى أبو بكر الصديق الخلافة واليهود في خيبر على مسافة ١٨٠ كم من المدينة، ونصارى نجران في نجران ويهود اليمن في اليمن ومجوس الأحساء في الأحساء. وهو رضي الله عنه أعلم الناس بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأعظم الأمة تعظيماً له؛ **فنجد أنه:**

أ- سيّر جيش أسامة إلى الشام.

ب- قاتل المرتدّين في أنحاء الجزيرة النائية عن المدينة.

ت- ثم لما فرغ من قتال المرتدّين، وجّه الجيوش إلى العراق والشام، ثم توفي رضي الله عنه وجيوشه تقارع الفرس والروم وهؤلاء موجودون ولم يخرجهم.

٢- تولى عمر الخلافة فترك يهود خيبر في خيبر ونصارى نجران في نجران ومجوس هجر في هجر، واشتغل بقتال الكفار في خارج جزيرة العرب فاستكمل فتح فارس وفتح الشام، ثم سيّر الجيوش إلى مصر وفتح قبرص. فكانت جيوش الخلافة تقاتل في القارات الثلاث آسيا وأوروبا وأفريقيا، وهؤلاء على أماكنهم في جزيرة العرب، ولم يخرج عمر منهم إلا يهود خيبر لما نقضوا العهد وتعدّوا على ابنه عبد الله فزحزحهم إلى تيماء، ونصارى نجران لما أخلفوا شرط الصلح مع النبي صلى الله عليه وسلم -الذي شرط عليهم عدم التعامل بالربا- فأجلاهم عمر لما خالفوا ذلك، وأبقى يهود اليمن فهم باقون إلى يومنا هذا، ومجوس الأحساء حتى أسلموا واندمجوا مع المسلمين ولم تعد لهم باقية[1] ، وعن الإمام أحمد رواية أن جزيرة العرب المدينة وما والاها [2]وقال الشافعي: يُمنعون من الحجاز وغير الحرم منه يمنع الكتابي وغيره من الاستيطان والإقامة به، وله الدخول بإذن الإمام لمصلحة[3]، وأما أبو حنيفة فعنده لهم دخول

(١) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ١٧٥ – ١٩١ .
(٢) المصدر السابق . ج١ ، ص ١٧٧ ؟
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٨٤ .

الحرم كله حتى الكعبة نفسها لكنهم لا يستوطنون به، وأما الحجاز فلهم الدخول إليه والتصرف فيه والإقامة بقدر قضاء حوائجهم(١) ، (٢).

س٦١ : لماذا لم يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ؟.

ج٦١: يعود السبب إلى:

١- أن الأذان يشتمل على دعوة، فإذا قال وهو يؤذن: "حي على الصلاة، حي على الفلاح" كان ذلك منه عليه الصلاة والسلام أمراً وجب على كل من يسمعه أن يجيب طاعة الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا تخلف عصى وأثم وربما كفر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في حديث: (كلكم تدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)(٣). جاء في كتاب "نور الأبصار للشبلنجي :قال النيسابوري :الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم كان يؤم ولا يؤذن أنه لو أذن لكان من تخلف عن الإجابة كافرا ، وقال أيضا : ولأنه كان داعيا فلم يجز أن يشهد لنفسه(٤).

٢- قيل إن السبب في كونه لم يؤذن هو أنه صلى الله عليه وسلم بعث داعياً إلى الله تعالى، فلو أذن وقال: "أشهد أن محمداً رسول الله"، ثم قال: "حي على الصلاة حي على الفلاح"، فكأنما يدعو لنفسه، وباصطلاح اليوم كأنه يعمل دعاية لنفسه، وهذا لا يجوز في حقه عليه الصلاة والسلام(٥). قيل إن السبب هو أنه إذا أذن وقال: "أشهد أن محمداً رسول الله"، لتوهم بعضهم أن هناك نبياً غيره أيضاً في عهده أو بعده . وأما من قال: إنه امتنع لئلا يعتقد أن الرسول غيره فخطأ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: في خطبته: وأشهد أن محمداً رسول اللَّه. هذا، وجاء في نيل الأوطار للشوكاني خلاف العلماء بين أفضلية الأذان والإمامة، وقال

(١) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ١٨٨ .
(٢) صيد الفوائد ، حكم دخول أهل الكتاب بلاد المسلمين .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢٨٠
(٤) الشبلنجي ، نور البصار ، ص ٤٩ .
(٥) عطية محمد صقر ، فتاوى الأزهر ، ج٩ . ص ١

في معرض الاستدلال على أن الإمامة أفضل: "أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده أمُّوا ولم يؤذنوا، وكذا كبار العلماء بعدهم[١].

س٦٢ :لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم المؤذن بالالتفات يمينا ويسار عند حي على الصلاة وحي على الفلاح؟.

ج ٦٢: الالتفات في الأذان يمينا وشمالا عند الحيعلتين سنة ؛ لما روى مسلم عن أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ قَالَ فَخَرَجَ بلالٌ بِوَضُوئِهِ فَمِنْ نَائِلٍ وَنَاضِحٍ قَالَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ قَالَ فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلالٌ قَالَ فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالا يَقُولُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ[٢] .

وعند النسائي: (فَخَرَجَ بلالٌ فَأَذَّنَ فَجَعَلَ يَقُولُ فِي أَذَانِهِ هَكَذَا يَنْحَرِفُ يَمِينًا وَشِمَالا")[٢].

وهذا الالتفات لأجل إيصال الصوت لأن المؤذن كان يؤذن على مكان مرتفع ، حتى يبلغ صوته ، ولهذا ذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه إن أذن في مكبر للصوت لا يلتفت .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (من السنة أن يلتفت المؤذن عن اليمين وعن الشمال في حي على الصلاة حي على الفلاح؛ لأن هذا أذان بلال في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ولكن اختلف العلماء هل يقول: حي على الصلاة مرة علي اليمين ومرة علي اليسار، حي علي الفلاح مرة علي اليمين ومرة على اليسار، أو يقول حي على الصلاة المرتين علي اليمين وحي على الفلاح المرتين على اليسار، والمعمول به المشهور أنه يقول: حي علي الصلاة مرتين علي اليمين حي على الفلاح مرتين على اليسار، وهذا فيما كان المؤذن يؤدي الأذان بصوته بدون واسطة، أما الآن فإن غالب المؤذنين يؤدي الأذان بواسطة مكبر الصوت، والالتفات هنا لا داعي له؛ لأن الالتفات فيما سبق من أجل أن يسمع من على يمينه وعلى يساره، أما الآن فمكبر الصوت موضوع في المنارة عن اليمين وعن

---

(١) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٢ ، ص ٣٦ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٧٧ ، والإمام البخاري في صحيحه برقم ٥٩٨ .
(٣) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ٦٣٩

الشمال وعن القبلة وعن خلف القبلة، فلا حاجة إلى الالتفات، ثم إنه إذا التفت سوف ينحرف عن فوهة اللاقطة فيتغير الصوت، فإذا بقي متوجهاً إلى اللاقطة ووجهه إلى القبلة فلا حاجة حينئذٍ إلى الالتفات، ولكن هل يجعل أصبعيه في أذنيه في هذه الحال؟ الجواب: نعم؛ لأن وضع الإصبعين في الأذنين مما يحسن صوت المؤذن؛ إذ إن الصوت يخرج منه جزء بسيط من قبل الأذنين، فإذا وضع أصبعيه في أذنيه كان هذا أندى للصوت وأصفى للصوت.)[1].

س٦٣: لماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتورك عند جلوسه للتشهد ؟.

ج٦٣ : جاء في الاسلام سؤال وجواب : (التورك في الصلاة سنة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الألباني في السلسلة الصحيحة في حديث عن وائل بن حجر رضي الله عنه في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه : (وإذا جلس في الركعتَينِ أضجعَ اليُسرى ونصبَ اليُمنى ووضع يدَه اليُمنى على فخِذِه اليُمنى ونصب إصبعَه للدعاءِ ووضع يدَه اليُسرى على رجله اليُسرى)[2] ، والتورك له صفات ثابتة :

الصفة الأولى : أن يفرش رجله اليسرى ، وينصب اليمنى ، ويخرجهما من الجانب الأيمن ، ويجعل أليتيه على الأرض .

الصفة الثانية : أن يفرش القدمين جميعاً ، ويخرجهما من الجانب الأيمن ، ويجعل أليتيه على الأرض .

واختلف أهل العلم رحمهم الله في موضع التورك في الصلاة ، فذهب الحنابلة : إلى أن التورك يكون في التشهد الأخير إذا كان في الصلاة تشهدان ، وأما إن كانت الصلاة ذات تشهد واحد ، كصلاة الفجر أو السنن التي تُصلى مثنى ..مثنى ، فإنه يجلس مفترشاً.

قال البهوتي رحمه الله في (كشاف القناع) : (ثُمَّ يَجْلِس فِي التَّشَهُّدِ الثَّانِي مِنْ ثُلَاثِيَّةٍ ، فَأَكْثَر مُتَوَرِّكًا ؛ لِحَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ ، فَإِنَّهُ وَصَفَ جُلُوسَهُ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ مُفْتَرِشًا ، وَفِي الثَّانِي مُتَوَرِّكًا ، وَهَذَا بَيَانُ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا ، وَزِيَادَة يَجِبُ الْأَخْذُ بِهَا ، وَالْمَصِيرُ إلَيْهَا ، وَحِينَئِذٍ لَا يُسَنَّ

---

(١) الشيخ محمد بن عثيمين ، الموقع الرسمي للشيخ ، تفريغ نصي .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٥ ، ص ٣١١ .

التَّوَرُّكُ ، إلَّا فِي صَلَاةٍ فِيهَا تَشَهُّدَانِ أَصْلِيَّانِ ، فِي الْأَخِيرِ مِنْهُمَا)[1] .

وذهب الشافعية : إلى أن التورك مستحب في التشهد الأخير من الصلوات كلها ، سواء كانت ذات تشهدين أو تشهد واحد ؛ وذلك لعموم حديث أبي حميد المتقدم ، وفيه : (وإذا جلس في الركعة الأخيرة).

قال ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري) : (وَاسْتَدَلَّ بِهِ الشَّافِعِيّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ تَشَهُّد الصُّبْح كَالتَّشَهُّدِ الْأَخِير مِنْ غَيْره ؛ لِعُمُومِ قَوْلُهُ : (فِي الرَّكْعَة الْأَخِيرَة)[2]

وقال النووي رحمه الله في (المجموع) : (مَذْهَبُنَا أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَجْلِسَ فِي التَّشَهُّدِ الْأَوَّلِ مُفْتَرِشًا وَفِي الثَّانِي مُتَوَرِّكًا ، فَإِنْ كَانَتْ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ جَلَسَ مُتَوَرِّكًا)[3] .

والراجح هو مذهب الحنابلة[2] ؛ وقد اختاره علماء اللجنة الدائمة للإفتاء [4] .

وقال ابن قدامة رحمه الله في (المغنى): "جَمِيعُ جَلَسَاتِ الصَّلَاةِ لَا يُتَوَرَّكُ فِيهَا إلَّا فِي تَشَهُّدٍ ثَانٍ . لحَدِيثُ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا جَلَسَ لِلتَّشَهُّدِ افْتَرَشَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى ، وَنَصَبَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى). وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ مَا يُسَلِّمُ فِيهِ وَمَا لَا يُسَلِّمُ . وَقَالَتْ عَائِشَةُ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ التَّحِيَّةَ ، وَكَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى) رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَهَذَانِ يَقْضِيَانِ عَلَى كُلِّ تَشَهُّدٍ بِالِافْتِرَاشِ ، إلَّا مَا خَرَجَ مِنْهُ ، لِحَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ فِي التَّشَهُّدِ الثَّانِي ، فَيَبْقَى فِيمَا عَدَاهُ عَلَى قَضِيَّةِ الْأَصْلِ ، وَلِأَنَّ هَذَا لَيْسَ بِتَشَهُّدٍ ثَانٍ ، فَلَا يَتَوَرَّكُ فِيهِ كَالْأَوَّلِ ، وَهَذَا لِأَنَّ التَّشَهُّدَ الثَّانِيَ ، إنَّمَا تَوَرَّكَ فِيهِ لِلْفَرْقِ بَيْنَ التَّشَهُّدَيْنِ ، وَمَا لَيْسَ فِيهِ إلَّا تَشَهُّدٌ وَاحِدٌ لَا اشْتِبَاهَ فِيهِ ، فَلَا حَاجَةَ إلَى الْفَرْقِ[5] .

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في ٠لقاء الباب المفتوح) : متى يجلس المصلي جلسة التورك في الصلاة وفي أي صلاة ؟ فأجاب :

---

(١) البهوتي ، كشف القناع ، ج١ ، ص ٣٦٤ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ،ص ٣٩٣ .
(٣) النووي ، المجموع ، ج٣ ، ص ٤٣١ .
(٤) اللجنة الدائمة للإفتاء ، فتاوى اللجنة الدائمة ، ج٧ ، ص ١٥
(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص ٣١٨ .

التورك يكون في التشهد الأخير في كل صلاة ذات تشهدين ، أي : الأخيرة من المغرب ، والأخيرة من العشاء ، والأخيرة من العصر ، والأخيرة من الظهر ، أما الصلاة الثنائية ، كالفجر ، وكذلك الرواتب ، فإنه ليس فيها تورك ، التورك إذاً في التشهد الأخير في كل صلاة فيها تشهدان[1] .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (في التشهد الأخير من الظهر والعصر والمغرب والعشاء يتورك، يجلس على الأرض ويجعل رجله اليسرى تحت رجله اليمنى عن يمينه، هذا هو الأفضل في التشهد الأخير في الرباعية والثلاثية، أما الجلسة التي في التشهد الأول أو بين السجدتين، فهذا الجلوس يشرع فيه أن يجلس على رجله اليمنى ويفرشها وينصب اليمنى، وإن أقعى بين السجدتين بأن جلس على عقبيه نصب رجليه وجلس على عقبيه بين السجدتين فهذا أيضاً من السنة، لكن الأكثر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم هو الافتراش)[2] .

س٦٤ : لماذا شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم على تسيير جيش أسامة ولم يوص بالخلافة لاحد فهل تسيير الجيش أهم من تنصيب خليفة من بعده ؟ أم أن هذا الأمر يتولاه المسلمون ليختاروا من يشاؤون ؟.

ج٦٤: عن ابن عباس أن عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت. اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3]،

---

(١) الإسلام سؤال وجواب ، في ٠٩-١١-٢٠٠٧
(٢) الشيخ ابن باز ، الموقع الرسمي ، تفريغ نصي .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .

ونستدل من هذا على ما يلي :

١- الزمن الذي جرى فيه، وهو إبّان المرض الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- أنه صلى الله عليه وسلم وطول حياته قبل هذا الحوار لم يقل شيئًا يستفاد منه تصريحا أو تلميحا أن الخلافة لعلي، إذ لو كان شيء من هذا، لَذكره علي للعباس رضي الله عنهما، ولو كان هناك شيء يعلمه العباس لما تعرض لعلي يطلب منه ما طلب.

٣- أنه صلى الله عليه وسلم لو ذكر شيئاً يتعلق بهذا الشأن بعد حوار العباس مع علي لانتشر وتناقله الناس، وبخاصة أن النفوس متطلعة لما يقوله صلى الله عليه وسلم في الساعات الأخيرة من حياته.

٤- في النصوص الصحيحة الأخرى ما يؤكد غير ما رغب به رضي الله عنه:

أ- روى عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده" فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم يقول: قربوا يكتب لكم النبي صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قوموا دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه" وأوصاهم بثلاث قال: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم" ونسي ابن عيينة - راوي الحديث – الثالثة[(١)] رواه البخاري ومسلم ، وعليه فان الكتاب لم يكتب، سواء أكان يتعلق بشأن

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٤٤٧

الخلافة، أم بغيرها. بل هناك ما يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم كان عزم على كتابة عهد، ثم ترك الكتابة من تلقاء نفسه، دون أن يثنيه عن عزمه أحد.

ب- عن القاسم بن محمد قال قالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وارَأْسَاهْ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (ذَاكِ لو كانَ وأَنَا حَيٌّ فأسْتَغْفِرُ لَكِ وأَدْعُو لَكِ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: وا ثُكْلِيَاهْ، واللَّهِ إنِّي لَأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، ولو كانَ ذَاكَ، لَظَلَلْتَ آخِرَ يَومِكَ مُعَرِّسًا ببَعْضِ أزْوَاجِكَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَلْ أنَا وارَأْسَاهْ، لقَدْ هَمَمْتُ - أوْ أرَدْتُ - أنْ أُرْسِلَ إلى أبِي بَكْرٍ وابْنِهِ فأعْهَدَ، أنْ يَقُولَ: القَائِلُونَ أوْ يَتَمَنَّى المُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلتُ: يَأْبَى اللَّهُ ويَدْفَعُ المُؤْمِنُونَ، - أوْ يَدْفَعُ اللَّهُ ويَأْبَى المُؤْمِنُونَ)[(١)] .

ت- ذكر القسطلاني أن الخليفة العباسي المأمون أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة، فاتخذ لهم شعارا وألبسهم ثيابًا خضرًا، ثم انثنى عزمه عن ذلك، فبقي ذلك اللباس شعارا لهم، ولكنهم اختصروا ذلك إلى قطعة خضراء توضع على عمائمهم. ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن(٧٧٣) فقد أمر السلطان الأشرف بن قلاوون أن يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم، ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما:

- هذا التميّز في اللباس، أمر ما كان ينبغي لهم أن يوافقوا عليه، لمخالفته للقواعد العامة في الإسلام، فما كان صلى الله عليه وسلم متميزًا على أصحابه في شيء، حتى إن القادم إلى مجلسه ليسأل: أيكم ابن عبد المطلب؟ وما كان علي وأبناؤه - وهم الملتزمون بسنته صلى الله عليه وسلم - يتميزون على الناس في شيء إلا كثرة الأعمال الصالحة.
- لقد خصهم - اي آل البيت- ٥الله تعالى بمزية، وهي حرمانهم من مال الصدقة، وذلك تكريمًا لهم لأنها أوساخ الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٣٧ ، وعند الإمام البخاري ، رقم الحديث ٢٣١٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢١٧ ، وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٢٣٨٧ .

ث- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:(قَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: (أَوَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ(٢١٤))[١] ،قالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا بَنِي عبدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شيئًا، يا عَبَّاسُ بنَ عبدِ المطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا، ويَا فَاطِمَةُ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي ما شِئْتِ مِن مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شيئًا)[٢].

ج- لم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم عين الإمام أو الخليفة من بعده، أو أوصى بالخلافة صراحة لأحد معين، ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب الخلافة لأبي بكر كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[٣]، وقد استنبط الصحابة من تقديم النبي له أبا بكر ليصلي بالناس في مرضه الذي توفي فيه، أحقية أبي بكر بالخلافة فاختاره المسلمون لدنياهم بما أن رسول الله اختاره لدينهم.

ح- ثبت عن علي رضي الله عنه كما روى الذهبي وغيره بسنده عن الحسن قال : لما قدم علي البصرة قام إليه ابن الكواء وقيس بن عباد فقالا له : ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى على الأمة تضرب بعضهم ببعض، أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده إليك؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت، فقال : أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فلا والله، إن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه، ولو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان

---

(١) سورة الشعراء .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٥٣ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٢٠٦ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ،رقم الحديث ٢٣٨٧ .

على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجأة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال : أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر يصلي بالناس ، فلما قبض الله نبيه نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا ، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أعظم الأمر وقوام الدين ، فبايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي، فلما قبض ولاها عمر فأخذ بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان ولم يشهد بعضنا على بعض ولم نقطع البراءة منه ، فأديت إلى عمر حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وسالفتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده ذنبا إلا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده، ولو كانت محاباة منه لآثر بها ولده فبرئ منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرهط تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدلوا بي، فأخذ عبد الرحمن مواثقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا، ثم أخذ بيد ابن عفان فضرب بيده على يده فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري، فبايعنا عثمان فأديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه، وكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا إغزاني، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي ، فلما أصيب نظرت في أمري فإذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد

مضيا وهذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب، فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين[(١)] .

س٦٥: لماذا وجد المنافقون في المدينة وليس لهم وجود في مكة المكرمة ؟.

ج٦٥: عَرَّف الإمام ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ النفاق، وذكر أنواعه وسبب ظهوره فقال: (النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع:

١- اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار،

٢- عملي: وهو من أكبر الذنوب.. وهذا كما قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده و مغيبه.

وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه، من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة. وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل:

١- بنو قينقاع حلفاء الأوس والخزرج .

٢- وبنو النضير .

٣- بنو قريظة.

وقَلَّ من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وَادَعَ اليهود، وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر العظمى، وأظهر الله كلمته، وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول – وكان رأساً في المدينة وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم، فجاءهم

---

(١) السيوطي تاريخ الخلفاء ، ج١ ص ١٥٧ نقلا عن الرابطة اللبنانية للاعلام.٢٠١٨/١٠/٣

الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر – قال: ذا أمر قد توجه(يعني انقضى)! فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وُجد النفاق في أهل المدينة، ومن حولها من الأعراب، فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد يهاجر مكرهاً، بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة)[1].

أما مكة المكرمة لم يكن بها نفاق بل كان كله خلاف مع الناس ومنهم من كان يظهر الكفر مستكرهًا به وهو في الباطن مؤمن، أما في المدينة المنورة فكانوا يظهرون الاسلام ويخفون الكفر وهذا أشد خطر على الدعوة الإسلامية التي كان يقوم بها النبي عليه السلام في أثناء الهجرة النبوية والدعوة الاسلامية.

فسبب ظهور النفاق في المدينة المنور وأنه لم يظهر في مكة المكرمة هو عند انتشار الإسلام في المدينة خاف الكافرون على مصالحهم وأنفسهم فاظهروا الإسلام وابطنوا الكفر.

س٦٦ : لماذا لم يقتل الرسول صلى الله عليه وسلم المنافقين ؟.

ج٦٦: كثير من الحوادث التي غض النبي صلى الله عليه وسلم الطرف عنها، ولم يستتبعها بعقاب خاص لأصحابها، إنما وقعت في السر والخفاء، ولم يجهر بها أصحابها من المنافقين، ولم يظهروها على ملأ المسلمين. ومعلوم أن الإسلام لا يؤاخذ الناس بسرائرهم ، وإنما يحكم بالظاهر، كما قال صلى الله عليه وسلم: (إنما أَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ)[2] ، حين بلغ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قول رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول في حق المسلمين: (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٨))[3] ، وفي الحديث :(انَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالجِعرانةِ وَهوَ يقسِمُ التِّبرَ والغَنائمَ وَهوَ في حِجرِ بلالٍ فقالَ رجلٌ اعدِل يا محمَّدُ فإنَّكَ لم تعدِلْ فقالَ ويلَكَ ومَن يعدلُ بعدي إذا لم أعدِلْ فقالَ عمرُ دعني يا رسولَ اللَّهِ حتَّى أضربَ عنُقَ هذا

---

(١) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، تفسير سورة المنافقون .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٩٦٧ ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧١٣ .
(٣) سورة المنافقون .

المنافقِ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ إنَّ هذا في أصحابٍ أو أُصَيحابٍ لَه يقرءونَ القرآنَ لا يجاوزُ تراقيَهُم يمرُقونَ منَ الدِّينِ كما يمرُقُ السَّهمُ منَ الرَّميَّةِ)[1] ، وجاء في رواية أخرى: "فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم- فأمر أن يؤذن في الناس بالرحيل ليشتغل بعضهم عن بعض[2] ، قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه، وكان صلى الله عليه وسلم يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم ل:

١- تقوى شوكة المسلمين،

٢- تتم دعوة الإسلام.

٣- يتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة.

٤- ويرغب غيرهم في الإسلام،

وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه صلى الله عليه وسلم، ويجاهدون معه إما حمية، وإما لطلب دنيا، أو عصبية لمن معه من عشائرهم، قال القاضي: واختلف العلماء هل بقي حكم الإغضاء عنهم وترك قتالهم، أو نُسِخَ ذلك عند ظهور الإسلام ونزول قوله تعالى: (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ...(٧٣))[3] ، [4])، وأنها ناسخة لما قبلها. وقيل قول ثالث: أنه إنما كان العفو عنهم ما لم يظهروا نفاقهم فإذا أظهروه قُتِلُوا"[5].

يقول الدكتور عمر محمد جبه جي في موقعه على الفيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين وذلك للأسباب التالية :

---

(١) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٤٢ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٩٩٨ رقم الحديث ٢٥٨٤ .
(٣) سورة التوبة .
(٤) ابن شبّة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ج١ ، ص ٣٧٤
(٥) النووي ، المنهاج ، ج١٦ ، ص ١٣٩ .

١- درء السمعة السياسية والإعلامية السيئة التي ستشاع عن الرسول ودعوته ، فالفرق كبيرٌ جدًّا بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمدٍ محمدًا، وبين أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، ولا شك أن وراء ذلك محاولات ضخمة ستتم في محاولة الدخول إلى الصف الداخلي في المدينة من العدو، بينما هم يائسون الآن من قدرتهم على شيء أمام ذلك الحب وتلك التضحيات ،يقول ابن القيم في ذلك : (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحةً ، لئلا يكون ذريعةً إلى تنفير الناس عنه ، وقولهم : إن محمداً يقتل أصحابه ، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ، ومن لم يدخل ، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل)[١].

٢- الحفاظ على وحدة الصف المسلم، وذلك لأن لابن أبي أتباعًا وشيعةً مسلمين مغرورين، ولو فتك به لأرعدت له أنوفٌ، وغضب له رجالٌ متحمسون له، وقد يدفعهم تحمسهم له إلى تقطيع الوحدة المسلمة، وليس في ذلك أي مصلحةٍ للمسلمين ولا للإسلام، وإنها لسياسةٌ شرعية حكيمةٌ رشيدةٌ في معالجة المواقف العصبية في حزمٍ وقوة أعصابٍ وبُعد نظر[٢].

٣- كما أن في العفو مصلحةٌ شرعيةٌ، وهي تأليف قلوب قومه وتابعيه، فقد كان يدين له بالولاء فئةٌ كبيرةٌ من المنافقين، فعسى أن يتأثروا ويرجعوا عن نفاقهم ويعتبروا ويخلصوا لله ولرسوله، ولو لم جب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سبةً وعاراً على ابنه وقومه، فالرسول الكريم اتبع أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نهي فانتهى لقد كان لتسامح الرسول صلى الله عليه وسلم مع رأس المنافقين أبعد الآثار فيما بعد، فقد كان ابن أبي ابن سلول كلما أحدث حدثًا كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه، ويعنفونه، ويعرضون قتله على النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٣ ، ص ١٢٦ .
(٢) عمر حبه جي ، فقه السيرة ، ٨٤ ، السبت ٢٧ رمضان ١٤٤٠ - ١ يونيو ٢٠١٩

والرسول يأبى ويصفح، فأراد رسول الله أن يكشف لسيف الحق عن آثار سياسته الحكيمة، فقال: «كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلتَ لي لأرعدت له أنوفٌ لو أمرتها اليوم لقتلته» ، فقال عمر: قد —والله– علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري .

٤- إكرام ابن عبد الله بن أبي المسلم الصادق وعدم فتنته عن دينه بفعل ما قد يخدش شعوره ويهز علاقته بإخوانه المؤمنين ، لذلك رأيناه هو نفسه يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقول له كما ورد في حديث جابر بن عبدالله رضي الله :(كُنَّا في غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ الأنْصَارِيُّ: يا لَلْأَنْصَارِ، وقالَ المهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسوله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قالَ: ما هذا؟ فَقالوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ، فَقالَ الأنْصَارِيُّ : يا لَلْأَنْصَارِ، وقالَ المهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعُوهَا فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ قالَ جَابِرٌ: وكَانَتِ الأنْصَارُ حِينَ قَدِمَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أكْثَرَ، ثُمَّ كَثُرَ المهَاجِرُونَ بَعْدُ، فَقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ: أوَقَدْ فَعَلُوا، واللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فَقالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: دَعْنِي يا رَسولَ اللَّهِ أضْرِبْ عُنُقَ هذا المنَافِقِ، قالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أصْحَابَهُ.)[1] .

قال الإمام القرطبي في تفسير سورة البقرة :(لقد اختلف العلماء في إمساك النبي عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم على أربعة أقوال:

القول الأول: قال بعض العلماء: إنما لم يقتلهم لأنه لم يعلم حالهم أحد سواه. وقد اتفق العلماء على بكرة أبيهم على أن القاضي لا يقتل بعلمه، وإنما اختلفوا في سائر الأحكام. قال ابن العربي: وهذا منتقض، فقد قُتِلَ بالمجذَّر بن زياد الحارثُ بن سويد بن الصامت، لأن

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩٠٧ .

المجذر قتل أباه سويداً يوم بُعاث، فأسلم الحارث وأغفله يوم أحد فقتله، فأخبر به جبريلُ النبيَ فقتله به، لأن قتله كان غيلة، وقتل الغيلة حد من حدود الله.

قلت: وهذه غفلة من هذا الإمام، لأنه إن ثبت الإجماع المذكور فليس بمنتقض بما ذكر، لأن الإجماع لا ينعقد ولا يثبت إلا بعد موت النبي وانقطاع الوحي، وعلى هذا فتكون تلك قضية في عين بوحي، فلا يحتج بها أو منسوخة بالإجماع. والله أعلم.

القول الثاني: قال أصحاب الشافعي: إنما لم يقتلهم لأن الزنديق وهو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان يستتاب ولا يقتل. قال ابن العربي: وهذا وهم، فإن النبي لم يستتبهم ولا نقل ذلك أحد، ولا يقول أحد إن استتابة الزنديق واجبة وقد كان النبي معرضا عنهم علمه بهم. فهذا المتأخر من أصحاب الشافعي الذي قال: إن استتابة الزنديق جائزة قال قولا لم يصح لأحد.

القول الثالث: إنما لم يقتلهم مصلحة لتأليف القلوب عليه لئلا تنفر عنه، وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله لعمر: "معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي" أخرجه البخاري ومسلم. وقد كان يعطي للمؤلفة قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم تألفا، وهذا هو قول علمائنا وغيرهم. قال ابن عطية. وهي طريقة أصحاب مالك رحمه الله في كف رسول الله عن المنافقين، نص على هذا محمد بن الجهم والقاضي إسماعيل والأبهري وابن الماجشون، واحتج بقوله تعالى: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) إلى قوله: (وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً) . قال قتادة: معناه إذا هم أعلنوا النفاق. قال مالك رحمه الله: النفاق في عهد رسول الله هو الزندقة فينا اليوم، فيقتل الزنديق إذا شهد عليه بها دون استتابة، وهو أحد قولي الشافعي. قال مالك: وإنما كف رسول الله عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعلمه، إذ لم يشهد على المنافقين. قال القاضي إسماعيل: لم يشهد على عبد الله بن أبي إلا زيد بن أرقم وحده، ولا على الجُلاس بن سويد إلا عمير بن سعد ربيبه، ولو شهد على أحد منهم رجلان بكفره ونفاقه لقتل. وقال الشافعي رحمه الله محتجا للقول الآخر: السنة فيمن شهد عليه بالزندقة فجحد ، وأعلن بالإيمان وتبرأ من كل دين سوى الإسلام أن ذلك يمنع من إراقة دمه. وبه قال

أصحاب الرأي وأحمد والطبري وغيرهم. قال الشافعي وأصحابه. وإنما منع رسول الله من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم، لأن ما يظهرونه يجُبُّ ما قبله. وقال الطبري: جعل الله تعالى الأحكام بين عباده على الظاهر، وتولى الحكم في سرائرهم دون أحد من خلقه، فليس لأحد أن يحكم بخلاف ما ظهر، لأنه حكم بالظنون، ولو كان ذلك لأحد كان أولى الناس به رسول الله ، وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما أظهروا، ووكل سرائرهم إلى الله. وقد كذب الله ظاهرهم في قوله: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) قال ابن عطية: ينفصل المالكيون عما لزموه من هذه الآية بأنها لم تعين أشخاصهم فيها وإنما جاء فيها توبيخ لكل مغموص عليه بالنفاق، وبقي لكل واحد منهم أن يقول: لم أرد بها وما أنا إلا مؤمن، ولو عين أحد لما جب كذبه شيئا.

قلت: هذا الانفصال فيه نظر، فإن النبي كان يعلمهم أو كثيرا منهم بأسمائهم وأعيانهم بإعلام الله تعالى إياه، وكان حذيفة يعلم ذلك بإخبار النبي عليه السلام إياه حتى كان عمر رضي الله عنه يقول له: يا حذيفة هل أنا منهم؟ فيقول له: لا.

القول الرابع: وهو أن الله تعالى كان قد حفظ أصحاب نبيه عليه السلام بكونه ثبتهم أن يفسدهم المنافقون أو يفسدوا دينهم فلم يكن في تبقيتهم ضرر، وليس كذلك اليوم، لأنا لا نأمن من الزنادقة أن يفسدوا عامتنا وجهالنا.[(١)].

س٦٧: لماذا اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسلمين في غدير خم وهل كان هذا الاجتماع فيه وصية لعلي بالخلافة؟.

ج٦٧:غدير خم بين مكة والمدينة، وقف الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيه خطيباً ليجبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويسلي خاطره بعد أن تقول بحقه بعض الصحابة كبريدة بن الحصيب، ومنعه من ركوب إبل الصدقة، فعن زيد بن أرقم –رضي الله عنه– قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن فقال: "كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ج١ ، ص ١٣٨ – ١٤٠

تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد علي –رضي الله تعالى عنه– فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)[١] .

وعن زيد بن ارقم قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خم :أما بعدُ ، ألا أيها الناسُ ! فإنما أنا بشرٌ يوشِك أن يأتيَني رسولُ ربي فأُجيبُ ، وأنا تاركٌ فيكم ثقلَينِ أولُهما كتابُ اللهِ فيه الهدى والنُّورُ من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ، ومن أخطأه ضلَّ ، فخُذوا بكتاب اللهِ تعالى واستمسِكوا به ، وأهلَ بيتي أُذكِّرُكمُ اللهَ في أهلِ بَيتي ، أُذكِّرُكمُ اللهَ في أهلِ بَيْتي)[٢] .

يقول بريدة رضي الله عنه قال :(غزوت مع عليٍّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عليًّا فتنقَّصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغيَّر، فقال: (يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: "من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه)[٣] .

في بيعة السقيفة وما بعدها جاءه أبو سفيان يحرضه على أبي بكر ويقول له: (لو شئت لملأت هذا الوادي خيلاً على ابن أبي قحافة (يقصد أبا بكر)، فزجره ونهره علي رضي الله عنه وقال علي في أبي بكر قولاً عظيماً، ومن ذلك قال جَرِيرٌ عَنْ مُغِيرَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنِّي لأستحي مِنْ رَبِّي أَنْ أُخَالِفَ أَبَا بَكْرٍ[٤]، وعَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ: وَافَقْنَا مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ طِيبَ نَفْسٍ فَقُلْنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ ذَاكَ امْرُؤٌ سَمَّاهُ اللَّهُ الصِّدِّيقَ عَلَى لِسَانِ جِبْرِيلَ وَلِسَانِ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الصَّلاةِ رَضِيَهُ لِدِينِنَا فَرَضِينَاهُ لِدُنْيَانَا)[٤] .

---

(١) محمد بيومي مهران ، الإمامة وأهل البيت ، جج٢ ، ص ٧٩ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١٣٥١ .
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٤ ، ص ٣٣٦ .وانظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص ١٨٤
(٤) موسوعة الحديث ، فضائل أبي بكر ، الحديث رقم ١١

لذلك حتى علي بن أبي طالب لم يفهم من كلمة "المولى" معنى الإمامة والإمارة ، بل استنكر منهم مناداته بـ يا مولانا، لو كان يراها مرادفة لـ "يا أميرنا "أو يا إمامنا" لما استنكر على القائلين تلك المناداة ولم ينازع أبا بكر الولاية، فقال علي رضي الله عنه: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدًا لَجَاهَدْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَتْرُكِ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ يَرْقَى دَرَجَةً وَاحِدَةً مِنْ مِنْبَرِهِ)[1].

والحديث المشهور كما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة بحجة الوداع قال بعد طول الحديث المشهور عن المناسك ووضع الربا ودماء الجاهلية وغيرها: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي)[2]، فكتاب الله وسنته صلى الله عليه وسلم هما مصدر التشريع للأمة، فكيف يعطف موضوع الأهل على الكتاب وهو القرآن؟ هل يعني أن أهل بيته مصدر للتشريع؟! فالأهل بشر يخطئون ويصيبون وينحرفون ويستقيمون فلا يصلح أن يكونوا مصدرا للتشريع سوى الوصية خيراً بهم من الصلة والحب، وبالطبع هم الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم، وبين الحديثين تسعة أيام فقط، وهذا يظهر تناقض الروايات، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يقول كلاما متناقضا وقد أوتي جوامع الكلم ومعجزة البلاغة والفصاحة[3].

س٦٨ : لماذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التراويح بالمسلمين عدة ليال ثم انقطع عنهم ولم يصلها معهم ؟.

ج٦٨: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل في رمضان، وقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه كان يصلي إحدى عشرة ركعة، وكان يطيل القراءة فيها.

وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى صلاة التراويح بمسجده، فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام خرج ذات يوم في جوف الليل، فصلّى في المسجد، وصلّى عدد من الرِجال بصلاته، فلما أصبح الناس تحدّثوا، فاجتمع أكثر منهم

(١) موسوعة الحديث ، فضائل أبي بكر ، حديث رقم ١٥ .
(٢) ابن باز ، الفتاوى ، ج٢٤ ، ص ١٨٢ .
(٣) توفيق السامعي ، الولاية عند الإمامية ، ٠٨ أغسطس-آب ٢٠٢٠

، فصلّوا مع النبي، وفي الصباح تحدث الناس، وكثر أهل المسجد في الليلة الثالثة، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام وصلّوا بصلاته، وفي الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس وتشهّد، ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ، فإِنَّه لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أنْ تُفْرَضَ علَيْكُم، فَتَعْجِزُوا عَنْها)[١].

وهكذا فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم (قام بأصحابه ثلاث ليال وفي الثالثة أوفي الرابعة لم يُصلّ ، وقال : إني خشيت أن تُفرض عليكم)[٢] رواه البخاري وفي لفظ مسلم (ولكني خشيت أن تُفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها) فثبتت التراويح بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم المانع من الاستمرار فيها ، لا من مشروعيتها ، وهو خوف أن تُفرض ، وهذا الخوف قد زال بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لما مات صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي فأمن من فرضيتها ، فلما زالت العلة وهو خوف الفريضة بانقطاع الوحي ثبت زوال المعلول وحينئذ تعود السنية لها ، وثبت في الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِم)[٤]، قال النووي : (وَفِيهِ : بَيَان كَمَالِ شَفَقَته صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأْفَته بِأُمَّتِهِ)[٥] .

يقول الشيخ ابن باز في هذا الأمر:(هذا لا تعلق للبدعة فيه لأن عمر رضي الله عنه إنما أراد بقوله: (نعمت البدعة) يعني من حيث اللغة لأن البدعة من حيث اللغة ما عمل على غير مثال سابق، ما عمله الناس على غير مثال سابق يسمى بدعة في اللغة وليس مراده أن هذا بدعة في الدين، لو كان في بدعة في الدين ما فعله، هو أبعد الناس عن البدع رضي الله عنه.

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١٣٥٥ .
(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٧٢ ؟
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٢٧١ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٧٤ ، وعند الإمام البخاري رقم الحديث ١٠٦٠ .
(٥) العظيم أبادي ، عون المعبود ، ج٤ ، ص ١٢١ .

وإنما أراد أنه فعله على غير الطريقة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته وخاف على الناس من الصلاة في المسجد أن تفرض عليهم، صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم عدة ليال ثلاث ليال ثم تأخر، وقال: إني خشيت أن تفرض عليكم فدل ذلك على أنه إنما تركها خوف الفريضة عليه، فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أمن الناس من الفريضة لأن التشريع انقطع، الوحي انقطع ما بقي تشريع، فلهذا فعلها عمر رضي الله عنه وأمر أُبَيّ أن يصلي بالناس رضي الله عنهم وأرضاهم جميعا.

فليست بدعة وإنما هي سنة سنها الرسول صلى الله عليه وسلم وفعلها، وفعلها الصحابة في وقته كانوا يصلون في وقت النبي صلى الله عليه وسلم أوزاعا، كان الرجل وحده يصلي، الرجل بالرجلين وبالثلاثة أوزاعا، يعني جماعات في المسجد، فجمعهم عمر على إمام واحد، فهي سنة وليست بدعة، وإنما أراد من حيث اللغة سماها بدعة من حيث اللغة ..

وأما كونه صلى ثلاثًا وعشرين فقد ثبت عنه هذا، وهذا ثبت عنه صلى إحدى عشرة، وثبت عنه أنه صلى ثلاثًا وعشرين، والسبب في ذلك أن الإحدى عشر كانوا يطولون فيها ثم رأى التخفيف بعض الشيء وأن تكون ثلاثًا وعشرين، وكله سنة، هذا سنة وهذا سنة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الليل مثنى ...مثنى ولم يحدد إحدى عشرة ولا ثلاث عشرة ولا أكثر من ذلك قال: صلاة الليل مثنى ...مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى ولم يقل: فإذا زاد على إحدى عشرة فليقف أو ثلاث عشرة، قال: فإذا خشي الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى.

فصلاة الليل موسع فيها، ولهذا كان بعض السلف يصلي أربعين، وبعضهم يصلي أكثر من ذلك، فصلاة الليل فيها سعة، فعمر رضي الله عنه لما علم هذا عمر خففها من ثلاث وعشرين إلى إحدى عشرة حتى يتمكن الناس من أدائها بنشاط من غير تعب، فمن صلاها إحدى عشرة أو ثلاث عشرة أو ثلاثًا وعشرين أو أكثر من ذلك فلا حرج، لكن الأفضل إحدى عشرة أو ثلاث عشرة، هذا الأفضل كونه يوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا

هو الأفضل، ولكن ليس بمخالفة ذلك بدعة ولا إنكار لأن المشروع في صلاة الليل أمر واسع بحمد الله، وفي النهار كذلك.)[1].

س٦٩: لماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزع عمامته ويعرض نفسه للمطر ؟. وما السنن المستحبة عند نزول المطر ؟.

ج٦٩: ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب المطر ويستبشر به ، ويفرح لنزوله حتى يكشف عن جسده الشريف عليه الصلاة والسلام ، ليصيب من بركات نعمة الله تعالى .

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : (أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطَرٌ ، قَالَ : فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنْ الْمَطَرِ . فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لِمَ صَنَعْتَ هَذَا ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى)[2].

قال الإمام النووي رحمه الله :(هذا الحديث دليل لقول أصحابنا أنه يستحب عند أول المطر أن يكشف غير عورته ليناله المطر)[3].

وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله :وهذا منه صلى الله عليه وسلم تبرك بالمطر ، واستشفاء به ؛ لأن الله تعالى قد سماه رحمة ، ومباركا ، وطهورا ، وجعله سبب الحياة ، ومبعدا عن العقوبة ، ويستفاد منه احترام المطر ، وترك الاستهانة به)[4].

وفي صحيح البخاري : باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته ، أورد فيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في استسقاء النبي صلى الله عليه وسلم المطر على المنبر ، وكان مما قاله أنس رضي الله عنه : (ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ)[5] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :(كأن المصنف أراد أن يبين أن تحادُرَ المطر على لحيته صلى الله عليه وسلم لم يكن اتفاقا ، وإنما كان قصدا ، فلذلك ترجم بقوله : " من تمطَّر "، أي : قصد نزول المطر عليه ؛ لأنه لو لم يكن باختياره لنزل عن المنبر أول ما وكف السقف ،

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٩٨ .
(٣) النووي ، شرح مسلم ، ج٦ ، ص ١٩٦ .
(٤) القرطبي ، المفهم ، ج٢ ، ص ٥٤٦ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١-٣٣ .

لكنه تمادى في خطبته حتى كثر نزوله بحيث تحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم)[١] .

ومن هنا كان كثير من السلف الصالح يستحبون التبرك بالمطر النازل من السماء ، ويستَنُّون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى عقد ابن أبي شيبة في (المصنف) بابا بعنوان : من كان يتمطر في أول مطرة " ، أي : يتعرض للمطر ويغتسل به)[٢].

وروى فيه بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه : " كان يتمطر في أول مطرة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه : " كان يُخرج ثيابه حتى يخرج سرجه في أول مطرة ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه : " كان إذا أراد المطر خلع ثيابه وجلس ، ويقول : حديث عهد بالعرش)[٣].

وهكذا عقد الإمام البخاري رحمه الله في كتابه " الأدب المفرد " (ص، ٢٠٠) بابا بعنوان : (من استمطر في أول المطر) ، وكذلك فعل ابن حبان حيث عقد في " الصحيح " (١٣، ٥٠٥) بابا بعنوان : (ذكر ما يستحب للمرء الاستمطار في أول مطر يجيء في السنة) ، وعند البيهقي في " السنن الكبرى (٣ ، ٣٥٩) باب بعنوان : (باب البروز للمطر) ، كلهم يروون تحته حديث أنس بن مالك رضي الله عنه المرفوع ، ويستدلون به على استحباب البروز والتعرض للمطر في أول نزوله ، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله :

ونص الشافعي وأصحابنا على استحباب التمطر في أول مطرة تنزل من السماء في السنة ، وحديث أنس الذي خرجه البخاري إنما يدل على التمطر بالمطر النازل بالاستسقاء ، وإن لم يكن أول مطرة في تلك السنة)[٤] ، [٥].

وعليه فإن السنن هي أربع سنن قولية وفعلية يستحب أداؤها عند نزول المطر وأثناء نزوله وبعده، وحري بكل محب للخير لنفسه أن يحرص عليها وأن يعلمها لغيره إن تيسر له ذلك:

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ٥٢٠ .
(٢) ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٦ ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) ابن رجب ، فتح الباري ، ج٦ ، ص ٣١٦ .
(٥) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب نشر في ٣٠ / ٣ / ٢٠١١ م.

١- عند أول نزول المطر: أن تقول: (اللهم صيباً نافعاً) ، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى المطر قال: (اللهم صيباً نافعاً)[١]، ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا رأى المطر: (رحمة)[٢].

٢- أن تقف تحت المطر وتحسر عن شيء من ملابسك ليصيب المطر جسدك. لحديث أنس رضي الله عنه قال: (أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى أصابه من المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى)[٣]. رواه مسلم. قال النووي رحمه الله: (معنى حسر كشف، أي كشف بعض بدنه، ومعنى قوله حديث عهد بربه أي بتكوين ربه إياه، ومعناه أن المطر رحمة وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها)[٤].

٣- أثناء نزول المطر: أن تدعو الله تعالى وتسأله من خيري الدنيا والآخرة فإن ذلك موضع إجابة لأنه يوافق نزول رحمة من رحمات الله عز وجل، ففي الحديث: (ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر)[٥].

٤- بعد نزول المطر: أن تقول: (مطرنا بفضل الله ورحمته) كما في الحديث الطويل وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (أترون ماذا قال ربكم..... أما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب)[٦].

س٧٠: لماذا تكررت عدة آيات في القرآن الكريم ؟.

ج ٧٠ : التكرار أسلوب عربي معروف عند العرب, التكرار في القرآن الكريم على وجوه: مرة يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين، وأخرى تتكرر كلمة مع أختها لداع، بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها، فاصلة تكرر في سورة

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٠٣٢ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٩٩ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٨٩٨ .
(٤) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٧٣ .
(٥) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣-٧٨ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٠٢٨ .

واحدة على نمط واحد، قصة تتكرر في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة، وعرض الفكرة، بعض الأوامر، والنواهي، والإرشادات، والنصح مما يقرر حكماً شرعيًّا، أو يحث على فضيلة، أو ينهى عن رذيلة، أو يرغب في خير، أو ينفر من شر، وتكرار القرآن في جميع المواضع التي ذكرناها، والتي لم نذكرها مما يلحظ عليها سمة التكرار، في هذا كله يباين التكرار في القرآن ما يقع في غيره من الأساليب؛ لأن التكرار، وهو فن قولي معروف، قد لا يسلم الأسلوب معه من القلق والاضطراب، فيكون هدفًا للنقد والطعن؛ لأن التكرار رخصة في الأسلوب إذا صح هذا التعبير، والرخص يجب أن تؤتى في حذر ويقظة ومن محاسن التكرار في القرآن الكريم ما يلي :

١- التسلية والتثبيت لقلب المصطفى صلى الله عليه وسلم، بذكر ما اتفق للأنبياء من الإيذاء والتكذيب، مما حدث له من قومه.

٢- هذا التكرار وجه من وجوه الفصاحة؛ فإبراز القصة الواحدة بطرق كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة، فكان تكرار القصص أسلوبًا من أساليب إظهار فصاحة القُرْآن، وهذا يسمى عند البلغاء (اقتدارًا).

٣- أن الدواعي لا تتوفر على نقل القصص كتوفر الدواعي على نقل الأحكام؛ فلهذا تكرر القصص.

٤- هذا التكرار في القصص قد تقع فيه بعض الزيادة مما لم يذكر في المواضع الأخرى

٥- تعديد النعم، كما جاء في قصص بني إسرائيل في القُرْآن، وخاصة في سورة البقرة.

٦- تكرار القصص وجه من وجوه الإعجاز في القُرْآن؛ حيث عجز العرب عن الإتيان بمثل آية من القُرْآن، وكرر القصص إيضاحًا لعجزهم؛ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله بأي نظم جاؤوا وبأي عبارة عبروا، كما أن التكرار هو المناسب

٧- تكرار القصص في القُرْآن، سوى قصة يوسف عليه السلام - جاءت مخالفة للقصص في الكتب المتقدمة - الذي جاءت كل قصة من قصصه مجموعة في موضع واحد، كما وقع لقصة يوسف عليه السلام في القُرْآن، وإظهارًا لعجز العرب الذين عجزوا عن معارضة

القصص المكرر وغيره[1] .

٨- إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإلزام المعاندين الحجة الراسخة.

٩- الزيادة في الموعظة خاصة في الأمور العظيمة عندها لا يمل المتكلم ولا السامع من التكرار لأن أهمية الموضوع ومقام الموعظة تقتضى ذلك.

١٠- ولذا كثيرا ما يذكرنا القرآن في مواطن مختلفة وبأساليب متنوعة بيوم القيامة وأهواله نظرا لأهميته ، فيكرر الحديث عنه باعتبار تعدد ما يقع فيه ، لأن مقام الموعظة يقتضى الإطناب في تعداد ما يستحق به التوبيخ ، والتكرار من مقتضيات مقام الموعظة"

١١- وقد أشار السيوطي لهذا الغرض من التكرار من خلال قول الله تعالى (الحاقة ما الحاقة) ، (القارعة ما القارعة) ، (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) حيث أكد رحمه الله على أن التكرار هنا يفيد التعظيم في مقام الموعظة.

١٢- الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب التكرار ، بمعنى أن القرآن الكريم يجزئ الموضوع الواحد إلى عدة أجزاء ، يلقى في كل مناسبة جزء يفي بأصل الفكرة مع إضافات جديدة في كل مرة ، والدعوة إلى الله

١٣- هي مهمة القرآن الكريم ، ولذا يتفنن القرآن في الوصول لهذه الغاية متوخيا تنوع الأساليب والدعوة إلى الله تحتاج إلى تذكير بين الحين والآخر.

١٤- التكرار يجعل القارئ للقرآن يقف على جمله من مقاصد القرآن الكريم في القدر اليسير الذى يقرأه ، ومعلوم أنه يتعذر أن يتمكن شخص من قراءة القرآن الكريم كاملا في المرة الواحدة ، فبدون التكرار يفوته مقاصد كثيرة قد يحتاجها في موضوع بعينه إذ القرآن شفاء لكل داء وفى كل وقت ، ولذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره لاسيما الطويلة منها حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا يسهل السبيل لكل أحد.

١٥- قد يأتي التكرار لهدف تثبيت معنى يقصده القرآن الكريم وذلك لأهميته ، ولخطورة

---

(١) .شبكة الالوكة ، التكرار في القرآن الكريم الشيخ مسعد أحمد الشايب تاريخ الإضافة: ٢٠١٧/٧/٢٣ ميلادي

القضية فالقرآن لا يكررها في مواضع مختلفة ومواطن متفرقة في سور متعددة وحسب ، بل يزيد الأمر اهتماما بتثبيت هذا المعنى، فيكرر القضية المراد تثبيتها في نفس المقام في آيتين متتاليتين.

١٦- من فوائد التكرار أن يصيب كل وفد من الوفود التي كانت تفد على النبي صلى الله عليه وسلم فيقرئها شيئا من القرآن الكريم فيصيبوا قدرا كافيا من مقاصد القرآن ، والأمر ليس قاصرا على القصص وحسب ، ولكن كل ما كرره القرآن الكريم في مواطن متعددة ، وتحتاج إليه الوفود وغيرهم .

١٧- ومن فوائد التكرار في القرآن الكريم : زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول.

١٨- من الحكمة أن تتكرر آيات العذاب والنعيم على سبيل المثال في القرآن الكريم كي يصادفها الإنسان كلما قرأ القرآن الكريم فيخشع قلبه ، ويطمع في الجنة فيعمل لها ، ولعل قلة تكرار العذاب والنعيم في الأناجيل قد أسلم بعض النصارى إلى القول بإنكار الجنة والنار جملة وتفصيلا ، والتجئوا إلى تفسيرهما بتفاسير مجازية بعيدة عن المعنى الحقيقي لهما.

١٩- التربية والتي هي غاية القرآن الكريم ، ليست قولة ترمى مرة واحدة وتترك هملا بعدها ، وكل من مارس التربية في أي مجال يدرك مدى احتياج التربية إلى التذكير بالشيء مرة تلو الأخرى ، حتى يستقيم الأمر على المطلوب ، ويأتي العلم الحديث ليؤكد هذا الأمر، لأن القناعة العقلية لا تكفى لتقويم الإنسان بل يجب أن تدخل هذه القناعة إلى العقل الباطن ، والذى أثبت العلم أنه بحاجة إلى تكرارها كي تترسخ فيه وتصبح جزءا منه.

٢٠- لكل سورة من سور القرآن الكريم وحدة موضوعية ، وعندما يتكرر شيء في أي سورة من السور سواء أداة أو كلمة أو فاصلة أو قصة فإنه- ولا شك – يخدم هذا المضمون ، والتكرار فيها يكون بالقدر الذى يفي بالغرض[١].

---

(١) أحمد محمد لبن، منديات انما المؤمنون اخوة، ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ظاهرة التكرار في القرآن الكريم الجمعة ٢٥ مارس ٢٠١١

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :وليس في القرآن تكرار محض ، بل لابد من فوائد في كل خطاب[1] .

وقال كذلك في التعليق على تكرار قصة موسى مع قومه – :وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن ، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر ، كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة ، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر ، وليس في هذا تكرار ، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل : محمد ، وأحمد ، والحاشر ، والعاقب ، والمقفى ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، ونبي الملحمة ، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر ، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة .

وكذلك القرآن إذا قيل فيه : قرآن ، وفرقان ، وبيان ، وهدى ، وبصائر ، وشفاء ، ونور ، ورحمة ، وروح : فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر ،وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل : الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور : فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر ، فالذات واحدة ، والصفات متعددة ، فهذا في الأسماء المفردة .وكذلك في الجمل التامة ، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها ، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر ، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر[2] .

وقال السيوطي رحمه الله : وله – التكرار – فوائد منها :

١- التقرير ، وقد قيل الكلام إذا تكرَّر تقرَّر ، وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله (وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) .

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٤ ، ٤٠٨

(٢) المصدر السابق ، ج١٩ ، ص ١٦٧ -١٦٨ .

٢- التأكيد .

٣- زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ، ومنه (وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) ، فإنه كرر فيه النداء لذلك .

٤- إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديداً لعهده ، ومنه (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) ، (ثم إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) ، (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) إلى قوله (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) ، (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ) ، (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ) .

٥- التعظيم والتهويل نحو (الْحَاقَّةُ . مَا الْحَاقَّةُ) ، (الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ) ، (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ)[(١)] .

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله :فإن قيل : ما الفائدة في تكرار قوله : (فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكذِّبانِ) ؟ و الجواب : أن ذلك التكرير لتقرير النِّعم وتأكيد التذكير بها ، قال ابن قتيبة : من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز ؛ لأن افتنان المتكلِّم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فنٍّ واحدٍ ، يقول القائل منهم : واللهِ لا أفعله ، ثم واللهِ لا أفعله ، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله ، كما يقول : واللهِ أفعلُه ، بإضمار (لا) إذا أراد الاختصار ، ويقول القائل المستعجِل : اعْجَل اعْجَل ، وللرامي : ارمِ ارمِ ، ... ، قال ابن قتيبة : فلمّا عَدَّد اللهُ تعالى في هذه السورة نعماءَه، وأذكَرَ عِبَادَه آلاءَه ، ونبَّههم على قُدرته ، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل

(١) السيوطي ، " الإتقان في علوم القرآن " ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢

نِعمتين ، ليُفَهِّمهم النِّعم ويُقَرِّرهم بها ، كقولك للرجل : أَلم أُبَوِّئْكَ مَنْزِلاً وكنتَ طريداً ؟ أفتُنْكِرُ هذا ؟ أ لم أحُجَّ بك وأنت صَرُورَةٌ – هو من لم يحج قط – ؟ أفَتُنْكِرُ هذا ؟[1] .

قال القرطبي رحمه الله : وأما وجه التكرار أي : (قل يا أيها الكافرون) فقد قيل إنه للتأكيد في قطع أطماعهم ، كما تقول : والله لا أفعل كذا ، ثم والله لا أفعله ، قال أكثر أهل المعاني : نزل القرآن بلسان العرب ، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التأكيد والإفهام ، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادة التخفيف والإيجاز ؛ لأن خروج الخطيب والمتكلم من شيء إلى شيء أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد ، قال الله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ، (ويل يومئذ للمكذبين) ، (كلا سيعلمون . ثم كلا سيعلمون) ،و (فإن مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا) : كل هذا على التأكيد[2] ، [3] .

والتكرار يهدف إلى:

- إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإلزام المعاندين الحجة الراسخة ، يقول الإمام اللغوي ابن فارس : (إن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجْزَ القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع ، إعلاما أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة (عبر) ، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب .
- الزيادة في الموعظة خاصة في الأمور العظيمة عندها لا يمل المتكلم ولا السامع من التكرار لأن أهمية الموضوع ومقام الموعظة تقتضى ذلك.
- يذكرنا القرآن بأساليب متنوعة بيوم القيامة وأهواله نظرا لأهميته ، فيكرر الحديث عنه باعتبار تعدد ما يقع فيه ، لأن مقام الموعظة يقتضى الإطناب في تعداد ما يستحق مواطن به التوبيخ ، والتكرار من مقتضيات مقام الموعظة ، وقد أشار السيوطي لهذا الغرض من

---

(١) ابن الجوزي ، زاد المسير ، ج٥ ، ص ٤٦١

(٢) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢٠ ، ص ٢٦٦ .

(٣) المنجد ، الاسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٠٠٧/٠٢/٠١

التكرار من خلال قول الله تعالى "(الحاقة ما الحاقة) ، (القارعة ما القارعة) ، "(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) ، حيث أكد على أن التكرار هنا يفيد التعظيم في مقام الموعظة[1].

- الدعوة إلى الله تعالى بأسلوب التكرار ، بمعنى أن القرآن الكريم يجزئ الموضوع الواحد إلى عدة أجزاء ، يلقى في كل مناسبة جزء يفي بأصل الفكرة مع إضافات جديدة في كل مرة ، والدعوة إلى الله هي مهمة القرآن الكريم ، ولذا يتفنن القرآن في الوصول لهذه الغاية متوخيا تنوع الأساليب والدعوة إلى الله تحتاج إلى تذكير بين الحين والآخر كما قال تعالى : (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) "فقد تستدعى الحكمة التربوية تكرار الموضوع المراد التذكير به ، وذلك حسب مقتضيات الدعوة والتربية .
- التكرار يجعل القارئ للقرآن يقف على جمله من مقاصد القرآن الكريم في القدر اليسير الذى يقرأه ، ومعلوم أنه يتعذر أن يتمكن شخص من قراءة القرآن الكريم كاملا في المرة الواحدة ، فبدون التكرار يفوته مقاصد كثيرة قد يحتاجها في موضوع بعينه إذ القرآن شفاء لكل داء وفى كل وقت ، ولذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره لاسيما الطويلة منها حتى صارت كل سورة قرآنا صغيرا يسهل السبيل لكل أحد .
- قد يأتي التكرار لهدف تثبيت معنى يقصده القرآن الكريم وذلك لأهميته ، ولخطورة القضية فالقرآن لا يكررها في مواضع مختلفة ومواطن متفرقة في سور متعددة وحسب، بل يزيد الأمر اهتماما بتثبيت هذا المعنى، فيكرر القضية المراد تثبيتها في نفس المقام في آيتين متتاليتين ، كما جاء في سورة النساء حيث أراد القرآن تثبيت وتأكيد قضية مهمة جدا، وهى قضية ملكية الله لجميع ما في السماوات وما في الأرض فكررها في آيتين متتاليتين قال تعالى : (وَللهِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَّ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ للهِّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللهُّ

(١) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص ١٦٧ .

غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا(١٣٢))[١]

فنلاحظ هنا أن قضية ملكية الله للسماوات والأرض وما فيهن – وهى قضية من الأهمية بمكان – كررها القرآن ثلاث مرات في سورة واحدة في مقام واحد في آيتين متتاليتين ، وقد قيل إن الكلام إذا تكرر تقرر ويقول الله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا(١١٣))[٢].

- من فوائد التكرار أن يصيب كل وفد من الوفود التي كانت تفد على النبي صلى الله عليه وسلم فيقرئها شيئا من القرآن الكريم فيصيبوا قدرا كافيا من مقاصد القرآن ، والأمر ليس قاصرا على القصص وحسب ، ولكن كل ما كرره القرآن الكريم في مواطن متعددة ، وتحتاج إليه الوفود وغيرهم .
- ومن فوائد التكرار في القرآن الكريم : زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ومنه قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ....(٣٩))[٣] فهنا كرر النداء بقوله " يا قوم " استعطافا لهم ، ولينبههم على أنه حريص على مصلحتهم إذ هو من القوم ، فأراد أن ينفى عن نفسه شبهة التغرير بقومه فكرر هذا النداء ، يقول الزمخشري في هذا المقام :" فإن قلت : لم كرر نداء قومه ؟ قلت : أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة . وفيه : أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم ، وهو يعلم وجه خلاصهم ، ونصيحتهم عليه واجبة ، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ، ويستدعي بذلك ، أن لا يتهموه ، فإنّ سرورهم سروره ، وغمهم غمه ، وينزلوا على تنصيحه لهم ، كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه : (يا أبت) ومثل هذا في القرآن الكريم كثير ، وهو من الحنكة في الدعوة إلى الله .

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة طه .
(٣) سورة غافر

- من الحكمة أن تتكرر آيات العذاب والنعيم في القرآن الكريم كي يصادفها الإنسان كلما قرأ القرآن الكريم فيخشع قلبه ، ويطمع في الجنة فيعمل لها ، ولعل قلة تكرار العذاب والنعيم في الأناجيل قد أسلم بعض النصارى إلى القول بإنكار الجنة والنار جملة وتفصيلا ، والتجئوا إلى تفسيرهما بتفاسير مجازية تبعدهما عن المعنى الحقيقي لهما .
- التربية والتي هي غاية القرآن الكريم ليست قولة ترمى مرة واحدة وتترك هملا بعدها ، وكل من مارس التربية في أي مجال يدرك مدى احتياج التربية إلى التذكير بالشيء مرة تلو الأخرى ، حتى يستقيم الأمر على المطلوب ، ويأتي العلم الحديث ليؤكد هذا الأمر، لأن القناعة العقلية لا تكفى لتقويم الإنسان بل يجب أن تدخل هذه القناعة إلى العقل الباطن ، والذى أثبت العلم أنه بحاجة إلى تكرارها كي تترسخ فيه وتصبح جزءا منه .
- لكل سورة من سور القرآن الكريم وحدة موضوعية ، وعندما يتكرر شيء في أي سورة من السور سواء أداة أو كلمة أو فاصلة أو قصة فإنه– ولا شك – يخدم هذا المضمون ، والتكرار فيها يكون بالقدر الذى يفي بالغرض.ومع هذا التكرار فالقارئ لا يشعر أبدا بالملل من كثرة القراءة وإن قرأه مرارا وتكرارا ، بينما يمل من راجع كتابا واحدا كائنا ما كان لأكثر من مرة أو لعدة مرات ، وصدق الله إذ يقول (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) ، و يمكننا القول بأن التكرار في القرآن الكريم له فائدتان :

الفائدة الأولى : فائدة دينية باعتبار أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها في فن من فنونه ، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية ، هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ، ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين .

الفائدة الثانية : فائدة أدبية : ودور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان[1] .

---

(١) منتدى انما المؤمنون إخوة الجمعة ٢٥ مارس ٢٠١١

س٧١ : لماذا جاءت الحروف المتقطعة في أوائل السور في القرآن الكريم ؟ وماذا تعني هذه الحروف مثل ق ، ن ، ص وألم وكهيعص وغيرها ؟.

ج٧١ : هذه الحروف المقطعة مثل (ألم) وردت في مستهل تسع وعشرين سورة، وذكر العلماء في تأويلها تأويلات كثيرة، غالبها لا يصح ولا يستقيم معناه، والأقرب والله أعلم أن معناها التحدي بأن هذا القرآن المعجز مؤلفة كلماته وجمله من الحروف نفسها التي نظم بها العرب أشعارهم وألفوا بها خطبهم، فهذه الحروف هي مادة القرآن الكريم، ومع وجود هذه المادة بين أيديهم هم عاجزون عن الإتيان بمثله.

١- أقوال المفسرين حول هذه الأحرف المقطعة والتي بلغت ثلاثين قولا، يرجع إلى ابن خالويه في كتابه إعراب القرآن. وأغلب العلماء يرى أنها المتشابه الذي نهانا الله تعالى أن نخوض فيه في قوله تعالى في بداية سورة آل عمرانه: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٧))[١]، وهذا الرأي يروى عن كثير من الصحابة والتابعين ومن الصحابة ابن عباس، وشدد ابن حزم النكير على من يخوض فيها فقال: فحرام على كل مسلم أن يطلب معاني الحروف المقطّعة التي في أوائل السور)[٢].

٢- قد قدم الباحث لؤي الشريف طرحاً جديداً لمعاني الحروف المقطعة في القرآن الكريم، ويعتبر هذا الطرح أقرب ما يكون للتفسير المنطقي لمعاني ودلالات الحروف المقطعة حسب البعض. وانطلق الباحث الشريف -وهو المهتم بدراسة اللغات السامية- من القول بأن أصل الأبجدية العربية مأخوذة من الأبجدية السريانية وهذا الطرح يجد له صدى عند اللغويين المحدثين وإن كان الأمر ليس حاسما، وأشار الباحث الشريف إلى أن الحروف

(١) سورة آل عمران .
(٢) ابن حزم الأندلسي ، الإحكام في أصول الأحكام ، ج٤ ، ص ١٢٤ .

مثل:(ألم، ألر، طه، كهيعص...)ليس لها أي معنى في اللغة العربية ولكن لها معاني في اللغة السريانية التي هي أصل الأبجدية العربية".

وهذه أمثله لهذا الطرح (ألم): تعني اصمت...وكان يستخدمها النبي داوود في خطبه عندما يريد قول شيء مهم وهذا مذكور في الزبور والتوراة ليومنا هذا بنفس الحروف.

(ألم) لكن بالشكل العبري والسرياني، وعندما نطبق هذا المعنى على القرآن الكريم في سورة البقرة مثلا ستصبح: "اصمت" ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، وانظروا للسياق وكيف استقام المعنى.

(ألر): تعني تبصر أو تأمل بقوة، وعندما ننظر لكل الآيات التي وردت بعد "ألر" في القرآن الكريم نجد أنها احتوت على شيء يتبصر أو يتأمل فيه. ومن أعظم ما يجب أن نتبصر فيه القرآن الكريم، وانظر إلى قوله سبحانه وتعالى مثلا في سورة يونس: (ألر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) وفي سورة هود: (ألر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آَيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) وغيرهما من السور[1] ، لكننا نلاحظ :

١- أن من درس الآرامية ، والعبرية ، وجد أن هذا الباحث يتكئ في شروحاته واستشهاداته على العبرية وليس على الآرامية والتي لا يعرفها سوى الباحثون المتخصصون ، وبالتالي فإن كل النتائج التي يرى أنه توصل إليها وفتح آفاقا جديدة في فهم هذه الحروف المتقطعة هي نتائج باطلة .

٢- يرى غيره أن هذه الحروف، إذا جمعت مع ترك المكرر منها، فسوف تحتوي على الحروف: (ا ح ر س ص ط ع ق ك ل م ن هـ ي)، وبإعادة ترتيب هذه الحروف نستطيع الحصول على جملة «نص حكيم له سر قاطع»، وهذا من إعجاز القرآن.

٣- هناك كتاب يحمل اسم (تفسير القرآن بالسريانية : دسائس وأكاذيب) هو كتاب قيّم للباحث الدكتور بهاء الأمير، ويتبعه عنوان فرعي هو: والأصول القبالية لتفسير

---

(١) صحيفة اسبوتنك عربي فك شيفرة أهم ألغاز القرآن بعد ١٤٠٠ سنة© العالم العربي ٢٠/ ١/ ٢٠١٧ م.

الحروف المقطعة بالسريانية ، و يمتد الكتاب على ٤١٠ صفحات، ويتصدى لأسطورة تفسير القرآن الكريم باللغة السريانية، وهي فرية متعصبة تبناها كهنة أهل الكتاب الحاقدون، وحملها بعض المغفلين والمدسوسين من المنتسبين إلى عائلات مسلمة، وحرصوا على ترويجها بين العوام مستغلين مواقع التواصل الاجتماعي التي تضم الغث والسمين.

س٧٢ : ماذا تعني الأسر اللغوية ؟.

ج٧٢ : حاول اللغويونَ تقسيم لغاتِ البشر إلى (مجموعاتٍ)، وهناك تقسيمان شهيران:

الأول: **تقسيمها بحسبِ (تطورها ورقيها في الأداء اللغويّ)، وقد قسمها اللغويّ الألمانيّ (شليجل) بهذا الاعتبار إلى ثلاث مراتب:**

١- لغات تحليلية: تتغير أبنيتها بتغير المعاني، وتربط بين كلماتها روابط تدل على أصولها. كالعربية.

٢- لغات إلصاقية: تمتاز بالسوابق واللواحق كاليابانية والتركية.

٣- لغات عازلة: وهي غير المتصرفة، والتي بنية الكلمات فيها لاتتغير، كاللغة الصينية.

واعترض بعضهم على هذا التقسيم من جهة أنّ أساليب (التحليل، والإلصاق، والعزل) موجودة مجتمعة في معظم اللغاتِ الإنسانيةِ.

الثاني: **تقسيمها بحسب القرابات اللغوية، وهذا هو التقسيم الأشهر ، وتنقسم إلى:**

١- الفصيلة الهندو-أوروبية: تمتد جغرافيا على مساحة واسعة من الكرة الأرضية، وتشتمل على عدة طوائف لغوية:

أ- اللغات الآرية، وتشمل اللغات الهندية والإيرانية.

ب- اللغات اليونانية أو الإغريقية.

ت- اللغات الإيطالية، وأهم فروعها اللاتينية التي تشعبت منها الفرنسية والإسبانية والإيطالية والبرتغالية.

ث- اللغات الجرمانية: وأهمها: الانجليزية، والهولندية، والألمانية، والسويدية والنرويجية.

ج- اللغات السلافية: ومنها: الروسية والتشيكية والبلغارية والليتوانية.

ح- اللغات الكلتية أو السَّلتية.

٢- الفصيلة الحامية-السامية: مداها الجغرافي بلاد العرب وشمال أفريقيا وجزءٌ من شرقها.

وهي ذات شعبتين رئيستين:

أ- الحامية: ومنها المصرية والبربرية.

ب- السامية: ولها قسمان رئيسان:

- السامية الشرقية: تضم البابلية والآشورية .

- السامية العربية: ولها قسمان:

*الشمالية: تضم الكنعانية ، والآرامية. والعبرية تعدُّ فرعاً من الكنعانية.

*الجنوبية: وهذا القسم يشملُ العربية الجنوبية، والعربية الشمالية. ويهمنا الحديث عن العربية الشمالية لأنها مرجعُ لغتنا العربية التي نتكلم بها اليوم.

العربية الشمالية لها قسمان رئيسان:

- العربية البائدة: المقصود بها اللهجات التي بادت قبل الإسلام، وأهم لهجاتها: الثمودية والصفوية واللحيانية. وعامة الموجود من هذه اللهجات إنما هو نقوش قليلة متفرقة.
- العربية الباقية : هي العربية التي ما نزال نستخدمها اليوم، ووصلت إلينا عن طريق الشعر الجاهلي، وعن طريق القرآن والسنة. وهذه العربية الفصيحة لها لهجاتٌ تنوعتْ بتنوع القبائل، وقد ضبطها أهل العربية وقننوها وبينوا ما يحتج به منها وما لا يحتجّ، حتى أصبحت لدينا علومٌ كاملةٌ تخدمُ هذه العربية وتستكشف معانيها، وتبين ما دخلها من لغاتٍ أخر، وما يحكمها من أنظمةٍ وقوانين.

ومن خلال كل ما سبق نتبيّنُ موقع العربيةِ من الآرامية، وأنهما يجتمعانِ في الأصل الساميّ الغربيّ، إلا أن الآرامية من الفرع الشماليّ، والعربية من الفرع الجنوبيّ.

ولذلك فالحديث عن كون (الآرامية) أصلاً للعربية، أو كون العربية لهجة متفرعة من الآرامية فيه تعجل وتسرعٌ واعتسافٌ وتجاهل لكل هذا البنيان التقسيميّ التي يتحدثُ عنه

اللغويون منذ عشراتِ السنين.

والذي يمكنُ أن يقال: هو أن هناك تشابها بين العربية والآرامية نظراً لأنَّ كلتيهما تنتسبان إلى أسرة لغوية واحدةٍ هي الأسرة السامية. وهذا الانتساب ليس مخصوصا بهما، ولا يعطي الآرامية خصوصية فيما يتعلق بألفاظ العربية وأبنيتها، وفي اللغات السامية ما هو أقرب للعربية من الآرامية، بل كل اللغاتِ السامية – نظرياً– بينها وبين العربية تشابهٌ يقلُّ ويكثُرُ. وقد يُستفاد منه في تفسير بعض الظواهر اللغوية.

وأكثر من هذا أن من الباحثين من صرف عمره للبحث عن وجوه الشبه بين اللغات الهندو أوروبية واللغات السامية باعتبار الجميع لغةً للإنسانِ. فإذا وُجدَ الشبهُ بين لغاتٍ تنتسبُ إلى أسرٍ مختلفةٍ متباينة فكيف لا يوجدُ بين لغاتٍ ترجعُ إلى أسرةٍ واحدةٍ؟(القرآن الكريم والمدخل الآرامي[1].

س٧٣ : لماذا كان نطق بعض كلمات القرآن الكريم غير كتابتها مثل (زكاة – زكوة) و (صلاة – صلوة)؟.

ج٧٣ : لقد كتب الصحابة رضوان الله عليهم المصاحف بما كان متعارفاً عليه في زمنهم من قواعد الهجاء وأصول الرسم وكان أكثر الصحابة ومن وافقهم من التابعين وتابعيهم يوافقون الرسم العثماني في كل ما يكتبون ، ولو لم يكن قرآناً ولا حديثا.، واستمر الأمر على ذلك عهداً طويلاً فكانوا يرسمون الألف واواً في الصلوة والزكوة والحيوة كما يقول ابن قتيبة[2].

إذ من الواضح أن محاولات جرت منذ وقت مبكر لإدخال بعض صور الكلمات المستعملة عند الكتابة في المصحف .

وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين في شعب الإيمان: (من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوا شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً ، وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا

---

(١) تعليقات حول تفسير القرآنِ العربيّ بمقتضى اللغةِ الآرامية الدكتور عادل بن أحمد با ناعمة ٢ محرم ١٤٣٧

(٢) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، ص ٢٥٣ .

استدراكاً عليهم)[1] .

وقال اللبيب في الدرة الصقيلة : (فما فعله صحابي واحد فلنا الأخذ به والاقتداء بفعله والإتباع لأمره فكيف وقد أجتمع على كتاب المصاحف حين كتبوه نحو اثني عشر ألفاً من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين ؟)[2].

وقال السيوطي : أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتًا وحذفًا ، ووصلاً وقطعًا ، إلا أنه ورد عنهم اختلافٌ في أشياء بأعيانِها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء ، وبإلحاق الهاء فيما تقدم وغيره ، وبإثبات الياء في مواضع لم تُرسَم بِها ... ثم قال : ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع[3].

وقال الزركشي : ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم ذلك، كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء ، والهمز والمد والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكنًا ، نحو: الْخَبْءَ و دِفْءٌ فصار ذلك كله حجةً [4].

إن رسم القرآن الكريم توقيفي ، فلا تجوز مخالفته ، ولا تجوز كتابة المصحف إلا على الكتبة الأولى وهو مذهب الجمهور ، واستدلوا على ذلك بأدلة ، منها :

١- إقرار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم هذه الكتبة، فقد كان للنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كُتَّاب يكتبون الوحي ، وقد كتبوا القرآن على هذا الرسم بين يديه صلى الله عليه وسلم وأقرهم على تلك الكتابة ومضى عهده صلى الله عليه وسلم والقرآن على هذه الكتبة ، لم يحدث فيه تغيير ولا تبديل.

٢- ما ورد من أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم كان يوقف كُتَّابه على قواعد رسم القرآن ويوجههم في رسم القرآن وكتابته:

---

(١) السيوطي : الإتقان ج٤ ص١٤٦.
(٢) عبد الغني اللبيب ، الدرة الصقيلة ، ص٣٠.
(٣) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج١ ، ص ٢٥٠-٢٥١.
(٤) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، ص ٣٧٨ .

أ- فعن معاوية أنه كان يكتب بين يدي النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، فقال له: أَلِق الدواةَ، ألاق الدواة فلاقت: لزق المداد بصوفها[1].

ب- ، وحرِّف القلمَ ، وأقِم الباء ، وفرِّق السينَ ، ولا تعوِّر الميم وحسِّن (الله) ، ومدّ (الرحمن) ، وجوِّد (الرحيم) ذكره القاضي عياضٌ في الشفا بتعريف حقوق المصطفى والحافظ في فتح الباري[2]

ت- وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم قال: إذا كتب أحدكم:(بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ). فليمدَّ الرحمن. رواه الديلمي في مسنده[3]، وهذا حديث موضوع لا يحتجّ به وقال الألباني رحمه الله (حديث موضوع) .

٣- إجماع الصحابة على ما رسمه عثمان رضي الله تعالى عنه في المصاحف، وعلى منع ما سواه.

٤- إجماع الأمة المعصوم من الخطأ بعد ذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين على تلقِّي ما نُقِل في المصاحف العثمانية التي أرسلها إلى الأمصار بالقبول، وعلى ترك ما سوى ذلك[4] .

حيث أن القول بعدم جواز كتابة المصحف على غير الرسم العثماني هو قول أهل المذاهب الفقهية الأربعة، فإليك بعض من أقوالهم في هذه المسألة:

الأحناف : جاء في المحيط ألبرهاني: إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني[5].

المالكية: حيث يروي الداني أن إمام المدينة مالكاً رحمه الله، سئل فقيل له:" أرأيت متى استكتب مصحفاً اليوم أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم، فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى[6] .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب (ليق)، ج ٥، ص٤١١٥ .
(٢) القاضي عياضٌ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج١ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .، ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص ٥٧٥
(٣) الديلمي ، مسند الديلمي ، فردوس الأخبار ، ج١ ، ص ٣٦٤ ، رقم الحديث ١١٧٤
(٤) الأهدل ، الكواكب الدرية ، ص ٣٤.
(٥) الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج١ ، ص ٣٧٩ .
(٦) الداني ، المقنع ، ص ٣٨ .

ويروى أيضاً أنه سئل عن الحروف التي تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تُغَيَّرَ من المصحف إذا وجدت فيه كذلك ؟ فقال : لا [١] ، ويعقب الداني على ذلك بقوله: يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ[٢].

وقد أجمع العلماء على مثل ما ذهب إليه الإمام مالك ، وقد قال الجعبري في شرح العقيلة إن ذلك هو مذهب الأئمة الأربعة ، فقد قال أبو عمرو الداني بعد أن روى رأي مالك السابق " ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة[٣].

قال السخاوي :والذي ذهب إليه مالكٌ هو الحقُّ ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى ، إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى ، ولا شك أن هذا هو الأَحرى بعد الأُخرى، إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى[٤].

وقال أبو عمرو الداني أيضًا: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تُغَيَّر من المصحف إذا وُجدت فيه كذلك؟ قال: لا..[٥]، قال أبو عمرو: يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم، المعدومتين في اللفظ، نحو الواو في : (أُولَئِكَ) و (أُولَتُ) و(الرِّبَوا)، ونحو الألف في : (نَدْعُوْا) و (وَلاَأَوْضَعُوا) [٦].

الشافعية : قال الشيخ سليمان الجمل : (الربا) تكتب بهما، أي : الواو والألف معًا ،فتكتب الواو أولاً في الباء ، والألف بعدها ، وهذه طريقة المصحف العثماني وقوله: "وبالياء" أي: في غير القرآن؛ لأن رسمه سنةٌ متبعة[٧].

الحنابلة : حتى إن الإمام أحمد بن حنبل قال : يحرم مخالفة مصحف الإمام في واوٍ أو ألفٍ أو ياء أو غير ذلك[٨].

---

(١) القسطلاني ، شرح صحيح البخاري ، ج١ ، ص ٢٧٩ .
(٢) الداني ، المقنع ، ص١٩، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرص٩
(٣) المصدر السابق ص ١٠ – ١٩ . السيوطي ، الإتقان ، ج٤ ، ص ١٤٦
(٤) السخاوي ، مناهل العرفان ، ج١ ، ص ٣٧٩ .
(٥) الداني ، المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار ص ٣٦، والزركشي ، البرهان في علوم القرآن (٣٧٩/١)، والزرقاني ،مناهل العرفان (٣٧٩/١). و المارغني ، دليل الحيران شرح مورد الظمآن ص ٢٤٥
(٦) حاشية الجمل على شرح المنهج، للشيخ سليمان الجمل ، ج٣ ، ص ٤٤ .
(٧) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج١ ، ص ٣٧٩ ، والسيوطي ، الإتقان ، ج٤ ، ص ١٤٦
(٨) القاضي عياض ،الشفا بتعريق حقوق المصطفى ، ج٢ ، ص ٦٤٧ .

ومِمَّن حكى إجماع الأمة على ما كتب عثمان رضي الله تعالى عنه: الإمام أبو عمرو الداني، وروى بإسناده عن مصعب بن سعد قال: أدركت الناس حين شقَّق عثمان رضي الله تعالى عنه المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعِبْ ذلك أحدٌ[1].

وقال القاضي عياض : أجمع المسلمون على أن من نقص حرفًا قاصدًا لذلك أو بدله بحرفٍ مكانه ، أو زاد فيه حرفًا مِمَّا لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع ، وأُجمع على أنه ليس من القرآن ،عامدًا لكل هذا ، فهو كافر[2].

قال البيهقي : مَن كَتَب مصحفاً ، فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بِها تلك المصاحف ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مِمَّا كتبوه شيئاً ؛ فإنَّهم كانوا أكثرَ علماً وأصدقَ قلباً ولساناً وأعظمَ أمانةً منَّا ، فلا ينبغي لنا أن نظن بأنفسنا استدراكًا عليهم ، ولا تسَقُّطًا لَهم[3].

وعن زيد بن ثابت قال : القراءة سنةٌ ، قال سليمان بن داود الهاشمي: يعني ألا تخالف الناس برأيك في الإتباع ، قال البيهقي : إنما أراد ـ والله أعلم ـ أن إتباع مَن قبلنا في الحروف وفي القراءات سنةٌ متبعةٌ ، ولا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمامٌ ، ولا مخالفة القراءة التي هي مشهورةٌ ، وإن كان غيرُ ذلك سائغًا في اللغة ، أو أظهرَ منها[4] ،وقال أيضًا: وبِمعناه بلغني عن أبي عبيد في تفسير ذلك، قال: وترى القرَّاء لم يلتفتوا إلى مذاهب العربية في القراءة، إذا خالف ذلك خطَّ المصحف، وزاد: واتِّباعُ حروف المصاحف عندهم كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحدٍ أن يتعدَّاها [5].

قال ابن درستويه : خطان لا يُقاس عليهما : خط المصحف ، وخط تقطيع العروض ... ووجدنا كتاب الله ـ جلَّ ذكره ـ لا يُقاس هجاؤه ، ولا يُخالَف خطُّه ولكنه يُتَلقَّى بالقبول على ما أُودع المصحفَ [6] .

---

(١) الداني ، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار ص ١٨
(٢) البيهقي ، الجامع لشعب الإيمان ، ج٥ ، ص ٦٠٠.
(٣) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٢ ، ص ٣٨٥ . وذكره البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (٦٠٠/٥)، وفي السنن الكبرى (٣٨٥/٢)، والحاكم في المستدرك (٢٢٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي
(٤) البيهقي ، الجامع لشعب الإيمان ، ج٥ ،ص ٦٠١ ، والزركشي ، البرهان في علوم القرآن (٣٧٦/١)
(٥) الجامع لشعب الإيمان (٦٠١/٥)، وانظر البرهان في علوم القرآن (٣٨٠/١).
(٦) البرهان في علوم القرآن (٣٧٦/١)، نقلاً عن الكتاب لابن درستويه ص ٧.

قال العلامة الشنقيطي رسمُ الكِتابِ سنَّةٌ متبعة كما نَحَا أهلُ المناحي الأربعة وقد نقل الإمام الجعبري ، وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب إتباع رسم المصحف العثماني[1].

وحيث أن الكتابة على النت تتم بالرسم الإملائي الحديث وهو ما يتنافى مع ما أجمعت عليه الأمة من تحريم كتابة القرآن الكريم بغير رسم القرآن ، لذلك قيد الله للأمة الإسلامية من يحافظ على كتابه الكريم من عبث العابثين فوجدنا من كتب القرآن الكريم بالرسم العثماني إليكترونياً ووضع له برنامجا خاصاً بحيث يتبع في الرسم مصحف المدينة وبناء عليه نقول :

١- الروايات الصحيحة المتعلقة بتدوين المصاحف تحتمل وجوهاً في الفهم مما يفتح الباب واسعاً للاقتراح.

٢- إذا صح ما تقولونه عن رواية التابوت إنها مرسلة، فأعجب عجبي ممن لا يزال يحتج بها في مسألة مشكلة؛ فمعلوم أن المصحف قد جمع في عهد أبي بكر، وكتبت فيه كلمة التابوت، فلماذا يُختلف فيها وهم يأخذون عن صحف أبي بكر .

٣- لماذا يتم استبعاد احتمال أن يكون اختلاف الرسم في مصاحف عثمان يرجع إلى كون الرسول كان يُعلّم أكثر من رسم في كلمات محددة، كما علّم أكثر من قراءة وأكثر من عدد في الآيات؟!

٤- لماذا نقول هذا: لأن مصاحف عثمان لم تكن متطابقة في رسمها حتى في الأمور التي لا علاقة لها بالقراءة. والأصل أن نعترف أنهم فعلوا ذلك لأن الأمر كذلك، لما اشتهر عنهم من التزام وحرص على التزام ما ورد عن الرسول .

٥- كان عثمان يهدف إلى جمع القراءات أيضاً فوضع احتمال أن يختلفوا في كتابة لفظة تختلف فيها القراءات، عندها تكتب بلسان قريش.

٦- كل ما ورد حول مصاحف الأمصار مما لا وجود له اليوم لا يعنينا وذلك لاحتمال أن يقع الخطأ من الكتبة في العصور المختلفة ولكن ذلك لا يُقر.

---

(١) انظر التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية للدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ص ٢٧.

(أما الآية المشار إليها وردت في سورة النساء والحجرات، قال الله تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...(٩٤))[١] ، وقال الله تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا... (٦))[٢] وهذه قراءة صحيحة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، لنافع وابن كثير وأبي عمر وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب الحضرمي. وقراءة (فَتَثَبَّتوا)، صحيحة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا، لحمزة والكسائي وخلف العاشر. أما كونها قرأت بالقراءتين فهكذا تلقاها الصحابة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– ثم نقلوها إلى التابعين بالتواتر جيلاً عن جيل، مع اجتماع باقي الشروط التي ذكرها العلماء، لكن لا يسوغ جمعها في مصحف واحد؛ لأنه يؤدي إلى التشويش والتلبيس، ومن أراد تعلُّم هذه القراءات فعليه أن يتلقاها من الأئمة القراء الذين تلقوا هذه القراءات عمن قبلهم، فتعدد القراءات كان بوحي من الله وليس عن رأي واجتهاد، وإنما هي سنة متبعة مأخوذة بالتلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم. والقرآن أنزله الله على سبعة أحرف، ثم اجتمع المسلمون على حرف واحد، عندما جمع الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه القرآن في المصحف الإمام، وأمر بما سواه من المصاحف فأحرقت، وأجمع الصحابة على ذلك، والقراءات المشهورة راجعة إلى هذا الحرف، وما وقع بين القراءات من بعض الاختلافات فليس بينها تضاد من جهة المعنى، وإنما فيها تنوع وتكامل يكشف عن وجوه من إعجاز القرآن، وشمول معانيه وتيسير تلاوته، مثل قراءة التبين والتثبت فهما بمعنى واحد، وهو التثبت من الأخبار، والله تعالى نزه كلامه عن هذا الاختلاف الذي يضر. قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري في تفسيره "جامع البيان عند آية سورة فقرأ ذلك عامة قراء المكيين والمدنيين وبعض الكوفيين والبصريين: (فَتَبَيَّنُوا)، بالباء والنون من

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة الحجرات .

التبيُّن، بمعنى: التأني والنظر والكشف عنه حتى يتضح، وقرأ ذلك عظم قراء الكوفيين (فَتَثَبَّتوا)، بمعنى التثبت الذي هو خلاف العجلة، والقول عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد، وإن اختلفت بهما الألفاظ؛ لأن المتثبت متبين، والمتبين متثبت، فبأي القراءتين قرأ القارئ، فمصيب صواب القراءة في ذلك[١].

وقال أيضًا عند آية سورة الحجرات ("(فَتَبَيَّنُوا) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة (فَتَثَبَّتوا)، بالثاء، وذكر أنها في مصحف عبد الله منقوطة بالثاء، وقرأ ذلك بعض القراء (فتبينوا) بالباء، بمعنى: أمهلوا حتى تعرفوا صحته، لا تعجلوا بقبوله، وكذلك معنى (فَتَثَبَّتوا)، والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب[٢]، [٣].

س٧٤: لماذا تعددت القراءات القرآنية؟

ج٧٤ : جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[٤] ، وأخرج مسلم بسنده عن أبي بن كعب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أَضَاة بني غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتى لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا)[٥].

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، ج٧ ، ص ٣٦١ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢١ ، ص ٣٤٨ .
(٣) طريق الاسلام سبب اختلاف القراءة في فتبينوا و فتثبتوا ٢٢ / ١٢ / ٢٠١٩ م.
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤١٩٩ .د مسلم رقم الحديث ٨١٩
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٢١ .

والأحاديث الواردة في هذا المقام كثيرة ، لكنى أكتفى بما ذكرت ، والمزيد في مظانه ، ويؤخذ من ذلك ما يلى:

١- إن الأحرف السبعة جميعها قرآن نزل من عند الله ، لا مجال للاجتهاد فيها.

٢- أن السبب في هذه التوسعة هو التهوين على الأمة ، والتيسير عليها ف قراءة القرآن الكريم.

المراد بالأحرف السبعة:

أقوال عديدة ساقها العلماء حول مفهوم الأحرف السبعة ، التي تواترت الأحاديث في إثبات أن القرآن نزل عليها ، الأمر الذى جعل بعض العلماء يفر من ميدان النزال ، ويقول: إن الحديث مشكل.

أقول: الأقوال الواردة في هذا المقام أكثرها لا تستحق لضعفها أن نعول عليها في مقامنا هذا ، ويكفينا هنا أن نشير إلى ما يستحق الذكر ، ويستأهل أن ينظر إليه بعين الاعتبار ، وذلك متوافر في رأيين:

أحدهما : هو ما ذكره أبو الفضل الرازي وقاربه فيه كل من ابن قتيبة وابن الجزري.

وحاصله أن الأحرف السبعة هي سبعة أوجه لا يخرج عنها الاختلاف في القراءات وهى:

١- اختلاف الأسماء من إفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير ، وتأنيث.

٢- اختلاف تصريف الأفعال من ماضي ومضارع وأمر.

٣- اختلاف وجوه الإعراب.

٤- الاختلاف بالنقص والزيادة.

٥- الاختلاف بالتقديم والتأخير.

٦- الاختلاف بالإبدال.

٧- اختلاف اللغات - أي اللهجات - كالفتح والإمالة ، والتفخيم ، والترقيق ، والإظهار والإدغام.

وثانيهما: وهو ما ذهب إليه سفيان بن عيينة ، وابن جرير ، وابن وهب ، والقرطبي ، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء[1] :

وحاصله: أن المراد بالأحرف السبعة هي سبع لغات في كلمة واحدة تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني وتقاربها ، مثل: هلم ، واقبل ، وتعال ، إلى ، وقصدي ، ونحوى ، وقربى. فإن هذه سبعة ألفاظ مختلفة ، يعبر بها عن معنى واحد ، هو طلب الإقبال ، وليس معنى ذلك أن كل معنى في القرآن عبر عنه بسبعة ألفاظ من سبع لغات ، بل المراد أن منتهى ما يصل إليه عدد الألفاظ المعبرة عن معنى واحد هو سبعة.

وتفصيلا في هذا الأمر يقول الأستاذ عبد الوكيل محمد شعيب :

أولا: القراءات في مفهومها اللغوي والاصطلاحي:

مفهوم القراءات اللغوي: القراءات جمع قراءة، على وزن فعالة، مشتقة من مادة (ق ر أ)، يقال: قرأ يقرأ قرآناً وقراءة. فالقراءة والقرآن كلاهما مصدران لفعل قرأ[2]. وتأتي كلمة القراءة على عدة معان منها ما يلي:

الضم أو الجمع: كما يقال: قرأت الناقة جنيناً. أي ضمت رحمها على ولد.

التلاوة: يقال: قرأ محمد كتابه. أي تلاه. ووجه تسمية التلاوة بالقراءة لضم أصوات الحروف في داخل الذهن، التي تتكون منها هذه الألفاظ التي ننطق بها[3].

مفهوم القراءات الاصطلاحي: قال الإمام الزركشي[4]: هي اختلاف في لفظ الوحي المنزل ويريد بذلك الاختلاف في كتابة الحروف أو كيفيتها، بما فيها من خفة أوتثقيل أو غير ذلك. وقال الإمام ابن الجزري: القراءات علم بكيفية أداء الكلمات القرآنية، واختلافها بعزو الناقلة.

إن تعريف الإمام ابن الجزري يشتمل على الجانب النظري والتطبيقي، لأن العلم هو إدراك الشيء بحقيقته، والعلم بكيفية أداء كلمات القرآن، حري أن يشتمل على الجانبين معاً.

وقال أحد المعاصرين وهو الدكتور السيد رزق الطويل:(القراءات القرآنية عبارة عن الوجوه

---

(١) عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان ، ١ / ١٥٥ – ١٥٧ .
(٢) ابن منظور لسان العربمادة "قرأ"، ١٢٨/١.
(٣) علم القراءات نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية، ص٢٦
(٤) العسقلاني، إمام أحمد بن علي ابن حجر. إنباء الغمر بأبناء العمر. ١٦٨/١

المختلفة في الأداء من عدة جوانب قد تكون صوتية أو نحوية أو صرفية)[١].

ويوضح الشيخ ابن عاشور مفهوم القراءات، فيقول: إن للقراءات حالتين:

الحالة الأولى: اختلاف القراءة القرآنية في جانب النطق بالحرف أوالحركة كمقدار المد والإمالة وغيرها من تخفيف وتسهيل وتحقيق وجهر وهمس وغنة نحو كلمة (عذابي) بسكون حرف الياء و(عذابيَ) بفتح الياء وفي جانب تعدد الوجوه الإعرابية كما في قوله تعالى (حتى يقولَ الرسول) بفتح اللام في كلمة (يقولَ) أو ضمها ، وكما في قوله تعالى (لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة) برفع البيع والخلة والشفاعة أو فتح الثلاثة كلها أو رفع البعض وفتح البعض.

والحالة الثانية: اختلاف القراءة في الحروف كما في قوله تعالى (مالك يوم الدين) بالألف في (مالك) و(ملك يوم الدين) بدون الألف وكلمة (ننشرها) بالراء و(ننشزها) بالزاي وفي قوله تعالى (ظنوا أنهم قدكذبوا) بالتشديد في حرف الذال و(قدكذّبوا) بالتخفيف ، أو ما نجد من الاختلاف في الحركات وهو الاختلاف الذي يختلف معه المعنى ، كما في قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قرأها الإمام نافع بضم حرف الصاد في (يصدون) وقرأها الإمام حمزة بكسره فالأولى بمعنى يمنعون غيرهم عن الإيمان والثانية بمعنى إنكارهم في أنفسهم وكلاهما حاصل منهم[٢].

ثانيا: الفرق بين القراءات وعلم القراءات:

سبق تعريف القراءة فهي تدل على الجمع والضم والتلاوة في مفهومها اللغوي وهي عبارة عن اختلاف ألفاظ الوحي كتابة وكيفية ، أما علم القراءات فقد عرفه العلماء كعلم مستقل بنفسه، وفيما يلي تعريفات بعض منهم:

- قال الإمام القسطلاني القراءات علم به يعرف اتفاق نقلة القرآن الكريم واختلافهم في الجانب اللغوي أو الإعرابي، أو غيرهما من الجوانب كحذف وإثبات وفصل ووصل من حيث النقل[٣] .

---

(١) رزق الطويل و في علوم القرآن مدخل ودراسة وتحقيق، ص٢٧
(٢) ابن عاشور، محمد طاهر. التحرير والتنوير. ، ٢٦/١-٣٠
(٣) ابن عاشور، محمد طاهر.ا لتحرير والتنوير. ، ٢٦/١-٣٠

- قال طاش كبري زاده[١]: القراءات علم يقدم فهما لصور النظم القرآني من ناحية وجوه الاختلافات المتواترة نقلا، أو يمكن أن تدخل فيه الاختلافات التي لم يتواتر نقلها.[٢]
- قال الدمياطي: هو علم به يعرف اتفاق رواة القرآن الكريم واختلافهم في حذف وإثبات وحركة أو سكون، وفصل أو وصل وغير ذلك مما يتعلق بالنطق والإبدال، من حيث السماع.

يتلخص من التعاريف السابقة للقراءات وعلم القراءات أن القراءات هي الوجوه المختلفة في النطق بالحروف والحركات وأداء الكلمات، وهي ثابتة من الشارع، ولا دخل فيها إلى الاجتهاد. ثم إن هذه الاختلافات بين القراءات تنحصر في أمور ثلاثة، وهي:

١- أن يختلف اللفظ من غير اختلاف في المعنى. كما نجد في كلمة (صراط) التي تقرأ بالصاد والسين، والمعنى واحد، وهكذا كلمة (عليهم) تقرأ بكسر حرف الهاء وضمه، والمعنى لا يختلف.

٢- أن يختلف اللفظ مع المعنى مع جواز اجتماعهما في شيء من الأشياء. ومثل هذا كما في كلمة (مالك ومَلِك) فهنا الكلمتان مختلفتان في اللفظ، وكذلك في المعنى، فكلمة الملك تزيد عن المالك في معنى التسلط والتحكم والسيطرة، ولكن المراد بالمالك والملك واحد وهو الله تعالى.

٣- أن يكون الاختلاف لفظياً ومعنوياً وأن يمتنع اجتماع اللفظين في شيء من الأشياء، إلا أن يتفقا من وجه آخر يساير المعنى العام فلا يبقى التضاد، كما في قوله جل وعلا (وهو يطعم ولا يطعم) بالبناء للمعلوم في الكلمة الأولى وبالمجهول في الثانية، وقرئ بعكس ذلك في القراءة الشاذة. ووجه اتفاق هاتين القراءتين هو أن الضمير في القراءة الأولى يعود على الله تعالى، وفي القراءة الثانية الشاذة يعود على الولي، وعلى

---

(١) طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. ٦/٢
(٢) الدمياطي، شهاب الدين. اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. ،ص٣

هذا فالقراءتان ينسجم معهما المعنى العام للآية[1]، وعلى هذا فثبت أن الاختلاف بين القراءات اختلاف تنوع وتغاير وليس باختلاف تناقض وتضاد، لأن التناقض والتضاد يستحيل وجودهما في القرآن، يقول ربنا: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)) [2]. لأن التناقض في الكلام يدل على بطلانه، وقال تعالى: (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢))[3]. وهل يمكن أن يجتمع التناقض مع الوضوح والإبانة، قال تعالى في حق كتابه أنه منزل: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[4]، والجدير بالذكر أن الاختلاف بين القراءات، لا يقوم على اجتهاد الأشخاص ووجهات أنظارهم، أو على أساس القياس يراعى فيه نوع من القواعد، وإنما ذلك الاختلاف سنة متبعة، تقوم على سند عن رسول الله[5].

ثالثا: نشأة علم القراءات وتدوينه :

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خلال فترة قدرت بثلاث وعشرين سنة، فتلقاه النبي الكريم ، ثم تلقاه الصحابة منه عليه السلام، على سبعة أحرف[6] ، واشتهر كثير منهم بلقب(القراء) حيث كانوا يقرؤون الناس بالقراءات التي تلقاها كل واحد منهم من فم رسول

---

(١) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، ص٢٨
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة فصلت .
(٤) سورة الشعراء .
(٥) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، ص٢٩
(٦) إن هذه الحروف كان نزولها خلال فترة نزول القرآن كلها بعهديها المكي والمدني إلا أن استخدام هذه الحروف من الرسول ، كان في الفترة المدنية دون المكية، تيسيراً على الأمة التي تختلف في لهجاتها ولغاتها، والدليل على هذا هو ما رواه ابن جرير الطبري عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن الرسول كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على حرفين. قال أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على ثلاثة أحرف. قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا. وعلى هذا فاستخدام هذه الحروف كان في الفترة المدنية فكانت الحاجة ملحة لاستخدامها في هذه الفترة

الله صلى عليه وسلم[1] وكانت الصحابة رضي الله عنهم يلتزمون تلاوة الرسول وأداءه، وكانت تلاوته عليه السلام بحروف متعددة ، ولذلك كان من يأخذ القرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم بحرف، ومنهم من يأخذه بحرفين، أو يزيد على ذلك، ثم انتشروا في المدن والبلاد المختلفة، وهم يقرأون القرآن كما أخذوه من نبيهم بحروفه المختلفة، وأدرك بعض الصحابة شيئاً من هذا الاختلاف، وسألوا في ذلك الرسول، فأجاز لهم ما سمع منهم من الحروف[2]، ويتضح لنا هذا فيما وقع بين هشام ابن حكيم وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، حيث سمع عمر من هشام سورة الفرقان على غير القراءة التي سمعها عمر من الرسول الكريم، ولم ينتظر عمر إلا أن أخذ هشام بن حكيم إلى الرسول ، فلما سمع الرسول من هشام بن حكيم، فقال: هكذا أنزلت. ولما سمع من عمر، فقال: هكذا أنزلت. ثم قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ (٢٠))[3].

وهذا كله كان في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد أن لحق الرسول بالرفيق الأعلى، وكانت صحابته سمعوا منه القرآن على هذه الحروف المتعددة، ثم انتشروا بعد ذلك في مختلف الأمصار، فكثر الخلاف في وجوه القراءات، ولذلك أدرك بعض الصحابة رضي الله عنهم أن يكون لهذا الاختلاف بين القراءات ضوابط يضبط بها، فرفعوا الأمر إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه. وحينئذ كتب عثمان رضي الله المصاحف ووزعها على الأمصار المختلفة، ثم أجمع الصحابة على عدم الاعتداد بغير هذه المصاحف[4].، وقد انحصرت الوجوه في القراءات بعد هذه المرحلة بما يتواتر موافقاً للرسم العثماني، فلما ظهرت قراءات ليس لها سند قوي، ولكن اكتفى قراؤها بالرسم، فوُجد حينئذٍ أهل البدع يقرأون القرآن بما يوافق بدعهم، وهنا اشتدت الحاجة لإجراء آخر، لسد باب أهل البدع، وقد تصدى لهذا الإجراء أئمة من أهل الخبرة ومن أهل الرواية والدراية في هذا الفن، فاختاروا[5].

---

(١) علم القراءات نشأته أطواره وأثره في العلوم الشرعية،ص٥٨

(٢) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، ص٣١

(٣) الإمام البخاري ، رقم الحديث ٤٧٠٦

(٤) الإتقان في علوم القرآن، ١٣٩/١.

(٥) علم القراءات نشأته أطواره وأثره في العلوم الشرعية، ص٣١ .

من القراءات، وصاروا في ذلك قدوة لمن أتى بعدهم[1].

والجدير بالذكر أن ما تقدم من الكلام لا يعني أن الأحرف السبعة والقراءات السبع شيء واحد، ولكن الذي يفهم منه هو أن القراءات السبعة ناشئة من الأحرف السبعة. والقراءات أكثر من السبع، قال مكي ابن أبي طالب: إن من يظن أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة كالإمام نافع وعاصم و...، يُرادُ بها الأحرف السبعة، فقد أخطأ، حيث يلزم من هذا أن من يخرج عن قراءتهم ويقرأ بقراءة الأئمة غيرهم، كالأئمة الثلاثة، لا تكون قراءته قرآناً. فهذا ليس بصحيح. والمشكلة التي لأجلها وقع البعض في أن المراد بالأحرف السبعة، والقراءات السبع شيء واحد. هي كما أشار إليها ابن الجزري بقوله: (وإنما أوقعهم في المشكلة سماعهم لحديث الرسول: أنزل القرآن على سبعة أحرف. في الوقت الذي يسمعون فيه القراءات السبع، فهنا ظنوا أن القراءات السبع والأحرف السبع شيء واحد ، ومن هنا كان يكره كثير من العلماء المتقدمين اقتصار الإمام ابن مجاهد على سبعة من القراء، وقالوا: ليته يقتصر على دون هذا العدد أو يزيد عليه أو يبين مراده).

إذن فما المراد بالأحرف السبعة؟

هناك أقوال كثيرة في المراد بالأحرف السبعة، وهي تصل إلى أربعين قولاً، مع أن معظم هذه الأقوال متداخلة فيما بينها، وبعضها غير مستندة إلى دليل، أو لا يعرف قائلها.

قال الشيخ مناع القطان في كتابه (نزول القرآن على سبعة أحرف) إن الأرجح من بين هذه الأقوال كلها هو قولهم: إن المراد بهذه الأحرف، لغات العرب التي وصلت إلى السبع[2] في المعنى الواحد مثل: أقبل، وتعالى، وهلم، وعجل، وأسرع، وهكذا الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد. ثم قال: وأن هذا القول قد ذهب إليه جماعة من العلماء، كسفيان ابن عيينة ومحمد بن جرير الطبري وابن وهب، وقال الإمام ابن عبد البر بأنه قول لمعظم الأئمة، و يؤيد هذا ما جاء في حديث أبي بكرة: ‘‘أن جبريل عليه السلام قال: يا محمد، اقرأ القرآن على حرف،

---

(١) في علوم القراءات مدخل ودراسة وتحقيق، ص،٣١-٣٢؛ الاختلاف بين القراءات،ص٣٩-٤١.

(٢) مباحث في علوم القرآن- ص،١٥٨

فقال ميكائيل: استزده، فقال: على حرفين، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف، ما لم يختم آية عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بآية عذاب، كقولك: هلم وتعالى وأَقْبِل واذهب وأسرع وعَجِّل

قال ابن عبدالبر: (إن الذي أريد بهذا هو ضرب المثل لتلك الحروف المنزل بها كتاب الله، وأنها معان يتفق مفهومها، ويختلف مسوعها، لا تضاد فيها، ولا مخالفة وجه لمعنى وجه مخالفة تضاد، مثل الرحمة التي تخالف العذاب)[١].

و مما يوضح لنا أيضاً أن مراد الأحرف السبعة هي اللغات السبع للعرب، هو قول عثمان رضي الله عنه، لهؤلاء القرشيين الذين كلفهم بكتابة المصحف في عهده، فقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلغة قريش[٢].

وقال الإمام أبوطالب القيسي: إن القراءات التي يقرأ بها الناس في زماننا وصحت روايتها عن أئمتها، هي كلها جزء من الأحرف السبعة التي بها نزل القرآن الكريم[٣].

وأما بالنسبة إلى تدوين القراءات :

ذهب معظم العلماء إلى أن ذلك كان في القرن الثالث الهجري، وكان أول من قام بالتأليف في القراءات هو: الإمام القاسم بن سلام ، حيث قام بجمع قراءة خمس وعشرين من القراء في كتاب مستقل[٤]. ثم بدأ العلماء يكتبون في القراءات، واستمر هذا التأليف، فكان منهم من يكتب في القراءة الواحدة، ومنهم من يتناول أكثر من قراءة، حتى جاء ابن مجاهد رحمه الله فكتب في السبعة، وله كتب كثيرة في القراءات: كتابه السبعة في القراءات، وكتاب القراءات الكبير وكتاب القراءات الصغير[٥].

وقد اتسعت حركة التدوين توسعة كبيرة بعد ابن مجاهد، وتنوعت التآليف في القراءات فمنهم من ألف في أسانيد القراءات وأصولها، ومنهم من كتب في طبقات القراء، ومنهم

---

(١) مباحث في علوم القرآن ص،١٦٢
(٢) البرهان في علوم القران، ٢١٨/١
(٣) أصول التفسير وقواعده، ص،٤٢٥
(٤) الدوسري، إبراهيم بن سعيد. المنهاج في الحكم على القراءات، ص٧
(٥) في علوم القراءات منهج ودراسة وتحقيق، ص٣٦

ألف في الاحتجاج للقراءات، وغير ذلك.

ونجد اليوم في القراءت ذخيرة ذهبية كبيرة من المؤلفات التي قام بها علماء هذا الفن الجليل، ولا زال العلماء يكتبون في هذا العلم وفي مختلف أنواعه وشتى فروعه.

رابعا: أقسام القراءات:

القراءات بصفة العموم تنقسم إلى ستة أقسام وهي كما يلي:

- القراءات المتواترة: وهي القراءات التي نقلها جمع غفير ، ويكون الأصل في تواترها أن تتوفر فيها شروطها الثلاثة التي سأتحدث عنها قريباً. ومعظم القراءات القرآنية التي نقرأ بها اليوم من هذا النوع، ولا شك أن هذا النوع من القراءات قرآن، يقرأ بها في الصلاة ويتعبد بها ويتمثل فيها الإعجاز والتحدي، ويكفر جاحدها.[٢].
- القراءات المشهورة: هي القراءات التي صح سندها ولم يبلغ درجة التواتر، وافقت الرسم والعربية، واشتهرت عند القراء ولم يعدوها من الغلط والشذوذ، وهذا النوع ملحق بالنوع الأول، وذلك لإجماع الصحابة على الرسم العثماني[٣].
- القراءات الآحادية: هي القراءات التي صح سندها مع مخالفة الرسم أو العربية وما اشتهرت عند القراء اشتهار القراءات المشهورة.[٤].
- القراءات الشاذة: هي القراءات التي ما صح سندها[٥] أو هي تخالف الرسم العثماني، أو لا نجد لها وجها في العربية.[٦] أو بعبارة أخرى: هي التي فقدت ركناً من أركان القراءة المقبولة[٧].
- القراءات المدرجة: هي الكلمات التي زيدت في القراءات على وجه التفسير[٨].

---

(١) في علوم القراءات منهج ودراسة وتحقيق، ص٤١
(٢) البيلي، أحمد. الاختلاف بين القراءات. ص٧٦؛ علم القراءات نشأته أطواره وأثره في العلوم الشرعية،ص٣٩
(٣) علم القراءات نشأته أطواره وأثره في العلوم الشرعية، ص٤٢.
(٤) الإتقان في علوم القرآن، ٢٠٨/١.
(٥) الإتقان في علوم القرآن، ٢٠٨/١.
(٦) علم القراءات نشأته أطواره، ص٤٤.
(٧) المنهاج في الحكم على القراءات، ص١٦
(٨) علم القراءات نشأته أطواره ، ص٤٥

- القراءات الموضوعة: هي المكذوبة المختلقة المصنوعة المنسوبة إلى من تنسب إليه افتراءً[1].

القراءات من حيث القبول والرد:

إن علماء القراءات رحمهم الله وضعوا ضوابط لقبول القراءات وردها، وبهذه الضوابط يمكننا أن نفرق بين القراءة الصحيحة وغيرها، وهذه الضوابط نذكرها كما يلي:

إن القراءة لا تقبل إلا أن تتوفر فيها الشروط والضوابط التالية:

- صحة سندها إلى رسول الله ، أي أن يرويها الثقات عن مثلهم عن رسول الله.
- أن تكون موافقة لأحد أوجه اللغة العربية.
- أن تكون موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية الستة[2].

والجدير بالذكر أن الضوابط السابقة يظهر منها أن القراءة المقبولة ليست المتواترة فحسب، بل كل قراءة صح سندها إلى الرسول الكريم، ولو كانت غير متواترة، وكانت موافقة للغة العربية ورسم أحد المصاحف العثمانية فهي قراءة مقبولة.

وقد قال بعض العلماء أن التواتر لابد منه في سندها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا تكون القراءة مقبولة إلا إذا ثبتت بالتواتر، ولأن القرآن كله متواتر، ولا يقرأ بغير المتواتر ولا يسمى قرآناً[3] .

وعلى هذا الأساس ذهب بعض الكتاب المتأخرين إلى جعل الضوابط أربعة، الثلاثة السابقة، ورابعها ضابط التواتر[4].

لكن هذا لا يستقيم، لأننا إذا زدنا ضابط التواتر، فلا حاجة حينئذ إلى ذكر ضابط صحة السند، ولا معنى له، حيث لا يشترط في المتواتر البحث عن أحوال رجاله من حيث التوثيق أو التضعيف، ولا يكون المتواتر إلا أنه كله مقبول، واشتراط صحة السند في المتواتر، لم يقل به

---

(١) علم القراءات نشأته أطواره ، ص٤٥.

(٢) عجاز القراءات القرآنية، ص٤٥؛ الاختلاف بين القراءات، ص٧٧؛ القاضي، عبد الفتاح. والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب. ،ص٧؛ وعلم القراءات نشأته وأطواره وأثره في العلوم الشرعية، ص٣٦؛ في علوم القراءات منهج ودراسة وتحقيق،ص٤٨]

(٣) في علوم القراءات، ص٤٨.

(٤) الاختلاف بين القراءات العشر، ص٧٧.

العلماء، وأرى ذلك اعتراضا على ما اصطلح عليه علماء الأمة، وخاصة علماؤنا في ميدان دراسة الأسانيد. والله أعلم.

وقال الإمام ابن الجزري: جعل بعض المتأخرين التواتر شرطاً في القراءة ولم يكتفوا بصحة سندها، وزعموا أن كتاب الله لا يثبت إلا بالسند المتواتر، وأن ما كان من الآحاد ليس بقرآن، قال ابن الجزري: إن هذا الكلام لا يعقل. لأن التواتر إذا ثبت فما بقيت حاجة إلى الشرطين الآخرين من موافقة اللغة العربية والرسم، حيث ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحرف الخلاف، وجب قبول ذلك، وثبت قرآنيته قطعاً، سواء وافق الرسم العثماني أم لم يوافقه ، قال وإذا جعلنا التواتر شرطاً في كل حرف من أحرف الخلاف، انتفى كثير منها مع أنها ثبتت عن السبعة وغيرهم. ثم قال: وكنت أميل سابقاً إلى هذا القول – أي شرط التواتر – ثم ظهر لي فساده...)[1].

وعلى هذا فالقراءات المقبولة التي تتوفر فيها شروط القبول السابقة[2] ، من أقسام القراءات التي ذكرتها هي:

- القراءات المتواترة.
- القراءات المشهورة الموافقة للغة والرسم.
- أن تكون موافقة لأحد أوجه اللغة العربية.

وأما اذا اختل شرط من شروط القبول الثلاثة في قراءة من القراءات فصارت القراءة مردودة. والله أعلم.

خامسا: مفهوم القراءات المتواترة والقراءات الشاذة:

وبعد هذه التفاصيل التي قدمناها في تعاريف القراءات وأقسامها ومقبولها ومردودها، يتبين لنا الآن في مفهوم القراءات المتواترة والشاذة ما يلي:

---

(١) النشر في القراءات العشر، ٢٤/١.

(٢) وقد ذكر صاحب كتاب علم القراءات نشأته أطواره وأثره ... في (ص،٣٨) أن القراءات المقبولة ثلاثة وهي : المتواترة والمشهور والأحادية التي صح سندها وخالفت الرسم ووافقت العربية. قلنا والذي أراه أن الأمر ليس كذلك، لأنه مادامت القراءة فقدت شرطاً من شروط القبول التي وضعها العلماء فكيف نقبلها؟.

القراءات المتواترة هي قراءات الأئمة العشرة الذين سيأتي ذكرهم قريباً إن شاء الله، وقد عرفنا اتفاق الجمهور على تواتر قراءاتهم، والفتوى على أنها معلومة من الدين بالضرورة. وكل ما عدا هذه القراءات العشر فهي قراءات شاذة غير مقبولة[١].

كان المراد بالشذوذ في القراءات في بداية الأمر، هي القراءات التي خالفت الرسم العثماني، ثم اتسعت دائرة الشذوذ لما وضعت قواعد النحو والتصريف، أي أنه بعد وضع هذه القواعد، أريد بالشذوذ مخالفة هذه القواعد أيضاً[٢].

مما لا يخفى أن هناك فرقا إلى حد ما بين المراد بالمتواتر والشاذ في مصطلح أهل فن القراءات وغيرهم من المحدثين والفقهاء، وذلك أن القراءات المتواترة المقصود بها عند القراء والمقصود بها في القراءات العشر، هي ما تتوفر فيها: صحة السند، وموافقة اللغة، وموافقة الرسم العثماني. ولتوفر هذه الشروط في القراءات العشر، تلقتها الأمة بالقبول، وقال جمهور القراء أنها متواترة. ولكن إذا نظرنا إلى القراءات العشر، بنظرة المحدثين، فنجد من بينها قراءات متواترة وفيها قراءات مشهورة، مع موافقتها للرسم واللغة، وكلها مقطوع بها، معلومة من الدين بالضرورة. والذي يظهر هو أن ما أريد بالتواتر عند القراء، فهو الذي توفرت فيه الشروط الثلاثة التي ذكرنا آنفاً.

وتجدر الإشارة إلى أن اشتراط القراء موافقة الرسم العثماني في قبول القراءات واعطائها منزلة التواتر، شرط يصل بالقراءات – بجانب صحة السند وموافقة اللغة – إلى حد التواتر المصطلح به لدى المحدثين وعامة العلماء، لأن الرسم العثماني قد أجمع عليه علماء الأمة من الصحابة والتابعين، وكان عددهم يصل إلى حد التواتر في أعلى درجاته، ثم ثبت ذلك الرسم في المكتوب ولم يكن لأحد أن يغيره.

ولما كانت الشروط الثلاثة السابقة، صارت لدى العلماء جميعاً، وأهل فن القراءات خصوصاً واجبة الأخذ بها، في معرفة القراءات المقبولة، وتبعا لذلك اتفقوا على قبول القراءة

---

(١) لمنهاج في الحكم على القراءات، ص١
(٢) في علوم القراءات منهج ودراسة وتحقيق، ص٥٩

المتوفر فيها تلك الشروط، كان اتفاقهم أيضاً على رد كل قراءة شذت عن هذه الشروط، واتفق جميعهم من اللغويين والنحاة والفقهاء والقراء أن الشذوذ فيه مخالفة حسب العلم المقول فيه، فهي عند النحاة مخالفة للقياس، وهي عند الفقهاء مخالفة للقول المشهور، وهي عند علماء فن القراءات مخالفة لإجماع القراء[١].

سادسا: قراء القراءات:

إن علماء القراءات رحمهم الله قد بينوا في مؤلفاتهم أسماء القراء الذين يعتبرون حجة في القراءات، لاتصافهم بجودة الحفظ وكمال الثقة، وطول الملازمة والممارسة لتعليم القرآن. وهؤلاء لم يتفقوا في بداية أمرهم على عدد خاص من القراء، بل رأوا أن يختاروا عدداً من الثقات في كل مدينة أرسل إليها الخليفة عثمان رضي الله عنه مصحفاً وعين صحابياً أو تابعياً مقرئاً منه، فاختاروا من المدينة ثلاثاً وهم: أبو جعفر المدني، وشيبة بن نصاح مولى أم سلمة رضي الله عنها، ونافع بن عبد الرحمن. واختاروا من مكة ثلاثاً أيضاً وهم: عبد الله ابن كثير، وابن محيصن، والأعرج. واختاروا من الكوفة خمسة وهم: ابن وثاب، وعاصما، وسليمان بن مهران الأعمش، وحمزة الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي. واختاروا من البصرة أربعة وهم: عبد الله ابن أبي إسحاق، وأبو عمرو، والجحدري، ويعقوب الحضرمي. واختاروا من الشام ثلاثة وهم: عبدالله ابن عامر، وعطية الكلابي، ويحيى الذماري[٢].

وجاء أبو عبيد القاسم بن سلام فاختار خمسة عشر إماماً قارئاً من خمس مدن، من كل مدينة ثلاثة من القراء، والمدن هي: مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق[٣].

فهكذا كانت في بداية الأمر، ثم جاء فيما بعد من قصر القراءات على خمسة فقط، وهو ابن جبير المكي الذي اختار من كل مدينة من المدن المذكورة آنفاً قارئاً واحداً.

وجاء ابن مجاهد وجعل أئمة القراءات المتواترة سبعة، واقتصر من رواة كل واحد منهم على اثنين، فالذين اختارهم ابن مجاهد هم:

---

(١) لمسئول، عبد العلي. "القراءات الشاذة ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية". القاهرة، ص٤٤ .
(٢) الاختلاف بين القراءات، ص٧٩ .
(٣) لاختلاف بين القراءات، ص٧٩

١- ابن عامر. والراويان المشهوران عنه بالواسطة: هشام بن عمار الدمشقي، وعبد الله بن أحمد ابن بشير.

٢- ابن كثير. والراويان المشهوران عنه بالواسطة: أبو الحسن أحمد بن محمد البزي، وأبو عمر محمد المشهور بـ(قنبل).

٣- عاصم. والراويان المشهوران عنه: حفص بن سليمان، وشعبة أبوبكر بن عياش.

٤- أبو عمرو . والمشهوران عنه بالواسطة: الدوري، وأبو شعيب.

٥- حمزة الزيات. والمشهوران عنه بالواسطة: خلف، وخلاد.

٦- نافع: والمشهوران عنه: قالون، وورش.

٧- الكسائي. والمشهوران عنه: أبو الحارث الليث بن خالد، وأبو عمر حفص الدوري.

فهؤلاء هم السبعة الذين حددهم ابن مجاهد رحمه الله[١].

والجمهور من علماء هذا الفن لم يوافقوا ابن مجاهد في تحديد القراءات المتواترة في قراءة هؤلاء السبعة، وقالوا بأن هناك ثلاثة آخرين من الأئمة تنطبق على قراءاتهم شروط التواتر، وعلى هذا فهم يرون أن أئمة القراءات المتواترة عشرة، السبعة منهم: المذكورون آنفاً عند ابن مجاهد، وأما الثلاثة الباقون فهم:

١- أبو جعفر المدني. والمشهوران عنه: عيسى بن وردان، وسليمان بن جماز.

٢- يعقوب الحضرمي. والمشهوران عنه بالرواية: محمد بن متوكل اللؤلؤي، وروح بن عبد الله.

٣- خلف البغدادي. واشتهر عنه: إسحاق بن إبراهيم، وإدريس بن عبد الكريم الحداد[٢]

وقد ذكر الشيخ صبري الأشوح، في كتابه (إعجاز القراءات القرآنية) فتوى العلماء، في القراءات العشر فقال: القراءات العشر: هي السبع التي ذكرها الإمام الشاطبي، والثلاثة التي فيها: قراءة الإمام أبي جعفر المدني وقراءة يعقوب الحضرمي وقراءة خلف البغدادي ، فهذه

---

(١) الاختلاف بين القراءات، ص،٨٠-٨٣ .

(٢) الاختلاف بين القراءات،ص٨٣-٨٥

كلها متواترة وهي معلومة من الدين بالضرورة. وكل حرف انفرد به واحد من العشر متواتر بدون شك ومعلوم من الدين بالضرورة، وأنه منزل على رسول الله عليه السلام، لا يكابر في ذلك غير الجاهل(١) .

قراء القراءات الشاذة:

إن قراء القراءات الشاذة لهم درجات في الشهرة، وأكثرهم شهرة أربعة وهم كما يلي ذكرهم:

١- ابن محيصن. وله راويان هما: البزي، وابن شنبوذ.

٢- اليزيدي. واشتهر عنه بالرواية: سليمان بن الحكم، وأحمد بن فرح.

٣- الحسن البصري. وراوياه: شجاع البلخي، والدوري.

٤- سليمان بن مهران . والمشهوران عنه: الحسن بن سعيد المطوعي، وأبو الفرج الشطوي.

وقراءات هؤلاء الأربعة شاذة بالاتفاق(٢).

سابعاً: أهمية القراءات العشر. وتتلخص في الأمور التالية:

١- إنها قرآن، وكم للقرآن من أهمية.

٢- أنها مفسرة للقرآن الكريم، ولذلك يرى العلماء أن المفسر يلزمه معرفة القراءات القرآنية.(٣)

٣- إنها ساعدت في حفظ اللغة، فالإمالة والترقيق والتفخيم والتسهيل والإشمام وجميع صفات حروف اللغة العربية ليس لها إسناد متواتر إلى قبائل العرب الأولى، إلا من خلال علم القراءات القرآنية.

إن العلوم التي تناقلها الأصاغر عن الأكابر على مر القرون، لم يبق فيها علم إلا علم القراءات القرآنية الذي لا يزال يؤخذ بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقرئ الشيخ تلميذه عدة مرات حتى يطمئن ثم يعطيه السند.

---

(١) إعجاز القراءات القرآنية، ص٤٧؛ وإتحاف الفضلاء ، ص٧

(٢) اتحاف الفضلاء ، ص١١-١٢

(٣) محمد أبو شهبة [الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير" الطبعة الرابعة، مكتبة السنة، ص/٣٦].

إن القراءات تدل دلالة واضحة على أن القرآن كلام الله وذلك لعدم التناقض مع كثرة القراءات. ومن جانب آخر دلت على صدق الرسول الكريم حيث أدها كما أنزلت عليه.

و لا يخفى علينا ما كان في القراءات من التيسير على قبائل العرب، فكم سهل الله تعالى على كل قبائل العرب تلقيه ونطقه بلهجاتهم المحلية دون الانتقال للهجات الأخرى التي تحتاج في حفظها لتدريب وتمرين. وقد لايطيق ذلك الشيخ الكبير والمرأة العجوز.

إن للقراءات القرآنية أثرا في الأحكام الفقهية من العبادات والحدود والكفارات والمعاملات المختلفة.

ثامناً: القراءات التي يُقرأ بها إلى اليوم

قال الإمام مكي بن أبي طالب: كان الناس على رأس المائتين بالبصرة على قراءة أبي عمرو ويعقوب، وبالكوفة على قراءة حمزة الزيات وعاصم بن أبي النجود ، وبالشام على قراءة ابن عامر ، وبمكة على قراءة ابن كثير ، وبالمدينة على قراءة نافع المدني ، واستمروا على ذلك مدة من الزمان. ثم غلبت قراءة يعقوب على أهل البصرة إلى آخر القرن الخامس، أما الشاميون فكانوا يقرأون بقراءة ابن عامر إلى نهاية القرن الخامس أيضاً.

ثم انتشرت في الشام قراءة أبي عمرو. وكان الإمام ورش ينشر قراءة نافع في مصر وعنه انتشرت قراءة نافع في أرجاء المغرب العربي وكثير من البلاد الإفريقية، وأهل المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) وما جاورهما من البلاد الإفريقية كتشاد انتشرت فيها رواية قالون عن نافع .و رواية الدوري عن أبي عمرو كثرت في أهل العراق والحجاز واليمن والشام ومصر والسودان وشرق إفريقيا إلى القرن العاشر الهجري. ورواية حفص عن عاصم بدأت تنتشر لدى الأتراك، وبدأت الدولة العثمانية تبسط سلطانها على معظم أرجاء العالم الإسلامي، فصارت ترسل أئمة وقضاة ومقرئين أتراك إلى أرجاء العالم العربي فانتشرت رواية حفص عن طريقهم وكذا عن طريق

---

(١) السندي أبو الطاهر عبد القيوم [صفحات في علوم القراءات " الطبعة الأولى ١٤١٥هـ المكتبة الإمدادية، ص/١٣٤ .

المصاحف التي تنسخها الدولة العثمانية برواية حفص. وذكر ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" أن القراءات التي يُقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام هي: قراءة نافع براوية قالون، في بعض المناطق التونسية، وبعض المناطق المصرية، وفي ليبيا. وبرواية ورش في بعض المناطق التونسية الأخرى، وبعض المناطق المصرية أيضاً، وفي الجزائر، والمغرب الأقصى، والسودان. وقراءة عاصم براوية حفص عنه في جميع المشرق، وغالب البلاد المصرية، والهند، وباكستان، وتركيا، وأفغانستان،- قلت ويقرأ بهذه الرواية معظم المسلمين اليوم- قال ابن عاشور: وبلغني أن قراءة الإمام أبي عمرو البصري برواية الدوري يُقرأ بها في السودان المجاور لمصر[١].

خلاصة الكلام:

عرفنا عما سبق أن القراءات جمع قراءة، وتدل هذه المادة على الجمع والضم والتلاوة، وعند علماء القراءات عبارة عن الوجوه المختلفة في الأداء من النواحي المتعددة والمتنوعة، لكن هذا الاختلاف اختلاف تنوع، وليس باختلاف تناقض وتضاد، لأن التناقض والتضاد يتنره عنهما القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

وجدير بالذكر أن هذا الاختلاف سنة متبعة تقوم على سند عن الرسول الكريم، لأن تلاوة الرسول التي تلقاها الصحابة عنه صلى الله عليه وسلم كانت بحروف شتى، ونشأت القراءات من هذه الحروف في عهد التابعين رضوان عليهم أجمعين، فمنها متواترة التي تتوفر فيها شروط التواتر، ويجب الأخذ بها، وما عداها فهي شاذة.)[٢].

س٧٥ : لماذا الاختلاف في عدد آيات القرآن الكريم؟.

ج٧٥: الوارد عن القراء في عدد آيات القرآن الكريم ستة أنواع هي:

العدّ المدني الأول: وهو ما رواه نافع عن شيخه أبي جعفر وشيخه شيبة بن نصاح، وهو عندهم (٦٢١٧) آية، وهو ما نقله أهل الكوفة عن أهل المدينة دون تحديد أحد منهم.

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير" (٣٥/١).
(٢) عبد الوكيل محمد شعيب ، موقع المرصد الإسلامي

العدّ المدني الأخير: وهو ما رواه إسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر وعن شيبة بن نصاح، والعدد على طريقتهم (٦٢١٤) آية، وهو المعتمد عند أهل المغرب في رواية ورش عن نافع.

العدّ المكي: وهو ما رواه الإمام الداني عن ابن كثير، وأسنده إلى مجاهد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضي الله عنهم، وهم عن رسول الله (ص)، وعدد الآيات عندهم (٦٢١٠) آيات.

العدّ البصري: وهو ما يرويه عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ، ونُسب إلى أيوب المتوكل، وعدُّ آي القرآن عندهم (٦٢١٤) آية، ويؤخذ به لأبي عمرو ويعقوب، ويلاحظ أنه موافق للعد المدني الأخير.

العدّ الدمشقي: ويقال الشامي، وهو ما يرويه يحيى الذماري عن ابن عامر، ويُنسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعدد الآي فيه (٦٢٢٦) آية، ومن أنواع العد الشامي العد الحمصي وقد أهمله الشاطبي تبعاً للداني.

العدّ الكوفي: وهو ما يرويه حمزة وسفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعدد آي القرآن عندهم (٦٢٣٦) آية، وهو الذي عليه المصحف الكوفي المنتشر في معظم الأمصار الإسلامية هذه الأيام.

أما سبب الاختلاف في عدد الآيات فقد بيَّن الزركشي أن سبب هذا الاختلاف:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا عُلِم محلها وَصَل للتمام؛ فيحسب السامع أنها ليست فاصلة[١] ، قالَ عَلَمُ الدِّينِ عليُّ بنُ محمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (فإن قيل: فلو كان ذلك توقيفا لم يقع اختلاف[٢]، وأيضا البسملة نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها)[٣].

قالَ جلالُ الدينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أبي بكرِ السيوطيُّ : (وقال ابن العربي: ذكر النبي صلى الله

---

(١) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ .
(٢) جمال القراء ، ج١ ، ص ٢٣٣ .
(٣) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، ص ٢٥١ ــ ٢٥٢ .

عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية، وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران.

قال: وتعديد الآي من معضلات القرآن ومن آياته طويل وقصير ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ومنه ما يكون في أثنائه.

وقال غيره: سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة)[1].

س٧٦ لماذا كتبت البسملة في المصاحف ولا تقرأ جهرا في الصلوات الجهرية؟.

ج ٧٦: قال القاضي عياض رحمه الله : وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض ، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين ، مما جمعه الدفتان من أول (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إلى آخر (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) أنه كلام الله ، ووحيه المنزَّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن جميع ما فيه حق ، وأن من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك ، أو بدَّله بحرف آخر مكانه ، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه ، وأُجمع على أنه ليس من القرآن ، عامداً لكل هذا : أنه كافر[1].

وأما اختلاف العلماء في عد البسملة آية من القرآن أم لا؟ فلا يدخل في هذا ، لأن أئمة القراءات لم يختلفوا في قراءتها في أوائل السور ، وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على إثباتها في أوائل السور إلا سورة التوبة ، وذلك في المصحف الذي كتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث به إلى الأمصار .

قال الشوكاني رحمه الله في الكلام عن البسملة :واعلم أن الأمة أجمعت أنه لا يكفر من أثبتها ، ولا من نفاها ؛ لاختلاف العلماء فيها ، بخلاف ما لو نفى حرفاً مُجمعاً عليه ، أو أثبت ما لم يقل به أحد : فإنه يكفر بالإجماع .ولا خلاف أنها آية في أثناء سورة " النمل " ،

---

(١) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ج٢ ، ص ١٨٢ .
(٢) القاضي عياض ،ج٢ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥

ولا خلاف في إثباتها خطّاً في أوائل السور في المصحف ، إلا في أول سورة " التوبة[١] .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : اختلف العلماء في البسملة ، هل هي آية من أول كل سورة ، أو من الفاتحة فقط ، أو ليست آية مطلقاً ، أما قوله في سورة النمل : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) : فهي آية من القرآن إجماعاً ، وأما سورة " براءة " : فليست البسملة آية منها اجماعاً ، واختُلف فيما سوى هذا ، فذكر بعض أهل الأصول أن البسملة ليست من القرآن ، وقال قوم : هي منه في الفاتحة فقط ، وقيل : هي آية من أول كل سورة ، وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى .

ومِن أحسن ما قيل في ذلك : الجمع بين الأقوال : بأن البسملة في بعض القراءات – كقراءة ابن كثير – آية من القرآن ، وفي بعض القراءات : ليست آية ، ولا غرابة في هذا .

فقوله في سورة "الحديد" (فَإِنَّ اللهَّ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) لفظة (هُوَ) من القرآن في قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وليست من القرآن في قراءة نافع ، وابن عامر ؛ لأنهما قرآ (فإن الله الغني الحميد) ، وبعض المصاحف فيه لفظة (هُوَ) ، وبعضها ليست فيه.

وقوله : (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهَّ إِنَّ اللهَّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُّ وَلَدًا) الآية ، فالواو من قوله (وقالوا) في هذه الآية من القرآن على قراءة السبعة غير ابن عامر ، وهي في قراءة ابن عامر ليست من القرآن لأنه قرأ (قَالُوا اتَّخَذَ اللهُّ وَلَدًا) بغير واو ، وهي محذوفة في مصحف أهل الشام ، وقس على هذا ، وبه تعرف أنه لا إشكال في كون البسملة آية في بعض الحروف دون بعض ، وبذلك تتفق أقوال العلماء[٢] أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على قراءة مخصوصة.

من أسباب الاختلاف هذا:

١- الاختلاف في الإعراب، فإن للإعراب أثره في تفسير الآية: ومثاله اختلافهم في قوله

---

(١) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٢ ، ص ٢١٥ .
(٢) محمد الأمين الشنقيطي ، مذكرة في أصول الفقه ، ص ٦٦ – ٦٧ .

تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ(٧))[١] ، فقد اختلفوا في (وَالرَّاسِخُونَ) فقيل: عطف نسق على لفظ الجلالة، وقيل: مبتدأ والخبر في قوله تعالى: (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) فعلى القول الأول أن الراسخين يعلمون تأويله وعلى القول الثاني لا يعلمون، وسبب هذا الاختلاف، الاختلاف في الإعراب:

٢- احتمال اللفظ أكثر من معنى كالاشتراك اللغوي، فإن بعض الكلمات لها أكثر من معنى في اللغة كلفظ "قسورة" الذي يطلق على الرامي وعلى الأسد، ولفظ "النكاح" الذي يطلق على العقد وعلى الوطء، ولفظ "القرء" الذي يطلق على الحيض وعلى الطهر، وهناك أسباب أخرى غير ذلك[٢].

٣- الخلاف في تصحيح رواية وتضعيفها، وكذلك الاختلاف في سبب نزول بعض الآيات بحيث قد يكون في سبب نزول آية قولين أو أكثر.

٤- مذهب المفسر الفقهي.

٥- الاختلاف في الإطلاق والتقييد، فقد يري بعض المفسرين بقاء المطلق على إطلاقه، وقد يقول بعضهم بتقييد هذا المطلق بقيد ما، فقد ورد عتق الرقبة في كفارة اليمين وكفارة الظهار فقد وردت مطلقة في سورتي المائدة والمجادلة، ووردت مقيدة كما في سورة النساء، فحمل بعض المفسرين المطلق علي المقيد وقالوا لا تجزئ الرقبة الكافرة، وأبقى بعضهم المطلق على إطلاقه، وكذلك الاختلاف في العموم والخصوص[٣].

٦- ومن أسباب الاختلاف، الاختلاف في فهم حروف المعاني، من ذلك الباء قوله عز وجل:(وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ.. (٦)) هل هي للملاصقة أم للتبعيض؟

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) فهد الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، ص ١٥٣ ــ ١٥٤ .
(٣) أحمد محمد الشرقاوي ، اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه، ، بحث محكم منشور على الشبكة.
(٤) سورة المائدة .

فقيل إنها للملاصقة وقيل للتبعيض والخلاف في ذلك موجود في كتب التفسير والفقه[اختلاف المفسرين أسبابه وضوابطه لأحمد محمد الشرقاوي، بحث محكم منشور على الشبكة،

س٧٧: لماذا اختلف العلماء في أول سورة نزلت من القرآن الكريم ؟

ج ٧٧: اختلف العلماء في أوّل ما نزل من القرآن الكريم على أربعة أقوال:

القول الأوّل: أوّل ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٦))[١] .

القول الثّاني: بأنّ أوّل ما نزل من القرآن الكريم قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(١) قُمْ فَأَنذِرْ(٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ(٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ(٥))[٢] مع وجود أدلّة صحيحة للقول الأوّل والثّاني، وقد ردّ العلماء القائلون بالأوّل أنّ أوائل "المدّثر" نزلت بعد الوحي بينما أوائل "العلق" أوّل ما نزل على الإطلاق.

القول الثّالث: بأنّ سورة الفاتح" هي أوّل ما نزل من القرآن الكريم، ولم يقل بهذا القول إلّا القليل بل وأقلّ من القليل.

القول الرّابع: أوّل ما نزل من القرآن البسملة(...بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣٠))[٣].

وأخيرًا: يمكن القول: بأنّ الأقربَ إلى الصّواب من خلال أدلّة القائلين بأوّل ما نزل من القرآن الكريم، آيات العلق هي التي نزلت في بداية الوحي، وأنّ آيات المدثّر مع البسملة في أوّلها نزلت بعد آيات العلق، عندما ارتعد، وخاف من نزول الوحي أوّل مرّة، وذهب إلى أهله يرتجف وهو يردّد دثروني... دثروني، فنزلت آيات المدّثر[٤].

---

(١) سورة العلق .
(٢) سورة المدثر .
(٣) سورة النمل .
(٤) موقع سطور ، إسماعيل طعمة ، ١٢ يونيو ٢٠١٩.

س٧٨: لماذا يدعي غير المسلمين أن القرآن به أخطاء لغوية ؟.

ج٧٨ : يقول ابن خلدون في مقدمته والتي أشك أنه هو من كتبها ، وأن هذه المقدمة هي من كتابة غيره من أعداء المسلمين : (انظُرْ ما وقَعَ في رسْمِهِمُ المِصْحفَ حيثُ رسَمَه الصحابةُ بخطوطهم وكانت غيرَ مستحكِمةٍ في الإجادة فخالَفَ الكثيرُ من رسومهم ما اقتضَتْه أقْيِسةُ رسومِ صناعةِ الخط عند أهلها. ثم اقتفى التابعون مِن السلف رسْمَهم فيها تبرُّكًا بما رسَمَه أصحابُ الرسول صلى الله عليه وسلم المتَلقُّون لِوَحْيِه مِن كِتاب الله وكلامِه كما يُقتَفى لهذا العهد خطُّ وليٍّ أو عالِمٍ تبرُّكًا ويُتَّبَعُ رسْمُه خطأً أو صوابًا. وأين نسبةُ ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتُّبِعَ ذلك وأُثبِتَ رسمًا، ونَبَّهَ العلماءُ بالرسم على مواضعه. ولا تَلْتَفِتَنَّ في ذلك إلى ما يزعمُه بعضُ المغفَّلين مِن أنهم كانوا محكَمين لصناعة الخط وأنَّ ما يُتَخيَّلُ من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يُتخيَّل بل لكلِّها وجهٌ. يقولون في مِثْلِ زيادة الألف في (لَأَاْذْبَحَنَّهُ) في سورة النمل إنه تنبيهٌ على أنَّ الذبح لم يَقعْ، وفي زيادة الياء في (بِأَييْدٍ) في سورة الذاريات إنه تنبيهٌ على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصلَ له إلا التحكُّم المحض. وما حمَلَهم على ذلك إلَّا اعتقادُهم أنَّ في ذلك تنزيهًا للصحابة عن توهُّمِ النقصِ في قلَّة إجادة الخط. وحسِبوا أنَّ الخطَّ كمالٌ فنزَّهوهم عن نقصِه ونسبوا إليهم الكمالَ بإجادته وطلبوا تعليلَ ما خالفَ الإجادةَ مِن رسْمِه، وذلك ليس بصحيح. واعلمْ أنَّ الخطَّ ليس بكمالٍ في حقهم إذِ الخطُّ مِن جملة الصنائع المدنية المعاشية والكمالُ في الصنائع إضافيٌّ وليس بكمالٍ مطلق إذْ لا يعودُ نقصُه على الذات في الدين ولا في الخِلال وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لأجل دلالته على ما في النفوس)[١].

لقد قال أعداء الإسلام أن هناك ثلاثة أنواع رئيسية من الأخطاء في القرآن:

١- الأخطاء الإملائية غير المقصودة أو أخطاء السهو أو الجهل من الناسخ: وهذه الأخطاء على قسمين بحسب تاريخ حدوثها:

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، الجزء الأول، ص ٤١٩

أ- أخطاء حصلَت في وقت تدوين القرآن وتبدو قليلةً في القرآن، ومنها الأخطاء الواضحة (اللحن) التي سُئلَت عنها عائشةُ، بحسبِ عدة مصادرَ مِنها تفسيرُ الطبري: ("حدثنا ابن حميد قال: حدثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة عن قوله: (إنَّ هذانِ لساحران) في سورة طه فقالت: (يا ابن أختي، هذا عمل الكُتَّاب أخطأوا في الكِتاب.

ب- أخطاء حصلَت بعدَ تدوين القرآن وذلك أثناء تنقيطه فأخطأوا في وضع النقاط على بعض الحروف. وقد أشار (كريستوف لوكسنبرغ)[1] إلى بعضِها من خلال قراءته للقرآن على ضوء الآرامية. فمثلاً، الآية ٦٤ من سورة الإسراء (**واستفزِزْ مَنِ استطَعْتَ منهم بصوتِكَ وأَجْلِبْ عليهم بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ وشارِكْهم في الأموالِ والأولادِ وعِدْهُم وما يَعِدُهُمُ الشيطانُ إلَّا غُرورًا(٦٤)**) قرأها لُكسنبرغ هكذا: (**واستفزِزْ مَنِ استطَعْتَ منهم بصوتِكَ وأَخْلِبْ عليهم [اخدعهم] بِحِيَلِك ودجَلِكَ وشرِّكهم [أوقعهم في الشِّراك: أغرِهِم] الأموالِ والأولادِ وعِدْهُم وما يَعِدُهُمُ الشيطانُ إلاَّ غُرورًا**").

٢- الأخطاء اللغوية أو الإنشائية المقصودة لحاجة ترجمية أو موسيقية: وهي عيوب أكثر منها أخطاء. وبعض هذه الأخطاء في الألفاظ أو في ترتيب الكلمات داخل الجملة ناتجٌ على الأرجح عن تأثير النصوص غير العربية التي كانت مَصْدَرَ القرآن. ومن هذه الأخطاء تغييرُ التذكير والتأنيث للكلمة كاستخدام الكلمة المؤنَّثة بصيغة المذكَّر لإضفاء معنىً إضافيٍّ عليها يؤدِّي معنى الكلمة الأصلية في اللغات الأجنبية (الآرامية

---

(١) هو اسم مستعار لمؤرخ وعالم عربيات وساميات ألماني، اشتهر بكتابة كتاب قراءة آرامية سريانية للقرآن التي افترض فيها كتابة أجزاء من القرآن باللغة السريانية ، اختار المؤلف أن ينشر الكتاب باسم مستعار مخافة أن يستهدف بأعمال انتقامية بتهمة معاداة الإسلام، وقيل أن صاحب هذا الاسم المستعار لبناني متألمن (ماروني) كان ينشر سابقا باسم عربي مستعار هو (ابن الوراق) والآن يختفي تحت قبعة لوكسمبورغ حتى لا يعرف الناس هويته المذهبية؟؟؟وقيل أن ابن الوراق ولد عام ١٩٤٦، هو الاسم الحركي لمؤلف علماني من أصل باكستاني ومؤسس المعهد العلماني للمجتمع المسلم كما أنه عضو في زمالة البحوث العليا في مركز التحقيق وحيث يركز في دراساته على النقد القرآني وليس له علاقة بمن ذكرنا أعلاه .

أو العِبرية أو غيرها) التي نُـقِـلَ منها القرآنُ بتصرُّف شديد.

٣- الأخطاء الإنشائية المتعلِّقة بترتيب الكلمات داخل الآيات أو بترتيب الآيات داخل السور (البلبلة والاضطراب والاختلال في ترتيب الآيات): وهذه الأخطاء منها ما هو مقصود لإضاعة الخيط الموجِّه للمعنى الكلي للنص بحيث لا يتمكَّن من إدراكه العوامُّ فتوجِّهُهم السلطةُ الزمنية بحسب مصالحها. ومنها ما هو غيرُ مقصود مردُّه إلى السهو أو إلى جهل جامعي القرآن بمصادر القرآن وسياقه وباللغات السامية السائدة وقتَ ظهورِ القرآن)[1].

يقول الأستاذ أحمد البشتاوي في الرد على هذه المفتريات على القرآن وأهله : (يتهجم المنصرون والمستشرقون وجهلة اللغة العربية على بعض الصور النحوية أو البلاغية التي لا يفهموها في القرآن الكريم ، سواء أكان هذا عن عمد أم عن جهل، فهو نفس حال الذى يريد أن يخبأ نور الشمس بمنديل يمسكه في يديه.

١- رفع المعطوف على المنصوب:

س : جاء في سورة المائدة : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٩))[2].

وكان يجب أن ينصب المعطوف على اسم إن فيقول والصابئين كما فعل هذا في سورة البقرة (٦٢) والحج (١٧).

الجواب : لو كان في الجملة اسم موصول واحد لحق لك أن تنكر ذلك ، لكن لا يلزم للاسم الموصول الثاني أن يكون تابعا لأنَّ. فالواو هنا استئنافية من باب إضافة الجُملة للجملة ، وليست عطفا على الجملة الأولى، لذلك رُفِعَ (والصابئون) للاستئناف (اسم مبتدأ) وخبره محذوف تقديره والصابئون كذلك أي في حكمهم. والفائدة من عدم عطفهم على من قبلهم هو أن الصابئين أشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالاً ، فكأنه قيل: كل هؤلاء الفرق

---

(١) أخطاء القرآن اللغوية والإنشائية: قراءة تفكيكية ،محمد علي عبد الجليل، موقع معابر.
(٢) سورة المائدة .

إن آمنوا وعملوا الصالحات قَبِلَ اللهُ تَوْبتهم وأزال ذنبهم ، حتى الصابئون فإنهم إن آمنوا كانوا أيضاً كذلك ، و هذا التعبير ليس غريبا في اللغة العربية، بل هو مستعمل فيها كقول بشر بن أبي خازم الأسدي الذي قال :

إذا جزت نواصي آل بدر	**فأدوها وأسرى في الوثاق**
وإلا فاعلموا أنا وأنتم	**بغاة ، ما بقينا في شقاق**

والشاهد في البيت الثاني ، حيث (أن) حرف مشبه بالفعل، (نا) اسمها في محل نصب، و(أنتم) الواو عاطفة وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، وبغاة خبر أن (أو أنتم) مرفوع، والخبر الثاني محذوف، وكان يمكن أن يقول فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة، لكنه عطف مع التقديم وحذف الخبر ، تنبيها على أن المخاطبين أكثر اتصافا بالبغي من قومه هو ، فقدم ذكرهم قبل إتمام الخبر لئلا يدخل قومه في البغي - وهم الأقل فيه - قبل الآخرين ، ونظيره أيضا الشاهد المشهور لضابئ بن الحارث البرجمي :

فمن يك أمسى في المدينة رحله	**فإني وقيار بها لغريب**

وقيار هو جمله ، معطوف على اسم إن منصوب بها ، أراد ان يقول : إني بها لغريب ، وقيار كذلك غريب ، ومثله أيضا قول قيس بن الخطيم: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف ، وقيل فيه أيضاً: إنَّ لفظ إنَّ ينصب المبتدأ لفظا ويبقى مرفوعا محلا، فيصح لغة أن تكون (والصابئون) معطوفة على محل اسم إن سواء كان ذلك قبل مجيء الخبر أو بعده ، أو هي معطوفة على المضمر في (هادوا).

٢- نصب الفاعل:

س : جاء في سورة البقرة (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(١٢٤)). وكان يجب أن يرفع الفاعل فيقول (الظالمون) .

ج : ينال فعل متعدى بمعنى (يشمل أو يَعُم) كما في الآية أي لا يشمل عهدي الظالمين، فعهدي هنا فاعل، والظالمين مفعول به ، مثال لذلك لقد ناله ظلماً، وأسفنا لما ناله من إهانة.

والإمامة والعهد بالإمامة هنا معناه النبوة، وبذلك تكون جواباً من الله على طلب نبينا إبراهيم أن يجعل النبوة في ذريته فوافقه الله إلا أنه استثنى الظالمين، كما لو أنه أراد قول (إلا الظالمين من ذريتك) . وتجيء أيضاً بمعنى حصل على مثل: نال الظا لم جزاءه.

ومن مصادر اللغة ، المعجمات القديمة التي جمعها (لسان العرب) وها هو يقول:(والعرب تقول: (نالني من فلان معروف ينالني أي وصل إلي منه معروف)[1].

٣- جعل الضمير العائد على المفرد جمعاً:

س: جاء في سورة البقرة (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ.. (١٧)) . وكان يجب أن يجعل الضمير العائد على المفرد مفرداً فيقول ذهب الله بنوره؟.

ج: هو هنا لم يشبه الجماعة بالواحد وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد. ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الجمعة : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا(٥)) فلما أضاءت ما حوله أضاءت أيضاً للآخرين ، فكان عقاب الله أنها ذهبت بأبصارهم جميعاً، لاحظ أن الله يضرب المثل بقوم استوقد أحدهم ناراً فلمَّا أضاءت ما حول فاعل هذه النار أضاءت أيضاً حول ذهب الله بأبصار هذا القوم ، ونلاحظ كذلك أنه قال (ذهب) وهى أبلغ من أذهب لأن ذهب بالشيء اصطحبه ومضى به معه، فكأنما أراد الله أن يذكرهم أنه يرون بنور الله وفى معيته، وحيث أنهم اختاروا طريق الظلمة فقد أخذ الله نوره وتركهم في ظلمات أنفسهم التي اختاروا البقاء فيها.

٤- تذكير خبر الاسم المؤنث :

س : جاء في سورة الأعراف (وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦))، وكان يجب أن يتبع خبر إن اسمها في التأنيث فيقول قريبة ؟..

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص ٦٨٥ .

ج : إن كلمة قريب على وزن فعيل، وصيغة فعيل يستوى فيها المذكر والمؤنث.

٥- تأنيث العدد وجمع المعدود:

س: جاء في سورة الأعراف :(وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً.. (١٦٠)) ، وكان يجب أن يذكر العدد ويأتي بمفرد المعدود فيقول اثني عشر سبطاً؟.

ج : لأن تمييز (اثنتي عشرة) ليس هو (أسباطا) (لأن تمييز الأعداد من ١١ إلى ٩٩ مفرد منصوب) بل هو مفهوم من قوله تعالى (و قطعناهم)، والمعنى اثنتي عشرة قطعة أي فرقة، وهذا التركيب في الذروة العليا من البلاغة، حيث حذف التمييز لدلالة قوله (وقطعناهم) عليه ، وذكر وصفا ملازما لفرق بني إسرائيل وهم الأسباط بدلا من التمييز. وعند القرطبي أنه لما جاء بعد السبط (أمما) ذهب التأنيث إلى الأمم ، وكلمة (أسباطا) بدل من (اثنتي عشرة)، وكلمة (أمما) نعت للأسباط. وأسباط يعقوب من تناسلوا من أبنائه ، ولو جعل الأسباط تمييزه فقال: اثني عشر سبطا، لكان الكلام ناقصا لا يصح في كتاب بليغ؟ لأن السبط يصدق على الواحد، فيكون أسباط يعقوب اثني عشر رجلا فقط، ولهذا جمع الأسباط و قال بعدها (أمما) لأن الأمة هي الجماعة الكثيرة، وقد كانت كل فرقة من أسباط يعقوب جماعة كبيرة. (واثنتى هنا مفعول به ثاني ، والمفعول به الأول (هم).

٦- جمع الضمير العائد على المثنى :

س:جاء في سورة الحج (هذانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ (١٩)). وكان يجب أن يثنّي الضمير العائد على المثنّى فيقول خصمان اختصما في ربهما.

ج: الجملة في الآية مستأنفة مسوقة لسرد قصة المتبارزين يوم بدر وهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة. التقدير هؤلاء القوم صاروا في خصومتهم على نوعين. وينضوي تحت كل نوع جماعة كبيرة من البشر. نوع موحدون يسجدون لله وقسم آخر حق عليه العذاب كما نصت عليه الآية التي قبلها.

٧- أتى باسم الموصول العائد على الجمع مفرداً:

س : جاء في سورة التوبة : (وَخُضْتُمْ كَالذِي خَاضُوا .. (٦٩)). وكان يجب أن يجمع الاسم الموصول العائد على ضمير الجمع فيقول خضتم كالذين خاضوا.

ج : المتعلق (الجار والمجرور) محذوف تقديره كالحديث الذى خاضوا فيه. كأنه أراد أن يقول وخضتم في الحديث الذى خاضوا هم فيه.

٨- جزم الفعل المعطوف على المنصوب:

س :جاء في سورة المنافقون : (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠)) وكان يجب أن ينصب الفعل المعطوف على المنصوب فأَصدق وأَكون .

ج : وفي النقطة الخامسة يقال : إن الكلمة (وأكن) تقرأ بالنصب والجزم ، أما النصب فظاهر لأنها معطوفة على (فأُصدق) المنصوب لفظا في جواب (لولا)، وأما الجزم فلأن كلمة (فأصدق) وإن كانت منصوبة لفظا لكنها مجزومة محلا بشرط مفهوم من قوله (لولا أخرتني)،حيث إن قوله (فأصدق) مترتب على قوله (أخرتني)، فكأنه قال: إن أخرتني أصدق وأكن. وقد وضع العلماء قاعدة فقالوا: إن العطف على المحل المجزوم بالشرط المفهوم مما قبله جائز عند العرب ، ولو لم تكن الفاء لكانت كلمة أصدق مجزومة، فجاز العطف على موضع الفاء ، فالواو هنا من باب عطف الجملة على الجملة وليست من باب عطف الفعل على الفعل ، وهو مجزوم في باب الطلب (الأمر) لأن الطلب كالشرط).

٩- نصب المعطوف على المرفوع:

س : جاء في سورة النساء : (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً (١٦٢)). وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول والمقيمون الصلاة .

ج : (والمقيمين الصلاة) أي وأمدح المقيمين الصلاة، وفي هذا مزيد العناية بهم، فالكلمة منصوبة على المدح ، (هذه جملة اعتراضية بمعنى (وأخص وأمدح) وهى مفعول به لفعل محذوف تقديره (وأمدح) لمنزلة الصلاة ، فهي أول ما سيحاسب عليه المرء يوم القيامة. وفيها جمال بلاغي حيث يلفت فيها آذان السامعين لأهمية ما قيل .أما (والمؤتون) بعدها على الرفع فهي معطوفة على الجملة التي قبلها).

١٠- نصب المضاف:

س: جاء في سورة هود (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ(١٠)). وكان يجب أن يجرَّ المضاف إليه فيقول بعد ضراءٍ .

ج : يعرف دارسو اللغة العربية أن علامات جر الاسم هي (الكسرة أو الياء أو الفتحة في الممنوع من الصرف): فيجر الاسم بالفتحة في المفرد وجمع التكسير إذا كانت مجردة من ال والإضافة وتُجَر الأسماء الممنوعة من الصرف بالفتحة حتى لو كانت مضافة ، ولا يلحق آخرها تنوين ، وتسمى الكسرة علامة الجر الأصلية، وتسمى الياء والفتحة علامتي الجر الفرعيتين.

ويمنع من الصرف إذا كان على وزن صيغة منتهى الجموع أي على وزن (أفاعل – أفاعيل – فعائل – مفاعل – مفاعيل – فواعل – فعاليل) مثل: أفاضل – أناشيد – رسائل – مدارس – مفاتيح – شوارع – عصافير.

والاسم المؤنث الذى ينتهى بألف التأنيث المقصورة (نحو: سلوى و نجوى) أو بألف التأنيث الممدودة (نحو: حمراء – صحراء – أصدقاء) سواء أكان علماً أم صفة أم اسماً ، وسواء أدلَّ على مفرد أم دلَّ على جمع.

لذلك فتح ضرَّاءَ لأنه اسم معتل آخره ألف تأنيث ممدودة وهى ممنوعة من الصرف ، وما يُمنع من الصرف تكون علامة جره الفتحة عوضا عن الكسرة ما لم يضف أو يعرف بـ(أل التعريف .

١١- أتى بجمع كثرة حيث أريد القلة:

س :جاء في سورة البقرة: (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً.. (٨٠)).وكان يجب أن يجمعها جمع قلة حيث أنهم أراد القلة فيقول أياماً معدودات .

ج : ورد في القرآن: في سورة آل عمران(إلاَّ أياماً معدودات(٢٤)) وفي سورة البقرة : (في أيَّامٍ معدودات(٢٠٣)) و في سورة الحج : (في أيامٍ معلومات(٢٨))

إذا كان الاسم مذكراً فالأصل في صفة جمعه التاء: رجال مؤمنة ، كيزان مكسورة ، ثياب مقطوعة ؛ وإن كان مؤنثاً كان الأصل في صفة جمعه الألف والتاء: نساء مؤمنات ، جِرارٌ مكسورات ، إلا أنه قد يوجد نادراً الجمع بالألف والتاء مع الاسم المذكر مثل: حمَّام حمَّامات.

فالله تعالى تكلم في سورة البقرة بما هو الأصل وهو قوله تعالى (أياماً معدودة) وفى آل عمران بما هو الفرع ، وعلى ذلك يجوز في جمع التكسير لغير العاقل أن ينعت بالمفرد المؤنث أو الجمع، فنقول: جبال شامخة وجبال شامخات ، ورود حمراء وورود حمراوات. وفى رأى آخر أنها تعنى أياماً قليلة مثل (دراهم معدودة). ولكن الأكثر أن (معدودة) في الكثرة ، و(معدودات) في القلة (فهي ثلاثة أيام المبيت في منى) وهي قليلة العدد.

١٢- أتى بجمع قلة حيث أريد الكثرة:

س: جاء في سورة البقرة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ... (١٨٤)). وكان يجب أن يجمعها جمع كثرة حيث أن المراد جمع كثرة عدته ٣٠ يوماً فيقول أياماً معدودة

ج : : (أياماً معدودات) أي مقدورات بعدد معلوم ، أو قلائل ، فكأنما يريد الله أن يقول: إني رحمتكم وخففت عنكم حين لم أفرض عليكم صيام الدهر كله ، ولا صيام أكثره ، ولو شئت لفعلت ذلك ولكنى رحمتكم وما أوجبت الصوم عليكم إلا في أيام قليلة.

ويجوز في جمع التكسير لغير العاقل أن ينعت بالمفرد المؤنث أو الجمع، فنقول: جبال شامخة وجبال شامخات ، ورود حمراء وورود حمراوات.

١٣-   جمع اسم علم حيث يجب إفراده:

س: جاء في سورة الصافات : (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢))، فلماذا قال إلياسين بالجمع عن إلياس المفرد؟ فمن الخطأ لغوياً تغيير اسم العلَم حباً في السجع المتكلَّف..

وجاء في سورة التين: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ(١) وَطُورِ سِينِينَ(٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ(٣)) ، فلماذا قال سينين بالجمع عن سيناء؟ فمن الخطأ لغوياً تغيير اسم العلَم حباً في السجع المتكلف.

ج : إن اسم إلياس معرب عن العبرية ، فهو اسم علم أعجمي ، مثل إبراهيم وأبرام ، فيصح لفظه إلياس و إلياسين ، وهما إسمان لنبي واحد ، ومهما أتى بلفظ فإنه لا يعني مخالفة لغة العرب ، ولا يعترض على أهل اللغة بما اصطلحوا على النطق به بوجه أو بأكثر. فالاسم ليس من الأسماء العربية حتى يقال هذا مخالف للغة العرب، وكذلك لفظ سيناء يطلق سينين وسَيْنين وسيناء بفتح السين وكسرها فيهما. ومن باب تسمية الشيء الواحد بتسميات متشابهة أيضاً كتسمية مكة بكة.

١٤-   أتى باسم الفاعل بدل المصدر:

س : جاء في سورة البقرة : (لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ(١٧٧)). والصواب أن يُقال ولكن البر أن تؤمنوا بالله لأن البر هو الإيمان لا المؤمن.

ج : يقول الأمام الرازي أنه حذف في هذه الآية المضاف كما لو أراد قول (ولكن البر كل البر الذى يؤدى إلى الثواب العظيم بر من آمن بالله. وشبيه ذلك الآية (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ

وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)) في سورة التوبة، وتقديره: أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن؟ ، أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن؟ ليقع التمثيل بين مصدرين أو بين فاعلين، إذ لا يقع التمثيل بين مصدر وفاعل ، وقد يُقصدً بها الشخص نفسه فتكون كلمة (البرّ) هنا معناها البار مثل الآية (والعاقبة للتقوى(١٢٣)) في سورة طه ، أي للمتقين ، ومثله قول الله تعالى (أرأيتم إن أصبح ماءُكم غوراً.. (٣٠)) في سورة الملك ، أي غائراً.

وقد يكون معناها ولكنَّ ذا البر ، كقوله: (هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(١٦٣)) في سورة آل عمران أي ذو درجات.

وكأن السائل بولسيّ المنهج الذي يرى الإيمان شيئا غير العمل. ولهذا لاحظ فيها مخالفة لمنهجه فقال: لأن البر هو الإيمان. كما قال بولس من قبله: (إذ نحسب أن الانسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس)[١] ، فليذهب وليقرأ سفر يعقوب المناقض لعقيدة بولس مخالفا كل نص العهد القديم والجديد. (١٠لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ. ١١لأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لاَ تَزْنِ» قَالَ أَيْضاً: «لاَ تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّياً النَّامُوسَ.)[٢] و (١٨لكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: «أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ، وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ!» أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي. ١٩أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ. حَسَناً تَفْعَلُ. وَالشَّيَاطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ! ٢٠وَلكِنْ هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ الْبَاطِلُ أَنَّ الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ؟ ٢١أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ ٢٢فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ،)[٣].

ويقول العهد القديم: قال موسى وهارون لله :

---

(١) سفر رومية ، ٣: ٢٨.
(٢) سفر يعقوب ٢: ١٠-١١.
(٣) سفر يعقوب ٢: ١٨-٢٢.

: (اللهُمَّ إلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ البَشَرِ هَل يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلى كُلِّ الجَمَاعَةِ؟)[1] .

(١٦ لا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلادِ وَلا يُقْتَلُ الأَوْلادُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ.)[2] .

(١٩ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لاَ يَحْمِلُ الاِبْنُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ؟ أَمَّا الاِبْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً. حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةً يَحْيَا. ٢٠ اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الاِبْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الاِبْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ. ٢١ فَإِذَا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقّاً وَعَدْلاً فَحَيَاةً يَحْيَا. لاَ يَمُوتُ. ٢٢ كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لاَ تُذْكَرُ عَلَيْهِ. فِي بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا. ٢٣ هَلْ مَسَرَّةً أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلاَ بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟)[3] .

والصحيح أن الإيمان عمل، إذن فالبر هو عمل المؤمن. فيصير معنى الآية ولكن البر هو أن يعمل الإنسان كذا وكذا ، فالإيمان بالله من الأعمال الإيمانية وتتضمن أعمالا للقلب تبعث على عمل الجوارح كالخشية والخضوع والتوكل والخوف والرجاء. وهذه كلها تبعث على العمل الصالح.

١٥- نصب المعطوف على المرفوع:

س: جاء في سورة البقرة: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ.. (١٧٧)). وكان يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع فيقول والموفون... والصابرون

ج : الصابرين هنا مفعولاً به لفعل محذوف تقديره وأخص بالمدح الصابرين، والعطف هنا من باب عطف الجملة على الجملة.

١٦- وضع الفعل المضارع بدل الماضي:

س : جاء في سورة آل عمران (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ

(١) العهد القديم ، سفر العدد ، ١٦ : ٢٢ .
(٢) العهد القديم ، سفر التثنية ٢٤ : ١٦.
(٣) العهد القديم ، سفر حزقيال ١٨ : ١٩- ٢٣.

فَيَكُونُ(٥٩)) . وكان يجب أن يعتبر المقام الذي يقتضي صيغة الماضي لا المضارع فيقول قالله كن فكان .

ج : وفي النقطة السادسة قال (فيكون) للإشارة إلى أن قدرة الله على إيجاد شيء ممكن وإعدامه لم تنقض، بل هي مستمرة في الحال والاستقبال في كل زمان ومكان ، فالذي خلق آدم من تراب فقال له (كن) فكان ، قادر على خلق غيره في الحال والاستقبال (فيكون) بقوله تعالى (كن).

وقد نقل المنصرون هذا من كتب التفسير: أي إن المعنى : فكان، فظنوا لجهلهم بفن التفسير أن قول المفسرين بذلك لتصحيح خطأ وقع في القرآن، وأن الصواب : فكان ، بصيغة الماضي . قال القرطبي : "فكان . والمستقبل يكون في موضع الماضي إذا عرف المعنى"

وهل نقول: إذا أمرتك بشيء فعلت؟ أم أن الأصح أن تقول: إذا أمرتك بشيء تفعله؟ وتقدير السياق في الآية فإذا أراد الله شيئا فيكون ما أراد.

١٧- لم يأت بجواب لما ورد في سورة يوسف :

س : جاء في سورة يوسف : (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هذا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(١٥)). فأين جواب لما؟ ولو حذف الواو التي قبل أوحينا لاستقام المعنى..؟

ج : لما هنا محذوف تقديره فجعلوه فيها أو نفَّذوا مؤامرتهم وأرسله معهم ، وهذا من الأساليب البلاغية العالية للقرآن أنه لا يذكر لك تفاصيل مفهومة بديهية في السياق.

١٨- أتى بتركيب يؤدي إلى اضطراب المعنى:

س: جاء في سورة الفتح: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٩)). وهنا ترى اضطراباً في المعنى بسبب الالتفات من خطاب محمد إلى خطاب غيره. ولأن الضمير المنصوب في قوله تعزّروه وتوقروه عائد على الرسول المذكور آخراً وفي قوله تسبحوه عائد على اسم الجلالة المذكور أولاً. هذا ما يقتضيه

المعنى. وليس في اللفظ ما يعينه تعييناً يزيل اللبس. فإن كان القول تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً عائداً على الرسول يكون كفراً، لأن التسبيح لله فقط. وإن كان القول تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً عائداً على الله يكون كفراً، لأنه تعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه!!

ج : نعم. فإن كان القول تعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً عائداً على الرسول يكون كفراً، لأن التسبيح لله فقط ، بعد أن قال تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرا) فقد بيَّن فائدة وأسباب الإرسال المرتبطة بلام التعليل ليعلم الرسول والناس كلهم السبب من إرساله لذلك قال (لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) ، والخطاب هنا للرسول في الإرسال ، ثم توجه للمؤمنين به ليبين لهم أسباب إرساله لهذا الرسول. كما لو خاطب المدرس أحد تلاميذه أمام باقي تلاميذ الفصل، فقال له: لقد أرسلتك إلى زملائك لتعلموا كلكم بموعد الامتحان.

١٩- نوَّن الممنوع من الصرف :

س : وجاء في سورة الإنسان ٧٦: ٤ (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاَسِلاً وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً(٤)). فلماذا قال سلاسلاً بالتنوين مع أنها لا تُنوَّن لامتناعها من الصرف؟.

ج : سلاسلاً ليست من أوزان الأسماء الممنوعة من الصرف الخاصة بصيغة منتهى الجموع ، وأوزان الأسماء التى على صيغة منتهى الحموع هى:(أفاعل ، أفاعيل ، فعائل ، مفاعل ،مفاعيل ،فواعل ، فعاليل) مثل: أفاضل ، أناشيد ، رسائل ، مدارس ، مفاتيح ، شوارع ، عصافير.

ويمنع الاسم من الصرف في صيغة منتهى الجموع بشرط أن يكون بعد ألف الجمع حرفين ، أو ثلاثة أوسطهم ساكن:

أ- مساجد: تمنع من الصرف لأنها على وزن مفاعل (صيغة منتهى الجموع) ولأن بعد الألف حرفان.

ب- مصابيح: تمنع من الصرف لأنها على وزن مفاعيل (صيغة منتهى الجموع) ولأن بعد الألف ثلاثة أحرف أوسطهم ساكن.

وقد قرئت سلاسلَ بدون تنوين على لغة من لغات أهل العرب التي تصرِّف كل الأسماء الممنوعة من الصرف في النثر. أو أن تكون الألف المنونة في سلاسلاً بدلاً من حرف الإطلاق[1] ، وكذلك جاء في سورة الإنسان (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥)) بالتنوين مع أنها لا تُنّوَن لامتناعها عن الصرف؟ إنها على وزن مصابيح.

ج : لو رجعتم للمصحف لعرفتم أن قواريرا غير منونة ، فهي غير منونة على قراءة عاصم وكثيرين غيره، ولكن قرأ الإمامان النحويان الكسائي الكوفي، ونافع المدني قواريراً منصرفة ، وهذا جائز في اللغة العربية لتناسب الفواصل في الآيات.

٢٠- تذكير خبر الاسم المؤنث :

س : جاء في سورة الشورى : (اللهُ الذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ(١٧)). فلماذا لم يتبع خبر لعل اسمها في التأنيث فيقول قريبة؟.

ج : خبر لعل هنا محذوف لظهوره البيِّن تقديره لعل حدوث الساعة قريب ، وفيه أيضا فائدة وهي أن الرحمة والرحم عند العرب واحد فحملوا الخبر على المعنى. ومثله قول القائل: امرأة قتيل. ويؤيده قوله تعالى: (هذا رحمة من ربي) فأتى اسم الإشارة مذكرا. ومثله قوله تعالى: (والملائكة بعد ذلك ظهير).

وقد جهل المعترض بأنه المذكر والمؤنث يستويان في أوزان خمسة :

- (فعول): كرجل صبور وامرأة صبور.
- (فعيل): كرجل جريح وامرأة جريح.
- (مفعال): كرجل منحار وامرأة منحار أي كثير النحر.

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ، ج ٤ ص ١٦٧

- (فعيل): بكسر الميم مثل مسكين، فنقول رجل مسكين، وامرأة مسكين.
- (مِفعَل): بكسر الميم وفتح العين. كمغشم وهو الذي لا ينتهي عما يريده ويهواه من شجاعته. ومدعس من الدعس وهو الطعن.

٢١- أتى بتوضيح الواضح:

س: جاء في سورة البقرة : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ... (١٩٦)) . فلماذا لم يقل تلك عشرة مع حذف كلمة كاملة تلافيا لإيضاح الواضح، لأنه من يظن العشرة تسعة؟

ج: إن التوكيد طريقة مشهورة في كلام العرب ، كقوله تعالى في سورة الحج : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)) ، وقوله تعالى في سورة الأنعام : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)) ، أو يقول قائل سمعته بأذني ورأيته بعيني ، والفائدة فيه أن الكلام الذى يعبر عنه بالعبارات الكثيرة ويعرف بالصفات الكثيرة، أبعد عن السهو والنسيان من الكلام الذى يعبَّر عنه بالعبارة الواحدة ، وإذا كان التوكيد مشتملاً على هذه الحكمة كان ذكره في هذا الموضع دلالة على أن رعاية العدد في هذا الصوم من المهمات التي لا يجوز إهمالها البتة.

وقيل أيضاً إن الله أتى بكلمة (كاملة) لبيان الكمال من ثلاثة أوجه: أنها كلمة فى البدل عن الهَدىْ قائمة مقامه ، وثانيهما أنها كاملة في أن ثواب صاحبه كامل مثل ثواب من يأتي بالهَدىْ من القادرين عليه ، وثالثهما أنها كاملة في أن حج المتمتع إذا أتى بهذا الصيام يكون كاملاً ، مثل حج من لم يأت بهذا التمتع.

وذهب الإمام الطبري إلى أن المعنى « تلك عشرة فرضنا إكمالها عليكم، إكمال صومها لمتعتكم بالعمرة إلى الحج، فأخرج ذلك مخرج الخبر.

٢٢- أتى بضمير فاعل مع وجود فاعل:

س: جاء في سورة الأنبياء :(وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا... (٣)) مع حذف ضمير الفاعل في أسرّوا لوجود الفاعل ظاهراً وهو الذين .

ج : وفي هذه النقطة يقال : إن التركيب مطابق لقواعد اللغة العربية باتفاق علماء اللغة وإن اختلفوا في الفاعل الذي أسنِدَ إليه الفعل، والجمهور على أنه مسند للضمير، والاسم الظاهر بدل منه.

ووجود علامة التثنية والجمع في الفعل قبل الفاعل لغة طيء وأزد شنوءة، وقلنا من قبل إن القرآن نزل بلغات غير لغة قريش ، وهذا أمر كان لا بد منه ، ومع هذا جاء هذا التعبير في لغة قريش ، ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات يرثى مصعب بن الزبير:

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم

وقول محمد بن عبد الله العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان الأموي القرشي:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عنى بالخدود النواضر

والذين ظلموا ليست هنا فاعلاً مكرراً ، فكلمة أسر هي الفعل ، والواو فاعله، والنجوى مفعول به، والذين نعت صفاتهم بأنهم ظلموا.

٢٣- الالتفات من المخاطب إلى الغائب قبل إتمام المعنى

س: جاء في سورة يونس: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ .. (٢٢)). فلماذا التفت عن المخاطب إلى الغائب قبل تمام المعنى؟ والأصحّ أن يستمر على خطاب المخاطب.

ج : نقول :

أ- المقصود هو المبالغة كأنه تعالى يذكر حالهم لغيرهم لتعجيبهم منها ، ويستدعى منهم مزيد الإنكار والتقبيح. فالغرض هنا بلاغي لإثارة الذهن والالتفات لما سيفعله هؤلاء المبعدين من نكران لصنيع الله بهم.

ب- إن مخاطبته تعالى لعباده، هي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي بمنزلة الخبر عن الغائب ، وكل من أقام الغائب مقام المخاطب ، حسن منه أن يرده مرة

أخرى إلى الغائب.

ت- إن الانتقال في الكلام من لفظ الغيبة إلى الحضور هو من باب التقرب والإكرام كقوله تعالى في سورة الفاتحة : (الحمد لله ربِّ العالمين (٢) الرحمن الرحيم(٣)) وكله مقام الغيب ، ثم انتقل منها إلى قوله تعالى: (إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين(٥)) ، وهذا يدل على أن العبد كأنه انتقلَ من مقام الغيبة إلى مقام الحضور ، وهو يوجب علو الدرجة ، وكمال القرب من خدمة رب العالمين.

أما إذا انتقل الخطاب من الحضور إلى الغيب وهو من أعظم أنواع البلاغة كقوله: (هو الذى يُسَيَّركم) ينطوي على الامتنان وإظهار نعمة المخاطبين، (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ) (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) ولما كان المسيرون في البر والبحر مؤمنين وكفارا والخطاب شامل لهم جميعا حسن الخطاب بذلك ليستديم الصالح الشكر، ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيتهيأ قلبه لتذكر وشكر مسديها.

ولما كان في آخر الآية ما يقتضي أنهم إذا نجوا بغوا في الأرض، عدل عن خطابهم بذلك إلى الغيبة، لئلا يخاطب المؤمنين بما لا يليق صدوره منهم وهو البغي بغير الحق.، فهذا يدل على المقت والتبعيد والطرد ، وهو اللائق بحال هؤلاء ، لأن من كان صفته أنه يقابل إحسان الله تعالى إليه بالكفران، كان اللائق به ما ذُكِرَ. ففيها فائدتان:

أ- المبالغة .

ب- المقت أو التبعيد.

٢٤- أتى بضمير المفرد للعائد على المثنى:

س: جاء في سورة التوبة: (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢)). فلماذا لم يثنّ الضمير العائد على الاثنين اسم الجلالة ورسوله فيقول أن يرضوهما؟.

ج : أقول :

أ- لا يُثنَّى مع الله أحدٌ ، ولا يُذكر الله تعالى مع غيره بالذكر المجْمَل ، بل يجب أن يفرد بالذكر تعظيماً له.

ب- ثم إن المقصود بجميع الطاعات والعبادات هو الله ، فاقتصر على ذكره.

ت- يجوز أن يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر الواحد كقوله: نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلفُ أي نحن بما عندنا راضون.

ث- أن العالم بالأسرار والضمائر هو الله تعالى ، وإخلاص القلب لا يعلمه إلا الله ، فلهذا السبب خصَّ الله تعالى نفسه بالذكر.

ج- كما أن رضا الرسول من رضا الله وحصول المخالفة بينهما ممتنع فهو تابع لرضاء ربه ، لذلك اكتفى بذكر أحدهما كما يقال: إحسان زيد وإجماله نعشني وجبرني. وقد قال أهل العلم: إن إفراد الضمير لتلازم الرضاءين.

ح- أو على تقدير: والله أحق أن يرضُوه ورسوله كذلك، كما قال سيبويه: فهما جملتان حذف خبر إحداهما لدلالة الثاني عليه والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

٢٥- أتى باسم جمع بدل المثنى:

س: جاء في سورة التحريم: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا(٤)). والخطاب (كما يقول البيضاوي). موجّه لحفصة وعائشة. فلماذا لم يقل صغا قلباكما بدل صغت قلوبكما إذ أنه ليس للاثنتين أكثر من قلبين؟.

ج : القلب متغير فهو لا يثبت على حال واحدة ، فلذلك جمعه فصار قلب الإنسان قلوب ، فالحواس كلها تُفرَد ما عدا القلب: ومثل ذلك قوله تعالى في سورة النحل (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣))، ولعل المراد به هو جمع بناء على القلة تنبيهاً على هناك الكثير من يسمع الحق بل ويراه ، لكن هناك قلة من القلوب التي تستجيب وتخشع لله.

إن الله قد أتى بالجمع في قوله (قلوبكما) وساغ ذلك لإضافته إلى مثنى وهو ضميراهما.

والجمع في مثل هذا أكثر استعمالا من المثنى. فإن العرب كرهوا اجتماع تَثْنِيَيْن فعدلوا إلى الجمع لأن التثنية جمع في المعنى والإفراد ، ولا يجوز عند البصريين إلا في الشعر كقوله:

حمامة بطن الواديين ترنمي   سقاك من العز الفوادي مطيرها

٢٦- رفع القرآن اسم إنْ:

س: جاء في سورة طه (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣)) وكان يجب أن يقول: إنْ هذين لساحرين

ج : إنْ بالسكون وهي مخففة من ان ، وإنْ المخففة تكون مهملة وجوباً إذا جاء بعدها فعل ، أما إذا جاء بعدها اسم فالغالب هو الإهمال نحو: (إنْ زيدٌ لكريم) ومتى أُهمِلَت أ يقترن خبرها باللام المفتوحة وجوباً للتفرقة بينها وبين إنْ النافية كي لا يقع اللّبس، واسمها دائماً ضمير محذوف يُسمَّى ضمير (الشأن) وخبرها جملة ، وهي هنا (هذان ساحران)[1].

سأل أحد من يريد التنقص من الإسلام وأهله هذه الأسئلة للتشكيك في القرآن وأنه ليس من عند اله تعالى :(ما الرد على شبهة أخطاء لغوية بالقرآن بالتفصيل شرعياً ولغوياً للآيات التالية ؟ قال تعالى في سورة يوسف : (قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٧٢)) فالخطأ: الانتقال من جمع المتكلم إلى المفرد المتكلم. والصحيح: أن يقال : قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ونحن بِهِ زعماء . وقال تعالى في التكوير : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ(٢٦)) ، والصحيح أن يقال : فإلى أين تذهبون. وقال تعالى في عبس : (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(٢٠)) ، خطأ والصحيح: (ثُمَّ للسَّبِيل يَسَّرَه) . وقال تعالى في سورة القيامة: (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ(١٤)) ، خطأ والصحيح : (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرة). وقال تعالى في سورة ق : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ(١٦)) خطأ والصحيح:

(١) الأستاذ احمد البشتاوي موقع إعجاز القرآن والسنة الأحد/ديسمبر/٢٠١٩.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ إليه نَفْسُه. وقال تعالى في سورة الكهف: (مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(٥)) ، خطأ والصحيح: كَلِمَةً: كان يجب ان تكون مرفوعة لأنها فاعل .)

يقول الشيخ المنجد : (أولًا :إن كل طاعن في عربية القرآن من المتأخرين عن المشركين الأول ، فإن اعتراضه باطل ذاهب ، لأن أهل الشرك ، وهم أهل العربية التي نزل القرآن بها لم ينهض أحد منهم إلى الاعتراض على عربية القرآن ، وبدلًا من الطعن في لغته ، قاموا بحمل السلاح في مواجهة الدعوة ، تُرى أحمل السلاح أهون عليهم من الطعن في عربيته – إن كان ثمة مطعن يمكن النفوذ منه – ؟

لذا ، فإن الواجب على المؤمن أن يطمئن من هذه الناحية ، وأن يعلم أن الطعن في القرآن من جهة العربية لا يكون إلا ممن سفه نفسه ، وأضل غيره بجهله ، ثم نقول لهذا الطاعن الواهم ، الذي سفه نفسه : هب أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن نبيا مرسلا من رب العالمين :

- أ لم يكن رجلا عربيا ؟!
- أليست اللغة العربية، أساليبها، وقواعدها : إنما تؤخذ عن ألسن أهل ذلك الزمان من العرب ؟
- أليس محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم من سَراة رجال ذلك الزمان ، وأشرافهم ؟!
- أليس أحق بأن يؤخذ عنه لسان العرب، من مجاهيل العرب، والشعراء، والرُّجّاز؟

فما لهم أين يَذهبون ؟ بل أنَّى يُؤفكون ؟!

ثانيًا :قوله تعالى في سورة يوسف : (قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ(٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ، وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ(٧٢))، وزعم الطاعن الخاطئ، أن الصحيح أن يقول : ونحن به زعماء .

والجواب :أن هذا الزعم غلط محض، لأن الله تعالى ذكر أن يوسف عليه السلام وضع الصواع في رحل أخيه ، ثم خرج هو ومن معه من جنده وأعوانه في طلب إخوته ، فلما أقبل عليهم نادى منادٍ من قِبَل يوسف: أيتها العير إنكم لسارقون) ، فأقبل إخوة يوسف ، وسألوهم : (ماذا تفقدون) ؟فقال أعوان يوسف : (نفقد صواع الملك ، ولمن جاء به حمل بعير) ، وقال كبيرهم (وأنا به زعيم)، أي : أنا له كافل وضامن ، لأنه أميرهم ، وهو الموكل بالخزائن وقتئذ ، كما هو معلوم .

قال ابن عاشور في (التحرير والتنوير) : (ومرجع ضمير (أقبلوا) عائد إلى فتيان يوسف ...والذي قال : (وأنا به زعيم) واحد من المقبلين وهو كبيرهم .والزعيم : الكفيل)[٢]، .هذا وجه ، ووجه آخر :أن يكون القائل ، من أصل الكلام ، واحدا ، وأن يكون الجمع والإفراد = لرضا من معه بالكلام ، قال البقاعي في (نظم الدرر): (وإفراد الضمير تارة ، وجمعه أخرى : دليل على أن القائل واحد ، وأنه نسب إلى الكل لرضاهم به)[٣].

ثالثا: أما قول تعالى : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ(٢٦))[٤] ، وقول السائل : الصحيح : إلى أين تذهبون ؟ فمن أين جاء بأنه الصحيح ؟.

والجواب :أن ترك (إلى) إما على الحذف أو التضمين ، وقد قال العلماء : (العرب تقول: إلى أين تذهب؟ وأين تذهب؟ ويقول : ذهبت الشام ، وانطلقت السوق ، وخرجت الشام ، استجازوا في هذه الأحرف الثلاثة إلغاء (إلى) لكثرة استعمالهم إياها ، وأنشد :

تَصيحُ بِنا حَنيفةُ إذْ رأتْنا وأيَّ الأرضِ تذهبُ بالصِّياحِ

أراد إلى أي الأرض)[٥].

---

(١) سورة يوسف .
(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٩، ص٣٤٧
(٣) البقاعي ، نظم الدرر ، ج١٠ ، ص ١٧٠ .
(٤) سورة التكوير .
(٥) الواحدي ،التفسير البسيط ، ج٢٣ ، ص ٢٨١

وقد قال الطبري : يقول : فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي ، وقيل : (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ(٢٦))[١]
ولم يقل : فإلى أين تذهبون ، كما يقال : ذهبت الشأم ، وذهبت السوق ، وحكي عن العرب سماعًا: انطلق به الغور، على معنى إلغاء الصفة، وقد ينشد لبعض بني عقيل:

تَصيحُ بِنا حَنيفةُ إذْ رأتْنا وأيَّ الأرضِ تذهبُ للصِّياحِ

بمعنى : إلى أي الأرض تذهب ؟ واستجيز إلغاء الصفة – الصفة : هي حرف الجر (إلى) – في ذلك، للاستعمال)[٢].

رابعا: أما قوله تعالى : (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(٢٠))[٣] ، فقد اعترض المعترض على كلمة (السبيل) ، وأن الصحيح : للسبيل .

والجواب :قال السمين الحلبي: " والسبيل ظرفٌ ، أي: يَسَّر للإِنسان الطريقَ ، أي : طريق الخيرِ والشرّ، كقولِه : (وَهَدَيْنَاهُ النجدين(١٠))[٤] .

وقال أبو البقاء : ويجوز أن ينتصِبَ بأنه مفعولٌ ثانٍ لـ يَسَّره ، والهاء للإِنسان ، أي : يَسَّره السبيلَ ، أي : هداه له .

فلا بُدَّ مِن تضمينِه معنى أَعْطى ، حتى يَنْصِبَ اثنين ، أو يُحْذفُ حرفُ الجرِّ ، أي: يَسَّره للسبيل ، ولذلك قَدَّره بقولِه : هداه له .

ويجوزُ أَنْ يكون السبيل منصوباً على الاشتغال بفعلٍ مقدرٍ ، والضميرُ له ، تقديره : ثم يَسَّر السبيلَ يَسَّره ، أي : سَهَّله للناسِ كقوله : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠))[٥] ، وتقدَّم مثلُه في قولِه :(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السبيل... (٣))[٦].

خامسا :أما قوله تعالى : (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤))[٧] ، فقد اعترض على تأنيث

---

(١) سورة التكوير .
(٢) الطبري ، التفسير ، ج٢٤ ، ص ١٢٧ ، : "الدر المصون" للسمين الحلبي (١٠/ ٧٠٧)..
(٣) سورة عبس .
(٤) سورة البلد .
(٥) سورة طه .
(٦) السمين الحلبي ،الدر المصون ، ج١٠ ، ص ٦٩٠ .
(٧) سورة القيامة.

(بصيرة).

والجواب :قال الواحدي في (التفسير البسيط): " فأمَّا تأنيث (البصيرة) فيجوز أن يكون؛ لأن المراد بالإنسان – هاهنا – الجوارح؛ لأنها شاهدة على نفس الإنسان، كأنه قيل : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ، وقال أبو عبيدة : جاءت هذه الهاء في صفة الذكر ، كما جاءت: رجل راوية ، وعلامة ، وطاغية ، وقال الأخفش : جعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل : أَنْتَ حُجَّةٌ عَلى نَفْسِكَ)[1]

وقال الطاهر بن عاشور : ونظم قوله: (**بل الإنسان على نفسه بصيرة**) ، صالح لإفادة معنيين:

١- أن يكون (بصيرة)، بمعنى : مبصر شديد المراقبة، فيكون (بصيرة) خبرًا عن الإنسان ، و(على نفسه) متعلقًا بـ (بصيرة)، أي الإنسان بصير بنفسه ، وعدي بحرف (على) لتضمينه معنى المراقبة ، وهو معنى قوله في الآية الأخرى : (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا) ، وهاء (بصيرة) : تكون للمبالغة مثل هاء علامة ونسابة ، أي الإنسان عليم بصير ، قوي العلم بنفسه يومئذ .

٢- أن يكون (بصيرة) مبتدأ ثانيًا، والمراد به قرين الإنسان من الحفظة ، و (على نفسه) : خبر المبتدأ الثاني مقدمًا عليه ، ومجموع الجملة خبرًا عن الإنسان ، و (بصيرة) حينئذ يحتمل أن يكون بمعنى بصير، أي : مبصر ، والهاء للمبالغة ، كما تقدم في المعنى الأول ، وتكون تعدية (بصيرة) بـ (على) لتضمينه معنى الرقيب كما في المعنى الأول ، ويحتمل أن تكون (بصيرة) صفة لموصوف محذوف ، تقديره : حجة بصيرة ، وتكون (بصيرة) مجازًا في كونها بينة ، كقوله تعالى في سورة الإسراء: (**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ**

(١) الواحدي ، التفسير البسيط ، ج٢٢ ، ص ٤٩٣ .

مَثْبُورًا (١٠٢))[١] ، ومنه قوله تعالى في سورة الإسراء: (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً(٥٩))[٢] [الإسراء: ٥٩] ، والتأنيث لتأنيث الموصوف ، وقد جرت هذه الجملة مجرى المثَل ، لإيجازها ، ووفرة معانيها)[٣].

سادسا :اعترض الواهم الخاطئ ، على قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ(١٦))[٤] ، وزعم أن الصحيح : توسوس إليه نفسه .

والجواب :أن ((بِهِ): جارّ ومجرور، متعلِّق بـ تُوَسْوِسُ" .وجُوِّز في الباء أن تكون زائدة. أي: مثل قولك: صَوَّت بكذا، وهمس به)[٥] .

قال ابن عاشور في (التحرير والتنوير) : والباء في قوله به : زائدة لتأكيد اللصوق ، والضمير: عائد الصلة ، كأنه قيل: ما تتكلمُهُ نفسه ، على طريقة : (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ (٦))[٦] ، وفائدة الإخبار بأن الله يعلم ما توسوس به نفس كل إنسان : التنبيه على سعة علم الله تعالى بأحوالهم كلها ، فإذا كان يعلم حديث النفس ؛ فلا عجب أن يعلم ما تنقص الأرض منهم ، والإخبار عن فعل الخلق بصيغة المضي : ظاهر ، وأما الإخبار عن علم ما توسوس به النفس ، بصيغة المضارع : فللدلالة على أن تعلق علمه تعالى بالوسوسة : متجدد ، غير منقض ، ولا محدود، لإثبات عموم علم الله تعالى ، والكناية عن التحذير من إضمار ما لا يرضي الله)[٧].

سابعا: أما اعتراض الواهم الغالط ، على قوله تعالى :(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(٥))[٨] ، بأن قوله (كلمة) : الصحيح فيها أن

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٩ ، ص ٣٤٧ .
(٤) سورة ق .
(٥) الخطيب وآخرون ،التفصيل في إعراب التنزيل ، ج٢٦ ، ص ٢٨١ .
(٦) سورة المائدة .
(٧) الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٩ ، ص ٣٤٨ .
(٨) سورة الكهف .

تكون بالرفع بدل النصب .

فالجواب : قوله تعالى : (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) :كَبُرَتَ : فعل ماض . لإنشاء الذم . والتاء : حرف للتأنيث . والفاعل ضمير مستتر ، وفيه قولان:

١- يعود على مقالتهم : (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ، أي: كبر مقالهم، وهي جملة تفيد التعجب، أي: ما أكبرها كلمة.

٢- الفاعل ضمير مستتر مفسّر بالنكرة بعده، وهي (كَلِمَةً).

والمعنى على الذَّمّ مثل (بئس رجلًا). وعلى هذا يكون المخصوص بالذَّم محذوفًا، والتقدير: كبرت هي، أي: الكلمةُ كلمة خارجة من أفواههم، (كَلِمَةً): وفيها إعرابات :

١- النصب على التمييز ، كما تقدَّم في بيان فاعل (كَبُرَت). وهو الظاهر عند أبي حيان ، قال ابن الأنباري: " ... والتقدير كبرت الكلمة ، كلمةً.

٢- النصب على الحال. ذكرته فرقةٌ. وقال السمين: "وليس بظاهر".

٣- ذهب أبو عبيدة إلى أنه نصب على التعجُّب، أي: أكبِرْ بها كلمةً. أي: من كلمة. ومثله عند الزمخشري: ما أكبرها كلمة.

ذكر هذا أبو حيان ، والجملة استئنافيّة لا محل لها من الإعراب)[(١)] .

والحاصل:

أن أقرب جواب لكل هذه الضلالات، هو ما قدمناه في أول جوابنا: هب أنه لم يكن نبيا ؛ ألم يكن رجلا عربيا، على لسان قومه ، ومن كلامه يؤخذ لسان العرب، وتعرف القواعد، ويحتج لها بما جاء عنه من الكلام ؟!

ثم: قد تبين وجه الكلام، ومخارجه في كل آية مما ذكره الواهم الغالط في هذا المقام.)[(٢)] .

---

(١) التفصيل في إعراب التنزيل ، ج١٥ ، ص ٢٣٧ .

(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٣٠٨٠٩١ ، نشر في ١٣/ ١٠ / ٢٠١٩ م.

س٧٩: لماذا اختلف العلماء في آخر سورة نزلت من القرآن الكريم؟.

ج٧٩: في ذلك عشرة أقوال:

١- قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ...(٢٨١)) [١] بناءً على حديث رواه النسائي عن ابن عباس، حيث عاش النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزولها تسع ليال ثم تُوفي لليلتين خلتا من ربيع الأول.

٢- قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨))[٢] بناء على رواية للبخاري عن ابن عباس.

٣- قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ.... (٢٨٢))[٣] ، وجمع السيوطي بين هذه الأقوال بأن الظاهر نزولها دفعة واحدة كترتيبها في المصحف؛ لأنها في قصة واحدة. لكن الرأي الأوَّل أقْوي لِمَا في الآية من إشارة إلي ختام الدِّين ووجوب الاستعداد ليوم القيامة، وللنص في الحديث على وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزولها بتسع ليال فقط.

٤- قوله تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ...(١٩٥))[٤]، والدليل حديث أخرجه ابن مِرْدَوِيه عن أم سلمة أنها قالت للرسول - صلى الله عليه وسلم - أرى الله يَذْكُر الرجال ولا يذكر النساء فنزلت: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ... (٣٢))[٥] ، ونزلت: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ.. (٣٥))[٦] ونزلت آية: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ)، فهي آخر ما نزل من الآيات الثلاث. وليستْ آخر ما نزل من القرآن.

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة آل عمران .
(٥) سورة النساء .
(٦) سورة الأحزاب .

٥- قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ (٩٣))[١]، والدَّليل ما أخرجه البخاري عن ابن عباس حيث قال: هي آخر ما نزل ولم يَنْسَخْها شيء، ويُجاب على ذلك بأنها آخر ما نزل في حُكم قتل المؤمن عمدًا، وليست آخر ما نزل من القرآن.

٦- قوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ.... (١٧٦))[٢] ،والدليل ما رواه البخاري ومسلم عن البرّاء بن عازب، ورُدَّ بأنها آخر ما نزل في المواريث، كما قال عن سورة براءة بأنها آخر ما نزلت، فيُحمل القول على أن ذلك بالنسبة لتشريع الجهاد والقتال، فالآخرية نسبية إضافية لا حقيقية مطلقة.

٧- سورة المائدة، بناء على رواية للترمذي والحاكم عن عائشة، ورُد بأنها آخر سورة نزلت في الحلال والحرام فلم تُنسخْ فيها أحكام، فالآخرية مُقيدة بذلك وليست مطلقة.

٨- قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ. (١٢٨))[٣] ،بِنَاءً على ما رواه الحاكم وابن مِرْدَوَيْه عن أُبَيٍّ بن كعب، ويُرَد عليه بأن الآخرية معناها أنها آخر آية نزلت من سورة براءة ويؤيِّده ما قيل: إن هذه الآية وما بعدها نزلت بمكة مع أن السورة مدنية، فالسورة تحدثت عن الجهاد، والآيتان ليس فيهما أمر به؛ لأن الجهاد لم يُفرض بمكة.

٩- آخر سورة الكهف: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ) بناءً على ما أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان، ويُرد عليه بأن الآخرية بحسب عدم نزول ما ينسخُها بعدها.

١٠- (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ) لما رواه مسلم عن ابن عباس، ورُد بأنها آخر ما نزل مُشْعِرًا بوفاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويؤيِّده ما رُوي عنه أنه قال حين نزلت: "نُعِيَتْ إليَّ نَفْسي"، وفَهِمَ ذلك بعض كبار الصحابة، فقد ورد أن عمر بكى عند سماعها وقال: الكمال دليل الزوال. ويُحتمل أنها آخر ما نزل من السور فقط، كما تدل عليه رواية ابن عباس[٤].

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة المائدة .
(٤) عطية محمد صقر ، موسوعة أحسن الكلام في الفتاوى والأحكام. الجزء الأول، العقائد، ص ١٨٣ .

س٨٠: لماذا اختلف المفسرون في تفسير آيات القرآن الكريم مع مثال على ذلك ؟.

ج٨٠: ١- التفسير نوعان :

تفسير بالرواية ، ويقال له تفسير بالمنقول،

تفسير بالمأثور.= تفسير بالدراية، ويقال له تفسير بالمعقول، تفسير بالرأي: والمراد بالتفسير بالمأثور: أن يقتصر المفسر على نقل معنى الآية إما من آية أخرى، أو من حديث، أو من قول صحابي، أو من قول أجمع عليه التابعون ، ففي التفسير بالمأثور لا يأتي المفسر بشيء بمعنى من عنده أصلاً ، والمراد بالتفسير بالرأي ، أن يأتي المفسر بمعنى الآية من جهة اللغة والعقل. يعني من عنده باجتهاده ، وللتفسير بالمأثور أربعة طرق وهي:

الأول : تفسير القرآن بالقرآن: له صور: تفسير الآية بالآية .تفسير الآية بالقراءة المتواترة الواردة فيها ، تفسير الآية بالقراءة الشاذة ، واختلف في حجية القراءة الشاذة ، والصواب أنها لا تنزل عن كونها خبراً عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي في حكم المرفوع.

الثاني : تفسير القرآن بالسنة، .الأصل فيه قوله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٤٤))[١] ، فالرسول صلى الله عليه وسلم بين للناس ما نزل إليهم من القرآن العظيم! وهذا له صور :

١- أن يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم الآية مباشرة. كتفسيره المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى.

٢- أن يفسر الرسول صلى الله عليه وسلم معنى الآية بدون أن يذكرها مباشرة، فكلما ورد عنه في أحاديث حكم السرقة تفسير لآية السرقة. وكل ما ورد في أحكام الصلاة تفسير لإقامة الصلاة، وهكذا!

٣- أن يفسر الرسول صلى الله عليه القرآن بهديه العام، فقد كان خلقه القرآن.

الثالث : تفسير القرآن بقول الصحابي، .الأصل فيه ما تعلموه من معاني القرآن العظيم من

---

(١) سورة النحل .

الرسول صلى الله عليه وسلم، فحتى لو اجتهد في بيان الآية، فإنه يبني ذلك على ما تعلمه من معاني القرآن العظيم من الرسول صلى الله عليه وسلم. من أجل ذلك حكم أهل الحديث أن تفسير الصحابة للقرآن في حكم المرفوع! ومن اشهر الصحابة في تفسير القرآن العظيم :

الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

الرابع : تفسير القرآن بقول التابعين إذا اتفقوا واجمعوا!.

التفسير بالرأي قسمان :-

١- **تفسير بالرأي المحمود المقبول.** والتفسير بالرأي المحمود المقبول ما التزم فيه صاحبه بشروط قبول التفسير بالرأي وهي التالية:

أ- أن لا يخالف التفسير بالمأثور مخالفة تضاد.

ب- أن لا يأتي بمعنى يخرج بالآية عن سباقها، وسباقها ولحاقها.

ت- أن لا يأتي بمعنى للفظ يخرج به عن معانيه في اللغة.

ث- أن لا يأتي بمعنى يوافق ويؤيد أهل البدع والضلال .

ج- أن لا يأتي بمعنى يخرج عن موضوع الدين ومقاصده .

تفسير بالرأي المذموم ، المردود.

٢- **التفسير بالرأي المذموم** المردود .هو ما اختل فيه شرط من شروط قبول التفسير بالرأي .ومن أشهر كتب التفسير بالرأي المذموم المردودة، كتب تفسير الشيعة ، والباطنية، والمعتزلة، وإشارات الصوفية التي اختل فيها شرط القبول! وتفسير الكشاف للزمخشري من كتب تفسير الرأي المذموم، التي ردها العلماء بسبب بدعته، وقد اساء الأدب في مواضع بعبارته مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع أهل السنة[١].

---

(١) موقع الشيخ محمد با مزمول .

التفسير بالرأي المحمود لا يستقيم إلا بمراعاة التفسير بالمأثور، فلابد أن يجمع بين الرأي والأثر، بالمعقول والمنقول، بالرواية والدراية! وهذا يتحقق بالشرط الأول أن لا يخالف التفسير بالمأثور مخالفة تضاد. والتفسير العلمي من هذا الباب إذا التزم فيه بشروط قبول التفسير بالمأثور! وكتاب جواهر القرآن لطنطاوي جوهري خرج بالتفسير عن موضوع الدين وجعله كأنه كتاب علوم، هذا غير المعاني التي أوردها وتخالف التفسير بالمأثور مخالفة تضاد!

موقف المدرسة العقلية من التفسير بالمأثور:

المدرسة العقلية ويمثلها المعتزلة ومن وافقهم، وفي العصر الحديث محمد عبده وتلاميذه !هذه المدرسة تنتقد التفسير بالمأثور من ثلاث جهات:

الأولى : من كثرة الاختلاف بين الروايات في التفسير ، والرد على ذلك : أما كثرة الاختلافات في التفسير بالمأثور ، فهي تسوغ رده، لأن ما صح من روايات التفسير بالمأثور الاختلاف فيه من باب اختلاف التنوع لا التضاد والتعارض.

فقد يفسر الصحابي الآية بلفظ والآخر بلفظ آخر والمعنى واحد. وقد يذكر صحابي مثالاً لتقرير معنى الآية، ويذكر صحابي آخر مثالا آخراً في تقرير نفس المعنى. وقد يعبر بعض الصحابة عن المعنى العام ، ويعبر بعضهم عن بعض أفراده ، وكل هذا لا تضاد ولا تعارض فيه، والحمد لله.

ووجود التعارض والتناقض والتضاد فيما صح من الوارد من أندر ما يكون، ولله الحمد!

الثانية : بكثرة الضعيف والموضوع ، أما ورود روايات ضعيفة ومردودة وكثرة ذلك، فلا يؤثر والحمد لله، لأن المعتمد هو ما يثبت من هذه الروايات، أما ما لا يثبت فإنه مردود لا التفات له ، وللعلماء مسالك في التصحيح والتضعيف منها ما يعتمد على أسانيد الرواية ومنها ما لا يعتمد على أسانيد الرواية، فليرجع في كل فن إلى أهله.

الثالثة : بأن فيه الكثير من الإسرائيليات : أما ورود الإسرائيليات في التفسير بالمأثور ، فهذا لا يؤثر فيه.

إن الإسرائيليات على ثلاثة اقسام:

القسم الأول : ما يوافق ما عندنا فهذا نقبله ونرويه، والأصل اعتماد شرعنا، وإنما يروى اسئناسا، وعليه يحمل ما جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج).

القسم الثاني : ما يخالف ما عندنا، فهذا نرده و لا نرويه، و لا أعلم أن أئمة التفسير اعتمدوا من ذلك في تفاسيرهم شيئا.

القسم الثالث : ما لا يخالف و لا يوافق، فهذا لا حرج في روايته، و لا نصدق و لا نكذب كما جاء في الحديث! وهذه الاعتراضات كلها مردودة ، فبطل اعتراضهم وانتقادهم للتفسير بالمأثور، ولله الحمد!

أنواع التفسير[1]..

التفسير الإشاري، من التفسير بالرأي، فيقبل منه ما توفرت فيه شروط القبول.

وهو على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما كان صحيح المعنى والاعتبار في الاستدلال صحيح. فهذا مقبول، كتفسير ابن عباس لسورة (إذا جاء نصر الله والفتح).

النوع الثاني : ما كان صحيح المعنى غير صحيح الاعتبار، فهذا يقبل المعنى لصحته، ويرد الاستدلال فيه لبطلانه!

النوع الثالث : ما كان باطل المعنى والاعتبار، فهذا يرد المعنى والاستدلال، كقول بعضهم : (فاذبحوا البقرة) قال: عائشة. (فقاتلوا أئمة الكفر) قال: أبوبكر وعمر. ونحو هذه الأباطيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وأما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض : فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يختلفوا فيه[2].

ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا ، وهو وإن كان في التابعين

---

(١) موقع الشيخ محمد بامزمول .على الفيسبوك ،
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٥ ، ص ١٦٢ .

أكثر منه في الصحابة ، فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم ، وكلما كان العصر أشرف ، كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر[1].

الآيات القليلة التي وقع في تفسيرها الخلاف ، فهي أيضا على أقسام :

القسم الأول : الخلاف فيها خلاف تنوّع وليس خلاف تضاد ، فهو خلاف لفظي غير مؤثر ، وخلاف التنوع في حقيقته ليس اختلافا ، إذ من شرط الاختلاف تناقض القولين ، وهذا غير واقع في هذا القسم من الخلاف ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله شارحا اختلاف التنوع :وذلك صنفان :

أحدهما : أن يعبر كل واحد منهم — يعني من المفسرين – عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه ، تدل على معنى في المسَمَّى غير المعنى الآخر ، مع اتحاد المسَمَّى ، كما قيل في اسم السيف : الصارم ، والمهند ، وذلك مثل أسماء الله الحسنى ، وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأسماء القرآن السلف كثيرا ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر ، كمن يقول : أحمد : هو الحاشر ، والماحي ، والعاقب ، والقدوس هو الغفور والرحيم ، أي أن المسمى واحد ، لا أن هذه الصفة هي هذه الصفة ، ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس ، مثال ذلك : تفسيرهم للصراط المستقيم ، فقال بعضهم : هو " القرآن " : أي اتباعه ، وقال بعضهم : هو " الإسلام " .فهذان القولان متفقان ؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن ، ولكن كل منهما نبَّه على وصف غير الوصف الآخر .

الصنف الثاني : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع ، لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه .

العلامة ابن جزى فقد ذكر أسباب الخلاف بين المفسرين حاصراً إياها في اثني عشر سبباً هي:

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٣ ، ص ٣٣٢ .

١- اختلاف القراءات.

٢- اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات.

٣- اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

٤- اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

٥- احتمال العموم والخصوص.

٦- احتمال الإطلاق والتقييد.

٧- احتمال الحقيقة أو المجاز.

٨- احتمال الإضمار أو الاستقلال.

٩- احتمال أن تكون الكلمة زائدة.

١٠- احتمال حمل الكلام على الترتيب أو على التقديم والتأخير.

١١- احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً.

١٢- اختلاف الرواية في التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف-رضى الله عنهم[(١)] ومن ذلك قوله جلّ وعلا: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨))[(٢)]، وقد شغلت مسألة تعيين الصلاة الوسطى حيّزاً من جهد المفسرين وكتبهم، حتى امتلأت بتنوع الأقوال ومستنداتها، وهذا أيضاً من المصالح التي ترتبت على هذا الإجمال، لما فيه من الدواعي للتأمل في مدى الاهتمام بأمر الصلاة من المولى سبحانه، ومن العبد تبعاً لذلك، وهكذا فتعرضوا لتقصي بيان إجمال الآية من ناحية أن لفظ الوسطى يحتمل أن يكون بمعنى الفضلى أو بين صلاتين أو غيره، فهل هي الظهر أو العصر أو المغرب أو غير ذلك مما ذكروه، فمن ذلك، قولهم أنها[(٣)]:

---

(١) ابن جزي مقدمة التسهيل ، ج١ ، ص ١٢ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) (الطبري: جامع البيان ٢ /٧٥٠ والنحاس: معاني القرآن ١ /٢٣٩ والشريف المرتضى: رسائل المرتضى ٢٧٥/١ والشيخ الطوسي: التبيان ٢ / ٢٧٦ والقطب الراوندي: فقه القرآن ١١٣/١- ١٤٠ والقرطبي: تفسير القرطبي ٣ /٢٠٩.

١- صلاة الجماعة[١].

٢- صلاة الصبح[٢].

٣- صلاة الظهر[٣].

٤- صلاة العصر[٤].

٥- صلاة المغرب[٥].

٦- صلاة العشاء الآخرة[٦].

٧- صلاة الجمعة[٧].

٨- صلاة الصبح والعصر معاً[٨].

٩- صلاة العتمة والصبح[٩].

١٠- الصلوات الخمس بجملتها[١٠].

١١- صلاة الضحى وهي التي (حثهم في كتابه وعلى لسان رسوله في ذلك الوقت على صلاة ووعدهم عليها الجزيل من ثوابه، من غير أن يفرضها عليهم) [١١].

١٢- أنها مخفية بين الصلوات وغير معينة، ليجتهد الناس في المحافظة على جميع الصلوات، وذلك كإخفاء اسمه تعالى الأعظم، وليلة القدر بين عدة ليالٍ، وساعة الاستجابة بين ساعات الجمعة[١٢].

---

(١) الطوسي-التبيان: ٢٧٦/٢
(٢) الشافعي-أحكام القرآن: ٥٩/١
(٣) العياشي -تفسير العياشي:١/ ١٢٧
(٤) القمي-تفسير القمي: ٧٩/١.
(٥) ابن أبي حاتم الرازي-تفسير ابن أبي حاتم: ٤٤٨/٢
(٦) ابن عطية الأندلسي-المحرر الوجيز: ٣٢٣/١
(٧) الطبرسي-مجمع البيان: ١٢٧/٢
(٨) الرازي-تفسير الرازي: ١٦١/٦.
(٩) أبو حيان الأندلسي-تفسير أبي حيان: ٢٥٠/٢
(١٠)] ابن عطية الأندلسي-المحرر الوجيز: ٣٢٣/١
(١١)الطبري: جامع البيان ٢ /٧٦٩.
(١٢)ابن عربي-أحكام القرآن: ٢٩٩/١..

س٨١ : لماذا الاختلاف في أسباب النزول ؟.

ج٨١ : سبب اختلاف روايات أسباب النزول :

لما كان سبيل الوصول إلى أسباب النزول هو الرواية والنقل، كان لا بد أن يعرض لها ما يُعرض للرواية من صحة وضعف، واتصال وانقطاع، غير أنا هنا على ظاهره هامة يحتاج الدارس إليها وهي اختلاف روايات أسباب النزول وتعددها، وذلك لأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- **ضعف الرواة**: وضعف الراوي يسبب له الغلط في الرواية، فإذا خالفت روايته المقبولين، كانت روايته مردودة ، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ..(١١٥))[1]. فقد ثبت أنها في صلاة التطوع للراكب المسافر على الدابة. أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه، قال: وفيه نزلت: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ). وأخرج الترمذي وضعّفه: أنها في صلاة من خفيت عليه القبلة فاجتهد فأخطأ القبلة، فإن صلاته صحيحة. فالمعوّل عليه هنا في سبب النزول الأول لصحته.

٢- **تعدد الأسباب والمُنَزَّل واحد**: وذلك بأن تقع عدة وقائع في أزمنة متقاربة، فتنزل الآية لأجلها كلها، وذلك واقع في مواضيع متعددة من القرآن، والعمدة في ذلك على صحة الروايات، فإذا صحت الروايات بعدة أسباب ، ولم يكن ثمة ما يدل على تباعدها كان ذلك دليلاً على أن الكل سبب لنزول الآية والآيات. مثال ذلك: آيات اللعان: فقد أخرج البخاري: أنها نزلت في هلال بن أمية لما قذف امرأته عند النبي صلّى الله عليه وسلم، فأنزل الله: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...(٦))[2]. وفي الصحيحين : أنها نزلت في عويمر العجلاني وسؤاله النبي صلّى الله عليه وسلم عن

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة النور .

الرجل يجد مع امرأته رجلاً...فقال صلّى الله عليه وسلم: "إنه قد أنزل فيك وفي صاحبتك القرآن". وظاهر الحديثين الاختلاف، وكلاهما صحيح. فأجاب الإمام النووي: بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضاً، فنزلت في شأنهما معاً.

٣- **أن يتعدد نزول النص لتعدد الأسباب:** قال الإمام الزركشي: وقد ينزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه ...ولذلك أمثلة، منها: ما ثبت في الصحيحين: عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: (**ويسألونك عن الروح**) أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة، ومعلوم أن هذه الآية في سورة - سبحان - أي الإسراء وهي مكية بالاتفاق ، فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين وعن أهل الكهف قبل ذلك بمكة، وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك، فأنزل الله الجواب، كما سبق بيانه. ولا يقال: كيف يتعدد النزول بالآية الواحدة، وهو تحصيل حاصل؟ فالجواب: أن لذلك فائدة جليلة ، والحكمة من هذا - كما قال الزركشي - أنّه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية ، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدي تلك الآية بعينها إلى النبي صلّى الله عليه وسلم تذكيراً لهم بها ، وبأنها تتضمن هذه .

٤- **تعدد النزول مع وحدة السبب** :قد يتعدد ما ينزل والسبب واحد ومن ذلك ما روي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ.. (١٩٥)**)[١]، عن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما لنا لا نذكر في القرآن كما يُذكر الرجال، فأنزلت: (**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ..(٣٥)**)[٢].

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الأحزاب .

عن أم سلمة أنها قالت: تغزوا الرجال ولا تغزوا النساء، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: (وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ(٣٢))[١].

٥- **تقدم نزول الآية على الحكم** :

المثال الأول: قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى(١٤))[٢]، استدل بها على زكاة الفطر، والآية مكية، وزكاة الفطر في رمضان، ولم يكن في مكة عيد ولا زكاة.

المثال الثاني: قوله تعالى: (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ(٢))[٣] السورة مكية، وقد ظهر أثر الحل يوم فتح مكة، حتى قال صلّى الله عليه وسلم: " أحلت لي ساعة من نهار ".

المثال الثالث: قوله تعالى: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(٤٥))[٤]، قال عمر ابن الخطاب: كنت لا أدري أي الجمع يهزم؟ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ).

٦- **تعدد ما نزل في شخص واحد** :موافقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مُصلَّى، فنزلت: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى..(١٢٥))[٥]. وقلت يا رسول الله: إنَّ نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله صلّى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة، فقلت لهن:

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة الأعلى .
(٣) سورة البلد .
(٤) سورة القمر .
(٥) سورة البقرة .

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنّ .(٥)﴾[1]، فنزلت كذلك.

ونزلت آيات في سعد بن أبي وقاص: قال: كانت أمي حلفت ألاّ تأكل ولا تشرب حتى أفارق محمد صلّى الله عليه وسلم، فأنزل الله ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا..(١٥)﴾[2] : يقول سعد: أخذت سيفاً فأعجبني، فقلت: يا رسول الله هب لي هذا، فنزلت سورة الأنفال[3].

س٨٢: لماذا نزل القرآن منجما ولم ينزل مرة واحدة:؟.

ج٨٢: من المعلوم أن القرآن الكريم قد نزل مفرقا في ٢٣ سنة ، وأنه جمع في النهاية على نحو مختلف تماما عن ترتيب النزول .هذه الظاهرة أثارت عددا من التساؤلات ومنذ القديم، كان أولها التساؤل عن الحكمة من نزول القرآن مفرقا والذي أثاره المشركون بقصد التشكيك بالقرآن ..يقول الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾[4] "فالحكمة من نزول القرآن مفرقا –كما تحدده الآية – هو التثبيت ، و لقد كان ممكنا أن ينزل القرآن مفرقا فيحقق التثبيت ، وأن يرتب أولا بأول ؟قلنا أن الآية ٣٢ من سورة الفرقان قد حددت :

- التثبيت ، هدفا من وراء نزول القرآن مفرقا ، بعد ذلك تذكر الآية شيئا آخر هو الترتيل (ورتلناه ترتيلا) ..لنتدبر الآية جيدا : (لنثبت به فؤادك +ورتلناه ترتيلا) .
- الترتيل ، معناه : الترتيب ، وليس تجويد التلاوة وتحسينها حصرا كما هو في المفهوم السائد هذا الفهم لمعنى الترتيل يعني أن (التثبيت) هو أيضا علة ترتيب القرآن على غير ترتيب نزوله . ويشمل ذلك الحكمة من ترتيب هذه السورة هنا وتلك هناك ، ومجيء هذه السورة من هذا العدد من الآيات وتلك من هذا العدد ، وكون هذه السورة طويلة وتلك قصيرة ، وتجميع السور القصيرة في نهاية المصحف والطويلة في أوله ، إلى غير ذلك ..

---

(١) سورة التحريم .
(٢) سورة لقمان .
(٣) علي بن نايف الشحود ، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ، ج٥ ، ص٦٠ .
(٤) سورة الفرقان .

من الحكم البارزة :

١- تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه على النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على ذلك غاية الحرص، حتى إنه كان يعاجل جبريل ولا ينتظره حتى يفرغ حتى أنزل الله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا(١١٤)﴾[1] ، وقال تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ(١٨)ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(١٩)﴾[2] .

٢- التدرج في تربية الأمة دينيا وخلقيا واجتماعيا وعقيدة وعلماً وعملا وهذه الحكمة أشار إليها القرآن في قوله ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦)﴾[3].

٣- التدرج في تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والعملية والآداب والأخلاق الفاضلة.

٤- تثبيت قلوب المؤمنين وتعويدهم على الصبر والتحمل بذكر قصص الأنبياء، وما لاقوه وأن العاقبة للمتقين كقوله تعالى :﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ..(٥٥)﴾[4] ، وكقوله تعالى : ﴿الم(١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)﴾[5].

٥- التحدي والإعجاز: فالمشركون تمادوا في غيهم وبالغوا في عتوهم، وكانوا يسألون أسئلة

---

(١) سورة طه .
(٢) سورة القيامة .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) سورة النور .
(٥) سورة العنكبوت

تعجيز وتحدّ يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته، ويسوقون له من ذلك كل عجيب كعلم الساعة قال تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ..(١٨٧))[١] ، وكقوله تعالى : (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ(٤٧))[٢] ، وحيث عجبوا من نزول القرآن منجماً بين الله لهم الحق في ذلك، فإن تحديهم به مفرقاً مع عجزهم عن الإتيان بمثلهأبلغ في الحجة من أن ينزل جملة ويقال لهم جيئوا بمثله، ولهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم قال تعالى : (لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً.. (٣٢))[٣].

٦- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد.

س٨٣ لماذا اختلف ترتيب المصحف عن ترتيب النزول ؟.

ج٨٣ إن ترتيب الآيات والسور القرآنية في رسم المصحف لم يتم حسب ترتيب النزول، بل تم ذلك بتوقيف من النبي عليه الصلاة والسلام، أما ترتيبها في المصحف فهو غير ترتيب النزول:

- العلق في النزول رقم (١) بينما في ترتيب المصحف رقمها (٩٦).
- القلم في النزول رقم (٢) وهي في ترتيب المصحف رقم (٦٨).
- والمزمل رقمها (٣) في النزول بينما رقمها في ترتيب المصحف (٧٣).
- المدثر رقمها في النزول (٤) وفي ترتيب المصحف (٧٤).
- والفاتحة في النزول رقم (٥) بينما هي في ترتيب المصحف رقم (١).

أما ترتيب الآيات فلم يكن أيضاً وفق تعاقب نزولها، ويكفي دلالة على ذلك أن أول ما نزل من القرآن الآيات الأولى من سورة العلق، وكان نزولها بِحِراء، ثم نزلت أواخرها بعد ذلك بما شاء الله، ووقع بين نزول أولها ونزول آخرها نزول سور القلم والمزمل والمدثر وغيرها.

اختلف العلماء في ترتيب السور القرآنية على ثلاثة مذاهب كما يلي:

المذهب الأول: أن ترتيب السور اجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم. قال بذلك مالك

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الحج .
(٣) سورة الفرقان .

والقاضي أبو بكر وابن فارس، واستدلوا على ذلك باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور قبل جمع عثمان رضي الله عنه.

المذهب الثاني: أن ترتيب السور كله توقيفي بتوجيه الرسول عليه الصلاة والسلام، والدليل إجماع الصحابة على مصحف عثمان وعدولهم عن غيره بل إحراقهم لما يخالفه.

الإجماع والنصوص الكثيرة على ترتيب الآيات في السورة الواحدة أمر معلوم ومشهور ، أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر وعبارته : ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين

وأما النصوص فمنها :

١- ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال : قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما في السبع الطوال فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السورة ذات العدد فكان إذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظنت أنها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال. قال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي[1] .

٢- ما أخرجه أحمد في المسند بإسناد حسن عن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ شَخَصَ بِبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالأَرْضِ قَالَ ثُمَّ شَخَصَ بِبَصَرِهِ فَقَالَ أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ

---

(١) الحاكم ، المستدرك ، ج٢ ، ص ٣٣٠ .

الآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(١) .

٣- ما أخرجه البخاري في الصحيح عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ :قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ لِعُثْمَانَ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا إِلَى قَوْلِهِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ) قَدْ نَسَخَتْهَا الأُخْرَى فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ قَالَ تَدَعُهَا يَا ابْنَ أَخِي لا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ(٣).

٤- ما رواه مسلم عن عمر قال ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة حتى طعن بإصبعه في صدري وقال ألا تكفيك آية الصّيْف التي في آخر سورة النساء(٣) .

٥- الأحاديث في خواتيم سورة البقرة .

٦- ما رواه مسلم برقم عن أبي الدرداء مرفوعاً من حفظ عشر آيات من أول الكهف عصم من الدجال وفي لفظ عنده من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف(٤).

وقال ابن حجر ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفاً ، قال : ومما يدل على أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد وأبو داود عن أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ قَالَ .. سَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَصْبَحْنَا قَالَ قُلْنَا كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ قَالُوا نُحَزِّبُهُ سِتَّ سُوَرٍ وَخَمْسَ سُوَرٍ وَسَبْعَ سُوَرٍ وَتِسْعَ سُوَرٍ وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً وَثَلاثَ عَشْرَةَ سُورَةً وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ مِنْ ق حَتَّى تَخْتِمَ . قال فهذا يدل على أن ترتيب السور – على ما هو في المصحف الآن – كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف ما عداه(٥) ..

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، ج٤ ، ص ٢١٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٣ ٤٥٣٦ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦١٧ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٨٠٩ .
(٥) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ،ج١ ، ص ٦٢ – ٦٥ .
(٦) الاسلام سؤال وجواب الشيخ المنجد ١٩-٠٥-٢٠٠٢

المذهب الثالث: أن ترتيب بعض السور كان توقيفيّاً، وترتيب بعضها كان باجتهاد من الصحابة، قال الزرقاني: ولعله أمثل الآراء، وقال السيوطي: كل الترتيب كان توقيفيّاً إلا ترتيب سورتي الأنفال وبراءة، بدليل حديث عثمان السابق ذكره، ومثل ذلك قاله الحافظ الثقفي معتمداً على التسليم بأن الصحابة رضوان الله عليهم هم العارفون بأسباب النزول ومواضع الكلمات، وهم الأمثل في فهم القرآن ووعيه على ما كانوا يسمعونه من رسول الله عليه الصلاة والسلام، فمنه على هذا المذهب ما فيه التوقيف القولي والعملي، ومنه ما بقي لهم فيه مجال نظر واجتهاد[1] .

س٨٤ لماذا تحمل بعض سور القرن الكريم أكثر من اسم مثل سورة محمد الشعراء ؟.

ج٨٤ : **السور التي لها اكثر من اسم:**

بعد أن أنزل الله كتابه على نبيه عن طريق جبريل اختلف العلماء في كون هل أسماء القرآن الكريم كلها من وضع النبي أم أنَّ للصحابة يدٌ في ذلك الاجتهاد، واختلفوا فمنهم من قال أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وضعها كلها، ومنهم من قال باجتهاد الصَّحابة في وضعها، وإلى جانب الأسماء التوقيفية التي ثبتت أسماءً للقرآن الكريم كان هناك ألقابٌ للسور فقد تحمل السورة اسمين أو ثلاثة.

١- مقاصير القرآن: وهي الفاتحة والكهف وسبأ وفاطر.

٢- السبع الطوال: وتشمل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

٣- الحواميم السبعة: وتشمل غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

٤- ميادين القرآن: وتشمل البقرة وآل عمران والأعراف والرعد والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة.

---

(١) لمزيد من الاطلاع انظر البرهان في تناسب سور القرآن لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، والبرهان في علوم القرآن، وترتيب السور للسيوطي، وترتيب السور لمحمد دروزة، والإعجاز للباقلاني، ومناهل العرفان للزرقاني.

٥- رياض القرآن: وهي من أول سورة ق إلى نهاية القرآن الكريم.

٦- أوساط المفاصل: من أول النبأ إلى آخر الليل. الطواسيم: وتشمل سورة الشعراء والنمل والقصص. قلب القرآن: سورة يس.

٧- العتاق الأول: وتشمل الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء.

٨- النظائر: وتشمل عشرين سورة كان عليه الصلاة والسلام يقرن بينها كل سورتين في ركعة واحدة وهي: (الرحمن والنجم) ، (القمر والحاقة) ، (الطور والذاريات) ، (الواقعة والقلم) ، ("المعارج والنازعات) ، (المطففين وعبس)، (المدثر والمزمل)،(الإنسان والقيامة) ، (النبأ والمرسلات)، (الدخان والتكوير).

٩- عرائس القرآن: وهي السور المفتتحة بالتسبيح، وتشمل الحديد والإسراء والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

١٠- القرينتان: الأنفال والتوبة.

١١- بساتين القرآن: وهي السور التي تشمل يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

١٢- الأربع الزهر: وهي القيامة والمطففين والبلد والهمزة.

١٣- الفاتحة : فاتحة القرآن ، فاتحة الكتاب ، أم القرآن ، أم الكتاب ، القرآن العظيم ، السبع المثاني ، الواقية ، الكنز ، الكافية ، الأساس ، النور ، الحمد ، الشكر ، الحمد الأولى ، الحمد ، القصوى، الرقية ، الشفاء ، الشافية ، الصلاة ، الدعاء ، السؤال ، تعليم المسألة ، المناجاة ، التفويض .

١٤- سورة البقرة : سنام القرآن – فسطاط القرآن .

١٥- آل عمران : سورة الاستغفار – سميت في التوراة طيبة – سميت هي والبقرة (بالزهراوين) – الزهراء – الأمان – الكنز – المجادلة.

١٦- النساء : تسمى سورة النساء الكبرى لأن سورة الطلاق تسمى صورة النساء الصغرى

١٧- المائدة : سورة العقود ، المنقذة ، سورة الأخيار.

١٨- الأنعام : الحجة .

١٩- الأعراف : سورة المبقات — سورة الميثاق

٢٠- الأنفال : سورة بدر .

٢١- التوبة : سورة براءة ، المقشقشة ، الفاضحة ، العذاب ، المبرئة من النفاق ، المنقرة ، البحوث ، الحافرة ، المثيرة ، المخزية ، المنكلة ، المشددة ، المدمدمة .

٢٢- النحل : سورة النعم .

٢٣- الإسراء : سورة سبحان ، سورة بني إسرائيل .

٢٤- الكهف : سورة أصحاب الكهف .

٢٥- مريم : سورة كهيعص .

٢٦- طه : سورة موسى — سورة الكليم .

٢٧- النور : سورة الستر والعفاف .

٢٨- الشعراء : الجامعة .

٢٩- النمل : سورة سليمان .

٣٠- السجدة : سورة المضاجع .

٣١- فاطر : سورة الملائكة .

٣٢- يس : قلب القرآن — سورة حبيب النجار — المعمة — الدافعة — القاضية .

٣٣- ص : سورة داود .

٣٤- الزمر : سورة الغرف .

٣٥- غافر : سورة المؤمن — سورة الطول — سورة حم الأول .

٣٦- فصلت : سورة حم السجدة — سورة المصابيح .

٣٧- الشورى : سورة عسق .

٣٨- الجاثية : سورة الشريعة — سورة الدهر .

٣٩- محمد : سورة القتال .

٤٠- ق : سورة القتال .

٤١- القمر : سورة الباسقات .

٤٢- الرحمن : عروس القرآن .

٤٣- الحشر : سورة بني النضير .

٤٤- الممتحنة : سورة الامتحان — سورة المرأة .

٤٥- الصف : سورة الحواريين .

٤٦- الطلاق : سورة النساء الصغرى .

٤٧- التحريم : سورة المحرم — سورة لم تحرم .

٤٨- سورة الملك : المانعة — المنجية — المجادلة — الدافعة — الشافعة — المخلصة .

٤٩- القلم : سورة ن .

٥٠- الحاقة : سورة السلسلة .

٥١- المعارج : سورة سأل سائل — سورة الواقع — سورة ذي المعارج .

٥٢- الإنسان : سورة هل أتى .

٥٣- النبأ : سورة عم — سورة النبأ — سورة المعصرات .

٥٤- النازعات : الساهرة — الطامة .

٥٥- التكوير : سورة كورت .

٥٦- الانفطار : سورة انفطرت .

٥٧- الانشقاق : سورة انشقت .

٥٨- البلد : سورة العقبة .

٥٩- البينة : سورة أهل الكتاب — سورة المنفكين — سورة القيمة .

٦٠- الهمزة : سورة الحطمة .

٦١- الكافرون : سورة العبادة — سورة الدين — المقشقشة .

٦٢- النصر : سورة التوديع .

٦٣- المسد : سورة أبي لهب — سورة تبت .

٦٤- الإخلاص :سورة التفريد – سورة التوحيد – سورة التجريد – سورة النجاة – سورة الولاية – سورة المعرفة – سورة الجمال – سورة الصمد – المعوذة – الأساس – المانعة – المخضيرة – المنقرة – البراءة – المذكرة – الشافية – النور .

٦٥- الفلق والناس : المعوذتان .

أسماء سورة الاخلاص:

سورة الإخلاص من السور التي لها فضل كبير فهي تعادل ثلث القران ، وقد خصص الفخر الرازي في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) فصلا كاملا لذكر أسماء هذه السورة فذكر لها عشرين اسما بإضافة عنوان سورة إلى كل اسم منها ولكن لم يذكر أسانيدها ، فعليك بتتبعها على تفاوت فيها وهي : التفريد ، والتجريد (لأنه لم يذكر فيها سوى صفاته التي هي صفات الجلال).

أسماء هذه السورة :

١- سورة الإخلاص

٢- سورة التوحيد .

٣- سورة النجاة (لأنها تنجي من الكفر في الدنيا ومن النار في الآخرة) .

٤- سورة الولاية : (لأن من عرف الله بوحدانيته فهو من أوليائه المؤمنين الذين لا يتولون غير الله).

٥- سورة النسبة : والنسبة (لما روي أنها نزلت لما قال المشركون : انسب لنا ربك .

٦- سورة المعرفة : (لأنها أحاطت بالصفات التي لا تتم معرفة الله إلا بمعرفتها)

٧- سورة الجمال : (لأنها جمعت أصول صفات الله وهي أجمل الصفات وأكملها ، ولما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جميل يحب الجمال فسألوه عن ذلك فقال : أحد صمد لم يلد ولم يولد) .

٨- سورة المقشقشة (يقال : قشقش الدواء الجرب إذا أبرأه لأنها تقشقش من الشرك ، وقد ذكر أنها اسم لسورة التوبة أيضا) .

٩- سورة المعوذة (لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن مظعون رضي الله عنه وهو مريض فعوذه بها وبالسورتين اللتين بعدها وقال له : تعوذ بها) .

١٠- سورة الصمد (لأن هذا اللفظ خص بها) .

١١- سورة الأساس (لأنها أساس العقيدة الإسلامية) .

١٢- السورة المانعة (لما روي أنها تمنع عذاب القبر ولفحات النار) .

١٣- سورة المحضر ، (لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت) .

١٤- السورة المنفرة (لأن الشيطان ينفر عند قراءتها) .

١٥- سورة البراءة (لأنها تبرئ من الشرك) .

١٦- السورة المذكرة (لأنها تذكر خالص التوحيد الذي هو مودع في الفطرة) .

١٧- سورة النور لما روي أن نور القرآن (قل هو الله أحد) .

١٨- سورة الأمان (لأن من اعتقد ما فيها أمن من العذاب).

س٨٥ : لماذا سميت السور القرآنية بهذه الأسماء ؟.

ج٨٥: سميت هذه السور بهذه الأسماء على النحو التالي :

١- البقرة : سميت هذه السورة الكريمة بـ (سورة البقرة) إحياء لذكرى تلك المعجزة الباهرة التي ظهرت في زمن موسى الكليم حيث قتل شخص من بني إسرائيل ولم يعرفوا قاتله ، فعرضوا الأمر على موسى لعله يعرف القاتل ، فأوحى الله تعالى أن يأمرهم بذبح بقرة ، وان يضربوا الميت بجزء منها فيحيا بإذن الله ويخبرهم عن القاتل ، وتكون برهانا على قدرة الله عز وجل في إحياء الخلق بعد الموت.

٢- سورة الفاتحة : تسمى الفاتحة وأم الكتاب ، والسبع المثاني ، والشافية والوافية والكافية والأساس والحمد وقد عددها القرطبي وذكر إن لهذه السورة اثني عشر اسما.

٣- سورة آل عمران : سميت بهذا الاسم لورود ذكر قصه تلك الأسرة الفاضلة آل عمران والد مريم أم عيسى ، وما تجلى فيها من مظاهر القدرة الإلهية بولادة مريم البتول وابنها عيسى عليهما السلام.

٤- سورة النساء : سميت سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من الأحكام التي تتعلق بهت بدرجه لم توجد في غيرها من السور ، ولذلك أطلق عليها سورة (**النساء الكبرى**) " في مقابله سورة (**النساء الصغرى**) التي عرفت بالقران بسورة الطلاق.

٥- سورة المائدة : سميت بهذا الاسم لورود ذكر المائدة فيها حيث طلب الحواريون من عيسى عليه الصلاة والسلام أيه تدل على صدق نبوته وتكون لهم عيدا ، وقصتها أعجب ما ذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم من الله العلي الكبير

٦- سورة الأنعام : سميت لورود ذكر الأنعام فيها " وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا" ولان أكثر إحكامها الموضحة لجهالات المشركين تقربا بها إلى أصنامهم مذكورة فيها ، ومن خصائصها ما روى عن ابن عباس انه قال : نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جمله واحدة ، حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح .

٧- سورة الأعراف : لورود ذكر الأعراف فيها وهو سور مضروب بين الجنة والنار يحول بين أهلها ، روى ابن جرير عن حذيفة انه سال عن أصحاب الأعراف فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة وتخلف بهم حسناتهم عن دخول النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم .

٨- سورة التوبة : تسمى هذه السورة بأسماء عديدة أوصلها بعض المفسرين إلى أربعه عشر اسما ، قال علامة الزمخشري : لهذه السورة عدة أسماء " براءة ، والتوبة ، والمقشقش ، والمبعثرة ، والمشردة ، والمخزية ، والفاضحة ، والمثيرة ، والحافرة ، والمنكلة ، والمدمدمة ، وسورة العذاب " قال : لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكل بهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم .

٩- سورة يونس : سميت بهذا الاسم لذكر قصته عليه السلام فيها ، ومات ضمنته من العظة والعبرة برفع العذاب عن قومه حين امنوا بعد أن كاد يحل بهم البلاء والعذاب ، وهذا من الخصائص التي خص الله بها قوم يونس لصدق توبتهم وإيمانهم .

١٠- سورة الرعد : سميت بهذا الاسم لتلك الظاهرة الكونية العجيبة ، التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه ، فالماء جعله الله سببا للحياة ، وانزله بقدرته من السحاب ، والسحاب جمع الله فيه بين الرحمة والعذاب ، فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق ، وفي الماء الأحياء وفي الصواعق الإفناء وجمع النقيضين من العجائب كما قال القائل : جمع النقيضين من أسرار قدرته : هذا السحاب به ماء به نار.

١١- سورة إبراهيم : سميت هذه السورة تخليدا لمآثر أب الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ، الذي حطم الأصنام وحمل راية التوحيد ، وجاء بالحنيفية السمحة ودين الإسلام الذي بعث به خاتم المرسلين ، وقد قص علينا القران الكريم دعواته المباركات بعد انتهائه من بناء البيت العتيق ، وكلها دعوات إلى الإيمان والتوحيد

١٢- سورة الحجر : سميت لان الله تعالى ذكر ما حدث لقوم صالح عليه السلام ، وفهم قبيلة ثمود ، وديارهم في الحجر بين المدينة والشام فقد كانوا أشداء ينحتون الجبال ليسكنوها وكأنهم مخلدون في هذه الحياة لا يعتريهم موت ولا فناء فبينما هم آمنون مطمئنون جاءتهم صيحة العذاب في وقت الصباح (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)).

١٣- سورة النحل : سميت لاشتمالها على تلك العبرة البليغة التي تشير إلى عجيب صنع الخالق ، وتدل على الألوهية بهذا الصنع العجيب.

١٤- سورة الإسراء : سميت لتلك المعجزة الباهرة معجزة الإسراء التي خص الله تعالى بها نبيه الكريم.

١٥- سورة الكهف : سميت سورة الكهف لما فيها من المعجزة الربانية ، في تلك القصة العجيبة الغريبة قصة أصحاب الكهف .

١٦- سورة مريم : سميت سورة مريم تخليدا لتلك المعجزة الباهرة ، في خلق إنسان بلا أب ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد وما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى

عليه السلام .

١٧- سورة طه : سميت سورة طه وهو اسم من أسماء الرسول الشريفة عليه الصلاة والسلام ، تطييبا لقلبه ، وتسليه لفؤاده عما يلقاه من صدود وعناد ، ولهذا ابتدأت السورة بملاطفة بالنداء (طه(١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى(٢)).

١٨- سورة الأنبياء : سميت سورة الأنبياء لان الله تعالى ذكر فيها جمله من الأنبياء الكرام في استعراض سريع يطول أحيانا ويقصر أحيانا ، وذكر جهادهم وصبرهم وتضحيتهم في سبيل الله ، وتفانيهم في تبليغ الدعوة لإسعاد البشرية.

١٩- سورة الحج : سميت سورة الحج تخليدا لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام ، حين انتهى من بناء البيت العتيق ونادى الناس لحج بيت الله الحرام ، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض واسمع نداؤه من في الأصلاب والأرحام وأجابوا النداء "لبيك اللهم لبيك"

٢٠- سورة النور : سميت سورة النور لما فيها من إشعاعات النور الرباني ، بتشريع الأحكام والآداب والفضائل الإنسانية التي هي قبس من نور الله على عبادة ، وفيض من فيوضات رحمته وجوده (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥))اللهم نور قلوبنا بنور كتابك المبين يا رب العالمين .

٢١- سورة الفرقان : سميت لان الله ذكر فيها هذا الكتاب المجيد الذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وكان النعمة الكبرى على الإنسانية لأنه النور الساطع والضياء المبين ، الذي فرق الله بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، والكفر والإيمان ، ولهذا كان جديرا بان يسمى الفرقان .

٢٢- سورة الشعراء : سميت سورة الشعراء لان الله ذكر فيها أخبار الشعراء وذلك للرد على المشركين لزعمهم أن محمد كان شاعرا ، وان ماجا به من قبيل الشعر ، فرد الله عليهم ذلك الكذب والبهتان بقوله ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ(٢٢٦)﴾، وبذلك ظهر الحق وبان .

٢٣- سورة النمل : سميت سورة النمل ، لان الله تعالى ذكر فيها قصة النمل التي وعظت بني جنسها وذكرت ثم اعتذرت عن سليمان وجنوده ، ففهم نبي الله كلامها وتبسم من قولها ، وشكر الله على ما منحه من الفضل والأنعام ، وفي ذلك أعظم الدلالة على علم الحيوان ، وان ذلك من الهام الواحد الديان .

٢٤- سورة القصص : سميت سورة القصص لان الله تعالى ذكر فيها قصة موسى موضحه من حين ولادته إلى حين رسالته وفيها من غرائب الأحداث العجيبة ما يتجلى فيه بوضوح عناية الله بأوليائه وخذلانه لأعدائه .

٢٥- سورة العنكبوت : سميت سورة العنكبوت ، لان الله ضرب العنكبوت فيها مثلا للأصنام المنحوتة ، والآلهه المزعومة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِّ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)﴾

٢٦- سورة الروم : سميت سورة الروم ، لذكر تلك المعجزة الباهرة التي تدل على صدق أنباء القران الكريم ﴿ألم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ(٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِّ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)بِنَصْرِ اللهِّ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(٥)﴾، وتلك هي بعض معجزات القران .

٢٧- سورة لقمان : سميت سورة لقمان ، لاشتمالها على قصه لقمان الحكيم التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله تعالى ، وصفاته وذم الشرك والأمر بمكارم الأخلاق ، والنهي عن القبائح والمنكرات وما تضمنته كذلك من الوصايا الثمينة التي انطقه الله

بها ، وكانت من الحكمة والرشاد بمكان .

٢٨- سورة السجدة : سميت سورة السجدة ، لما ذكر الله تعالى فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار ، الذين إذا سمعوا آيات القران الكريم العظيم (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥)) .

٢٩- سورة سبأ : سميت سورة سبأ ، لان الله تعالى ذكر فيها قصه سبأ ، وهم ملوك اليمن ، وقد كان أهلها في نعمه ورخاء ، وسرور وجنات ، وكانت مساكنهم حدائق ، فلما كفروا النعمة دمرهم الله بالسيل العرم ، وجعلهم عبرة لمن يعتبر .

٣٠- سورة فاطر : سميت سورة فاطر ، لذكر هذا الاسم الجليل والنعت الجميل في طليعتها لما في هذا الوصف من الدلالة على الإبداع والاختراع والإيجاد لأعلى مثال سابق ، ولما فيه من التصوير الدقيق المشير إلى عظمه الجلال ، وباهر قدرته ، وعجيب صنعه ، فهو الذي خلق الملائكة ، وأبدع تكوينهم بهذا الخلق العجيب .

٣١- سورة يس : سميت سورة يس ، لان الله تعالى افتتح السورة الكريمة به وفي الافتتاح بها إشارة إلى إعجاز القران الكريم .

٣٢- سورة الصافات : سميت سورة الصافات ، تذكيرا للعباد بالملأ الأعلى من الملائكة الأطهار ، الذين لا ينفكون عن عبادة الله وبيان وظائفهم التي كلفوا بها .

٣٣- سورة ص : تسمى سورة ص ، وهو حرف من حروف الهجاء الإشادة بالكتاب المعجز الذي تحدى الله به الأولين والآخرين ، وهو النظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية .

٣٤- سورة الزمر : سميت سورة الزمر ، لان الله تعالى ذكر فيها زمرة السعداء من أهل الجنة ، وزمرة الأشقياء من أهل النار ، أولئك مع الاجلال والإكرام وهؤلاء مع الهوان والصغار.

٣٥- سورة غافر : سميت سورة غافر ، لان الله تعالى ذكر هذا الوصف الجليل الذي هو

من صفات الله الحسنى في مطلع السورة الكريمة(غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣))، وكرر ذكر المغفرة في دعوة الرجل المؤمن : (تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢))و تسمى سورة المؤمن لذكر قصه مؤمن آل فرعون .

٣٦- سورة فصلت : سميت سورة فصلت ، لان الله تعالى فصل فيها الآيات ، ووضح فيها الدلائل على قدرته ووحدانيته ، وأقام البراهين القاطعة على وجودة وعظمته وخلقه لهذا الكون البديع الذي ينطق بجلال الله وعظيم سلطانه .

٣٧- سورة الأحزاب : سميت سورة الأحزاب ، لان المشركين تحزبوا على المسلمين من كل جهة ، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وأوباش العرب على حرب المسلمين ، ولكن الله ردهم مدحورين وكفى الله المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة .

٣٨- سورة الشورى : سميت سورة الشورى ، تنويها بمكانه الشورى في الإسلام ، وتعليما للمؤمنين إن يقيموا حياتهم على هذا النهج الأمثل الأكمل "منهج الشورى" لما له من اثر عظيم جليل في حياة الفرد والمجتمع كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)).

٣٩- سورة الزخرف : سميت سورة الزخرف ، لما فيها من التمثيل الرائع لمتاع الدنيا الزائل وبريقها الخادع بالزخرف اللامع ، الذي ينخدع به الكثيرون مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضه ولهذا يعطيها الله للأبرار والفجار ، وينالها الأخيار والأشرار ، أما الآخرة فلا يمنحها الله إلا لعبادة المتقين ، فالدنيا دار الفناء ، والآخرة دار البقاء .

٤٠- سورة الدخان : سميت سورة الدخان لان الله تعالى جعله ايه لتخويف الكفار ، حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم للرسول وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون ثم نجاهم بعد ذلك ببركة دعاء النبي .

٤١- سورة الجاثية : سميت سورة الجاثية ، للأهوال التي يلقاها الناس يوم القيامة ويوم الحساب ، حيث تجثو الخلائق من الفزع على الركب في انتظار الحساب ويغشى الناس من الأهوال مالا يخطر على البال ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)).

٤٢- سورة الاحقاف : سميت سورة الاحقاف ، لأنها مساكن عاد الذين أهلكهم الله بطغيانهم وجبروتهم ، وكانت مساكنهم بالاحقاف من ارض اليمن : (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ(٢١))

٤٣- سورة الفتح : سميت سورة الفتح لان الله تعالى بشر المؤمنين بالفتح المبين : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١)).

٤٤- سورة الحجرات : سميت سورة الحجرات لان الله تعالى ذكر فيها حرمة بيوت النبي وهي الحجرات التي كان يسكنها أمهات المؤمنين الطاهرات رضوان الله عليهن .

٤٥- سورة الطور : سميت سورة الطور ، لان الله تعالى بدأ السورة الكريمة بالقسم بجبل الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، ونال ذلك الجبل من الأنوار والتجليات والفيوضات الإلهية ما جعله مكانا وبقعه مشرفة على سائر الجبال في بقاع الأرض

٤٦- سورة الحديد : سميت سورة الحديد ، لذكر الحديد فيها ، وهو قوة الإنسان في السلم والحرب ، وعدته في البنيان والعمران ، فمن الحديد تبنى الجسور الضخمة ، وتشاد العمائر ، وتصنع الدروع والسيوف والرماح ، وتكون الدبابات والغواصات والمدافع الثقيلة إلى غير ما هنالك من منافع [١].

(١) المعرفة ، موقع ألكتروني تسمية سور القرآن وأسباب النزول)
(٢) علي بن نايف الشحودالمفصل في موضوعات سور القرآن الكريم ، - الجزء: ١ صفحة: ١١٧٠- ١١٧٨

س ٨٦ :لماذا سميت سورة محمد بسورة القتال ؟.

ج٨٦: هي من السّور المدنيّة؛ أيّ من السّور التي نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلم في المدنية المنورة، وهناك آراء تقول أنّها من السّور الي نزلت على قلب النبيّ في أول العهد النبويّ، كما قيل أنّ الآية الثالثة عشرة منها نزلت عندما كان رسول الله في طريق هجرته إلى المدينة، ويبلغ عدد آياتها ثمانٍ وثلاثين آية، وتأتي في المرتبة السابعة والأربعين في ترتيب سور القرآن الكريم، كما توجد في الجزء السادس والعشرين، وقد نزلت سورة محمد بعد سورة الحديد، وهي من السّور المثاني في كتاب الله، وتتحدث السّورة عن الأحكام الشرعيّة المتعلقة بأمور القتال في سبيل الله، لذلك قد يُطرح سؤال: لماذا سميت سورة محمد بسورة القتال؟ كما تتحدث عمّا يخصّ الغنائم والأسرى، وتأتي على الحديث عن حال المنافقين في أثناء القتال، وتتحدث السورة بشكلٍ رئيس عن الجهاد في سبيل الله.

إذن ..السبب هو ورود لفظة (القتال) فيها، وذكر كلّ ما يتعلق به من أحكامه ومشروعيته، وذلك في قوله تعالى: (يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ(٢٠))، كما أطلق على سورة محمد سورة (الذين كفروا)، لأنّ آياتها بدأت بهذا اللفظ وذلك في قوله تعالى: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(١))، ولكنّ أشهر اسم اطلق عليها هو سورة محمّد، وسبب تسميتها بهذا الاسم قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ(٢))،وبذلك إجابة عن سؤال: "لماذا سميت سورة محمد بسورة القتال؟" وبالأسماء الأُخرى.

مقاصد هذه السورة:

حثّت السورة المؤمنين في معظم آياتها على قتال المشركين، وذلك بذكر ثواب القتال في سبيل الله، ودفاعًا عن رسالة الإسلام، وفيما يأتي ذكر لأهم مقاصد سورة محمد:

١- بينت آيات سورة محمد أنّ الله ينصر الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ووقفوا مع الحق في وجه الباطل، وأنّ الهزيمة ستكون للمشركين الذين منعوا عن الناس عن دين الحق.

٢- وضحت الآيات الكريمة أيضًا ما على المؤمنين فعله عند بداية قتالهم للمشركين، وكيف عليهم الثبات حتّى نهاية القتال، كما تحدثت عن ثواب من يُقتل شهيدًا في سبيل الله.

٣- وعدت الآيات الكريمة من يجاهد في سبيل الله بالجنة، وأمرت المجاهدين بالقتال لنصر الحق، وعدم الجنح للسلم في حال ضياع الحقوق، وأن ينذروا المشركين بأن نهايتهم كنهاية الأمم السابقة التي صدّت عن سبيل الله، وكذبت الأنبياء والمرسلين.

٤- حذرت الآيات الكريمة كفار قريش من عاقبتهم، ومن سوء مصيرهم في حال أصروا على كفرهم، وستكون نهايتهم كنهايات الأمم السابقة، التي دُمرت بسبب كفرهم وطغيانهم، كما ذكرت جزاء المؤمنين الصالحين.

٥- تحدثت الآيات الكريمة عن حال المنافقين، واستغرابهم من آيات القتال، وعدم تدبرهم لآيات الكتاب الحكيم، ومناصرتهم للكفار والمشركين، كما بينت تهديد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بأنه سيخبر بصفاتهم، كما حذرت المؤمنين من نفاقهم.

٦- انتهت السورة الكريمة بالإشارة إلى الوعد الذي وعده الله للمسلمين بتمكينهم في الأرض، كما حذرتهم من الفساد في الأرض في حال آل إليهم الأمر فيها، وحذرتهم من البخل وقطيعة الرحم[١].

س٨٧: لماذا سميت سورة الانبياء بسورة الاستجابة ؟ .

ج ٨٧ : تعدُّ سورة الأنبياء من السور المكيّة، أي من السور التي نزلتْ على النَّبيِّ عليه الصّلاة والسّلام في مكة المكرمة، وقد نزلتْ بعدَ سورة إبراهيم، ويبلغُ عدد آياتِها مئة واثنتيْ عشرة آية،

---

(١) موقع سطور ، ديسمبر ٢٠١٩

وترتيبها الحادية والعشرون في المصحف الشريف، فهي في الجزء السابع عشر والحزب الثالث والثلاثين، وهي ككلِّ السور المكية تتناول في آياتِها موضوع العقيدة الاسلامية، والرسالة والوحدانية والبعث والجزاء، وتتحدث عن الساعة وشدائدها والقيامة وأهوالها وعن قصص الأنبياء والمرسلين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قالَ: آيةٌ لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها أم جهلوها فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لما نزَلتْ: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(٩٨))أنبيا شق على قريش، فقالوا : يشتم آلهتنا؟ فجاء ابن الزبعري فقال: ما لكم؟ قالوا: يشتم آلهتَنا، قال: فما قال؟ قالوا: قال: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(٩٨))، قال: ادعوه لي، فلمَّا دُعِيَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: يا محمَّد، هذا شيء لآلهتنا خاصة أو لكلِّ من عُبِدَ من دون الله؟ قال: لا بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابن الزبعري: خصمتَ وربِّ هذه البنية -يعني الكعبة- ألستَ تزعمُ أنَّ الملائكةَ عبادٌ صالحونً، وأنَّ عيسى عبدٌ صالحٌ ؟ وأنَّ عزيرًا عبدٌ صالحٌ؟ قال: بلى، قال: فهذه بنو مليح يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى، وهذه اليهود يعبدون عزيرا، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(١٠١)) .

يقول الله تعالى في عدد من آيات هذه السورة الكريمة: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(٧٦)) لاحظ: (فاستجبنا له)، (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ(٨٤))لاحظ : (فاستجبنا له) ، (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(٨٨)) لاحظ : (فاستجبنا له) ، (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن

سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩))[١] لاحظ :(قد أجيبت دعوتكما)! (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ...(٩٠))، لاحظ : (فاستجبنا له)، والآن سيخطر في بالنا هذا السؤال المهم: لِمَ استجاب الله دعاء الأنبياء؟ فبعد أن أنهت الآيات ذكر أدعية الأنبياء بيَّن تعالى سبب استجابته؛ حيث قال عن أولئك الأنبياء: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ(١٠٠))[٢].

إن أهمِّ الموضوعاتِ التي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

١- من أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة:

٢- الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه.

٣- ذكر عدد من الشبهات التي أثارها المشركون حول الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته، والرد عليها.

٤- تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما قاله المشركون في شأنه.

٥- التذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم.

٦- إقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى، وعلى شمول قدرته.

٧- ذكر أخبار بعض الأنبياء، ومنهم موسى وهارون، وإبراهيم ولوط، وإسحاق ويعقوب، ونوح، وأيوب، وداود، وسليمان، وإسماعيل، وإدريس، ويونس، وزكريا – عليهم الصلاة والسلام.

٨- تعقيب أخبار الأنبياء بالمقصود الأساسي من رسالتهم، وهو دعوة الناس جميعا إلى إخلاص العبادة لله.

---

(١) سورة يونس .
(٢) أحمد بن إبراهيم/ابن الزبير الغرناطي ، البرهان في ترتيب سور القرآن ، ص ٩٩- ١٠٠ .

٩- ذكر بعض أشراط الساعة، وشيء من أهوالها، وأحوال الناس فيها.

١٠- ختمت السورة بالحديث عن سنة من سنن الله التي لا تتخلف، وهي أن العاقبة للمؤمنين؛ والحديث عن رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعن موقفه من أعدائه[١]..

س٨٨ : لماذا سميت سورة الإسراء بسورة بني إسرائيل؟

ج٨٨ : وردت تسمية سورة " الإسراء " بسورة بني إسرائيل في حديثين صحيحين موقوفين من كلام الصحابة رضوان الله عليهم :

الحديث الأول : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قال فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وَطه وَالْأَنْبِيَاءُ : (هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الأوَلِ ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي)[٢].

الحديث الثاني : عن عائشة رضي اللّه عنها قالت : (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ لا يَنَامُ حَتَّى يَقرَأَ بَنِي إِسرَائِيلَ وَالزُّمَر)[٣] وقال : حديث حسن [٤] .

قال العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله :سميت في كثير من المصاحف سورة الإسراء ، وصرح الألوسي بأنها سميت بذلك ، إذ قد ذكر في أولها الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، واختصت بذكره ، وتسمى في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل...ووجه ذلك أنها ذكر فيها من أحوال بني إسرائيل ما لم يذكر في غيرها ، وهو استيلاء قوم أولي بأس – الآشوريين – عليهم ، ثم استيلاء قوم آخرين وهم الروم عليهم ، وتسمى أيضا سورة سبحان ؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة[٥] .

ولم يؤكّد أهل العلم على ورود تسمية سورة بني إسرائيل في عهد الصحابة رضي الله عنهم فحسب، بل قالوا إن هذه التسمية كانت الأشهر في ذلك الوقت، وذكروا أن سبب التسمية يرجع إلى ذكر السورة لمرحلةٍ مهمةٍ من مراحل قصة بني إسرائيل، والإشارة إلى إفسادهم في

---

(١) الدرر السنية .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩٩٤ .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٤٠٢ .
(٤) .حسّنه الحافظ ابن حجر في "نتائج الأفكار" (٣/٦٥)، وصححه الألباني في " صحيح الترمذي.
(٥) الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج١٥ ، ص ٥ .

الأرض، كما لم يُذكر في غيرها من قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)).

س٨٩: لماذا كان تحريم الله تعالى للخمر تدريجيا؟ .

ج٨٩: يقول الشيخ ابن باز : الله تعالى جعل تحريم الخمر على أطوار كما سمعتم، الطور الأول: أقرهم عليها ولم يمنعهم منها في مكة المكرمة، وهكذا في المدينة في أول الأمر أقرهم على شرب الخمر، وكانت الخمر عند العرب لها شأن كبير، وكانوا ينشدون فيها الأشعار، وتقع لهم فيها العجائب والغرائب والبلايا، ومن حكمة الله تعالى أنه أخر تحريمها لأن كثيرًا من الناس لو حرمت في أول الأمر فربما امتنع من دخوله الإسلام من أجلها، فمن رحمة الله أن أخر تحريمها حتى دخل الناس في دين الله، وحتى كثر المسلمون، وحتى عرفوا الإسلام واطمأنوا إليه.

ثم تطور تحريمها بعد ذلك حتى يدعها الناس عن قناعة وعن بصيرة، بين لهم أولا في قوله جل وعلا: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...(٢١٩))[1] ، فوقع في القلوب شيء من تحريمها، وأن إثمها أكبر، وأن ما كان بهذه المثابة فينبغي تركه، ثم إن الناس لم يتركوها لهذا وأرادوا أن ينزل فيها ما هو أوضح وأبين، وما

ذاك إلا لشدة تعلقهم بها وابتلائهم بها، حتى كان عمر يقول: "اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا"......، ولكن هذه الآية مهدت للتحريم وأوجدت في القلوب ...... التحريم القاطع؛ لأنهم علموا أن إثمها أكبر ......، وقد ذكر جمع من أهل العلم أن من منافعها ما يحصلون من التجارة فيها والأموال في بيعها، وما يحصل في القمار من الأموال الذي يحصل عليه بعض الناس مع ما فيه من الشر العظيم، فقد يصبح هذا تاجرًا غنيًا، وفي مرة أخرى يصبح فقيرًا معدمًا، تارة يغلب، وتارة يغلب، تارة غني، وتارة فقير، وهكذا أهل الخمر قد شاهدوا منها ما شاهدوا من النزاع الكثير والمخاصمات الكثيرة بينهم ورمي بعضهم بعضًا وقتل بعضهم بعضًا وسحل بعضهم بعضًا عند زوال العقول، فتهيأت النفوس لشيء من ذلك.

ثم حرم عليهم تناولها عند الصلاة فقال جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...(٤٣))[٢] ، وعلمتم بعض ما ورد في ذلك، وما حصل بسبب الخمر، حتى أنزل الله هذه الآية، وأنه قرأ بعض الصحابة قوله جل وعلا:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١))[٣] ، فلم يستطع أن يقول: لا أعبد ما تعبدون، بل قال: أعبد ما تعبدون، لعدم حضور العقل، ومعلوم أن الإنسان لو قال: أعبد ما تعبدون عامدًا قاصدًا كفر بذلك؛ لأنهم يعبدون الأصنام والأشجار والأحجار، لكنه لعدم حضور عقله قال: أعبد ما تعبدون، فمن رحمة الله حرمها عليهم عند قرب الصلاة حتى يأتوها وهم سالمون منها، فكان هذا أيضًا تمهيدا لتحريمها التحريم البات، حتى تطمئن القلوب إلى تركها بالكلية، وبيان شرها وفسادها.

ثم أنزل الله فيه التحريم البات القاطع بعدما تهيأت العقول والقلوب لقبول حكم الله جل وعلا، وبعدما عرف الناس دين الله، وبعدما باشرت قلوبهم حقيقة الإيمان وذاقوا طعمه، فعند ذلك بادروا بتركها والإعراض عنها، وإتلاف ما عندهم منها لما أنزل الله قوله سبحانه:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة الكافرون .

:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠)﴾[١] المائد فعلق الفلاح باجتناب هذا الشيء الذي هو الخمر والميسر والأنصاب الأزلام، قرنها مع الأنصاب التي بها يشركون والأزلام التي بها يقسمون، وأخبر أنها جميعًا رجس، الخمر والميسر والأنصاب والأزلام كلها رجس، كلها خبيث، كله منكر، كله باطل، ومن عمل الشيطان، ثم قال: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، فعلق الفلاح باجتناب هذه الأمور، ثم بين شيئًا من فسادها وشرها ومن الحكم في تحريمها فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ...(٩١)﴾[٢] ، فانتهى المسلمون من ذلك، كان عمر رضي الله عنه يقول: انتهينا ...انتهينا، وتابعه المسلمون، وتابعه الصحابة، وتركوها، وانتهوا منها، وأمروا بإراقة ما عندهم من ذلك، وكان الغالب أن عندهم الخمر من التمر والبسر، وكانت العنب قليلة، وهكذا الأنواع الأخرى، فأسالوها كلها وسلموا من شرها، وعادوها وحاربوها[٣].

س٩٠: لماذا لا يحتفل بعض المسلمين بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ؟.

ج٩٠: احتفل بعض طواف من المسلمين بالمولد النبوي وكان أول من فعل ذلك هم العبيديون حين دخلوا مصر عام ٣٦٢ هـ. وأحدثوا في الدين ما أحدثوه من بدع وخرافات أصبحت عادة عند كثير من الناس ، وما علموا أن العبيديين من الإسماعيلية الرافضة وهم ذوو أصول يهودية ولا علاقة لهم بالإسلام الصحيح ، وأقام الناس هذ ه الموالد وزادوا فيها حتى أصبحت على ما هي عليه الآن من غناء ورقص واختلاط محرم وأشعار شركية .

يقول الشيخ ابن باز عن هذا الأمر : الاحتفال بالمولد النبوي غير مشروع، بل هو بدعة، لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه، وهكذا الموالد الأخرى، لعلي أو للحسين أو لعبد القادر الجيلاني أو لغيرهم، الاحتفال بالموالد بدعة غير مشروعة، والرسول صلى الله عليه

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة المائدة .
(٣) موقع الشيخ ابن باز الرسمي ، تفريغ نصي .

وسلم هو الداعي إلى كل خير، وهو المعلم المرشد للأمة، وقد بعثه الله بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا يدعو إلى كل خير، وقال الله في حقه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.. (٢٨))[١] ، وقال في حقه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا(٤٦))[٢] ، وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... (١٥٨))[٣].

ولم يرشد أمته إلى الاحتفال، ولم يحتفل في حياته بمولده، ولا فعله الصديق ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم من الصحابة، ولا في القرون المفضلة القرن الأول والثاني والثالث، وإنما أحدثه الرافضة، ثم تابعهم بعض المنتسبين للسنة.

والرسول عليه السلام قال: من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد وقال عليه الصلاة والسلام: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وكان يقول في خطبته عليه الصلاة والسلام: خير

الحديث كتاب الله، وخير الهدي هي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.

فالراجح والصواب عدم شرعية الاحتفال بالمولد؛ مولد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره، والله جل وعلا إنما نفع الأمة وهداها ببعثته ما هو بالمولد، إنما نفع الله الأمة وأرشدها وأخرجها من الظلمات إلى النور ببعثه صلى الله عليه وسلم والوحي إليه، لما بعثه الله على رأس أربعين سنة وصار نبيًا رسولًا نفع الله به الأمة وأنقذ به الأمة من جهلها وضلالها لا بالمولد، نسأل الله أن يصلي عليه ويسلم عليه صلاة وسلامًا دائمين اللهم صل عليه...

المقصود أن الراجح هو أن الاحتفال بالمولد بدعة ولا يجوز فعله، وإن فعله كثير من الناس الآن، فالبدع لا ترجع سنة بفعل الناس، البدع بدع وإن فعلها الناس، ولكن المشروع

---

(١) سورة سبأ .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة الأعراف .

للمسلمين العناية بأحاديثه وسيرته والسير على منهاجه، وتدريس سننه في المدارس وفي المساجد، تعليم الناس لسنته ودينه في المسجد في المدرسة في أي احتفال في الإذاعة حتى يتعلم الناس دينهم، وحتى يسترشدوا بما بينه لهم عليه الصلاة والسلام هذا هو المشروع.

أما الاحتفال بمولده في ربيع الأول من كل سنة بالأكل والشرب والذبائح والخطب هذا لا أصل له، هذا من البدع وهو وسيلة إلى الشرك، كثير من هؤلاء المحتفلين يقع منهم الشرك والغلو في النبي عليه الصلاة والسلام مع البدعة. نسأل الله السلامة[1].

قال الحافظ ابن كثير في البدية والنهاية في ترجمة أبي سعيد كزكبوري : (وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاٌ هائلاً .. إلى أن قال : قال البسط : حكى بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السماط خمسة آلاف رأس مشوي ، وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة ألف زبدية ، وثلاثين صحن حلوى .. إلى أن قال : ويعمل للصوفية سماعاً من الظهر إلى الفجر و يرقص بنفسه معهم)[2].

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان: فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة ، وقعد في كل قبة جوق من الأغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطبقات (طبقات القباب) حتى رتبوا فيها جوقاً ، وتبطل معايش الناس في تلك المدة ، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ... " إلى أن قال : (فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي ، حتى يأتي بها إلى الميدان ... " (إلى أن قال : " فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة)[3] .

قال الشيخ علي محفوظ: أول من أحدثها بالقاهرة : الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع ، فابتدعوا ستة موالد : المولد النبوي ، ومولد الإمام علي رضي الله عنه ، ومولد فاطمة الزهراء

---

(١) الشيخ ابن باز ، الموقع الرسمي ، تفريغ نصي .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٧ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٣ ، ص ٢٧٤ .

رضي الله عنها ، ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ومولد الخليفة الحاضر ، وبقيت الموالد على رسومها ، إلى أن أبطلها " الأفضل أمير الجيوش " ، ثم أعيدت في خلافة الآمر بأحكام الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بعدما كاد الناس ينسونها ، وأول من أحدث المولد النبوي بمدينة (إربل) : الملك المظفر أبو سعيد في القرن السابع ، وقد استمر العمل بالمولد إلى يومنا هذا ، وتوسع الناس فيها ، وابتدعوا كل ما تهواه أنفسهم ، وتوحيه شياطين الإنس والجن[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"وكذلك ما يُحدثه بعض الناس ، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً له – والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد ، لا على البدع – من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيداً – مع اختلاف الناس في مولده – : فإن هذا لم يفعله السلف ، مع قيام المقتضي له ، وعدم المانع منه ، ولو كان هذا خيراً محضاً ، أو راجحاً : لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منَّا ؛ فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له منَّا ، وهم على الخير أحرص ، وإنما كمال محبته وتعظيمه : في متابعته ، وطاعته ، واتباع أمره ، وإحياء سنَّته ، باطناً ، وظاهراً ، ونشر ما بُعث به ، والجهاد على ذلك ، بالقلب ، واليد ، واللسان ؛ فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين ، من المهاجرين ، والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان[2].

ونراهم علاوة على ذلك ينتقصون ممن يتبع سنة نبينا عليه الصلاة والسلام وما سار عليه أصحابه من عدم الاحتفال بالموالد ، وأصبحوا يموهم بالرجعية والجمود الفقهي ، وأن هذا من باب التجديد في الدين .

وما زال كثير من الصوفية الذين يصرون على إقامة هذه الاحتفالات ، يرون أنهم دون غيرهم على الحق نتيجة عدة شبه نذكرها هنا مما كتبه الشيخ علوي السقاف :

---

(١) علي محفوظ ، الإبداع في مضار الابتداع ، ص ٢٥١ .
(٢) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

الشبهة الأولى : استشهادهم بقوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨))[١] ، حيث زعموا أن أعظم فرح هو الفرح بمولده صلى الله عليه وسلم، وأن الاحتفال به تعبير عن هذا الفرح، وهذا قول لم يقله أحد من أئمة الإسلام، وما أعظم فضل الله علينا ونعمه! فمولده نعمة، ومبعثه نعمة، وهجرته نعمة؛ أو كلما تفضل الله وأنعم علينا نعمة جعلنا ذلك اليوم احتفالا؟!

فضل الله ورحمته المأمور بالفرح بهما في هذه الآية ليس هو يوم ولادته، وإنما هو القرآن وما نزل به من شرائع الإسلام، كما في الآية التي قبلها:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨))[٢]، والرحمة هي البعثة والرسالة كما قال الله تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧))[٣] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)[٤]. ولم يذكر أي مفسر للقرآن الكريم هذا المعنى الذي ذكروه.

الشبهة الثانية : استدلالهم بالحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم: (سئل عن صوم الاثنين؟ قال: ذاك يوم ولدت فيه)[٥]، حيث زعموا أن هذا احتفال منه بيوم ولادته! وهذا تفسير للحديث لم يقل به أحد من العلماء وشراح الحديث الأوائل.

الشبهة الثالثة: استدلالهم بالحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم، عن أوس بن أوس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة؛ فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم

---

(١) سورة يونس .
(٢) سورة يونس .
(٣) سورة الأنبياء .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٩٩ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١٦٢ .

معروضة علي... الحديث)[1]، حيث قالوا: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد شرع لنا الصلاة عليه يوم أن خلق الله نبيه آدم عليه السلام؛ فالصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم ولادته أولى وأحرى، وزعموا أن الاحتفال بالمولد ما هو إلا اجتماع للصلاة عليه. وهذا منهم استدراك على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يقول هذا من وقر حب النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه، ولو زعم ذلك، ولو كان هذا الاستدلال صحيحا لرأينا تسابق الصحابة فمن بعدهم في تخصيص يوم الاثنين بالصلاة عليه، غير أن الواقع أنهم لم يخصوا ذلك اليوم بصلاة، فضلا عن الاحتفال والاجتماع فيه.

الشبهة الرابعة: ومن الشبه العجيبة التي يذكرونها: أنهم يستدلون بنصوص الأمر بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديث مدح النبي نفسه، ومدح الصحابة رضي الله عنهم له بحضرته، فيقولون: المولد ليس فيه إلا صلاة وسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومدح له؛ فلماذا تنكرون علينا ذلك؟! ورغم أن هذا غير صحيح وفيه مغالطة؛ فالمولد فيه أفعال كثيرة أخرى محرمة كما سبق الإشارة إليه، إلا أن المغالطة الكبرى هي أن هذا ليس هو محل النزاع أصلا؛ فإن منكري المولد لا ينكرون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا مدحه، بل هم يصلون عليه دائما وأبدا، وبخاصة يوم الجمعة، لكن إنكارهم هو على الاجتماع لذلك في يوم أو أيام مخصوصة؛ لأنه لم يرد في السنة مطلقا ولا مرة واحدة أن النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع مع أصحابه رضي الله عنهم، أو اجتمع أصحابه مع بعضهم في أي مناسبة من أجل الصلاة عليه أو مدحه، فضلا عن أن يكون ذلك في ليلة مخصوصة.

الشبهة الخامسة: استشهادهم بالحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن بريدة رضي الله عنه، وفيه: (أن جارية نذرت أن تضرب بالدف وتتغنى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رده الله سالما من إحدى غزواته، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا...)[1] الحديث، وقالوا: هذا احتفال وإعلان للفرح بقدومه صلى الله عليه

---

(١) الألباني ، صحيح أبي داوود، رقم الحديث ١٠٤٧ .

(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٥ ، ص ٣٣٠ .

وسلم من الغزو، وقد أقرها النبي صلى الله عليه وسلم، والفرح بقدومه إلى الدنيا أعظم. فيا سبحان الله! ما أعظم كيد إبليس لهذه الأمة وتلبيسه عليها! يستشهدون بحادثة واحدة لم تتكرر طيلة حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويغفلون عن تركه وترك صحابته من بعده للاحتفال بيوم ولادته مع تكراره وعودته مرات كثيرة.

الشبهة السادسة: أنهم يستدلون على جواز الاحتفال بيوم مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما رواه البيهقي في سننه، (عن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة) ، ويقولون: هذا رسول الله قد عق عن نفسه فرحا بمولده، مع أن أبا طالب قد عق عنه يوم ولادته، وفي ذلك دليل على جواز تكرار الفرح مرة بعد مرة.

وهذا الحديث كما ذكر البيهقي نفسه عقبه: (حديث منكر)[١]، فسقط الاحتجاج به أصلا، على أنه لو ثبت لم يكن فيه دليل أيضا لهم؛ لاختلاف ما بين هذا الفعل وما بين الاحتفال بالمولد كل عام؛ فهو قياس مع الفارق.

وأعجب من ذلك: استدلالهم بعتق أبي لهب لمولاته ثويبة الأسلمية لما بشرته بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه يخفف عنه العذاب بذلك، وقالوا: فإذا كان هذا في حق الذي جاء القرآن بذمه؛ يخفف عنه العذاب لفرحه بمولد المصطفى؛ فما بالك بمن يفرح به صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن موحد؟!

وما أقبح أن يستشهد بفعل كافر في الجاهلية فرح بمولد ابن أخ له في زمن كانوا يفرحون بالذكر ويدفنون الأنثى خشية العار! وهل فرح به لأنه نبي الله؟! وهل كان يعلم أن سيبعث فيهم؟! وأنه سينزل فيه قوله تعالى: (تبت يدا أبي لهب وتب(١))[٢].

الشبهة السابعة: لما ثبت لهم أن الاحتفال بالمولد بدعة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته الكرام رضي الله عنهم، وأكد على ذلك عدد من العلماء، منهم الحافظ

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري لابن حجر ، ٩، ص ٥٠٩ ، وقال لا يثبت قال ابن باز منكر وموضوع ، وقال النووي في (المجموع) (٤٣١/٨): (باطل). وقال ابن حجر العسقلاني في (الفتح) (٥٠٩/٩): (لا يثبت).
(٢) سورة المسد .

ابن حجر بقوله: (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة)، كما نقله عنه السيوطي في (الحاوي للفتاوي)[1] قالوا: نعم! هو بدعة لكنه بدعة حسنة، وابن حجر نفسه ذكر ذلك وغيره من العلماء والصواب الذي عليه المحققون من العلماء: أنه لا يوجد في الإسلام بدعة حسنة وبدعة ضلالة، بل كل بدعة ضلالة، كما هو صريح الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكلام العلماء في إنكار تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة كثير، ويطول ولا يتسع المقام لذكره، لكن أكتفي بنقلين اثنين فقط لعالمين مشهود لهما بالفقه والتأصيل.

الشبهة الثامنة: زعمهم أن بعض الصحابة ابتدع بدعا حسنة، ويستشهدون بما جاء في

صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع الزرقي، قال:(كنا يوما نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف، قال: من المتكلم؟ قال: أنا، قال: رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها؛ أيهم يكتبها أول!)[2]؛ قالوا: هذا الصحابي ابتدع هذا الذكر ولم يسمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه بدعة حسنة.

وهذا فهم خاطئ؛ فالصحابة رضي الله عنهم لهم مزية ليست لغيرهم، وهي كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ظهرانيهم يصحح أفعالهم؛ فما فعله الصحابي وأقره النبي صلى الله عليه وسلم عليه فإنه يصير من السنن التقريرية وليس من البدع، كما قرر ذلك علماء الأصول، وكل ما يروونه مما فعله الصحابة وأقرهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فهو من هذا القبيل.

ومن ذلك: استدلالهم بجمع عمر رضي الله عنه الصحابة لصلاة التراويح خلف إمام واحد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قالوا: وهذه منه بدعة حسنة.

والمتأمل لحادثة عمر رضي الله عنه هذه يجد أن الاستشهاد بها أضعف من سابقتها؛

---

(١) السيوطي ، الحاوي للفتاوى ، ج١ ، ص ٢٢٩ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٩٩ .

لأن هذا الفعل قد فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، حيث صلى بالصحابة صلاة التراويح جماعة، وكان هو إمامهم كما ثبت ذلك عند الشيخين البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، ثم لم يخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك خشية أن تفرض عليهم تلك الصلاة؛ فانقطعت هذه الصلاة في عهد أبي بكر وأعادها عمر رضي الله عنه بعدما زالت العلة، وهي خوف الفرضية؛ فكيف يقال: إن عمر ابتدع صلاة جديدة لم تكن في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! وأين هذا من إحداث الاحتفال بالمولد؟!

الشبهة التاسعة: قولهم: إن الاحتفال بالمولد عادة وليس عبادة؛ فلماذا تنكرون علينا العادات؟! وهذه مغالطة منهم وهروب من الواقع والحقيقة، وإلا فكيف يقال لاجتماع فيه قراءة للقرآن، وذكر لله، ودعاء، وتذكير بسيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وشمائله؛ يتقربون به إلى الله عز وجل، ويدعون الناس إليه، ويحثونهم عليه؛ ويعدونه من أجل أعمالهم التي يرجون بها الأجر والثواب؛ كيف يقولون عن مثل هذا: إنه عادة وليس عبادة؟! فما هي العبادة إذن؟!

ولو سئل المحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم: لماذا تحتفل؟ سيقول: لأني أحب النبي صلى الله عليه وسلم. فلو قيل له: هل الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم طاعة أو معصية؟ قطعا لن يقول: هو معصية؛ إذ كيف يحتفل بمعصية؟! سيقول: إنها طاعة وقربة، فيقال له: هل علم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الطاعة أم جهلها؟ فقطعا لن يقول: جهلها؛ فإن قال: علمها، سألناه: هل بلغها لأمته أو كتمها؟ وهنا لا يمكن أن يقول: كتمها، فإن قال: بلغها. قلنا له: هات الحديث الذي حثنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتفال بمولده ، وسنكون نحن أول المحتفلين به؛ لأننا نحبه وحريصون أشد الحرص على اتباع سنته صلى الله عليه وآله وسلم، وهيهات هيهات أن يأتي بحديث واحد صحيح أو ضعيف فيه الحث على ذلك، أو حتى فعله أو تقريره!

الشبهة العاشرة: ومن شبهاتهم في تجويز الاحتفال بالمولد: تشبيههم المولد بإقامة المؤتمرات؛ تكريما لعالم، وإبرازا لجهوده، وذكرا لسيرته ومآثره، وقولهم: إن اجتماعنا لتذكر سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفضله على الأمة أولى من ذلك.

والرد على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أن عقد ندوة أو مؤتمر للتعريف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته والدفاع عنه أولى بلا شك من غيره، لكن عقد ندوة أو مؤتمر مرة أو أكثر، وفي بلد واحد، أو أكثر لا يقاس عليه المولد بحال من الأحوال؛ فالمؤتمر أو الندوة ليس احتفالا وفرحا وطربا بقدومه، بل هو تعريف وتعليم ودعوة لمن يجهل سيرته ودعوته من المسلمين وغيرهم.

الثاني: هذه المؤتمرات ليس لها أوقات محددة، ولا يصح أن تعقد في اليوم الذي ولد فيه العالم؛ فهي ليست أعياد ميلاد له؛ فقد يكون هذا العالم ولد في رجب والمؤتمر يقام في محرم؛ فهو ليس مرتبطا بمولده، بل بما يناسب الحضور والمشاركين والقائمين على المؤتمر.

الشبهة الحادية عشرة: زعمهم أن الاجتماع لتذكير الناس بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم ولادته كالتذكير في خطب الجمعة بيوم البعثة والهجرة، وكالتذكير في السابع عشر من رمضان بغزوة بدر، وغير ذلك من أحداث السيرة النبوية؛ فلم تحرمون هذا وتبيحون ذاك؟!

وهذه مغالطة أخرى أيضا؛ فالذين يجيزون تذكير الناس بالهجرة والبعثة وبالغزوات على منبر الجمعة يجيزون تذكيرهم بولادته وبوفاته، فتجدهم يخطبون بهذا وبهذا، ولا ينكرون شيئا من ذلك، وليس هذا محل النزاع والخلاف؛ فمحل الخلاف هو الاجتماع من أجل ذلك، والتداعي إليه، وتكراره في أوقات محددة، والاحتفال به؛ لذلك فهم أيضا لا يجيزون أن يجتمع الناس في يوم البعثة أو الهجرة أو الغزوة كل عام ويقيمون الولائم والقصائد والمدائح والذكر من أجلها، ولا يخصصون ذلك اليوم بشيء، ومعلوم أنه لن يصادف يوم السابع عشر من رمضان في كل عام يوم جمعة؛ حتى يخطب عن هذه المناسبة قصدا.

الشبهة الثانية عشرة: قولهم: إن أكثر العلماء يجيزون الاحتفال بالمولد، ولم يحرمه إلا المتشددون من أتباع ابن تيمية.

وهنا ثلاث نقاط مهمة للرد على هذه الشبهة:

الأولى: أن العبرة بالحق والدليل وليس بالكثرة.

الثانية: سبق في أول المقال أن علماء المسلمين الأوائل كالأئمة الأربعة وغيرهم لم ينقل عن

أحد منهم جوازه أو فعله؛ فكيف يقال: إنه قول أكثر العلماء؟

الثالثة: الزعم بأنه لم يحرمه إلا أتباع ابن تيمية زعم غير صحيح، وحتى لا أثقل على القارئ فسأنقل نقولات لثلاثة علماء أفتوا بتحريمه ليسوا من المدرسة التيمية:

الأول: العلامة تاج الدين الفاكهاني، المالكي؛ قال في رسالته (المورد في عمل المولد): (لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون... وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة ولا التابعون، ولا العلماء المتدينون، فيما علمت، وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت، ولا جائز أن يكون مباحا؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحا بإجماع المسلمين)[1].

الثاني: ابن الحاج الفاسي؛ قال في (المدخل): (فإن خلا- أي: عمل المولد- منه- أي: من السماع- وعمل طعاما فقط، ونوى به المولد، ودعا إليه الإخوان، وسلم من كل ما تقدم ذكره- أي: من المفاسد- فهو بدعة بنفس نيته فقط؛ إذ إن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، بل أوجب، من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه؛ لأنهم أشد الناس اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعظيما له ولسنته صلى الله عليه وسلم، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع؛ فيسعنا ما وسعهم... إلخ)[2].

وقال أيضا: (وبعضهم- أي: المشتغلين بعمل المولد- يتورع عن هذا- أي: سماع الغناء وتوابعه- بقراءة البخاري وغيره؛ عوضا عن ذلك، هذا وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات، وفيها البركة العظيمة، والخير الكثير، لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق به على الوجه الشرعي، لا بنية المولد، ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى، ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لها، لكان مذموما مخالفا؛ فإذا كانت الصلاة

---

(١) تاج الدين الفاكهاني المالكي ، المورد في عمل المولد ، ص ٢٠ .

(٢) ابن الحاج الفاسي ، المخل ، ج٢ ، ص ٣١٢ .

بهذه المثابة؛ فما بالك بغيرها؟!)[1].

الثالث: العلامة الأصولي أبو إسحاق الشاطبي، وهو من علماء المالكية أيضا؛ قال في فتاويه: (معلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة)[2].[3]

وعلى هذا نقول والله أعلم :

١- الاحتفال بالمولد النبوي بدعة لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ، لا التابعون ولا أهل القرون المفضلة.

٢- أن أول من أقام هذه البدعة هم العبيديون .

٣- أن من حافظ على هذه البدعة من أكثر من ألف سنة هم الصوفيون .

٤- أن الاحتفال بالمولد النبوي يعني أن الإسلام لم يكمل وأن هذا الاحتفال هو إكمال لدين الله .

٥- تقع في هذه الموالد ممارسات لا أخلاقية مثل الغناء والرقص والاختلاط بين النساء والرجال .

٦- يدعون أن النبي صلى الله عليهم يحضرهم وهذا افتراء على الله ورسوله ، والرسول صلى الله عليه وسلم ميت في قبره لا يخرج منه إلا يوم البعث والنشور .

٧- أن فيه تشبهاً بالكفرة المشركين الذين يقيمون هذه الاحتفالات بدافع شركهم وكفرهم بالله العظيم ، لا من واقع شريعة نبي الله عيسى عليه السلام ؛ لأنه باتفاقنا واتفاقهم لم يشرع لهم مثل هذه الاحتفالات ، فهي مزيج من الشرك والبدعة ، مع ما يخالط ذلك مما يُعْمَل من الفسق والفجور في هذه الاحتفالات كما هو معلوم ، فكيف نتشبه بهم في ذلك ؟.

٨- أن الاحتفال بالمولد النبوي غير جائز لأنه بدعة محدثة كما تقدم ، فلا يجوز القياس عليه ؛ لأنه إذا فسد الأصل المقيس عليه فسد القياس .

---

(١) ابن الحاج الفاسي ، المخل ، ج٢ ، ص ٣١٢ .

(٢) أبو إسحاق الشاطبي ، الفتاوى ، ص ٢٠٣ .

(٣) عَلَوي بن عبدالقادر السَّقَّاف ، الدرر السنية، الاحتِفالُ بالمَولِد النَّبويِّ - شُبُهاتٌ ورُدودٌ

٩- أن الاحتفال بالكريسماس منكر بكل حال ، ولا يمكن القول بجوازه ؛ لأنه من أصله فاسد ؛ لما يحصل فيه من الكفر والفسوق والعصيان ، ومثل هذا لا يصح قياسه على شيء ، ولا يتخرج القول بجوازه بحال .

١٠- يلزم لصحة هذا القياس الفاسد أن نطرده فنقول : لم لا نحتفل بمولد كل نبي ؟ أليسوا بأنبياء مبعوثين من عند الله ؟! وهذا لا يقول به أحد .

١١- أن معرفة ميلاد أي نبي من الأنبياء على وجه التحديد متعذرة ، حتى نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يعرف يوم ميلاده على وجه القطع ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد ذلك على أقوال متعددة بلغت التسعة أقوال أو أكثر ، فبطل الاحتفال بالمولد تاريخيا وشرعيا ، فالقضية برمتها سواء فيما يخص ميلاد نبيا أو ميلاد نبي الله عيسى عليهما الصلاة والسلام ، لا أصل لها .

س٩١ لماذا حرم الله الربا ؟.

ج٩١: إنَّ مما لا شكَّ ولا خلاف فيه بين أهل العلم أنَّ الربا محرَّم في الإسلام في القرآن والسنَّة والإجماع، والأدلة على تحريمه من القرآن والسنة وكثيرة جدًّا، حيث قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٣١))[١]وقال تعالى أيضًا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ(٢٧٩)) وهذا التحذير الوارد في الآيات والوعيد دليل صريح على حرمة الربا في الإسلام؛ لما فيه من مفاسد على المجتمع كلِّهِ، وقد عدَّ رسول الله الربا من السبع الموبقات، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة البقرة .

المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ)[1] .

وجاء أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّه قال: (لَعَنَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقالَ: هُمْ سَوَاءٌ")[2]، كما أنَّ علماء الأمة جميعهم أجمعوا على تحريم الرِّبا، حيث قال الماوردي: (حتَّى قيل: إنه لم يحلَّ في شريعة قطّ، ودليلهم قول الله تعالى: (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ(١٦١))[3].[4]

والربا محرم في جميع الشرائع السماوية، والسبب في تحريمه ما فيه من ضرر عظيم:

١– أنه يسبب العداوة بين الافراد، ويقضي على روح التعاون بينهم:

أ– الأديان كلها، ولا سيما الإسلام، تدعو إلى التعاون والايثار .

ب– الأديان تبغض الاثرة والانانية واستغلال جهد الآخرين.

٢– أنه يؤدي إلى خلق طبقة مترفة لا تعمل شيئا،.

٣– يؤدي إلى تضخيم الأموال في أيديها دون جهد مبذول، فتكون كالنباتات الطفيلية تنمو على حساب غيرها:

أ– الإسلام يمجد العمل .

ب– الإسلام يكرم العاملين ويجعله أفضل وسيلة من وسائل الكسب، لأنه يؤدي إلى المهارة، ويرفع الروح المعنوية في الفرد.

٤– هو وسيلة الاستعمار، ولذلك قيل: الاستعمار يسير وراء تاجر أو قسيس ، ونحن قد عرفنا الربا وآثاره في استعمار بلاد المسلمين .

٥– الإسلام بعد هذا يدعو إلى أن يقرض الإنسان أخاه قرضا حسنا إذا احتاج إلى المال

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٨٥٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٥٩٨ .
(٣) سورة النساء .
(٤) موقع سطور ، ٦ يناير ٢٠٢٠.

ويثيب عليه أعظم مثوبة: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾[(١)].

٦- الربا له أضرار أخلاقية وروحية، لأننا لا نجد من يتعامل بالربا إلا إنساناً منطبعاً في نفسه البخل، وضيق الصدر، وتحجر القلب، والعبودية للمال، والتكالب على المادة وما إلى ذلك من الصفات الرذيلة.

٧- المجتمع الذي يتعامل بالربا مجتمع منحل، متفكك، لا يتساعد أفراده فيما بينهم، ولا يساعد أحد غيره إلا إذا كان يرجو من ورائه شيئاً، والطبقات الموسرة تعادي الطبقات المعدمة. ولا يمكن أن تدوم لهذا المجتمع سعادته، ولا استتباب أمنه

٨- الربا إنما يتعلق في نواحي الحياة الاجتماعية لما يجري فيه التداين بين الناس، على مختلف صوره وأشكاله. وهذه القروض ضررها يعود على المجتمع بالخسارة، والتعاسة مدة حياته، سواء كانت تلك القروض لتجارة، أو لصناعة، أو مما تأخذه الحكومات الفقيرة من الدول الغنية، فإن ذلك كله يعود على الجميع بالخسارة الكبيرة التي لا يكاد يتخلص منها ذلك المجتمع أو تلك الحكومات

٩- تعطيل الطاقة البشرية، فإن البطالة تحصل للمرابي بسبب الربا وتقاعسه عن العمل الجاد، والإنتاج المؤدي إلى صلاح الفرد والمجتمع؛ بما يوفره من توفير فرص أكبر للأيدي العاملة.

١٠- وضع مال المسلمين بين أيدي خصومهم، وهذا من أخطر ما أصيب به المسلمون، وذلك لأنهم أودعوا الفائض من أموالهم في البنوك الربوية في دول الكفر، وهذا الإيداع يجرّد المسلمين من أدوات النشاط، ويعين هؤلاء الكفرة أو المرابين على إضعاف المسلمين، والاستفادة من أموالهم .

١١- آكل الربا يحال بينه وبين أبواب الخير في الغالب، فلا يقرض القرض الحسن، ولا ينظر المعسر، ولا ينفس الكربة عن المكروب، لأنه يصعب عليه إعطاء المال بدون فوائد

---

(١) سورة الروم .

محسوسة، وقد بيّن الله فضل من أعان عباده المؤمنين ونفّس عنهم الكرب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: (من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[1] .

١٢- الربا يقتل مشاعر الشفقة عند الإنسان، لأن المرابي لا يتردد في تجريد المدين من جميع أمواله عند قدرته على ذلك

١٣- الربا يسبب العداوة والبغضاء بين الأفراد والجماعات، ويحدث التقاطع والفتنة ويجرّ الناس إلى الدخول في مغامرات ليس باستطاعتهم تحمّل نتائجها)[2].

س٩٢ : لماذا سمى الرسول صلى الله عليه وسلم الربا بربا الجاهلية ؟.

ج٩٢: يقول د. محمد سيد طنطاوي :إذا ما رجعنا إلى أقوال العلماء من الفقهاء والمفسرين والمحدثين رأيناهم قد فسروا الربا الذي كان شائعا في الجاهلية والذي نزل القرآن الكريم بتحريمه بعبارات متقاربة في لفظها ومعناها، ومن العبارات الجامعة التي وضحت معنى الربا الذي كان شائعا في الجاهلية قول الإمام ابن جرير عند تفسيره لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠))[3].قال الطبري: (وكان أكلهم للربا في جاهليتهم أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حل الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخر عني دينك وأزيدك عن مالك، فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله تعالى في إسلامهم عنه.)[4].

وقد نقل الشيخ رشيد رضا رحمه الله في كتابه الربا والمعاملات في الإسلام من جملة

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث٢٦٩٩ .
(٢) منقذ عدنان محمد العيثاوي: مدرس سابق في كلية العلوم الاسلامية – جامعة بغداد شبكة ضياء ٢٣ ديسمبر، ٢٠١٧ .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) ابن جرير الطبري ، تفسير ابن جرير ، ج٤ ، ص ٥٩ .

من النصوص التي قالها العلماء في معنى ربا الجاهلية الذي نزل القرآن بتحريمه ومنها قوله:

١- قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي: «والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون له.

٢- وقال الإمام ابن رشد المالكي: وكان ربا الجاهلية في الديون أن يكون للرجل على الرجل الدين فإذا حل، قال له: أتقضي أم تربي؟ فأنزل الله تعالى في ذلك ما أنزل.

٣- وقال الإمام النووي الشافعي: إن التحريم الذي في القرآن للربا إنما يتناول ما كان معهودا في الجاهلية من ربا النسيئة أي: التأخير وطلب الزيادة في المال بزيادة الأجل، وكان أحدهم إذا حل أجل دينه ولم يوفه الغريم أضعف له المال وأضعف الأجل، ثم يفعل ذلك عند الأجل الآخر.

٤- وقال الإمام أحمد بن حنبل: الربا الذي لا شك فيه هو أن يكون لشخص على آخر دين إلى أجل، فإذا حل الأجل قال له: أتقضي أم تربي؟ فإن لم يقض زاده في المال وزاده هذا في الأجل[١].

هذا جانب من أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم في المقصود بربا الجاهلية، ومنها يتبين لنا أن ربا الجاهلية يتمثل في مجموعه في أن يكون لإنسان على آخر دين فإذا حل موعد السداد وعجز المدين عن الوفاء قال له الدائن: أزيدك في الأجل وتزيدني مبلغًا معينا على أصل الدين، ويتفقان على ذلك، وهكذا يكون الشأن كلما حل موعد السداد ولم يستطع المدين قضاء ما عليه من ديون .

أما ربا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقد ورد الحديث عنه في خطبة حجة الوداع التي أوردها الإمام مسلم وغيره وفيها قوله صلى الله عليه وسلم: (أَلَا وَإِنَّ رِبًا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ أي (مهدور) وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُهُ ربا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) محمد رشيد رضا ، الربا والمعاملات في الإسلام ، ص ٨٥ وما بعده .

كُلُّهُ)[١]، وقد راجعت كتبا كثيرة وردت فيها هذه الخطبة فلم أجد أحدا قال إن ربا العباس يختلف عن ربا الجاهلية، ومن عنده الدليل على غير ذلك فليأت به[٢].

س٩٣ : لماذا تأخر تحريم الربا إلى حجة الوداع ؟

ج ٩٣- في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ''أول ما نزل منه (أي من القرآن)سورة المفصل فيها ذكر الجنة والنار. حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)[٣] . هذه العبارة المختصرة من أم المؤمنين رضي الله عنها تلخص منهج التشريع في التدرج من المبادئ والأصول إلى التطبيقات والفروع، وحكمته البالغة من ذلك. فمن أراد أن يبني بيتاً يجب أن يبدأ بالأساسات أولاً، ثم يقيم البناء عليها. ولو بدأ بالبناء أولاً لانهار البناء قبل اكتماله.

قال شيخ الإسلام :ابن تيمية رحمه الله: (فالدين أول ما يبنى من أصوله، ويكمل بفروعه. كما أنزل الله بمكة أصوله من التوحيد والأمثال التي هي المقاييس العقلية، والقصص والوعد والوعيد. ثم أنزل بالمدينة، لما صار له قوة، فروعه الظاهرة، من الجمعة والجماعة والأذان والإقامة والجهاد والصيام وتحريم الخمر والزنا والميسر، وغير ذلك من واجباته ومحرماته. فأصوله تمد فروعه وتثبتها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها)[٤]، وأكد هذا المعنى الشاطبي رحمه الله حين أشار إلى أن عامة الأحكام التي نزلت بالمدينة تندرج ضمن الأصول الكلية التي نزلت بمكة وتتفرع عنها[٥].

فحقيقة التدرج: هي تقديم الأهم على المهم، والأوجب على الواجب، إذ الأهم بالنسبة لما دونه بمنزلة الأساس للبناء، ولهذا كان تقديمه تمهيداً لإيقاع المهم والواجب.

---

(١) أحمد شاكر ، عمدة التفسير ، ج١ ، ص ٣٣٦ .
(٢) دار الإفتاء المصرية رقم الفتوى: ١٨ س:١٣٣ بتاريخ: ١٩٩١/٣/٢١ تاريخ النشر في الموقع : ٢٠١٧/١٢/١٢المفتي: محمد سيد طنطاوي)
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩٩٣ .
(٤) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج١٠ ، ص ٣٥٥ .
(٥) الشاطبي ، الموافقات ، ج٣ ، ص ٤٦ - ٥٠

فتأخير الواجب عن الأوجب والمهم عن الأهم له مصلحتان:

١- أن الأهم مقدم في نفسه على المهم.

٢- أن تحصيل الأهم يمهد ويهيئ لتحصيل المهم. فلو بدئ بالمهم أولاً لوقع في غير محله ولما أثمر الثمرة المرجوة منه، كما أشارت لذلك عائشة رضي الله عنها حين قالت: ‘‘ولو نزل أول شيء : لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً’’. فالإيمان مع كونه مقدماً في نفسه على ترك الخمر والزنا، فهو يهيئ النفس لترك هذه الكبائر واجتنابها.

التدرج في التشريع :

التدرج في التشريع يكاد يكون هو الأصل في الأحكام التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويشهد لذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: (وإنما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآخر فالآخر)[1] وروي نحوه عن علي رضي الله عنه[1] .[ولذلك قال الزهري رحمه الله: (كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره’’ صلى الله عليه وسلم)[1]، فدل على أن غالبية الأحكام كانت تشرع على مراحل، ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يأخذون بالآخر من أمره صلى الله عليه وسلم، لعلمهم أن الأول لا يمثل الحكم بصورته النهائية.

والمتأمل في الأحكام الشرعية يجد أمثلة كثيرة للتدرج في تشريعها، ومن ذلك:

١- الصلاة. فالصلاة شرعت بالتدريج، كما قالت عائشة رضي الله عنها: (أول ما فرضت الصلاة ركعتين.. ركعتين، فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر)[3].

٢- الزكاة :

---

(١) المبار كفوري ، تحفة الأحوذي ، ج٤ ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٢٧٦ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١١٣

(٣) لإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٥٠ ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦٨٥ .

أ- أمر بها الله تعالى في أول الإسلام لكن على وجه الإجمال.

ب- ثم نزل تفصيل أحكامها في المدينة في السنة الثانية بعد الهجرة.

٣- والصوم :

أ- لم يكن واجباً في ابتداء الإسلام.

ب- ثم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صام عاشوراء وأمر بصيامه.

ت- ثم نزل بعد ذلك الأمر بصيام رمضان. وصيام رمضان كان أول الأمر على التخيير بينه وبين الصدقة، كما قال تعالى: (فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤))[٢]..

ث- ثم بعد ذلك نزل قوله تعالى: (..فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ..(١٥٨))[٣] ،فكان إلزاماً بصوم رمضان إلا للمسافر والمريض.

٤- والجهاد مر أيضاً بمراحل:

أ- فالقتال كان محرماً بمكة بقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ.. (٧٧))[٤] ،

ب- ثم أذن للمؤمنين بالمدينة بقوله جل شأنه: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩))[٥] .

ت- ثم صار واجباً بعد ذلك بقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ..(٢١٦))[٦] .

٥- تحريم الخمر كان بالتدريج:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة البقرة ..
(٣) سورة النساء .
(٤) سورة الحج .
(٥) سورة البقرة .

أ- فأنزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا.. (٢١٩)﴾[١] لكن لم يأمر باجتنابهما صراحة.

ب- ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...(٤٣)﴾[٢] ، وكان تحريماً مؤقتاً بحال الصلاة.

ت- ثم نزل قوله جل شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾[٣]، فحرم الخمر تحريماً باتاً.

٦- كان الربا محرماً في الأديان السماوية قبل الإسلام، وكانت العرب في الجاهلية تعرف تحريمه، ولذلك لما أرادوا تجديد بناء الكعبة اشترطوا ألا يدخل فيها إلا كسب طيب، (ولا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس)[٤] ،لكن يلاحظ أنه وإن كان الربا محرماً، إلا أن النص على تحريمه لم ينزل في القرآن من أول الأمر ولا دفعة واحدة، **بل جاءت النصوص على درجات:**

أ- فوردت الإشارة إليه في المرحلة المكية دون تصريح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦)﴾[٥] ،كما أشار لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٦] ، لكن هذه الإشارة محتملة وليست صريحة في ذكر الربا.

ب- وورد ذكره صريحاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩)﴾[٧].

وقد أشار دراز رحمه الله إلى أن الآية ليس فيها وعيد لأكل الربا، بل اكتفت بنفي

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة البقرة .
(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص ٣٠١ .
(٥) سورة المدثر .
(٦) ابن تيمية ، القواعد النورانية ، ص ١٦٧ .
(٧) سورة الروم .

الثواب له عند الله[1] .

ت- ثم ورد ذكره في سورة النساء، وهي سورة مدنية، في مجال ذم اليهود ومخالفتهم لأمر الله تعالى بقوله جل شأنه: (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١))[2]،وهو تلويح بالتحريم لأن الله تعالى قال بعدها: (لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ (١٦٢))[3]، فالنص على الإيمان بما أنزل من قبل، مع ذكر تحريم الربا على من قبلنا، إشارة لتحريمه علينا. ومن الصعب تحديد وقت نزول هذه الآية بالضبط. ففي الصحيح أن عائشة رضي الله عنها قالت:(ما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده أي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم)[4] ،وقد بنى النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة في شوال من السنة الأولى للهجرة، كما ذكره أهل السير. فيكون نزول السورة بعد شوال من السنة الأولى. وورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن :(سورة النساء نزلت بعد الفرقان بستة أشهر)[5]، . وسورة الفرقان مكية، فيكون نزول النساء في السنة الأولى من الهجرة على أبعد تقدير. لكن ورد أن آيات المواريث نزلت في بنات سعد بن الربيع بعد مقتله شهيداً في غزوة أحد، وكان ذلك في السنة الثالثة للهجرة. ويفهم من كلام المفسرين أنه ربما نزل بعض السورة أول مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وبعضها بعد ذلك، ولماذا يمكن الجمع وعلى كل تقدير فإن تعبير الآية عن التحريم جاء بطريقة غير مباشرة، وربما لهذا السبب عدها دراز رحمه الله أول ما نزل بالمدينة في هذا الباب.

---

(١) محمد عبدالله دراز ، الربا ، ص ١١ .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة النساء .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩٩٣ .
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٨ ، ص ٤٩٤ .

ث- وجاء النهي الصريح عن أكل الربا بذكر أبشع صوره، وهي صورة تضاعف الدين، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾[١] وإذا كانت هذه الآيات نزلت وقت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة، علم أن تحريم الربا الصريح بدأ في هذه المرحلة.

ج- ثم كانت المرحلة الأخيرة بتحريم كل ما زاد على رأس المال، وترك كل ما بقي من الربا، في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)﴾[٢] ، وهذه الآية آخر آية نزلت، كما صح ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه[٣] ، لكن هناك ما يدل على أن التحريم وقع قبل ذلك. فحديث القلادة الذي رواه مسلم في صحيحه :(وأمر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بألا تباع القلادة حتى يفصل ما فيها من الذهب)[٤]، حصل في خيبر، وخيبر كانت في السنة السابعة للهجرة. وفي صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال:)قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ونحن نبيع هذا البيع، أي الذهب بالفضة نسيئة، فقال: "ما كان يداً بيد فلا بأس وما كان نسيئة فهو ربا)[٥]. فقوله: قدم المدينة، يوحي بأنه كان في مرحلة مبكرة من العهد المدني[٦].

س٩٤: لماذا حرم الله الجمع بين الأختين في الزواج؟

ج٩٤:هذا الأمر محرَّم في كتاب الله سبحانه وتعالى فقد قال تعالى في سورة النساء: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٥٤٤ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٥٩١ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٥٨٩ .
(٦) سامي السويلم ، فقه التدرج في تطبيق الاقتصاد الإسلامي ص ٣٠ ، ٥ /١٤٢٦هـ يوليو ٢٠٠٥م

حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا(٢٣))[١].

وقد جاء تحريم الجمع بين الأختين أيضًا في السنة النبوية الشريفة في حديث أم حبيبة إنها قالت: (قلتُ: يا رَسولَ اللهِ، انكِحْ أختي بنتَ أبي سفيانَ، قال: وتُحبِّينَ؟! قلتُ: نعم، لستُ لك بمُخلِيةٍ ، وأحَبُّ مَن شارَكني في خيرٍ أُختي، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنَّ ذلك لا يحِلُّ لي، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، فو اللهِ إنَّا لنتحَدَّثُ أنَّك تريدُ أن تنكِحَ دُرَّةَ بنتَ أبي سَلَمةَ! قال: بِنتَ أمِّ سَلَمةَ؟ فقُلتُ: نعم، قال: فو اللهِ لو لم تكُنْ في حَجري ما حَلَّت لي؛ إنَّها لَابنةُ أخي مِنَ الرَّضاعةِ، أرضعَتْني وأبا سَلَمةَ ثُويبةُ، فلا تَعْرِضْنَ عليَّ بناتِكنَّ ولا أخواتِكنَّ)[٢] .

ويجوز أن يتزوج الرّجل من أخت زوجته في حالتين :

١- عندما تكون الزّوجة الأولى متوفية أي تكون مفارقة الحياة .

٢- إذا طلق الأخت طلاقاً بائناً وانتهت عدتها فيجوز الزّواج من أختها.

فالحكمة من تحريم الجمع بين الأختين حتى يحافظ الإسلام على علاقة الألفة والمحبة وتكون مصانة بين الأختين فلو اجتمعت الأختان بيد رجل واحد سيكون هناك حسد وقطيعة فالهدف أن تحفظ دماء الأخوة مصانة فمهما كانت الأخوة كما ذكرنا إلى إن هناك شرارة غيرة بينهم لا تظهر إلا عند إشعالها.

ولذلك نهى الإسلام أن يجمع الرجل بين أختين وذلك لتجنب حدوث نفرة وتشاجر وتباغض بينهن، حيث يجب أن تكون العلاقة بين الأختين قائمة على المحبة والمودة والألفة، وقد ذكر ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير أن الإسلام حريص على إبقاء

---

(١) سورة النساء .
(٢) لإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥١٠٧ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٤٩

علاقة المودة والمحبة بين الأختين ودفع الغيرة بينهما، لذلك فقد حرم الجمع بينهما، كذلك قد يتسبب الجمع في التباغض بين الأقارب وقطع صلة الرحم، وهذا أمر محرم في ديننا الإسلامي ومن كبائر الذنوب .

ويشتمل قطع الرحم على الإساءة إلى الرحم أو عدم الإحسان إليه، لذلك فهو يعد صورة من صور الفساد التي تمنع صاحبها من دخول الجنة، فالإسلام هو دين يحثنا دائمًا على تقوية العلاقات فيما بيننا وعدم التعرض للغير بالظلم أو التحقير أو الاعتداء، لذلك فكل ما يؤول لحدوث ذلك فهو محرم وبغيض .

س٩٥: لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الشك ؟

ج٩٥: صيام بيوم الشك (لأنه مشكوك فيه ، هل هو آخر يوم من شعبان أو أول يوم من رمضان) وصومه محرم لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُبِّيَ (أي خفي) عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)[١] .

وقال عمار بن ياسر :(من صام اليوم الذي يُشك فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم)[٢].

قال الحافظ ابن حجر : استُدل به على تحريم صوم يوم الشك لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع [٣].

قال علماء اللجنة الدائمة عن يوم الشك : " دلت السنة على تحريم صومه[٤] .

وقال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله بعد ذكر الخلاف في حكم صوم يوم الشك: (وأصح هذه الأقوال هو التحريم ، ولكن إذا ثبت عند الإمام وجوب صوم هذا اليوم وأمر الناس بصومه فإنه لا ينابذ وتحصل عدم منابذته بألا يُظهر الإنسان فطره ، وإنما يُفطر سراً)[٥] .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٠٩ .
(٢) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٥٥٣ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص١٠٦ .
(٤) هيئة كبار العلماء بالمملكة العبية السعودية ، اللجنة الدائمة ، ج١٠ ، ص ١١٧ .
(٥) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٦ ، ص ٣١٨

إن حكم صوم يوم الشك له حالتان:

الأولى: أن يُصام عن رمضان بنية الاحتياط له؛ فهذا هو المراد بالنهي عند جمهور العلماء، ثم إن من العلماء من جعل صومه حرامًا لا يصح كأكثر الشافعية، ومنهم من رآه مكروهًا كالحنفية والمالكية والحنابلة. فإن ظهر أنه من رمضان أجزأه عند الليث بن سعد والحنفية، ولم يجزئه عند المالكية والشافعية والحنابلة.

الثانية: أن يُصام عن غير رمضان؛ فالجمهور على جواز صومه إذا وافق عادةً في صوم التطوع؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إلا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ فَلْيَصُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ))[1] ، ويلحق بذلك عندهم صوم القضاء والنذر، أمَّا التطوع المطلق من غير عادة فهو حرام على الصحيح عند الشافعية إلا أنْ وصله بما قبله من النصف الثاني فيجوز حينئذٍ، ولا بأس به عند الحنفية والمالكية.

وأمَّا عن الحكمة في النهي عن صومه فاختلف فيها: فقيل :

١- قيل : يتقوى بالفطر لصيام رمضان .

٢- قيل خشية اختلاط النفل بالفرض.

٣- قيل لأن الحكم علق بالرؤية[2].

س٩٦ لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إفراد يوم الجمعة بصيام ؟.

ج٩٦: وردت عدة أحاديث حول هذا الأمر منها :

١- عن محمدِ بنِ عبَّادٍ، قال: (سألتُ جابرًا رَضِيَ اللهُ عنه: نهى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن صَومِ يومِ الجُمُعةِ؟ قال: نعم)[3] .

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه قال: سمعْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقول: (لا

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩١٤ .
(٢) دار الافتاء المصرية موقعها على الفيسبوك.
(٣) الإمام البخاري ، رقم الحديث ١٩٨٤ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٤٣ .

يصومَنَّ أحدُكم يومَ الجُمُعةِ، إلَّا يومًا قَبْلَه أو بَعْدَه)[1] .

١- عن جُوَيرِيةَ بنتِ الحارِثِ رَضِيَ اللهُ عنها (أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دخل عليها يومَ الجُمُعةِ وهي صائمةٌ، فقال: أصُمْتِ أمسِ؟ قالت: لا، قال: تُريدينَ أن تصومي غدًا؟ قالت: لا، قال: فأفطِري)[٢] .

٢- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (لا تختَصُّوا ليلةَ الجُمُعةِ بقيامٍ من بينِ اللَّيالي، ولا تخصُّوا يومَ الجُمُعةِ بصيامٍ من بين الأيامِ، إلَّا أن يكونَ في صومٍ يصومُه أحَدُكم)[٣] .

يقول الشيخ ابن عثيمين في إجابته على سؤال أحد السائلين عن هذا الأمر : (ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تخصوا يوم الجمعة بصيام، ولا ليلتها بقيام"، والحكمة في النهي عن تخصيص يوم الجمعة بالصيام أن يوم الجمعة عيد للأسبوع، فهو أحد الأعياد الشرعية الثلاثة، لأن الإسلام فيه أعياد ثلاثة هي: عيد الفطر من رمضان، وعيد الأضحى، وعيد الأسبوع وهو يوم الجمعة، فمن أجل هذا نهي عن إفراده بالصوم، ولأن يوم الجمعة يوم ينبغي فيه للرجال التقدم إلى صلاة الجمعة، والاشتغال بالدعاء، والذكر فهو شبيه بيوم عرفة الذي لا يشرع للحاج أن يصومه، لأنه مشتغل بالدعاء والذكر، ومن المعلوم أنه عند تزاحم العبادات التي يمكن تأجيل بعضها يقدم ما لا يمكن تأجيله على ما يمكن تأجيله. فإذا قال قائل: إن هذا التعليل بكونه عيداً للأسبوع يقتضي أن يكون صومه محرماً كيوم العيدين لا إفراده فقط. قلنا: إنه يختلف عن يوم العيدين، لأنه يتكرر في كل شهر أربع مرات، فلهذا لم يكن النهي فيه على التحريم، ثم هناك أيضاً معاني أخرى في العيدين لا توجد في يوم الجمعة، وأما إذا صام يوماً قبله، أو يوماً بعده، فإن الصيام حينئذ يُعلم بأنه ليس الغرض منه تخصيص يوم الجمعة بالصوم، لأنه صام يوماً قبله وهو الخميس، أو يوماً بعده وهو يوم السبت. أما قول السائل: هل هذا خاص بالنفل أم يعم القضاء؟ فإن ظاهر الأدلة العموم، وأنه يكره تخصيصه

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٨٥ ، والإمام مسلم ، رقم الحديث ١١٤٤ .
(٢) الإمام البخاري ، رقم الحديث ١٩٨٦ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٤٤ .

بصوم، سواء كان لفريضة، أو نافلة، اللهم إلا أن يكون الإنسان صاحب عمل لا يفرغ من العمل ولا يتسنى أن يقضي صومه إلا في يوم الجمعة، فحينئذ لا يكره له أن يفرده بالصوم، لأنه محتاج إلى ذلك)[١].

س٩٧: لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تأخير الفطر حتى يظلم الليل ؟.

ج٩٧ : **الحكمة من تعجيل الإفطار هو :**

١- ألا يشق على الصائم بتطويل وقت الصوم، و لئلا ينشغل الصائم عند أداء الصلاة بالجوع أو العطش عن الإخلاص فيها؛ لذلك سن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيل الإفطار فيما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: (قال اللهُ تعالى: أحَبُّ عبادي إليَّ أعجَلُهم فِطرًا)[٢].

٢- مخالفة اليهود حيث كان اليهود يعجلوا في السحور و يؤخروا في الفطور.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (الشيخ: الحكمة من ذلك هو التسهيل على العباد وتقيد بحدود الله عزَّ وجلَّ، فإن الله سبحانه وتعالى قد حدد الأكل في السحور بتبين طلوع الفجر قال سبحانه وتعالى: (فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثم أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ..(١٧٨))[٣]. وتأمل قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ولم يقل حتى يطلع الفجر؛ ليظهر لك الإشارة الواضحة إلى التيسير على الأمة، وأنهم لا يكلفون إلا ما يطيقون، وأما تعجيل الفطور فلأنه أيضاً أصغى إلى إعطاء النفس حظها مما تشتهيه وامتنعت منه طاعة لله عزَّ وجلَّ، وفيه أيضاً تقيد بالحدود الشرعية بأن الله يقول: (ثمَ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا أقبل الليل من ها هنا وأشار إلى المشرق، وأدبر من ها هنا وأشار إلى المغرب وغربت الشمس فقد أفطر الصائم [٤].

---

(١) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد العشرون - كتاب الصيام.
(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٣٤٢٣ .
(٣) سورة البقرة.
(٤) ابن باز ، سلسلة فتاوى نور على الدرب، رقم الشريط ٢٢٣ .

س٩٨: لماذا حرم الله الزنا .؟.

ج٩٩: حرَّم الله سبحانه وتعالى- الزنا وجعل لمن يرتكبه عقوبة كبيرة، وقد جاء تحريم الزنا في عدد كبير من الآيات القرآنية، مرَّة بشكل مباشر ومرَّة بشكل خفيٍّ:

١- ما جاء من آيات تحريم الزنا في القرآن الكريم : قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا(٣٢)﴾[٢]. وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٩)﴾[٥].

٢- ووردَ في القرآن الكريم بعض الآيات القرآنية التي تأمر المؤمنين بغض البصر تجنُّبًا للوقوع في أي نوع من أنواع الزنا، كزنا النظر أو زنا السمع وغيره، ومما جاء في هذا: قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.. (٣٣)﴾[٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...(٣٠)﴾[٧] .

٣- ومما ورَدَ في السنة النبوية من أحاديث تخصُّ تحريم الزنا: عن أبي هريرة رضي الله عنه إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (لا يزني الزَّاني حينَ يزني وَهوَ مؤمنٌ)[٨] ..

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) سورة المؤمنون.
(٣) سورة الفرقان .
(٤) سورة النور
(٥) سورة الأحزاب .
(٦) سورة النور .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٤٧٥ .

٤- وعن أبي هريرة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: إذا زنى العبدُ خرج منه الإيمانُ فكان على رأسِه كالظُّلَّةِ، فإذا أقلع رجَعَ إليه)[١] ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: (إذا ظهر الزِّنا والرِّبا في قريةٍ فقد أحلُّوا بأنفسِهم عذابَ اللهِ)[٢] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله قال: (ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهمْ اللهُ يومَ القِيامةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عذابٌ ألِيمٌ: شَيْخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائِلٌ مُستَكْبِرٌ)[٣].

والزنا محرّم قطعياً وعلى من يقوم بهذا عقوبة في الدنيا والآخرة وهي الحد، ويجب على الشخص أن يتّسِم بالإيمان وبطاعة الله ولا حَرَجَ بمعرفة عن تحريم الزنا واحكامه :

١- الموافقة على التحريم بناء على الفطرة التي فطرها الله لك موافقة هذا التحريم للفطرة التي فطر الله الناس عليها ، من الغَيْرة على العِرْض ، وبعض الحيوانات تغار على عرضها ، فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون الأودي قال :(رأيت في الجاهلية قرداً زنا بقردة ، فاجتمع القرود عليها ، فرجموها حتى ماتت)[٤].

٢- منع اختلاط الأنساب لأنّ الزنا تشارك افراد الأسرة في الأنساب والميراث واختلاط التحريم من المحرّم.

٣- لحماية من الأوبئة والأمراض لأنّ الزنا تسبّب لكثير من الأمراض الخطيرة والقاتلة عالمياَ مثل الزهري والإيدز.

٤- حفظاَ لكرامةِ المرأة حيث إنّ الإسلام حفظ هذه الكرامة بعيداَ عن الزنا وإباحتهِ حيث إنّ إباحتهِ تؤدي الى سلبها هذهِ الكرامة على عكس الإسلام الذي وجد لحفظ هذه الكرامة ومنعها من السلب والإهانة .

---

(١) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ٦٩ .
(٢) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦٩ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٧ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٨٤٩ .

٥- منع انتشار الجرائم حيثُ الزنا يؤدي الى انتشار القتل بين الزوج والزوجة وبين الرجل والمرأة والعشيق ومعشوقته او يكون بالكره يقتلها ويزني بها .

٦- صيانة كرامة المرأة من الهدر بحيث لا تكنْ سلعةً رخيصةً سهلة المنال لكل طامعٍ.

٧- الوحشة التي يضعها الله في قلب الزاني، و الوحشة التي تعلو وجهه؛ فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أنس، ومن جالسه استأنس به، والزاني بالعكس من ذلك.

٨- أن الناس ينظرون إلى الزاني بعين الريبة والخيانة، فلا يأمنه أحد على شيء.

٩- ضيقة الصدر وحرجه؛ لأن الزاني يعامل بضد قصده؛ فمن طلب لذة العيش وطيبه بمعصية الله عاقبه الله بنقيض قصده؛ فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خير قط.

١٠- الزنا يذهب بكرامة الفتاة ويكسوها عاراً لا يقف عندها بل يتعداها إلى أسرتها؛ حيث تدخل العار على أهلها وزوجها وأقاربها.

١١- الزنا جناية على الولد لأنه يعيش وضيعاً في الأمة، مدحوراً من كل جانب؛ فإن الناس يستخفون بولد الزنا.

١٢- الحفاظ على البيت المسلم من الدمار والضياع وتشتت شمل العائلة وضياع الأبناء حين يأتي الزوج أو الزوجة بهذا الفعل الشنيع.

١٣- الحدّ من ظاهرة الأطفال اللقطاء المتروكين في الشوارع العامّة والحدائق وقرب دور العبادة للتقليل من معاناتهم الناجمة عن رفض المجتمع لهم.

ولما حرم الله الزنا حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها:

١- إطلاق البصر قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ..(٣٠)﴾[١]، والنظر يكون في الأسواق، والأماكن العامة، وعبر شاشات القنوات الفضائية، والمجلات الهابطة، والتلفاز، وغيره.

---

(١) سورة النور .

٢- خروج النساء متبرجات متعطرات إلى الأسواق، وهذا التبرج باب عظيم يؤدي إلى الفاحشة، قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى.. (٣٣))[(١)].

٣- دخول الرجال الأجانب على المرأة، وأخطر الأجانب على المرأة أقارب زوجها، وأقارب أبويها، فإنهم يترددون غالبًا، وربما كان يجمعهم بيت واحد، وتارة تكون وحدها في البيت عند دخول أحدهم، روى البخاري، ومسلم من حديث عقبة بن عامر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو، قال: الحمو الموت)[(٢)].

٤- ما يحدث من بعض المجتمعات الإسلامية من إقامة الحد على الضعيف، وتركه عن القوي، فإن هذا من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انتشار الزنا، وهذا الذي فعله بنو إسرائيل، روى البخاري ومسلم من حديث: عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)[(٣)].

٥- تأخير من بلغ من الشباب، والشابات عن الزواج، فإنه بمجرد بلوغه تشتد عنده الشهوة، فإذا لم يكن بجانبه حلال يطفئها به، فربما يلجأ إلى الحرام الذي يجلب له العار في الدنيا، والخزي في الآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود:(أن النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج)[(٤)] ، وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[(٥)] .

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٥٢٣٢ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث٢١٧٢ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٤٧٥ ،الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث١٦٨٨ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٦٦ . والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٠٠.
(٥) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٠٨٤ .

٦- انتشار آلات اللهو، والفساد في البيوت، فالغناء هو بريد الزنا، والأفلام الخليعة التي تحكي الغرام بين الرجل والمرأة، عبر القنوات الفضائية الفاضحة، أو المواقع الإباحية في الإنترنت، أو مقاطع البلوتوث التي أساء استخدامها بعض الشباب، وصاروا يتداولون فيها الصور العارية كل ذلك مما يدعو إلى الفاحشة قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٩))[١].

٧- انحراف بعض الرجال، وخيانتهم لزوجاتهم بمعاشرة النساء الأجنبيات على غير الوجه الشرعي، فيكون هذا مدعاة لأن تقابل الزوجة زوجها بمثل ما قابلها به ، وهذا الزوج الفاسق هو الذي سن هذه السيئة، (ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان له وزرها، ووزر من عمل بها من بعده إلى يوم القيامة)[٢]، [٣] .

س٩٩ : لماذا يحتفل المسلمون بأعياد النصارى أكثر مما يحتفلون بأعياد المسلمين ؟.

ج٩٩ : اعتاد كثير من أبناء المسلمين تقليدَ أهل الكفر المشركين في الاحتفال بيوم رأس السَّنة الميلادية، وكأنه عيد للمسلمين، بل يحتفلون به أكثر مما يحتفلون بعيدَي الإسلام، الفِطر والأضحى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١- فيه مُشابهة لأهل الكفر في الاحتفال بما يحتفلون به، وقد نُهينا عن مُشابهتهم والتشبُّه بهم فيما هو من خصائصهم؛ والأعياد من أخصِّ الشرائع.

٢- فيه تشريع عيد لم يأذَن به الله؛ فالله شرَع لنا عيدين الفِطر والأضحى وأبْدَلنا بأعياد الجاهلية عِيدين، فكيف نشرع عيدًا زائدًا من عند أنفسنا؟!

يقول الشيخ ابن باز : لا يجوز للمسلم ولا للمسلمة مشاركة النصارى، أو اليهود، أو غيرهم من الكفرة في أعيادهم، بل يجب ترك ذلك؛ لأن من تشبه بقوم فهو منهم، والرسول

---

(١) سورة النور .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠١٧ .
(٣) د. أمين بن عبدالله الشقاوي ، موقع الألوكة.

صلى الله عليه وسلم حذرنا من مشابهتهم والتخلق بأخلاقهم، فعلى المؤمن وعلى المؤمنة الحذر من ذلك، وأن لا يساعد في إقامة هذه الأعياد بأي شيء؛ لأنها أعياد مخالفة لشرع الله، ويقيمها أعداء الله فلا يجوز الاشتراك فيها، ولا التعاون مع أهلها، ولا مساعدتهم بأي شيء، لا بالشاي، ولا بالقهوة، ولا بأي شيء من الأمور كالأواني، ونحوها وأيضاً يقول الله سبحانه: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) فالمشاركة مع الكفرة في أعيادهم نوع من التعاون على الإثم والعدوان، فالواجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة ترك ذلك، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بالناس في أفعالهم، الواجب أن ينظر في الشرع إلى الإسلام وما جاء به، وأن يمتثل أمر الله ورسوله، وأن لا ينظر إلى أمور الناس فإن أكثر الخلق لا يبالي بما شرع الله، كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم: وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وقال سبحانه: وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ فالعوائد المخالفة للشرع لا يجوز الأخذ بها وإن فعلها الناس، والمؤمن يزن أفعاله، وأقواله، ويزن أفعال الناس وأقوال الناس بالكتاب والسنة، بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام فما وافقهما أو أحدهما فهو المقبول، وإن تركه الناس، وما خالفهما أو أحدهما فهو المردود وإن فعله الناس رزق الله الجميع للتوفيق والهداية[١].

ومن رسالة للشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية الأسبق يقول فيها :من محمد بن إبراهيم إلى...... سلمه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: ذكر لنا أن بعض التجار في العام الماضي استوردوا هدايا خاصة بمناسبة العيد المسيحي لرأس السنة الميلادية من ضمن هذه الهدايا شجرة الميلاد المسيحي وأن بعض المواطنين كانوا يشترونها ويقدمونها للأجانب المسيحيين في بلادنا مشاركة منهم في هذا العيد. وهذا أمر منكر ما كان ينبغي لهم فعله ولا نشك في أنكم تعرفون عدم جواز ذلك وما ذكره أهل العلم من الاتفاق على حظر مشاركة الكفار من مشركين وأهل كتاب في أعيادهم. فنأمل منكم ملاحظة منع

(١) الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله .

ما يرد بالبلاد من هذه الهدايا وما في حكمها مما هو خصائص عيدهم[1].

تقول اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية :الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وبعد:

أولاً: السنة إظهار الشعائر الدينية الإسلامية بين المسلمين وترك إظهارها مخالف لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه أنه قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ) الحديث.

ثانياً: لا يجوز للمسلم أن يشارك الكفار في أعيادهم ويظهر الفرح والسرور بهذه المناسبة ويعطل الأعمال سواء كانت دينية أو دنيوية لأن هذا من مشابهة أعداء الله المحرمة ومن التعاون معهم على الباطل وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من تشبه بقوم فهو منهم)، والله سبحانه يقول: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ..(٢))[2].

أما اسباب احتفال بعض المسلمين بهذه الأعياد فهو :

١- جهل المسلمين بفضل الإسلام

٢- جهل النّاس بالنّصوص في الولاء والبراء:

٣- الشّعور بالانهزاميّة.

٤- الجهل بالأحكام الشّرعيّة والنّصوص الكثيرة الواردة في النّهي عن التشبّه بالكافرين.

٥- الغفلة والتغافل والجهل والتّجاهل عما يُكاد للمسلمين.

٦- إقامة كثير من المسلمين في بلاد الكافرين ..

٧- حبّ الشّهوات.

٨- ضعف الإعلام الشّرعي.

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ج٣ ،ص١٠٥ .

(٢) سورة المائدة .

(٣) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز نائب الرئيس: عبد الرزاق عفيفي عضو: عبد الله بن غديان

الآثار المترتبة على احتفال المسلمين بأعياد النصارى :

١- التشبُّه بالكفار فيما هو من خصائصهم، وتقليد الكفار فيما هو من خصائصهم، وفي هذا إشعار بذُلِّ المسلمين وإهانتهم وعِزَّة الكافرين، وهذا لا يُرضي الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم وفي موافقة الكفار تعزيزٌ لِما هم عليه، ووسيلة لافتخارهم وعُلوهم على المسلمين؛ حيث يرون المسلمين أتباعًا لهم، مقلِّدين لهم؛ ولهذا كان من المقرَّر عند أهل الخبرة في التاريخ أنَّ الأضعف دائمًا يقلِّد الأقوى، والمغلوب يُقلِّد الغالب.

٢- تؤدي إلى كثرة العطل الرسمية، ولا تكاد تخرج من عطلة رسمية إلا وتقع في أخرى، وكثرة العطل الرسميَّة تُقلِّل الإنتاج.

٣- ومن آثار كثرة الأعياد أنها تؤدي إلى إهدار الوقت وقِلة الإنتاج، واستغلال الوقت من عوامل النهضة ومن شروط التقدم.

س١٠٠: لماذا كان على الإمام حين يصلي بالناس أن يقرأ السور مرتبة ؟.

ج١٠٠: يقول الشيخ ابن باز حمه الله تعالى : الأفضل للقارئ في الصلاة وغيرها أن يلتزم بالمصحف، وأن يرتب قراءته على ما في المصحف، هذا هو الأفضل وهذا هو المشروع، حتى لا يقع الاختلاف كما رتبه الصحابة رضوان الله عليهم ، لكن لو قرأ سورة قبل سورة لا حرج في ذلك، إنما الأفضل والأولى أن يرتب على ما في المصحف، يقرأ البقرة ثم آل عمران ثم النساء إلى آخره، هذا هو الأفضل، لكن لو قرأ (قل يا أيها الكافرون) في الأولى، ثم قرأ في الثانية والضحى أو التين وما أشبه ذلك فلا حرج في ذلك، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأ في بعض الليالي البقرة ثم النساء ثم آل عمران، قدم النساء على آل عمران، وثبت عن عمر أنه قرأ في إحدى الركعتين النحل وقرأ في الثانية سورة يوسف.

فالحاصل: أن هذا لا حرج فيه، لكن الأفضل أن يتقيد بترتيب الصحابة، هذا هو الأفضل حتى لا يقع اختلاف، يرتبه في القراءة كما رتب في المصحف، هذا هو الأفضل.[1]

(١) الشيخ ابن باز ، الموقع الرسمي ، تفريغ نصي

(وتنكيس السور ، فهو قراء السورة اللاحقة قبل السابقة ، فيقرأ مثلاً آل عمران قبل البقرة.
حكمه :

١- من قال من العلماء إن ترتيب السور ليس توقيفياً : لم ير بذلك بأساً .

٢- ومن رأى أن الترتيب توقيفي ، أو أن إجماع الصحابة على ترتيبه حجة : لم ير جواز ذلك .

والصحيح : أن الترتيب ليس توقيفيّاً ، وإنما هو من اجتهاد بعض الصحابة ، وأنه لا إجماع على الترتيب بين الصحابة ، إذ كان مصحف (عبد الله بن مسعود) - مثلاً - على خلاف تلك المصاحف ترتيباً ، وفي السنة ما يؤيد الجواز :

عن حذيفة قال : صليتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح بالبقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها[٢]، والشاهد في الحديث أنه قرأ النساء قبل آل عمران ، قال النووي :قال القاضي عياض : فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف ، وإنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم بل وَكَله إلى أمته بعده . قال : وهذا قول مالك وجمهور العلماء ، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني ، قال ابن الباقلاني : هو أصح القولين مع احتمالهما، قال : والذي نقوله : إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ، ولا في الصلاة ، ولا في الدرس ، ولا في التلقين ، والتعليم ، وأنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نص ، ولا حدٌّ تحرم مخالفته ، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان ،قال : واستجاز النبي صلى الله عليه وسلم والأمة بعده في جميع العصور ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين ، قال : وأما على قول من يقول من أهل العلم : إن ذلك بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم حدده لهم كما استقر في مصحف عثمان ، - وإنما اختلاف المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٧٢ .

الأخير ، فيتأول قراءته صلى الله عليه وسلم النساء أولا ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب ، وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أبيّ .

قال : ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى ، وإنما يكره ذلك في ركعة ولمن يتلو في غير صلاة ، قال : وقد أباحه بعضهم .

وتأويل نهي السلف عن قراءة القرآن منكوسا على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها قال : ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف ، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم . هذا آخر كلام القاضي عياض . والله أعلم [1] ، وقال السندي :قوله (ثم افتتح آل عمران) مقتضاه عدم لزوم الترتيب بين السور في القراءة[2] ، [3] .

جاء في الدرر السنية: المطلب الثاني: تحت عنوان أحكامُ القراءةِ في الصَّلاة ما يلي :

يُستحَبُّ ترتيبُ السُّوَرِ في الرَّكعتينِ على نظْمِ المصْحَف (الحنفية والمالكية والشافعية: يقولون بكراهة تنكيس السور. والشافعية يرون تنكيس السور خلاف الأولى. ، وهذا باتِّفاق المذاهبِ الفِقهيَّة الأرْبعة: الحنَفِيَّة[4] .

الأدلة:

أولًا: من السُّنَّة: فِعْنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (والمستحَبُّ أن يقرأَ في الرَّكعةِ الثَّانية بسورةٍ بعدَ السُّورةِ التي قرَأها في الرَّكعةِ الأولى في النَّظمِ؛ لأنَّ ذلك هو المنقولُ عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)[5] ، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٦١ ــ ٦٢ . .

(٢) السيوطي ، شرح النسائي ، ج٣ ، ص ٢٢٦ .

(٣) الاسلام سؤال وجواب تاريخ النشر : ٠٦-٠٢-٢٠٠٠

(٤) الدر المختار للحصكفي وحاشية ابن عابدين /٥٤٦، البناية للعيني ٣١١/٢ ، والمالكيَّة حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢٤٢/١، وينظر: الثمر الدانيص: ١١٦. ٢٥ ، والشَّافعيَّة المجموع٣٨٥/٣، وينظر: أسنى المطالب لزكريا الأنصاري ١٥٥/١. ، والحَنابِلَة :كشاف القناع للبهوتي /٣٤٤، مطالب أولي النهى للرحيباني ٤٣٧/١. ٢٧ .

(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص ٣٥٦ .

١- عن عبدِ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُوتِرُ بثلاثٍ، يقرأ في الأولى بسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وفي الثانية بقُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ، وفي الثالثة بقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)[1].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يقرأ في الصبح، يوم الجمعة: بألم تنزيل في الركعة الأولى، وفي الثانية هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورا)[2] .

٣- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: (أن رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: (..قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا...(١٣٦)) من سورة البقرة ، وفي الآخرة منهما: (..قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)) .

ثانيًا: مِنَ الآثارِ :عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنه: (أنَّه سُئِلَ عَمَّن يقرأُ القُرآنَ مَنكوسًا قال: ذلك منكوسُ القَلبِ)[4].

ثالثًا: أنَّ الصَّحابةَ رَضِيَ اللهُ عنهم وَضَعوا المصحَفَ في عَهدِ أميرِ المؤمنينَ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ، على هذا التَّرتيبِ، فلا ينبغي الخُروجُ عن إجماعِهم، أو عمَّا يكونُ كالإجماعِ منهم[5].

رابعًا: أنَّ هذا التَّرتيبَ مِن سأُنَّةِ الخَليفةِ الرَّاشِدِ عُثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه، وقد أُمِرْنا باتِّباعِه ..

خامسًا: لأنَّه قد يكونُ فيه تَشويشٌ على العامَّةِ، وتنقُّصٌ لكلامِ اللهِ عَزَّ وجلَّ، إذا رأَوْا أنَّ النَّاسَ يُقَدِّمونَ، ويُؤَخِّرونَ فيه.

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٦٢، والنسائي ١٧٠٢واللفظ له، وابن ماجه ١١٧٢، وأحمد ٢٧٢. احتجَّ به ابن حزم في المحلى ٥١/٣، وصحَّح إسنادَه النوويُّ في الخلاصة ٥٥٦/١، وابن الملقِّن في البدر المنير /٣٣٨، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن النسائي ١٧٠٢

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٩١ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٨٠ .

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٢٧ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٧٩٤٧، وابن أبي داود في المصاحف ص: ٣٤٢، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٧٠ ، ٨٨٤٨صحح إسناده النووي في التبيان ١٢٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧١/٧رجاله ثقات. .

(٥) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٣ ، ص ٧٩ .

س١٠١ : لماذا لم يوص النبي صلى الله عليه وسلم لأحد بالخلافة ؟.

ج١٠١: لم يفعل ذلك لعدة أمور نناقشها بالتفصيل :

١- أن الله تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ولم يرسله ملكا كداوود وسليمان عليهما السلام ، يقول الله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨))[١] .

٢- أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يأمره الله بإقامة دولة ، وإنما أمره بتبليغ الرسالة إلى الناس لتوحيد الله سبحانه وتعالى قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧))[٢] ، لكن من يرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يقيم دولة للإسلام لأهداف في أنفسهم :

أ- أن محمدا عليه الصلاة والسلام لا بد أن يكون له وريث في هذا الملك والوريث الطبيعي هو ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ب- تصبح هذه الخلافة متوارثة في آل البيت إلى أن تقوم الساعة .

ت- هذا الوريث هو الذي يحق له التحكم في أمور الناس ، فيحلل ويحرم على ما يراه ، وهو ما هو معمول به في دولة ولاية الفقيه وأذنابها .

ث- أن من لا يرضى بخلافتهم يكون كافرا ، ولذلك يرى هؤلاء القوم أن المسلمين غير الشيعة هم كفار يدخلون النار ، فهذا ما يعتقده الشيعة بل ويقاتلون من أجله وعلى ذلك كفروا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مدعين أنهما اغتصبا الحكم والخلافة.

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة المائدة .

٣- رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خاتم النبيين قال تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا(٤١))[1]، ولو لم يكن كذلك قد يفعل كما فعل موسى عليه السلام حين جعل يوشع بن نون وصيا على بني إسرائيل ، و يوْشَعُ بْنُ نُوْنٍ عليه السلام هو الغلام الذي رافق موسى أثناء مقابلته الخضر، حسب ما ورد في سورة الكهف ، وهو نبي من أنبياء الله استخلفه الله عز وجل في بني إسرائيل بعد وفاة موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وهو من كتب الله على يده فتح بيت المقدس واسترجاعه من العماليق. لم يرد ذكره صريحا في القرآن الكريم، لكنه مذكور بالاسم في الأحاديث الصحيحة وفي كتب السير.

٤- إقامة دولة لم تكن حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من أمور الدنيا التي لم يكن يحرص عليها فموسى بن طلحة، عن أبيه، قال: مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رءوس النخل، فقال: (ما يصنع هؤلاء؟) فقالوا: يُلقّحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيُلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أظن يغني ذلك شيئًا»، قال: فأُخبروا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل[2]، وهنا يوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمور التالية :

أ- أن ما حدثهم به عن الله فليأخذوه وهو تشريع ملزم .

ت- أن معرفته بأمور الدنيا ليست ملزمة لغيره من الناس فقد يجها أشياء في أمور الدنيا ويعرفها غيره ، وليس في ذلك انتقاص لرسالته صلى الله عليه وسلم .

٥- لو أراد الله تعالى أن يكون هناك وصي لخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأثبت

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٣٦١ .

ذلك في كتابه الكريم أو حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس به في حجة الوداع في خطبه الشاملة الكاملة وفي غير ذلك المكان لو أراد ذلك .

٦- معرفة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرب بعضهم منه لا تخفى عليهم ولذلك رأوا أن أبا بكر يصلح أن يكون أبوبكر خليفة وكان هذا الاختيار موفقا جدا فرغم الأحداث الجسام التي حدثت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من :

أ- موقفه رضي الله عنه من إرسال جيش أسامه .

ب- الارتداد عن الإسلام من كثير من القبائل .

ت- ادعاء بعض الكذابين النبوة كالأسود العنسي ومسيلمة وسجاح في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

ث- استشهاد عدد كبير من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا يحفظون القرآن الكريم .

فقد أعاد الناس إلى حظيرة الإسلام وقضى على مدعي النبوة ، وأرسل جيش أسامة ، وجمع القرآن الكريم في رقاع وجلود ووضعه عند ابنته السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومات رضي الله عنه والإسلام والمسلمين في أحسن حال .

ولذلك فالخلافة أمر دنيوي لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على إبداء رأيه في من يخلفه بعد وفاته ..

لكن تكليفه ليصلي بالناس في مرض النبي صلى الله عليه وسلم ، وما رآه المسلمون من تقدير وحب رسول الله عليه الصلاة له وقوله لامرأة (إن لم تجديني ستجدين أبا بكر)، كل هذه العوامل جعلت المسلمين يجتمعون على بيعة الصديق رضي الله عنه إماما للمسلمين .

٧- خلافة الصديق رضي الله عنه كانت تمهيدا لإقامة الدولة الإسلامية والتي بدت ملامحها واضحة في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

س١٠٢ : لماذا جمع أبوبكر الصديق القرآن الكريم ؟.

ج١٠٢ :بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وتولي أبو بكر الصديق للخلافة، كان التصدي للمرتدين أول مهمة قام بها أبو بكر رضي الله عنه، وكان في طليعة من تصدى للمرتدين أهل القرآن الكريم من الصحابة الكرام، وذلك أن أهل القرآن هم الطليعة والقدوة في كل شيء، ففي معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وهي المعركة الفاصلة مع المرتدين، قال هشام بن عروة: كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم يوم اليمامة: (يا أصحاب سورة البقرة[1]، ، وقال أبو حذيفة يشحذ الهمم في ذلك اليوم المشهود: (يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال)[2] البداية والنهاية لابن كثير وقد استشهد في اليمامة ألف ومائتا شهيد، كان منهم ٧٠ من قراء القرآن الكريم، وقد لاحظ الفاروق عمر بن الخطاب خطورة استشهاد حفظة القرآن، لأن القرآن الكريم الأصل فيه تلقي المشافهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال للخليفة أبي بكر رضي الله عنهما: "إن القتل استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشي أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن)[3].

ولتنفيذ هذا القرار المذكور أعلاه :قام عثمان بما يلي:

١- أرسل عثمان إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر أن ترسل له مصحف الصديق لينسخ منه مصاحف للبلاد، ثم يعيده لها، وفعلًا أعاده لها.

٢- شكل لجنة من كل من زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، لنسخ المصاحف، وقد شاور عثمان الصحابة في ذلك فقرروا أن يملِي سعيد بن العاص لكونه أعرب الناس، وأن يكتب زيد لكونه أكتبهم.

٣- زيادة في الاحتياط تم مقارنة ما كتبه زيد من مصحف الصديق بما هو مكتوب عند

---

(١) المستغفري ، فضائل القرآن ، ص ٧١٣ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٦ ، ص ٣٦٧ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩٨٦ .

الصحابة، فكان مطابقًا، وأيضًا كان يتم مراجعة ما كتب زيد حذرًا من السهو أو الخطأ أو النقص.

٤- حدد عثمان المنهج العلمي لكتابة المصحف، فقال: لأعضاء اللجنة القرشيين الثلاثة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا)[١] ، ومثال ذلك اختلاف اللجنة في طريقة كتابة كلمة (**التابوت**) هل يكتب بتاء مفتوحة أو مربوطة، فرفع الأمر لعثمان فأمر بكتابتها على لسان قريش بالتاء المفتوحة، وكان عثمان أصلًا من كتبة الوحي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- وكان عثمان يستشير كبار الصحابة من كتبة الوحي في مواضع اختلاف اللجنة في كتابة بعض الكلمات، فقد أرسل عثمان لأبي بن كعب بكتف شاة فيها (لم يتسن)، وفيها (**لا تبديل للخلق**)، وفيها (**فأمهل الكافرين**)، يستشيره في الكتابة الصحيحة لها ، فقام أبي بن كعب فمحا إحدى اللامين، وكتب (**لخلق الله**)، ومحا (**فأمهل**) وكتب (**فمهل**)، وكتب (**لم يتسنه**) ألحق فيها الهاء.

٦- بعد نسخ مصحف الصديق من قبل اللجنة، يبدو أنه تم الاستعانة ببعض الصحابة الآخرين لنسخ عدة نسخ من المصاحف لتسريع العمل، ثم أرسلت نسخة للبصرة والكوفة والشام ومكة واليمن والبحرين ومصحف بقي عند عثمان بالمدينة، ومع كل نسخة مقرئ، لأن التلقي الشفوي هو الأساس في تعلم القرآن الكريم، كحال النبي صلى الله عليه وسلم مع جبريل عليه السلام.

٧- أمر عثمان بجمع وإحراق أي نسخة من المصحف بخلاف هذه التي أرسلها، حتى ينتهي الخلاف وتتوحد كلمة المسلمين على مصحف إمام جامع.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٤٩٨٧ .

٨- وقد أجمع الصحابة على صواب فعل عثمان من جمع الناس على مصحف واحد وتحريق ما عداه، ويكفي في هذا قول الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب: (اتقوا الله في عثمان ولا تغلوا فيه، ولا تقولوا له إلا خيرا (أو قولوا له خيرا) في المصاحف وإحراق المصاحف، فو الله ما فعل إلا عن ملأ منا جميعًا... رحم الله عثمان، لو وليته، لفعلت ما فعل)[١].

وقد بقيت هذه المصاحف التي أرسلها عثمان عند المسلمين يعظمونها ويتوارثونها، فمصحف الشام بقي عند بني أمية مدة خلافتهم، ثم أرسل لعبد الرحمن بن معاوية المعروف بعبد الرحمن الداخل أو صقر قريش في الأندلس، فأوقفه على جامع قرطبة، وكان يقرأ الإمام منه يوميا بعد صلاة الفجر، وبقي هناك سنة ٥٥٢هـ، حيث دخل الغزاة الجامع بدوابهم ومزقوا المصحف، وجمعت صفحاته بجهد، ثم نقل لمراكش في المغرب على يد مؤسس دولة الموحدين، ويذكر بعض العلماء أنه شاهد المصحف المكي سنة ٦٥٧هـ.[٢].

مزايا جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

كان لِجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه منزلة عظيمة بين المسلمين، فلم يَحصل خلاف على شيء مِمَّا فيه، وامتاز بِمزايا عديدة، منها:

١- أنه جمع القرآن على أدقِّ وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول التثبت العلمي.

٢- حصول إجماع الأمة على قبوله، ورضى جميع المسلمين به.

٣- بلوغ ما جُمِع في هذا الجمع حدّ التواتر، إذ حضره وشهد عليه ما يزيد على عدد التواتر من الصحابة.

٤- أنه اقتصر في جمع القرآن على ما ثبت قرآنيته من الأحرف السبعة، بثبوت عرضه

٥- في العرضة الأخيرة، فكان شاملاً لما بقي من الأحرف السبعة، ولم يكن فيه شيء مِمَّا نُسِخَت تلاوته.

---

(١) ابن أبي داوود ، المصاحف ، ص ٩٦ – ٩٨ .وصححه ابن حجر في فتح الباري ، ج٩ ، ص ١٨ .
(٢) مركز سلف للبحوث ، د. محمد ابراهيم السعيدي ٣٠ ذو الحجة ١٤٣٩ هـ - ١٠ سبتمبر ٢٠١٨ م.

٦- أنه كان مرتب الآيات دون السور.

ولقد حظي هذا الجمع المبارك برضى المسلمين، وحصل عليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، ولقي منهم العناية الفائقة. فقد حفظت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر رضي الله عنه حتى وفاته، ثم انتقلت إلى عمر رضي الله عنه حتى تُوُفِّي، ثم كانت بعد ذلك عند ابنته حفصة زوج رَسُول اللهِ صلي الله عليه وسلم ، فطلبها منها عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فنسخ منها المصاحف إلى الأمصار ثم أرجعها إليها، فكانت الصحف المجموعة في عهد أبي بكر رضي الله عنه هي الأساس لنسخ المصاحف في زمن عثمان رضي الله عنه، وهذا مِمَّا يدل على مكانة هذا الجمع عند الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

س١٠٣ : لماذا لم يعط أبو بكر الصديق فاطمة رضي الله عنها ورثها من أبيها صلى الله عليه وسلم؟.

ج١٠٣: ما حصل من خلافٍ بين فاطمة رضي الله عنها ، وبين أبي بكر الصدِّيق : فإن الحق فيه مع أبي بكر رضي الله عنها ، فقد كانت تريد فاطمة رضي الله عنها أن ترث من أبيها ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرها أبو بكر أن الأنبياء لا يورثون ، وهكذا سمع هو من النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس لأبي بكر حظ نفس في هذا ، فقد أغناه الله تعالى بالمال ، وقد منع فاطمة أن ترث ، كما منع ابنته عائشة وهي زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أن ترث هي كذلك ، فلم يكن له هوى في ذلك ، ولا كان بينه وبين فاطمة ما يجعله يولِّد العداء بينه وبينها ، وقد وقف علي رضي الله عنه بجانب زوجه فاطمة ؛ ليخفف عنها بوفاة والدها ، ويسليها في موقفها من العتب على أبي بكر في منعه إعطاءها من ميراث أبيها صلى الله عليه وسلم ،وقد امتنع عن الذهاب لأبي بكر رضي الله عنه لبيعته طيلة حياة فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي ستة أشهر ، لهذا السبب ، ولسبب آخر : وهو أنه رأى استعجال الصحابة في الخلافة والبيعة ، وأنه كان ينبغي أن يُشاور ، ويحضر في الأمر ، وكان رأي الصحابة على خلافه ، فلما ماتت فاطمة رضي الله عنها ، ودفنها : راجع نفسه ، وطلب حضور أبي بكر لبيته ، فحضر فأخبره عذره في التأخر عن البيعة ، ثم أصرَّ أبو بكر

على صحة موقفه من منع ميراث النبي صلى الله عليه وسلم ، فاطمأن قلب علي رضي الله عنه ، وتواعدا على البيعة في اليوم نفسه ظهراً ، وبايعه ، ففرح المسلمون فرحاً عظيماً .

هذا ملخص ما جرى ، وقد روى هذا البخاري ومسلم ، ولم يكن علي رضي الله عنه نازعاً يده من طاعة أبي بكر ، ولا شاقّاً عصا المسلمين ، وليس شرطاً في صحة بيعة الخليفة أن يبايعه كل المسلمين . جاء في (الصحيحين) من حديث عائشة رضي الله عنها (من أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وسلم في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبي أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد.. فقال عمر لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي إني والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي بن أبي طالب ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرابتي وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق ولم أترك أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر صلاة الظهر رقى على المنبر

فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكاراً للذي فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت فكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجع الأمر المعروف)[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قال القرطبي : (مَن تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ، ومن الاعتذار ، وما تضمن ذلك من الإنصاف : عَرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر ، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام ، والمحبة ، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحياناً ، لكن الديانة ترد ذلك ، والله الموفق ، وقد تمسك الرافضة بتأخر علي عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة ، وهذيانهم في ذلك مشهور ، وفي هذا الحديث ما يدفع في حجتهم)[2]، [3] .

و للرد بالتفصيل على الشيعة نوضح :

١- أن هذا خلافٌ بُنِيَ على تأويلٍ من قِبَل فاطمة رضي الله عنها، وعلى تمسُّكٍ بالنص من قبل أبي بكر رضي الله عنه.

٢- استدلَّ القوم على ضعف الحديث فقالوا: إن الله تعالى قال: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ)[4] ، ويقول تعالى عن زكريا –عليه الصلاة والسلام– أنَّه قال: (يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) ، فهنا عارض الحديث الآية، فالآية مقدمةٌ على الحديث. بالرّجوع لكتُب التفسيرِ نجِد أنَّ كلمةَ المفسِّرين من أهل السنة ومن الشيعة تكادُ تكون مطبقةً على أن المراد بالإرث في الآيات هو النبوَّة والعلم والدين، لا إرث الأرض والمال والطين، قال ابن كثير في تفسير

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٩٩٨ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧٥٩ .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص ٤٩٥ .

(٣) الاسلام سؤال وجواب تاريخ النشر : ٢٧-١١-٢٠٠٨

(٤) سورة النمل .

(٥) سورة مريم .

قوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ): (أي : في الملك والنبوة ، وليس المراد وراثة المال ؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه قد كان لداود مائة امرأة . ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة فإن الأنبياء لا تورث كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم)[1] ، وعلى هذا التفسير جمع كثير من أهل السنة[2].

وأما من كتب الشيعة فيقول الأعقم في تفسير قوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ): (أي: نبوّته وعلمه)[3] ، ويقول صاحب التفسير الأصفى الفيض الكاشاني: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ) [4] .

٣- كيف يزعم القومُ ضعفَ الحديث وقد احتجَّ به علماؤهم، وأثبتوه في كتبهم، حيث صحَّحوا حديث: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍّ وافر)[5]، ، قال ابن حجر في الفتح بعد أن ذكر تصحيح ابن حبان والحاكم: "حسَّنه حمزة الكناني، وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوَّى بها".)[6]، فضلًا عن ثبوته عند أهل السنة؟! وحديث: (إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) رواه الشيعة في كتبهم عن جعفر الصادق رضي الله عنه [7] ولكنَّ علماءهم أعرضوا عنه وتناسوه، مع صحَّته وثبوته عندهم..

٤- أن عمرَ وعثمانَ وعليًّا والحسنَ رضي الله عنهم تولَّوا الخلافةَ بعد ذلك، فلمْ يعطِ أحدٌ منهم شيئًا لورثة فاطمة رضي الله عنها.

---

(١) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص ١٨٢ .

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ١٩ ، ص ٤٣٧ وتفسير ابن عطية (٤/ ٢٥٣)، وتفسير القرطبي (١٣/ ١٦٤).

(٣) الأعقم ، تفسير الأعقم ج١ ، ص ٤٤٨ .

(٤) الفيض الكاشاني ، التفسير الأصفى ، ج٤ ، ص ٣٨٤ .

(٥) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥)، والبزار (٤١٤٥)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه ابن حبان (٨٨)، وقال البزار: "إسناده صالح".

(٦) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ١٦٠ .

(٧) الكليني ، الكافي ج(، ص ٣٢-٣٤)،المجلسي و بحار الأنوار ، ج٢، ص ٩٢، ١٥١

٥- لما استُخلف عمر بن عبد العزيز جمع بني مروان فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتْ له فدك، فكان ينفق منها، ويعود منها على صغير بني هاشم، ويزوِّج منها أيِّمهم، وإن فاطمة سألتْ أبا بكر أن يجعلها لها فأبى، فكانتْ كذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مضى لسبيله، فلما وُلِّيَ أبو بكر عمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته حتى مضى لسبيله، فلما ولي عمر بن الخطاب عمل فيها بمثل ما عملا حتى مضى لسبيله، ثم اقتطعها مروان، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز، فرأيتُ أمرًا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ ليس لي بحقّ، وإنِّي أُشهدكم أني رددتها على ما كانت)[1]، يعني: على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر.

٦- في مذهب الشيعة لا ترثُ المرأة من العقار والأرض شيئا بالإجماع، فكيف لفاطمةَ أن تسأله فدكًا حسب قولهم؟ وقد بُوِّبتْ أبوابٌ مستقلَّة في هذا الخصوص في كتب الشيعة، بوب الكليني بابا مستقلًا بعنوان: ‘‘إن النِّساء لا يرثنَ من العقار شيئا’’، ثُم روى تحته رواياتٍ عديد منها :

أ- عن أبي جعفر -الإمام الرابع المعصوم عندهم- قال: ‘‘النساء لا يرثنَ من الأرض ولا من العقار شيئًا)[2] .

ب- وروى الصدوق ابن بابويه القمي في: (من لا يحضره الفقيه) عن أبي عبد الله جعفر أم ميسرا قال: سألته أي: جعفرًا عن النساء ما لهن من الميراث؟ فقال: فأما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه)[3] ، ومثل هذه كثير، وقد ذكروا على عدم الميراث في العقارات والأراضي اتفاقَ علمائهم[4]، فما دامتِ المرأةُ لا ترثُ العقار والأرض، فكيف كان لفاطمةَ أن تسأله فدكًا حسب قولهم[5].

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، الرقم ٢٩٧٢ .
(٢) الكليني ، الكافي ، الفروع من الكافي ، كتاب الفرائض والميراث ، ج٧ ، ص١٣٧.
(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٤٧ .
(٤) ور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، غاية المراد ، ج٣ ، ص ٥٨٣ .
(٥) إحسان إلهي ظهير الباكستاني ، الشيعة وأهل البيت ، ص ٨٤ .

٧- قولهم: وقد وجدتْ عليه فاطمةُ رضي الله عنها في ذلك وهجرتْه، فلم تكلمْه حتى ماتتْ[١] ، وهذا الكلام ليس على ظاهره، فالمراد أنها رضي الله عنها لم تكلمْه في الميراث حتى ماتتْ، وليس كما يُشنِّع القوم بقولهم: لم تكلمْ أبا بكر رضي الله عنه البتة حتى ماتتْ، فقد قال القرطبيّ في بيان ذلك: (ثم إنها لَمْ تلتق بأبي بكر لِشُغلها بمصيبتها برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولملازمتها بيتها، فعبَّر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)[٢] ، وهي أعلم الناس بما يَحِلّ من ذلك ويَحْرُم، وأبعد الناس عن مخالفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيدة نساء أهل الجَنَّة؟[٣].

٨- الرواياتُ الشيعيّة نفسُها تثبتُ رضا فاطمة رضي الله عنها بحكم أبي بكر:

جاء في بعض روايات الشيعة أن فاطمة رضيتْ بذلك، كما يرويه كمال الدين مثيم بن علي ميثم البحراني الشيعي حيث يقول: (إن أبا بكر قال لها: إن لكِ ما لأبيك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من فدَك قوتكم، ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيتْ بذلك وأخذت العهد عليه به)[٤]، ومثل ذلك ذكر الدنبلي في شرحه الدرة النجفية[٥]، بل وأكثر من ذلك: نقل أئمة القوم أنفسهم بأن أبا بكر رضي الله عنه لم يقتصر على الكلام فقط، بل أعقبه بالعمل، كما يروي ابن الميثم والدنبلي وابن أبي الحديد والشيعي المعاصر فيض الإسلام علي تقي أن أبا بكر كان يأخذ غلتها -أي: فدك- فيدفع إليهم أي: أهل البيت منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، فكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان عليٌّ كذلك[٦].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٢٤٠ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧٥٩
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٣٧ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم، رقمالحديث ٢٥٦٠ .
(٣) القرطبي ، المفهم ، ج٣ ، ص ٥٦٨ ــ ٥٦٩ .
(٤) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٥ ، ص ١٠٧ .ط ايران
(٥) الدنبلي ، شرح الدرة النجفية ، ص ٣٣١ ، ٣٣٢، طايران.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (٥/ ١٠٧)، الدرة النجفية (ص: ٣٣٢)، شرح النهج فارسي لعلي تقي (٥/ ٩٦٠). الشيعة وأهل البيت (ص: ٨٤).).

أما علاقة فاطمة رضي الله عنها بآل أبي بكر لا تدعم هذا الإدِّعاء: إنَّ فاطمة رضي الله عنها أمرتْ بأنْ تغسلَها زوجةُ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وهي أسماء بنت عميس التي تزوجها عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد ذلك، كما أمرتْ أن تُدفنَ حيث لا يراها الرجال الأجانب؛ وذلك لشدَّة حيائها، وقد قامتْ أسماء بنت عميس على تمريضها، وشاركتْ في غسلها، ثم دفنتْ ليلًا ، وروي أنه لما حضرتها الوفاة قالت لأسماء بنت عميس: (إذا أنا متُّ فانظري إلى الدار...)، ثم ذكر المجلسي من حضر وفاتها فقال: وأنه لم يحضرها إلا أمير المؤمنين والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة جاريتها وأسماء بنت عميس[1]. وفي الأمالي للمفيد قال: "وكان يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس[2]، ولا يمكن أن تمرضها وتغسلها إلا بإذن زوجها الصِّدِّيق وعلمه[2] .

٩- الروايات الشيعية نفسها تثبتُ عدمَ ظلم أبي بكر رضي الله عنه لفاطمة رضي الله عنها: لأجل ذلك لما سُئلَ أبو جعفر محمد الباقر عن ذلك وقد سأله كثير النوال جعلني الله فداك، أرأيت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم شيئا؟ أو قال: ذهبا من حقكم بشيء؟ فقال: لا، والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ما ظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل، قلتُ: جعلتُ فداك، أفأتولَّاهما؟ قال: نعم، ويحَك! تولَّهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي)[3].

وأخو الباقر زيد بن علي بن الحسين قال أيضا في فدك مثل ما قاله جده الأول علي بن أبيطالب وأخوه محمد الباقر لما سأله البحتري بن حسان وهو يقول: قلت لزيد بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أهجِّن أمر أبي بكر: إن أبا بكر انتزع فدكًا من فاطمة -عليها السلام-، فقال: إن أبا بكر كان رجلًا رحيمًا، وكان يكره أن يُغيِّر شيئا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم... ثم قال زيد: أيم الله! لو رجع الأمر إليّ لقضيتُ فيه بقضاء أبي بكر[4].

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٠ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ .
(٢) المفيد ،الأمالي، ' ص ٢٨١ ، وكذلك في الأمالي للطوسي (ص: ١٠٩، كشف الغمة(٢/ ١٢٢-١٢٦
(٣) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص ٨٢ .
(٤) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٨٢ .

١٠- ثمة مقولة عند القوم وشبهة مفادها: أنهم يقارنون موقف الصديق مع جابر وموقفه مع فاطمة رضي الله عنهم جميعًا، فيقولون: لماذا صدّق أبو بكر جابرًا فيما قال، ولم يُصدق فاطمة رضي الله عنها؟!

والجواب: أنه أذا عُلم سياق الكلام تلاشى الإشكال لكل منصف، فكل ذي فهم يفرِّق بين الوعد والطلب، ولمزيد بيانٍ لذلك نقول: إنَّ جابرَ بنَ عبد الله أتى يُخبر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وَعَدَه بوعدٍ، ومن وفاء أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنفذ وعده لجابر رضي الله عنه، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ جَابِرٍ، وَعَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ، وَعَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ قَدْ جَاءَنِي مَالٌ لَأَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا»، قَالَ: فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَنِي، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ أَتَاهُ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: خُذْ كَمَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ، قال البزار: (لما قال جابر وصدَّقه أبو بكر كان الخبر عن جابر، وكانت فضيلةً لأبي بكر؛ لإنجاز ما ذكر جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده.)[1] .

١١- و وَرِثَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أحدٌ لورثه أزواجه وعمُّه العباس رضي الله عنهم، وكلّ هؤلاء لم يعطَوا شيئًا، فَلِمَ حُصرتْ القضيةُ في فاطمة رضي الله عنها؟! ولِمَ لَمْ يطالب البقيةُ بإرثهم لو صحَّ ما يذكرونه من قضية فدك؟!

١٢- استدلال القوم بحديث: (فاطمة بَضْعَة مني، فمنْ أغضبها أغضبني[2]، فقالوا: إن أبا بكر أغضبَ فاطمةَ رضي الله عنها، فهو داخل في هذا الحديث.

والجواب عن ذلك من وُجوه:

الأول: أنَّ الخلفاء من بعدِ أبي بكر عمِلوا بما عمِل به، وهذا يعني أنه على الحقّ، فالغضب الذي يُغضِب فاطمةَ والذي يَغضب له النبي صلى الله عليه وسلم هو ما كان في حقّ، أي ما كانتْ فيه مُحقّة، وفاطمة سيِّدة نساء العالمين، وهي من بنات آدم تغضَب كما يَغضبون، بل

---

(١) البزار ، مسند البزار ، ج١ ، ص ١٧٩ .
(٢) الإمام ، رقم الحديث ١٨١٦ .

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن نفسه: (أَوَمَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟! قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا)[١].

الثاني: أنَّ عليًّا رضي الله عنه أغضَب فاطمة مرّة [٢]، فهل يُمكن أن يُقال: إن عليًّا رضي الله عنه أغضب فاطمة فغضبت عليه، أو غاضبها ثم خَرَج من عندها، أنه بفعله ذلك أغضب النبي صلى الله عليه وسلم؟!

الثالث: أن أبا بكر رضي الله عنه عَرَف لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقَّهم، وما كان يَسُرّه أن تَموتَ فاطمةُ وهي غَضْبى عليه، فقد طَلَب رضاها قُبيل مَوتها وترضَّاها ورضيت[٣].

الرابع: دعوى ظلم الزهراء رضي الله عنها وضربها وكسر ضلعها:

١- هذه الدعوى لم يثبت فيها سند صحيح، وجميع أسانيدها مختلَقة موضوعة، ومن يمتلك دليلًا صحيحًا فليكشف عنه.

٢- كل عاقل يعلم أن هذه الروايات لا تتَّفق بحالٍ مع ما هو معروف من شجاعة عليٍّ رضي الله عنه، فلو كانت ثابتة فأين علي؟! وأين دفاعه عن بضعة الرسول صلى الله عليه وسلم؟!

٣- أهل الجاهلية كانت الغيرة عندهم تأبى مثل هذا، فما بالك والإسلام أمر بالدفاع عن المال، وجعل من قتل دون ماله شهيدًا؟! فكيف بالعرض؟! وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قُتل دون ماله فهو شهيد)[٤]، والدفاع عن الزوجة أعظم من ذلك، فكيف يتركها تُضرب ويكسر ضلعها ويسقط جنينها وهو ساكت؟!

٤- كتُب الشيعة أنفسِهم كذَّبت القصة، فقد استبعد حصول هذه القضية بعضُ مراجع

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٢٤ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص ٧٧ .
(٣) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص ٣٠١ .
(٤) أخرجه البخاري (٢٣٤٨)، ومسلم (١٤١)، وهو في الكافي (٥/ ٥٢، ٧/ ٢٩٦)، ومن لا يحضره الفقيه (٤/ ٩٦).)،

الشيعة المعاصرين وهو السيد محمد حسين فضل الله، وذلك من جهة النقل والعقل؛ حيث قال: (أنا من الأساس لم أقل: إنه لم يكسر ضلع الزهراء عليها السلام، وكُلُّ من ينسب إليَّ ذلك فهو كاذب، أنا استبعدتُ الموضوعَ استبعادًا، رسمتُ علامة استفهام على أساس التحليل التاريخيّ، قلت: أنا لا أتفاعل مع هذا؛ لأن محبة المسلمين للزهراء عليها السلام كانت أكثر من محبتهم لعليٍّ، وأكثر من محبتهم للحسن والحسين، وفوقها محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إنه من المستبعد أن يُقْدِمَ أحدٌ على فعل ذلك)[1].

٥- إنَّ مكانة الزهراء رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم تنافي مثل هذا القول، فلا يمكن أن يَسكتَ الصحابةُ لو حصلَ شيءٌ من ذلك، ولا سِيَّما مع عظم محبتهم لها ولأبيها صلى الله عليه وسلم، فتبيَّن أن هذه القصة من نسج الخيال، وأنها محض افتراء، دلَّ على بطلانها الشرع والعقل والواقع، ولكن ما هي إلا أداة لإثارة الشحناء والبغضاء بين المسلمين وبث الفرقة بينهم، وسَببٌ لإبعادهم عن طلب الحق وبغيته بإثارة العواطف فيما لا طائل من ورائه، والله المستعان[2]، وكل ما قيل أو روي تحت عنوان مظلومية الزهراء مختلق لا صحَّة له.[3] .

س١٠٤ :لماذا لم يبايع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا بعد وفاة فطمة رضي الله عنها؟.

ج١٠٤: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (علم بالتواتر أنه لم يتخلف عن بيعته يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلا سعد بن عبادة ، وأما علي وبنو هاشم فكلهم بايعه باتفاق الناس ، لم يمت أحد منهم إلا وهو مبايع له ، لكن قيل : علي تأخرت بيعته ستة أشهر ، وقيل : بل بايعه ثاني يوم ، وبكل حال ، فقد بايعوه من غير إكراه[4] .

---

(١) محمد حسين فضل الله ، الزهراء المعصومة أنموذج المرأة العالمية ص: ٥٥-٥٦.
(٢) عبدالله بن سليمان الشايع ، الصحابة والمنافقون في صدر الإسلام.. سمات وإشارات شبهات وردود (ص: ٣٨).
(٣) منتدى العلماء ، ميراث فاطمة رضي الله عنها اعداد هيئة التحرير بمركز سلف للبحوث الأربعاء ٢٣ ربيع الأول ١٤٤١هـ ٢٠-١١-٢٠١٩م
(٤) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٨ ، ص ٢٣٢ .

قال الحافظ ابن كثير معللا عدم استجابة الصديق رضي الله عنه لما طلبته فاطمة رضي الله عنها من الميراث حيث ظنت أن ما خلفه النبي صلى الله عليه وسلم يقسم بين الورثة قال: (فلم يجبها إلى ذلك لأنه رأى أن حقاً عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رضي الله عنه فحصل لها – وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة – عتب وتغضب ولم تكلم الصديق حتى ماتت واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم رأى علي أن يجدد البيعة مع أبي بكر رضي الله عنه مع ما تقدم من البيعة قبل دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم: حدثني أبي (أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس وقال: ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة ولا سألتها في سر ولا علانية فقبل المهاجرون مقالته وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو حي[1] قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، و وافقه الذهبي[2].

فبيعة علي رضي الله عنه للصديق بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها محمول على أنها بيعة ثانية أزالت ما كان قد وقع من وحشة بسبب الكلام في الميراث ومنعه إياهم ذلك بالنص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا نورث ما تركناه فهو صدقة)[3].

روى الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: (لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم! فأذنت له فدخل عليها يترضاها فقال: والله ما

---

(١) رواه الحاكم (٣/٧٠)، والبيهقي (٨/١٥٢) (١٦٣٦٤). ،

(٢) قال ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٥/٢٨١): إسناده جيد..

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٢٤٠ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧٥٩ .

تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضات الله ومرضات رسوله ومرضاتكم أهل البيت ثم ترضاها حتى رضيت[١] ،وقال: هذا مرسل حسن بإسناد صحيح، وقال ابن كثير في (البداية والنهاية) إسناده جيد قوي[٢]، والظاهر أن الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي، وقال ابن حجر في (فتح الباري) وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح)[٣]، [٤] .

س١٠٥: لماذا لم يبايع المسلمون علي بن أبي طالب بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .

ج١٠٥ : يقول الشيخ ابن باز :عن ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه:(هذا القول لا يعرف عن أحد من طوائف المسلمين سوى طائفة الشيعة، وهو قول باطل لا أصل له في الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما دلت الأدلة الكثيرة على أن الخليفة بعده هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على ذلك نصا صريحًا، ولم يوص به وصية قاطعة، ولكنه أمر بما يدل على ذلك، حيث أمره بأن يؤم الناس في مرضه، ولما ذكر له أمر الخلافة بعده قال عليه الصلاة والسلام: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر ولهذا بايعه الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومن جملتهم علي رضي الله عنه، وأجمعوا على أن أبا بكر أفضلهم.

وثبت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون: (في حياة النبي صلى الله عليه وسلم خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان) ويقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وتواترت الآثار عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وكان يقول رضي الله عنه :لا أوتى

---

(١) البيهقي ، سنن البيهقي ، ج٦ ، ص ٣٠١ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٢٥٢ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٦ ، ص ٢٠٢ .
(٤) علوي عبدالقادر السقاف ، الدرر السنية ، بيعة أبي بكر الصديق .

بأحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري، ولم يدع يوما لنفسه أنه أفضل الأمة، ولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة، ولم يقل أن الصحابة رضي الله عنهم ظلموه وأخذوا حقه، ولما توفيت فاطمة -رضي الله عنها- بايع الصديق بيعة ثانية تأكيدا للبيعة الأولى، وإظهارًا للناس أنه مع الجماعة وليس في نفسه شيء من بيعة أبي بكر رضي الله عنهم جميعا .)[١] .

إن فكرة استخلاف علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هي فكرة ابن سبأ والتي وأقاموا عليها دينا جديدا: فقد فكر هؤلاء في أنه لكي يقتنع الناس بشخصية أخرى غير الصديق رضي الله عنه، وعمر، وعثمان رضي الله عنهما لا بد أن يأتوا باسم تهفو له نفوس المسلمين بصفة عامة، ويشعرون بعاطفة كبيرة نحوه، ونفوس المسلمين قد تهفو إلى كل الصحابة، إلا أن علي رضي الله عنه يتميز عنهم بأمرين هامين جعلا المغرضين يختارونه لهذا الأمر..

١- لقرابته رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو ابن عمه ومن بني هاشم وأقرب إلى الرسول من أبي بكر وعمر وعثمان.

٢- أنه زوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو أحفاده الحسن والحسين رضي الله عنهما أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنها، وليس هذا لأحد غيره، نعم تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه ابنتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يكن له أولاد من السيدة رقية والسيدة أم كلثوم يحملون نسل الرسول صلى الله عليه وسلم.[٢] .

٣- لا شك أن الصحابي الجليل على بن أبي طالب رضي الله عنه كان من أعقل الناس وأحزمهم ، وقد اشتهر بالشجاعة والإقدام، وهو أول من أسلم من الصبيان ، ثم لازم النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ، وعند خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله .
(٢) موقع طريق الاسلام ، شبهات حول الإسلام في ١٩ / ٤ / ٢٠١٧ م .

بصحبة أبي بكر رضي الله عنه خلَفه فنام على فراشه ، ومن مناقبه رضي الله عنه ما ثبت عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر : (لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه ، فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى ، فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : أين علي ؟ فقيل يشتكي عينيه ، فأمر فدعي له ، فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء)[1] .

وكما أن لعلي رضي الله عنه فضائل ومناقب ، فلغيره من الصحابة رضوان الله عليهم فضائل أخرى ومناقب ، **فمن مناقب أبي بكر رضي الله عنه :**

١- ما ثبت عن أبي سعيد الخدري قال : (خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ ، إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ، قال : يا أبا بكر ، لا تبك ، إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر)[2] .

٢- ومن مناقبه صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، كما قال تعالى(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠))[3] .

٣- ما ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، قال : (فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك ؟ قال عائشة ،

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٩٤٢ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٣٤٠٦
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٦٦ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٣٨٢ .
(٣) سورة التوبة .

فقلت من الرجال فقال : أبوها ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب ، فعد رجالا)[1] .

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه في آخر حياته للصلاة بالناس في مرض موته ، وشدد على من اعترض عليه وقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس)[1] .

٥- ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال : (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)[2].

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فله مناقب وفضائل ثابتة أيضا ، فمن ذلك :

١- ما ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك ، وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين)[3] .

٢- ومن ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب ، قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم)[4] .

٣- ومنه ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)[5] .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٨٣ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤١٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٧٥ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٨٢
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٣٩٨ .

إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على فضائل الصحابة رضوان الله عليهم ومناقبهم ، إلا أن تفضيل بعضهم على بعض وارد عقلا وثابت شرعا ، وليس ذلك بالتشهي أو الهوى ، وإنما مرد ذلك إلى الشرع ، كما قال تعالى:(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨))[1].

ولنرجع إلى الأدلة الشرعية التي تبين مراتب الصحابة رضوان الله عليهم ومنازلهم ، فقد :

١- ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم)[2].

٢- وفي رواية قال : (كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم)[3].

فهذه شهادة الصحابة كلهم ينقلها عبد الله بن عمر على تفضيل أبي بكر رضي الله عنه على سائر الصحابة ، ثم تفضيل عمر رضي الله عنه بعده ، ثم عثمان .

ولندع المجال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه ليدلي بشهادته ، فعن محمد بن الحنفية – وهو ابن علي بن أبي طالب – قال : (قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر ، قلت ثم من ؟ قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول عثمان ، قلت ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين)[4] .

وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري " ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر روى ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجها ورواه البخاري وغيره ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر

---

(١) سورة القصص .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٥٥ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٦٩٧ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٦٧١ .

وعمر كما ذكر ذلك غير واحد[1] .

وعن أبي جحيفة : (أن عليا رضي الله عنه صعد المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، والثاني عمر رضي الله عنه ، وقال يجعل الله تعالى الخير حيث أحب)[2].

فهذه أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة رضي الله عنهم كلها شاهدة على عقيدة أهل السنة والجماعة والتي لا خلاف بينهم عليها ، أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عن الصحابة أجمعين .

أما كون أبي بكر وعمر يسألان عليا دائما ولا يعرفان ، فلم يثبت هذا في أثر مطلقا ، بل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن يصلي أبو بكر رضي الله عنه بالناس في مرض موته ، ولا يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم إلا عالما بأحكام الصلاة ، وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ولى أبا بكر رضي الله عنه على الحج قبل حجة الوداع ، ولا يولي النبي صلى الله عليه وسلم رجلا على هذا المقام إلا وهو أعلمهم به ، بل ثبت أن عليا تعلم بعض الأحاديث من أبي بكر رضي الله عنهما عن بعض المسائل :

١- عن أسماء بن الحكم الفزاري قال : سمعت عليا يقول : إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني به ، وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقته ، وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ، ثم قرأ هذه الآية (أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦))[3] .

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج١ ، ص ٣٠٨ .
(٢) الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث ٨٣٩ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط : " إسناده قوي .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٤٠٦ .

٢- وروى الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ)[1] .

٣- وقد سبق قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر : (قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم)

فالحاصل أن اعتقاد أهل السنة والجماعة ، والذي أجمعوا عليه ، أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهم أجمعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (لم يقل أحد من علماء المسلمين المعتبرين : إن عليا أعلم وأفقه من أبي بكر وعمر بل ولا من أبي بكر وحده ، ومدعي الإجماع على ذلك من أجهل الناس وأكذبهم ، بل ذكر غير واحد من العلماء إجماع العلماء على أن أبا بكر الصديق أعلم من علي ، منهم الإمام منصور بن عبد الجبار السمعاني المروذي ، أحد أئمة السنة من أصحاب الشافعي ذكر في كتابه : (تقويم الأدلة على الإمام) إجماع علماء السنة على أن أبا بكر أعلم من علي ، وما علمت أحدا من الأئمة المشهورين ينازع في ذلك ، وكيف وأبو بكر الصديق كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم يفتي ويأمر وينهي ويقضي ويخطب كما كان يفعل ذلك إذا خرج هو وأبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ولما هاجرا جميعا ويوم حنين وغير ذلك من المشاهد والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت يقره على ذلك ويرضى بما يقول ولم تكن هذه المرتبة لغيره) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مشاورته لأهل العلم والفقه والرأي من أصحابه : يقدم في الشورى أبا بكر وعمر فهما اللذان يتقدمان في الكلام والعلم بحضرة الرسول عليه السلام على سائر أصحابه ، مثل قصة مشاورته في أسرى بدر ، فأول من تكلم في ذلك أبو بكر وعمر ، وكذلك غير ذلك ، وفي صحيح مسلم أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا معه في سفر فقال : (إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا) ، وقد ثبت عن ابن عباس

---

(١) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢٩٠٨

أنه كان يفتي من كتاب الله ، فإن لم يجد فبما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يجد أفتى بقول أبي بكر وعمر ، ولم يكن يفعل ذلك بعثمان وعلي ، وابن عباس حبر الأمة وأعلم الصحابة وأفقههم في زمانه ، وهو يفتي بقول أبي بكر وعمر مقدما لقولهما على قول غيرهما من الصحابة . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)[1] ، [2] .

س١٠٦: لماذا تأخر علي بن أبي طالب عن مبايعة ابي بكر الصديق ؟

ج١٠٦ : تفق الروايات التاريخية على أن علي بن أبي طالب لم يحضر مجلس السقيفة الذي دار الحوار فيه بين المهاجرين والأنصار حول من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسيير شئون الأمة ° وذلك لأن علياً كان مشغولا بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر من بني هاشم . ومعهم الزبير بن العوام . إلى مثواه .

لكن عليا والزبير رضي الله عنهما عندما علما بأمر البيعة لأبي بكر بعد اتفاق المهاجرين والأنصار على ذلك بادروا إلى الذهاب أبي بكر والبيعة له ، كما تذكر الروايات الصحيحة ، وعاتب علي بن أبي طالب أبا بكر عتابا رقيقا ° لأنه لم يستدع إلى مجلس السقيفة ° ليشارك في الحوار الذي دار بين كبار الصحابة ، ولم يحضر البيعة الأولى أو البيعة الخاصة التي تمت في السقيفة .

وشارك فيها كل من حضر هذه البيعة من كبار الصحابة وغيرهم ، فقال لأبي بكر : قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بالصلاة ، وأنك ثاني اثنين في الغار ، وكان لنا حق ولم نستشر ، والله يغفر لك)[3] .

وتذكر رواية موسى بن عقبة الذي ترجح روايته رواية غيره من مؤرخي السيرة : (أن عليا والزبير بايعا أبا بكر قبل أن يفرغا من غسل رسول الله ، وأنهما خرجا إلى المسجد

(١) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٤ ، ص ٣٩٨ ، وانظر انظر الفصل في الملل والنحل ٤ / ٢١٢ ، بل ضللت ص ٢٥٢ ، الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ص ١٢٠ .
(٢) (الاسلام سؤال وجواب .. ٢٢-١٠-٢٠٠٢.
(٣) البلاذرى ، أنساب الأشراف، ج ٢، ص ٢٦٣

والمسلمون يبايعون أبا بكر ، فبايعا له بعد عتاب لترك مشورتهما)[1] .

وقد سئل الصحابي الجليل سعيد بن زيد وهو أحد المبشرين بالجنة هل خالف أحد على أبي بكر ؟ فقال : لا ، إلا مرتد أو من كان يريد أن يرتد ، ثم سئل مرة أخرى: هل قعد عن بيعة أبي بكر أحد من المهاجرين ؟ فقال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غبر أن يدعوهم[2] .

وقد توهم بعض من كتبوا عن موقف على بن أبي طالب من البيعة لأبي بكر من القدامى والمحدثين أن هناك تناقضا بين هذه الروايات التاريخية وبين ما ذكره البخاري في صحيحه ، وما ذكره مسلم أيضا مسندا إلى عروة بن الزبير عن عائشة أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك (وهي الأرض التي غنمها الرسول من اليهود ° وجعلها الله للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، حسبما بينت الآية الواردة في سورة الحشر ، فقال لها أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المالوإني والله لا أغير شيئاً من صنعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملن فيها بما عمل رسول الله ..

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته ، فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها ، وكان لعلى من الناس وجه في حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية لمحضر عمر .

---

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٦٥ ، الحاكم ، المستدرك ، ج٣ ، ص ٦٦ .
(٢) الطبري ، تاريخ الطبري ، ج٣ ، ص ٢٠٧ .

ودخل عليهم أبو بكر فتشهد علي فقال : (إنا عرفنا فضلك ، وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا في الأمر ، وكنا نرى لقرابتنا عن رسول الله نصيبا ، حتى فاضت عينا أبي بكر ، فقال أبو بكر : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي ، وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال ، فلم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه إلا صنعته .

فقال على لأبي بكر : موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر رقى إلى المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة ، وعذره الذي اعتذر به ، ثم استغفر ، وتشهد علي فعظم حق أبي بكر ، وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسته على أبي بكر ، ولا إنكار للذي فضله الله به ، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا فاستبد علينا ، فوجدنا في أنفسنا ، فسر بذلك المسلمون ، وقالوا : أحسنت)[1].

وهؤلاء الذين رءوا أن هناك تناقضا بين رواية البخاري والروايات التاريخية الصحيحة تعجلوا في فهم حديث البخاري ، وخلطوا بين موقفين مختلفين لعلى بن أبي طالب .

الموقف الأول الذي بايع فيه لأبي بكر وعاتبه على أنه لم يستدع لحضور البيعة الأولى .

الموقف الثاني الذي اتخذه علي بعد أن بايع لأبي بكر تعاطفا منه مع زوجه فاطمة ، واقتناعا بحقها وحق بني هاشم في حيازة أرض الفيء ، وإدارتها كما كان يديرها رسول الله ، ويوزع غلتها على بني هاشم ، ثم على الفقراء ..

وهذا ما طالبت به فاطمة ومعها زوجها ، ومعها غيرهما من بني هاشم ، ولم تكن فاطمة ولا زوجها تطلب حيازة هذه الأرض على أنها ميراث رسول الله ، فهي لا تستطيع أن تخالف حديثا صح عن رسول الله ، حتى ولو لم تكن قد سمعته أو حفظته من قبل ، وإنما كان هدفها أن تبقى هذه الأراضي تحت يدها وأيدي بني هاشم لينفقوا من غلتها على أنفسهم ، ثم على الفقراء من المسلمين وأبناء السبيل حسبما ورد من كتاب الله ، ولعل فاطمة ومعها آخرون من

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٧٧ — ٧٨ .

بني هاشم كانوا يخشون أن تضيع حقوقهم في هذه الأراضي عندما يتولى الأمر وال يجحد هذا الحق .

وأرى أن السبب الذي منع أبا بكر من الاستجابة لهذه الرغبة الخشية من أن يأتي جيل من الأبناء والأحفاد يعد هذه الأرض ملكا موروثا ، فيستأثرون بغلتها دون أصحاب الحق فيها من الفقراء وأبناء السبيل ، فجوهر الخلاف بين أبي بكر وفاطمة لم يكن بسبب رغبة فاطمة في توريث هذه الأرض ، ولكن كان بسبب رغبتها في حيازتها وإدارتها ، وتوزيع غلتها كما كان يوزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا الخلاف المحدود لم يحدث في اليوم الأول من انتقال رسول الله إلى الرفيق الأعلى ، ولا في الأيام الأولى من خلافة أبي بكر ، وإنما حدث بعد أن تمت البيعة الخاصة والعامة لأبي بكر ، وتلك البيعة التي شارك فيها كل الصحابة ، وكل المهاجرين ، ومنهم على بن أبي طالب ، ورواية البخاري لم تذكر أن عليا امتنع عن البيعة لأبي بكر مع من بايع من الصحابة ، وإنما ذكرت ما كان من الخلاف حول أرض الفيء بين فاطمة وأبي بكر ، وأن هذا الخلاف ظل قائما لستة أشهر بعد وفاة رسول الله ، ثم ذكرت أن عليا لم يكن يبايع تلك الأشهر ، وصيغة الفعل المضارع تفيد التجدد والحدوث ، كما يقول علماء البلاغة .

أي أن عليا لم يكن يجدد البيعة لأبي بكر ، بالمشاركة في قراراته والمؤازرة له في أعماله ، ولا تعني كلمة يبايع بالضرورة البيعة المعهودة بالخلافة ، وهي هنا تفيد معنى آخر في قاموس العصر ، ودلالته اللفظية ، وهو المسامحة وإظهار الود والتأييد .

وقد أخرج البخاري في صحيحه حديث من تخلفوا في غزوة تبوك من الصحابة ، وأخذوا يعتذرون للنبي ويحلفون له ، فقبل منهم وبايعهم واستغفر لهم[1].

وقد وردت الكلمة في وراية مسلم بصيغة الماضي ولم يكن بايع تلك الأشهر ولكن رواية البخاري أرجح عند المحدثين.

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٦ .

ومن يمعن النظر في ورواية البخاري ومسلم يجد أن العتاب الذي جرى بين أبي بكر وعلي لم يكن بسبب الخلافة والبيعة ، وإنما كان حول حق بنى هاشم في إدارة أرض الفيء التي هي حق لرسول الله ولقرابته من بني هاشم ، ثم للفقراء من المسلمين ..

يقول علي : كنا نرى لقرابتنا من رسول الله نصيبا ، وقال له أبو بكر : والله لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي .. وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فلم آل فيها إلا الخير.

والجفوة التي حدثت بين أبي بكر وعلي لم تكن بسبب أن عليا يرى أن له حقا في الخلافة كما قيل ، فالخلافة ليست أنصبة حتى يكون لعلى نصيب فيها ، وقد ثبت أنه بايع مبكرا كما بايع سائر الصحابة ، وإنما كان الخلاف حول إدارة أرض الفيء ، وكانت فاطمة وعلي والعباس يرون أن تكون هذه الأراضي تحت إشراف رجل من بني هاشم يديرها ، ويقسم غلتها بين أصحاب الحق فيها ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ، لكن أبا بكر رأى في هذا تغيرا لسنة رسول الله التي سار عليها ، وربما خشي أن يعد بعض بني هاشم هذه الأراضي ميراثا ° فيستأثروا بغلتها ، ويسقطوا حق الفقراء فيها.

وظل هذا المطلب الهاشمي قائما حتى خلافة عمر فذهب إليه علي والعباس يطليان منه أن يدفع إليهما أرض الفيء ، وقد استجاب أمير المؤمنين عمر لطلبهما بشكل محدد ، فدفع إليهما أرض الفيء بالمدينة ، واستبقى أرض فدك وخيبر ، وقال : هما صدقة رسول الله لحقوقه ونوائبه (يقصد ما كان النبي يقدمه لمن يفد إليه بالمدينة ، وما يحتاجه من نفقة تلزمه بصفته مسئولا عن الدول الإسلامية) وشرط عمر عليهما أن يعملا في أرض الفيء بالمدينة بما كان يعمل رسول الله ـ أي يقسمان غلتها بين بني هاشم[1] .

بعد فترة من هذا التصرف الذي أرضى به عمر عليا والعباس ، وحافظ فيه أيضا على الحقوق العامة للمسلمين بتسليمها جزءا من أرض الفيء ، وترك الجزء الأكبر للحقوق العامة

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٨٢ .

حضر إليه علي والعباس يشكوان إليه ما حدث بينهما من نزاع حول تقسيم غلة هذه الأرض ، استنكر عمر عليهما ذلك الصنع ، وقال : جئتماني لأقضي بينكما ؟ لا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك ، حتى تقوم الساعة ، فإن عجزتما عنها فرداها إلي[1] .

س١٠٧: لماذا عزل عمر خالد بن الوليد عن قيادة الجيوش في العراق والشام؟

ج١٠٧ : تباين روايات المصادر حول سبب عزل عمر بن الخطاب خالدًا بن الوليد عن إمارة جيوش المسلمين في بلاد الشام، ويمكن إجمال دوافع العزل كما جاءت في المصادر في ما يلي

١- ضغينة قديمة من جانب عمر تجاه خالد فإلى جانب ما تقدمه المصادر من قضية مالك بن نويرة، تبرز تأويلات خالد في أيام خلافة أبي بكر التي عدها عمر أخطاء، بالإضافة إلى كلام صدر عن خالد بحق عمر، أنه ألحق أذى جسديًا بعمر أيام صباه، وأنه أبقى عليه عن إرادة، وقصد في معركة أحد، وربما كان هذا يمثل الخلفية المتعلقة بمطلب عمر بأن يكذب خالد نفسه ، فقد روى الطبري عن ابن إسحاق لما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله، فقال: لا يلي لي عملًا أبدًا، وكتب عمر إلى أبي عبيدة يقول: إن خالد أكذب نفسه، فهو أمير على ما هو عليه، وإن هو لم يكذب نفسه، فأنت الأمير على ما هو عليه.

٢- قلق عمر من تعلق الناس بشخص خالد: ويظهر هذا الدافع في روايات متعددة، "لما ولي عمر قال: لأعزلن خالدًا حتى يعلم أن الله ينصر دينه وقال: "إني لم أعزله والمثنى عن ريبة، ولكن الناس عظموهما، فخشيت أن يوكلوا إليهما"، وفي رواية: "إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا نصرهما، وأن القوة لله جميعًا"

٣- العناد والتصرف بالمال، وغنائم الحرب: اعتذر عمر إلى الناس بالجابية عن عزل خالد، فقال: (ما كرهت ولاية خالد على المسلمين إلا؛ لأن خالدًا فيه تبذير المال، ويعطي

---

(١) محمد بن موسى ، موقع مداد ، بيعة علي بن أبي طالب لأبي بكر بالخلافة وفضل علي تاريخ النشر: ٢٧ شوال ١٤٢٨ (٢٠٠٧-١١-٠٨)

الشاعر إذا مدحه، ويعطي للمجد والفارس بين يديه فوق ما يستحقه من حقه، ولا يبقي لفقراء المسلمين، ولا لضعفائهم شيئًا، وإني أريد عزله وولاية أبي عبيد مكانة

ولا يمكن الركون إلى أي من هذه الدوافع المذكورة، وبخاصة إذا علمنا بأن عمر ترحم على خالد بعد وفاته، وأثنى عليه بكلمات تدل على الاعتذار، فقال: (رحم الله أبا سليمان، لقد كنا نظن به أمورًا ما كانت"، وقال أيضًا: "رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه، ولقد مات سعيدًا، وعاش حميدًا، ولكن رأيت الدهر ليس بقائل)[1].

يبقى أن مسألة العزل قد تكون لها دوافعها الخاصة المتعلقة بـ:

أ- مصلحة الأمة: فعزل قائد أو والٍ أمرًا طبيعيًا آنذاك، ولم يكن تعيين أبي عبيدة إساءة إلى خالد بمقدار ما كان محاولة من الخليفة للتأثير بنفسه على مجريات الأمور.

ب- تغير الظروف السياسية من واقع تغيير الحكام.

٤- تغير الظروف العسكرية نتيجة توغل المسلمين في بلاد الشام

٥- ميل خالد للمخاطرة .

٦- الخوف من فتنة الناس بخالد .

٧- شدة خالد بن الوليد .

٨- الثقة الكاملة في أبي عبيدة بن الجراح .

٩- لإشاعة أن خالد وزع الغنائم دون علم عمر .

س١٠٨: لماذا سمي عصر الخلفاء الراشدين بهذا الاسم ؟.

ج ١٠٨ : سُمي الخلفاء الراشدون بهذا الاسم لأنَّهم خلفوا الرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم في قيادة الأمة الإسلاميّة، وهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، وقد مكثت مدة خلافتهم ٢٩ سنة، و٦ أشهر، و٥ أيام، وتتحدد الخلافة منذ وفاة النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم في الثاني عشر

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٧ ، ص١١٧ – ١١٨.

(٢) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والانجازات السياسية ص ٣٥ - ٣٨

من شهر ربيع الأول عام ١١هـ، وحتى مقتل علي بن أبي طالب في السابع عشر من شهر رمضان عام ٤٠هـ، ثم أُضيف لها مدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه، وبذلك يكون الحكم ٣٠ عاماً، والدليل على ذلك قول النبي المصطفى صلّى الله عليه وسلّم: (خلافةُ النبوةِ ثلاثون سنةً، ثم يُؤتي اللهُ الملكَ من يشاءُ – أو ملكَهُ من يشاءُ)[1] ولذلك ل:

١- مسيرهم وفق خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- لهم مكانة عظيمة في الجاهلية والاسلام .

٣- زهدهم في الدنيا قبل وبعد توليهم الخلافة

س١٠٩: لماذا لقب عمر بن عبدالعزيز بخامس الخلفاء الراشدين وهل هناك من هو أحق منه به اللقب؟.

ج ١٠٩ : تعلمنا في مدارسنا أن الخليفة الأموي (عمر بن عبد العزيز) رحمه اللَّه هو خامس الخلفاء الراشدين، وأعلم أيضًا أن هذا الأمر أصبح بالنسبة لنا مُسلمة من المسلمات وإطلاق لقب خامس الخلفاء الراشدين على عمر بن عبد العزيز رحمه اللَّه ما هو إلَّا مجرد حقٍ يراد به باطل:

١- أن أفضل ملوك بني أمية هو صاحب رسول اللَّه وكاتب وحي السماء معاوية بن أبي سفيان رضي اللَّه عنهما، وقد ذكرت فيما سبق قول الإمام المجاهد الشيخ عبد اللَّه بن المبارك حين سُئل أيهما أفضل: معاوية بن أبي سفيان، أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: واللَّه إن الغبار الذي دخل في أنف معاوية مع رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم أفضل من عمر بألف مرة، صلى معاوية خلف رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: سمع اللَّه لمن حمده، فقال معاوية: ربنا ولك الحمد فما بعد هذا؟)[2].

٢- أن عمر بن العزيز ليس إلا خليفة من خلفاء دولة بني أمية العظيمة التي نشرت الإسلام في ربوع الأرض وأحيت فيها سنة محمد –صلى اللَّه عليه وسلم–،

---

(١) الألباني صحيح أبي داوود ، عن سفينة أبو عبدالرحمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٤٦٤٧ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرون - الجزء السادس ، ج٦ ، ص ٨

الأساطير الوهمية التي أشاعها هؤلاء المزيفون من أن عمر بن عبد العزيز قد منع سبَّ علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه على منابر المساجد بعد أن أشاع الخلفاء الأمويون ذلك في ربوع أرض الإسلام، وهذا واللَّه إفكٍ وظلم لهذه الدولة الشريفة التي لها أيادٍ بيضاء على المسلمين في كل العصور، بل إن هذا طعن في جيل الصحابة والتابعين الذين يُفترض أنهم كانوا يسمعون سبَّ أحد العشرة المبشرين بالجنة في مساجدهم دون أن يحركوا لذلك ساكنًا.

٣- أن إطلاق لقب "خامس الخلفاء الراشدين" على عمر بن عبد العزيز رحمه اللَّه فيه معصية كبيرة لرسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وسلم-، فلقد قال النبي -صلى اللَّه عليه وسلم: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة» ولقد كان آخر تلك الثلاثين السنة يوم أن تنازل الحسن بن علي رضي اللَّه عنهما عن الخلافة بعد ستة شهور كان فيها خليفة المسلمين.

فأمير المؤمنين الحسن بن علي كان هو خامس الخلفاء الراشدين بشهادة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وإذا ما أردنا إطلاق لقب سادس الخلفاء الراشدين على أحدٍ من بني أمية فالأولى بذلك هو معاوية وليس عمر بن عبد العزيز رغم فضله رحمه الله تعالى[١]

س ١١٠ :لماذا يعظم الشيعة الحسين ولا يعظمون مثله الحسن بل يتجاهلونه ؟

ج ١١٠ :إن أسباب تجاهل الشيعة الحسن المشمول بحديث الكساء (الذي لا يحفظ الشيعة)! وتجاهل ذريته من بعده هي :

١- زوجة الحسين الفارسية: بما أن دين الشيعة هو دين فارسي بامتياز فقد حدّد علماء الشيعة بقية الأئمة الاثني عشر من نسل الحسين دون نسل أخيه، بل حددوا نسل الحسين أيضًا من زوجته الفارسية دون زوجاته العربيات، وبالمناسبة فإن زوجة الحسين الفارسية هي (شاه زنان) بنت كسرى (يزدجرد) التي سباها المسلمون في معركة

(١) جهاد الأرياني ، مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ م، المكتبة الشاملة ج١ ، ، ص ٢٠٦ .

الخالدة، وبذلك يكون الأئمة من بعد الحسين فقط من نسل بنت ملك المجوس (يزدجرد) الذي يعتقد المجوس بأن له دماءً مقدسة، و من ألقاب الإمام المهدي (خسرو مجوس) (باللغة الفارسية والذي ترجمته) مخلّص المجوس (أو) منقذ المجوس) وها هو شيخهم حسين الطبرسي في كتابة (النجم الثاقب) يقر بذلك [١] ، فهل يعقل ان يأتي من نسل النبي صلى الله عليه وسلم نبي الاسلام من يقال له مخلص المجوس، وقد أورد كبير علماء الشيعة (المجلسي) في كتابه "بحار الأنوار :(أن (يزدجرد بن شهريار) وقف أمام إيوانه بعد أن بلغه هزيمة الفرس في "القادسية" وقال مودعًا إيوانه: "السلام عليك أيها الإيوان! ها أنا منصرف عنك وراجع إليك أنا أو رجل من ولدي لم يدن زمانه ولا آن أوانه)[٢]. ولا يخفي الشيعة أن أول شيءٍ سيفعله (المهدي) عند خروجه من السرداب وهو قتل جميع العرب ثم نبش قبر قاهر المجوس (عمر بن الخطاب) ونبش قبر زوجة رسول اللّه (عائشة) رضي اللّه عنها، وقد جاء في كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعمان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين العرب وقريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف)[٣].

٢- الحسن كان رجل السلام: وهذا ما يرفضه مشعلو الفتن من أحفاد الشيطان (ابن سبأ) الذين يرودون لنار الفتنة أن تظل مشتعلة لكي يبرروا قتل المسلمين بدعوى الثأر للحسين ضي اللّه عنه (الذي كانوا هم من قتلوه!)[٣]، وزاد من سعي الحسن للسلام ما رآه من خيانة الشيعة له وتمردهم عليه بعد أن استشهد أبوه بين ظهرانيهم، فلم يكن الحسن يؤمن بجدوى حرب معاوية وخصوصًا أن شيعته خذلوا أباه من قبل، وفي نفس الوقت لم يكن معاوية يريد لشلال الدم أن يستمر، فبعث برسالة سرية إلى

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ، ج ٥٣ ص ١٦٣ ــ ١٦٤
(٢) الطبرسي ، النجم الثاقب ، ص ١٨٥ .
(٣) محمد بن إبراهيم النعمان ، الغيبة ، ص ٢٣٤ .

الحسن يطلب منه الصلح حرصًا على دماء المسلمين، فوافق ذلك ما كان في نفس الحسن، ولكنه رضي اللَّه عنه لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليم الأمر له حقنًا لدماء المسلمين؛ لأنه يعرف خيانة أهل العراق وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وعلى سلامة ما اتجه إليه، عندها عاد الشيعة من أهل العراق إلى طبيعتهم في الخيانة، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا كل متاعه، حتى أنه أولئك الخونة نازعوه بساطًا كان تحته! وطعنوه وجرحوه، وفي نفس الوقت فكر أحد شيعة العراق وهو المختار بن أبي عبيد في أمر خطير وهو أن يُوثق الحسن بن علي بالجنازير ويحتجزه رهينة ويسلمه طمعًا في بعض المال (المضحك في الأمر أن هذا الرجل هو نفسه المختار بين أبي عبيد الذي خرج على الدولة الأموية الراشدة وجعل يطالب بدم الحسين!!!)، عندها أدرك الحسن رضي اللَّه عنه أنه بين مجموعة قذرة من الخونة والمجرمين من شيعة العراق! ويذكر إمام الشيعة (الطبرسي) في كتابه "الاحتجاج" بأن الحسن قال حينها: "أرى معاوية خيرًا لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة؟ ابتغوا قتلي!! وأخذوا مالي! واللَّه لأن آخذ من معاوية ما أحقن به دمي في أهلي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني؛ فيضيع أهل بيتي وأهلي، واللَّه لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سِلما. ...يا أهل الكوفة....لو لم تذهل نفسي عليكم إلا لثلاث لذهلت: لقتلكم أبي....وطعنكم في فخذي....وانتهابكم ثقلي" عند إذٍ......أدرك الحسن بن علي أنه بين مجموعة قذرة من الخونة والمجرمين، فأسرع إلى معاوية يعقد معه الصلح ليحقن بذلك أرواح المسلمين، وليتنازل هذا البطل ابن البطل عن إمبراطورية ممتدة من الصين شرقًا إلى المغرب غربًا، ومن أذربيجان شمالًا إلى أدغال أفريقيا جنوبا، ليستحق بذلك أن يكتب اسمه بماء العيون في سجل العظماء المائة في أمة الإسلام، وليتفرغ. معاوية بن أبي سفيان لنشر دين اللَّه في مشارق الأرض ومغاربها بعد أن عطل أتباع

ابن سبأ الفتوحات الإسلامية مدة خمسة أعوام[1] .

وبناء على ذلك نلخص هذا الأمر في النقاط التالية :

١- تولّى "الحسن بن علي" الخلافة سنة ٤٠ هـ ، ولمدة ٦ شهور فقط، وقيل ٨ شهور.. وأعاد المسلمين إلى فترة النبوة الأولى لـ جده ، محمد صلى الله عليه وسلم.

٢- في الحديث النبوي الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون مُلكًا عضوضًا)[2] ولهذا قال معاوية رضي الله عنه بعد انقضاء الثلاثين سنة: (أنا أول الملوك)[3].

٣- قال القاضي عياض: (لم يكن في ثلاثين سنة إلا الخلفاء الراشدون الأربعة والأشهر التي بُويع فيها الحسن بن علي[4]... والمراد من حديث (الخلافة ثلاثون سنة) خلافة النبوة وقد جاء مفسّرًا في بعض الروايات (خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (والدليل على أن الحسن بن علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، الحديث الذي أوردناه في (دلائل النبوة) من طريق سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون مُلكاً عضوضا"... وإنما اكتملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي)[5].

٤- تفصيل المدد الزمنية للخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم أجمعين):

أ- أبو بكر الصديق: ١٢ / ٣/ ١١هـ، حتى ٢٢/٥ / ١٣ هـ= سنتان و٣ شهور

ب- عمر بن الخطاب: ٢٣ / ٥ / ١٣ هـ، حتى ٢٦/ ٢٣/١٢ هـ= ١٠ سنوات و٦ شهور .

ت- عثمان بن عفان: ٣ / ١ / ٢٤ هـ، حتى ٢٤ /٣٥/١٢ هـ= ١٢ سنة.

---

(١) موقع طريق الإسلام ، في ١٠/ ١٢ / ٢٠١٩م.
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة رقم الحديث ٤٥٩ .
(٣) أبو زيد القيرواني ، الرسالة ، ج١ ، ص ٦٩ .
(٤) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم)ج١٢ ، ص ٢٠١
(٥) بن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص ٨٣٨ .

ث- علي بن أبي طالب: ٢٥ / ١٢ /٣٥ هـ، حتى ٢٥ / ٣ / ٤٠ هـ= ٤ سنوات و٩ شهور.

ج- الحسن بن علي: ٢٥ /٣ /٤١ هـ، حتى ١٨ / ٩/ ٤١ هـ= ٦ شهور.

فيكون المجموع بخلافة الحسن ثلاثون سنة كاملة مصداقا لقول الصادق المصدوق النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم).

٥- وُلدَ في ١٥ رمضان ٣ هـ ، وتُوُفِيَ في ٧ صفر ٥٠ هـ، وهو أول حفيد للنبي صلى الله عليه وسلم، وخامس الخلفاء الراشدين، أطلق عليه النبي، لقب سيد شباب أهل الجنة فقال: (الحسَنَ والحُسَيْنَ سيِّدا شبابِ أَهْلِ الجنَّةِ)[١]، رواه الترمذي

٦- روى الإمام أحمد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي)[٢] يَعْنِي حَسَنًا وَحُسَيْنًا...

٧- بُويع بالخلافة في أواخر سنة ٤٠ هـ ، بعد وفاة والده، علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة، ودعاه الناس بـ (أمير المؤمنين) كما بُويع مُعاوية بن أبي سفيان، من جديد في بيت المقدس، ودعاه أهل الشام بأمير المؤمنين[٣].

٨- كان الحسن لا يُريد القتال وينفر من الحرب، فكتب إلى مُعاوية يُسالمه ويُراسله في الصلح، واصطلح معه على أن يتولّى مُعاوية الخِلافة ما كان حيًا، فإذا مات فالأمر للحسن.

٩- تنازل الحسن عن الخِلافة لـ مُعاوية في شهر ربيع الأوَّل من عام ٤١ هـ الموافق لعام ٦٦١م، وقد سُمّي هذا العام بعام الجماعة لإجماع المسلمين فيه على خليفةٍ واحد.

١٠- توُفِيَ ''الحسن بن علي رضي الله عنه سنة ٤٩ هـ، مسمومًا، ودُفنَ بالبقيع، اختُلفَ فيمن دسّ إليه السم؟ فقيل: زوجته (جعدة بنت الأشعث)، بإيعاز من يزيد بن

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٦٧٨ ، وقال عنه أنه حديث صحيح .
(٢) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج١٦ ، ص ٢٦٠ .
(٣) موقع الامة ٢٨-١١-٢٠١٩ يسري الخطيب

معاوية، وقيل: بإيعاز من معاوية بن أبي سفيان نفسه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا ابن عون عن عمير بن إسحاق قال : دخلت أنا وصاحب لي على الحسن بن علي فقال: لقد لفظت طائفة من كبدي وإني قد سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذا ، فأتاه الحسين بن علي فسأله من سقاك ؟ فأبى أن يخبره رحمه الله تعالى[١] ، قال ابن عبد البر: قال قتادة وأبو بكر بن حفص: سم الحسنَ زوجته بنت الأشعث بن قيس ، وقالت طائفة: كان ذلك بتدسيس معاوية إليها ، وبذل لها على ذلك ، وكان لها ضرائر، قلت : هذا شيء لا يصح ؛ فمن الذي اطلع عليه ؟ [٢] ، وقال ابن خلدون رحمه الله :(وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث ، فهو من أحاديث الشيعة ، حاشا لمعاوية من ذلك)[٣] ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وأما قوله: إن معاوية سم الحسن " فهذا مما ذكره بعض الناس ، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية ، أو إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به ، وهذا مما لا يمكن العلم به ، فالقول به قول بلا علم ، وقد رأينا في زماننا من يقال عنه : إنه سم ، ومات مسموما ، من الملوك وغيرهم ، ويختلف الناس في ذلك ، حتى في نفس الموضع الذي مات فيه ذلك الملك ، والقلعة التي مات فيها، فتجد كلا منهم يحدث بالشيء بخلاف ما يحدث به الآخر، ويقول: هذا سمه فلان ، وهذا يقول: بل سمه غيره لأنه جرى كذا، وهي واقعة في زمانك ، والذين كانوا في قلعته هم الذين يحدثونك)[٤].

س١١١: لماذا قاتل الصديق مانعي الزكاة مع أنهم كانوا يوحدون الله ؟.

ج١١١: يقول المستشرقون كلام المستشرقين في دعواهم : أن العرب قد ارتدوا جميعاً لم يثبت ؛ وبما أن هذه الردة الجماعية التي زعموها قد بطلت ، بقي أن نقول :

---

(١) ابن حجر ، الإصابة ، ج٢ ، ص ٧٣ .
(٢) ابن عبد البر ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٤٠ .
(٣) ابن خلدون ، لعبر وديوان المبتدأ والخبر" ج٢ ، ص١٨٧.
(٤) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٤ ، ص٤٦٩ .

١- أن حجتهم الأخرى و هي : (إما إن إسلامهم سطحي لأنهم جديدون به ، بل مكرهون عليه) .

٢- أو (أنهم لم ينضموا للإسلام بالأصل فالحرب كانت لإجبارهم على الزكاة و بالتالي فلا دليل على أنهم قد دخلوا للإسلام).

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : (لما توفي رسول الله وكان أبو بكر رضي الله عنه، كفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله، لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضي الله عنه : فو الله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق[1]، ومن جحد الزكاة فهو كافر يحل قتاله بمجرَّد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) تناثرت التجمُّعات، وتمرَّدت كثيرٌ من القبائل على الخليفة، وقام الصِّدِّيق . رضي الله عنه . مع الصَّحابة بعملٍ شاقٍّ عظيمٍ استطاعوا أن يُخضعوا القبائل للدَّولة، وأشرف الصِّدِّيق على تنفيذ الخطط التَّربويَّة، والتَّعليميَّة، والحربيَّة، والإداريَّة، ونجح نجاحاً باهراً، والتحمت القبائل العربيَّة مع الدَّولة الإسلاميَّة وأصبحت جزيرة العرب بسكَّانها قاعدة الفتوح الإسلاميَّة بعد ذلك، وصارت هي النَّبع الَّذي يتدفَّق منه الإسلام؛ ليصل إلى أصقاع الأرض فاتحاً، ومعلِّماً، ومربِّياً.

إنَّ جزيرة العرب هي قاعدة الفتوح، فكيف يتسنَّى الفتح إذا لم تكن له قاعدة، أو كانت هذه القاعدة مضطربةً غير مستقرَّة، أمَّا الآن فقد أصبح ممكناً تعبئة كلِّ طاقات شبه الجزيرة ، وحشدها للأعمال الحربيَّة الَّتي تلت.

من خلال أحداث الردَّة الَّتي ميَّزت الصُّفوف، وامتحنت الطَّاقات، والقدرات، وكشفت عن الطَّبقة التي كانت تغطي معادن الأمَّة، ظهرت المعادن الخسيسة على حقيقتها،

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٨ .

وأعطيت القيادة للمعادن النَّفيسة الصُّلبة المصقولة لتمسك بزمام الأمور في حركة الفتوح، فالمصادر التَّاريخيَّة تمدُّنا بمعلوماتٍ جمَّة عن قياداتٍ لم تكن من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا من الصَّحابة، ولكنَّهم تربَّوا من خلال كتاب الله مباشرةً، ثمَّ صقلتهم أحداث الردَّة، وميَّزتهم عن غيرهم، ليصلوا إلى صدارة الجيوش الفاتحة، وشهد لهم الجميع بالحنكة، والأداء المتفاني، والإيمان الصَّادق.

من أمثلة سوء الفهم لنصوص الإسلام الَّتي أدَّت بهؤلاء إلى الكفر أنَّ بعضاً منهم أنكر الزَّكاة محتجّاً بمدلول قوله تعالى: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣))[(١)].

فقد جاء في التَّعليق على هذه الآية في تفسير ابن كثير قوله: اعتقد بعض مانعي الزَّكاة من أحياء العرب: أنَّ دفعها إلى الإمام لا يكون، وإنَّما كان هذا خاصّاً برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد احتجُّوا بقوله تعالى: وقد ردَّ عليهم هذا التَّأويل :(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً) السَّقيم والفهم الفاسد : أبو بكر، وسائر الصَّحابة (رضوان الله عليهم) وقاتلوهم حتَّى أدَّوها إلى الخليفة، كما كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت العصبيَّة القبليَّة بقوَّةٍ، فهذا مسيلمة الكذاب يقول لبني حنيفة محرِّضاً إيَّاهم على اتِّباعه، وإنكار حقّ قريش بالنُّبوَّة: أريد أن تخبروني بماذا صارت قريش أحقَّ بالنُّبوَّة، والإمامة منكم؟! والله ما هم بأكثر منكم، ولا أنجد، وإنَّ بلادكم لأوسع من بلادهم، وأموالكم أكثر من أموالهم.

وهذا الرَّجال بن عنفوه الحنفي الَّذي أضلَّه الله على علمٍ بعد أن قرأ القران، وفقه في الدِّين يقول في حقيقة النُّبوَّة بين رسول الله، ومسيلمة: كبشان انتطحا، فأحبُّهما إلينا كبشنا. وهذا طلحة النمريُّ قال لمسيلمة عندما راه، وسمع منه ما علم به كذبه: أشهد أنَّك كذَّاب، وأنَّ محمداً صادقٌ، ولكن كذَّاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضر[(٢)].

---

(١) سورة التوبة .
(٢) د. عبد الرحمن الشُّجاع، دراساتٌ في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة، ص٣٢٣: ٣٢٩

س١١٢ لماذا كان الصديق هو أول من حج بالناس في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؟.

ج١١٢:أقام الحج سنة تسع أبو بكر الصديق وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم على رأس ثلاث مئة من المسلمين من المدينة المنورة ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة ، قلدها وأشعرها بيده عليها ناجية بن جندب الأسلمي ، وحج المشركون على مواقفهم في الجاهلية إلا أنهم أُبلغوا على لسان علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي بكر أن هذه آخر حجة لهم على دين الوثنية ، وأنه لن يقرب المسجد الحرام بعد ذلك العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، يقول الطبري : (سنة تسع وفيها حج أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة في ثلاثمائة وبعث معه رسول الله صلى الله عليه و سلم بعشرين بدنة وساق أبو بكر خمس بدنات وحج فيها عبدالرحمن بن عوف وأهدى وبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم علي بن أبي طالب عليه السلام على أثر أبي بكر رضي الله عنه فأدركه بالعرج فقرأ علي عليه براءة يوم النحر عند العقبة فحدثني محمد بن الحسين قال حدثنا أحمد بن المفضل قال حدثنا أسباط عن السدي قال لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين يعني من سورة براءة فبعث بهن رسول الله مع أبي بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة أتبعة بعلي فأخذها منه فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أنزل في شأني شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وأنك صاحبي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحج وسار علي يؤذن فقام يوم الأضحى فآذن فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده إلى مدته وإن هذه أيام أكل وشرب وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا)[١].

---

(١) الطبري ، تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، ، ج٢ ، ص١٩٢ .

لقد كان في حجة أبي بكر رضي الله عنه إضافة إلى ما سبق عبر عظيمة ودروس عديدة ينبغي للمسلم الاستفادة منها والقطف من جناها، فمن ذلك:

١- امتثال أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، فأبو بكر رضي الله عنه عندما جاءه علي رضي الله عنه قال: أأمير أم مأمور؟ ويفهم منه أنه لو كان أميراً بأمر الرسول لترك أبو بكر الإمارة لعلي، ولكن أجابه عليه بقول: بل مأمور. وهذا يدل على المستوى الرفيع الذي بلغه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الطاعة والانضباط والانقياد لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ولهذا حازوا شرف السبق والصحبة والفضائل كلها.

٢- في هذه الحجة تظهر فضيلة لأبي بكر وفضيلة لعلي رضي الله عنهما. فأبو بكر أمير على المسلمين، وعلي مبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- فيها بيان فضل أبي بكر على سائر الصحابة، فلم يول رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الحدث الضخم والرحلة الكبيرة إلى بيت الله إلا رجلاً يعلم مكانته من نفسه وعند الله رب العالمين. وكذلك تظهر هنا فضيلة أبي بكر على علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقد بين علي أنه مأمور من الرسول وأن بقاء إمارة أبي بكر تدل على أنه لم يتغير شيء من الأمر، ولو كان علي كما تزعم الرافضة أفضل من أبي بكر لكان وُلِّي على هذه الحجة الكبيرة والمسيرة الهائلة إلى بيت الله بجموع المسلمين، مع ما اتخذ في هذه الحجة من أحكام كبيرة وقوانين شديدة على الكفار والمنافقين بل إن في هذا الحدث دليلاً وتلميحاً لأبي بكر بأنه الخليفة بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام.

٤- أن الجنة لا تدخلها إلا نفس مؤمنة طيبة، ولا مجال للكافرين فيها، وليعلم العالم أن طريق الجنة مسدود إلا طريق محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فمن لم يؤمن به فهو في النار، ومن لم يسلك طريقه للوصول إلى الجنة فقد ضل وهلك. وقد بين النبي عليه الصلاة والسلام بواسطة علي ذلك الأمر أتم بيان ووضحه أتم وضوح.[1].

---

(١) موقع إمام المسجد ، حج أبي بكر الصديق .

س١١٣: لماذا سميت حجة الوداع بهذا الاسم ؟.

ج١١٣: حجة الوداع هي الحجة التي قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتوديع الناس فيها، ولهذا سميت حجة الوداع بهذا الاسم، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

(نسوق هنا حديث جابر بن عبد الله كما رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه ، فقراءته كافية في منح تصور عام لهذا الحدث العظيم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ ، فَقُلْتُ : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى رَأْسِي فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى ، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِكَ ، يَا ابْنَ أَخِي ، سَلْ عَمَّا شِئْتَ ، فَسَأَلْتُهُ ، وَهُوَ أَعْمَى ، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ ، فَقَامَ فِي نِسَاجَةٍ مُلْتَحِفًا بِهَا ، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا ، وَرِدَاؤُهُ إِلَى جَنْبِهِ ، عَلَى الْمِشْجَبِ ، فَصَلَّى بِنَا ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ : (اغْتَسِلِي ، وَاسْتَثْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي) فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ ، نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ ، فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ : لَبَّيْكَ اللهُمَّ ، لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ، وَأَهَلَّ النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهِلُّونَ بِهِ ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا

مِنْهُ ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَتَهُ ، قَالَ جابِرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا ، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام ، فَقَرَأَ : (**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**) ، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ – وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ (**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**) وَ (**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**) ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ : (**إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ**) أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا ، فَرَقِيَ عَلَيْهِ ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ ، وقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ ، قَالَ : مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى ، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى ، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً ، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى ، وَقَالَ : دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ ، مَرَّتَيْنِ ، لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ ، وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُدْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِمَّنْ حَلَّ ، وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا ، وَاكْتَحَلَتْ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا ، قَالَ : فَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ : فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ذَكَرَتْ عَنْهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ ؟ قَالَ قُلْتُ : اللهُمَّ ، إِنِّي أُهِلُّ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ ، قَالَ : فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ ، قَالَ : فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى

بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً ، قَالَ : فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا ، إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَى مِنًى ، فَأَهَلُّوا بِالْحَجِّ ، وَرَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعَرٍ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمِرَةَ ، فَسَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَشُكُّ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَاقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ ، فَنَزَلَ بِهَا ، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ ، فَرُحِلَتْ لَهُ ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي ، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ : (إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ، كِتَابُ اللهِ ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فَقَالَ : بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ ، اللهُمَّ اشْهَدْ ، اللهُمَّ اشْهَدْ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) ، ثُمَّ أَذَّنَ ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ، الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا ، حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى : أَيُّهَا النَّاسُ ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ ، كُلَّمَا أَتَى حَبْلًا مِنَ الْحِبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا ، حَتَّى تَصْعَدَ ، حَتَّى أَتَى

الْمُزْدَلِفَةَ ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، وَصَلَّى الْفَجْرَ ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا ، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ وَسِيمًا ، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ ظُعُنٌ يَجْرِينَ ، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ ، يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشِّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسِّرٍ ، فَحَرَّكَ قَلِيلًا ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى ، حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا ، مِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا ، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ ، فَطُبِخَتْ ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا ، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ ، فَقَالَ : انْزِعُوا ، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ ، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ).

وقد أورد الشيخ ابن عثيمين أربعا وأربعين ومائة فائدة في شرح هذا الحديث ، تنوعت ما بين الفوائد الفقهية والعقائدية والسلوكية والتربوية ، **ونحن نختصرها هنا بالفوائد الآتية:**

١- أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في السنة العاشرة من الهجرة .

٢- أن الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على طلب العلم ذكورهم وإناثهم لقوله : (فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع) .

٣- أن طلب العلم لا يختص بالرجال فكما أن الرجل يشرع له طلب العلم بل يتعين عليه

إذا كانت عبادته لا تقوم إلا به فإنه يتعين عليه فكذلك المرأة ولا فرق .

٤- أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر أنه في مجيئه إلى مكة وإحرامه أنه إنما يفعل ذلك تلبية لدعاء الله ، قال الله تعالى : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(٧٢))[١] فالأذان بأمر الله يعتبر أذانا من الله فإذا كان الله هو الذي أذن فأنا أجيبه وأقول : لبيك اللهم لبيك .

٥- أن التلبية توحيد خالص ؛ لأن الإنسان يقول : لبيك اللهم لبيك ، ولبيك هذه جواب ، جواب دعوة ، ولهذا إذا دعي أحدنا فقيل : يا فلان ! قال للداعي : لبيك ، وهي بصيغة التثنية ، ولكن المراد التكرار ، ومن ثم يقول النحويون إنها ملحقة بالمثنى ؛ لأن لفظها لفظ تثنيه ومعناها التكثير ، والتلبية هي الإجابة ، فكأنك تقول : يا رب إجابة لك بعد إجابة ، وتكرر توكيدا .

٦- الثناء على الله عز وجل بالحمد والنعمة ، فإنه هو المتفضل عز وجل بذلك : (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) .

٧- أنه ينبغي للإنسان الحاج أو المعتمر أن يبادر حين الوصول إلى مكة إلى الذهاب إلى المسجد ليطوف ؛ لأن هذا هو المقصود ولا ينبغي أن يجعل غير المقصود مقدما ، بل المقصود ينبغي أن يكون مقدما على كل شيء .

٨- حرص الصحابة رضي الله عنهم على العلم بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم ليتبعوه فيها.

٩- أن السنة كما تكون بالفعل تكون كذلك بالترك ، فإذا وجد سبب الفعل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعله دل هذا على أن السنة تركه .

١٠- أنه ينبغي لك وأنت تسعى أن تستشعر بأنك في ضرورة إلى رحمة الله عز وجل كما كانت أم إسماعيل رضي الله عنها في ضرورة إلى رحمة الله سبحانه وتعالى ، فكأنك

---

(١) سورة الحج

تستغيث به تبارك وتعالى من آثار الذنوب وأوصابها .

١١- حسن تعليم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الحق .

١٢- أن التعليم يكون بالقول وبالفعل لقوله : (فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى وقال : دخلت العمرة في الحج) .

١٣- أن الربا موضوع كله ولا يؤخذ مهما كان ، فالربا الثابت في ذمم الناس يجب وضعه ولا يجوز أخذه حتى وإن عقد قبل إسلام العاقد أو قبل علمه ، أما ما قبض من قبل من ربا وأتى الإنسانَ موعظة من الله فلا يلزمه تقويمه والتخلص منه ، لكن ما بقي في ذمم الناس فإنه لا تتم التوبة منه إلا إذا تركه ولم يقبضه.

١٤- بيان عدل النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ظاهر من قوله : (وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع)، فأول ما قضى عليه من أمر الجاهلية ما كان يتصل بأقاربه وهذا كما قال في الحديث الصحيح : (وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)، وهكذا يجب على الإنسان أن يكون قائما لله بالعدل ، لا يفرق بين قريب وبعيد ، أو غني وفقير ، أو قوي وضعيف ، الناس في حكم الله واحد لا يتميز أحد منهم بشيء إلا بما ميزه الله به .

١٥- وفيه الإشارة إلى أن الذي يتولى طلب الرزق وحصول الكسوة هو الرجل ، لقوله : (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) ، أما المرأة فشأنها أن تبقى في بيتها لإصلاح حالها وحال زوجها وحال أولادها ، وهذا ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

١٦- اعتراف الصحابة رضي الله عنهم بالجميل للنبي صلى الله عليه وسلم لقوله :(نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) ، وهذه الشهادة التي شهدها الصحابة رضي الله عنهم يجب على كل مؤمن أن يشهدها ، فنحن نشهد أنه قد بلغ وأدى ونصح عليه الصلاة والسلام .

١٧- وفيه الحث على الاعتصام بكتاب الله ، والرجوع إليه ، وأن به العصمة من كل سوء ، فإن قال قائل : ما تقولون في السنة التي لم تكن موجودة في القرآن بعينها؟ كل سنة سنها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي موجودة في القرآن ، قال تعالى :

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ(٢١))[1] ، وقال تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...(٧))[2] ، وقال تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١))[3] ، وقال تعالى : (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨))[4] ، فكل سنة سنها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي من القرآن لكن ليس من اللازم أن ينص عليها بعينها .

١٨- جواز الإشارة إلى مكان الله عز وجل ، وهو في السماء ، ولكن هل هذا المكان محيط به ؟ الجواب : لا ، بل وسع كرسيه السموات والأرض ، فهو سبحانه وتعالى فوق سماواته ، على عرشه ، عليٌّ على خلقه بذاته وصفاته ، لقوله تعالى : (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥))[5] .

١٩- أنه ينبغي للإمام بل يجب على الإمام أن يكون أول من يبادر إلى ما يأمر به ، ودليله أن الرسول صلى الله عليه وسلم دفع وقد شنق للقصواء الزمام ، وما كان ليقول للناس السكينة السكينة وهو تاركها تمشي بسرعة ، بل هو أول من يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام ، وهكذا الإمام الذي يقتدي به سواء كان إماما في التنفيذ أو إماما في العلم ،يجب عليه أن يتحرى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه يُقتدى به .

٢٠- حسن رعاية النبي صلى الله عليه وسلم لما استرعاه الله حتى في البهائم ؛ وجه ذلك

---

(١) سرة الأحزاب.
(٢) سورة الحشر .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) سورة الأعراف .
(٥) سورة البقرة .

أنه كلما أتى حبلا من الحبال أرخى لناقته قليلا ؛ فإن هذا من حسن رعايته لها ورأفته بها صلى الله عليه وسلم .

٢١- تواضع النبي صلى الله عليه وسلم حيث أردف الفضل بن عباس رضي الله عنهما دون أشراف القوم ، وأردف في دفعه من عرفة إلى مزدلفة أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو مولى .

٢٢- وفيه دليل على كرم النبي صلى الله عليه وسلم حيث أهدى مائة بدنة عن سبعمائة شاة ، وكثير من الناس اليوم يشق عليه إهداء شاة واحدة حتى إنه يختار النسك المفضول على الفاضل تفاديا للهدي .

٢٣- وفيه أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم أسوة ؛ لقوله لبني عبد المطلب: (انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم) ؛ لأنه لو نزع لكان سنة يأخذ بها الناس ، وحينئذ يغلبونهم على السقاية.

٢٤- وفيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم حين شرب من الدلو الذي يشرب منه الناس ، ناولوه دلوا فشرب منه عليه الصلاة والسلام[١] ، [٢].

س١١٤ : لماذا سميت الفاتحة بهذا الاسم رغم أنها ليست أول ما نزل من القرآن ؟.

ج١١٤ : سورة الفاتحة هي:

١- أول سورة في ترتيب المصحف الشريف.

٢- افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز بها، وتحدّث فيها عن صفاته الحسنى، والإيمان به، وإفراده بالعباد، ووجوب الاستعانة به في كل الأمور، ووجوب الإيمان باليوم الآخر، وكذلك الالتزام بالطاعات وطلب الهداية من الله للطريق السليم.

٣- أوّل سورة يستفتح بها من يقوم بتلاوة القرآن الكريم .

٤- أول ما يذكر في الصلاة.

---

(١) الشيخ ابن عثيمين ، شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم ،ص ٨٥-١٣٩

(٢) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم الجواب ١٧٥١٢٨في ١٢ / ٥ / ٢٠١٢ م.

٥- روى البخاري، وأحمد، وأبو داود وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي سعيد بن
٦- المعلى رضي الله عنه: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد.. فقال.. الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[1]

٧- قراءة الفاتحة يعد ركنا من أركان الصلاة.

٨- لم ينزل سورة مثلها، ولا سورة أعظم منها في التوراة والإنجيل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن)[2] .

س١١٥: لماذا سميت الفاتحة ب(أم القرآن) ؟.

ج١١٥: سميت بذلك ل:

١- اشتمالها على المقاصد الأربع العظمى التي يقررها القرآن الكريم في جملته، وهي: الإلهيات، والنبوّات، والميعاد، والقضاء والقدر.

٢- اشتمالها على المقاصد الأساسية التي تدعو لها جميع الكتب الإلهية، وهي: الثناء على الله سبحانه وحمده باللسان، والقيام بالأعمال البدنية من الطاعات، وطلب الهداية من الله تعالى.

٣- اشتمالها على مقصود العلوم كافة، من معرفةِ مقام الربوبية، ومعرفة ذل العبودية، فلا يتم للعبد شيئاً من عبادةٍ أو طاعةٍ إلّا بهداية الله تعالى وتوفيقه.

٤- احتواؤها على أنواع العلم الثلاثة والتي هي المقصود من القرآن الكريم، وهي: علم الأصول، وعلم الفروع، وعلم التصفية.

س١١٦ : لماذا سمي مسجد القبلتين بهذا الاسم؟.

ج١١٦ : حدثت هذه الحادثة في أكثر من مسجد من مساجد المدينة في ذلك الوقت ، ومع ذلك لم يسم بهذا الاسم إلا هذا المسجد : فقد تحولَ الصحابة رضي الله عنهم إلى الكعبة وهم في صلاتهم في مسجد قباء كما ثبت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وتحولوا

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٠٦ .

(٢) النسائي ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٩١٣ .ورواه كذلك والترمذي، وأحمد، وصححه الألباني، والأرناؤوط.

أيضا وهم حارثة ، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

والذي يذكره أهل السير في مسجد القبلتين وسبب تسميته ، إنما هو مسجد بني سلمة ، فقد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم زار أم بشر ، وحانت صلاة الظهر ، فبينما هو يصلي : أُمر باستقبال الكعبة ، فاستدار ، والعلماء والمفسّرون يعزون هذا الأثر إلى طبقات ابن سعد .

قال ابن حجر رحمه الله :(وَاخْتَلَفَتْ الرِّوَايَة فِي الصَّلَاة الَّتِي تَحَوَّلَتْ الْقِبْلَة عِنْدهَا ، وَكَذَا فِي الْمَسْجِد...) ، وَذَكَرَ مُحَمَّد بْن سَعْد فِي الطَّبَقَات قَالَ : يُقَال إِنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ مِنْ الظُّهْر فِي مَسْجِده بِالْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ أُمِرَ أَنْ يَتَوَجَّه إِلَى الْمَسْجِد الْحَرَام ، فَاسْتَدَارَ إِلَيْهِ وَدَار مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ ، وقَال زَارَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمّ بِشْر بْن الْبَرَاء بْن مَعْرُور فِي بَنِي سَلَمَة فَصَنَعَتْ لَهُ طَعَامًا ، وَحَانَتْ الظُّهْر ؛ فَصَلَّى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصْحَابِهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أُمِرَ فَاسْتَدَارَ إِلَى الْكَعْبَة ، وَاسْتَقْبَلَ الْمِيزَاب ، فَسُمِّيَ " مَسْجِد الْقِبْلَتَيْنِ ، قَالَ اِبْن سَعْد : قَالَ الْوَاقِدِيُّ : هَذَا أَثْبَتُ عِنْدنَا[1] ، وقال ابن كثير : ذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم : أن تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر، وذلك في مسجد بني سلمة، فسمي مسجد القبلتين [2]، وفي حديث نويلة بنت مسلم: أنهم جاءهم الخبر بذلك وهم في صلاة الظهر، قالت: فتحول الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال . ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري .

وأما أهل قباء : فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر اليوم الثاني، كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة[3] ، وهذا الحديث كما هو ظاهر ذكره ابن سعد بلا إسناد ، وذكره بصيغة تدل على الشك

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ١١٦ ، عن ابن سعد في الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٢٤١ .
(٢) ابن كثير ، التفسير ، التفسير ، ج١ ، ص ٢٥٨ .
(٣) ابن كثير ، التفسير ، ج١ ، ص ٢٣٧ .

وعدم الجزم بصحته : يقال كذا .. ويقال كذا ... فمثل هذا لا يعتمد عليه ، ولا يجزم بصحته[1] .

س١١٨: لماذا اختار المسلمون أبا بكر الصديق خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهل هناك نص ظاهر يدل على وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالخلافة ؟.

ج١١٨ : إن أهل السنة لهم قولان في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من حيث الإشارة بالنص الخفي أو الجلي.

القول الأول: منهم من قال: إن إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثابتة بالنص الخفي والإشارة وهذا القول ينسب إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى وجماعة من أهل الحديث[2]، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل[3] رحمة الله عليه واستدل أصحاب هذا القول بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة وبأمره صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب إلا باب أبي بكر.

القول الثاني: ومنهم من قال: إن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثابتة بالنص الجلي وهذا قول طائفة من أهل الحديث[4] ، وبه قال أبو محمد بن حزم الظاهري [5].

واستدل هذا الفريق بحديث المرأة التي قال لها: (إن لم تجديني فأتي أبا بكر)[6] ، وبقوله لعائشة رضي الله عنها: (ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)[7] ، وحديث رؤياه صلى الله عليه وسلم أنه على حوض يسقي الناس فجاء أبو بكر فنزع الدلو من يده ليروحه [8] .

---

(١) الاسلام سؤال وجواب نشر في تاريخ النشر : ٢٣-٠٩-٢٠١٧.
(٢) انظر: (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم (١٠٧/٤)، (منهاج السنة) لابن تيمية (١٣٤/١-١٣٥)، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (١٢٥/١)، (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي (ص: ٥٣٣).
(٣) (المعتمد في أصول الدين) لأبي يعلى الفراء (ص: ٢٢٦)، ((منهاج السنة) (١٣٤/١).)
(٤) (الفصل في الملل والأهواء والنحل) (١٠٧/٤)، (منهاج السنة) (١٣٤/١-١٣٥)، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (١٢٥/١)، (شرح العقيدة الطحاوية) (ص: ٥٣٣).
(٥) (الفصل في الملل والأهواء والنحل) (١٠٧/٤)
(٦) رواه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).
(٧) رواه البخاري (٥٦٦٦)، ومسلم (٢٣٨٧).
(٨) رواه البخاري (٧٠٢٢)، ومسلم (٢٣٩٢)

الأحاديث التي يظن بعض الناس أنها تفيد النص على إمامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه إنما تدل على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي بأن المسلمين سيجتمعون على خلافة أبي بكر لمزاياه التي لا يضارعه فيها أحد كما تدل إلى رضا الله ورسوله بذلك دون غيره، وهذا هو الذي فهمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منها، يدل على ذلك ما يلي:

١- اجتماع السقيفة: حيث لما توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين الحديث رواه البخاري[٦] من حديث عائشة رضي الله عنها. فلو كان هناك نص ما اجتمعوا لذلك ولبايعوا المعهود إليه مباشرة وهم أحرص الناس على اتباع رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

٢- كما يدل على ذلك أخذ أبي بكر رضي الله تعالى عنه بيدي عمر وأبي عبيدة بن الجراح وقوله:(قد اخترت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم)[٧]، فلو كان هناك عهد له لم يجز له أن يختار، ولا يعقل أن لا يعلم هو بذلك وهو المعهود له.

٣- ومنها قول عمر رضي الله تعالى عنه حينما طلب منه أن يختار خليفة للمسلمين بعده فقال: (إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني – يعني أبا بكر – وأن أترك فقد ترك من هو خير مني يعني الرسول صلى الله عليه وسلم)[١] ، وهذا نص في المسألة بأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يستخلف أحدًا بعده.

٤- ومما يدل على ذلك أيضًا قول عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفًا لو استخلف؟ فقالت: أبو بكر، قيل ثم من؟ قالت: عمر، قيل ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح[٢] ، فقول السائل: (لو استخلف) دال على أنه لم يستخلف، والسؤال عما لو كان مستخلفًا فمن سيستخلف ؟.

---

(١) البخاري (٣٦٦٩).
(٢) رواه البخاري (٦٨٣٠). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) رواه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣). من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم (٢٣٨٥).

٥- ومنها ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يوص)[1] ، فهذا دليل صريح في المسألة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص بالخلافة لا لأبي بكر، ولا لعلي رضي الله عنها، ولا لغيرهما.

٦- ومنها ما رواه الإمام أحمد بسنده إلى علي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك؟ قال: (إن تؤمروا أبا بكر تجده أمينًا زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويًا أمينًا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمروا عليًا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديًا مهديًا يأخذ بكم الطريق المستقيم)[2]، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) رواه أحمد والبزار والطبراني في (الأوسط) ورجال البزار ثقات [3].

فقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن تؤمروا) دليل على أنه لم يؤمر أحدًا، وإنما وكل ذلك إلى المسلمين ثم استعرض صلى الله عليه وسلم بعض أفاضل الصحابة مبتدئًا بأبي بكر وبين ما في كل واحد منهم من الخصال الحميدة المميزة له[4].

س١١٩ : لماذا اختار أبو بكر الصديق عمرَ بن الخطاب رضي الله عنهما أميراً للمؤمنين؟

ج١١٩ : لأنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتمتَّع بمؤهلات ومواصفات تفرَّد بها عن أبناء جيله حملتْها سيرتُه الذاتية، وهذه المواصفات التي قَلَّ نظيرها تجعله المرشَّحَ الأول للرِّئاسة، الذي لا يُنافَس ولا يجارى، ولا يَختلف عليه صاحبُ عقل، ومنها:

١- الدِّين؛ ولأن الدولة الإسلامية دولة مدنيَّة دينية، كان من المفروض أن يكون رئيسها على رأس المتدينين والمتَّقين لله سبحانه وتعالى فيها، ويمتاز بالخشية والخوف من الله

---

(١) رواه أحمد ٣٤٣/١ (٣١٨٩). قال ابن حجر في (فتح الباري) (٤٢٦/٥)، والشوكاني في (نيل الأوطار) (١٤٤/٦): إسناده قوي، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق (المسند) (٦٩/٥). (١٨) .

(٢) رواه أحمد (١٠٨/١) (٨٥٩)، والحاكم (٧٣/٣)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٦٤/١).

(٣) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، (١٧٩/٥)

(٤) الدرر السنية ، الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة لعبد الله بن عمر الدميجي ص: ١٣٣.

١- جلَّ جلاله، ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كذلك؛ فعن أبي سعيد الخدري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينا أنا نائم، رأيتُ الناسَ يُعرضون عليَّ وعليهم قُمُص؛ منها ما يبلغ الثُّدِيَّ، ومنها ما دون ذلك، وعُرِض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره)، قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: (الدِّين)[١].

٢- العلم: فينبغي أن يكون رئيس الدولة عالمِا بقضايا الشَّريعة الفقهية وتفاصيلها، وهي صِفةٌ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقد تولَّى القضاءَ على عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وأثبت جدارته في ذلك، وقد وصفه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالعلم؛ فعن ابن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: (بينا أنا نائم، أُتيت بقدح لبن، فشربتُ حتى إنِّي لأرى الريَّ يخرج في أظفاري، ثمَّ أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أوَّلتَه يا رسول الله؟ قال: (العلم)[٢].

٣- الحكمة والعقل الرشيد الخلاق: لقد كان عمر رضي الله عنه يمتلك عقلًا لا يضاهيه فيه أحد، وحِكمتُه أعجبتْ كلَّ مَن رآه أو سمِع منه، فهو يضع الأمورَ في نصابها، ويزِنُها بميزان حكمته بقدرها الذي لا تتجاوزه ، لقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ذلك النوع الملهَم من الرجال؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: (إنَّه قد كان فيما مَضى قبلكم من الأمم مُحدَّثون، وإنَّه إن كان في أمَّتي هذه منهم فإنَّه عمر بن الخطاب)[٣] .

٤- ولعلَّ الأمر حين يتعلَّق بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو أبعد من ذلك؛ فلقد اقترب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مستوى تفكير وتدبير وهموم الأنبياء؛ فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال. رقم الحديث ٢٣ .
(٢) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب: فضل العلم.رقم الحديث ٨٢ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الديث٣٤٦٩ .

(لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر بن الخطاب)[1] .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ: فقلتُ يا رسول الله، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى.. (١٢٥)﴾[2]، وآية الحجاب، قلتُ: يا رسول الله، لو أمرتَ نساءك أن يحتجبنَ؛ فإنه يكلمهنَّ البَرُّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النَّبي صلى الله عليه وسلم في الغَيرة عليه، فقلتُ لهنَّ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ..(٥)﴾[3] ، فنزلتْ هذه الآية)[4].

٥- شجاعته في المعارك وعدم هيبته للأعداء؛ فقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلَّ المشاهد، ولم يتخلَّف عن واحدة منها، وخاصَّة الشديدة منها؛ كبدر، وأُحد، والخندق، والحديبية، وحُنين، وضرب ألوانًا من الشجاعة ورباطة الجأش.

٦- دفاعه عن الإسلام ودولته ونصرته لها بشكل مختلف عن الآخرين بسبب قوَّته في الحقِّ، عندما كان الإسلام غريبًا، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه واحدًا من المسلمين، فيقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (إن إسلام عمر كان فتحًا، وإن هجرته كانت نصرًا، وإن إمارته كانت رحمة، والله ما استطعنا أن نصلِّي عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر)[5]، ويقول رضي الله عنه: (ما زلنا أعزَّة منذ أسلَم عمر)[6].

٧- زهده في الدنيا، وعزوف نفسه عن مباهجها، فلم يكن يعطي أدنى اعتبار للمال، وكان أكله الخَشنَ من الطَّعام، حتى إنَّ ماله الخاص الذي يحصل عليه من بعض ما يغنم في حروب المسلمين يجعله في سبيل الله جلَّ جلاله؛ فعن ابن عمر رضي الله

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٦ ، ص ٦٨ .و حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٥٨٢).
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة التحريم .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٠٢ .
(٥) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص ٦٥ ، أخرجه أحمد في (فضائل الصحابة) (٤٨٢)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى) (٣٧٧٧)، والطبراني (١٧٨/٩) (٨٨٠٦) باختلاف يسير
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٨٤ .

عنهما: "أنَّ عمر بن الخطاب أصاب أرضًا بخيبر، فأتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إنِّي أصبتُ أرضًا بخيبر لم أصِب مالًا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: (إن شئتَ حبستَ أصلها، وتصدَّقتَ بها)، قال: فتصدَّق بها عمر، أنَّه لا يُباع ولا يوهب ولا يورَث، وتصدَّق بها في الفقراء، وفي القُربى، وفي الرِّقاب، وفي سبيل الله، وابنِ السبيل، والضيف لا جُناح على مَن وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متموِّل، قال: فحدَّثتُ به ابن سيرين، فقال: غير متأثِّل مالًا[1].

٨- ثَباته رضي الله عنه على الحق، ولو على نفسه وأهلِ بيته، وفي هذا المجال هو لا يداهِن ولا يجامِلُ كائنًا مَن كان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه)[2] .

٩- خبرته السياسية الطويلة، المكتسبة من مرافقته لرئيسين قبله، ودوره البارز معهما كمستشار ووَزير قريب منهما ؛ بل مؤثِّر فيه، كما أنه باشَر أعمالًا كان فيها جنديًّا أو مواطنًا طائعًا؛ مثلما باشر ومارس أعمالًا كان فيها أميرًا على الآخرين؛ فلقد بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أميرًا على سريَّة إلى هوازن ٧.هـ. [3]

س١٢٠: لماذا نهى الإسلام عن الأكل في آنية الذهب والفضة ، وما حكم استعمال آنيتهما في غير الأكل والشرب ، وهل يجوز اقتناء هذه الآنية دون استعمالها ؟.

ج١٢٠: يقول الشيخ ابن باز : (الأواني من الذهب والفضة محرمة بالنص والإجماع، وقد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة متفق على صحته من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وثبت أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٢٧٧٢ .
(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث٦٨٨٩ .
(٣) عبدالستار المرسومي الالوكة ٢٠١٦/٨/٣١ ميلادي - ١٤٣٧/١١/٢٧ هجري.

والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم متفق على صحته من حديث أم سلمة رضي الله عنها وهذا لفظ مسلم. فالذهب والفضة لا يجوز اتخاذهما أواني، ولا الأكل ولا الشرب فيها، وهكذا الوضوء والغسل، هذا كله محرم بنص الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام. والواجب منع بيعها حتى لا يستعملها المسلم، وقد حرم الله عليه استعمالها فلا تستعمل في الشراب ولا في الأكل ولا في غيرهما، ولا يجوز أن يتخذ منها ملاعق ولا أكواب للقهوة أو الشاي كل هذا ممنوع؛ لأنها نوع من الأواني.

فالواجب على المسلم الحذر مما حرم الله عليه وأن يبتعد عن الإسراف والتبذير والتلاعب بالأموال، وإذا كان عنده سعة من الأموال فعنده الفقراء يتصدق عليهم، عنده المجاهدون في سبيل الله يعطيهم في سبيل الله، يتصدق لا يلعب بالمال، المال له حاجة وله من هو محتاج، فالواجب على المؤمن أن يصرف المال في جهته الخيرية كمواساة الفقراء والمحاويج وفي تعمير المساجد والمدارس وفي إصلاح الطرقات وفي إصلاح القناطر وفي مساعدة المجاهدين والمهاجرين الفقراء وفي غير ذلك من وجوه الخير كقضاء دين المدينين العاجزين، وتزويج من لا يستطيع الزواج كل هذه طرق خيرية يشرع الإنفاق فيها، أما التلاعب بها في أواني الذهب والفضة أو ملاعق أو أكواب منها أو مواسير وأشباه ذلك كل هذا منكر يجب تركه والحذر منه، ويجب على من له شأن في البلاد التي فيها هذا العمل من العلماء والأمراء إنكار ذلك وأن يحولوا بين المسرفين وبين هذا التلاعب والله المستعان[1]، **والأدلة على ذلك** :

١- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (أنهم كانوا عند حذيفة فاستسقى، فسقاه مجوسي، فلما وضع القدح في يده رماه به، وقال: لولا أني نهيته غير مرة ولا مرتين، كأنه يقول: لم أفعل هذا، ولكني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة)[2].

---

(١) من أسئلة (نور على الدرب) الإذاعي، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٦/ ٤٧٧).
(٢) رواه البخاري (٥٤٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٧).

٢- عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)[١]، وفي رواية: (من شرب في إناء من ذهب أو فضة، فإنما يجرجر في بطنه نارا من جهنم)[٢] .

٣- عن البراء رضي الله عنه قال: (أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع: أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، ورد السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب.

٤- و يحرم استعمال آنية الذهب والفضة، كاستعمالهما في ادهان، أو اكتحال، وفي الملاعق والأكواب ؛ قال ابن باز: (فالذهب والفضة لا يجوز اتخاذهما أواني، ولا الأكل ولا الشرب فيها، وهكذا الوضوء والغسل، هذا كله محرم بنص الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، والواجب منع بيعها حتى لا يستعملها المسلم، وقد حرم الله عليه استعمالها، فلا تستعمل في الشراب ولا في الأكل ولا في غيرهما، ولا يجوز أن يتخذ منها ملاعق ولا أكواب ، كل هذا ممنوع؛ لأنها نوع من الأواني) [٣]. وهذا باتفاق المذاهب الأربعة[٤] ، وحكي الإجماع على ذلك قال ابن عبد البر: (العلماء كلهم لا يجيزون استعمال الأواني من الذهب، كما لا يجيزون ذلك من الفضة)[٥]. وقال النووي: (أجمعت الأمة على تحريم الأكل والشرب وغيرهما من الاستعمال في إناء ذهب أو فضة، إلا ما حكي عن داود، وإلا قول الشافعي في القديم)[٦] ، وقال ابن قدامة: (لا خلاف بين أصحابنا في أن استعمال الذهب والفضة حرام، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك[٧] والشافعي، ولا أعلم فيه خلافا)[٨]،

---

(١) رواه البخاري (٥٦٣٤) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٥).
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٦٥ .
(٣) رواه البخاري (١٢٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٦).
(٤) مجموع فتاوى ابن باز)) (٣٧٨/٦)
(٥) الحنفية (تبيين الحقائق) للزيلعي (١٠/٦)، وينظر: (مجمع الأنهر)) لشيخي زاده (١٨٢/٤)، (الفتاوى الهندية) (٣٣٤/٥). (١١) ، والمالكية (مواهب الجليل) للحطاب (١٨٣/١)، (حاشية العدوي)(٦٠٩/٢). (١٢) ، والشافعية (المجموع) للنووي (٢٤٦/١)، وينظر: (الحاوي الكبير) للماوردي (٧٦/١) والحنابلة (كشاف القناع) (٥٥/١)، (شرح المنتهى) (٣٢/١) كلاهما للبهوتي.
(٦) ابن عبد البر ، التمهيد ج١٦ ، ص ١٠٥ ..
(٧) النووي ، المجموع ، ج١ ، ص ٢٥ .
(٨) ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص ٥٥ .

٥- وقال ابن تيمية: (...كما في آنية الذهب والفضة؛ فإنهم اتفقوا على أن استعمال ذلك حرام على الزوجين: الذكر والأنثى)[(١)].

٦- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة)[(٢)] ، و يحرم اقتناء - المقصود من الاقتناء: أن يتخذه ويحتفظ به فقط دون أن ينتفع به، كأن يتخذه للزينة، وغير ذلك - آنية الذهب والفضة[(٣)].

٧- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (أنهم كانوا عند حذيفة فاستسقى، فسقاه مجوسي، فلما وضع القدح في يده رماه به، وقال: لولا أني نهيته غير مرة ولا مرتين، كأنه يقول: لم أفعل هذا، ولكني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها؛ فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة)[(٤)]،[(٥)] .

س١٢١ : لماذا حرم الله على الرجال لبس الذهب ؟ .

ج١٢١: يقول الشيخ ابن باز : (الله أعلم؛ لأن الله جل وعلا هو الحكيم العليم ، فالعباد عليهم أن يخضعوا لحكم الله، وأن يمتثلوه، سواءً عرفوا الحكمة أم لم يعرفوها؛ لأن الله سبحانه حكيم عليم، يشرع لعباده ما هو أصلح لهم وأنفع لهم، فحرم على الرجال لبس الذهب، وأباحه للنساء، قال جماعة من أهل العلم: إن الحكمة في ذلك أن الذهب من الزينة، والمرأة في حاجة للزينة لزوجها؛ حتى يرغب فيها، وحتى يميل إليها، وهكذا الحرير، أبيح للنساء دون الرجال؛ لأنه زينة طيبة، فكان ذلك من شأن النساء بحكمة الله تعالى ، حتى يتزين بالذهب والفضة والحرير للأزواج، والرجل ليس بحاجة إلى ذلك.

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢١ ، ص ٨٤ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٦٧.
(٣) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١ ، ص ٧٢.
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث
(٥) الدرر السنية ، علوي عبدالقادر السقاف ٥٤٢٦ .

وأيضًا فيه علة أخرى وهي أنه من زي الكفرة، فأباحه الله للنساء لحاجتهن، ومنعه الرجال وجعله لهم في الآخرة، قال صلى الله عليه وسلم : لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة؛ فإنها لهم في الدنيا يعني: للكفرة ولكم في الآخرة، فجعلها للكفرة في الدنيا لا يبالون، يتمتعون بها لا يبالون، وجعلها للمؤمنين في الجنة، الرجال والنساء جميعًا، وأباح للنساء أباح التحلي بالذهب والفضة لحاجة النساء إلى الزينة، وحرم على الجميع أواني الذهب والفضة، على الجميع الرجال والنساء جميعًا، كالصحن وإناء الشرب، وأكواب الشاي، والقهوة كلها حرام من الذهب والفضة لا تجوز، هذه من الحكم، التي ذكرها بعض أهل العلم ،والواجب علينا تلقي حكم الله بكل صدر منشرح، بالبساطة والمحبة والرضا، وإن لم نعرف الحكمة، لكن إذا عرفناها، فذلك نور على نور، وخير إلى خير.)[1].

جاء في قناة روسيا اليوم (انتهت دراسة علمية حديثة حول آثار ارتداء الذهب الى ان ذلك يؤدي الى خلل في الجهاز العصبي، الأمر الذي من شأنه ان يسفر عن حالة اكتئاب تصيب الانسان، علاوة على ان لبس الذهب ينعكس على عملية التمثيل الغذائي (الأيض) بشكل سلبي، وفقاً لموقع "ميد دايلي، وعلى الرغم من توصل العلماء الى هذه النتيجة إلا انهم يشددون على انها ليست مطلقة، مشيرين الى ان الأمر يتعلق بعدد محدد من الأشخاص، لا سيما من يوصفون بأنهم انفعاليين. وبالإضافة الى هؤلاء يحذر الأطباء المصابين بمرض الصرع من لبس الذهب، إذ ان بريق المعدن الغالي ولمعانه يؤثران على المريض ويزيدان من فرص تعرضه لنوبة من الصرع ويشدد المختصون على ان سكان المدن الكبيرة يجب ان يكونوا أكثر حذراً من غيرهم فيما يتعلق بلبس الذهب، وذلك انطلاقاً من انهم معرضين للضغوط النفسية والاكتئاب أكثر قياساً بسكان القرى أو المدن الصغيرة، الأمر الذي يجعلهم في دائرة خطر الإصابة بالمرض النفسي، اذا ما اعتمدوا الذهب كإكسسوار شخصي، ولم يغفل العلماء عن الراغبين بالزينة وذلك بتقديم نصيحة لهم بأن يقتصر الأمر على لبس الفضة فقط.[1]

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله .
(٢) قناة روسيا اليوم ١٦ / ٤ / ٢٠١٣ م.

وجاء في جريدة أخبار اليوم المصرية : (أكد علماء روس و باحثون أن خاتم الزواج الذهبي الذي يلبسه معظم الرجال يمكن أن يقلل من قدرتهم الجنسية. و ذكروا في بحثهم الذي استند على اسس و تجارب معملية قاموا بها. و نشر موق اخباري روسي نتائجها على الانترنت .ان هذا ينطبق على الذين اعتادوا لبس الخاتم على مدى عشرات السنين.

و رأى بعض علماء الاجتماع ان هذا البحث قد يعطي مبررا للكثير من الازواج الذين يرفضون لبس بدلة الزواج. في حين أوضح علماء الهندسة الحيوية ان التأثير السلبي للدبلة يمكن تقليله في حال تم لبس دبلة فضية بدلا من الذهبية.

و بحسب العالم الروسي سيرجي جاجارين فان الامر يتعلق بما اسماه قوة الاندفاع الكهربائية بحيث ان طاقة اندفاع الدم في جسم الانسان تكون في الجهة اليسرى . لتكون دورة كاملة دون انقطاع في الجسم. لكنها تعمل في منطقة الخاتم بشكل عكسي.

و أشار سيرجي الى أن لكل اصبع في اليدين او الرجلين دورا كبيرا في تدفق الدم الى الاعضاء الداخلية في الجسم . فلو قام الرجل بخلع الخاتم فان التأثير الايجابي لطاقة الاندفاع سينعكس على حالة الرجل الجنسية.

و ناقش البحث حالات بعض الرجال الذين يلبسون الخاتم فترات محددة في اليوم. ز اوضح ان تعود لبس الخاتم و خلعه بين الحين و الاخر جعله قليل التأثير على طاقة هؤلاء الرجال.

و أخضع الباحثون عينات عشوائية من النساء و الرجال الى جلسات. وجدوا خلالها ان ٨٩% من الرجال الذين يلبسون خاتم الزواج لسنوات طويلة دون ان يخلعوه تتأثر حياتهم الجنسية لما في الخاتم من تأثير سلبي على الدورة الدموية و قوتها.

و ذهب العلماء ان لبس الرجال للذهب يقلل من طاقة الجسم و هو ما يؤثر على كل وظائفه . و يسبب حالة الخمول اذا لبسه في اصبعه او معصمه. و أشاروا الى ان المكان الوحيد الذي يكون فيه تأثير الذهب ايجابيا على طاقى الجسم هو في حالة لبسه على هيئة تاج مفتوح على الرأس حيث وجد انه المكان الوحيد الذي يؤدي الى زيادة كبيرة في الطاقة

داخل الجسم.

و بحسب البحث فقد ثبت بان الفضة ليس له اي تأثير على الطاقة في جسم الرجل. و الوضع لدى المرأة مختلف عن الرجل لان لبسها للذهب يؤدي الى زيادة الطاقة التي تعتبر مسؤولة عن كفاءة وظائف الجسم و نشاطه او خموله مع وجود مؤثرات خارجية اخرى.)[(١)].

أضرار الذهب :

الكل يتساءل ما سبب تحريم لبس الذهب للرجال وقد ذكر موقع طبي وعنوانه (gold particle migration) أن كل المصابين بمرض الزهايمر عندهم نسبة عالية منه وهو ما يعرف بهجرة الذهب .

وهجرة الذهب معروفة بالنسبة للفيزيائيين حيث أن الذهب إذا لامس معدن آخر تتسلل أو تهاجر قليل من الذرات منه إلى العنصر الملامس له ، وطبعا هذا يحدث خلال فترة كبيرة . ولم يعرف أن ذرات الذهب تتسلل من خلال جلد الإنسان إلى الدم إلا حديثا.

وأن أعلنوا عن تطوير تحليل للبول يتعرف على نسبة(c gold٧) فيه وبالتالي على وجود المرض أو عدمه.

يجدر هنا الإشارة إلى أن النساء لا تعاني من هذا الموضوع لأن أي ذرات مضرة تخرج شهريا من جسم المرأة[(٢)].

س١٢٢ : لماذا حرم الله لبس الحرير على الر جل ؟

ج١٢٢: يحرم على الرجال لبس الحرير، وذلك باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة[(٣)]، وحكي الإجماع على ذلك لحرير المصمت الخالص محرم على الرجال انتهى من أواخر كتاب الجامع.

---

(١) جريدة أخبار اليوم المصرية ، الثلاثاء ٠٤ يناير-كانون الثاني ٢٠١١ .(الاعجاز العلمي في القران والسنه في تحريم الذهب علي الرجال...)

(٢) البوابة نيوز ،موقع ألكتروني ، الإثنين ٠٣/فبراير/٢٠١٤

(٣) الحنفية [٣٣٠] (فتح القدير) للكمال ابن الهمام (١٧/١٠)، (البحر الرائق) لابن نجيم (٢١٥/٨)، (الدر المختار للحصكفي وحاشية ابن عابدين) (٣٥١/٦). (١) ، والمالكية (مواهب الجليل) للحطاب (١٨٩/٢)، (الشرح الصغير للدردير مع حاشية الصاوي) (٥٩/١). (٢) ، والشافعية (المجموع) للنووي (٤٣٥/٤)، (مغني المحتاج) للخطيب الشربيني (٣٠٦/١). (٣) ، والحنابلة] (كشاف القناع) للبهوتي (٢٨١/١)، وينظر (المغني) لابن قدامة (٤٢١/١).

(٤) (مواهب الجليل) (١٨٩/٢).

وقال الشوكاني في حكم لبس الحرير: (ووقع الإجماع على أن التحريم مختص بالرجال دون النساء)[1]. ، لكن قال ابن حزم: (واتفقوا على كراهية الحرير للرجال في غير الحرب وفي غير التداوي بلباسه، إذا كان محضا، ثم اختلفوا فمن محرم، ومن كاره)[2]. (مراتب الإجماع) وقال المازري: (اختلف الناس في لباس الحرير فذهب قوم إلى منعه على الإطلاق، وآخرون إلى جوازه على الإطلاق، وجمهور العلماء على إباحته للنساء، ومنعه للرجال)[3] .

الأدلة من السنة:

١- عن ابن زرير، أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ((إن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا، فجعله في يمينه، وأخذ ذهبا فجعله في شماله، ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي)[4].

٢- عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه رضي الله عنه، قال: (أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر رضي الله عنه بحلة حرير، أو سيراء السيراء: نوع من الثياب فيه خطوط صفر، يخالطه حرير[5]، فرآها عليه، فقال: إني لم أرسل بها إليك لتلبسها، إنما يلبسها من لا خلاق له، إنما بعثت إليك لتستمتع بها، يعني: تبيعها)[6].

٣- عن أبي عثمان، قال: (كنا مع عتبة، فكتب إليه عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يلبس الحرير في الدنيا إلا لم يلبس في الآخرة منه)[7].

---

(١) الشوكاني (نيل الأوطار) (٩٧/٢).
(٢) ابن حزم(١٥٠/١).
(٣) المازري ، المعلم بفوائد مسلم، (١٢٦/٣).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٠٥٧)، والنسائي (٥١٤٤)، وأحمد (٩٣٥) واللفظ لهم، وابن ماجه (٣٥٩٥) باختلاف يسير. حسنه علي بن المديني كما في (خلاصة البدر المنير) (٢٦/١) وقال: ورجاله معروفون، وصححه ابن العربي في ((أحكام القرآن) (١١٤/٤)، وحسنه النووي في (المجموع) (٤٤٠/٤)، والشوكاني في (الدراري المضية) (٣٤٠)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق (مسند أحمد) (١٨٦/٢)، وجود إسناده ابن باز في (مجموع الفتاوى) (٣٤٨/٦)، وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود) (٤٠٥٧).
(٥) تهذيب اللغة) للأزهري (٢٨٣/٣)، (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير (٤٣٣/٢)، (لسان العرب) لابن منظور (٣٩٠/٤).
(٦) أخرجه البخاري (٢١٠٤) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٨).
(٧)) أخرجه البخاري (٥٨٣٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٩) بنحوه .

٤- عن ابن أبي ليلى، قال: (كان حذيفة بالمداين فاستسقى، فأتاه دهقان بماء في إناء من فضة، فرماه به وقال: إني لم أرمه إلا أني نهيته فلم ينته؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الذهب والفضة، والحرير والديباج، هي لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة)[1].

٥- عن البراء رضي الله عنه، قال: (أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع: عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس...، ونهانا عن سبع: عن لبس الحرير، والديباج، والقسي لقسي: هي ثياب مضلعة بالحرير، تعمل بالقس- بفتح القاف- وهو موضع من بلاد مصر[2]، والإستبرق لإستبرق: ما غلظ من الحرير[3]. (والمياثر المياثر: جمع ميثرة: فراش من حرير محشو بالقطن يجعله الراكب تحته على الرحل والسرج، وهي من مراكب العجم[4] الحمر)[4] ، [5] راجع[6].

س١٢٣ : لماذا حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار ؟.

ج١٢٣ : قصة مسجد الضرار وردت في القرآن الكريم ، في سورة التوبة ، حيث يقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ(١٠٨))[7]، قال ابن كثير رحمه الله : (سبب نزول هذه الآيات الكريمات : أنه كان بالمدينة قبل مَقدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها رجل من الخزرج يقال له : (أبو عامر الراهبُ) ، وكان قد تَنَصَّر في الجاهلية وقرأ علْم أهل الكتاب ، وكان فيه عبادة في الجاهلية ، وله شرف في الخزرج كبير ، فلما قَدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى

---

(١) خرجه البخاري (٥٨٣١) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٧)
(٢) شرح النووي على مسلم (٣١/١٤).
(٣) النهاية) لابن الأثير (٤٧/١). (١٢) ،
(٤) خرجه البخاري (٥٨٤٩) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٦). (١٤) .
(٥) الدرر السنية ، علوي عبدالقادر السقاف .
(٦) سورة التوبة .

المدينة ، واجتمع المسلمون عليه ، وصارت للإسلام كلمة عالية ، وأظهرهم الله يوم بدر ، شَرِق اللعين أبو عامر بريقه ، وبارز بالعداوة ، وظاهر بها ، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش ، فألَّبهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب ، وقدموا عام أحد ، فكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله ، وكانت العاقبة للمتقين .

وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين ، فوقع في إحداهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصيب ذلك اليوم ، فجرح في وجهه ، وكُسِرت ربَاعِيَتُه اليمنى السفلى ، وشُجَّ رأسه ، صلوات الله وسلامه عليه . وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار ، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وموافقته ، فلما عرفوا كلامه قالوا : لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ، ونالوا منه وسبُّوه . فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بعدي شَر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعاه إلى الله قبل فراره ، وقرأ عليه من القرآن ، فأبى أن يسلم وتمرَّد ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يموت بعيدًا طريدًا ، فنالته هذه الدعوة .

وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ، ورأى أمرَ الرسول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور ، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده ومَنَّاه ، وأقام عنده ، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويُمَنِّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه ، ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك ، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ، فبنوه وأحكموه ، وفرغوا منه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ، ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال : (إنا على سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله) ، فلما قفل عليه السلام

راجعًا إلى المدينة من تبوك ، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك المسجد من هَدَمه قبل مقدمه المدينة .

كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) وهم أناس من الأنصار ، ابتنوا مسجدًا ، فقال لهم أبو عامر : ابنوا مسجدًا واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم ، فآتي بجند من الروم وأخرج محمدًا وأصحابه . فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : قد فرغنا من بناء مسجدنا ، فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة . فأنزل الله عز وجل : (لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) إلى (وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(وكان مسجد الضرار قد بني لأبي عامر الفاسق الذي كان يقال له أبو عامر الراهب ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكان المشركون يعظمونه ، فلما جاء الإسلام حصل له من الحسد ما أوجب مخالفته للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفراره إلى الكافرين ، فقام طائفة من المنافقين يبنون هذا المسجد ، وقصدوا أن يبنوه لأبي عامر هذا ، والقصة مشهورة في ذلك ، فلم يبنوه لأجل فعل ما أمر الله به ورسوله ، بل لغير ذلك[(٢)].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : مسجد الضرار بني على نية فاسدة ، قال تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) والمتخذون هم المنافقون ، وغرضهم من ذلك :

١- مضارة مسجد قباء : ولهذا يسمى مسجد الضرار .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص ٢١٠ – ٢١٤ .
(٢) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ٤٣١ .

٢- الكفر بالله : لأنه يقرر فيه الكفر - والعياذ بالله - ؛ لأن الذين اتخذوه هم المنافقون.

٣- التفريق بين المؤمنين : فبدلا من أن يصلي في مسجد قباء صف أو صفان يصلي فيه نصف صف ، والباقون في المسجد الآخر ، والشرع له نظر في اجتماع المؤمنين .

٣- الإرصاد لمن حارب الله ورسوله يقال: إن رجلا ذهب إلى الشام ، وهو أبو عامر الفاسق ، وكان بينه وبين المنافقين الذين اتخذوا المسجد مراسلات ، فاتخذوا هذا المسجد بتوجيهات منه ، فيجتمعون فيه لتقرير ما يريدونه من المكر والخديعة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، قال الله تعالى : (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) ، فهذه سنة المنافقين: الأيمان الكاذبة[١] ، [٢] .

يقول محمد بن رشد الجد (إن من بنى مسجدا بقرب مسجد آخر ليضار به أهل المسجد الأول ويفرق به جماعتهم فهو من أعظم الضرر، لأن الإضرار فيما يتعلق بالدين أشد منه فيما يتعلق بالنفس والمال، لا سيما في المسجد المتخذ للصلاة التي هي عماد الدين، وقد أنزل الله تعالى في ذلك ما أنزل من قوله" والذين اتخذوا مسجدا ضرارا — إلى قوله — لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم".. فإن ثبت على بانيه أنه قصد الإضرار وتفريق الجماعة لا وجها من وجوه البر، وجب أن يحرق ويهدم ويترك مطروحا للزبول كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد الضرار)[٣].

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا :

١- خذام بن خالد ، من بني عُبَيد بن زيد ، أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق .

٢- ثعلبة بن حاطب من بني عبيد وهو إلى بني أمية بن زيد .

٣- معتِّب بن قُشير ، من بني ضُبَيعة بن زيد .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين " (٢٢٦/٩-٢٢٧)
(٢) الاسلام سؤال وجواب تاريخ النشر : ١٧-٠١-٢٠١٠
(٣) محمد بن راشد الجد ، البيان والتحصيل ، ج١ ، ص ٤١١ .

٤- أبو حبيبة بن الأذعر ، من بني ضُبَيعة بن زيد .

٥- عَبَّاد بن حُنَيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو بن عوف .

٦- جارية بن عامر .

٧- مُجَمِّع بن جارية .

٨- زيد بن جارية .

٩- ونَبْتَل بن الحارث ، من بني ضبيعة .

١٠- بحزج وهو من بني ضبيعة .

١١- بجاد بن عُثمان وهو من بني ضُبَيعة .

١٢- وديعة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لبابة بن عبد المنذر .

س١٢٤: لماذا شرع الله للمسلمين الجهاد ؟.

ج١٢٤: الجهاد فريضةٌ مُحْكَمةٌ غيرُ منسوخةٍ، وهو مِن أجلِّ العبادات، ولكنَّه كغيره من العبادات؛ له أركانه، وواجباته، وسُننه، كما أنَّ له ضوابطَه وأدلَّتَه من الكتاب والسُّنَّة، ومرجع أحكامه كتُب الفقه، والعلماء الرَّاسخون في العِلم، وهو كغيره من أبواب الفقه، حصَل فيه إفراطٌ وتفريط، وغلوٌّ وتساهل. ولذا وضع أهل العلم قواعد وضوابط للجهاد منها:

١- لزوم غرز العلماء: فإن مما لا شك فيه أن الجهاد من أعظم الأمور الدقيقة التي يرجع لأهل العلم فيها. فالبحث في هذه الدقائق من وظيفة خواص أهل العلم. والمرجعية في الخوف والأزمات والفتن، إلى أهل العلم الشرعي فيما يتعلق باستنباطهم من النص وما يتعلق بإيضاحهم للشرع.

٢- مراعاة حال القوة وحال الضعف: فيشترط في الجهاد أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فان لم يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال هو إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة، ولهذا لم يوجب الله – سبحانه وتعالى – على المسلمين القتال وهم في مكة؛ لأنهم عاجزون ضعفاء، فلما هاجروا إلى المدينة وكوّنوا الدولة الإسلامية، وصار لهم شوكة؛ أُمِروا بالقتال.

٣- لا يجب الجهاد إذا ترجحت مفسدة القتال على المصلحة المتوخاة منه لأن الشريعة جاءت بجلب المصالح وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها، فإذا ترتب على الجهاد حدوث مفسدة أكبر من المصلحة المتوقعة حَرُمَ الجهاد حينئذ. وعلى ذلك إذا لم يحقق الجهاد المصالح المرجوة منه بل حقق مفاسد، أو رجحت كفة مفاسد القتال على مصالحه: كان القتال ممنوعًا محظورًا.

٤- معرفة الفرق بين الجهاد والإفساد: فقد شُرِع الجهاد في سبيل الله ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ... (١٩٣)﴾[1] ، فإذا أصبح الجهاد نفسه مُحْدِثًا للفتنة في الدين ومانعًا من تعبيد الناس لربهم وصدًا للناس عن دعوة الحق؛ صار حرامًا لأنه لم يحقق مقصوده.

٥- من مسائل الجهاد التي يُثيرها البعض: مسألة تكثير سواد المجاهدين، فيقولون: إنَّ ذهاب الشَّباب لساحات الجهاد فيه تكثيرٌ لسواد المجاهدين، حتى لو لم يكونوا بحاجةٍ إلى رِجال.. وهذا كلامٌ لاستدرار العواطف، وإلَّا فهل من المنطق أن نحثَّ أصحابَ العِلل والعاهات على الاستنفار لساحات الجِهاد؛ لتكثير السَّواد؟ أو يُستنفرَ من الشباب من لا غناءَ له في المعارك والحرب؛ والمجاهدون أنفسهم يعانون من نقْص في الطَّعام والشَّراب والكِساء والدواء، ولا يَزيدهم مثلُ هؤلاء إلَّا أعباءً وثقلا؟!

٦- إن الجهاد فريضة تكتنفها الرحمة والشفقة، فلا يجوز قتل نساء وأطفال وشيوخ الكفار ما لم يشاركوا في القتال، فما بالنا بما نشاهده من أشلاء أطفال ونساء وشيوخ المسلمين في عمليات يزعم القائمون بها أنها من الجهاد في سبيل الله؟.

٧- التترس ومعناه: التستر بالتُرس، والمراد هنا أن يتستر الكفار في الحرب بمن لا يحل قتلهم أصلًا كصبيانهم ونسائهم، وكذلك ما لو تستروا بالمسلمين الأسرى عندهم

---

(١) سورة البقرة .

، وذلك هو التترس في الحرب، وللعلماء في حكمه تفصيل.. فإن تترس الكفار بصبيانهم ونسائهم، فإنه ينظر، إن كانت هناك ضرورة لرمْيِ الكفار وقتلهم ومن معهم من النساء والصغار فقد جاز رميهم، أما إذا لم تكن هناك ضرورة لرمي الكفار المتترسين بالصبيان والنساء فلا يجوز قَتْلُهم وذلك لتجنب قَتْل مَن لا يحل قتله أصلا، وهم الصبيان والنساء. وهذا القول عليه بعض أهل العلم، وأجاز غيرهم رميهم سواء كانوا مضطرين لذلك أو غير مضطرين، أما لو تترس الكفار بمسلمين أسرى أو تجار، فإنه يُنظر، إذا لم تدع الحاجة إلى رميهم لكون الحرب غير قائمة، أو لإمكان القدرة على الكفار من غير رميهم متترسين أو كان المسلمون آمنين من شر الكافرين، فإنه لا يجوز رميهم[1].

فرض الله تعالى على المسلمين الجهاد في سبيله ،لحكم ومصالح تترتب عليه ، فمن ذلك :

١- تعبيد الناس لله وحده ، وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد.

قال الله تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِّ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ.. (١٩٣))[2] وقال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ .. (٣٩))[3]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)[4] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، لا شَرِيكَ لَهُ)[5] .

---

(١) موقع أنا السلفي .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة الأنفال .
(٤) رواه البخاري (٢٤) ومسلم (٣٣) .
(٥) رواه أحمد (٤٨٦٩) . وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٨٣١) .

٢- رد اعتداء المعتدين على المسلمين .وقد أجمع العلماء على أن رد اعتداء الكفار على المسلمين فرض عين على القادر عليه .قال الله تعالى : (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠))[١] ، وقال تعالى : (أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣))[٢].

٣- إزالة الفتنة عن الناس .والفتنة أنواع :

- ما يمارسه الكفار من أشكال التعذيب والتضييق على المسلمين ليرتدوا عن دينهم . وقد ندب الله تعالى المسلمين للجهاد لإنقاذ المستضعفين ، قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥))[٣].
- فتنة الكفار أنفسهم وصدهم عن استماع الحق وقبوله ، وذلك لأنهم يفسدون فطر الناس وعقولهم ، وتربيهم على العبودية لغير الله ، وإدمان الخمر ، والتمرغ في وحل الجنس ، والتحلل من الأخلاق الفاضلة ، ومن كان كذلك قَلَّ أن يعرف الحق من الباطل ، والخير من الشر ، والمعروف من المنكر . فشرع الجهاد لإزالة تلك العوائق التي تعوق الناس عن سماع الحق وقبوله والتعرف عليه .

٤- حماية الدول الإسلامية من شر الكفار ، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل رؤوس الكفر الذي كانوا يؤلبون الأعداء على المسلمين ، ككعب بن الأشرف ، وابن أبي الحقيق اليهوديين .

٥- إرهاب الكفار وإذلالهم وإخزاؤهم .قال تعالى :

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة التوبة.
(٣) سورة النساء .

(قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٥))[١] وقال تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..(٦٠)) [٢] ولذلك شرع في القتال ما يسبب الرعب في قلوب الأعداء.

٦- كشف المنافقين .قال الله تعالى : (فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ... (٢٠))[٣] .

٧- تمحيص المؤمنين من ذنوبهم .أي : تنقيتهم من ذنوبهم ، وتخليصهم منها .قال الله تعالى : (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ(١٤٢))[٤] .

٨- الحصول على الغنائم .قال النبي صلى الله عليه وسلم : (بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ ، لا شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[٥].

٩- .اتخاذ شهداء ،قال الله تعالى : (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١))[٦] .

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة الأنفال .
(٣) سورة محمد .
(٤) سورة آل عمران .
(٥) رواه أحمد (٤٨٦٩) . صحيح الجامع (٢٨٣١).
(٦) سورة آل عمران .

١٠- حفظ العالم من الفساد .قال الله تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠))[١] وقال تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١))[٢]،[٣].

س١٢٥: لماذا ما نراه اليوم لا يعتبر جهادا في سبيل الله وخاصة مع ظهور داعش وبوكو حرام وغيرهما ؟.

ج١٢٥: يقول د. عبدالوهاب منصور الشقحاء : (هناك حالات يكون الجهاد فيها واجبا، وحالات يكون الجهاد فيها مكروها، وحالات يكون الجهاد فيها محرما.

الحالات التي يكون الجهاد فيها واجبا هي:

الحالة الأولى: إذا احتل العدو بلدا من بلاد المسلمين، أو حرك جيوشه لاحتلاله، أو قام بالهجوم عليه، وفي هذه الحالة يختص الحكم بأن الجهاد واجب على أهل هذه البلاد المعتدى عليها، فإن لم يكفوا لدفع العدو، أو تكاسلوا تعين على الأقرب فالأقرب، قال ابن تيمية رحمه الله: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب)[٤].

الحالة الثانية: إذا أصدر ولي الأمر أمره في حق طائفة من الجيش، أو الناس، أو الأفراد أن يخرجوا للقتال، فيجب على من صدر الأمر إليه أن يلبي الطلب، ويحرم عليه التخلف، وذلك لأن طاعة الإمام واجبة، واستدل العلماء بوجوب ذلك بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ...(٣٨))[٥] ، ثم يردف الله الآية السابقة بقوله تعالى: (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا...(٣٩))[٦].

---

(١) سورة الحج .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الإسلام سؤال وجواب ، تاريخ النشر ١٠ / ٨/ ٢٠٠٣ م.
(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مجموع الفتاوى، ج١٤ ، ص ٣٤٠ .
(٥) سورة التوبة .
(٦) سورة التوبة .

قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن: (اقتضى ظاهر الآية وجوب النفير على من يستنفر)[1].

وقال القرطبي في أحكام القرآن: (الاستدعاء والاستنفار يبعد أن يكون موجبا شيئا لم يجب من قبل إلا أن الإمام إذا عين قوما وندبهم إلى الجهاد لم يكن لهم أن يتثاقلوا عند التعيين، ويصير بتعيينه فرضا على من عينه لا لمكان الجهاد، ولكن لطاعة الإمام). ويقول الشوكاني في كتابه السيل الجرار: (يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعين ذلك عليه)[2].

الحالة الثالثة: إذا حضر المقاتلون المعركة فلا يجوز الانصراف عنها ما لم تضع الحرب أوزارها، أو يقرر ولي الأمر إيقافها حسبما تمليه المصلحة في ذلك. قال ابن قدامة في المغني (إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا..(٤٥))[3] سورة الأنفال، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ(١٥))[4] ،[5].

يكون الجهاد مكروها، وبيّن الفقهاء حالات الجهاد المكروه، ومنها:

الحالة الأولى: إذا شن الغارة على العدو أفرادٌ من مقاتلي المسلمين دون أخذ أذن سابق من الإمام، قال النووي في المنهاج مع شرحه مغني المحتاج: (يكره غزو بغير إذن الإمام، أو نائبه تأدبا معه، لأنه أعرف من غيره بمصالح الجهاد).

الحالة الثانية: إذا كان في البلاد التي يريد المسلمون إعلان الحرب عليها مسلمون يحتمل أن ينالهم آثار تلك الحرب سواء كان هؤلاء المسلمون من أهل تلك البلاد، أو من غير أهلها، كالأسرى المحتجزين، أو كالمستأمنين فيها لتجارة، أو زيارة، أو طلب علم، أو علاج.. قال الإمام الشافعي في كتابه الأم (إن كان في الدار أسارى من المسلمين أو تجار مستأمنون

---

(١) الجصاص ، أحكام القرآن ، ج ٣،ص ١٤٤.
(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ج٤ ، ص ١-١١ .
(٣) سورة الأنفال .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج ١٠ ،، ٣٦٥

كرهتُ النصب عليهم بما يعم من التحريق والتغريق وما أشبهه، غير محرم له تحريما بينا، وذلك أن الدار إذا كانت مباحة فلا يبين أن تحرم بأن يكون فسها مسلم يحرم دمه..)[1] أما إذا كان المسلمون كثرة في البلد المراد الهجوم عليه فإن الهجوم عليه لا يجوز.

وقد يكون الجهاد محرما، والمحرم هو: (ما طلب الشارع تركه على وجه الحتم والإلزام) وقد بين الفقهاء الحالات التي يتحول فيها الجهاد أو قتال أعداء الإسلام من الوجوب إلى التحريم في **الشريعة الإسلامية، ومن هذه الحالات:**

الحالة الأولى: تحريم الجهاد إذا منع منه الوالدان أو أحدهما، ولم يكن فرض عين؛ فقد أجمع جمهور الفقهاء أن المسلم إذا أراد الخروج فإنه يجب أن يكون هذا الخروج بإذن من والديه كليهما، في حال وجودهما معا، فإن لم يرضيا له هذا الخروج أو لم يرضه له أحدهما كان جهاده حينئذ حراما في الشرع إلا أن يكون الجهاد فرض عين لما في ذلك من مخالفة الحكم الشرعي الموجب لبر الوالدين وتقديمه على الجهاد، واستدل الفقهاء بحديث عبدالله بن عمرو قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد)[2]. قال الشوكاني: (قوله ففيهما فجاهد أي: خصصها بجهاد النفس في رضاهما) إلى أن قال: (يجب استئذان الأبوين في الجهاد وبذلك قال الجمهور، وجزموا بتحريم الجهاد إذا منع منه الأبوان أو أحدهما، لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية)[3]. وجاء في مغني المحتاج شرح المنهاج للشربيني قوله: (ويحرم على رجل جهاد بسفر وغيره إلا بإذن أبويه)[4]. وفي كتاب القوانين الشرعية لابن الجزي: (يمنع من الجهاد شيئان: أحدهما الدَّين الحال دون المؤجل.. والثاني: الأبوة، فللوالدين المنع إلا إذا تعين)[5].

الحالة الثانية: يحرم الجهاد على الرجل المدين إذا لم يترك وفاء، أو نحوه، ولم يأذن له الدائن ما

---

(١) كتاب الأم - الإمام الشافعي - ج ٤ - الصفحة ٢٥٨.
(٢) الإمام البخاري وصحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٠٤ .
(٣) محمد بن اسماعيل الكحلاني ، سبل السلام ، ج ٤ ، ١٦٤.
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ج ٦ ، ص ٩٨
(٥) ابن الجزري ، القوانين الفقهية ج:١ ص:٩٧

لم يكن الجهاد فرض عين، قال الشافعي في كتاب الأم: (لا يجوز له الجهاد وعليه دين إلا بإذن أهل الدين، وسواء كان الدين لمسلم، أو كافر)[١]. واستدل الفقهاء بحديث عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدَّين؛ فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك)[٢]، واستدل بهذا على عدم جواز خروج المدين إلى الجهاد بغير إذن غريمه.

الحالة الثالثة: يحرم الجهاد على المسلمين حين يؤدي إلى ضرر بليغ يلحق بهم، وهذه الحالة تقررها القواعد الشرعية العامة مثل: (لا ضرر ولا ضرار)، و(ترك الواجب إذا تعين طريقا لدفع الضرر) و(درء المضار مقدم على جلب المنافع) ومن الصور التي ذكرها الفقهاء مما تنطبق عليه هذه الحالة صورتان:

١- القتال ضد العدو حين يغلب على الظن غلبته على المسلمين.

٢- والقتال ضد العدو حين يتخذ من المسلمين أو ممن هم في أمان المسلمين تروسا، أو دروعا يحمي بها نفسه.

والمقصود من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا، وألا يعبد أحد إلا الله سبحانه وتعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (و الجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدِّينُ كلُّه لله، فمقصوده إقامة دين الله)[٣] وقال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله: (الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المؤمنين وإصلاحهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وجميع شؤونهم الدينية والدنيوية، وفي تربيتهم العلمية والعملية، وهذا النوع هو أصل الجهاد وقوامه، وعليه يتأسس النوع الثاني، وهو جهاد يقصد به دفع المعتدين على الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين والملحدين وجميع أعداء الدِّين ومقاومتهم)[٤]، ، وقال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: (الجهاد جهادان: جهاد الطلب وجهاد دفاع، والمقصود منهما جميعا

---

(١) الشافعي ، الأم ، ج٤ ، ص٢٧٦ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٨٦ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٩ ، ص٧٩ .
(٤) ابن سعدي ، رسالة ابن سعدي عن الجهاد .

هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه)[1].

وهناك ضوابط وشروط حتى يكون الجهاد جهادا في سبيل الله، ومن أهم هذه الضوابط:

١- أن يكون الجهاد موافقا للغاية التي شرع من أجلها، وهو أن يجاهد المسلم لتكون كلمة الله هي العليا، لحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: (يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[2] .

٢- أن يكون الجهاد مع إمام المسلمين أو بإذنه، وهذا من أهم الضوابط التي لا بد منها في الجهاد في سبيل الله. قال ابن تيمية رحمه الله (لأن الجهاد – ولا سيما جهاد الأعداء بالنفس – لا يتم إلا بالقوة، والقوة لا تحصل إلا باجتماع، والاجتماع لا يتحقق إلا بالإمارة، والإمارة لا تصلح إلا بالسمع والطاعة، وهذه الأمور المذكورة متلازمة لا يتم بعضها ولا يستقيم بدون بعض، بل لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها) وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا، وإن أمر بغيره فإن عليه وزرا)[3] .

٣- أن يكون الجهاد بعلم وفقه في الدين، وذلك لأنه من أعظم العبادات وأجل الطاعات، والعبادة لا تصلح إن لم تكن بعلم وفقه في الدين، ولهذا قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: (من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح)[4].

٤- أن يكون الجهاد بالعدل بعيدا عن العدوان والبغي، وهذا ضابط مهم جاء الأمر به والتأكيد عليه في الجهاد في سبيل الله، كما قال تعالى:

---

(١) محمد سعد الشويعر ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة - ج ٢ ، ص ٤٣٦ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٧٤٥٨ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٩٥٧ .
(٤) أحمد بن حنبل ، الزهد ، ص ٢٤٤ .

﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠)﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..(٨)﴾[٢] ،وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله، ويقول: (سيروا باسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليدا)[٣] .

٥- أن يكون الجهاد مؤديا إلى مصلحة راجحة، وألا يترتب عليه مفسدة أعظم، وذلك لأن الجهاد بجميع صوره إنما شرع لما فيه من تحقيق المصالح ودفع المفاسد عن الإسلام والمسلمين أفرادا وجماعات، فلا يزال مشروعا إذا علم باليقين أو غلب على الظن تحقيقه لهذه المصالح الشرعية، فإذا تيقن أو ظن أنه يترتب على القيام به من المفاسد ما هو أعظم من المصالح لم يكن حينئذ مشروعا ولا جهادا مأمورا به. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأفضل الجهاد والعمل الصالح ما كان أطوع للرب، وأنفع للعبد، فإذا كان يضره ويمنعه مما هو أنفع منه لم يكن ذلك صالحا)[٤].

ولقد ابتلي بهذا اجهل عن الجهاد وشروطه عدد غير قليل من أبناء المملكة الذين تلقوا فتاوى تحث على الجهاد من قنوات مغرضة صورت لهم أن قتل الأبرياء والنساء والأطفال من المسلمين هو الطريق إلى الجنة وأن الاشتراك مع منظمات مشبوهة تحارب دولا مسلمة وطوائف مسلمة هو جهاد في سبيل الله، وأن التفجير والتدمير والانتحار والاشتراك بالعمليات الانتحارية لقتل أنفسهم ومن يخالفهم من الطوائف الأخرى هو الجهاد في سبيل الله، وأنه مفتاح الدخول إلى الجنة.. وما علموا أن للجهاد في سبيل الله شروطا وأحكاما، وأن ما يعتقدونه جهادا في سبيل الله هو في حقيقته قتل حمية لا ثواب عليه، ناهيك أن يكون من أنواع الجهاد المكروه أو المحرم كما تقدم، فهؤلاء الشباب:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة المائدة .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسم ، رقم الحديث ١٧٣١ .
(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص ١٣٨ .

١- يأخذون أحكام الجهاد من نشرات الإنترنت ورسائل الجوال، ومن أناس يحملون أفكارا تكفيرية لأهل السنة والجماعة، واستطاعوا أن يستميلوا بعض شبابنا لتنفيذ مخططاتهم، وأحقادهم التاريخية ضد الدعوة السلفية، .

٢- غياب التوعية السليمة من علمائنا وأساتذة الجامعات والتعليم العام ومن ودعاتنا للناشئة وإيضاح أحكام الجهاد الصحيحة ، والمبنية على أحكام الشريعة الإسلامية.

٣- غياب المجمعات الفقهية، وهيئات علماء المسلمين في البلاد الإسلامية من إيضاح أن ما يقوم به هؤلاء الشباب لا يمت إلى الجهاد الشرعي بصلة أعطى أصحاب فتاوى الإنترنت الفرصة لاصطياد المزيد من شبابنا، وجعلهم وقودا للعمليات الانتحارية مستغلين جهلهم بأحكام الجهاد، وصغر سنهم وحماسهم.

كل ذلك استغلوه ذريعة لاستقطاب هؤلاء الشباب، والزج بهم في أتون الحروب الطائفية الطاحنة حاليا سواء في لبنان وأفغانستان، أو العراق، أو غيرها.

س١٢٦: لماذا سمي صنم ذي الخلصة بهذا الاسم ومن الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه ؟ وأين يقع مكانه اليوم ؟.

ج١٢٦: ذو الخَلَصَة : روى البخاري بسنده في الصحيح : (قال جرير: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تريحني من ذي الخلصة وكان بيتًا في خثعم يُسمَّى كعبة اليمانيّة، قال فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمَس وكانوا أصحاب خيل، قال وكنت لا أثبت على الخيل فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديًا مهديًّا فانطلق إليها فكسرها وحرَّقها ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره، فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتُك حتى تركتها كأنّها جمل أجوف أو أجرب، قال فبارك في خيل أَحمَس ورجالها خمس مرّات[٢].

---

(١) د. عبدالوهاب منصور الشقحاء ، ضوابط الجهاد في الشريعة ، جريدة الجزيرة ، الخميس ٢٧ /٦/ ١٤٢٨ العدد ١٢٧٠٥.

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٣٥٦

قال ابن سعد في الطبقات: (قدم جرير بن عبد الله البجلي سنة عشر المدينة ومعه من قومه مائة وخمسون رجلًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يطلع عليكم من هذا الفجّ من خير ذي يَمَن على وجهه مَسْحَة مُلْك. فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا، قال جرير: فبسط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبايعني وقال: على أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وتُقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتنصح المسلِم وتُطيع الوالي وإن كان عبدًا حبشيًّا، فقال: نعم، فبايعه....وكان نزل جرير بن عبد الله على فروة بن عمرو البياضي، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسائله عمّا ورائه، فقال: يا رسول الله أظهر الله الإسلام وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم، وهدّمت القبائل أصنامها التي كانت تُعبد، قال -رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم-: فما فَعَلَ ذو الخَلصة؟ قال جرير: هو على حاله قد بقي، والله مُريح منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى هدم ذي الخلصة وعقد له لواء، فقال: إني لا أثبت على الخيل، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدره وقال: اللهم اجعله هاديًا مهديًّا!....قالوا: وفد عثعث بن زحْر وأنس بن مُدرِك في رجال من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بعدما هدم جرير بن عبد الله ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم، فقالوا: آمنا بالله ورسوله ما جاء من عند الله)[٢]. .

وعند البكري في معجم ما استعجم : (ذُو الخَلَصَة: بفتح أوّله وثانيه، وفتح الصاد المهملة، بيت بالعبلاء، كانت خثعم تحُجُّه، وهو اليوم موضع مسجد العَبْلاء)[٣٢].

وعند الحموي في معجم البلدان: "الخَلَصَةُ: مضاف إليها ذو، بفتح أوله وثانيه، ويروى بضم أوله وثانيه، والأول أصح، والخلصة في اللغة: نبت طيب الريح يتعلّق بالشجر له حبّ كعنب الثعلب، وجمع الخلصة خلص. وهو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٥٧.
(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١، ص.٢٩٩.
(٣) البكري ، معجم ما استعجم ، ج٢ ، ص ٥٠٨ .

ببلادهم من العرب بتبالة، وهو صنم لهم... وقيل: كان لعمرو بن لحيّ بن قمعة نصبه، أعني الصنم، بأسفل مكة حين نصب الأصنام في مواضع شتّى.. وقيل: هو الكعبة اليمانية التي بناها أبرهة بن الصباح الحميري، وكان فيه صنم يدعى الخلصة فهدم. وقيل: كان ذو الخلصة يسمّى الكعبة اليمانية، والبيت الحرام الكعبة الشامية. وقال أبو القاسم الزمخشري: في قول من زعم أن ذا الخلصة بيت كان فيه صنم نظر لأن ذو لا يضاف إلا إلى أسماء الأجناس. وقال ابن حبيب في مخبره: كان ذو الخلصة بيتا تعبده بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وجرم وزبيد والغوث بن مرّ بن أدّ وبنو هلال ابن عامر، وكانوا سدنته بين مكة واليمن بالعبلاء على أربع مراحل من مكة، وهو اليوم بيت قصّار فيما أخبرت. وقال المبرّد: موضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم. وقال أبو المنذر: ومن أصنام العرب ذو الخلصة، وكانت مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج، وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسير سبع ليال من مكة.. وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة)[١].

وقال عاتق البلادي في معجم المعالم الجغرافية: (جاء في النص: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة.)[٢]

وجاء في (كتاب الأصنام): أن ذا الخلصة كان عتبة باب مسجد تبالة في عهد المؤلف، وكذا نقله في معجم البلدان[٣].

غير أن بعض أهل المعرفة من زهران يدّعون أنه معروف في بلادهم شمال غربي مدينة الباحة، وهذا الموقع ليس بعيدًا عن تبالة، ولكنه ليس معدودًا منها، وهو مكان يتوسط ديار بجيلة ودوس ، وخثعم، ذلك أن ديار هذه القبائل لم تتغير حتى يوم الناس هذا. وقيل بل كان بأسفل مكة، وأراه وهما، وقيل: بل هو الكعبة اليمانية التي بناها أبرهة بن الصباح الحميري، وكانت الكعبة المعظمة تسمى (الكعبة الشامية). وقيل: كان بيتا تعبده بجيلة وخثعم والحارث

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٣٨٤ .
(٢) عاتق البلادي ، معجم المعالم الجغرافية ، ص ١١٣ .
(٣) ابن الكلبي ، الأصنام ،ذي الخلصة

ابن كعب وجرم و زبيد – زبيد مذحج– والغوث وبنو هلال، كان بالعبلات بين مكة واليمن، على أربع مراحل من مكة، وقيل: بل سبع ليالٍ، وكان سدنته بنو أمامة من باهلة بن أعصر.[٤] وهناك مكان لصنم في قرية (ثروق) ببلاد زهران التابعة لمنطقة الباحة ، ويعرفه أهل المكان ، وقد تم هدمه مع قيام الدولة السعودية نظرا لتبرك الناس به، وجاء في كتاب تخريج السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقومُ الساعةُ حتى تضطَّرِبَ أليَاتُ نساءِ دَوْسٍ حولَ ذي الخلَصَةِ طاغِيَةُ دَوْسٍ التي كانوا يعبدونَها في الجاهِلِيَّةِ[٥].

س١٢٧ : لماذا سميت أصنام اللات والعزى ومناة بهذه الاسماء ؟ .

ج١٢٧: يقول الله تعالى :(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى (٢٥) وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى(٣٠))[١].

واللات هي إحدى الأصنام التي عبدها العرب قبل الإسلام. وكانت هي والصنمين مناة والعزى يشكلون ثالوثاً أنثوياً عبده العرب قبل الإسلام في زمن عرف بالجاهلية، وبالخصوص ممن سكن مكة وما جاورها من المدن والقرى وكذلك الأنباط وأهل مملكة الحضر. وكانوا يعتقدون أن الثلاثة بنات الله، وقسم من العرب اعتقد أن اللات ومناة بنتا العزى.

---

(١) بوابة السيرة النبوية .
(٢) الألباني ، تخريج كتاب السنة ، رقم الحديث ٧٨ ، وقال حديث صحيح .
(٣) سورة النجم

قيل: اللاتُ: يجوز أن يكون من لاتَه يَلِيتُه إذا صرفه عن الشيء كأنهم يريدون أنه يصرف عنهم الشرّ. قيل: هي مشتقة من لويت الشيء إذا أقمت عليه.

قيل: أصلها لَوْهة فعلة من لاهَ السراب يلوهُ إذا لمع وبَرق وقُلبت الواو ألفًا لسكونها وانفتاح ماقبلها وحذفوا الهاء لكثرة الاستعمال واستثقال الجمع بين هاءين.

قيل:اللات هي مؤنث اسم (الله)، وقد كانت تعرف في عهد هيرودوت باسم: أليتا، ويذكر هيرودوت بأنها كانت الزهرة السماوية.

كان للات بيت مشيد في الطائف تسير العرب إليه ويضاهي أهل الطائف به الكعبة، وكانوا يسمونه بيت الربة. وكان له كسوة وحَجَبَة . وكانت السدانة لآل أبي العاص بن أبي يسار بن مالك ولبني عتّاب بن مالك، وكلاهما أسرتان ثريتان من ثقيف. وكان للات أيضا واديا يدعونه حَرَم الربة لا يُقطع شجره ولا يصاد حيوانه ومن دخله فهو آمن. و كانت العرب تعظم اللات ويتقربون إليها وكان الثقفيون إذا قدموا من سفر ساروا إلى اللات ليقدموا شكرهم لها.

و كان تحت صخرة اللات حفرة حفظت فيها القرابين والهدايا والأموال التي قُدمت لها وكان العرب يسمون كل حفرة لوضع الهدايا والقرابين (الغبغب). وكانت الهدايا تختلف من حلي وثياب ونفائس أخرى، وكانت طريقة التقديم أن يعلقوا ما قدروا على تعليقه عليها، والباقي يعطونه للسدنة، وأبرز ما كان يعلق عليها القلائد والسيوف، وهي عادة عند العرب عامة مع جميع آلهتهم وليست عبادة مختصة باللات. و كانوا يحلفون باللات أيضا وغالبا ما يعطفون على العزى أثناء القسم فيقولون (و اللات والعزى) أو كما في شعر أوس بن حجر:

و باللات والعزى ومن دان دينها   و بالله، إن الله منهن أكبر

وأثناء الحروب، كان الجيش يحمل اللات في قبة وينصب لها بيتا في معسكره وذلك لدفع المقاتلين للصمود ولبث الشجاعة في نفوسهم، وقد حملت قريش اللات والعزى في معركة أحد.

والموضع الذي كانت اللات تعبد فيه هو الآن داخل مسجد. وكان نصبها موجودا في موضع المنارة اليسرى من مسجد الطائف. وكانوا يعبدونها أيضا بمواضع أخرى مثل نخلة عند سوق عكاظ، وعبدوها عند الكعبة. وكان لها معابد أخرى في الحجاز وغير الحجاز ولها معبد أيضا يقع في الحي الغربي من مدينة تدمر، ويعود تواجده فيها إلى القرن الثاني الميلادي[1].

كانت العرب قد اتخذت طواغيت يعبدونها من دون الله ، وكان من أشهرها : اللات والعزى ومناة ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى(٢٠) ﴾[2] ، قال الطبري رحمه الله (:وأما العُزَّى : فإن أهل التأويل اختلفوا فيها ، فقال بعضهم : كانت شجرات يعبدونها .وهو قول مجاهد ، وقال آخرون : كانت العُزَّى حَجَرا أبيض ، وهو قول سعيد بن جبير ، وقال آخرون : كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف ، وهو قول ابن زيد .

وقال آخرون : بل كانت ببطن نَخْلة[3] ..

وقال الثعلبي في " تفسيره " : وَالْعُزَّى اختلفوا فيها : فقال مجاهد : هي شجرة لغطفان يعبدونها ، وهي التي بعث إليها رسول الله خالد بن الوليد فقطعها ، وجعل خالد يضربها بالفأس ويقول :

يَا عُزَّ كُفْرَانَكِ لاَ سُبْحَانَك   إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

فخرجت منها شيطانة ، ناشرة شعرها داعية ويلها ، واضعة يدها على رأسها وقال الضحاك : وهي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظا لم الغطفاني وقال ابن زيد : هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف[4].

وقال ياقوت الحموي رحمه الله :(العزّى: سَمُرَة (أي : شجرة) كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا وأقاموا لها سدنة ، فبعث النبي صلّى الله عليه وسلّم خالد بن الوليد إليها فهدم البيت وأحرق السّمرة .

---

(١) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، عبادة اللات .
(٢) سورة النجم .
(٣) الطبري، تفسير الطبري ، ج٢٢ ، ص ٥٢٤ .
(٤) الثعلبي ، تفسير الثعلبي ، ج٩ ، ص ٩ ، ص ١٤٥ .

والعزّى تأنيث الأعزّ مثل الكبرى تأنيث الأكبر ، والأعزّ بمعنى العزيز والعزى بمعنى العزيزة ، وقال ابن حبيب : العزى شجرة كانت بنخلة عندها وثن تعبده غطفان وسدنتها من بني صرمة بن مرّة ، قال أبو منذر بعد ذكر مناة واللّات : ثم اتخذوا العزّى وهي أحدث من اللات ومناة ، وذلك أني سمعت العرب سمّت بها عبد العزّى ، وكان الذي اتخذ العزّى ظالم بن أسعد ، وكانت بواد من نخلة الشامية ، فبني عليها بيتا ، وكانوا يسمعون فيه الصوت ، وكانت العرب وقريش تسمّي بها عبد العزّى ، وكانت أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقرّبون عندها بالذبائح[1] .

والراجح أن العزى كانت بيتا بنخلة يعبدونه ويعظمونه كما يعظمون الكعبة ، على ثلاث شجرات مقدسة عندهم ، فيها شيطانة ، فيعبدون البيت ويطوفون به ، وتكلمهم هذه الشيطانة من داخله ، فتزيدهم غيا إلى غيهم ، وضلالا إلى ضلالهم ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فهدم البيت ، وقطع الشجرات ، وقتل الشيطانة وهي التي كانوا يعبدونها في الحقيقة من دون الله .

روى النسائي عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةٍ ، وَكَانَتْ بِهَا الْعُزَّى ، فَأَتَاهَا خَالِدٌ ، وَكَانَتْ عَلَى ثَلَاثِ سَمُرَاتٍ ، فَقَطَعَ السَّمُرَاتِ ، وَهَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : (ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا) ، فَرَجَعَ خَالِدٌ ، فَلَمَّا بَصُرَتْ بِهِ السَّدَنَةُ وَهُمْ حَجَبَتُهَا ، أَمْعَنُوا فِي الْجَبَلِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : يَا عُزَّى يَا عُزَّى ، فَأَتَاهَا خَالِدٌ ، فَإِذَا امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ ، نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا ، تَحْتَفِنُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهَا ، فَعَمَّمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى قَتَلَهَا ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : (تِلْكَ الْعُزَّى) ، وهذا إسناد حسن ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في " الصحيح المسند[2] .

---

(١) الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١١٦ – ١١٧ .
(٢) النسائي ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ١١٤٨٣ ، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي ، الصحيح المسند ، ص ٥٣٣ .

وقال ابن كثير رحمه الله :(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي السِّيرَةِ : " وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاغِيتَ وَهِيَ بُيُوتٌ تُعَظِّمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ ، بِهَا سَدَنَةٌ وَحُجَّابٌ وَتُهْدِي لَهَا كَمَا يُهْدَى للكعبة، وتطوف بها كطوافها بِهَا، وَتَنْحَرُ عِنْدَهَا ، وَهِيَ تَعْرِفُ فَضْلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إبراهيم عليه السلام ومسجده : فكانت لقريش ولبني كِنَانَةَ الْعُزَّى بِنَخْلَةَ، وَكَانَتْ سَدَنَتُهَا وَحُجَّابُهَا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ سُلَيْمٍ ، حُلَفَاءَ بَنِي هَاشِمٍ .

و بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَهَدَمَهَا وَجَعَلَ يَقُولُ :يا عزّى كُفْرَانَكِ لَا سُبْحَانَكِ ... إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكِ [1].

وقال الفيروز آبادي رحمه الله العزى : (صَنَمٌ ، أو سَمُرَةٌ عَبَدَتْهَا غَطفَانُ ، أولُ منِ اتَّخَذَهَا ظَالِمُ بنُ أسْعَدَ ، فَوْقَ ذاتِ عِرْقٍ إلى البُسْتَانِ بِتِسْعَةِ أميالٍ ، بنَى عليها بَيْتاً ، وسَمَّاهُ بُسّاً . وكانوا يَسْمَعونَ فيها الصَّوْتَ ، فَبَعَثَ إليها رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، خالِدَ بنَ الوَليدِ ، فَهَدَمَ البيتَ ، وأحْرَقَ السَّمُرَةَ)[2].

وجاء في اللباب في علوم الكتاب:(قال قتادة : مناة صخرة كانت لخُزَاعةَ بقَدِيد . وقالت عائشة (رضي الله عنها) في الأنصار كانوا يصلون لمناةَ فكانت حذو قَديدٍ . وقال ابن زيد : بيت كان بالمشلل تعبده بنو كعب . وقال الضحاك مناة صنم لهُذَيْل وخُزَاعَة تعبده أهل مكة . وقيل : اللاَّتُ والعُزَّى ومناة أصنامٌ مِنْ حجارةٍ كانت في جوف الكعبة يعبدونها)[3].

وأما "مناة" فكانت بالمشَلَّل - عند قُدَيد، بين مكة والمدينة- وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويُهلّون منها للحج إلى الكعبة. وروى البخاري عن عائشة نحوه . وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها[4].

---

(١) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٧ ، ص ٤٢٣ .
(٢) الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ' ص ٥١٧ .
(٣) ابن كثير ، اللباب ، ج١٤ ، الباب ١٩ .
(٤) المصدر السابق ، ج٧ ، الباب ١٩ .

يقول الطبرى (المشلل : بضم الميم وفتح الشين المعجمة ولامين ، الأولى مفتوحة مثقلة ، هي الثنية المشرفة على قديد ، وقديد ، بضم القاف ودالين مهملتين ، مصغرًا : قرية جامعة بين مكة والمدينة ، كثيرة المياه .)[1].

يقول القرطبي :(مناة: اسم صنم في جهة البحر مما يلى قديدا بالمشلل (وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر) على سبعة أميال من المدينة)[2].

وقديد طريق هجرته صلى الله عليه وسلم: يقول تعالى: (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٤٠))[3] ، (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٣٠))[4] .

جاء تفسير في الطبري :. (حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله(لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) قال: جبريل رآه في خلقه الذي يكون به في السموات، قدر قوسين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بينه وبينه.

القول في تأويل قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢)).

يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة؛ وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤهم، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّى؛ وزعموا أنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا[5] .

---

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٣ ، ص ٢٣٧ .من الموسوعة الشاملة .
(٢) القرطبي ، التفسير ، ج٢ ، ص ١٤٧ من الموسوعة الشاملة.
(٣) سورة التوبة .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) سورة النجم .

س١٢٨: لماذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين من جزيرة العرب ؟.

ج١٢٨: عن عبدالله بن العباس رضي الله عنهما قال : (اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، ونسيت الثالثة. وقال يعقوب بن محمد، سألت المغيرة بن عبد الرحمن، عن جزيرة العرب: فقال مكة، والمدينة، واليمامة، واليمن، وقال يعقوب والعرج أول تهامة)[١].

وقد جاءت عدة أحاديث ، تدل على المعنى نفسه :

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً)[٢].

٢- عن أبي عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه قال : آخرُ ما تكلَّم به النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (أخرجوا يهودَ أهل الحجاز ، وأهل نجران من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[٣].

والمراد بجزيرة العرب في هذه الأحاديث : الجزيرة العربية كلها ، التي يحيط بها البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي ، وتنتهي شمالا إلى أطراف الشام والعراق .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وتبعه في ذلك بعض أهل اللغة: «جزيرة العرب هي من بحر القُلْزُم إلى بحر البصرة ، ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم، ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله)[٤].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٥٣ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧٦٧ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، ج ٣ ، ص ٢٢١ . وصححه ابن عبد البر في "التمهيد"(١٦٩/١) ، ومحققو المسند ، والألباني في "السلسلة الصحيحة" (١١٣٢) .
(٤) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٤٥٤ .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :(يجب أن يعلم أنه لا يجوز استقدام الكفرة إلى هذه الجزيرة ، لا من النصارى ، ولا من غير النصارى ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بإخراج الكفرة من هذه الجزيرة ، وأوصى عند موته صلى الله عليه وسلم بإخراجهم من هذه الجزيرة ، وهي المملكة العربية السعودية واليمن ودول الخليج ، كل هذه الدول داخلة في الجزيرة العربية ، فالواجب ألا يقر فيها الكفرة من اليهود ، والنصارى ، والبوذيين ، والشيوعيين ، والوثنيين ، وجميع من يحكم الإسلام بأنه كافر لا يجوز بقاؤه ولا إقراره في هذه الجزيرة ولا استقدامه إليها إلا عند الضرورة القصوى التي يراها ولي الأمر ، كالضرورة لأمر عارض ثم يرجع إلى بلده ممن تدعو الضرورة إلى مجيئه أو الحاجة الشديدة إلى هذه المملكة وشبهها كاليمن ودول الخليج .

أما استقدامهم ليقيموا بها فلا يجوز بل يجب أن يكتفى بالمسلمين في كل مكان ، وأن تكون المادة التي تصرف لهؤلاء الكفار تصرف للمسلمين ، وأن ينتقي من المسلمين من يعرف بالاستقامة والقوة على القيام بالأعمال حسب الطاقة والإمكان ، وأن يختار أيضا من المسلمين من هم أبعد عن البدع والمعاصي الظاهرة ، وأن لا يستخدم إلا من هو طيب ينفع البلاد ولا يضرها ، هذا هو الواجب[1] .

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن حكم استقدام غير المسلمين إلى الجزيرة العربية؟
فأجاب :(استقدام غير المسلمين إلى الجزيرة العربية أخشى أن يكون من المشاقة لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث صح عنه كما في صحيح البخاري أنه قال في مرض موته: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) وفي صحيح مسلم أنه قال: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً). لكن استقدامهم للحاجة إليهم بحيث لا نجد مسلماً يقوم بتلك الحاجة جائز بشرط أن لا يمنحوا إقامة مطلقة.
وحيث قلنا : جائز ، فإنه إن ترتب على استقدامهم مفاسد دينية في العقيدة أو الأخلاق

---

(١) ابن باز ، فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ، ج٦ ، ص ٤٥٤ .

صار حراماً، لأن الجائز إذا ترتب عليه مفسدة صار محرماً تحريم الوسائل كما هو معلوم. ومن المفاسد المترتبة على ذلك : ما يخشى من محبتهم ، والرضا بما هم عليه من الكفر، وذهاب الغيرة الدينية بمخالطتهم. وفي المسلمين . ولله الحمد . خير وكفاية، نسأل الله الهداية والتوفيق)[1].

لكن الحال اختلف في هذا الزمان وعليه فأقول والله أعلم :

١- أن الحاجة لغير المسلمين في بلاد المسلمين أصبحت ضرورية في مجالات كثيرة .

٢- أن هؤلاء الغير مسلمين ليس لهم إقامة دائمة في بلادنا .

٣- أنهم لا يحملون الهوية الوطنية .

٤- أن اليهود والنصارى كانوا في بلاد المسلمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي يرزق ، وقد فرض عمر بن الخطاب ليهودي فقير من بيت مال المسلمين .

٥- حينما فتحت بلاد الشام لم يصادر عمر ممتلكاتهم وكنائسهم .

٦- لو طبقنا ما ذكر في الحديث لتم التعامل معنا بالمثل فلا يدخل بلادهم مسلم .

يقول الدكتور عارف الشيخ : (إن الموضوع يحتاج إلى شيء من التفصيل، فالأحاديث التي ذكرت صحيحة، لكن هناك استثناءات، بدليل :

١- أن أهل الذمة مستثنون دائماً، ويجري عليهم ما يجري على المسلمين ما لم ينقضوا العهد، فاليهود في المدينة لولا غدرهم لما أخرجوا وتركوا حتى يعيشوا بديانتهم اليهودية بجانب الإسلام .

٢- في عهد عمر رضي الله تعالى عنه كان الأجراء والمماليك من غير المسلمين موجودين، بدليل أن قاتله هو أبو لؤلؤة المجوسي الذي كان عبداً مملوكاً للمغيرة بن شعبة ويعيش في المدينة مع أنه ليس مسلماً، إذن فإن مجرد الدين لا يكفي لإخراجهم من جزيرة العرب، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول في حديث: (من قتل معاهداً

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين، ج٣ ، ص ٤١.من الاسلام سؤال ١٧-٠٩-٢٠٠٧

لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[1] .

٣- أن الرسول عليه الصلاة والسلام أذن لرسولي مسيلمة بدخول جزيرة العرب وقال: (لولا أن الرسل لا تقتل لضربت عنقيكما)[2].

٤- الواقع يقول غير هذا، بل حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه عندما أخرج اليهود من المدينة أخرجهم إلى خيبر فقط .

٥- الأحاديث التي ذكرت صحيحة، لكن هناك استثناءات، بدليل أن أهل الذمة مستثنون دائماً، ويجري عليهم ما يجري على المسلمين ما لم ينقضوا العهد، فاليهود في المدينة لولا غدرهم لما أخرجوا وتركوا حتى يعيشوا بديانتهم اليهودية بجانب الإسلام .

٦- أن قوله عليه الصلاة والسلام: "أخرجوا" لا يفهم على عمومه، بل يستثنى منه أصحاب العهد والأمان، وكذلك الأجراء والخدم والسفراء وأمثالهم، وقد أجمع الصحابة على أن هؤلاء في أمان ويجب الدفاع عنهم .

٧- يقاس عليهم اليوم كل من يعيش على أرض جزيرة العرب من غير المسلمين، لأنهم إما سفراء ومراسلون لدول أجنبية لها سيادة، وإما أنهم أجراء وعمال وصناع دخلوا بالتأشيرة الممنوحة لهم من قبل دولنا .

٨- هم لهم من الحقوق كما عليهم من الواجبات، ولا يجوز الاعتداء عليهم بحكم أنهم يهود أو نصارى أو مشركون بشكل عام، وقد فرضت علينا الأمم المتحدة في قوانينها احترام الأديان والملل والطوائف بحكم أن اتباعها في الإنسانية سواء، وجميع دولنا وقعت عليها . وبناء على هذا، فإن الأحاديث يجب أن تفسر بأن الإخراج يراد منه إخراج من اعتدى منهم علينا أو نقض عهده، وفي زمننا يعرف الإخراج بالإبعاد والحرمان من الإقامة .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٦٦ .
(٢) الباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٥٣٢٠ .

٩- أن الإخراج في الحديث يفسر بأن لا نعطيهم حق الإقامة الدائمة، أي أن يقيم الواحد منهم مدة ثم تجدد له إقامته وللدولة حق إخراجه إذا لم يحترم النظام والقانون.

١٠- إذا سمح له بالبقاء فله التعبد بدينه في نطاق نفسه، لا أن ينافس بدينه دين الدولة أو يخرج على نظام الدولة، ولذلك لا يسمح لأي جالية الآن بأن ترفع علم دولتها على بيتها لأن ذلك تعد على حقوق السيادة .

١١- يدل على هذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه مع يهود خيبر حيث تركهم على أموالهم وقال: (نقركم ما أقركم الله)[١]،[٢].

س١٢٩: لماذا لم يقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه في المعارك التي خاضها مع حرصه على الشهادة ؟.

ج١٢٩: خالد بن الوليد رضي الله عنه يخوض المعارك والحروب ويفتح المدائن والأمصار ! يهابه الملوك، ويخشاه الأعداء ويحتمي به الأصحاب، حياته كلها في ساحات الجهاد يقاتل ، ويتمنى الموت في سبيل رب العباد لقبه رسول الهدى صلّى الله عليه وسلم بسيف الله المسلول ،وفي آخر عمره وعندما حضرته الوفاة وهو على فراش الموت كان يقول : لقد حضرت كذا وكذا زحفًا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء. فلمّا سمع خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوفاة خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: (دع نساء بني مخزوم يبكين على أبي سليمان، فإنّهنّ لا يكذبن، فعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي)[٣]

ومن كتاب / الشيخ عبدالفتاح أبو غدة كما عرفته :في أثناء رحلة الشيخ المحدّث والعلامة : عبدالفتاح أبو غدة عليه من الله الرحمة إلى الهند سمع من الشيخ محمد يعقوب قوله :(كان تمني خالد بن الوليد أن يموت شهيدا غير مستجاب ، لأن النبي لقبه بـ سيف الله ، و سيف

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٣٠

(٢) الدكتور عارف الشيخ ، صحيفة الخليج ٢٠ مارس ٢٠١٥

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص ١١١

الله لا يُكسر و لا يُقتل ؛ لهذا لم تكن له الشهادة ، ففرح الشيخ بهذه الفائدة ، و قال : هذه تعدل رحلة عندي)[١] .

س١٣٠ : لماذا دعا الرسول صلى الله عليه وسلم على ابني أبي لهب؟ .

ج١٣٠٠: عند ابن حبان: "وزوَّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وأم كلثوم ابنته الأخرى من عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ(١))[٢] أمرهما أبوهما أن يفارقاهما، ففارقاهما)[٣] .

قال ابن كثير: (كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام، فقال ابنه عتبة: والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينّه في ربه سبحانه وتعالى، فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد (هو يكفر) بالذي دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك.

ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه فقال: يا بني ما قلت له؟ فذكر له ما قاله، فقال: فما قال لك؟ قال: قال: (اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك). قال: يا بني، والله ما آمن عليك دعاءه! فساروا حتى نزلوا بالشراة وهي أرضٌ كثيرة الأسد، فقال: أبو لهب إنكم قد عرفتم كبر سني وحقي، وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد فشمَّ وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع فشمَّ وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه!! فقال أبو لهب: قد عرفت أنه لا يتفلت من دعوة محمد!)

يقول المقريزي :(وأما افتراس الأسد عتيبة بن أبي لهب بدعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل أن يسلط عليه كلبا من كلابه فخرج الحارث بن أبي أسامة من حديث الأسود بن شيبان قال أبو نوفل، عن أبيه قال: كان عتيبة بن أبي لهب يسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبك، قال: فخرج يريد

---

(١) محمد الهاشمي الحامدي " الشيخ عبدالفتاح أبو غدة كما عرفته ص ٩١
(٢) سورة المسد .
(٣) ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ٧١/١.

الشام في قافلة مع أصحابه، قال: فنزلوا منزلا، فقال: والله إني لأخاف دعوة محمد، فقالوا له: كلا، قال: فحطوا المتاع حوله، وقعدوا يحرسونه، فجاء السبع فانتزعه، فذهب به.

وقال سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن عثمان بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن هبار بن الأسود، قال: كان أبو لهب وابنه عتيبة قد تجهزا إلى الشام، وتجهزت معه، فقال ابنه عتيبة: لانطلقن إليه، ولأوذينه في ربه، فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد هو يكفر بالذي (دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك، ثم انصرف عنه، فرجع إليه، فقال: أي بني! ما قلت له؟ قال:

كفرت بإلهه الذي يعبد، قال: فماذا قال لك؟ قال: قال: اللهم ابعث عليه كلبا من كلابك، قال: أي بني! والله ما آمن عليك دعوة محمد، قال: فسرنا حتى نزلنا الشراة – وهي مأسدة – فنزلنا إلى صومعة راهب فقال: يا معشر العرب! ما أنزلكم هذه البلاد وإنها مسرح الضيغم؟ فقال لنا أبو لهب: إنكم قد عرفتم سني وحقي؟ قلنا: أجل، فقال: إن محمدا قد دعا على ابني دعوة، والله لا آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، ثم افترشوا لابني عتيبة عليه، ثم افترشوا حوله.

قال: ففعلنا، جمعنا المتاع حتى أرتفع، ثم فرشنا له عليه، وفرشنا حوله فبتنا نحن حوله، وأبو لهب معنا أسفل، وبات هو فوق المتاع، فجاء الأسد، فشم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد، تقبض ثم وثب، فإذا هو فوق المتاع، فشم وجهه، ثم هزمه هزمة فنضخ رأسه، فقال: سبعي يا كلب لم يقدر على غيرك، ووتبنا، فانطلق الأسد، وقد نضخ رأسه، فقال أبو لهب: قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن إسحاق في كتاب (المغازي) عن يزيد بن زياد، عن محمد ابن كعب القرظي، وعن عثمان بن عروة بن الزبير، عن رجال من أهل بيته، قالوا: كانت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عتيبة بن أبي لهب، فطلقها، فلما أراد الخروج إلى الشام قال: لآتين محمدا وأوذينه في ربه، قال: فأتى فقال: يا محمد، هو يكفر بالذي (دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو

أدنى) ثم تفل في وجهه، ثم رد عليه ابنته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك.

قال: وأبو طالب حاضر، فوجم عنها وقال: ما أغناك عن دعوة ابن أخي، فرجع إلى أبيه فأخبره بذلك، وخرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلا، فأشرف عليهم راهب من الدير، فقال لهم: هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب:يا معشر قريش أغنونا هذه الليلة، فإني أخاف عليه دعوة محمد فجمعوا أحمالهم، ففرشوا لعتيبة في أعلاها، وناموا حوله، فجاء الأسد، فجعل يشم وجوههم، ثم ثني ذنبه، فوثب، عنه فضربه بذنبه ضربة واحدة، فخدشه، فقال: قتلني، ومات مكانه، فقال حسان رضي الله عنه:

سائِل بَني الأَشعَرِ إن جِئتَهُـم ... ما كانَ أَنباءُ أَبي واسِعِ

لا وَسَّعَ اللَهُ لَهُ قَبره ... بَل ضَيَّقَ اللَهُ عَلى القاطِعِ

رِحمَ نَبِيٍّ جَدُّهُ جَـدُّهُ ... يَدعو إِلى نورٍ هُدىً ساطِعِ

أَسبَلَ بِالحِجـــرِ لِتَكذيبِهِ ... دونَ قُرَيشٍ نُهزَةَ القـاذِعِ

فَاِستَوجَبَ الدَعوَةَ مِـــنهُ فَقَد ... بَيَّنَ لِلناظِـــرِ وَالسامِـــعِ

أَن سَلَّـــطَ اللَهُ بِهِ كَلبَهُ ... يَمشي الهُوَينا مِشيَةَ الخـادِعِ

فَالتَهَمَ الرَأسَ بِيافوخِهِ ... وَالحَلقَ مِنهُ فَغرَةَ الجائِعِ

أَسلَمتُموهُ وَهــوَ يَدعوكُمُ ... بِالنَسَبِ الأَدنى وَبِالجامِـعِ

وَاللَيثُ يَعلـــوهُ بِأَنيـــــابِهِ ... مُنعَفِراً وَســطَ الـدَمِ النـاقِعِ

لا يَرفَعِ الرَحمَنُ مَصروعَـــكُم ... وَلا يُوَهِّن قُوَّةَ الصـارِعِ

مَن يَرجِـــعِ العــامَ إِلى أَهلِهِ ... فَما أَكيلُ السَبعِ بِالراجِعِ

قَد كانَ فيهِ لَكُـــمُ عِبرَةٌ ... لِلسَيِّدِ المَتبــوعِ وَالتابِعِ

مَن عادَ فَاللَيثُ لَـــهُ عائِـدٌ ... أَعظِم بِهِ مِــن خَبَرٍ شائِعِ[1]

---

(١) أبو نعيم ، دلائل النبوة ، ص ٤٥٤ - ٤٥٧، حديث رقم ٣٨٠، ٣٨١، حديث رقم ٣٨٣.و المقريزي ، إمتاع الأسماع ج ١٢ ، ص ١١٧ – ١١٩

س١٣١: لماذا لم يسلم أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

ج١٣١: تُوفي أبو طالب عم النبي – صلى الله عليه وسلم – في السنة العاشرة من البعثة النبوية و دُفن في مكة المكرمة وكان عمره ما بين الست والثمانين إلى التسعين سنة.

وقد ثبت عند البخاري وغيره :(أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أبَا جَهْلِ بنَ هِشَامٍ، وعَبْدَ اللَّهِ بنَ أبِي أُمَيَّةَ بنِ المُغِيرَةِ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لأبِي طَالِبٍ: يا عَمِّ، قُلْ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أشْهَدُ لكَ بهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقالَ أبو جَهْلٍ، وعَبْدُ اللَّهِ بنُ أبِي أُمَيَّةَ: يا أبَا طَالِبٍ أتَرْغَبُ عن مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعْرِضُهَا عليه، ويَعُودَانِ بتِلْكَ المَقالَةِ حتَّى قالَ أبو طَالِبٍ آخِرَ ما كَلَّمَهُمْ: هو علَى مِلَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ، وأَبَى أنْ يَقُولَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أما واللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْكَ فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فيه: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣))[١]، [٢].

قال ابن كثير: (وكان استمرار ابو طالب علي دين قومه من حكمة الله تعالي، ومما صنعه لرسوله من الحماية، اذ لو كان اسلم ابو طالب لما كان له عند قريش وجاهة ولا كلمة، ولا كانوا يهابونه ولا يحترمونه، ولاجترأوا عليه، ولمدوا ايديهم والسنتهم بالسوء اليه)[٣] .

قال الذهبي: عن علي عليه السلام لما مات ابو طالب اتيت النبي صلي الله عليه واله وسلم فقلت : ان عمك الشيخ الضال قد مات، قال صلي الله عليه واله وسلم : (اذهب فوار اباك ولا تحدثن شيئا حتى تأتيني)[٤].

---

(١) سورة التوبة .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣٦٠ .
(٣) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٢٢٦
(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص ١٠٤ .

ذكر ابن هشام:(طمع صلي الله عليه واله وسلم في اسلام ابي طالب قبل وفاته، فجعل يقول له: أي عم قلها – أي كلمة التوحيد- استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة، فأجابه ابو طالب: يا ابن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك وعلي بنى ابيك من بعدى، وان تظن قريش أنني انما قلتها فزعا من الموت، لقلتها، ولا اقولها الا لأسرك بها... فلما تقارب الموت من ابي طالب نظر العباس اليه فوجده يحرك شفتيه، فأصغي اليه بأذنيه ثم قال: يا ابن أخي لقد قال أخي الكلمة التي أمرته ان يقولها، فقال رسول الله صلي الله عليه واله وسلم: لم اسمع) ، قال ابن كثير والقرطبي : أن هذه الآية نزلت في ابي طالب بدعوى ان النبي صلي الله عليه واله وسلم قال لعمه ابي طالب وهو يحتضر: (أي عم قل لا اله الا الله) فامتنع، فقال له النبي صلي الله عليه واله وسلم : (لأستغفرن الله لك ما لم انه عنك)[٢] .

ونستطيع أن نستنتج أن رفض أبو طالب أن يُسلم كان بسبب :

١- العصبية الجاهلية .

٢- للحفاظ على كبرياءه بين صناديد قريش .

٣- خوفاً أن يقولون قد أسلم خشيةً من الموت.

س١٣٢: لماذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس ؟.

ج١٣٢: روى مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ فَقَالَ : (فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ)[٣] .

وروى الترمذي وحسنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)[٤] .

في أول دراسة عالمية لجامعة جنوب أستراليا نشرت بتاريخ ٢٠١٨/٧/٢٣ م تم تقديم أسلوب مدهش لعلاج الأمراض المزمنة يدعى نظام ٢:٥ وتم إثبات الفوائد المذهلة لهذا النوع

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤١٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٤٧ .وانظر تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي حول هذه الآية.
(٣) الإمام مسلم ،صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١١٦٢ .
(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٧٤٧ .

من الصيام.. ولكن ما هو نظام ٥-٢ ؟إنه يعني بكل بساطة: أن تأكل بشكل طبيعي خمسة أيام وتصوم يومين كل أسبوع (٥+٢=٧) هي أيام الأسبوع... يقول العلماء إن هذه الطريقة فعالة بشكل مدهش في المحافظة على صحة أفضل والوقاية من الأمراض المزمنة وتجديد الخلايا المناعية.

ولكن العلماء يتساءلون: ما هو عدد ساعات الصيام في كل يوم؟ الجواب يأتي من جامعة إلينوي التي قامت بدراسة عام ٢٠١٨ ووجدت أن صيام يومين كل أسبوع بنظام ١٦:٨ قد أثبت فعالية عالية في علاج أمراض مزمنة مثل الوزن الزائد والكولسترول والسكري. وطريقة ١٦:٨ تعني أن تصوم لمدة ١٦ ساعة وتأكل بشكل طبيعي لمدة ٨ ساعات (المجموع ٢٤ ساعة هو عدد ساعات اليوم).

وقد وجدت الدراسة أن هذا النظام قد أعطى نتائج مذهلة بعد تطبيقه لمدة ١٢ أسبوعاً..

إن فكرة الصيام لمدة ١٦ ساعة باليوم تم تجربتها لأول مرة في دراسة نشرت في مجلة الطب الانتقالي عام ٢٠١٦ والتي أثبتت أن هذا النظام فعال في علاج أمراض عدة منها أمراض القلب والشرايين..

يقول الدكتور مايكل موسلي في حوار على صحيفة تلغراف عام ٢٠١٤ إن الصوم ليومين بالأسبوع هو طريقة ثورية في علاج السكري من النوع الثاني وكذلك سرطان الثدي.

أما مجلة الجمعية الطبية الأمريكية فقد نشرت دراسة عام ٢٠١٧ ووجد الباحثون أن الصيام المتقطع له نتائج مذهلة في التخلص من الوزن الزائد..

كما أن جامعة هارفارد قد أكدت عبر موقعها أن الصيام هو أفضل الطرق الآمنة للوقاية من السكري وتنشيط نظام المناعة.

الدراسة الملفتة للانتباه أجرتها جامعة جنوب مانشستر ووجدت أن صيام يومين بالأسبوع يعتبر من أسهل الأنظمة الغذائية وله تأثير كبير على الوقاية من السكري والشحوم الثلاثية.

مجلة الوقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم في أمريكا نشرت دراسة عام ٢٠١٤ وضمت مؤلفين

من جامعة هارفارد... ووجدت أن تقليل السعرات الغذائية ليومين غير متتاليين في الأسبوع له نتائج مذهلة على الوقاية من الزهايمر والسرطان وأمراض القلب وضغط الدم والسكري وبخاصة للمرأة.. كما أن هذا النظام يساعد على إنقاص الوزن وإطالة عمر الخلايا.

وبالفعل فإن مركز جينيسيس للوقاية من سرطان الثدي في مانشستر يعتمد الصيام ليومين في الأسبوع كعلاج لمرضى السرطان لديه وذلك حسب ما تقول الدكتورة ''ميشيل هارفي''! أما جامعة بريستول البريطانية فقد قامت بتجارب على أكثر من ألف مشارك لاختبار الصيام المتقطع ليومين في الأسبوع ووجدت نتائج مبهرة تتعلق بانخفاض خطر الإصابة بالسرطان وأمراض القلب والأوعية الدموية وتحسن ملحوظ في حساسية الأنسولين.

وأخيراً فقد أصبح صيام يومين بالأسبوع من أكثر الأنظمة فائدة في العديد من الدول مثل بريطانيا وأمريكا.. وصدرت بالفعل العديد من الكتب التي حققت مبيعات كبيرة حول أهمية صيام يومين من كل أسبوع.

ولكن ماذا عن نبينا عليه الصلاة والسلام؟ لقد وضع لكم طريقة عصرية للشفاء سبق بها علماء أوربا وأمريكا... بل طبق هذا الأسلوب في حياته عملياً.. فقد كان يصوم يومين غير متتاليين كل أسبوع: الاثنين والخميس ومعدل ساعات الصيام بحدود ست عشرة ساعة تقريباً أي من الفجر إلى المغرب.. وهذا ما يقرره العلم الحديث بالضبط! وعندما سئل عن ذلك.. قال عليه الصلاة السلام:(تُعْرَضُ الأعمالُ يومَ الاثنينِ والخميسِ، فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائمٌ)[1].

والله إن الإنسان لا يملك إلا أن يحب هذا النبي الرحيم الذي علم المتعلمين فأمرنا بكل ما ينفعنا ونهانا عن كل ما يضر بنا.. ألا يستحق أن يقول الله في حقه: (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)[2]، [3] .

---

(١) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٧٤٧ ،
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) عبد الدائم الكحيل ، موسوعة الكحيل للإعجاز في القرآن والسنة.

س١٣٣: لماذا سمي عام الرمادة بهذا الاسم ؟

ج١٣٣ : عام الرمادة "كان في سنة ١٧ هجرية، و هذا هو سبب التسمية بذلك :
أصاب الناس على عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أواخر سنة ١٧ هجرية و أوائل سنة ١٨ هجرية قحط شديد، قل معه الطعام و غارت مياه الآبار، و اضطر المسلمون إلى حفر الجحور لأكل الحشرات، و كانت الريح تحمل تراب الأرض فتسفه كما يسف الرماد من شدة الجفاف، فسمي ذلك العام " عام الرمادة".

يطلق اسم عام الرمادة على السنة الثامنة عشرة من هجرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام على أغلب الأقوال، وقد وقعت زمن خلافة عمر بن الخطاب، وفيها ضرب المدينة المنورة وما حولها من البقاع قحط وجدب، فلم تهطل المطر، ولم تنبت الأرض، وعاش الناس أيامًا صعبة من المجاعة؛ جفّ فيها الضرع، وهزلت الأبدان ونفقت المواشي، وخلى البيت من زاد اليوم، فمرض الناس، وخارت قواهم، وأوت الوحوش تلتمس المأكل عند مساكن الناس، فحلّت المسغبة التي راح ضحيتها عددُ كبيرُ من الناس؛ جلهم من الأطفال الذين لا يصمدون أمام الجوع وألم الأحشاء الخاوية، وفزع أهل البوادي إلى المدينة يطلبون الزاد من مركز الخلافة، فزاد الخطب على المسلمين واستمر المحل ٩ أشهر قبل أن يغاث الناس، ويأتي تاليًا تفصيل لأحداث قصة عام الرمادة مع ذكر سبب التسمية وفقه الخليفة عمر بن الخطاب وحكمته في تجاوز الأزمة.

تذكر أحداث قصة عام الرمادة أن انقطاع المطر بدأ بعد عودة الناس من الحج سنة ١٨ للهجرة، ومع طوال مدة انقطاع المطر بدأ جفاف الزرع، فهزلت الماشية وجف ضرعها، وهلك جُلّها، ولم يجد ما يسدّون به رمقهم؛ حتى أكلوا الجرذان والجرابيع لشدّة الجوع وانعدام مصادر الطعام من لحم ونبات، وحاول الخليفة عمر في تلك الأيام تأمين مصادر الطعام من الأرياف، ثم قام بدفعه لأهل البوادي الذين فزع كثيرٌ منهم إلى المدينة بعدما أصابهم من المشقة والجهد، وانتشار الموت الذي نال من ضعاف الأجساد، ولا سيما منهم الأطفال والشيوخ، وقد أنفق الخليفة في محاولة استدراك الخطب جميع ما في بيت مال المسلمين لكنّ مدة الأزمة

طالت فكتب لأهل الأمصار في الشام ومصر والعراق وفارس ليرسلوا ما فاض عندهم من الزاد إلى المدينة، فأرسل له عمرو بن العاص ألف بعير تحمل الدقيق والمؤن، وجهز عشرين سفينة لتقطع البحر بسرعة إلى مركز الخلافة، ثم تتابعت نجدات أهل الأمصار، فأرسل سعد بن وقاص ثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق، وجاء العون من أبي عبيدة بن الجراح وأبي موسى الأشعري، وهكذا واسى المسلمون بعضهم وظهرت، وحدتهم في مواجهة المحنة التي أُطلق اسم عام الرمادة لأسباب تأتي تاليا مع ذكر بعض اللمحات والصور من فقه الخليفة عمر في وقت الأزمة ، ويذكر أهل التاريخ، ومؤلفو السير عند الحديث عن قصة عام الرمادة أن السبب وراء التسمية يعود إلى لون الأرض الذي تغير في تلك السنة لما حل بها من الجفاف الذي تركها أقرب إلى لون السواد، فكأن الأرض صارت كلها رماد كرماد النار إذا خبت جذوتها، كما أن الريح في ذلك العام كانت تهبّ فتنشر معها غبارًا كالرماد يؤذي عيون الناس وأجسادهم التي تغير لونها أيضًا من قلّة الطعام حتى صارت بشرتهم غليظة الملمس شاحبة اللون. من فقه عمر في حل الأزمة عام الرمادة أبدى الخليفة عمر بن الخطاب في قصة عام الرمادة قدرة عالية على إدارة شؤون الأزمة، فظهرت حكمته وصبره، كما ظهر ورعه وفهمه العميق لروح الدين الإسلامي وعلل الأحكام والحدود في الشريعة الإسلامية، ومن فقه عمر في إدارة الأزمة وتذليل العقبات والتغلب على ظروف المحنة بعض النقاط:

١- مواساة الناس من خلال حرمان نفسه من الطعام: فقد روي في جميع مصادر الكلام عن قصة عام الرمادة أنّ الخليفة في ذاك العام حرم نفسه من كل طعام لا يجده الناس، واكتفى في أغلب أيامه بأكل ما توفر من خبز الشعير، ويؤثر عن عمر الكثير مما كان يؤدّب به نفسه في تلك السنة ويضبطها حتى لا تطلب غير ما يعطيها من الطعام، وكان رضي الله عنه إذا أتاه رزق، أو أُهديت إليه هديّة من لحم أو دُهن آثر بها غيره، ودفع بها إلى أشدّ الناس فقرًا وحاجة، ...و نحر للخليفة عمر بن الخطاب في عام الرمادة جزورا و وضعت بين يديه فقال :(بخ ..بخ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها، و أطعمت الناس كراديسها ، ارفعوها عني و أطعموها المسلمين.

٢- حث الناس على طلب المغفرة بكثرة الصلاة والدعاء واللجوء إلى الله: وكان عمر في تلك السنة يكثرُ من الصلاة، ويدعو نفسه ويدعو الناس ليل نهار للاستغفار والتوبة والدعاء إلى الله بأن يصرف البلاء، كما كان يحثّهم على طلب السقيا في دعائهم، ويجمعهم بعد كل صلاة للتضرع والدعاء والطلب من الله أن يذهب المحل، وأن يعمّهم بالرحمة والغيث. حيث حث عائلته على ترك النّعم والصبر على شظف العيش: وفي هذا تقول الأخبار أن الخليفة كان يؤنّب من يرى من أهله وقد حمل فاكهة أو زاد في طعامه، وكان حريصًا على ضرب المثل بنفسه وبعائلته في مدى الورع والصدق في مواساة الناس، والترويح عنهم.

٣- إرساله إلى عمّاله في الأمصار لطلب الغوث: وقد بدأ عمر بأخذ التدابير قبل ذلك، فمع بداية القحط بدأ بإرسال الزاد للبوادي المحيطة بالمدينة، ومع طول مدّة امتناع الغيث من السماء بدأ الناس يتوافدون على المدينة، فأنفق عمر جميع ما في بيت المال، ثم بدأ بطلب الغوث من العمّال؛ يحثهم على نجدة من في المدينة من إخوانهم في الدين، فتوافدت عليه من الأمصار كثير من الأرزاق، فنزل في المدينة آلاف الإبل تحمل الدقيق والدهن والثمار والكساء للناس..

٤- الاستسقاء بعم النّبي العباس: وتذكر أخبار قصة عام الرمادة أن عمرٌ خرج متواضعًا خاشعا، فجعل يجمع الناس، وحرص أن يجتمع إليه منهم الضعفاء والأطفال، فصلى بهم متضرعًا، ووعظهم، ثم قام يدعو الله، وألحّ في الدعاء حتى فاضت عيناه، وأبكى الناس، ثم طلب السقيا من الله بفضل العباس عمّ النبي، وكان العباس يومها كبيرًا طاعنًا في السن، ويروي هذه القصة أكثر المحدثين وقد جاءت في صحيح البخاري "أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، كانَ إذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بالعَبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ : (فيُسْقَوْنَ) وقيل أن العباس قام بعد دعاء عمر فدعا وتضرع واستجاب الله الدعاء وعمّت الرحمة.

٥- تعطيل بعض الحدود: ومما برزت فيه حكمة الفاروق أنه أثناء هذه الأزمة شدد الأوامر على الجنود بألا يقاتلوا العدو إلا إذا أكرههم مع الأمر بتعطيل بعض الحدود كحدّ السرقة وتعليق تحصيل الزكاة في إلى حين استقرار الأوضاع الاقتصادية، وفي ذلك إدراكٌ وفهم كبير من عمر بن الخطاب لضرورات حفظ النفس وموافقة الشريعة الإسلامية لحال الزمان)[٢] ، [٣]

س١٣٤ : لماذا حدد الله مواعيد الصلاة و مواقيتها ؟

ج١٣٤: وقات الصلاة هي مواقيت زمانية تحدد بداية دخول وقت الصلاة وانتهاء وقتها قال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا(١٠٣))[٣].

وقت صلاة الفجر: أول وقت صلاة الفجر هو طلوع الفجر الثاني أي الفجر الصادق وآخر وقتها إلى طلوع الشمس.

وقت صلاة الظهر: إذا زالت الشمس عن وسط السماء إلى جهة الغروب، ويمتد إلى مصير ظل كل شيء مثله مع زيادة يسيرة، أو عندما يكون ظل الرجل كطوله.

وقت صلاة العصر: أول وقت العصر إذا صار ظل الشيء مثله سوى ظل الزوال ويستمر إلى أن تصفر الشمس ويقول المذهب الحنفي أن وقت صلاة العصر يبدأ عند مصير ظل كل شيء مثليه، أما وقت ضرورة فهو إلى غروب الشمس.

وقت صلاة المغرب: أول وقت المغرب من الغروب الكامل لقرص الشمس وينتهي بغيبوبة الشفق الأحمر.

وقت صلاة العشاء: أول وقت العشاء من مغيب الشفق الأحمر إلى ثلث الليل وقيل نصفه.

أما حديث: علي رضي الله عنه قال: (بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالسًا بين

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٣٧١٠ .
(٢) محمد الحايك ، موقع سطور ، في٢٢ يوليو ٢٠٢٠ .
(٣) موقع سطور الألكتروني، محمد الحايك ، ٢٢ يوليو ٢٠٢٠
(٤) سورة النساء .

الأنصار والمهاجرين، أتى إليه جماعة من اليهود، فقالوا له: يا محمد، إنا نسألك عن كلمات أعطاهن الله تعالى لموسى ابن عمران لا يعطيها إلا لنبي مرسل، أو لملَك مقرَّب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سلوا، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن هذه الصلوات الخمس التي افترضها الله على أمتك؟ فقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: صلاة الفجر، إنَّ الشمس إذا طلعت تطلع بين قرني الشيطان، ويسجد لها كل كافر من دون الله، فما من مؤمن يصلي صلاة الفجر أربعين يومًا في جماعة إلا أعطاه الله براءتين: براءة من النار، وبراءة النِّفاق، قالوا: صدقت يا محمد، أما صلاة الظهر، فإنَّها الساعة التي تُسعر فيها جهنم، فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة، إلا حرَّم الله تعالى عليه لفحاتِ جهنم يوم القيامة، وأما صلاة العصر، فإنها الساعة التي أكَل فيها آدم عليه السلام من الشجرة، فما مؤمن يصلي هذا الصلاة، إلا خرج عن ذنوبه كيومَ ولدته أمُّه، ثم تلا قوله تعالى: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى...(٢٣٨))[١]، وأمَّا صلاة المغرب، فإنها الساعة التي تاب فيها الله تعالى على آدم عليه السلام، فما من مؤمن يصلي هذه الصلاة محتسبًا، ثم يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إيَّاه، وأمَّا صلاة العتمة (صلاة العشاء)، فإن للقبر ظلمة، ويوم القيامة ظلمة، فما من مؤمن مشى في ظُلمة الليل إلى صلاة العتمة إلا حرَّم الله عليه وقود النار، ويُعطى نورًا يجوز به على الصراط؛ فإنها الصلاة التي صلَّاها المرسَلون قبلي)[٢] ، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(وقْتُ صلاةِ الظهرِ إذا زالتِ الشمسُ ، وكان ظِلُّ الرجلِ كطولِهِ ما لم يحضُرِ العصرُ ، ووقْتُ صلاةِ العصرِ ما لم تصفَرَّ الشمسُ ، ووقْتُ صلاةِ المغربِ ما لم يغبِ الشفَقُ ، ووقْتُ صلاةِ العشاءِ إلى نصفِ الليلِ الأوسطِ ، ووقْتُ صلاةِ الصبحِ من طلوعِ الفجرِ ما لم تطلُعِ الشمسُ ، فإذا طلَعَتِ الشمسُ فأمسِكْ عنِ الصلاةِ ؛ فإنَّها تطلُعُ بينَ قرْنَيِ الشيطانِ)[٣] .

---

(١) سورة البقرة .
(٢) كذب موضوع.
(٣) الألباني | المصدر : صحيح الجامع ، رقم الحديث ٧١١٥ ،و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ٦١٢ .

وعن أبي موسي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه أتاه سائل يسأله عن مواقيت الصلاة، فلم يرد عليه شيئا، قال: فأقام الفجر حين انشق الفجر، والناس لا يكاد يعرف بعضهم بعضا، ثم أمره فأقام بالظهر، حين زالت الشمس، والقائل يقول قد انتصف النهار، وهو كان أعلم منهم، ثم أمره فأقام بالعصر والشمس مرتفعة، ثم أمره فأقام بالمغرب حين وقعت الشمس، ثم أمره فأقام العشاء حين غاب الشفق، ثم أخر الفجر من الغد حتى انصرف منها، والقائل يقول قد طلعت الشمس، أو كادت، ثم أخر الظهر حتى كان قريبا من وقت العصر بالأمس، ثم أخر العصر حتى انصرف منها، والقائل يقول قد احمرت الشمس، ثم أخر المغرب حتى كان عند سقوط الشفق، ثم أخر العشاء حتى كان ثلث الليل الأول، ثم أصبح فدعا السائل، فقال: الوقت بين هذين، وفي رواية: فصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق في اليوم الثاني)[1].

ولعل الحكمة في ذلك : هو تأنيس المسلم بمناجاة خالقه بين الحين والحين ، فلا يذهل عن مناجاته ، ولا يغفل عن ذكره ، كما أن في مراعاتها تجديدا للإيمان ،فربما اجترح الانسان في يومه بعض الأوزار ، فتأتي الصلاة وما يصاحبها من وضوء فتكفر الذنوب ، وتجدد العهد ، ولعل في قوله صلى الله عليه وسلم : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ... . إشارة الى هذا المعنى ... كذلك فإن في توزيع هذه الأوقات ترتيب رزنامة المسلم اليومية ، فيرتب مواعيده ، ويجدول أعماله ، وينظم دراسته ، ويوزع مهامه على مواعيد الصلاة . مثلا : قبل الظهر كذا.. وبعد العصر كذا .. فهي بمنزلة المهندس الذي يرسم خريطة البناء فيسير البناء على وفقها .

أما من الناحية الصحية : فلعل الحكمة في توزيع الصلوات الخمس على هذه الأوقات : (أن يكون المسلم في حالة نشاط بدني ، وصفاء ذهني ، وراحة نفسية مستمرة ، ومن طلوع الشمس الى ما بعد العشاء ، وقد أظهرت البحوث العلمية الحديثة : أن مواقيت صلاة المسلمين تتوافق تماما مع أوقات النشاط الفسيولوجي للجسم ، مما يجعلها وكأنها القائد الذي

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦١٤ .

يضبط إيقاع عمل الجسم كله .

إن الحكمة الطبية في أداء الصلاة في وقتها ، هو أن يبقى المصلي في حالة نشاط بدني ، ونفسي ، وفكري . فالالتزام الثابت والمستمر بأداء الصلوات في أوقاتها يوميا ، هو أفضل وسيلة لضمان صحة كاملة للجسم البشري ، لأن هذه الأوقات تتناسب تماما مع نشاط الانسان اليومي ، مما يؤدي الى اعلى كفاءة لوظائف أجهزة الجسم البشري(١) .

س١٣٥ : لماذا شرعت الرؤية الشرعية ، وعلى ماذا يدل ذلك ؟.

ج١٣٥: يقول الشيخ ابن باز : (يرى الخاطب يرى المخطوبة قبل الخطبة وبعدها، ليتأكد من صلاحها وليطمئن لصلاحها ومناسبتها لكن من دون خلوة، لا يكون مع خلوة، بل بحضرة أبيها أو أمها أو غيرهما، يرى منها وجهها ويديها وقدميها ، ولو شعرها ولو رأى شعرها لا حرج إن شاء الله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل: أنه تزوج امرأة، يعني: أراد تزويجها قال: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: اذهب فانظر إليها قال صلى الله عليه وسلم: إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل المقصود أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بذلك، أمر الخاطب أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاح المرأة، ومعلوم أن وجهها ويديها وقدميها وشعرها مما يدعو إلى نكاحها إذا أعجبه..

ويقول رحمه الله في جوابه عن جواز أن تكشف المرأة وجهها وتخلع حجابها ليراها الخاطب : (لا حرج في ذلك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر الخطيب أن ينظر إلى المخطوبة، وأخبر أن ذلك أقرب إلى أن يؤدم بينهما، فإذا طلب النظر إليها فلا حرج أن ينظر إليها وأن تخلع الحجاب حتى يرى وجهها كل هذا لا بأس به، لكن لا يكون عن خلوة، بل يكون عندها غيرها كأمها وأخيها حتى لا يحصل خلوة، ينظر إليها من دون خلوة)(١).

يقول الشيخ ابن عثيمين : (لنظر إلى المخطوبة سنة، أمر به النبي صلى الله عليه وعلى وسلم ولا سيما في وقتنا هذا؛ لأنه قل من يثق به الإنسان من النساء، فقد تذهب المرأة

---

(١) د. يونس حسين عبدالرازق ، الحمة في التشريع الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية ، من صفحة الدكتور على الفيسبوك .

وتخطب لشخص، وتأتي إليه وتقول له: خطبت لك امرأة هي القمر ليلة البدر، فإذا دخل بها وإذا هي من أقبح نساء العالم، وهذا أمر يقع؛ لأن الذي ليس عنده أمانة وليس عنده دين يهون عليه أن يغش الناس.

ثم لو فرضنا أن الرجل أرسل امرأة ثقة كأمه وأخته وما أشبه ذلك ولم تغشه، فإن الناس يختلفون، قد تكون المرأة جميلة عند شخص وغير جميلة عند شخص آخر، الرغبات تختلف والنظر يختلف؛ ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الخاطب أن يرى من مخطوبته ما يدعوه إلى التقدم لخطبتها ، إلا أن العلماء اشترطوا لذلك شروطاً دلت عليها السنة:

الشرط الأول: أن يكون عنده الرغبة الأكيدة في أن يتزوج، وليست نيته أن يطوف بنساء العالم، كأنما يريد أن يختار أمة يشتريها، يقول: أذهب إلى آل فلان أخطب منهم وأرى، أو أذهب للثاني والثالث والرابع، ويكون كأنه يريد أن يشتري سيارة من المعرض، بل لا بد أن يكون عنده عزم أكيد على أن يخطب من هؤلاء القوم.

الشرط الثاني: أن يغلب على ظنه الإجابة، وهذا معلوم أنهم إذا مكنوه من النظر إليها فهم موافقون، وهذا الشرط إنما يكون فيما لو أراد الإنسان أن ينظر إلى امرأة بدون اتفاق مع أهلها.

الشرط الثالث: أن يكون ذلك بلا خلوة، بأن ينظر إليها بحضرة أهلها، ولا يحل له أن ينظر إليها بخلوة؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا يخلون رجل بامرأة». وأخبر أنه ما خلا رجل بامرأة أجنبية منه إلا كان ثالثهما الشيطان.

الشرط الرابع: أن يكون النظر إلى ما يظهر غالباً -لا إلى العورة- مثل الوجه والرأس بما فيها الشعر والكفين والذراعين والقدمين وأطراف الساقين وما أشبه ذلك، ولا ينظر إلى شيء آخر.

الشرط الخامس: أن لا يتلذذ معها بمحادثة سواء كان تلذذ تمتع، أو تلذذ شهوة، والفرق بينهما أن تلذذ التمتع يجد الإنسان راحة نفسية في محادثة المرأة ، وتلذذ الشهوة يجد ثوران شهوة، فلا يجوز أن يتحدث إلى مخطوبته حديث تلذذ، سواء كان تلذذ تمتع أو تلذذ شهوة.

وقد بلغني أن بعض الخطاب يتصل بمخطوبته عن طريق الهاتف، ويبقى معها لا أقول ساعة أو

ساعتين، بل ساعات يتحدث إليها، ويقول بعض الناس معللاً هذا العمل يقول: أتحدث إليها لأجل أن أعرف نفسيتها، وأعرف شهادتها، وأعرف دراستها، يا أخي: اصبر حتى يعقد لك، ثم حدثها طوال الليل والنهار إلا عند صلاة الفرائض؛ لأنه لا بد منها ، أما أن تتحدث إلى امرأة أجنبية منك فهذا لا يجوز، والشرع قد استثنى شيئاً من محرَّم، وهذه قاعدة يجب على طالب العلم أن يعرفها: إذا استثنى الشارع شيئاً من محرم، فإن الرخصة تقدر بقدر ما استثنى فقط، والذي استثنى بالنسبة للمرأة الأجنبية المخطوبة هو النظر، أما أن تتحدث إليها فهذا لا يجوز.)[1] ، (والنظرة الشرعية دليل انه لا يجوز كشف الوجه لقوله صلى الله عليه وسلم :(إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم)[2] ، وجه الدلالة منه : أن النبي صلى الله عليه وسلم نفى الجناح وهو الإثم عن الخاطب خاصة بشرط أن يكون نظره للخطبة ، فدل هذا على أن غير الخاطب آثم بالنظر إلى الأجنبية بكل حال ، وكذلك الخاطب إذا نظر لغير الخطبة مثل أن يكون غرضه بالنظر التلذذ والتمتع ونحو ذلك فإن قيل : ليس في الحديث بيان ما ينظر إليه ، فقد يكون المراد بذلك نظر الصدر والنحر[3].

س١٣٦: لماذا سميت الأشهر الحرم بهذا الاسم ؟.

ج١٣٦: قال تعالى : (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ(٣٦))[4].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال : (إنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَومَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَواتِ والأرْضَ، السَّنَةُ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْها أرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، والْمُحَرَّمُ، ورَجَبُ شَهْرُ مُضَرَ الذي بيْنَ جُمادَى وشَعْبانَ، ثُمَّ قالَ: أيُّ شَهْرٍ هذا؟ قُلْنا:

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين ، تفريغ نصي
(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦٠٢) واللفظ له، والبزار (٣٧١٤) بنحوه، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٩١٥) باختلاف يسير
(٣) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٠٠٣/٣/٥ م.
(٤) سورة التوبة .

اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ ذا الحِجَّةِ؟ قُلْنا: بَلَى، قالَ: فأيُّ بَلَدٍ هذا؟ قُلْنا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ البَلْدَةَ؟ قُلْنا: بَلَى، قالَ: فأيُّ يَومٍ هذا؟ قُلْنا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أنَّه سَيُسَمِّيهِ بغيرِ اسْمِهِ، قالَ: أليسَ يَومَ النَّحْرِ؟ قُلْنا: بَلَى يا رَسولَ اللهِ، قالَ: فإنَّ دِماءَكُمْ وأَمْوالَكُمْ، قالَ مُحَمَّدٌ: وأَحْسِبُهُ قالَ: وأَعْراضَكُمْ، حَرامٌ علَيْكُم، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، وسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عن أعْمالِكُمْ، فلا تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، أوْ ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ، ألا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَن يُبَلِّغُهُ يَكونُ أوْعَى له مِن بَعْضِ مَن سَمِعَهُ، ثُمَّ قالَ: ألا هلْ بَلَّغْتُ؟ قالَ ابنُ حَبِيبٍ في رِوايَتِهِ: ورَجَبُ مُضَرَ. وفي رِوايَةِ أبِي بَكْرٍ: فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي.)[1].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (الأشهر الحرم هي أربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ فشهر مفرد، وهو رجب، والبقية متتالية، وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم. والظاهر أنها سميت حرمًا؛ لأن الله حرم فيها القتال بين الناس؛ فلهذا قيل لها حرم؛ جمع حرام ، كما قال الله جل وعلا: (**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ...(٣٦)**)[2]، وقال تعالى: (**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...(٢١٧)**)[3]، فدل ذلك على أنه محرم فيها القتال، وذلك من رحمة الله لعباده؛ حتى يسافروا فيها، وحتى يحجوا و يعتمروا.

واختلف العلماء: هل حرمة القتال فيها باقية، أو نسخت؟ على قولين: الجمهور: على أنها نسخت، وأن تحريم القتال فيها نُسخ. وقول آخر: أنها باقية ولم تُنسخ، وأن التحريم فيها باقٍ ولا يزال، وهذا القول أظهر من جهة الدليل)[4] .

واختلف العُلماء في سبب تسمية الأشهر الحُرُم بهذا الاسم، وجاءت أقوالهم كما يأتي:

---

(١) الإمام مسلم ،صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٧٩ .
(٢) سورة التوبة .
(٣) سورة البقرة .
(٤) مجلة (التوعية الإسلامية) العدد ٩عام ١٤٠١هـ. مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز . ج ١٨، ص٤٣٣

القول الأول: سُمِّيت بذلك؛ لأنّ الله تعالى حرّم فيها القتال بين الناس، وجاءت بصيغة الجَمع؛ زيادةً في التحريم، وممّا يدُلّ على ذلك قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) وذلك ليكون للناس الوقت الكافي للسفر، وزيارة البيت الحرام لأداء الحجّ والعُمرة، ومِمّن قال بذلك ابن باز رحمه الله)[1].

القول الثاني: سُمِّيت بذلك؛ لأنّ المعصية فيها تكون أعظم وأشدّ عقاباً، كما أنّ الطاعة تكون فيها أكثر أجراً؛)[2] فقد جاء عن ابن كثير أنّه قال (إنّ المعصية في الأشهر الحُرُم تُضاعَف أكثر من غيرها في الشُّهور الأخرى، كما أنّها تُضاعَف في البلد الحرام؛ ولذلك سُمِّيت بالأشهر الحُرُم)[3].

س١٣٤: لماذا سميت الأشهر القمرية بهذه الأسماء التي نعرفها اليوم ؟.

ج١٣٤: سميت الأشهر الهجرية القمرية بهذه الأسماء للأسباب التالية :

١- شهر محرم سمى بهذا الاسم لأن العرب قبل الاسلام حرموا فيه القتال، فلم يكن هناك قتال في شهر محرم.

٢- شهر صفر سمى بهذا الاسم لأن بيوت العرب كانت تصفر وتخلوا من أهلها لخروج الناس للبحث عن القوت والطعام ويسافروا هروبا من حر الصيف.

٣- شهرا ربيع الأول وربيع الآخر سميا بهذا الاسم لتصادف تسميتهم في الربيع المعروف في بلاد العرب وهو بداية البرد من منتصف شهر نوفمبر الميلادي .

٤- شهرا جمادى الأول وجمادى الآخر سميا بهذا الاسم لتصادف تسميتهما في فصل الشتاء حيث يتجمد الماء.

٥- شهر رجب سمى بهذا الاسم لأن العرب كانوا يتركون ويهابون القتال فيه ومعنى

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز، صفحة ٤٣٣، جزء ١٨.

(٢) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، مجلة البحوث الإسلامية، ص٣٦٨، ج٧٤.

(٣) ابن كثير ، التفسير ، ج٤ ، ص ١٤٨ .

رجب أي الشيء العظيم أو المهاب.

٦- شهر شعبان سمى بهذا الاسم لأن العرب كانوا يتشعبون أي يتفرقون في هذا الشهر للحرب والإغارة على بعضهم بعد توقفهم في شهر رجب.

٧- شهر رمضان سمى بهذا الاسم حيث جاءت التسمية في وقت الرمضاء وهى الفترة شديدة الحرارة ومعنى رمضان أي السخونة الشديدة للشمس.

٨- شهر شوال سمى بهذا الاسم لأن التسمية في فترة التشويل وهى جفاف لبن الابل.

٩- شهر ذو القعدة سمى بهذا الاسم لأن العرب في هذه الفترة كانت تقعد عن القتال لأنه من الأشهر الحرم.

١٠- شهر ذو الحجة سمى بهذا الاسم لأن العرب في هذه الفترة كانوا يحجون للكعبة.

س١٣٨: لماذا سمي شهر المحرم بعاشوراء ؟.وما فضائل هذا الشهر ؟.

ج١٣٨: يقول الشيخ معاذ العتيبي :(سمي شهر المحرم بعاشوراء لفضيلة اليوم العاشر منه وهو يوم عاشوراء وأصبح كل الشهر يعرف بعاشوراء وهو شهر الله المحرم **والذي من فضائله** :

١- إضافةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم هذا الشهر إلى الله، فإنه قال (شهرُ اللهِ المحرَّم) وهذه الإضافةُ إضافة تشريفٍ وتخصيص، ووجهُ التخصيصِ من كونِ أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صَفَراً، فأشار إلى أن مبدأ التحريم ومنتهاه إلى الله جلَّ جلاله.

٢- فضيلةُ الصيامِ فيه، فعن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفضلُ الصيام بعد شهرِ رمضان شهرُ الله الذي تدعونه المحرم)[(١)].

٣- وجودُ يومِ عاشوراء فيه، فهذا يومٌ عظيمٌ نجى الله فيه موسى وأغرقَ آل فرعون، فصامه اليهودُ شكرًا لله فقال النبي (نحن أولى بموسى منهم) فصامه وأمر بصيامه ، قال بن المنير: الأكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية.

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١١٢١ .

٤- أنه أفضلُ أشهرِ الحرم، لما خصَّ من إضافتهِ إلى الله، ولما وردَ من فضيلةِ الصيام فيه، وتخصيصهِ بالذكرِ عن بقيةِ الشهور الأربعة، فهو أفضل الأشهر الأربعة، وأفضلُ الأيام فيه العشر الأول، وأفضل العشر: اليوم العاشر "يوم عاشوراء". عن الحسن البصري قال: إن الله افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام، فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم.

٥- تحريمُ القتالِ والظلمِ فيهنَّ، فقد نهى الله سبحانه عن ابتداءِ القتالِ في هذه الأشهرِ تعظيمًا لهنَّ وتشريفًا، قال قتادة في قوله "فلا تظلموا فيهن أنفسكم": إن الظُّلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها ، قال القرطبي: خص الله تعالى الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفاً لها، وإن كان منهياً عنه في كل الزمان ، و على هذا أكثر أهل التأويل أي: (لا تظلموا في أشهر الحرم أنفسكم)

٦- ابتداءُ التأريخ الهجري به، فقد تشاورَ صحابة رسول الله مِن أيِّ شهر يكونُ ابتداء السنةِ، فاختار عمر وعثمان وعليٌ رضي الله عنهم أن يكون ابتداءُ السنةِ من المحرمِ، لأنه شهرٌ حرامٌ يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي المسلمون فيه حجهم الذي به تمام أركان دينهم، ولأن ابتداء العزم على الهجرةِ كان فيه، إذ البيعةُ كانت في ذي الحجةِ، وهي مقدمة للهجرةِ، وأول هلالِ هل بعدها المحرم، فكان ابتداء السنة الإسلامية الهجرية من شهر المحرم)[١].

لكن ما يفعله الروافض في هذا الشهر لا يمت للإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد ، بل يقومون بأعمال محرمة جاء تحريمها في كتاب الله الكريم ولا نقول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي لا يعترفون بها ، وهذه الأعمال هي أعمال شركية كدعاء الأموات مثلما يفعلون عند القبور المزعومة لعلي وابه الحسين رضي الله عنهما.

(١) معاذ ابراهيم العتيبي ، موقع صيد الفوائد

س١٣٩ : لماذا حرم الله القتال في الأشهر الحرم؟. وهل نُسخ هذا التحريم؟.

ج ١٣٩: (يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (الأشهر الحرم هي أربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ فشهر مفرد، وهو رجب، والبقية متتالية، وهي: ذو القعدة وذو الحجة ومحرم. والظاهر أنها سميت حرمًا؛ لأن الله حرم فيها القتال بين الناس؛ فلهذا قيل لها حرم؛ جمع حرام. كما قال الله جل وعلا: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِّ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ .. (٣٦))[١] ، وقال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...(٢١٧))[٢] ، فدل ذلك على أنه محرم فيها القتال، وذلك من رحمة الله لعباده؛ حتى يسافروا فيها، وحتى يحجوا ويعتمروا)[٣] .

أما التحريم فهل بقي إلى يومنا هذا أو نسخ ، نقول والله أعلم :

أولا : **الأشهر الحرم أربعة أشهر** ، **وهي** : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، وقد أشار إليها القرآن الكريم كما سبق في الآيات ، وورى البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خطب الناس يوم النحر في حجة الوداع ، فكان مما قال : (إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ : ذُو الْقَعْدَةِ ، وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمُحَرَّمُ ، وَرَجَبُ ، شَهْرُ مُضَرَ ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)[٤] .

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره:(مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) وهي: رجب الفرد، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها.

(فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهرا، وأن اللّه تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر اللّه تعالى على مِنَّتِهِ بها،

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٩٧ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ١٦٧٩ .

وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها ، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها ، ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه ، عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها)[١] .

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) على قول ابن عباس راجع إلى جميع الشهور ، وعلى قول بعضهم إلى الأشهر الحرم خاصة، لأنه إليها أقرب ، ولها مزية في تعظيم الظلم، لقوله تعالى: (فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ... (١٧٩))[٢] لا أن الظلم في غير هذه الأيام جائز على ما نبينه ، ثم قيل: في الظلم قولان:

١- لا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتال، ثم نسخ بإباحة القتال في جميع الشهور.

٢- لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب[٣].

وقال الألوسي :(والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيهن منسوخة ، وأن الظلم مؤول بارتكاب المعاصي ، وتخصيصها بالنهي عن ارتكاب ذلك فيها ، مع أن الارتكاب منهي عنه مطلقا لتعظيمها ، ولله سبحانه أن يميز بعض الأوقات على بعض ، فارتكاب المعصية فيهن أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الإحرام)[٤].

ثانيا :القتال في الأشهر الحرم له حالان :

الأولى : أن يكون قتال دفع ، بمعنى أن يبتدئ المعتدون القتال في الأشهر الحرم ، فيجوز للمسلمين قتال هؤلاء المعتدين باتفاق العلماء ، قال ابن مفلح رحمه الله : (وَيَجُوزُ القتال في الشهر الحرام دفعا ، إجماعا)[٥].

---

(١) الشيخ السعدي ، تفسير السعدي ، ص ٣٣٦ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) القرطبي ، التفسير ، ج٨ ، ص ١٣٤ .
(٤) الألوسي ، روح المعاني ، ج١٠ ، ص ٩١ .
(٥) ابن مفلح ، الفروع ، ج١٠ ، ص ٤٧ ، وانظر زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٣٠١ .

الثانية : أن يكون قتال ابتداء ، بمعنى أن يبتدئ المسلمون القتال في الأشهر الحرم : فذهب جمهور العلماء إلى أن تحريم بدء القتال في الأشهر الحرم : منسوخ .

وذهب آخرون إلى أنه غير منسوخ ؛ لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ.. (٢)﴾[1] ، ولما رواه أحمد عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْزُو فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِلَّا أَنْ يُغْزَى - أَوْ يُغْزَوْا - فَإِذَا حَضَرَ ذَاكَ، أَقَامَ حَتَّى يَنْسَلِخَ)[2] وصححه محققو المسند .

قال ابن كثير رحمه الله :" اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْرِيمِ ابْتِدَاءِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ: هَلْ هُوَ مَنْسُوخٌ أَوْ مُحْكَمٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا : وَهُوَ الْأَشْهَرُ: أَنَّهُ مَنْسُوخٌ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: (فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) وَأَمَرَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَظَاهِرُ السِّيَاقِ مُشْعِرٌ بِأَنَّهُ أَمَرَ بِذَلِكَ أَمْرًا عَامًّا، فَلَوْ كان محرما فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ لَأَوْشَكَ أَنْ يُقَيِّدَهُ بِانْسِلَاخِهَا؛ وَلِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاصَرَ أَهْلَ الطَّائِفِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ -وَهُوَ ذُو الْقَعْدَةِ -كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: (أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى هَوَازِنَ فِي شَوَّالَ، فَلَمَّا كَسَرَهُمْ وَاسْتَفَاءَ أَمْوَالَهُمْ، وَرَجَعَ فَلُّهم، فَلَجَئُوا إِلَى الطَّائِفِ -عَمد إِلَى الطَّائِفِ فَحَاصَرَهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَانْصَرَفَ وَلَمْ يَفْتَتِحْهَا) فَثَبَتَ أَنَّهُ حَاصَرَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ.

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنَّ ابْتِدَاءَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ حَرَامٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ تَحْرِيمَ الْحَرَامِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ) وَقَالَ: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ عَمَّا قَبْلَهُ، وَأَنَّهُ حُكْمٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَيَكُونُ مِنْ بَابِ التَّهْيِيجِ وَالتَّحْضِيضِ، أَيْ: كَمَا يَجْتَمِعُونَ لِحَرْبِكُمْ إِذَا حَارَبُوكُمْ ، فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا لَهُمْ إِذَا حَارَبْتُمُوهُمْ، وَقَاتِلُوهُمْ بِنَظِيرِ مَا يَفْعَلُونَ.

---

(١) سورة المائدة .
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٤٥٨٣ .

وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَذِنَ للمؤمنين بقتال الْمُشْرِكِينَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ إِذَا كَانَتِ الْبُدَاءَةُ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) وَقَالَ تَعَالَى: (وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ) .

وَهَكَذَا الْجَوَابُ عَنْ حِصَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الطَّائِفِ، وَاسْتِصْحَابِهِ الْحِصَارَ إِلَى أَنْ دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَتِمَّةِ قِتَالِ هَوَازِنَ وَأَحْلَافِهَا مِنْ ثَقِيفٍ، فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ ابْتَدَءُوا الْقِتَالَ، وَجَمَعُوا الرِّجَالَ، وَدَعَوْا إِلَى الْحَرْبِ وَالنِّزَالِ، فَعِنْدَها قَصَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا تَقَدَّمَ، فَلَمَّا تَحَصَّنُوا بِالطَّائِفِ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ لِيُنْزِلَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمْ، فَنَالُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلُوا جَمَاعَةً، وَاسْتَمَرَّ الْحِصَارُ بِالْمَجَانِيقِ وَغَيْرِهَا قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَكَانَ ابْتِدَاؤُهُ فِي شَهْرٍ حَلَالٍ، وَدَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَاسْتَمَرَّ فِيهِ أَيَّامًا، ثُمَّ قَفَلَ عَنْهُمْ ، لِأَنَّهُ يُغْتَفَرُ فِي الدَّوَامِ مَا لَا يُغْتَفَرُ فِي الِابْتِدَاءِ، وَهَذَا هُوَ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ، وَلَهُ نَظَائِرُ كَثِيرَةٌ)[1].

قال ابن القيم رحمه الله :(... وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَهِيَ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ نُزُولًا، وَلَيْسَ فِيهَا مَنْسُوخٌ: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِّ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ) ، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِّ) ؛ فَهَاتَانِ آيَتَانِ مَدَنِيَّتَانِ بَيْنَهُمَا فِي النُّزُولِ نَحْوُ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ، وَلَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَّةِ رَسُولِهِ نَاسِخٌ لِحُكْمِهِمَا، وَلَا أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى نَسْخِهِ .

وَمَنِ اسْتَدَلَّ عَلَى نَسْخِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) وَنَحْوِهَا مِنَ الْعُمُومَاتِ، فَقَدِ اسْتَدَلَّ عَلَى النَّسْخِ بِمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ .

وَمَنِ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أبا عامر ، فِي سَرِيَّةٍ إِلَى أَوْطَاسٍ ، فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فَقَدِ اسْتَدَلَّ بِغَيْرِ دَلِيلٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ تَمَامِ الْغَزْوَةِ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا

---

(١) ابن كثير ، التفسير ، ج٤ ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

الْمُشْرِكُونَ بِالْقِتَالِ، وَلَمْ يَكُنِ ابْتِدَاءً مِنْهُ لِقِتَالِهِمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ)[١] .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله :(اختلف العلماء هل حرمة القتال فيها باقية أو نسخت؟ على قولين: الجمهور على أنها نسخت وأن تحريم القتال فيها نسخ، وقول آخر: أنها باقية ولم تنسخ ، وأن التحريم فيها باقي ولا يزال، وهذا القول أظهر من جهة الدليل)[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" القول الراجح من أقوال العلماء: أنه لا يجوز القتال فيها ، إلا ما كان دفاعاً ، أو كان قد انعقدت أسبابه من قبل، بمعنى: أنه لا يجوز أن نبدأ قتال الكفار في هذه الأشهر الحرم، إلا إذا كان دفاعاً، بمعنى أنهم هم الذين بدءونا في القتال، أو كان ذلك امتداداً لقتال سابق على هذه الأشهر [٣].

ثالثا :على القول بنسخ القتال في الأشهر الحرم . فالمنسوخ هو القتال فقط ، أما تعظيمها وتعظيم الذنوب فيها فهو باق ، وقد ورد في حديث رواه أبو داود استحباب الصيام فيها ، إلا أن إسناده ضعيف .)[٤]

س١٤٠: لماذا كان في مكة حدود تسمى حدود الحرم؟. وهل الصلاة في مساجد مكة المكرمة داخل حدود الحرم تضاعف لمائة ألف صلاة أم أن هذا خاص بمسجد الكعبة؟.

ج١٤٠: **أولا :حدود الحرم المكي معروفة** ، منصوب عندها أعلام مبينة من جميع الجهات مكتوب عليها اسم العلم لبيانها للناس ، قال النووي رحمه الله :(حَدُّ الْحَرَمِ مِنْ جِهَةِ الْمَدِينَةِ دُونَ التَّنْعِيمِ عِنْدَ بُيُوتِ بَنِي نِفَارٍ ، عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَمِنْ طَرِيقِ الْيَمَنِ ، طَرَفُ أَضَاةِ لِبْنٍ عَلَى سَبْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ عَلَى عَرَفَاتٍ مِنْ بَطْنِ نَمِرَةَ عَلَى سَبْعَةِ أَمْيَالٍ ، وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ عَلَى ثَنِيَّةِ جَبَلٍ بِالْمَقْطَعِ عَلَى سَبْعَةِ أَمْيَالٍ وَمِنْ طَرِيقِ الْجِعْرَانَةِ فِي شِعْبِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ ، وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةَ مُنْقَطِعُ الْأَعْشَاشِ عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ)[٥].

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٣٠١ – ٣٠٢ .
(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ابن باز ، ج١٨ ، ص ٤٣٣ .
(٣) ابن عثيمين ، اللقاء الشهري ، ج٣ ، ص ٢٧ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ١٨ /٥ / ٢٠١٥ م.
(٥) النووي ، المجموع ، ج٧ ، ص ٤٦٣ .

جاء في "الموسوعة الفقهية: (حَدُّ الْحَرَمِ :

١- مِنْ جِهَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ عِنْدَ التَّنْعِيمِ وَهُوَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ . وَفِي كُتُبِ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّهُ أَرْبَعَةُ أَوْ خَمْسَةُ أَمْيَالٍ . وَمَبْدَأُ التَّنْعِيمِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ عِنْدَ بُيُوتِ السُّقْيَا ، وَيُقَال لَهَا بُيُوتُ نِفَارٍ ، وَيُعْرَفُ الآنَ بِمَسْجِدِ عَائِشَةَ ، فَمَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ وَالتَّنْعِيمِ حَرَمٌ . وَالتَّنْعِيمُ مِنَ الْحِل .

٢- وَمِنْ جِهَةِ الْيَمَنِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ عِنْدَ أَضَاةِ لِبْنٍ .

٣- وَمِنْ جِهَةِ جُدَّةَ عَشَرَةُ أَمْيَالٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الأَعْشَاشِ لآخِرِ الْحُدَيْبِيَةِ ، فَهِيَ مِنَ الْحَرَمِ .

٤- وَمِنْ جِهَةِ الْجِعْرَانَةِ تِسْعَةُ أَمْيَالٍ فِي شِعْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدٍ .

٥- وَمِنْ جِهَةِ الْعِرَاقِ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ عَلَى ثَنِيَّةٍ بِطَرَفِ جَبَل الْمُقَطَّعِ ، وَذُكِرَ فِي كُتُبِ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّهُ ثَمَانِيَةُ أَمْيَالٍ .

٦- وَمِنْ جِهَةِ الطَّائِفِ عَلَى عَرَفَاتٍ مِنْ بَطْنِ نَمِرَةَ سَبْعَةُ أَمْيَالٍ عِنْدَ طَرَفِ عُرَنَةَ .

وَلَعَل الاِخْتِلاَفَ فِي تَحْدِيدِ الأَمْيَال يَرْجِعُ إِلَى الاِخْتِلاَفِ فِي تَحْدِيدِ أَذْرُعِ الْمِيل وَأَنْوَاعِهَا وَابْتِدَاءُ الأَمْيَال مِنَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ ، هَذَا وَقَدْ حُدِّدَ الْحَرَمُ الْمَكِّيُّ الآنَ مِنْ مُخْتَلَفِ الْجِهَاتِ بِأَعْلاَمٍ بَيِّنَةٍ مُبَيِّنَةٍ عَلَى أَطْرَافِهِ مِثْل الْمَنَارِ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا اسْمُ الْعَلَمِ بِاللُّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالأَعْجَمِيَّةِ)[1].

والميل يعادل (١٨٤٨) مترا ، فما كان داخل العلامات المذكورة فهو من حرم مكة ، له أحكامه الشريعة جميعها ، بغض النظر عن الوضع الإداري الذي يسمى به المكان ، وما كان خارج هذه العلامات ، فليس من حرم مكة ، ولا ينطبق عليه شيء من أحكام الحرم ، حتى ولو سمي مكة ، أو اعتبره الناس في وقت ما حيا من أحيائها)[2].

ثبت تضعيف أجر الصلاة في المسجد الحرام فيما رواه أحمد وابن ماجه عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا

---

(١) الموسوعة الفقهية ، ج١٧ ، ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، وانظر نفس الموسوعة ، ج٥ ، ص ٢٥٨ – ٢٥٩ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢١ / ٤/ ٢٠١٢ م.

سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ)[1] ، والحديث صححه المنذري والبوصيري ، وقال الألباني : " سند صحيح على شرط الشيخين)[2] .

وقد اختلف الفقهاء في المراد بالمسجد الحرام هنا على أقوال ، أشهرها قولان :

الأول : اختصاص ذلك بمسجد الكعبة . وإلى هذا ذهب جماعة من العلماء منهم النووي والمحب الطبري ، وابن مفلح ، وابن حجر الهيتمي واختاره ابن عثيمين رحمهم الله .

والثاني : أنه يشمل الحرم كله ، وقد نسب هذا القول إلى الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية ، واختاره ابن القيم رحمه الله ، وبه أفتت اللجنة الدائمة والشيخ ابن باز رحمه الله .

جاء في "الموسوعة الفقهية: (ذهب الحنفية في المشهور والمالكية والشافعية إلى أن المضاعفة تعم جميع حرم مكة ، فقد ورد من حديث عطاء بن أبي رباح قال : بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام تفضل بمائة ، قال عطاء : فكأنه مائة ألف ، قال : قلت : يا أبا محمد ، هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو في الحرم ؟ قال : بل في الحرم ، فإن الحرم كله مسجد)[3] ....

وقال الزركشي : يتحصل في المراد بالمسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة سبعة أقوال :

١- أنه المكان الذي يحرم على الجنب الإقامة فيه .

٢- أنه مكة .

٣- أنه الحرم كله إلى الحدود الفارقة بين الحل والحرم ، قاله عطاء وقد سبق مثله عن الماوردي وغيره .

---

(١) الموسوعة الفقهية ، ج٢٧ ، ص ٢٣٩ .

(٢) ابن ماجة ، ابن ماجة ،رقم الحديث ١٤٠٦ .

(٣) الألباني ، إرواء الغليل ، ج٤ ، ص ١٤٦ .

وقال الروياني : فضل الحرم على سائر البقاع فرخص في الصلاة. فيه في جميع الأوقات لفضيلة البقعة وحيازة الثواب المضاعف ، قال الزركشي : وهذا فيه تصريح بهذا القول.

٤- أنه الكعبة ، قال الزركشي وهو أبعدها .

٥- أنه الكعبة والمسجد حولها ، وهو الذي قاله النووي في استقبال القبلة .

٦- أنه جميع الحرم وعرفة ، قاله ابن حزم .

٧- أنه الكعبة وما في الحجر من البيت ، وهو قول صاحب البيان من أصحاب الشافعية.

وحكى المحب الطبري خلاف الفقهاء في مكان المضاعفة بالنسبة إلى الصلاة ، ورجح أن المضاعفة تختص بمسجد الجماعة " انتهى باختصار .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) في الكلام على قصة الحديبية : (وروى الإمام أحمد في هذه القصة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُصلِّي في الحرم، وهو مضطرب (أي : مقيم) في الحِل، وفي هذا كالدّلالة على أن مضاعفةَ الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لا يخصُّ بها المسجد الذي هو مكانُ الطواف ، وأن قوله: (صَلاَةٌ في المِسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائة صَلاةٍ في مسجدي)، كقوله تعالى في سورة التوبة : (فَلا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ..(١٢٨)) ، وقوله تعالى في سورة الإسراء : (سُبْحَانَ الذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وكان الإسراء مِن بيت أُم هانئ)[1].

ولكن نجيب عن هذا الاستدلال بجوابين :

الأول : أن الحديث ضعيف .

الثاني : إن صح الحديث فإنه يدل على أن الصلاة في الحرم أفضل ، ولكن لا يدل على أنها خير من مائة ألف صلاة .

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٣٠٣ .

قال ابن مفلح رحمه الله : (وظاهر كلامهم في المسجد الحرام أنه نفس المسجد ، ومع هذا فالحرم أفضل من الحل ، فالصلاة فيه أفضل ، ولهذا ذكر في المنتقى قصة الحديبية من رواية أحمد والبخاري ، ثم ذكر رواية انفرد بها أحمد ، قال : وفيه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الحرم ، وهو مضطرب في الحل) وهذه الرواية من رواية ابن إسحاق عن الزهري وابن إسحاق مدلس)[1] .

وقال في (الآداب الشرعية) : (وهذه المضاعفة تختص بالمسجد على ظاهر الخبر، وقول العلماء من أصحابنا وغيرهم)[2] .

والراجح هو القول الأول ، وهو اختصاص المضاعفة بالمسجد الذي فيه الكعبة ؛ لما روى مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ : (إِنَّ امْرَأَةً اشْتَكَتْ شَكْوَى فَقَالَتْ : إِنْ شَفَانِي اللَّهُ لَأَخْرُجَنَّ فَلَأُصَلِّيَنَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَبَرَأَتْ ثُمَّ تَجَهَّزَتْ تُرِيدُ الْخُرُوجَ فَجَاءَتْ مَيْمُونَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَأَخْبَرَتْهَا ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : اجْلِسِي فَكُلِي مَا صَنَعْتِ ، وَصَلِّي فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ)[3] ، وروى مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّمَا يُسَافَرُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ وَمَسْجِدِي وَمَسْجِدِ إِيلِيَاءَ)[4].

وهذا نص في أن المراد بالمسجد الحرام في هذين الحديثين : المسجد الذي فيه الكعبة ، لا عموم مكة أو الحرم ، وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (هل مساجد مكة فيها من الأجر كما في المسجد الحرام؟ فأجاب : (قول السائل : هل مساجد مكة فيها من الأجر كما في المسجد الحرام جوابه :

---

(١) ابن مفلح ، الفروع ، ج١ ، ص ٦٠٠ .
(٢) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٤٢٩ ، و وينظر : المجموع (١٩٧/٣)، تحفة المحتاج (٤٦٦/٣)، فتاوى اللجنة الدائمة (٢٢٣/٦) ، فتاوى الشيخ ابن باز (١٣٠/٤).
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٩٦ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٩٧ .

لا ليست مساجد مكة كالمسجد الحرام في الأجر ، بل المضاعفة إنما تكون في المسجد الحرام نفسه ، القديم والزيادة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة) . أخرجه مسلم .

فخص الحكم بمسجد الكعبة ، ومسجد الكعبة واحد ، وكما أن التفضيل خاص بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خاص بالمسجد الحرام أيضاً ، ويدل لهذا أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى) .

ومعلوم أننا لو شددنا الرحال إلى مسجد من مساجد مكة غير المسجد الحرام لم يكن هذا مشروعاً بل كان منهياً عنه ، فما يشد الرحل إليه هو الذي فيه المضاعفة ، لكن الصلاة في مساجد مكة بل في الحرم كله أفضل من الصلاة في الحل ، ودليل ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية ، والحديبية بعضها في الحل وبعضها في الحرم كان يصلي في الحرم مع أنه نازل في الحل ، وهذا يدل على أن الصلاة في الحرم أفضل ، لكن لا يدل على حصول التضعيف الخاص في مسجد الكعبة ، فإن قيل : كيف تجيب عن قول الله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) وقد أسرى به من مكة من بيت أم هاني ؟ فالجواب : أنه ثبت في صحيح البخاري أنه أسرى به صلى الله عليه وسلم من الحِجْر ، قال : (بينا أنا نائم في الحِجْر أتاني آت . . .) إلخ الحديث ، والحِجْر في المسجد الحرام ، وعلى هذا فيكون الحديث الذي فيه أنه أسري به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هاني – إن صحت الرواية – يراد ابتداء الإسراء ، ونهايته من الحِجر ، كأنه نُبِّه وهو في بيت أم هاني ، ثم قام فنام في الحجر فأسرى به من الحجر[(١) ، (٢)].

س١٤١: لماذا يصوم المسلمون يوم عاشوراء ؟.

---

(١) الشيخ ابن عثيمين ، الفتاوى ، ج١٢ ، ص ٣٩٥ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ١٩ / ١١ / ٢٠٠٨ م.

ج ١٤١: مرّ صوم يوم عاشوراء بأحوال عدة:

الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم عاشوراء بمكة، ولا يأمر الناس بصومه.

الثانية: لما قدم المدينة وجد اليهود يصومونه، فصامه وأمر الناس بصيامه، حتى أمر من أكل في ذلك اليوم أن يمسك بقية ذلك اليوم، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة؛ لأنه قدم المدينة في ربيع الأول.

الثالثة: لما فرض رمضان في السنة الثانية نُسِخَ وجوب صوم عاشوراء، وصار مستحباً، فلم يقع الأمر بصيامه إلا سنة واحدة.

ويشهد لهذه الحالات أحاديث، منها:

١- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما هاجر إلى المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: «من شاء صامه، ومن شاء تركه)[١].

٢- وعن الرُّبَيِّع بنت معوِّذ قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان منكم صائماً فليتمَّ صومه، ومن كان أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه، ونصوِّم صبياننا الصغار منهم، إن شاء الله، ونذهب بهم إلى المسجد، ونصنع لهم اللعبة من العهن، فنذهب به معنا، فإذا سألونا الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم، حتى يتموا صومهم)[٢].

٣- واستحبابه متأكد يدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما : (ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم فضَّله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء، وهذا الشهر، يعني: شهر رمضان)[٣].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٨٩٣ ، والإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ١١٢٥

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٣٦ .

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٠٠٦ .

الرابعة: الأمر بمخالفة اليهود في صيام عاشوراء؛ فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء)[1] حتى أُمر بمخالفتهم، ونُهي عن موافقتهم، فعزم على أن لا يصوم عاشوراء مفرداً، فكانت مخالفته لهم في ترك إفراد عاشوراء بالصوم.

ويشهد لذلك أحاديث منها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم)[2].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا فيه اليهود، وصوموا قبله يوماً أو بعده يوماً)[3] وعلى صحة هذا الحديث فإن من لم يصم التاسع فإنه يصوم الحادي عشر؛ لتتحقق له مخالفة اليهود في عدم إفراد عاشوراء بالصوم.

يستحب للمسلم صيامه لما له من فضل عظيم عند الله تعالى، فهو سُنة فعلية وقولية عن النبي صلى الله عليه سلم، وله عدد من الفضائل كالتالي :

١- صيامه يكفر السنة الماضية: ففي صحيح مسلم أن رجلا سأل رسول الله عن صيام عاشوراء فقال: (أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله)[4].

٢- تحري الرسول صلى الله عليه وسلم صيام هذا اليوم: روى ابن عباس قال: (ما رأيت النبي يتحرى صوم يوم فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء)[5] .

٣- وقوع هذا اليوم في شهر الله المحرم الذي يسن صيامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٩٤٤ .

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٥٩ .

(٣) الإمام أحمد، المسند ، ج٤ ، ص ٢١ .

(٤) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٧٥٢ . أخرجه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، وأحمد (٢٢٦٥٠) مطولاً، والترمذي (٧٥٢)، وابن ماجه (١٧٣٨) واللفظ لهما

(٥) الإمام البخاري ، صحيح قم الحديث ٢٠٠٦ .

قال: (سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ المكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقالَ: أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ المكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ المحَرَّمِ.)[1]

٤- كان الصحابة رضي الله عنهم يصوّمون فيه صبيانهم تعويداً لهم على الفضل، فعن الربيع بنت معوذ قالت أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: (من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم، قالت: فكنا نصومه بعد ونصوّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار)[2].

٥- كان بعض السلف يصومون يوم عاشوراء في السفر، ومنهم ابن عباس وأبو إسحاق السبيعي والزهري، وكان الزهري يقول: (رمضان له عدة من أيام أخر، وعاشوراء يفوت)[3].

س١٤٢: لماذا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال الكفار ؟.

ج١٤٢:يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٩))[4] يقول الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية الكريمة (أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم ، وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان ، ومن كان مذعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا.

(و) أما في الآخرة، فـ (مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) أي: مقرهم الذي لا يخرجون منها (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[5].

ويقول تعالى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٦٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٦ .
(٣) صحيفة البيان ، فضل صيام عاشوراء ، ٠٩ سبتمبر ٢٠١٩.
(٤) سورة التحريم .
(٥) الشيخ السعدي ، تفسير السعدي ، ص ٣٢١ .

وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ(٢٩))[١] ، قال ابن خلدون في مقدمته: "اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منهم أهل عصبية، وهو أمر طبيعي في البشر، إما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب للمُلك وسعي في تمهيده، وإما غضب لله ولدينه)[٢]، ويقول تعالى : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ(٤٠))[٣] ، قال الإمام ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا) أي: عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعناد، ويدخلوا في الإسلام والطاعة والإنابة، (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) أي: من كفرهم وذنوبهم وخطاياهم، (وَإِنْ يَعُودُوا) أي: يستمروا على ما هم فيه (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ): فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أنا نعاجلهم بالعذاب)[٤].

ومحمد صلى الله عليه وسلم مأمور كغيره من رسل الله عليهم الصلاة والسلام بإعلاء كلمة الله تعالى باللسان وباليد يقول تعالى : (وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦))[٥].

١- في التوراة: (وحارب بنو يهوذا أورشليم، وأخذوها، وضربوا بحد السف، وأشعلوا المدينة بالنار، وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل، وسكان الجنوب والسهل)[٦].

---

(١) سورة التوبة .
(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ،ص ٢٧٠ .
(٣) سورة الأنفال .
(٤) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص ٢٩٥ .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) التوراة ، سفر القضاة ، الإصحاح الأول .

٢- في الإنجيل يقول عيسى بن مريم عليه السلام: (**لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاماً على الأرض، ما جئت لأرسي سلاماً، بل سيفاً، فإني جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته**)[١].

٣- أمر الله الملك الصالح ذا القرنين أن يعذب من أبى أن يعبد الله كما أخبرنا الله في كتابه: (**قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٩) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(٩٠)**)[٢]، قال ابن تيمية رحمه الله: مقصود الجهاد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتِل، وأما من لم يكن من أهل المقاتلة كالنساء والصبيان والراهب والشيخ الكبير والأعمى والزَمِن –أي: المريض مرضًا لا يُرجى شفاؤه– ونحوهم فلا يُقْتَل أحد منهم إلا أن يقاتِل بقوله أو بفعله، فالقتال لمن يقاتلنا؛ وذلك أن الله تعالى أباح من قتْل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق، كما قال تعالى: (**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ.. (٢١٧)**)[٣] أي: أن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه، فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه؛ ولهذا أوجبت الشريعة قتال الكفار، ولم توجب قتل المقدور عليهم منهم. وقال الله تعالى: (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ(١٩٣)**)[٤] أي: قاتلوا الكفار حتى لا يكون شرك، ويكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان الباطلة، فإن انتهوا عما هم فيه من الشرك وقتال المؤمنين فكفوا عنهم، فإن من قاتلهم بعد ذلك فهو ظالم، ولا عدوان إلا على الظالمين، قال مجاهد: لا يُقاتَل إلا من قاتل)[٥].

---

(١) إنجيل متي ، الإصحاح العاشر ، ٣٤ – ٣٦ .
(٢) سورة الكهف .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة البقرة .
(٥) ابن كثير ، التفسير ، ج١ ، ص ٢١٦ .

وبداية الجهاد كانت بعد أن خرج المسلمون بأنفسهم من مكة إلى المدينة تاركين أبناءهم ونساءهم وأموالهم وهربوا بدينهم ، ولئلا يطمع فيهم الكفار فيفتنوهم عن دينهم ، وبعد أن أصبحوا قوة لا يستهان بها أمرهم الله بقتال الكفار يقول تعالى : قال الله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١))[(١)].

والأمر بقتال المشركين كان في السنة الثانية من الهجرة بعد سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد: فقد ذكر أصحاب السير أن اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة كان بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وعقد المعاهدات مع سكان المدينة ومن حولها من المشركين واليهود... وفي هذه الأثناء كان مشركو قريش يهددون المسلمين، ويتوعدون من يأويهم من أهل المدينة ويتحرشون بزوار مكة من الأنصار وغيرهم، وفي هذه المرحلة أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال ورد الاعتداء بعد ما كان الأمر بكف الأيدي وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأما الأمر بقتال المشركين فإنه لم ينزل إلا في السنة الثانية من الهجرة بعد سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة في رجب سنة اثنتين، فأنزل الله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُم...(١٩١))[(٢)] .

(وقد بين العلماء أن الكفار أربعة أقسام:

---

(١) سورة الحج .
(٢) سورة البقرة .

١- محاربون: وهم الذين يقاتلون المسلمين.

٢- مستأمنون: هم: المحاربون الذين دخلوا دار الإسلام بأمان دون نية الاستيطان بها.

٣- معاهِدون: المعاهد من له عهد مع المسلمين إما بأمان من مسلم أو هدنة من حاكم أو عقد جزية.

٤- ذميون: الذمي هو: المعاهد الذي أُعطي عهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه.

فالكفار الذين يشرع أن يقاتلهم المسلمون هم المحاربون فقط الذي يصدون عن سبيل الله، ويمنعون المسلمين عن تبليغ دين الله، أما من عداهم من المعاهدين والمستأمنين والذميين فلا يجوز للمسلمين قتالهم، قال الله تعالى:(إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ(٤))[١] ، وقال الله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ(٦))[٢] .

عن عمرو بن الحَمِق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أمّن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل، ولو كان المقتول كافراً»[٣] .

عن رجل من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم)[٤] وهذا الحديث يؤيد ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه يجوز عقد الهدنة بين المسلمين والكفار مطلقاً بدون تحديد مدة إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، ويكون هذا العقد جائزاً غير لازم، بمعنى أن ينص العقد على أن للمسلمين أن ينقضوه متى ما أرادوا[٥] .

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة التوبة .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٥٩٨٢ .
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود، رقم الحديث ٤٣٠٢ ، وفي صحيح الجامع" ٣٣٨٤
(٥) ابن عثيمين و، الشرح الممتع ، ج٣ ، ص ٤٣٥ .
(٦) محمد علي المطري ، الدرر الشامية .

س١٤٣: لماذا كانت مباهلة الرسول صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران ؟.

ج١٤٣: قال الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١)﴾[١]، وهذه الآيات هي آيات المباهلة ، والمباهلة تعني الملاعنة وهي أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء ، فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا. والابتهال: الاجتهاد في الدعاء، وإخلاصه بإنزال اللعنة على الكاذب من المتلاعنَين[٢] .

سبب نزول هذه الآية أن وفد نصارى نجران حين قدموا المدينة جعلوا يُجادلون في نبي الله عيسى عليه السلام ، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلهية وقد تصلبوا على باطلهم ، بعدما أقام عليهم النبي صلى الله عليه وسلم البراهين بأنه عبد الله ورسوله ، فأمره الله تعالى أن يباهلهم ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة ، بأن يحضر هو وأهله وأبناؤه ، وهم يحضرون بأهلهم وأبنائهم ، ثم يدعون الله تعالى أن ينزل عقوبته ولعنته على الكاذبين ، فأحضر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ، وقال : هؤلاء أهلي ، فتشاور وفد نجران فيما بينهم : هل يجيبونه إلى ذلك ؟ فاتفق رأيهم أن لا يجيبوه ؛ لأنهم عرفوا أنهم إن باهلوه هلكوا ، هم وأولادهم وأهلوهم ، فصالحوه وبذلوا له الجزية ، وطلبوا منه الموادعة والمهادنة ، فأجابهم صلى الله عليه وسلم لذلك[٣] .

وللمباهلة عدة شروط مستنبطة منها:

١- إخلاص النية لله سبحانه وتعالى وألا يكون الانتصار لهوى النفس أو لأمر من أمور الدنيا.

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) النووي ، تحرير ألفاظ التنبيه ، ص ٢٤٧ .
(٣) ابن كثير ، التفسير ، ج٢ ،١ ص ٤٩ .

٢- أن يترتب عليها مصلحة شرعية كإحقاق الحق، وإقامة الحجة، وكشف الباطل.

٣- صحة ما عليه المباهل وصدقه فيه.

٤- تقديم النصح قبلها ومحاولة إزالة الشبه[١].

المباهلة سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حق من أصر على العناد من أهل الباطل والفساد وذلك بعد إقامة الحجة والبرهان عليهم.

قال ابن القيم: (إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك)[٢].

المباهلة ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بل هي عامة لجميع الأمة، كما أنها ليست خاصة مع النصارى أو اليهود، بل هي عامة مع كل مخالف يصر على ضلاله وعناده ، ولا يرجع إلى الحق رغم وجود الحجة والبرهان.

قال ابن القيم: (إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك)[٣]، و الممتنع من المباهلة يعتبر مبطلاً مهزوماً غير عالِمٍ أنه على الحْق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في امتناع النصارى عن مباهلة النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن دعاهم لها : (والنصارى لما لم يعلموا أنهم على الحق نكلوا عن المباهلة)[٤].[٥].

بقي أن نعرف أنه يجوز لنا مباهلة من يدعون الإسلاك كالفرق الضالة ، لنبين للناس حقيقة اعتقاهم الباطل وأن الإسلام بريء منهم .

---

(١) أحمد بن إبراهيم بن عيسى، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، ج١ ، ص ٣٧ .

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٦٤٣ .

(٣) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٦٤٣ .

(٤) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج٤ ، ص ٥٧ .

(٥) سامح محمد عيد محمد الفاتح ، موقع صيد الفوائد .

س١٤٤: لماذا أحضر النبي صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة والحسن والحسين عند مباهلته نصارى نجران ؟ وهل في هذا إشارة إلى تفضيل أهل بيت النبوة على غيرهم من المسلمين ؟.

ج١٤٤: نقول وبالله التوفيق :

١- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا الأمر ما يلي : إتيان النبي صلى الله عليه وسلم بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم عند المباهلة ثابت بالأحاديث الصحيحة ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال في حديث طويل : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ...) دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي)[١]., ليس في ذلك دلالة على أنهم أفضل هذه الأمة ، قال : (لا دلالة في ذلك على الإمامة ولا على الأفضلية)[٢]". وقال : (ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة ، كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفضل من جميع الصحابة)[٣] ..

٢- المباهلة إنما يختار لها الإنسان أقرب الناس منه نسباً ، لا أفضلهم عنده .قال شيخ الإسلام : (وسبب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهؤلاء فقط : أن المباهلة إنما تحصل بالأقربين إليه ، وإلا فلو باهلهم بالأبعدين في النسب وان كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود .. ".وقال : " وهؤلاء أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه و سلم نسباً ، وإن كان غيرهم أفضل منهم عنده ، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه ؛ لأن المقصود أن يدعو كل واحد منهم أخص الناس به ، لما في جِبِلّة الإنسان من الخوف عليه وعلى ذوي رحمه الأقربين إليه ...والمباهلة مبناها على العدل ، فأولئك أيضا يحتاجون أن يدعوا أقرب الناس إليهم نسبا ، وهم يخافون عليهم ما لا يخافون على الأجانب ، ولهذا امتنعوا عن المباهلة لعلمهم بأنه على الحق وأنهم إذا باهلوه حقت عليهم بُهْلة الله ، وعلى الأقربين إليهم)[٤].

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٧ ، ص ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٢٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٢٥ .
(٤) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٥ ، ص ٤٥ .

٣- سبب تخصيص علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين بالمباهلة أنهم أخص أهل بيته به في ذلك الوقت .قال شيخ الإسلام: (وأما آية المباهلة فليست من الخصائص ، بل دعا علياً وفاطمة وابنيهما ، ولم يكن ذلك لأنهم أفضل الأمة ، بل لأنهم أخص أهل بيته)[1]، وآية المباهلة نزلت سنة عشر لما قدم وفد نجران ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد بقي من أعمامه إلا العباس ، والعباس لم يكن من السابقين الأولين ، ولا كان له به اختصاص كعلي ، وأما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي ، وكان جعفر قد قتل قبل ذلك بمؤتة سنة ثمان ، فتعين علي رضي الله عنه)[2] ، وقال : (لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة ، فإن رقية وأم كلثوم وزينب كنَّ قد توفين قبل ذلك ، وإنما دعا حسناً وحسيناً ؛ لأنه لم يكن ممن ينسب إليه بالبنوة سواهما ، فإن إبراهيم ، إن كان موجودا إذ ذاك ، فهو طفل لا يُدعى)[3].

٤- ليس في آية المباهلة دليل على أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخلافة والإمامة ، بزعم أن الله جعله مقام نفس الرسول بقوله : (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ...) ، والاتحاد في النفس محال ، فلم يبق إلا المساواة له في الولاية العامة .قال شيخ الإسلام : " لا نسلم أنه لم يبق إلا المساواة ، ولا دليل على ذلك ، بل حمله على ذلك ممتنع ، لأن أحداً لا يساوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا علياً ولا غيره ، وهذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة ، قال تعالى في قصة الإفك (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ..) ولم يوجب ذلك أن يكون المؤمنون والمؤمنات متساوين ، وقد قال الله تعالى في قصة بني إسرائيل (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) أي يقتل بعضكم بعضا ، ولم يوجب ذلك أن يكونوا متساوين ، ولا أن يكون من عبد العجلَ مساوياً لمن لم يعبده ،

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٤ ، ص ٤١٩ .
(٢) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٧ ، ص ١٢٥ .
(٣) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٢٩ .

وكذلك قد قيل في قوله (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي لا يقتل بعضكم بعضاً ، وان كانوا غير متساوين ، وقال تعالى (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي لا يلمز بعضكم بعضاً ، فيطعن عليه ويعيبه ، وهذا نهي لجميع المؤمنين أن لا يفعل بعضهم ببعض هذا الطعن والعيب ، مع أنهم غير متساوين ، لا في الأحكام ، ولا في الفضيلة ، ولا الظالم كالمظلوم ، ولا الإمام كالمأموم ...فهذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة ، والتجانس والمشابهة يكون بالاشتراك في بعض الأمور ، كالاشتراك في الإيمان)[1]، [2] .

وعليه نقول :

الحادثة حسب ما تؤكد الروايات وقعت في السنة العاشرة للهجرة وحينها كانت كل بنات النبي عدا فاطمة قد توفين.

١- يعتقد المسلمون الشيعة أن قضية المباهلة قدمت للنبي فرصة التعريف بأهل بيته الذين عرفوا بأصحاب الكساء و هم علي ،فاطمة ،الحسن و الحسين. وتعتقد الشيعة بأن الحديث المذكور يشير إلى تفوق علي بن ابي طالب وإمامته بعد النبي أما الاحتجاج بالآية لإثبات أن الإمامة لا تكون إلا لعلي والحسن والحسين؛ فعلي هو الذي تخلى عنها، والحسن سلمها لمعاوية، والحسين لم يتمكن منها.

٢- لفظة أنفسكم لا تقتضي المساواة وفقاً لما ورد في القرآن الكريم يقول تعالى (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...(١٢٨))[3] ، ويقول تعالى :(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ.. (١٦٤))[4] ، ويقول (خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا..(٢١))[5] في الآيتين الأوليين، لا يقتضي كون الرسول من نفس المؤمنين المساواة في الفضل والاصطفاء بينه وبينهم، وفي الآية الأخيرة افتراق في الجنس رغم

---

(١) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٧ ، ص ١٢٣ .
(٢) الإسلام سؤال وجواب . في ١٧ / ٧ / ٢٠٠٩ م.
(٣) سورة التوبة .
(٤) سورة آل عمران .
(٥) سورة الروم .

أن المرأة من نفس الرجل، هذا إذا سلمنا بتفسير المفسرين بأن نفس النبي الواردة في آية المباهلة المقصود بها علي.

س : لماذا طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين أشاعوا حادثة الإفك حد القذف؟.

ج: يقول الله تعالى في سورة النور : (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ

لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦))[١].

وحادثة الإفك هي التي تكلم فيها بعرض رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث اتهمت عائشة زوجة الرسول في شرفها كان النبي يقترع بين نسائه قبل كل غزوة، فمن خرج سهمها منهن رافقته، وقد خرج سهم أم المؤمنين عائشة في غزوة بني المصطلق، فلما فرغ النبي من غزوته تجهّز الجيش للمسير، فأرادت السيدة عائشة قضاء بعض حوائجها، ثم عادت لتجد نفسها قد فقدت عقدًا، فلما ذهبت تبحث عنه سار الركب، وقد حُمل هودجها على الجمل، ولم يشكّوا بخفة الهودج، فقد كانت عائشة نحيلة خفيفة الوزن، وعادت السيدة عائشة، وجلست في مقامها تنتظر عودة من يسأل عنها، فأخذها النعاس فنامت، فإذا بالصحابي صفوان بن المعطل يلحظها، وكان مأمورًا بالتأخر عن الجيش لاستطلاع الطرق وإخبار الجيش إذا ما أراد الأعداء مباغتتهم من الخلف، فأتى إلى عائشة، فعرفها، وأناخ لها الجمل فركبت، والتحقا بالركب. وبدأت هنا قصة حادثة الإفك فقد استغلّ رئيس المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول تأخّر عائشة ووصولها مع صفوان، وبثّ تهمة ارتكاب السيدة عائشة لفاحشة الزنا، وقد سار المنافقون بالكلام، ووقع به بعض الصحابة، واهتم لها رسول الله همًا كبيرًا، فقد رافق كلام الناس انقطاعٌ في الوحي، وكانت السيدة عائشة حينها تعاني من مرض أصابها، فلم يصلها خبر التهمة إلا بعد شهر تقريبًا، فلما عرفت واصلت الليل بالنهار باكية إلى أن نزلت براءتها.

حاول المنافقون في قصة حادثة الإفك الطّعنَ في عرض رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ لكن الله أظهر الحق بتبرئتها في عدة آيات من سورة النور، أولها قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ)،وقد حكت السيدة عائشة قصة حادثة الإفك في حديث طويل يظهر تغير الرسول في معاملتها بسبب تأخر الوحي، وكثرة القيل والقال، وهو مما يثبت أنّ الوحي ليس شعورًا نفسيًا إنّما هو من الله مؤقتًا بإرادته عزّ وجل

---

(١) سورة النور .

وفيما روت عائشة من مشاهد قصة حادثة الإفك اللحظة التي نزل فيها الوحي ببراءتها؛ حيث قالت: (فَاضْطَجَعْتُ علَى فِرَاشِي، قالَتْ: وأَنَا حِينَئِذٍ أعْلَمُ أنِّي بَرِيئَةٌ، وأنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي ببَرَاءَتِي، ولَكِنْ واللَّهِ ما كُنْتُ أظُنُّ أنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ في شَأْنِي وحْيًا يُتْلَى، ولَشَأْنِي في نَفْسِي كانَ أحْقَرَ مِن أنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بأَمْرٍ يُتْلَى، ولَكِنْ كُنْتُ أرْجُو أنْ يَرَى رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بهَا، قالَتْ: فَوَ اللَّهِ ما رَامَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولَا خَرَجَ أحَدٌ مِن أهْلِ البَيْتِ حتَّى أُنْزِلَ عليه، فأخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُهُ مِنَ البُرَحَاءِ، حتَّى إنَّه لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الجُمَانِ مِنَ العَرَقِ، وهو في يَومٍ شَاتٍ، مِن ثِقَلِ القَوْلِ الذي يُنْزَلُ عليه، قالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ سُرِّيَ عنْه وهو يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بهَا: يا عَائِشَةُ، أمَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ فقَدْ بَرَّأَكِ فَقالَتْ أُمِّي: قُومِي إلَيْهِ، قالَتْ: فَقُلتُ: لا واللَّهِ لا أقُومُ إلَيْهِ، ولَا أحْمَدُ إلَّا اللَّهَ عزَّ وجلَّ)[1].

وهكذا أظهر الله زيف ادعاء المنافقين ونُفّذ بعد ذلك حدّ القذف بحقّ من تكلم في عرض الرسول، وبقيت براءة السيدة عائشة تتلى على لسان المسلمين محفوظة في القرآن.

و لقد برأها الله تبارك و تعالى في القرآن من فوق سبع سماوات وكان ذلك في سورة النور ، ولقد أقام الرسول حد القذف على رجلين و امرأة من الصحابة وهم :

١- حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

٢- مسطح بن أثاثة .

٣- حمنة بنت جحش.

س١٤٢: لماذا لم يجلد عبد الله بن أبي سلول في قصة الإفك مع كبره ؟.

ج١٤٢: لم يقم عليه الحد للأسباب التالية :

١- له منعة، فإن قومه (الخزرج) كانوا قد أسلموا ....

٢- ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته ، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه ، وهي تأليف قومه.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧٥٠ .

٣- تركه لأن الحدود كفارة لأهلها، و بهذا يدخر له العذاب يوم القيامة،

٤- للمصلحة كما حدث عند قوله (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) فاستأذن عمر في قتله، فقال النبي صلى الله عليه و سلم (كيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟) أو كما قال عليه الصلاة و السلام، فالناس سيبلغهم أن النبي صلى الله عليه و سلم يقتل أصحابه، بل سيداً سابقاً من سادات الخزرج و أهل المدينة عامةً .. و لن يعلموا أن من قتله النبي صلى الله عليه و سلم ليس إلا واحد من المنافقين، فهو كان يظهر الإسلام و يبطن الكفر

٥- لأنه لم يصرح باتهام عائشة رضى الله عنها و إنما كان قوله " أباتا سويا ؟ و الله لا يخلون رجل بامرأة إلا و يكون الشيطان ثالثهما فلم يصرح باتهامها، بل كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه .

٦- لم يثبت منه إقرار ولم يثبت عليه بينة

٧- حد القذف لا بد له من مطالبة صاحب الحق وعائشة رضي الله عنها لم تفعل ذلك

س١٤٦: لماذا حرم الله صيام العيدين ؟.

ج ١٤٦ : حرم الله صيام يومي العيدين وورد في ذلك عدة أحاديث صحيحة ، ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : (نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْفِطْرِ وَالنَّحْرِ)[١] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ يَوْمِ الْأَضْحَى، وَيَوْمِ الْفِطْرِ)[٢]، و الحِكْمَةُ من تَحْرِيمِ صَوْمِ الْعِيدَيْنِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ لما فيه من الْإِعْرَاضِ عن ضِيَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ)[٣] ، وهاذان اليومان يومَا فرحٍ واغتباط بإكمال عملين، فيوم الفطر يوم فرح بإكمال الصيام، وعيد الأضحى يوم فرح بإكمال الأعمال التي تعمل في ذي الحجة ولا يجوز بتاتا أن يصوم يوم العيد نذرا .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٩٢ ، والإمام مسلم في صحيحه ، برقم ٨٢٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٢٨ .
(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٢ ، ص ٦٧ .

س١٤٧: لماذا نهى الإسلام عن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية؟.

ج١٤٧: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أُوصيكُم بأصحابي ثمَّ الَّذينَ يلُونَهم ، ثمَّ يَفشو الكَذبُ ، حتَّى يَحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفَ ، ويشهدَ الشَّاهدَ ولا يُستشهَدَ ، ألا لا يخلوَنَّ رَجلٌ بامرأةٍ إلَّا كان ثالثَهُما الشَّيطانُ ، عليكُم بالجماعَةِ ، وإيَّاكُم والفُرقةُ ؛ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ ، وهوَ معَ الاثنينِ أبعَدُ ، مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فلَيلزمُ الجماعةَ ، مِن سرَّتْهُ حَسَنَتُه ، وساءَتْهُ سيِّئتُهُ ، فذلِكُم المؤمِنَ)[1] .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (فإن حكم الخلوة بالمرأة الأجنبية في سيارة أو مكتب أو غيرهما؛ حكمه التحريم، حكمها التحريم بلا شك؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم)، متفق على صحته، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم) متفق على صحته، وقوله صلى الله عليه وسلم :(لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما)، خرجه الإمام أحمد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بإسناد صحيح، فليس للرجل أن يخلو بالمرأة، لا في مكتب، ولا في سيارة، ولا في غرفة، بل يجب عليه أن يحذر ذلك؛ لأن الشيطان قد يدعو إلى ما لا تحمد عقباه، ولهذا قال: فإن الشيطان ثالثهما، هكذا قال صلى الله عليه وسلم ومن هذا ما قد يقع لبعض الناس يكون له سكرتيرة، يجلس معها في مكتبه، هذا منكر لا يجوز أن يكون للرجل سكرتيرة يخلو بها في مكتبه، أو بيته، أو غير ذلك، بل يكون للرجل ،سكرتير من الرجال، والمرأة لها سكرتيرة من النساء، فالنساء للنساء والرجال للرجال، أما أن يتخذ سكرتيرة في مكتبه أو في إدارته أو في محل علاجه؛ لكونه طبيب أو ما أشبه ذلك، هذا لا يجوز، وهذا منكر عظيم، ووسيلة للشر العظيم.

وهكذا الخلوة في السيارة كونه يذهب بها هاهنا وهاهنا ما معه أحد، وسيلة لشر عظيم،

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٥٤٦ .

قد يغلبه الشيطان ويذهب بها إلى حيث يشاء، وقد يتفق معها في السيارة على ما لا تحمد عقباه، فهذا كله لا يجوز. .)[1] .

والاختلاط بين الرجال والنساء في العمل ، له آثاره السيئة ، ومفاسده الواضحة على كلٍّ من الرجل والمرأة ، ومن ذلك :

١- حصول النظر المحرم ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات بغض البصر ، فقال سبحانه: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا.....(٣١))[2]. وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة ، فأمرني أن أصرف بصري)[3] .

٢- قد يحصل فيه اللمس المحرم ، ومنه المصافحة باليد ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له)[4] .

٣- ومن مفاسده : تعلق قلب الرجل بالمرأة وافتتانه بها ، أو العكس ، وذلك من جراء الخلطة ، وطول المعاشرة .

٤- أن الاختلاط قد يوقع في خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه ، وهذا محرم ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان)[5] ، وفي

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ صوتي .
(٢) سورة النور .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٥٩ .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٥٠٤٥ .
(٥) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢١٥٦ .

٥- رواية : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان)[(١)] .

٦- ما يترتب على ذلك من دمار الأسر وخراب البيوت ، فكم من رجل أهمل بيته ، وضيع أسرته ، لانشغال قلبه بزميلته في الدراسة أو العمل ، وكم من امرأة ضيعت زوجها وأهملت بيتها، لنفس السبب ، بل : كم من حالة طلاق وقعت بسبب العلاقة المحرمة التي أقامها الزوج أو الزوجة ، وكان الاختلاط في العمل رائدها وقائدها[(٢)].

لكن الاختلاط أصبح واقعا حكمته الظروف الحياتية ، فإن هناك فرق بين الاختلاط والخلوة ، وقد أشار إلى ذلك سماحة الشيخ ابن باز في ما سبق ، وأقول :

١- فالاختلاط هو أن يعمل عدد من الرجال والنساء في مكان عمل واحد

٢- الخلوة هو أن يكون الرجل والمرأة في مكان واحد منفردين ، وهنا يجب التنبيه على أن في ذلك خطورة فالإنسان ضعيف والشيطان حريص .

أجاز الإسلام للمرأة أن تخرج من بيتها للعمل، ولكنّه وضع لذلك ضوابطاً معينةً، واشترط له شروطاً خاصةً لا بدّ للمرأة أن تلتزم بها، وتتأكّد من توفّرها في العمل الذي تقوم به حتى يجوز لها ذلك، وفيما يأتي بيان جانبٍ من تلك الضوابط :

١- أن يكون المجتمع محتاجاً إلى عملها، أو أن تكون محتاجة هي للعمل، فإن كانت هناك حاجةٌ لعمل المرأة في تدريس البنات مثلاً، أو تطبيب النساء، ونحو ذلك فلا بأس من عملها، وكذلك إن كانت هي محتاجةٌ لمالٍ تُنفق به على نفسها.

٢- ألّا يكون في العمل مجالٌ للخلوة بالرجال؛ لأنّ الإسلام أوجب على المرأة البُعد عن الرجال غير المحارم لها، كما حرّم عليها الخلوة بهم، وذلك حرصاً على المجتمع المسلم.

٣- أن يكون العمل مناسباً، ومنسجماً مع صفات المرأة، وخصائصها، وما جبلها الله

(١) الألباني ، غاية المرام ، ص ١٨٠ .
(٢) ؟!(الاسلام سؤال وجواب في ٨/٥/ ٢٠٠٧ م.

عليه في خِلقتها، فلا تكلّف بالأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها غير الرجال، كالعمل في المصانع، والمعامل ونحوها.

٤- ألّا تكون طبيعة العمل متعلّقةٌ بالولايات العامة؛ كرئاسة الدولة، ، وإمارة البلاد.

٥- أن يأذن لها ولي أمرها بذلك العمل، سواءً أكان وليّها أباً، أو زوجاً، أو أخاً، أو نحوه، ولا بدّ أن يُستأذن في كلّ شأنٍ يخصّ الأسرة، كما أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم قد أرشد المرأة ألّا تخرج إلى الصلاة إلّا بإذن وليها، فيكون استئذان الولي في العمل أولى.

٦- أن تلتزم المرأة باللباس الشرعي عند خروجها إلى العمل، ومرورها بالرجال الأجانب.

آداب الحديث بين الرجل والمرأة:

إذا وُجدت الحاجة للتواصل والحديث بين المرأة والرجل؛ فلا بدّ من مراعاة جملة من الآداب أثناء ذلك، فيما يأتي بيان بعضها:

١- الاقتصار في الحديث على القدر المطلوب، فلا يتشعّب الكلام بينهما، ويتوسّعان في الحديث حول ما لا يتعلّق بموضوعهما الأصلي، وقد كان الصحابة -رضي الله عنهم- خير مثالٍ على ذلك، فقد روت السيدة عائشة -رضي الله عنها- في قصة الإفك كيف تعامل معها صفوان بن المعطل رضي الله عنه يومها، حيث قالت: (فأصبحَ عندَ منزلي، فرأى سَوادَ إنسانٍ نائمٍ، فعرفَني حين رآني، وكان رآني قبلَ الحجابِ، فاستيقَظْتُ باسترجاعِهِ حينَ عرَفَني، فخَمَّرْتُ وجهي بجِلْبابي، واللهِ ما تكلَّمْنا بكلمةٍ، ولا سَمِعْتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِهِ)[1].

٢- ترك التحديق الطويل في الطرف الآخر، والحرص على غضّ البصر وعدم إطلاقه، مع العلم بأنّه لا حرج في النظر الخفيف لأجل إتمام الحديث. الحرص على عدم الخضوع في القول، ومثال ذلك ترقيق نبرة الصوت، أو التلطّف في الكلام، فالأصل فيهما أن

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤١٤١ .

يتحدّثا بالنبرة والصوت الطبيعي لكلٍّ منهما.

٣- تجنّب استخدام العبارات أو الألفاظ التي فيها خصوصيةٌ لأحد الجنسين، أو العبارات التي تشير إلى شيءٍ من الغراميات ونحوها من المعاني[١].

س١٤٥: لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر الرجل وحده ؟.

ج١٤٥:عن عمرو بن شعيب عن جده قال : (نَّ رجلًا قدم من سفرٍ ، فقال له رسولُ اللهِ : مَن صحِبتَ ؟ قال : ما صحبتُ أحدًا . فقال رسولُ اللهِ : الراكبُ شيطانٌ ، والراكبانِ شيطانانِ ، والثلاثةُ رَكبٌ)[٢].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: (وهو يدل على تحريم السفر وحده أو مع ثان فقط وأن السفر يكون بثلاثة فأكثر، لا يسافر وحده ولا ليس معه إلا صاحب واحد إذا تيسر ذلك فإن اضطر فلا حرج؛ لقول الله جل وعلا: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ...(١١٩))[٣] ، [٤].

قال الألباني في "السلسلة الصَّحيحة" (وفي هذه الأحاديث تَحريم سفَر المسلم وحدَه وكذا لو كان معَهُ آخَرُ، لظاهر النَّهْي في الحديث...، ولقوله فيه: "شيطان" أيْ عاصٍ، كقولِه تعالى: (شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ) فإنَّ معناهُ: عُصاتُهم كما قال المنْذِري. وقال الطبري: هذا زجر أدبٍ وإرشاد لِما يُخافُ على الواحد من الوحشة، وليْسَ بِحرام، فالسَّائِرُ وحدَه بفلاة، والبائِتُ في بيت وحدَه لا يأمن من الاستيحاش، لاسيَّما إن كان ذا فكرة رديئة أو قَلْبٍ ضعيف، والحقّ أنَّ النَّاس يتفاوتون في ذلك، فوقع الزَّجر لحسْم المادَّة فيُكْرَه الانفراد سدًّا للباب، والكراهة في الاثنين أخفُّ منها في الواحد، ذكره المناوي في "الفيض". قلت: ولعلَّ الحديثَ أراد السَّفر في الصحارى والفلوات التي قلَّما يرى المسافِرُ فيها أحدًا من الناس، فلا يدْخُل فيها السَّفر اليوم في الطُّرق المعبَّدة الكثيرة المواصلات، والله أعلم، ثُم إنَّ فيه ردًّا صريحًا على خروج

---

(١) موقع سطور ، ضوابط عمل المرأة ، ١٧ فبراير ٢٠٢٠

(٢) الألباني صحيح الترغيب، رقم الحديث ٣١٠٨

(٣) سورة الأنعام .

(٤) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ صوتي .

بعض الصوفيَّة إلى الفلاة وحدَه للسّياحة وتَهذيب النَّفس، زَعموا! وكثيرًا ما تعرَّضوا في أثناء ذلك للمَوْتِ عطشًا وجوعًا، أو لتكفُّف أيدي النَّاس، كما ذكروا ذلك في الحكايات عنهم، وخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّد صلَّى الله عليْهِ وآله وسلَّم[١].

واختيار الرفقة الصالحة، التي تعينه على طاعة ربه من أهم الأمور ، فإنه في السفر تحصل معاشرة مستمرة، وهذه لها أثرها على الفرد، وليجتنب رفقة السوء، ويكره له أن يسافر وحدهo للنهي عن ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سافر راكب بليل وحده)[٢].

والمسافر وحده :

١- قد يحصل له بتفرده وحشة .

٢- تتسلط عليه الهواجيس والأفكار.

٣- قد يحصل له مرض فلا يجد من يعاونه، ولذلك نهت الشريعة عن الوحدة .

س١٤٩: لماذا يكره السفر يوم الجمعة ؟.

ج١٤٩ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (إذا كان السفر قبل الأذان -قبل زوال الشمس- فلا حرج إن شاء الله، والأفضل لك عدم السفر حتى تصلي الجمعة هذا هو الأفضل لك، لكن إن سافرت قبل دخول الوقت فلا حرج عليك في ذلك. ولا حرج في الجمع ما دام السفر سفر قصر كالسفر إلى الخرج أو مكة أو الحوطة وغير ذلك المقصود مسافة ثمانين كيلو تقريبًا، يعني: يوم وليلة للمطية سابقًا وهي الآن ثمانون كيلومترا أو ما يقارب هذه المسافة تعد سفرًا، لكن ينبغي لك -يا أخي- أن تحرص على حضور الجمعة لما فيها من الخير العظيم والفائدة الكبيرة، ولئلا تتخذ هذا عادة فيقسو القلب ويقل الاعتناء بهذا الأمر، فأنصحك أن تجاهد نفسك حتى تصلي الجمعة ثم تسافر، لكن لا يلزمك ذلك إذا كان السفر قبل وقت الجمعة، قبل الزوال)[٣] .

---

(١) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج١ ، ص ٩٢ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٩٩٦ .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ صوتي .

للسفر يوم الجمعة عدة أحوال:

١- أن يكون السفر قبل الفجر أو بعد صلاة الجمعة: وهذا جائز بالاتفاق.

٢- أن يكون السفر بعد الفجر وقبل زوال الشمس (الزوال هو تحرك الشمس عن كبد السماء وهو وقت دخول وقت الظهر والجمعة) ويعلم أنه لا يدرك الجمعة في البلد الذي يسافر إليه، ولا في طريقه.

وقد اختلف فيه أهل العلم في حكم سفره على أقوال:

- الجواز بلا كراهة، وهو مذهب الحنفية، وقول عمر بن الخطاب والزبير بن العوام وأبو عبيدة والحسن وابن سيرين وابن المنذر وأكثر أهل العلم[٣].

- الكراهة وهو مشهور مذهب المالكية والحنابلة، وإنما قالوا بالكراهة حتى لا تفوته فضيلة حضور الجمعة [٣].

- التحريم وهو مذهب الشافعية.

والراجح من أقوال أهل العلم هو الإباحة المطلقة بلا كراهة؛ لعدم الدليل على التحريم أو الكراهة، ولم يصح في المسألة حديث صحيح مرفوع، كما قال النووي رحمه الله[٣]، بل قد روي عن عمر ما يدل على الجواز، فقد رأى رضي الله عنه رجلاً عليه أهبة السفر ولم يسافر، فقال الرجل: إن اليوم يوم جمعة ولولا ذلك لخرجت، فقال عمر: إن الجمعة لا تحبس مسافرًا، فاخرج ما لم يحن الرواح[٤] ، والأصل براءة الذمة ولا تجب الجمعة إلا بعد دخول وقتها.

١- أن يكون السفر بعد الزوال ودخول الوقت وقبل صلاة الجمعة: وقد اتفق أهل العلم على تحريم السفر يوم الجمعة بعد الزوال وقبل الصلاة لمن وجبت عليه الجمعة، إلا إن خاف فوات الرفقة فيباح سفره [٥].

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٢٦٩ ، وانظر حاشية ابن عابدين ١٦٢/٢، ، المجموع ٤٩٩/٤.
(٢) ابن النجار ، شرح منتهى الإرادات ، ج١ ، ص ٣١١ .
(٣) النووي ، الجموع ، ج٤ و ص ٥٠٠ .
(٤) البيهقي ، سنن البيهقي ، رقم الحديث ٥٦٥٤ .وانظر : عبد الرزاق ٥٥٣٧، الشافعي ٤٣٥.
(٥) انظر : حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٥٢٠، حاشية ابن عابدين ١٦٢/٢، الخرشي ٨٨/٢، المجموع ٤٩٩/٤، شرح منتهى الإرادات ٣١١/١).

ومثل خوف فوات الرفقة خوف فوات وقت إقلاع الطائرة لمن لم يجد خياراً آخر لوقت السفر ، لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠))[١] .

والجمعة قد لزمته بمجرد دخول الوقت، فيحرم اشتغاله بما يفوتها كالتجارة واللهو والسفر، ولا يؤثر كون الوجوب موسعًا؛ لأن الناس تبع للإمام في أداء صلاة الجمعة فيجب متابعته[٢].

س١٥٠: لماذا نهى الإسلام عن سفر المرأة بدون محرم ؟.

ج١٥٠: قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ وَلا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْرُجَ فِي جَيْشِ كَذَا وَكَذَا وَامْرَأَتِي تُرِيدُ الْحَجَّ فَقَالَ اخْرُجْ مَعَهَا)[٣] .

وروى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (قال البغوي : لم يختلفوا في أنه ليس للمرأة السفر في غير الفرض (الحج الواجب) إلا مع زوج أو محرم ، إلا كافرة أسلمت في دار الحرب أو أسيرة تخلصت . وزاد غيره : أو امرأة انقطعت من الرفقة فوجدها رجل مأمون فإنه يجوز له أن يصحبها حتى يبلغها الرفقة)[٥]، [٦] .

يقول الشيخ ابن جبرين: لا بأس بذلك عند المشقة على المحرم ، كالزوج أو الأب ، إذا اضطرت المرأة إلى السفر ، ولم يتيسر للمحرم صحبتها ، فلا مانع من ذلك بشرط أن يوصلها المحرم الأول إلى المطار ، فلا يفارقها حتى تركب الطائرة ، ويتصل بالبلاد التي توجهت إليها ،

(١) سورة الجمعة .
(٢) موقع الدليل الفقهي الألكتروني .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٨٦٢ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٣٩ .
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ، ص ٧٦ .
(٦) الإسلام سؤال وجواب ، في ١٦/ ١٠ / ٢٠٠٨ .

ويتأكد من محارمها هناك أنهم سوف يستقبلونها في المطار ، ويخبرهم بالوقت الذي تَقْدُمُ فيه ورقم الرحلة .. لأن الضرورات لها أحكامها، والله أعلم)[١].

يقول الشيخ صالح الأسمري : (سفر المرأة من غير محرم له ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن تسافر من بلد لا تستطيع فيه إظهار دينها الواجب وما إليه. فهذه الحال لا يُشْتَرَط للمرأة فيها مَحْرَم اتفاقاً ، قال ابن الملقن رحمه الله :(أما سفر الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام فاتفق العلماء على وجوبه ، وإن لم يكن معها أحد من محارمها)[٢]. وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله : (اتُّفِق على أنه يجب عليها ـ أي : المرأة ـ أن تسافر مع غير ذي محرم إذا خافت على دينها ونفسها ، وتهاجر من دار الكفر كذلك)[٣]، وذلك (لأن القيام بأمر الدين واجب ، والهجرة من ضرورة الواجب ، وما لا يتم الواجب إلا به واجب)[٤].

الحالة الثانية : أن تسافر المرأة للحج الواجب . فهذه الحال مُخْتَلف في اشتراط المحْرَميَّة لها **على قولين مشهورين :**

١- أن المحرم شرط فيها . (وممن ذهب إلى هذا : إبراهيم النخعي، والحسن البصري ، وأبو حنيفة وأصحابه ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق وأبو ثور) قاله ابن عبد البر في التمهيد[٥]، وقال أبو العباس في : (المفهم): (وقد رُوي ذلك عن النخعي والحسن ، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحاب الرأي ، وفقهاء أصحاب الحديث)[٦] ،وقال العيني رحمه الله في : (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) : (وبه قال النخعي والحسن البصري والثوري والأعمش[٧] ،إلا أن أبا حنيفة جعل ذلك شرطاً في السفر الطويل كما في : (بدائع الصنائع) و(حاشية ابن عابدين) [٨] ، وقال ابن الملقن في (الإعلام) : (واشترط أبو حنيفة المحرم لوجوب الحج عليها).

(١) ابن الملقن ، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ج٦ ، ص ٧٩ .
(٢) القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٣ ، ص ٤٥٠ .
(٣) السيوطي ، مطالب أولي النهى ، ج٣ و ص ٤٣٣ .
(٤) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٢١ ، ص ٥٠ .
(٥) القرطبي ، المفهم ، ج٣ ، ص ٤٤٩ .
(٦) العيني ، عمدة القاري ،، ج٧ ، ص ١٢٦ .
(٧) الكاساني ، بدائع الصنائع ،ج٢ ، ص ١٢٤ .

أي : المرأة ، إلا أن يكون بينها وبين مكة دون ثلاثة مراحل[١] ، وبِشَرط أبي حنيفة قال جماعة . قال ابن عبد البر رحمه الله في : (التمهيد): (هذا قول الثوري وأبي حنيفة وأصحابه ، وهو قول ابن مسعود . وجعله البدر العيني رحمه الله قول : النخعي والحسن البصري والأعمش . ٢- أن المحرم ليس بشرط فيها[٢] ، قال أبو العباس في : (المفهم) : وذهب عطاء وسعيد بن جبير وابن سيرين والأوزاعي ومالك والشافعي إلى أن ذلك ليس بشرط ، ورُوي مثله عن عائشة رضي الله عنها[٣] ، وقال ابن الملقن في : (الإعلام) : فالمشهور من مذهب الشافعي أنه لا يُشترط المحرم ، وبه قال عطاء وسعيد ابن جبير وابن سيرين ، ومالك والأوزاعي[٤] .

٣- أن تسافر المرأة سفراً غير واجب ، كعمرة مستحبة أو زيارة لذوي رحم . فهذه الحال السفر فيها يأتي على ضربين :

- أن يكون السفر قصيراً ، فمذهب الحنفية جوازه من غير اشتراط محرم . كما في : بدائع الصنائع) ، و(حاشية ابن عابدين) خلافاً للجمهور فلا فرق بين سفر طويل وقصير عندهم، وهو مذهب المالكية . كما في : (إرشاد السالك ومذهب، الشافعية، كما في : (المجموع) و(الإيضاح مع حاشية الهيتمي) ، ومذهب الحنابلة، كما في : (الإنصاف) ، والخلاف فيه مشهور[٥].
- أن يكون السفر طويلاً . فاختلف فيه على قولين :

أولهما :جواز السفر مع غير محرم مع شرط الأمن . وسبق . ، وهو وجه عند الشافعية وقول محكي عن مالك رحمه الله . قال النووي في: المجموع): (فرع) هل يجوز للمرأة أن تسافر لحج التطوع؟ أو لسفر زيارة وتجارة ونحوهما مع نسوة ثقات ؟ أو امرأة ثقة ؟ فيه وجهان ، وحكاهما الشيخ أبو حامد والماوردي والمحاملي وآخرون من الأصحاب في : (باب الإحصار) ،وحكاهما

(١) ابن عابدين ، الحاشية ، ج٢ ، ص ٤٦٤ .
(٢) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٢١ ، ص ٥٤ .
(٣) القرطبي ، المفهم ، ج٣ ، ص ٤٤٩ .
(٤) ابن الملقن ، الأعلام ، ج٦ ، ص ٧٩ .
(٥) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٢ ، ص ١٢٤ ، حاشية ابن عابدين" (٢/٤٦٥،٤٦٤) .

القاضي حسين والبغوي والرافعي وغيرهم . أحدهما: يجوز كالحج . والثاني : وهو الصحيح باتفاقهم ، وهو المنصوص في (الأم)[١] ، وقال ابن الملقن في : (الإعلام) : فإن كانا ـ أي : الحج والعمرة ـ تطوعين، أو سفر زيارة أو تجارة ، ونحوها من الأسفار التي ليست واجبة . فقال الجمهور : لا تجوز إلا مع زوج أو محرم . وقال بعضهم: يجوز لها الخروج مع نسوة ثقات لحجة الإسلام . وفي مذهب مالك ثلاثة أقوال عند عدم الولي[٢].

ـ **والثاني** : عدم جواز السفر إلا بمحرم . وهو مذهب الجمهور ـ كما سبق ـ ، وحكاه بعضهم اتفاقاً . قال ابن الملقن في : (الإعلام) : قال القاضي عياض : واتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج في غير الحج والعمرة إلا مع ذي محرم إلا الهجرة من دار الحرب،كذا حكاه النووي في : (شرح مسلم) عن عياض[٣] .

وقد اسْتَوْجَه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله القول الأول ، حكاه عنه ابن مفلح في : (الفروع) بقوله: وعند شيخنا : تحج كل امرأة آمنة مع عدم المحرم . وقال : (إن هذا مُتَوَجِّه في كل سفر طاعة)[٤]،[٥] ، [٦].

لكن سفر اليوم ليس كالسفر في ما مضى من القرون والتي كتب علماؤنا الأجلاء آراءهم في أحكام السفر وخاصة للمرأة ، فحين كانت المرحلة التي يقطعها الناس في غدوهم أو رواحهم يرخص لهم فيها بتطبيق أحكام السفر من :

١- فطر .

٢- قصر الصلاة .

٣- زيادة أوقات المسح على الخفين .

٤- وجود محرم للمرأة ، خاصة أنه تحتاج لمن يحميها ويقوم على شؤونها خصوصا إذا عرفنا

---

(١) إرشاد السالك ومذهب " (١٦٥/١) ، الشافعية ـ كما في : "المجموع" (٦٩/٧ـ٧٠) و"الإيضاح مع حاشية الهيتمي" (ص/١٠٢) ـ ، ومذهب الحنابلة ـ كما في : "الإنصاف" (٤١١/٣،٤١٠)

(٢) النووي ، المجموع ، ج٧ ، ص ٧٠ .

(٣) ابن الملقن ، الإعلام ، ج٦ ، ص ٨١ ، ٨٢

(٤) النووي ، شرح مسلم ، ج٩ ، ص ١٤٨ .

(٥) ابن مفلح ، الفروع ، ج٣ ، ص ٢٣٦ .

(٦) الشيخ صالح الأسمري ، أحكام سفر المرأة ، موقع صيد الفوائد .

٤- أن المسافة بين الرياض مثلا ومكة المكرمة تحتج من أسبوعين إلى ثلاثة ، وعلى أقل تقدير فهي تحتاج لمحرم ليبتعد بها عن الناس إذا أرادت أن تقضي حاجتها ، ووجودها في هذه الحالة بدون محرم يعرضها لضعاف النفوس .

واليوم الحال تغير ، فالمسافة التي يقطعها الناس في مرحلة وتستوجب ما ذكرت أعلاه من أحكام السفر وهي تقريبا ثمانون كيلا ، الآن يقطها المسافر في أقل من ساعة ، وأرى :

١- أن ذلك لم يعد سفرا ولا تنطبق عليه أحكام السفر .

٢- علماؤنا الأفاضل ما زالوا يصرون على تطبيق أحكام السفر للمسافر إذا كانت المسافة تزيد عن ثمانين كيلا .

٣- السفر بالطائرة أسرع وأكثر أمانا ، ومن جدة إلى الرياض لا يزيد الوقت عن الساعتين وهذا يعني ثلث وقت السفر المسموح فيه بتطبيق أحكام السفر .

٤- عدد ركاب الطائرة بالمئات لذلك فالمرأة في مأمن .

٥- أن أحكام السفر التي ذكرتها أعلاه ، لم تكن بسبب المسافة والتي لم تتغير ولن تتغير ، وإنما كان بسبب المشقة والتي تغيرت كثيرا من الماضي إلى اليوم فهناك فرق بين راكب على دابة ست ساعات في الشمس والرياح والغبار والظمأ والجوع ، وراكب يقطع عشرة أضعاف تلك المسافة في أقل من ساعة مرتاحا ، آكلا شاربا منعما .

يقول الدكتور حيرين الجبرين : (ويبدو أن الوضع تغير لدى بعض المحيطات الأسرية والتي أصبحت تسمح للمرأة بالسفر مع صديقاتها بمفردهن، ليعشن تلك الحرية التي يعيشها الرجل حينما يسافر مع أصدقائه، وعلى الرغم من حقيقة كون هذه الحالات من السفر لسيدات مع صديقاتهن غير منتشرة ومقبولة في غالبية الأسر السعودية إلاّ أنها أصبحت موجودة خاصةً في نطاق المحيط الزوجي، فالرجل حينما يكون مشغولا أو في حالة سفر دائم فإنه يسمح للزوجة بأن تسافر مع صديقاتها حتى تعيش أجواء إجازتها بمتعة وسعادة)[1] .

---

(١) جريدة الرياض ، الجمعة ٨ شوال ١٤٣٦ هـ - ٢٤ يوليو ٢٠١٥م - العدد ١٧١٩٦

١٥١: لماذا حرم الإسلام ل الحمر الأهلية وحلل أكل الحمر الوحشية ؟.

ج١٥١: الحمر الأهلية ، كانت مباحة في أول الأمر ، ثم حرمها النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر .روى البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ : (نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ ، وَرَخَّصَ فِي لُحُومِ الْخَيْلِ)[١] .وروى البخاري ومسلم عن أبي ثَعْلَبَةَ رضي الله عنه قَالَ :(حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لُحُومَ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ)[٢] .

عن عبد الله بن أبي أوفى قال: (أصابَتْنا مَجاعَة لَيالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وَقَعْنا في الحُمُر الأهلية فانتحرناها، فلمّا غَلَت بها القُدور نادى مُنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنْ أَكْفِئوا القُدُور" -وربّما قال: "ولا تأكلوا من لُحوم الحُمُر الأهليّة شيئا)[٣]".

عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه صاد حماراً وحشياً وأتى بقطعة منه للنبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه ، وقال لأصحابه صلى الله عليه وسلم: "هو حلال، فَكُلُوه)[٤].

قال ابن قدامة رحمه الله :(أكثر أهل العلم يرون تحريم الحمر الأهلية . قال أحمد : خمسة عشر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كرهوها . قال ابن عبد البر : لا خلاف بين علماء المسلمين اليوم في تحريمها)[٥].

أما الحمر الوحشية فقد روى البخاري عن أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه أنه صاد حماراً وحشياً وأتى بقطعة منه للنبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه ، وقال لأصحابه صلى الله عليه وسلم : (هو حلال ، فكلوه)[٦]، [٧] .

عن عبد الله بن أبي قتادة السلمي، عن أبيه رضي الله عنه، قال: (كنت يوما جالسا مع رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل، في طريق مكة، ورسول الله صلى الله

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،' رقم الحديث ٥٥٢٠ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٥٢٧ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ١٩٣٦ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٥٢٨ ي صحيح مسلم رقم الحديث ١٩٣٧ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٤٩٢ ، وفي صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٩٣٧ .
(٥) المغني ، ابن قدامة ، ج٩ ، ص ٣٢٤ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٤٩٢ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ١١٩٦ .
(٧) لام سؤال وجواب في ٨/٧/ ٢٠٠٦ م.

عليه وسلم نازل أمامنا والقوم محرمون، وأنا غير محرم، فأبصروا حمارا وحشيا، وأنا مشغول أخصف نعلي، فلم يؤذنوني به، وأحبوا لو أني أبصرته، والتفت فأبصرته فقمت إلى الفرس، فأسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح، فقلت لهم: ناولوني السوط والرمح، فقالوا: لا والله، لا نعينك عليه بشيء، فغضبت فنزلت فأخذتهما، ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته، ثم جئت به وقد مات، فوقعوا فيه يأكلونه، ثم إنهم شكوا في أكلهم إياه وهم حرم، فرحنا وخبأت العضد معي، فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه عن ذلك، فقال: معكم منه شيء؟ فقلت: نعم، فناولته العضد، فأكلها حتى نفدها، وهو محرم [١].

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قَالَتْ: (نَحَرْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَسًا فَأَكَلْنَاهُ)[٢] .

والوحشي من كل حيوان مخالف للأهلي ، فالبقر الأهلي يخالف الوحشي فيجوز التفاضل بين لحميهما، وكذا الحمار الاهلي والوحشي، والغنم الاهلي والوحشي.

س١٥٢: لماذا يقطع الصلاة الكلب والمرأة والحمار؟.

ج١٥٢: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ ، وَيَقِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ)[٣] ، ، علم أن (وجه الشبه) المقصود ليس شيئا يتعلق بالصفات السيئة لكل من الحمار والكلب ، أو أن المرأة في درجة هذه الدواب والعياذ بالله ، فهذا من ساقط الظن وتافه القول ، وعائشة رضي الله عنها لم تقصد ذلك مطلقا عندما سمعت هذا الحديث فقالت : (شَبَّهْتُمُونَا بِالحُمُرِ وَالكِلاَبِ)[٤].

روى البخاري ، ومسلم :(أن أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ كان فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ يُصَلِّي إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ ، فَأَرَادَ شَابٌّ مِنْ بَنِي أَبِي مُعَيْطٍ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَدَفَعَ أَبُو سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ ، فَنَظَرَ الشَّابُّ فَلَمْ يَجِدْ مَسَاغًا إِلَّا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَعَادَ لِيَجْتَازَ ، فَدَفَعَهُ أَبُو سَعِيدٍ أَشَدَّ

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٥٧٠ ، وفي صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٩٦ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٥١٢ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ١٩٤٢ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥١١ .
(٤) الإمام البخاري ، رقم الحديث ٥١٤ .

مِنْ الْأُولَى فَنَالَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى مَرْوَانَ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا لَقِيَ مِنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَدَخَلَ أَبُو سَعِيدٍ خَلْفَهُ عَلَى مَرْوَانَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ وَلِابْنِ أَخِيكَ ، يَا أَبَا سَعِيدٍ ؟

قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنْ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ)[1] .

قال النووي رحمه الله : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ) قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : مَعْنَاهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى مُرُورِهِ وَامْتِنَاعِهِ مِنَ الرُّجُوعِ الشَّيْطَانُ ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ يَفْعَلُ فِعْلَ الشَّيْطَانِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ بَعِيدٌ مِنَ الْخَيْرِ وَقَبُولِ السُّنَّةِ ، وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِالشَّيْطَانِ الْقَرِينُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ (فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينُ)[1] .

إذا كان المرور بين يدي المصلي ممنوعا كله ، سواء في ذلك الرجل أو المرأة ، وإذا كان ذلك يؤثر أيضا في صلاته ؛ فقد ذهب بعض أهل العلم في تأويل القطع المذكور في هذه الأحاديث، إلى أنه ليس المراد به إبطال الصلاة ، وإلزام إعادتها، وإنما المراد به القطع عن إكمالها والخشوع فيها بالاشتغال بها، والالتفات إليها .

قال القرطبي رحمه الله :" ذلك أن المرأة تفتن ، والحمار ينهق ، والكلب يروع ، فيتشوش المتفكر في ذلك حتى تنقطع عليه الصلاة وتفسد ، فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع ، جعلها قاطعة [2] .

وقال ابن رجب رحمه الله ، بعد ما ذكر نحوا من هذا التأويل :" وأقرب من هذا التأويل: أن يقال: لما كان المصلي مشتغلا بمناجاة الله ، وهو في غاية القرب منه والخلوة به ، أمر المصلي بالاحتراز من دخول الشيطان في هذه الخلوة الخاصة ، والقرب الخاص ؛ ولذلك شرعت السترة في الصلاة خشية من دخول الشيطان ، وكونه وليجة في هذه الحال ، فيقطع بذلك مواد الأنس والقرب ؛ فإن الشيطان رجيم مطرود مبعد عن الحضرة الإلهية، فإذا تخلل في محل القرب الخاص للمصلي : أوجب تخلله بعدا وقطعا لمواد الرحمة والقرب والأنس .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٤٨٧ ، وفي مسلم رقم الحديث ٥٠٥ .
(٢) القرطبي ، المفهم ، ج٢ ، ص ١٠٩ .

فلهذا المعنى والله اعلم خصت هذه الثلاث بالاحتراز منها، وهي:

١- المرأة ؛ فإن النساء حبائل الشيطان ، وإذا خرجت المرأة من بيتها استشرفها الشيطان، وإنما توصل الشيطان إلى إبعاد آدم من دار القرب بالنساء .

٢- والكلب الأسود: شيطان ، كما نص عليه الحديث.

٣- وكذلك الحمار؛ ولهذا يستعاذ بالله عند سماع صوته بالليل ، لأنه يرى الشيطان .

فلهذا أمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدنو من السترة ، خشية أن يقطع الشيطان عليه صلاته ، وليس ذلك موجبا لإبطال الصلاة وإعادتها ، والله أعلم ؛ وإنما هو منقص لها، كما نص عليه الصحابة ، كعمر وابن مسعود ، كما سبق ذكره في مرور الرجل بين يدي المصلي ، وقد أمر النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بدفعه وبمقاتلته ، وقال: (إنما هو شيطان) ، وفي رواية : أن معه القرين ؛ لكن النقص الداخل بمرور هذه الحيوانات التي هي بالشيطان أخص : أكثر وأكثر، فهذا هو المراد بالقطع ، دون الإبطال والإلزام بالإعادة[١]. والله اعلم. " .

قال الخطابي: وقوله النساء شقائق الرجال ؛ أي نظائرهم وأمثالهم في الخلق والطباع ، فكأنهن شققن من الرجال ...وفيه من الفقه ... أن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطابا للنساء إلا مواضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيها [٢].

س١٥٣ : لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم من أكل ثوما أو بصلا حضور المسجد ؟.

ج١٥٣اختلف أهل العلم في حكم حضور المسجد لمن أكل بصلا أو ثوما على قولين:

القول الأول: يكره حضور المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا، أو نحو ذلك وهو باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة (ويلحق بهما كل ما له رائحة كريهة كالدخان وغيره. قال الطحاوي: (قلت: فيفهم منه حكم النبات الذي شاع في زماننا المسمى بالتتن؛ فتنبه، وقد كرهه الشيخ العمادي إلحاقا له بالثوم والبصل بالأولى[٣] .

---

(١) ابن رجب ، فتح الباري ، ج٤ ، ص ١٣٥ .
(٢) الخطابي ، معالم السنن ، ج١ ، ص ٧٩ .
(٣) (حاشية الطحطاوي) (ص: ٤٤١)، وينظر: (حاشية ابن عابدين) (٦٦١/١)، (كشاف القناع) للبهوتي (٤٩٧/١)..

وعن جابر، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل البصل والكراث، فغلبتنا الحاجة، فأكلنا منها، فقال: (من أكل من هذه الشجرة المنتنة، فلا يقربن مسجدنا؛ فإن الملائكة تأذى مما يتأذى منه الإنس)[1] .

القول الثاني: يحرم حضور المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا، وهو قول للمالكية[2]. (المقدمات الممهدات) لابن رشد ، (حاشية العدوي على شرح مختصر خليل للخرشي) ، ورواية عن أحمد (الإنصاف) للمرداوي ، (المبدع) البرهان الدين ابن مفلح وهو مذهب الظاهرية ، واختاره ابن جرير وابن عثيمين [2] حيث قال : (إن كل إنسان ذي رائحة كريهة تؤذي الناس لا يحل له أن يأتي إلى المسجد فيؤذي الناس، ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيمن أكل بصلا أو ثوما (لا يقربن مساجدنا)، وتعليل هذا بأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإن هذا الحديث يدل على أن من فيه رائحة كريهة لا يقرب المسجد؛ لا في وقت الصلاة ولا في غيرها؛ لأنه إن كان في وقت الصلاة فإن الملائكة وبني آدم يتأذون بذلك، وإن كان في غير وقت الصلاة فإن الملائكة تتأذى به، ومعلوم أن أذية المؤمنين حرام؛ لقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(٥٨))[3] ، وبعض الناس يأكل البصل والثوم ويأتي ورائحته تشمها من بعيد، فيدخل المسجد ويصلي مع الناس ويؤذيهم أذية شديدة، وهذا حرام عليه ولا يحل له)[4] (. وقال أيضا: (أما المساجد فإنه لا يحل له أن يحضر وقد أكل بصلا أو ثوما وبقيت رائحتهما فيه، فإن زالت الرائحة فلا بأس؛ لأن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما)[5] .

عن معدان بن أبي طلحة، أن عمر بن الخطاب خطب الناس يوم الجمعة- فذكر كلاما

---

(١) الإمام مسلم ، صحي مسلم ، رقم الحديث ٥٦٤ .
(٢) انظر : (المقدمات الممهدات) لابن رشد (٤٥٤/٣)، (حاشية العدوي على شرح مختصر خليل للخرشي) (٩٢/٢) ، ورواية عن أحمد (الإنصاف) للمرداوي (٢١٤/٢)، (المبدع) لبرهان الدين ابن مفلح (٩٢/٢).) وهو مذهب الظاهرية ، واختاره ابن جرير وابن عثيمين.
(٣) سورة الأحزاب .
(٤) فتاوى نور على الدرب ، ج ، ص ٣١٨-٣١٩.
(٥) ابن عثيمين ، لقاء الباب المفتوح ، رقم ٧٤ .

كثيرا : وفيه (إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: هذا البصل والثوم، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع)[1].

وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ – يَعْنِي الثُّومَ – ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)[2] ، وفي لفظ لمسلم: (فَلَا يَأْتِيَنَّ الْمَسَاجِدَ)[3] .

وروى البخاري ، ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا ، فَلْيَعْتَزِلْنَا ، أَوْ قَالَ : فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ)[4] .

وروى النسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ –الثُّومِ وَالْبَصَلِ وَالْكُرَّاثِ– ، فَلَا يَقْرَبْنَا فِي مَسَاجِدِنَا ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسُ)[5] .

هذه الأحاديث حملها بعض العلماء على الكراهة ، وحملها آخرون على التحريم ، قال ابن رجب الحنبلي في فتح الباري:(ولو أكله – يعني الثوم –، ثم دخل المسجد كُره له ذلكَ .وظاهر كلامِ أحمد : أنه يحرمُ ، فإنه قال – في رواية إسماعيل بن سعيد – : إن أكل وحضر المسجدَ أثمَ[6] .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله :(هذا الحديث وما في معناه من الأحاديث الصحيحة يدل على كراهة حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحة توجد منه ظاهرة ، تؤذي من حوله ، سواء كان ذلك من أكل الثوم أو البصل أو الكراث ، أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة كالدخان ، حتى تذهب الرائحة ، مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته : هو محرم

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٦٧ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٥٣ .
(٣) الإمام مسلم ، رقم الحديث ٥٦١ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٥٥ ، وعند مسلم رقم الحديث ٥٦٤ .
(٥) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٧٠٧ .
(٦) ابن رجب ، فتح الباري ج٨ ، ص ١٥ .

لأضراره لكثيرة وخبثه المعروف ...ولو قيل بتحريم حضوره المساجد ما دامت الرائحة موجودة : لكان قولا قويا ؛ لأن ذلك هو الأصل في النهي ، كما أن الأصل في الأوامر الوجوب إلا إذا دل دليل خاص على خلاف ذلك)[1] .

س١٥٤ : لماذا لا يكون التورك في صلاة الفجر ؟.

ج١٥٤ : الافتراش والتورك في الصلاة والتَّفريق بينهما في ضوء آراء العلماء والأحاديث النبوية، فأمَّا الافتراش فهو واحدٌ من المصطلحات الفقهية التي تدلُّ على افتراش المصلي لرجله اليسرى تحته ونصبه لقدمه اليمنى ويكون ذلك في جلسة التشهد، والافتراش لا يكون إلا في الصلاة الرباعية؛ وذلك لأنَّ الافتراش يكون في التشهُّد الأخير وبذلك يكون في الصلاة التي فيها أكثر من تشهد، وأمَّا الصلاة الثنائية مثل صلاة الفجر فلا يصح فيها الافتراش، وأمَّا التَّورك فهو الاعتماد على الورك في الجلوس وهو ما فوق الفخذين ويُقال هذا الرَّجل جلس متورِّكًا أي متكئًا ومستندًا على أحد وركيه، والتَّورك يكون في التَّشهد الأخير بتنحية الرِّجلين وإلصاق المقعدة بالأرض في جلوس الصلاة،).

والتَّورك في أصله هو وضع الورك اليمنى على الرجل اليُمنى وتكون أصابعها متجهةً نحو القبلة، وأمَّا وركه اليسرى فتكون ملتصقةً بالأرض والرجل اليسرى خارجةً من اليمين. واختلفت أحكام الفقهاء في توقيت الافتراش والتورك وذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ الافتراش سنة عند التشهد الأول في الصلاة الثلاثية أو الرباعية، وأمَّا التَّورُّك فهو مسنونٌ في الصلاة الثلاثية أو الرباعية)[2].

وأمَّا الأحناف فذهبوا إلى التَّفريق بين الرجل والمرأة في كيفية الجلوس، فأمَّا الافتراش فيكون للرَّجل وأمَّا التَّورُّك فيكون للمرأة، وفي ذلك تفصيلٌ لمفهوم الافتراش والتورك وحكمهما.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (التشهد الأول فالسنة فيه الافتراش يفترش اليسرى

---

(١) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٢ ، ص ٨٣ .
(٢) مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية في الكويت، الكويت: دار السلاسل، صفحة ١٤٨، جزء ١٤. بتصرّف
(٣) المصدر السابق ص ٩٩ ، ج٢٧

وينصب اليمنى، وهكذا بين السجدتين، وهكذا في صلاة الفجر والجمعة الافتراش، لكن من شق عليه ذلك فلا حرج، ويتورك إذا سجد فلا بأس كلها أمور مستحبة ليست فريضة، الافتراش والتورك كله سنة، فلو أنه افترش في محل تورك أو تورك في محل افتراش فلا حرج،)[1].

س١٥٥: لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس جلسة خفيفة بعد السجود وقبل القيام للركعة ؟.

ج١٥٥: بفتح الجيم؛ لأنها مرة من الجلوس ويجوز كسر الجيم بتقدير إرادة الهيئة؛ لأن فيها قدرا زائدا على الجلسة وذلك هو الهيئة على قدميه وأليتيه ، وتسمى جلسة الأوتار، لأنها تكون بعد الأوتار في الصلاة ، و هي: جلسة خفيفة يجلسها المصلي بعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الاولى، قبل النهوض إلى الركعة الثانية، وبعد الفراغ من السجدة الثانية، من الركعة الثالثة، قبل النهوض إلى الركعة الرابعة.

والدليل على ذلك:

١- (عن معاويةَ رضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (لا تُبادِروني في الرُّكوعِ والسُّجودِ؛ فإنِّي قد بدَّنْتُ)[2].

٢- عن مالكِ بنِ الحُوَيرثِ: (أنَّه رأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصلِّي، فإذا كان في وِتْرٍ مِن صلاتِه لم ينهَضْ حتَّى يستويَ قاعدًا)، وفي روايةٍ: (جاءنا مالكُ بنُ الحُوَيرثِ في مسجدِنا هذا فقال: إنِّي لَأُصلِّي بكم وما أُريدُ الصَّلاةَ، أُصلِّي كيف رأَيْتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصلِّي، فقلتُ لأبي قِلابةَ: كيف كان يُصلِّي؟ قال: مِثْلَ شيخِنا هذا، قال: وكان شيخًا، يجلِسُ إذا رفَعَ رأسَه مِن السُّجودِ قبْلَ أنْ ينهَضَ في الرَّكعةِ الأولى).[3].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ صوتي .

(٢) .(رواه أبو داود (٦١٩)، وابن ماجه (٧٩٧)، وأحمد (٤/٩٢) (١٦٨٨٤). احتجَّ به ابن حزم في (المحلى) (٤/١٥٨)، وصحَّحه ابن تيميَّة في (مجموع الفتاوى) (٢٣/٣٣٦)، وقال الألباني في (صحيح سنن أبي داود) (٦١٩): حسن صحيح. وحسَّنه الوادعي في (الصحيح المسند) (١١٣٨).

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٢٣ والرواية الثانية رقم الحديث ٦٧٧ .

٣- عن أبي حُمَيدٍ رضيَ اللهُ عنه، أنَّه وصَفَ صلاةَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: ((ثم هوَى ساجدًا، ثم ثنَى رِجْلَه وقعَد حتَّى رجَعَ كلُّ عَظْمٍ موضِعَه، ثم نَهَض.... فقالوا: صدَقْتَ))[١] .

وهذه الجلسة كان يفعَلُها صلى الله عليه وسلم لهذا السَّببِ، فلا يُشرَعُ إلَّا في حقِّ مَن اتَّفَقَ له نحوُ ذلك أي أنه لا يستطيع النهوض بسرعة

ومنهم من رأى أنها سنة ، فمن قام للرَّكعةِ الثَّانيةِ أو قام للرَّكعةِ الرَّابعةِ فإنَّه لا يقومُ حتَّى يستويَ جالسًا، وهذا مذهبُ الشافعيَّةِ)[٢].

قال ابن باز: (جلسة الاستراحة مستحبة وليست لازمة، صلاتكم صحيحة، وصلاتهم صحيحة والحمد لله، الرسول صلى الله عليه وسلم فعلها كما روى ذلك مالك بن الحويرث في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من وتر في صلاته، -يعني: من الأولى أو الثالثة- جلس بعد السجدة الثانية قليلاً، ثم نهض عليه الصلاة والسلام، يقول: لم ينهض حتى يستوي قاعداً يعني: قعدة خفيفة، يقال لها: جلسة الاستراحة، وهكذا رواها أبو حميد الساعدي الأنصاري ، فهي مستحبة وسنة، وقال قوم من أهل العلم: إنها تستحب في حق الكبار والمرضى، لأنه: يشق عليهم القيام بسرعة، وظاهر الحديث أنها مستحبة للجميع؛ لأن الراوي ذكرها من صفة صلاة النبي عليه الصلاة والسلام، فدل ذلك على أنها مستحبة، وإذا كان الإمام لا يجلسها والمأموم وغالب المأمومين فلا بأس أن تجلسها أنت ثم تنهض، ولا يضرك ذلك ولا يضرهم، صلاتكم صحيحة جميعاً كلكم، وإنما الأفضل الإتيان بها تأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام، ومن لم يأت بها فلا حرج عليه، والحمد لله)[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٧٣٠)، والترمذي (٣٠٤)، وابن ماجه (١٠٦١) قال الترمذيُّ: حسنٌ صحيح. وصحَّح إسنادَه على شرط مسلم النَّوويُّ في (المجموع) (٤٤٣/٣)، وصحَّحه ابن الملقن في (البدر المنير) (٦٧٥/٣)، والألباني في (صحيح سنن ابن ماجه) (١٠٦١).

(٢) (المجموع) للنووي (٤٤٢/٣)، (حاشية الجمل على شرح المنهج) (٣٨١/١).) والألباني(أصل صفة صلاة النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) (٨١٦/٣).

(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

س١٥٦: لماذا يضع المصلي يديه على صدره في أكثر المذاهب الإسلامية ؟.

ج١٥٦: يقول الشيخ ابن باز : (العلماء في هذا اختلفوا: فمنهم مَن أرسلها عن جانبيه، ومنهم مَن وضعها على السرة، ومنهم مَن يضعها تحت السرة، ومنهم مَن يضعها على الصدر، وأرجح الأقوال وضعها على الصدر، هذا أرجح الأقوال ، ومَن صلَّى سادلًا أو جعلها على سُرته أو تحتها فالأمر سهلٌ في ذلك، صلاته صحيحة، لكن السنة أن يضعهما على الصدر؛ لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقد جاء من حديث وائل بن حجر: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يضع يديه على صدره في الصلاة، وجاء أيضًا من حديث قبيصة بن هلب، عن أبيه: أنه رأى النبيَّ وضع يده على صدره في الصلاة، وإسنادهما جيد، يشدُّ أحدُهما الآخر، وإسنادهما قويٌّ ، وثبت عن طاووس بن كيسان اليماني التابعي الجليل مرسلًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يضع يديه على صدره، وهذا يتأيَّد بالحديثين السَّابقين ، وفي "صحيح البخاري" رحمه الله: عن سهل بن سعدٍ رضي الله تعالى عنهما قال: "كان الرجلُ يُؤمر أن يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة"، قال أبو حازم الراوي عن سهل: ولا أعلمه إلا ينمي ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أصحُّ ما ورد في ذلك، ويدل على وقوع اليُمنى على اليُسرى على الكفِّ والرسغ والساعد، وحديث وائل وما جاء في معناه يُبين محلّه، وأنه على صدره ، وإذا وضعه على ذراعه فهو سنة، وقد جاء من الحديثين أنَّ وضعها على الكفِّ والرسغ والساعد، تكون أطرافه على الذراع، فلا منافاة، يعني: وضع كفَّه اليمنى على كفِّه اليسرى ووصل الساعد، صارت الأطراف في كفِّه اليمنى على ذراعه اليسرى، فتجتمع الأحاديث كلها في وضع اليمين على الشمال على الصَّدر، والأحاديث يُفسِّر بعضُها بعضًا.

وأما وضعها على السرة أو تحت السرة فالخبر فيها ضعيفٌ، وأما إرسالها عن جانبيه وإسدالها عن جانبيه فهو مكروهٌ، لا دليلَ عليه.)[١].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

س ١٥٧: لماذا يجب على المصلي أن يصلي إلى سترة ؟.

ج ١٥٧: يستحب للإمام والمنفرد أن يصلي إلى سترة ؛ لما رواه أبو داود عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ ، فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ وَلْيَدْنُ مِنْهَا)[1] .

وجاء في الموسوعة الفقهية : (يسن للمصلي إذا كان فذا (منفردا) ، أو إماما أن يتخذ أمامه سترة تمنع المرور بين يديه ، وتمكنه من الخشوع في أفعال الصلاة ؛ وذلك لما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة ، وليدن منها ، ولا يدع أحدا يمر بين يديه) ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : (ليستتر أحدكم في صلاته ولو بسهم) ، أما المأموم فلا يستحب له اتخاذ السترة اتفاقا ؛ لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه ، أو لأن الإمام سترة له)[2].

قال ابن قدامة رحمه الله :(وقدر السترة في طولها : ذراع أو نحوه . قال الأثرم : سئل أبو عبد الله عن آخرة الرحل كم مقدارها ؟ قال : ذراع . كذا قال عطاء : ذراع . وبهذا قال الثوري ، وأصحاب الرأي .

وروي عن أحمد ، أنها قدر عظم الذراع . وهذا قول مالك ، والشافعي ، والظاهر أن هذا على سبيل التقريب لا التحديد ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قدرها بآخرة الرحل ، وآخرة الرحل تختلف في الطول والقصر ، فتارة تكون ذراعا ، وتارة تكون أقل منه ، فما قارب الذراع أجزأ الاستتار به ، والله أعلم .

فأما قدرها في الغلظ والدقة : فلا حد له نعلمه ، فإنه يجوز أن تكون دقيقة كالسهم والحربة ، وغليظة كالحائط ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يستتر بالعنزة) . وقال أبو سعيد : كنا نستتر بالسهم والحجر في الصلاة ، وروي عن سبرة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (استتروا في الصلاة ولو بسهم) رواه الأثرم . وقال الأوزاعي : يجزئه السهم

---

(١) الألباني ، صحيح أبي داوود ، ج٣ ، ص ٢٨١ ، وقال إسناده صحيح .
(٢) الموسوعة الفقهية ، ج٢٤ ، ص ١٧٧ .

والسوط ، قال أحمد : وما كان أعرض فهو أعجب إلي ؛ وذلك لأن قوله) ولو بسهم) يدل على أن غيره أولى منه)[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : عن مقدار السترة للمصلي : " السترة التي يضعها المصلي الأفضل أن تكون كمؤخرة الرحل نحو ثلثي ذراع ، وإن كانت أقل من ذلك ، فلا حرج حتى لو كانت سهماً أو عصاً ، فإنه تجزئ[2] .

والسنة أن يدنو المصلي من سترته ، ويكون قريباً منها ، بحيث يتمكن من رد المار بين يديه ؛ لما رواه أبو داود عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى سُتْرَةٍ فَلْيَدْنُ مِنْهَا ، لَا يَقْطَعْ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ)[3] .
جاء في الموسوعة الفقهية : (يسن لمن أراد أن يصلي إلى سترة أن يقرب منها نحو ثلاثة أذرع من قدميه ، ولا يزيد على ذلك ؛ لحديث (أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع) ، وهذا عند الحنفية والشافعية والحنابلة ، وهو المفهوم من كلام المالكية ؛ لأن الفاصل بين المصلي ، والسترة يكون بمقدار ما يحتاجه لقيامه وركوعه وسجوده)[4]..

وذهب آخرون إلى أن المسافة بمقدار ممر شاة من مكان سجود المصلي ؛ لما روى البخاري ، ومسلم عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : (كَانَ بَيْنَ مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ الْجِدَارِ مَمَرُّ الشَّاةِ)[5] .

قال الشيخ الألباني في (صفة الصلاة) : (وكان صلى الله عليه وسلم يقف قريبا من السترة ، فكان بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع ، و بين موضع سجوده ، والجدار ممر شاة)[6].[7]

---

(١) المغني ، ابن قدامة ، ج٢ ، ص ٣٨ .
(٢) ابن عثيمين، مجموع فتاوى ابن عثيمين ، ج١٣ ، ص ٣٢٦ .
(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٦٩٥ ، حسنه ابن عبد البر في "التمهيد" (١٩٥/٤) ، وصححه النووي في "المجموع" (٢٤٤/٣) ، وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" .
(٤) الموسوعة الفقهية ، ج٢٤ ، ص ١٤٨ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧٤ ، وعند مسلم رقم الحديث ٥٠٨ .
(٦) الألباني ، صفة الصلاة ، ج١ ، ص ١١٤ .
(٧) الإسلام سؤال وجواب في ٢٩ /١م ٢٠١٠ .

يقول الشيخ ابن باز : (السترة سنة مؤكدة أمام المصلي إذا كان منفردا أو إماما؛ لأن الرسول كان يصلي إليها –عليه الصلاة والسلام– ويقول: «إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن منها»، ويقول –صلى الله عليه وسلم–: «إذا صلى أحد إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان» فالسنة أن يضع سترا أمامه؛ إما جدار، وإما عمود، وإما كرسي، وإما عصا منصوبة، ونحو ذلك، فإن لم يتيسر وضع العصا مطروحة أو خطا بين يديه، إذا لم يتيسر شيء قائم، هذا هو السنة، ولا يضره من مر من ورائها، لكنها غير واجبة، لأنه ثبت عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه في بعض الأحيان صلى إلى غير سترة، فدل على أنها غير واجبة، لكنها سنة مؤكدة، وإذا كان في مكان لا يخشى فيه مرور أحد فلا مانع أن يصلي إلى غير سترة، لكن إذا تيسرت السترة فهي أولى وأفضل عملا بالسنة)[1] .

س١٥٨: لماذا يجد الناس عند السعي بين العلمين الأخضرين؟.

ج١٥٨: يسن للرجال الهرولة بين العلمين في السعي ؛ لفعله صلى الله عليه وسلم وفعل أصحابه من بعده ، وقد أخبر جابر رضي الله عنه عما رآه من النبي صلى الله عليه وسلم:(رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يَرْمِي علَى رَاحِلَتِهِ يَومَ النَّحْرِ، ويقولُ: لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فإنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتي هذِه)[2].

أما المرأة فلا تهرول ؛ لأنها يُقصد فيها الستر والحشمة ، وفي الهرولة تعرض لإظهار جسدها ومفاتنها .

يقول الشيخ ابن عثيمين : (وأصل السعي أن يتذكر الإنسان حال أم إسماعيل، فإنها رضي الله عنها لما خلفها إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي وابنها في هذا المكان، وجعل عندها، سقاء من ماء، وجرابا من تمر، فجعلت الأم تأكل من التمر وتشرب من الماء، وتسقي اللبن لولدها، فنفد الماء ونفد التمر، فجاعت وعطشت، ويبس ثديها، فجاع الصبي،

(١) الشيخ ابن باز ، فتاوى نور على الدرب ،ج٩ ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٢٩٧ .

وجعل يتلوى من الجوع، فأدركتها الشفقة، فرأت أقرب جبل إليها الصفا فذهبت إلى الصفا، وجعلت تتحسس لعلها تسمع أحدا، ولكنها لم تسمع، فنزلت إلى الاتجاه الثاني إلى جبل المروة، ولما هبطت في بطن الوادي نزلت عن مشاهدة ابنها، فجعلت تسعى سعيا شديدا، حتى تصعد لتتمكن من مشاهدة ابنها، ورقيت لتسمع وتتحسس على المروة، ولم تسمع شيئا، حتى أتمت هذا سبع مرات، ثم أحست بصوت، ولكن لا تدري ما هو، فإذا جبريل نزل بأمر الله – عز وجل –، فضرب بجناحه أو برجله الأرض مكان زمزم الآن، فنبع الماء في الحال، ففرحت بذلك فرحا شديدا، وجعلت تحجر الماء، وخافت أن يتسرب وينفد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكان عينا معينا" ، ولكن من رحمة الله عز وجل أنها حجرته، ولو كان عينا معينا لصار فيه ضيق على الناس؛ لأن هذا المكان صار مسجدا، وشربت من هذا الماء، وصار هذا الماء شرابا وطعاما، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ماء زمزم لما شرب له" ، إن شربته لعطش رويت، ولجوع شبعت، ودرت على الولد، وهيأ الله لها قوما من جرهم مروا بمكة، فتعجبوا أن تكون الطيور تأوي إلى هذا المكان، وقالوا: لا يمكن أن تأوي إلى هذا المكان إلا وفيه ماء، ولم يكونوا على عهد بماء في هذا المكان، فجاءوا نحو هذه الجهة فوجدوا إسماعيل وأمه، فنزلوا عندهم، والقصة مطولة في صحيح البخاري ، وفيها قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فلذلك سعى الناس)، فهذا هو السبب في كون الناس يسعون سعيا شديدا إذا وصلوا هذا المكان، والآن ليس فيه واد، لكن فيه علامة على هذا الوادي وهو هذا العلم الأخضر.

فالإنسان إذا سعى يستحضر أولا: سنة الرسول – عليه الصلاة والسلام –، وثانيا: حال هذه المرأة وأنها وقعت في شدة عظيمة حتى أنجاها الله، فأنت الآن في شدة عظيمة من الذنوب فتستشعر أنك تحتاج إلى مغفرة الله – عز وجل – كما احتاجت هذه المرأة إلى الغذاء، واحتاج ولدها إلى اللبن، وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم حين أقبل على الصفا: "إن الصفا والمروة من شعائر الله" أبدأ بما بدأ الله به ، ليشعر نفسه أنه إنما طاف بالصفا والمروة؛ لأنهما من شعائر الله – عز وجل – ولذلك لا تقرأ هذه الآية إلا إذا أقبل على الصفا

حين ينتهي من الطواف وأما بعد ذلك فلا تقرأ.

مسألة: إذا سعى هو وزوجته ووصلا إلى العلم الأخضر فهل يسعى سعيا شديدا وزوجته معه؟.

الجواب: لا يسعى سعيا شديدا، لا سيما في أيام المواسم والزحام فإنه لو سعى ضيعها.

لكن هنا إشكال وهو أنه إذا كان أصل سعينا بين العلمين سعي أم إسماعيل وهي امرأة، **فلماذا لا نقول: إن النساء أيضا يسعين؟.**

الجواب: من وجهين :

الأول: أن أم إسماعيل سعت وحدها ليس معها رجال.

الثاني: أن بعض العلماء كابن المنذر حكى الإجماع على أن المرأة لا ترمل في الطواف ولا تسعى بين العلمين، وعليه فلا يصح القياس؛ لأنه قياس مع الفارق ولمخالفة الإجماع إن صح.

قوله: "ثم يمشي ويرقى المروة ويقول ما قاله على الصفا، ثم ينزل فيمشي في موضع مشيه، ويسعى في موضع سعيه إلى الصفا يفعل ذلك سبعا، ذهابه سعية، ورجوعه سعية ، أي: فليس السعي دورة كاملة، بل نصف دورة من الصفا إلى المروة سعية، ومن المروة إلى الصفا سعية أخرى..)[1].

س١٥٩:ماذا حرم الله تعالى صيد البر على المحرم ؟.

ج١٥٩:يقول الله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٩٦))[2] .

يقول الشيخ سليمان الماجد : (مسائل محظورات الإحرام من الأمور التعبدية التي لم يرد نص يبين علتها وحكمتها على الخصوص، ولكن لعل المراد من تحريم صيد البر دون البحر هو قصد التعبد والتعويد على الطاعة والالتزام بأمر الله؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: "ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب"؛ فهو بلوى

---

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٧ ، ص ٢٩٦ .
(٢) سورة المائدة .

وامتحان، وحاجة المحرم إلى صيد البر أكثر من صيد البحر فيكون الامتحان به أكبر بخلاف صيد البحر فلا يتحقق به الاختبار والامتحان لقلة المحتاجين إليه. والله أعلم.)[1] .

يقول الشيخ ابن باز : (عل فيه رفاهية، والمحرم ممنوع من الرفاهية كالتمتع بأهله من الزواج وقلم الأظفار ونتف الآباط، المحرم في حالة تفرغ للعبادة.)[2] .

إن النهي ينصب على قتل المحرم للصيد عمداً ، فأما إذا قتله خطأ فلا إثم عليه ولا كفارة ، فإذا كان القتل عمداً فكفارته أن يذبح بهيمة من الأنعام من مستوى الصيد الذي قتله . فالغزالة مثلاً تجزئ فيها نعجة أو عنزة . والأيِّل تجزئ فيه بقرة . والنعامة والزرافة وما إليها تجزئ فيها بدنة . . والأرنب والقط وأمثالهما يجزئ فيه أرنب . وما لا مقابل له من البهيمة يجزئ عنه ما يوازي قيمته . .

س١٦٠: لماذا كانت المواقيت المكانية كقرن المنازل ويلملم وغيرها؟

ج١٦٠: المواقيت المكانية :وهي الأماكن التي يُحرم منها من أراد الحج أو العمرة، وهي خمسة:

الأول: **ذو الحليفة**: وهو ميقات أهل المدينة ومن مر بها ، وهو أبعد المواقيت عن مكة، يقع جنوب المدينة، بينه وبين مكة (٤٢٠) كيلومتر تقريباً، وبينه وبين المسجد النبوي (١٣) كيلومتر تقريباً، وتستحب الصلاة في هذا الوادي المبارك.

الثاني: **الجحفة**: وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب ومن حاذاها أو مر بها، وهي قرية قرب رابغ التي جعلت الآن ميقاتاً، وتبعد عن مكة (١٨٦) كيلومتر تقريباً ، ويُحرم الناس الآن من رابغ الواقعة غرباً عنها.

الثالث: **قرن المنازل**: وهو ميقات أهل نجد والطائف ومن حاذاه أو مر به ، وهو المشهور الآن بالسيل الكبير، بينه وبين مكة (٧٥) كيلومتر تقريباً، ووادي مَحْرِم هو أعلى قرن المنازل.

الرابع: يلملم: وهو ميقات أهل اليمن ومن حاذاه أو مر به ، وهو واد يبعد عن مكة (١٢٠) كيلومتر تقريباً، ويسمى الآن السعدية.

---

(١) موقع الشيخ سليمان الماجد على شبكة الانترنيت .
(٢) موقع الشيخ ابن باز على شبكة الانترنيت .

الخامس: ذات عرق: وهي ميقات أهل العراق ومن حاذاها أو مر بها، وتسمى الضريبة، بينها وبين مكة (١٠٠) كيلومتر تقريباً.

(والحكمة من مشروعية هذه المواقيت في تعظيم بيت الله الحرام ، حيث جعل الله حصنا وحمى فالحصن هو مكة المكرمة والحمى هو الحرم ، وللحرم حرم وهي المواقيت التي لا يجوز للراغب في الحج أو العمرة تجاوزها إليه إلا بإحرام؛ تعظيماً لله تعالى.. ولبيته الحرام .

ومواقيت الإحرام المحددة لقاصدي المسجد الحرام بنية تأدية الحج والعمرة قسمان:

المواقيت الزمانية التي حددها الله تعالى تعظيمًا وحرمة لبيته الحرام، في قوله تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ(١٩٧) ﴾[١].

المواقيت المكانية والتي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والهدف هو تجنب كل ما يخل بالحج من الأقوال والأفعال المحرمة والانشغال بفعل الخيرات وملازمة التقوى يسكنون داخل المواقيت الخمسة أي بين مكة والميقات، والآفاقيون (أهل الآفاق) أي الذين تقع منازلهم خارج المواقيت ، ولا يجوز الذهاب للبيت الحرام إلا بالمرور بها والإحرام منها لأداء مناسك العمرة أو الحج ، وجعلت هذه المواقيت تكريماً وتعظيماً لبيته الحرام، حيث أن في تعددها واختلاف مواقعها رحمة من الله تعالى للمسلمين وإبعاد المشقة عنه)[٢] .

س١٦١: لماذا لا تلبس المرأة ملابس إحرام كالرجل ؟.

ج١٦١: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (ليس لها لباس خاص، فلو أحرمت في ثيابها العادية أجزأ ذلك، ولكن الأفضل أن تكون ملابسها ملابس لا تلفت النظر، ليس فيها شهرة وليس فيها زينة تلفت النظر، بل تكون ملابس عادية ليس فيها جمال يلفت أنظار الرجال، كالأسود السادة والأحمر السادة والأخضر ونحو ذلك الذي ليس فيه جمال يلفت الأنظار،

---

(١) سورة البقرة .
(٢) وكالة الأنباء السعودية ، منى ٥/١٢/ ١٤٤١ هـ.

هذا هو الأفضل لها والأحسن لها، ولو أحرمت في ملابسها العادية جاز ذلك وصح ذلك، ولكن الأفضل لها أن تحرم في ملابس لا تلفت النظر ..... ليس فيها ما يسبب فتنة الرجال بها، هذا هو الأفضل لها، مع سترها ما قد يفتن من حلي أو غيرها)[1].

إنَّ مجرَّد إحرام المرأة للحج، يفرض عليها الالتزام بأمور عدَّة، هذه الأمور من شأنها أن تتمَّ الحج وتجعله مقبولًا بإذن الله تعالى منها :

١- للمرأة أن تحرم بما شاءت من ثيابها.

٢- أن تحذر التبرَّج .

٣- أن تحذر لبس الثياب الضيقة أو القصيرة أو الشفافة .

٤- أن تحذر من التشبه بالرجال أيضًا.

٥- لا يجوز للمرأة المحرمة أن تضع النقاب والقفازين، فقد روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "وَلَا تَنْتَقِبِ المرْأَةُ المحْرِمَةُ، ولَا تَلْبَسِ القُفَّازَيْن)[2].

٦- ولا يجوز للمرأة المحرمة للحج أو العمرة أن تكشف وجهها ويديها للأجانب من الرجال ولو حُرّم لبس القفازين والنقاب، فيمكن أن تستر يديها ووجها بالثوب أو الخمار أو ما شابه، جاء عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنَّها قالت: "كان الرُّكبانُ يَمُرُّون بنا ونحن مع رسولِ اللهِ -صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- مُحْرِماتٌ فإذا حاذُوا بنا أَسدَلَتْ إحدانا جِلْبابَها من رأسِها على وجهِها)[3].

٧- ولا حرج على المرأة المحرمة في لبس القمصان والسراويل والجوارب في القدمين، ولا حرج أيضًا لو لبستِ المرأة المحـرمة الذهب والخواتم وغيـر ذلك من الزينة ولكن مع سترها عن عيون الرجال وهذا ما يجب في الإحرام وغيره.

---

(١) موقع الشيخ ابن باز على شبكة الانترنيت .

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٨٣٨ .

(٣) الألباني ، حجاب المرأة المسلمة ، رقم الحديث ٣٢ .

٨- اللون الأبيض ليس من الألوان المحببة لملابس النساء في الحج فهو لا يستر بالقدر المطلوب، وهو لباس الرجال في الحج ولم يرد أن أحدًا من نساء السلف لبس الأبيض في الحج.

٩- كما يجوز كشف ثديها أمام النساء لإرضاع الطفل وغير ذلك .

١٠- عدم اختلاط المرأة في الحج بالرجال الأجانب في أي موضع دفعًا للفتنة ورغبة بتمام هذه العبادة وكسب كامل الأجر من الله تعالى.

١١- ويجب أن تحرص المرأة المحرمة أن تستر جميع بدنها.

س ١٦٢ : لماذا يستلم الطائف الركن اليماني من الكعبة دون غيره من الأركان عند بداية الطواف ؟.

ج ١٦٢: سُمِّي هذا الركن أو هذه الزاوية بهذا الاسم بسبب أنه يشير إلى اتجاه اليمن، كما ويسمى أيضاً بالركن الجنوبي؛ كونه يشير إلى الجهة الجنوبية، هذا وتبعاً لحركة الطواف، فإن الركن اليماني هو ذلك الركن الذي يأتي بعد الركن الغربي، كما ويقع الركن اليماني أيضاً بموازاة الركن الذي يحتوي على الحجر الأسود، وقد كانت كلمة يمن تطلق من قبل العرب على كل ما اتجه جهة الجنوب.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (يشرع للطائف أن يستلم الحجر الأسود والركن اليماني في كل شوط من أشواط الطواف، كما يستحب له تقبيل الحجر الأسود خاصة في كل شوط مع الاستلام، حتى في الشوط الأخير إذا تيسر ذلك من دون مشقة، أما مع المشقة فيكره له الزحام ويشرع أن يشير إلى الحجر الأسود بيده أو عصاه ويكبر، أما الركن اليماني فلم يرد فيما نعلم ما يدل على الإشارة إليه، وإنما يستلمه بيمينه إذا استطاع من دون مشقة ولا يقبله، ويقول: بسم الله والله أكبر" أو "الله أكبر"، أما مع المشقة فلا يشرع له استلامه، ويمضي في طوافه من دون إشارة أو تكبير؛ لعدم ورود ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم كما أوضحت ذلك في كتابي (التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة).

أما التكبير فيكون مرة واحدة ولا أعلم ما يدل على شرعية التكرار، ويقول في طوافه كله ما تيسر من الدعوات والأذكار الشرعية، ويختم كل شوط بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يختم به كل شوط، وهو الدعاء المشهور:(وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(٢٠١))[١] .

أما الركنان اللذان يليان الحجر فلا يشرع مسحهما ولا أن يخصا بذكر أو دعاء؛ لأن ذلك لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله سبحانه:(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...(٢١))[٢] ، وقال عليه الصلاة والسلام: (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :(الركن اليماني كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستلمه ولم يكن يكبر ، وعلى هذا فلا يسن التكبير عند استلامه)[٤] .

وقال الشيخ الألباني رحمه الله :ويستلم الركن اليماني بيده في كل طوافة ، ولا يقبله ، فإن لم يتمكن من استلامه لم تشرع الإشارة إليه بيده)[٥] ، يقول ابن عمر رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف[٦]، ويقول صلى الله عليه وسلم في فضل استلام الركن اليماني : (إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا[٧] .

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) (نشر في مجلة (الدعوة) العدد ١٥٦٢ وتاريخ ١٤١٧/٥/٢٨هـ، وفي جريدة (الرياض) العدد ١٠٨٦٨ في ١٤١٨/١١/٢٩هـ، وفي كتاب (الدعوة) الجزء الأول ص ١٣١، وفي جريدة (البلاد) العدد ١٤٩٠٣ في ١٤١٧/١٢/٩هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٧/ ٢١٩).)
(٤) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٧ ، ص ٢٨٣ .
(٥) الألباني ، صفة مناسك الحج والعمرة ، ص ٢٢ .
(٦) الألباني ، صحيح الجامع ،رقم الحديث ٤٧٥١ .
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢١٩٤ .

س١٦٣ : لماذا يستحب الصلاة في الروضة الشريفة ؟.

ج ١٦٣ :جاء في موقع وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي :(تعريف الروضة :الرَّوضة في اللغة هي: الأرض ذاتُ الخُضْرةِ، أو البستان الحسن[1].

ويراد بها في الاصطلاح الشرعي: المكان الواقع بين بيت النبي - وهو بيت عائشة - ومنبره الشريف، وسميت الروضة الشريفة بهذا الاسم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم :(مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ).

فضل الروضة: وردت أحاديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل الروضة الشريفة ، وفي تحديد مكانها، منها: الحديث المتقدم، ومنها أيضاً: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:(مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي)[2].

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ مِنْبَرِي وَحُجْرَتِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ")[3]، وحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ، وَمَا بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَبَيْنَ بَيْتِ عَائِشَةَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ)[4] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وقوائم منبري رواتب في الجنة)[5] .

فهذه الأحاديث وأمثالها تدل على أن لهذه البقعة فضل عظيم ومَزِيَّة خاصة حيث خُصَّتْ بهذا الشرف، دون غيرها من بِقَاعِ المسجد النبوي، والله سبحانه وتعالى يختص ما يشاء من الزمان والمكان والأشخاص بالفضائل، وله في ذلك الحكمة البالغة.

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص ١٦٢ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٦١ ، رقم الحديث ١١٩٥ ، وعند مسلم رقم الحديث ٥٠٠ ..
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، ج١٥ ، ص ١٩٦ ، قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه على مسند أحمد ١٩٦/١٥: "إسناده صحيح على شرط مسلم
(٤) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٣ ، ص ٢٦٩ ، رقم الحديث ٣١١٢ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٤: رواه الطبراني في الأوسط، وهو حديث حسن).
(٥) الإمام أحمد ، المسند ، ج٦ ، ص ٢٨٩ -، ٢٩٢ ، ٣١٨ .

الصلاة في الروضة:

والصلاة في الروضة الشريفة أفضل من أي مكان في المسجد إلا الصلاة المكتوبة؛ فإنها تكون في الصف الأول . وما بعده من الصفوف التي تتقدم الروضة أفضل . وذلك في حال لوكان الصف الأول خارج الروضة . ، لذا يحرص الزائرون لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلاة النافلة في الروضة الشريفة ، جاء في شرح كتاب بن داود ، إجابة على السؤال التالي : (هل للصلاة في الروضة فضل عن غيرها من الأماكن أم ليس لها فضل؟)

الجواب: الصفوف الأمامية أولى من الروضة بالصلاة في صلاة الفريضة، وأما النافلة فإن صلاتها في الروضة لا شك في أن لها ميزة لكون الروضة في المسجد تتميز عن غيرها بهذا الوصف.

لكن على الإنسان أن لا يذهب إليها ولا يزاحم ويؤذي الناس في سبيل الوصول إليها، أو في سبيل الصلاة فيها؛ لأن إيذاء الناس حرام، والصلاة فيها مستحبة، كتقبيل الحجر الأسود، فإنه مستحب وإيذاء الناس في الوصول إليه حرام لا يجوز، فلا يرتكب الأمر المحرم من أجل أن يصل إلى أمر مستحب)[1]، ولكن الواقع أن الصف الأول للصلاة المكتوبة في هذا الوقت واقع في الروضة فلا يكون للتفريق حاجة، إلا من باب بيان الحكم .

ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم :(مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ "في تأويل قول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ " قولان للعلماء:

أحدهما: قال ابن القيم رحمه الله: " قوله إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر، ومنه قوله ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة فهو روضة لأهل العلم والإيمان لما يقوم بقلوبهم من شواهد الجنة حتى كأنها لهم رأي عين، وإذا قعد المنافق هناك لم يكن ذلك المكان في حقه روضة من رياض الجنة ومن هذا قوله الجنة تحت ظلال

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد (١٠١/ ٣١، بترقيم الشاملة آليا.

السيوف)[1].

وقال ابن بطال رحمه الله: (وإنما عنى صلى الله عليه وسلم أن ذلك الموضع للمصلي فيه، والذاكر اللهَ عنده والعامل بطاعته كالعامل في روضة من رياض الجنة، وكذلك ما كان يُسمع فيه من النَّبي صلى الله عليه وسلم ، من الإيمان والدين، كما قال صلى الله عليه وسلم : " ارتعوا في رياض الجنة، قيل: ما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر " فجعل مجالس الذكر في شرفها وفضلها بمنزلة رياض الجنة، وجعل ذاكر الله فيها كالراتع في رياض الجنة[2].

الثاني: أنها بنفسها تنقل إلى الجنة وهذا هو الأرجح ، قال ابن حجر رحمه الله: (في قوله عليه السلام: روضة من رياض الجنة، أي: "مقتطعة منها كالحجر الأسود أو تنقل إليها)[3].

وقال ابن الحاج رحمه الله : (ولما أن كان تردده عليه الصلاة والسلام بين بيته ومنبره أكثر من تردده في المسجد كانت تلك البقعة الشريفة بنفسها روضة من رياض الجنة)[4]".

وكلا المعنين محتملة للنص، والأرجح منهما أنه محمول على الحقيقة، أي: إن تلك البقعة مُقْتَطَعَةٌ من الجنة كالحجر الأسود، أو أنها ليست كسائر الأرض تَذْهَبْ وتَفْنَى، وإنما ستُنْقَلْ إلى الجنة وتكون روضةً من رياضها، إذ الأصل في نصوص الشريعة حمل اللفظ على الحقيقة دون المجاز إلا لقرينة خاصةً، ولأن حمله على المجاز لا يبقى لهذه البقعة مزية على غيرها، والنصُّ جاء لِيُثْبِتَ تلك الْمَزِيَّة)[5].

حدود الروضة:

اعتمد المؤرخون الذين أرَّخوا للمسجد النبوي الشريف، على أرجح أقوال أهل العلم أن حدود الروضة من الشرق دار عائشة رضي الله عنها، ومن المغرب المنبر الشريف، ومن الجنوب . القبلة . ، ومن الشمال الخط الموازي لنهاية بيت عائشة رضي الله عنها، ولذا قال الخطيب رحمه الله:

---

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٣ ، ص ٢٤٩ – ٢٥١ .
(٢) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري ، ج٣ ، ص ١٨٤ .
(٣) ابن حجر ، إرشاد الساري ،ج١٠ ، ص ٣٣٦ .
(٤) ابن الحاج ، المدخل ، ج١ ، ص ٢٥٧ .
(٥) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٢ ، ص ٤٦٣ ، والسمهودي ، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، ج١ ، ص ٥٠٣ .

(فعلى هذا تسامت الروضة حائط الحجرة من جهة الشمال، وإن لم تسامت المنبر، أو تأخذ المسامتة مستوية)[1].

و الرَّوضة مستطيلة طولها من المنبر إلى الحجرة الشريفة ثلاثة وخمسون ذراعا، كما ذكر السمهودي رحمه الله قال: فإني ذرعت بحبل من صفحة المنبر القبلية إلى طرف الحجرة القبلية فكان ثلاثة وخمسين ذراعا ، أي: ما يعادل ٢٦.٥ متر، وقد حجب الشبك المحيط بالحجرة جزءاً منها، حيث نقص منها الرواق الواقع بين الأسطوانات اللاصقة بالشبك وجدار الحجرة الشريفة، وأصبح طولها ٢٢مترا ، وعرض الروضة الشريفة من ابتداء الحجرة إلى أسطوانة الوفود، ثلاثة أروقة، وما يوازيها من جهة الغرب، أي: إلى منتصف منصة المؤذنين الآن، وهو ما يعادل ١٥مترا)[2]، [3].

س١٦٤: لماذا تشد الرحال إلى المساجد الثلاثة ؟.

س١٦٤ : روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المِسْجِدِ الحَرَامِ، ومَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومَسْجِدِ الأقْصَى)[4].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : إذا كان السفر من أجل أنه يقال: مسجد فلان لا، لا يشد الرحل من أجل المسجد الفلاني، ولا من أجل أنه ينسب إلى الشيخ فلان، العمدة على إمامه الحاضر إذا كان إمامه طيب والصلاة خلفه جيدة لأجل خشوعه وحسن تلاوته، هذا إذا قصده الإنسان يصلي خلفه من أجل حسن تلاوته ومن أجل إقامته للصلاة وخشوعه فيها هذا حسن، أما شد الرحل لأجل فضل المسجد أنه منسوب إلى فلان هذا لا يجوز؛ لأن الرسول عليه السلام قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى، هكذا قال عليه الصلاة والسلام لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام يعني: مكة مسجد مكة، ومسجدي هذا ، مسجد المدينة والمسجد

---

(١) السمهودي ، خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج١ ،ص ٥٠٩ .
(٢) السمهودي ، وفاء الزفاء ، ج٢ ، ص ٣٥ .
(٣) مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة العد ٢٠ ص ١١٩، ١٢٠ .
(٤) الإمام البخاري ' صحيح البخاري ، رقم الحديث ١١٨ ، وعند مسلم رقم الحديث ١٣٩٧ .

الأقصى، مسجد القدس، أما المساجد الأخرى فلا يشد الرحل لها، ولو كان صاحبها معروفًا بالخير، وتنسب إلى شيخ معروف بالخير، أما إذا شد الرحل للتعلم أو للصلاة خلفه لا من أجل المسجد بل للصلاة خلفه، والإقامة عنده هناك ليتعلم عليه وليستفيد منه لا بأس هذا من أجل طلب العلم).[١]

وذهب الشيخ الجويني إلى أنّه يحرُم شدُّ الرحال إلى غير هذه المساجد عملاً بظاهر الحديث، وإلى ذلك أيضاً ذهب القاضي حسين، وبه قال القاضي عياض وجماعةٌ غيرهم، ودليلهم بذلك حديث لا تُشد الرحال إلا لثلاثة مساجد[٢].

س١٦٥ لماذا بنيت قبة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم مع نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك ؟.

ج١٦٥ : سئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء : هناك من يحتجون ببناء القبة الخضراء على القبر الشريف بالحرم النبوي على جواز بناء القباب على باقي القبور ، كالصالحين ، وغيرهم ، فهل يصح هذا الاحتجاج أم ماذا يكون الرد عليهم ؟.

فأجابوا :(لا يصح الاحتجاج ببناء الناس قبة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم على جواز بناء قباب على قبور الأموات ، صالحين ، أو غيرهم ؛ لأن بناء أولئك الناس القبة على قبره صلى الله عليه وسلم حرام يأثم فاعله ؛ لمخالفته ما ثبت عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمستَه ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ، وعن جابر رضي الله عنه قال : (نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يجصَّص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه) رواهما مسلم في صحيحه ، فلا يصح أن يحتج أحد بفعل بعض الناس المحرم على جواز مثله من المحرمات ؛ لأنه لا يجوز معارضة قول النبي صلى الله عليه وسلم بقول أحد من الناس أو فعله لأنه المبلغ عن الله سبحانه ، والواجب طاعته ، والحذر من مخالفة أمره ؛ لقول الله عز وجل :

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز عبر شبكة الإنترنيت ، تفريغ صوتي .
(٢) شرح حديث لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد"، موقع الإسلام في ٢٧-٣-٢٠٠٣،

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.....(٧))[١] ، وغيرها من الآيات الآمرة بطاعة الله وطاعة رسوله ؛ ولأن بناء القبور ، واتخاذ القباب عليها من وسائل الشرك بأهلها ، فيجب سد الذرائع الموصلة للشرك)[٢] " .

وقال علماء اللجنة الدائمة أيضاً :" ليس في إقامة القبة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم حجة لمن يتعلل بذلك في بناء قباب على قبور الأولياء والصالحين ؛ لأن إقامة القبة على قبره : لم تكن بوصية منه ، ولا من عمل أصحابه رضي الله عنهم ، ولا من التابعين ، ولا أحد من أئمة الهدى في القرون الأولى التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير ، إنما كان ذلك من أهل البدع ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) ، وثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال لأبي الهياج : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) رواه مسلم ؛ فإذا لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم بناء قبة على قبره ، ولم يثبت ذلك عن أئمة الخير ، بل ثبت عنه ما يبطل ذلك : لم يكن لمسلم أن يتعلق بما أحدثه المبتدعة من بناء قبة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم)[٣].

سبب بنائها : يقول علي حافظ : (لم تكن القبة التي على قبر النبي صلى الله عليه وسلم موجودة إلى القرن السابع ، وقد أُحدث بناؤها في عهد السلطان قلاوون ، وكان لونها أولاً بلون الخشب ، ثم صارت باللون الأبيض ، ثم اللون الأزرق ، ثم اللون الأخضر ، واستمرت عليه إلى الآن .

قال الأستاذ علي حافظ: (لم تكن على الحجرة المطهرة قبة ، وكان في سطح المسجد على ما يوازي الحجرة حظير من الآجر بمقدار نصف قامة تمييزاً للحجرة عن بقية سطح المسجد .

---

(١) سورة الحشر .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج٩ ، ص ٨٣-٨٤ (الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، الشيخ عبد الله بن قعود).

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٦٤، ٢٦٥ (الشيخ عبد العزيز بن باز ، الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، الشيخ عبد الله بن غديان ، الشيخ عبد الله بن قعود)

والسلطان قلاوون الصالحي هو أول من أحدث على الحجرة الشريفة قبة ، فقد عملها سنَة ٦٧٨ هـ ، مربَّعة من أسفلها ، مثمنة من أعلاها بأخشاب ، أقيمت على رؤوس السواري المحيطة بالحجرة ، وسمَّر عليها ألواحاً من الخشب ، وصفَّحها بألواح الرصاص ، وجعل محل حظير الآجر حظيراً من خشب .

وجددت القبة زمن الناصر حسن بن محمد قلاوون ، ثم اختلت ألواح الرصاص عن موضعها ، وجددت ، وأحكمت أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد سنة ٧٦٥ هـ ، وحصل بها خلل ، وأصلحت زمن السلطان قايتباي سنة ٨٨١هـ .

وقد احترقت المقصورة والقبة في حريق المسجد النبوي الثاني سنة ٨٨٦ هـ ، وفي عهد السلطان قايتباي سنة ٨٨٧هـ جددت القبة ، وأسست لها دعائم عظيمة في أرض المسجد النبوي ، وبنيت بالآجر بارتفاع متناه ،بعد ما تم بناء القبة بالصورة الموضحة : تشققت من أعاليها ، ولما لم يُجدِ الترميم فيها : أمر السلطان قايتباي بهدم أعاليها ، وأعيدت محكمة البناء بالجبس الأبيض ، فتمت محكمةً ، متقنةً سنة ٨٩٢ هـ .

وفي سنة ١٢٥٣هـ صدر أمر السلطان عبد الحميد العثماني بصبغ القبة المذكورة باللون الأخضر ، وهو أول من صبغ القبة بالأخضر ، ثم لم يزل يجدد صبغها بالأخضر كلما احتاجت لذلك إلى يومنا هذا .

وسميت بالقبة الخضراء بعد صبغها بالأخضر ، وكانت تعرف بالبيضاء ، والفيحاء ، والزرقاء)[1].

سبب عدم هدمها :

بَيَّن العلماء الحكم الشرعي في بناء القبة ، وأثرها البدعي واضح على أهل البدع ، فهم متعلقون بها بناءً ولوناً ، ومدحهم وتعظيمهم لها نظماً ونثراً كثير جدّاً ، ولم يبق إلا تنفيذ ذلك من ولاة الأمر ، وليس هذا من عمل العلماء .

---

(١) علي حافظ ، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

وقد يكون المانع من هدمها درءً للفتنة ، وخشيةً من أن تحدث فوضى بين عامة الناس وجهلتهم ، وللأسف فإن هؤلاء العامة لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تعظيم تلك القبَّة إلا بقيادة علماء الضلالة وأئمة البدعة ، وهؤلاء هم الذي يهيجون العامة على بلاد الحرمين الشريفين ، وعلى عقيدتها ، وعلى منهجها ، وقد ساءتهم جدّاً أفعالٌ كثيرة موافقة للشرع عندنا ، مخالفة للبدعة عندهم ! ، وبكل حال : فالحكم الشرعي واضح بيِّن ، وعدم هدمها لا يعني أنها جائزة البناء لا هي ولا غيرها على أي قبر كان .

قال الشيخ صالح العصيمي:(إن استمرارَ هذه القبةِ على مدى ثمانيةِ قرونٍ لا يعني أنها أصبحت جائزة ، ولا يعني أن السكوتَ عنها إقرارٌ لها ، أو دليلٌ على جوازها ، بل يجبُ على ولاةِ المسلمين إزالتها ، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه في عهدِ النبوةِ ، وإزالة القبةِ والزخارفِ والنقوشِ التي في المساجدِ ، وعلى رأسها المسجدُ النبوي ، ما لم يترتب على ذلك فتنةٌ أكبر منه ، فإن ترتبَ عليه فتنةٌ أكبر ، فلولي الأمرِ التريث مع العزمِ على استغلالِ الفرصة متى سنحت)[1]، [2] .

س١٦٦: لماذا كان الإمام ضامنا والمؤذن مؤتمنا ؟.

ج١٦٦: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(الْإِمَامُ ضَامِنٌ ، وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ ، اللَّهُمَّ أَرْشِدْ الْأَئِمَّةَ ، وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ)[3].

١- الإمام ضامن : بمعنى أنه يجب عليه أن يحفظ صلاة المأمومين من البطلان ، ويحفظ عليهم عدد الركعات ، ولا ينقر بهم الصلاة نقرا مخلا بالأركان ، ولا يقصر في العناية بشروط الصلاة وتحقيق سننها وهيئاتها ، ونحو ذلك .

٢- والإمام ضامن بمعنى : أنه يتحمل عن المأموم الجهر في الصلاة الجهرية ، ويتحمل عنه قراءة السورة القصيرة ، كما يتحمل سهو المأموم إذا ترك بعض السنن ، ويتحمل عنه قراءة الفاتحة إذا جاء مسبوقا ، كل ذلك من معاني الضمان المتفق عليها .

---

(١) صالح العصيمي ، بدعِ القبورِ ، أنواعها ، وأحكامها ، ص ٢٥٣.
(٢) الإسلام سؤال وجواب ، في ١٢ /١٢/ ٢٠٠٧ م.
(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٥١٧ .

٣- والإمام ضامن أيضا بمعنى : أنه متكفل بالدعاء لجميع المأمومين إذا قنت بهم ، أو دعا لهم ، متكفل بتعليم المأمومين أحكام الصلاة كي لا تفسد عليهم ، ولا يحرموا ثوابها الكامل ، قول الخطابي رحمه الله :قوله : (الإمام ضامن) قال أهل اللغة : الضامن في كلام العرب معناه : الراعي . والضمان معناه : الرعاية ، قال الشاعر :

رعاكِ ضمان الله يا أم مالك ... ولله أن يشقيك أغنى وأوسع

٤- والإمام ضامن بمعنى : أنه يحفظ الصلاة وعدد الركعات على القوم ، وقيل معناه : ضامن الدعاء ، يعمهم به ولا يختص بذلك دونهم ، وليس الضمان الذي يوجب الغرامة من هذا في شيء .

٥- وقد تأوله قوم على معنى : أنه يتحمل القراءة عنهم في بعض الأحوال ، وكذلك يتحمل القيام أيضاً إذا أدركه راكعا)[١] .

ويقول بدر الدين العيني رحمه الله :" أصل الضمان : الرعاية والحفظ ؛ لأنه يحفظ على القوم صلاتهم ، وقيل : لأنه يتحمل القراءة عنهم ، ويتحمل القيامَ إذا أدركه راكعًا ، وقيل : صلاة المقتدين به في عهدته ، وصحتها مقرونة بصحة صلاته ؛ فهو كالمتكفل لهم صحة صلاتهم .وقيل : ضمان الدعاء يعمّهم به ، ولا يختص بذلك دونهم)[٢].

ويقول الشوكاني: (الإمام ضامن) الضمان في اللغة : الكفالة ، والحفظ ، والرعاية والمراد : أنهم يعني الأئمة ضمناء على الإسرار بالقراءة والأذكار ، حكي ذلك عن الشافعي في " الأم " .وقيل : المراد : ضمان الدعاء ، أن يعم القوم به ، ولا يخص نفسه .وقيل : لأنه يتحمل القيام والقراءة عن المسبوق[٣].

ومع ذلك لم يفهم العلماء من الحديث ما فهمه بعض الناس ، أنه إذا صحت صلاة الإمام فقد صحت صلاة المأموم مهما وقع في المخالفات ، وأنه إذا فسدت صلاة الإمام فقد فسدت صلاة المأموم وإن حافظ على أركانها وشروطها ، بل يقول العلماء : المخالفات التي

---

(١) الخطابي ،معالم السنن ،ج١ ، ص ١٥٦ .
(٢) الخطابي ، شرح سنن أبي داود ، ج٢ ، ٤٦٨ .
(٣) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٢ ، ص ٤٢ .

قد يرتكبها المأموم في صلاته لا تخلو :

١- إما أن تكون المخالفة تعد من مبطلات الصلاة : كالحدث ، وإصابة النجاسة ، أو الأكل والشرب والضحك ، ونحو ذلك من مبطلات الصلاة ، ومثلها أيضا تعمد ترك ركن من أركان الصلاة : فهذه المخالفات مبطلة لصلاة المأموم ، ولا يتحمل الإمام عنه منها شيئا باتفاق العلماء .

٢- وإما أن تكون المخالفة ليست من مبطلات الصلاة : كترك بعض السنن والهيئات ، والوقوع في بعض المخالفات كالالتفات والتبسم ونحو ذلك مما لا يبطل الصلاة ، أو السهو عن بعض الواجبات ، كأن ينسى قراءة التشهد الأول ، أو قراءة تسبيحات الركوع أو السجود ، أو نحو ذلك : فهذه هي التي تجبرها صلاة الإمام ، ويسد أجر صلاة الجماعة النقص والخلل الذي وقع بها)[١].

وقوله عليه الصلاة والسلام: (والمؤذن مؤتمن) : قالوا : لأنه مؤتمن على ركنين من **أركان الإسلام** :

أولهما : الصلاة ، فهو الذي يخبر ببداية وقت الصلاة فيؤذن ، فإذا لم يحفظ وقت الصلاة ضيع على الناس ركن دينهم فلربما أذن للفجر قبل طلوع الفجر ، كذلك أيضاً لربما أذن للظهر ، قبل الظهر وصلى المصلي وصلت المرأة في بيتها تظن أن الوقت دخل ، فهذه أمانة ، مؤتمن على دين الناس في صلاتهم .

ثانيهما : وهو الصوم ؛ لأن الناس يمسكون في الصوم بأذان المؤذن ، ويفطرون بأذان المؤذن ، ولذلك كان ينص بعض العلماء على : أنه يُشَدَّدُ على المؤذن ، وعليه أن يتقي الله تعالى وأن يعلم أن الله محاسبه عن هذه الأمانة خاصةً في صلاتي : الفجر والمغرب ، هاتان الصلاتان اللتان تساهل فيهما كثير من المؤذنين – إلا من رحم الله – ، فوقت ما يريد أن

---

(١) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٨/٣/ ٢٠١٠ .

يؤذن بالفجر يؤذن ، ولا يبالي هل أذن في أول الوقت أو لم يؤذن ؟ والله إنه لمسؤول أمام الله تعالى ومحاسب على الصيام الفرض والنافلة الذي يضيعه على المسلمين ، وعلى الأئمة : أن يحافظوا على مراقبة مؤذنيهم ، وهم شركاء لهم في الإثم إذا سكتوا عنهم في التساهل في مثل هذا الأمر .

فهذه أمور ينبغي التنبه لها ، أذان الفجر وأذان المغرب أمرهما عظيم ، وينبغي المحافظة على إيقاع هذين الأذانين في الوقت المحدد دون تقديم أو تأخير ؛ صيانة لصيام الناس وصلاتهم [(١)].

س١٦٧ لماذا تعجيل الفطر وتأخير السحور ؟.

ج١٦٧ : جاء في صحيح أبي داوود للألباني رحمه الله تعالى :(لما قَدِمَ علينا أبو أيوبَ غازيًا وعقبةُ بنُ عامرٍ يومئذٍ على مصرَ فأخَّرَ المغربَ فقام إليه أبو أيوبَ فقال له: ما هذهِ الصلاةُ يا عقبةُ؟ فقال: شُغِلنا، قال أما سمعتَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقولُ لا تزالُ أمتي بخيرٍ أو قال على الفطرةِ ما لم يؤخِّروا المغربَ إلى أن تشتَبِكَ النجومُ)[(٢)].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (السنة تأخير السحور، إلى آخر الليل، لكن ينبغي أن يقدم قبل الأذان، حتى يفرغ المتسحر قبل الأذان والنبي صلى الله عليه وسلم ي ثبت عنه أنه تسحر في آخر الليل، ثم قاموا إلى الصلاة بعد السحور، قاموا وسئل أنس عن ذلك، كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية، فالمقصود أن التأخير أفضل، لكن ينتهي قبل الأذان، فإن أكل وهو يؤذن فلا حرج، إذا لم يعلموا أن الصبح طلع، أما إذا علموا أن الصبح قد طلع، كالذي في الصحراء يرى الصبح، فإنه لا يأكل إذا طلع الصبح، ولو ما أذن، لأن العمدة على الصبح لأن الله قال جل وعلا: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، يعني من الصبح، فإذا كان لا يعلم هل أذن الصبح أم لا، فله

---

(١) فتوى : محمد المختار الشنقيطي محارب البدع ٤ يوليو ٢٠١٣

(٢) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٤١٨ .

أن يشرب أو يأكل مع الأذان لكن ترك هذا أحوط وأولى، وإن تقدم أن يكون السحور قبل الأذان هذا هو الأفضل والأولى، احتياطاً للصوم وبعداً عن الشك، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.)[1].

إن الصائم الذي يمسك عن الطعام والشراب مدة طويلة يكون بأمس الحاجة إلى تعويض ما فقده من ماء وطاقة خلال فترة النهار، لذلك فإن من يؤخر الفطور عن وقته، قد يصاب بانخفاض مستوى السكر في الدم وهبوط عام.

فوائد تعجيل الفطور:

١- فيه إحياء سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُعَجِّلَ الإِفْطَارَ، وَأَنْ نُؤَخِّرَ السَّحُورَ، وَأَنْ نَضْرِبَ بِأَيْمَانِنَا عَلَى شمائِلِنا في الصَّلاة)[2].

٢- المعجِّل بالفطور محبوب عند الله عز وجل، فقد روى الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً)[3].

٣- بتعجيل الفطر مخالفة لأهل الكتاب: روى أبو داود وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لأَنَّ الْيَهُود وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ)[4].

أمّا وجبة السحور، فهي تعتبر من الوجبات الرئيسة في شهر رمضان المبارك، وقد أكد الأطباء على أنها أهم من وجبة الإفطار، لأنها تعين المرء على تحمل مشاق الصيام، ولذا أوصى رسولنا صلى الله عليه وسلم بالسحور وحث عليه، فقال: (تسحروا فإن في السحور

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز عبر شبكة الإنترنيت .
(٢) السيوطي ، الجامع الصغير ، رقم الحديث ٢٥١٢ .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٧٠٠ ، وقال عنه الألباني بأنه حديث ضعيف .
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث٢٣٥٣ .

بركة)[1] ، وسبب حصول البركة في السحور أن هذه الوجبة تقوي الصائم وتنشطه ، إضافة لما فيها من الأجر والثواب بامتثال هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذه الوجبة المباركة فوائد صحية تعود على الإنسان الصائم بالنفع وتعينه على قضاء نهاره بالصوم بنشاط وحيوية.

فوائد تناول وجبة السحور:

١- أن تناولها يمنع حدوث الإعياء والصداع أثناء نهار رمضان.

٢- تخفف من الإحساس بالجوع والعطش الشديدين.

٣- تمنع الشعور بالكسل والخمول والرغبة في النوم أثناء ساعات الصيام، وتمنع فقد الخلايا الأساسية للجسم.

٤- يساعد تناول ووجبة السحور على تنشط الجهاز الهضمي، ويحافظ على مستوى السكر في الدم فترة الصيام.

٥- تعين العبد المؤمن على طاعة الله عز وجل في يومه)[2] .

س١٦٨: لماذا تعجيل صلاة الأضحى وتأخير صلاة الفطر ؟.

ج١٦٨: هناك حكم جليلة في جميع التشريعات الإسلامية في كل مناحي الحياة ، وهذه التشريعات إنما هي لتسهيل حياته اليومية ، وكذلك لتسهيل تعبده ، وأداء ما أمره الله به .

يقول الشيخ عبدالرحمن البراك : (يسنُّ تقديمُ صلاةِ عيد الأضحى من أجلِ التوسعة؛ لأنَّ وقتَ التضحيةِ بعدَ الصلاةِ، فالتقديمُ فيه توسعةٌ لوقتِ التضحيةِ؛ لأنَّ الناس يتطلَّعونَ إلى ذبحِ أضاحيهم، فربّما لو تأخَّرَ الإمامُ استعجلَ بعضُ الناسِ وذبحَ أُضحيتَه، فينبغي تقديمُ صلاةِ الأضحى لكن بعدَ ارتفاعِ الشمسِ وخروج وقت النهي، و السنَّةُ تأخيرُ صلاة عيد الفطر من أجلِ التوسعةِ؛ وهي إخراجُ صدقةِ الفطرِ، فصدقةُ الفطرِ وقتُها قبلَ الصلاةِ، والأضحيةُ بعدَ الصلاةِ فرُوعي الأمران [3]).

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخار ي ، رقم الحديث ١٩٢٣ ، وعند مسلم ١٠٩٥ .
(٢) مدونة المواضيع الإسلامية.
(٣) موقع الشيخ عبدالرحمن البراك على شبكة الإنترنيت .

يُستحبُّ أن تُقدَّمَ صلاةُ عيد الأضحى في أوَّل وقتِها، وأنْ تُؤخَّر صلاةُ عيد الفطرِ عن أوَّلِ وقتها، وهذا مذهبُ الجمهورِ : الحَنَفيَّة[١] والشافعيَّة[٢] ، والحَنابِلَة[٣] ، وقولٌ للمالكيَّة[٤] ، وحُكِي الإجماعُ على ذلك.

قال ابنُ قُدامة: (ويُسنُّ تقديمُ الأضحى؛ ليتَّسع وقتُ التضحية، وتأخيرُ الفِطر؛ ليتَّسع وقتُ إخراج صدقة الفطر. وهذا مذهبُ الشافعيِّ، ولا أعلم فيه خلافًا)[٥] .

وقال الشوكانيُّ: (أخرج الشافعيُّ مرسلًا: أنَّ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كتَب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران: أن عجِّل الأضحى، وأخِّر الفطر"، وفي إسناده إبراهيم بن محمد، شيخ الشافعي، وهو ضعيف، وقد وقعَ الإجماعُ على ما أفادتْه الأحاديث، وإنْ كانت لا تقوم بمِثلها الحُجَّة)[٦].

وقال ابن حجر : (وذلك لأنَّ تأخيرَ صلاةِ عيد الفِطرِ مناسبٌ حتى يتَّسعَ الوقتُ لأداء صدقةِ الفطرِ، وتعجيلَ صلاةِ عيدِ الأضحى والتخفيفَ فيها مناسبٌ؛ لشُغلِ الناس في ذبائحِهم (وقت التضحية، ولا يشقُّ على الناس أن يُمسكوا عن الأكْل حتَّى يأكلوا من ضحاياهم)[٧].

وقال ابنُ عُثَيمين: (أمَّا النظر: فلأنَّ الناس في صلاة عيد الفطر محتاجون إلى امتدادِ الوقت؛ ليتَّسع وقت إخراج زكاة الفطر؛ لأنَّ أفضلَ وقت تخرج فيه زكاة الفطر صباحُ يوم العيد قبل الصلاة؛ لحديث ابن عُمرَ: «أُمِر أن تُؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصَّلاة»، ومعلوم أنَّه إذا تأخَّرت الصلاة، صار هذا أوسعَ للناس، وأمَّا عيد الأضحى، فإنَّ المشروع المبادَرة بالتضحية

---

(١) البحر الرائق لابن نجيم (١٧٣/٢)، حاشية الطحطاوي (ص: ٣٤٦) ،.
(٢) روضة الطالبين للنووي (٢/ ٧٦)، ويُنظر: الحاوي الكبير للماوردي (٤٨٨/٢)، (حاشية الجمل على شرح المنهج (٩٩/٢).
(٣) (المبدع)لبرهان الدين ابن مفلح (١٦٣/٢)، كشاف القناع للبهوتي (٥١/٢).)
(٤) (قال المازريُّ: (وحكَى ابنُ شعبان في مختصره أنَّ ابن أبي ذئب ومالكًا قالا: يُعجِّل الإمامِ الخروجَ في الأضحى، ويخفُّ ما لا يخفُّ في الفِطر؛ لشغل الناس في ذبائحهم وانصرافهم إلى أهليهم بالعوالي، وذكر حديثًا أنَّ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كتب إلى عمرو بن حزم: أنْ عجِّل الأضحى وأخِّر الفطر شيئًا، وذكِّر الناس) شرح التلقين(١٠٦١/١). وينظر: الذخيرة للقرافي (٤١٩/٢)، التاج والإكليل للمواق (١٨٩/٢).
(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٢٨٠ .
(٦) الشوكاني ، الدراري المضية ، ج١ ، ص ١١٨ .
(٧) ابن حجر ، فتح الباري ،ج٦ ، ص ١٠٥ .

لأنَّ التضحية من شعائر الإسلام، وقد قرَنَها الله عزَّ وجلَّ في كتابِه بالصلاة، فقال: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَر(٢))[١] وقال تعالى : (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢))[٢] ، ففِعلها مبادرًا بها في هذا اليوم أفضلُ، وهذا إنما يَحصُل إذا قُدِّمت الصلاة؛ لأنَّه لا يمكن أن تُذبحَ الأضحية قبل الصلاة)[٣] ، [٤].

س١٦٩ لماذا شرع الله الطلاق ؟.

ج١٦٩ : إن الإسلام يفترض أولاً ، أن يكون عقد الزواج دائماً ، وأن تستمر الزوجية قائمة بين الزوجين ، حتى يفرق الموت بينهما ، ولذلك لا يجوز في الإسلام تأقيت عقد الزواج بوقت معين.

غير أن الإسلام وهو يحتم أن يكون عقد الزواج مؤبداً يعلم أنه إنما يشرع لأناس يعيشون على الأرض ، لهم خصائصهم ، وطباعهم البشرية ، لذا شرع لهم كيفية الخلاص من هذا العقد ، إذا تعثر العيش ، وضاقت السبل ، وفشلت الوسائل للإصلاح ، وهو في هذا واقعي كل الواقعية ، ومنصف كل الإنصاف لكل من الرجل والمرأة.

فكثيراً ما يحدث بين الزوجين من الأسباب والدواعي ، ما يجعل الطلاق ضرورة لازمة ، ووسيلة متعينة لتحقيق الخير ، والاستقرار العائلي والاجتماعي لكل منهما ، فقد يتزوج الرجل والمرأة ، ثم يتبين أن بينهما تبايناً في الأخلاق ، وتنافراً في الطباع ، فيرى كل من الزوجين نفسه غريباً عن الآخر ، نافراً منه ، وقد يطّلع أحدهما من صاحبه بعد الزواج على ما لا يحب ، ولا يرضى من سلوك شخصي ، أو عيب خفي ، وقد يظهر أن المرأة عقيم لا يتحقق معها أسمى مقاصد الزواج ، وهو لا يرغب التعدد ، أو لا يستطيعه ، إلى غير ذلك من الأسباب والدواعي ، التي لا تتوفر معها المحبة بين الزوجين ولا يتحقق معها التعاون على شؤون الحياة ،

---

(١) سورة الكوثر .
(٢) سورة الأنعام .
(٣) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٥ ، ص ١٢٢ ، وينظر : (البحر الرائق) لابن نجيم (١٧٣/٢)، ((التاج والإكليل للمواق (١٨٩/٢).)
(٤) علوي عبدالقادر السقاف ، الدرر السنية .

والقيام بحقوق الزوجية كما أمر الله ،فيكون الطلاق لذلك أمراً لا بد منه للخلاص من رابطة الزواج التي أصبحت لا تحقق المقصود منها ، والتي لو ألزم الزوجان بالبقاء عليها ، لأكلت الضغينة قلبيهما ، ولكاد كل منهما لصاحبه ، وسعى للخلاص منه بما يتهيأ له من وسائل ، وقد يكون ذلك سبباً في انحراف كل منهما ، ومنفذاً لكثير من الشرور والآثام، لهذا شُرع الطلاق وسيلة للقضاء على تلك المفاسد ، وللتخلص من تلك الشرور ، وليستبدل كل منهما بزوجه زوجاً آخر ، قد يجد معه ما افتقده مع الأول ، فيتحقق قول الله تعالى في سورة النساء : (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(١٣٠)) وهذا هو الحل لتلك المشكلات المستحكمة المتفق مع منطق العقل والضرورة ، وطبائع البشر وظروف الحياة.

آداب إيقاع الطلاق إنّ لتطليق الرجل زوجته آداباً شرعيةً يجدر به مراعاتها عند إيقاع الطلاق، وفيما يأتي بيان جانبٍ منها: الحرص على رعاية المصلحة قبل إيقاع الطلاق، وذلك من خلال التروّي، والتحاكم إلى حكمين، فمن تعجّل في إيقاع الطلاق، وترك الاحتكام إلى حكمين فيه قد تلبّس بفعل المنهي عنه، ومخالفة المأمور به.

١- إيقاع الطلاق في حالة الخوف من عدم إقامة حدود الله بين الزوجين؛ كأن تتضرّر المرأة بزواجها لما تراه من انكبابه على الفواحش، والمنكرات، أو إغراءٍ لها بترك الواجبات، أو ترغيبها بمشاهدة ما يأتيه من الموبقات، ونحو ذلك.

٢- عدم قصد إيذاء الزوجة، والإضرار بها من خلال إيقاع الطلاق عليها؛ لأنّ الضرر ممنوعٌ شرعاً، وقد نهى الله تعالى عنه في قوله: (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ). ألّا يكون الطلاق بثلاثة طلقاتٍ دفعةً واحدةً، لنهي الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- عن فعل ذلك.

٣- الإشهاد على حدوث الطلاق، وعلى حدوث الرجعة أيضاً إن حصلت. ألّا يكون الطلاق في حالة الغضب.

٤- أن يقع الطلاق على الوجه المأذون به شرعاً، فلا يكون طلاقاً بدعياً محرّماً في وقت الحيض، أو النفاس، بل في طهرٍ لم يجامع الرجل فيه زوجته.

٥- إيقاع الطلاق بإحسان؛ أي دون كلامٍ فاحشٍ بذيءٍ، ودون بغيٍ، أو عدوانٍ على المرأة)[1].

س١٧٠: لماذا كان الطلاق بيد الرجل ولم يكن بيد المرأة ؟.

ج١٧٠: وضع الله الطلاق بيد الزوج وحده لحكم عظيمة منها:

١- قوة عقله وإرادته وسعة إدراكه، وبُعد نظره لعواقب الأمور، بخلاف المرأة فليست كذلك.

٢- قيامه بالإنفاق وكونه صاحب السيطرة والأمر والنهي في بيته، فهو عماد البيت ورب لأسرته.

٣- أن المهر يجب على الزوج، فجعل الطلاق في يده؛ لئلا تطمع المرأة، فإذا تزوجت وأخذت المهر طلقت زوجها للحصول على مهر آخر وهكذا، وهذا يضر الزوج، وقد نبه الله سبحانه على هذا المعنى في قوله عز وجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ..(٣٤))[2].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (أما كون الطلاق بيد الزوج فإنه هو العدل ؛ لأن الزوج هو الذي بيده عقدة النكاح ، فيجب أن يكون هو الذي بيده حل هذه العقدة .

ولأن الزوج قائم على المرأة ، كما قال تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ....(٣٤))[3] وإذا كان هو القائم صار الأمر بيده هذا مقتضى النظر الصحيح.

ولأن الزوج أكمل عقلاً من المرأة ، وأبعد نظراً ، فلا تجده يقدم على الطلاق إلا حيث رأى أنه لابد منه ، لكن لو كان بيد الزوجة لكانت الزوجة أقل عقلاً ، وأقصر نظراً ، وأسرع عاطفة ، فربما يعجبها شخص من الناس فتذهب فتطلق زوجها ، لأنها رأت مَنْ أعجبها

---

(١) إسماعيل عبد الفتاح، سامية عبد الغني، المرأة العربية ومشكلاتها الاجتماعية ، ص ٢٨- ٣٠ .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة النساء .

صورته ، فَقَدَّمته على زوجها ، وهناك حكم أخرى لكن هذه الحكم الثلاث التي ذكرتها هي من أعظم الحكم لجعل الطلاق بيد الزوج .

أما الحكم فيمن طلق زوجته بغير سبب فإن أهل العلم يقولون : إن الطلاق تجري فيه الأحكام الخمسة ، أي أنه يكون واجباً ، ويكون حراماً ، ويكون مستحباً ، ويكون مكروهاً ، ويكون مباحاً . فالأصل أن الطلاق غير مرغوب فيه ، وذلك لأنه حل قيد النكاح الذي رّغَّب فيه الشرع ودعا إليه ، ولأنه ربما يحصل فيه مضار كثيرة ؛ كما لو كانت المرأة ذات أولاد من الزوج فإنه يحصل بهذا الطلاق تفرق الأسرة والمشاكل التي تنتج عن هذا . وإذا دعت الحاجة إليه لعدم التمكن من العيش بسعادة بين الزوجين فحينئذ يكون مباحاً، وهو من نعمة الله عز وجل ، أعني كونه مباحاً في هذه الحال ؛ لأنه لو بقى الزوجان في حياة شقاء وعناء لتنكدت عليهم الدنيا ، ولكن من نعمة الله أنه إذا دعت الحاجة إليه كان مباحاً)[1] .

س١٧١: لماذا الطلاق ثلاث مرات ؟.

ج١٧١: من تأمل مسألة الطلاق أيقن برحمة الله وحكمته ، فإن الطلاق فيه كسر للمرأة وإيذاء لها ، ولهذا شدد فيه الشارع وضيق أمره حتى لا يتساهل الناس فيه .

ولو كان الزوج كلما طلق امرأته أمكنه أن يعقد عليها ويراجعها ، لطلق الزوج امرأته عشرات المرات ، وفي كل مرة يؤذيها ويكسر قلبها ، ثم يتدخل أهل الصلح بينهما أو تشفق المرأة على أولادها فتعود إلى زوجها ، وفي ذلك ظلم ظاهر لها .

فإذا علم الزوج أن الطلقة الثالثة تُبين زوجته منه ، بحيث لا يمكنه العودة إليها إلا بعد زواجها من آخر يموت عنها أو يطلقها وقد لا يموت ولا يطلق ، كان متهيبا من الطلاق ، مبتعدا عنه ، لا يقدم عليه إلا عند الضرورة أو الحاجة الماسة . وفي هذا رحمة بالزوجة ، وحفظ للأسرة ، ومنع من التساهل والتلاعب .

وهناك حكمة أخرى ، وهي أن الرجل ربما تسرع فطلق المرة الأولى ، ثم ندم فراجع زوجته

---

(١) الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، فتاوى علماء البلد الحرام ، ص ٢٩٩، ٣٠٠

فإذا طلق الثانية كان ذلك عن بصيرة ومعرفة ، فإذا طلق الثالثة كان ذلك - في الغالب- دليلا على عدم استقامة الحياة بينهما ، فلا وجه للتمادي في هذه الحياة التعسة ، ولعل في فراقهما فسحة ورحمة لكل منهما ، كما قال تعالى : (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(١٣٠))[١].

ومن كلام أهل العلم في حكمة جعل الطلاق ثلاثا :

١- قال الطاهر بن عاشور رحمه الله :"وحكمة هذا التشريع العظيم : ردع الأزواج عن الاستخفاف بحقوق أزواجهم ، وجعلهن لُعباً في بيوقم ، فجعل للزوج الطلقة الأولى هفوة ، والثانية تجربة ، والثالثة فراقاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث موسى والخضر : (فَكَانَتْ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَاناً ، وَالثَّانِيَة شَرْطاً والثَّالثَةُ عَمْداً ، فَلذلك قال له الخضر في الثالثة : (هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِك... (٧٨))[٢] ، [٣]

٢- قال ابن الهمام الحنفي رحمه الله : (لأن النفس كذوبة ربما تظهر عدم الحاجة إليها أو الحاجة إلى تركها وتسوّله ، فإذا وقع حصل الندم وضاق الصدر به وعيل الصبر ، فشرعه سبحانه وتعالى ثلاثاً ليجرب نفسه في المرة الأولى ، فإن كان الواقع صدقها استمر حتى تنقضي العدة وإلا أمكنه التدارك بالرجعة ، ثم إذا عادت النفس إلى مثل الأول وغلبته حتى عاد إلى طلاقها نظر أيضا فيما يحدث له ، فما يوقع الثالثة إلا وقد جرب وفَقُهَ في حال نفسه ، وبعد الثلاث تبلى الأعذار)[٣]، [٤] .

س١٧٢: لماذا شرع الله العدة للمرأة المطلقة ؟.

ج١٧٢ : تتعدد أنواع العدة وهي:

١- العدة بالقروء. حيث أن المرأة التي يقع عليها الطلاق، فإن عدتها تكون ثلاثة قروء لمن يأتيها حيضها باستمرار.

---

(١) سورة النساء .
(٢) الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢ ، ص ٤١٥ .
(٣) ابن الهمام الحنفي ، شرح فتح القدير ، ج٣ ، ص ٤٦٥ .
(٤) الإسلام سؤال وجواب ، في ٧/٥/ ٢٠١١ م.

٢- العدة بالأشهر. من بلغت سن اليأس فعدتها تكون ثلاثة أشهر فلا يأتيها حيض، والصغيرة التي لم تحض بعد،

٣- العدة بوضع الحمل وإذا كانت المرأة حامل فأن عدتها تكون وضع الحمل.

٤- المرأة التي توفى زوجها، فإذا كانت حاملًا فعدتها إلى أن تضع حملها، وإن لم تكن فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام.

تبدأ عدة المرأة عند الزواج الصحيح من :

١- لحظة الطلاق .

٢- أو لحظة الوفاة .

٣- أو لحظة الفسخ،

٤- إن لم تعلم المرأة بحدوث حمل أو غيره، فمن يطلقها زوجها أو يتوفى وهي حامل ولم تعلم بذلك فتكون عدتها انقضت.

٥- حالة كان الزواج فاسدًا فأن العدة تبدأ عند التفريق بين الزوجين.

٦- في حالة الوطء بشبهة، كمن يتزوج أخته من الرضاعة، فعدتها تبدأ من آخر وطء وقع بينهما وعلما بعده أنها لا تحل له.

وتكون عدة المرأة التي توفى عنها زوجها في بينها الذي كانت تعيش فيه في حياته، ولكن إذا انتقلت منه لخوف أو لأي شيء آخر، فمن الممكن أن تعتد في أي مكان تشعر فيه بالأمان على نفسها.

وأمر الله سبحانه وتعالى المرأة بالعدة للعديد من الحكم منها ما يتعلق بحق الزوج، ومنها ما يتعلق بحق الزوجة أو الولد، **ومن تلك الحكم** :

١- التأكد من خلو رحم المرأة من أي جنين، وذلك حتى لا يحدث اختلاط في الأنساب.

٢- تمكين الزوج من مراجعة نفسه، والتفكير كثيرًا إذا كان قد طلق زوجته طلاقًا رجعيًا، ومن الممكن أن يرجع عن الطلاق ويراجع زوجته.

٣- تعظيم شأن الزواج بداخل الإسلام، حيث أنه لا يتم عقده إلا بناء على شروط معينة، ولا يتم نقضه أيضًا إلا بشروط وتريث.

٤- احترام ما كان بين الزوجين من معاشرة، فهي لا تنتقل مباشرة إلى شخص آخر، بل لابد من الانتظار والتمهل.

٥- حفظ حق الحمل في حالة كانت المرأة حامل.

وشرع الله سبحانه وتعالى أحكامًا خاصة تتعلق بالمعتدة أثناء عدتها ومنها :

١- تحريم خطبة المعتدة، حيث أنه لا يجوز لأي شخص أن يخطبها صراحة في فترة عدتها، لأنها إذا كانت معتدة عن طلاق رجعي فهي في حكم الزوجة، أما إذا كانت معتدة طلاق بائن أو عن وفاة زوجها فأن بعض آثار الزوجية لا تزال عليها.

٢- تحريم الزواج بالمعتدة، حيث أنه لا يجوز لرجل غير الزوج أن يعقد على المرأة المعتدة، لأنها في حالة الطلاق الرجعي في حكم الزوجة، والطلاق البائن أو الوفاة لازالت لديها بعض آثار الزوجية، فإذا تزوجت في فترة العدة كان الزواج باطلًا.

٣- حرمة الخروج من المنزل إلا لعذر قوي أو ضرورة، فأن المطلقة سواء رجعيًا أو بائنًا أو متوفى عنها زوجها، لا يجوز أن تخرج في فترة العدة إلا لضرورة كطلب الطعام أو الدواء أو الخوف على نفسها، أو غير ذلك من الأعذار المقبولة والجائزة.

٤- وجوب النفقة على الزوج في أثناء فترة العدة إذا كان طلاق رجعيا، لأنها مازالت في حكم الزوجة، وأيضًا الطلاق البائن للحامل، أما إذا كانت غير حامل فليس لها نفقة، وإذا كانت معتدة عن وفاة زوجها ليس لها نفقة من ماله أيضًا لأن الزوجية انتهت بالموت[1].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله:(العدة مدة شرعها الله عز وجل بعد الطلاق وبعد الوفاة لحكم كثير، لحكم كثيرة ليست مجرد براءة الرحم بل لحكم كثيرة؛ منها براءة الرحم لئلا تجتمع المياه

---

(١) موقع موضوع الألكتروني ، الطلاق ، ٥ يوليو ٢٠١٨.

في الرحم تشتبه الأنساب، ومنها احترام الميت وأن يبقى له حرمة في نفس الزوجة، وصيانة لها عن التطلع للرجال من حين الوفاة، كما جعل الله للمطلق كذلك عدة لزوجته معروفة، ثلاث حيض إن كانت تحيض، أو ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض، فالمقصود أن ليست الحكمة فقط مجرد براءة الرحم، بل هي من المقصود وهناك حكم أخرى وأسرار أخرى غير مجرد براءة الرحم، وقد نبه على ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقعين، ونبه غيره على ذلك رحمة الله عليهم من أهل العلم.

فالمقصود أنه ليست الحكمة مجرد العلم ببراءة الرحم، لا، ولهذا يجب على المرأة أن تعتد مطلقاً ولو كان ما دخل بها، إذا مات عنها حتى ولو ما دخل بها إذا عقد عليها ومات عنها قبل أن يدخل بها فإن الأدلة عامة تعمها وتعم غيرها، فعليها أن تعتد أربعة أشهر وعشراً، وإن كان معلوماً أنه ليس في رحمها شيء، فإن التي لم يدخل بها ليس في رحمها شيء من الزوج، وهكذا لو كانت صغيرة عقد عليها وهي صغيرة بنت خمس سنين أو تسع سنين ثم مات عنها وقد علم أنه لم يدخل بها.

فالحاصل أن العدة عامة للصغيرة والكبيرة والمدخول بها وغير المدخول إذا كانت للوفاة، أما التفصيل فهو في الطلاق في هذا في عدة الحيض، إذا كانت غير مدخول بها لا عدة عليها في الطلاق.

أما الوفاة فإن العدة ثابتة وواجبة مطلقاً ولو لم يدخل بها ولو علم براءة الرح[1] .

ج: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أخبرُكمْ بالتَّيسِ المستعارِ ؟ قالوا : بلى يا رسولَ اللهِ قال : هوَ المحللُ ؛ لعنَ اللهُ المحللَ والمحللَ له)[2].

والْمُحَلِّلَ هو من تزوجها ليحلها لزوجها الأول . وَالْمُحَلَّلَ له هو زوجها الأول .

وروى ابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : هُوَ الْمُحَلِّلُ ، لَعَنَ اللَّهُ

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، نور على الدرب ، تفريغ صوتي .
(٢) الألباني ، التعليقات الرضية ، ج٢ ، ص ١٦٩ .

الْمُحَلِّلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ)[1] .

وروى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب الناس : (والله لا أوتى بمحلٍّ ومحلَّل له إلا رجمتهما)[2] .

وسواء في ذلك إذا صرح بقصده عند العقد واشترطوا عليه أنه متى أحلها لزوجها طلقها ، أو لم يشترطوا ذلك وإنما نواه في نفسه فقط .

روى الحاكم عن نافع أن رجلا قال لابن عمر : امرأة تزوجتها أحلها لزوجها ، لم يأمرني ولم يعلم . قال : لا ، إلا نكاح رغبة ، إن أعجبتك أمسكها ، وإن كرهتها فارقها . قال : وإن كنا نعده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفاحاً . وقال : لا يزالان زانيين ، وإن مكثا عشرين سنة .

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة ، وفي نفسه أن يحلها لزوجها الأول ، ولم تعلم المرأة بذلك . فقال : هو محلل ، إذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون .

وعلى هذا ، فلا يجوز لك أن تتزوج هذه المرأة وأنت تريد بذلك إحلالها لزوجها الأول ، وفعل ذلك من كبائر الذنوب ، ولا يكون النكاح صحيحاً ، بل زنى ، والعياذ بالله)[3].

إنما سموه محللا لأنه أحل ما حرم الله فاستحق اللعنة فإن الله سبحانه حرمها على المطلق حتى تنكح زوجا غيره والنكاح اسم في كتاب الله وسنة رسوله للنكاح الذي يتعارفه الناس بينهم نكاحا وهو الذي شرع إعلانه والضرب عليه بالدفوف والوليمة فيه وجعل للإيواء والسكن.

وجعله الله مودة ورحمة وجرت العادة فيه بضد ما جرت به في نكاح المحلل فان المحلل لم يدخل على نفقه ولا كسوة ولا سكنى ولا إعطاء مهر ولا يحصل به نسب ولا صهر ولا قصد المقام مع الزوجة وإنما دخل عارية كالتيس المستعار للضراب ولهذا شبهه به النبي صلى الله عليه وسلم ثم لعنه فعلم قطعا لا شك فيه أنه ليس هو الزوج المذكور في القرآن ولا نكاحه هو النكاح المذكور في القرآن وقد فطر الله سبحانه قلوب الناس على أن هذا ليس بنكاح ولا

---

(١) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث ١٩٣٦ .
(٢) عبدالرزاق الصنعاني ،المصنف ، ج٦ ، ص ٢٦٥ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب في ١٢/٣١/ ٢٠٠٧ م.

المحلل بزوج وأن هذا منكر قبيح وتعير به المرأة والزوج والمحلل والولي فكيف يدخل هذا في النكاح الذي شرعه الله ورسوله وأحبه وأخبر أنه سنته ومن رغب عنه فليس منه.

وتأمل قوله تعالى في سورة البقرة: (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا..(٢٣٠))، أي فإن طلقها هذا الثاني فلا جناح عليها وعلى الأول أن يتراجعا أي ترجع إليه بعقد جديد فأتى بحرف إن الدالة على أنه يمكنه أن يطلق وأن يقيم والتحليل الذي يفعله هؤلاء لا يتمكن الزوج فيه من الأمرين بل يشرطون عليه أنه متى وطئها فهي طالق ثم لما علموا أنه قد لا يخبر بوطئها ولا يقبل قولها في وقوع الطلاق انتقلوا إلى أن جعلوا الشرط إخبار المرأة بأنه دخل بها فبمجرد إخبارها بذلك تطلق عليه والله سبحانه وتعالى شرع النكاح للوصلة الدائمة وللاستمتاع وهذا النكاح جعله أصحابه سببا لانقطاعه ولوقوع الطلاق فيه فإنه متى وطئ كان وطؤه سببا لانقطاع النكاح وهذا ضد شرع الله وأيضا فإن الله سبحانه جعل نكاح الثاني وطلاقه واسمه كنكاح الأول وطلاقه واسمه فهذا زوج وهذا زوج وهذا نكاح وهذا نكاح وكذلك الطلاق ومعلوم أن نكاح المحلل وطلاقه واسمه لا يشبه نكاح الأول ولا طلاقه ولا اسمه كاسمه ذاك زوج راغب قاصد للنكاح باذل للمهر ملتزم للنفقة والسكنى والكسوة وغير ذلك من خصائص النكاح والمحلل برئ من ذلك كله غير ملتزم لشيء منه. وإذا كان الله تعالى ورسوله قد حرم نكاح المتعة مع أن قصد الزوج الاستمتاع بالمرأة وأن يقيم معها زمانا وهو ملتزم لحقوق النكاح فالمحلل الذي ليس له غرض أن يقيم مع المرأة إلا قدر ما ينزو عليها كالتيس المستعار لذلك ثم يفارقها أولى بالتحريم[1].

س١٧٣: لماذا كان التحليل أعظم جرما من زواج المتعة ؟.

ج١٧٣: يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : سمعت شيخ الإسلام يقول: نكاح المتعة خير من نكاح التحليل من عشرة أوجه:

١- أن نكاح المتعة كان مشروعا في أول الإسلام ونكاح التحليل لم يشرع في زمن من الأزمان.

(١) ابن القيم اغاثة اللهفان ج١ ، ص ٢٧٦

٢- أن الصحابة تمتعوا على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يكن في الصحابة محلل قط.

٣- أن نكاح المتعة مختلف فيه بين الصحابة فأباحه ابن عباس وإن قيل: إنه رجع عنه وأباحه عبدالله بن مسعود ففي الصحيحين عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لنا نساء فقلنا: ألا نختصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم قرأ عبدالله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وفتوى ابن عباس بها مشهورة.قال عروة: قام عبدالله بن الزبير بمكة فقال: إن ناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة: يعرض بعبدالله بن عباس فناداه فقال: إنك لجلف جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال له ابن الزبير: فجرب نفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك.

فهذا قول ابن مسعود وابن عباس في المتعة وذاك قولهما وروايتهما في نكاح التحليل.

٤- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجئ عنه في لعن المستمتع والمستمتع بها حرف واحد وجاء عنه في لعن المحلل والمحلل له وعن الصحابة: ما تقدم.

٥- أن المستمتع له غرض صحيح في المرأة ولها غرض أن تقيم معه مدة النكاح فغرضه المقصود بالنكاح مدة والمحلل لا غرض له سوى أنه مستعار للضراب كالتيس فنكاحه غير مقصود له ولا للمرأة ولا للولي وإنما هو كما قال الحسن: مسمار نار في حدود الله وهذه التسمية مطابقة للمعنى، قال شيخ الإسلام: يريد الحسن: أن المسمار هو الذي يثبت الشيء المسمور فكذلك هذا يثبت تلك المرأة لزوجها وقد حرمها الله عليه.

٦- أن المستمتع لم يحتل على تحليل ما حرم الله فليس من المخادعين الذين يخادعون الله كأنما يخادعون الصبيان بل هو ناكح ظاهرا وباطنا والمحلل ماكر مخادع متخذ آيات الله هزوا ولذلك جاء في وعيده ما لم يجئ في وعيد المستمتع مثله ولا قريب منه.

٧- أن المستمتع يريد المرأة لنفسه وهذا سر النكاح ومقصوده فيريد بنكاحه حلها له ولا يطؤها حراما والمحلل لا يريد حلها لنفسه وإنما يريد حلها لغيره ولهذا سمي محللا فأين من يريد أن يحل له وطئ امرأة يخاف أن يطأها حراما إلى من لا يريد ذلك وإنما يريد بنكاحها أن يحل وطأها لغيره فهذا ضد شرع الله ودينه وضد ما وضع له النكاح.

٨- أن الفطر السليمة والقلوب التي لم يتمكن منها مرض الجهل والتقليد تنفر من التحليل أشد نفار وتعير به أعظم تعيير حتى إن كثيرا من النساء تعير المرأة به أكثر مما تعيرها بالزنا ونكاح المتعة لا تنفر منه الفطر والعقول ولو نفرت منه لم يبح في أول الإسلام.

٩- أن نكاح المتعة يشبه إجارة الدابة مدة للركوب وإجارة الدار مدة للانتفاع والسكنى وإجارة العبد للخدمة مدة ونحو ذلك مما للباذل فيه غرض صحيح ولكن لما دخله التوقيت أخرجه عن مقصود النكاح الذي شرع بوصف الدوام والاستمرار وهذا بخلاف نكاح المحلل فإنه لا يشبه شيئا من ذلك ولهذا شبهه الصحابة رضي الله عنهم بالسفاح وشبهوه باستعارة التيس للضراب.

١٠- أن الله سبحانه نصب هذه الأسباب كالبيع والإجارة والهبة والنكاح مفضية إلى أحكام جعلها مسببات لها ومقتضيات فجعل البيع سببا لملك الرقبة والإجارة سببا لملك المنفعة أو الانتفاع والنكاح سببا لملك البضع وحل الوطء والمحلل مناقض معاكس لشرع الله تعالى ودينه فإنه جعل نكاحه سببا لتمليك المطلق البضع وإحلاله له ولم يقصد بالنكاح ما شرعه الله له من ملكه هو للبضع وحله له ولا له غرض في ذلك ولا دخل عليه وإنما قصد به أمرا آخر لم يشرع له ذلك السبب ولم يجعل طريقا له.

١١- أن المحلل من جنس المنافق فإن المنافق يظهر أنه مسلم ملتزم لعقد الإسلام ظاهرا وباطنا وهو في الباطن غير ملتزم له وكذلك المحلل يظهر أنه زوج وأنه يريد النكاح ويسمى المهر ويشهد على رضى المرأة وفي الباطن بخلاف ذلك ولا القيام بحقوق

النكاح وقد أظهر خلاف ما أبطن وأنه مريد لذلك والله يعلم والحاضرون والمرأة وهو والمطلق: أن الأمر كذلك وأنه غير زوج على الحقيقة ولا هي امرأته على الحقيقة.

١٢- أن نكاح المحلل لا يشبه نكاح أهل الجاهلية ولا نكاح أهل الإسلام فكان أهل الجاهلية يتعاطون في أنكحتهم أمورا منكرة ولم يكونوا يرضون نكاح التحليل ولا يفعلونه)[١] .

س١٧٤: لماذا أباح الإسلام للرجل أن يجمع بين أربع نساء ؟

ج١٧٤ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (تعدد الزوجات شيء شرعه الله لعباده مع القدرة، وفيه مصالح كثيرة للزوجين للرجال والنساء جميعا:

١- أن الرجل قد لا تعفه المرأة الواحدة، قد يكون كثير الشهوة شديد الشهوة فلا تعفه الواحدة ولا تعفه الاثنتان ولا تعفه الثلاث، فجعل الله له طريقا إلى إعفاف نفسه بالطريق الحلال، من طريق أربع من النساء.

٢- : ما في التمتع بالأربع من قضاء الوطر وطيب النفس والبعد عن الفواحش، فإن هذا يعينه على غض بصره، وبعده عما حرم الله.

٣- إعفاف الناس؛ فإنه ليس كل امرأة تجد رجلا وحده قد يكون الرجال أقل من النساء ولا سيما عند الحروب، ولاسيما في آخر الزمان كما أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام، فمن رحمة الله أن يكون للرجل أربع حتى يعف أربعا وينفق على أربع، ففي هذا مصالح لجنس النساء أيضا، فإن وجود ربع زوج خير لها من عدم زوج بالكلية، يكون لها الربع أو الثلث أو النصف يكون خيرا لها من العدم، ففي ذلك إعفافها، وفي ذلك أيضا الإنفاق عليها وصيانتها والحياطة دونها.

٤- الأولاد، وجود الأولاد وكثرة النسل وتكثير الأمة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة وفي لفظ الأنبياء يوم

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان ج١ ، ص ٤٩٠
(٢) ابن القيم . الطرق الحكمية ج١ ، ص ٢٣

القيامة فوجود النسل وكثرة الأولاد في هذه الأمة أمر مطلوب مقصود.

٥- أن في تزوج الإنسان من هنا، ومن هنا، ومن هنا، وجود الترابط بين الأسر والتعاون والتحاب والتآلف؛ فيكثر الترابط بين المجتمع، والتعاون بين الإنسان مع أنسابه وأصهاره في الغالب يتعاون معهم ويكون بينهم صلة مودة وترابط يعين على أمور الدين والدنيا جميعا.)[١] .

٦- عقم المرأة، أو مرضها، أو سوء طباعها، فقد تكون عقيمة لا تلد، أو مريضة لا تستطيع تلبية رغبات زوجها، أو سيئة الخلق لا تمكِّن نفسها من زوجها .

٧- كراهية الرجل للمرأة، إما بسبب نزاع بينه وبينها، أو بينه وبين أهلها، فيشتد الأمر، ويتصلب الطرفان، وتستعصي الحلول .

وللتعدد شروط أهمها :

بعد أن صارت المسائل المتعلقة بتعدد الزوجات في الإسلام كالتعريف والنشأة والحكم الصحيح لها واضحة، يمكن الآن تبيان شروط تعدد الزوجات في الإسلام، وشرحه وتفصيله للباحث عنه، ولعل أبرز شورط تعدد الزوجات في الإسلام، والتي يرد الحديث عنها في كتب الفقه والدين هي:

١- العدل: إن الله تعالى أباح للرجل أن يتزوج زوجة ثانية وثالثة ورابعة، ولكن جعل هذه الإباحة مشروطة بالعدل بين الزوجات ولعل العدل هنا يُقصد به الناحية المادية مثل:

أ- العدل في الإنفاق.

ب- العدل في المبيت.

ت- عدل في الكسوة .

وغيرها من الأمور المادية التي يقدر عليها، أما المحبة فهي أمر خارج عن إرادته قد لا يستطيعه.

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

٢- القدرة المالية: أيضًا من شروط تعدد الزوجات في الإسلام أن يتمتع الرجل الذي يريد أن يتزوج زوجة ثانية أو ثالثة أو رابعة بالقدرة على الإنفاق على زوجاته، وتغطية مصروفهن ومتطلباتهن الأساسية، فإن وجد في نفسه عدم القدرة على هذا الأمر فما عليه إلا أن يستعفف لتعذر تغطية تكاليف النكاح.

٣- القدرة البدنية: لا بد للرجل الذي يريد أن يعدد في زوجاته أن يكون واثقًا من قدرته البدنية على الجماع، إذ إنه من الأمور التي يقوم عليها الزواج، وهو من متطلبات الحياة الزوجية التي لا بد أن يعدل فيها الرجل أيضًا، ولعل ما ورد هو أبرز شروط تعدد الزوجات في الإسلام التي لا بد من توافرها في الرجل الذي ينوي هذا الأمر.

س١٧٥: لماذا سمي المهر صداقاً وصدقة؟.

ج١٧٥: للصداق في اللغة له أسماء كثيرة منها :

١- المهر، يقال: مهرت المرأة إذا أعطيتها المهر، ولا يقال: أمهرتها، بمعنى أعطيتها المهر، وإنما يقال: أمهرها، إذا زوجها من غيره على مهر.

٢- الصداق بفتح الصاد. وكسرها، مع فتح الدال. وهو اسم مصدر لأصدقت الرباعي. يقال: أصدقت المرأة إصداقاً، إذا سميت لها الصداق ، فالمصدر الإصداق، واسم المصدر الصداق.

وفي الصداق لغات، فيقال فيه: صدقة. بفتح الصاد وضم الدال. وصدقة، وصدقة. بسكون الدال فيهما، مع فتح الصاد وضمها وهو في الأصل مأخوذ من الصدق. لأن فيه إشعاراً برغبة الزوج في الزواج ببذل المال. ومن هنا يمكن أن يقال: إن معنى الصداق في اللغة دفع المال المشعر بالرغبة في عقد الزواج. فيكون المعنى اللغوي مقصوراً على ما وجب بالعقد. فيكون أخص من المعنى الشرعي. لأن المعنى الشرعي يتناول ما دفع للمرأة بوطء الشبهة وغيره. مما ستعرفه. وهذا على خلاف الغالب. فإن الغالب أن يكون المعنى الشرعي أخص من اللغوي.

أما معناه اصطلاحاً. فهو اسم للمال الذي يجب للمرأة في عقد النكاح في مقابلة الاستمتاع بها. وفي الوطء بشبهة. أو نكاح فاسد أو نحو ذلك)[1] .

س١٧٦: لماذا سمي المهر أجرا ؟.

ج١٧٦: قال تعالى: (وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا(٢٤))[2] .

وقال: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ،، (٥))[3].

وقال تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ.. (٥٠))[4].

فسماه الله تعالى أجرا ليبين أهمية النكاح وخطره ، وشرف المرأة ، وأن الرجل لم يأخذها مجانا.

س١٧٧ لماذا عبر القرآن الكريم عن إيتاء المهور بالنحلة - أي الفريضة - مع كونها واجبة على الأزواج؟

ج١٧٧: قال الله تعالى : (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا(٤))[5] ، فسماه الله تعالى نحلة ، أي : عطية، لأنه في غير مقابل يختص به الرجل؛ إذ الاستمتاع حاصل لها ، كما هو حاصل له.

قال الألوسي في تفسيره: (فإن قلت: إن النحلة : أُخِذ في مفهومها أيضاً عدم العوض، فكيف يكون المهر بلا عوض وهو في مقابلة البضع والتمتع به ؟.

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ، ج٤ ، ص ٨٩.
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة الأحزاب .
(٥) سورة النساء .

أجيب بأنه لما كان للزوجة في الجماع ، مثل ما للزوج أو أزيد ، وتزيد عليه بوجوب النفقة والكسوة ؛ كان المهر مجاناً ، لمقابلة التمتع بتمتع أكثر منه ، وقيل : إن الصداق كان في شرع من قبلنا للأولياء ، بدليل قوله تعالى : (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابنتيَّ ...(٢٧))[١] ، ثم نسخ فصار ذلك عطية اقتطعت لهنّ ، فسمي نحلة[٢].

س١٧٨: لماذا تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من عدة قبائل ؟.

ج١٧٨ : لتوثيق العلاقات بينه وبين بعض القبائل، وتقوية الروابط عسى أن يعود ذلك على الإسلام بالقوة، ويساعد على نشره؛ لما في المصاهرة من زيادة الألفة، وتأكيد أواصر المحبة والإخاء:

١- زواجه بالسيدة جويرية بنت الحارث، سيد بنى المصطلق، من خزاعة، وقعت في الأسر، تزوجها سنة ٦هـ.

٢- و وزواجه بالسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، تنصر زوجها وبقيت هي على إسلامها، وكان للزواج منها كبير الأثر في كسر حدة أبي سفيان في العداء للإسلام، حتى هداه الله.

٣- وزواجه بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب كانت من سبي خيبر أعتقها الرسول وتزوجها سنة ٧هـ.

وقد كتبت بالتفصيل عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قبل هذا ، وأسباب زواجه منهن رضوان الله عليهن أجمعين ، وفي ذلك رد على المغرضين من أعداء الدين من غير المسلمين وممن نسميهم بالمتأسلمين من العرب ومن غيرهم كمثال فقط : صاحب الآيات الشيطانية سلمان رشدي ، وقد وضح علماؤنا الأفاضل قديما وحديثا في ردودهم على أولئك بالأدلة والبراهين التي تفند ما ذهبوا إليه .

---

(١) سورة القصص .
(٢) الألوسي ، التفسير ، ج٣ ، ص ٤٢١
(٣) الإسلام سؤال وجواب ، ٢٥/١/ ٢٠١٧م.

س١٧٨: لماذا نهى الإسلام عن الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ؟.

ج١٧٨: يقول الله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٣))[١].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره: (هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب ، والمحرمات بالرضاع ، والمحرمات بالصهر ، والمحرمات بالجمع ، وعلى المحللات من النساء ....

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان، قال: وتحبين؟! قلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن ذلك لا يحل لي، قلت: يا رسول الله، فو الله إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح درة بنت أبي سلمة! قال: بنت أم سلمة؟ فقلت: نعم، قال: فو الله لو لم تكن في حجري ما حلت لي؛ إنها لابنة أخي من الرضاعة، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن)[٢] ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها)[٣] .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها)[٤] .

وأما المحرمات بالجمع ، فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرَّمه ، وحرم النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، فكل امرأتين بينهما رحم محرم ، لو قدر

---

(١) سورة النساء .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥١٠٧ .وعند مسلم رقم الحديث ١٤٤٩ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥١٠٩ ، وعند مسلم رقم الحديث ١٤٠٨ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥١٠٨ .

إحداهما ذكرًا والأخرى أنثى ، حرمت عليه ، فإنه يحرم الجمع بينهما ؛ وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام[1]..

قال ابن قدامة رحمه الله في بيان محرمات النكاح : (والجمع بين المرأة وعمتها ، وبينها وبين خالتها) قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على القول به ، وليس فيه - بحمد الله - اختلاف ، إلا أن بعض أهل البدع ممن لا تعد مخالفته خلافا ، وهم الرافضة والخوارج ، لم يحرموا ذلك ، ولم يقولوا بالسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث أبي هريرة (السابق ذكره) ...ولأن العلة في تحريم الجمع بين الأختين إيقاع العداوة بين الأقارب ، وإفضاؤه إلى قطيعة الرحم المحرم ، وهذا موجود فيما ذكرنا .

فإن احتجوا بعموم قوله سبحانه : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) خصصناه بما رويناه)[2]، [3] .

وفي ذلك إيقاع العداوة بين الأقارب ، وإفضاؤه إلى قطيعة الرحم المحرم ، فإذا نكح الرجل المرأة ثم نكح عليها بنت أختها أو بنت أخيها أو عمتها أو خالتها فالعادة والمتبع أنه يحصل بين الضرتين كثير من الشنآن والبغضاء والعداوة والمقاطعة، فيكون هو الذي سبب مقاطعتها ، العادة أن النساء يكون بينهن غيرة على الزوج، فالذي يشاركها في زوجها تغار عليه وتحسده فيقع منها أنها تبغض بنت أخيها أو تبغض عمتها وتحقد عليها ، وتوصل إليها الضرر وتتنقصها وتغتابها وتسيء بها الظن وتكلم فيها بالغيبة فيقع من ذلك المقاطعة فيكون ذلك سببًا في قطيعة الرحم إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم هذه هي العلة.

س١٧٩: لماذا حرم الإسلام زواج الشغار ؟.

ج ١٧٩ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (نكاح الشغار ويسميه بعض الناس نكاح البدل هذا النكاح على حسب أسمائه يعرف بأنه اشتراط امرأة في امرأة، اشتراط أحد الوليين الزوجة الأخرى، والآخر كذلك، كل واحد يقول: زوجني بنتك وأزوجك بنتي، أو أختك وأزوجك

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ١٧٣ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٧ ، ص ٨٩ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب ، في ٤/٤ / ٢٠١٠ م.

أختي وما أشبه ذلك، هذا قد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة "نهى عن الشغار"، في الصحيحين من حديث ابن عمر، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، ومن حديث جابر، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : الشغار أن يقول الرجل: زوجني ابنتك وأزوجك بنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي، هذا هو الشغار، فإذا وقع فالصحيح أنه يكون فاسدًا ،والواجب أن يجدد إذا كان لهما رغبة فيما بينهما يجدد من غير شرط المرأة الثانية، كل واحد يجدد من غير شرط المرأة الثانية، ولو مضى عليه سنوات، يجدد إذا كانت ترغب فيه و يرغب فيها، يجدد النكاح بحضرة شاهدين، وبمهر جديد، من دون أن يشترط عليه المرأة الأخرى، وهكذا الآخر، كل واحد يجدد، إذا كانت ترغب في زوجته، وهو يرغبها، أما إن كان لا يرغب أحدهما في الآخر فإنه يطلقها طلقة واحدة؛ لأن هذا النكاح فاسد، فلا بد فيه من طلقة واحدة، تمنع تعلق أحدهما بالآخر، وتحتج بها في تزوجها لغيره إذا اعتدت)[1].

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الشِّغَارِ . زَادَ ابْنُ نُمَيْرٍ : (وَالشِّغَارُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ وَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي ، أَوْ زَوِّجْنِي أُخْتَكَ وَأُزَوِّجُكَ أُخْتِي)[2] ، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا شِغَارَ فِي الإِسْلامِ)[3] ، عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن هُرْمُزَ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنْكَحَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَكَمِ ابْنَتَهُ وَأَنْكَحَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَتَهُ ، وَقَدْ كَانَا جَعَلا صَدَاقًا ، فَكَتَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ خَلِيفَةٌ إِلَى مَرْوَانَ يَأْمُرُهُ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا ، وَقَالَ فِي كِتَابِهِ : هَذَا الشِّغَارُ الَّذِي نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4].

الزواج على سبيل البدل له ثلاث صور :

الأولى : أن يتزوج كلُّ واحدٍ منهما من قريبة الآخر ومن هي تحت ولايته ، دون اشتراط أن يكون زواج أحدهما مبنياً على زواج الآخر ومتوقفاً عليه ، ومع وجود مهر مقرَّر لكلٍّ منهما .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز في شبكة الإنترنيت ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤١٦ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٤١٥ .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٦٤١٤ ، وأبو داوود في صحيحه رقم الحديث ٢٠٧٥ .

فهذه الصورة ليست من نكاح الشغار ولا حرج فيها ، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة ، المجموعة الأولى:(أما إن خطب هذا مولية هذا ، وخطب الآخر موليته ، من دون مشارطة ، وتم النكاح بينهما برضى المرأتين مع وجود بقية شروط النكاح : فلا خلاف في ذلك ، ولا يكون حينئذ من نكاح الشغار)[١]..

الثانية : أن يتم الزواج بشرط أن يزوج كل واحد منهما موليته من الآخر ، مع عدم وجود مهر لهما ، بحيث يكون بُضْعُ كل واحدةٍ منهما فِي مُقابَلة بضْع الأخرَى ، فهذه الصورة من الشغار المنهي عنه في السنة النبوية باتفاق العلماء ، قال الإمام الشافعي رحمه الله :(فَإِذَا أَنْكَحَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ أَوْ الْمَرْأَةَ يَلِي أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ ، عَلَى أَنْ يُنْكِحَهُ ابْنَتَهُ أَوْ الْمَرْأَةَ يَلِي أَمْرَهَا مَنْ كَانَتْ ، عَلَى أَنَّ صَدَاقَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بُضْعُ الْأُخْرَى ، وَلَمْ يُسَمَّ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا صَدَاقٌ : فَهَذَا الشِّغَارُ الَّذِي نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَلاَ يَحِلُّ النِّكَاحُ ، وَهُوَ مَفْسُوخٌ)[٢].

وقال ابن عبد البر رحمه الله: (وَأَمَّا مَعْنَاهُ فِي الشَّرِيعَةِ : فَهُوَ أَنْ يُنْكِحَ الرَّجُلُ وَلِيَّتَهُ رَجُلًا عَلَى أَنْ يُنْكِحَهُ الْآخَرُ وَلِيَّتَهُ ، وَلَا صَدَاقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بُضْعُ هَذِهِ بِبُضْعِ هَذِهِ ، عَلَى مَا فَسَّرَهُ مَالِكٌ وَجَمَاعَةُ الْفُقَهَاءِ)[٣]، وقال أيضاً : (وهذا ما لا خلاف بين العلماء فيه أَنَّهُ الشِّغَارُ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ) [٤].

وقال ابن رشد رحمه الله :" فَأَمَّا نِكَاحُ الشِّغَارِ ، فَإِنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ صِفَتَهُ هُوَ أَنْ يُنْكِحَ الرَّجُلُ وَلِيَّتَهُ رَجُلًا آخرَ عَلَى أَنْ يُنْكِحَهُ الْآخَرُ وَلِيَّتَهُ ، وَلَا صَدَاقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بُضْعَ هَذِهِ بِبُضْعِ الْأُخْرَى ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ نِكَاحٌ غَيْرُ جَائِزٍ ؛ لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنْهُ)[٥] ، وهذا الحكم لا يقتصر على البنت أو الأخت ، بل يشمل كل من كانت تحت ولايته .

---

(١) فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، ج ١٨ ، ص ٤٢٧ .
(٢) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٦ ، ص ١٩٨ .
(٣) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٥ ، ص ٤٦٥ .
(٤) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج١٤ ، ص ٧٠ .
(٥) ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج٣ ، ص ٨٠ .

قال النووي رحمه الله : (وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ غَيْرَ الْبَنَاتِ مِنَ الْأَخَوَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَالْعَمَّاتِ وَبَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْإِمَاءِ ، كَالْبَنَاتِ فِي هَذَا)[1] .

وعلماء المذهب الحنفي يوافقون جمهور العلماء على أن هذه الصورة من النكاح ، منهي عنها ولا تجوز ، إلا أنهم يصححون النكاح ، ويوجبون فيه مهر المثل لكل واحدة منهما ، قالوا : وبذلك لا يكون شغارا[2] .

الثالثة : أن يزوج الرجل ابنته أو أخته أو من هي تحت ولايته ، بشرط أن يزوجه الآخر ابنته أو موليته ، لكن مع وجود مهرٍ لكلٍّ منهما ، سواء كان متساوياً أو مختلفاً .

فهذه الصورة محل خلاف بين العلماء .

فذهب بعض العلماء إلى أن هذه الصورة تدخل في الشغار المنهي عنه أيضاً ، وأن وجود الشرط كافٍ في جعلها من نكاح الشغار ، وهو قول الظاهرية ، واختاره بعض العلماء من الشافعية والحنابلة .

قال الخرقي الحنبلي رحمه الله :(وإذا زوجه وليته ، على أن يزوجه الآخر وليته : فلا نكاح بينهما ، وإن سموا مع ذلك أيضا صداقا)[3].

واختار هذا القول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى ، واللجنة الدائمة للإفتاء ، فجاء في فتواهم : إذا زوَّج الرجل موليته لرجل ، على أن يزوجه الآخر موليته : فهذا هو نكاح الشغار الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذي يسميه بعض الناس نكاح (البدل)، وهو نكاح فاسد ، سواء سمِّي فيه مهر أم لا ، وسواء حصل التراضي أم لا)[4]، واحتجوا بما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : (نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشِّغَارِ ، وَالشِّغَارُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ وَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي ، أَوْ زَوِّجْنِي أُخْتَكَ

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٩ ، ص ٢٠١ .
(٢) السرخسي ، المبسوط ، ج٥ ، ص ١٠٥ .والكاساني في بدائع الصنائع ، ج٢ ، ص ٢٧٨ .
(٣) ابن حزم ، المحلى ، ج٩ ، ص ١١٨ .ومختصر القي ، ص ٢٣٨ .
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١٨ ، ص ٤٢٧ .

وَأُزَوِّجُكَ أُخْتِي)[1] .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله :(والصواب أنه يكون شغارا مطلقا ، إذا كان فيه الشرط ؛ لظاهر الأحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : (والشغار أن يقول الرجل : زوجني أختك وأزوجك أختي أو زوجني بنتك وأزوجك بنتي) ، ولم يقل : وليس بينهما صداق ، بل أطلق)[2].

وقال أيضاً رحمه الله :(نكاح البدل لا يجوز ، ويسمى نكاح الشغار ، وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث ، فلا يجوز نكاح البدل بالمشارطة ، يقول هذا : زوجني أختك ، وأزوجك أختي ، أو زوجني بنتك وأزوجك بنتي ، هذا هو نكاح البدل ويقال له : نكاح الشغار ، ولو سمى مهرا ، ولو تساوى المهر ، ولو اختلف المهر ، ما دام فيه مشارطة لا يجوز)[1] .

وهذا النكاح يسميه المالكية : (وجه الشغار) ، والحكم فيه عندهم : أنه يفسخ قبل الدخول استحباباً ، وأما بعد الدخول فيحكم بصحته ، مع ثبوت الأكثر من مهر المثل ، أو المهر المسمى لكل منهما ، ففي " التهذيب في اختصار المدونة:(وإن قال له : زوجني ابنتك بمائة على أن أزوجك ابنتي بمائة ، أو قال : بخمسين ، فلا خير فيه ، وهو من وجه الشغار ، ويفسخ قبل البناء ويثبت بعده ، ويكون لكل واحدة منهما الأكثر من التسمية أو صداق المثل ، وليس هذا بصريح الشغار لدخول الصداق فيه)[4].

وإنما سمي (وجه الشغار) : (لِأَنَّهُ شِغَارٌ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ ، فَحَيْثُ إنَّهُ سَمَّى لِكُلٍّ مِنْهُمَا صَدَاقًا ، لَيْسَ بِشِغَارٍ ؛ لِعَدَمِ خُلُوِّ الْعَقْدِ عَنْ الصَّدَاقِ ، وَمِنْ حَيْثُ إنَّهُ شَرْطُ تَزَوُّجِ إحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى ، فَهُوَ شِغَارٌ)[5] ، والذي عليه جمهور العلماء أن هذا النكاح لا يعد

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤١٦ .
(٢) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج٢٠ ، ص ٢٨٠ .
(٣) الشيخ ابن باز ، فتاوى نور على الدرب ، ج٢١ ، ص ٢٦ .
(٤) خلف الأزدي ، التهذيب في اختصار المدونة ، ج٢ ، ص ١٣٢ .
(٥) العدوي ، حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني ، ج٢ ، ص ٥٢ .

من الشغار ، إذا تم تسمية مهرٍ لكلٍّ منهما .

قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ رحمه الله :(وَإِذَا زَوَّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ الرَّجُلَ أَوْ الْمَرْأَةَ يَلِي أَمْرَهَا ، عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ ، أَوْ الْمَرْأَةَ يَلِي أَمْرَهَا ، عَلَى أَنَّ صَدَاقَ إحْدَاهُمَا كَذَا ، لِشَيْءٍ يُسَمِّيهِ ، وَصَدَاقَ الْأُخْرَى كَذَا ، لِشَيْءٍ يُسَمِّيهِ ، أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ ... = فَلَيْسَ هَذَا بِالشِّغَارِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ)[٢] .

وقال ابن قدامة رحمه الله : (فَأَمَّا إنْ سَمَّوْا مَعَ ذَلِكَ صَدَاقًا ، فَقَالَ : زَوَّجْتُك ابْنَتِي ، عَلَى أَنْ تُزَوِّجُنِي ابْنَتَك ، وَمَهْرُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِائَةٌ ، أَوْ مَهْرُ ابْنَتِي مِائَةٌ وَمَهْرُ ابْنَتِك خَمْسُونَ ، أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ ، فَالْمَنْصُوصُ عَنْ أَحْمَدَ فِيمَا وَقَفْنَا عَلَيْهِ : صِحَّتُهُ)[٣].

وقال ابن القيم : (وَاخْتُلِفَ فِي عِلَّةِ النَّهْيِ :قِيلَ : هِيَ جَعْلُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْعَقْدَيْنِ شَرْطًا فِي الْآخَرِ ، وَقِيلَ : الْعِلَّةُ التَّشْرِيكُ فِي الْبُضْعِ ، وَجَعْلُ بُضْعِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مَهْرًا لِلْأُخْرَى ، وَهِيَ لَا تَنْتَفِعُ بِهِ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهَا الْمَهْرُ ، بَلْ عَادَ الْمَهْرُ إِلَى الْوَلِيِّ ، وَهُوَ مِلْكُهُ لِبُضْعِ زَوْجَتِهِ بِتَمْلِيكِهِ لِبُضْعِ مُوَلِّيَتِهِ ، وَهَذَا ظُلْمٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَرْأَتَيْنِ ، وَإِخْلَاءٌ لِنِكَاحِهِمَا عَنْ مَهْرٍ تَنْتَفِعُ بِهِ ، وَهَذَا هُوَ الْمُوَافِقُ لِلُغَةِ الْعَرَبِ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ : بَلَدٌ شَاغِرٌ مِنْ أَمِيرٍ ، وَدَارٌ شَاغِرَةٌ مِنْ أَهْلِهَا : إِذَا خَلَتْ ، وَشَغَرَ الْكَلْبُ : إِذَا رَفَعَ رِجْلَهُ وَأَخْلَى مَكَانَهَا)[٤] .

ويدل على هذا : ما رواه البخاري ، ومسلم من طريق مَالِكٌ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشِّغَارِ : " وَالشِّغَارُ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ ابْنَتَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ)[٥].

قَالَ الإمام الشَّافِعِيُّ رحمه الله :(لاَ أَدْرِي تَفْسِيرَ الشِّغَارِ فِي الْحَدِيثِ ، أَوْ مِنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَوْ نَافِعٍ ، أَوْ مَالِكٌ)[٦] .

---

(١) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٥ ،ص ٨٣ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٧ و ص ١٧٧ .
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٩٩
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥١١٢ ، وعند مسلم رقم الحديث ١٤١٥ .
(٥) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٦ ، ص ١٩٧.

وقد جاء ما يدل على أن هذا التفسير من نافع رحمه الله تعالى ، ففي صحيح البخاري عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بن عمر العمَري ، قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشِّغَارِ " .قُلْتُ لِنَافِعٍ : مَا الشِّغَارُ ؟قَالَ : (يَنْكِحُ ابْنَةَ الرَّجُلِ وَيُنْكِحُهُ ابْنَتَهُ بِغَيْرِ صَدَاقٍ ، وَيَنْكِحُ أُخْتَ الرَّجُلِ وَيُنْكِحُهُ أُخْتَهُ بِغَيْرِ صَدَاقٍ)[1] .

وقال الجوهري في الصحاح :(والشِغارُ بكسر الشين : نِكاح كان في الجاهلية ، وهو أن يقول الرجل لآخر : زَوِّجْني ابنتك أو أختك على أن أزوِّجك أختي أو ابنتي ، على أنَّ صداق كلِّ واحدة منهما بُضْعُ الأخرى ، كأنَّهما رفعا المهر وأخليا البُضْعَ عنه)[2] .

وأما ما رواه مسلم من طريق ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بن عمر العمري ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ : (نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشِّغَارِ ، وَالشِّغَارُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ : زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ وَأُزَوِّجُكَ ابْنَتِي ، أَوْ زَوِّجْنِي أُخْتَكَ وَأُزَوِّجُكَ أُخْتِي) ، فتفسير الشغار فيه ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً ، فقد رواه النسائي: وبين فيه أن تفسير الشغار ، هو في قول عبيد الله بن عمر العمري – أحد رواة الحديث – ، وليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم[3] ، وعلى هذا ، فلا حجة في هذا التفسير ، بل تفسير نافع أولى بالقبول منه ، وما ذهب إليه جمهور العلماء : أقوى وأرجح ، فإذا فُرض لها مهر مثلها ، وكان الزوج كفئا رضيت المرأة به : فليس هذا بنكاح الشغار .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(وَالصَّوَابُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ وَهُوَ الْمَنْصُوصُ عَنْ أَحْمَد فِي عَامَّةِ أَجْوِبَتِهِ ؛ وَعَامَّةُ أَكْثَرِ قُدَمَاءِ أَصْحَابِهِ : أَنَّ الْعِلَّةَ فِي إفْسَادِهِ بِشَرْطِ إشْغَارِ النِّكَاحِ عَنْ الْمَهْرِ)[4] .

وقد اختار هذا القول سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله ، فإنه سئل عن نكاح

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٩٦٠ .
(٢) الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص ٧٠٠ .
(٣) النسائي ، سنن النسائي ، ج٦ ، ص ١١٢ .

البدل إذا كانت كل واحدة من الزوجتين راضية وكان لها مهرها كاملا ، فأجاب : (إذا كان الأمر كما ذكرت من أن لكل واحدة من الزوجين مهر مثلها ، وأن كل واحدة منهما راضية بالزواج من الآخر : فلا بأس بالزواج المذكور ، وليس من الشغار المحرم)[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" إذا كان المهر مهر مثلها لم ينقص ، والمرأة قد رضيت بالزوج ، وهو كفء لها ، فإن هذا صحيح ، وهذا هو الصحيح عندنا ، أنه إذا **اجتمعت شروط ثلاثة :**

١- الكفاءة .

٢- مهر المثل.

٣- الرضا .

فإن هذا لا بأس به ؛ لأنه ليس هناك ظلم للزوجات ، فقد أعطين المهر كاملاً ، وليس هناك إكراه ، بل غاية ما هنالك أن كل واحد منهما قد رغب ببنت الآخر ، فشرط عليه أن يزوجه فظاهر الأدلة يقتضي أنه إذا وجد مهر العادة ، والرضا ، والكفاءة : فلا مانع[2].

ومع القول بصحة العقد في هذه الصورة ، إلا أنه لا ينبغي سلوك هذه الطريق في الزواج ، قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في مجموع فتاويه: (وينبغي أن يلاحظ في المستقبل : بأن لا يعقد نكاحا فيه مبادلة ، سواء ذكر فيه مهرا أم لا ؛ لقوة القول بفساده؛ لما فيه من فساد عظيم ؛ لأنه يفضي إلى إجبار النساء على نكاح من لا يرغبن فيه ، إيثارا لمصلحة الأولياء على مصلحة النساء ، وهذا ، كما لا يخفى : لا يجوز ؛ ولأنه يؤدي أيضا إلى حرمان النساء من مهور أمثالهن ، كما هو الواقع بين غالب الناس المتعاطين لهذا الأمر ، كما أنه يفضي إلى كثير من النزاع والخصومات بعد الزواج)[4].

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٣٤ ، ص ١٢٦ .
(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ، ج١٠ ، ص ١٥٩ .
(٣) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١٢ ، ص ١٧٤ .
(٤) الشيخ محمد بن إبراهيم ، الفتاوى ، ج١٠ ، ص ١٥٨ .

ثالثاً :إذا وقع نكاح الشغار يعني : في الصورة التي اتفق العلماء على أنها من الشغار المنهي عنه ، على ما سبق فهو باطل يجب فسخه عند جمهور العلماء ، وتجديد العقد ، فقد سئل الإمام مالك رحمه الله كما في المدونة الكبرى:" أَرَأَيْتَ نِكَاحَ الشِّغَارِ إذَا وَقَعَ ، فَدَخَلَا بِالنِّسَاءِ وَأَقَامَا مَعَهُمَا حَتَّى وَلَدَتَا أَوْلَادًا ؛ أَيَكُونُ ذَلِكَ جَائِزًا أَمْ يُفْسَخُ ؟ قَالَ : قَالَ مَالِكٌ : يُفْسَخُ عَلَى كُلِّ حَالٍ)[١] ، وقال الشافعي :(فَلاَ يَحِلُّ النِّكَاحُ ، وَهُوَ مَفْسُوخٌ)[٢] ، وقال ابن قدامة رحمه الله :(وَلَا تَخْتَلِفُ الرِّوَايَةُ عَنْ أَحْمَدَ ، فِي أَنَّ نِكَاحَ الشِّغَارِ فَاسِدٌ)[٣]، وقال ابن عبد البر رحمه الله المالكي : (وَلَا يَصِحُّ عَقْدُ هَذَا النِّكَاحِ ، وَيُفْسَخُ قَبْلَ الْبِنَاءِ وَبَعْدَهُ)[٤].

وعليه : فمن تبين له أن زواجه كان على سبيل الشغار ، فيجب عليه فسخ هذا النكاح ، وعقده من جديد مع توفر سائر شروطه ، وأن يفرض للمرأة فيه مهراً يتراضيان عليه ، فقد سئل سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله عن نكاح الشغار فقال : " النكاح فاسد ، ويلزم التفريق بينهما... ثم بعد ذلك هو خاطب من الخطاب إذا رغبته المرأة ودفع لها مهر مثلها : جاز له نكاحها بعقد جديد[٥].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : (فيزوجه وليها من جديد ، بعقد شرعي ومهر شرعي ، وبحضور شاهدين ، ولا حاجة إلى عدة بل في الحال ؛ لأن الماء ماؤه أما إذا كان لا يرغب فيها ، وهي لا ترغب فيه ، فيطلقها طلقة واحدة ، فإذا اعتدت تزوجها من شاءت)[٦].

ولكن سبق أن علماء المذهب الحنفي يصححون النكاح في هذه الصورة ، ويوجبون مهر المثل لكل امرأة ، فمن قلدهم في هذا القول ، أو كان في بلد عامة أهله على المذهب الحنفي ، أو القضاء في محاكمهم عليه : فإنه لا يفسخ نكاحه ، كما هي القاعدة في المسائل الاجتهادية .

---

(١) الإمام مالك ، المدونة الكبرى ، ج٢ ، ص ٩٨ .
(٢) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٦ ، ص ١٩٨ .
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص ٤٢ .
(٤) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج١٦ ، ٢٠٣
(٥) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ، ج١٠ ، ص ١٦٠ .
(٦) ابن باز ، فتاوى نور على الدرب ، ج٢١ ، ص ٣٩ .

قال ابن قدامة رحمه الله ، بعد الكلام على بطلان النكاح من غير ولي ، كما هو مذهب جمهور العلماء ، خلافا للأحناف : (فَإِنْ حَكَمَ بِصِحَّةِ هَذَا الْعَقْدِ حَاكِمٌ ، أَوْ كَانَ الْمُتَوَلِّي لِعَقْدِهِ حَاكِمًا : لَمْ يَجُزْ نَقْضُهُ؛ وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَنْكِحَةِ الْفَاسِدَةِ)[1] .

وقال ابن مفلح رحمه الله : (وَمَنْ قَلَّدَ فِي صِحَّةِ نِكَاحٍ ، لَمْ يُفَارِقْ بِتَغَيُّرِ اجْتِهَادِهِ ؛ كَحُكْمٍ)[2] .

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن نكاح التحليل ، وماذا لو قلد المسلم بعض العلماء الذين أجازوه ؟فأجاب :" التَّحْلِيلُ الَّذِي يَتَوَاطَئُونَ فِيهِ مَعَ الزَّوْجِ – لَفْظًا أَوْ عُرْفًا – عَلَى أَنْ يُطَلِّقَ الْمَرْأَةَ أَوْ يَنْوِيَ الزَّوْجُ ذَلِكَ : مُحَرَّمٌ ؛ لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعِلَهُ فِي أَحَادِيثَ مُتَعَدِّدَةٍ ... وَلَا تَحِلُّ لِمُطَلِّقِهَا الْأَوَّلِ بِمِثْلِ هَذَا الْعَقْدِ ، وَلَا يَحِلُّ لِلزَّوْجِ الْمُحَلِّلِ إمْسَاكُهَا بِهَذَا التَّحْلِيلِ ؛ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ فِرَاقُهَا ، لَكِنْ إذَا كَانَ قَدْ تَبَيَّنَ بِاجْتِهَادِ ، أَوْ تَقْلِيدٍ : جَوَازُ ذَلِكَ ؛ فَتَحَلَّلَتْ وَتَزَوَّجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ تَحْرِيمُ ذَلِكَ : فَالْأَقْوَى : أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِرَاقُهَا ؛ بَلْ يُمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَقَدْ عَفَا اللَّهُ فِي الْمَاضِي عَمَّا سَلَفَ[3] "[4] .

ولعل هذه الأنواع من الزواجات كان لها ما يبررها من وجهة نظرهم ، وقد سألت عن ذلك بعض أقاربي ومنهم والدي الذي تزوج زواج البدل فقال لي أن حاجة الأسرة لمن تعمل يضطرهم لفعل ذلك فجميع أفراد الأسرة هم منتجون وإذا زوج الرجل ابنته أو أخته سيكون مكانها شاغرا ، فلا بد أن يأتي بابنة أو أخت من تزوجها بدلا عنها لتقوم بأعبائها في البيت والمزارع ، وكانت الظروف الاقتصادية سيئة تجعلهم يتناسون موضوع المهر، ولم يكونوا يعرفون حرمة ذلك ، والحمد لله صححوا ما قاموا به بطرق شرعية ، مثل توثيق هذا الزواج بعقد جديد وبمهر المثل ، والحمد لله.

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٧ ، ص ٦ .
(٢) ابن مفلح ، الفروع ، ج١١ ، ص ٢١٨ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٣٢ ، ص ١٥١ – ١٥٢ .
(٤) الإسلام سؤال وجواب وفي ٢٠١٥/٣/٢٨م.

س١٨٠ لماذا شرع الله الخلع للمرأة ؟. وهل هو مقابل الطلاق للرجل ؟.

ج١٨٠: الخلع هو فراق الزوجة بعوض يأخذه الزوج منها ، أو من غيرها، بألفاظ مخصوصة. ولا يمكن للزوج أن يعود إليها، وسمي بذلك لأن المرأة تخلع نفسها من الزوج كما تخلع اللباس من بدنها[١] ، قال تعالى : (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ...(١٨٧))[٢] ، و يباح لسوء العشرة لقوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ(٢٢٩))[٣] ، وإذا كرهت زوجها، وظنّت أن لا تؤدي حق الله في طاعته جاز الخلع على عوض ويكره مع استقامة الحال، والصحيح أنه يحرم ؛ للحديث : (أيُّما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة)[٤].

ولا بأس به في الحيض والطهر الذي أصابها فيه، لأنه صلى الله عليه وسلم: لم يسأل المختلعة عن حالها[٥].

في المذهب الحنبلي: يُسن في المذهب الحنبلي قبول الخلع من المرأة إن طلبته [٦]، ودليلهم على ذلك قصة امرأة ثابت بن قيس.

لكن يكره ذلك في حال عدم وجود سبب كافٍ؛ وذلك لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة).

أما بالنسبة للعوض فيكره للزوج أخذه إن كان سبب الخلع هو نفور الزوج من زوجته. بينما إن كان الأمر يرجع لنفور الزوجة نفسها، فيكره أن يأخذ الزوج عوضًا أكثر من مهر الزوجة، لكن يجوز أن يأخذ أكثر من ذلك، لقوله تعالى: (فلا جناح عليهما فيما افتدت به) .

بينما إن كان سبب طلب الزوجة الخلع هو إكراه الزوج لها على ذلك ليسترد مهره بدل

---

(١) عبدالرحمن بن قاسم ، حاشية الروض المربع ،ج ٦ ، ص ٤٥٩ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة البقرة .
(٤) الألباني ، صحيح أبي داوود ،رقم الحديث ٢٢٢٦ .
(٥) الشرح الكبير، ابن قدامة ، ج٨ ، ص ١٧٥
(٦) القرطبي ، كشف القناع ، ج٥ ، ص ٢٣٧ .

الطلاق فقد ذكر الحنابلة بأن الخلع هنا باطل ويرد العوض[1]، وقد استدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ (١٩)﴾[2] ، بينما كره الشافعية الخلع مطلقًا، واستثنوا من ذلك حالتان[3]:

١- أن يخاف أحدهما ألا يؤدي الحق الذي افترضه الله عليه. كأن تأبى المرأة زوجها فلا تستطيع القيام بحقه عليها.

٢- أن يحلق الرجل بالطلاق الثلاث على زوجته لشيء لا بد من القيام به، كأن تأكل، أو تشرب. فهنا يمكن أن يخلعها، ثم تقوم هي بالأمر المحلوف، ثم يتزوجها مجددًا. فيلغى اليمين بالفعل الأول بعد الخلع.

وجعل المالكية الخلع جائزًا (ليس سنةً ولا مكروهًا). لكن أن يكون برضى الزوجة، فإن كان بإكراهٍ منها نفذ الطلاق[4].

أركان الخلع:

أركانه عند الجمهور غير الحنفية خمسة :

١- القابل، وهو الملتزم بالعوض .

٢- الموجب، الزوج أو وليه أو وكيله.

٣- العوض الشيء المخالع به .

٤- والمعوض: بُضْع الزوجة، أي الاستمتاع بها .

٥- الصيغة، مثل خالعتك أو خلعتك على كذا [5].

وللطلاق أوقاتٌ محددة، فلا يطلق الرجل زوجته وقت الحيض، بينما في الخلع فلا بأس به[6].

---

(١) القرطبي ، كشف القناع ، ج٥ ، ص ٢٣٨ .
(٢) سورة النساء .
(٣) الشربيني ، مغني المحتاج ، ج٣ ، ص ٢٦٢ .
(٤) ابن جزي الكلبي الغرناطي ، القوانين الفقهية ، ص ٢٣٢ .
(٥) انظر حاشية الصاوي على الشرح الصغير: ٢/٥١٧، مغني المحتاج: ٣/٣٦٣، المغني: ٧/٦٧، كشاف القناع: ٥/٢٤٤
(٦) الدر المختار ، ورد المحتار ، ج٢ ، ص ٧٦٨ .

و للخلع شروط يجب توافرها[1] وهي:

١- ان يكون برضى الزوج.

٢- أهلية الزوج التي يمكن من خلالها أن يقع الطلاق: أي يكون بالغًا عاقلًا.

٣- أن يكون عقد الزواج على الزوجة عقدًا صحيحًا. سواءً كانت مدخولٌ بها أو لا.

٤- أن تكون الزوجة ممن يصح تصرفها بالمال، فتكون بالغة وعاقلة وغير محجورٍ عليها ولا أمةً (أي تكون حرة) ولا سفيهة ولا مريضة. فلا يصح خلع السفيهة مثلًا.

٥- أن يكون بدل الخلع له قيمة، بحيث يصلح أن يكون مهرًا. فلا يكون مثلًا خمرًا أو لحم خنزير.

٦- ألا يقترن بما لا يجوز، كاشتراط تأخير دينٍ، أو تعجيله[2].

٧- أن يكون خلع المرأة برضاها ورضى زوجها، فإن كانت مرغمة نفذ الطلاق عند المالكية.

بدل الخلع:

عند الحنابلة يكره للزوج أخذ عوض الخلع إن كان سبب الخلع هو نفور الزوج من زوجته. بينما إن كان الأمر يرجع لنفور الزوجة نفسها، فيكره أن يأخذ الزوج عوضًا أكثر من مهر الزوجة، لكن يجوز أن يأخذ أكثر من ذلك، لقوله تعالى: (فلا جناح عليهما فيما افتدت به)، كما يجب أن يكون الخلع مما يمكن دفعه كمهر، وقد أجاز الفقهاء الخلع مقابل منافع وحقوق، كسكن دائم ، أو زراعة أرضٍ زمنًا محددًا، أو إرضاع ولدهما، أو حتى الإنفاق عليه، أو إسقاط نفقة العدة[3].

الخلع في مقابل بعض المنافع والحقوق:

يصح أن يكون بدل الخلع من النقود، أو من المنافع المقومة بمال، كسكنى الدار وزراعة الأرض

---

(١) الزحيلي ، الفقه الإسلامي وأدلته، ج٩ ، الرقم ٧٠٢٢ .

(٢) ابن جزي الكلبي الغرناطي ، القوانين الفقهية ، ص ٢٣٢ .

(٣) الزحيلي ، الفه الإسلامي وأدلته ، ج٩ ، الرقم ٧٠٢٩ .

زمناً معلوماً، وكإرضاع ولدها أو حضانته أو الإنفاق عليه، أو من الحقوق كإسقاط نفقة العدة ، وفي حال كان الخلع مقابل سكنى العدة فلا تخرج المرأة، لأن سكنها في بيت زوجها في العدة واجب، ليس لها أن تتركه، إنما يمكنها حينها دفع أجرة المنزل تلك الفترة(١) .

ويترتب على وقوع الخلع ما يلي:

١- طلاقٌ بائن: فيقع بالخلع طلاق بائن. ولو لم يكن طلاقًا بائنًا لكان للرجل حق الرجوع فيه. كما أن المقصد من الخلع هو إزالة الضرر عن المرأة، فلو جاز للرجل إرجاعها لما تحققت إزالة الضرر.

٢- لا ينقص بالخلع عدد الطلاق: فقد ذكر الله تعالى في كتابه الطلاق ثم ذكر الخلع، ثم ذكر الطلاق مرتان.

٣- لا يعد قضاء القاضي شرطًا لنفوذ الحكم.

٤- في حال فسدت بعض شروط الخلع لا يبطل الخلع: فمثلًا لو كان شرط الخلع هو إبقاء الطفل عند الرجل فترة الحضانة لنفذ الخلع وبطل الشرط.

٥- وجوب دفع بدل الخلع على الزوجة للزوج.

٦- ديون الزواج: عند الحنفية تسقط ديون الزوجين تجاه بعضهما البعض بتنفيذ الخلع فيما يتعلق بالزواج، كتتمة المهر والنفقة الماضية وما إلى ذلك، وتبقى الديون العادية يتوجب دفعها لصاحبها. وكذلك نفقة العدة لا تسقط إلا إن شرطا ذلك. بينما ذهبت بقية المذاهب إلى أنه لا تسقط الديون الزوجية بالخلع، إلا في حال نص شرط الخلع على ذلك.

٨- لا رجعة في الخلع: لا رجعة في الخلع في فترة العدة. إنما يلزمه عقد جديد. فلم تعد تحت سلطانه بعدما افتدت نفسها منه.

٩- النزاع هل حصل خلع أم لا: في حال ادعت المرأة أنه حصل خلع بينها وبين زوجها،

---

(١) الكاساني ، البدائع ، ج٣ ، ص ١٥٢ .

١٠- بينما أنكر زوجها ذلك، وليس ثمة من بينة على قول أيهما، فيصدق الزوج، لأن الأصل بقاء الزواج.

١١- النزاع على المقدار: في حال قال الزوج أنها طلقها بعوضٍ قدره كذا، بينما قالت هي بل طلقتني دون مقابل، فتُصدق المرأة، وتبين منه، ولها النفقة والسكنى[١] ، والكسوة[٢].

من إجابات الشيخ ابن باز رحمه الله حول الخلع :

١- خلاف العلماء في اعتبار الخلع طلاقاً:

الجواب: هذا موضع خلاف بين أهل العلم، ومحله المحاكم، لكن إذا كان خلعها بنية الطلاق تقع طلقة، إذا قال خلعتك أو فسختك أو ما أشبه ذلك نوى به الطلاق تكون طلقة، النبي صلى الله عليه وسلم قال للمختلع قال: طلقها تطليقة فإذا أخذ المال وقال: هي طالق، أو قال خلعتها أو فسختها ...

٢- حكم من خلعت زوجها وتريد وزوجها الرجوع لبعض:

الجواب: عليك أن تراجع القاضي الذي خلعها منك وفي نظره البركة والكفاية، فهو يفتيكم في هذا مما يعلم من شرع الله تعالى ، وإن رأى فضيلته أن يحيلك إلي ويكتب معك صفة الواقع فلا بأس. نعم. المقدم: بارك الله فيكم.

٣- إذا كرهت الزوجة زوجها ولم تطقه وجب التفريق بينهما:

الجواب: مثل هذه المرأة يجب التفريق بينها وبين زوجها المشار إليه إذا دفعت إليه جهازه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس لما أبغضته زوجته وطلبت فراقه وسمحت برد حديقته إليه: اقبل الحديقة وطلقها تطليقة رواه البخاري في صحيحه، ولأن بقاءها في عصمته والحال ما ذكر .

٤- حكم من طلق بالثلاث على عوض:

---

(١) البدائع، ٣/ ١٤٤ – ١٥١. فتح القدير، ٢١٥/ ٣. الدر المختار، ٧٧٨/ ٢. بداية المجتهد، ٦٩/ ٢. مغني المحتاج، ٢٦٨/ ٣.)
(٢) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، الخلع

الجواب: هذه المسألة فيها خلاف بين العلماء كما لا يخفى، والجمهور على ما ذكرتم من تحريمها على المطلق، حتى تنكح زوجًا غيره، لكونه طلقها بالثلاث، ولو كان ذلك بكلمة واحدة بناء على ما رآه عمر رضي الله عنه في إمضاء الثلاث الواقعة بكلمة واحدة.

٥- ما عدة مَن خالعت زوجها؟

وَضْع الحمل، عدتها وَضْع الحمل، جميع المطلقات وجميع المتوفى عنهنَّ والمخلوعات كلهن إذا كُنَّ حُمَّلًا: وَضْع الحمل: (﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ..(٤)﴾) ، الطلاق والخلع والموت جميعًا.

٦- هل يصح الخُلْع بين الزوجين بدون مال؟

لا، ليس هناك خلعٌ إلا بمالٍ. س: وإذا قال الزوج: لا أُريد؟ ج: يصير طلاقًا وليس خلعًا، وتكون له الرجعة.

٧- والخُلْع ليس له رجعة إذا راجعها في عدَّتها؟

الجواب :لا، ما له رجعة إلا بعقدٍ جديدٍ، إذا كان على مالٍ فلا بد من عقدٍ جديدٍ.

س: بمُوافقتهما؟ ج: نعم.

٨- حكم من طلقته زوجته عبر المحكمة دون علمه.

الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وصلى الله وسلم على محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه ،أما بعد: فالطلاق الذي يصدر من المحاكم الشرعية، هي المسؤولة عنه، وله أسباب قد يكون لأجل عدم قيام الزوج بالنفقة، أو لأسباب أخرى، فعليك أن تراجع القاضي

٩- ما الفرق بين الطلاق والخلع والفسخ؟

الطلاق مثل: أنتِ طالق. والخلع: كونه يخلعها على مالٍ مُعيَّنٍ، فيُسمَّى: خُلْعًا. والفسخ من جهة الحاكم، ويكون إذا امتنع الزوجُ من الطلاق، ورأى الحاكمُ الفسخَ؛ فإنه يفسخ النكاح، فالفسخ يكون من جهة القاضي[١] .

---

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله تفريغ نصي

س١٨١: لماذا أمر الله تعالى بغض البصر للرجال والنساء على حد سواء ؟.

ج١٨١: الله جل شأنه يقول: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١))[١] .

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والجلوس في الطرقات)، فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها، فقال: (إذا أبيتُم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقَّه)، قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال:(غضُّ البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)[٢].
- عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفُجاءة، فأمرني أن أَصرف بصري)[٣].
- عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا علي، لا تُتبع النظرةَ النظرة ؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة)[٤] .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كُتِب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مُدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنَّى،

---

(١) سورة النور .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٢٩ ، وعند مسلم رقم الحديث ٢١٢١ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٥٩ .
(٤) الترمذي ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢٧٧٧ .

ويُصدق ذلك الفرج ويُكذبه)[١] .

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد)[٢].
- عن أسامة بن زيد بن حارثة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما تركت بعدي في الناس فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء)[٣].
- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدنيا حُلوة خَضِرة، وإن الله مُستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[٤] .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم، فهو أجدرُ ألا تَزدروا نعمة الله عليكم)[٥].
- عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن يضمن لي ما بين لَحْييه وما بين رِجليه، أضمَن له الجنة)[٦].
- عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: (احفظ عورتك إلا مِن زوجتك أو ما ملَكت يمينُك)، فقال: الرجل يكون مع الرجل؟ قال: (إن استطعت ألا يراها أحدٌ، فافعل)، قلت: والرجل يكون خاليًا؟ قال: (فالله أحقُّ أن يُستحيا منه)[٧].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٤٣ ، وعند مسلم رقم الحديث ٢٦٥٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٤٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٤١ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٤٢ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٩٦٣ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٤٣٠٨ .
(٧) الترمذي ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢٧٦٩ ، وحسنه الألباني .

- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر شباب قريش، لا تزنوا، مَن حفِظ فرجَه، فله الجنة))[1].

من أقوال العلماء في أحكام الآية وما يستنبط منها:

١- قال ابن القطان الفاسي:(يُنهى عن النظر الذي يجلب حب الدنيا والغنى، ويغيب عن النعم المسداة المعجوز عن شكر أيسرِها)[2].

٢- قال ابن القطان كذلك : (كل ما قلنا أنه لا يجوز أن ينظر إليه الرجل أو غيره من عورة أو شخص، فإنه لا يجوز أن ينظر إلى المنطبع منه في مرآة أو ماء، أو جسم صقيل، ولأنه في الحقيقة قد نظر إلى ذلك الشيء بعينه، لكن إما (بانعكاس الأشعة)، أو على وجه آخر مما قيل في سبب الإدراك، مما ليس على الفقيه اعتباره، فاعلم ذلك)[3].

٣- قال ابن القطان كذلك : (النظر إنما حرم في محل الإجماع حذرًا من الفتنة، كما حرم الزنا حذرًا من اختلاط الأنساب، وشرب الخمر توقيرًا للعقل، فإذا كان كذلك وجَب غض البصر على كل خائف، وحرم عليه أن يرسل طرفه في مواقع الفتن، فإنه إذا فعل ذلك رأى الذي لا كله هو قادر عليه، ولا عن بعضه هو صابر)[4].

٤- قال ابن الجوزي: (إنما بصرك نعمة من الله عليك، فلا تَعصه بنِعمه، وعامله بغضِّه عن الحرام تربَح، واحذر أن تكون العقوبة سلب تلك النعمة)[5].

٥- قال الرازي :(فإن قيل: فلم قُدِّم غضُّ الأبصار على حفظ الفروج؟ قلنا: لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يُقْدَرُ على الاحتراس منه[6].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٧٧٦)، والحاكم (٨٠٦٢)، وصحَّحه وحسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٦).
(٢) ابن القطان الفاسي ، إحكام النظر في أحكام النظر، ص ١٠٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٢٢ .
(٤) المصدر السابق ٣٣٨ .
(٥) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص ١٤٣ .
(٦) الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٣ ، ص ٣٦٣ .

٦- قال القرطبي: (البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثُر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضُّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يُخشَى الفتنة من أجله)[١].

٧- قال ابن تيمية : (النظر المنهي عنه هو نظر العورات ونظر الشهوات، وإن لم تكن من العورات)[٢].

٨- قال ابن تيمية كذلك : (الراجح في مذهب الشافعي وأحمد أن النظر إلى وجه الأجنبية من غير حاجة لا يجوز، وإن كانت الشهوة منتفية، لكن لأنه يخاف ثورانها؛ ولهذا حُرِّمت الخلوة بالأجنبية؛ لأنها مظنة الفتنة، والأصل أن كل ما كان سببًا للفتنة فإنه لا يجوز؛ فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدُّها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة، ولهذا كان النظر الذي يفضي إلى الفتنة محرمًا إلا إذا كان لمصلحة راجحة؛ مثل: نظر الخاطب والطبيب وغيرهما، فإنه يباح النظر للحاجة لكن مع عدم الشهوة، وأما النظر لغير حاجة إلى محل الفتنة فلا يجوز، ومن كرر النظر إلى الأمرد ونحوه أو أدامه، وقال: إني لا أنظر لشهوة، كذب في ذلك؛ فإنه إذا لم يكن معه داع يحتاج معه إلى النظر، لم يكن النظر إلا لما يحصل في القلب من اللذة بذلك)[٣]، [٤].

والمقصود بغض البصر: صرف المرء بصره عن التحديق وتثبيت النظر؛ إذ الامتناع التام عن النظر العابر إلى الغير لا يتصور؛ لذلك تسومح في نظر الفجأة، وفي النظرة الأولى العابرة، كما رُخِّص في النظر إذا كان لمصلحة التداوي والتعامل ونحوه.

والأمر بغض البصر مما له علاقة بحفظ واستقرار الأسر يشمل جانبين، أحدهما: غض البصر عن المحارم. الثاني: غض البصر عما امتن الله به من نعم على الغير.

---

(١) القرطبي ، التفسير ، ج١٢ ، ص ٢٢٣ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٥ ، ص٣٦٩ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢١ ، ص ٢٥١ .
(٤) شبكة الألوكة في ٢٠١٧/٨/٢ م - ١٤٣٨/١١/٩ ه، غض البصر .

والمحارم هنا: كافة المحرمات التي حرمها الله عز وجل، فيدخل فيه غض البصر عن الأجنبيات من النساء بالنسبة للرجال، والأجانب من الرجال بالنسبة للنساء، وكل ما يثير الغرائز بين الرجال والنساء، وكذا تتبع عورات الناس وخصوصياتهم في بيوتهم وغير بيوتهم.

وقد ورد الأمر بذلك في القرآن الكريم في الآيات السابقة؛ حيث أمر الله تعالى عباده من المؤمنين والمؤمنات على السواء بغض البصر، وبيّن عاقبته وثمرته بأنه أزكى لنفوسهم، وأطهر لقلوبهم، وعافية لهم في دينهم ودنياهم.

يقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله : (كثيرةٌ من أجلها أمر الله تعالى بغض البصر كما قال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ثم قال: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : النظر سهمٌ مسموم من سهام إبليس وسئل عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك وقال لعلي لا تتبع النظرة النظرة ؛ فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة فننصح كلا الجنسين ألا ينظروا في هذه التمثيليات التي يحصل من النظر إليها فتنةٌ وإثارة شهوةٍ واندفاعٌ إلى فعل الفاحشة من رجال ونساء)[1] .

فوائد غض البصر:

قال ابن القيم: في غض البصر عدة منافعَ:

١- أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، فليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامره، وما شقِي مَن شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

٢- أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم - الذي لعل فيه هلاكه - إلى قلبه.

٣- أنه يورث القلب أُنسًا بالله وجمعيةً عليه، فإن إطلاق البصر يُفرق القلب ويُشتته، ويُبعده عن الله، وليس على القلب شيءٌ أضرُّ من إطلاق البصر، فإنه يورث الوحشة

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن جبرين ، تفريغ نصي .

بين العبد وربه.

٤- أنه يُقوِّي القلب ويُفرحه، كما أن إطلاق البصر يُضعفه ويُحزنه.

٥- أنه يُكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يُلبسه ظلمة، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور عقيب الأمر بغض البصر، فقال تعالى في سورة النور : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ثم ، قال إثر ذلك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ ، أي: مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه، وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية، كما أنه إذا أظلم أقبلت سحائب البلاء والشر عليه من كل مكان، فما شئت من بدعٍ وضلالة، واتباع هوى، واجتناب هدى، وإعراض عن أسباب السعادة، واشتغال بأسباب الشقاوة، فإن ذلك إنما يكشفه له النور الذي في القلب، فإذا نفِد ذلك النور بقي صاحبه كالأعمى الذي يجوس في حنادس الظلام.

٦- أنه يورث فراسة صادقة يُميز بها بين الحق والباطل، والصادق والكاذب، وكان شجاع الكرماني يقول: من عمَر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضَّ بصره عن المحارم، وكفَّ نفسه عن الشبهات، واغتذى بالحلال - لم تُخطئ له فراسة ، والله سبحانه يَجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومَن ترك لله شيئًا عوَّضه الله خيرًا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله، عوَّضه الله بأن يُطلق نور بصيرته، عوضًا عن حبس بصره لله، ويفتح عليه باب العلم والإيمان، والمعرفة والفراسة الصادقة المصيبة.

٧- أنه يورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، فجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة.

٨- أنه يَسدُل على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة، وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه ويُزينها،

ويجعلها صنمًا يَعكُف عليه القلب، ثم يَعِده ويُمنيه، ويوقد على القلب نار الشهوة، ويُلقي عليها حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب في اللهب.

٩- أنه يفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق البصر يُنسيه ذلك ويحول بينه وبينه، فيَنفرط عليه أمره، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه؛ قال تعالى في سورة الكهف : (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(٢٨)) وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

١٠- أن بين العين والقلب منفذًا وطريقًا يوجب انتقال أحدهما عن الآخر، وأن يصلح بصلاحه، ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح، فإذا خرِبت العين وفسدت، خرِب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه، والأنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك، فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تُطلعك على ما وراءها[١].[٢].

إن إطلاق البصر سبب لأعظم الفتن، فكم فسد بسبب النظر من عابد، وكم انتكس بسببه من شباب وفتيات كانوا طائعين، وكم وقع بسببه أناس في الزنى والفاحشة والعياذ بالله.

فالعين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب. شهوته وإرادته، ونقش فيه صور تلك المبصرات، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه في الدار الآخرة ، وما كان إطلاق البصر سببا لوقوع الهوى في القلب أمر الشارع بغض البصر عما يخاف عواقبه.

---

(١) ابن القيم ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٧٨ – ١٨٠.
(٢) شبكة الألوكة في ٢٠١٧/٨/٢ ميلادي - ١٤٣٨/١١/٩ هجري

س١٨٢: لماذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من فتنة النساء ؟.

ج١٨٢: أن هناك أسبابًا للفتنة بالنساء، نذكر بعضًا منها:

١- ميل الرجل إلى المرأة :إن الله تعالى قد خلق الذكر والأنثى وجعل في كل منهما ميلًا إلى الآخر، وشهوة وغريزة تجذبه إليه، من أجل بقاء الجنس البشري، إذ لو أن الرجل لا يميل إلى المرأة وهي لا تميل إلى الرجل لبقي الرجل في جانب وبقيت المرأة في جانب، وانقرض الجنس البشري، وخلت الحياة من الناس، وتعطلت الوظيفة التي من أجلها خلق الله الأرض وهي: العبادة، وقد جعل سبحانه الزواج هو الوسيلة المشروعة والمباحة لإشباع هذه الرغبة وقضاء الحاجة من الطرف الآخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢١)﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)﴾[٢].

والفتنة بالمرأة من أعظم الفتن التي يتعرض لها الإنسان، وأكثر الناس إنما يؤتَون من قبل الفتنة بالنساء، وانظر إلى تفسير بعض السلف للضعف البشري الوارد في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا(٢٨)﴾[٣].فقد قال طاووس: أي ضعيفًا في أمر النساء، لا يكون الإنسان في شيء أضعف منه في النساء.)[٤].

لكن عمل أعداء الإسلام على أن يلتقي الرجل بالمرأة في غير النقاط الشريفة في نقاط الضلال، فتدمرت الأخلاق والعياذ بالله، واصبه هذا الأمر شيئا عاديا عندهم ووفد إلى البلاد الإسلامية فقلدوهم في كل شيء ولا حول ولا قوة إلا بالله

---

(١) سورة الروم .
(٢) سورة المعارج .
(٣) سورة النساء .
(٤) الطبري ، تفسير الطبري ، ج٨ و ص ٢١٦ ، وانظر تفسير عبدالرزاق (٥٥٣)، تفسير ابن أبي حاتم(٥١٧٧).

٢- الشيطان: حيث لا يَخفَى على مؤمنٍ يَسيرُ إلى الله تَعَالَى، وَيسعَى إلى مُوافَقَةِ مَحَابِّهِ وَمُجَانَبَةِ مسَاخِطِهِ، أنَّ أخطرَ قُطَّاعِ الطَريقِ علَيهِ في ذلك السَّيرِ هُو ذَلكَ العَدُوُّ الأَلَدُّ والخَصمُ الأَشَدُّ: الشَّيطَانُ الرَّجِيمُ، الذِي لَم يَزَل يُحَاوِلُ صَرفَ الإنسَانِ عَن ذَلِكَ الطَّرِيقِ، بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِن أَسلِحَةِ الكَيدِ والإغواءِ والإضلالِ، مُنفِذًا وَعِيدَهُ القَدِيمَ: (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(١٧))[١] .

وَمِن تِلكَ الأسلِحَةِ الفَتَّاكَةِ التي استَخدَمَهَا ذَلِكَ الخَبِيثُ في حَربِهِ مَعَ الإنسَانِ: فِتنَةُ النِّسَاءِ، ولسانُ حاله: (سَهمِي الذِي إذَا رَمَيتُ بِهِ لَم أُخطِ: النِّسَاءُ)[٢] ، والشيطانُ يسلُكُ في كيدِهِ للإنسان لإيقاعِهِ في هذه الفتنةِ مَسلَكَ الاستدراجِ، وتلك خُطُواتُه التي حذَّرَنَا الله تَعَالَى من اتِّبَاعِهَا، ولذَا، فإنَّ الشَّيطانَ يطمَعُ في المرأةِ إذا خَرَجت من بيتِهَا، كما أخبرَنَا بذلِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: (الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ)[٤] .

قال الطيبي: يعني ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس بها، فإذا خرجت طمع وأطمع؛ لأنها حبائل الشيطان، فإذا خرجت جعلها مصيدة يزينها في قلوب الرجال ويغريهم عليها فيورطهم في الزنى، كالصائد الذي يضع الشبكة ليصطاد ويغري الصيد إليها بما يوقعه فيها)[٤].

٣- أعداء الفضيلة: لئن كانَ دورُ الشَّيطانِ في هذه الفتنةِ دورًا كبيرًا ماكِرًا، فإنَّ دورَ جنودِهِ وأوليائه، لا يقلُّ مَكرًا وتأثيرًا عنهم، قد أخبرَنَا الله تعالى عن هدفِ هؤلاء، وغايتِهمُ المنشودةِ، فقالَ: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا(٢٧))[٥] .

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) ابن الجوزي ، ذم الهوى ، ص ١٦٦ .
(٣) الترمذي ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ١١٧٣ ، وانظر والطبراني(٩٤٨١)، وابن حبان(٥٥٩٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. وصححه الألباني في الإرواء(٢٧٣).
(٤) الطيبي ، شرح المشكاة ، ج٧ ، ص ٢٢٧٢ .
(٥) سورة النساء .

لقد أدرَكَ أعداءُ هذا الدينِ عظيمَ أثر فتنةِ النِّساءِ، ودورَهَا في سقوطِ الأُمَّةِ وانحلالها، **فكانَت قضيَّةُ المرأة الخنجرَ المسمومَ الذي طعنُوا به أُمَّةَ الإسلام :**

أ- فبينما سَمَّت الشريعةُ الفواحشَ قاذوراتٍ وأوساخ، فقد سمَّاها هؤلاءِ علاقاتٍ عاطفيَّةً ليخفَّ وقعُها على الأسماعِ.

ب- بينما جعلتِ الشريعةُ الحجابَ علامةَ الإيمانِ وسِمَةَ الطهارة وشعارَ العِفَّةِ والسترِ، وجعلتِ التبرُّجَ كبيرةً وفاحشةً من أفعالِ الجاهليَّةِ، جعلَ هؤلاء الحجابَ علامةَ التخلُّف والجُمُود والرجعيَّةِ ونعتُوه بأشنعِ الأوصاف، وجعلوا التبرُّجَ تحضُّرًا ورقيًا،

ت- بينما جاءتِ الشريعةُ بتحريم النَّظرِ إلى النساء الأجنبياتِ ومُصافحتهنَّ والخلوةِ بهنَّ، وتحريمِ الاختلاط المستهترِ بين الرِّجال والنساء، جاء هؤلاء بكسرِ كُلِّ حاجزٍ بين الرِّجالِ والنساءِ، فأشاعُوا الاختلاطَ في كل النواحي.

ث- بينما حَرَصتِ الشريعةُ على خُمُود ذكرِ الفاحشة في المجتمع، وعُلُوِّ ذكر العفَّةِ والطهارةِ والفضيلةِ؛ جيَّشَ هؤلاء وسائلَ الإعلام من فضائياتٍ ومواقعَ إلكترونيَّةٍ ومجلاتٍ لتزيين الفاحشَةِ وإشاعةِ الرذيلةِ حتى يصيرَ ذكرُهَا بل النظرُ إليها أمرًا مألوفًا، فتلك أفلامٌ ومسلسلاتٌ تدعُو إلى العلاقات الجنسيَّة المحرَّمةِ، ، وهذه أغان العشقِ والغرام تخدِشُ حياء العفيفاتِ.

ثمَّ إن هؤلاء يُدركُون أنَّ العمل على نشرِ الفواحش والفسقِ هو الوسيلةُ السهلةُ التي يستطيعون بها قيادة الأمة نحو ما يشاؤونَ من أهدافٍ، كما قال قائلهم

- كأسٌ وغانيةٌ يفعلانِ بالأُمَّةِ المحمديَّةِ ما لا يفعلُه ألفُ مدفع ودبابةٍ، فأغرِقُوها في حُبِّ المادة والشهوات

- قول آخر: لا تستقيم حالة الشرق الإسلامي لنا حتى يرفع الحجاب عن وجه المرأة ويغطى به القرآن، وحتى تؤتى الفواحش والمنكرات[1] .

---

(١) أحمد الحصين ، المرأة ومكانتها للحصين ص ١٢.

- قول آخر: إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات ويقلب رأس على عقب المجتمع الإسلامي لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة[1].

٤- تأثر المرأة المسلمة بأهل الأهواء: وذلك عن طريق وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتلفاز ونحوها وكل وسائل التواصل الحديثة، حيث دأبت هذه الوسائل في العالم الإسلامي على نقل صور كثيرة من حياة أهل الهواء إلى المرأة المسلمة، فأصبحت تحس بالنقص والتأخر تأثراً ببريق حضارة زائفة لا تملك شيئاً من القيم والأخلاق المستمدة من عقيدة صحيحة، ولكن المرأة ضعيفة وسريعة التأثر، فأصبحت تقتبس بالتدريج تلك العادات الفاسدة، حتى صار الأمر إلى ما نشاهد. ولا أدل على هذا التأثر من هذا القصور الذي لا تفيق منه نساؤنا في متابعة المستحدثات في عالم الأزياء وأدوات التجميل مما يتغير بالأسابيع والشهور!

٥- تقصير المسئول عن المرأة: من أب أو زوج أو أخ ونحو ذلك من القيام بمسئوليته، لأن المرأة مهما بلغت من العلم والعقل فهي بحاجة إلى قوامة ورعاية. ولابد لها من قيم يتعهدها بالرعاية.

إن كثيرا من أولياء النساء ضيعوا هذه الأمانة، وفرطوا في هذه المسئولية، حتى إن بعضهم لا يعرف من أمر الحياة الزوجية إلا أن له بيتاً يأوي إليه ليستريح ويأكل ويشرب وينام، ثم يخرج ثانية، وهكذا يقضي حياته لا يدري ما عليه بيته وأسرته من خير أو شر! لا يعرف معروفًا! ولا ينكر منكرًا![2].

مظاهر فتنة النساء :

هناك عدة مظاهر لفتنة الرجال بالنساء نوجزها في ما يلي :

١- التبرج والسفور: وهما محرمان شرعًا، والتبرج أعم من السفور، فالسفور خاص بكشف الغطاء عن الوجه، والتبرج: كشف المرأة وإظهارها شيئًا من بدنها أو زينتها المكتسبة

---

(١) بول رو، الإسلام في الغرب، ص ١٧٨ - ١٨٩ ترجمة: نجدة هاجر.
(٢) موقع زاد الواعظين الفتنة بالنساء

أمام الرجال الأجانب عنها مما تستدعي به شهوة الرجل[١] .

وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع على تحريم تبرج وسفور المرأة، فهو محرم في الإسلام بوازع الإيمان، ونفوذ سلطانه على قلوب أهل الإسلام طواعية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى(٢٣))[٢] .

فالمرأة يجب أن تصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا خُصَّت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل، لأن ظهورها للرجال سبب الفتنة، والرجال قوامون عليهن، ولما أمرهن الله سبحانه بالقرار في البيوت نهاهن تعالى عن تبرج الجاهلية بكثرة الخروج، وبالخروج متجملات متطيبات سافرات الوجوه، حاسرات عن المحاسن والزينة التي أمر الله بسترها ، وإنما حرم التبرج لما فيه من خطر على الدين والدنيا ومنها:

أ- التبرج يؤدي إلى الهلاك: فعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم، قَالَ: (ثَلَاثَةٌ لَا تسأل عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا أَمْرَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ.)[٣] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا تسأل عنهم)[٤]" مبني للمعلوم أي لا تسأل عن كيفية عقوبتهم فهي من الفظاعة بحيث لا يحتملها السمع أو لا تهتم بهم ولا تسأل عنهم فهم أحقر من أن تعتني بشأنهم وتشتغل بالسؤال عنهم، أو لا تسأل الشفاعة فيهم فإنهم هالكون.

ب- التبرج من صفات أهل النار: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم-: "صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ،

---

(١) بكر أبو زيد ، حراسة الفضيلة ، ص ٧٠ ، وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن (١١/ ٨٣)
(٢) سورة الأحزاب.
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٥٤٢ ، وانظر)." أحمد (٢٣٩٤٣)، البخاري في "الأدب المفرد" (٥٩٠).
(٤) الأمير الصنعاني ، التنوير ، شرح الجامع الصغير ، ج٥ ، ص ٢١٥ .

لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)[١].

فليحذر المسلم من بدايات التبرج في محارمه، وذلك بالتساهل في لباس بناته الصغيرات بأزياء لو كانت على بالغات لكانت فسقًا وفجورًا، مثل: إلباسها القصير، والضيق، والبنطال، والشفاف الواصف لبشرتها، إلى غير ذلك، وفي هذا من الإلف للتبرج والسفور، وكسر حاجز النفرة، وزوال الحياء، ما لا يخفى، فليتق الله من ولاّه الله الأمر[٢].

٢- مس المرأة الأجنبية : فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يصافح النساء في البيعة وهو نص صريح في ذلك، وإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يصافح النساء في البيعة فمن باب أولى أنه لم يصافح النساء في غير البيعة ، فعن عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: (كَانَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِذَا هَاجَرْنَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُمْتَحَنَّ....وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ، مَا أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى النِّسَاءِ قَطُّ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُنَّ إِذَا أَخَذَ عَلَيْهِنَّ: «قَدْ بَايَعْتُكُنَّ» كَلَامًا)[٣] ، وعن مَعْقِل بْنَ يَسَارٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَأَنْ يُطْعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لَهُ")[٤]، ولأن في هذا فتح باب زنا اليد الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ)[٥].

٣- لخلوة بالمرأة الأجنبية : وحقيقة الخلوة أن ينفرد الرجل بامرأة أجنبية عنه في غيبة

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٢٨ .
(٢) بكر أبو زيد ، حراسة الفضيلة ، ص ٧٣ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٢٨٨ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ١٨٦٦ .
(٤) الطبراني ، المعجم و رقم الحديث ٤٨٦ ، وانظر الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٦).
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦٢١ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ٢٦٥٧ .

عن أعين الناس، فهذه من أعظم الذرائع وأقرب الطرق إلى وقوع الفاحشة الكبرى ، وقد شدد الرسول صلى الله عليه وسلم في أمر الخلوة، حتى تسد منافذ الفاحشة، وتجفف منابع الفتنة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)[١] ، وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)[٢]، والمعنى يكون الشيطان معهما بالوسوسة وتهييج الشهوة ورفع الحياء وتسهيل المعصية حتى يجمع بينهما، والنهي للتحريم)[٣] ، وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: "الحَمْوُ المَوْتُ)[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (الحمو الموت) أي: دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة؛ أي: فهو مُحرَّم معلوم التحريم، وإنَّما بالغ في الزجر عن ذلك، وشبهه بالموت لتسامح الناس في ذلك من جهة الزوج والزوجة، لإلفهم لذلك، حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة عادة، وخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت، أي: لقاؤه يفضي إلى الموت[٥]، وكذلك دخوله على المرأة يفضي إلى موت الدِّين، أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج، أو برجمها إن زنت معه[٦] .

٤- خروج المرأة متعطرة: فما يشمه الرجل من ريح المرأة لا شك أنه من دواعي الفتنة، فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا، فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ)[٧] .

---

(١) الإمام مسلم ،صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٤١ ، وفي صحيح البخاري رقم الحديث ٥٢٣٣ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٤٣٠ ، وانظر الحميدي (٣٢)، أحمد (١٧٧)، الترمذي (٢١٦٥)، النسائي (٩١٧٥)
(٣) الصنعاني ، التنوير شرح الجامع الصغير ، ج٤ ، ص٣١٨، وانظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٥/ ٢٠٥٦
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٢٣٢ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ٢١٧٢ .
(٥) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١٤ ، ص ١٥٤ .
(٦) القرطبي ، المفهم لما أشكل من كتاب مسلم ، ج١٨ ، ص ٨ .
(٧) انظر :أحمد (١٩٧١١)، وأبو داود(٤١٧٣)، والترمذي ٢٧٨٦ ، والنسائي٥١٢٦ وحسن إسناده الألباني في جلباب المرأة ص ١٣٧)

حتى في مسألة خروج المرأة للصلاة نهاها النبي صلى الله عليه وسلم عن التطيب فما بالك بما دون ذلك، فعَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ، قَالَتْ: (قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْمَسْجِدَ فَلَا تَمَسَّ طِيبًا)[١]، وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله، ولكن لِيَخرُجْنَ وهنَّ تَفِلاتٌ)[٢] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (تفلات) أي: غير متطيبات.، أَلْحَقَ بِالطِّيبِ مَا فِي مَعْنَاهُ، فَإِنَّ الطِّيبَ إنَّمَا مُنِعَ مِنْهُ لِمَا فِيهِ مِنْ تَحْرِيكِ دَاعِيَةِ الرِّجَالِ وَشَهْوَتِهِمْ، وَرُبَّمَا يَكُونُ سَبَبًا لِتَحْرِيكِ شَهْوَةِ الْمَرْأَةِ أَيْضًا، فَمَا أَوْجَبَ هَذَا الْمَعْنَى الْتَحَقَ بِهِ، وَيَلْحَقُ بِهِ أَيْضًا: حُسْنُ الْمَلَابِسِ، وَلُبْسُ الْحُلِيِّ الَّذِي يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الزِّينَةِ)[٣]، فإذا كان ذلك حرامًا على مريدة المسجد فماذا يكون الحكم على مريدة السوق والشوارع؟ لا شك أنه أشد حرمة وأكبر إثمًا.

٥- الخضوع بالقول :قال تعالى: (يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا(٢٣))[٤] ، وهذا خطاب من الله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين تبع لهن في ذلك، وإنما خصَّ الله سبحانه نساء النبي –صلى الله عليه وسلم بالخطاب: لشرفهن، ومنزلتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنهن القدوة لنساء المؤمنين، ، مع أنه لا يتوقع منهن الفاحشة – وحاشاهن – وهذا شأن كل خطاب في القرآن والسنة، فإنه يراد به العموم، لعموم التشريع، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم يرد دليل يدل على الخصوصية فقال مخاطبًا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم(فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) أَيْ لَا تُلِنَّ الْقَوْلَ، أَمَرَهُنَّ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُنَّ جَزْلًا وَكَلَامُهُنَّ فَصْلًا،

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٤٣ .
(٢) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٥٦٥ ، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود٥٧٤ .
(٣) ابن دقيق العيد ، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، ج١، ص ١٩٧.
(٤) سورة الأحزاب .

وَلَا يَكُونُ عَلَى وَجْهٍ يُظْهِرُ فِي الْقَلْبِ عَلَاقَةً بِمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنَ اللِّينِ، كَمَا كَانَتِ الْحَالُ عَلَيْهِ فِي نِسَاءِ الْعَرَبِ مِنْ مُكَالَمَةِ الرِّجَالِ بِتَرْخِيمِ الصَّوْتِ وَلِينِهِ، مِثْلِ كَلَامِ الْمُرِيبَاتِ وَالْمُومِسَاتِ. فَنَهَاهُنَّ عَنْ مِثْلِ هَذَا)[1]، وخضوع المرأة بالقول يفتح باب زنا الأذن، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِ صلى الله عليه وسلم: (كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الِاسْتِمَاعُ..)[2] رواه البخاري، مسلم واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.)

٦- الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء ، والاختلاط هو: (اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر، أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد)[3].

إن العِفَّة حجاب يُمَزِّقه الاختلاط، ولهذا صار طريق الإسلام التفريق والمباعدة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، فللرجال مجتمعاتهم، وللنساء مجتمعاتهن، ولا تخرج المرأة إلى مجتمع الرجال إلا لضرورة أو حاجة بضوابط الخروج الشرعية، كل هذا:

أ- لحفظ الأعراض والأنساب.

ب- حراسة الفضائل.

ت- والبعد عن الرِّيب والرذائل.

ث- عدم إشغال المرأة عن وظائفها الأساس في بيتها،

ولذا حُرِّم الاختلاط، لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس[4].

---

(١) ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٦ ، ص ٤٠٨ ، وانظر تفسير القرطبي ، ج١٤ ، ص ١٧٧ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦١٢ ، وفي صحيح مسلم رقم الحديث ٢٦٥٧ .
(٣) سعيد بن علي القحطاني ، الاختلاط بين الرجال والنساء ، ص ٦ ، وانظر شحاتة محمد صقر الاختلاط بين الرجال والنساء ج١ ، ص ٦٣ .
(٤) بكر أبو زيد ، حراسة الفضيلة ، ص ٦٥ .

ومن الأدلة على تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى... (٣٣))[١] ووجه الدلالة: أن الله أمر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاهرات المطهرات الطيبات بلزوم بيوتهن، وهذا الخطاب عام لغيرهن من نساء المسلمين، لما تقرر في علم الأصول أن خطاب المواجهة يعم إلا ما دل الدليل على تخصيصه، وليس هناك دليل يدل على الخصوص، فإذا كن مأمورات بلزوم البيوت إلا إذا اقتضت الضرورة خروجهن، فكيف يقال بجواز الاختلاط[٢]، ولذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)[٣].

بعض الطرق التي تعين على تجنب هذه الفتنة نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ..

١- الإيمان بالله عز وجل :إن الإيمان بالله والخوف من الله صمام الأمان والعاصم للعبد من مواقعة الحرام والانسياق وراء شهوة عارضة .فالمؤمن إذا تربى على مراقبة الله ومطالعة أسرار أسمائه وصفاته كالعليم والسميع والبصير والرقيب والشهيد والحسيب والحفيظ والمحيط ، أثمر ذلك خوفاً منه سبحانه في السر والعلن ، وانتهاءً عن معصية الله ، وصدوداً عن داعي الشهوة الذي يؤز كثيراً من العباد إلى الحرام أزاً .

٢- غض البصر عن المحرمات :إن النظر يثمر في القلب خواطر سيئة رديئة ثم تتطور تلك الخواطر إلى فكرة ثم إلى شهوة ثم إلى إرادة فعزيمة ففعل للحرام .. وتأمل في هذه الآية التي ربطت بين أول خطوات الحرام وآخرها يقول تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠))[٤] .يقول ابن كثير: (هذا أمر الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم ، فإن اتفق

(١) سورة الأحزاب .
(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ج١٠، ص ٣٨.
(٣) موقع زاد الواعظين
(٤) سورة النور.

أن وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا[١].

٣- مدافعة الخواطر :إن الخاطرة السيئة في القلب خطر .. ومتى انساق العبد معها ولم يدافعها تطورت إلى فكرةٍ ، فَهَمٍّ وإرادةٍ ، فعزيمةٍ فإقدامٍ وفعلٍ للحرام .. فحذار من الاسترسال مع الخطرة بل الواجب مدافعتها ومزاحمتها بالخواطر الطيبة .فالعلاج إذاً هو مدافعة الخطرات ، وإشغال النفس بالفكر فيما ينفعها .

٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قال : (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[٢].

٥- الصيام لمن لم يستطع الزواج ؛ للحديث السابق وفيه : (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[٣] ، وقال القرطبي :(كلما قل الأكل ضعفت الشهوة ، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي)[٤] اهـ .

٦- البعد عن رفقاء السوء :يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[٥] .

٧- البعد عن أماكن الفتن فلا يخفى أننا نعيش اليوم في مجتمع قد ملئ بالفتن وتظهر آثار ذلك في المحلات والمعاكسات في الأسواق والفضائيات والإنترنت ... الخ ، فعليك بالفرار من الفتن والبعد عنها ليسلم لك دينك.

٨- الحرص على استغلال الوقت في طاعة الله عز وجل :إن الوقت نعمة عظيمة من نعم الله على العبد ، لكن المغبون فيها كثير فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)[٦].

---

(١) ابن كثير ، التفسير ، تفسير سورة النور .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٥٠٦٥ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٨٤٣٣ ،
(٤) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص ٢٧٥ .
(٥) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٠٤٦ . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ٤٠٤٦
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤١٢ .

٩- تذكر نعيم الآخرة : ومن أخصها في هذا المقام تذكر الحور العين وأوصافهن التي أعدها الله لمن صبر عن معاصيه وهذا مما يعين المسلم على الزهد في المتاع الفاني المحرم الذي لا يورث إلا الندم والحسرات[1] .

س ١٨٣ : لماذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من فتنة المسح الدجال ؟.

ج : ١٨٣:**معنى المسيح** :

ذكر العلماء ما يزيد عن خمسين قولاً في معنى المسيح ، وقالوا أن هذا اللفظ يطلق على الصدّيق وعلى الضلّيل الكذاب ، فالمسيح عيسى ابن مريم الصدّيق ، مسيح الهدى ، يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحي الموتى بإذن الله .

والمسيح الدجال هو الضلّيل الكذاب ، مسيح الضلالة يفتن الناس بما يعطاه من الآيات كإنزال المطر وإحياء الأرض بالنبات وغيرهما من الخوارق .

فخلق الله المسيحين أحدهما ضد الآخر .

وقال العلماء في سبب تسمية الدجال بالمسيح : أن إحدى عينيه ممسوحة ، وقيل : لأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً .. والقول الأول هو الراجح ، لما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أنس بن مالك قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ..)[2] .

معنى الدجال :

الدَّجل : هو الخلط والتلبيس ، يقال دَجَلَ إذا لبّس ومَوَّه ، والدجال : المِمَوِّه الكذاب ، الذي يُكثِر من الكذب والتلبيس .

ولفظة (الدجال) أصبحت عَلَمَاً على المسيح الأعور الكذاب ، وسمي الدجال دجالاً : لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم .

---

(١) الإسلام سؤال وجواب ، في ١/٤/ ٢٠٠٣ م.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢١ .

صفة الدجال والأحاديث الواردة في ذلك :

الدجال رجل من بني آدم ، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به ، وتحذيرهم من شره ، حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يفتنون به ، بل يكونون على علم بصفاته التي أخبر بها الصادق صلى الله عليه وسلم وهذه الصفات تميزه عن غيره من الناس ، فلا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة . نسأل الله العافية .

ومن هذه الصفات أنه:

١- رجل شاب أحمر .

٢- قصير .

٣- أفحج .

٤- جعد الرأس .

٥- أجلى الجبهة .

٦- عريض النحر .

٧- ممسوح العين اليمنى ، وهذه العين ليست بناتئة - منتفخة وبارزة - ولا جحراء - غائرة - كأنها عنبة طافئة .

٨- عينه اليسرى عليها ظفرة - لحمة تنبت عند المآقي - غليظة .

٩- مكتوب بين عينيه " ك ف ر " بالحروف المقطعة ، أو " كافر " بدون تقطيع ، يقرؤها كل مسلم ، كاتب وغير كاتب .

١٠- عقيم لا يولد له .

وهذه بعض الأحاديث الصحيحة التي جاء فيها ذكر صفاته السابقة وهي من الأدلة على ظهور الدجال :

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ . فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ

الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ ، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ)[1] وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ .

٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : " إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ)[2].

٣- وفي الحديث الطويل الذي رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ)[3] ، فقال في وصف الدجال : (إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ - شديد جعودة الشعر- عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ)[3] .

٤- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لا تَعْقِلُوا ، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ أَفْحَجُ جَعْدٌ أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا حَجْرَاءَ فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ)[4] .

٥- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلالَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ أَجْلَى الْجَبْهَةِ عَرِيضُ النَّحْرِ فِيهِ دَفَأٌ)[5] .

٦- وفي حديث حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، جُفَالُ الشَّعَرِ - كَثِيرُهُ - مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ)[6].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٠٨
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣١٨٤
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٨ ..
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٧٦٣ ، وانظر صحيح الجامع الصغير / حديث رقم ٢٤٥٥.
(٥) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٧٥٦٤ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٢ .

٧- وفي حديث أنس رضي الله عنه : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ أَلا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ)[١] ، وفي رواية : "(وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر)[٢]، وفي رواية عن حذيفة : " يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ)[٣] ، وهذه الكتابة حقيقية على ظاهرها ، ولا يشكل رؤية بعض الناس لهذه الكتابة دون بعض ، وقراءة الأمي لها :(وذلك أن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء ، فهذا يراه المؤمن بعين بصره ، وإن كان لا يعرف الكتابة / ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة ، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراه الكافر فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلّم ، لأن ذلك الزمن تنخرق فيه العادات)[٤]، ، ومختصر الجواب عن الإشكال أنّ الله على كلّ شيء قدير فهو قادر على أن يري هذه الكتابة بعض الناس دون بعض وقادر على أن يجعل الأمّي يقرؤها ، قال النووي : (الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها ، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله يظهرها الله لكل مسلم كاتب وغير كاتب ، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ، ولا امتناع في ذلك)[٥].

٨- ومن صفاته أيضاً ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في قصة الجسّاسة ، وفيه قال تميم الداري رضي الله عنه : (فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا)[٦].

٩- وفتنته عظيمة جدا لدرجة أنه ليس بين خلق آدم إلى قيام الساعة فتنة أكبر من فتنة

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٩٨ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢١٩ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٢٣٣ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٣ ، ص ١٠٠ .
(٥) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١٨ ، ص ٦٠ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٣٥ .

المسيح الدجال كما جاء وفي حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنْ الدَّجَّالِ)[1] ، وفي رواية أحمد عَنْ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)[2] .

١٠- وأمّا أن الدجال لا يُولَدُ له فلما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصته مع ابن صياد ، فقد قال لأبي سعيد : (أَلَسْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّهُ لا يُولَدُ لَهُ ؟ قَالَ قُلْتُ : بَلَى)[3] .

والملاحظ في الروايات السابقة أن في بعضها وصف عينه اليمنى بالعور وفي بعضها وصف عينه اليسرى بالعور ، وكل الروايات صحيحة ، وقد جمع بعض أهل العلم بين هذه الروايات ، فقال القاضي عياض : " أن عيني الدجال كلتيهما معيبة ، لأن الروايات كلها صحيحة ، وتكون العين اليمنى هي العين المطموسة والممسوحة ، العوراء الطافئة – بالهمز– التي ذهب نورها كما في حديث ابن عمر . وتكون العين اليسرى : التي عليها ظفرة غليظة وطافية – بلا همز – معيبة أيضاً " . فهو أعور العين اليمنى واليسرى معاً ، فكل واحدة منها عوراء أي معيبة ، فإن الأعور من كل شيء المعيب ، لا سيما ما يختص بالعين ، فكلتا عيني الدجال معيبة عوراء ، إحداهما بذهابهما والأخرى بعيبها .

مكان خروج الدجال :

يخرج الدجال من جهة المشرق من خراسان ، من يهودية أصبهان ، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلداً إلا دخله ، إلا مكة والمدينة ، فلا يستطيع دخولهما لأن الملائكة تحرسهما ، ففي حديث فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الدجال : (أَلا إِنَّهُ فِي

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٣٩ .
(٢) الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث ١٥٨٣١ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٠٩ .

بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ)(١) .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ)(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ التِّيجَانُ)(٣) .

الأماكن التي لا يدخلها الدجال :

حرم على الدجال دخول مكة والمدينة حين يخرج في آخر الزمان ، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك ، وأما ما سوى ذلك من البلدان فإن الدجال سيدخلها واحداً بعد الآخر .

جاء في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن الدجّال قال : (وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلا أَدَعَ قَرْيَةً إِلا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلائِكَةً يَحْرُسُونَهَا)(٤) .

وثبت أيضاً أن الدجال لا يدخل مسجد الطور ، والمسجد الأقصى . روى الإمام أحمد من حديث جنادة بن أبي أمية الأزدي قال : (أتيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له : حَدِّثْنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدَّجَّالِ ، فذكر الحديث وقال : " وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ مَسْجِدَ الْحَرَامِ وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ وَالطُّورِ وَمَسْجِدَ الأَقْصَى)(٥) .

أتباع الدجال :

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٨ .
(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ،رقم الحديث ٢١٦٣ ، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير / حديث رقم ٣٣٩٨) .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٢٨٦٥ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٨ .
(٥) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٢٢٥٧٢

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمْ الطَّيَالِسَةُ)[1] ، والطيالسة : كساء غليظ مخطط . وفي رواية للإمام أحمد :(سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ الْيَهُودِ عَلَيْهِمْ التِّيجَانُ)[2] ، وجاء في حديث أبي بكر السابق : (يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ)[3].

وأما كون الأعراب يتبعون الدجال ، فلأن الجهل غالب عليهم ، أما النساء لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل عليهن . جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ – وادٍ بالمدينة – فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ)[4] .

فتنة الدجال :

فتنة الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة ، وذلك بسبب ما يخلق الله معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول وتحير الألباب .

فقد ورد أن معه جنة وناراً ، جنته ناره وناره جنته ، وأن معه أنهار الماء وجبال الخبز ، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، وتتبعه كنوز الأرض ، ويقطع الأرض بسرعة عظيمة كسرعة الغيث استدبرته الريح ، إلى غير ذلك من الخوارق .

وكل ذلك جاءت به الأحاديث الصحيحة . روى الإمام مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى ، جُفَالُ الشَّعَرِ – كَثِيرُهُ – مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ)[5].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٣٧ .
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٢٨٦٥ .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢١٣٦ .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٥٠٩٩ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٢ .

و لمسلم أيضاً عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ : مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ)[1] .

وجاء في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في ذكر الدجال : (أن الصحابة قالوا : " يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا ؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ.. قالوا : وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ ؟ قَالَ : كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ . فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ – الماشية – أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا – الأعالي والأسنمة – وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ – كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل – . ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ . ثُمَّ يَدْعُو رَجُلا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ)[2].

وجاء في رواية البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن هذا الرجل الذي يقتله الدجال من خيار الناس أو خير الناس ، يخرج إلى الدجال من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول للدجال : (أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ . فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ لا . فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ، فَيَقُولُ : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ)[3].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٣ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٢٢٨ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٩٩ .

وفي حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال : " وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَقُولانِ يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ)[1] .

الوقاية من فتنة الدجال :

أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال ، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، فلم يدع خيراً إلا دل أمته عليه ولا شراً إلا حذرها منه ، ومن جملة ما حذّر منه : فتنة المسيح الدجال لأنها أعظم فتنة تواجهها الأمة إلى قيام الساعة ، وكان كل نبي ينذر أمته منه ، واختص محمد صلى الله عليه وسلم بزيادة التحذير والإنذار ، وقد بين الله له كثيراً من صفات الدجال ليُحذِّرَ أمته فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة ، لأنها آخر الأمم ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين .

وهذه بعض الإرشادات النبوية التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته لتنجو من هذه الفتنة العظيمة التي نسأل الله العظيم أن يعافينا ويعيذنا منها :

١- التمسك بالإسلام ، والتسلح بسلاح الإيمان ومعرفة أسماء الله وصفاته الحسنى التي لا يشاركه فيها أحد ، فيعلم أن الدجال بشر يأكل ويشرب ، وأن الله تعالى منزه عن ذلك ، وأن الدجال أعور والله ليس بأعور ، وأنه لا أحد يرى ربه حتى يموت والدجال يراه الناس عند خروجه مؤمنهم وكافرهم .

٢- التعوذ من فتنة الدجال ، وخاصة في الصلاة ، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة ، منها ما روي عن أم المؤمنين عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ)[2] .

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع الصغير ، رقم الحديث ٧٧٥٢ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٨٩ .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ، يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[1].

٣- حفظ آيات من سورة الكهف ، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقراءة فواتح سورة الكهف على الدجال ، وفي بعض الروايات خواتيمها ، وذلك بقراءة عشر آيات من أولها أو آخرها . ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما رواه مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل ، وفيه قوله : (فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ)[2] ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ مِنْ الدَّجَّالِ " أي : من فتنته ، قال مسلم : قال شعبة : " مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ و قَالَ هَمَّامٌ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْف)[3] .قال النووي : (سَبَب ذَلِكَ مَا فِي أَوَّلهَا مِنْ الْعَجَائِب وَالآيَات ، فَمَنْ تَدَبَّرَهَا لَمْ يُفْتَتَن بِالدَّجَّالِ ، وَكَذَا فِي آخِرهَا قَوْله تَعَالَى : (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا ..)[4] ، وهذا من خصوصيات سورة الكهف فقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة ، روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ الْنُّوْرِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ)[5] ، ولا شك أن سورة الكهف لها شأن عظيم ، ففيها من الآيات الباهرات كقصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذي القرنين وبناءه للسد العظيم حائلاً دون يأجوج ومأجوج ، وإثبات البعث والنشور

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٢٢٨ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٤٢ .
(٤) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٩٣ .
(٥) الحاكم ، المستدرك ، ج٢ ، ص ٣٦٨ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٦٣٤٦.

والنفخ في الصور ، وبيان الأخسرين أعمالاً وهم الذين يحسبون أنهم على الهدى وهم على الضلالة والعمى .فينبغي لكل مسلم أن يحرص على قراءة هذه السورة وحفظها وترديدها وخاصة في خير يوم طلعت عليه الشمس ، وهو يوم الجمعة .

٤- الفرار من الدجال والابتعاد منه ، والأفضل سكنى مكة والمدينة ، والأماكن التي لا يدخلها الدجال ، فينبغي للمسلم إذا خرج الدجال أن يبتعد منه وذلك لما معه من الشبهات والخوارق العظيمة التي يجريها الله على يديه فتنة للناس ، فإنه يأتيه الرجل وهو يظن في نفسه الإيمان والثبات فيتبع الدجال ، نسأل الله أن يعيذنا من فتنته وجميع المسلمين .روى الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ – يبتعد – مِنْهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ يَتَّبِعُهُ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ بِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ)[١] .

هلاك الدجال :

يكون هلاك الدجال على يدي المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، وذلك الدجال يظهر على الأرض ويكثر أتباعه وتعم فتنته ، ولا ينجو منها إلا قلة من المؤمنين . وعند ذلك ينزل عيسى بن مريم عليه السلام على المنارة الشرقية بدمشق ، ويلتف حوله عباد الله المؤمنين ، فيسير بهم قاصداً المسيح الدجال ، ويكون الدجال عند نزول عيسى عليه السلام متوجهاً نحو بيت المقدس ، فيلحق به عيسى عند باب " لُد " – بلدة في فلسطين قرب بيت المقدس – ، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فيقول له عيسى عليه السلام : " إن لي فيك ربة لن تفوتني " فيتداركه عيسى فيقتله بحربته ، وينهزم اتباعه فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله ، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود .

بعض الأحاديث الواردة في هلاك الدجال وأتباعه :

---

(١) الإمام أحمد، المسند ،رقم الحديث ١٩١١٨ ورواه وأبو داود في سننه رقم الحديث ٣٧٦٢ والحاكم في المستدرك ج٤ ، ص ٥٣١ .

١- روى مسلم برقم ٥٢٣٣ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ ..(فذكر الحديث ، وفيه : (فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ)[١]" .

٢- روى الإمام أحمد عن مجمع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه يقول :(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ)[٢] .

٣- روى مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه حديثاً طويلاً عن الدجال ، وفيه قصة نزول عيسى وقتله للدجال ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم :(فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ)[٣].

٤- روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنْ الدِّينِ وَإِدْبَارٍ مِنْ الْعِلْمِ " فذكر الحديث وفيه : " ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُنَادِي مِنْ السَّحَرِ فَيَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ فَيَقُولُونَ هَذَا رَجُلٌ جِنِّيٌّ فَيَنْطَلِقُونَ فَإِذَا هُمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتُقَامُ الصَّلاةُ فَيُقَالُ لَهُ تَقَدَّمْ يَا رُوحَ اللَّهِ فَيَقُولُ لِيَتَقَدَّمْ إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ فَإِذَا صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ خَرَجُوا إِلَيْهِ قَالَ فَحِينَ يَرَى الْكَذَّابُ يَنْمَاثُ كَمَا يَنْمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَيَمْشِي إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُ حَتَّى إِنَّ الشَّجَرَةَ وَالْحَجَرَ يُنَادِي يَا رُوحَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ فَلا يَتْرُكُ مِمَّنْ كَانَ يَتْبَعُهُ أَحَدًا إِلا قَتَلَهُ)[٤] ، وبقتله تنتهي فتنته العظيمة ، وينجي الله الذين آمنوا من شره وشر أتباعه على يدي روح الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه المؤمنين)[٥] .

---

(١) الإمام مسلم ، رقم الحديث ٥٢٣٣ .
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٤٩٢٠ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢٨ .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٤٤٢٦
(٥) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٠٠٠/٦/١٦م.

س١٨٤ : لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن النذر؟.

ج١٨٤: تعريف النذر لغةً واصطلاحاً يُعرّف النذر في معاجم اللغة العربية بأنّه مصدرٌ ثلاثيٌ من الفعل نَذَرَ، بمعنى أوجب وألزم وأمّا في الاصطلاح الشرعيّ فهو إلزام المكلّف نفسه شيئاً لم يوجبه ويلزمه الله تعاليمه[١] .

حكم النذر يختلف حكم النذر بحسب حال وقوعه من الناذر، وبيان ذلك على النحو الآتي :

١- بعد وقوع النذر من الناذر؛ يجب الوفاء بالنذر إن كان النذر صحيحاً مستكملاً شروطه؛ لأنّ الناذر قد ألزم نفسه به، ودليل ذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (مَن نَذَرَ أنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، ومَن نَذَرَ أنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ)[٢].

٢- قبل وقوع النذر من الناذر؛ اختلف الفقهاء في جواز الإقدام على النذر، وبيان اختلافهم على النحو الآتي:

أ- الحنفيّة: ذهب الحنفيّة إلى أنّ النذر قُربةٌ مشروعةٌ إن كان صحيحاً مستوفياً لشروطه، فقولهم إنّه قُربةٌ؛ لأنّه نوعٌ من القُرَب والعبادات التي يتقرّب بها العبد إلى الله عزّ وجلّ، وقولهم إنّه مشروعٌ؛ لورود النصوص الآمرة بوجوب الإيفاء به.

ب- المالكيّة: ذهب المالكيّة إلى أنّ حكم النذر يختلف باختلاف نوع النذر كالآتي: النذر المطلق؛ وهو أن يُلزم المكلّف نفسه قُربةً؛ شكراً وثناءً لله لحصول نعمةٍ أو دفع نقمةٍ وشرٍ، كمن نجّاه الله من كُربةٍ أو رزقه الله مالاً، فهذا النوع حكمه الندب. النذر المعلّق؛ وهو أن يُلزم المكلّف نفسه قُربةً يعلّقها على حصول شيءٍ ما في المستقبل، ويتفرّع إلى نوعين بيانهما فيما يأتي: تعليق الناذر نذره على شيءٍ لا علاقة له فيه، كأن يقول: "إن شفى الله مريضي فعليّ كذا، وهذا النوع من النذر اختُلف في حكمه إلى قسمين كالآتي:

---

(١) عبد الرحمن الجزيري (٢٠٠٢)، الفقه على المذاهب الأربعة، ج٢ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦٩٦ .

- إن لم يعتقد الناذر أنّ في نذره نفعٌ في تحقيق الغرض منه؛ فبعضهم قال بالكراهة، وبعضهم قال بالجواز.
- إن اعتقد الناذر أنّ في نذره نفعٌ في نيله غرضه؛ فحكمه حرامٌ؛ لأنّه بذلك خالف قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (لا تَنْذِرُوا، فإنَّ النَّذْرَ لا يُغْنِي مِنَ القَدَرِ شيئًا، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ)[1].

وتعليق الناذر نذره على أمرٍ أو شيءٍ من فعله، كأن يقول: "إن فعلت كذا فعليّ كذا"، فحكمه الكراهة ويجب عليه الوفاء به بعد وقوعه ، والنذر المكروه، وهو أن يُلزم المكلّف نفسه فعل شيءٍ مكروهٍ، كأن يقول: (لله عليّ أن أصوم كُلّ يومٍ)، فحكمه الكراهة؛ لثقل فعله على النفس، إلّا أنّه يجب الوفاء به بعد وقوعه. نذر شيءٍ لا يستطيعه الناذر؛ فحكمه حرامٌ.

ت- الشافعيّة: ذهب الشافعيّة إلى أنّ حكم النذر ينقسم إلى قسمين كالآتي: إن كان النذر نذر طاعةٍ، فهو قُربةٌ؛ وذلك لأنّه مناجاةٌ لله تعالى. إن كان النذر نذر لجاجٍ للمخاصمة؛ فهو مكروهٌ؛ لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد نهى عنه بقوله: (لا تَنْذِرُوا، فإنَّ النَّذْرَ لا يُغْنِي مِنَ القَدَرِ شيئًا، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ)[2].

ث- الحنابلة: ذهب الحنابلة إلى أنّ النذر مكروهٌ وإن كان طاعةً؛ لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم نهى عنه حيث قال: (إنَّه لا يَأْتي بخَيْرٍ، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ)[3]، فالناذر بنذره لا يُمكنه تغيير ما يقع، ولا إحداث شيءٍ جديدٍ، ويجب عليه الوفاء بنذره بعد وقوعه.

شروط الناذر :

لا بدّ للناذر من شروطٍ تتوفّر فيه حتى يصحّ النذر منه، وهي:

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٤٠ .
(٢) الحديث السابق .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٣٩ .

١- أن يكون مسلماً، فالنذر من غير المسلم لا يصحّ، فإن أسلم صحّ نذره. أن يكون مكلّفاً، فالنذر من الصبيّ أو المجنون لا يصحّ.

٢- أن يكون مختاراً، فالنذر من المكرَه لا يصحّ. أن يكون ناطقاً، فالنذر بالإشارة لا يصحّ، إلّا إن كانت الإشارة مفهومة.

٣- أن يكون نافذاً للتصرّف؛ أي صلاحيّة المسلم لصدور الفعل منه بصورةٍ يُعتدّ بها شرعاً، فالنذر من الصبيّ أو المجنون لا يصحّ؛ لأنّ الصبيّ والمجنون ليْسا أهلاً للالتزام.

شروط المنذور :

لا يصحّ النذر من الناذر حتى تتوفّر في المنذور الشروط الآتية:

١- أن يكون قُربةً وطاعةً، بشرط ألّا تكون هذه القربة من الفرائض والواجبات، فلا يصحّ النذر بشيءٍ منها.

٢- أن تكون هذه القربة مقصودةً، فإن كانت القربة غير مقصودةٍ؛ كالاغتسال، ومسّ المصحف، والوضوء، فلا يصح النذر بها، فهذه وسائل غير مقصودةٍ لذاتها وإنّما ما يترتّب عليها هو المقصود.

٣- أن تكون هذه القربة متصوّرة وممكنة الوجود شرعاً، فلا يصحّ القول: "لله عليّ أن أصوم ليلاً"؛ وذلك لأنّ الليل ليس محلاً للصيام.

صيغة النذر :

لا بدّ أن يتوفّر في الصيغة شرطين، وهما:

١- التلفّظ بصيغة النذر، فلا ينعقد النذر بمجرّد النيّة فقط.

٢- التصريح بصيغة النذر، كأن يقول: "نذرت" أو "لله عليّ"، ويجوز انعقاده بالكناية بشرط النيّة.

الصيغ التي ينعقد بها النذر هناك صيغتان معتبرتان ينعقد بها النذر صحيحاً؛ صيغةٌ متفقٌ عليها، وصيغةٌ مختلفٌ فيها، وبيانهما على النحو الآتي:

١- الصيغة المشتملة على لفظة النذر، كأن يقول الناذر: "نذرت كذا"، أو يقول: "لله عليّ نذر كذا"؛ فقد اتّفق الفقهاء على أنّ النذر ينعقد صحيحاً بهذه الصيغة، وتلزم الناذر.

٢- الصيغة الغير مشتملة على لفظة النذر، كأن يقول: "لله عليّ كذا"؛ فقد اختلف الفقهاء في انعقاد النذر صحيحاً في هذه الصيغة، واختلافهم كالآتي:

القول الأوّل: انعقاد النذر صحيحاً وإلزام الناذر به، وهو قول الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة والحنابلة، واستدلّوا على ذلك بما يأتي: إنّ لفظ "عليّ" دالٌّ على الإلزام، فهي كقول: "لله عليّ نذرٌ". إنّ عدم ورود لفظ النذر في الصيغة لا يؤثر في لزوم النذر إن قصد الناذر ما نذر به. ما رُوي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنّه قال لرجل نذر المشي إلى الكعبة: "هذا نذرٌ فليمشِ".

القول الثاني: عدم انعقاد النذر صحيحاً، وعدم إلزام الناذر به، وهو قولٌ لسعيد بن المسيّب، والقاسم بن محمّد، واستدلّوا على ذلك بأنّ حقيقة النذر تتمثّل بإلزام الناذر نفسه بشيءٍ لم يلزمه به الله.

أقسام النذر:

ينقسم النذر إلى ستّة أقسامٍ، ويختلف حكم كُلّ قسمٍ عن الآخر، وبيان ذلك كما يأتي

١- نذر الطاعة: وهو أن يُلزم الناذر نفسه فعل طاعةٍ؛ كالصلاة، والصوم، وغيرهما، وينقسم إلى قسمين صحيحين هما:

أ- المطلق: كقول: "لله عليّ أن أتصدّق بمئة دينارٍ"، وهذا النوع من أفضل أنواع النذور، وقد ذُكر في القرآن الكريم مدح الله للموفين به، حيث قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[١]، ويجب على الناذر الوفاء به، فإن لم يستطع يكفّر عن نذره بكفّارة اليمين، لقول النبيّ عليه الصلاة والسلام: (مَن نَذَرَ أنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ

---

(١) محمّد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (موسوعة الفقه الإسلامي صفحة ٢٧٣-٢٧٥، جزء ٥. بتصرّف
(٢) سورة الإنسان .

، ومَن نَذَرَ أنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ)[1].

أ- المعلّق: كقول: (إنّ شفى الله مريضي فللّه عليّ أن أصوم شهراً"، ويجب على الناذر الوفاء به إن تحقّق الشرط، فإن لم يستطع فعليه كفّارة اليمين، ودليل ذلك قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (مَن نَذَرَ أنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، ومَن نَذَرَ أنْ يَعْصِيَهُ فلا يَعْصِهِ)[2].

٢- نذر المعصية: وهو أن يُلزم الناذر نفسه فعل معصيةٍ محرّمةٍ، كأن يقول: "لله عليّ أن أشرب الخمر"، ويحرم على الناذر الوفاء به، وتجب عليه كفّارة اليمين، حيث قال النبيّ -عليه الصلاة والسلام-: (لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ في مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيما لا يَمْلِكُ العَبْدُ)[3]

٣- نذر المباح: هو أن يُلزم الناذر نفسه فعل أمرٍ مباحٍ يستوي تركه وفعله، كأن يقول: (لله عليّ أن أركب السيارة)، فالناذر مخيّر في هذا النوع بين فعل ما نذر به وبين تركه، وإن تركه تكون عليه كفّارة اليمين، حيث قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: (كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ اليَمِينِ)[4].

٤- نذر المكروه: هو أن يُلزم الناذر نفسه فعل أمرٍ مكروهٍ، فيستحبّ للناذر عدم الوفاء به، والتكفير عن نذره، لقول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (إذا حَلَفَ أحَدُكُمْ علَى اليَمِينِ، فَرَأَى خَيْرًا مِنْها، فَلْيُكَفِّرْها، ولْيَأْتِ الذي هو خَيْرٌ)[5] .

٥- نذر المطلق: هو ألّا يُعيّن الناذر في نذره شيئاً، كأن يقول: "لله عليّ نذرٌ"، فتجب على الناذر في هذه الحالة كفّارة اليمين، حيث قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ اليَمِينِ)[6] .

---

(١) الإمام البخاري صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦٩٦ .
(٢) الحديث السابق .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم و رقم الحديث ١٦٤١ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٤٥ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٥١ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٥٤.

٦- نذر اللجاج والغضب: هو ما يُخرجه الناذر مخرج اليمين، فيعلّقه صاحبه بشرطٍ يقصد به المنع منه أو الحثّ عليه أو التصديق أو التكذيب، كأن يقول: "إن كلّمت فلاناً فللّه عليّ صيام شهرٍ"، فالناذر مخيّرٌ بين فعل نذره أو تركه، وعليه كفّارة اليمين إن لم يفعل نذره، حيث قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ اليَمِينِ)[1].

كفارة النذر :

كفّارة النذر ككفّارة اليمين؛ فإمّا أن تكون :

١- بعتق رقبةٍ.

٢- أو إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم.

٣- (فمن لم يجد شيئاً من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيّامٍ)[2]. حيث قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (كَفَّارَةُ النَّذْرِ كَفَّارَةُ اليَمِينِ)[3].

وينتقل الناذر من الإيفاء بنذره إلى التكفير عنه بكفّارة اليمين في الحالات الآتية:

١- إن كان النذر نذر طاعةٍ، وعجز عن الإيفاء بنذره، فعليه كفّارة اليمين، ويكون النذر في حقّه مكروه؛ لأنّ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- نهى عن النذر حيث قال: (لا تَنْذِرُوا، فإنَّ النَّذْرَ لا يُغْنِي مِنَ القَدَرِ شيئًا، وإنَّما يُسْتَخْرَجُ به مِنَ البَخِيلِ)[4].[5].

٢- إن كان النذر شاقّاً لا يقدر عليه الناذر، كأن يقول: "لله عليّ أن أصوم الدهر كلّه"، لا يجب عليه الوفاء بنذره، ويُكره النذر في حقّه، وعليه كفّارة اليمين.

٣- إن كان النذر صيام يومي العيد، لا يجب عليه الوفاء بنذره؛ إذ لا يجوز صيام يومي العيد، وعليه كفّارة اليمين، ودليل ذلك قول زياد بن جبير: (كُنْتُ مع ابْنِ عُمَرَ،

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٥٤.
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٥١ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٦٤٥ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٤٠ .
(٥) محمد بن إبراهيم التويجري ، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ، ج٥ ، ص ٩٩٧ – ٩٩٨

فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: نَذَرْتُ أنْ أصُومَ كُلَّ يَومٍ ثَلَاثَاءَ أوْ أرْبِعَاءَ ما عِشْتُ، فَوَافَقْتُ هذا اليومَ يَومَ النَّحْرِ، فَقَالَ: أمَرَ اللَّهُ بوَفَاءِ النَّذْرِ، ونُهِينَا أنْ نَصُومَ يَومَ النَّحْرِ فأعَادَ عليه، فَقَالَ مِثْلَهُ، لا يَزِيدُ عليه)[1] .

٤- وإن اشتمل النذر على طاعةٍ ومعصيةٍ معاً فيجب على الناذر فعل الطاعة وترك المعصية، وليس عليه كفّارة اليمين، ودليل ذلك ما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما-: (بيْنَا النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَخْطُبُ، إذَا هو برَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عنْه فَقالوا: أبو إسْرَائِيلَ، نَذَرَ أنْ يَقُومَ ولَا يَقْعُدَ، ولَا يَسْتَظِلَّ، ولَا يَتَكَلَّمَ، ويَصُومَ. فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ولْيَسْتَظِلَّ ولْيَقْعُدْ، ولْيُتِمَّ صَوْمَهُ)[2] [3] . بتصرّف[4] .

س١٨٥ :لماذا حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على قيام الليل ؟.

ج١٨٥: قيام الليل هو: قضاء معظم الليل أو جزء منه ولو ساعة في عبادة الله بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله. ويطلق القيام ويراد العبادة عموماً، وصلاة الليل خصوصا.

ويُعَدّ قيام الليل من أجلّ العبادات، وأزكاها؛ لِما فيه من إخلاصٍ، وخشيةٍ لا تضاهيه فيها أيّ عبادةٍ أخرى، وعلى المسلم المحِبّ لربّه، والذي يسعى إلى نَيْل رضاه، ونعمائه، أن يتحرّى على الدوام قيام الليل والناس نِيامٌ؛ ففيه ساعةٌ من أنفس الساعات عند الله عزّ وجلّ.

وقيام الليل هو دأب الصالحين، وتجارة المؤمنين، وعمل الفائزين، ففي الليل يخلو المؤمنون بربهم، ويتوجهون إلى خالقهم وبارئهم، فيشكون إليه أحوالهم، ويسألونه من فضله، فنفوسهم قائمة بين يدي خالقها، عاكفة على مناجاة بارئها، تتنسم من تلك النفحات، وتقتبس من أنوار تلك القربات، وترغب وتتضرع إلى عظيم العطايا والهبات.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٧٠٦ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٧٠٤ .
(٣) محمد بن إبراهيم التويجري ، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ، ج٥ ، ص ٩٩٧- ٩٩٨ .
(٤) موقع موضوع ما هو النذر وما حكمه، ١٧ ديسمبر ٢٠١٩ .

يقول الشيخ سليمان الماجد :

١- قيام الليل سُنة مؤكدة ، وقربة عظيمة ، فقد توافرت النصوص من الكتاب والسنة على الحث عليه، والترغيب فيه ، فمن ذلك : قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦))[1] .

٢- شُرِع قيام الليل في أوائل العهد المكي ؛ لما فيه من الأثر الكبير في تقوية الإيمان وتربية النفس .

٣- وقت قيام الليل من بعد صلاة المغرب إلى طلوع الفجر ، قال الإمام أحمد : قيام الليل من المغرب إلى طلوع الفجر . وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى بين المغرب والعشاء ؛ فعن حُذيفة رضي الله عنه قال : (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت المغرب فصلى إلى العشاء)[2] ، وثبت كذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء ؛ فقد أخرج ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى:(تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦))[3] قال : يصلون ما بين المغرب والعشاء)[4]، وما بعد المغرب يُعد من الليل شرعا ولغة وعرفا .

٤- فضله ما كان بعد نوم ، أو في وقت نوم الناس ، وأحسنه ما كان بعد دخول ثلث الليل الأخير ، ثم ما بعد نصف الليل ؛ لقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩))[5]، والتهجد هو الصلاة بعد النوم . وقال صلى الله

---

(١) سورة المزمل .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٢٩ .
(٣) سورة السجدة
(٤) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٣٢١ .
(٥) سورة الإسراء .

عليه وسلم :(إن في الجنة غُرفا يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام)[1] (صحيح ابن حبان٥٠٩). والليل يبدأ من مغيب الشمس إلى طلوع الفجر .

٥- لم تُوقت الشريعة في قيام الليل عدداً معيناً من الركعات لا باستحباب الاقتصار على عدد معين ، ولا بمنع الزيادة عليه ، ولو كان فيها تحديد لا يتغير بتغير الأحوال لجاء بيانه في الكتاب والسنة ؛ كما بُيِّن نظائره من مقدار الوتر ومدة المسح في السفر والحضر ، وعِدد المطلقة بالحِيَض لذوات الحيض ، وبالأشهر للآيسة والصغيرة ؛ فما من أمر تعبدي يُقصد فيه العدد حدا لا يتغير بتغير الأحوال إلا وبينته الشريعة أوضح بيان وأجلاه

٦- أقل قيام الليل ركعة ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الوتر ركعة من آخر الليل)[2] ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : (من أحب أن يوتر بواحدة فليفعل)[3].

٧- الوتر سنة مؤكدة ، وهو جزء من قيام الليل ؛ ، ووقته بين العشاء والفجر ، لما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم من حمر النَّعَم صلاة الوتر، ما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر)[4].

صفات الوتر الواردة في السنة :

١- أن يوتر بواحدة لقوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى)[5]..

٢- أن يوتر بثلاث ركعات سردا بتشهد واحد ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت:)كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد إلا في آخرهن)[6] .

---

(١) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٥٠٩ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٥٢ .
(٣) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ١٤٢٢ .
(٤) الألباني ، ضعيف الجامع ، رقم الحديث ١٦٢٢ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩٩٠ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٧٤٩ .
(٦) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٢٤٣٩ .

٣- الوتر بخمس ركعات ؛ يتشهد مرة واحدة في آخرها ، لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرها)[١] .

٤- أن يوتر بسبع ركعات يتشهد فيها مرة واحدة في آخرها ، لما روي عن عائشة قالت : (فلما أسن نبي الله وأخذه اللحم أوتر بسبع)[٢]. وله أن يتشهد في السادسة ثم يقوم إلى السابعة ويسلم ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها الذي جاء فيه (ثم يصلي سبع ركعات لا يجلس فيهن إلا عند السادسة فيجلس)[٣] .

٥- أن يوتر بتسع يتشهد فيها في الثامنة دون تسليم ، ثم يتشهد مرة أخرى في التاسعة ويسلم ؛ لما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة ، فيذكر الله ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ، ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلي التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ، ثم يسلم تسليما يسمعنا

٦- يسن لمن أوتر بثلاث أن يقرأ في الركعة الأولى سورة الأعلى ، وفي الثانية سورة الكافرون ، وفي الثالثة سورة الإخلاص ؛ لحديث أبي بن كعب نحوه ولفظه: (يوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولا يسلم إلا في آخرهن)[٤].

٧- من نوى قيام الليل ونام عنه كتب له ما نوى ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (من أتى فراشه ، وهو ينوي أن يقوم فيصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه تعالى)[٥].

٨- يشرع لمن نام عن الوتر حتى طلع الفجر أن يصليه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٣٧ .
(٢) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث ١٣٤٣ .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٢٤٤١ .
(٤) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ٩٧٠ .
(٥) الألباني ، صحيح الجامع، رقم الحديث ٥٩٤١ ، خرجه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجه (١٣٤٤)

؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (من نام عن وتره فليصل إذا أصبح)[1].كما فعل ذلك عبد الله بن عمر وعائشة وغيرهما

٩- وقد جاء عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يفعلونه بعد أذان الفجر إلى إقامة الصلاة ، منهم : ابن مسعود ، وابن عباس ، وعبادة بن الصامت ، وحكى ابن عبد البر الإجماع على مشروعيته كما في الاستذكار . والشفع تبع له كما هي إحدى الروايات عن الإمام أحمد واستدل بما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها ، فإن ذلك وقتها)[2] .

١٠- يشرع أيضا لمن فاته قيام الليل أن يصليه من الضحى بقدر صلاته من الليل مع شفع وتره ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)[3] .

١١- من غلب على ظنه أن يقوم آخر الليل فالأفضل له تأخيره إلى آخر الليل ، ومن خاف أن لا يقوم أوتر قبل أن ينام لقوله صلى الله عليه وسلم : (من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل)[4] ، وهو التهجد وفيه مغالبة النوم وأدعى إلى الإخلاص .

١٢- يسن افتتاح القيام بركعتين خفيفتين ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين)[5].

١٣- يشرع القنوت في الوتر ؛ لحديث أُبَي بن كعب رضي الله عنه:(أن النبي صلى الله عليه وسلم قنت في الوتر قبل الركوع)[6]. وإن قنت بعده فهو مشروع ؛ لأن

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٦٥٦٣ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٣ ، ص ٩٠ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٤٦ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٥٥ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٦٨ .
(٦) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٤٢٧ (ضعيف)

النبي صلى الله عليه وسلم (كان يقنت بعد الركوع في الفرائض)[1]، وهذا في النوازل.

١٤- من صلى النافلة قاعداً غير معذور كان له نصف أجر القائم ، ومن صلى مضطجعاً كان له نصف أجر القاعد ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم :(من صلى قائماً فهو أفضل ، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد)[2].

١٥- يسن قيام الليل في رمضان جماعة في المسجد ؛ لفِعله صلى الله عليه وسلم ، ، ولا بأس أن يُصلِّي الإنسانُ جماعة في غير رمضان في بيته أحياناً ؛ لفعل الرَّسول صلى الله عليه وسلم : فقد صلى مرة بابن عباس ومرة بابن مسعود ، جماعة في بيته» أخرجه البخاري ومسلم . لكن لم يتخذ ذلك سنة راتبة، ولم يكن أيضاً يفعله في المسجد .

١٦- يُستحب للإمام عدم المداومة على قنوت الوتر في صلاة التراويح ؛ لأنه لم يعهد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة أنهم داوموا عليه ، وكان الصحابة لا يقنتون إلا بعد منتصف رمضان .

١٧- على الإمام أن يراعي في القنوت أحوال المأمومين ، فيختار جوامع الدعاء والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم دون إطالة ؛ وفي الدعاء في السجود وآخر التشهد كفاية لمن أراد الإطالة .

١٨- أقرب صفات الدعاء في القنوت إلى السنة هي الهيئة المعتادة للكلام .

١٩- من قام مع الإمام في صلاة التراويح حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ؛ لأن الصَّحابة لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن ينفِّلَهم بقيَّة ليلتهم قال: (من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة)[3].

---

(١) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .
(٢) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٣٧١ .
(٣) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث ٤٤٧ .

٢٠- إذا صلى المرء مع الإمام فلا يُستحب له أن يترك الوتر معه بحجة أنه سيصلي آخر الليل ، ولا أن يشفعه معه بركعة .

٢١- يسن للمسلم أن يجعل الوتر في آخر صلاته لقوله صلى الله عليه وسلم : (اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترا)[١] ، والصارف للأمر من الوجوب إلى الاستحباب هو قوله صلى الله عليه وسلم :(إن هذا السفر جهد وثقل ، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين فإن استيقظ وإلاّ كانتا له)[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت :(كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بعد النداء والإقامة من صلاة الصبح)[٣] .

٢٢- من السنة أن يقول في آخر وتره قبل السلام أو بعده : (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ،وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[٤] ، وهذا من فعله صلى الله عليه وسلم ، وإذا سلم من الوتر أن يقول : (سبحان الملك القدوس ،سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس" ويمد بها صوته ، ويرفع الثالثة)[٥]، وهذا من فعله صلى الله عليه وسلم[٦] .

(هناك آداب لمن أراد أن يحظى بشرف قيام الليل:

١- أن ينوي نية صادقة عند نومه أن يصلي بالليل. فمن فعل ذلك وغلبه النوم كتب الله له ما نوى. فعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم ليصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب الله له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه) [٧].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩٩٨ ، والإمام مسلم في صحيحه برقم٧٥١ .
(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٢٥٧٧ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٣٨ .
(٤) الألباني ، صحيح النسائي ،رقم الحديث ١٧٤٦ .
(٥) الألباني ، قيام رمضان ، رقم الحديث ٣٣ .
(٦) الشيخ سليمان الماجد .موقع المسلم ملخص أحكام قيام الليل في رمضان وغيره ١٨ رمضان ١٤٣٤ ه .
(٧) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١١١٣ .

٢- أن :

أ- يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ .

ب- يتسوك .

ت- ينظر في السماء ثم يدعو بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا إله إلا أنت سبحانك، أستغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك. اللهم زدني علما، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

ث- يقرأ الآيات العشر من سورة آل عمران: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَاب) إلى آخر السورة.

ج- يقول: اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت الله لا إله إلا أنت).

٣- يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين. فعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين) رواه مسلم . ولقد كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك في صلاة الليل.

٤- أن يوقظ أهله حتى تحظى بهذا الفضل. فطوبى لرجل أعان زوجته على الصلاة بالليل. وطوبى لزوجة أعانت زوجها على السجود في جوف الليل، فعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (رحم الله أمرأ قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٦٨ .

زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء. وإذا قاما وصليا ركعتين معاً كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات)[1] ، ولقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتفقد صحابته بالليل ليرى من يحظى بشرف قيام الليل. فلقد طرق باب فاطمة ليلاً وقال: ألا تصليان؟ قالت: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف وهو يقول: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا(٥٤)﴾[2]، [3] .

٥- أن يترك الصلاة ويرقد إذا غلبه النعاس حتى يذهب عنه النوم. فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع)[4]. وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فوجد حبلاً ممدوداً بين ساريتين فقال: (ما هذا قالوا: لزينب تصلي. إذا كسلت أو فترت أمسكت به. فقال: حلوه. ليصل أحدكم نشاطه. فإذا كسل أو فتر فليرقد)[5] .

٦- أن لا يشق على نفسه بل يقوم من الليل بقدر طاقته ويداوم على ذلك. فخير الأعمال أدومها وإن قلت. فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خذوا من الأعمال ما تطيقون، فو الله لا يمل الله حتى تملوا)[6] ، [7].

فضل قيام اللّيل:

عدّ العُلماءُ بضعة فضائل لقيام اللّيل، منها:

١- عناية النبيّ عليه الصّلاة والسّلام بقيام اللّيل حتى تفطّرت قدماه، فقد كان يجتهدُ في القيام اجتهاداً عظيماً.

---

(١) الألباني ، صحيح أبي داوود . رقم الحديث ١٤٥٠ .
(٢) سورة الكهف .
(٣) الإمام البخاري ، صحي البخاري ، رقم الحديث ١١٢٧ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٨٧ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٨٤ .
(٦) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٦٦٢٥ ، أخرجه البخاري (١١٥١)، ومسلم (٧٨٥) باختلاف يسير.
(٧) مجلة التوحيد، عدد ١٤٠٤ رمضان هـ، صفحة ٢٦. نشرت في شبكة الالوكة في ٢٠١٣/٨/٦

٢- قيامُ اللّيل من أعظم أسبابِ دخول الجنّة.

٣- قيامُ اللّيل من أسباب رَفع الدّرجات في الجنّة.

٤- المحافظونَ على قيام اللّيل مُحسنونَ مُستحقّون لرحمة الله وجنّته، فقد مدح الله أهل قيام اللّيل، وعدَّهم في جملة عباده الأبرار.

٥- مدح الله أهل قيام اللّيل في جملة عباده الأبرار، فقال عزَّ وَجَل في سورة الفرقان : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا(٦٤)).

٦- قيام اللّيل أفضَلُ الصّلاة بعد الفريضة.

٧- قيامُ اللّيل مُكفِّرٌ للسّيئاتِ ومنهاةٌ للآثام.

٨- شرفُ المؤمن قيام اللّيل.

٩- قيامُ اللّيل يُغْبَطُ عليه صاحبه لعظيم ثوابه، فهو خير من الدّنيا وما فيها.

الأسباب المعينة على قيام الليل كثيرة منها :

١- الإخلاص لله تعالى : كما أمر الله تعالى بإخلاص العمل له دون ما سواه : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ، فكلما قوي إخلاص العبد كان أكثر توفيقاً إلى الطاعات والقربات ، وفي حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب)[١] ، قال مطرف بن عبدالله بن الشخير : صلاح العمل بصلاح القلب ، وصلاح القلب بصلاح النية[٢] . قال ابن القيم رحمه الله : وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته يكون توفيقه سبحانه وإعانته ، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم ونياتهم ورغبتهم ورهبتهم ، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك[٣] .

---

(١) الإمام أحمد ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٨٢٥ .
(٢) ابن أبي الدني ، الإخلاص ، ص ٧٣ .
(٣) ابن القيم ، الفوائد ، ص ٣٤- ٣٦ .

ولذا حرص السلف الكرام أشد الحرص على إخفاء الطاعات كقيام الليل ؛ سأل رجل تميم بن أوس الداري رضي الله عنه فقال له : كيف صلاتك بالليل ؟ فغضب غضباً شديداً ثم قال : والله لركعة أصليها في جوف الليل في السر أحب إلي من أن أصلي الليل كله ، ثم أقصه على الناس . وكان أيوب السختياني يقوم الليل كله ، فإذا قرب الفجر رجع فاضطجع في فراشه ، فإذا طلع الصبح رفع صوته كأنه قد قام تلك الساعة .

٢- أن يستشعر مريد قيام الليل أن الله تعالى يدعوه للقيام : فإذا استشعر العبد أن مولاه يدعوه لذلك وهو الغني عن طاعة الناس جميعاً كان ذلك أدعى للاستجابة ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)﴾، قال سعد بن هشام بن عامر لعائشة رضي الله عنها : (أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ (يا أيها المزمل) قلت : بلى ، فقالت : إن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة)[١] .

٣- معرفة فضل قيام الليل : فمن عرف فضل هذه العبادة حرص على مناجاة الله تعالى ، والوقوف بين يديه في ذلك الوقت :

أ- ومما جاء في فضل هذه العبادة ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم)[٢]، وعن عبدالله بن

(١) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ١٦٠٠ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ورقم الحديث ١١٦٣ .

عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً)[1]، وعن عمرو بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن)[2] ، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه إلى صلاته فيقول الله جل وعلا : أَيَا مَلَائِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي)[3].

ب- قيام الليل يطرد الغفلة عن القلب كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)[4] ، قال يحى بن معاذ : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتفكر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

٤- النظر في حال السلف والصالحين في قيام الليل ومدى لزومهم له : فقد كان السلف يتلذذون بقيام الليل ، ويفرحون به أشد الفرح ، قال عبد الله بن وهب : كل ملذوذ إنما له لذة واحدة ، إلا العبادة ، فإن لها ثلاث لذات : إذا كنت فيها ، وإذا تذكّرتها ، وإذا أعطيت ثوابها . وقال محمد بن المنكدر : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الإخوان ، والصلاة في جماعة . وقال ثابت البناني : ما شيء أجده

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١١٣١، وفي صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٥٩ .
(٢) الألباني ، الكلم الطيب ، رقم الحديث ٥٤ ، وقال صحيح على شرط مسلم .
(٣) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٦٣٥ .
(٤) أحمد شاكر ، مسند أحمد ، ج٦ ، ص ٢٢ .
(٥) علي أحمد عبد العال الطهطاوي ، شعاع الشمس شرح فقه العبادات الخمس ، ص ٣١٧ – ٣١٨ .

في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل وقال يزيد الرقاشي : بطول التهجد تقر عيون العابدين ، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله . قال مخلد بن حسين : ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله ويصلي ، فأَغتمُّ لذلك ، ثم أتعزى بهذه الآية (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) . وقال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته . وعن القاسم بن معين قال : قام أبو حنيفة ليلة بهذه الآية (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) يرددها ويبكي ، ويتضرع حتى طلع الصبح . وقال إبراهيم بن شماس : كنت أرى أحمد بن حنبل يُحيي الليل وهو غلام . وقال أبو بكر المروذي : كنت مع الإمام أحمد نحواً من أربعة أشهر بالعسكر ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار ، فما علمت بختمة ختمها ، وكان يسرّ ذلك . وكان الإمام البخاري : يقوم فيتهجد من الليل عند السحر فيقرأ ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال . وقال العلامة ابن عبد الهادي يصف قيام شيخ الإسلام ابن تيمية : وكان في ليله منفرداً عن الناس كلهم خالياً بربه ، ضارعاً مواظباً على تلاوة القرآن ، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية ، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة . وقال ابن رجب في شيخه الإمام ابن القيم : وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان . وقال الحافظ ابن حجر يصف شيخه الحافظ العراقي : وقد لازمته ، فلم أره ترك قيام الليل بل صار له كالمألوف[1] .

٥- النوم على الجانب الأيمن : وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرشد أمته إلى النوم على الجانب الأيمن ، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري

(١) علي أحمد عبد العال الطهطاوي ، شعاع الشمس شرح فقه العبادات الخمس ، ص ٣١٧ – ٣١٨ .

ما خلّفه عليه ، ثم ليضطجع على شقه الأيمن ، ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[١] ، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن)[١] ، وعن حفصة رضي الله عنها قالت : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن)[٢]. قال الإمام ابن القيم رحمه الله : (وفي اضطجاعه صلى الله عليه وسلم على شقه الأيمن سر ، وهو أن القلب معلّق في الجانب الأيسر ، فإذا نام على شقه الأيسر استثقل نوماً ، لأنه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه ، فإذا نام على شقه الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله إليه)[٣].

٦- النوم على طهارة : تقدم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة)[٤]، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعارّ من الليل ، فيسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه)[٥] ، وجاء من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (طهّروا هذه الأجساد طهركم الله ، فإنه ليس عبد يبيت طاهراً إلا بات معه في شعاره ملك ، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال : اللهم اغفر لعبدك ، فإنه بات طاهراً)[٦].

٧- التبكير بالنوم : النوم بعد العشاء مبكراً وصية نبوية ، وخصلة حميدة ، وعادة صحية ومما جاء في فضله حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧١٤ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٦٤٧ .
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ٣١١ .
(٤) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣١١ ، وأخرجه الإمام مسلم برقم٢٧١٠ .
(٥) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٥٧٥٤ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٨٣١، ٣٦٣٦ .

وسلم كان يستحب أن يؤخر العشاء ، وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها) [١] ، ونقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض في قوله : (وكان يكره النوم قبلها) ، قال : لأنه قد يؤدي إلى إخراجها عن وقتها مطلقاً ، أو عن الوقت المختار ، والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم قبل الصبح ، أو عن وقتها المختار ، أو عن قيام الليل . وقال ابن رافع : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينِشّ الناس بدِرّته بعد العتمة ويقول : قوموا لعل الله يرزقكم صلاة . ومما يتعلق بالنوم : اختيار الفراش المناسب ، وذلك بعدم المبالغة في حشو الفراش ، وتليينه وتنعيمه لأن ذلك من أسباب كثرة النوم والغفلة ، ومجلبة للكسل والدّعة ، وثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : (كانت وسادة النبي صلى الله عليه وسلم التي ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف)[٢] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير قد أثر في جنبه الشريف فقال عمر :(يا نبي الله لو اتخذت فراشاً أوْثر من هذا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ما لي وللدنيا ، ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف ، فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ، ثم راح وتركها)[٣] ، وكان علي بن بكار رحمه الله تفرش له جاريته فراشه ، فيلمسه بيده ثم يقول : (والله إنك لطيب ، والله إنك لبارد ، والله لا علوتك ليلتي ، ثم يقوم يصلي إلى الفجر . ومن ذلك عدم الإفراط في النوم والاستغراق فيه ، قال إبراهيم ابن أدهم : إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار هائماً ، وفي المعاصي دائماً ، فكيف تُرضي من هو بأمورك قائماً)[٤].

٨- المحافظة على الأذكار الشرعية قبل النوم : فإن هذه الأذكار حصن حصين يقي بإذن الله من الشيطان ، ويعين على القيام ، ومن هذه الأذكار ، ما ثبت من حديث

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٩٩ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٧٤١ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٥٤٥ .
(٤) أرشيف ملتقى أهل الحديث - السلف وقيام الليل - المكتبة الشاملة الحديثة ، ص ٤٩١ .

أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أوى أحدكم إلى فراشه ، فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلّفه عليه ، ثم ليضطجع على شقّه الأيمن ، ثم ليقل : باسمك ربي وضعت جنبي ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)[١]، وعن عائشة رضي الله عنها :(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما يقرأ (قل هو الله أحد) و (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات)[٢]، وعن أبي مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[٣]، وعن أنس بن مالك رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال : (الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ، وكفانا فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي له)[٤] ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقصة الشيطان معه قال له : (إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختمها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له : صدقك وهو كذوب)[٥] ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضي الله عنها لما جاءت إليه تطلب منه خادماً ، فقال لها ولعلي :(ألا أدلكما على خير لكما من خادم ،إذا أويتما إلى فراشكما ، فسبّحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فإنه خير لكما من خادم)[٦].

---

(١) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٥٠٥٠ ، وأخرجه الإمام البخاري برقم ٦٣٢٠ .
(٢) الألباني ، المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٠٥٦ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٠٩ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧١٥ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٢٧٥ ، ٥٠١٠ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٣١٨ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اقرأ (قل يا أيها الكافرون) عند منامك ، فإنها براءة من الشرك)[١] ، وعن حفصة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن وقال : رب قني عذابك يوم تبعث عبادك)[٢] ، وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أتيت إلى مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، فإن متّ متّ على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول)[٣] ، وينبغي كذلك أن يحافظ المسلم على الأذكار الشرعية عند الاستيقاظ ، ومنها : ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذي رد علي روحي ، وعافاني في جسدي ، وأذن لي بذكره)[٤] ، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من تعارّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله سبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا استجيب له ، فإن توضأ ثم صلى قُبلت صلاته)[٥] ، قال الإمام ابن بطال : (وعد الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن من استيقظ من نومه لَهِجاً بتوحيد ربه ، والإذعان له بالملك ، والاعتراف بنعمه بحمده عليها ، وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١١٧٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٥٣٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٦ ، أخرجه البخاري (٢٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٠)
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٢٦ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رق٤م الحديث ١١٤٥ .

له بالتكبير ، والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه ، أنه إذا دعاه أجابه ، وإذا صلى قبلت صلاته ، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ، ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى)[1] . وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من نومه قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[2]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استيقظ من الليل يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران : (إن في خلق السماوات والأرض ... الآيات)[3] ، قال الإمام النووي : فيه استحباب مسح أثر النوم عن الوجه ، واستحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم .

٩- الحرص على نومة القيلولة بالنهار : وهي إما قبل الظهر أو بعده ، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (قيلوا فإن الشياطين لا تقيل)[3] ، قال إسحاق بن عبدالله : القائلة من عمل أهل الخير ، وهي مجمة للفؤاد مَقْواة على قيام الليل . ومرّ الحسن البصري بقوم في السوق في وسط النهار فرأى صخبهم وضجيجهم فقال : أما يقيل هؤلاء ، فقيل له : لا فقال : إني لأرى ليلهم ليل سوء.

١٠- اجتناب كثرة الأكل والشرب : فإن الإكثار منهما من العوائق العظيمة التي تصرف المرء عن قيام الليل ، وتحول بينه وبينه كما جاء في حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما ملأ آدمي وعاءاً شراً من بطنه ، حسْب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه)[4]وعن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل تجشأ في مجلسه : أقصر من جشائك ، فإن أكثر الناس شبعا

---

(١) أرشيف ملتقى أهل الحديث - ما معنى من تعار من الليل - المكتبة الشاملة الحديثة ، ص ٢٣٩ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٣٩٥ .
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٦٤٧ .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٥٦٧٤ .

في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة)[1] ، قال سفيان الثوري : عليكم بقلة الأكل ، تملكوا قيام الليل . ورأى معقل بن حبيب قوماً يأكلون كثيراً فقال : ما نرى أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة . وقال وهب بن منبه : ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوام [2].

١١- مجاهدة النفس على القيام : وهذا من أعظم الوسائل المعينة على قيام الليل لأن النفس البشرية بطبيعتها أمارة بالسوء تميل إلى كل شر ومنكر فمن أطاعها فيما تدعو إليه قادته إلى الهلاك والعطب ، وقد أمرنا الله تعالى بالمجاهدة فقال : (وجاهدوا في الله حق جهاده) وقال سبحانه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وقال تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " المجاهد من جاهد نفسه في الله)[3] ، وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور وعليه عُقَد ، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة ، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة ، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة ، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة ، فيقول الله عز وجل للذين من وراء الحجاب : انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ، ويسألني ، ما سألني عبدي فهو له)[4] ، قال محمد بن المنكدر : كابدت نفسي أربعين عاماً حتى استقامت لي . وقال ثابت البناني : كابدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة وتلذذت به عشرين سنة . وقال عمر بن عبد العزيز : أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقال عبد الله بن المبارك : إن الصالحين فيما مضى كانت تواتيهم أنفسهم على الخير

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١١٩٠ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، ج١ ، رقم السؤال ٣٧٣٩
(٣) الألباني ،السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٥٤٩ .
(٤) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٦٢٧ .

، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره فينبغي لنا أن نكرهها . وقال قتادة : يا ابن آدم : إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط ، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل ، ولكن المؤمن هو المتحامل .

١٢- اجتناب الذنوب والمعاصي : فإذا أراد المسلم أن يكون مما ينال شرف مناجاة الله تعالى ، والأنس بذكره في ظلم الليل ، فليحذر الذنوب ، فإنه لا يُوفّق لقيام الليل من تلطخ بأدران المعاصي ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم : إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء ؟ فقال : لا تعصه بالنهار ، وهو يُقيمك بين يديه في الليل ، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف ، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف . وقال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد : إني أبِيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعِدّ طهوري ، فما بالي لا أقوم ؟ فقال الحسن : ذنوبك قيدتْك . وقال رحمه الله : إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل ، وصيام النهار . وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل ، وصيام النهار ، فأعلم أنك محروم مكبّل ، كبلتك خطيئتك[1] .

١٣- محاسبة النفس وتوبيخها على ترك القيام : فمحاسبة النفس من شعار الصالحين ، وسمات الصادقين قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) . قال الإمام ابن القيم : فإذا كان العبد مسئولاً ومحاسباً على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه كما قال تعالى : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب .

وقيام الليل عبادة تصل القلب بالله تعالى ، وتجعله قادراً على التغلب على مغريات الحياة الفانية ، وعلى مجاهدة النفس في وقت هدأت فيه الأصوات ، ونامت العيون وتقلب

---

(١) مجلة الوعي ، لعدد ٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨ - العدد ٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨ ، السنة السابعة والعشرون، رجب وشعبان ورمضان ١٤٣٣هـ

النّوام على الفرش . ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة ، وسمات النفوس الكبيرة ، وقد مدحهم الله وميزهم عن غيرهم بقوله تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩))[١] .

وقيام الليل سنة مؤكدة حث النبي صلى الله عليه وسلم على أدائها بقوله : (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم مطردة للداء عن الجسد)[٢] .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل)[٣] ، وقد حافظ النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل ، ولم يتركه سفراً ولا حضراً ، وقام صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر حتى تفطّرت قدماه ، فقيل له في ذلك فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً)[٤].

وهكذا كان حال السلف الكرام عليه رحمة الله تعالى ؛ (قال أبو الدرداء رضي الله عنه : صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمة القبور . وقال أحمد بن حرب : عجبت لمن يعلم أن الجنة تزيّن فوقه ، والنار تضرم تحته ، كيف نام بينهما . وكان عمر بن ذر إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال : جاء الليل ، وللّيل مهابة ، والله أحق أن يهاب ، ولذا قال الفضيل بن عياض : أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال : ليس هذا لكِ ، قومي خذي حظك من الآخرة . وقال الحسن : ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ، ونفقة المال ، فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره)[٥] .

---

(١) سورة الزمر .
(٢) أورده الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة برقم ٥٣٤٨
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٦٣ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٧١ .
(٥) الموسوعة الشاملة ، فتاوى الإسلام سؤال وجواب ، ج١ ، رقم السؤال ٣٧٣٩ .

وكان نساء السلف يجتهدن في قيام الليل مشمرات للطاعة ، فأين نساء هذه الأيام عن تلك الأعمال العظام :

١- قال عروة بن الزبير :(أتيت عائشة رضي الله عنها يوماً لأسلم عليها فوجدتها تصلي وتقرأ قوله تعالى : (فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧))[1] ترددها وتبكي ، فانتظرتها فلما مللت من الانتظار ذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت إلى عائشة فإذا هي على حالتها الأولى تردد هذه الآية في صلاتها وتبكي)[2] .

٢- وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال لي جبريل : راجع حفصة فإنها صوامة قوامة)[3] .

٣- وقامت معاذة العدوية من التابعيات الصالحات ليلة زفافها هي وزوجها صلة بن أشيم يصليان إلى الفجر ، ولما قتل زوجها وابنها في أرض الجهاد ، كانت تحيي الليل كله صلاة وعبادة وتضرعاً ، وتنام بالنهار ، وكانت إذا نعست في صلاتها بالليل قالت لنفسها : يا نفس النوم أمامك .

٤- وكانت حبيبة العدوية إذا صلت العشاء ، قامت على سطح دارها وقد شدت عليها درعها وخمارها ، ثم تقول : إلهي ، غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك ، ثم تقبل على صلاتها ومناجاتها لربها إلى السحر ، فإذا جاء السحر قالت : اللهم هذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهني ، أم رددتها

---

(١) سورة الطور .
(٢) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٧٦ .
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٢٢٧ .

علي فأعزي .

٥- وقامت عمرة زوج حبيب العجمي ذات ليلة تصلي من الليل ، وزوجها نائم ، فلما دنا السحر ، ولم يزل زوجها نائماً ، أيقظته وقالت له : قم يا سيدي ، فقد ذهب الليل ، وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ، ونحن قد بقينا[١] .

س١٨٦ : لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على أداء سنة الفجر حتى في السفر ؟.

ج١٨٦: يقول ابن القيم:(وكان من هديه في سفره الاقتصار على الفرض ولم يحفظ عنه أنه صلى سنة الصلاة قبلها ولا بعدها إلا ما كان من الوتر وسنة الفجر فإنه لم يكن ليدعهما حضرا ولا سفرا)[٢] .

وقال رحمه الله كذلك : (وكان تعاهده ومحافظته على سنة الفجر أشد من جميع النوافل ولذلك لم يكن يدعها هي والوتر سفرا وحضرا وكان في السفر يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن ولم ينقل عنه في السفر أنه صلى سنة راتبة غيرهما)[٣] .

وثبت عن أبي قتادة رضي الله عن أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم فيسفر له فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وملت معه فقال : انظر فقلت هذا راكب هذان راكبان هؤلاء ثلاثة حتى صرنا سبعة فقال احفظوا علينا صلاتنا يعني صلاة الفجر فضرب على آذانهم فما أيقظهم إلا حر الشمس فقاموا فساروا هنية ثم نزلوا فتوضئوا وأذن بلال فصلوا ركعتي الفجر ثم صلوا الفجر وركبوا فقال بعضهم لبعض قد فرطنا في صلاتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا تفريط في النوم إنما التفريط في اليقظة فإذا سها أحدكم عن صلاة فليصلها

---

(١) الموسوعة الشاملة ، فتاوى الإسلام سؤال وجواب ، ج١ ، رقم السؤال ٣٧٤٠
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ٤٧٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ،ص ٣١٥ .

حين يذكرها)[1] .

وجاء في كتاب صلاة المسافرين وقصرها عند الإمام مسلم حديث عائشة : (أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح)[2]، وكذلك يشرع للمسافر المحافظة على الوتر وقيام الليل وصلاة الضحى وكل صلاة ذات سبب كالصلاة بعد كل وضوء وصلاة التوبة وتحية المسجد وركعتي الطواف وغيرها ، وكذلك لا يمنع من النفل المطلق[3].

وسئل الشيخ ابن باز هذا السؤال : (هل تسقط السنن الرواتب في السفر من غير ركعتي الفجر والوتر، حيث أنني أرغب المحافظة عليها في سفري، فإذا صليت السنن الرواتب وحافظت عليها في السفر هل في ذلك بأس؟) فأجاب رحمه الله : لأولى تركها في السفر إلا سنة الفجر تأسيًا بالنبي صلى الله عليه وسلم فيصلي سنة الفجر معها، أما سنة الظهر والمغرب والعشاء والعصر فهذه الأفضل تركها؛ لأن الله خفف عن المسافر نصف الصلاة، فيترك التطوعات التي مع الفريضة، أما كونه يصلي صلاة الضحى أو سنة الوضوء أو التهجد بالليل هذا باقي يفعله المسافر وغيره، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتهجد من الليل، يصلي الضحى وهو مسافر، لا بأس بذلك، لكن سنة الظهر القبلية والبعدية، وسنة العصر قبلها، سنة المغرب بعدها، سنة العشاء بعدها الأفضل تركها في السفر)[4].

مسائل متعلقة بما قبل وبعد صلاة الفجر من شرح بلوغ المرام للشيخ عبدالكريم الخضير حفظه الله :

١- الإشراق هو بزوغ الشمس والذي في التقويم موضوعٌ للدلالة على البزوغ لا على ارتفاع الشمس.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦٨١ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٢٤ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب في ٠٣-٠٧-٢٠٠٢)
(٤) الشيخ عبدالعزيز بن باز ، الموقع الرسمي .

٢- الوقت الذي بعد ارتفاع الشمس هو الوقت الذي تصلى فيه الركعتان إن صح الخبر فيمن صلى الصبح في جماعة وجلس في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس، فالصلاة لا تصلى إلا بعد ارتفاع الشمس، وحينئذٍ يدخل وقت الضحى.

٣- ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الصحيح أنه كان يمكث في مصلاه بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، فمن فعل ذلك فقد اقتدى بفعله عليه الصلاة والسلام، وبعد ارتفاع الشمس يصلي ركعتين، وسواء ثبت الخبر أو لم يثبت فإن صلاة الضحى ثابتة ووقتها قد دخل بارتفاع الشمس.

٤- إذا فاتت الإنسان صلاة الفجر فإنه يبدأ بالنافلة ما لم يخش طلوع الشمس، فإن خشي طلوع الشمس فإنه يصلي صلاة الفجر في وقتها أداءً ثم يقضي النافلة.

٥- من دخل المسجد في الوقت المضيق فإنه يجلس ولا يصلي، أو ينتظر حتى ترتفع الشمس ثم يصلي.

٦- الركعتان قبل الصبح هما آكد الرواتب، وكان النبي عليه الصلاة والسلام لا يدعهما سفراً ولا حضراً مع الوتر.

٧- قوله (وكان إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين): لأن الوقت وقت نهي، فإذا طلع الفجر بدأ وقت النهي وانقطع التنفل المطلق.

٨- من صفة هاتين الركعتين أنهما خفيفتان، حتى قالت أم المؤمنين (لا أدري أقرأ بفاتحة الكتاب أم لا) بسبب تخفيفه هاتين الركعتين، لأنهما مع تأكدهما جاءتا في وقت نهي وهما نفل فهما على خلاف الأصل الذي تقرر بقوله عليه الصلاة والسلام (لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس)، وهذا يشمل ما قبل الصلاة وما بعدها، وجاء الاستثناء (إلا ركعتي الصبح).

٩- الجمهور على أن من صفة ركعتي الصبح الخفة، وقال بعضهم إنه لا يزيد على الفاتحة، والصواب أنه يزيد على الفاتحة سورتي الإخلاص.

١٠- دلت بعض النصوص على أن الفائدة من هذه الرواتب تكميل الفرائض، وفي الحديث (انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع).

١١- حديث عائشة (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر) ولمسلم (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها): كان النبي عليه الصلاة والسلام يواظب عليها في السفر والحضر، وقد يُشغَل أحياناً عن بعض النوافل فيقضيها، لكن ركعتا الفجر لا يخل بهما، بل يحرص عليهما أشد الحرص.

١٢- أهل العلم يقولون إن الرواتب لا تفعل في السفر باستثناء ركعتي الصبح

١٣- دلت النصوص على أن الفائدة من هذه الرواتب تكميل الفرائض، وفي الحديث (انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع).

١٤- حديث عائشة في تخفيف الركعتين قبل صلاة الفجر: الفريضة تُطَوَّلُ فيها القراءة، كما جاء في حديث عائشة (وإلا الصبح فإنها تُطَوَّلُ فيها القراءة)، وأما النافلة فتخفف فيها القراءة.

١٥- قولها (حتى إني أقول: أقرأ بأم الكتاب؟!!): يعني مبالغة في تخفيف هاتين الركعتين، حتى قال بعضهم إنه لا يشرع قراءة قدر زائد على الفاتحة، وشذ بعضهم وقال (ولا تقرأ ولا الفاتحة) لكنه قول شاذ لا يعول عليه، والتشكيك في قراءة الفاتحة لا يمنع من كونه قرأها، فالمراد أنه يبالغ في التخفيف.

١٦- حديث أبي هريرة (أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد)): تشرع قراءتهما في افتتاح الصلاة في النهار ويقرأ بهما في ركعتي المغرب وفي ركعتي الطواف وفي الوتر.

١٧- جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قرأ في ركعتي الصبح في الركعة الأولى بآية البقرة (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) وفي الركعة الثانية قرأ بالآية التي في آل عمران (قل يا أهل الكتاب) عوضاً عن سورتي الإخلاص، فدل

على أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ بعد الفاتحة إما سورة قصيرة كسورتي الإخلاص أو آية واحدة.

١٨- حديث عائشة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن): هذا ثابت من فعله عليه الصلاة والسلام وهذه الضجعة بعد ركعتي الفجر اختلف أهل العلم في حكمها:

أ- بالغ ابن حزم فقال بالوجوب بل قال إن صلاة الصبح لا تصح لمن لم يضطجع بعد ركعتي الصبح، فيُبطِل الصلاة إذا لم يضطجع قبلها.

ب- هل هذا الفعل له ارتباط بالصلاة ليكون له أثر في حكم الصلاة؟ النبي عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل قياماً طويلاً فيحتاج إلى الراحة،

ت- قال بعضهم إن هذه الضجعة لا تشرع إلا لمن أطال القيام، فهي تفعل إن احتاج إليها لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يفعلها لحاجته إليها، ولذا كان ابن عمر يحصب - يرمي بالحصى - من اضطجع، لكن هذا كان في المسجد لأنه لا يمكن أن يحصب الناس وهم في بيوتهم، والنبي عليه الصلاة والسلام إنما كان يضطجع في بيته ولم يكن يضطجع في المسجد، وعلى هذا فالاضطجاع سنة لمن صلى الركعتين في بيته اقتداءً بالنبي عليه الصلاة والسلام، ولا يُربَط ذلك بالحاجة، وإنما يُربَط بفعل ما فعله النبي عليه الصلاة والسلام، وفعل ابن عمر يحمل على من اضطجع في المسجد لا في البيت.

ث- عند ابن حزم لا بد أن يكون الاضطجاع على الجنب الأيمن، فلو لم يستطع الاضطجاع على جنبه الأيمن فإنه لا يضطجع على جنبه الأيسر، بل يومئ إيماءً إلى الاضطجاع ولا يضطجع، وهذه حرفية.

ج- حديث أبي هريرة (إذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه الأيمن): الحديث في المسند والسنن وصححه بعضهم، لكن شيخ الإسلام يقول

(الأمر بالاضطجاع ليس بصحيح، تفرد به عبد الواحد بن زياد ولا يحتَمل تفرده) كما نقله ابن القيم عنه.

ح- لو ثبت الأمر فالأصل فيه الوجوب، لكن يبقى أنه أمر خارج عن الصلاة، فهو أمر توجيه وإرشاد وإرفاق، فأقل أحواله الاستحباب، وعرفنا أنه مروي من طريق عبد الواحد بن زياد وفيه مقال ولا يحتمل تفرده، ولذا حكم شيخ الإسلام على الحديث بأنه ليس بصحيح.

خ- الأفضل أن يصلي راتبة الفجر في بيته ويضطجع بعدها، فإذا حضر إلى المسجد قبل إقامة الصلاة فإنه يصلي تحية المسجد، لأن النهي مخفف والوقت موسع.

١٩- التصدق على من فاتته الجماعة بالصلاة معه في وقت نهي لا بأس به، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال (من يتصدق على هذا) وكان هذا في صلاة الصبح فقام شخص فصلى معه، فهذه الصلاة في الوقت الموسع لها سبب وهو الصدقة، وهو وقتٌ موسع.

٢٠- من لم يتمكن من صلاة الراتبة قبل صلاة الفجر فهو بالخيار:

أ- إما أن يصليها بعد الفريضة قبل ارتفاع الشمس

ب- وإما أن يصليها بعد ارتفاع الشمس، والنبي عليه الصلاة والسلام أقر من صلى راتبة الصبح بعدها.

٢١- جاء في الحديث (من صلى الصبح في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلي ركعتين كان له أجر عمرة وفي رواية حجة تامة): هذا الحديث محل كلام لأهل العلم، لكن إذا جلس في مصلاه يذكر الله حتى تنتشر الشمس فقد اقتدى بفعل النبي عليه الصلاة والسلام لأنه ثابت من فعله في الصحيح، وإذا صلى ركعتين بنية الضحى ثبت له أجر ركعتي الضحى.

٢٢- يقال فيمن جلس حتى ترتفع الشمس وصلى ركعتين: إن ثبت الخبر الذي فيه الأجر المنصوص عليه وهو أجر عمرة أو حجة تامة فبها ونعمت، وإن لم يثبت فالنبي عليه

الصلاة والسلام جلس حتى تنتشر الشمس وحث على ركعتي الضحى وأوصى بهما، فلا يلام من يفعل هذا، وإن قال بعض الناس كيف تعمل بحديث ضعيف؟!! نقول: إن لم يثبت هذا الحديث الضعيف فقد عملنا بأحاديث صحيحة.

٢٣- بعض من ينتسب إلى العلم يجلس إلى أن تنتشر الشمس ثم يقول (لا صلاة الآن) وليس هناك شيء اسمه صلاة الإشراق، وينكر على من يصلي، يقال: صلِّ، فإن ثبت الحديث الذي فيه الفضل والثواب العظيم فبها ونعمت، وإن لم تثبت فإنها صلاة ضحى.

٢٤- صلاة الإشراق هي صلاة الضحى[(١)].

س١٨٧ : لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التشدد في العبادة وإرهاق النفس ؟.

ج١٨٧: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (التشدد هو الغلو والتنطع، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين، ويقول صلى الله عليه وسلم : هلك المتنطعون! هلك المتنطعون! هلك المتنطعون قالها ثلاثًا عليه الصلاة والسلام. معناه: الزيادة على ما شرعه الله، هذا التشدد يزيد على ما شرعه الله، ومن ذلك: البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها، والصلاة عندها، هذا زيادة على ما شرع الله، شرع الله زيارتها والدعاء لأهلها بالمغفرة والرحمة، أما كونه يبني عليها مساجد أو قباب هذا من وسائل الشرك ومحرم، والرسول صلى الله عليه وسلم أنكر ذلك ولعن اليهود والنصارى على فعل ذلك ، والصلاة عند القبور من وسائل الغلو فيها والشرك، هكذا الزيادة على ما شرعه الله كأن يتوضأ أكثر من ثلاث هذا زيادة على ما شرعه الله، وكذلك كونه يستعمل في صلاته ما لم يشرعه الله غير الزيادة على الوضوء، بل يستعمل أشياء ما شرعها الله في صلاته، بأن يركع ركوع يضره أو يضر المأمومين، أو يسجد سجود يضره أو يضر المأمومين، بل يقتصد ويتحرى الاقتصاد، القصد في العبادة هو المطلوب، وعدم التشديد لا على المأموم ولا على

---

(١) منصور بن مزيد السبيعي في موقع صيد الفوائد ، نقلا عن الشيخ الخضير حفظه الله ، وأوردها بدون تخريج للأحاديث الواردة .

نفسه، كل هذا من التشدد، والنبي نهى عن هذا عليه الصلاة والسلام قال: هلك المتنطعون، ونهى عن التبتل، كل ذلك لما في التبتل والتشدد من المضرة العظيمة)[1].

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: (جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها -أي: عدُّوها قليلة-، فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أما أنا فإني أُصلِّي الليل أبدًا -أي: دائمًا دون انقطاع-، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر -أي: أواصل الصيام يومًا بعد يوم-، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا".. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأُصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغِب عن سنتي فليس مني». وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ الحولاء بنت تُوَيْتِ بن حبيب بن أسد ابن عبد العزَّى مرَّت بها، وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: "فقلت: هذه الحولاء بنت تويتٍ. وزعموا أنَّها لا تنام بالليل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنام بالليل! خذوا من العمل ما تطيقون، فو الله لا يسأم الله حتى تسأموا)[2]، قال ابن القيم: "نهى النَّبي صلى الله عليه وسلم عن التشديد في الدين بالزيادة على المشروع، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنَّ تشديد العبد، على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقدر وإما بالشرع. فالتشديد بالشرع: كما يُشدِّد على نفسه بالنذر الثقيل، فيَلزَمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس. فإنهم شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك، وصار صفةً لازمةً لهم)[3] وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يُسر، ولن يُشاد الدين أحدٌ إلا غلبه فسدِّدوا وقارِبوا، وأبشِروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدُّلجة)[4]، [5].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٨٥ .
(٣) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ، ج١ ، ص ١٣٢ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٩ .
(٥) موقع طريق الإسلام الألكتروني في . ١٠/٥/ ٢٠١٤

س١٨٨ لماذا أمر الله تعالى المسلمين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحث على العمل بسنته ؟.

ج١٨٨:يقول الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في إحدى خطبه : (إن من المتفق عليه بين المسلمين الأولين كافة، أن السنة النبوية –على صاحبها أفضل الصلاة والسلام– هي المرجع الثاني والأخير في الشرع الإسلامي، في كل نواحي الحياة من أمور غيبية اعتقادية، أو أحكام عملية، أو سياسية، أو تربوية، وأنه لا يجوز مخالفتها في شيء من ذلك لرأي أو اجتهاد أو قياس، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله في آخر "الرسالة: (لا يحل القياس والخبر موجود)"، ومثله ما اشتهر عند المتأخرين من علماء الأصول: (إذا ورد الأثر بطل النظر)، (لا اجتهاد في مورد النص)، ومستندهم في ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة : القرآن يأمر بالاحتكام إلى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم : أما الكتاب ففيه آيات كثيرة، أجتزئ بذكر بعضها في هذه المقدمة على سبيل الذكرى؛ (فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(٥٥)) [١].

١- قال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّـهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا(٣٦)) [٢].

٢- وقال عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ...(١)) [٣].

٣- وقال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّـهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ(٣٢)) [٤].

٤- وقال عز من قائل: (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّـهِ شَهِيدًا. مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّـهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا(٨٠)) [٥].

---

(١) سورة الذاريات .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة الحجرات .
(٤) سورة آل عمران .
(٥) سورة النساء .

٥- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(٥٩)﴾[1].

٦- وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(٤٦)﴾[2] .

٧- وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(٩٢)﴾[3].

٨- وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّـهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٢٤)﴾[4].

٩- وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ(١٤)﴾[5].

١٠- وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا(٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّـهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا(٦١)﴾[6].

١١- وقال تعالى : ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّـهُ

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة الأنفال .
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) سورة النساء .
(٦) سورة النساء .

الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٦٣))[١].

١٢- وقال سبحانه: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّـهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّـهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ(٥٢))[٢].

١٣- وقال تعالى : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٧))[٣] .

١٤- وقال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّـهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّـهَ كَثِيرًا(٢١))[٤].

١٥- وقال: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ(٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ(٤))[٥].

١٦- وقال تبارك وتعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٤٤))[٦]. إلى غير ذلك من الآيات المباركات.

الأحاديث الداعية إلى اتباع النبي في كل شيء :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)[٧].

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (جاءت ملائكة إلى النبي وهو نائم، فقال

(١) سورة النور .
(٢) سورة النور .
(٣) سورة الحشر.
(٤) سورة الأحزاب .
(٥) سورة النجم
(٦) سورة النحل .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢٨٠ .

بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلًا، فاضربوا له مثلًا، فقالوا: مَثَلُه كمثل رجل بنى دارًا، وجعل فيه مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يُجِبْ الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أَوِّلوها يفقهها، فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس)[1].

٣- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق)[2] .

٤- عن أبي رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وإلا فلا)[3].

٥- عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه، فله أن يعقبهم بمثل قراه)[4] .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢٨١ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٢٨٣ .
(٣) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٣ .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٦٤٣ .

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهم (ما تمسكتم بهما) كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض)[١].

ما تدل عليه النصوص السابقة: وفي هذه النصوص من الآيات والأحاديث أمور هامة جدًا يمكن إجمالها فيما يلي:

١- أنه لا فرق بين قضاء الله وقضاء رسوله، وأن كلًّا منهما، ليس للمؤمن الخيرة في أن يخالفهما، وأن عصيان الرسول كعصيان الله تعالى، وأنه ضلال مبين.

٢- أنه لا يجوز التقدم بين يدي الرسول كما لا يجوز التقدم بين يدي الله تعالى، وهو كناية عن عدم جواز مخالفة سنته، قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين: (أي: لا تقولوا حتى يقول، وتأمروا حتى يأمر، ولا تفتوا حتى يفتي، ولا تقطعوا أمرًا حتى يكون هو الذي يحكم فيه ويمضي)[٢].

٣- أن التولي عن طاعة الرسول إنما هو من شأن الكافرين.

٤- أن المطيع للرسول مطيع لله تعالى.

٥- وجوب الرد والرجوع عند التنازع والاختلاف في شيء من أمور الدين إلى الله وإلى الرسول، قال ابن القيم: (فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل -يعني قوله: وأطيعوا الرسول- إعلامًا بأن طاعته تجب استقلالًا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به في الكتاب، أو لم يكن فيه، فإنه «أوتي الكتاب ومثله معه»، ولم يأمر بطاعة أُولي الأمر استقلالًا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول)[٣]. ومن المتفق عليه عند العلماء أن الرد إلى الله إنما هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، وأن ذلك من شروط الإيمان.

---

(١) الألباني، صحيح الجامع، رقم الحديث ٢٩٣٧.
(٢) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج١، ص ٥٨.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص ٥٤.

٦- أن الرضى بالتنازع، بترك الرجوع إلى السنة للخلاص من هذا التنازع؛ سبب هام في نظر الشرع لإخفاق المسلمين في جميع جهودهم، ولذهاب قوتهم وشوكتهم.

٧- التحذير من مخالفة الرسول لما لها من العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة.

٨- استحقاق المخالفين لأمره الفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

٩- وجوب الاستجابة لدعوة الرسول وأمره، وأنها سبب الحياة الطيبة، والسعادة في الدنيا والآخرة.

١٠- أن طاعة النبي سبب لدخول الجنة والفوز العظيم، وأن معصيته وتجاوز حدوده سبب لدخول النار والعذاب المهين.

١١- أن من صفات المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام ويبطنون الكفر أنهم إذا دُعُوا إلى أن يتحاكموا إلى الرسول وإلى سنته، لا يستجيبون لذلك، بل يصدون عنه صدودًا.

١٢- وأن المؤمنين على خلاف المنافقين، فإنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بادروا إلى الاستجابة لذلك، وقالوا بلسان حالهم وقولهم: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا(٥١))[١] ، وأنهم بذلك يصيرون مفلحين، ويكونون من الفائزين بجنات النعيم.

١٣- كل ما أمرنا به الرسول يجب علينا اتباعه فيه، كما يجب علينا أن ننتهي عن كل ما نهانا عنه.

١٤- أنه أسوتنا وقدوتنا في كل أمور ديننا إذا كنا ممن يرجو الله واليوم الآخر.

١٥- وأن كل ما نطق به رسول الله مما لا صلة له بالدين والأمور الغيبية التي لا تعرف بالعقل ولا بالتجربة؛ فهو وحي من الله إليه، (لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ..(٤٢))[٢].

---

(١) سورة النور .
(٢) سورة فصلت .

١٦- وأن سنته صلى الله عليه وسلم هي بيان لما أنزل إليه من القرآن.

١٧- وأن القرآن لا يغني عن السنة، بل هي مثله في وجوب الطاعة والاتباع، وأن المستغني به عنها مخالف للرسول عليه الصلاة والسلام غير مطيع له، فهو بذلك مخالف لما سبق من الآيات.

١٨- أن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله، وكذلك كل شيء جاء به رسول الله مما ليس في القرآن، فهو مثل ما لو جاء في القرآن لعموم قوله: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه).

١٩- أن العصمة من الانحراف والضلال إنما هو التمسك بالكتاب والسنة، وأن ذلك حكم مستمر إلى يوم القيامة، فلا يجوز التفريق بين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

٢٠- لزوم اتباع السنة على كل جيل في العقائد والأحكام: هذه النصوص المتقدمة من الكتاب والسنة كما أنها دلت دلالة قاطعة على وجوب اتباع السنة اتباعًا مطلقًا في كل ما جاء به النبي، وأن من لم يرضَ بالتحاكم إليها والخضوع لها فليس مؤمنًا، فإني أريد أن ألفت نظركم إلى أنها تدل بعموماتها وإطلاقاتها على أمرين آخرين هامين:

الأول: أنها تشمل كل من بلغته الدعوة إلى يوم القيامة، وذلك صريح في قوله تعالى: (لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ...(١٩))[١] ، وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.. (٢٨))[٢] ، وفسَّره بقوله في حديث: (...وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة)[٣] ، وقوله صلى الله عليه وسلم:(والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار)[٤].

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) سورة سبأ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٣٨ .
(٤) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٥٧ .

الثاني: أنها تشمل كل أمر من أمور الدين، لا فرق بين ما كان منه عقيدة علمية، أو حكمًا عمليًا، أو غير ذلك، فكما كان يجب على كل صحابي أن يؤمن بذلك كله حين يبلغه من النبي أو من صحابي آخر عنه كان يجب كذلك على التابعي حين يبلغه عن الصحابي، فكما لا يجوز للصحابي مثلًا أن يرد حديث النبي إذا كان في العقيدة بحجة أنه خبر آحاد سمعه عن صحابي مثله عنه، فكذلك لا يجوز لمن بعده أن يرده بالحجة نفسها مادام أن المخبر به ثقة عنده، وهكذا ينبغي أن يستمر الأمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد كان الأمر كذلك في عهد التابعين والأئمة المجتهدين كما سيأتي النص بذلك عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

٢١- تحكُّم الخلف بالسنة بدل التحاكم إليها: ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا السنة النبوية وأهملوها، بسبب أصول تبناها بعض علماء الكلام، وقواعد زعمها بعض علماء الأصول والفقهاء المقلدين، كان من نتائجها الإهمال المذكور الذي أدى بدوره إلى الشك في قسم كبير منها، ورد قسم آخر منها لمخالفتها لتلك الأصول والقواعد، فتبدلت الآية عند هؤلاء، فبدل أن يرجعوا بها إلى السنة ويتحاكموا إليها، فقد قلبوا الأمر، ورجعوا بالسنة إلى قواعدهم وأصولهم، فما كان منها موافقًا لقواعدهم قبلوه، وإلا رفضوه، وبذلك انقطعت الصلة التامة بين المسلم وبين النبي، وخاصة عند المتأخرين منهم، فعادوا جاهلين بالنبي وعقيدته وسيرته وعبادته، وصيامه وقيامه وحجه وأحكامه وفتاويه، فإذا سُئلوا عن شيء من ذلك أجابوك إما بحديث ضعيف أو لا أصل له، أو بما في المذهب الفلاني، فإذا اتفق أنه مخالف للحديث الصحيح وذكروا به لا يذكرون، ولا يقبلون الرجوع إليه لشبهات لا مجال لذكرها الآن، وكل ذلك سببه تلك الأصول والقواعد المشار إليها، ولقد عمَّ هذا الوباء وطمَّ كل البلاد الإسلامية، والمجلات العلمية والكتب الدينية إلا نادرًا، فلا تجد من يفتي فيها على الكتاب والسنة إلا أفرادًا قليلين غرباء، بل جماهيرهم يعتمدون فيها على مذهب من المذاهب الأربعة، وقد يتعدونها إلى غيرها إذا وجدوا في ذلك مصلحة -كما زعموا-،

وأما السنة فقد أصبحت عندهم نسيًا منسيًا، إلا إذا اقتضت المصلحة عندهم الأخذ بها، كما فعل بعضهم بالنسبة لحديث ابن عباس في الطلاق بلفظ ثلاث وأنه كان على عهد النبي طلقة واحدة، فقد أنزلوها منزلة بعض المذاهب المرجوحة! وكانوا قبل أن يتبنوه يحاربونه ويحاربون الداعي إليه!

٢٢- غربة السنة عند المتأخرين: وإن مما يدل على غربة السنة في هذا الزمان وجهل أهل العلم والفتوى بها، جواب إحدى المجلات الإسلامية السيارة عن سؤال: (هل تبعث الحيوانات ...)، ونصه: (قال الإمام الآلوسي في تفسيره: ليس في هذا الباب -يعني بعث الحيوانات- نص من كتاب أو سنة يعول عليه يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطيور). هذا كل ما أعتمده المجيب، وهو شيء عجيب يدلكم على مبلغ إهمال أهل العلم -فضلًا عن غيرهم- لعلم السنة، فقد ثبت فيها أكثر من حديث واحد يصرح بأن الحيوانات تحشر، ويقتص لبعضها من بعض، من ذلك حديث مسلم في صحيحه: (لتؤدون الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)[1]. وثبت عن ابن عمرو وغيره أن الكافر حين يرى هذا القصاص يقول: (يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا....(٤٠))[2].

٢٣- أصول الخلف التي تُركت السنة بسببها: فما هي تلك الأصول والقواعد التي أقامها الخلف، حتى صرفتهم عن السنة دراسة واتباعًا؟ وجوابًا عن ذلك أقول: يمكن حصرها في الأمور الآتية:

الأول: قول بعض علماء الكلام: إن حديث الآحاد لا تثبت به عقيدة، وصرح بعض الدعاة الإسلاميين اليوم بأنه لا يجوز أخذ العقيدة منه، بل يحرم.

الثاني: بعض القواعد التي تبنتها بعض المذاهب المتبعة في "أصولها"، يحضرني الآن منها ما يلي:

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٨٢ .
(٢) سورة النبأ .

أ- تقديم القياس على خبر الآحاد.[1]

ب- رد خبر الآحاد إذا خالف الأصول[2].

ت- رد الحديث المتضمن حكمًا زائدًا على نص القرآن بدعوى أن ذلك نسخ له، والسنة لا تنسخ القرآن[3].

ث- تقديم العام على الخاص عند التعارض، أو عدم جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد[4].

ج- تقديم أهل المدينة على الحديث الصحيح.

الثالث: التقليد، واتخاذه مذهبًا ودينًا[5] .

(لاتباع السُنَّة ثمرات كثيرة، منها:

١- الوصول إلى درجة المحبة، فبالتقرب لله - عزّ وجلَّ - بالنوافل تنال محبة الله - عزّ وجلَّ- للعبد قال ابن القيِّم رحمه الله: "ولا يحبك الله إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهراً وباطناً، وصدَّقته خبراً، وأطعته أمراً، وأجبته دعوةً، وآثرته طوعاً، وفنيت عن حكم غيره بحكمه، وعن محبة غيره من الخلق بمحبته، وعن طاعة غيره بطاعته، وإن لم يكن ذلك فلا تتعنَّ، وارجع من حيث شئت، فالتمس نوراً فلست على شيء[6].

٢- نيل معيَّة الله تعالى للعبد، فيوفقه الله - تعالى - للخير، فلا يصدر من جوارحه إلا ما يرضي ربه عزّ وجلَّ ؛ لأنه إذا نال المحبة نال المعيَّة.

٣- إجابة الدعاء المتضمِّنة لنيل المحبة، فمن تقرَّب بالنوافل نال المحبة، ومن نال المحبَّة نال إجابة الدعاء ، ويدلّ على هذه الثمرات الثلاث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الَّله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الَّلهَ قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ

---

(١) ابن الملقن ، الإعلام ، ج ١ ، ص ٣٠٠، ٣٢٧،وانظر ابن الملك ، شرح المنار ص٦٢٣.
(٢) المصدرين السابقين .
(٣) ابن الملك ، شرح المنار ص٦٤٧ .
(٤) ابن الملك ، شرح المنار ص٢٨٩ – ٢٩٤ ، وانظر الشوكاني ، إرشاد الفحول ، ص ١٣٨ – ١٤٤ .
(٥) الإسلام سؤال وجواب في .(وردت في موقع طريق الإسلام في ٢٦/٥/ ٢٠١٤ م.
(٦) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٣ ، ص ٣٧ .

آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصرهُ الَّذِي يُبْصر بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[١] .

٤- جبر النَّقص الحاصل في الفرائض، فالنوافل تجبر ما يحصل في الفرائض من خَلَل. ويدلّ عليه: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسر، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شيءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ)[٢].

٥- حياة القلب كما تقدّم، فالعبد إذا كان محافظاً على السُّنَّة كان لِمَا هو أهم منها أحفظ، فيصعب عليه أن يفرِّط بالواجبات أو يقصر فيها، وينال بذلك فضيلة أخرى، وهي: تعظيم شعائر الله تعالى ، فيحيا قلبه بطاعة ربه، ومن تهاون بالسُّنَن عوقب بحرمان الفرائض.

٦- البعد والعصمة من الوقوع في البدعة؛ لأنَّ العبد كلما كان متبعاً لِمَا جاء في السُّنَّة كان حريصاً ألَّا يتعبد بشيء إلا وفي السُّنَّة له دليل يُتَّبع، وبهذا ينجو من طريق البدعة.

وللحفاظ على السُّنَّة ثمرات كثيرة، قال ابن تيمية رحمه الله: "فكل من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فالله كافيه، وهاديه، وناصره، ورازقه)[٣]، وقال تلميذه ابن القيِّم رحمه

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٠٢ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، ج١ ، ص ٤٠٥ ، رواه أحمد برقم (٩٤٩٤)، وأبو داود برقم (٨٦٤)، والترمذي برقم (٤١٣).
(٣) ابن تيمية ، القاعدة الجليلة ، ج١ ، ص ١٦٠ .

الله: "فمن صحب الكتاب والسُّنة، وتغرَّب عن نفسه وعن الخلق، وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب"[1]، [2] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)[3] أي: فليخش وليحذر من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا: أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أي: في قلوبهم من كفرٍ أو نفاقٍ أو بدعة، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أي: في الدنيا بقتل أو حدٍّ أو حبس أو نحو ذلك، كما روى الإمام أحمد: حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب اللائي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار فتغلبوني وتقحمون فيها)[4] .

س١٨٩: لماذا كانت صلاة الليل جهرية وصلاة النهار سرية ؟.

ج١٨٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : الأقرب والله أعلم أن الحكمة في ذلك أن النهار محل العمل، ومحل الأخذ والعطاء والاجتماع، فالسر أجمع للقلب، إذا قرأ سرًا أجمع لقلبه وأخشع لقلبه حتى يتدبر.

والليل محل الخلوة في البيت ومع الأهل ومحل خلوة بالله تعالى ، فإذا جهر كان أنشط له،

---

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ، ص ٤٦٧ .
(٢) شبكة الألوكة من ثمرات اتباع السنة الشيخ د. عبدالله بن حمود الفريح تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/١/١٠ ميلادي - ١٤٣٦/٣/١٩ هجري من كتاب: المنح العلية في بيان السنن اليومية.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ٢٤٩٩
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٠٠٢ .

وأقرب إلى انتفاعه بالقراءة وأبعد عن النوم، فهو في الليل يقرأ جهرة ليتدبر كتاب الله ولينشط في قراءته ويجمع قلبه على ذلك؛ لأن ما حوله هادئ فليس عنده مشاغل، فيرفع صوته حتى يجمع قلبه على القراءة ويتدبرها عن صوت مرفوع رفعًا لا يشق عليه، ولا يؤذي من حوله، إذا كان حوله نوام أو مصلون أو قراء لا يرفع رفعًا يؤذيهم ويشق عليهم لكن رفع خفيف، أما إذا كان ما حوله أحد فيكون رفعه وسطًا، يطرد الشيطان ويعينه على النشاط والتدبر.

إن الليل وقت الهدوء والخلوة وفراغ القلب ، فشرع فيه الجهر إظهاراً للذة مناجاة العبد لربه ، وحتى يتوافق على القراءة القلب واللسان والأذن ، وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة : (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا (٦) إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا(٧))[(١)].

قال ابن كثير : (والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته ، وكل ساعة منه تسمى ناشئة ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى : (هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا) أي أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش)[(٢)]، قال القرطبي : (فالمعنى : أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان ، لانقطاع الأصوات والحركات)[(٣)] ، وقال السعدي: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا) أي أقرب إلى حصول مقصود القرآن ، يتواطأ عليه القلب واللسان ، وتقل الشواغل ، ويفهم ما يقول ، ويستقيم له أمره ، وهذا بخلاف النهار ، فإنه لا يحصل به هذه المقاصد ، ولهذا قال : (إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلا) أي : تردداً في حوائجك ومعاشك يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام)[(٤)]، جاء في (حاشية الجمل على تحفة المحتاج) : (بقي حكمة الجهر ما هي ؟ ولعلها : أنها لما كان الليل محل الخلوة ، ويطيب فيه السمر ، شرع الجهر فيه إظهارا للذة مناجاة العبد لربه ، وخص

(١) سورة المزمل .
(٢) ابن كثير ، التفسير ، ج٤ ، ص ٤٣٥ .
(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٩ ، ص ٤٠ .
(٤) عبدالرحمن بن سعدي ، التفسير ، ص ١٠٥٨ .

بالأوليين لنشاط المصلي فيهما ، والنهار لما كان محل الشواغل والاختلاط بالناس ، طلب فيه الإسرار ، لعدم صلاحيته للتفرغ للمناجاة ، وألحق الصبح بالصلاة الليلية لأن وقته ليس محلا للشواغل عادة كيوم الجمعة)[1] ، وقال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين : (وأما التفريق بين صلاة الليل وصلاة النهار في الجهر والإسرار ففي غاية المناسبة والحكمة ؛ فإن الليل مظنة هدوء الأصوات وسكون الحركات وفراغ القلوب واجتماع الهمم المشتتة بالنهار ، فالنهار محل السبح الطويل بالقلب والبدن ، والليل محل مواطأة القلب للسان ، ومواطأة اللسان للأذن ؛ ولهذا كانت السنة تطويل قراءة الفجر على سائر الصلوات ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها بالستين إلى المائة ، وكان الصَّدِّيق يقرأ فيها بالبقرة ، وعمر بالنحل وهود وبني إسرائيل ويونس ونحوها من السور ؛ لأن القلب أفرغ ما يكون من الشواغل حين انتباهه من النوم ، فإذا كان أول ما يقرع سمعه كلام الله الذي فيه الخير كله بحذافيره صادفه خاليا من الشواغل فتمكن فيه من غير مزاحم ؛ وأما النهار فلما كان بضد ذلك كانت قراءة صلاته سرية إلا إذا عارض في ذلك معارض أرجح منه ، كالمجامع العظام في العيدين والجمعة والاستسقاء والكسوف ؛ فإن الجهر حينئذ أحسن وأبلغ في تحصيل المقصود ، وأنفع للجمع ، وفيه من قراءة كلام الله عليهم وتبليغه في المجامع العظام ما هو من أعظم مقاصد الرسالة)[2]،[3] .

س١٩٠: لماذا شرع الله صلاة الوتر ؟.

ج١٩٠: شرع الله عزّ وجلّ الصلاة؛ لتكون وسيلة اتصالٍ بين المسلم وخالقه، يؤديها متى شاء في النهار أو الليل بعد أن يؤدّي ما افترضه الله عليه من الصلوات الخمس، وقد شُرعت بعض الصلوات تبعاً للصلوات المفروضة؛ لتكمّلها وتُتمّها؛ كالسنن الراتبة، وسنن الصلوات الأخرى، كما شُرعت بعض الصلوات لأسبابٍ أخرى؛ منها: التقرّب من الله -تعالى- كصلاة النافلة، أو اللجوء إليه وقت الحاجة؛ كصلاة الحاجة والاستخارة، أو الصلوات التي

---

(١) العجيلي ، حاشية الجمل على شرح المنهاج، ج ١، ص ٣٥٩ .
(٢) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ٩١ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب في ٢٠٠٤/١٢/٢٩ م.

يكون لها أسباب تتعلّق بالوقت؛ كصلاتي الكسوف والخسوف، أو كصلاة الوتر التي تتعلّق بدخول وقت العشاء فيؤدّيها المسلم بعد الانتهاء من صلاة العشاء، ويتسائل الكثير من الناس عن الحكم الشرعي لصلاة الوتر هل هي مفروضة كباقي الصلوات، أم أنّها سنة كباقي السنن اختلف الفقهاء في حكم صلاة الوتر على عدّة أقوال، فبينما يرى بعض الفقهاء وجوب صلاة الوتر، وأنّها تعتبر من حيث الحكم الشرعي كباقي الفرائض الخمس، ذهب آخرون إلى أنّها سنة مؤكّدة وليست واجبة، وفيما يأتي بيان آراء الفقهاء، **وأدلّتهم حول حكم صلاة الوتر**:

١- ذهب الإمام مالك والإمام الشافعي إلى القول بأنّ صلاة الوتر سنة مؤكّدة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه لا ينبغي التهاون في أدائها مطلقاً، وقد استدلّوا على ما ذهبوا إليه بعدّة أدلة؛ منها ما رواه طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه، حيث قال: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا هو يسأله عن الإسلام، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: خمس صلوات في اليومَ والليلة، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا، إلّا أَنْ تَطَّوَّعَ)[1]، وحيث لم يُذكر من الصلوات المفروضة في الحديث المروي عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إلّا الصلوات الخمس المعروفة، فلا تكون الوتر واجبة، بل تكون أدنى من الفرائض الخمس، فتكون من السنّة، وقد ذكر الإمام الحافظ ابن حجر العسقلانيّ ما يؤيّد ذلك في كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري فقال: (لا يَجِب شَيْء مِنْ الصَّلَوَات فِي كُلّ يَوْم وَلَيْلَة غَيْر الْخَمْس خِلافًا لِمَنْ أَوْجَبَ الْوِتْر أَوْ رَكْعَتَيْ الْفَجْر)، ومع ذلك فتعدّ صلاة الوتر آكد الصلوات المسنونة، حيث أمر النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أصحابه بالالتزام بها، ونهاهم عن التهاون في أدائها في عدّة مواضع، لذلك ينبغي المحافظة عليها في الحضر والسفر؛ لفعل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ومداومته عليها في جميع أحواله، وقال الإمام أحمد ابن حنبل إنّ من ترك الوتر عامداً يعدّ رجل سوء، ولا تُقبل منه الشهادة.[2]

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٢٦٧٨ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١١

(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ،ص ١٦١ .

٢- يرى فقهاء الحنفية أنّ صلاة الوتر واجبة، لا يجوز تركها بحالٍ، وقد استدلّ أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلّة؛ منها: أنّ النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- جعل الوتر حقّ واجب على جميع المسلمين، ونفى صفة اتّباعه عمّن ترك صلاة الوتر، وذلك ظاهر بقول الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث، وترداده لذلك بقوله: (الوَتْرُ حقٌّ فمَنْ لمْ يُوتِرْ فليسَ مِنَّا، الوَتْرُ حقٌّ فمَنْ لمْ يُوتِرْ فليسَ مِنَّا، الوَتْرُ حقٌّ فمَنْ لمْ يُوتِرْ فليسَ مِنَّا)[٢] كما استدلّوا بأنّ صلاة الوتر هي صلاة مؤقتة، وأنّها تُقضى كما جاء في السنة، فدلّ ذلك على وجوبها.

س١٩١ : لماذا شرع الله الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء وما الأدلة على ذلك ؟

ج ١٩١ : الجمع بين الصلاتين له أحوال مختلفة:

أولا :الجمع بين الصلاتين في المزدلفة وعرفة:

اتّفقت كلمة الفقهاء على رجحان الجمع بين الصلاتين في المزدلفة وعرفة من غير خلاف بينهم، قال القرطبي: (أجمعوا على أنّ الجمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر بعرفة وبين المغرب والعشاء بالمزدلفة أيضاً في وقت العشاء سنّة أيضاً، وإنّما اختلفوا في الجمع في غير هذين المكانين.)[٣]: ، تحت عنوان الفصل الثاني في الجمع.

وقال ابن قدامة: قال الحسن وابن سيرين وأصحاب الرأي لا يجوز الجمع إلاّفي يوم عرفة بعرفة وليلة المزدلفة بها.[٤] .

أخرج مسلم عن جابر بن عبداللّه انّ رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلَّم ـ مكث تسع سنين لم يحج ثمّ أذن في الناس في العاشرة انّ رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلَّم حاجّ، فقدم المدينة بشر كثير كلّهم يلتمس أن يأتمّ برسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويعمل مثل عمله ،إلى أن قال: حتّى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها حتى إذا

---

(١) العيني ، عمدة القاري ، ج٧ ، ص ١٦ .
(٢) ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج١ ، ص ١٧٠ .
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١١٢ .

زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادي وخطب الناس . إلى أن قال:. ثمّ أذّن ثمّ أقام فصلّى الظهر، ثمّ أقام فصلّى العصر ولم يصل بينهما شيئاً . إلى أن قال: . حتّى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً[1].

ثانيا : الجمع بين الصلاتين في السفر:

ذهب معظم الفقهاء غير الحسن والنخعي وأبي حنيفة وصاحبيه إلى جواز الجمع بين الصلاتين في السفر، فيجوز عند الجمهور غير هؤلاء، الجمعُ بين الظهر والعصر تقديماً في وقت الأُولى وتأخيراً في وقت الثانية، وبين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً أيضاً، فالصلوات التي تجمع هي :

(الظهر والعصر، المغرب والعشاء في وقت إحداهما)

ويسمّى الجمع في وقت الصلوات الأُولى جمع التقديم، والجمع في وقت الصلوات الثانية جمع التأخير. وقد ذكر الشوكاني الأقوال بالنحو التالي:

١- ذهب إلى جواز الجمع في السفر مطلقاً تقديماً وتأخيراً، كثير من الصحابة والتابعين، ومن الفقهاء: الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق.

٢- وقال قوم: لا يجوز الجمع مطلقاً إلاّ بعرفة ومزدلفة. وهو قول الحسن والنخعي وأبي حنيفة وصاحبيه.

٣- وقال الليث: وهو المشهور عن مالك انّ الجمع يختص بمن جدّ به السير.

٤- وقال ابن حبيب: يختص بالسائر.

٥- وقال الأوزاعي: إنّ الجمع في السفر يختصّ بمن له عذر.

٦- وقال أحمد: واختاره ابن حزم، وهو مروي عن مالك انّه يجوز جمع التأخير دون التقديم[2].

---

(١) لإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ٣٩ – ٤٢ .
(٢) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٣ ، ٢٤٢ .

إنّ الأخبار الحاكية لفعل النبي . صلَّى الله عليه وسلَّم . على صنفين:

صنف يصرح بأنّه . صلَّى الله عليه وسلَّم . يجمع إذا جدّ به السير أو أعجله السير في السفر.

١- أخرج مسلم عن نافع، عن ابن عمر :(أنّ رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم كان إذا جدّ به السير جمع بين المغرب والعشاء)[١].

٢- أخرج مسلم عن سالم ،عن أبيه قال : (رأيت رسول اللّه . صلَّى الله عليه وسلَّم . يجمع بين المغرب والعشاء إذا جدَّ به السير)[٢].

٣- أخرج مسلم عن سالم بن عبد اللّه انّ أباه قال: (رأيت رسول اللّه . صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أعجله السير في السفر يؤخّر صلاة المغرب حتّى يجمع بينها وبين صلاة العشاء)[٣].

٤- أخرج مسلم عن أنس، (عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إذا عجَّل عليه السفر يؤخّر الظهر إلى أوّل وقت العصر فيجمع بينهما، ويؤخّر المغرب حتّى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق)[٤].

وصنف آخر يحكي فعل رسول اللّه بلا قيد (إذا جدّ به السير):

١- أخرج مسلم عن أنس بن مالك قال: (كان رسول اللّه . صلَّى الله عليه وسلَّم . إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخَّر الظهر إلى وقت العصر ثمّ نزل فجمع بينهما، فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلّى الظهر ثمّ ركب)[٥].

٢- أخرج مسلم عن أنس قال: (كان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إذا أراد أن يجمع بين الصلاتين في السفر أخّر الظهر حتّى يدخل أوّل وقت العصر ثمّ يجمع بينهما)[٦].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ١٥٠ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٠ .
(٤) المصدر السابق ، ج٢ و ص ١٥١ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥١ .
(٦) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥١ .

٣- أخرج أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : (أنّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخّر الظهر حتّى يجمعها إلى العصر يصلّيهما جميعاً، وإذا ارتحل بعد زيغ الشمس صلّى الظهر والعصر جميعاً ثمّ سار، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخّر المغرب حتّى يصلّيها مع العشاء، وكان إذا ارتحل بعد المغرب عجّل العشاء فصلاّها مع المغرب)[1].

٤- أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنه :(عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كان في السفر إذا زاغت الشمس في منزله جمع بين الظهر والعصر قبل أن يركب، فإذا لم تزغ له في منزله، سار حتّى إذا حانت العصر نزل فجمع بين الظهر والعصر، وإذا حانت له المغرب في منزله جمع بينها و بين العشاء، وإذا لم تحن في منزله ركب حتى إذا كانت العشاء نزل فجمع بينهما)[2].

٥- قال الشوكاني بعد نقله الرواية عن مسند أحمد: ورواه الشافعي في مسنده بنحوه وقال فيه: (وإذا سار قبل أن تزول الشمس أخّر الظهر حتّى يجمع بينها و بين العصر في وقت العصر)[3].

ثالثا : الجمع بين الصلاتين في الحضر لأجل الأعذار كالمطر والوحل :

المشهور هو جواز الجمع بين المغرب والعشاء لعذر خلافاً للحنفية حيث لم يجوّزوا الجمع مطلقاً إلاّ في الحج بعرفة والمزدلفة ، وأمّا القائلون بالجمع فقد اختلفوا من وجوه:

الأوّل: هل يختص الجواز بالمطر، أو يعمّه وغيره؟.

الثاني: هل يختص الجواز بالمغرب والعشاء، أو يعمّ الظهر والعصر؟.

الثالث: هل يختص الجواز بجمع التقديم أو يعمّ جمع التأخير؟ نعم ما ذكرناه هو رؤوس الاختلاف، وأمّا فروعها فكثيرة لا حاجة للتعرّض إليها.

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، ج٢ ، ص ٨ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢، ص ١٨ ، وعند الإمام أحمد في مسنده ج٥ ، ص ٢٤١ . .
(٣) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٣ ، ص ٢١٣ .

وأنقل كلماتهم في الوجوه الثلاثة:

أمّا الوجه الأوّل : فالظاهر من الشافعية هو اختصاص الجواز بالمطر ، قال الشيرازي: يجوز الجمع بين الصلاتين في المطر، وأمّا الوحل والريح والظلمة والمرض فلا يجوز الجمع لأجلها)[1].

وقال ابن رشد: أمّا الجمع في الحضر لعذر المطر فأجازه الشافعي . إلى أن قال: . وأمّا الجمع في الحضر للمريض، فأمّا مالكاً أباحه له إذا خاف أن يغمى عليه أو كان به بطن، ومنع ذلك الشافعي .

وقال في الشرح الكبير: (وهل يجوز ذلك . وراء المطر . لأجل الوحل والريح الشديدة الباردة، أو لمن يصلّي في بيته أو في مسجد طريقه تحت ساباط على وجهين)[2].

وأمّا الوجه الثاني: ، أي هل يختص الجواز بالمغرب والعشاء أو يعمّ الظهرين؟

فقال ابن رشد: (وأمّا الجمع في الحضر لعذر المطر فأجازه الشافعي ليلاً كان أو نهاراً، ومنعه مالك في النهار وأجازه في الليل.)[3] .

وقال النووي: قال الشافعي والأصحاب يجوز الجمع بين الظهر والعصر و بين المغرب والعشاء في المطر، وحكى إمام الحرمين قولاً إنّه يجوز بين المغرب والعشاء في وقت المغرب ولا يجوز بين الظهر والعصر، وهو مذهب مالك، و قال المزني: لا يجوز مطلقاً. والمذهب الأوّل هو المعروف من نصوص الشافعي قديماً وجديداً)[4].

وأمّا الوجه الثالث : أي اختصاص الجواز بجمع التقديم دون جمع التأخير.

فقال الشيرازي: يجوز الجمع بين الصلاتين في المطر في الوقت الأولة منهما، وهل يجوز أن يجمعهما في وقت الثانية؟ فيه قولان:

- قال الشافعي في (الإملاء): يجوز، لأنّه عذر يجوز الجمع به في وقت الأُولى فجاز الجمع في وقت الثانية كالجمع في السفر.

---

(١) النووي ، المجموع ، ج٤ ، ص ٢٥٨
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١١٨ .
(٣) بن رشد ، بداية المجتهد ، ج١ ، ص ١٧٣ .
(٤) النووي ، المجموع ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

- وقال في (الأُمّ): لا يجوز، لأنّه إذا أخّر ربما انقطع المطر فجمع من غير عذر)[1].

هذا إجمال الأقوال في النقاط الثلاث، ولهم اختلافات في مواضع أُخر لا حاجة لذكرها، والمهمّ هو وجود الدليل على جواز الجمع في الحضر لعذر ، وقد استدلّوا بحديثين:

١- ما دلّ على جواز الجمع في الحضر على وجه الإطلاق حيث حملوه على صورة المطر أو صورة العذر المطلق ، أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه انّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم صلّى بالمدينة سبعاً و ثمانياً الظهر والعصر، المغرب والعشاء. ستوافيك مصادر هذه الروايات في الصورة الرابعة من صور الجمع ، قال ابن رشد: وأمّا الجمع في الحضر لغير عذر، فانّ مالكاً وأكثر الفقهاء لا يجيزونه وأجاز ذلك جماعة من أهل الظاهر وأشهب من أصحاب مالك، وسبب اختلافهم في مفهوم حديث ابن عباس، فمنهم من تأوّله على أنّه كان في مطر كما قال مالك، و منهم من أخذ بعمومه مطلقاً.

٢- ما رواه ابن عباس رضي الله عنه انّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا سفر ولا مطر، قيل لابن عباس: ما أراد بذلك، قال: أراد أن لا يحرج أُمّته. ستوافيك مصادر هذه الروايات في الصورة الرابعة من صور الجمع.

فظاهر الحديث يعطي انّ الجمع في المطر كان أمراً مسلماً، ولذلك حاول ابن عباس أن يبيّن بأنّ هذا الجمع لم يكن لغاية المطر أو سائر الاعذار، بل عفواً لغاية عدم إحراج أُمّته، فلو جاز الجمع في الحضر لأجل العذر يكون الجمع في السفر اختياراً من أحكام السفر، لأنّ المسافر يجمع فيه بين الصلاتين بلا عذر وأمّا الحاضر فإنّما يجمع لعذر أو غيره. وأمّا إذا قلنا بالجواز في الحضر اختياراً كما سيوافيك فلا يكون الجمع بين الصلاتين من أحكام السفر.
إلى هنا تم الكلام في الصورة الثالثة، بقي الكلام في الصورة الرابعة .

---

(١) النووي ، المجموع ، ج٤ ، ص ٢٥٨ .

رابعا :الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً بلا عذر:

وحدّثنا ابن أبي عمر، حدّثنا وكيع، حدّثنا عمران بن حدير، عن عبد اللّه بن شقيق العقيلي قال: (قال رجل لابن عباس رضي الله عنه : الصلاة ، فسكت؛ ثمّ قال: الصلاة، فسكت؛ ثمّ قال: الصلاة، فسكت، ثمّ قال: لا أُمّ لك أتعلّمنا بالصلاة وكنّا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم)[1] ، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر ومع أنّ العنوان خاص بالحضر نقل فيه ثلاث روايات جاء فيها الجمع بين الصلاتين في السفر تركنا نقلها، ولعلّه نقلها في هذا الباب إيعازاً بأنّ كيفية الجمع في الحضر مثلها في السفر كما سيوافيك بيانه.

هذا ما نقله الإمام مسلم في صحيحه، وإليك ما نقله غيره:

١- أخرج البخاري عن ابن عباس: انّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم صلّى بالمدينة سبعاً وثمانياً: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، فقال أيوب : لعلّه في ليلة مطيرة؟ قال: عسى)[2].

٢- أخرج البخاري عن جابر بن زيد ،عن ابن عباس قال: (صلّى النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سبعاً جميعاً وثمانياً جميعاً)[3].

٣- أخرج البخاري بإرسال عن ابن عمر وأبي أيّوب وابن عباس، صلّى النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم المغرب والعشاء)[4].

٤- أخرج الترمذي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمع رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر، قال: فقيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أُمّته ، قال الترمذي بعد نقل الحديث: حديث ابن عباس قد روي عنه من غير وجه، رواه جابر بن زيد

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٥ ، ص ٢١٣ ـ ٢١٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص ١١٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٣ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٣ .

وسعيد بن جبير وعبد اللّه بن شقيق العقيلي[1].

٥- أخرج الإمام أحمد عن قتادة قال: سمعت جابر ابن زيد، عن ابن عباس قال: (جمع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر، قيل لابن عباس: وما أراد لغير ذلك؟ قال: أراد ألاّ يحرج أُمّته)[2].

٦- أخرج الإمام أحمد عن سفيان، قال عمر: (وأخبرني جابر بن زيد انّه سمع ابن عباس يقول: صلّيت مع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً، قلت له: يا أبا الشعثاء أظنّه أخّر الظهر وعجل العصر، وأخّر المغرب وعجّل العشاء، قال: وأظن ذلك)[3]، وما ظنه أن أراد به الجمع الصوري كما سيأتي فهو ليس بحجّة حتى للظان، والظن لا يغني عن الحقّ شيئاً.

٧- أخرج الإمام أحمد عن عبد اللّه بن شقيق، قال: (خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتّى غربت الشمس وبدت النجوم وعلق الناس ينادونه الصلاة وفي القوم رجل من بني تميم فجعل يقول: الصلاة الصلاة ، فغضب، قال: أتعلّمني بالسنّة شهدت رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال عبد اللّه: فوجدت في نفسي من ذلك شيئا فلقيت أبا هريرة فسألته فوافقه)[4].

٨- أخرج مالك عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (صلّى رسول اللّه ـ صلَّى الله عليه وسلَّم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر)[5].

٩- أخرج أبو داود عن سعيد بن جبير، عن عبد اللّه بن عباس، قال: صلّى رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم ـ الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر ، قال مالك: أرى ذلك كان في مطر)[6].

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج١ ، ص ٣٥٤ .
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥١ .
(٥) الإمام مالك ، الموطأ ، ج١ ، ص ١٤٤ .
(٦) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، ج٢ ، ص ٦ .

١٠- أخرج أبو داود عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، قال: (صلّى بنا رسول اللّه بالمدينة ثمانياً وسبعاً الظهر والعصر، والمغرب والعشاء ، قال أبو داود: ورواه صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس قال: في غير مطر)[١].

١١- أخرج النسائي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صلّى رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر)[٢].

١٢- أخرج النسائي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس انّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كان يصلّي بالمدينة يجمع بين الصلاتين بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير خوف ولا مطر، قيل له: لِمَ ؟قال: لئلاّ يكون على أُمّته حرج)[٣].

١٣- أخرج النسائي عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس قال: (صلّيت وراء رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً)[٤].

١٤- أخرج النسائي عن جابر بن زيد، عن ابن عباس: أنّه صلّى بالبصرة الأُولى والعصر ليس بينهما شيء، والمغرب والعشاء ليس بينهما شيء فعل ذلك من شغل، وزعم ابن عباس انّه صلّى مع رسول اللّه بالمدينة ، الأُولى والعصر ثمان سجدات ليس بينهما شيء)[٥].

١٥- أخرج الحافظ عبد الرزاق عن داود بن قيس، عن صالح مولى التوأمة انّه سمع ابن عباس يقول: (جمع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير سفر ولا مطر، قال قلت لابن عباس: لم تراه فعل ذلك؟ قال: أراه للتوسعة على أُمّته)[٦].

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٢١٤ .
(٢) النسائي ، سنن النسائي ، ج١ ، ص ٢٩٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٠ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٩٠ .
(٥) النسائي ، سنن النسائي ، ج١ ، ص ٢٨٦ .
(٦) عبدالرزاق ، المصنف ، ج٢ و ص ٥٥٥ ــ ٥٥٦ .

١٦- أخرج عبد الرزاق عن ابن عباس قال: (جمع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم بين الظهر والعصر، بالمدينة في غير سفر ولا خوف، قال: قلت لابن عباس: ولِمَ تراه فعل ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أحداً من أُمّته)[1] .

١٧- أخرج عبد الرزاق عن عمرو بن دينار انّ أبا الشعثاء أخبره انّ ابن عباس أخبره، قال: (صلّيت وراء رسول اللّه ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً بالمدينة، قال ابن جريج، فقلت لأبي الشعثاء: أنيّ لأظن النبي أخّر من الظهر قليلاً وقدّم من العصر قليلاً، قال أبو الشعثاء: وأنا أظن ذلك)[2] ، و ما ظنّه ابن جريج وصدّقه أبو الشعثاء ظن لا يغني من الحقّ شيئاً، وحاصله: انّ الجمع كان صورياً لا حقيقياً. وسيوافيك ضعف هذا الحمل وانّ الجمع الصوري يوجب الإحراج أكثر من التفريق فانّ معرفة أواخر الوقت من الصلاة الأُولى وأوائله من الصلاة الثانية أشكل من الجمع.

١٨- أخرج عبد الرزاق عن عمرو بن شعيب، عن عبد اللّه بن عمر قال: (جمع لنا رسول اللّه مقيماً غير مسافر بين الظهر والعصر فقال رجل لابن عمر: لِمَ ترى النبي فعل ذلك؟ قال: لأن لا يُحرج أُمّته إن جمع رجل)[3].

١٩- أخرج الطحاوي في (معاني الآثار) بسنده عن جابر بن عبد اللّه قال: (جمع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في المدينة للرخص من غير خوف ولا علّة)[4].

٢٠- أخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الاصفهاني عن جابر بن زيد :(أنّ ابن عباس جمع بين الظهر والعصر، وزعم انّه صلّى مع رسول اللّه بالمدينة الظهر والعصر)[5].

---

(١) عبدالرزاق ، المصنف ، ج٢ ، ص ٥٥٥-٥٥٦ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٥٦.
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٥٦ .
(٤) الطحاوي ، معاني الآثار ، ج١ ، ص ١٦١ .
(٥) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٣ ، ص ٩٠ .

٢١- أخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: قال ابن عباس رضي الله عنه : (صلّى رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم ثماني ركعات جميعاً وسبع ركعات جميعاً من غير مرض ولا علّة)[1]. حلية الأولياء:٣/٩٠ باب جابر بن زيد.

٢٢- أخرج البزار في مسنده عن أبي هريرة قال: (جمع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم بين الصلاتين في المدينة من غير خوف)[2] . مسند البزار:١/٢٨٣، الحديث رقم٤٢١.

٢٣- أخرج الطبراني في الأوسط والكبير بسنده عن عبد اللّه بن مسعود قال: (جمع رسول اللّه صلَّى الله عليه وسلَّم - يعني بالمدينة - بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فقيل له في ذلك، فقال: صنعت ذلك لئلاّ تحرج أُمّتي)[3]، [4].

فالذي يعدّ من أحكام السفر هو الصورتان الأُوليان دون الصورتين الأخيرتين، وقد اتّفقت كلمة الفقهاء على الجمع في المزدلفة وعرفة واختلفت في غيرهما، فها نحن نأخذ كلّ واحدة بالبحث مع ذكر الأقوال والمصادر بوجه موجز[5].

س١٩٢: لماذا يجوز جمع الظهر مع العصر ويجوز جمع المغرب مع العشاء لكن لا يجوز جمع العصر مع المغرب مثلاً؟

ج١٩٢: لا يَجوزُ جَمْعُ الصُّبحِ مع غيرِها، ولا جَمْعُ العَصرِ مع المغرِب. نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عبدِ البَرِّ : (وأجمع المسلمونَ أنَّه ليس لمسافرٍ ولا مريضٍ، ولا في حال المطَر يَجمَع بين الصُّبح والظهر، ولا بين العصر والمغرب، ولا بين العِشاء والصُّبح، وإنما الجمعُ بين صلاتَيِ الظُّهر والعصر، وبين صلاتَيِ المغرب والعشاء)[5] ، قال ابنُ قُدامةَ: (ولو كان الجَمعُ هكذا، لجازَ الجمعُ بيْن العصر والمغرب، والعشاء والصُّبح، ولا خِلافَ بين الأمَّة في تحريم ذلك)[7].

---

(١) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٣ ، ص ٩٠ .
(٢) البزار ، مسند البزار ، ج١ ، ص ٢٨٣ .
(٣) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٠ ، ص ٢٦٩
(٤) انظر المعجم الأوسط:٢/٩٤ وكنز العمال:٨/٢٤٦ـ ٢٥١.
(٥) الجمع بين الصلاتين على ضوء الكتاب والسنة ،موقع الشيخ جعفر السبحاني)
(٦) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج١٢ ، ص ٢١٥ .
(٧) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٢٠١ .

(قال النوويُّ: (ولا يجوز جَمْعُ الصُّبح إلى غيرها، ولا المغرب إلى العصر، بالإجماع)[1]. ، قال العراقيُّ: (ثُمَّ لو كان الجَمعُ هكذا، لجازَ الجمعُ بين العصْر والمغرب، والعشاء والصُّبح، ولا خِلافَ بين الأمَّة في تحريمِ ذلك)[2] .

س١٩٣: لماذا شرعت النوافل ؟

ج١٩٣: النوافل هي ما عدا الفرائض من جميع أجناس الطاعات، وكل ما ندب الله سبحانه إليه ورغب فيه من غير حتم وافتراض، وتختلف النوافل باختلاف ثوابها، فما كان ثوابه أكثر كان فعله أفضل، وتختلف كذلك باختلاف ما ورد في الترغيب فيها، فبعضها قد يقع الترغيب فيه ترغيبا مؤكدا، وقد يلازمه النبي صلى الله عليه وسلم مع الترغيب للناس في فعله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه)[3].

والنافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرائض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى ، وأيضا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة خلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين، وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض، كما صح في الحديث: (انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته)[4] الحديث بمعناه ، فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة هي الصّلاة، فهي ما يميز المسلم عن غيره، وبه تُدرك المنازل الإيمانية عند الله–تعالى– فإن وجدت تامّةً وكاملةً جاءها القبول من عنده عزّ وجلّ وإن نقُصت فتحتاج إلى جبرٍ فيها حتى تَصح، وهذا الجبر هو الالتزام بصلاة التّطوع التي تشمل السّنن الرّواتب والنّوافل بدليل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: "إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ به

---

(١) النووي و المجموع ، ج٤ ، ص ٣٧٠ .
(٢) العراقي ، طرح التثريب ، ج٣ ، ص ١١٧ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٠ ، ص ٢١٢ .
(٤) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٨٦٤ .

الناسُ يومَ القيامةِ من الصَّلاةِ، قال: يقول ربُّنا عزَّ وجلَّ لملائكتِه وهو أعلمُ: (انظروا في صلاةِ عَبدي، أتمَّها أم نَقَصها، فإنْ كانت تامَّةً كُتبتْ له تامَّةً، وإنْ كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا، هل لعبدي من تطوُّعٍ، فإنْ كان له تطوُّعٌ، قال: أتمُّوا لعبدي فريضتَه من تطوُّعِه، ثم تُؤخَذُ الأعمالُ على ذاكم)[1] ، وصلاة التّطوع تشمل كل صلاة ما دون الفريضة، فهي تشمل السّنن والنّوافل، وفيما يأتي الحديث عن الفرق بين السنن والنوافل:

١- السّنن الرّواتب: هي الصّلاة المرتبطة بصلاة الفرض، سواء كان قبلها أو بعدها، وسمّيت بالرواتب ليواظب المسلم عليها، فقد شرعها الله تعالى لجبر النّقص الحاصل في الفرائض:

أ- فإن كانت السّنة قبل الفريضة كما في صلاتي الظّهر والفجر، فهي تهيء المسلم للدّخول في العبادة.

ب- وإن كانت بعد الفريضة فهي تُزود المصلي بلذّة العبادة التي حصلت من الفرض، كما في صلاتي المغرب والعشاء.

وقد قسّمها العلماء إلى:

أ- رواتب مؤكدة واظب النّبي الكريم عليها كالسنن القبلية والبعدية للصّلاة المفروضة.

ب- رواتب غير مؤكدة أدّاها النّبي الكريم ولم يواظب عليها كالسّنة القبلية لصلاة العصر.

٢- النّوافل: هي الصلاة التي لم يفرضها الله تعالى وشرعها الله لصالح العباد، وقد قسّمها العلماء إلى قسمين، نوافل مقيّدة يصليها المسلم في وقت محدد كصلاة الضحى، ونوافل مطلقة يصليها المسلم في أي وقت من اللّيل والنّهار.

شُرعت السنن والنوافل حتى تزيد المحبة ما بين العبد وخالقه، فهي ترفع الدّرجات، وتكفّر الذّنوب والسّيئات، فلا يكاد المرء أن يفرق بين السنن والنوافل؛ لأنّ مفهوم التّطوع يشملهم، وفيما يأتي ذكرٌ للأمثلة الواردة على السّنن والنّوافل:

---

(١) شعيب الأرناؤوط ،تخريج مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث ٩٤٩٤ .

١- السّنن الرواتب: فعدد السّنن الرواتب المؤكّدة في اليوم واللّيلة مع الفرائض اثنتا عشرة ركعة، أو عشر ركعات، وهي: أربعٌ كعاتٍ قبل الظّهر، أو اثنتان، واثنتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الصّبح، .

٢- السّنن غير المؤكّدة: أربعٌ قبل العصر، وركعتان قبل المغرب، وركعتان قبل العشاء، فهذه سنن مطلقة كان النّبي عليه الصلاة و السّلام يفعلها أحيانًا، ولم يواظب عليها.

٣- النّوافل: من الأمثلة على النّافلة المقيّدة بوقت كصلاة العيدين، وصلاة الكسوف، وأمّا المطلقة فهي أي صلاة تؤدى في أي وقت تقربًا لله تعالى كصلاة القيام[1] .

(إن على المسلم اغتنام أوقات نشاطه في الإتيان بما يستطيعه من النوافل سواءً في الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الذكر أو الحج أو العمرة أو غيرها من أنواع العبادات والطاعات قوليةً كانت أو فعلية ، سريةً أو جهرية ؛ لأن الإكثار منها والمحافظة عليها تجعل العبد قريباً من الله سبحانه ، إضافةً إلى ما لهذه النوافل من فضائل عديدة ومنافع عظيمة ، فقد ورد أن من هذه النوافل :

١- ما يجبر نقص الصلوات المفروضة مثلاً .

٢- منها ما يغفر الله لصاحبه ما تقدم من ذنبه كصلاة التراويح وقيام شهر رمضان ،

٣- منها ما يمحو الله به الخطايا ويُضاعف الحسنات .

٤- منها ما يكون سبباً في محبة الله تعالى للعبد ورفعة منزلته في الدنيا والآخرة ، إلى غير ذلك من الفضل العظيم والخير العميم الذي جعله الله تعالى جزاءً وثواباً لمن تقرب إليه سبحانه بالعمل الصالح .

إن الإكثار من النوافل والتطوع في العبادة له تأثيرٌ كبيرٌ في السمو بروح المسلم والعمل على صفاء نفسه ونقاء سريرته. كما أنها سببٌ مباشرٌ في كسب محبة الله سبحانه للعبد

---

(١) موقع سطور الالكتروني في ٢٢ يوليو ٢٠٢٠ .

واصطفائه و رفعة مقامه كما جاء في الحديث القدسي المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (.. وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحببته ، فكنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأُعطينَّه ، ولئن استعاذني لأُعيذنّه)[١] ، [٢] .

إن أداءُ صلاةِ النافلةِ في البيتِ أفضلُ من تأديتِها في المسجِدِ (قال النوويُّ:... وفِعل التطوُّع في البيت أفضلُ كما قاله في التنبيه، وكما قاله الأصحابُ وسائر العلماء)[٣] ، وهذا باتِّفاقِ المذاهبِ الفقهيَّة الأربعة و الدلة على ذلك من السنة النبوية المطهرة :

١- عن زيدِ بنِ ثابتٍ، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (صلُّوا أيُّها الناسُ في بُيوتِكم؛ فإنَّ أفضلَ صلاةِ المرءِ في بيتِه إلَّا الصلاةَ المكتوبةَ)[٤] .

٢- عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: (كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُصلِّي في بيتي أربعًا قبل الظُّهرِ، ثم يَخرُجُ فيُصلِّي بالناسِ، ثم يدخُلُ فيُصلِّي ركعتينِ، وكان يُصلِّي بالناسِ المغربَ، ثم يدخُلُ فيُصلِّي ركعتينِ، ويُصلِّي بالناسِ العِشاءَ، ثم يَدخُلُ بيتي فيُصلِّي رَكعتينِ...)[٥] ، .وذلك:

أ- لكونِه أخْفَى وأبعدَ من الرِّياءِ، وأصونَ من المحبِطاتِ[٦].

ب- ليتبرَّكَ البيتُ بذلك، وتنزلَ فيه الرحمةُ والملائكة، ويَنفِرَ منه الشيطانُ [٧]، [٨] .

فوائد النوافل :

١- أداء النوافل فيه تحقيق العبودية لله تعالى، فالمسلم قد يؤدي الفرائض لأنها مكتوبة

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٠٢ .
(٢) موقع صيد الفوائد ، الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد أستاذ التربية الإسلامية بكلية المعلمين في أبها ومدير مركز البحوث التربوية بالكلية.
(٣) النووي ، المجموع ، ج٤ و ص ٤٨ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢٩٠ ، وعند الإمام مسلم برقم ٧٨١ .
(٥) الإمام مسلم و صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٣٠ .
(٦) النووي ، شرح النووي على مسلم ، ج٦ ، ص ٦٨ .
(٧) المصدر السابق نفس رقم الجزء ورقم الصفحة .
(٨) كل ذلك من موقع الدرر السنية ، علوي عبدالقادر السقاف .

عليه ولأنه يأثم بتركها، أما أداء النوافل ففيه إظهار لكمال العبودية لله تعالى، ودليل على أن العبادة نابعة من محبة العبد لله عز وجل، وشكر له على آلائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى.

٢- من فوائد النوافل أنها تقرب العبد إلى الله عز وجل وهي سبب لنيل محبته كما ورد في الحديث القدسي: (من عادَى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحربِ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببتُه: كنتُ سمعَه الَّذي يسمَعُ به، وبصرَه الَّذي يُبصِرُ به، ويدَه الَّتي يبطِشُ بها، ورِجلَه الَّتي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه تردُّدي عن نفسِ المؤمنِ، يكرهُ الموتَ وأنا أكرهُ مُساءتَه)[1].

٣- من الوظائف الهامة للنوافل الحفاظ على الفرائض، فالنوافل تعد بمثابة خط الدفاع الأول والسياج الذي يحمي الفرائض من الإهمال والتقصير أو الترك بالكلية، فالفرد المسلم الذي يؤدي النوافل يكون أحرص على أداء الفرائض من غيره، وهذا الفرد إذا قصر أو عرض له عارض أو فتر عن العبادة لسبب أو لآخر سيقع تقصيره في النوافل ولن يتعدى إلى الفرائض.

٤- للنوافل أهمية بالغة في الآخرة وهي جبر النقص والخلل الذي يقع في الفرائض، والإنسان بطبيعته مقصر لا محالة في عبادته لله عز وجل ولا يستطيع أن يؤديها على الوجه الأكمل، وتأتي النوافل لتجبر الخلل وتكمل النقص الذي حدث في الفرائض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ أوَّلَ ما يحاسبُ بِه العبدُ يومَ القيامةِ من عملِه صلاتُه فإن صلحت فقد أفلحَ وأنجحَ وإن فسدت فقد خابَ وخسرَ فإن انتقصَ من فريضة شيئًا قالَ الرَّبُّ تبارك وتعالى انظروا هل لعبدي من تطوُّعٍ فيُكمَّلَ بِها ما انتقصَ منَ الفريضةِ ثمَّ يَكونُ سائرُ عملِه علَى ذلِك)[2].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٠٢ .
(٢) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٤١٣ .

٥- من الوظائف التي تؤديها النوافل في المجتمع قضاء حوائج الناس وإغاثة الملهوفين، فالزكاة المفروضة إذا لم تكف لسد حاجات المجتمع جاءت الصدقات لتكمل دور الزكاة في تحقيق التكافل الاجتماعي، وذلك من خلال تقديم المساعدات للمحتاجين عند حدوث الأزمات والكوارث)[١] .

س١٩٤: لماذا ليس الجنائز ركوع ولا سجود؟.

ج١٩٤: قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في الشرح الممتع بعد أن ذكر القول القائل بأنه لا استفتاح في صلاة الجنازة قال: وعللوا ذلك بأن هذه الصلاة مبنية على التخفيف، ولهذا ليس فيها ركوع ولا سجود ولا قراءة مطولة زائدة على الفاتحة، بل ولا قراءة مطلقا على قول بعض العلماء ولا تشهد.

وأجابت (الإفتاء المصرية) على السؤال لـ«بوابة أخبار اليوم »، بأن ذلك لأنها دعاء للميت، ومن الحكمة التي نص العلماء عليها في هذا الشأن أن صلاة الجنازة لم يكن فيها ركوع ولا سجود؛ لئلا يتوهم بعض الجهلة أنها عبادة للميت فيضل بذلك.

وقالت أن ذلك بينه العلامة السرخسي الحنفي رحمه الله تعالى: (وَلِأَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ بِصَلَاةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إنَّمَا هِيَ دُعَاءٌ وَاسْتِغْفَارٌ لِمَيِّتٍ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا أَرْكَانُ الصَّلَاةِ مِنْ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتَّسْمِيَةِ بِالصَّلَاةِ لِمَا بَيَّنَّا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي اللُّغَةِ الدُّعَاءُ وَاشْتِرَاطُ الطَّهَارَةِ وَاسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ فِيهَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا صَلَاةٌ حَقِيقَةٌ)[٢]،[٣] .

س١٩٥: لماذا لا يستفتح في صلاة الجنازة ؟.

ج ١٩٥: يقول الشيخ ابن رحمه الله تعالى : (الصلاة على الميت فهي مخففة، فذكر العلماء أنه لا يستفتح فيها يبدأ بالتعوذ والبسملة ويقرأ الفاتحة ولا يحتاج إلى استفتاح، لأنها صلاة مخففة يطلب فيها تعجيل الميت والإسراع به؛ فالأفضل أن لا يكون هناك استفتاح هذا هو المنصوص عند أهل العلم.

---

(١) مجلة المجتمع أهمية النوافل في حياة المسلم ١٦ يونيو ٢٠١٩إعداد: أحمد ناجي
(٢) السرخسي و المبسوط ، ص ٢١
(٣) اخبار اليوم المصرية لجمعة، ١٧ أبريل ٢٠٢٠

وبعض أهل العلم يرى فيها استفتاح، ولكن الأقرب والله أعلم عدم ذلك لأنها صلاة مخففة ليست ذات ركوع ولا سجود.)[1].

س١٩٦ : لماذا يسن الاسراع بالجنازة ؟.

ج١٩٦: سن الإسراع بالجنازة من غير مشقة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدموها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)[1]، [2] ، السنة الإسراع بالجنازة:

١- قال النووي رحمه الله : "اتفق العلماء على استحباب الإسراع بالجنازة ، إلا أن يخاف من الإسراع انفجار الميت)[3]..

٢- قال ابن قدامة رحمه الله : (لا خلاف بين الأئمة رحمهم الله ، في استحباب الإسراع بالجنازة ، وبه ورد النص ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أسرعوا بالجنازة..)[4] والمراد بالإسراع أن يكون فوق المشي المعتاد لا الركض بها وخضها ؛ لأن هذا قد يضر الميت ويشق على المتبعين من الضعفاء .

٣- قال النووي رحمه الله : "والمراد بالإسراع فوق المشي المعتاد ، ودون الخبب ؛ لئلا ينقطع الضعفاء عن اتباع الجنازة ، فإن خيف عليه تغير أو انفجار أو انتفاخ زيد في الإسراع[5].

٤- قال البهوتي رحمه الله : (وسن الإسراع بالجنازة ؛ لحديث : (أسرعوا بالجنازة..). ويكون الإسراع دون الخبب ...... لأنه يمخضها ويؤذي حاملها ومتبعها)[6]، والخبب : هو الإسراع في المشي مع خطو فسيح .

٥- قال الشيخ ابن باز رحمه الله : (يسن الإسراع بالجنازة من غير مشقة.)[7].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣١٥ ، وعد الإمام مسلم برقم٩٤٤ .
(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ، ج١٣ ، ص ١٨٠).
(٣) النووي ، شرح المهذب ، ج٢ ، ص ٢٣٥ .
(٤) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٧٤ .
(٥) النووي ، شرح المهذب ، ج٥ ، ص ٢٣٥ .
(٦) البهوتي ، دقائق أولي النهى ، ج١ ، ص ٣٦٩ .
(٧) الشيخ ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٣ ، ص ١٨٠ .

٦- وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : "قالوا : لا ينبغي الإسراع الذي يشق على المشيعين ، أو يخشى منه تمزق الميت ، أو خروج شيء من بطنه مع الحركة)[١] .

٧- وقال الشيخ العباد في شرح "سنن أبي داود" :(...، فيسرع بها إلى المقبرة بحيث لا تكون هناك مضرة في ذلك على الحاملين لها ولا عليها هي ، كأن تسقط مثلاً إذا تعثر أحد منهم بسبب السرعة ، فتسقط الجنازة تبعاً لسقوطه ، وإنما تكون السرعة مناسبة ، فلا يكون هناك تباطؤ في المشي ، ولا يكون هناك إسراع شديد تترتب عليه مضرة على الجنازة أو على الحاملين لها)[٢] .

٨- وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (والحاصل أنه يستحب الإسراع ، لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة بالميت أو مشقة على الحامل أو المشيع لئلا ينافي المقصود من النظافة وإدخال المشقة على المسلم)[٣] ، [٤].

س١٩٧ لماذا وقف الرسول صلى الله عليه وسلم حين مرت جنازة من أمامه ؟

ج١٩٧ : يقول الشيخ ابن باز : (نعم، يشرع القيام لكل جنازة؛ لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: إذا رأيتم الجنازة فقوموا وجاء في بعض الروايات: قالوا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي فقال: أليست نفسًا وفي لفظ: إنما قمنا للملائكة وفي لفظ: إن للموت لفزعًا)[٥].

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول : كراهة القيام للجنازة لمن مرت به ولو كان في المقبرة سابقا ، وهو المعتمد في مذهب الحنفية والحنابلة ، ونقله بعض الشافعية عن جمهور الأصحاب .

---

(١) الشيخ ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، ج١٧ ، ص ١٧٢ .
(٢) الشيخ العباد .شرح سنن أبي داوود .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ، ص ١٨٤
(٤) موقع الشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٥) انظر : (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٣/ ١٨٨). ، رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (١٠٨١١)، والبخاري في (الجنائز) برقم (١٣١٠، ١٣١١)، ومسلم في (الجنائز) برقم (٩٥٨) ،رواه الإمام أحمد في (باقي مسند الأنصار) برقم (٢٣٣٣٠) والبخاري في (الجنائز) برقم (١٣١٣)، ومسلم في (الجنائز) برقم (٩٦١)، رواه الإمام أحمد في (مسند الكوفيين) برقم (١٨٩٩٧، ١٩٢٠٦). ، رواه الإمام أحمد في (باقي مسند المكثرين) برقم (١٤٣٩٨)، والنسائي في (الجنائز) برقم (٩٢٢)، وأبو داود في (الجنائز) برقم (٣١٤٧)

قال ابن الهمام الحنفي رحمه الله :(القاعد على الطريق إذا مرت به ، أو على القبر إذا جيء به : فلا يقوم لها ، وقيل يقوم ، واختير الأول ؛ لما روي عن علي : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالقيام في الجنازة ، ثم جلس بعد ذلك وأمرنا بالجلوس . بهذا اللفظ لأحمد)[١] .

وقال الخطيب الشربيني الشافعي رحمه الله :(يكره القيام للجنازة إذا مرت به ولم يرد الذهاب معها كما صرح به في " الروضة "، وجرى عليه ابن المقري ، خلافا لما جرى عليه المتولي من الاستحباب)[٢] ، وعزاه النووي رحمه الله في (المجموع) إلى الإمام الشافعي وجمهور الأصحاب[٣] .

وقال البهوتي الحنبلي رحمه الله : (وإن جاءت) الجنازة (وهو جالس أو مرت به) وهو جالس (كره قيامه لها) لحديث ابن سيرين قال : مر بجنازة على الحسن بن علي وابن عباس ، فقام الحسن ولم يقم ابن عباس ، فقال الحسن لابن عباس : أما قام لها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال ابن عباس : قام ثم قعد)[٤].

القول الثاني : يستحب قيام مَن مَرَّت به الجنازة ، وهو القول الآخر عند الشافعية ، ومذهب ابن حزم الظاهري .

قال الإمام النووي رحمه الله : (هذا الذي قاله صاحب (التتمة) هو المختار – يعني الاستحباب – ، فقد صحت الأحاديث بالأمر بالقيام ، ولم يثبت في القعود شيء إلا حديث علي رضي الله عنه ، وهو ليس صريحا في النسخ ، بل ليس فيه نسخ ؛ لأنه محتمل القعود لبيان الجواز ، والله أعلم)[٥].

وقال الإمام الرملي رحمه الله :" لو مرت عليه جنازة استحب القيام لها على ما صرح به

---

(١) الشوكاني ، فتح القدير ، ج٢ ، ص ١٣٥ .
(٢) الشربيني ،مغني المحتاج .ج٢ و ص ٢٠
(٣) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٢٤١ .
(٤) البهوتي ، كشاف القناع ، ج٢ و ص ١٣٠ .
(٥) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٢٤١ .

المتولي، واختاره المصنف – يعني الإمام النووي – في (شرحي المهذب ومسلم) ، وجزم ابن المقري بكراهته[1] .

وقال ابن حزم رحمه الله : (نستحب القيام للجنازة إذا رآها المرء – وإن كانت جنازة كافر – حتى توضع أو تخلفه ، فإن لم يقم فلا حرج)[2].

واستدلوا بما يلي :

١- عَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا رَأَيْتُمْ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا حَتَّى تُخَلِّفَكُمْ أَوْ تُوضَعَ)[3].

٢- عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى : أَنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ وَسَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ كَانَا بِالْقَادِسِيَّةِ ، فَمَرَّتْ بِهِمَا جَنَازَةٌ فَقَامَا ، فَقِيلَ لَهُمَا : إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَقَالَا : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ يَهُودِيٌّ ؟ فَقَالَ : أَلَيْسَتْ نَفْسًا)[4].

وأجابوا عن أدلة القول الأول بأن قعود النبي صلى الله عليه وسلم ليس صريحا في النسخ ، إذ قد يكون لبيان الجواز كما سبق نقله في كلام النووي رحمه الله .

قال ابن حزم رحمه الله :(فكان قعوده صلى الله عليه وسلم بعد أمره بالقيام مبينا أنه أمر ندب ، وليس يجوز أن يكون هذا نسخا ؛ لأنه لا يجوز ترك سنة متيقنة إلا بيقين نسخ ، والنسخ لا يكون إلا بالنهي ، أو بتركٍ معه نهي ؟ فإن قيل : قد رويتم من طريق حماد بن سلمة ، عن محمد بن عمرو ، عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ قال : قمت إلى جنب نافع بن جبير في جنازة ، فقال لي : حدثني مسعود بن الحكم ، عن علي بن أبي طالب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيام . ثم أمرنا بالجلوس . فهلا قطعتم بالنسخ بهذا الخبر ؟ قلنا : كنا نفعل ذلك ، لولا ما روينا من طريق أحمد بن شعيب ، أنا يوسف بن سعيد

---

(١) الرملي ، نهاية المحتاج ، ج٢ ، ص ٤٦٧ .
(٢) ابن حزم ، المحلى ، ج٣ ، ص ٣٨٠ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٥٨ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٩٦٠ .

، نا حجاج بن محمد هو الأعور ، عن ابن جريج ، عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري قالا جميعا : ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازة قط فجلس حتى توضع .فهذا عمله عليه السلام المداوم ، وأبو هريرة وأبو سعيد ما فارقاه عليه السلام حتى مات ، فصح أن أمره بالجلوس إباحة وتخفيف ، وأمره بالقيام وقيامه ندب)[1] ، [2] .

س١٩٨ لماذا يغتسل من غسل الميت ؟.

ج ١٩٨: يقول الشيخ ابن باز : (الغسل سنة، إذا غسل ميتا السنة أن يغتسل، والوضوء أوجبه قوم وليس عليه أدلة واضحة، لكن إن توضأ فحسن خروجًا من الخلاف، وإن توضأ من الغسل فهو أكمل ، لكن لا يجب الغسل وإنما يستحب، أما الوضوء فالقول فيه قول أكثر جاء عن بعض الصحابة عن جابر، قيل: توضأ، فإذا توضأ مع الغسل فهو أحوط وأولى، لكن هذا إذا كان ما مس العورة.

أما إذا مسه ويده مست عورة الميت وجب عليه الوضوء بكل حال، لأن مس العورة ينقض الوضوء، ولا يمس العورة فيجعل بينه وبين العورة شيء خرق يغسل بها وينظف بها، لكن لو قُدر أن يده أخطأت ومست العورة وجب عليه الوضوء، أما إذا كان ما أصاب العورة فالأولى له أن يتوضأ خروجًا من الخلاف وذلك طهارة وخير كثير، والغسل سنة أيضاً.)الموقع

والصحيح من أقوال أهل العلم أن الغسل من تغسيل الميت مستحب وليس بواجب .

وهو قول ابن عباس وابن عمر وعائشة والحسن البصري وإبراهيم النخعي والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي ثور وابن المنذر وأصحاب الرأي ، ورجحه ابن قدامة .[3].

قال الشيخ الألباني رحمه الله : (ويستحب لمن أهل غسله أي : غسل ميتاً أن يغتسل ، لقوله صلى الله عليه وسلم " من غسَّل ميتاً فليغتسل ، ومن حمله فليتوضأ)[4].

---

(١) ابن حزم ، المحلى ، ج٣ ، ص ٣٨٠ – ٣٨١

(٢) الإسلام سؤال وجواب في٢١ / ٢ / ٢٠١٠ م.

(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٣ ، ص ٣١٨ ، وابن قدامة في المغني ، ج١ ، ص ١٣٤ .

(٤) أبو داوود ، صحيح أبي داوود ، ج٢ ، ص ٦٢ – ٦٣ ، والترمذي في سننه ج٢ ، ص ١٣٢ .

وبعض طرقه حسن ، وبعضه صحيح على شرط مسلم ...وقد ساق له ابن القيم في " تهذيب السنن " إحدى عشر طريقاً عنه ، ثم قال: (وهذه الطرق تدلُّ على أن الحديث محفوظ وقد صححه ابن القطان ، وكذا ابن حزم في (المحلى) وقال : (أسوأ أحواله أن يكون حسناً)[1] .وظاهر الأمر يفيد الوجوب ، وإنما لم نقل به لحديثين موقوفين لهما حكم الرفع - :

الأول :عن ابن عباس : (ليس عليكم في غسل ميتكم غُسل إذا غسلتموه ، فإنَّ ميتكم ليس بنجس ، فحسبكم أن تغسلوا أيديكم)[2] ، ثم ترجح أن الصواب في الحديث الوقف ، كما حققته في (الضعيفة)[3].

الثاني :قول ابن عمر رضي الله عنه : (كنا نغسل الميت ، فمنَّا من يغتسل ومنَّا من لا يغتسل)[4] أخرجه والخطيب في تاريخه بإسناد صحيح كما قال الحافظ ، وأشار إلى ذلك الإمام أحمد ، فقد روى الخطيب عنه أنه حضَّ ابنه على كتابة هذا الحديث . [4] وأما غسل الثياب : فلا أصل له في السنة لا وجوباً ولا استحباباً [5] .

س١٩٩ : لماذا لا يكفن الشهيد ؟.

ج١٩٩: إذا مات الشهيد في المعركة فلا يُغّسل ولا يُكفن وهذا قول جمهور العلماء ؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم : (أمر بدفن شهداء أحد في دمائهم ولم يُغسلهم)[6].

وإنما تُرك الغُسل ليبقى أثر الشهادة عليهم فإنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(والذي نفسي بيده لا يُكلم أحدٌ في سبيل الله والله أعلم بمن يُكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح مسك)[7].

---

(١) ابن حزم ، المحلى ،ج١ ، ص ٢٥٠ ، وج٢ ، ج٢ ص ٢٣ – ٢٥ .
(٢) الحاكم ، المستدرك ، ج١ ، ص ٣٨٦ ، والبيهقي في سننه ج٣ و ص ٣٩٨ .
(٣) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٦٣٠٤ .
(٤) الدار قطني ، السنن ، رقم الحديث ١٩١، والخطيب في " تاريخه " (٥ / ٤٢٤)،والألباني في أحكام الجنائز ، ص ٧١ – ٧٢ .
(٥) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٦ / ٧ / ٢٠٠٢ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣٤٦ .
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٨٠٣ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ١٨٧٦ .

وروى عبد الله بن ثعلبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (زِّملوهم بدمائهم فإنه ليس كلم يُكلم في الله إلا يأتي يوم القيامة يُدمى لونه لون الدم وريحه ريح المسك) " رواه النسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع [1]

فإن كان الشهيد جنُباً فقد اختلف العلماء في تغسيله ، والراجح أنه لا يُغسل إذ لا فرق بين الجُنب وغيره ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغسل الذين قتلوا في أُحد ، ولأن الشهادة تكفر كل شيء .

أما ما يُذكر من أن عبد الله بن حنظلة (غسلته الملائكة) فهذا إن صح فليس فيه دليل على أنه يُغسله البشر ؛ لأن تغسيل الملائكة له ليس شيئاً محسوساً لنا ، وأحكام البشر لا تقاس على أحكام الملائكة ، وما حصل لحنظلة رضي الله عنه هو من باب الكرامة وليس من باب التكليف)[2]، [3] .

س٢٠٠: لماذا نهى الاسلام عن النياحة على الميت ؟.

ج٢٠٠: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: (الواجب على المسلمين في هذه الأمور الصبر والاحتساب، وعدم النياحة، وعدم شق الثوب، ولطم الخد، ونحو ذلك، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: أربع في أمتي من أمر الجاهلية: لا يتركونهن الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) رواه مسلم في الصحيح.

والنياحة هي رفع الصوت بالبكاء على الميت. وقال صلى الله عليه وسلم : أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، أو تنتفه. والشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة. والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة. وكل هذا من

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ،رقم الحديث ٣٥٧٣ .و أنظر المغني مع الشرح الكبير (٢/٣٣٣) والموسوعة الفقهية (٢٦/٢٧٤) .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٥ ، ص ٣٦٥ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب في ٢٨ / ٧ / ٢٠٠٦ م.

الجزع، فلا يجوز للمرأة ولا للرجل فعل شيء من ذلك، والواجب على أهلك أيتها السائلة أن يقبلوا هذه الوصية، ويحذروا من النياحة عليك؛ لأن النياحة تضرهم وتضر الميت، كما في الحديث الصحيح: الميت يعذب في قبره بما نيح عليه فلا يجوز لهم النياحة على الميت.

أما البكاء بدمع العين وحزن القلب فلا حرج فيه، إنما الممنوع رفع الصوت بالصياح لقول النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم: العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون وقال عليه الصلاة والسلام: إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا- وأشار إلى لسانه- أو يرحم(١).

ويجوز البكاء على الميت ، ما لم يصحبه نياحة ولطم للخدود.. فقد بكى النبي صلى الله عليه وسلم لوفاة ابن ابنته زينب رضي الله عنها ، كما في البخاري عن أسامة رضي الله قال : (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَسُولُ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ .. فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَدُفِعَ الصَّبِيُّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا؟ قَالَ : هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ : (اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي) (٢).

فإن كان البكاء مصحوباً بلطم للخدود وشق للثياب والتسخط على قدر الله، فهذا لا يجوز؛ لما رواه ابن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ)(٣) .

قال النووي رحمه الله : (أما الندب والنياحة ولطم الخد وشق الجيب وخمش الوجه

---

(١) هذا السؤال والإجابة عنه تابع لشريط رقم ١٢ برنامج نور على الدرب الوجه الأول. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٣٣٨/٩).
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٧٦ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٢٩٤ .

ونشر الشعر والدعاء بالويل والثبور ، فكلها محرمة باتفاق الأصحاب ، وصرح الجمهور بالتحريم...، وقد نقل جماعة الإجماع في ذلك)[1] .

وقال ابن عبد البر رحمه الله : وقوله عليه السلام : (فإذا وجب فلا تبكين باكية) يعني بالوجوب الموت ، فإن المعنى والله أعلم أن الصياح والنياح لا يجوز شيء منه بعد الموت ، وأما دمع العين وحزن القلب ، فالسنة ثابتة بإباحته وعليه جماعة العلماء)[2]، [3] .

س٢٠١: لماذا لا تجب تنفيذ وصية الميت في مكان الدفن ؟

ج٢٠١: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لا بأس أن يوصي أن يدفن في المقبرة الفلانية أو بجوار فلان؛ لأنه قد يكون له قصد في ذلك لأنهم من الصلحاء والأخيار، فلا بأس أن يدفن مع الصلحاء والأخيار، وإن أوصى بذلك فلا بأس، وعلى الوصي أن ينفذ هذه الوصية إذا استطاع تنفيذها إذا تيسر تنفيذها.

أما إذا لم يتيسر تنفيذها لعجزه عن ذلك أو لبعد المسافة أو ما أشبه ذلك فلا حاجة إلى التنفيذ، ويدفن في أي مقبرة من مقابر المسلمين، والحمد لله.

وإذا كانت المقبرة بعيدة من بلد إلى بلد فلا وجه لهذه الوصية ولا حاجة إلى تنفيذها، بل يدفن في مقبرة بلده إذا كانت مسلمة أو في مقبرة أخرى من قبور المسلمين ويكفي، ولا حاجة إلى أن يتكلفوا من التركة أموالًا لنقله بالطائرات أو غيرها، هذا لا حاجة إليه، ما دام يوجد مقبرة مسلم يدفن فيها فالحمد لله، ولا حاجة إلى تنفيذ هذه الوصية؛ لأنها وصية لا وجه لها شرعًا.

أما إذا كان الدفن في المقبرة التي أراد متيسر في جانب البلد في طرف البلد؛ لأن البلد فيها مقابر واختار واحدة منها فالأمر في هذا واسع والتنفيذ أولى.)[4].

---

(١) النووي ، شرح المهذب ، ج٥ ، ص ٢٨١ .
(٢) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج ٣ ، ص ٦٧ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب ، في ٤ / ٨ / ٢٠١٠ م.
(٤) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله .

س٢٠٢ : لماذا لا يجوز القيام لمن دخل مجلسا ؟.

ج٢٠٣: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لا يلزم القيام للقادم، وإنما هو من مكارم الأخلاق، من قام إليه ليصافحه ويأخذ بيده، ولا سيما صاحب البيت والأعيان، فهذا من مكارم الأخلاق، وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة، وقامت له رضي الله عنها، وقام الصحابة رضوان الله عليهم بأمره لسعد بن معاذ رضي الله عنه لما قدم ليحكم في بني قريظة، وقام طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه من بين يدي النبي لما جاء كعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب الله عليه فصافحه وهنأه ثم جلس، وهذا من باب مكارم الأخلاق والأمر فيه واسع ،وإنما المنكر أن يقوم واقفا للتعظيم، أما كونه يقوم ليقابل الضيف لإكرامه أو مصافحته أو تحيته فهذا أمر مشروع، وأما كونه يقف والناس جلوس للتعظيم، أو يقف عند الدخول من دون مقابلة أو مصافحة، فهذا ما لا ينبغي، وأشد من ذلك الوقوف تعظيما له وهو قاعد لا من أجل الحراسة بل من أجل التعظيم فقط. والقيام ثلاثة أقسام كما قال العلماء:

القسم الأول: أن يقوم عليه وهو جالس للتعظيم، كما تعظم العجم ملوكها وعظماءها، كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا لا يجوز، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا لما صلى بهم قاعدًا، أمرهم أن يجلسوا ويصلوا معه قعودا، ولما قاموا قال: كدتم أن تعظموني كما تعظم الأعاجم رؤساءها.

القسم الثاني: أن يقوم لغيره واقفا لدخوله أو خروجه من دون مقابلة ولا مصافحة، بل لمجرد التعظيم، فهذا أقل أحواله أنه مكروه، وكان الصحابة –رضي الله عنهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل عليهم، لما يعلمون من كراهيته لذلك عليه الصلاة والسلام.

القسم الثالث: أن يقوم مقابلا للقادم ليصافحه، أو يأخذ بيده ليضعه في مكان أو ليجلسه في مكانه، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به، بل هو من السنة كما تقدم)[1].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: ٣٩٤/٤

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إجابة مفصلة مبنية على الأدلة الشرعية رأينا ذكرها لوفائها بالمقصود ، قال رحمه الله تعالى : (لم تكن عادة السلف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام ، كما يفعله كثير من الناس ، بل قال أنس بن مالك : (لم يكن شخص أحب إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك)[1] . رواه الترمذي ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيا له ، كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام لعكرمة. وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ : "قوموا إلى سيدكم)[2]، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة ؛ لأنهم نزلوا على حكمه .

والذي ينبغي للناس أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه . وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد . وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيا له فحسن ، وإذا كان من عادة الناس إكرام القادم بالقيام ، ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له ؛ لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم : (من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار)[3] ، فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ، ليس هو أن يقوموا له لمجيئه إذا جاء ، ولهذا فرقوا بين أن يقال قمت إليه وقمت له ، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد .

وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى بهم قاعدا من

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٧٥٤ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٤٣، والإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ١٧٦٨
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٧٥٥ .

مرضه وصلوا قياما أمرهم بالقعود ، وقال : (لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا)[1] وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود وجماع ذلك كله الذي يصلح ، اتباع عادات السلف وأخلاقهم والاجتهاد عليه بحسب الإمكان .

فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما)[2].

ومما يزيد ما ذكره إيضاحا ما ثبت في الصحيحين في قصة كعب بن مالك لما تاب الله عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهم جميعا، وفيه : (أن كعبا لما دخل المسجد قام إليه طلحة بن عبيد الله يهرول فسلم عليه وهنأه بالتوبة ، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على جواز القيام لمقابلة الداخل ومصافحته والسلام عليه. ومن ذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل على ابنته فاطمة قامت إليه وأخذت بيده وأجلسته مكانها ، وإذا دخلت عليه قام إليها وأخذ بيدها وأجلسها مكانه)[3].

ثانيا :وأما التقبيل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على مشروعيته ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت :(قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه ، والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله)[4]، ومعنى عريانا : أي ليس عليه سوى الإزار ، فهذا الحديث يدل على مشروعية فعل ذلك مع القادم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قَبَّلَ النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي

---

(١) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٣٤٦ ، وكذلك في غاية المرام رقم الحديث ١٢٤ .
(٢) اللجنة الدائمة للإفتاء ، ج٢١ ، رقم ٥٩ .
(٣) ابن باز ، مجموع فتاوى ابن باز ، ج٢ ، ص٩٢ .
(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٧٣٢ ، وقال عنه حسن غريب ، وانظر الطحاوي في (شرح معاني الآثار) (٦٩٠٥)، والعقيلي في (الضعفاء الكبير) (٤٢٧/٤) باختلاف يسير، والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٢٧٣٢) .

، فقال الأقرع بن حابس : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من لا يَرحم لا يُرحم)[1].

فهذا الحديث يدل على مشروعية التقبيل إذا كان من باب الشفقة والرحمة. وأما التقبيل عند اللقاء العادي فقد جاء ما يدل على عدم مشروعيته ، بل يكتفي بالمصافحة ، فعن قتادة رضي الله عنه قال : (قلت لأنس : أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم)[2].

وعن أنس رضي الله عنه لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قد جاء أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة)[3] .

وعن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)[4] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحني له ؟ قال : لا ، قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا ، قال : فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم)[5] .

وروى أحمد ، والنسائي، والترمذي وغيرهم بأسانيد صحيحة ، وصححه الترمذي عن صفوان بن عسال: (أن يهوديين سألا النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع آيات بينات ، فلما أجابهما عن سؤالهما قَبَّلا يديه ورجليه ، وقالا : نشهد أنك نبي)[6].

وروى الطبراني بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال : (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا)[7] ، [8].

---

(١) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٤٥٧ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٦٢٦٣ .
(٣) النووي ، الأذكار ، رقم الحديث ٣٣٤ .
(٤) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٥٢١٢ ، والترمذي (٢٧٢٧) وابن ماجه (٣٧٠٣)، وأحمد (١٨٥٤٧).
(٥) النووي ، المجموع ، ج٤، ص٦٤٠ .
(٦) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج١ ، ص ٣٠١ ، والكلام من فتاوى اللجنة الدائمة (١/١٤٤-١٤٧).
(٧) الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٣ م .

س٢٠٣: لماذا نهى الاسلام عن البناء فوق القبور؟.

ج٢٠٣: لا يجوز البناء على القبور لا بصبة ولا بغيرها، ولا تجوز الكتابة عليها؛ لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن البناء عليها والكتابة عليها، فقد روى مسلم –رحمه الله– من حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه وخرجه الترمذي وغيره بإسناد صحيح وزاد: وأن يكتب عليه ولأن ذلك نوع من أنواع الغلو فوجب منعه؛ ولأن الكتابة ربما أفضت إلى عواقب وخيمة من الغلو وغيره من المحظورات الشرعية، وإنما يعاد تراب القبر عليه ويرفع قدر شبر تقريبا حتى يعرف أنه قبر، هذه هي السنة في القبور التي درج عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم .

ولا يجوز اتخاذ المساجد عليها ولا كسوتها ولا وضع القباب عليها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق على صحته. ولما روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبدالله البجلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس يقول: إن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك والأحاديث في هذا المعنى كثيرة)[1].

س٢٠٤: لماذا شرعت الصلاة على الميت الغائب؟.

ج٢٠٤: يقول الشيخ ابن باز: (لصلاة على الغائب فيها تفصيل: بعض أهل العلم يرى أنه لا يصلى على الغائب، وبعضهم يرى الصلاة عليه، لكن إذا كان الغائب له شأن في الإسلام، كالنجاشي رحمه الله، فإن النبي الله عليه وسلم صلى على النجاشي لما مات في بلاده أخبر به الصحابة وصلى عليه صلاة الغائب، ولم يثبت عنه في الصلاة على الغائب إلا هذا الحديث، فإذا كان الغائب إمام عدل، وإمام خير صلي عليه صلاة الغائب، ولي الأمر

(١) مجلة الدعوة العدد ٩٣٩ في ١٤٠٤/٧/٢٢هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز: ٤/ ٣٢٩).

يأمر بالصلاة عليه صلاة الغائب.

وهكذا علماء الحق ودعاة الهدى، إذا صلي عليهم صلاة الغائب فهذا حسن، كما صلى النبي على النجاشي ، عليه الصلاة والسلام.

أما أفراد الناس فلا تشرع الصلاة عليهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما صلى على كل غائب، إنما صلى على شخص واحد، له قدم في الإسلام، لأنه آوى المهاجرين من الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة آواهم ونصرهم وحماهم وأحسن إليهم، فكانت له يد عظيمة في الإسلام، فلهذا صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما مات، وصلى عليه الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم .

فمن كان بهذه المثابة له قدم في الإسلام مثلما صلى المسلمون في هذه البلاد على ضياء الحق، رئيس جمهورية الباكستان رحمه الله، لما كانت له مواقف طيبة إسلامية، أمر ولي الأمر أن يصلى عليه في الحرمين فصلي عليه؛ لأنه أهل لذلك لمواقفه الكريمة، وعنايته بتحكيم الشريعة، وأمره بها وحرصه على ذلك، نسأل الله لنا وله العفو والمغفرة.

والمقصود أن من كان بهذه المثابة من حكام المسلمين وعلماء المسلمين إذا مات في بلاد الغربة أو في بلاده أيضًا جاز أن يصلي عليه من يصلي عليه من المسلمين في البلاد الأخرى، يجوز أن يصلى عليه قبل الدفن. نعم قبل الدفن وبعده..)[1].

واختلف العلماء القائلون بمشروعية الصلاة على الغائب ، هل تشرع الصلاة على كل غائب أم لا ؟ وكلهم يستدل بصلاة النبي صلى عليه وسلم على النجاشي .

القول الأول : ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه تشرع الصلاة على كل غائب عن البلد ، ولو صُلِّي عليه في المكان الذي مات فيه .

والقول الثاني : أنه تشرع الصلاة على الغائب إذا كان له نفع للمسلمين ، كعالم أو مجاهد أو غني نفع الناس بماله ونحو ذلك ، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد ، واختارها

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله ، تفريغ نصي .

الشيخ السعدي وبه أفتت اللجنة الدائمة.

والقول الثالث : أنها تشرع الصلاة على الغائب بشرط ألا يكون قد صُلِّي عليه في المكان الذي مات فيه ، فإن صُلِّي عليه فلا تشرع صلاة الغائب عليه ، وهذا القول رواية أخرى عن الإمام أحمد ، واختارها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ومال إليها من المتأخرين : الشيخ ابن عثيمين .

وهذه أقوال بعض العلماء في هذه المسألة :

١- قال الخرشي (مالكي) : (وصلاته عليه الصلاة والسلام على النجاشي من خصوصياته)[١] .

٢- وقال النووي رحمه الله في (المجموع) : " مذهبنا جواز الصلاة على الغائب عن البلد ، ومنعها أبو حنيفة . دليلنا حديث النجاشي وهو صحيح لا مطعن فيه وليس لهم عنه جواب صحيح " انتهى بتصرف ، وقد قيَّد الشافعية جواز الصلاة على الغائب بقيد حسن وهو أن يكون المصلِّي على الميت من أهل الصلاة عليه يوم مات[٢] .

٣- قال زكريا الأنصاري رحمه الله في (أسنى المطالب) : (وإنما تجوز الصلاة على الغائب عن البلد لمن كان من أهل فرض الصلاة عليه يوم موته)[٣] .

٤- قال الشيخ ابن عثيمين: (إلا أن بعض العلماء قَيَّده بقيد حسن قال : بشرط أن يكون هذا المدفون مات في زمن يكون فيه هذا المصلي أهلا للصلاة ، مثال ذلك : رجل مات قبل عشرين سنة ، فخرج إنسان وصلى عليه وله ثلاثون سنة فيصح ؛ لأنه عندما مات كان للمصلي عشر سنوات ، فهو من أهل الصلاة على الميت . مثال آخر : رجل مات قبل ثلاثين سنة ، فخرج إنسان وله عشرون سنة ليصلي عليه فلا يصح ؛ لأن المصلي كان معدوما عندما مات الرجل ، فليس من أهل الصلاة

---

(١) الخرشي ، المختصر ، ج٢ ، ص ١٤٢ ، وانظر بدائع الصنائع " للكاسائي (حنفي) (١/ ٣١٢) .
(٢) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٢١١ .
(٣) الأنصاري ، أسنى المطالب ، ج١ ، ص ٣٢٢ .

عليه ، ومن ثمَّ لا يشرع لنا نحن أن نصلي على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وما علمنا أن أحدا من الناس قال : إنه يشرع أن يصلي الإنسان على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، أو على قبور الصحابة ، لكن يقف ويدعو)[١].

٥- وقال ابن قدامة رحمه الله في (المغني) : (وتجوز الصلاة على الغائب في بلد آخر بالنية فيستقبل القبلة ، ويصلي عليه كصلاته على حاضر ، وسواء كان الميت في جهة القبلة أو لم يكن ، وسواء كان بين البلدين مسافة القصر أو لم يكن . وبهذا قال الشافعي)[٢] ، وقال المرداوي في (الإنصاف) : (ويصلي على الغائب بالنية) هذا المذهب مطلقا (يعني سواء صُلِّي عليه أم لا ، وسواء كان له نفع عام للمسلمين أم لا) ، وعليه جماهير الأصحاب وقطع به كثير منهم ، وعنه -أي عن الإمام أحمد- : لا تجوز الصلاة عليه .وقيل : يُصَلَّى عليه إن لم يكن صُلِّي عليه ، وإلا فلا ، اختاره الشيخ تقي الدين ، وابن عبد القوي)[٣] .

٦- وقال الشيخ البسام رحمه الله في (نيل المآرب):(اختلف العلماء في الصلاة على الغائب ، فذهب أبو حنيفة ومالك وأتباعهما إلى أنها لا تشرع ، وجوابهم عن قصة النجاشي والصلاة عليه أن هذه من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم. وذهب الشافعي وأحمد وأتباعهما إلى أنها مشروعة ، وقد ثبتت بحديثين صحيحين ، والخصوصية تحتاج إلى دليل ، وليس هناك دليل عليها ، وتوسط شيخ الإسلام فقال : إن كان الغائب لم يُصَلَّ عليه مثل النجاشي ، صُلِّيَ عليه ، وإن كان قد صُلِّيَ عليه ، فقد سقط فرض الكفاية عن المسلمين، وهذا القول رواية صحيحة عن الإمام أحمد ، صححه ابن القيم في الهَدْي ، لأنه توفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم أناس من أصحابه غائبين ، ولم يثبت أنه صلى على أحد منهم صلاة الغائب ، ونقل شيخ

---

(١) ، الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، ص ٤٦٨٩ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٩٥ .
(٣) المرداوي ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٥٣٣ .

الإسلام عن الإمام أحمد أنه قال : إذا مات رجل صالح صلي عليه ، واحتج بقصة النجاشي ،ورجح هذا التفصيل شيخنا عبد الرحمن السعدي يرحمه الله تعالى ، وعليه العمل في نجد ، فإنهم يصلون على من له فضل ، وسابقة على المسلمين ، ويتركون من عداه ، والصلاة هنا مستحبة)[1].

٧- وسئلت : أيجوز أن نصلي صلاة الجنازة على الميت الغائب كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع حبيبه النجاشي ، أو ذلك خاص به ؟فأجابت : " تجوز صلاة الجنازة على الميت الغائب لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس ذلك خاصاً به ، فإن أصحابه رضي الله عنهم صلوا معه على النجاشي ، ولأن الأصل عدم الخصوصية ، لكن ينبغي أن يكون ذلك خاصاً بمن له شأن في الإسلام ، لا في حق كل أحد)[2].

٨- وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه صلى على النجاشي صلاة الغائب ، وسبب ذلك أنه ما كان هناك أحد من المسلمين يصلي عليه ، وواقع المسلمين الآن يموتون جماعة وبالتأكيد لم يصل عليهم كما هو حاصل في وقتنا الحاضر يعني أتأكد أنه ما يصلى عليهم ؟فأجاب فضيلته بقوله : " إذا تأكدت أنه لم يصل عليهم فصل عليهم ، لأن الصلاة فرض كفاية . لكن ربما أهله صلوا عليه ، لأن الصلاة على الميت تكون بواحد ، على كل حال إذا تأكدت أن شخصا ما لم يصل عليه فعليك أن تصلي عليه لأنها فرض كفاية ولابد منها)[3].

وقد تبين مما سبق أن الصلاة على الغائب مشروعة ، لما ثبت من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على النجاشي ، وأنه لم يقم دليل على أن ذلك خاص به صلى الله عليه وسلم ، لكن أعدل الأقوال في هذه المسألة قولان :

---

(١) الشيخ البسام و نيل المآرب ، ج١ ، ص ٤٢٣ .
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج٨ ، ص ٤١٨ .
(٣) ابن عثيمين ، ج١٧ ، ص ١٤٩ .ن ، الفتاوى

الأول : أنه لا يصلى إلا على من لم يُصل عليه .

والثاني : أنه يُصلَّى على من له منفعة للمسلمين ، كعالم نفع الناس بعلمه ، وتاجر نفع الناس بماله ، ومجاهد نفع الناس بجهاده ، وما أشبه ذلك)[١] .

س٢٠٥ :لماذا يقف الامام في صلاة الجنازة امام صدر الرجل ووسط المرأة؟.

ج٢٠٥: (السُّنة أنه يقف عند رأس الرجل، ما هو عند صدره، عند الصدر هذا من كلام بعض الفقهاء، لا دليلَ عليه، وإنما الثابت من حديث أنسٍ وغيره الوقوف عند رأس الرجل، وعند وسط المرأة، يُحاذي وسطها، ويُحاذي رأس الرجل عند الصلاة عليهما، هذا هو المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الحكمة: فالله أعلم، هذا تعبّد تعبّدنا الله به، وعلينا أن نتأسَّى بالرسول صلى الله عليه وسلم أما الحكمة فللناس كلامٌ لا دليلَ عليه في ذلك، والله يقول جلَّ وعلا : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...(٢١))[١] ، ويقول النبيُّ صلى الله عليه وسلم : (صلُّوا كما رأيتموني أُصلي، فعلينا أن نُصلي كما صلَّى، فإن علمنا الحكمة فهذا خيرٌ إلى خيرٍ، ونورٌ على نورٍ، وإن لم نعلم فلا حرج علينا، ولا أعلم شيئًا واضحًا في الحكمة من جهة رأس الرجل، ومن جهة وسط المرأة.)[٢] .

وقد علل العلماء وقوف النبي صلى الله عليه وسلم حيال وسط المرأة بأنه موضع العجز منها، فيكون الوقوف عنده أستر لها، وليس ذلك موجوداً في الرجل، وذهب الأحناف إلى أنه يقوم عند صدر الرجل والمرأة، وعللوا ذلك بأن الصدر موضع القلب وفيه نور الإيمان، فيكون القيام عنده إشارة لإيمانه، وأجابوا عن حديث أنس ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قام عند عجيزتها، لأنها لم تكن منعوشة أي مغطاة فحال بينها وبينهم. وذهب المالكية إلى أنه يقوم عند وسط الرجل ومنكب المرأة، والأول هو قول الجمهور، وهو أولى بالاتباع، لأن الحديث الصحيح قد دل عليه .

---

(١) الإسلام سؤال وجواب ، في ٧ / ٢ / ٢٠٠٦ م.
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله ، تفريغ نصي .

س٢٠٦: لماذا لا تشرع الصلاة على شهيد المعركة؟.

ج٢٠٦: الشهيد هو من مات من المسلمين في قتال الكفار وبسببه[١] .

(وقد قال جمهور العلماء بأنه لا يُصلى عليه وهو قول الإمام مالك والشافعي وأصح الروايتين عن أحمد)[٢] ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل على شهداء أحد)[٣] ، ولأن الحكمة من الصلاة هي الشفاعة والشهيد يُكفر عنه كل شيء (فلا يحتاج شفاعة) إلا الدين فإنه لا يسقط بالشهادة بل يبقى في ذمة الميت)[٣] .

قال الشيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله :(الشهداء الذين يموتون في المعركة لا تشرع الصلاة عليهم مطلقاً ولا يُغسلون ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُصلِّ على شهداء أحد ولم يُغسلهم)[٤] .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (الشهيد) لا يصلي عليه أحدٌ من الناس لا الإمام ولا غير الإمام ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم : " لم يصلِّ على شهداء أحد " ، ولأن الحكمة من الصلاة الشفاعة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يُشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه " والشهيد يُكفر عنه كل شيء إلا الدَّيْن ؛ لأن الدين لا يسقط بالشهادة بل يبقى في ذمة الميت في تركته إن خَلَّف تركة ، وإلا فإنه إذا أخذه يريد أداءه أدى الله عنه) [٥].

وذهب بعض العلماء إلى أنه يُشرع الصلاة على الشهيد ولكنها لا تجب وهذا رواية عن الإمام أحمد[٦] **وذلك للأحاديث التالية :**

١- عن شداد بن الهاد : (أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو ،فأتى

---

(١) أنظر الموسوعة الفقهية ط الكويت ج ، ٢٦ ، ص ٢٧٢.
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ٢ ، ص ٣٣٤ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣٤٧ .
(٤) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٣ ، ص ١٦٢ .
(٥) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٥ ، ص ٣٦٧ .
(٦) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٣٣٤ .

به النبي صلى الله عليه وسلم يُحمل وقد أصابه سهم ، ... ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته ، ثم قدمه فصلى عليه)[1].

٢- وعن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر يوم أحد بحمزة فسجي ببردة ، ثم صلى عليه فكبر تسع تكبيرات ثم أُتي بالقتلى يصفون ، ويصلي عليهم وعليه معهم)[2].وممن اختار هذا القول الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله [3].

س٢٠٧: لماذا نهى الاسلام عن الصلاة على الميت في أوقات النهي عن الصلاة؟.

ج:٢٠٧ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لا يصلى على القبر وقت النهي إلا إذا كان ذلك في الوقت الطويل، أي بعد صلاة العصر وصلاة الفجر فوقت النهي هنا طويل، فلا بأس بالصلاة في هذا الوقت؛ لأنها من ذوات الأسباب، أما في الأوقات المضيقة، وهي التي جاءت في حديث عقبة رضي الله عنه في صحيح مسلم، قال رحمه الله : ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيهن، وأن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول، وحين تضيف الشمس للغروب)[4] ، فلا تجوز الصلاة في هذه الأوقات على الميت ولا دفنه فيها لهذا الحديث الصحيح)[5].

وعليه فإن الصلاة على الميت يجب تأخيرها أو تقديمها عن وقت النهي الذي أوضحه علماؤنا الأفاضل من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم .

س ٢٠٨ لماذا كان جماع الحائض حراما ؟.

ج ٢٠٨: يقول الله تعالى :(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢))[6] .

---

(١) الألباني ، أحكام الجنائز ،، ص ٨١ ، ٨٢ .
(٢) الطحاوي ، معاني الآثار ، ج١ ، ص ٢٩٠ .
(٣) الإسلام سؤال وجواب ، في ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٢ م.
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٣١ ، و رواه الإمام أحمد برقم ١٦٩٢٦
(٥) .مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٧٢/٣٠
(٦) سورة البقرة .

(لا يجوز للمسلم أن يجامع زوجته في حال الحيض ولا في حال النفاس بإجماع المسلمين؛ لقول الله سبحانه في الآية التي سبق ذكرها، فإتيان الحائض من المنكرات فيجب الحذر من ذلك، ومن فعل هذا فعليه التوبة إلى الله تعالى، وهكذا مع النفساء قبل أن تطهر قبل أن ينقطع الدم وتطهر، فالحكم واحد في النفساء والحائض، فمن فعل شيئاً من ذلك فعليه التوبة إلى الله والرجوع إليه سبحانه والندم على ما فرط منه، وعليه مع هذا الكفارة وهي دينار أو نصف دينار يتصدق به على بعض المساكين، كما جاء في حديث ابن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عمن أتى امرأته وهي حائض، قال: يتصدق بدينار أو بنصف دينار خرجه الخمسة وصححه ابن خزيمة وغيره، فهو حديث صحيح يدل على أن من أتى زوجته وهي حائض وهكذا النفساء في حكمها فإنه قد عصى ربه عز وجل فعليه التوبة إلى الله والإنابة إليه والندم على ما مضى منه، والعزم أن لا يعود في ذلك، وعليه مع ذلك أن يتصدق بدينار أو بنصف دينار مخير.

والدينار مثقال من الذهب مقداره أربعة أسباع من الجنيه السعودي المعروف اليوم، أربعة أسباع من الجنيه السعودي يسمى دينار، ونصفه سبعان من الجنيه السعودي، أو قيمتها من الفضة والورق، يتصدق به على بعض الفقراء، فإذا كان الجنيه السعودي مثلاً يساوي سبعين فإن الدينار يكون أربعين، ونصفه يكون عشرين يتصدق به على الفقراء وهكذا، يعني: سهمان من سبعة من الجنيه السعودي هذا نصف الدينار وأربعة من سبعة من الجنيه السعودي فله الدينار، يتصدق به على بعض الفقراء إذا أتى امرأته وهي حائض، وعليه مع هذا التوبة إلى الله والإنابة إليه سبحانه وتعالى؛ لأن هذه معصية لا يجوز للرجل فعلها ولا يجوز للمرأة أن توافق على ذلك وأن تمكنه من ذلك، عليها أن تمتنع؛ لأن هذا من التعاون على طاعة الله ورسوله، وتهاونها بهذا وتسامحها في هذا من باب التعاون على الإثم والعدوان)[1].

أما الأضرار الناتجة عن جماع الحائض فتتمثل في :

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله ، تفريغ نصي .

١- العدوى البكتيريا التي تصيب الأعضاء التناسلية، وتظهر نتيجة ممارسة العلاقة الحميمة في فترة الدورة الشهرية، وينتج عنها الالتهابات المهبلية التي تسبب الشعور بحكة المهبل، وخروج إفرازات تصاحبها رائحة كريهة.

٢- إصابة قنوات فالوب بالالتهابات، علما بأن قناة قنوات فالوب تعمل على نقل البويضات من المبيض إلى الرحم، ما قد يسبب الإصابة بـ"بطانة الرحم المهاجرة".

٣- دم الحيض ليس به سموماً وهو عبارة عن الأنسجة المبطنة للرحم وبعض الدم ولكنه بيئة خصبة لنمو البكتريا الضارة وبعض الممرضات (مسببات الأمراض).

٤- إذا تفاعلت البكتريا مع الدم الحيض فمن المحتمل أن تتسرب إلى مجرى البول عند الرجل مسببة العديد من المشاكل الصحية مثل:

أ- حرقان (حرقة البول) والتهاب الإحليل.

ب- التهاب المثانة (إذا وصلت البكتريا من الإحليل للمثانة).

ت- التهابات في الحالبين (إذا انتقلت البكتريا من المثانة إلى الحالين).

ث- التهابات في الكلي (إذا وصلت البكتريا | إلى الكلية).

ج- إنتان أو فشل كلوي إذا استمرت التهابات الكلي دون علاج.

ح- التهاب البروستاتا (الغدة المسئولة عن إنتاج السائل المنوي).

٥- استخدام الواقي الذكري قد يحد من الأذى على الرجل ، ولكن سيظل الأذى موجود بالنسبة للزوجة، كما أن احتمالات عدوى التهابات المسالك البولية والبروستاتا التي تم توضيحها بالأعلى ليست كبيرة ولكنها موجودة.

٦- الأذى النفسي قد يكون أكثر ضرراً من الأذى الجسدي. مع ملا حظة أن بعض الرجال يشمئز من العلاقة أثناء الحيض والبعض الآخر يستمتع بها.

إلى جانب أضرار (تأثير) دم الحيض على الرجال فهناك احتمال أيضاً بمشاكل صحية قد **تحدث للنساء مثل:**

١- التهاب المسالك البولية (مثل التهاب المثانة أو الكلى)، والذي يحدث نتيجة لزيادة

فرصة تكاثر البكتريا التي يدفعها القضيب إلى المهبل ثم تصل إلى مجرى البول.

٢- التهابات عنق الرحم، نتيجة احتمالية رجوع الدم المحمل بالبكتريا مرة أخرى إلى الرحم من خلال الفتحة الصغيرة التي يخرج منها.

٣- زيادة فرصة الإصابة بالسرطان، إذا استمرت التهابات عنق الرحم لفترة طويلة دون علاج فهناك فرصة لتكون الخلايا السرطانية.

٤- زيادة فرصة الإصابة بالأمراض التناسلية، فترة أو مرحلة الحيض هي مرحلة ضعف بالنسبة للمرأة وفيها يكون الرحم مشغول بنبذ أو طرد بطانته خارج الجسم مما يزيد من احتمالية حدوث أمراض تناسلية.

٥- مرض التهاب الحوض، وهو مرض يتطور نتيجة التهاب الرحم، والتهاب قناتي فالوب والمبيضين والتهابات المهبل المزمنة[١].

يقول الشيخ المنجد : (الدراسات العلمية في هذا المجال كشفت لنا عن شيء من الأذى الذي أشارت إليه الآية الكريمة ولكنهم لم يصلوا إلى التعرف على جميع الأذى الذي عناه النص القرآني .

يقول الدكتور محيي الدين العلبي : (يجب الامتناع عن جماع المرأة الحائض لأن جماعها يؤدي إلى اشتداد النزف الطمثي ، لأن عروق الرحم تكون محتقنة وسهلة التمزّق وسريعة العطب ، كما أن جدار المهبل سهل الخدش ، وتصبح إمكانية حدوث الالتهابات كبيرة مما يؤدي إلى التهاب الرحم أو يحدث التهاب في عضو الرجل بسبب الخدوش التي تحصل أثناء عملية الجماع ، كما أن جماع الحائض يسبب اشمئزازاً لدى الرجل وزوجه على السواء بسبب وجود الدم ورائحته ، مما قد يكون له تأثير على الرجل فيصاب بالعنة (البرود الجنسي).

ويقول الدكتور محمد البار متحدثاً على الأذى الذي في المحيض : يُقذف الغشاء المبطّن للرحم بأكمله أثناء الحيض .. ويكون الرحم متقرحاً نتيجة لذلك ، تماماً كما يكون

---

(١) طبيب ويب ٦ يونيو، ٢٠٢٠

الجلد مسلوخاً فهو معرّض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح .. ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب يشكل خطراً داهماً على الرحم .

لهذا فإن إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء الحيض ليس إلا إدخالاً للميكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم .

ويرى الدكتور البار أن الأذى لا يقتصر على ما ذكره من نمو الميكروبات في الرحم والمهبل الذي يصعب علاجه ، ولكن يتعداه إلى أشياء أخرى هي :

١- امتداد الالتهابات إلى قناتي الرحم فتسدها ، مما قد يؤدي إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم ، وهو أخطر أنواع الحمل على الإطلاق .

٢- امتداد الالتهاب إلى قناة مجرى البول ، فالمثانة فالحالبين فالكلى ، وأمراض الجهاز البولي خطيرة ومزمنة .

٣- ازدياد الميكروبات في دم الحيض وخاصة ميكروب السيلان .

والمرأة الحائض كذلك تكون في حالة جسمية ونفسية لا تسمح لها بالجماع ، فإن حدث فإنه يؤذيها أذى شديداً ، ويصاحبه آلالام وأوجاع أثناء الحيض . **يقول الدكتور البار** :

١- يصاحب الحيض آلام تختلف في شدتها من امرأة إلى أخرى ، وأكثر النساء يصبن بآلام في الظهر وفي أسفل البطن ، وبعض النساء تكون آلامهن فوق الاحتمال مما يستدعي استعمال الأدوية والمسكنات .

٢- تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض وخاصة عند بدايته ..كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى مستوى لها أثناء الحيض .

٣- تصاب بعض النساء بالصداع النصفى قرب بداية الحيض ، وتكون آلالام مبرحة وتصحبها زغللة في الرؤية وقيء .

٤- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة ، بل إن كثيراً من النساء يكن عازفات تماماً عن الجماع أثناء الحيض . وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها في حالة شبه مرضية ، فالجماع في هذه الآونة ليس طبيعياً ولا يؤدي أي وظيفة ، بل على العكس يؤدي إلى

الكثير من الأذى .

٥- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض درجة مئوية كاملة ، ومع انخفاض درجة الحرارة يبطئ النبض وينخفض ضغط الدم فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل .

ويذكر الدكتور البار أيضاً أن : الأذى لا يقتصر على الحائض في وطئها ، وإنما ينتقل إلى الرجل الذي وطئها أيضاً مما قد يسبب له التهابات في الجهاز التناسلي الذي قد يسبب عقماً نتيجة هذه الالتهابات . كما أن الآلام المبرحة التي يعانيها المريض من هذه الالتهابات تفوق ما قد ينتج عن ذلك الالتهاب من عقم .

إلى غير ذلك من المضار الكثيرة والتي لم يكشف عنها الآن ، وإنما عبّر عنها الله عز وجل بقوله : (قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن) فوصفه تعالى له بأنه (أذى) أذى للزوجة ، وأذى للزوج وغير ذلك من مضار كثيرة الله أعلم بها .

وبهذا يتبيّن أنه ليس المنع من وطء الزوجة في زمن الحيض من أجل الدم فقط . بل لأسباب كثيرة سبق ذكرها .

كما أن على المسلم أن يمتثل أمر الله عز وجل فإنه هو الخالق وهو أعلم بما يصلح العباد وما يضرهم ، وهو القائل (فاعتزلوا النساء في المحيض) فحتى لو لم يتبيّن للشخص الحكمة من ذلك فإن عليه أن يسلّم لأمر الله الذي أمر أن يترك الرجل جماع أهله في هذه الفترة[1]، [2].

س٢٠٩: لماذا قرن الله تعالى بر الوالدين بعبادته وحده سبحانه وتعالى ؟.

ج٢٠٩:يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: (بر الوالدين من أهم الفرائض ومن أعظم الواجبات، والله سبحانه وتعالى ذكر ذلك في مواضع كثيرة من كتابه العظيم، مثل قوله سبحانه :(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ

---

(١) الحيض والنفاس والحمل بين الفقه والطب د . عمر الأشقر، والشيخ البسام ، توضيح الأحكام ، ج١ ، ص ٣٦٢ .

(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٤ / ٤ / ٢٠٠٣ م.

لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا(٢٤))[١] ، ومثل قوله سبحانه:(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..(٣٦))[٢] ، ومثل قوله جل وعلا:(أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤))[٣] في آيات كثيرات فيها الحث على بر الوالدين، وفيها الأمر بذلك.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا المعنى أيضاً، فسئل عليه الصلاة والسلام قيل: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها. قيل: ثم أي؟ قال: بر الوالدين. قيل: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، وفي الصحيحين عن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر – كررها ثلاثاً– قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور.

فبين عليه الصلاة والسلام أن من أكبر الكبائر العقوق للوالدين؛ فبرهما من أهم الواجبات ومن أعظم الفرائض، وعقوقهما من أقبح الكبائر والسيئات.

وفي الحديث الآخر: رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين، فالواجب على كل مسلم وعلى كل مسلمة بر الوالدين والإحسان إليهما والرفق بهما والأدب معهما في القول والعمل، ومن ذلك أن ينفق عليهما إذا كانا فقيرين وهو يستطيع النفقة، ومن ذلك مخاطبتهما بالتي هي أحسن بالكلام الطيب والأسلوب الحسن وخفض الصوت، وعدم رفع الصوت عليهما، ومن ذلك السمع والطاعة لهما في المعروف إذا أمراه بشيء لا يخالف شرع الله وهو يستطيعه لا يضره ذلك، يطيعهما بالكلام الطيب والفعل الطيب.

ومن ذلك أن لا يحبس أولاده عن زيارة والديه، إذا رغب الوالد أو الوالدة في زيارة أولاده يزوروه، أن يمكن الأولاد من زيارة الوالدين فليس له أن يمنع أولاده ذكوراً كانوا أو إناثاً

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة لقمان .

من زيارة أمه أو أبيه، إلا أن يكون هناك ضرر لأن الوالد يأمرهما بمعاصي يأمر أولاده بمعاصي الله، أو الوالدة هذا له منع ذلك؛ لأن طاعة الله مقدمة، أما إذا كان ليس هناك ضرر في أن يزوروه والوالد يحسن إليهم والوالدة كذلك ولا يترتب على الزيارة معصية لله فليس له أن يمنع أولاده من زيارة أبويه، بل هذا من برهما أن يمكن أولاده يزوروهم ويأنسوا بهم ويتمتعوا بالاجتماع بهم.

المقصود: أن من بر الوالدين أن تسمح لأولادك بزيارتهما حتى يستمتعا بأولادك ويجتمعا بهما ويأنسا بهما، وربما ترتب على ذلك مصالح كثيرة، لكن إذا كان الوالدان يأمران أولادك بمعاصي الله أو يحصل منهما على الأولاد ضرر بضرب أو غيره من غير علة فلك أن تمنع، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لا ضرر ولا ضرار، أما أن تمنع أولادك من والديك من دون حق ومن دون سبب هذا لا يجوز، والله المستعان.)[1] .

(واقترن شكر الله بشكر الوالدين ، ويعدُّ برُّ الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله، فهو مقدمٌ على الجهاد في سبيلِ الله، والجهادُ ذروة سنام الإسلام، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (سَأَلْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قالَ: الصَّلاةُ علَى وقْتِها، قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ برُّ الوالِدَيْنِ قالَ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ قالَ: حدَّثَني بهِنَّ، ولَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزادَنِي)[2] ، ويعود ذلك، لما فيه من مشقة وتعب، وتغلّب على رغباتِ النفس، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رِضَى الرَّبِّ في رِضَى الوَالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوَالِدِ)[3].

ويكون البر بإلانة القول لهما، وانتقاء أفضل الكلمات عند مخاطبتهما، والتلطف معهما، وإظهار الرأفة والتقدير والاحترام، والتواضع وعدم رفع الصوت عليهما، وقد روي عن ابن عون، وهو أحد السلف رحمه الله، نادته أمه، فأجابها، فعلا صوتُه صوتَها، فَنَدِم على

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٢٧ .
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٥١٦ .

ذلك، وأعتق رقبتين توبَةً إلى الله تعالى وكفارة لما فعل، ونبيُّ الله إبراهيم عليه السلام يخاطب والده المشرك وهو يقول: (يا أبتِ... يا أبتِ)، ولا يجوز مناداة أحد منهما بالعجوز، بحجة الاعتياد على قولها، أو التضجّر منهما، أو التّرفع عليهما، كما جاء في قوله تعالى: (فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا(٢٣))، وقد قال بعض السّلف: (لو كان هناك أقل من الأُفّ لنهى الله عنه)[2].

فوائد رضا الوالدين:

١- دخول الجنة: فبِرُّ الآباء والأمهات طريق موصول للجنة، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (الوالِدُ أوسطُ أبوابِ الجنَّةِ، فإنَّ شئتَ فأضِع ذلك البابَ أو احفَظْه)[3] ، ومعنى (أوسط أبواب الجنة) أي خيرها وأعلاها وأحسنها دخولًا، كما قال عليه الصلاة والسلام: (بَيْنا أنا أدورُ في الجنَّةِ سمِعْتُ صوتَ قارئٍ فقُلْتُ؟ مَن هذا؟ فقالوا: حارِثةُ بنُ النُّعمانِ، كذلك البِرُّ)[4]، قال: وكان أبَرَّ النَّاسِ بأُمِّه.

٢- أفضل القُربَات إلى الله، وأهم الفرائض، فقد أوجب الله تعالى حق الوالدين وأمر بالإحسان إليهما في كتابه العظيم في آيات كثيرات، منها: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا(٢٤))[5].

٣- سبب لإجابة الدعوة، (كانَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إذَا أَتَى عليه أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ؟ حتَّى أَتَى علَى أُوَيْسٍ فَقالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بنُ عَامِرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: مِن مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَكانَ بكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ منه

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) الكليني ، الكافي: ٢ / ١٥٨ / ١(لم أجد في كتب السنة هذا القول و وقد يكون موجودا و والله أعلم).
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٩٠٠ ، وانظر ابن ماجه (٣٦٦٣)، وأحمد (٢٧٥٥١).
(٤) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٧٠١٥ .
(٥) سورة الإسراء .

إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: لكَ وَالِدَةٌ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يقولُ: (يَأْتِي علَيْكُم أُوَيْسُ بن عَامِرٍ مع أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ، مِن مُرَادٍ، ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كانَ به بَرَصٌ فَبَرَأَ منه إلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، له وَالِدَةٌ هو بهَا بَرٌّ، لو أَقْسَمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لكَ فَافْعَلْ) فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ له. فَقالَ له عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: الكُوفَةَ، قال: أَلَا أَكْتُبُ لكَ إلى عَامِلِهَا؟ قالَ: أَكُونُ في غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إلَيَّ..)[١] .

٤- سبب لتفريج الهموم والغموم، فعن عبدالله بن عمر أنه قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: (انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا..)[٢] ، فحين دعا الرجل الله بعمل بره بوالديه، استجاب الله الدعاء وفرج عنه ما كان فيه.

كيف يمكن الحصول على رضا الوالدين؟.

للحصول على بر الوالدين يجب أخذ كثير من الأمور في عين الاعتبار، ومنها:

١- تحقيق رغبات الوالدين، فيجب أن يكون الأبناء على دراية بما يحب الوالدان من لباس وطعامٍ وشراب وأماكن، وأن يسعوا لتلبية كل ما يرغب به الوالدان وفقًا لقدراتهم.

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٤٢ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٢٧٢ .

٢- إبعاد كل ما يكرهه الوالدان عنهما، وذلك من لباس وطعام وشرابٍ وأماكن، وأن يسعى الأبناء في تجنب ذلك والابتعاد عنه.

٣- تجنب الانشغال عند زيارتهما، وقد انتشرت عادة سيئة وهي انشغال الأبناء بالهواتف في حضور الوالدين، فلا قيمة لتلك الزيارة، لأنها بالجسد فقط، بلا روح، كما يتضايق الآباء من تلك العادة، فهما بحاجة للاهتمام.

٤- الاعتذار عند صدور الخطأ، وإصلاح ما تم إفساده، والتماس رضى الوالدين، فعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو قال: (جاء رجُلٌ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقال: جِئتُ أُبايِعُكَ على الهِجرةِ، وترَكتُ أبَوَيَّ يَبكيانِ. فقال: (ارجِعْ عليهما، فأضحِكْهما كما أبكَيْتَهما)[1].

٥- عدم التقصير في حقهما، حتى لو قصّر الوالدان في حق الولد هذا لا يعد مبررًا لعقوقهما، فالله سبحانه وتعالى يحاسب كل نفس بما كلفها من الواجبات، فيقول عز وجلّ: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٥))[2].

٦- الصبر على الوالدين، وعن أبي هريرة قال: مرَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سلولٍ وهو في ظلِّ أجَمةٍ فقال: (قد غبَّر علينا ابنُ أبي كَبشةَ فقال ابنُه عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ والَّذي أكرَمكَ والَّذي أنزَل عليكَ الكتابَ لئِنْ شِئْتَ لَآتيَنَّكَ برأسِه فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (لا، ولكنْ بَرَّ أباكَ وأحسِنْ صُحبتَه)[3] .

٧- المعاملة الحسنة عند الكِبَر، فإذا وصل الوالدان إلى مرحلة الضعف وأرذل العمر،

---

(١) الألباني ، إرواء الغليل ،ج٥ ، ص ٢٠ .
(٢) سورة لقمان .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٤٢٨ .

فهما يحتاجان إلى بِرٍّ وسعة صدر، ومعاملة خاصة وعطفٍ ورحمةٍ، وأن يعوّد الأبناءُ أنفسهم على التعامل الحَسن مع كبير السن، ولذلك خصَّ الرسول عليه الصلاة والسلام برّهما في مرحلة الكِبَر بالذكر وأنَّه سببٌ لدخول الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، قيلَ: مَنْ؟ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مَن أدْرَكَ أبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدَهُما، أوْ كِلَيْهِما فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ)[1] .

آثار عقوق الوالدين لعقوق الوالدين آثار على الأبناء، ومنها:

١- غضب الله تعالى على الأبناء، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (رِضَى الرَّبِّ في رِضَى الوَالِدِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوَالِدِ)[2].

٢- العقوق من الكبائِر، وقد قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ألَا أُنَبِّئُكُمْ بأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثَلَاثًا، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْرَاكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ – وَجَلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ– أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)[3] ، وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ)[4] ، وقَالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِن أكْبَرِ الكَبائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ والِدَيْهِ قيلَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وكيفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ والِدَيْهِ؟ قالَ: يَسُبُّ الرَّجُلُ أبا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسُبُّ أُمَّهُ)[5] .

٣- دخول النار: فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثلاثةٌ لا ينظرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ، وثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ: العاقُّ لوالِدَيهِ، والمدمِنُ على الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى)[6].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٥١ .
(٢) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث١٨٩٩ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٧٣ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٤٠٨ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٩٧٣ .
(٦) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث٢٥٦١ ، وانظر النسائي (٢٥٦٢) واللفظ له، وأحمد (٦١٨٠)

٤- دعاء الآباء على الابن العاق مستجاب، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثلاث دعواتٍ مستجاباتٌ دعوةُ المظلومِ ودعوةُ المسافرِ ودعوةُ الوَالِدِ على وَلدِهِ)[١] .

٥- العقوبة المعَجَّلةُ في الدنيا قبل الآخرة، فعَنْ أَنَسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النبيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بابان معجّلانِ عقوبتهُما في الدنيا: البَغْيُ والعُقوقُ)[٢] ومعنى قوله: (مُعَجَّلَانِ عُقُوبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا) أَي: في الدنيا قبل أن يموت فاعلهما[٣].

س٢١٠: لماذا كان شهود حادثة الزنى أربعة وليس اثنين كما في الشهادات الأخرى ؟.

ج٢١٠: الشهادة في الفقه الإسلامي إحدى بينات الإثبات ، ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم في مواضع عدة ، وأثبت الحكم بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولها في كتب الفقه حظ وافر من الشرح والتفصيل والبيان .

والذي نحب التنبيه عليه في هذا الباب أمور ثلاثة :

الأمر الأول : أن نصاب الشهود المطلوب يختلف بحسب الأمر المشهود به ، وليس ثمة عدد محدد لجميع أنواع الشهادة ، فمن الأمور ما تقبل فيها شهادة عدل واحد ، ومنها ما يشترط لها شاهدان ، ومنها ما يشترط لها أربعة شهود . ولا شك أن هذا من كمال التشريع الإسلامي وحكمته البالغة ، حيث روعيت فيه أقدار المواضيع من حيث الأهمية والخطورة والتأثير ، ووضعت لها ما يناسبها في أبواب الشهادة ونصاب الشهود ، جاء في الموسوعة الفقهية :" يختلف عدد الشهود في الشهادات بحسب الموضوع المشهود به :

أ- من الشهادات ما لا يقبل فيه أقل من أربعة رجال ، لا امرأة بينهم ، وذلك في الزنا ، لقوله تعالى : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء . .). وعن أبي هريرة أن سعد بن عبادة قال : يا رسول الله ! إن وجدت مع امرأتي رجلا أأمهله

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٤٤٨ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١١٢٠ ، أخرجه الحاكم (٧٣٥٠) مطولاً واللفظ له، والبخاري في (الأدب المفرد) (٨٩٥)، والخطيب في (الموضح) (٤٤/١) باختلاف يسير.
(٣) موقع حياتك ، رضا الوالدين في ١٥ يونيو ٢٠٢٠

حتى آتي بأربعة شهداء ؟ قال : نعم)[1].

ب- ومنها ما يقبل فيه شاهدان لا امرأة فيهما ، وهو ما سوى الزنى من الحدود والقصاص ، كالقطع في السرقة ، وحد الحرابة ، والجلد في الخمر ، وهذا باتفاق الفقهاء ، وذهب جمهور الفقهاء إلى أن ما يطلع عليه الرجال غالبا ، مما ليس بمال ولا يقصد منه مال: كالنكاح ، والطلاق ، والرجعة ، والإيلاء ، والظهار ، والنسب ، والإسلام ، والردة ، والجرح ، والتعديل ، والموت والإعسار ، والوكالة ، والوصاية ، والشهادة على الشهادة ، ونحو ذلك ، فإنه يثبت عندهم بشهادة شاهدين لا امرأة فيهما . ودليلهم في ذلك أن الله تعالى نص على شهادة الرجلين في الطلاق والرجعة والوصية فأما الطلاق والرجعة فقوله تعالى : (**فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم**) . وأما الوصية فقوله : (**إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم**) ،وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في النكاح : (لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل)[2]، وروى مالك عن الزهري أنه قال : (مضت السنة بأنه لا تجوز شهادة النساء في الحدود ولا في النكاح والطلاق)[3] " وقيس عليها ما شاركها في الشرط المذكور .

ت- وقال الحنفية : ما يقبل فيه شاهدان ، أو شاهد وامرأتان هو ما سوى الحدود والقصاص سواء أكان الحق مالا أم غير مال ، كالنكاح والطلاق والعتاق والوكالة والوصاية . ودليله قوله تعالى : (**واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء**)وقصر الجمهور قبول شهادة الرجلين أو الرجل والمرأتين على ما هو مال أو بمعنى المال ، كالبيع ، والإقالة ، والحوالة ، والضمان ، والحقوق المالية ، كالخيار ، والأجل ، وغير ذلك .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٩٨ .
(٢) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٦ ، ص ٤٣٢.
(٣) ابن حزم ، المحلى ، ج٤ ، ص ٧٧ .

ث- ومنها ما تقبل فيه شهادة النساء منفردات ، وهو الولادة والاستهلال والرضاع ، وما لا يجوز أن يطلع عليه الرجال الأجانب من العيوب المستورة .ولكنهم اختلفوا في العدد الذي تثبت به هذه الأمور من النساء على خمسة أقوال .

ج- ومنها ما تقبل فيه شهادة شاهد واحد ، فتقبل شهادة الشاهد الواحد العدل بمفرده في إثبات رؤية هلال رمضان استدلالا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : (تراءى الناس الهلال ، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أني رأيته فصامه وأمر الناس بصيامه)[1].

الأمر الثاني : أن شهادة الأربعة على وقوع الزنى يشترط فيه زيادة على الإسلام والحرية والعدالة ؛ الوصف بالمعاينة وصفا دقيقا ، ولا يكفي وصف المشهد العام لاجتماع الرجل والمرأة الأجنبية ولو كانا عاريين ، وهذا من خصائص هذه الشهادة أيضا ، يقول ابن رشد رحمه الله: (وأما ثبوت الزنا بالشهود : فإن العلماء اتفقوا على أنه يثبت الزنا بالشهود ، وأن العدد المشترط في الشهود أربعة بخلاف سائر الحقوق ، لقوله تعالى : (**ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**) وأن من صفتهم أن يكونوا عدولا ، وأن من شرط هذه الشهادة أن تكون بمعاينة فرجه في فرجها ، وأنها تكون بالتصريح لا بالكناية)[2] ،يقول الإمام الماوردي رحمه الله :(أما صفة الشهادة في الزنا فلا يجزئ أن يقول الشهود : رأيناه يزني ، حتى يصفوا ما شاهدوه من الزنا ، وهو أن يقولوا : رأينا ذكره يدخل في فرجها كدخول المرود في المكحلة : **لثلاثة أمور** :

١- أن النبي صلى الله عليه وسلم تثبت ماعزا في إقراره فقال : أدخلت ذلك منك في ذلك منها ، كدخول المرود في المكحلة والرشا في البئر ؟ فقال : نعم . فأمر برجمه ، فلما استثبته في الإقرار كان أولى أن يستثبت في الشهادة .

---

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٦ ، ص ٣١٢ ، أخرجه أبو داود (٢٣٤٢)، والدارمي (١٦٩١)، وابن حبان (٣٤٤٧) باختلاف يسير.
(٢) ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج٢، ص ٤٣٩ .

٢- أن الشهود على المغيرة بن شعبة بالزنا لما شهدوا به عند عمر رضي الله عنه ، وهم أبو بكرة ، ونافع ، ونفيع ، وزياد ، فصرح بذلك أبو بكرة ، ونافع ، ونفيع ، فأما زياد فقال له عمر : قل ما عندك ، وأرجو أن لا يهتك الله صحابيا على لسانك . فقال زياد : رأيت نفسا تعلو ، أو استا تنبو ، ورأيت رجليها على عنقه كأنهما أذنا حمار ، ولا أدري يا أمير المؤمنين ما وراء ذلك ، فقال عمر : الله أكبر . فأسقط الشهادة ولم يرها تامة .

٣- أن الزنا لفظ مشترك . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : العينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما اللمس ، ويصدق ذلك ويكذبه الفرج ، فلذلك لزم في الشهادة نفي هذا الاحتمال بذكر ما شاهده من ولوج الفرج في الفرج)[١] .

الأمر الثالث :أن تخصيص الشهادة على الزنا بهذا التشديد فيه مزيد احتياط وصيانة للأعراض ، كي لا يتساهل الناس في الطعن ولا في القذف ، وباشتراط البينة بهذا التدقيق لا يكاد حد الزنى يقام على أحد إن لم يعترف ، ومن أقيم عليه بسبب مشاهدة أربعة رجال له هذه المشاهدة الدقيقة فذلك دليل على جرأة ووقاحة يستحق عليها العقوبة الرادعة ، يقول الإمام الماوردي رحمه الله :(الشهادات تتغلظ بتغليظ المشهود فيه ، فلما كان الزنا واللواط من أغلظ الفواحش المحظورة وآخرها ، كانت الشهادة فيه أغلظ : ليكون أستر للمحارم ، وأنفى للمعرة)[٢]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (والشهادة على الزنا لا يكاد يقام بها حد وما أعرف حدا أقيم بها وإنما تقام الحدود إما باعتراف وإما بحبل)[٣]، [٤]،[٥].

يشترط لإقامة حد الزنا : ثبوته ، وذلك :

---

(١) الماوردي ، الحاوي الكبير ، ج١٣ ، ص ٢٢٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ٢٢٦ .
(٣) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج٦ ، ص ٩٥ .
(٤) الموسوعة الفقهية" (٢٦/٢٢٦-٢٢٩).
(٥) الشيخ المنجد . الاسلام سؤال وجواب ، في ١٨ / ٤/ ٢٠٠٨ م.

١- إما بشهادة أربعة رجال .

٢- إما بالإقرار .

٣- إما بظهور الحمل .

مع انتفاء الشبهة وانتفاء دعوى الغصب والإكراه على الراجح .

والدليل على اشتراط أربعة شهود : قوله تعالى : (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ..(١٥)) ، وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)) ، وقوله تعالى : (لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ(١٣)).وروى مسلم رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رضي الله عنه قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ وَجَدْتُ مَعَ امْرَأَتِي رَجُلًا أَؤُمْهِلُهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ؟ قَالَ : (نَعَمْ)[٤] ، وثبوت الزنا بشهادة الشهود أمر متعذر ؛ لأنه من الصعب أن يوجد أربعة يشهدون وقوع إيلاج الفرج في الفرج .

ولهذا قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولم يثبت الزنا بطريق الشهادة من فجر الإسلام إلى وقته ، وإنما ثبت بطريق الإقرار ؛ لأن الشهادة صعبة ، كما سيتبين إن شاء الله)[٥] ، ثم قال : فلو قالوا: رأيناه عليها متجردين ، فإن ذلك لا يقبل حتى لو قالوا : نشهد بأنه قد كان منها كما يكون الرجل من امرأته ، فإنها لا تكفي الشهادة ، بل لا بد أن يقولوا : نشهد أن ذكره في فرجها ، وهذا صعب جداً مثلما قال الرجل الذي شُهِدَ عليه في عهد عمر : لو كنت بين أفخاذنا لم تشهد هذه الشهادة ،وأظن هذا لا يمكن ، ولكن لا أدري هل يمكن بالوسائل الحديثة أم لا كالتصوير ؟ الظاهر أنه لا

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة النور .
(٣) سورة النور .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٩٨ .
(٥) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١٤ ، ص ٢٥٧ .

يمكن أيضاً ؛ لأن الذي تدركه الصورة تدركه العين ، فإذا لم تدركه العين لم تدركه الصورة ، ولهذا يقول شيخ الإسلام : إنه لم يثبت الزنا عن طريق الشهادة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهده، وإذا لم يثبت من هذا الوقت إلى ذاك الوقت ، فكذلك لا نعلم أنه ثبت بطريق الشهادة إلى يومنا هذا ؛ لأنه صعب جدا.

فلو شهد الأربعة بأنهم رأوه كما يكون الرجل على امرأته ، فإنه لا يحد للزنا ، ولكن هل نقول : إن هذه تهمة قوية بشهادة هؤلاء الشهود العدول ، فيعزر؟ نعم ، فإذا لم يثبت الزنا الذي يثبت به الحد الشرعي ، فإنه يعزر لأجل التهمة)[1] .

والمغتصب إذا لم يقر بالزنا ، ولم تقم البينة على زناه ، فإن للحاكم أن يعزره إذا وجدت التهمة والقرائن على فجوره وفساده ، ولو قُدّر نجاته من العقوبة في الدنيا ، فإن ذلك لا يلغي عقوبة الآخرة إلا أن يشاء الله تعالى .

ولله الحكمة التامة في ما شرع من اشتراط الشهود مع تعذر ذلك ، والمراد عدم إشاعة هذه الفاحشة ، فإن المنكر إذا تكرر ظهوره وكثرت فيه الدعاوى والإثباتات وتعددت الحالات فإنه يسهل على النفوس اقترافه ، ولأن في اشتراط الأربعة يتحقق معنى الستر وهو مندوب إليه والإشاعة ضده ، قال ابن الهمام في فتح القدير: (أما إن فيه تحقيق معنى الستر فلأن الشيء كلما كثرت شروطه قلّ وجوده ، فإن وجوده إذا توقف على أربعة ليس كوجوده إذا توقف على اثنين منها فيتحقق بذلك الاندراء)[2] ، [3].

س٢١١: لماذا حرم الله تعالى لحم الخنزير؟

ج٢١١:جاء في بحث قدمه الدكتور حنفي محمود مدبولي للإدارة العامة لخدمات الكتاب والسنة برابطة العا لم الاسلامي حرم الله عز وجل لحم الخنزير بقول الله تعالى:(**قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ**

---

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١٤ ، ص ٢٧١ .

(٢) ابن الهمام ، فتح القدير للعاجز الفقير ، ج٥ ، ص ٢١٤ .

(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٥ / ٣ / ٢٠٠٩ م.

أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٤٥))[١] ، وبين ربنا عز وجل وهو العليم الخبير أن العلة في تحريم لحم الخنزير هي (إنه رجس) أي نجس ، ضار ومؤذ ونتن وهذه علة ذاتية قائمة لا تنفك عن لحم الخنزير أبدا . وهذا يبين أن العلة في التحريم ليست عارضة أو مكتسبة . والعلة العارضة كأكله القاذورات والقمامة وهذا يحدث في بعض البلدان دون غيرها لأن الغرب يطعمون الخنازير أعلافا طيبة ويربونها في حظائر نظيفة مغلقة ومكيفة وهنالك تنتفى هذه العلة العارضة. كما أن العلة أيضا ليست مكتسبة تزول بزوال سببها كإصابته ببعض الأمراض الطفيلية والبكتيرية والفيروسية لأن كل هذه الأمراض مكتسبة ومن الممكن السيطرة عليها إما بالعلاج بالمضادات الحيوية ضد مسببات هذه الأمراض أو باستخدام اللقاحات وهى الآن شائعة وتستخدم على نطاق واسع وبذلك تنتفى هذه العلل المكتسبة . وبانتفاء العلة العارضة أو العلة المكتسبة ينتفى الحكم وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى الذى يتلى إلى أن تقوم الساعة. وبذلك تبقى العلة الذاتية التي لا تنفك عن لحم الخنزير في كونه نجساً وضاراً ومؤذياً لمن يأكله هي الأصل في بقاء الحكم الشرعي:

وقد تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه من خلال الأبحاث العلمية العديدة وهذه بعض نتائجها:

١- أن الخنزير حيوان سبعي له أنياب يأكل الجيف والفئران ولو سمحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلها وهذا عكس الأنعام تماما فهي بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط.

٢- أن عدم وجود انزيمي Xanthin oxidase &Uricase في بلازما الخنزير وقلة وجوده في الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك في أنسجته فالخنزير يتخلص من ٢% فقط من هذا الحمض والباقي يختزن في جسده وهذا عكس الأنعام فهي تتخلص من حمض البوليك بكميات كبيرة لوجود ((Xanthin oxidase في بلازما

---

(١) سورة الأنعام .

الأبقار وهو يقوم بتكسير حمض البوليك إلى آلنتوين والذى يفرز في بول الأبقار بكميات عالية جدا وبالتالي تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالي اللحم فيكون لحم الأبقار طاهرا طيبا ، كما يوجد في بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز (Uricase) والذى يقوم بتكسير حمض البوليك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طيبا.

٣- أن كثرة وجود حمض البوليك في دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأن رجس.

٤- أن كمية انزيم اليوريكاز في كلى الأبقار حوالى ستة أضعاف الموجود في كلى الخنازير.

٥- أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البوليك يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل في علة التحريم للحم الخنزير وهى أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمي لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير.

٦- أن الخنزير يحتوى على ٥٠% من لحمه دهنيات وأن هذه الدهنيات منها ٣٨% دهون مشبعة (تراى جلسريد) ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على ٦% فقط من الدهون وهى سهلة الهضم والأغنام تحتوى على ١٧% دهون أيضا سهلة الهضم وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم لخنزير.

٧- أن الخنزير يحتوى على كميات عالية من هرمونات النمو وهى تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضررا آخر محققا من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية على التحريم.

٨- أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير.

٩- أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب

للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوى على هذا الهرمون

١٠- وأن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر، ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان ،وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين ، ولاسيما شرايين القلب ، وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط ، وهو السبب الرئيس في معظم حالات الذبحة القلبية. وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان .

١١- وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى الحكم ببقاء العلة ويكون الخنزير محرما على التأبيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

من خلال نتائج هذا البحث يتضح بيان الإعجاز العلمي في حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار التي موجودة في لحم ودهن ودم الخنزير تجعل الخنزير محرما لذاته وليس لعلل عارضة أو مكتسبة وهذا الذى بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أي نجس ، ضار ومؤذ ونتن ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمي في هذا النص القرآني لحرمة لحم الخنزير

وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذى بلغ رسوله النبي الأمي بتحريم لحم الخنزير كما بلغ الرسل الكرام من قبله بحرمة هذا الحيوان القذر النجس)[١] .

ويتساءل كثيرٌ من الناس عن الحكمة من خلق الله عزّ وجل للخنزير ثمّ تحريم تناوله بسبب أضراره الجسيمة على سلامة الإنسان وصحته، وتجدر الإيماءة إلى أن الله لم يخلق شيئًا في هذا الكون عبثًا ودون غايةٍ، والحكمة من خلق الخنزير هو تنظيف الأرض من النفايات والجيف، وليس ليكون طعامًا للإنسان، فله دورٌ كبيرٌ في تنظيف البيئة وتطهيرها، ولذلك هو حيوانٌ بريٌ لا يجوز تربيته في المزارع.

---

(١) أ. د/ حنفي محمود مدبولي موقع رابطة العالم الاسلامي

س٢١٢ : لماذا حرم الله تعالى أكل الميتة ؟.

ج٢١٢: حرم الله عزّ وجل أكل الميتة؛ وهي التي ماتت بغير ذكاة شرعية؛ وقد استثنى الله منهما ميتتان هما: الجراد والسمك وذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أُحِلَّت لنا ميتتانِ ودمانِ فأما الميتتانِ فالحوتُ والجرادُ وأما الدمانِ فالكبدُ والطحالُ)[(١)].

يقول عبدالرحمن القماش صاحب كتاب الحاوي: (ذكر الشيخ الطاهر بن عاشور: اعلم أن حكمة تحريم الميتة فيما أرى هي أن الحيوان لا يموت غالبًا إلاّ وقد أصيب بعلة والعلل مختلفة وهي تترك في لحم الحيوان أجزاء منها فإذا أكلها الإنسان قد يخالط جزءًا من دمه جراثيم الأمراض، مع أن الدم الذي في الحيوان إذا وقفت دورته غلبت فيه الأجزاء الضارة على الأجزاء النافعة، ولذلك شرعت الذكاة لأن المذكى مات من غير علة غالبًا ولأن إراقة الدم الذي فيه تجعل لحمه نقيًا مما يخشى منه أضرار) ،ومن أجل هذا قال مالك في الجنين: إن ذكاته ذكاة أمه؛ لأنه لاتصاله بأجزاء أمه صار استفراغ دم أمه استفراغًا لدمه ولذلك يموت بموتها فسلم من عاهة الميتة وهو مدلول الحديث الصحيح «ذكاة الجنين ذكاة أمه» وبه أخذ الشافعي، وقال أبو حنيفة لا يؤكل الجنين إذا خرج ميتًا فاعتبر أنه ميتة لم يذكَّ، وتناول الحديث بما هو معلوم في الأصول، ولكن القياس الذي ذكرناه في تأييد مذهب مالك لا يقبل تأويلًا)[(٢)].

س٢١٣ : لماذا حرم الله الدم ؟.

ج٢١٣: جاء القرآن الكريم بتحريم تناول الدم المسفوح، وقد ورد بهذا الوصف في قول الله تعالى:(قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥))[(٣)] ، كما بلفظة "الدم" في المواضع الثلاثة الأخرى. وبداية نقول: للدم وظائف عديدة في جسم الحيوان:

---

(١) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٨ ، ص ٨٠

(٢) عبدالرحمن القماش ، الحاوي في تفسير القرآن الكريم ، تفسير سورة البقرة ، تفسير الآية ١٧٣ ..

(٣) سورة الأنعام .

١- تنتقل خلاله المواد الغذائية (كالبروتينات والكربوهيدراتات والدهون وغيرها) والفيتامينات والهرمونات والأكسجين والمواد الضرورية الأخرى، إلى أنحاء الجسم المختلفة .

٢- الدم هو الوسط الذي يحمل الإفرازات الضارة والسموم والمواد التي يريد الجسم أن يتخلص منها (كالبول والعرق والبراز وغيرها).

٣- إذا كان الحيوان مريضا، فإن الميكروبات تتكاثر في دمه، الذي يعمل كوسيلة لنقل هذه الميكروبات من عضو إلى آخر. هذا، إضافة إلى سموم هذه الميكروبات

٤- الدم هو الوسط الذي يحملها من مكان لآخر في الجسم.

وفيما يلي نوجز أهم الأضرار التي توصل العلماء إلى تحديدها حتى الآن حين يتناول الإنسان "الدم"، شربا أو أكلا...

يقول د. الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم:

١- يدعي الذين يستعملون دم الحيوان أنه غذاء جيد للإنسان، وهم مخطئون في هذا، فالدم يحتوي قدرا ضئيلا من البروتينات القابلة للهضم (كالألبومين والجلوبيولين والفيبر ينوجين)، وكذلك الدهون، بينما يحتوي نسبة عالية من خضاب الدم (هيموجلوبين)، وهو بروتين معقد عسير الهضم، لا تحتمله المعدة. كما أن الدم إذا تخثر (تجلط) فإن هضمه يصبح أشد عسرا، لعدة أسباب، منها أن الفيبر ينوجين من أسوأ البروتينات وأعسرها هضما... كما يحتوي الدم غاز ثاني أكسيد الكربون، وهو من الغازات السامة ، بل والقاتلة... وبالتالي فإن الإقدام على تناول الدم يؤدي إلى وقوع أضرار صحية جسيمة للإنسان.

٢- يدعي الذين يستعملون دم الحيوان، شربا أو أكلا، أنه مفيد في معالجة عوز الدم (فقر الدم أو الأنيميا)، وهم مخطئون، لأن الحديد هنا حديد عضوي، أي أنه أقل وأبطأ امتصاصا في الأمعاء من الحديد اللا عضوي... فلا ضرورة إذن لاستعمال الدم كمصدر للحديد في حالات عوز الدم عند الإنسان، خصوصا وأن الحديد اللا

عضوي ليس عسيرا على أن يحصل عليه، بل توجد مواد صيدلانية توفر له ما يريد. هذا، إضافة إلى أن بروتينات المصل توجد بنسبة ضئيلة إذ تبلغ نسبة الألبومين والجلو بين والفيبر ينوجين (وهو مولد الفيبرين أي اللفين)، ٧ جرام/١٠٠ مللي ليتر من الدم في المتوسط... ثم إن خضاب الدم، أي هيمو جلوبينه أو يحموره، يعد بروتينا عسر الهضم، وقد أشرنا إليه فيما سبق...

٣- إذا تناول الإنسان كمية متوسطة من الدم، فإنها قد تؤدي إلى حدوث اختلال ومرض دماغي يحدث على إثره سبات أو إغماء يعقبه الموت...تجري هذه الأحداث نتيجة ارتفاع نسبة البولة الدموية، وذلك بعد ما يتم حدوثه أيضا للبروتينات الموجودة في الدم. وتتفاعل الجراثيم والميكروبات الموجودة في معدة الإنسان مع الدم المشروب (أو المأكول) وتنتج عن ذلك أحماض أمينية ضارة ومركبات نشادرية سامة. تدخل هذه الأحماض والمواد إلى الدورة الدموية، ثم عن طريق الوريد البابي تدخل إلى الكبد، فتؤدي إلى انخفاض أدائه الوظيفي. كما تدخل هذه الأحماض إلى الدماغ (المخ) فتؤثر في خلاياه تأثيرات ضارة، تتدرج من الخمول وفقدان الوعي، إلى الذهول، والغيبوبة، ثم الموت.

٤- إذا تناول الإنسان دم حيوان، فإن يحموره (هيمو جلوبينه) يخضع لعملية هضم، فيتحلل إلى جلوبين وهيماتين، ويتحد هذا الأخير مع مركب، أو يتحول إلى مركب جديد، وهو المركب الذي يتحد مع بروتينات دم الإنسان فيوقف عملها، فلا تؤدي وظائفها الحيوية الضرورية للجسم...!! وقد يدخل جزء من يحمور الدم المشروب كما هو على هيئته الأصلية إلى الدورة الدموية للإنسان، ويصل إلى الكلى ويتحول فيها إلى مركب يؤدي إلى حدوث هبوط في وظائف الكلى..!!

٥- صلاحية الدم كوسط لنمو أنواع كثيرة من الجراثيم والميكروبات، لدرجة أنه يستخدم في المعامل (المختبرات) لصنع المزارع الدموية والحصول على "مستعمرات" ، أي جماعات جرثومية. ونضيف هنا أن العديد من السموم وثاني أكسيد الكربون

والكرياتينين واليوريا، وحمض اليوريا (البول)، والمواد الضارة الناتجة عن الأيض (الاستقلاب) وغيرها، يتناولها الإنسان في الدم الذي يشربه أو يأكله، فتمتص هذه المواد ، وترتفع مستوياتها في الجسم... فتصور كم من الأمراض يمكن أن تصيب الإنسان...!! ومن المصادر العديدة للجراثيم التي تنمو في الدم كوسط غذائي ملائم لها: السكين (أو أداة الذبح)، والإنسان نفسه (الجزّار أو القصّاب) ، والآنية التي يوضع فيها الدم، والحشرات المترممة أو الماصة للدم، والهواء، وقد يكون الحيوان ذاته مصابا بمرض جرثومي...

٦- يحتوي دم الحيوان مضادات، يتفاعل معها الجسم ليولد الأجسام المضادة (أو الأجسام الضدية)، وقد يؤدي شرب الدم، وخصوصا إذا تكرر، إلى تفاعل هذه المضادات مع الأجسام الضدية، فيؤدي هذا إلى حدوث حساسية شديدة.

٧- هناك عامل نفسي، إضافة إلى كل ما أسلفناه، يجب أن يدركه الإنسان العاقل جيدا في تحريم الإسلام لتناول دم الحيوان، ذلك هو التشبه بالوحوش في شرب الدماء، فكيف بالإنسان يتصور نفسه وهو يشرب كوبا من الدم على المقهى مثلا... إن هذا يتنافى مع الفطرة السليمة والنفس السوية.... وبالرجوع إلى الآية القرآنية الكريمة : (قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥))[١] ، يتضح أن المحرّم هو الدم المسفوح، أما القليل من الدم الذي يظل عالقا باللحم، فغير داخل في التحريم، لعدم إمكانية التحرز منه، وعدم تحقق الضرر فيه...[٢].

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) د. الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم، موقع اعجاز الكتاب والسنة، الأربعاء/ديسمبر/٢٠١٩

س٢١٤: لماذا حرم الله ما ذُبح على النصب ؟.

ج٢١٤: روى مسلم عن عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ)[(١)] .

ومن ذبح لغير الله ، فسواء ذكر اسم الله عليه أو لم يذكر اسم الله ، فهو شرك أكبر ، مخرج عن الملة ، ولا تحل ذبيحته ، بل هي ميتة ، يحرم أكلها .

قال النووي رحمه الله :(وَأَمَّا الذَّبْح لِغَيْرِ اللَّه فَالْمُرَاد بِهِ : أَنْ يَذْبَح بِاسْمِ غَيْرِ اللَّه تَعَالَى ، كَمَنْ ذَبَحَ لِلصَّنَمِ ، أَوْ الصَّلِيب ، أَوْ لِمُوسَى ، أَوْ لِعِيسَى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِمَا ، أَوْ لِلْكَعْبَةِ وَنَحْو ذَلِكَ ، فَكُلّ هَذَا حَرَام ، وَلَا تَحِلّ هَذِهِ الذَّبِيحَة ، سَوَاء كَانَ الذَّابِح مُسْلِمًا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا ، نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيّ ، وَاتَّفَقَ عَلَيْهِ أَصْحَابنَا ، فَإِنْ قَصَدَ مَعَ ذَلِكَ تَعْظِيم الْمَذْبُوح لَهُ غَيْر اللَّه تَعَالَى وَالْعِبَادَة لَهُ كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا ، فَإِنْ كَانَ الذَّابِح مُسْلِمًا قَبْل ذَلِكَ صَارَ بِالذَّبْحِ مُرْتَدًّا)[(٢)].

وقال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء :(الذبح لغير الله شرك ، وحكم الذبيحة حكم الميتة ، ولا يجوز أكلها ، ولو ذكر عليها اسم الله ، إذا تحقق أنها ذبحت لغير الله)[(٣)] .

وسُئِلوا أيضاً :ما هو حكم الذبح للميت الذي يُدَّعَى أنه ولي الله ويُبنى عليه الجدران فأجابوا : (الذبح لمن ذكرت من الميت الذي يدعى أنه ولي لله نوع من أنواع الشرك ، وذابحها للولي مشرك ملعون ، وهي ميتة يحرم على المسلم الأكل منها)[(٤)] .

وقال الشيخ صالح الفوزان " قوله تعالى : (وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) يشمل النوعين : ما تقرب به لغير الله ، ولو ذكر عليه اسم الله ، ويشمل ما ذبح لغير التقرب ، وإنما ذبح للحم ، لكن سَمَّي عليه غير اسم الله سبحانه وتعالى عند الذبح " انتهى مختصرا.)[(٥)].

---

(١) الإمام مسلم ، صحصح مسلم ، رقم الحديث ١٩٧٨ .
(٢) النووي ، شرح مسلم ، ج١٣ ، ص ١٤١ .
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة" ج١ ، ص ٢٢٦ .
(٤) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩٤ .
(٥) الشيخ الفوزان ، المنتقى من فتاوى الفوزان ج٣ ، ص ٤٩ .

وقال الشيخ ابن عثيمين : (الذبح لغير الله شرك أكبر ، لأن الذبح عبادة ، فمن ذبح لغير الله فهو مشرك شركا مخرجا عن الملة – والعياذ بالله – سواء ذبح ذلك لملك من الملائكة ، أو لرسول من الرسل ، أو لنبي من الأنبياء ، أو لخليفة من الخلفاء ، أو لولي من الأولياء ، أو لعالم من العلماء ، فكل ذلك شرك بالله عز وجل ومخرج عن الملة ، وأما الأكل من لحوم هذه الذبائح فإنه محرم ؛ لأنها أهل لغير الله بها ، وكل شيء أهل لغير الله به أو ذبح على النصب فإنه محرم)[١] .

س٢١٥: لماذا حرم الله كل ذي ناب من السباع ؟

ج٢١٥ : روى أبو ثعلب الخشني عن النبي صلى الله عليه وسلم : (حَرَّمَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لُحُومَ الحُمُرِ الأهْلِيَّةِ. تابعه الزبيدي وعقيل عن ابن شهاب . وقال مالك ومعمر والماجشون ويونس وابن إسحاق عن الزهري نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع)[٢].

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب من السبع وعن كل ذي مخلب من الطير)[٣].

قال الشوكاني: (وفي الحديث دليل على تحريم ذي الناب من السباع وذي المخلب من الطير وإلى ذلك ذهب الجمهور)[٤].

وقال صاحب اللسان: "والسَّبُعُ يقع على ما له ناب من السِّباعِ ويَعْدُو على الناس والدوابّ فيفترسها مثل الأَسد والذِّئْب والنَّمِر والفَهْد وما أَشبهها)[٥].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (لسباع كلها حرام، والسباع: هي التي تمسك بظفرها (بمخلبها) من الطيور، كالعقاب، والصقر، والباشق، هذه محرمة، وهكذا السباع التي تفترس بنابها، كالكلاب، والقطط، والذئاب، والأسود، والنمور، كلها محرمة؛ إلا الضبع

(١) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص ١٤٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٥٢٧ .
(٣) أبو داوود ، السنن ، ج٢ ، ص٣٨٣ .
(٤) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٨ ، ص ١٩٨ .
(٥) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص ١٤٦ .

خاصة، مستثناة، الضبع صيد، استثناه النبي عليه الصلاة والسلام، يقول ابن عباس "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي مخلب من الطير، وعن كل ذي ناب من السباع"، ويقول صلى الله عليه وسلم : كل ذي ناب من السباع فأكله حرام فجميع السباع التي تفترس، كلها محرمة، سواءٌ كانت كلابًا، أو ذئابًا، أو ثعلبًا، أو قطًا، أو غير ذلك، وهكذا الطيور التي تمسك بمخلبها، تصيد بمخلبها، كالعقاب، والصقر، والباز، وأشباه ذلك، كلها محرمة..)[1] .

س٢١٦ :لماذا كان الضبع مستثنى من التحريم؟ .

ج٢١٦: اختلف العلماء في حكم أكل الضبع على قولين مشهورين:

القول الأول : أنه جائز ، وهو قول جابر بن عبدالله وابن عباس رضي الله عنهم ، وعليه مذهب الشافعي وأحمد ، واستدلوا لذلك بحديث جابر رضي الله عنه (أنه سئل عن الضبع أصيد هو ؟ قال : نعم ، قلت : آكلها ؟ قال : نعم ، قلت : أشيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم)[2].

القول الثاني : أنه حرام الأكل ، وهو قول سعيد بن المسيب وابن المبارك والليث وسفيان والحسن والأوزاعي وعبدالرزاق ، ومذهب أبي حنفية وقول لمالك ، واستدلوا لذلك بما ثبت في الصحيحين من حديث أبي ثعلبة : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع .

ومن أسباب الخلاف في هذه المسألة :

١- تعارض دلالة حديث أبي ثعلبة مع حديث جابر المذكورين .

٢- خلاف العلماء في قول جابر : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يعني والمانعون قالوا : إن جابراً نسب اعتباره صيداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال أنه سمع أنه صيد يُفدى ، أو أن الذي سمعه : أنه يؤكل ؟. فالحديث محتمل للأمرين ،

---

(١) موقع الشيخ ابن باز على الشبكة العنكبوتية ، تفريغ نصي .

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٨٥١ ، ، والنسائي في "سننه" (٢٨٣٦) ، وأبو داود في "سننه" (٣٨٠١) ، وصححه جمع من المحدثين .

بالتحريم فهماً منه بأن وصف الصيد يبيح الأكل ؛ فلا يكون فهمه معارضاً لدلالة حديث أبي ثعلبة الصريح في تحريم أكل كل ذي ناب من السباع .

٣- التردد في الضبع : هل هو سبع له طبع العدوان ؛ كالأسد والنمر والذئب ؟ وهل له ناب ؟ حتى يُطبق وصفا الحديث في النهي عن "كل ذي ناب من السباع ، فسلم الإمام ابن القيم رحمه الله الذي يرى جواز أكله بأنه ذو ناب ، ولكنه لا يراه سبعاً عادياً ؛ حيث قال : (فإنه إنما حرم ما اشتمل على الوصفين : أن يكون له ناب ، وأن يكون من السباع العادية بطبعها ؛ كالأسد والذئب والنمر والفهد ، وأما الضبع فإنما فيها أحد الوصفين ، وهو كونها ذات ناب ، وليست من السباع العادية)[١] .

وإذا كان وصف "الناب" ووصف "السبُعية" تعبدان لا يُعقل لهما معنى ؛ فالضبع سبع ذو ناب ، أما صفة السبعية والعدوانية فهي ظاهرة فيه ؛ حيث يعدو على الحيوانات مأكولة اللحم ؛ كالغزال والإيل والبقر الوحشية ؛ بل إنه يعدو على الإنسان ويأكله ، ويعدو على السباع الصغيرة أو الوحيدة فيفترسها ، وهذا ظاهر لمن تأمل سلوكه ؛ فعليه فهو مشمول بالنهي في حديث أبي ثعلبة المذكور .

وإن كان الوصفان معقولين مقصودهما أن ما فيه هاتان الصفتان فإن أغلب اغتذائه على اللحوم فيحرم فالضبع كذلك ، مع ما ينحط به عن بقية السباع بما يصفه علماء الأحياء بكونه من "المفترسات القمَّامة" أو "منظفات البيئة" التي تأكل الجيف والمنتنات .

وأما حديث جابر فلا يصح الاستدلال به لتخصيص الضبع من عموم النهي ؛ لما أورد عليه من الاحتمالات القوية في رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والاحتمال إذا ورد بطل به الاستدلال ؛ كما تقرر ذلك في الأصول .

وتأييد هذا أنه جاء الحديث من وجوه أخرى بكونه صيداً عن جابر نفسه ، وكذلك عن ابن عباس وأبي هريرة ، ولم يذكر فيها حل أكله، وذكْرُ حل الأكل أولى بالتنويه من ذكر

---

(١) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٨٥ .

كونه صيداً ؛ مما يؤكد أن الذي رواه جابر هو كونه صيداً يُفدى ؛ لا أنه حلال يؤكل.

وروى أحمد في مسنده بسنده عن عبد الرحمن بن أبي عمارٍ أنه قال: قلتُ لجابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه : (آكُلُ الضَّبُعَ ؟ قال : نعم ، قلت : أصيدٌ هِي ؟ قال : نعم ، قلت : أسمعت ذلكَ من رسولِ الله ، قالَ: نَعَمْ)[١].

ففي هذه الرواية ما يختلف عن الرواية المذكورة في أدلة المبيحين ، وذلك في ترتيب ذكر مسألتي الصيد والأكل ؛ فجابرٌ رضي الله عنه في هذه الرواية أبدى رأيه أولاً في حل لحمه ، ثم قال له السائل : أصيد هي ؟ فقال : نعم ، وذكر أنه سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا موافق للروايات التي روى فيها جابر كونها صيداً ، ولم يرو حل أكلها .

وغاية ما دل عليه حديث جابر ما فيه أنها صيد يفدي في الإحرام ، ولا دلالة فيه على حل أكلها لهذا المعنى ، ففي مذهبي الحنفية والحنابلة أن كون الشيء صيداً يفدى ليس من شرطه حل أكله ؛ حيث يُقصد الضبع والثعلب وغيرهما بالصيد للانتفاع بجلودها .

وقد سئل الإمام أحمد عن محرم قتل ثعلباً ؟ فقال : (عليه الجزاء هي صيد ، والإمام أحمد يرى حرمة أكل الثعلب)[٢].

فتلخص من هذا أن المحكم هنا هو حديث أبي ثعلبة في النهي عن كل ذي ناب من السباع ، وأما حديث جابر فإن لم يُقل : لا دلالة فيه فهو مشتبه محتمل يُرد إلى المحكمات .

ولعل سبب من قال بحله من المتقدمين أن العرب كانت قبل الإسلام تأكل الضبع ، واستمر الأمر على ذلك ، إما بإقرار من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو توقف لانتظار وحي ، ثم حُرِّم كل ذي ناب من السباع عام خيبر في السنة السادسة ؛ فقد روى أحمد في "المسند" بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم حُرِّم يوم خيبر كل ذي ناب من السباع والمجثمة والحمار الأنسي)[٣] ، وهو حديث ثابت ، صححه الترمذي وعبدالحق

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٤١٣٧ .
(٢) المرداوي ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، ج١٠ ، ص ٣٦٠ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٨٧٢٤ .

الإشبيلي وغيرهما ، ولم يطلع المبيحون على النهي ، أو فهموا من حديث جابر تخصيصه بالحل كما ثبت عند أبي داود في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال :(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وعن الجلالة عن ركوبها وأكل لحمها)[1] .

فهل يُظن أن تُحرم الحمر الأهلية التي غالب ما تأكله مباح ، مع أن نظيرها الوحشي مباح ، أو يُحرَّم أكلُ الجلالة لحمها وشرب لبنها وركوبها ؛ لأنها تأكل القذر ، ثم لا يحرم سبع ذو ناب ؛ يأكل الجيف ، وينهش فريسته حية ويغتذي بدمها دون أن يُعتبر فيه ما يُعتبر في الجلالة من نقاء لحمها مدة كافية ؟ إلا أن يكون هذا دليلاً على أنها مشمولة بالنهي.

وقد روى أحمد في مسنده بسنده عن عبد الله بن يزيد قال : (سألت سعيد بن المسيب عن الضبع فكرهها . فقلت له : إن قومك يأكلونه . قال : لا يعلمون)[2] . وفيه عن سعيد قوله : إن أكلها لا يحل[3] .

وقال ابن العربي المالكي كما في فيض القدير: (.. وعجباً لمن يحرم الثعلب وهي تفترس الدجاج ، ويبيح الضبع وهو يفترس الآدمي ، ويأكله)[4] . .

فالأظهر مما ذُكر أن الضبع محرم الأكل[5] .

س٢١٧: لماذا حرم الله كل ذي مخلب من الطير؟.

ج٢١٧: (أثبت العلم الحديث أن لحوم الجوارح تحمل العديد من الطفيليات التي تسبب أمراضًا خطيرة لمن يأكلها، ومن هذه الطفيليات:

١- طفيل الشعرنية ناتيفا: ينتشر هذا الطفيل بين الثعالب القطبية والدببة، ويصيب الإنسان فور تناوله لحوم هذه الحيوانات أو الحيوانات الحاضنة لهذا الطفيل بصورة ثانوية كالقطط.

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٨١١ .
(٢) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٢١٣٢٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧١٠١ .
(٤) المناوي ، فيض القدير ، ج٤ ، ص ٢٥٨ .
(٥) د. سليمان الماجد ، موقع المسلم ٢٨ محرم ١٤٣٤ .

٢- الشعرنيات شبه الحلزونية: تنتشر هذه الطفيليات (تريخنيليا سود وسيبراليس) في الطيور الجوارح (ذات المخلب)، ويصاب الإنسان بالعدوى إذا تناول لحم هذه الطيور؛ كالنسور والعقبان والصقور وغيرها.

٣- طفيل تريخينلا نلسوني: ينتشر هذا الطفيل في الضباع، وبنات آوى، والنمور، والأُسود، وبعض الحيوانات المفترسة الأخرى.

وترجع معظم الإصابات البشرية في أفريقيا إلى تناول لحم الخنزير الداجن والوحشي؛ فهما حاضنان ثانويان لطفيل تريخينلا؛ لأنهما يتغذيان على الجيف.

ولا شك أن هذه الطفيليات تسبب أمراضًا خطيرة كما قلنا، من هذه الأمراض الفتاكة التي ظهرت حديثًا مرض سارس الذي اجتاح الصين وجنوب شرق آسيا، وانتقل إلى مناطق أخرى في العالم، حتى أحدث ذعرًا هائلًا لكل الناس، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنه نتيجة لأكل لحم الجوارح والكلاب، وذلك بحسب ما أُعلن؛ فقد جاء تحت عنوان "السارس سببه إقبال الصينيين على أكل القطط والكلاب البرية، قال علماء من الصين وهونج كونج أن الفيروس المسبِّب للالتهاب الرئوي اللانمطي (سارس) قد يكون انتقل إلى البشر من حيوانات قطط الزبّاد وكلاب الراكون.

التطابق بين حقائق العلم وما أشار إليه الحديث الشريف:

حرصًا من الشريعة الإسلامية السَّمْحَة على صحة الإنسان وحفاظًا عليها؛ فقد حرَّمت عليه الأكل من حيوانات بعينها في مقابل أخرى يحلُّ أكلها . وهي كثيرة جدًّا .

ومن هذه الحيوانات المحرَّم عليه أكلها: الجوارحُ؛ فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع)، وعن كل ذي مخلب من الطير)، وجاء من طريق آخر التصريح بأن النهي متعلق بأكلها؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير)[1].

وهنا أثار الطاعنون شبهتهم قائلين: إن هذا الحديث باطل بدليل قوله تعالى: (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا... (٩٦)) [٢] ، الذي أباح فيه الأكل من الصيد مطلقًا لغير المُحْرِم دون تحديد كونه مفترسًا أو جارحة، أو غير ذلك، واستدلَّ بعضهم بقوله تعالى: (قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥))[٣] الذي لم يحرِّم فيه من لحوم الحيوانات إلا لحم الخنزير، هادفين من وراء ذلك إلى إنكار الإعجاز العلمي في الحديث[٤].

س٢١٨ : لماذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بربط الحيوانات الجلالة عدة أيام قبل ذبحها ؟.

ج٢١٨: في ذلك عدة مسائل .

١- **الحيوان الذي يتغذى على النجاسات ، يسمى عند الفقهاء بـ** (الجلَّالة) ، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ لَبَنِ الْجَلَّالَةِ)[٥] ، وعَنْ ابن عمر رضي الله عنهما قال : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْلِ الْجَلَّالَةِ ، وَأَلْبَانِهَا)[٦]، وعَنْ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَعَنْ الْجَلَّالَةِ ، وَعَنْ رُكُوبِهَا ، وَعَنْ أَكْلِ لَحْمِهَا)[٧].

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) سورة المائدة .
(٣) سورة الأنعام .
(٤) د. عبد الجواد الصاوي* مجلة الاعجاز العدد ٥٣
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٨٢٥ ، وصححه ، وكذلك صححه النووي ، وقال ابن حجر في " الفتح " (٦٤٩/٩) : " على شرط البخاري " ، وصححه الألباني .
(٦) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٨٢٤ ، وصححه الألباني في " صحيح سنن الترمذي " .
(٧) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ٤٤٤٧ ، وحسنه ابن حجر في " الفتح " (٦٤٨/٩) ، وكذا حسنه الألباني في " صحيح سنن النسائي " .

ومن هذه الأحاديث يتبين لنا أن المنهي عنه ثلاثة أمور : أكل لحم الجلالة ، وشرب لبنها ، وركوبها ، ويلحق بها : بيضها ، عند جمهور العلماء[1] .

والْجَلالَة هِيَ الَّتِي تَأْكُل الجِلَّة ، والجلة : البَعر [2]. وقال أبو داود رحمه الله : " الْجَلَّالَةُ الَّتِي تَأْكُلُ الْعَذِرَةَ)[3] ، وقال الإمام أحمد رحمه الله : (الْجَلَّالَةُ : مَا أَكَلَتِ الْعَذِرَةَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ)[4].

فالجلالة : اسم يشمل أي حيوان يتغذى على النجاسات ، سواء كان من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو الدجاج ، أو الإوز ، أو غيرها من الحيوانات المأكولة ، قال النووي رحمه الله : (وَتَكون الْجَلالَة : بَعِيرًا ، وبقرةً ، وشَاةً ، ودجاجةً ، وإوزة ، وَغَيرهَا)[5] .

٢- الحيوان الذي يتغذى على النجاسات له أحوال :

الأولى : أن يكون تغذيه عليها قليلا ، وأغلب طعامه من الطيبات ، فهذا لا يشمله حكم الجلالة ، قال الخطابي رحمه الله : " فأما إذا رعت الكلأ ، واعتلفت الحَبَّ ، وكانت تنال مع ذلك شيئاً من الجِلَّة ، فليست بجلالة ، وإنما هي كالدجاج ونحوها من الحيوان الذي ربما نال الشيء منها ، وغالب غذائه وعلفه من غيرها : فلا يكره أكله)[6] ، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (فإذا كانت تأكل الطيب والقبيح ، وأكثر علفها الطيب ، فإنها ليست جلالة ، بل هي مباحة ، ومن هذا ما يفعله بعض أرباب الدواجن يعطونها من الدم المسفوح من أجل تقويتها أو تنميتها فلا تحرم بهذا ولا تكره ؛ لأنه إذا كان الأكثر هو الطيب ، فالحكم للأكثر)[7] .

الثانية : أن يكون أكثر طعامه من النجاسات ، ويظهر تأثير ذلك على الحيوان في نتن لحمه

---

(١) الموسوعة الفقهية ، ج٨ ، ص٢٦٦ . ينظر : المرداوي ، " الإنصاف، ج١٠، ص٣٦٦ .
(٢) القاسم بن سلام ، غريب الحديث ، ج١ ، ص ٧٨ ، وغريب الحديث " لابن قتيبة (٢٧٦/١) .
(٣) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٣٧١٩ .
(٤) مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود (صـ٣٤٥) .
(٥) النووي ، تحرير ألفاظ التنبيه ، ص ١٧٠ .
(٦) الخطابي ، معالم السنن ، ج٤ ، ص ٢٤٤ .
(٧) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٦ ، ص ٤٣٤ .

ورائحته ، فهذا يشمله النهي ، فلا يجوز أكل لحمه وبيضه ، ولا شرب لبنه ، ولا ركوبه ، قال الكاساني رحمه الله : (إِنَّمَا تَكُونُ جَلَّالَةً إذَا تَغَيَّرَتْ وَوُجِدَ مِنْهَا رِيحٌ مُنْتِنَةٌ ، فَهِيَ الْجَلَّالَةُ حِينَئِذٍ ، لَا يُشْرَبُ لَبَنُهَا ، وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهَا)[1]،وقال الإمام إبراهيم الحربي : " وَإِنَّمَا نُهِيَ عَنْ أَلْبَانِهَا ، لِأَنَّ آكِلَهُ يَجِدُ فِيهِ طَعْمَ مَا أَكَلَتْ ، وَكَذَلِكَ فِي لُحُومِهَا ، وَنُهِيَ عَنْ رُكُوبِهَا ، لِأَنَّهَا تَعْرَقُ ، فَتُوجَدُ رَائِحَتُهُ فِي عَرَقِهَا ، وَرَاكِبُهَا لَا يَخْلُو أَنْ يُصِيبَهُ ذَلِكَ ، أَوْ يَجِدَ رَائِحَتَهُ ، فَإِنْ تَحَفَّظَ مِنْ ذَلِكَ جَازَ رُكُوبُهَا ، وَلَمْ يَجُزْ شُرْبُ أَلْبَانِهَا ، وَلَا أَكْلُ لُحُومِهَا إِلَّا أَنْ يَصْنَعَ بِهَا مَا يُزِيلُهَا)[2] .

الثالثة : أن يكون أكثر طعامه من النجاسات ، ولكن لا يظهر تأثير ذلك على الحيوان في لحمه ورائحته ، فهل يعد جلالة أم لا ؟ فمذهب الحنابلة : أنه يعد جلالة ؛ لأن الجلالة عندهم هي الحيوان الذي أكثر طعامه من النجاسات ، سواء ظهر أثر ذلك على لحم الحيوان ورائحته أم لا ، قال ابن قدامة رحمه الله : " فَإِذَا كَانَ أَكْثَرُ عَلَفِهَا النَّجَاسَةَ ، حُرُمَ لَحْمُهَا وَلَبَنُهَا ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُ عَلَفِهَا الطَّاهِرَ ، لَمْ يَحْرُمْ أَكْلُهَا وَلَا لَبَنُهَا)[3].

أما الحنفية والشافعية : فلم يعدوها من الجلالة ؛ لأن شرط الجلالة أن يظهر تأثير أكلها للنجاسات في لحمها ورائحتها .قال السرخسي رحمه الله : (وَتَفْسِيرُ الْجَلَّالَةِ : الَّتِي تَعْتَادُ أَكْلَ الْجِيَفِ .. فَيَتَغَيَّرُ لَحْمُهَا ، وَيَكُونُ لَحْمُهَا مُنْتِنًا فَحَرُمَ الْأَكْلُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الْخَبَائِثِ ... وَأَمَّا مَا يَخْلِطُ فَيَتَنَاوَلُ الْجِيَفَ وَغَيْرَ الْجِيَفِ عَلَى وَجْهٍ لا يَظْهَرُ أَثَرُ ذَلِكَ مِنْ لَحْمِهِ ، فَلَا بَأْسَ بِأَكْلِهِ)[4]، وقال النووي رحمه الله : (لَا اعْتِبَارَ بِالْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا الِاعْتِبَارُ بِالرَّائِحَةِ وَالنَّتْنِ ، فَإِنْ وُجِدَ فِي عَرَقِهَا وَغَيْرِهِ رِيحُ النَّجَاسَةِ فَجَلَّالَةٌ ، وَإِلَّا فَلَا)[5]، وقال أبو المعالي الجويني رحمه الله : " لا تعويل على الاستكثار من النجاسة والاستقلال منها ، وإنما التعويل على ظهور الرائحة ، وذلك يَبِينُ عند الذبح)[6].

---

(١) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص ٤٠ .
(٢) إبراهيم الحربي ، غريب الحديث ج١ ، ص ١١٥ .
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ٤١٣ .
(٤) السرخسي ، المبسوط ، ج١١ ، ص ٢٥٥ .
(٥) النووي ، المجموع شرح المهذب ، ج٩ ، ص ٢٨ .
(٦) الجويني ، نهاية المطلب ، ج١٨ ، ص ٢١٤ .

ومما يقوي هذا القول : أن النجاسة التي تستحيل – أي : تتحول إلى مادة أخرى – لا حكم لها ، وإنما يكون لها اعتبار إذا ظهر أثرها ، وأن النباتات والمزروعات التي تتغذى على النجاسات لا حرج فيها ؛ لأنها قد طَهُرت باستحالتها إلى غذاءٍ طيب تغذَّت به الشجرة إلا أن يظهر أثر النجاسة في الحب والثمر ، وكلا الأمرين من باب واحد قال البيهقي رحمه الله :(وَمَا رُوِيَ عَنْهُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْجَلَّالَةِ ، وَمَا قَالَ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا : إِذَا ظَهَرَ رِيحُ الْقَذَرِ فِي لَحْمِهَا)[1] ، وقال الشيخ خالد المشيقح: (فالصواب في هذه المسألة أنه إذا كان للنجاسة أثر في طعم اللحم أو رائحته ، أو اللبن ، أو يسبب أمراضاً ، ونحو ذلك ، فإنه محرم ، وأما إذا لم يكن لها أثر فإنه جائز ؛ لأن النجاسات تطهر بالاستحالة ، وهذه الأشياء قد استحالت إلى دم ، ولحم ، وحليب ، ونحو ذلك ، هذا هو الصواب الأقرب من قولي العلماء رحمهم الله فيما يتعلق بالجلالة)[2].

٣- الجلالة لا يحل أكل لحمها حتى تزول منها آثار النتن والخبث ، وذلك بحبسها ، وعلفها طعاماً طيباً طاهراً .

قال ابن قدامة رحمه الله : (وَتَزُولُ الْكَرَاهَةُ بِحَبْسِهَا اتِّفَاقًا)[3]،وقال النووي : (وَلَوْ حُبِسَتْ بَعْدَ ظُهُورِ النَّتْنِ ، وَعُلِفَتْ شَيْئًا طَاهِرًا ، فَزَالَتْ الرَّائِحَةُ ، ثُمَّ ذُبِحَتْ فَلَا كَرَاهَةَ فِيهَا قَطْعًا .وَلَيْسَ لِلْقَدْرِ الَّذِي تُعْلَفُهُ مِنْ حَدٍّ ، وَلَا لِزَمَانِهِ مِنْ ضَبْطٍ ، وَإِنَّمَا الِاعْتِبَارُ بِمَا يُعْلَمُ فِي الْعَادَةِ أَوْ يُظَنُّ أَنَّ رَائِحَةَ النَّجَاسَةِ تَزُولُ بِهِ .وَلَوْ لَمْ تُعْلَفْ لَمْ يَزُلْ الْمَنْعُ بِغَسْلِ اللَّحْمِ بَعْدَ الذَّبْحِ ، وَلَا بِالطَّبْخِ وَإِنْ زَالَتْ الرَّائِحَةُ بِهِ)[4]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (فَإِذَا حُبِسَتْ حَتَّى تَطِيبَ كَانَتْ حَلَالًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ؛ لِأَنَّهَا قَبْلَ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَثَرُ النَّجَاسَةِ فِي لَبَنِهَا وَبَيْضِهَا وَعَرَقِهَا ، فَيَظْهَرُ نَتْنُ النَّجَاسَةِ وَخُبْثُهَا ، فَإِذَا زَالَ ذَلِكَ عَادَتْ طَاهِرَةً ، فَإِنَّ الْحُكْمَ إذَا ثَبَتَ بِعِلَّةٍ زَالَ بِزَوَالِهَا)[4]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وَالْمُعْتَبَرُ فِي جَوَازِ

(١) البيهقي ب الإيمان ، ج٧، ص ٤٢٩ .
(٢) المشيقح ، الفتاوى ، ج١ ، ص ٨٩ .
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ٤١٤ .
(٤) النووي ، المجموع ، ج٩ ، ص ٢٩ .
(٥) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٢١ ، ص ٦١٨ .

أَكْلِ الجَلَّالَةِ : زَوَالُ رَائِحَةِ النَّجَاسَةِ بَعْدَ أَنْ تُعْلَفَ بِالشَّيْءِ الطَّاهِرِ عَلَى الصَّحِيحِ)[1]، ومن العلماء من وَقَّت لحبسها قدرا **معيناً** :

- ففِي الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ أربعين يَوْمًا.
- فِي الْغَنَمِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ .
- وفِي الدَّجَاجِ ثَلَاثَة .

وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما : (أَنَّهُ كَانَ يَحْبِسُ الدَّجَاجَةَ الجَلَّالَةَ ثَلَاثًا)[2].

هل أكل لحم الجلالة محرم أم مكروه ؟.

١- مذهب الحنابلة : تحريم أكل لحمها وبيضها وشرب لبنها ، وكراهة ركوبها[3][4] .

٢- مذهب الحنفية والشافعية ورواية عن أحمد : كراهة الأكل والشرب والركوب[4] . قال الخطابي رحمه الله : (كُرِهَ أكلُ لحومها وألبانها تنزهاً وتنظفاً ، وذلك أنها إذا اغتذت بها وُجِدَ نتنُ رائحتها في لحومها)[5] ، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَنَابِلَةِ : إِلَى أَنَّ النَّهْيَ لِلتَّحْرِيمِ ، وَبِهِ جَزَمَ ابن دَقِيقِ الْعِيدِ عَنِ الْفُقَهَاءِ ، وَهُوَ الَّذِي صَحَّحَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْمَرْوَزِيُّ وَالْقَفَّالُ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَالْبَغَوِيُّ وَالْغَزَالِيُّ وَأَلْحَقُوا بِلَبَنِهَا وَلَحْمِهَا : بَيْضَهَا)[6] وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (فالنهي فيها عن الركوب للتنزيه ، وأما عن الأكل فهو إما كراهة تنزيه وإما كراهة تحريم على خلاف بين العلماء في ذلك)[7] .

والحاصل :أن الجلَّالة هي الحيوان الذي يتغذى على النجاسات ، ويظهر أثر النجاسة عليه ، فلا يجوز في هذه الحال أكل لحمه ولا بيضه ولا شرب لبنه.

---

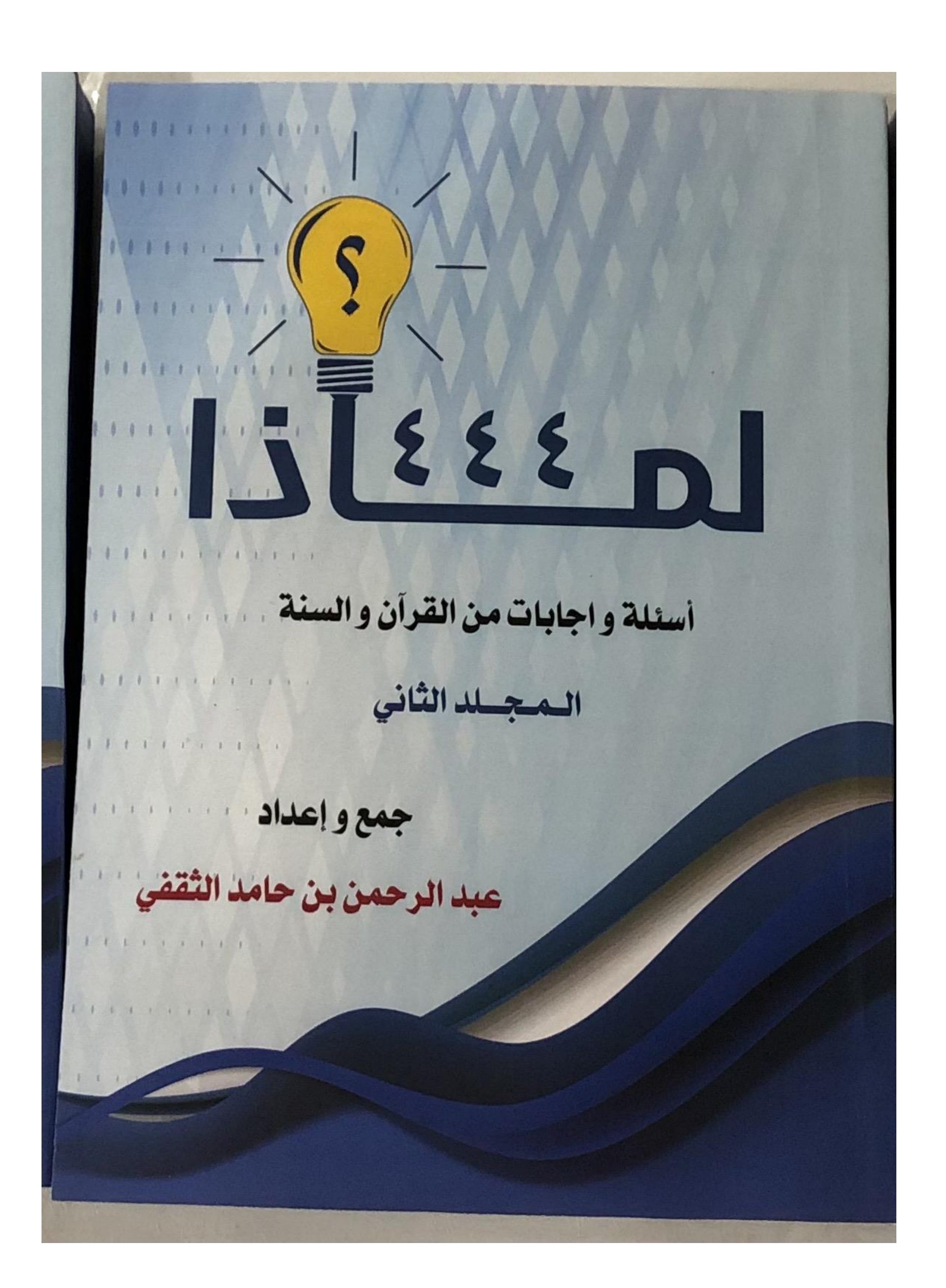
(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ٦٤٨ .
(٢) ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٥ ، ص ١٤٨ ، وسنده صحيح كما قال الحافظ في " الفتح "(٦٤٨/٩) .
(٣) المرداوي ، الإنصاف ، ج١٠ ، ص ٣٥٦ ، شرح منتهى الإرادات (٤١١/٣) .
(٤) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٥ ، ص ٤٠ ، " مغني المحتاج (٣٠٤/٤) .
(٥) الخطابي ، معالم السنن ، ج٤ ، ص ٢٤٤ .
(٦) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ٦٤٨ .
(٧) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٦ ، ص ٤٣٥ .
(٨) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٢ / ٨ / ٢٠١٤ .




فهرس المجلد الأول



تمَّ بحمد الله المجلد الأول


؟
لماذا
٤٤٤
أسئلة و اجابات من القرآن و السنة
المجلد الثاني
جمع و إعداد
عبد الرحمن بن حامد الثقفي

رقم فسح وزارة الإعلام ٥٧٨٠٤٩٢٠٢١٠٧١١
في ١١ / ٧ / ٢٠٢١ م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
لماذا / عبدالرحمن حامد محمد الثقفي- الطائف — ١٤٤٢ هـ. ٣ مج.
ردمك ٦- ٨٢٥٧ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك ٠- ٨٢٥٩ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (ج٢)
١- الثقافة الإسلامية : العنوان
ديوي ٢١٤ ١٠٩٣٤ / ١٤٤٢
رقم الإيداع ١٠٩٣٤ / ١٤٤٢
دمك ٦- ٨٢٥٧ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك ٠- ٨٢٥٩ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (ج٢)





لماذا

أسئلة وإجابات من القرآن والسنة

المجلد الثاني

جمع وإعداد

عبدالرحمن بن حامد الثقفي


المحتويات

س١: لماذا خلق الله تعالى مخلوقات ثم حرمها على الإنسان كالخنزير مثلا ؟.

ج١: سؤال يطرح دائماً من قبل الكثير سوى كان من مسلمين أو غير المسلمين .. لماذا خلق الله الخنزير وقام بتحريم أكله هو سؤال مطروح دائماً وفي خلال السطور القادمة سنقوم بالرد عليه .

أولاً : حرم الله الخنزير في القرآن الكريم في قوله تعالي : (قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ.. (١٤٥))[١] وفي هذه الآية الأمر واضح إن الخنزير قد حرمه الله .

ثانياً : لماذا خلق الله الخنزير؟ : يلزم في خدمة الإنسان وصحته وسلامة البيئة بما يقتضي عدم قتله أو حجزه لما له من منافع ، خاصة وأننا لم نؤمر بالقضاء عليه بل بالامتناع عن أكل لحمه ، وبالتالي عدم تربيته أو المتاجرة به ، كما اجتناب الخمرة أو اقتنائها أو المتاجرة بها .

إن الخنزير ، البري منه والمدجن ، هو أحد أهم وأعقد المخلوقات الحيوانية وفق تركيبته الفيزيائية التي تقاوم أعتى الأمراض ، وإن كانت بنيته وسيطة لنقل الأمراض للحيوان والإنسان إلا أنها لا تؤذي الخنزير . وعندما نتعرف على مهماته ووظائفه البيئية التي جبل عليها ، وكأنه آلة مسخرة لنا ، فإننا سنمتنع أخلاقياً ، بما يتجاوز النهي ، عن أكله مع تحريمه على أنفسنا حفاظاً على تواجده في مكانه الملائم لتنفيذ واجباته التي خلق من أجلها لخدمة الإنسان وليس بسبب أضرار لحومه فقط ، بعد أن نسوق بعض الأمثال عن أهمية تلك الوظائف .

وأما سبب تحريم أكله : الخنزير خلق من أجل القضاء على المخلفات والقمامة وليس لا شيء أخر ولكن الإنسان بدأ في ترك الحيوانات المفيدة واكل الخنزير ، ويعتبر الخنزير من أكثر الحيوانات التي تعمل على انتشاء الأمراض وهو نفسه يوجد فيه ٢٧ وباء ولذلك حرم الله أكله[٢].

---

(١) سورة الأنعام.
(٢) موقع شاشة نيوز

س٢: لماذا أمر الله النساء بالحجاب ؟وما الشروط الواجب توفرها مجتمعةً حتى يكون الحجاب شرعيا؟.

ج٢ : يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩)﴾[١] ، ويقول تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾[٢] ، ويقول تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)﴾[٣] .

١- فالحجاب طاعة لله عزَّ وجلَّ ، وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث أوجب الله تعالى طاعته وطاعةَ رسولِه صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا(٣٦)﴾[٤] ،وقال عز وجل : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٦٥)﴾[٥] .

٢- الحجاب عفة : فقد جعل الله تعالى التزام الحجاب عنوان العفة ، فقال تعالى:

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) سورة النور
(٣) سورة النور .
(٤) سورة الأحزاب .
(٥) سورة النساء .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ... (٥٩)﴾ ، لتسترهن بأنهن عفائف مصونات ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ سورة الأحزاب ، فلا يتعرض لهن الفُساق بالأذى ، وفي قوله سبحانه : ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ إشارة إلى أن في معرفة محاسن المرأة إيذاءً لها ، ولذويها بالفتنة والشر .

٣- الحجاب طهارة :قال سبحانه : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنّ...(٥٣)﴾[٢]، فوصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات ، لأن العين إذا لم تَرَ لم يَشْتَهِ القلبُ ، أما إذا رأت العين : فقد يشتهي القلب ، وقد لا يشتهي ، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر ، وعدم الفتنة حينئذ أظهر ، لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ(٣٢)﴾[٣].

٤- الحجاب ستر :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(إن الله تعالى حيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يحب الحياء والستر)[٤]، وقال صلى الله عليه وسلم :(أيما امرأةٍ نزعت ثيابها في غير بيتها ، خَرَقَ الله عز وجل عنها سِتْرَهُ)[٥]، والجزاء من جنس العمل.

٥- الحجاب تقوى ، قال الله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ (٢٦)﴾[٦].

٦- الحجاب إيمان :والله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات ، فقد قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقال عز وجل : ﴿وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولما دخل نسوة من بني تميم على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، عليهن ثياب رِقاق ، قالت :

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة الأحزاب .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١٧٥٦ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث٢٧٠٨ .
(٦) سورة الأعراف .

: (إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات ، وإن كنتن غير مؤمناتٍ ، فتمتعن به)[1].

٧- الحجاب حياء :وقد قال صلى الله عليه وسلم : (إن لكل دين خُلُقًا ، وخُلُقُ الإسلام الحياء)[2] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (الحياءُ من الإيمان ،والإيمان في الجنة)[3] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً ، فإذا رُفِعَ أحدُهما، رُفِعَ الآخرُ)[4] ، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذي دُفِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي رضي الله عنه واضعةً ثوبي ، وأقول: (إنما هو زوجي وأبي) ، فلما دُفن عمر رضي الله عنه ، والله ما دخلته إلا مشدودة عليَّ ثيابي ، حياءً من عمر رضي الله عنه)[5] ، ومن هنا فإن الحجاب يتناسب مع الحياء الذي جُبِلت عله المرأة.

٨- الحجاب غَيْرَةٌ : حيث يتاسب الحجاب أيضاً مع الغَيرة التي جُبل عليها الرجلُ السَّوِيُّ ، الذي يأنف أن تمتد النظراتُ الخائنة إلى زوجته وبناته ، وكم من حروب نشبت في الجاهلية والإسلام غيرةً على النساء ، وحَمِيَّةً لحرمتهن ، قال عليٌّ رضي الله عنه : (بلغني أن نسائكم يزاحمن العُلُوجَ - أي الرجال الكفار من العَجَم - في الأسواق ، ألا تَغارون ؟ إنه لا خير فيمن لا يَغار)[6]، [7].

الشروط الواجب توفرها مجتمعةً حتى يكون الحجاب شرعياً هي :

١- أن يكون ساترا جميع بدن المرأة على الراجح :وبعض العلماء يبيح كشف الوجه والكفين بشرط أمن الفتنة منها وعليها ، أي: ما لم تكن جميلة ، ولم تُزَيِّنْ وجهها ولا كفيها بزينة مكتسبة ، وما لم يغلب على المجتمع الذي تعيش فيه فساق لا يتورعون عن النظر المحرم إليها ، فإذا لم

---

(١) الألباني ، غاية المرام ، رقم الحديث ١٩٨ .
(٢) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج٦ ، ص ٢٦٢٠ .
(٣) الألباني ، صحي الجامع ، رقم الحديث ٣١٩٩ .
(٤) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٤ ، ص ٣٢٨ .وأخرجه والحاكم في ((المستدرك)) (٥٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧٣٣١)
(٥) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص ٤٠ أخرجه أحمد (٢٥٦٦٠)، والحاكم (٤٤٠٢) باختلاف يسير
(٦) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٢ ، ص ٢٥٥.
(٧) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الحجاب لماذا ؟. صيد الفوائد)

تتوافر هذه الضوابط لم يجز كشفهما باتفاق العلماء .

٢- أن لا يكون الحجابُ في نفسه زينةً: لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا..(٣١)﴾[١]، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى... (٣٣)﴾[٢]، وقد شرع الله الحجاب ليستر زينة المرأة ، فلا يُعْقَلُ أن يكونَ هو في نفسه زينة

٣- أن يكون صفيقاً ثخيناً لا يشف: لأن الستر لا يتحقق إلا به ، أما الشفاف فهو يجعل المرأة كاسية بالاسم ، عارية في الحقيقة ، قال صلى الله عليه وسلم: (سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات ، على رُؤوسهن كأسنمة البُخت ، العنوهن فإنهن ملعونات)[٣] ، وقال– أيضاً– في شأنهن: (لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرةِ كذا وكذا)[٤] ، وهذا يدل على أن ارتداء المرأة ثوباً شفافًا رقيقًا يصفها ، من الكبائر المهلكة .

٤- أن يكون فَضفاضًا واسعًا غير ضيق: لأن الغرض من الحجاب منع الفتنة ، والضَّيِّقُ يصف حجم جسمها ، أو بعضه ، ويصوره في أعين الرجال ، وفي ذلك من الفساد والفتنة ما فيه ، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما : (كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبْطِيَّةً كثيفة مما أهداها له دِحْيَةُ الكلبي ، فكسوتُها امرأتي ، فقال: ما لك لم تلبس القُبْطِيَّةَ ؟ ، قلت: (كسوتُها امرأتي) ، فقال: مُرها ، فلتجعل تحتها غُلالة – وهي شعار يُلْبَسُ تحت الثوب – فإني أخاف أن تَصِفَ حجمَ عِظامِها)[٥] .

٥- أن لا يكون مُبَخَّرًا مُطَيَّبًا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَيُّمَا امرأةٍ استعطرت ، فَمَرَّتْ على قومٍ ليجدوا ريحها ، فهي زانية)[٦].

---

(١) سورة النور .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) الألباني جلباب المرأة ، رقم الحديث١٢٥ ، أخرجه أحمد (٧٠٨٣)، وابن حبان (٥٧٥٣) مطولاً باختلاف يسير، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٩٣٣١) واللفظ له.
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٧٩٩ .
(٥) الألباني ، جلباب المرأة ، رقم الحديث ١٣١ ، أخرجه أحمد (٢١٧٨٦)، والبزار (٢٥٧٩)، والطبراني (١/١٦١) (٣٧٨) باختلاف يسير.
(٦) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٤٤٢٤ .

٦- أن لا يشبه ملابس الرجال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال)[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرجلَ يَلْبَس لِبْسَةَ المرأة ، والمرأة تلبَسُ لِبسَةَ الرجل)[٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ثلاثة لا يدخلون الجنة ، ولا ينظر الله إليهم يومَ القيامة: العاقُ والديه ، والمرأةُ المترجلة المتشبهة بالرجال ، والدَّيُّوث)[٣] .

٧- أن لا يشبه ملابس الكافرات : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تشبه بقوم فهو منهم)[٤] ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَيَّ ثوبين معصفرين ، فقال : (إن هذه من ثياب الكفار فلا تَلْبَسها)[٥].

٨- أن لا تَقْصِدَ به الشهرةَ بين الناس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ومن لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ في الدنيا ، ألبسه الله ثوبَ مَذَلَّةٍ يوم القيامة ، ثم ألهب في ناراً)[٦].

ولباس الشهرة هو كل ثوب يَقْصِد به صاحبُه الاشتهارَ بين الناس ، سواء كان الثوب نفيسًا ، يلبسه تفاخراً بالدنيا وزينتها ، أو خسيسًا يلبسه إظهارًا للزهد والرياء ، فهو يرتدي ثوباً مخالفاً مثلاً لألوان ثيابهم ليلفت نظر الناس إليه ، وليختال عليهم بالكِبْرِ والعُجْبِ[٧] .

مع ملاحظة أن العباءة السوداء التي تليسها النساء هذه الأيام على الرأس أو على الكتف ليست شرطا أن تكون هي دون غيرها هي اللباس الذي يجب أن تلبسه المرأة المسلمة وإنما يجب أن تكون العباءة تلك مراعية للشروط المذكورة أعلاه .

---

(١) الألباني ، جلباب المرأة ، رقم الحديث ١٤٢ .
(٢) النووي ، المجموع ، ج٤ ، ص ٤٦٩ .
(٣) الألباني ، جلباب المرأة ، رقم الحديث ١٤٦ .
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٠٣١ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٧٧ .
(٦) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ١٥١ .
(٧) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الحجاب لماذا ؟. صيد الفوائد

س ٣ :لماذا نهى الإسلام عن التبرج ؟.

ج٣: نهى الإسلام عن التبرج لما فيه من القبائح التالية :

١- التبرج معصية لله ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم : (ومن يعص الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يَضُرُّ إلا نفسه ، ولن يَضُرَّ الله شيئًا)[١] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، فقالوا : يا رسول الله من يأبى ؟ قال : " من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى)[٢] .

٢- التبرج كبيرةٌ مُهْلِكة : جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام ، فقال : (أُبايعك على أن لا تُشركي بالله ، ولا تسرقي ، ولا تزني ، ولا تقتلي وَلَدَكِ ، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تَنُوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى)[٣]، فقرن التبرج بأكبر الكبائر المهلكة.

٣- التبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسْنِمَةِ البُخْت ، العنوهن ، فإنهن ملعونات)[٤]، والبُخْتُ: نوع من الإبل.

٤- التبرج من صفات أهل النار : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أَرَهُمَا : قوم معهم سِياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مُمِيلاتٌ مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البُخْتِ المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[٥] .

٥- التبرج سواد وظلمة يوم القيامة رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (مَثَلُ الرافلةِ في الزينة في غير أهلِها ، كمثل ظُلْمَةٍ يومَ القيامة ، لا نورَ لها)[٦].

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٢١١٩ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٢٨٠ .
(٣) الألباني ، جلباب المرأة ، رقم الحديث ١٢١ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٢٥ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٢٨ .
(٦) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١١٦٧ .

يريد أن المتمايلة في مِشيتها وهي تجر ثيابها تأتي يوم القيامة سوداء مظلمة كأنها متجسدة من ظُلْمَةٍ ، والحديث وإن كان ضعيفاً لكن معناه صحيح ، وذلك لأن اللذة في المعصية عذاب ، والراحة نَصَب ، والشِّبَعَ جوع ، والبركة مَحْقٌ ، والطِّيبَ نَتْنٌ ، والنورَ ظُلْمة ، بعكس الطاعات فإن خُلُوفَ فم الصائم ، ودم الشهيد أطيبُ عند الله من ريح المِسْكِ .

٦- التبرج نفاق :فقد قال صلى الله عليه وسلم : (خير نسائكم الودود ، الولد ، المواتية ، المواسية ، إذا اتقين الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيِّلات ، وهن المنافقات ، لا يدخلن الجنةَ منهن إلا مثلُ الغراب الأعصم)[١]، والغراب الأعصم: هو أحمر المنقار والرجلين ، وهو كناية عن قلة مَن يدخل الجنة مِن النساء ، لأن هذا الوصف في الغِربان قليل .

٧- التبرج تهتك وفضيحة :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أيُّما امرأةٍ وضعت ثيابها في غير بيت زوجها ، فقد هتكت سِتْرَ ما بينها وبين الله عز وجل)[٢].

٨- التبرج فاحشة : فإن المرأة عورة ، وكشف العورة فاحشة ومقت ، قال تعالى: (وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(٢٨))[٣]، والشيطان هو الذي يأمر بهذه الفاحشة: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء...(٢٦٨))[٤].والمتبرجة جرثومة خبيثة ضارة تنشر الفاحشة في المجتمع الإسلامي ، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٩))[٥].

---

(١) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٨٤٩
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٧١٠
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة النور .

٩- التبرج سنة إبليسية :إن قصة آدم وحواء مع إبليس تكشف لنا مدى حرص عَدُوِّ الله إبليسَ على كشف السوءات ، وهتك الأستار ، وإشاعة الفاحشة ، وأن التهتك والتبرج هدف أساسي له ، قال الله عز وجل: (يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا..(٢٧))[١]، فإبليس إذن هو مؤسس دعوة التبرج والتكشف ، وهو زعيم زعماء ما يسمى بتحرير المرأة ، وهو إمام كُلِّ مَن أطاعه في معصية الرحمن ، خاصة هؤلاء المتبرجات اللائي يؤذين المسلمين ، وَيَفْتِنَّ شبابهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (ما تركتُ بعدي فتنةً هي أَضَرُّ على الرجال من النساء)[٢].

١٠- التبرج طريقة يهودية :لليهود باع كبير في مجال تحطيم الأمم عن طريق فتنة المرأة ، ولقد كان التبرج من أمضى أسلحة مؤسساتهم المنتشرة ، وهم أصحاب خبرة قديمة في هذا المجال ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء)[٣]، وقد حكت كتبهم أن الله سبحانه عاقب بنات صِهْيَوْنَ على تبرجهن ، ففي سِفر أشعيا: (**إن الله سيعاقب بناتِ صِهْيَوْنَ على تبرجهن ، والباهاتِ برنين خلاخيلهن ، بأن ينزعَ عنهن زينةَ الخلاخيل ، والضفائر ، والأهلة ، والحِلَقِ ، والأساور ، والبراقع ، والعصائب**)[٤] .ومع تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشبه بالكفار ، وسلوك سبلهم خاصة في مجال المرأة ، فإن أغلب المسلمين خالفوا هذا التحذير ، وتحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سَنَنَ مَن كان قبلكم شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لتبعتموهم " ، قيل: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)[٥].

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٤٠ .
(٣) العهد القديم ، سفر أشعيا ، الإصحاح الثالث .
(٤) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٣٢٢١ .
(٥) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٧ ، ص ٩١٧ .

فما أشبه هؤلاء اللاتي أطعن اليهود والنصارى ، وَعَصَيْنَ الله ورسوله بهؤلاء اليهود المغضوب عليهم الذين قابلوا أمر الله بقولهم: (سمعنا وعصينا) ، وما أبعدَهن عن سبيل المؤمنات اللاتي قلن حين سمعن أمر الله: (سمعنا وأطعنا) ، قال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا(١١٥))[١] .

١١- التبرج جاهلية منتنة :قال تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى(٣٣))[٢] ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم دعوى الجاهلية بأنها منتنة أي خبيثة ، وأَمَرَنَا بنبذها ، وقد جاء في صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة أنه(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ.... (١٥٧))[٣] ، فدعوى الجاهلية شقيقة تبرج الجاهلية ، كلاهما منتن خبيث ، حَرَّمَه علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال صلى الله عليه وسلم: (كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قَدَمَيَّ)[٤] سواء في ذلك: تبرج الجاهلية ، ودعوى الجاهلية ، وحكم الجاهلية ، وربا الجاهلية.

١٢- التبرج تخلف وانحطاط :إن التكشف والتعري فطرة حيوانية بهيمية ، لا يميل إليها الإنسان إلا وهو ينحدر ويرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان الذي كرمه الله وأنعم عليه بفطرة حُبِّ السِّتر والصيانة ، وإن رؤية التبرج والتهتك والفضيحة جمالاً ما هي إلا فساد في الفطرة وانتكاس في الذوق ، ومؤشر على التخلف والانحطاط ، ولقد ارتبط ترقي الإنسان بترقيه في ستر جسده ، فكانت نزعة التستر دوماً وليدة التقدم ، وكان ستر المرأة بالحجاب يتناسب مع غريزة الغيرة التي تستمد قوتها من الروح ، أما التحرر عن قيود السِّتر فهو غريزة تستمد قوتها من الشهوة التي تغري

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٠٦٨ .

بالتبرج والاختلاط ، وكل من قنع ورضي بالثانية فلابد أن يضحي بالأولى حتى يُسْكِتَ صوت الغيرة في قلبه ، مقابل ما يتمتع به من التبرج والاختلاط بالنساء الأجنبيات عنه ، ومن هنا كان التبرج علامة على فساد الفطرة ، وقلة الحياء ، وانعدام الغيرة ، وتبلد الإحساس ، وموت الشعور

١٣- التبرج باب شر مستطير :وذلك لأن من يتأمل نصوص الشرع ، وعِبَرَ التاريخ يتيقن مفاسد التبرج وأضراره على الدين والدنيا ، ولا سيما إذا انضم إليه الاختلاط المستهتر. **فمن هذه العواقب الوخيمة:**

أ- تسابق المتبرجات في مجال الزينة المحرمة لأجل لفت الأنظار إليهن ، مما يُتْلِفُ الأخلاقَ والأموال ، ويجعل المرأة كالسلعة المهينة الحقيرة المعروضة لكل من شاء أن ينظر إليها.

ب- فساد أخلاق الرجال خاصة الشباب ، خاصة المراهقين ، ودفعهم إلى الفواحش المحرمة بأنواعها .

ت- تحطيم الروابط الأسرية ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، وتفشي الطلاق .

ث- المتاجرة بالمرأة كوسيلة دعاية أو ترفيه في مجالات التجارة وغيرها .

ج- الإساءة إلى المرأة نفسِها ، باعتبار التبرج قرينةً تشير إلى سوء نيتها ، وخبث طويتها ، مما يعرضها لأذية الأشرار والسفهاء .

ح- انتشار الأمراض : قال صلى الله عليه وسلم: (لم تظهر الفاحشة في قومٍ قَطُّ حتى يُعْلِنوا بها إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافهم الذين مَضَوْا)[١].

خ- تسهيل معصية الزنا بالعين ، قال صلى الله عليه وسلم: (العينان زناهما النظر)[٢]، وتعسير طاعة غض البصر التي أُمِرْنا بها إرضاءً لله سبحانه وتعالى .

---

(١) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٠٦ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٥٧ ، أخرجه البخاري (٦٢٤٣)

د- استحقاق نزول العقوبات العامة التي هي قطعًا أخطر عاقبة من القنابل الذرية ، والهزات الأرضية ، قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرً(١٦))[١]، و قال صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا المنكر ، فلم يُغَيِّروه أوشك أن يَعُمَّهم الله بعذاب)[٢]،[٣] .

س٤: لماذا كان تغطية شعر الرأس ليس حجابا شرعيا ؟.

ج٤ : يسمى غطاء شعر الرأس هذا (التوربان) التوربان يشبه عمامة الرجل ، ويغطي شعر المرأة وأذنها فقط ، (وقد يبدو منه بعض الرأس والأذن) ، وقد انتشر التوربان مؤخرًا ، واستبدله بعض النساء بالحجاب ، بدعوى مواكبة الموضة والظهور بمظهر الأناقة والجمال ، ومثل هذا لا تتحقق فيه الشروط المرعية في الحجاب الشرعي .

ومن صفات الحجاب الشرعي ، ومنها : أن يكون ساترا لجميع بدن المرأة ، وألا يكون زينة في نفسه ، وألا يشبه ثياب الكفار ، وهذا التوربان لا يتوفر فيه شرط من هذه الشروط ، فليس هو ساترا لكل ما يجب ستره ، ثم هو في الوقت ذاته : زينة في نفسه ، وقد أمر الله تعالى النساء بالحجاب لستر زينتهن عن الرجال الأجانب عنها ، فكيف تستر زينتها بما هو زينة ويلفت نظر الرجال إليها ؟!

وقد قيل : إن أصل التوربان عمامة لطائفة السيخ الهندية ، فإن صح ذلك فهو سبب آخر لتحريمه ، وقد جاءت الشريعة بتحريم تشبه المسلمين بالكفار تحريما قاطعا ، سواء في عباداتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم .

وعنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)[٣] .

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) ابن باز ، فتاوى ابن باز ، ج ٢٧ ، ص ٥١٣ .
(٣) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الحجاب لماذا ؟، صيد الفوائد)
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٠٣١ ، وصحح إسناده العراقي في "تخريج الإحياء" (٣٤٢/١) ، والألباني في كتاب "حجاب المرأة المسلمة" (ص٢٠٣) .

فالواجب على المرأة المسلمة أن تكون صادقة مع ربها ، فإن أرادت الحجاب حقا ، فليكن حجابا شرعيا ، تلتزم فيه بشروط الحجاب الشرعية ، أما التجمل والتزين بما يلفت أنظار الرجال إليها ، فذلك من تبرج الجاهلية الأولى وليس من الحجاب الشرعي الإسلامي ، قال الله تعالى : (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى...(٣٣))[١] ، قال السعدي رحمه الله : (أي :لا تكثرن الخروج متجملات متطيبات كعادة أهل الجاهلية الأولى، الذين لا علم عندهم ولا دين)[٢] .

.يجب أن يُعلم أن الحجاب الذي أمر الله تعالى به المؤمنات : ليس هو مجرد تغطية الرأس ، وإنما هو ستر جميع البدن عن الرجال الأجانب عنها ، بثياب واسعة فضفاضة ، ولا تشف عما تحتها ، فالمرأة التي تغطي رأسها أو بعضه ، ثم تكشف وجهها ، وعليه من الزينة والمكياج والتجمل ما عليه ، أو تلبس ثيابا ضيقة ، كالبنطلون أو غيره ، أو تلبس ثيابا في غاية الزينة وتلفت أنظار الرجال إليها ، أو تتعطر عند الرجال الأجانب عنها .. ثم بعد ذلك كله تظن أنه "محجبة" من أجل أنها وضعت شيئا ما على رأسها ، فهذا من خداع الشيطان لها ، فعليها أن تنتبه من غفلتها ، وتفيق من سكرتها ، وتعلم أن الخير كل الخير في طاعة الله تعالى ورسوله ، وأن الشر كل الشر في معصيتهما[٣] .

س٥ : لماذا قال الله تعالى للمسلمين : (واحفظوا أيمانكم)؟.

ج٥: بسبب كثرة الأَيمان بالله عز وجل في مخاطبات الناس واقترانها بأعمالهم فعلا وتركا، وبسبب خلط كثير من الناس بين أقسام اليمين وما تجب الكفارة منها وما لا تجب، وبسبب جهل كثير من المسلمين الواجب من أصناف الكفارة، نتكلم عن أحكام اليمين بالله تعالى.

. تعريف اليمين شرعًا: توكيد حُكم بذكر اسم الله تعالى أو صفته بصيغة معلومة، ودل على مشروعية اليمين في الكتاب والسنة، والإجماع.

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) الشيخ السعدي ، التفسير ، تفسير سورة الأحزاب .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ١١ / ١١ / ٢٠١٨ م.

. واليمين تعتريها الأحكام التكليفية الخمسة: فقد تكون واجبة لأمر واجب ومحرمة لأمر مُحرم وهكذا ، والمشروع حفظ اليمين وعدم الإكثار منها ما لم تكن مصلحة شرعية لقوله عز وجل : ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ..(٩٠)﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ....(٢٢٤)﴾[2] ، أي لا تحلفوا بالله في كل حق وباطل ، وصيغَة اليَمين:

١- حرف القسم متبوعًا باسم من أسماء الله تعالى وصفاته وحروف القسم ثلاثة: الباء ، الواو ، التاء .

٢- وقد يكون: القسم بحذف حرف القسم مع نية اليمين مثل آ الله ما فعلت كذا وهذا عند المذاهب الأربعة ،

٣- إذا قال عَلي يمين أو يمين لأفعل كذا وكذا فهو يمين بدلالة اللغة أنه يمين وهو قول الجمهور: عدا الشافعية.

٤- إذا قال: أقسم لأفعلن أو أحلف لأفعلن، فهو يمين إذا نوى ذلك وهو قول الجمهور. والدليل حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه قول أبي بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم : (أقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني بما أحببت مما أخطأت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقسم)[3]

فكل صيغة وردت في السنة وأقوال الصحابة فهي يمين حكمها حكم اليمين.

أقسام اليمين:

١- اليمين اللغو: ما يجري على لسان المتكلم من الحلف بلا قصد وهذه لا إثم عليها ولا كفارة يمين ، قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٠٣٦ .

وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٨٩))[١].

٢- اليمين المكفرة: هي اليمين المنعقدة المقصودة فإذا حلف وجب عليه الكفارة في الآية، وشروط وجوبها: العقل، والبلوغ، والاختيار، والذكر، وعدم النسيان، وأن يكون المحلوف عليه ممكنا لا مستحيلًا، وأن لا يكون اليمين على أمر مُحرم أو معصية فلا يجوز له الفعل، وعليه كفارة الحلف باليمين لحديث: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خيرٌ له وليكفر عن يمينه)[٢] ، ومن شروط وجوب الكفارة في اليمين التلفظ باليمين فلا يكفي حديث النفس.

٣- اليمين الغموس: هي اليمين التي يحلفها على أمر ماض كاذبًا عالمًا ظالمًا لغيره، وهي كبيرة لا كفارة فيها. لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن أعرابيًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: (ما الكبائر، قال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال اليمين الغموس، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: الذي يقتطع مال امرئ مسلم)[٣] ،والتفسير لليمين من قول عامر الشعبي رحمه الله كما قال: ابن حجر رحمه الله في الفتح[٤] ، والجمهور من السلف والخلف والمذاهب على عدم وجوب الكفارة لقوله تعالى: (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ) فخرجت الغموس. ولحديث مسلم: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمين حَرم الله عليه الجنة وأوجب له النار)[٥]، فلا كفارة لليمين الغموس إلا التوبة.

٤- الحلف بغير الله تعالى، فإذا كان الحلف تعظيمًا لهذا المخلوق كتعظيم الله في الحلف به فهذا شرك وكفر أصغر، وقد يصل إلى الشرك الأكبر، وإذا عظم المخلوق به كتعظيم الله في العبادة كحلف الذين يعبدون الأوثان بأوثانهم فإنه شرك أكبر.[٦]

---

(١) سورة المائدة .
(٢) الألباني ؤ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٦٢٠٨ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج١٢ ، ص ٣٦٤ ، استتابة المرتدين .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص ٤٥٦ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٢٧ ، وأخرجه والنسائي (٥٤١٩)، وابن ماجه (٢٣٢٤).
(٦) إبراهيم بن عبد الله المزروعي ،شبكة بينونة في ٢٠١٨/٠٦/٢٤

أما الأسباب التي أدت إلى انتشار الحلف بالله -تعالى-، والاستهانة بهذه القضية الخطيرة عند الناس اليوم لوجدت **لها عدة أسباب منها**:

١- أن عظمة الله تعالى في نفوس كثير من المسلمين قد تلاشت أو قاربت، أصبح الله سبحانه ليس له مهابة في قلوب كثير من المسلمين، فهم يحلفون به في أي ساعة من ساعات الليل والنهار سواء كان الأمر يستأهل الحلف أو لا يستأهل الحلف، وهذه قضية خطيرة لها مساس مباشر بالعقيدة الإسلامية، إن من أسماء الله -تعالى- أنه العظيم، هذا الاسم العظيم الذي جهلته قلوب كثير من المسلمين، هذا الجهل هو الدافع لانطلاق الحلف على ألسنة الناس.

٢- انعدام ثقة الناس بعضهم ببعض، ومن أسبابه فشو الكذب بين الناس، فترى هذا لا يصدق هذا إلا بالحلف، ويقول له إذا قال له الخبر بقضية عادية بأسلوب عادي: تقسم بالله أن هذا صحيح؟ لأن الثقة بين الناس قد انعدمت، وفشا الكذب حتى لم يميز الصادق من الكاذب، والأمين من الخائن، ومع انتشار القسم صار حتى القسم شيئاً عادياً، لا يصدق بمن يقسم.

إن الإفراط في الحلف أصلاً مذموم لأن الله تعالى قال في القرآن العظيم: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠))[١] ، و حلاف صيغة مبالغة، وهو الرجل الذي يحلف كثيرا، وقال تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ..(٢٢٤))[٢] ا وقال تعالى: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ..(٨٩))[٣] لا تقسم عند أي شيء، أحفظ اليمين، ادخر اليمين للأمر العظيم، لا تجعله ألعوبة كما جعله اليوم كثيراً من المسلمين[٤].

---

(١) سورة القلم .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة المائدة .
(٤) الشيخ المنجد ، الموقع الرسمي ، تفريغ نصي .

س٦ : لماذا شرع الله الوضوء ؟.

ج٦: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (الوضوء فالأصل في ذلك أنه شرع مع الصلاة؛ لأن النبي عليه السلام قال: لا تقبل صلاة بغير طهور فالأصل في هذا أن الله شرع الوضوء مع الصلاة)[١].

والوضوء من الطهارة التي هي إزالة القذر ، والنجاسات ، ، والغسل للوضوء فضائل كثيرة نذكر منها:

١- أنّ الوضوء يجعل المسلم من الغر المحجلين يوم القيامة، ففي الحديث الشريف: (إن أمتي يأتون يومَ القيامةِ غرًا محجّلين من أثرِ الوضوءِ. فمن استطاع أن يطيلَ غرتَه فليفعلْ)[٢]، ومعنى الغر هو البياض الذي يكون في جبهة الفرس، والتحجيل هو البياض الذي يكون على قوائم الفرس، ومعنى أن يكون المسلمون يوم القيامة غرا محجلين أي يسطع النور من وجوههم وأيديهم وأرجلهم من آثار الوضوء في الدنيا، وهذا مما اختص الله به هذه الأمة دون غيرها من الأمم.

٢- بالوضوء ينال المسلم محبة الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢))[٣] .

٣- أنّ الوضوء يرفع درجات المسلم، ويكفر سيئاته، وفي الحديث: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)[٤].

٤- أنّ الوضوء سبب من أسباب دخول الجنة، فمن توضأ فأحسن وضوءه، ثمّ نطق بالشهادتين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية ليدخل من أي باب منها. إنّ بالوضوء

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٤٦ .
(٣) سورة البقرة .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥١ .

تنحل عقدة من عقد الشيطان التي يربطها على قافية المسلم حينما ينام. إنّ الوضوء هو شطر الإيمان. إنّه يحقق للمسلم الطهارة الحسية والمعنوية، فالطهارة الحسية هي ما يتعلق بالقاذورات والنجاسات، وأما الطهارة المعنوية فهي ما يتعلق بالمعاصي والذنوب.

٥- أن الوضوء سبب من أسباب الموت على الفطرة.

٦- أن الوضوء من علامات إيمان العبد، م. محمد سعيد قاسم، "الوضوء"[١]. وفي الحديث: (استَقيموا ولَن تُحصوا واعلَموا أنَّ خيرَ أعمالِكُمُ الصَّلاةَ ولا يحافظُ علَى الوضوءِ إلَّا مؤمنٌ)[٢] .

س ٧: لماذا شرعت الطهارة ؟.

ج٧: الحكَم من تشريع الطهارة : كثيرة ، ونعني بالطهارة : إزالة القذر ، والنجاسات ، بالوضوء ، والغسل ، ومن هذه الحِكم :

١- أن الطهارة موافقة للفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها ، ومما لا شك فيه أن الإسلام هو دين الفطرة ، وأنه جاء بالحث على " سنن الفطرة " لتوكيد فعل ما يُفعل منها ، والبُعد عن ما يُترك منها ، فغسل الوجه ، وتنظيف الأنف ، والفم ، واليدين ، وكذا الاغتسال ، والاستنجاء ، كل ذلك لا يحتاج لشرع ليشرعه ، بل يكفي الإنسان أن يكون سليم الفطرة لينظف تلك الأعضاء والجوارح ، وليحرص على بعدها عن القذر والنجاسة .

٢- الإسلام دين النظافة ، والجمال ، ويحرص على أن يكون أتباعه شامة بين الناس ، ينظفون أبدانهم ، ويسرحون شعورهم ، ويلبسون أطهر الثياب ، وتفوح منهم رائحة الطيب ، ومثل هؤلاء لا شك ولا ريب أنهم سيكونون محط إعجاب الناس بهم ، وهو ما يؤدي إلى نجاح دعوتهم لهذا الدين العظيم ، وكما أن الناس تميل قلوبهم إلى

---

(١) صيد الفوائد ، اطّلع عليه بتاريخ ١٧ / ٤ / ٢٠١٨ م.
(٢) ابن كثير ، إرشاد الفقيه ، ج١ ، ص ١٤٣ .

النظيف الطاهر في بدنه وثيابه : فإنها تنفر من الوسخ القذر في ثيابه وبدنه ، وليس هذا من الإسلام في شيء .

٣- أثبتت الدراسات العلمية الحديثة المؤصلة أن النظافة والطهارة تحصِّن صاحبها من أمراض كثيرة ، وأن القذارة سبب في حصول كثير من الأمراض ، فكيف لهذا الدين العظيم أن لا يكون في تشريعاته ما يساهم في الوقاية من الأمراض ، ويمنع من حدوثها وانتشارها؟.

٤- للمسلم مع ربه تعالى لقاءات للمناجاة ، ومن يقف بين يدي رئيس أو ملك أو عظيم : فإنه يحرص على نظافة بدنه ، وثيابه ، وطيب رائحته ، وحرص الناس على هذا مع البشر ليس في الإسلام ما يمنع منه ، بل كان هذا هو هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث كان يتجمل للوفود ، ونزيد على ذلك أن أعظم من يُتجمل له ، وأعظم من نحرص على طهارة أبداننا وثيابه ونحن بين يديه : هو الله تعالى ، ولذلك لا نعجب عندما نفعل هذا بين يديه تعالى ، وها هم الناس يحرصون على مثله أو أعظم منه بين يدي مخلوق مثلهم ؛ فكيف ينبغي أن يكون حاله أمام الله ؛ فالله أحق أن يتجمل له الناس ، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما[١] .

٥- ومن تأمل أحكام الشرع ، ورزقه الله تعالى الفهم : استطاع أن يفرِّق بين طرق الطهارة في الإسلام ، وأنه ثمة حكم في كون الغسل من الجنابة ، لا من البول مثلاً ، وأنه ثمة فرق بين الوضوء والغسل ، قال ابن القيم رحمه الله :إيجاب الشارع صلى الله عليه وسلم الغسل من المنيّ دون البول : فهذا من أعظم محاسن الشريعة ، وما اشتملت عليه من الرحمة ، والحكمة ، والمصلحة ؛ فإن المنيّ يخرج من جميع البدن ، ولهذا سمَّاه الله سبحانه وتعالى (سُلالة) ؛ لأنه يسيل من جميع البدن ، وأما البول : فإنما هو فضلة الطعام ، والشراب ، المستحيلة في المعدة ، والمثانة ، فتأثر البدن بخروج

---

(١) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، رقم الحديث ٧٦٦ .

المني أعظم من تأثره بخروج البول ، ولذا :

أ- فإن الاغتسال من خروج المني من أنفع شيء للبدن ، والقلب ، والروح ، بل جميع الأرواح القائمة بالبدن فإنها تقوى بالاغتسال ، والغسل يُخلف عليه ما تحلل منه بخروج المني ، وهذا أمر يُعرف بالحسِّ .

ب- فإن الجنابة توجب ثقلاً وكسلاً ، والغسل يُحدث له نشاطاً ، وخفةً ، ولهذا قال أبو ذر لما اغتسل من الجنابة : (كأنما ألقيتُ عنِّي حِمْلاً) ، إن هذا أمر يدركه كلُّ ذي حسٍّ سليم ، وفطرة صحيحة ، ويعلم أن الاغتسال من الجنابة يجري مجرى المصالح التي تلحق بالضروريات للبدن والقلب ، مع ما تحدثه الجنابة من بُعد القلب والروح عن الأرواح الطيبة ، فإذا اغتسل : زال ذلك البُعد ، ولهذا قال غير واحد من الصحابة : (إن العبد إذا نام عرجت روحه ، فإن كان طاهراً أذن لها بالسجود ، وإن كان جنباً لم يؤذن لها ، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الجنُب إذا نام أن يتوضأ ، وقد صرح أفاضل الأطباء بأن الاغتسال بعد الجماع يعيد إلى البدن قوته ، ويخلف عليه ما تحلل منه ، وإنه من أنفع شيء للبدن والروح ، وتركه مُضرٌّ ، ويكفي شهادة العقل والفطرة بحُسنه ، على أن الله تعالى لو شرع الاغتسال من البول : لكان في ذلك أعظم حرج ومشقة على الأمة تمنعه حكمة الله ، ورحمته ، وإحسانه إلى خلقه) .

٦- وفي الإسلام علاقة بين الظاهر والباطن ، فمن حرص على تطهير بدنه وثيابه من الأقذار والنجاسات : فإنه ينبغي أن يكون أحرص على تطهير نفسه وباطنه من أخلاق السوء ، ومن جمَّل بدنه وثوبه فهو علامة على جمال باطنه ، ولا يحرص الإسلام على جمال الظاهر ويغض الطرف عن جمال الباطن ، بل كلاهما مطلوب ، وإن كان الإنسان يُعذر بعدم توفر ما يجمِّل ظاهره فإنه ليس معذوراً بترك تجميل

---

(١) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ٧٧ -٧٨ ، وانظر أيضا : " التحرير والتنوير " للطاهر ابن عاشور (٥ / ٦٥).

باطنه ، وكلا الطهارتين سبب لتحصيل محبة الله تعالى ، قال تعالى في سورة البقرة :
(إِنَّ الله يُحِبُّ التوابين وَيُحِبُّ المتطهرين(٢٢٢)).

٧- يقول ابن القيم رحمه الله: تأمَّل أبواب الشريعة ووسائلها وغاياتها كيف تجدها مشحونة بالحكَم المقصودة ، والغايات الحميدة التي شرعت لأجلها ، التي لولاها لكان الناس كالبهائم ، بل أسوأ حالاً ، فكم في الطهارة من حِكمة ، ومنفعة ، للقلب ، والبدن ، وتفريح للقلب ، وتنشيط للجوارح ، وتخفيف من أحمال ما أوجبته الطبيعة ، وألقاه عز النفس من درن المخالفات ، فهي منظفة للقلب والروح والبدن:

أ- ففي غسل الجنابة من زيادة النعومة والإخلاف على البدن نظير ما تحلل منه بالجنابة ما هو من أنفع الأمور.

ب- وتأملْ كون الوضوء في الأطراف التي هي محل الكسب والعمل ، فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق ، وهذه الأبواب هي أبواب المعاصي والذنوب كلها ، منها يدخل إليها ، ثم جعل في اليدين وهما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطي ، ثم في الرِّجلين اللتين بهما يمشي ويسعى .

ت- ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة : جعل مكانه المسح ، وجعل ذلك مخرجاً للخطايا من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره ، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال : (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ - أَوِ الْمُؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ)[١]، وفي صحيح مسلم أيضاً عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ح٢٤٤

: (مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)[١] فهذا من أجلِّ حكَم الوضوء ، وفوائده .

وقال نفاة الحكمة : إنه تكليف ومشقة وعناء محض لا مصلحة فيه ، ولا حكمة شرع لأجلها !

ولو لم يكن في مصلحته وحكمته إلا أنه سيماء هذه الأمة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الأمم ليست لأحد غيرهم ، ولو لم يكن فيه من المصلحة والحكمة إلا أن المتوضئ يطهر يديه بالماء وقلبه بالتوبة ليستعد للدخول على ربه ومناجاته والوقوف بين يديه طاهر البدن ، والثوب ، والقلب ، فأي حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا ؟! .

ولما كانت الشهوة تجري في جميع البدن حتى إن تحت كل شعرة شهوة : سرى غسل الجنابة إلى حيث سرت الشهوة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ تَحْتَ كُلِّ شَعْرَةٍ جَنَابَةً)[٢] ؛ فأمر أن يوصل الماء إلى أصل كل شعرة ، فيبرد حرارة الشهوة ، فتسكن النفس ، وتطمئن إلى ذكر الله ، وتلاوة كلامه ، والوقوف بين يديه[٣] .

ومن تأمل أحكام الشريعة بانت له حكَمها ، ومن طمس الله بصيرته : فلن ينتفع بما يراه ، ولا بما يسمعه ، وليُعلم أن الطهارة من محاسن الأخلاق لم تختلف فيها الشرائع السابقة للإسلام ، ولا يُتصور رسول يأتي قومه برسالة إلا وفيها الدعوة – أولاً – لتطهير القلب من رجس الأوثان ، ثم تدعو الناس إلى الجميل من الأقوال ، والأفعال ، والأخلاق ، وتطهير الثوب ، والبدن ، والغسل ، والتطهر ، وإزالة القذر والنجاسة مما لا تختلف الشرائع السماوية كلها في تشريعها ، ومن جادل في ذلك فإنما يجادل بالباطل[٤] .

س٨: لماذا شرع الله التيمم و ومتى كان ذلك ؟.

ج٨: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (سباب التيمم هي أسباب الوضوء، فإذا وجب الوضوء على الشخص ولم يجد الماء وجب عليه التيمم، وهكذا إذا عجز عن الماء لمرض

---

(١) الإمام مسلم ،صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٤٥ .
(٢) أبو داوود ،سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٢٤٨ . والترمذي (١٠٦)، وابن ماجه (٥٩٧)
(٣) ابن القيم ، شفاء العليل ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٠ /٩ / ٢٠٠٨ .

وجب عليه التيمم للصلاة لمس المصحف للطواف.

فالمقصود أن التيمم يقوم مقام الوضوء، فإذا وجدت أسباب الوضوء ولم يوجد الماء، فإنه يتيمم بالصعيد يضرب التراب بيديه ضربة واحدة فيمسح بهما وجهه وكفيه، وهكذا المريض الذي لا يستطيع.. يضره الماء يفعل التيمم، والصحيح أنه يقوم مقام الطهارة، يرفع الحدث إلى وجود الماء، فإذا تيمم للظهر صلى به العصر إذا كان على طهارة، وهكذا لو تيمم للمغرب صلى به العشاء إذا كان على طهارة، أو تيمم لصلاة الضحى وبقي على طهارة حتى جاء الظهر صلى بذلك، كما في الحديث: الصعيد وضوء المسلم قال: وإن لم يجد الماء عشر سنين، والله جل وعلا سمى التيمم: طهارة، قال جل وعلا: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٦))[١] ويقول صلى الله عليه وسلم : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وجعل التيمم طهوراً كما أن الماء طهور، هذا هو الصواب في هذه المسألة عند المحققين من أهل العلم، أن التيمم يقوم مقام الماء في رفع الحدث إلى وجود الماء، وأنه لا يبطل بدخول الوقت ولا بخروجه)[٢] ،[٣] .

(يُشرعُ التيمُّمُ عن الحدَثِ الأصغرِ بشُروطِه والأدلة على ذلك :

أوَّلًا: من القرآن الكريم :

قول الله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون(٦))[٤].

ثانيًا: مِن السُّنَّةِ :

---

(١) سورة المائدة .
(٢) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٨٩ .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٤) سورة المائدة .

١- عن حُذيفةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (فُضِّلنا على النَّاسِ بثلاثٍ: جُعِلتْ صُفوفُنا كصفوفِ الملائكة، وجُعلَتْ لنا الأرضُ كلُّها مسجدًا، وجُعلَت تُربتُها لنا طَهورًا إذا لم نجِد الماءَ)[1].

٢- عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (فُضِّلت على الأنبياءِ بسِتٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكَلِم، ونُصِرْتُ بالرُّعب، وأُحلَّتْ لي الغنائِمُ، وجُعِلَت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا، وأُرسلتُ إلى الخَلقِ كافَّةً، وخُتم بي النبيُّونَ)[2].

٣- عن جابرِ بن عبد الله الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أُعطيتُ خمسًا لم يُعطَهنَّ أحدٌ قبلي: كان كلُّ نبيٍّ يُبعَثُ إلى قَومِه خاصَّة، وبُعثتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ، وأُحلَّت لي الغنائِمُ ولم تَحِلَّ لأحدٍ قبلي، وجُعلتْ لي الأرضُ طيِّبةً طَهورًا ومسجدًا؛ فأيُّما رجلٍ أدركتْه الصَّلاة، صلَّى حيث كان، ونُصرتُ بالرُّعب بين يَدَي مسيرةَ شهر، وأُعطيتُ الشَّفاعةَ)[3].

ثالثًا: من الإجماع:

نقَل الإجماعَ على مشروعيَّة التيمُّمِ:

١- قال النوويُّ: (أجمَعَ العُلَماءُ على جواز التيمُّم عن الحدَثِ الأصغر)[4].

٢- قال شمسُ الدِّين ابنُ قُدامةَ: (يجوزُ التيمُّم للحدَث الأصغرِ بغيرِ خلافٍ علمناه، إذا وُجِدَت الشرائطُ)[5].

سببُ مشروعيَّة التيمُّم :

عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها زوجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قالت: (خرجْنا مع رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في بعضِ أسفارِه، حتى إذا كنَّا بالبَيداءِ أو بذاتِ الجيش، انقطع

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٢٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٢٣ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٣٥ ، وعند مسلم رقم الحديث ٥٢١ .
(٤) النووي ، الشرح على صحيح مسلم ، ج٤ ،ص ٥٧ .
(٥) ابن قدامة ، الشرح الكبير ، ج١ ، ص ٢٥١ .

عِقدٌ لي، فأقام رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على التِماسِه، وأقام النَّاسُ معه وليسوا على ماءٍ، فأَتى النَّاسُ إلى أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، فقالوا: ألَا ترى ما صنعَتْ عائشةُ؟! أقامت برسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والنَّاسِ وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ، فجاء أبو بكرٍ، ورسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم واضعٌ رأسَه على فخِذي قد نام، فقال: حبَسْتِ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والناسَ، وليسوا على ماءٍ، وليس معهم ماءٌ! فقالت عائشةُ: فعاتبني أبو بكرٍ، وقال: ما شاءَ الله أن يقولَ، وجعل يَطعُنُني بيَدِه في خاصِرَتي، فلا يمنَعُني من التحرُّكِ إلَّا مكانُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على فَخِذي، فقام رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين أصبَحَ على غيرِ ماءٍ، فأنزل الله آيةَ التيمُّمِ، فتيمَّموا، فقال أُسَيدُ بن الحُضَير: ما هي بأوَّلِ برَكَتِكم يا آلَ أبي بكرٍ! قالت: فبعَثْنا البعيرَ الذي كنتُ عليه، فأصبْنا العِقدَ تحتَه)[1] ، وفي رواية: ((جزاكِ اللهُ خيرًا، فو اللهِ ما نزل بكِ أمرٌ قطُّ، إلَّا جعل اللهُ لكِ منه مَخرَجًا، وجعلَ للمُسلمينَ فيه بركةً))[2] ، [3] .

وقد شرع التيمم بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة .

ويشرع التيمم:

١- عند عدم وجود الماء لقول الله جل وعلا: (فَلَمۡ تَجِدُواْ مَاۤءً فَتَيَمَّمُواْ.. (٦))[3]. ولا يعد الإنسان غير واجد للماء إذا لم يبحث عنه.

٢- عند العجز عن استعمال الماء وإن وُجِد كالمريض أو الكبير الذي لا يستطيع الحركة، وليس عنده من يساعده على الوضوء ومن ذلك:

أ- المريض الذي لو استعمل الماء لزاد مرضه.

ب- شخص في شدة برد، وليس عنده ما يسخن به الماء، ويغلب على ظنه أنه لو اغتسل أصابه مرض؛ لما ثبت من : (إقرار النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم) لعمرو بن العاص حين

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري، رقم الحديث ٣٣٤ ، عند مسلم في صحيحه رقم الحديث ٣٦٧ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٧٧٣ ، وعند مسلم برقم ٣٦٧ .
(٣) علوي عبد القادر السقاف ، الدرر السنية ، التيمم .
(٤) سورة المائدة

صلى بأصحابه، وقد تيمم لشدة البرد)[1].

ت- إذا كان في مكان بعيد، وليس معه إلا ماء قليل يحتاجه للشرب، ولا يستطيع إحضار غيره.

س٩: لماذا شرع القصر في الصلاة ؟.

ج٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (القصر: هو كونه يصلي الرباعية ثنتين، هذا قصر يسمى قصر، الظهر ثنتين العصر ثنتين العشاء ثنتين بالسفر بسبب السفر، ولا تقصر الصلاة إلا في السفر خاصة، المريض لا يقصر المريض له أن يجمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء لكن لا يصليها ثنتين بل يصلي أربعًا، وإنما القصر في السفر خاصة)[2].

مع ملاحظة ما يلي :

١- القصْرُ لا يكونُ إلا في الصَّلاة الرباعيَّة، وأما صلاةُ الصُّبح والمغرب، فلا قصْرَ فيهما.

٢- المتردِّد الذي لَم يعزم على إقامةٍ، فإنه يَقصُرُ الصلاة، ولو ظلَّ زمانًا طويلاً.

٣- الراجح أنّ السُّفراء والدُّبلوماسيُّون المقِيمون بالسِّفارات في حُكم المقِيمين، وكذلك الذين يعملون خارج بلادِهم أو يدرُسون؛ فهؤلاء جميعًا يُتمُّون، (وفي المسألة نِزاعٌ بين العلماء)، فلا نُنكِرْ على مَن يعتبر أنهم مسافرون، أما سَائقوا سيارات السَّفر والشَّاحنات والقِطارات والطائرات فهم مسافرونَ يُقصِرون الصلاة طالما أنهم لَم يصلوا إلى دارِ إقامتهم (يعني طالما لم يصلوا إلى بيوتهم).

٤- تبدأُ رخصة القصْرُ للمسافر بعد مغادرتِه لمحل إقامته (وهو الحي الذي يسكن فيه)، ولا يجوزُ له القصْرُ وهو في دار الإقامة.

٥- إذا نسي صلاة معينة وهو في سفرٍ معين، ثم تذكَّرَ هذه الصلاة وهو في سفرٍ آخر، فإنه يصلِّيها قصْرًا، وكذلك إن تذكَّرَها وهو في حضَرٍ، فالصَّحيح أنه يقصُر أيضاً، وأما إن فاتته صلاةٌ في حضَرٍ فتذكَّرها في سفَرٍ، فالراجح أنَّه يتمُّها؛ أي: أنَّ الاعتبار

---

(١) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٢ ، ص ١٦ .
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

بحال فرضِها عليه لا بحال أدائِها.

٦- إذا حوصِر أو حُبس عن سفرِه، فهو في معنى المتردِّد، حتى لو عَلِم أنه سيُقيم مدَّةً طويلة، فهذا يقصُر الصلاةَ، وكذلك مَن أقام إقامةً مقيَّدة (لا يدري متى تنتهي)، فإنه يقصُر أبدًا، مِثل مَن يُقيم للعلاج ولا يدري متى ينتهي.

٧- مَن خرج للبحث عن شاردٍ، أو مَن ضلَّ في طريقه، يقصُر أبدًا حتى يعودَ إلى وطنِه.

٨- إذا ائتمَّ المسافرُ بالمقيمِ، فإن المسافر يُتِمَّ؛ فإنَّ هذه هي السُّنة [١].

٩- إذا أدرك المسافرُ ركعةً واحدة من صلاةِ الإمامِ المقيمِ فهل يقصُرُ أم يتمُّ؟ (يعني هل يأتي بركعةٍ أخرى فقط بعدما يُسَلِّم الإمام؟، أم يأتي بثلاث ركعات؟) فيه خلافٌ، والرَّاجح: أنه يُتِمّ الصلاة أربع ركعات.

١٠- إذا صلَّى المسافرُ خلف إمامٍ لا يدري أهو مقيمٌ أو مسافرٌ، فجعل نيَّتَه معلَّقة؛ بمعنى أن يقول: (إذا أتمَّ الإمامُ الصلاة: أتمَمتُ، وإذا قصَر: قصَرتُ معه)، فصلاتُه صحيحةٌ، وعليه فإنه يُتابع إمامَه، فإنْ كان مقيمًا: أتَمَّ خلفه، وإن كانَ مسافرًا: قصَر الصلاةَ مثلَه.

١١- إذا صَلَّى المسافرُ خلف إمامٍ مُقيمٍ، ثم فسَدت صلاة المسافرَ (كأن يُنتَقض وضوءه أثناء الصلاة)، فهل يُعيدها تامَّةً أم قصْرًا؟ الرَّاجحُ أنه يُعيدها قصْرًا إذا صلَّى وحده، أو مع مسافرٍ مثلِه، وأمَّا إنْ أعادها خلف مُقيم: أتمَّ معه.

١٢- إذا دخل وقتُ الصَّلاة وهو في بلدِه، ثم سافر قبل أن يصليها، فإنَّه يصليها قصراً (طالما أنه صلاها خارج بلده)، والعكس صحيح: فإذا دخلَ وقت الصَّلاة وهو في السَّفر، ثم وصل بلدَه، فإنَّه يُتِمُّها (أي أنَّ العِبرة بالمكان الذي يؤدي فيه الصلاة، وليس بدخول وقتها عليه).

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، ج١ ، ص ٢١٦ ، وصححه الألباني في الإرواء" (٥٧١) من حديث ابن عباس.

١٣- إذا صلَّى المسافر إمامًا، وكانَ بعضُ مَن خلفه مسافرين وبعضُهم مقيمين، فخرج من الصَّلاةِ لعذْرٍ واستخلف مكانه مُقيمًا: فإنَّ هذا المقيم يُتمّ الصَّلاة، وعلى مَن خلفه الإتمامُ معه، سواءٌ كانوا مُقيمين أو مسافرين.

١٤- قال ابنُ تيميَّة رحمه الله: (يُوتِرُ المسافر، ويركعُ سنَّةَ الفجر، ويُسَنُّ تركُ غيرِهما ، يعني يُسَنُّ له ترْك باقي السنن الراتبة كَسُنّة الظهر والمغرب والعشاء ، والأفضلُ له التطوُّعُ في غير السُّنن الرَّاتبة)[1] .

س١٠ : لماذا شرع الجمع في الصلاة ؟

ج١٠: (يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (الجمع: معناه ضم الظهر إلى العصر والمغرب إلى العشاء، هذا الجمع يجوز للمسافر والمريض.)[3] مع ملاحظة أن هناك حالاتٌ يجوز الجمعُ فيها بين صلاتَيّ الظُّهر والعصرِ، وكذلك بين المغربِ والعِشاء، وهذه الحالات هي:

١- السَّفر: فيَجُوز للمسافرِ أن يجمعَ بين صلاتي الظُّهر والعصر جمعَ تقديمٍ (يعني يصلي الظهر والعصر معاً بعد أن يؤَذَّن للظهر، وقبل أن يؤَذَّن للعصر)، أو يجمعَ بينهما جمع تأخير (يعني يصلي الظهر والعصر معاً بعد أن يؤَذَّن للعصر)، وكذلك يجمع بين المغرب والعِشاء جمعَ تقديم أو تأخير، وسواءٌ في ذلك إذا كان أثناءَ السَّير أي: راكباً أو كان نازلاً في مكانٍ ما للاستراحة من السفر.

٢- المطَر والخوف: ودليلُ ذلك ما ثبت في حديثِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال: (جمَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الظُّهر والعصر، والمغرب والعِشاء بالمدينة من غيرِ خوفٍ ولا مطَر، قيل له: فماذا أرادَ بذلك؟ قال: أراد ألا يُحرِجَ أمَّتَه أي: لا يُوقِعَ أمته في الحرج)[4].

---

(١) ابن تيمية ، الاختيارات الفقهية ، ص ١٣٥ .
(٢) موقع شبكة الألوكة :رامي حنفي محمود تاريخ الإضافة: ٢٠١٣/٨/٢٦ ميلادي - ١٤٣٤/١٠/١٩
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي.
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٠٥ ، وأخرجه أبو داود (١٢١١)، والترمذي (١٨٧)، وأحمد (٢٢٣/١)

فقوْلُهُ: (مِن غير خوفٍ ولا مطر) يُفهَمُ منه أنه يجوز الجمع في الخوف والمطر ، والمطَر المقصود: هو الذي تلحقُه بسببه مشقَّةٌ وحرَجٌ من الذهاب إلى المسجد، وأما المطر اليسير الذي لا يبلُّ الثِّياب، فلا يدخل في هذا المعنى، وهذا يختلفُ من مكانٍ لآخرَ، والله أعلم، واعلم أنّ الجمع في المطَر ثابتٌ عن جماعةٍ من الصَّحابة منهم ابن عمرَ وابن عباس.

٣- المرض: وهو من الأعذار التي تبيح الجمعَ: المَرَضُ الذي يلحقه مشقَّة لو صلَّى كلَّ وقتٍ لوقته؛ وذلك لعموم حديثِ ابن عبَّاس رضي الله عنهما المتقدِّم، وفيه: (أراد ألا يُحرجَ أمَّته) .

٤- أفادَ ابنُ تيميَّة رحمه الله: (أنّ أوسَعُ المذاهبِ في الجمعِ: مذهبُ أحمدَ؛ فإنه جوَّزَ الجمعَ إذا كان له شغل)، وَقد فَسَّرَ القاضي وغيرُه نصَّ أحمدَ على المراد بالشُّغل الذي يُبيح ترْكَ الجمُعة والجماعة)[1] ، وعلى هذا؛ فليس كلُّ شغلٍ يُباح من أجلِه الجمعُ، بل المقصود به الشُغل الذي يُبيح ترْك الجماعة؛ كالخوفِ والمرض، والمشغول بالقيام على مريضٍ، ونحو ذلك مما يترتَّب عليه حرجٌ، مثالُ ذلك: لو أراد طبيبٌ القيامَ بعملية جراحيَّة تبدأ قبل العصرِ وتنتهي بعد المغرب، فإنه يجوزُ له الجمع بين الظهر والعصر لأداءِ عملِه بلا حرجٍ، ومثالٌ آخر: طالِبٌ سيدخل الامتحان قبل الظهر مباشرة، ولن ينتهي منه إلا بعد صلاة العصر، فهذا يجُوز له جمع التقديم أو التأخير حسب الأيسر له، وكذلك راكبُ الطائرة الذي سيركب الطائرة قبل الظهر مباشرة، ولن ينتهي من إجراءات المطار بعد وصوله إلا قُرْب وقت المغرب، مما يتسبب في ضياع الظهر والعصر عليه، فهذا يجُوز له جمع التقديم قبل ركوب الطائرة - إن تيسر له ذلك - وإن لم يتيسر له ذلك: جَمَعَ الظهر والعصر في الطائرة، وحينئذٍ يصلي في الطائرة بالإيماء ولا حرج.

---

(١) ابن تيمية ، الاختيارات الفقهية ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

مع التنبيه على ما يلي :

١- إذا كان الجمعُ من أجل المطر، فهذا يُختصُّ بمن يصلِّي في المسجد، وَلحِقَهُ مشقَّةٌ وحرَجٌ من الذهاب إلى المسجد، وأمَّا النساء ، وكذلك مَن صلَّى في بيته وترخَّص بترك الجماعة : فلا يُرخَّصُ في حقِّ هؤلاء الجمعُ.

٢- لا يَلزم أن يكونَ الجمعُ والقصر معًا، فقد يجمعُ ولا يقصُر (كالمريض، وفي حالة المطر والحرج)، وقد يجمع ويقصُر(كالمسافر).

٣- ما يذكُره بعض الفقهاء من (الجمعِ الصُّوريِّ) بأنْ يؤخِّر الأولى إلى آخر وقتِها، ويجمع معها الثَّانية في أول وقتها ؛ لا دليلَ عليه، بل فيه من المشقَّة ما يتنافى مع رخصة الجمعِ وتيسير الشرع، والأفضل أن يجمع حسَبَ الأرفقِ به تقديمًا أو تأخيرًا، سواءٌ كان ذلك في سفرٍ أو مرَضٍ أو عذر، أو غير ذلك، وعلى هذا فيلاحَظُ:

أ- الأرفق يوم عرفةَ جمعُ التَّقديم، وهو السنَّة، وفي مزدلفة جمعُ التَّأخير، وهو السنَّة أيضا.

ب- الأرفق وقتَ المطرِ بالنَّاس غالبًا هو جمعُ التَّقديم.

٤- الراجح أنه لا يُشترط أن ينوي نيَّةُ الجمع - أو نيَّة القصر - عند بدء الصَّلاة، وإنما الذي يُشترط فقط هو وجودُ سببِ الجمع والقصر، وعلى هذا؛ فلو وُجِدَ سببُ الجمع بعد انقضائِه من صلاة الأُولى، فالصَّحيح أنه يجمع معها الثانية، حتى وإن لم يكُن نوى الجمع عند أداء الأولى ، ومثالُه : لو صلَّوُا الظُّهر والسماء بها غيومٌ فقط ولَمْ تُمطر (ولم ينووا الجمع)، وبعد انتهائهم من الصَّلاة أمطرت السَّماء؛ فالصَّحيح أن الجمع جائزٌ؛ لأنَّ السبب وُجِدَ، و الحديثَ على عمومه: (أراد ألاَّ يُحرجَ أمَّتَه).

٥- لا يُشترط أن تكون الصَّلاتين متتابعتين، بل لو صلَّى الأُولى، ثم انشغل بشيءٍ، ثم صلَّى الثانيةَ: جازَ ذلك، قال ابن تيميَّة رحمه الله: "إذا صلَّى إحدى صلاتي الجمع في بيتِه والأخرى في المسجد، فلا بأسَ[1].

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٤ ، ص ٥٣ ــ ٥٤ ، الاختيارات الفقهية ، ص١٣٧.

٦- إذا دخل المسجد – وقد نوى جمعَ التَّأخير – فوجدهم يصلُّون العشاء، وهو لَمْ يصلِّ المغرب بعد، فإنه يصلِّي معهم المغربَ، فإذا قام الإمامُ للرَّابعة، جلس وتشهَّدَ وسلَّمَ، ثم قام وصلَّى معه ركعةً بنيَّةِ العِشاء وأتمَّ صلاتَه بعد سلامِ الإمام (والأفضل – حتى لا يحدث بَلبلة للمصلين الذين بجانبه – أن يصلي العشاء معهم، ثم يصلي المغرب، وليس عليه أن يصلي العشاء مرة أخرى، لأن الله لم يُوجِبْ على العبد أن يصلي الصلاة مرتين).

٧- إذا زال العذرُ بعد فراغِه من جمع الصلاتين معاً – وقبل دخولِ وقت الثانية –: أجزأه ذلك، ولا يَلزَمه أن يؤدي الثَّانية في وقتِها)[1] ، ومثالُ ذلك: (مُسافرٌ جمعَ وقصَرَ صلاتي الظُّهر والعصر جمعَ تقديمٍ، ثم وصل مَحِلَّ إقامتِه في وقت العصرِ) يعني قبل المغرب)، فإنَّه لا يلزمُه صلاةُ العصر مرَّةً ثانية).

٨- إذا نوَى المسافرُ أن يجمع الظهر والعصر جَمْعَ تأخيرٍ بعد أن يصل إلى محلِّ إقامته، ولكنه وصل إلى محلِّ إقامته بعد خروج وقت الظهر، فإنه يجمعُ فقط ولا يقصُر؛ لأنه وصل إلى بلدِه، فإن وصل إلى محلِّ إقامته قبل خروج وقت الظهر: فإنه يصلَّى كلَّ صلاةٍ لوقتها، إلا أن يشُقَّ ذلك عليه؛ بسبب إرهاقِهِ وتعبِهِ من السَّفر، فإنَّهُ يجوزُ له الجمعُ؛ دفعًا للحرَجِ.

٩- ينبغي للقائمين على ولايةِ الأعمال (كَمُدِيري المدارس والمعاهد والجامعات، والوَزارات والهيئات وغيرِهم) أن يُراعُوا أوقاتِ الصَّلاة، بحيث يسمحون لِمَن تحت ولايتهم بأداء الصَّلوات في أوقاتِها، واللهُ سائلهم عمَّا استرعاهم)[2].

س ١١ . لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي صلاة الوتر ؟.

ج١١ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (السنة أن يقضى الوتر، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شغله مرض أو نوم عن وتره من الليل صلى من النهار.

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٢٤ .
(٢) موقع شبكة الألوكة :رامي حنفي محمود تاريخ الإضافة: ٢٠١٣/٨/٢٦ ميلادي - ١٤٣٤/١٠/١٩)

تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شغله عن وتره مرض أو نوم صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة"، وكان وتره في الغالب إحدى عشرة، فإذا شغله عنه شاغل صلى ثنتي عشرة، زاد واحدة، فهذا هو السنة، أنه يقضى من النهار ولكن شفعًا لا وترًا، يزيدها ركعة اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا كانت عادته في الليل ثلاث ركعات تسليمة واحدة صلى من النهار أربع ركعات تسليمتين، وإذا كانت عادته خمس ركعات صلى من النهار ست ركعات ثلاث تسليمات، وإذا كانت عادته سبع ركعات من الليل صلى من النهار ثمان ركعات أربع تسليمات وهكذا، وإذا كانت عادته إحدى عشرة كفعل النبي صلى الله عليه وسلم صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ست تسليمات، وإذا كانت عادته ثلاثة عشر صلى من النهار سبع تسليمات أربعة عشر، هذا هو الأفضل، وهو سنة نافلة ليس بواجب.)[1] .

إذن :قضاء صلاة الوتر يكون شِفْعاً ، أي ركعتين ..ركعتين ، فمن كان يُوتِر بواحدة فنام عن وتره أو نسيه ، فإنه يُقضي الوتر من النهار ركعتين .ومن كان يُوتِر بِثلاث ركعات ، فإنه يُقضي الوتر من النهار أربع ركعات . وهكذا ، ويكون وقت قضاء الوتر وقت صلاة الضحى ، أي من بعد طلوع الشمس وارتفاعها بقدر رُمح ، وهو يُقدّر بعشر دقائق إلى ربع ساعة تقريباً ، إلى قبيل أذان الظهر بعشر دقائق تقريباً ، فهذا هو وقت صلاة الضحى ، وهو وقت قضاء صلاة الوتر ، ودليل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : (من نام عن حزبه أو عن شيء منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كُتِبَ له كأنما قرأه من الليل)[2] ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها : (كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثِنْتَي عشرة ركعة)[3] ، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان يُوتِر بثلاث عشرة ركعة ، فإذا قضاها من النهار صلاها شِفعاً ، أي ثنْتي عشرة ركعة .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٤٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٤٦ .

وأما القراءة فيُقرأ في كل ركعة بالفاتحة وما تيسّر من القرآن ، أي ليس لها قراءة مُعينة بعد الفاتحة ، والأفضل أن يكون القضاء ركعتين ..ركعتين ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (صلاة الليل والنهار مثنى مثنى)[1]، قال الإمام البخاري : (باب ما جاء في التطوع مثنى ..مثنى ، ويُذْكَر ذلك عن عمار وأبي ذر وأنس وجابر بن زيد وعكرمة والزهري رضي الله عنهم ، وقال يحيى بن سعيد الأنصاري : ما أدركت فقهاء أرضنا إلا يُسَلِّمُون في كل اثنتين من النهار). . .ولأن القضاء يَحكي الأداء ، ومن صلى أربع ركعات بِسلام واحد لم يُنكَر عليه .

وهنا مسألة للفائدة ، وهي صلاة الوتر بعد طلوع الفجر ، وبعد أذان الفجر ، قال ابن عبد البر رحمه الله : (واختلف العلماء أيضا في الوتر بعد الفجر ما لم يُصَلّ الصبح ، فقال منهم القائلون : إذا انفجر الصبح فقد خرج وقت الوتر ، ولا يصلي الوتر بعد انفجار الصبح ، روي ذلك عن ابن عمر وعطاء والنخعي وسعيد بن جبير ، وبه قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه وإسحاق بن راهويه ، إلا أن أبا حنيفة كان يقول : إذا طلع الفجر فقد خرج وقت الوتر وعليه قضاؤه ؛ لأنه واجب عنده ، ومن حجة من جعل وقت الوتر آخر طلوع الفجر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر هذا : فإذا خشيت الصبح فأوتر بواحدة ، وحجتهم أيضا ما ذكره عبد الرزاق وغيره عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر أنه كان يقول : من صلى الليل فليجعل آخر صلاته وترا ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك ، فإذا كان الفجر فقد ذهبت صلاة الليل والوتر ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أوتروا قبل الفجر ، وقال آخرون : وقت الوتر ما بين صلاة العشاء إلى أن تصلي الصبح ، وممن أوتر بعد الفجر عبادة وابن عباس وأبو الدرداء وحذيفة وابن مسعود وعائشة ، وقد روي ذلك عن ابن عمر أيضا ، وبه قال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور كلهم يقول : يوتر ما لم يُصَلِّ الصبح)[2] .

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ،رقم الحديث ١٢٩٥، والترمذي (٥٩٧)، والنسائي (١٦٦٦)، وابن ماجه (١٣٢٢)، وأحمد (٤٧٩١)

(٢) صيد الفوائد عبد الرحمن بن عبد الله السحيم عضو مركز الدعوة والإرشاد بالرياض.

س١٢: لماذا كانت صلاة الليل مثنى .. مثنى مع أن صلاة العشاء المفروضة رباعية بتشهدين؟.

ج١٢: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (إذا صلى الإنسان راتبة العشاء، ثم قام فصلى ثلاثاً جميعاً سردها سرداً ولم يجلس فلا بأس، قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعل هذا في بعض الأحيان، أوتر بثلاث لم يسلم إلا في آخرهن عليه الصلاة والسلام، فهذا نوع من السنة ولا حرج في ذلك، لكن يكره أن يجلس في الثانية ويأتيها ثم يقوم من دون سلام كالمغرب، لا، هذا يكره، بل إما أن يسلم من الثنتين وهو أفضل، ثم يأتي بواحدة وحدها مفردة هذا هو الأفضل، وهو الأكثر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن سردها من دون جلوس في الثانية، سردها سرداً ثم سلم في الثالثة فلا بأس بذلك، قد فعله النبي صلى الله عليه وسلم ، لكن الأحاديث الصحيحة الكثيرة فيها أنه كان يسلم من الثنتين، ثم يقوم فيأتي بركعة الوتر وحدها، هذا هو الأفضل، وهذا هو الأغلب من فعل النبي عليه الصلاة والسلام، و إذا نوى الجلوس في الثنتين ثم سها وقام، فالأفضل أن يرجع، الأفضل يرجع ويجلس ويكمل ويسجد للسهو، ثم يأتي الواحدة وحدها، ركعة الوتر وحدها؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: صلاة الليل مثنى ...مثنى، فإذا كان ما نوى سرد الثلاث، فإنه إذا قام يجلس، يجلس ويتشهد ويكمل تشهده ويدعو دعاءه، ثم يسجد سجدتين للسهو، ثم يسلم ثم يقوم فيأتي بواحدة، التي هي الوتر ، أما إذا نوى الثلاث يسردها سرداً فلا حرج عليه، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه سرد ثلاثاً جميعاً، وسرد خمساً جميعاً، لم يجلس إلا في آخرها عليه الصلاة والسلام، وثبت عنه أنه سرد سبعاً جميعاً وجلس في السادسة وتشهد ثم قام ولم يسلم، ثم أتى بالسابعة وتشهد وسلم، وثبت عنه أنه صلى تسعاً جميعاً، وجلس في الثامنة وتشهد ولم يسلم، ثم قام وأتى بالتاسعة، هذا كله ثابت من فعله صلى الله عليه وسلم، لكن الأفضل والأغلب والأكثر من فعله صلى الله عليه وسلم هو أنه يسلم من كل ثنتين، كما قال عليه الصلاة والسلام: صلاة الليل مثنى مثنى، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ثنتين، ثم يوتر بواحدة عليه

الصلاة والسلام، هذا هو الأفضل وهذا هو الأكثر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن من سرد ثلاثاً ولم يجلس إلا في الثالثة، أو خمساً ولم يجلس إلا في الخامسة فلا حرج عليه؛ لأن الرسول فعل هذا في بعض الأحيان عليه الصلاة والسلام، وهكذا لو سرد سبعاً وجلس في السادسة وتشهد ولم يسلم ثم قام للسابعة، أو سرد تسعاً وجلس في الثامنة وتشهد ولم يسلم، ثم قام فأتى بالتاسعة فهذا أيضاً لا بأس به، كلاهما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا حرج في ذلك)[1]. وهنا التفصيل :

١- اختلف الفقهاء في صفة قيام الليل من حيث صفتها العددية وذلك على قولين:

القول الأول :يستحب في قيام الليل أن يسلم من أربع ركعات ، وليس من ركعتين ، ولو صلاها ركعتين كانت صحيحة ولا شيء عليه ، وهذا مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، يقول الإمام السرخسي رحمه الله : التطوع بالليل ركعتان ركعتان ، أو أربع أربع ، أو ست ست ، أو ثمان ثمان ، أي ذلك شئت ؛ لما روي (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالليل خمس ركعات ، سبع ركعات ، تسع ركعات ، إحدى عشرة ركعة ، ثلاث عشرة ركعة)، والأربع أحب ، وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ولنا : ما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سئلت عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليالي رمضان ، فقالت : (كان قيامه في رمضان وغيره سواء ، كان يصلي بعد العشاء أربع ركعات ، لا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم أربعا لا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم كان يوتر بثلاث) ، ولأن في الأربع بتسليمة معنى الوصل والتتابع في العبادة ، فهو أفضل ، والتطوع نظير الفرائض ، والفرض في صلاة الليل العشاء ، وهي أربع بتسليمة ، فكذلك النفل[2].

القول الثاني :يجب أن تكون صلاة الليل مثنى ...مثنى ، بحيث يسلم من كل ركعتين وهو قول الحنابلة ، فإن زاد عن الركعتين بطلت صلاته .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) المبسوط ، ج١ ، ص ١٥٨ .

يقول ابن قدامة رحمه الله : (صلاة التطوع مثنى...مثنى ، يعني يسلم من كل ركعتين ، والتطوع قسمان ؛ تطوع ليل ، وتطوع نهار ، فأما تطوع الليل فلا يجوز إلا مثنى...مثنى ، هذا قول أكثر أهل العلم ، وبه قال أبو يوسف ، ومحمد . وقال أبو حنيفة : إن شئت ركعتين ، وإن شئت أربعا ، وإن شئت ستا ، وإن شئت ثمانيا ، ولنا : قول النبي صلى الله عليه وسلم : (صلاة الليل مثنى ..مثنى) متفق عليه ، وعن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مفتاح الصلاة الطهور ، وبين كل ركعتين تسليمة)[1] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (إذا كانت صلاة الليل والنهار مثنى ..مثنى ، فما الحكم لو قام الإنسان إلى ثالثة : الجواب : صلاته تبطل إذا تعمَّد ؛ لأنه إذا تعمَّد الزِّيادة على اثنتين ، فقد خالف أمْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الدَّال على أن صلاة الليل مثنى... مثنى ، وإذا خالف أَمْرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقد قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : (مَنْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أَمْرُنَا فهو رَدٌّ)، ولهذا قال الإمام أحمد : إذا قام إلى ثالثة في صلاة الليل ، فكأنما قام إلى ثالثة في صلاة الفجر ، ومن المعلوم أنه إذا قام إلى ثالثة في صلاة الفجر متعمِّداً بطلت صلاته بالإجماع ، فكذلك إذا قام إلى ثالثة في التطوُّع في صلاة الليل ، فإنَّ صلاته تبطل إنْ كان متعمِّداً)[2] .

القول الثالث :يستحب أن تكون صلاة الليل مثنى...مثنى ولا يجب ، فلو سلم من أربع فصلاته صحيحة ولا حرج عليه ، ولكنه خالف المستحب . وهو مذهب المالكية والشافعية على اختلاف يسير بينهما ، يقول النفراوي المالكي رحمه الله :(يكون تنفله مثنى ...مثنى ، أي ركعتين ...ركعتين ، ويكره أن يصلي أربعا من غير فصل بسلام)[3].

ويقول الإمام النووي رحمه الله :(الأفضل أن يسلم من كل ركعتين ، وسواء نوافل الليل والنهار ، يستحب أن يسلم من كل ركعتين ، فلو جمع ركعات بتسليمة ، أو تطوع بركعة

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٩١ .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٤ ، ص ٧٧ .
(٣) النفراوي المالكي، الفواكه الدواني ، ج١ ، ص ٢٠١ .

واحدة، جاز عندنا)[1].وقال الإمام الرملي الشافعي رحمه الله :(الأفضل للمتنفل ليلا ونهارا أن يسلم من كل ركعتين ، بأن ينويهما ابتداء ، أو يقتصر عليهما في حالة الإطلاق ؛ لخبر : (صلاة الليل والنهار مثنى ..مثنى) والمراد بذلك أن يسلم من كل ركعتين ؛ لأنه لا يقال في الظهر مثلا مثنى . أما التنفل بالأوتار فغير مستحب)[2] .

٢- أما الصحابي الذي كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ، ثم يذهب بعد ذلك إلى قومه ، فيصلي بهم العشاء ، فهو معاذ بن جبل رضي الله عنه ، فقد روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ كَانَ يُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى قَوْمِهِ ، فَيُصَلِّي بِهِمْ تِلْكَ الصَّلَاةَ)[3] .

ولا يظهر أن حديث معاذ من هذا الباب : باب التطوع بالنفل المطلق ، سواء كان ذلك في الليل ، أو في النهار ؛ وإنما هو في باب آخر : باب التطوع بـ"إعادة صلاة الفريضة" ، مرة أخرى ، لأجل تحصيل فضيلة شرعية ؛ إما لحضور الجماعة ، وهو صلى منفردا ، أو لأجل الصدقة على المنفرد ، لتكون له جماعة ، كما في حديث أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر رجلاً يصلي وحده ، فقال : (أَلَا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا ، فَيُصَلِّيَ مَعَهُ)[4]، وصححه الشيخ الألباني في " صحيح سنن أبي داود ، قال ابن عبد البر رحمه الله : (وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأُولَى فَرْضُهُ وَالثَّانِيَةَ تَطَوُّعٌ (لَهُ) وَتَدُلُّ أَيْضًا على إعادة الصلاة مَعَ الْإِمَامِ أَنَّهُ أَمْرٌ عَامٌّ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ وَلَا تَعْيِينٍ..)[5].

وبوب مجد الدين ابن تيمية في (المنتقى) على هذا الحديث ، وما يشبهه : (بَابُ الرُّخْصَةِ فِي إعَادَةِ الْجَمَاعَةِ وَرَكْعَتَيْ الطَّوَافِ فِي كُلِّ وَقْتٍ) قال الشوكاني رحمه الله :

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٣٠ .
(٢) الإمام الشافعي ، نهاية المحتاج ، ج٢ ، ص ١٣٠ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦١٠٦ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٤٦٥ .
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٥٧٤ .
(٥) ابن عبد الر ، التمهيد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

(وَظَاهِرُهُ عَدَمُ الْفَرْقِ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الْأُولَى جَمَاعَةً أَوْ فُرَادَى ، لِأَنَّ تَرْكَ الِاسْتِفْصَالِ فِي مَقَامِ الِاحْتِمَالِ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْعُمُومِ فِي الْمَقَالِ ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: قَالَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ: إنَّمَا يُعِيدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْإِمَامِ فِي جَمَاعَةٍ مَنْ صَلَّى وَحْدَهُ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي غَيْرِ بَيْتِهِ ، وَأَمَّا مَنْ صَلَّى فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ قَلَّتْ فَلَا يُعِيدُ فِي أُخْرَى قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ ، وَلَوْ أَعَادَ فِي جَمَاعَةٍ أُخْرَى لَأَعَادَ فِي ثَالِثَةٍ وَرَابِعَةٍ إلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ ، وَهَذَا لَا يَخْفَى فَسَادُهُ)[٢] ، [٤].

س١٣: لماذا شرع السواك قبل الصلاة ؟.

ج١٣: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: (يستحب السواك عند الوضوء عند المضمضة، ويستحب السواك أيضًا عند الدخول في الصلاة قبل أن يكبر للإحرام يستاك ثم يكبر، سواء كان إمامًا أو مأمومًا أو منفردًا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وفي اللفظ الآخر: مع كل صلاة فدل ذلك على أنه يستحب السواك عند الوضوء وعند الصلاة فرضًا ونفلا.

قد صحت الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في فضل السواك والترغيب فيه، ومن ذلك ما رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وهذا يدل على تأكد السواك وشرعيته؛ لأنه صلى الله عليه وسلم رغب فيه وحرض عليه، وإنما أراد أمر الوجوب، يعني: لأمرت أمر إيجاب، وإلا فأمر الاستحباب قد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام ما يدل على استحبابه وشرعيته.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : السواك مطهرة للفم مرضاة للرب خرجه النسائي وغيره بإسناد صحيح، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عليه الصلاة والسلام يبدأ بالسواك إذا دخل منزله عليه الصلاة والسلام و كان يستعمل

---

(١) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٣ ، ص ١١٢ .
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية"، ج ٢٧، ص ١٧٣-١٧٥.وانظر ، الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٣ / ١٢ / ٢٠١٣ م.

السواك كثيراً عليه الصلاة والسلام، وكان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك رواه الشيخان من حديث حذيفة رضي الله عنه ، والأحاديث في هذا كثيرة تدل على شرعية السواك، واستحبابه، وهو يتأكد عند الصلاة قبل أن يكبر الإمام، يستاك قبل أن يكبر، السنة أن يستاك عند الصلاة قبل أن يكبر، فإذا كبر الإمام بادر وكبر بعده.

كذلك عند المضمضة عند الوضوء في أول الوضوء وهكذا عند دخول المنزل، وهكذا إذا تغير الفم والأسنان يستحب أن يستاك حتى يزيل الرائحة السيئة من الفم، وحتى يحصل بذلك تنظيف الأسنان، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وهذا يعم الصائم وغير الصائم، في آخر النهار وفي أوله، وفي الليل والنهار، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يكره في آخر النهار للصائم، لقوله صلى الله عليه وسلم : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

قالوا: السواك يزيل هذا الخلوف أو يخففه، والصواب أنه لا يكره للصائم، في آخر النهار، بل يستحب دائماً؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قال: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء وعند كل صلاة وهذا يعم الصائم وغيره، ويعم صلاة الظهر والعصر في حق الصائم وغيره، ولهذا الخلوف لا يزول بل يبقى؛ لأن الخلوف شيء يتصاعد من الجوف في حق الصائم، فالسواك لا يزيله بل بعد رفع السواك يحصل تصاعد هذا الخلوف الذي هو مفضل عند الله سبحانه وتعالى .

ثم خبر الخلوف خاص بمعنى يقتضي ترغيب الصائم في الصيام، وبيان فضل الصيام وأنه له عند الله منزلة عظيمة ولا يمنع في مسألة السواك، فالمشروع لكل مؤمن أن يعتني بالسواك كما شرعه الله جل وعلا على يد رسوله عليه الصلاة والسلام وأن يحرص عليه إحياءً للسنة وتعظيماً لها وترغيباً فيها حتى يتأسى به غيره.

وهكذا بقية السنن مثل الوتر فإنه متأكد ما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، يستحب للمؤمن أن يوتر في السفر والحضر وأقله ركعة، وليس له حد لكن أقله ركعة، وإن أوتر بثلاث أو بخمس أو بأكثر كان أجره أعظم، والأفضل أن يوتر بوتر النبي صلى الله عليه

وسلم إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة، وإن أوتر بأقل أو بأكثر فلا حرج في ذلك، وهكذا صلاة الضحى سنة مؤكدة وأقلها ركعتان وإن صلى أكثر فلا بأس، هكذا سنة الظهر.. سنة المغرب.. سنة العشاء.. سنة الفجر، وهكذا بقية السنن، سنة الظهر أربع قبلها وثنتان بعدها، يعني: تسليمتين قبلها والسنة ركعتان بعدها، سنة المغرب ركعتان بعدها، سنة العشاء ركعتان بعدها، سنة الفجر ركعتان قبلها، يستحب قبل العصر أربع، لقوله صلى الله عليه وسلم : رحم الله امرءاً صلى أربعاً قبل العصر يعني من تسليمتين، ويستحب أن يصلي أمام كل صلاة ركعتين، قبل المغرب.. قبل العشاء لقوله صلى الله عليه وسلم: بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة: لمن شاء وهكذا عيادة المريض، تشميت العاطس إذا حمد الله، البداءة بالسلام وإفشاء السلام، نصيحة المسلمين، اتباع الجنائز، الصلاة على الجنائز، كل هذه سنن عظيمة ينبغي للمؤمن العناية بها.

وهكذا صدقة التطوع ولو بشق تمرة، والدعوة إلى الخير والتشجيع عليه، حفظ اللسان عن فضول الكلام التي لا فائدة فيها إلى غير هذا مما ينبغي للمؤمن أن يعتني به)[١].

(واتفق العلماء على استحباب السواك عند الوضوء ، وذلك لقول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ)[٢] ، ورواه أحمد واللفظ : (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ)[٣].

واختلف العلماء في وقت السواك عند الوضوء ، فمنهم من قال : قبل التسمية للوضوء ، ومنهم من قال : عند المضمضة .

قال ابن نجيم رحمه الله : (واختلف في وقته : ففي (النهاية) و (فتح القدير) – من كتب المذهب الحنفي – أنه عند المضمضة، وفي (البدائع) و (المجتبى) : قبل الوضوء ، والأكثر

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز رحمه الله ، تفريغ نصي .
(٢) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، رقم الحديث ١٤٠ ، وصححه الألباني في إرواء الغليل ج١ ، ص ١٠٩ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ،رقم الحديث ٩٦١٢ ، وصححه الألباني في "صحيح الجامع (٥٣١٧) .

على الأول ، وهو الأولى ؛ لأنه الأكمل في الإنقاء)[1].

وقال الزركشي رحمه الله :(يتأكد استحباب السواك في مواضع منها عند الصلاة ، وعند المضمضة في الوضوء)[2].

وقال الشرواني رحمه الله :(الذي مشى عليه المصنف – يعني ابن حجر الهيتمي – تبعا لجماعة أنه قبل التسمية ، والمعتمد : أن محله بعد غسل الكفين وقبل المضمضة)[3].

والذي يظهر : **أن الأمر في هذا واسع** ، **حيث لم يرد دليل صريح من السنة في تحديد وقته** .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" والسواك مع الوضوء يكون مع المضمضة ؛ لأن هذا هو محل تطهير الفم ، والسواك لتطهير الفم ، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) فيكون السواك مع المضمضة ، وإن شئت تسوكت بعد انتهاء الوضوء ، وإن شئت قبل البداية ، ولكن أفضل ما يكون مع المضمضة[4].

وقال أيضا :(قال أهل العلم : ومحله عند المضمضة ؛ لأن المضمضة هي التي يكون بها تطهير الفم ، فيكون عند المضمضة ، فإن لم يتيسر له ذلك فبعد الوضوء ، والأمر في هذا واسع)[5] .

وظاهر كلام الشيخ الألباني رحمه الله أنه يرى أن السواك قبل التسمية في الوضوء ، فإنه قال : (صفته – يعني الوضوء – : السواك ، التسمية ، غسل الكفين ثلاثا – وهما سنة – المضمضة والاستنشاق والاستنثار)[6]، [7] .

---

(١) ابن نجيم ، البحر الرائق ، ج١ ، ص ٢١ .
(٢) الزركشي ، شرح الزركشي ، ج١ ، ص ٣٠ .
(٣) الشرواني ، حواشي الشرواني ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٤) ابن عثيمين ، الشرح المختصر من بلوغ المرام ، ج٢ ، ص ٤٤ .
(٥) ابن عثيمين ، لقاء الباب المفتوح ، ج٣١ ، ص ١٣٣ .
(٦) الألباني ، الثمر المستطاب ، ص ٩ .
(٧) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٨ / ١ / ٢٠١١ م.

س١٤: لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن زخرفة المساجد ؟ وهل زخرفتها من علامات يوم القيامة ؟.

ج١٤: زخرفة المساجد ونقشها والتفاخر بها من علامات يوم القيامة ، فقد روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد)[(١)]. وفي رواية للنسائي وابن خزيمة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ومن أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد)[(٢)]. .

قال البخاري: (قال أنس: يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً، فالتباهي بها العناية بزخرفتها)[(٣)] ، قال ابن عباس: (لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى)[(٤)].

وقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن زخرفة المساجد لأن ذلك يشغل الناس عن صلاتهم. وقال عندما أمر بتجديد المسجد النبوي (أَكِنَّ الناسَ من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس)[(٥)] ، ورحم الله عمر فإن الناس لم يأخذوا بوصيته، ولم يقتصروا على التحمير والتصفير، بل تعدوا ذلك إلى نقش المساجد كما ينقش الثوب، وتباهى الملوك والخلفاء في بناء المساجد وتزويقها حتى أتوا في ذلك بالعجب، ولا زالت هذه المساجد قائمة حتى الآن كما في الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس وغيرها. وحتى الآن لا يزال المسلمون يتباهون في زخرفة المساجد ، ولا شك أن زخرفة المساجد علامة على الترف والتبذير، وعمارتها إنما تكون بالطاعة والذكر فيها، ويكفي الناس ما يكنهم من الحر والقر والمطر، وقد جاء الوعيد بالدمار إذا زخرفت المساجد وحليت المصاحف، فقد روى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (إذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم)[(٦)]

---

(١) رواه أحمد (١٣٤/٣) (١٢٤٠٢)، ورواه أبو داود (٤٤٩) وسكت عنه. وصحح إسناده عبدالحق الإشبيلي في (الأحكام الصغرى ١٨١) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، وصححه النووي في (الخلاصة ٣٠٥/١)، وابن دقيق العيد في (الاقتراح ١١٤).

(٢)) (رواه النسائي (٣٢/٢)، ابن خزيمة (٢٨٢/٢) (١٣٢٣). والحديث حسنه ابن حجر في (تخريج مشكاة المصابيح ٣٣٦/١) كما قال ذلك في المقدمة، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي).

(٣) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٤٤٦)، ووصله أبو يعلى في مسنده (١٩٩/٥) (٢٨١٧)، وانظر (تغليق التعليق لابن حجر (٢٣٦/٢).

(٤) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٤٤٦)، ووصله ابن حجر في ((تغليق التعليق)) (٢٣٨/٢)) .

(٥) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم قبل حديث (٤٤٦)

(٦) رواه الحكيم الترمذي في (نوادر الأصول ٢٥٦/٣). وحسنه الألباني في (صحيح الجامع (٥٨٥).

قال المناوي: (فزخرفة المساجد، وتحلية المصاحف منهي عنها، لأن ذلك يشغل القلب، ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى، والذي عليه الشافعية أن تزويق المسجد ولو الكعبة بذهب أو فضة حرام مطلقاً وبغيرهما مكروه)[١]،[٢] .

س١٥: لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم الأئمة عن الإطالة في الصلاة ؟ وهل للمأموم أن يصلي صلاة خفيفة إذا كانت الإطالة في الصلاة تشق عليه ؟.

ج١٥: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (هذا هو المشروع للأئمة أن لا ينفروا الناس، لا بالإطالة ولا بالتأخر عنهم عن الوقت الذي ينبغي أن تقام فيه الصلاة، بل ينبغي للإمام أن يتحرى الرفق بالجماعة من جهة المواظبة على إقامة الصلاة في وقتها ومن جهة عدم الإطالة، تكون قراءته وركوعه وسجوده على وجه ليس فيه شدة ليس فيه إطالة، يتحرى صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يفعله عليه الصلاة والسلام، قال أنس رضي الله عنه : ما صليت خلف إمام أتم صلاة ولا أخف صلاة من النبي عليه الصلاة والسلام ويقول صلى الله عليه وسلم : أيها الناس! أيكم أم الناس فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف وذا الحاجة ، فوصيتي لجميع الأئمة أن يلاحظوا هذا الأمر، وأن يجتهدوا بالرفق برعيتهم والحرص على تشجيعهم على الصلاة في الجماعة وعدم تنفيرهم، وقد اشتكى بعض الناس معاذًا وقالوا: إنه يطيل فغضب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وقال: أيها الناس! إن منكم منفرين وشد في ذلك عليه الصلاة والسلام، فالسنة كون الإمام أن يتحرى الرفق بالمأمومين وعدم الإطالة عليهم، لكن لا يكون تخفيفه مخلًا بالصلاة، يكون تخفيفه معه التمام، تخفيف معه تمام في قراءته وركوعه وسجوده بحيث يركد في القراءة ويقرأ مثلما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم كالغاشية والعلق والبروج وأشباهها في الظهر والعصر والعشاء، وهكذا دون ذلك في المغرب كالزلزلة والعاديات والضحى وأشباه ذلك)[٣] .

(عن جابر قال كان معاذ يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي فيؤم قومه

---

(١) المناوي ، فيض القدير، ج١ ، ص ٣٦٧ .
(٢) يوسف الوابل ، أشراط الساعة ، ص ١١٣ ، انظر الدرر السنية الموسوعة العقدية ، الشيخ السقاف .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

فصلى ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ثم أتى قومه فأمهم فافتتح بسورة البقرة فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده وانصرف فقالوا له أنافقت يا فلان قال لا والله ولآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأخبرنه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنا أصحاب نواضح نعمل بالنهار وإن معاذا صلى معك العشاء ثم أتى فافتتح بسورة البقرة فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على معاذ فقال: «يا معاذ أفتان أنت اقرأ بكذا واقرأ بكذا» قال سفيان فقلت لعمرو إن أبا الزبير حدثنا عن جابر أنه قال اقرأ والشمس وضحاها والضحى والليل إذا يغشى وسبح اسم ربك الأعلى فقال عمرو نحو هذا. متفق عليه

حكم إطالة الإمام في الفريضة.

اتفق الفقهاء على عدم مشروعية تطويل الإمام على المأمومين وأن المشروع في حقه تخفيف الصلاة إلا إذا علم منهم الرغبة في الإطالة وكانوا محصورين والدليل على عدم مشروعية التطويل ما ثبت عن أبي هريرة: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير فإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء)، ولغيره من الأحاديث.

واختلفوا في حكم التطويل من حيث التحريم أو الكراهة على قولين:

القول الأول: أن تطويل الإمام على المأمومين محرم وهو قول الحنفية، والشافعي واختاره ابن بطال، وابن عبد البر ومقتضى قول ابن حزم، والشوكاني ، واستدلوا بالأدلة التالية :

١- حديث جابر رضي الله عنه وفيه زجْر النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه.

٢- حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه الأمر بالتخفيف.

ووجه الدلالة من الحديثين : أن حديث معاذ رضي الله عنه فيه النهي له بل الإنكار عليه، والأصل في النهي التحريم ، وفي حديث أبي هريرة أمر بالتخفيف والأصل فيه أنه للوجوب لذا فمخالفته حرام.

٣- حديث أبي مسعود رضي الله عنه أن رجلا قال والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله رسول الله صلى الله

عليه وسلم في موعظة أشد غضبا منه يومئذ ثم قال: (إن منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة)[١] ، ويمكن أن يقال في وجه الدلالة منه:(أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب من هذا الفعل، وغضبُ النبي صلى الله عليه وسلم وإنكاره لا يكون من شيء مكروه).

القول الثاني: أن تطويل الإمام على المأمومين مكروه؛ فالمستحب له التخفيف مع الإتمام وبه قال المالكية، والشافعية، والحنابلة ، واستدلوا بالأدلة التالية :

استدل أصحاب هذا القول بالأدلة السابقة إلا أنهم حملوا دلالتها على الكراهة فقط ولم أجد لهم صارفاً يصار إليه.

ولعلهم جعلوا الأحاديث التي أطال فيها النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، صارفة للنهي من التحريم إلى الكراهة ومنها:

١- عن عائشة رضي الله عنها :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة المغرب بسورة الأعراف، فرقها في الركعتين)[٢].

٢- عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور)[٣].

ويمكن أن يقال في وجه الدلالة من هذين الحديثين: أن النبي صلى الله عليه وسلم أطال فيهما القراءة، فهو لبيان الجواز؛ فيكون التخفيف والحالة هذه سنة وليس واجباً.

ويمكن أن يجاب عنه بما يلي:

١- أن هذا خارج محل النزاع؛ لأن الغالب العام من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم هو التخفيف ولعل هذا التطويل الذي كان مرة أو مرتين ووافق رغبة من الصحابة في التطويل وهذا متصور إلى حد كبير إذا كان الإمام هو النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٠٢ .
(٢) النووي ، المجموع ، ج٣ ، ص ٣٨٣ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٥٠ .

٢- أن إطالة النبي صلى الله عليه وسلم دليل فعلي، وأدلة التخفيف قولية، والقول مقدم على الفعل عند الترجيح بينهما.

الترجيح: مما تقدم يظهر أن الراجح هو القول الأول وهو تحريم الإطالة في حق المأمومين.

قال ابن عثيمين رحمه الله مرجحا هذا القول: وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام غضب في هذه الموعظة من أجل الإطالة فكيف نقتصر على السنية في التخفيف ، ولهذا؛ فإنَّ القولَ الذي تؤيُّده الأدلة: أنَّ التطويلَ الزائدَ على السنَّةِ حرامٌ؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام غضب لذلك.

دلالة النهي عن إطالة الإمام في الفريضة :تقدم إيراد النصوص في المسألة وفيها الأمر بتخفيف الصلاة والنهي والزجر عن الإطالة فيها، ومقتضى ذلك تحريم الإطالة في الصلاة وأما الصوارف المذكورة فيمكن الإجابة عنها بما تقدم[(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :(والواجب على الإمام وكل من أقيم على عمل من الأعمال أن يراعي جانب السنة فيه وأن لا يخضع لأحد لمخالفة السنة ول بأس إذا دعت الضرورة والحاجة أحياناً أن يخفف كما كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفعل ذلك، أما في الأحوال الدائمة المستمرة فلزوم السنة هو مقتضى الإمامة، فكن ملازماً لفعل السنة وأخبر الناس أنهم إذا صبروا على هذا نالوا ثواب الصابرين على طاعة الله، ولو ترك التخفيف وعدمه إلى أهواء الناس لتفرقت الأمة شيعاً، ولكان الوسط عند قوم تطويلاً عند الآخرين، فعليك بما جاء بالسنة وهي معروفة ولله الحمد.

ولهذا أنصح كل إمام يتولى إمامة المسلمين في المساجد أن يحرص على قراءة ما كتبه العلماء في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم مثل كتاب الصلاة لابن القيم وهو كتاب معروف، وكذلك ما ذكره رحمه الله في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد).

ويقول رحمه الله : الخيار بين الأمرين، بدليل ما جاء في قصة الرجل الذي انفرد وصلى

---

(١) د . عبد الرحمن بن عوض القرني ، موقع المسلم ٢٤ ربيع الثاني ١٤٣٩د

وحده حين أطال معاذ بن جبل رضي الله عنه بهم القراءة، فلما سلم معاذ بن جبل قال إن هذا الرجل قد نافق وشكاه الرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لمعاذ: (يا معاذ أفتان أنت، فلولا صليت بسبح اسم ربك، والشمس وضحاها، و الليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة). وهذا دليل على أن المأموم إذا كان له عذر أن ينفرد عن الإمام. وقال بعض العلماء: له أن يتمها خفيفة، وله أن يقطعها، والأولى أن يتمها خفيفة إن تمكن، وإلا قطعها ولا حرج عليه)[1] .

س١٦: لماذا شرع الله تعالى المسح على الخفين؟.

ج١٦ : المسح على الخفين من مسائل الفقه وليست من مسائل العقيدة ؛ ولكنها أُدْخِلَتْ في مسائل الاعتقاد لأجل أنَّ "أهل السنة" تميَّزُوا بأنهم يرون المسح على الخفين خلافا للطوائف المنحرفة من (الروافض) و(الخوارج) وغيرهم ، ولأجل هذه المخالفة صارت هذه المسألة عَلَمًا يُمَيِّزْ أهل العقيدة الصحيحة عن أهل البدع والأهواء وأصحاب العقائد الباطلة ، بل صارت ميزانا منهجيا يُفَرَّقُ به ما بين السني وما بين الرافضي والخارجي ونحوهما. وهذا هو وجه إيراد المسألة في مصنفات كتب العقيدة السلفية:

١- من أوائل الأئمة الذين قرروا تلك المسألة الإِمَامُ سُفيَان الثوري في عقيدته حيث قال لشعيب بن حرب بعد أن أملى عليه جملة من أصولِ أهل السنة والجماعة : ‹ يا شعيبُ بن حرب : لا ينفعكَ ما كتبتُ لكَ حتى ترى المسحَ على الخفين دونَ خلعِهما أعدلَ عندكَ من غسلَ قدمَيك[2] ، بل قال رحمه الله : (من لم يمسح على الخفين فاتهموه على دينكم)[3].

٢- وعَدَّ سهل بن عبد الله التستري المسح على الخفين من خصال أهل السنة)[4].

---

(١) ابن عثيمين ، مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين ، ج١٥ ، ص ٢١٩- ٢٢٠ .

(٢) للالكائي ، أصول الاعتقاد ، ج١ ، ص ١٧٠ .

(٣) أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٧ ، ص ٣٢ .

(٤) اللالكائي ، السنة ، ١ ، ص ٣٣ ، كما قرر ذلك أيضا الإمام حنيفة (في الفقه الأكبر ص٤) وأبو الحسن الأشعري في (الإبانة ص٦١) ، والطحاوي في (عقيدته ٢/٥٥٢) ، وابن بطة في (الإبانة الصغرى ص ٢٨٧) ، والبربهاري في (شرح السنة ص٣٠).

٣- وقال الإمام محمد بن نصر المروزي : (وقد أنكر طوائف من أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض المسح على الخفين)[(١)].

٤- وقال الإمَامُ النوَوِيُ : (أجمع من يُعتَدُّ به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها... وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم)[(٢)] .

٥- وقال الإمام الشعبي : (واليهود لا يرون المسح على الخفين ، وكذلك الرافضة)[(٣)] .

٦- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (وقد تواترت السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين ، وبغسل الرجلين ، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة ، كما تخالف الخوارج نحو ذلك)[(٤)] .

٧- وقال ابن أبي العز شارحا كلام الطحاوي : (ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر) ، قال : (تواترت السُنَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين ، و"الرافضة" تخالف هذه السنة المتواترة ...)[(٥)] ، يريد بذلك أَنَّ أهل السنة والجماعة المتبعين للآثار لا يُعَارِضُون الآثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام بالأَقْيِسَةْ أو بالدِّلالات العقلية ، وإنما يجعلونها مُقَدَّمَةً على ما هو دونها من القياس والدلالة العقلية ونحو ذلك ؛ لأنَّ منهج الاستدلال عندهم يُؤْخَذَ بما جاء في الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الحكمة من المسح على الخفين هي أن هذا المسح يقوم مقام غسل الرجل وذلك لأن الواجب على الإنسان في الوضوء أن يطهر أربعة

(١) اللالكائي ، السنة ، ١ ، ص ١٠٤ ، والنووي في المجموع ، ج١ ، ص ٥٠٠ .
(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٦٠ .
(٣) ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج١ ، ص ٣٣ .
(٤) المصدر السابق ، ج٤ و ص ١٧٤ .
(٥) ابن أبي العز ، شرح الطحاوية ، ص ٤٣٧ – ٤٣٩ .

أعضاء :(الوجه واليدين والرأس والرجلين)، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن الإنسان إذا كان لابساً جوارب أو خفين، فإنه لا يكلف أن ينزعهما ثم يغسل قدميه لما في ذلك من المشقة في النزع والإدخال مرة أخرى وستكون الرِّجْلُ أيضاً رطبة بالماء فيترطب الجورب أو الخف فيزداد أذى بهذه الرطوبة فمن رحمة الله سبحانه وتعالى أن شرع لعباده أن يمسحوا على الخفين أو الجوربين بدلاً عن غسل الرجلين ولكنه في مدة محددة وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر تبتدئ هذه المدة من أول مرة مسحها بعد الحدث وما قبلها لا يحسب من المدة فإذا قُدِّرَ أنَّ شخصاً لبس الجوربين لصلاة الفجر وبقي على طهارته إلى صلاة المغرب ومسحهما أول مرة بعد الحدث لصلاة المغرب فإن ما قبل صلاة المغرب لا يحسب من المدة فله أن يمسح إلى المغرب من اليوم الثاني إذا كان مقيماً وإلى ثلاثة أيام إذا كان مسافراً، **وإنه بهذه المناسبة ينبغي أن نعرف أن المسح على الخفين لا بد له من شروط**:

١- أن يلبسهما على طهارة.

٢- أن يكونا طاهرين ودليل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة حينما أراد أن يخلع خفيه قال له النبي عليه الصلاة والسلام: (دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين) .

٣- أن يكون ذلك في الحدث الأصغر لا في الجنابة، فإن حصل عليه الجنابة وجب عليه خلع الجوربين أو الخفين وغسل الرجلين ودليل ذلك حديث صفوان بن عسَّال رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا سَفْراً ألا ننزع خفافنا إلا من جنابة ولكن من غائط وبول ونوم)[1].

٤- أن يكون في المدة التي قدرها النبي صلى الله عليه وسلم وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، فلو مسح بعد انتهاء مدة المسح فإن وضوءه غير صحيح وعليه أن يعيده ويتوضأ من جديد وضوءً كاملاً يغسل فيه قدميه هذه الشروط التي دلت

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٩٦ .

عليها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1].

وذهب جمهور العلماء (منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي) إلى أن غسل القدمين أفضل ، قالوا : لأن غسل القدمين هو الأصل ، فكان أفضل[2] .

وذهب الإمام أحمد إلى أن المسح على الخفين أفضل ، واستدل بـ :

١- أنه أيسر ، و (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ)[3] .

٢- أنه رخصة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)[4].

٣- أن في المسح على الخفين مخالفةً لأهل البدع الذين ينكرونه ، كالخوراج والروافض .

وقد كثرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فعل كل منهما ، غسل القدمين ، والمسح على الخفين ، مما جعل بعض العلماء يقول : المسح والغسل سواء ، وهو ما اختاره ابن المنذر رحمه الله .

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أن الأفضل في حق كل واحد ما كان موافقاً للحال التي عليها قدمه ، فإن كان لابساً للخف فالأفضل المسح ، وإن كانت قدماه مكشوفتين فالأفضل الغسل ، ولا يلبس الخف من أجل أن يمسح عليه، ويدل لهذا حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لما أراد أن ينزع خفي النبي صلى الله عليه وسلم ليغسل قدميه في الوضوء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (دَعْهُمَا ، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ ، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا)[5]، فهذا يدل على أن المسح أفضل في حق من كان يلبس الخفين ، ويدل لذلك أيضاً ما رواه الترمذي عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله

---

(١) ابن عثيمين ، فتاوى نور على الدرب الموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين ، ، تفريغ نصي .
(٢) النووي ، المجموع ، ج١ و ص ٥٠٢ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٥٦٠ ، وعند الإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ٢٣٢٧ .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٥٨٣٢ ، وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (٥٦٤).
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٠٦ ، وعند الإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ٢٧٤ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَنْ لا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ إِلا مِنْ جَنَابَةٍ ، وَلَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ .. فالأمر بالمسح يدل على أنه أفضل ، ولكنه في حق لابس الخف ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية :(وفصل الخطاب : أن الأفضل في حق كل واحد ما هو الموافق لحال قدمه . فالأفضل لمن قدماه مكشوفتان : غسلهما ولا يتحرى لبس الخف ليمسح عليه ، كما كان عليه أفضل الصلاة والسلام يغسل قدميه إذا كانتا مكشوفتين ، ويمسح قدميه إذا كان لابسا للخف)[2] .

وقال ابن القيم في زاد المعاد :(ولم يكن يتكلف ضد حاله التي عليها قدماه ، بل إن كانتا في الخف مسح عليهما ولم ينزعهما ، وإن كانت مكشوفتين غسل القدمين ، ولم يلبس الخف ليمسح عليه ، وهذا أعدل الأقوال في مسألة الأفضل من المسح والغسل ، قاله شيخنا (يعني شيخ الإسلام ابن تيمية)[3]، [4] .

(وحكى نحوه القاضي أبو الطيب بن الباقلاني عن أبي بكر بن داود الظاهري قال: والتحقيق عن مالكٍ وجلِّ أصحابه: القول بجواز المسح على الخف في الحضر والسفر". ومن روى عنه عدم المسح على الخف فإنما يريد بذلك أنَّ الغَسل أفضل عنده، هو يفضِّل الغَسل عليه، فلا داعي للمسح حينئذ ما دام الغَسل أفضل)[5].

س١٧: لماذا أنكر الخوارج والرافضة مشروعية المسح على الخفين ؟

ج١٧: الشيعة الرافضة معروف رأيهم وأنهم يقولون بالمسح على القدَم، في مقابل ذلك من ابتدع كان في مقابل بدعته نفيٌ لسُنَّة؛ فهم يمسحون على القدم، ويمنعون المسح على الخفِّ، والخوارج: الذين من منهجهم عدم الاحتجاج بالسُّنَّة، وهم لا يرون ذلك في كتاب الله، وهذا جارٍ على طريقتهم ومنهجهم.

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٩٦ ، حسنه الألباني في "إرواء الغليل" (١٠٤) .
(٢) المرداوي ، الإنصاف ، ج١ ، ص ٣٧٨ .
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ،ص ١٩٩ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٢ / ١ / ٢٠٠٥ م.
(٥) د. عبد الكريم الخضير ، موقع الدكتور عبد الكريم الخضير في الشبكة العنكبوتية .

س١٨: لماذا يجب عدم متابعة الإمام إذا تأكد المأمومون أنه زاد ركعة ؟.

ج١٨: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (إذا علم المأموم أن الإمام قد زاد ركعة لا يقوم معه، يجلس ينبهه، يقول: سبحان الله، سبحان الله، وعلى الإمام أن يرجع إذا سبحوا به اثنان فأكثر، عليه أن يرجع، ويجلس ويقرأ التحيات ويسجد للسهو ثم يسلم، فإن أبى ولم يرجع لا يتابعونه يجلسون وينتظرونه، حتى المسبوق الذي سبق لا يتابعه، يجلس لأنه خطأ، وهم يعلمون أنه خطأ فلا يتابعونه فإن تابعوه جاهلًا بالحكم الشرعي صلاتهم صحيحة، ولو عرفوا أنها زائدة إذا جهلوا الحكم الشرعي يحسبون أنه يلزمهم المتابعة فالصلاة صحيحة.

أما إن كانوا يعرفون الحكم الشرعي وأنه لا يجوز لهم ثم تابعوه تبطل صلاتهم، لأنهم تعمدوا الزيادة في الصلاة، أما إذا كانوا جهال ولو علموا أنها زائدة، مادام يظنون أنها تلزمهم المتابعة، فإن قيامهم معه لا يضرهم صلاتهم صحيحة لأنهم جهال.

أما من عرف أنها زائدة وعرف الحكم الشرعي وأنه لا يجوز له متابعة الإمام في الزيادة فإنه لا يقوم، لا يقوم ولا يتابعه وإذا تابعه بطلت صلاته.)[(١)].

وفي هذا شيء من التفصيل :

١- إذا جزم الإمام بصواب نفسه ، فلم يلتفت لتنبيه المأمومين ، وأتم صلاته ، وكان قد صلى خمس ركعات ، فصلاته صحيحة ولا شيء عليه ، ثم إذا تبين له الحال بعد السلام ، سجد سجدتين للسهو وسلّم .

٢- إذا علم المأموم بأن إمامه قام لركعة زائدة ، وجب عليه تنبيهه ، فإن لم يرجع ، لم يجز له متابعته ، بل يفارقه ، فيجلس ويأتي بالتشهد الأخير ويسلم ، فإن تابعه عالما بأن هذه الركعة هي الخامسة بطلت صلاته ، وأما من تابعه جاهلا أو ناسيا ، فصلاته صحيحة .

قال البهوتي في شرح منتهى الإرادات : (ومن سها فنبهه ثقتان لزمه الرجوع ما لم يتيقن

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

صوابَ نفسه فلا يجوز رجوعه . . "ثم ذكر أنه إن قام إلى خامسة لم يجز للمأموم متابعته لأنه " يعتقد خطأه ، وأن ما قام إليه ليس من صلاته . فإن تبعه جاهلا ، أو ناسيا ، أو فارقه : صحت له (أي الصلاة) ، ويلزم من علم الحال مفارقته ، ويسلم المفارق لإمامه بعد قيامه إلى الزائدة ، وتنبيهه وإبائه الرجوع ،إذا أتم التشهد الأخير)[١].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : إذا صلى الإمام خمسا سهوا فما حكم صلاته وصلاة من خلفه ؟ وهل يعتد المسبوق بتلك الركعة الزائدة ؟ فأجاب : (إذا صلى الإمام خمسا سهوا فإن صلاته صحيحة ، وصلاة من اتبعه في ذلك ساهيا أو جاهلا صحيحة أيضا ، وأما من علم بالزيادة فإنه إذا قام الإمام إلى الزائدة وجب عليه أن يجلس ويسلم ، لأنه في هذه الحالة يعتقد أن صلاة إمامه باطلة إلا إذا كان يخشى أن إمامه قام إلى الزائدة ، لأنه أخل بقراءة الفاتحة (مثلا) في إحدى الركعات فحينئذ ينتظر ولا يسلم (أي ينتظر حتى يسلم مع الإمام) ، وأما بالنسبة للمسبوق الذي دخل مع الإمام في الثانية فما بعدها فإن هذه الركعة الزائدة تحسب له ، فإذا دخل مع الإمام في الثانية مثلا سلم مع الإمام الذي زاد ركعة ، وإن دخل في الثالثة أتى بركعة بعد سلام الإمام من الزائدة ، وذلك لأننا لو قلنا بأن المسبوق لا يعتد بالزائدة للزم من ذلك أن يزيد ركعة عمدا ، وهذا موجب لبطلان الصلاة ، أما الإمام فهو معذور بالزيادة ، لأنه كان ناسيا فلا تبطل صلاته)[٢] ، [٣].

س١٩: لماذا يؤذن المؤذن أذانين يوم الجمعة ؟ وهل ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟.

ج١٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (بدأ الأذان للجمعة مرتين في عهد عثمان رضي الله عنه والسبب كثرة الناس، وقد صدر من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى في ذلك هذا نصها: ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)[٤].

---

(١) البهوتي ، منهى الإرادات ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
(٢) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، ج١٤ ، ص ١٩ .
(٣) الشيخ المنجد : موقع الإسلام سؤال وجواب في ٣ / ٧ / ٢٠٠٦ م.
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٦٦٩٥ .

والنداء يوم الجمعة كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كانت خلافة عثمان وكثر الناس أمر عثمان رضي الله عنه يوم الجمعة بالأذان الأول، وليس ببدعة لما سبق من الأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين، والأصل في ذلك ما رواه البخاري والنسائي والترمذي وابن ماجة وأبو داود واللفظ له: (عن ابن شهاب أخبرني السائب بن يزيد أن الأذان كان أوله حين يجلس الإمام على المنبر يوم الجمعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان خلافة عثمان وكثر الناس أمر عثمان يوم الجمعة بالأذان الثالث فأذن به على الزوراء فثبت الأمر على ذلك)[١] ،وقد علق القسطلاني في شرحه للبخاري على هذا الحديث بأن النداء الذي زاده عثمان هو عند دخول الوقت سماه ثالثًا باعتبار كونه مزيدًا على الأذان بين يدي الإمام والإقامة للصلاة، وأطلق على الإقامة أذان تغليبًا بجامع الإعلام فيهما، وكان هذا الأذان لما كثر المسلمون فزاده عثمان رضي الله عنه اجتهادًا منه ووافقه سائر الصحابة بالسكوت وعدم الإنكار فصار إجماعًا سكوتيًا)[٢].

س٢٠ : لماذا حرم الله البيع بعد الأذان يوم الجمعة ؟.

ج٢٠:يقول الشيخ ابن باز رحمه الله ك (البيع يحرم بعد الأذان الأول في الجمعة؛ لأن الله قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...(٩))[٣]. فلا يجوز البيع والشراء ولا الإجارة ولا المساقات ولا غير ذلك، بل يجب أن يتفرغ للعبادة ويبادر لصلاة الجمعة ولا يشتغل بشيء آخر ، أما الأوقات الأخرى فقد تلحق بالجمعة وقد لا تلحق، فالأحوط له أن لا يفعل شيئًا بعد الأذان، .. الظهر أو العصر أو المغرب؛ لأنه قد يشغله عن الجماعة، والأحوط له أن يحذر ذلك، إلا أن يكون شيئًا يسيرًا لا يشغل فلعله لا حرج فيه، لأن الله جل وعلا إنما جاء عنه النص في صلاة الجمعة؛ لأن أمرها عظيم ويجب حضورها،

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣٩٢ ، وأبو داود في (الصلاة) برقم (١٠٨٧) واللفظ له.
(٢) صدرت من مكتب سماحته برقم (٨٩٩) في ٦ / ١١ / ١٣٩٨ هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٢/ ٣٤٩).
(٣) سورة الجمعة .

وتفوت بفواتها فأمرها أعظم، وهي فرض الأسبوع ، فالمقصود أن الجمعة لا يقاس عليها غيرها، لكن إذا حذر هذا الشيء وابتعد عنه؛ لئلا يشغله عن الجماعة كان هذا أولى، وبكل حال إذا كان بيعه قد يشغله عن أداء الصلاة في الجماعة حرم، لكن في بعض الأحيان تكون الصلاة متأخرة .. يتأخر الإمام، ويمكن الإنسان أن في طريقه أن يشتري السلعة ويبيعها، فقد لا يضر حضوره الصلاة.)[1].

واختلف أهل العلم عند أي النداءين يحرم البيع ، على قولين :

١- مذهب الحنفية : يحرم البيع عند الأذان الأول .

٢- مذهب الجمهور : أن التحريم متعلق بالأذان الثاني الذي يكون عقب جلوس الإمام على المنبر [2]، والقول الراجح : هو قول الجمهور ؛ لأنه لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أذان واحد للجمعة – بعد أن يجلس الإمام على المنبر – ، فيتعين أن يكون هذا الأذان هو المراد في الآية (**فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ**) حين نزلت ، ولأن البيع عند هذا الأذان يشغل عن الصلاة ، ويكون ذريعة إلى فواتها ، أو فوات بعضها ،قال ابن قدامة في (المغني) : (والنداء الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم هو النداء عَقِيْب جلوس الإمام على المنبر ، فتعلق الحكم به دون غيره . ولا فرق بين أن يكون ذلك قبل الزوال أو بعده)[3] ، والدليل على أن النداء الأول إنما زيد في عهد عثمان رضي الله عنه ، حديث السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه قَالَ (كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ " قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ الزَّوْرَاءُ مَوْضِعٌ بِالسُّوقِ بِالْمَدِينَةِ)[4].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٩ ، ص ٢٢٤ .
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٤٥ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩١٢ .

وقوله (زاد النداء الثالث) معناه أن للجمعة ثلاثة نداءات :

١- الأذان الأول الذي زاده عثمان رضي الله عنه .

٢- الأذان الثاني الذي يكون عند الخطبة .

٣- الأذان الثالث وهو الإقامة ؛ لأن الإقامة تسمى أذاناً ، كما في حديث عبد الله بن مغفل المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ)[1].

قال الشيخ ابن عثيمين في مجموع الفتاوى: (الإقامة يطلق عليها اسم الأذان إطلاقاً تغليبياً كما في قوله صلى الله عليه وسلم : (بين كل أذانين صلاة " أي بين كل أذان وإقامة . أو إطلاقاً مجازياً أو حقيقياً باعتبار معنى الأذان العام لغة كما في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : (إن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كثر أهل المدينة)[2]،وليس في الجمعة سوى أذانين وإقامة ، فسمى الإقامة أذاناً إما تسمية مجازية أو حقيقية باعتبار معنى الأذان العام)[1، 2].

س٢١: لماذا كانت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة وفي العيدين والاستسقاء بعدها ؟.

ج٢١: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (لواجب على أهل الإسلام أن يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وأن يعملوا كعمله، ولا يزيدوا بآرائهم ولا يغيروا، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : صلوا كما رأيتموني أصلي، فالله أمر بالصلاة مجملة، وقال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) ، (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) ، والرسول بينها وفصلها عليه الصلاة والسلام، بقوله وفعله، فعلى المسلمين أن يتبعوا ولا يبتدعوا، ولا يجوز للمسلمين أن يقدموا خطبة العيد أو خطبة الاستسقاء.. خطبة العيد خاصة.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٤ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٩١٣ .
(٣) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، ج١٢ ، ص ١٨٠ .
(٤) الشيخ المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، في ١١ / ٤ / ٢٠٠٩ م.

أما الاستسقاء فقد جاء تقديمها وتأخيرها، لكن خطبة العيد لا تقدم بل يصلي ثم يخطب، هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وفعله خلفاؤه الراشدون والمسلمون، ولما فعل مروان ما يخالف السنة من تقديم الخطبة في العيد أنكر عليه أبو سعيد الخدري.

فالحاصل أن الواجب على المسلمين أن يصلوا كما صلى عليه الصلاة والسلام، والسنة للمسلمين أن يحضروا خطبة العيد وخطبة الاستسقاء ولا يعجلوا، هذه السنة لهم، أن يحضروها ويستفيدوا، ولكن خروج من خرج منهم لا يجوز تقديم الخطبة على الصلاة، بل تبقى على حالها كما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم ، يصلي العيد ثم يخطب، أما الجمعة فخطبتها قبلها، وأما الاستسقاء فقد جاء هذا وهذا، جاء الخطبة قبلها وبعدها، جاء في الخطبة كصلاة العيد وجاء الخطبة قبلها كصلاة الجمعة، فالأمر فيها واسع والحمد لله صلاة الاستسقاء)[1] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم خطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة قدم بتجارة، وكان دحية إذا قدم تلقاه أهله بالدفاف، فخرج الناس فلم يظنوا إلا أنه ليس في ترك الخطبة شيء، فأنزل الله عز وجل: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا)[2]. فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة وأخر الصلاة. رواه أبو داود.

جاء في تفسير الوسيط للطنطاوي: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ، ختم سبحانه السورة الكريمة بعتاب يحمل في طياته ثوب التأديب والإرشاد والتأنيب ، لمن آثر مطالب الدنيا على مطالب الآخرة فقال تعالى: (وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفضوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ . .) ، قال الإمام ابن كثير ما ملخصه : يعاتب - تبارك وتعالى - على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة الجمعة .

يوم الجمعة إلى التجارة ، التي قدمت المدينة يومئذ ، فقال : (وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفضوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً . .) ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن جابر قال : قدمت عِيرٌ أي : تجارة المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة –فخرج الناس ، وبقى اثنا عشر رجلا ، فنزلت هذه الآية .

وفى رواية عن جابر أيضا أنه قال : (بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عير إلى المدينة ، فابتدرها الناس ، حتى لم يبق مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا ، فقال صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده ، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد ، لسال بكم الوادي نارا ونزلت هذه الآية .

وفى رواية أن الذين بقوا في المسجد كانوا أربعين ، وأن العير كانت لعبد الرحمن بن عوف ، وكان قد أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر .

وفى رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخطب ، فقدم دحية الكلى بتجارة له فتلقاه أهله بالدفوف فخرج الناس .

و(إذا) في قوله تعالى : (وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً . .) ظرف للزمان الماضي المجرد عن الشرط ، لأن هذه الآية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن انفض عنه من انفض وهو يخطب وقوله : (انفضوا) من الانفضاض ، بمعنى التفرق . يقال : انفض فلان عن فلان إذا تركه وانصرف عنه ، وهو من الفض ، بمعنى كسر الشيء والتفريق بين أجزائه ، والضمير في قوله (إِلَيْهَا) يعود للتجارة ، وكانت عودته إليها دون اللهو ، لأن الانفضاض كان لها بالأصالة ، والمراد باللهو هنا : فرحهم بمجيء التجارة واستقبالهم لها بالدفوف ، لأنهم كانوا في حالة شديدة من الفقر وغلاء الأسعار ، والتعبير ب(أو) يشير إلى أن بعض المنفضين قد انفضوا من أجل التجارة ، وأن البعض الآخر قد انفض من أجل اللهو .

قال الجمل في حاشيته : والذى سوغ لهم الخروج وترك الرسول – صلى الله عليه وسلم – يخطب ، أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز ، لانقضاء المقصود وهو الصلاة ، لأنه

كان صلى الله عليه وسلم في أول الإسلام يصلى الجمعة قبل الخطبة كالعيدين ، فلما وقعت هذه الواقعة ، ونزلت الآية ، قدم الخطبة وأخر الصلاة[١] .

س٢٢: لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن مس الحصى للمصلين والإمام يخطب يوم الجمعة ؟.

ج٢٢:يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (الحصى يعني بذلك الحجارة الصغيرة التي تكون كالحجارة التي ترمى بها الجمرات وكان مسجد النبي صلى الله عليه وعلى وسلم مفروشا بهذه الحجارة ومراد النبي صلى الله عليه وعلى وسلم بهذا من مس الحصى أي على وجه العبث واللعب كأن يشتغل أثناء الخطبة بمسح هذا الحصى والكتابة عليه وما أشبه ذلك مما يحصل من العبث فيقول عليه الصلاة والسلام : (من مس الحصى -أي على وجه العبث- فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له) ففسر صلى الله عليه وسلم اللغو بأن الإنسان يحرم من فضيلة الجمعة وليس المراد أن صلاته لا تصح ونظير هذا قوله صلى الله عليه وعلى وسلم : (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له) والمراد أنه يحرم ثواب الجمعة وليس المراد أن جمعته لا تصح.

وإنني بهذه المناسبة أحذر مما يتهاون به بعض الناس من الكلام والإمام يخطب يوم الجمعة فإن ذلك من المحرمات وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالحمار يحمل أسفاراً فإن قال قائل إذا كان هناك الإمام يخطب يوم الجمعة ولكني لا أريد الصلاة معه وأريد الصلاة في مسجد آخر فهل يلزمني أن أنصت لخطبته فالجواب لا يلزمك فلو مررت بمسجد يصلي الجمعة وإمامه يخطب وأنت قاصد مسجدا آخر فليس عليك أن تنصت لهذا الخطيب الذي يخطب لأنه ليس الخطيب الذي تريد أن يوجه إليك النصيحة وكذلك لو فرض أنك تنتظر مجيء الإمام إلى المسجد فسمعت مسجدا آخر يخطب فإنه لا يلزمك الإنصات لخطبته لأنك لا تريد أن تتلقى التوجيه من ذاك الخطيب وإنما تريد أن تتلقى التوجيه من خطيب المسجد الذي أنت فيه.

---

(١) محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط ، تفسير سورة الجمعة .

وإنني بهذه المناسبة أقول إن ما يفعله بعض الناس اليوم من رفع الخطبة أو الصلاة من سماعات المنارة حتى يشوش على الآخرين أمر منكر نهى عنه النبي صلى الله عليه وعلى وسلم حين سمع أصحابه وهم يصلون أوزاعا يجهر بعضهم بالقراءة فقال صلى الله عليه وسلم :(لا يؤذين بعضكم بعضا في القراءة) وفي حديث آخر (لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة) فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا إيذاء وصدق عليه الصلاة والسلام فإن هذا الصوت الذي يسمع من الخارج يؤذي المصلين في المسجد الثاني ويشوش عليهم الاستماع إلى إمامهم بل ربما ينصرفون إلى الاستماع إلى هذا الإمام الخارج وينسون الاستماع إلى إمامهم لكون الأول أحسن قراءة وأندى صوتا وهذا إيذاء لإخوانهم المسلمين وقد حذر الله تعالى من إيذاء المؤمنين فقال: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً (٥٨))[١] فنصيحتي لإخواني الذين يفعلون ذلك أن يتوبوا إلى الله عز وجل وأن يدعوا التشويش على إخوانهم ولا حرج فيما أرى أن تنقل الإقامة من المنارة لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة) فإن هذا يدل على أن الإقامة تسمع من الخارج أي من خارج المسجد وإن كان بعض الإخوة قد كرهها وقال إن فيها ضررا وهو أن الكسالى إذا قيل لهم قوموا إلى الصلاة بعد الأذان قالوا لم تقم الصلاة بعد سننتظر حتى تأتي الإقامة لكني أرى أنه لا بأس بها إن شاء الله)[١].

س٢٣ : لماذا شدد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية الانصات للخطيب وعدم الكلام ؟.

ج٢٣: يجب على من حضر الجمعة أن ينصت للإمام وهو يخطب ، ولا يجوز له الكلام مع غيره ، حتى لو كان الكلام لإسكاته ، ومن فعل فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له .

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت)[٢].

---

(١) الشيخ ابن عثيمين من فتاوى نور على الدرب تفريغ صوتي .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٩٢ ، وعند الإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ٨٥١

ويشمل المنع كذلك الإجابة عن سؤال شرعي ، فضلاً عن غيره مما يتعلق بأمور الدنيا ، فعن أبي الدرداء قال : جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وخطب الناس وتلا آية وإلى جنبي أُبيّ بن كعب فقلت له : يا أُبيّ متى أنزلت هذه الآية ؟ فأبى أن يكلمني ثم سألته فأبى أن يكلمني حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أبيٌّ : مالك من جمعتك إلا ما لغوت ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم جئته فأخبرته فقال : (صدق أُبيّ ، إذا سمعت إمامك يتكلم فأنصت حتى يفرغ)[١] ، وهذا يدل على وجوب الإنصات وتحريم الكلام والإمام يخطب يوم الجمعة ، قال ابن عبد البر :(لا خلاف بين فقهاء الأمصار في وجوب الإنصات للخطبة على من سمعها)[٢] ، وقد شذ بعضهم وخالف في الوجوب . وليس لهم دليل يؤيد ما ذهبوا إليه .

قال ابن رشد في حكم الإنصات في الخطبة :(وأما من لم يوجبه : فلا أعلم لهم شبهة إلا أن يكونوا يرون أن هذا الأمر قد عارضه دليل الخطاب في قوله تعالى : وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا أي : أن ما عدا القرآن فليس يجب له الإنصات ، وهذا فيه ضعف ، والله أعلم ، والأشبه أن يكون هذا الحديث لم يصلهم)[٣].

ويستثنى من ذلك : الكلام مع الإمام ، وكلام الإمام مع المأمومين للحاجة أو المصلحة ، فعن أنس بن مالك قال : أصابت الناسَ سَنَةٌ (أي : قحط وجدب) على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه ... فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال : يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه)[٤].

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٢٠٧٨٠ ، وابن ماجه (١١١١). وصححه البوصيري والألباني في " تمام المنة " (ص ٣٣٨)
(٢) ابن عبد الر ، الاستذكار ، ج٥ ، ص ٤٣ .
(٣) ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج١ و ص ٣٨٩ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٩١ ، وعند الإمام مسلم في صحيحه ، رقم الحديث ٨٩٧ .

وعن جابر بن عبد الله قال: (جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة فقال أصليت يا فلان ؟ قال : لا ، قال : قم فاركع ركعتين)[1].

ومن استدل بمثل هذه الأحاديث على جواز كلام المصلين بعضهم مع بعض ، وعدم وجوب الإنصات فما أصاب ، قال ابن قدامة :(وما احتجوا به : فيحتمل أنه مختص بمن كلم الإمام ، أو كلمه الإمام ؛ لأنه لا يشتغل بذلك عن سماع خطبته ، ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم : هل صليت ؟ فأجابه ، وسأل عمرُ عثمانَ حين دخل وهو يخطب ، فأجابه ، فتعين حمل أخبارهم على هذا ، جمعا بين الأخبار ، وتوفيقا بينها ، ولا يصح قياس غيره عليه ؛ لأن كلام الإمام لا يكون في حال خطبته بخلاف غيره)[2].

وأما تشميت العاطس ورد السلام والإمام يخطب ، فقد اختلف أهل العلم في ذلك .

قال الترمذي في سننه عقب حديث أبي هريرة إذا قلت لصاحبك ... :اختلفوا في رد السلام وتشميت العاطس ، فرخص بعض أهل العلم في رد السلام وتشميت العاطس والإمام يخطب ، وهو قول أحمد وإسحاق ، وكره بعض أهل العلم من التابعين وغيرهم ذلك ، وهو قول الشافعي ، وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة:(لا يجوز تشميت العاطس ولا رد السلام والإمام يخطب على الصحيح من أقوال العلماء لأن كلاًّ منهما كلام وهو ممنوع والإمام يخطب لعموم الحديث)[3].

وجاء فيها أيضاً: (لا يجوز لمن دخل والإمام يخطب يوم الجمعة إذا كان يسمع الخطبة أن يبدأ بالسلام من في المسجد ، وليس لمن في المسجد أن يرد عليه والإمام يخطب[4] .

وجاء فيها أيضاً : (لا يجوز الكلام أثناء أداء الخطيب لخطبة الجمعة إلا لمن يكلم الخطيب لأمر عارض)[5]..

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٨٨ ، وعند الإمام مسلم في صحيحه برقم ٨٧٥ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٨٥ .
(٣) اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة ، ج٨ ، ص ٢٤٢ .
(٤) المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٢٤٣ .
(٥) المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٢٤٤ .

وقال الشيخ ابن عثيمين :(السلام حال خطبة الجمعة حرام فلا يجوز للإنسان إذا دخل والإمام يخطب الجمعة أن يسلم ورده حرام أيضاً)[1].

وقال الشيخ الألباني :فإن قول القائل : (أنصت ، لا يعد لغة من اللغو ، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومع ذلك فقد سماه عليه الصلاة والسلام : لغواً لا يجوز ، وذلك من باب ترجيح الأهم ، وهو الإنصات لموعظة الخطيب ، على المهم ، وهو الأمر بالمعروف في أثناء الخطبة ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكل ما كان في مرتبة الأمر بالمعروف ، فحكمه حكم الأمر بالمعروف ، فكيف إذا كان دونه في الرتبة ، فلا شك أنه حينئذ بالمنع أولى وأحرى ، وهو من اللغو شرعاً)[2].

والخلاصة :الواجب على من حضر الجمعة أن ينصت للإمام ولا يجوز له أن يتكلم والإمام يخطب ، إلا ما استثناه الدليل من الكلام مع الخطيب ، أو الرد عليه ، أو ما دعت إليه الضرورة كإنقاذ أعمى من السقوط أو ما شابهه ، والسلام على الإمام ورده السلام مما يدخل في هذا المنع ، لأنه لم يرخص في الكلام مع الإمام إلا للمصلحة أو الحاجة ، وليس من ذلك السلام ورده .

قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع :(لا يجوز للإمام أن يتكلم كلاما بلا مصلحة ، فلا بد أن يكون لمصلحة تتعلق بالصلاة أو بغيرها مما يحسن الكلام فيه ، وأما لو تكلم الإمام لغير مصلحة فإنه لا يجوز ، وإذا كان لحاجة يجوز من باب أولى ، فمن الحاجة أن يخفى على المستمع معنى جملة في الخطبة فيسأل ، ومن الحاجة أيضاً أن يخطئ الخطيب في آية خطأ يحيل المعنى ، مثل أن يسقط جملة من الآية أو ما أشبه ذلك ، والمصلحة دون الحاجة فمن المصلحة مثلا إذا اختل صوت مكبر الصوت فللإمام أن يتكلم ويقول للمهندس : انظر إلى مكبر الصوت ما الذي أخله ؟)[3]،[4] .

(١) ابن عثيمين ، الفتاوى ، ج١٦ ، ص ١٠٠ .
(٢) الألباني ، الأجوبة النافعة ، ص ٤٥ .
(٣) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٥ ، ص ١٤٠ .
(٤) الشيخ المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، في ١٨ / ٩ / ٢٠٠٠ م.

وهناك أخطاء كثيرة يقع فيها المصلون يوم الجمعة أوضحها في ما يلي :

١- ترك صلاة الجمعة بلا عذر شرعي: وقد جاء وعيد شديد فيمن يترك صلاة الجمعة دون عذر، ففي الحديث الذي رواه أبو الجعد الضمري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه)[١] .

٢- التحلق قبل الجمعة: يحدث أحيانًا في بعض المساجد أن يجتمع البعض في حِلق سواء لقراءة القرآن أو لدرس علم، ويعد هذا من البدع المنكرة والتي قد نهى عنها صراحةً رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روي عن عمرو بن شعيب عن جده: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ، وَأَنْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ، وَنَهَى عَنِ التَّحَلُّقِ قَبْلَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ)[٢]، والصواب هو الإكثار من التنفل أي صلاة ركعتين، ركعتين، وكذلك قراءة القرآن فُرادى.

٣- البيع والشراء وقت الجمعة: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٩))[٣] ولذلك فجماهير أهل العلم على تحريم الاشتغال بالبيع والشراء، وما على شاكلته من أسباب الرزق وقت صلاة الجمعة لمن تجب عليه الجمعة.

٤- اللغو بعد صعود الإمام المنبر: إذا صعد الإمام المنبر فإنه يُنهى تمامًا عن الكلام أو العبث بأي شيء، وكذلك النعاس، ووجب الإنصات للإمام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَالَ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ، فَقَدْ لَغَا)[٤]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا)[٥].

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٠٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٠٧٩ ،
(٣) سورة الجمعة .
(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٥١٢ .
(٥) الإمام مسلم ، رقم الحديث ٨٥٧ .

ومما يندرج تحت معنى اللغو ويفعله بعض المسلمين: العبث بسلسلة المفاتيح، أو الملابس، وما كان مفروشًا على أرض المسجد كسجاد أو حصير، وكذلك التحية وردها، فلا ينبغي لأحد أن يُسلم على أحد عند دخوله المسجد والإمام يخطب، وإن فعل فلا يجوز لأحد أن يرد عليه التحية، وكذلك تشميت العاطس، وقيام أحد المصلين في وسط المسجد ليسأل الناس أن يتقدموا للأمام، فهذا أيضًا لا يجوز، وإنما يشير للإمام، فإن هو طلب من المصلين ذلك، وإلا فلا يجوز لأحد أن يطلب ذلك أو غيره والإمام يخطب.

٥- ترك ركعتي تحية المسجد: يدخل البعض متأخرًا إلى المسجد بعد صعود الإمام المنبر، فيجلس يستمع للخطبة، ظنًا منه أن ذلك هو الصواب، لكنه أخطأ بتركه ركعتي تحية المسجد، فعليه أن يصلي ركعتين ويتجوز فيهما - أي يخففهما - ثم يجلس ينصت للإمام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: جَاءَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ: أَصَلَّيْتَ شَيْئًا؟، قَالَ: لَا، قَالَ: صَلِّ رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزْ فِيهِمَا)[1].

٦- تأخير تحية المسجد حتى ينتهى المؤذن: يدخل البعض إلى المسجد فيجد المؤذن يؤذن، فيقف لمتابعة المؤذن، فإذا انتهى المؤذن بدأ بصلاة تحية المسجد، وهذا خطأ، والصواب هو أن يبدأ بتحية المسجد ولا ينتظر فراغ المؤذن؛ كي يتفرغ لسماع الخطبة؛ لأن متابعة المؤذن سنة، واستماع الخطبة واجب، والواجب مقدم على السنة.

٧- الاعتقاد أن للجمعة سنة قبلية: يعتقد البعض أن للجمعة سنة قبلية، وهذا خطأ، فليس هناك راتبة قبل الجمعة، وإنما لها سنة بعدية، وأما قبلها فيصلى المسلم عند دخوله المسجد ركعتي سنة تحية المسجد، ثم له أن يتنفل ما شاء الله له أن يصلي.

٨- اختيار الجلوس في مؤخرة المسجد: يجلس بعض الناس في مؤخرة المسجد قبل امتلاء الصفوف الأمامية؛ لكي يستند إلى حائط، أو ليكون من أول الخارجين بعد انقضاء

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١١١٦ .

الصلاة، حتى أن بعضهم قد يجلس في الملحق الخارجي للمسجد، مع وجود أماكن كثيرة داخل المسجد، وهذا يفوت عليه الكثير من فضل الجمعة، فقد ورد عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (احْضُرُوا الذِّكْرَ، وَادْنُوا مِنَ الْإِمَامِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ يَتَبَاعَدُ حَتَّى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ دَخَلَهَا)[1].

٩- تخطي الرقاب: يأتي بعض الناس وقد امتلأ المسجد فتجده يتخطى رقاب إخوانه حتى يصل إلى مقدمة المسجد، وقد نهى رسول الله ص عن ذلك، فقد جاء عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه: (جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال النبي: اجلس فقد آذيت)[2] ، آذيت: آذيت إخوانك. والصواب أن تجلس حيث ينتهي بك المقام ولا تتخطى رقاب إخوانك لتصل إلى المقدمة، ولو كنت ترى أماكن خالية في المقدمة، فيجوز لك أن تسأل إخوانك برفق، أن يتقدموا إلى الأمام شرط ألا يكون الإمام على المنبر، وإلا فلا يجوز لك الحديث مطلقًا.

١٠- النعاس أثناء الخطبة: يحدث أحيانًا أن يشعر المرء بالنعاس وهو جالس يستمع للإمام، فيغالب النعاس، ثم لا يلبث إلا أن يغلبه النعاس، وأحيانًا يغط في النوم. والصحيح أن المرء إن شعر بالنعاس فعليه أن يقوم من مكانه ويمشي الي آخر الصف مثلاً، أو ينتقل إلى صف آخر، دون أن يؤذي أحدًا، و يا حبذا لو جلس قريبًا من نافذة، وبعيدًا عن شيء يستند إليه، وقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نعس أحدكم في المسجد يوم الجمعة فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره)[3].

١١- الجهل بمعنى إدراك الجمعة: فمن أدرك منها ركعة مع الإمام أتمها جمعة، أي يأتي بركعة

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١١٠٨ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١١٨ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٤٨٧٥ .

واحدة أخرى، وإن أدرك أقل من ركعة بأن جاء ودخل مع الإمام بعد أن يرفع الإمام رأسه من الركعة الثانية، فإنه يتمها ظهرًا، أي يُتم أربع ركعات، فعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قال: (مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَةِ، فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ)[1].

س٢٤ : لماذا نهى الإسلام عن تشبيك الأصابع والإمام يخطب يوم الجمعة ؟.

ج٢٤: من آداب الخروج إلى المسجد التي جاءت بها السنة : أنه لا يشبك يديه ، فعن أَبِي ثُمَامَةَ الْحَنَّاط أَنَّ كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ أَدْرَكَهُ وَهُوَ يُرِيدُ الْمَسْجِدَ أَدْرَكَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ قَالَ : فَوَجَدَنِي وَأَنَا مُشَبِّكٌ بِيَدَيَّ فَنَهَانِي عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَلا يُشَبِّكَنَّ يَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ فِي صَلاةٍ)[2] ، فهذا الحديث دليل على النهي عن تشبيك الأصابع حال المشي إلى المسجد للصلاة ؛ لأن هذا العامد إلى المسجد في حكم المصلي .

قال الخطابي رحمه الله : (تشبيك اليد هو إدخال الأصابع بعضها في بعض ، والاشتباك بهما ، وقد يفعله بعض الناس عبثاً ، وبعضهم ليفرقع أصابعه عندما يجده من التمدد فيها ، وربما قعد الإنسان فشبك بين أصابعه واحتبى بيديه ، يريد به الاستراحة ، وربما استجلب به النوم ، فيكون ذلك سبباً لانتقاض طهره ، فقيل لمن تطهر وخرج متوجهاً إلى الصلاة : لا تشبك بين أصابعك ؛ لأن جميع ما ذكرناه من هذه الوجوه على اختلافها لا يلائم شيءٌ منها الصلاة ولا يشاكل حال المصلي)[3].

وقد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ذي اليدين في موضوع سجود السهو بلفظ : (فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّه غَضْبَانُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ....)[4].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٨٠
(٢) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٥٦٢ .
(٣) الخطابي ، معالم السنن ، ج١ ، ص ٢٩٥ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٨٢ ، وعند الإمام مسلم برقم ٥٧٣ .

ولا منافاة بين هذا وما قبله ؛ لأن هذا التشبيك وقع بعد انقضاء الصلاة في ظنه صلى الله عليه وسلم ، فهو في حكم المنصرف عن الصلاة ، ويكون النهي خاصاً بالمصلى ؛ وبمن قصد المسجد ، لأن ذلك من العبث وعدم الخشوع .

قال الإمام البخاري رحمه الله : " بَاب تَشْبِيك الأَصَابِعِ فِي الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ " وأورد أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه شبك بين أصابعه في المسجد وغيره ، منها حديث ذي اليدين المتقدم .

قال الحافظ ابن حجر عن الجمع بين هذه الأحاديث وأحاديث النهي :(وَجَمَعَ الإِسْمَاعِيلِيّ بِأَنَّ النَّهْيَ مُقَيَّد بِمَا إِذَا كَانَ فِي الصَّلاةِ أَوْ قَاصِدًا لَهَا ، إِذْ مُنْتَظِر الصَّلاةِ فِي حُكْمِ الْمُصَلِّي . . ثم قال الحافظ : وَالرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا النَّهْي عَنْ ذَلِكَ مَا دَامَ فِي الْمَسْجِدِ ضَعِيفَة كَمَا قَدَّمْنَا)[1].

ومما يحسن التنبيه عليه أن من المصلين من يعبث بأصابعه يفرقعهما ، وهذا عبث لا يليق بالمصلي ، وهو دليل على عدم الخشوع ، إذ لو خشع القلب لخشعت الجوارح وسكنت.

وعن شعبة مولى ابن عباس قال : صليت إلى جنب ابن عباس ففقَّعت أصابعي ، فلما قضيت الصلاة قال : لا أمَّ لك ! تفقع أصابعك وأنت في الصلاة !)[2].

والخلاصة : أن تشبيك الأصابع مكروه لمن خرج إلى الصلاة ، حتى يفرغ من الصلاة ، وأن الجالس في المسجد لا حرج عليه في تشبيك أصابعه إلا إ ذا كان ينتظر الصلاة ، فيكره له تشبيكها[3].

س٢٥: لماذا يقلب الإمام والمأمومون أرديتهم في صلاة الاستسقاء ؟.

ج٢٥: يُستحَبُّ للإمامِ والمأمومِ (أمَّا المرأة فإذا كانت تتكشَّف عند تحويلِها الرداءَ، فإنَّها لا تفعل، وأمَّا إذا كانت لا تتكشَّف فحكمُها حكمُ الرَّجل في ذلك. قال ابنُ بازٍ: (إذا كانت

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٥٦٥ .
(٢) ابن أبي شيبة ، المسند ، ج٢ ، ص ٣٤٤ ، وقال الألباني في "إرواء الغليل" (٩٩/٢) : سنده حسن .
(٣) الشيخ المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، رقم الحديث ١٨/ ٦ / ٢٠٠٥ م.

المرأةُ تتكشَّف عند تحويلِها للرداءِ في صلاةِ الاستسقاءِ، والرِّجالُ ينظرون إليها فإنَّها لا تفعل؛ لأنَّ قلب الرِّداء سنةٌ، والتكشُّف أمام الرِّجال فتنةٌ ومحرَّم، وأمَّا إذا كانت لا تتكشَّف فالظاهر أنَّ حكمها حكمُ الرجل؛ لأنَّ هذا هو الأصل، وهو تساوي الرِّجال والنِّساء في الأحكام، إلا ما دلَّ الدَّليلُ على الاختلافِ بينهما فيه)[1] .

وقال ابنُ عثيمين: (بالنسبةِ لِما يُقلب فالذي ورد هو قلبُ الرِّداء؛ لحديثِ عبد الله بن زيد أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم استسقى فقلب رداءَه» ومثلُه البشت والعباءةُ للمرأةِ، لكنَّ المرأةَ إذا كان المسجدُ مكشوفًا، وكان تحت العباءةِ ثيابٌ تلفتُ النَّظر، فأخشَى أنَّه في حال قيامها لتقلبَ العباءةَ تظهرُ هذه الثيابُ، وتكون مفسدةٌ أكبرُ مِن المصلحةِ، فلا تقلِب)[2].

تحويلُ الرِّداءِ :

(قال ابن عثيمين: الشماغ... لا يقلب فهو يشبه العمامة على الرأس)[3] ، وقال أيضًا: (أما قلب الغترة والشماغ، فلا أظن هذا مشروعًا؛ لأنَّه لم يرد أن العمامة تُقلب، والغترة والشماغ بمنزلة العمامة)[3] ، وقيَّد بعض أهل العلم جواز ذلك بما إذا لم يكن عليه رداءٌ أو ما يشبهه.

قال ابن باز: (والسنَّة أن يُحَولَ الرداء في أثناء الخطبة، عندما يستقبِلُ القبلة يُحَوِّل رداءَه فيجعل الأَيمنَ على الأيسَرِ، إذا كان رداءً، أو بشت إن كان بشت يَقْلِبُه. وإن كان ما عليه شيءٌ سوى غُترة يَقْلِبها، قال العلماء: تفاؤلًا بأنَّ الله يُحَوِّل القَحْطَ إلى الخِصْب، يحول الشِّدَّة إلى الرخاء).[5] وهذا مذهبُ الجمهورِ: المالكية[6] ، والشافعيَّة[7] والحنابلة[8].

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ابن باز ، ج١٣ ، ص ٨٤ .
(٢) ابن عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ، ج١٦ ، ص ٣٥٢ .
(٣) المصدر السابق ، ج١٦ ، ص ٣٥٢ .
(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٥) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٦) ا (مواهب الجليل) للحطاب (٥٩٦/٢)، وينظر: (كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن المالكي (٥١٠/١)، (المنتقى للباجي (٣٣١/١).
(٧) المجموع للنووي (١٠٣/٥)، (روضة الطالبين للنووي (٩٤/٢).
(٨) كشاف القناع للبهوتي (٧٢/٢)، وينظر: (المغني لابن قدامة (٣٢٢/٢).

، واختاره داودُ الظاهريُّ ، قال النوويُّ: (مَذهبُنا استحبابُ تحويل الرِّداء في الخُطبة للإمامِ والمأمومين كما سبَق، وبه قال مالكٌ، وأحمد، وأبو ثورٍ، وداودُ)[1] ، وبه قال أكثرُ أهلِ العِلم (قال ابنُ قُدامةَ: (ويُستحبُّ تحويلُ الرِّداء للإمام والمأموم، في قولِ أكثرِ أهل العِلم)[2] ، وحُكي الإجماعُ على ذلك ، قال ابنُ عبد البَرِّ: (ولا أعلم خِلافًا أنَّ الإمام يحوِّل رِداءَه وهو قائمٌ، ويُحوِّل الناسُ وهم جلوسٌ)[3].

الأدلَّة:

١- من السُّنَّة عن عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (خرَج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى المصلَّى يَستسقي، فاستقبل القِبلَةَ، وحوَّلَ رِداءَه، وصلّى رَكعتينِ)[4] .

وَجْهُ الدَّلالَةِ: (أنَّ ما فعله النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثبَت في حقِّ غيره، ما لم يَقُمْ على اختصاصه به دليلٌ) [5] .

٢- أنَّ في التحويلِ تفاؤلًا بالانتقالِ من حالٍ إلى حال؛ لعلَّ الله أنْ يَنقُلَهم من حالِ القحطِ إلى حالِ السَّعةِ والخَصْب)[6]، [7] .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (تحويل الرداء أن يجعل ما على الأيمن على الأيسر، يعني: يحول.. يقلب الرداء ويقلب البشت هذا معناه، يحول ما كان على الأيمن على الأيسر، يعني: يقلب البشت حتى يكون الظاهر هو الباطن.)[8] .

س٢٦: لماذا التكبيرات المتعددة قبل قراءة الفاتحة في صلاتي العيدين ؟

ج٢٦: اختلف الفُقهاء في عدد التكبيرات التي تكون في صلاة العيد، على الأقوال الآتية:

١- الحنفية: يرون أنّ صلاة العيد ركعتان؛ في الركعة الأولى ثلاثُ تكبيرات باستثناء تكبيرة الإحرام، وتكون قبل قراءة الفاتحة، والركعة الثانية فيها أيضاً ثلاثُ تكبيرات

---

(١) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ١٠٣ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .
(٣) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٢ ، ص ٤٢٩ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٠٢٥ .
(٥) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .
(٦) الماوردي ، الحاوي الكبير ' ج٢ ، ص ٥١٩ .
(٧) صلاة الاستسقاء ، الدرر السنية ، موقع الشيخ علوي السقاف .
(٨) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

باستثناء تكبيرة الركوع، وتكون هذه التكبيرات بعد القراءة، ويسكت بين التكبيرات بقدر تسبيح ثلاثُ تسبيحات.)[1].

٢- المالكية والحنابلة: يرون أنّ عدد التكبيرات في الركعة الأولى يكون سبعاً مع تكبيرة الإحرام، وفي الركعة الثانية ستّ تكبيرات مع تكبيرة القيام، والتكبيرات في الركعتَين تكون قبل القراءة[2]، [3].

٣- الشافعية: يرون أنّ صلاة العيد ركعتان؛ يُكبّر في الركعة الأولى سبع تكبيرات ما عدا تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمس تكبيرات ما عدا تكبيرة القيام، وتكون كُلّ التكبيرات قبل القراءة، واستدلّوا بفِعل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقد ورد عن الصحابيّ عوف المزني رضي الله عنه أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام : (كَبَّر في العيدينِ: في الأولى سبعًا قبلَ القراءةِ، وفي الآخرةِ خمسًا قبلَ القراءةِ)[4] [5].

س٢٧: لماذا تفتتح خطبة العيد بالتكبير ولا تفتح بحمد الله كالخطب الأخرى ؟

ج٢٧ :أقول والله أعلم :

١- قال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله: (وقال سعيد يعني: ابن منصور في (سننه) :(حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال:(يُكَبِّرُ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ أَنْ يَخْطُبَ تِسْعَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَخْطُبُ، وَفِي الثَّانِيَةِ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ)[6]، و(عبيد الله) هذا، قد قال عنه الحافظ ابن عبد البر في (التمهيد):(يُكنى أبا عبد الله، كان أحد الفقهاء العشرة ثم السَّبعة الذين عليهم كانت الفتوى تدور بالمدينة، وكان عالِمًا فاضلًا، مقدمًا في الفقه)[7].

---

(١) عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار ، ج١ ، ص ٨٦ .
(٢) محمد بن يوسف بن المواق ، التاج والإكليل لمختصر خليل، ج٢ ، ص ٥٧٢ .، وانظر منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتى، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى ، ج١ ، ص ٣٢٦ .
(٣) محمد بن قاسم الغزي ، فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع)، ص ١٠٢ .
(٤) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٥٣٦ .وانظر مُصطفى الخِنْ، مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي ج١ ، ص ٢٢٤ .
(٥) موقع موضوع في ٧ / ٤ / ٢٠٢٠ م.
(٦) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ، ص ٢٧٧ .
(٧) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٩ ، ص ٧ .

وقال ابن حبان في (الثقات): أبو عبد الله مِن سادات التابعين، وكان يعد من الفقهاء السبعة[1].

وأخرجه ابن أبي شيبة في (مصنفه) فقال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن محمد (بن عبد الله)بن عبد الرحمن القاريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال:(مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُكَبِّرَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ، عَلَى الْعِيدَيْنِ، تِسْعًا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، وَسَبْعًا بَعْدَهَا)[2].

٢- قال عبد الرزاق في (مصنفه):عن معمر، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه قال:(يُكَبِّرُ الْإِمَامُ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ أَنْ يَخْطُبَ تِسْعًا حِينَ يُرِيدُ الْقِيَامَ وَسَبْعًا فِي.....) عَالجَتُهُ عَلَى أَنْ يُفَسِّرَ لِي أَحْسَنَ مِنْ هَذَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَظَنَنْتُ أَنَّ قَوْلَهُ: حِينَ يُرِيدُ الْقِيَامَ فِي الْخُطْبَةِ الْآخِرَةِ)[3] ، قال البيهقي في (سننه): (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي، أنبأ أبو بكر أحمد بن محمود خَرَّزَاذ، ثنا موسى بن إسحاق القاضي، ثنا مُحْرِز بن سلمة، ثنا الدَّرَاوَرْدِي، عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ أن إبراهيم بن عبد الله حدَّثه عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود أنه قال:(مِنَ السُّنَّةِ تَكْبِيرُ الْإِمَامِ يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى حِينَ يَجْلِسُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ تِسْعَ تَكْبِيرَاتٍ وَسَبْعًا حِينَ يَقُومُ، ثُمَّ يَدْعُو وَيُكَبِّرُ بَعْدَمَا بَدَأَ لَهُ).وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدِ اللهِ:(تِسْعًا تَتْرَى إِذَا قَامَ فِي الْأُولَى وَسَبْعًا تَتْرَى إِذَا قَامَ فِي الْخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ)[4]، وقال الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتابه (الجرح والتعديل) :إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبدٍ القاريّ، روى عن: السائب بن يزيد، روى عنه: أخوه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القارى، سمعت أبي يقول ذلك)[5].

---

(١) ابن حبان ، الثقات ، ج٥ ، ص ٦٣ .
(٢) ابن أبي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٥٨٦٦ .
(٣) عبدالرزاق ، المصنف . رقم الحديث ٥٦٧٢ .
(٤) البيهقي، سنن البيهقي ، رقم الحديث ٦٢١٦ .
(٥) ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، رقم الحديث ٣٨٢ .

وقد احتجَّ بأثره هذا إمام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل رحمه الله ، فقال ابن مفلح الحنبلي في كتابه (المبدع في شرح المقنع): (قال أحمد: قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبه: (إنه من السُّنَّة)[1] ، وقال أبو الحسن الماوردي في (الحاوي)وقوله: (من السُّنَّة) يحتمل أن يكون أراد سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سُنَّة الصحابة رضي الله عنهم ، وأيهما كان فالاقتداء به حسن)[2].

٣- قال ابن أبي شيبة في مصنفه: (حدثنا أبو داود الطيالسي، عن الحسن بن أبي الحسناء، عن الحسن قال:(يُكَبَّرُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْعِيدَيْنِ أَرْبَعُ عَشْرَةَ تَكْبِيرَةً)[3].

٤- قال عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه عن معمر، عن إسماعيل بن أمية، قال:(سَمِعْتُ أَنَّهُ يُكَبَّرُ فِي الْعِيدِ تِسْعًا وَسَبْعًا)[4].وإسناده صحيح .وإسماعيل بن أمية مِن أتباع التابعين.

٥- قال الفريابي في (أحكام العيدين):ثنا إسحاق بن موسى، ثنا مَعْن، قال: قال مالك وابن أبي ذِئْب:(يَبْدَأُ الْإِمَامُ يَوْمَ الْعِيدِ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ بِالتَّكْبِيرِ)[5].وإسناده صحيح، وقال ابن رشد القرطبي في البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة :قال مالك: (مِن السُّنَّة أن يُكبِر الإمام إذا صعد المنبر في العيدين، ويُكبِر في الخطبة الثانية)[6]. . والتكبير في بداية الخطبة هو مذهب الأئمة الأربعة، أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل، وقول ابن أبي ذئب وابن المنذر وغيرهم ، بل جاء في مذاهب الأئمة الأربعة أنه يُسَن ، فقال العلامة أبو عبد الله بن مفلح الحنبلي في كتابه الفروع :(ويُسَن أن يستفتح الأولى بتسع تكبيرات قال أحمد: وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ((إنه من السُّنَّة)[7].

---

(١) ابن مفلح الحنبلي ، المبدع في شرح المقنع ، ج٢ ، ص ١٩ .
(٢) الماوردي ، الحاوي ، ج٢ ، ص ٤٩٢ .
(٣) ابن أبي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٥٨٦٧ .
(٤) عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ج٣ ، ص ٢٩٠ ، رقم الحديث ٥٦٧١ .
(٥) الفرياني ، أحكام العيدين ، ص ١٤١ .
(٦) ابن رشد ، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ، ج١ ، ص ٣٠٠ .
(٧) ابن مفلح ، الفروع ، ج٢ ، ص ١٤١ – ١٤٢

وقال جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الحنبلي في كتابه مغني ذوي الأفهام—:يكبر (و) في الأولى نسقًا، وسَنَّ (خ) تسعًا، وأكبر (وش) في الثانية سبعًا. والواو (و) تعني: اتفاق المذاهب الأربعة في حكم المسألة. وتابعهما على نقل الاتفاق العلامة عبد الرحمن القاسم [٢] ، وعمومًا فالخروج عن جادتهم صعب، والعمل بخلافهم ليس برشد، لأنهم عند الجميع أفهم للنصوص، وأشد في العمل بها وأحرص، بل إن الأحاديث والآثار لا تُفهم إلا على ضوء فهومهم، وإلا كان الخطأ والزلل، وخطبة العيد أيضًا ظاهرة، يشهدونها ويسمعون كيف تُبدأ؟ أبا لتكبير أم بالحمد ، ولا تنافر بحمد الله بين التكبير والحمد، إذ هما جميعًا تعظيم لله عز وجل [٣].

س٢٨ : لماذا لا تقام بعض الصلوات إلا بإذن الإمام الحاكم؟.

ج ٢٨ : في خمس وقفات أحاول أن أفيد القارئ الكريم مما كتبه الشيخ الجنيد :

١- :عن الاتفاق المنقول عن المذاهب الأربعة في عدم اشتراط إذن ولي الأمر: قال العلامة أبو عبد الله ابن مفلح الحنبلي في كتابه (الفروع) في باب صلاة الكسوف: (ولا يشترط لها إذن الإمام، ولا الاستسقاء (و) كصلاتها منفرداً، وعنه: بلى، وعنه: الاستسقاء، وعنه: لها لصلاة وخطبة، لا للخروج والدعاء ، والواو (و) تعني: موافقة الحنابلة للحنفية والمالكية والشافعية في حكم المسألة)[٤].

٢- عن كلام الحنفية رحمهم الله:

أ- قال علاء الدين الكاساني الحنفي في كتابه (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع):وإذا خرجوا اشتغلوا بالدعاء، ولم يصلوا بجماعة إلا إذا أمر الإمام إنساناً أن يصلي بهم جماعة، لأن هذا دعاء فلا يشترط له حضور الإمام ، وإن خرجوا بغير إذنه جاز، لأنه دعاء، فلا يشترط له إذن الإمام)[٥].

---

(١) يوسف بن عبد الهادي الحنبلي ، مغني ذوي الأفهام، ج٧ ، ص ٣٥٠ .
(٢) عبدالرحمن القاسم ، حاشية الروض المربع ' ج٢ ، ص ٥٥١ .
(٣) موقع عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الجنيد..
(٤) ابن مفلح ، الفروع ، ج٢ ،ص ١٥١ .
(٥) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج١ ، ص ٢٨٤ .

ب- قال محمد بن علي الدمشقي الحنفي المشهور بالحصكفي في (الدر المختار شرح تنوير الأبصار) مع رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار" لابن عابدين):والأولى خروج الإمام معهم، وإن خرجوا بإذنه أو بغير إذنه جاز(١).

ت- جاء في (الموسوعة الفقهية الكويتية) :الرأي الثاني :لا يستحب الاستسقاء بالصلاة إلا بخروج الإمام، أو رجل من قِبله ، وهو رأيٌ للحنابلة والحنفية ، فإذا خرجوا بغير إذن الإمام دعوا وانصرفوا بلا صلاة ولا خطبة)(٢).

تنبيه :الاستسقاء له صور، ومن صوره : (الاستسقاء بصلاة ، وهذه الصورة ثابتة بالسنة الصحيحة، ودلت عليها عدة أحاديث ، وإلى مشروعيتها ذهب عامة أهل العلم إلا أبا حنيفة، فإنه قال: ليس في الاستسقاء صلاة، ولكن يخرج الإمام ويدعو ، وقد نسبه إليهم جمع من أهل العلم رحمهم الله)(٣) .

ث- قال أبو الحسن علي بن محمد اللخمي المالكي في كتابه (التبصرة)الاستسقاء يكون لأربع: استسقاء القوم عند الحاجة إلى الشرب لشفاههم، أو لدوابهم ومواشيهم، كالقوم يكونون في سفر في صحراء، أو في سفينة، أو في حضر، وقد أخذوا زرعهم ثم احتاجوا لذلك)(٤) .

ج- جاء في كتاب (تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة) لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المالكي ولا يختص الاستسقاء بأهل القرى والأمصار والصحاري، بل تشرع لأهل السفن عند حصول شيء مما تقدم)(٥).

---

(١) الحصكفي ، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ج٣ ، ص ٧٢ وانظر مع رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار" لابن عابدين

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٣ و ص ٣١٦ .

(٣) منهم: الحافظ ابن المنذر النيسابوري في كتابه "الأوسط"(٣/ ٣٢٧)، والقاضي عياض المالكي في كتابه "إكمال المعلم بفوائد مسلم"(٣/ ٣١٢)، والنووي الشافعي في "شرح صحيح مسلم"(٦/ ٤٣٩ – عند حديث رقم:٨٩٤)، والحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه "فتح الباري شرح صحيح البخاري"(٢/ ٥٧١ – عند حديث رقم:١٠٠٥).

(٤) الخمي المالكي ، التبصرة، ج٢ ، ص٦١٨ .

(٥) التتائي ، تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة ، ج٢ و ص٥٣٨ .

ح- قال محمد بن عبد الله بن علي الخرشي المالكي في (حاشيته على مختصر خليل):(ولا يختص الاستسقاء بمن كان في القرى والصحراء، بل يشرع ذلك لمن كان في السفينة أيضاً، عند حصول شيء مما مرَّ، بأن يكون في بحر ملح، أو عذب لا يصل إليه)[1].

خ- لم نجد لعلماء المالكية شيئاً صريحاً حول هذه المسألة، لكن هذا التوسع منهم في من يستسقي يُشعر بعدم اشتراط الإذن ، وقد تقدم قول العلامة أبو عبد الله ابن مفلح الحنبلي في (الفروع):ولا يشترط لها إذن الإمام ولا لاستسقاء (و) كصلاتها منفرداً، وعنه: بلى، وعنه: لاستسقاء، وعنه: لها لصلاة وخطبة، لا للخروج والدعاء .اهـ والواو (و) تعني: موافقة الحنابلة للحنفية والمالكية والشافعية في حكم المسألة)[2].

٣- عن كلام الشافعية رحمهم الله :

أ- قال الإمام الشافعي في كتابه (الأم) : فإذا كان جدب أو قلة ماء في نهر أو عين أو بئر في حاضر أو باد من المسلمين لم أحب للإمام ان يتخلف عن أن يعمل عمل الاستسقاء،... وإن لم يفعل الامام لم أر للناس ترك الاستسقاء)[3].

ب- قال أبو زكريا النووي الشافعي في كتابه (المجموع شرح المهذب):قال الشافعي والأصحاب: إذا ترك الإمام الاستسقاء لم يتركه الناس، وقال الشافعي في (الأم): إذا كان جدب أو قلة ماء في نهر أو عين أو بئر في حاضر أو باد من المسلمين لم أحب للإمام التخلف عن الاستسقاء، فإن تخلف فقد أساء في تخلفه وتركه السنة، ولا قضاء عليه ولا كفارة.، وقال في "الأم" أيضاً: إذا خلت الأمصار من الولاة قدموا أحدهم للجمعة والعيد والكسوف والاستسقاء، كما قدم الناس أبا بكر رضي الله عنه حين ذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليصلح بين بني عمرو بن عوف، وقدموا عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك حين تأخر النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الخرشي ، حاشيته على مختصر خليل، ج٢ ، ص ٣١١ .
(٢) ابن مفلح ، الفروع ، جد٢ ، ص ١٥١.
(٣) الشافعي ، الأم ، ج١ ، ص ٢٤٧ ، ٢٨٢ ، ٤١٠
(٤) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٨٩ .

لحاجته، وكان ذلك في الصلاة المكتوبة، وهذان الحديثان في الصحيحين ، قال الشافعي: فإذا جاز ذلك في المكتوبة فغيرها أولى.

٤- عن كلام الحنابلة رحمهم الله :

أ- قال الإمام ابن قدامة في كتابه (المغني):وهل من شرط هذه الصلاة إذن الإمام؟ على روايتين:

- لا يستحب إلا بخروج الإمام، أو رجل من قبله ، قال أبو بكر: فإذا خرجوا بغير إذن الإمام دعوا وانصرفوا بلا صلاة ولا خطبة، نص عليه أحمد ،.

- وعنه: أنهم يصلون لأنفسهم، ويخطب بهم أحدهم ،فعلى هذه الرواية يكون الاستسقاء مشروعاً في حق كل أحد، مقيم، ومسافر، وأهل القرى، والأعراب ، لأنها صلاة نافلة فأشبهت صلاة الكسوف ، ووجه الرواية الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بها، وإنما فعلها على صفة، فلا يتعدى تلك الصفة، وهو أنه صلاها بأصحابه، وكذلك خلفاؤه، ومن بعدهم، فلا تشرع إلا في مثل تلك الصفة)[١].

ب- قال الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه (بدائع الفوائد: اختلف قوله في خروج الناس للاستسقاء بغير إمام؟. فعنه أحمد بن القاسم: إن لم يخرج الإمام لا تخرجوا ، وعنه الميموني: إن أخرجهم الإمام خرجوا، وإلا فيخرجون لأنفسهم يستسقون، ما بأس بذلك ، فإن قلنا: يخرجون بغير إمام، فهل يصلون جماعة أو يستسقون وينصرفون؟، فعنه الميموني: يخرجون لأنفسهم يستسقون ما يعجبني يصلي بهم بعضهم ، وعنه حرب: أنه قال في أهل ، قال: أرجو أن لا يضيق)[٢] .

ت- قال علي بن سليمان المرداوي في (الإنصاف) قوله: «وهل من شرطها إذن الإمام على روايتين. وأطلقهما في (الهداية) و (عقود ابن البنا) و (المستوعب) و(مجمع

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ، ص ٣٤٦ .
(٢) ابن القيم ،بدائع الفوائد ، ج٤، رقم الحديث ١٥١٥ ، ١٥١٦ .
(٣) المرداوي ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .

البحرين) و (النظم) و (الرعاية) و (الشرح) وغيرهم:

- لا يشترط. وهي المذهب. قال في (الفائق): ولا يشترط إذن الإمام في أصح الروايتين، وقدمه في (الفروع) وابن تميم.
- يشترط. جزم به في (الوجيز)، وعنه: يشترط إذنه في الصلاة والخطبة دون الخروج لها والدعاء، نقلها البزراطي. وقيل: وإن خرجوا بلا إذنه صلوا ودعوا بلا خطبة، اختاره أبو بكر.

تنبيه: محل الخلاف في اشتراط إذن الإمام إذا صلوا جماعة، فأما إن صلوا فرادى فلا يشترط إذنه، بلا نزاع . .

ث- قال أبو إسحاق ابن مفلح الحنبلي (المبدع في شرح المقنع) :وهل من شرطها إذن الإمام؟. على روايتين:

- لا يشترط ، اختارها أبو بكر، وابن حامد، وقدمها في (الفروع)، وهي ظاهر كلام الأكثر ،لأنها نافلة أشبهت النوافل، فعليها يفعلها المسافر وأهل القرى، ويخطب بهم أحدهم.
- يشترط ، لفعله عليه السلام بأصحابه، وكذلك الخلفاء من بعده، وكالعيد، فعليها إن خرجوا بغير إذنه دعوا وانصرفوا بلا صلاة.
- وفي ثالثة: يعتبر إذنه للصلاة والخطبة دون الخروج لها والدعاء ، وقال أبو بكر: إن خرجوا بغير إذن صلوا ودعوا من غير خطبة وقال أبو بكر: إن خرجوا بغير إذن صلوا ودعوا من غير خطبة.

٥- قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه (تذكرة أولي الألباب في ذكر السؤال والجواب في الفقه) تحت هذا التبويب: "أسئلة في الكسوف والاستسقاء

---

(١) ابن مفلح ، المبدع ، ج٢ ، ص ١٩١ .

وجوابها لعلي وأصحابه :سؤال: إذن الإمام هل يشترط في شيء من الصلوات أم لا؟.
جواب: لا يشترط إذن الإمام في شيء من الصلوات، بل تصح من دون إذنه، إلا إذا أقيمت الجمعة في أكثر من موضع من البلد لغير حاجة، فالتي باشرها أو أذن فيها هي الصحيحة)[1].

قال العلامة العثيمين في كتابه (الشرح الممتع على زاد المستقنع) قوله: (وليس من شرطها إذن الإمام). أي: ليس من شرط إقامتها أن يأذن الإمام بذلك، بل إذا قحط المطر وأجدبت الأرض خرج الناس وصلوا، ولو صلى كل بلد وحده لم يخرجوا عن السنة ، بل لو وجِد السبب، وقال الإمام: لا تصلوا، فإن في منعه إياهم نظراً؛ لأنه وجد السبب فلا ينبغي أن يمنعهم، ولكن حسب العُرف عندنا لا تقام صلاة الاستسقاء إلا بإذن الإمام ، اللهم إلا أن يكون قوم من البادية بعيدون عن المدن ولا يتقيدون، فهنا ربما يقيمونها، وإن كان أهل البلد لم يقيموها)[2].

تنبيهان:

الأول: بعض البلدان لا تقام صلاة الاستسقاء فيها إلا بأمر من ولي الأمر وإذن، أو جهات يُوكِل إليها أمر الدعوة لإقامتها والإذن ، فينبغي أن يراعي طالب العلم هذا الأمر عند تقريره لهذه المسألة، أو إفتائه فيها، لتوافر النصوص الشرعية والإجماع على وجوب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله تعالى.

الثاني: بعض البلدان لا يتدخل ولي الأمر ولا الجهات الدينية الرسمية كوزارة الأوقاف والمفتي في إقامة الناس لصلاة الاستسقاء ، فهذه البلدان تتسع فيها المسألة وتخف أكثر من غيرها[3].

---

(١) عبدالرحمن بن سعدي ، تذكرة أولي الألباب في ذكر السؤال والجواب في الفقه ، ج٨ ، ص ٦٢١ .
(٢) ابن عثيمين ،الشرح الممتع ،ج٥ ، ص ٢٢٤ .
(٣) عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الجنيد.(الموقع الرسمي .

س٢٩: لماذا لا يجب على من فاتته صلاة العيد أن يقضيها ؟.

ج٢٩: صلاة العيدين فرض كفاية ؛ إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين ، وفي الصورة المسئول عنها : حصل أداء الفرض من الذين صلوا أولاً – الذين خطب بهم الإمام – ومن فاتته وأحب قضاءها استحب له ذلك ، فيصليها على صفتها من دون خطبة بعدها ، وبهذا قال الإمام مالك والشافعي وأحمد والنخعي وغيرهم من أهل العلم .

والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فاقضوا)[١] ، وما روي عن أنس رضي الله عنه أنه (كان إذا فاتته صلاة العيد مع الإمام جمع أهله ومواليه ، ثم قام عبد الله بن أبي عتبة مولاه فيصلي بهم ركعتين ، يكبر فيهما)[٢] .

ولمن حضر يوم العيد والإمام يخطب أن يستمع الخطبة ثم يقضي الصلاة بعد ذلك حتى يجمع بين المصلحتين[٣] .

س٣٠: لماذا تكون صلاة العيدين والاستسقاء خارج العمران ؟.

ج٥٠:يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (السُنة في صلاة العيد أن تكون في الصحراء كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كبر البلد، فإنه ينبغي أن ينقل المصلى إلى الصحراء، وإذا لم ينقل فلا حرج، لأن كونها في الصحراء ليس على سبيل الوجوب بل هو على سبيل الاستحباب)[٣].

س٣١: لماذا تخرج النساء لصلاة العيدين وهل هذا يناقض حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن أن صلاة المرأة في بيتها؟.

ج٣١: الأفضل للمرأة أن تخرج لصلاة العيد ، وبهذا أمرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، روى البخاري ومسلم عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها قَالَتْ : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى الْعَوَاتِقَ وَالْحُيَّضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ ، فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلاةَ

---

(١) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٢١ ، ص٢٤١ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٦ م.
(٣) الصنعاني ، سبل السلام ، ج٢ ، ص١٠٦ ، وقال إسناده صحيح لكن الألبانب قال عنه حديث ضعيف .
(٤) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين - المجلد السادس عشر - كتاب صلاة العيدين

وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِحْدَانَا لا يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ . قَالَ : لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا)[١] ، و(الْعَوَاتِق) جَمْع عَاتِق وَهِيَ مَنْ بَلَغَتْ الْحُلُم أَوْ قَارَبَتْ ، أَوْ اِسْتَحَقَّتْ التَّزْوِيج ، (وَذَوَات الْخُدُور) هن الأبكار ، قال الحافظ :فِيهِ اِسْتِحْبَابُ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى شُهُودِ الْعِيدَيْنِ سَوَاءٌ كُنَّ شَوَابَّ أَمْ لا وَذَوَاتِ هَيْئَاتٍ أَمْ لا .

وقال الشوكاني : (وَالْحَدِيثُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنْ الأَحَادِيثِ قَاضِيَةٌ بِمَشْرُوعِيَّةِ خُرُوجِ النِّسَاءِ فِي الْعِيدَيْنِ إلَى الْمُصَلَّى مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ الْبِكْرِ وَالثَّيِّبِ وَالشَّابَّةِ وَالْعَجُوزِ وَالْحَائِضِ وَغَيْرِهَا مَا لَمْ تَكُنْ مُعْتَدَّةً أَوْ كَانَ خُرُوجُهَا فِتْنَةً أَوْ كَانَ لَهَا عُذْرٌ) . .

وسئل الشيخ ابن عثيمين : أيهما أفضل للمرأة الخروج لصلاة العيد أم البقاء في البيت ؟فأجاب :" الأفضل خروجها إلى العيد ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن تخرج النساء لصلاة العيد ، حتى العواتق وذوات الخدور . يعني حتى النساء اللاتي ليس من عادتهن الخروج . أمرهن أن يخرجن إلا الحيض فقد أمرهن بالخروج واعتزال المصلى . مصلى العيد . فالحائض تخرج مع النساء إلى صلاة العيد ، لكن لا تدخل مصلى العيد ؛ لأن مصلى العيد مسجد ، والمسجد لا يجوز للحائض أن تمكث فيه ، فيجوز أن تمر فيه مثلاً ، أو أن تأخذ منه الحاجة، لكن لا تمكث فيه ، وعلى هذا فنقول : إن النساء في صلاة العيد مأمورات بالخروج ومشاركة الرجال في هذه الصلاة ، وفيما يحصل فيها من خير، وذكر ودعاء)[٣]، وقال أيضا :" لكن يجب عليهن أن يخرجن تفلات ، غير متبرجات ولا متطيبات ، فيجمعن بين فعل السنة ، واجتناب الفتنة ، وما يحصل من بعض النساء من التبرج والتطيب ، فهو من جهلهن ، وتقصير ولاة أمورهن . وهذا لا يمنع الحكم الشرعي العام ، وهو أمر النساء بالخروج إلى صلاة العيد[٤].

الأدلة من السنة :

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٢٤ وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٨٩٠ .
(٢) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٢ ، ص ٣٠٥ .
(٣) ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، ج١٦ ، ص ٢١٠ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٣ م.

١- عن أمِّ عَطيَّةَ رَضِيَ اللهُ عنها قالت: (أَمرَنا- تعني النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- أنْ نُخرجَ في العيدينِ، العواتقَ)[1] ، قال النوويُّ: (العواتقُ جمْع عاتق، وهي البنتُ التي بلَغتْ، وقال أبو زيد: هي البالِغة ما لم تعنسْ، وقيل: هي التي لم تتزوَّجْ، قال ثعلب: سُمِّيتْ عاتقًا؛ لأنَّها عتقت من ضرِّ أبويها، واستخدامهما وامتهانها بالخروجِ في الأشغال)[2] ، وذواتِ الخدورِ : الخدور: جمْع خِدر، وهو ناحيةٌ في البيتِ يُتركُ عليها سترٌ، فتكون فيه الجاريةُ البِكر. وقيل: الخدور: البيوت[3]. وأمَرَ الحُيَّضَ أن يعتزِلْنَ مُصلَّى المسلمينِ)، وفي روايةٍ: (كنَّا نُؤمَر أن نَخرُجَ يوم العيدِ، حتى تَخرُجَ البكرُ من خِدرِها، وحتى يَخرجَ الحُيَّضُ فيكُنَّ خلفَ الناس، فيُكبِّرْنَ بتكبيرِهم، ويَدْعونَ بدعائِهم؛ يرجونَ بركةَ ذلك اليومِ وطُهرتَه)[4] ، **ووَجْهُ الدَّلالَةِ:** (أنَّه علَّل خروجهنَّ بشهودِ الخيرِ ودعوةِ المسلمينَ، ولو كان واجبًا ما علَّل بذلِك)[5] .

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (لا تَمْنَعوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ)[6] .

٣- عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: ((لا تَمنَعوا إماءَ اللهِ مَساجدَ اللهِ))[7].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٩٠ .

(٢) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٨ .

(٣) يُنظر: (النهاية لابن الأثير (١٣/٢)، المجموع للنووي (٩/٥)، فتح الباري لابن حجر (١١٠/١)، شرح أبي داود للعيني (٤٨٠/٤)، حاشية السندي على سنن النسائي(١٩٤/١).)

(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩٧١ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث٨٩٠.

(٥) الصنعاني ، سبل السلام ، ج٢ ، ص ٦٥ .

(٦) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٥٦٥ ، ورواه وأحمد (٤٣٨/٢) (٩٦٤٣)، والدارمي (٣٣٠/١) (١٢٧٩). احتجَّ به ابنُ حزم في المحلى (٧٨/٤)، وقال ابن عبد البَرِّ في التمهيد (١٧٤/٢٤): محفوظ، وصحَّح إسنادَه على شرْط الشيخين النوويُّ في المجموع (١٩٩/٤)، وصحَّحه ابن الملقِّن في البدر المنير(٤٦/٥)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٦٠٨/٢): اتَّفق الشيخان عليه بالجملة الأوَّلى. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٥٦٥): حسنٌ صحيح. وحسَّنه الوادعي في الصحيح المسند(١٢٩٢).

(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩٠٠ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٤٤٢ .

س٣٢: لماذا يجب إظهار الفرح في العيدين ؟.

ج٣٢ : لم تشرع أعياد المسلمين لمجرد الفرح واللعب والتزاور ، ولكنها من شعائر الدين وعباداته ، فالسنة فيها أن يظهرها المسلمون ويعلنوا بها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع ، ومن أظهر ما لها من الشعائر)[١]،ولذلك تجد كل دين ، وكل مذهب : له أعياد يهتم بها أتباعه ، ويظهرونها : لأنها جزء هام من دينهم .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : إ(ظْهَار السُّرُورِ فِي الْأَعْيَادِ مِنْ شِعَارِ الدِّينِ)[٢] .

إذن ، فإظهار السرور في العيد هو من العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى الله .

وقد روى أحمد عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ يعني يوم أن لعب الحبشة في المسجد : (لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً ؛ إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ)[٣] ،ثم إنه لا تعارض بين إظهار الفرح بالعيد ، والتألم على ما أصاب المسلمين ، والحزن على حالهم ؛ فإن المسلم يظهر فرحه بالعيد ، إظهارا لدينه ، وإعلاء لشأنه ، وهو مع ذلك يحزن لأحزان المسلمين .

فينبغي أن يجمع المسلم بين الأمرين : يظهر شعائر الدين وعباداته ، كصلاة العيد وإظهار شيء من الفرح والسرور به ، وفي الوقت ذاته يحزن لما أصاب إخوانه ويتألم لآلامهم .
ولاشك أن المسلم كلما كان أكثر شعورا وإحساسا بآلام إخوانه المسلمين ، قل توسعه في مباحات اللهو واللعب ، وإن أفسح لنفسه حاجتها وطلبتها من النافع من مظاهر الفرح بالعيد ، وشكر نعمة الله عليه[٤] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (إظهار الفرح والسرور في أيام العيد عيد الفطر، أو عيد الأضحى فإنه لا بأس به إذا كان في الحدود الشرعية، ومن ذلك أن يأتي الناس بالأكل

---

(١) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٥٢٨ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ٤٤٣.
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٢٤٣٣٤، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٣٢١٩)
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ١٤ /١٢ / ٢٠١٤ م.

والشرب وما أشبه هذا، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (أيام التشريق أيام أكل وشرب، وذكر لله عز وجل)، يعني بذلك الثلاثة الأيام التي بعد عيد الأضحى المبارك وكذلك في العيد، فالناس يضحون ويأكلون من ضحاياهم ويتمتعون بنعم الله عليهم، وكذلك في عيد الفطر لا بأس بإظهار الفرح والسرور ما لم يتجاوز الحد الشرعي[(١)].

منزلة الأعياد في الإسلام :

أعياد المسلمين، ليستْ لمجرد اللعب والمرح، بل إنها مِن شعائر الإسلام وشرائع الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الأعياد هي مِن أخص ما تتميز به الشرائع، ومِن أظهر ما لها مِن الشعائر)[(٢)] .

فالفرح بالعيد عبودية جديدة بعد صوم رمضان وقيامه؛ عبودية بالتكبير والتعظيم لله تعالى، وشكره سبحانه على نعمة الصيام والقيام والتوفيق لما يحبه ويرضاه، قال الله عز وجل: (وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٨٥))[(٣)] .

قال ابن عاشور رحمه الله: (وَإِثْبَاتُ الْأَعْظَمِيَّةِ لِلَّهِ فِي كَلِمَةِ (اللَّهُ أَكْبَرُ) كِنَايَةٌ عَنْ وَحْدَانِيَّتِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ، لِأَنَّ التَّفْضِيلَ يَسْتَلْزِمُ نُقْصَانَ مَنْ عَدَاهُ وَالنَّاقِصُ غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّ حَقِيقَتَهَا لَا تُلَاقِي شَيْئًا مِنَ النَّقْصِ، وَلِذَلِكَ شُرِعَ التَّكْبِيرُ فِي الصَّلَاة لإبطال السُّجُود لغير الله، وَشرع التَّكْبِير عِنْد نحر الْبدن فِي الْحَج لإبطال مَا كَانُوا يَتَقَرَّبُون بِهِ إِلَى أصنامهم، وَكَذَلِكَ شرع التَّكْبِيرُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الصِّيَامِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَضَتِ السُّنَّةُ بِأَنْ يُكَبِّرَ الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ الْخُرُوجِ إِلَى صَلَاةِ الْعِيدِ وَيُكَبِّرَ الْإِمَامُ فِي خُطْبَةِ الْعِيدِ)[(٤)].

وإظهار الفرح والسرور بشعائر الإسلام عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى، قال سبحانه: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٥٨))[(٥)] ، وقال النبي

---

(١) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد السادس عشر - باب صلاة العيدين.
(٢) سورة البقرة .
(٣) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٥٢٨ .
(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، تفسير سورة البقرة .
(٥) سورة يونس .

صلى الله عليه وسلم: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)[١] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (إِظْهَار السُّرُورِ فِي الْأَعْيَادِ مِنْ شِعَائِرِ الدِّينِ)[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم لعب الحبشة في المسجد في يوم عيد: (لَتَعْلَمُ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ)[٣] ، فالعيد يوم فرح وسرور، ولكن ليس بمعصية الله والخروج عن شرعه.

خَرَجَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ يَوْمَ الْعِيدِ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: (كَمْ مِنَ امْرَأَةٍ حَسْنَاءَ قَدْ نَظَرْتَ الْيَوْمَ؟ فَلَمَّا أَكْثَرَتْ قَالَ: وَيْحَكِ! مَا نَظَرْتُ إلا فِي إِبْهَامِي مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكِ حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْكِ!)[٤] .

وقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: (خَرَجْتُ مَعَهُ يَوْمَ عِيدٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا غَضُّ الْبَصَرِ)[٥].

وقال كعب بن مالك رضي الله عنه: (مَن صام رمضان وهو يحدث نفسه أنه إذا خرج رمضان عصى ربه؛ فصيامه عليه مردود، وباب التوفيق في وجهه مسدود)[٦].

وسُئِل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضانُ تركوا ذلك، قال: (بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان)[٧]!.

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: (ليس العيد لمِن لبس الجديد، إنما العيد لمن طاعاته تزيد، ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب، في ليلة العيد تفرق خلق العتق والمغفرة على العبيد؛ فمن ناله منها شيء فله عيد، وإلا فهو مطرود بعيد)[٨].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٥١ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ج٢ ، ص ٤٤٣.
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ،ج٦ ، ص ١٠٢٣ .
(٤) المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦ ، ص ٢٩ .
(٥) ابن الجوزي ، التبصرة ، ص١٠٦ .
(٦) ابن رجب ، لطائف المعارف ، ١٣٦ – ١٣٧ .
(٧) عبد العزيز السلمان ، مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، ح٢ ، ص ٢٨٣
(٨) ابن رجب ، لطائف المعرف ، ص ٢٧٧ .

وقال الحسن البصري رحمه الله: (كل يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد، كل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد)[1].

فعلى المسلم أن يشكر نعمة الله عليه وتوفيقه لطاعته، وأن يثبت على العود الحميد، وأن يعلم أنه لا غنى له عن توفيق الله ومعونته له طرفة عين أبدًا، وأن قلبه ليس بيده، وإنما القلوب بيْن أصابع الرحمن يقلبها –سبحانه– كيف يشاء.

وكان مِن أكثر دعاء النبي –صلى الله عليه وسلم: (يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)[2]،وكان يقول صلى الله عليه وسلم: (اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)[3] .

س٣٢ : لماذا شرع الله تعالى صلاة الاستسقاء ؟.

ج٣٢: إذا أجدبت الأرض، واحتبس المطر شرعت صلاة الاستسقاء، ويخرج لها المسلمون في الصحراء متبذلين، خاشعين، متذللين، متضرعين، متواضعين، رجالاً ونساءً وصبياناً، ويحدد لهم الإمام يوماً يخرجون فيه لصلاة الاستسقاء.

والاستسقاء يكون: إما بصلاة الاستسقاء جماعة، أو بالدعاء في خطبة الجمعة، أو بالدعاء عقب الصلوات وفي الخلوات من غير صلاة ولا خطبة

إن الحكمة من صلاة الاستسقاء تكمن في الرجوع إلى المولى عز وجل، ومراجعة المسلمين لأنفسهم ولأخطائهم التي تمنع الغيث عنهم ولسرائرهم الداخلية التي لا يعلمها إلا الله، فهو الذي يعلم السر وأخفى، حيث تحتاج هذه الصلاة إلى نفوس خاشعة مستغفرة ، تدعو الله بكل صدق ويقين أن المولى عز وجل سيستجيب دعائها لا محالة، كما تعمل على تقريب المسلمون من بعضهم البعض، إذ تشترك الجموع في التضرع والابتهال إلى الله.

---

(١) ابن رجب ،لطائف المعارف ، ص ٢٧٨ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٧٩٨٧.
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٥٤ .
(٤) موقع طريق الإسلام ، من أقوال السلف بعد رمضان في ٤ / ٨ / ٢٠١٤ مز.

س٣٣: لماذا لا تُرفع اليدان في الدعاء إلا في دعاء صلاة الاستسقاء ودعاء القنوت ؟.

ج٣٣: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله الأفضل رفع الأيدي في الدعاء، هذا هو الأفضل، لأنه من أسباب الإجابة، إلا في حالات ما رفع فيها النبي صلى الله عليه وسلم فإنا لا نرفع فيها، وما عداها نرفع في المواضع التي رفع فيها صلى الله عليه وسلم كصلاة الاستسقاء خطبة الاستسقاء وفي المواضع التي ندعو فيها نرفع أيدينا، لكن المواضع التي ما رفع فيها صلى الله عليه وسلم مثل صلاة الفريضة ما أعلم ما رفع فيها بين السجدتين ولا قبل السلام ولا بعد السلام، لو فعله لنقل، لو فعله لنقله الصحابة؛ فإنهم ما تركوا شيئًا إلا نقلوه، فلما لم ينقلوا أنه كان يرفع يديه بعد الفريضة دل على أنه لا يشرع، وكذلك في خطبة الجمعة ما كان يرفع يديه في خطبة الجمعة ولا في خطبة العيد عليه الصلاة والسلام، فنحن لا نرفع إلا إذا استسقينا في خطبة الجمعة والعيد نرفع أيدينا للاستسقاء[١].

وفي تفصيل ذلك نقول : لا يجوز للإمام أن يرفع يديه وهو على المنبر عند الدعاء ، وكذلك لا يجوز للمصلين أن يرفعوا أيديهم عند التأمين على دعاء الإمام ، أو في جلسة الاستراحة ، لأن هذا لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه الكرام ، بل لو حدث ولو مرة لنقل إلينا ،على كثرة الجُمَعِ التي صلاها الصحابة معه صلى الله عليه وسلم

فهذا بشر بن مروان لما كان يوم الجمعة ورفع يديه يدعو فاعترض على فعله هذا عمارة بن رؤيبة رضي الله عنه ، فعنْ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ رضي الله عنه قَالَ رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ فَقَالَ قَبَّحَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ : (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ)[٢] .

هيئات أو صور رفع اليد في الدعاء :

١- فإذا كان الدعاء ابتهالا : وهو شدة المبالغة في الطلب ، فيمد يديه في الدعاء ، ومثله ما جاء من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر وفيه (فَاسْتَقْبَلَ

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٧٤ .

نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّه ...)[1].
أن يكون دعاءً ومسألة : كقنوت الوتر أو الاستسقاء ، أو أي دعاء آخر ، فيرفع يديه ، حذاء وجهه ، أو حذو منكبيه ، ففي حديث أنس رضي الله عنه في طلب الأعرابي من النبي صلى الله عليه وسلم الاستسقاء ، وفيه : (فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدَيْهِ بِحِذَاءِ وَجْهِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اسْقِنَا)[2]، ، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مرفوعا قَالَ (الْمَسْأَلَةُ أَنْ تَرْفَعَ يَدَيْكَ حَذْوَ مَنْكِبَيْكَ أَوْ نَحْوَهُمَا وَالاسْتِغْفَار أَنْ تُشِيرَ بِأُصْبُعٍ وَاحِدَةٍ وَالابْتِهَالُ أَنْ تَمُدَّ يَدَيْكَ جَمِيعًا)[3] صحيح موقوف ومرفوع، حذوَ الشيء: في موازاته ومساواته، المنكب: مُجْتَمَع رأس الكتف والعضد.

٢- عند الاستغفار ، فيرفع أصبعه السبابة ، كما في حديث ابن عباس السابق.

٣- في دعاء الاستسقاء وحده فقط ، بأن تكون ظهر كفيه إلى السماء ، وبطونهما إلى الأرض ، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال :(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَسْقَى فَأَشَارَ بِظَهْرِ كَفَّيْهِ إِلَى السَّمَاءِ)[4] ، قال ابن حجر رحمه الله (الحكمة في الإشارة بظهور الكفين في الاستسقاء دون غيره للتفاؤل ، بتقلب الحال ظهراً لبطن ، كما قيل في تحويل الرداء ، أو هو إشارة إلى صفة المسئول ، وهو نزول السحاب إلى الأرض)[5] ، قال النووي رحمه الله: قال جماعة من أصحابنا وغيرهم : السنة في كل دعاء لرفع بلاء كالقحط ونحوه أن يرفع يديه ويجعل ظهر كفيه إلى السماء ، وإذا دعا لسؤال شيء وتحصيله جعل بطن كفيه إلى السماء)[6] ، وتعميم هذا في كل دعاء لرفع بلاء فيه نظر ، فلم يثبت أن فعله النبي صلى الله عليه وسلم في غير الاستسقاء[7] .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧٦٣ .
(٢) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، ج١ ، ص ١١٧٥، سنن النسائي ، ج ٣ص١٥١٥
(٣) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٤٨٩ – ١٤٩١ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٩٦ .، وفي مسند أحمد جزء ٣-١٢٥٧٦ واللفظ له.
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ٦٠١ .
(٦) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ١٨٩ .
(٧) موقع شبكة الألوكة في ٦ / ١ / ٢٠١١ .

س٣٤: لماذا لا يجوز لأحد أن يحجز له مكانا خاصا في المسجد دون غيره من المصلين ؟.

ج٣٤: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (فالمسجد بيت الله أعد لعبادته وطاعته من الصلاة وغيرها، فلا يجوز لأحد أن يتحجر ما خلف الإمام، ولا ما عن يمينه ولا ما عن شماله، فهو لمن سبق، الصف الأول لمن سبق، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا يعني لاقترعوا للمسابقة إليه والحرص على أن يتقدموا.

فحجزه أمر لا يجوز وغصب للمكان، ولا حق لمن غصبه، فالسابق أولى منه وأحق منه في المكث فيه والتقدم إليه، والواجب التنبيه على هؤلاء، وأن يعلموا أن هذا لا يجوز، وأن حجز الصف الأول أو وسط الصف الأول لمن يأتي بعد ذلك لا يجوز، والواجب أن تزال هذه الأشياء وألا تبقى في مكانها، بل يكون الصف لمن سبق، وكنا نعلم هذا من قديم، كان أهل الحل والعقد والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر يلاحظون هذا ويزيلون ما يضعه الناس في الصف الأول حتى يتقدم الناس بأنفسهم، لا بالخرق ولا بغير الخرق ولا بالسجادات، ولكن يتقدمون بأنفسهم إلى الصف الأول فهو لمن سبق بنفسه لا لمن سبق بالسجادة أو النعلين أو غير هذا لا، هذا هو الحق هذا هو الصواب، فالسابق أولى بالمكان.

نعم إذا كان الإنسان تقدم في الصف الأول ثم عرض له عارض فقام يتوضأ فهو أحق بمكانه حتى ولو ما جعل فيه شيئا، هو أحق بمكانه أن يرجع إليه إذا عرض له عارض فقام يتوضأ، أو لغير ذلك من العوارض التي تعرض، وجاء للإقامة في المسجد والجلوس والانتظار، فهذا ينبغي أن يعرف ويعرفه جيرانه ويقولون لمن جاء هذا المكان له صاحب قام لعارض وهو أحق به، أما إنسان يتقدم بالسجادة أو غيرها ويبقى في بيته أو يبقى في دكانه هذا غلط هذا لا يجوز.

وأهل الجنازة إذا كان لهم في مكان في الصف الأول يدخلون في الصف الأول أو في الثاني، وإذا كان ما لهم مكان يصفون خلف الإمام لا معه، الإمام لا يكون معه أحد يكونون

خلفه ولو كان صفًا قاصرًا يكونون خلف الإمام، والجنائز يتسامح في صفوفها، ولهذا قال بعض الصحابة: أنه لا بأس أن تكون الصفوف ثلاثة ولو كانت غير تامة، فالمقصود: أنه إذا تيسر أن يكونوا في الصف أن يدخلوا في الصف كان الأولى والأفضل، سواء كان في الصف الأول أو من ورائه الصف الثاني أو الثالث إذا تيسر لهم مكان إذا صفوا خلف الإمام صفًا، ولو كان غير كثير لا بأس.)[1]. الموقع

وهناك تفصيل في هذه المسألة بحسب المذاهب الإسلامية ، يقول د. محمد بن علي اليحيى : (الناظر في كتب الفقهاء يجدهم **قد اختلفوا في هذه المسألة على أقوال:**

القول الأول: جواز حجز الأماكن في المساجد بوضع فُرُش أو أحدٍ ينوب مكانه، ولا يجوز لمن جاء أن يرفعها أو يصلي عليها، إلا إذا حضرت الصلاة فيبطل حقُّه، وهذا قول الحنابلة في المذهب عندهم ، قال البهوتي رحمه الله: (و) حرم أيضًا (رفع مصلى مفروش) ليصلي عليه ربُّه إذا جاء؛ لأنه افتيات على ربِّه، وتصرُّف في ملكه بغير إذنه، فيجوز فرشه (ما لم تحضر) أي: تقم (الصلاة)[2] .

أدلتهم:

١- أن صاحب الفراش ملك المكان بوضعه، فرَفْعُه داخلٌ في الافتئات عليه، والتصرُّف في ملكه بغير إذنه، فهو سابق إلى المكان بهذا الفراش، وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ سَبَقَ إِلَى مَا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فَهُوَ لَهُ)[3].

الرد: الحديث يدل على تملُّك الشيء بحوزه وقبضه، بخلاف وضع السجاد في أماكن الصلاة، ثم مفارقتها وعدم استعمالها فيما وضعت له.

٢- أن الفراش نائب عن صاحبه وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إقامة الرجل من

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

(٢) البهوتي ، شرح منتهى الإرادات ، ج١ ، ص ٣٢٢ ، وانظر ، والمغني؛ لابن قدامة (٢/ ٢٦١)، والكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٣٣٥)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٥/ ٢٩٤)، والمبدع في شرح المقنع (٢/ ١٧٦).

(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٠٧١ .وقد ضعفه الألباني ؛ لكن المعنى ثابت من نصوص أخرى. من حديث أسمرَ بنِ مُضرِّسٍ رضي الله عنه.

مكانه، فقال: (لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ)[1] ؛ رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

الرد: هذا قياسٌ مع الفارق، فكيف يساوي بين المصلِّي والفِراش الذي يُصلِّي عليه، ولو كان للفراش حرمة، لما جاز رفعه إذا حضرت الصلاة، ولم يحضر صاحبه.

٣- من حديث عائشة رضي الله عنها : (أن سعدًا رضي الله عنه لما أصيب، ضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ)[2]؛ رواه البخاري ، ومسلم ، فهذا نوع من الحجز للمكان داخل المسجد.

الرد: أن هذا حجز مخصوص، وله علة خاصة، كما نصَّ عليه في الحديث، كما أنه لا يلزم أن يكون في الصفوف التي يتسابق الناس إليها، ثم إن سعدًا جالس في خيمته، لم يخرج منها.

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مِنًى مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ)[3]؛ رواه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها ، قال الشاشي رحمه الله: إذا وضع مصلَّاه كان أحقَّ به؛ لحديث (منى مناخ من سبق) فإذا نزل بمنى برحله، ثم خرج لحاجته، ليس لغيره نزع رحله)[5] .

الرد: لا يسلم بهذا القياس، ففرق بين المسألتين؛ بل فيه دلالة على النهي، فإن النبي نهى أن يُتحجر له شيء في منى، وجعل المكان حقًّا للسابق، فقد قيل له: أَلَا نَبْنِي لَكَ بِمِنًى بَيْتًا أَوْ بِنَاءً يُظِلُّكَ مِنَ الشَّمْسِ، فَقَالَ: (لَا؛ إِنَّمَا هُوَ مُنَاخُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهِ).

٥- أن رفع السجاد يفضي إلى الخصومات والنزاعات.

الرد: أن الخصومة المتعلقة بسبب هذه السجاجيد؛ يتحملها واضعها لا رافعها، فهو المطالب بدَرْءِ هذه الخصومات؛ لأنها وقعت بسببه.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩١١ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٢١٧٧ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٦٣ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ١٧٦٩ .
(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٢٠١٩ .
(٤) لحديث حسَّنه الترمذي (٨٨١)؛ لكن ضعَّفه الألباني.
(٥) المناوي ، فيض القدير ، ج٦ ، ص ٢٤٤ .

القول الثاني: جواز حجز الأماكن في المساجد، بوضع فُرُش أو مَنْ ينوب مكانه، ولا يجوز لمن جاء أن يصلي عليها؛ ولكن له تنحيتها، فيجوز لصاحب السجاد وضعها، ويجوز لغيره رفعها، وهذا قول الشافعية في المذهب عندهم، والقول الآخر عند الحنابلة[1] ، قال النووي رحمه الله: يجوز أن يبعث الرجل من يأخذ له موضعًا يجلس فيه، فإذا جاء الباعث تنحَّى المبعوث، ويجوز أن يفرش له ثوبًا ونحوه، ثم يجيء ويصلي موضعه، فإذا فرشه لم يجز لغيره أن يصلي عليه؛ لكن له أن يُنحِّيَه، ويجلس مكانه:

دليلهم:

أما النيابة فلما روي: أن محمد بن سيرين رحمه الله، كان يرسل غلامه إلى مجلس له يوم الجمعة، ليجلس فيه، فإذا جاءه محمد قام الغلام، وجلس فيه محمد)[2].

وأما الفرش ونحوها، فلأن الأصل جواز الوضع فلا دليل يمنع، وأمَّا جواز الرفع، فالفرش لا حرمة لها بنفسها، والمنهي عنه إقامة الرجل لا الفراش، فالسبق بالأجسام لا بما يُفرش، والسابق هو الذي يستحق المكان المقدم، فهو مأمور به، ولا يتم الأمر بالتقدم إلى الصف الأول؛ إلا برفع هذا المفروش، فيكون الرفع مأمورًا به.

وقد نصَّ الشافعي رحمه الله على إرسال المبعوث فقال: (ولا أكره للرجل يوم الجمعة أن يوجه من يأخذ له موضعه، فإذا جاءه الآمر تنحَّى له) فقاس الشافعية وضع الفرش على الإرسال[3].

الرد: أن جواز الوضع وجواز الرفع؛ فيه نوع تعارض، فما الفائدة من ذلك، إذا قيل للواضع: إن لك حق الوضع ولغيرك حق الرفع، ثم إنه لا بد من تحديد صاحب الحق في ذلك، فإن كان الحق لصاحب السجاد فليس لغيره رفعها، وإن كان للسابق فليس للحاجز بالفُرُش وضعها.

---

(١) الشافعي ، المجموع ، ج٤ ، ص ٥٤٧ .، وانظر روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢/ ٤٦)، والبيان في مذهب الإمام الشافعي (٢/ ٥٩٢)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٥/ ٢٩٤)

(٢) أبو الخير عمراني ، البيان ، ج٢ ، ص ٥٩٢ .

(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٩٢ .

القول الثالث: تحريم حجز الأماكن في المساجد بالفُرُش، ولمن سبق إلى المكان، الحق في رفع السجاجيد لا الصلاة عليها، وهذا قول المالكية، واختاره الإمام ابن تيمية والسعدي وابن إبراهيم وابن باز وابن عثيمين.

واستثنى المالكية والشافعية حجز المكان للمفتي والمقرئ والواعظ؛ لأجل معرفة مكانه وقصد الناس إليه[1] وقد نصَّ المالكية على ذمِّ لبس الثياب ذات الأكمام الطويلة، التي تنفرش على الأرض؛ لأن المصلي ليس له من المسجد إلا موضع سجوده وجلوسه، ولم أجد نصًّا عن الحنفية في هذه المسألة، إلا شيئًا محتملًا يُشير إلى المنع من حجز المكان، وقد يكون بسبب قصور بحثي)[٤] ، قال الدسوقي المالكي رحمه الله في حاشيته: وأما السبق بالفرش فهو تحجير لا يجوز، وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: ليس لأحد أن يفرش شيئًا، ويختص به مع غيبته ويمنع به غيره، هذا غصب لتلك البقعة ومنع للمسلمين مما أمر الله تعالى به من الصلاة، والسنة أن يتقدَّم الرجل بنفسه، وأما من يتقدَّم بسجادة فهو ظالم ينهى عنه، وقد نصَّ على وجوب رفع السجاجيد، والإنكار على فاعليها ومنعهم من وضعها، لا سيما ولاة الأمر، ولهم الحق في مصادرتها والتصدُّق بثمنها.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: المساجد لله، والناس فيها سواء، وليس لأحد فيها حق إلا إذا تقدَّم بنفسه، فإذا سبقه غيره فهو أحق منه، فإذا تحجَّر شيئًا لغيره فيه حق، كان آثمًا عاصيًا لله، وكان ظالِمًا لصاحب الحق، وليس الحق فيها لواحد؛ بل جميع من جاء قبله له حق في مكانه، فيكون قد ظلم خلقًا كثيرًا، وله كلام طويل غليظ على من فعل ذلك ، وقال الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله: المساجد لله سبحانه، والسابق أحق من المتأخِّر، والسبق والتقدم إلى المسجد يكون بالبدن لا بالفراش والوطاء، فمنع الناس والحالة هذه لا يجوز، بل هو ظلم

---

(١) مواهب الجليل لمختصر خليل ، ج٥ ، ص ١٥٩ ، وانظر التاج والإكليل لمختصر خليل (٧/ ١٢٧)، وحاشية الدسوقي (٣/ ٣٦٨)، وشرح مسلم للنووي ١٤/ ١٦٠، ومجموع الفتاوى ٢٢/ ١٨٩ ،١٩٣-٢٤/ ٢١٦، وفتاوى ابن سعدي ص١٨٢، وفتاوى ابن إبراهيم ٣/ ٣٨، وفتاوى ابن باز ١٢/ ٢٠٨، ومجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٢/ ٣٩٣-٢٤/ ٤١) رسالة: حجز المكان في المسجد؛ للسدحان.

(٢) ابن عابدين ، حاشية ابن عابدين ، ج١ ، ص ٦٦٢ .

وغصب لتلك البقعة من المسجد بدون حق...فلا شك أن فعلَ ذلك في المسجد الحرام أعظمُ تحريمًا وأشد منعًا، لعظم حرمة ذلك المسجد، وله كلام طويل غليظ على من فعل ذلك.

وقال ابن باز رحمه الله: المسجد لمن سبق، فلا يجوز لأحد أن يحجز مكانًا في المسجد، فحجزه أمر لا يجوز وغصب للمكان ولا حق لمن غصبه، فالسابق أولى منه وأحق به حتى يتقدم الناس إلى الصلاة بأنفسهم، كما نصَّ على تحريم دفع المال لمن يحجز له.

وقال ابن عثيمين رحمه الله: ما يفعله بعض الناس يحجز، ويذهب إلى بيته وينام ويأكل ويشرب، أو إلى تجارته يبيع ويشتري، فهذا حرام ولا يجوز، هذا هو القول الصحيح في هذه المسألة.

أدلتهم:

١- ذكر الإمام ابن تيمية اتفاق المسلمين على النهي عن ذلك، فقال: ما يفعله كثير من الناس من تقديم مفارش إلى المسجد يوم الجمعة أو غيرها، قبل ذهابهم إلى المسجد، فهذا منهي عنه باتفاق المسلمين؛ بل محرم[1] كما ترى فإن الخلاف قائم بين العلماء في حكم وضع الفرش، حتى لو قيل إنه يفرق بين الوضع والرفع أو بين الكراهة والتحريم، فإن طائفة من العلماء نصَّت على الإباحة كما تقدم في القول الأول والثاني..

٢- أن المبكر إلى الصلاة أحق بالمكان من التأخُّر، فالسابق أحق من الحاجز، وهذا من العدل الذي جاءت به الشريعة، فالناس في بيوت الله سواء، فالحجز يترتَّب عليه غصب بقعة من المسجد ليست له، وغيره ممن سبقه أحقُّ بها، وقد جاء الوعيد في غصب البقاع.

وهل تصحُّ صلاته في هذه البقعة المغصوبة؟ الجواب : على قولين ذكرهما الإمام ابن تيمية فهو فاعل لمعصية الغصب، وهذه المعصية إن لم تبطل الصلاة فإنها تنقصها.

---

(١) ابنتيمة، مجموع الفتاوى ، ج٢٢ ، ص ١٨٩ .
(٢) المصدر السابق الجزء والصفحة .

٣- أن الشريعة أمرت بإتمام الصفوف الأول فالأول، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَتِمُّوا الصَّفَّ الْأَوَّلَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، وَإِنْ كَانَ نَقْصٌ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ)(١)؛ ، من حديث أنس رضي الله عنه، فمن وضع سجادة، فهو مانع لغيره من امتثال النصِّ الشرعي، وعمارة هذه البقعة بالصلاة.

٤- أن النبي صلى الله وعليه وسلم ذكر التبكير إلى الصف الأول، والاستهام عليه عند المزاحمة، ولو شُرع السبق بالفرش، لحضَّ على ذلك، ولفعله أصحابه، فقال: (لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ)(٢)؛ رواه البخاري)، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥- عن عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ رضي الله عنه، قَالَ: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُوَطِّنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوَطِّنُ الْبَعِيرُ)(٣)؛ رواه أبو داود ، وحسَّنه الألباني. فحجزه مكانًا في المسجد يعاوده، داخلٌ في النهي النبوي.

الرد: النهي وارد على مَنْ داوَمَ على ذلك، بخلاف من حجز مكانًا للصلاة وليس لذات المكان، وقد ذكر بعض العلماء أن الحكمة في ذلك؛ انشغال باله في المكان الأول لو صلى في غيره، فنُهي عن مداومته عليه(٤).

٦- أن هذا الفعل يترتَّب عليه مفاسد كثيرة، والشريعة جاءت بدَرْئها منها :

أ- أن الحجز قد يترتب عليه تخطي رقاب الناس، وهو منهيٌّ عن ذلك.

ب- أن حجز المكان يفضي إلى عدم التبكير إلى الصلاة وهو مأمور بذلك، فالفضيلة للسابق بنفسه.

ت- أن هذا يوقع البغضاء في قلب من سبق إلى المكان وحُرم منه بسبب هذه الفرش.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٣٤ . ورواه النسائي (٨١٨)
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦١٥ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٤٣٧ .
(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٨٦٢ .
(٤) ابن عابدين ، حاشية ابن عابدين ، ج١ ، ص ٦٦٢ .

ث- أن هذا الفعل يسبب الخصومات والمنازعات بين السابقين لهذه الأماكن والحاجزين، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إيذاء المصلين في المسجد، فحرم أكل الثوم والبصل؛ لأجل ذلك.

ج- أنه يترتب عليه تضييق على الناس وإيقاع مشقة عليهم، إذا تتابع بعضهم على حجز الأماكن.

ملخص بحث المسألة ونتائجها:

١- مسألة حجز الأماكن في المساجد، محكومةٌ بقاعدتين عظيمتين من قواعد الشريعة؛ وهما: قاعدة تحقيق العدل ومراعاة حقوق الخلق، وقاعدة تحقيق الأُلْفة بين المؤمنين وعدم شقاقهم، وخاصة في مواضع الصلاة جماعة، فعلى الواضع والرافع تحقيق هذه المقاصد الشرعية واعتبارهما، فهما أعظم من المقاصد الجزئية المتعلِّقة بالمكان وغيره.

٢- أن وضع الفُرش في أماكن الصلاة وحِرْمان المصلِّين منها؛ داخل في الاعتداء من وجهين: أحدهما: في حق الله تعالى؛ وهو تعطيل البقعة من العبادة، والثانية: حرمان السابقين إليها، وقد شاهدنا في المسجد الحرام، من يرسل صبيًّا بالثمن، ليحرس لهم السجاد التي وضعوها، ومنعوا غيرهم من مواضعها، فيأتون بعد ذلك بأعداد كبيرة، بعد مجيء الناس واكتمال الصفوف، وحجتهم في ذلك، الاجتماع على الإفطار والحديث بعده، ألا فليتَّق الله هؤلاء من فعلتهم، وليعلموا أن المساجد لم تُبْنَ إلا لأجل العبادة.

٣- أن السجاجيد والفُرش ليس لها حرمة ولا اعتبار، فللمتقدم بنفسه رفعها والسبق إلى أماكنها، ولكن ليعلم أن الفضيلة المتعلِّقة بذات العبادة، مقدمة على الفضيلة المتعلِّقة بمكانها، خاصة إذا كانت سببًا في تشتيت فكره وانشغال قلبه، وفرق بين رجل صلَّى في موضع متأخِّر من المسجد، وقد اجتمع عليه قلبه وخشع في صلاته، وبين من حرص على موضع متقدم، ففاته ما هو أهم من المكان، وهو لب العبادة ومقصودها الأعظم، وكم وقعت منافرات وخصومات شخصية، داخل بيت الله الحرام وأمام

الكعبة المشرفة، يتعجب العاقل من مضي بعضهم، إلى آخر ما تمكنه قدرته من النزاع والشجار، ولو تنازل لاستراح من ذلك كله، وأدرك الأجر من ربِّه كاملًا، مع سلامته من إثم الزيادة في الاعتداء عند الرد على الظالم البادئ.

٤- في التفريق بين وضع الفُرُش وبين إرسال من ينوب عنه بالمكان، مجال للنظر والتأمُّل، فقد يقال: إن المقصد من البقعة أداء العبادة، وهذا النائب لم يُرد بها إلا تحجير المكان، فخالف مقصود الشريعة في فعله، فلما ترتب عليه منع غيره من استعمالها بالطاعة؛ استوى هو والفُرُش في الحكم، فلا يحق له ولا لغيره تحجر ذلك؛ بل السابق أحق بهذا المكان، ويمكن أن يقال: إن النائب قد ملك المكان بجلوسه فيه، ثم تنازل عنه لمن أرسله إليه؛ ولكن ليس له أجر المكان؛ لأنه لم يتقدم بنفسه. والاحتياط في ذلك ألا يتحجر المكان لا بفراش ولا بإنسان.

٥- على المحتج بخلاف الفقهاء في حكم الحجز بالسجاد عند وضعها، أن يتقبل احتجاج غيره بخلافهم عند رفعها، فليس له الحق في الاحتجاج بالخلاف وتبرير فعله بذلك، ومنعه لغيره من رفعها، وقد رأينا من يضع سجادة بعد صلاة الفجر في المسجد الحرام، ثم يذهب إلى بيته فيصلي فيه الظهر والعصر، ولا يأتي المسجد إلا قبل غروب الشمس، ويحتج بتجويز بعض الفقهاء، وما علم أنهم أسقطوا حقَّه عند حضور الصلاة.

٦- على الذين يأتون متأخِّرين إلى الصلاة، ويبتغون الصفوف الأولى- مع خلو مؤخرة المسجد - فيطلبون من غيرهم أن يفسحوا لهم، احتجاجًا بنصٍّ يأمر بالتفسُّح والتوسُّع، أن يتذكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي تخطَّى رقاب الناس يوم الجمعة: (اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ، وَآنَيْتَ)[1] ؛ رواه أبو داود من حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه.

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١١١٨ .

ومنه يُعلم أن طلب التفسُّح إنما يكون عند ضيق المكان، لا أن يتجاوز مؤخرة المسجد الخالية، ويطالب السابقين بالتوسعة له، فهذا هو طريق الجمع بين النصوص[١].

س٣٥: لماذا شرعت الزكاة ؟ وهل هناك فرق بينها وبين الصدقة ؟.

ج٣٥: الزكاة لغة : النماء والريع والبركة والتطهير .انظر[١] ، [٢] ، والصدقة لغة : مأخوذة من الصدق ؛ إذ هي دليل على صدق مخرجها في إيمانه[٤] .

وأما تعريفها شرعا :فالزكاة : هي التعبد لله عز وجل بإعطاء ما أوجبه من أنواع الزكوات إلى مستحقيها على حسب ما بينه الشرع .

والصدقة : هي التعبد لله بالإنفاق من المال من غير إيجاب من الشرع ، وقد تطلق الصدقة على الزكاة الواجبة .

وأما الفرق بين الزكاة والصدقة فكما يلي :

١- الزكاة أوجبها الإسلام في أشياء معينة وهي : الذهب والفضة والزروع والثمار وعروض التجارة وبهيمة الأنعام وهي الأبل والبقر والغنم ، وأما الصدقة : فلا تجب في شيء معين بل بما يجود به الإنسان من غير تحديد .

٢- الزكاة : يشترط لها شروط مثل الحول والنصاب . ولها مقدار محدد في المال ، وأما الصدقة : فلا يشترط لها شروط ، فتعطى في أي وقت وعلى أي مقدار .

٣- الزكاة : أوجب الله أن تعطى لأصناف معينة فلا يجوز أن تعطى لغيرهم ، وهم المذكورون في قوله تعالى: (نَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠))[٥]، فيجوز أن تعطى لمن ذكروا في آية الزكاة ولغيرهم .

---

(١) . د.محمد بن علي اليحيى جامعة القصيم - كلية الشريعة - قسم أصول الفقه ، ١٣/ ٨/ ١٤٤٠هـ موقع شبكة الألوكة
(٢) ابن نظور ، لسان العرب ،ج١٤ ، ص ٣٥٨ .
(٣) فتح القدير ، ج٢ ، ص ٣٩٩ .
(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٥) سورة التوبة .

٤- من مات وعليه زكاة فيجب على ورثته أن يخرجوها من ماله وتقدم على الوصية والورثة ، وأما الصدقة : فلا يجب فيها شيء من ذلك .

٥- مانع الزكاة يعذب كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت تستن عليه كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ،وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ...)[١] .، وأما الصدقة : فلا يعذب تاركها .

٦- الزكاة : على المذاهب الأربعة لا يجوز إعطاؤها للأصول والفروع والأصول هم الأم والأب والأجداد والجدات ، والفروع هم الأولاد وأولادهم ، وأما الصدقة : فيجوز أن تعطى للفروع والأصول ، بينما الزكاة : لا يجوز إعطاؤها لغني ولا لقوي مكتسب ، فعن عبيد الله بن عدي قال :(أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسألاه منها فرفع فيهما البصر وخفضه فرآنا جلدين فقال : " إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب)[٢] .. وأما الصدقة : فيجوز إعطاؤها للغني والقوي المكتسب .

---

(١) الامام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحيث ٩٧٨ .
(٢) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث٢٥٩٨ ، رواه أبو داود (١٦٣٣) والحديث : صححه الإمام أحمد وغيره .انظر : " تلخيص الحبير " (٣ / ١٠٨) .

٧- الأفضل في الزكاة أن تؤخذ من أغنياء البلد فترد على فقرائهم . بل ذهب كثير من أهل العلم أنه لا يجوز نقلها إلى بلد آخر إلا لمصلحة ، وأما الصدقة : فتصرف إلى القريب والبعيد .

٨- الزكاة : لا يجوز إعطاؤها للكفار والمشركين ، وأما الصدقة : فيجوز إعطاؤها للكفار والمشركين ، كما قال الله تعالى : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨))[١] ، قال القرطبي : والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركاً .

٩- لا يجوز للمسلم أن يعطي الزكاة لزوجته ، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك ، وأما الصدقة : فيجوز أن تعطى للزوجة .

وتطلق الصدقة على جميع أعمال البر ، قال البخاري رحمه الله في صحيحه : باب كل معروف صدقة ، ثم روى بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كل معروف صدقة) ، قال ابن بطال : دل هذا الحديث على أن كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة ، وقال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم : (كل معروف صدقة) أي : له حكمها في الثواب[٢] .

أما الحكمة من مشروعية الزكاة :

الله تعالى لا يشرع شيئاً إلا وهو متضمن لأحسن الحكم ، ومحقق لأحسن المصالح ، فإن الله تعالى هو العليم ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، الحكيم ، الذي لا يشرع شيئاً إلا لحكمة ، وقد ذكر العلماء حكما كثيرة لذلك ، منها :

١- إتمام إسلام العبد وإكماله ؛ لأنها أحد أركان الإسلام ، فإذا قام بها الإنسان تم إسلامه وكمل ، وهذا لا شك أنه غاية عظيمة لكل مسلم ، فكل مسلم مؤمن يسعى لإكمال دينه .

---

(١) سورة الإنسان .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٣ / ١٠ /٢٠٠٢ م.

٢- أنها دليل على صدق إيمان المزكي ، وذلك أن المال محبوب للنفوس ، والمحبوب لا يبذل إلا ابتغاء محبوب مثله أو أكثر ، بل ابتغاء محبوب أكثر منه ، ولهذا سميت صدقة ؛ لأنها تدل على صدق طلب صاحبها لرضا الله عزّ وجل .

٣- أنها تزكي أخلاق المزكي ، فتنتشله من زمرة البخلاء ، وتدخله في زمرة الكرماء ؛ لأنه إذا عود نفسه على البذل ، سواء بذل علم ، أو بذل مال ، أو بذل جاه ، صار ذلك البذل سجية له وطبيعة حتى إنه يتكدر ، إذا لم يكن ذلك اليوم قد بذل ما اعتاده ، كصاحب الصيد الذي اعتاد الصيد ، تجده إذا كان ذلك اليوم متأخراً عن الصيد يضيق صدره ، وكذلك الذي عود نفسه على الكرم ، يضيق صدره إذا فات يوم من الأيام لم يبذل فيه ماله أو جاهه أو منفعته .

٤- أنها تشرح الصدر ، فالإنسان إذا بذل الشيء ، ولاسيما المال ، يجد في نفسه انشراحاً ، وهذا شيء مجرب ، ولكن بشرط أن يكون بذله بسخاء وطيب نفس ، لا أن يكون بذله وقلبه تابع له ، وقد ذكر ابن القيم في "زاد المعاد" أن البذل والكرم من أسباب انشراح الصدر ،لكن لا يستفيد منه إلا الذي يعطي بسخاء وطيب نفس ، ويخرج المال من قلبه قبل أن يخرجه من يده ، أما من أخرج المال من يده ، لكنه في قرارة قلبه ، فلن ينتفع بهذا البذل .

٥- أنها تلحق الإنسان بالمؤمن الكامل (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فكما أنك تحب أن يبذل لك المال الذي تسد به حاجتك ، فأنت تحب أن تعطيه أخاك ، فتكون بذلك كامل الإيمان .

٦- أنها من أسباب دخول الجنة ، فإن الجنة (لمن أطاب الكلام ، وأفشى السلام ، وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام) ، وكلنا يسعى إلى دخول الجنة .

٧- أنها تجعل المجتمع الإسلامي كأنه أسرة واحدة ، فيعطف فيه القادر على العاجز ، والغني على المعسر ، فيصبح الإنسان يشعر بأن له إخواناً يجب عليه أن يحسن إليهم كما أحسن الله إليه ، قال تعالى : (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) فتصبح الأمة

الإسلامية وكأنها عائلة واحدة ، وهذا ما يعرف عند المتأخرين بالتكافل الاجتماعي ، والزكاة هي خير ما يكون لذلك ؛ لأن الإنسان يؤدي بها فريضة ، وينفع إخوانه .

٨- أنها تطفئ حرارة ثورة الفقراء ؛ لأن الفقير قد يغيظه أن يجد هذا الرجل يركب ما شاء من المراكب ، ويسكن ما يشاء من القصور ، ويأكل ما يشتهي من الطعام ، وهو لا يركب إلا رجليه ، ولا ينام إلا على الأرض وما أشبه ذلك ، لا شك أنه يجد في نفسه شيئاً ، فإذا جاد الأغنياء على الفقراء كسروا ثورتهم وهدؤوا غضبهم ، وقالوا : لنا إخوان يعرفوننا في الشدة ، فيألفون الأغنياء ويحبونهم .

٩- أنها تمنع الجرائم المالية مثل السرقات والنهب والسطو ، وما أشبه ذلك ؛ لأن الفقراء يأتيهم ما يسد شيئاً من حاجتهم ، ويعذرون الأغنياء بكونهم يعطونهم من مالهم ، فيرون أنهم محسنون إليهم فلا يعتدون عليهم .

١٠- النجاة من حر يوم القيامة ، فقد قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : (كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة)[١] ، وقال في الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : (رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)[٢].

١١- أنها تلجئ الإنسان إلى معرفة حدود الله وشرائعه ؛ لأنه لن يؤدي زكاته إلا بعد أن يعرف أحكامها وأموالها وأنصباءها ومستحقيها ، وغير ذلك مما تدعو الحاجة إليه .

١٢- أنها تزكي المال ، يعني تنمي المال حساً ومعنى ، فإذا تصدق الإنسان من ماله فإن ذلك يقية الآفات ، وربما يفتح الله له زيادة رزق بسبب هذه الصدقة ، ولهذا جاء في الحديث : (ما نقصت صدقة من مال)[٢] ، وهذا شيء مشاهد أن الإنسان البخيل ربما يسلط على ماله ما يقضي عليه أو على أكثره باحتراق ، أو خسائر كثيرة ، أو أمراض تلجئه إلى العلاجات التي تستنزف منه أموالاً كثيرة .

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٥١٠ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث (١٤٢٣)، والإمام مسلم رقم الحديث (١٠٣١)
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٨٨ .

١٣- أنها سبب لنزول الخيرات ، وفي الحديث : (ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء)[1].

١٤- (أن صدقة السر تطفئ غضب الرب) كما ثبت ذلك عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم[2] .

١٥- أنها تدفع ميتة السوء .

١٦- أنها تتعالج مع البلاء الذي ينزل من السماء فتمنع وصوله إلى الأرض.

١٧- أنها تكفر الخطايا ، قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم : (الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)[3] ، [4] .[5]

س٣٦: لماذا شرعت زكاة الفطر ؟ وهل هي واجبة ؟.

ج٣٦ :يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (زكاة الفطر فرض على كل مسلم صغير أو كبير ذكر أو أنثى حر أو عبد؛ لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على الذكر والأنثى والصغير والكبير والحر والعبد من المسلمين. وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة)[6].

وليس لها نصاب بل يجب على المسلم إخراجها عن نفسه وأهل بيته من أولاده وزوجاته ومماليكه إذا فضلت عن قوته وقوتهم يومه وليلته.

أما الخادم المستأجر فزكاته على نفسه إلا أن يتبرع بها المستأجر أو تشترط عليه، أما الخادم المملوك فزكاته على سيده، كما تقدم في الحديث.

والواجب إخراجها من قوت البلد، سواء كان تمرًا أو شعيرًا أو برًا أو ذرة أو غير ذلك، في أصح قولي العلماء؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترط في ذلك نوعًا معينًا، ولأنها

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٥٢٠٤ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٧٥٩ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥١٣٦ .
(٤) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٦ ، ص ٤ – ٦ .
(٥) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٠ / ٩ / ٢٠٠٨ م.
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٥٠٣ .

مواساة، وليس على المسلم أن يواسي من غير قوته)[1].

ذهب جماهير أهل العلم من الأئمة الأربعة وغيرهم إلى أن زكاة الفطر تجب على المسلم ولو لم يصم رمضان ، ولم يخالف في ذلك غير سعيد بن المسيب والحسن البصري : فقد قالا : إن زكاة الفطر لا تجب إلا على من صام ، والصحيح هو قول الجمهور، وذلك للأدلة الآتية :

١- عموم الحديث الذي هو أصلٌ في فرض زكاة الفطر ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى ، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاةِ)[2]. رواه البخاري ومسلم، فقوله : (والصغير) يشمل الصغير الذي لا يستطيع الصيام .

٢- الغالب في تشريع الصدقات والزكوات هو النظر إلى مصلحة المسكين والفقير ، وتحقيق التكافل الاجتماعي العام ، وأظهر ما يكون ذلك في زكاة الفطر ، حيث وجبت على الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى ، ولم يشترط الشارع في وجوبها نصابا ولا حولا ، ولذلك فإن وجوبها على من أفطر في رمضان لعذر أو لغير عذر يأتي ضمن السياق المقصود من تشريع هذه الزكاة .

٣- أما استدلال من استدل بقول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ ، طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ) [3] ، فقالوا : (طهرة للصائم) يدل على عدم وجوب زكاة الفطر إلا على من صام ، فقد أجاب عنه الحافظ ابن حجر في الفتح فقال (وأجيب : بأن ذكر التطهير خرج على الغالب) [4].

---

(١) الشيخ ابن باز ، تحفة الإخوان ، ص١٤٥ ، وراجع (مجموعة فتاوى سماحة الشيخ) إعداد وتقديم د. عبدالله الطيار والشيخ أحمد الباز، ج٥ ص ١٥٤، وفي جريدة (الندوة) العدد ١٢٢١٠ بتاريخ ١٤١٩/٩/٨هـ. (مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ١٩٧/١٤)

(٢) الإمام البخاري ، رقم الحديث ١٥٠٣ ، وعند الإمام مسلم في صحيحه برقم ٩٨٤ .

(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٦٠٩ .

(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ، ص ٣٦٩ .

٤- أما استدلال من استدل بقول ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ ، طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ)[١]، فقالوا : (طهرة للصائم) يدل على عدم وجوب زكاة الفطر إلا على من صام ، فقد أجاب عنه الحافظ ابن حجر فقال :(وأجيب : بأن ذكر التطهير خرج على الغالب ، كما أنها تجب على من لم يذنب : كمتحقق الصلاح ، أو من أسلم قبل غروب الشمس بلحظة)[٢] ، ومعنى كلامه : أن الغالب أن زكاة الفطر شرعت لأنها تطهر الصائم ، ولكن حصول هذا التطهير ليس شرطاً في وجوبها ، ونظير ذلك : زكاة المال ، فإنها قد شرعت لتطهير النفس أيضاً ، (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١٠٣))[٣]، ومع ذلك فإنها تجب في مال الصبي الصغير ، وهو لا يحتاج إلى تطهير ، لأنه لا يكتب عليه سيئة .

وأجاب الشيخ ابن جبرين بجواب آخر ، فقال :(إخراجها عن الأطفال وغير المكلفين والذين لم يصوموا لعذر من مرض أو سفر داخل في الحديث ، وتكون طهرةً لأولياء غير المكلفين ، وطهرةً لمن أفطر لعذر ، على أنه سوف يصوم إذا زال عذره ، فتكون طهرةً مقدَّمةً قبل حصول الصوم أو قبل إتمامه)[٤]، [٥].

س٣٧: لماذا تمسك المرأة إذا طهرت في نهار رمضان ؟.

ج٣٧:يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (عليها الإمساك في أصح قولي العلماء لزوال العذر الشرعي، وعليها قضاء ذلك اليوم كما لو ثبتت رؤية رمضان نهارًا، فإن المسلمين يمسكون بقية اليوم، ويقضون ذلك اليوم عند جمهور أهل العلم، ومثلها المسافر إذا قدم في أثناء

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٦٠٩ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ و ص ٣٦٩ .
(٣) سورة التوبة .
(٤) ابن جبرين ، فتاوى الزكاة ، ج٢ ، من الموقع الرسمي للشيخ ابن جبرين .
(٥) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٠ / ١٠ / ٢٠٠٦ م.

النهار في رمضان إلى بلده فإن عليه الإمساك في أصح قولي العلماء لزوال حكم السفر مع قضاء ذلك اليوم)[١] .

جاء في "الموسوعة الفقهية :

(اتّفق الفقهاء على تحريم الصّوم على الحائض مطلقاً فرضاً أو نفلاً وعدم صحّته منها ؛ لقول النّبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد : (أليس إذا حاضت لم تصلّ ، ولم تصم ؟ قلن : بلى . قال : فذلك من نقصان دينها) فإذا رأت المرأة الدّم ساعةً من نهار ، فسد صومها ، وقد نقل ابن جرير والنّوويّ وغيرهما الإجماع على ذلك ....كما اتّفق الفقهاء على وجوب قضاء رمضان عليها ، لقول عائشة رضي الله عنها في الحيض : كان يصيبنا ذلك ، فنؤمر بقضاء الصّوم ولا نؤمر بقضاء الصّلاة . ونقل التّرمذيّ وابن المنذر وابن جرير وغيرهم الإجماع على ذلك)[٢].

وبهذا يتضح أنه لا يصح صيام اليوم الذي طهرت فيه الحائض ، وعليها قضاء هذا اليوم بعد رمضان .

ثم اختلف العلماء : هل يجب عليها أن تمتنع عن الطعام والشراب بقية يومها احتراما لحرمة الشهر الفضيل أو لا يجب ؟ على قولين لأهل العلم ، الراجح منهما ما ذهب إليه المالكية والشافعية من عدم وجوب الإمساك عليهما[٣] .

جاء في الموسوعة الفقهية: (لا خلاف بين الفقهاء في أنّه إذا انقطع دم الحيض بعد الفجر ، فإنّه لا يجزيها صوم ذلك اليوم ويجب عليها قضاؤه ، ويجب عليها الإمساك حينئذ عند الحنفيّة والحنابلة ، وعند المالكيّة يجوز لها التّمادي على تعاطي المفطر ولا يستحبّ لها الإمساك ، وعند الشّافعيّة لا يلزمها الإمساك)[٤].

---

(١) ابن باز ، تحفة الإخوان ، ص ١٧٩ ، وانظر مجلة (الدعوة) العدد ١٦٧٣، في ١٤١٩/٩/٦هـ، وفي جريدة (الندوة) العدد ١٢٢١٨ بتاريخ ١٤١٩/٩/١٧هـ، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٥/ ١٩٣).)

(٢) الموسوعة الفقهية ، ج١٨ ، ص ٣١٨ .

(٣) وهو ما اختاره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "الشرح الممتع" (٣٤٤/٦)

(٤) الموسوعة الفقهية ، ج١٨ ، ص ٣١٨ .

س٣٨: لماذا شرع ا صيام التطوع ؟.

ج٣٨: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (صوم التطوع سنة قربة عظيمة، جاء في بعض الأحاديث عن أبي ذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : (عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له) ، فالصوم له شأن عظيم، فينبغي للمؤمن أن يكثر من الصيام، وفي الحديث الصحيح يقول الله جل وعلا : كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها يقول الله عز وجل إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك هذا يعم الفرض والنفل.

فالصوم له شأن يستحب الإكثار منه، وأفضله أن تصوم يومًا وتفطر يومًا، هذا أحسنه، كما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو إلى ذلك، وقال: إنه صوم داود وإنه أفضل الصيام شطر الدهر، يصوم يوما ويفطر يوما وإن شاء صام الاثنين والخميس، كان النبي صلى الله عليه وسلم يصومهما، ويقول: إنهما يومان تعرض فيهما الأعمال على الله، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم فيستحب صيام الاثنين والخميس، وهكذا صيام ثلاثة أيام من كل شهر مستحبة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بذلك، وأوصى بعض أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وهي صيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها والشهر ثلاثون، أو تسعة وعشرون، فإذا صام ثلاثة قد صام الدهر، الحسنة بعشر أمثالها.

فينبغي للمؤمن أن يتحرى الصوم على أحد هذه الوجوه، صيام التطوع ، ويستحب صيام ست من شوال متتابعة أو مفرقة، وصوم يوم عرفة لمن ليس حاجاً، صوم عاشوراء العاشر من المحرم، ويصوم معه يومًا قبله أو يوماً بعده، أو كلاهما كل هذه مستحبة، ويوم عرفة يكفر الله به السنة التي قبله، والسنة التي بعده، ويوم عاشوراء صومه يكفر السنة التي قبله. لكن الحاج لا يصوم يوم عرفة، النبي صلى الله عليه وسلم حج ولم يصم يوم عرفة، لكن في غير الحج يصوم. هذه هي أنواع صوم التطوع، أفضلها أن يصوم يوماً ويفطر يوما، وهذا صوم داود عليه الصلاة والسلام شطر الدهر، والبقية فيها خير عظيم، إن شاء صام ثلاثة أيام من كل

شهر ويكفي، وإن شاء صام الاثنين والخميس، كل هذا مستحب.

وهناك أيام مخصوصة من ذلك صوم عرفة، صوم عاشوراء يصوم معه يوم قبله أو بعده، أو يصوم قبله وبعده جميعًا ثلاثة أيام، فيصير الجميع ثلاثة أيام، صوم ستة أيام من شوال كذلك سنة.)[١].

يقول د . عجيل النشمي :أنواع صوم التطوع عديدة نذكرها فيما يلي:

١- صوم ستة أيام من شوال: لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر)[٢].

٢- الصوم في الأشهر الحرم: وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.

٣- صوم يوم عرفة: وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، وصومه لغير الواقفين بعرفة من الحجاج، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة)[٣] ، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم (من صام يوم عرفة غفر له سنتين متتابعتين)[٤] .

٤- صوم عشرة أيام من ذي الحجة: لغير الحاج لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وما له ثم لم يرجع من ذلك بشيء)[٥] .

٥- صوم شهر المحرم: لقول النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم)[٦] .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الامام مسلم و، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٦٤ وأبو داود (٢٤٣٣) واللفظ له، والترمذي (٧٥٩)، وأحمد (٢٣٥٣٣)
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٨٠٦
(٤) ابن جرير الطبري ، مسند عمر ، ١ج ، ص٣٤٣
(٥) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٣٢٤ .
(٦) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٤٣٨ ، أخرجه مسلم (١١٦٣) .

٦- صوم تاسوعاء وعاشوراء: لما ورد من قول النبي صلى الله عليه وسلم (صوم عاشوراء يكفر سنة ماضية)[١] وقوله عليه الصلاة والسلام (صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، وصوموا قبله يوماً أو بعده يوماً)[٢] ، وقال صلى الله عليه وسلم:(لئن بقيت إلى قابل لأصومنَّ اليوم التاسع)[٣].

٧- صوم يومي الاثنين والخميس لحديث عائشة رضي الله عنه قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام الاثنين والخميس)[٤]، [٥].

وفي التفصيل لهذه المسألة نقول :(**صيام النافلة ينقسم إلى قسمين رئيسين** :

أولهما: **التطوُّع المطلق** (غير المحدد بوقت أو حالة معينة) فيمكن للمسلم أن يتطوع بصيام أي يوم أراد من أيام السنة ، إلا ما ورد النهي عنه كيومي العيدين لأن صيامهما محرم ، وأيام التشريق (الأيام الثلاثة بعد عيد الأضحى) فالصيام فيها محرم إلا في الحج لمن ليس عنده هدي ، وماعدا تقصُّد صيام يوم الجمعة وحده لورود النهي عنه ، ومن أفضل صور التطوع المطلق صيام يوم و فطر يوم لمن قدر عليه كما جاء في الحديث (أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّهِ صَلاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)[٦] ، و يشترط في الأفضلية ألاَّ يضعفه عمّا هو أولى كما في روايةٍ للحديث (كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا وَلا يَفِرُّ إِذَا لاقَى)[٧] .

ثانيهما : **التطوُّع المقيد**: وهو أفضل من التطوُّع المطلق من حيث العموم وينقسم إلى قسمين :

١- المقيّد بحال الشخص ، كالشاب الذي لم يستطع الزواج كما في حديث عَبْد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَبَابًا لا نَجِدُ شَيْئًا فَقَالَ

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٨٠٦ . أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٢٨٠٥)، وأحمد (٢٢٥٣٥) واللفظ له.
(٢) أحمد شاكر ، المسند ، ج٤ ، ص ٢١ .
(٣) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٧٦ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ، ص ٢٧٨ .
(٥) موقع د. عجيل النشمي .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٥٩ ، وعند الإمام البخاري برقم ١١٣١ .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٧٧ ، وعند الإمام مسلم رقم الحديث ١١٥٩ .

لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) البخاري ٥٠٦٦ مسلم ١٤٠٠. فإن مشروعية الصيام في حقه تتأكد مادام أعزب ، ويزداد التأكد كلما ازدادت المثيرات له ، من غير تحديد بأيام معينة .

١- المقيد بوقت معين ، و هذا متنوع فبعضه أسبوعي ، وبعضه شهري وبعضه سنوي:

أ- فالأسبوعي هو استحباب صيام الاثنين و الخميس ، فعن عَائِشَةَ قَالَتْ (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيس)[١] ، وسئل صلى الله عليه وسلم عن صيام يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ قَال (ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)[٢] وسُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ (فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ)[٣] .

ب- والشهري هو استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلاثٍ لا أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ صَوْمِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلاةِ الضُّحَى وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ)[٤] ، والمستحب كونها أوسط الشهر الهجري المسماة أيام البيض فعن أَبِي ذَرٍّ قَال (قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صُمْتَ شَيْئًا مِنْ الشَّهْرِ فَصُمْ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ)[٥] .

ت- والسنوي منه ما هو يوم معين و منه ما هو فترة يسن الصوم فيها :

فمن الأيام المعينة :

- يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من شهر محرم فعن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ فَقَالَ (مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) النسائي ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٢٣٢٠ . صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير٤٨٩٧
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣٥٨ ، وابن ماجه ١٧٤٠ وأحمد ٨١٦١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٥٨٣.
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٦٢ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١١٧٨ .
(٥) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ٢٤٢٤ ، ابن ماجه ١٧٠٧ أحمد ٢١٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٧٣.

صَامَ يَوْمًا يَطْلُبُ فَضْلَهُ عَلَى الأَيَّامِ إِلاَّ هَذَا الْيَوْمَ وَلا شَهْرًا إِلا هَذَا الشَّهْرَ يَعْنِي رَمَضَانَ)[1] ، ويسن أن يصوم معه يوما قبله أو يوما بعده لمخالفة اليهود .

- يوم عرفة ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة ، واستحبابه خاص بمن لم يكن واقفاً بعرفة ،كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضل الثلاث الماضية كلها (ثَلاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ)[2] .

أما الفترات التي يسن الصوم فيها فمنها :

- شهر شوال : يسن صيام ستة أيام منه لقول رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)[3] .
- شهر محرم : يسن صيام ما تيسَّر منه للحديث (أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ)[4] .
- شهر شعبان :كما ثبت عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ لا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ لا يَصُومُ فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلا رَمَضَانَ وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلا قَلِيلاً)[5].

و على المسلم الراغب في الخير أن يعلم عظم فضل التطوع لله بالصيام كما جاء في الحديث عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنْ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ عَامًا) [6]، [7].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١٦٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١٦٤ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١٦٣ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٦٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ١١٥٦
(٦) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ٢٢٤٧ . وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٢١٢١.
(٧) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٢ م.

س٣٩: لماذا كانت النية شرطا في صحة الصوم الواجب؟..

ج٣٩: الصيام - كغيره من العبادات - لا يَصحُّ إلا بنيَّة؛ لحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما الأعمال بالنيَّة، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها، أو امرأة يتزوَّجها، فهِجرته إلى ما هاجَر إليه)[1] ، فمَن أمسك عن الطعام والشراب وسائر المفطِرات طوال النهار ولم يَنوِ الصيام الشرعي لم يُعتبَر صائمًا.

اشتراط استِدامة نيَّة الصيام:

مِن شرط صحَّة الصيام عدم قطْع نيَّته طوال النهار، فمَن صام ثم قطَع نية الصيام بأن نوى الإفطار فسَد صومه ولا نقول: إنه قد أفطَر كما يُعبِّر به بعض الفقهاء؛ وذلك لأنه لم يُفطِر في الحقيقة، وإنما فسد صومه لأن من شرط الصيام استمرار النية؛ ولهذا يجوز له أن يَستأنف نيَّة جديدة فيُكمل بقية اليوم صائمًا تطوعًا في غير رمضان، ومثله مَن بطلت نية صلاته الفرض، فله أن يتمَّها تطوعًا ما لم يلزمه استئناف الفريضة لضيق الوقت أو خشية فوت الجماعة. أكَل أو لم يَأكُل، وله في ذلك حالان:

الحال الأولى: أن يكون هذا اليوم في رمضان وقد قطَع نيته لعذر صحيح؛ كالمرض والسفر، فإنه يُفطِر ويقضي بدلاً عنه، وإن كان لغير عذر شرعي فسَد صومه ووجب عليه الإمساك بقية اليوم؛ لأن كل مَن أفطر في رمضان لغير عذر لزمه الإمساك والقضاء.

الحال الثانية: أن يكون هذا اليوم في غير رمضان، فإن كان صومًا واجبًا كقضاء رمضان أو صيام نَذرٍ أثم بقَطعِه، ولم يلزمه الإمساك بقية اليوم، ويقضي بدلاً عنه، وله إن لم يأكل أو يَشرب أن يَستأنِف الصيام بنية التطوُّع.

وإذا كان الصوم تطوعًا فقطَع نيته فلا حرج عليه، وله أن يُفطِر فيأكل أو يَشرب، وله أن يُجدِّد نية الصوم فيستأنف صيامًا جديدًا.

---

(١) متَّفق عليه[واه البخاري في كتاب الحيَل، باب في ترك الحيل، وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها ٦: ٢٥٥١ (٦٥٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((إنَّما الأعمال بالنيَّة))، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال ٣: ١٥١٥ (١٩٠٧)، واللفظ له.

وقت صحة النية للصيام:

يختلف وقت صحة النية في الصيام الواجب عن غيره، وبيان ذلك فيما يلي:

١- الصيام الواجب بأنواعه؛ مثل: صيام رمضان وقضائه، وصيام النَّذر والكَفارات، وهذا تَجب نيته ليلاً قبل طلوع الفجر؛ وذلك لأن الأصل في النية أن تَسبِق العمل، ويدخل في ذلك الصيام الواجب كله.

٢- صيام التطوع بأنواعه؛ مثل: صيام عرفة، وستٍّ من شوال، والتطوع المطلَق، وهذا تصح نيته من أي ساعة من النهار، سواء أكان ذلك قبل الزوال أو بعده[هذا هو مذهب الحنابلة وقول للشافعية وبعض السلف، خلافًا لأبي حنيفة والمشهور عند الشافعية؛ حيث قالوا: تَصِحُّ قبل الزوال لا بعده[1] ، بشرط ألا يكون الشخص قد تناوَل مُفطرًا بعد طلوع الفجر.) والدليل على صحة نيته من النهار أن النبي صلى الله عليه وسلم - قد سهَّل في ذلك؛ كما في حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: (هل عندكم شيء؟) فقلنا: لا، قال: (فإني إذًا صائم)، ثم أتانا يومًا آخَر، فقلنا: يا رسولَ الله، أُهدي لنا حَيْسٌ، فقال: أَرينيه، فلقد أصبحتُ صائمًا، فأكل)[2].

س : هل يكفي في صيام رمضان نية واحدة؟ :

يكفي في صيام رمضان نية واحدة من أوله على الصحيح من قولي العلماء - رحمهم الله تعالى فلا يلزم تجديد النية لكل يوم ليلته، علمًا بأن من أكل بنية الصيام كفاه ذلك عن النية المعتبَرة. لكن من قطع نية الصيام لأي سبب من الأسباب، وجَب عليه استئناف النية قبل الفَجر، كما لو سافر أثناء الشهر فنوى الفِطر، أو مرض فنوى الفطر، أو حاضت المرأة، فإنه يجب على كل واحد من هؤلاء استئناف النية من الليل إذا أراد الصيام بعد ذلك، فلو لم ينوِ الصيام حتى أصبح، أو بات مُتردِّدًا ولم يَجزم بالنية حتى أصبح لم يصحَّ صومه ذلك اليوم.

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ، ص ١٠ ، وعند النووي في المجموع ، ج٦ ، ص ٢٩٦ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٥٤ .
(٣) شبكة الألوكة أحكام النية في الصيام الشيخ عبدالرحمن بن فهد الودعان الدوسري في ١٤٣٤/٩/٦ هجري).

س٤٠: لماذا فُرض الحج على المسلمين؟.

ج٤٠: الحكمة من فرضية الحج على المسلمين :

أولا : لإصلاح الاجتماعي للحج: فقد أرشد الله سبحانه إليها بقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ(٢٩)﴾[١].

فقوله سبحانه: (ليشهدوا منافع لهم) بيان لأن المقصود من الحج وفود المسلمين من الرجال والنساءِ إلى مكان واحد هو الكعبة، أن يشاهدوا ما فيه نفع لهم وخيرهم ومصلحتهم، وقد أطلق سبحانه (منافع لهم) ليدل على المقصود كل ما فيه نفع لهم في دينهم ودنياهم، في العلم أو في التجارة، أو في السياسة، أو في الاقتصاد، أو في كل ناحية من نواحي النفع والإصلاح، ومن أظهرها وأهمها تقوية وحدتهم وأخوتهم، ووضع خطط تعاونهم وتناصرهم.

وذلك أن الأساس الذي بنى عليه الإسلام دعوته، والشعار الذي جعله عَلم المسلمين وعنوانهم هو وحدة المسلمين وتآخيهم وتضامنهم وتناصرهم، وتغليب جامعتهم الإسلامية على ما بينهم من فروق في الجنسية أو القومية أو اللغة أو الإقليم، ولهذا نطقت نصوص القرآن والسنة بأن المؤمنين إخوة، وبأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، وبأن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وقرر علماء المسلمين أن دار المسلمين دار واحدة وإن اختلفت ملوكهم وجيوشهم ولغاتهم وأجناسهم، وأنه لا يتحقق بين مسلم ومسلم اختلاف في الدار، وإن تباينت التبعية السياسة وتباعدت الأقطار.

ومن أجل هذا شرع الله من العبادات وفرض من الفرائض ما يقوي هذه الوحدة، ويغذي

---

(١) سورة الحج .

هذه الأخوة، ويُمكِّن المسلمين من جني ثمار وحدتهم، وأخوتهم، فسن الجماعة في الصلوات الخمس في كل يوم؛ ليتعارف أهل المنطقة الواحدة، وفرض الجمعة في كل أسبوع ليتعارف أهل المناطق في البلد الواحد، وفرض الحج مرة في العمر ليجتمع المسلمون من مختلف الأقطار مرة في كل عام حول بيت الله الحرام وفي مهد الإسلام ومهبط الوحي، ليتذكروا مبدأ أمرهم، وما سادت به دولتهم ودعوتهم، ويتدارسوا شئونهم، فيعرف المصري شئون الباكستاني والإندونيسي، ويعرف المراكشي شئون البولوني واللبناني، ويقف كل شعب على حال سائر الشعوب، وبهذا التعارف والتفاهم يضعون الخطط لمبادلاتهم التجارية والصناعية والعملية، ولتناصرهم وتعاونهم على من يعتدي عليهم أو على مصالحهم.

فهذا الحج هو مؤتمر إسلامي سنوي ينعقد بدعوة إلهية، وتلتقي فيه وفود الأمم الإسلامية وممثلوها، في أطهر مكان بأصفى نفوس مؤيدين بمعونة الله؛ ليرسموا خطة تعاون المسلمين، ويقرروا ما يحقق آمالهم، ويعالج أمراضهم، ويوحد كلمتهم.

ولو عُني المسلمون بهذا المؤتمر الإلهي السنوي، وأوفد كل شعب إسلامي إليه بعوثًا من خيرة ما عنده من علماء السياسية والصناعة والتجارة وسائر شئون الدين والدنيا، وعملت حكومة الحجاز على تنظيم اجتماعات لهذه البعوث المختلفة، وتيسير السبيل لتعارفهم وتباحثهم؛ ولو نُفِّذ هذا لكان للمسلمين في كل عام صوت إصلاحي إجماعي، يُسمع دويه في العالم، ويترقبه المسلمون كل عام بآذان صاغية، وقلوب واعية.

ولكني أقول والحزن يملأ قلبي إني شاهدت ألوف المسلمين بمكة بالمسجد الحرام يستقبلون قبلة واحدة، ويؤمهم إمام واحد، ويؤمنون بإله واحد، ولكن لا تفاهم بينهم ولا تعارف، ولا تبادل الحديث في شأن ديني أو دنيوي، وفي المكان الواحد يلتقي المصري والباكستاني والزنجي والأفغاني والجاوي، وكأنهم لا تجمعهم جامعة، ولا تربطهم أخوة؛ لأن كل واحد منهم لا يفهم لغة أخيه، ولا يستطيع مبادلته أي حديث.

ولهذا أرى واجبًا على كل شعب إسلامي أن يجعل اللغة العربية مادة أساسية في مدارسه يتعلمها الناشئون، وينشئون على النطق بها والكتابة بها، وهذه أول خطوة لتفاهم المسلمين

وتعارفهم، واستثمار وحدتهم وأخوتهم، ومن العجب أن بعض الدول الإسلامية الآن تعد العدة للدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي، وكان أحق بها أن تعد العدة وتبث الدعوة للانتفاع بالمؤتمر الإسلامي السنوي الذي ينعقد بدعوة من الله، وتهرع إليه الوفود بإيمان وإخلاص ابتغاء مرضاة الله، فلتكن وجهة المسلمين أن ينتفعوا كل عام بقرارات هذا المؤتمر، ونتائج جهود هؤلاء البعوث وصفاء نفوسهم حول الكعبة وفي مهد الإسلام ومهبط الوحي بالقرآن.

ثانيا : الإصلاح الفردي للحج: فقد أرشد إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (من حجَّ هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[1]، وبقوله: (إذا لقيت الحاج فسلِّم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له)[2]. فكما أن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن من الخطايا، والزكاة طهرة للمزكي من الشح والحرص والقسوة والأنانية، والصوم طهرة للصائم من الاسترسال في الشهوات واتباع النفس الأمارة بالسوء، فالحج طهرة للحاج من ذنوبه وآثامه، يغسل نفسه، ويزيل ما ران على قلبه، ويجعله دائمًا على ذكر من ربه، وذلك أن الشارع الحكيم شرع كل نسك من مناسك الحج بمثابة طور من أطوار التطهير للنفس من ذنوبها وآثامها، حتى إذا أتم الحاج مناسك حجه مرت نفسه بعدة أطوار تطهيرية، فينتهي حجة وقد غسل نفسه وطهر قلبه وعفا الله عنه وغفر له.

فأول ما يبدأ به الحاج: الإحرام، وهذا أول درس رياضي تهذيبي لنفس الحاج، فإن الحاج إذا تجرّد من ثيابه ورأى نفسه عاري الرأس شبه الحافي، ورأى الملوك والسوقة والأغنياء والفقراء والمخدومين وخادميهم بزي واحد هانت في عينيه مظاهر الدنيا، وتذكر مبدأه ومعاده، وآمن بأن العظمة لله وحده، وإذ ذاك يذكر معاصيه وسيئاته، ويضرع إلى ربه، ويلهج لسانه: لبيك اللهم لبيك!.

فإذا وصل بهذه الحال إلى مكة، وصل بنفس خاشعة ضارعة باكية آسفة، فيجد الضالة

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري رقم الحديث ١٨٢٠ .

(٢) أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم ٢٤١١ ، وقال عنه ابن حبان في المجروحين ج٢ ، ص ٢٧٤ بأنه موضوع .

التي ينشدها، والفرصة التي يغنمها وهي الكعبة، فيطوف بها داعيًا مستغفرًا، مهللاً مكبرًا، مؤمنًا بأنه في أكرم مكان عند الله، فيه تقبل التوبة وتغفر الذنوب.

وإذا انتقل من الطواف بالكعبة إلى السعي بين الصفا والمروءة، كرر دعاءه واستغفاره. وإذا وقف بعرفات، وذكر وقفة الرسول بحجة الوداع يخطب خطبة الوداع، وواجه جبل الرحمة هنالك تفيض العين بالدمع، وينبض القلب بالتوبة، ويلهج اللسان بالاستغفار، ويخيل إلى الإنسان أنه نال رضا ربه، وخرج من ذنوبه، وانتصر على هواجس نفسه، ووساوس الشيطان، فيرمز لهذا الانتصار برمي الجمرات، ويعود من مناسك الحج، وقد ألقى أوزاره، وشعر أن الله قد غفر له ، هذه المعاني الروحية والرياضة التهذيبية لمناسك الحج تقتضي من كل حاج أن يفكر فيها، وأن يعمل على تحقيقها، فإن الشارع الحكيم ما شرط الإحرام لمجرد أن يكشف الإنسان رأسه، وأن يتجرد من ثيابه، وما فرض الطواف لمجرد أن يدور بأحجار، ويتمسح بأستار، وما أوجب السعي بين الصفا والمروة لمجرد أن يجري عدة أميال، ولا فرض الوقوف بعرفة لرحلة جبلية، وإنما شرع هذا سبحانه لإصلاح نفسي، ورياضة تهذيبية.

ولكني والحزن يملأ قلبي شاهدت الحجاج يعنون بالصور والأشكال ويتحرجون ويتزمتون، ويحملون أنفسهم بتزمتهم مشقات تلهيهم عن التفكير في حكمة تشريع أو إصلاح نفس، والله سبحانه ما قصد بأية عبادة مجرد صورها وأشكالها، وإنما قصد حِكَمها ورُوحها وآثارها في إصلاح الجماعات، وتهذيب نفوس الأفراد. ؟[1]، **وقد أرشد الوحي إلى الحكم العامة من تشريع الحج والعمرة، ففي الحج والعمرة ومناسكهما :**

١- إظهار لتوحيد الله تعالى، حيث يجتنب قول الزور ، ومنه الشرك بجميع مظاهره وصوره ودرجاته، ويكون إتمام الحج والعمرة لله وحده، قال الله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ..(١٩٦))[2]. وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وهو يصف حجة النبي صلى الله عليه وسلم (.فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ :

(١) ارشيف اسلام اون لاين عبد الوهاب خلاف-نشر ١٩٤٩م.
(٢) سورة البقرة .

لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ) [١] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:(وأما الحج فشأن آخر لا يدركه إلا الحنفاء الذين ضربوا في المحبة بسهم، وشأنه أجل من أن تحيط به العبارة، وهو خاصة هذا الدين الحنيف، حتى قيل في قوله تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ): أي: حجاجا.

وجعل الله بيته الحرام قياما للناس، فهو عمود العالم الذي عليه بناؤه، فلو ترك الناس كلهم الحج سنة، لخرت السماء على الأرض، هكذا قال ترجمان القرآن ابن عباس؛ فالبيت الحرام قيام العالم، فلا يزال قياما، ما زال هذا البيت محجوجا ، فالحج خاصة الحنيفية ، فإنه مؤسس على التوحيد المحض والمحبة الخالصة)[٢] .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: (الحج) كله دعوة إلى توحيده ، والاستقامة على دينه ، والثبات على ما بعث به رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام. فأعظم أهدافه توجيه الناس إلى توحيد الله ، والإخلاص له ، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم فيما بعثه الله به من الحق والهدى في الحج وغيره.

فالتلبية أول ما يأتي به الحاج والمعتمر، يقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك) يعلن توحيده لله وإخلاصه لله ، وأن الله سبحانه لا شريك له؛ وهكذا في طوافه ، يذكر الله ويعظمه ويعبده بالطواف وحده، ويسعى فيعبده بالسعي وحده ، دون كل ما سواه، وهكذا بالتحليق والتقصير، وهكذا بذبح الهدايا والضحايا، كل ذلك لله وحده، وهكذا بأذكاره التي يقولها في عرفات وفي مزدلفة وفي منى، كلها ذكر لله ، وتوحيد له ، ودعوة إلى الحق وإرشاد للعباد ، وأن الواجب عليهم أن يعبدوا الله وحده ، وأن يتكاتفوا في ذلك ويتعاونوا ، وأن يتواصوا بذلك [٣].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٢١٨ .
(٢) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ،ج٢ ، ص ٨٦٩ .
(٣) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٦ ، ص ١٨٦- ١٨٧ .

٢- وفي الحج إقامة لذكر الله تعالى، ففي كل نسك من أنساكه هناك ذكر لله تعالى؛ كما أرشدت هذه الآية الكريمة (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) ، وقال الله تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٨)فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ..(١٩٩))[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" بل هو - أي الذكر - روح الحج، ولبه ومقصوده ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنما جعل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار: لإقامة ذكر الله)[(٢)، (٣)].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:(فالذكر من جملة المنافع المذكورة في قوله تعالى: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ). وعطفه على المنافع من باب عطف الخاص على العام. وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)[(٤)] ، وشرع للناس كما جاء في كتاب الله ذكر الله عند الذبح، وشرع لهم ذكر الله عند رمي الجمار، فكل أنواع مناسك الحج ذكر لله، قولا وعملا. فالحج بأعماله وأقواله كله ذكر لله عز وجل)[(٥)] .

وفي نسك الحج والعمرة تتحقق منافع دينية ودنيوية عدة للحجاج والمعتمرين ، ولأهل الحرم والمقيمين به؛ وإلى هذه الحكمة أشارت الآية (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى:(أي: لينالوا ببيت الله منافع دينية، من العبادات الفاضلة، والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية، من التكسب، وحصول الأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد كل يعرفه)[(٦)] .

---

(١) سورة البقرة .
(٢) النووي ، المجموع ، ج٨ ، ص ٥٦ .
(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٤ ، ص ٢٥٣٧ .
(٤) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٦ ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .
(٥) سبق تخريج الحديث
(٦) السعدي ، التفسير ، ص ٥٣٦ .

٣- ومن هذه المنافع اجتماع المسلمين من جميع الأقطار فيتعارفون ويستفيد بعضهم من بعض علما وتجارة وفائدة، ويزداد اتحادهم بتوحد حالهم ومظهرهم وهدفهم من رحلتهم هذه.

٤- ظهور المسلمين بهذا المظهر الموحد في الزمان والمكان والعمل والهيئة، فكلهم يقفون في المشاعر بزمن واحد، وعملهم واحد، وهيئتهم واحدة، إزار ورداء، وخضوع وذل بين يدي الله عز وجل.

٥- ما يحصل بالذبائح والهدايا الواجبة والمستحبة ، من تعظيم حرمات الله، والتنعم بها أكلاً وإهداء وصدقة للفقراء)[١].

ثانيا: الحكمة من ترتيب أفعال الحج والعمرة ، فالحكمة فيه ظاهرة:

فتكون البداية بالإحرام والتلبية ، وبهما يعلن المسلم دخوله في نسك الحج أو العمرة ، والتزامه بأحكامهما، والبدء بالطواف عند الوصول إلى مكة ، لأن البيت هو أعظم ما في الحرم ، والطواف من أهم أركان الحج والعمرة ، فيناسب البدء به دون غيره، وبعد الانتهاء من الأفعال المتعلقة بالبيت ، يناسب الانتقال إلى الأفعال الأخرى ، وهي السعي بين الصفا والمروة لأنها أقرب إلى البيت، ثم المبيت بمنى ، لأنها استعداد لأهم ركن في الحج ، وهو الوقوف بعرفة، ثم المبيت بمزدلفة ، لأنها طريق لباقي مناسك الحج بعد الإفاضة من عرفة ، فناسب أن يستريح فيها الحاج استعدادا لأعمال يوم النحر، ثم يكون رمي الجمرة ، لأنها بمنى تلي مزدلفة ، وناسب الحلق والنحر في هذا اليوم ، لأنه يوم العيد، ثم الطواف بالكعبة شكرا لله تعالى على إكمال أهم أعمال الحج ، ثم يليه المبيت بمنى وهي المكان الذي من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ذبح هدايا الحج فيه، فناسب أن يقيم الحاج فيه أيام التشريق ، لذكر الله تعالى ولنحر الهدايا وأكلها وتوزيعها .

عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ

---

(١) ابن عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ، ج٢٤ ، ص ٢٤١ .

وَشُرْبٍ، وزاد في رواية (وَذِكْرٍ لِلَّهِ)[1] . ولهذا نهي الصوم فيها إلا لمن لم يجد الهدي ، فعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، وَعَنْ سَالِمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالاَ: (لَمْ يُرَخَّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ، إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدِ الهَدْيَ)[2].

ثم يكون النزول إلى مكة لطواف الوداع ومغادرة الحاج مكة ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (وأما أسرار ما في هذه العبادة من الإحرام، واجتناب العوائد، وكشف الرأس، ونزع الثياب المعتادة، والطواف، والوقوف بعرفة، ورمى الجمار، وسائر شعائر الحج؛ فمما شهدت بحسنه العقول السليمة والفطر المستقيمة، وعلمت بأن الذي شرع هذه لا حكمة فوق حكمته)[3]، وقد اجتهد بعض أهل العلم في تلمس الحكم التفصيلية لبعض أفعال الحج والعمرة ، فمما قيل في ذلك :حكمة عدم لبس المخيط ، حيث سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء : لماذا حرم الله على الحجاج لبس المخيط، وما الحكمة من ذلك؟.

ج: **أولا**: فرض الله الحج على من استطاع إليه سبيلا من المكلفين، مرة في العمر، وجعله ركنا من أركان الإسلام، لما هو معلوم من الدين بالضرورة، فعلى المسلم أن يؤدي ما فرضه الله عليه؛ إرضاء لله وامتثالا لأمره، رجاء ثوابه وخوف عقابه، مع الثقة بأن الله تعالى حكيم في تشريعه وجميع أفعاله، رحيم بعباده، فلا يشرع لهم إلا ما فيه مصلحتهم ، وما يعود عليهم بالنفع العميم في الدنيا والآخرة، فإلى ربنا الملك الحكيم سبحانه التشريع، وعلى العبد الامتثال مع التسليم.

ثانيا: لمشروعية التجرد من المخيط في الحج والعمرة حكم كثيرة ، منها: تذكر أحوال الناس يوم البعث، فإنهم يبعثون يوم القيامة حفاة عراة ثم يكسون، وفي تذكرة أحوال الآخرة عظة وعبرة ، ومنها: إخضاع النفس، وإشعارها بوجوب التواضع، وتطهيرها من درن الكبرياء ، ومنها إشعار النفس بمبدأ التقارب والمساواة والتقشف، والبعد عن الترف الممقوت، ومواساة

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث١١٤١ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٩٧ .
(٣) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج٢ ، ص ٨٦٩ .

الفقراء والمساكين ... إلى غير ذلك من مقاصد الحج على الكيفية التي شرعها الله وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم)[1].

حكمة الطواف وتقبيل الحجر الأسود:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:" الحكمة من الطواف بينها النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (إنما جعل الطواف بالبيت والصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)[2] : فالطائف الذي يدور على بيت الله تعالى يقوم بقلبه من تعظيم الله تعالى ، ما يجعله ذاكرًا الله تعالى، وتكون حركاته بالمشي والتقبيل، واستلام الحجر، والركن اليماني، والإشارة إلى الحجر ذكرًا لله تعالى؛ لأنها من عبادته، وكل العبادات ذكر لله تعالى بالمعنى العام؛ وأما ما ينطق به بلسانه من التكبير، والذكر، والدعاء فظاهر أنه من ذكر الله تعالى.

وأما تقبيل الحجر، فإنه عبادة ؛ حيث يقبل الإنسان حجرًا لا علاقة له به ، سوى التعبد لله تعالى بتعظيمه ، واتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك ، كما ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال حين قبل الحجر: (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك)[3].

وأما ما يظنه بعض الجهال من أن المقصود بذلك التبرك به فإنه لا أصل له؛ فيكون باطلًا [4].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:(وقال المهلب: ... وإنما شرع تقبيله – أي الحجر الأسود– اختبارا ، ليُعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم ... وفي قول عمر هذا : التسليم للشارع في أمور الدين ، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها ، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ، ولو لم يعلم الحكمة فيه)[5] .

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء ، ج١١ ، ص ١٧٩ -١٨٠
(٢) سبق تخريج الحديث .
(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص ١٣٧ .
(٤) ابن عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ، ج٢ ، ص ٣١٨ – ٣١٩ .
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٣ ، ص ٤٦٣ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَجَرِ: (وَاللَّهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ)[1] .

السعي بين الصفا والمروة:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:(أما حكمة السعي: فقد جاء النص الصحيح ببيانها، وذلك هو ما رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة ترك إبراهيم هاجر، وإسماعيل في مكة، وأنه وضع عندهما جرابا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، وفي الحديث الصحيح المذكور: (وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت، وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو قال: يتلبط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها، ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرات) قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فذلك سعي الناس بينهما) الحديث.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: (فذلك سعي الناس بينهما) ، فيه الإشارة الكافية إلى حكمة السعي بين الصفا والمروة؛ لأن هاجر سعت بينهما السعي المذكور، وهي في أشد حاجة، وأعظم فاقة إلى ربها، لأن ثمرة كبدها، وهو ولدها إسماعيل تنظره يتلوى من العطش في بلد لا ماء فيه، ولا أنيس، وهي أيضا في جوع، وعطش في غاية الاضطرار إلى خالقها جل وعلا، وهي من شدة الكرب تصعد على هذا الجبل، فإذا لم تر شيئا جرت إلى الثاني فصعدت عليه لترى أحدا، فأمر الناس بالسعي بين الصفا والمروة ليشعروا بأن حاجتهم وفقرهم إلى خالقهم ورازقهم ، كحاجة وفقر تلك المرأة في ذلك الوقت الضيق، والكرب العظيم إلى خالقها ورازقها، وليتذكروا أن من كان يطيع الله كإبراهيم عليه وعلى نبينا

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٩٦١ ،. وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (١ / ٤٩٣).

الصلاة والسلام: لا يضيعه، ولا يخيب دعاءه ، وهذه حكمة بالغة ظاهرة دل عليها حديث صحيح)[1] .

حكمة المبيت بمنى:

سُئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:" ما الحكمة من رمي الجمرات والمبيت في منى ثلاثة أيام ، نأمل من فضيلتكم إيضاح الحكمة من ذلك ولكم الشكر؟.

فأجاب: على المسلم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع الشرع، وإن لم يعرف الحكمة، فالله أمرنا أن نتبع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأن نتبع كتابه، قال تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ)، وقال سبحانه: (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ)، وقال سبحانه: (أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)، وقال عز وجل: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ، فإن عرفت الحكمة فالحمد لله، وإن لم تعرف فلا يضر ذلك ، وكل ما شرعه الله هو لحكمة، وكل ما نهى عنه هو لحكمة، سواء علمناها أو جهلناها .

فرمي الجمار : واضح بأنه إرغام للشيطان ، وطاعة لله عز وجل ، والمبيت في منى الله أعلم بحكمته سبحانه وتعالى ، ولعل الحكمة في ذلك تسهيل الرمي إذا بات في منى ليشتغل بذكر الله، ويستعد للرمي في وقته ، لو شاء الذهاب في الوقت المحدد للرمي حسبما يتناسب معه، فلربما تأخر عن الرمي وربما فاته، وربما شغل بشيء لو لم يبت بمنى. والله جل وعلا أعلم بالحكمة سبحانه وتعالى في ذلك[2] .

حكمة رمي الجمار:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:" اعلم أنه لا شك في أن حكمة الرمي في الجملة : هي طاعة الله فيما أمر به ، وذكره بامتثال أمره على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قال أبو داود في سننه: حدثنا مسدد، ثنا عيسى بن يونس، ثنا عبيد الله بن أبي

---

(١) محمد الأمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٥ ، ص ٣٤٢ – ٣٤٣ .
(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ،، ج١٦ ، ص ٣٨٠ ٣٨١ .

زياد، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله) ...

وعبيد الله بن أبي زياد المذكور، هو القداح أبو الحصين المكي، وقد وثقه جماعة، وضعفه آخرون، وحديثه هذا معناه صحيح بلا شك، ويشهد لصحة معناه قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) ، لأنه يدخل في الذكر المأمور به: رمي الجمار، بدليل قوله بعده: (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) ، وذلك يدل على أن الرمي شرع لإقامة ذكر الله، كما هو واضح .

ولكن هذه الحكمة إجمالية، وقد روى البيهقي رحمه الله في سننه عن ابن عباس مرفوعا قال: لما أتى إبراهيم خليل الله عليه السلام المناسك، عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له في الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: الشيطانَ ترجمون ، وملةَ أبيكم تتبعون. انتهى بلفظه من السنن الكبرى للبيهقي ، وقد روى هذا الحديث الحاكم في المستدرك مرفوعا، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .

وعلى هذا الذي ذكره البيهقي، فذكر الله الذي يشرع الرمي لإقامته، هو الاقتداء بإبراهيم في عداوة الشيطان، ورميه، وعدم الانقياد إليه، والله يقول: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ)، فكأن الرمي رمز وإشارة إلى عداوة الشيطان التي أمرنا الله بها في قوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) وقوله منكرا على من والاه: (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ)، ومعلوم أن الرجم بالحجارة من أكبر مظاهر العداوة)[1].

---

(١) محمد الأمين الشنقيطي ، ٥ و ص ٣٤٠ ـ ٣٤١ .

هذا بعض ما وقفنا عليه ، مما قاله أهل العلم في حكم وظائف الحج ، والغالب عليها أنها من الأمور الاجتهادية ، وليس في أكثرها نص على أن تلك هي الحكمة المرادة من تشريع تفاصيل هذه العبادات الجليلة ، ولذلك ، فإن طائفة من أهل العلم يرون : أن وظائف الحج من التشريعات غير المعقولة المعنى، وشرعت على هذا النحو اختبارا وامتحانا لمدى طاعة العباد لربهم، والله يختبر عباده بما شاء ، قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: اعلم أن أصل العبادة معقول، وهو ذل العبد لمولاه بطاعته:

- فإن الصلاة فيها من التواضع والذل ما يفهم منه التعبد.
- وفي الزكاة إرفاق ومواساة يفهم معناه.
- وفي الصوم كسر شهوة النفس لتنقاد طائعة إلى مخدومها.
- وفي تشريف البيت ونصبه مقصدا ، وجعل له ما حواليها حرما تفخيما له، وإقبال الخلق شعثا غبرا كإقبال العبد إلى مولاه ذليلا معتذرا : أمر مفهوم .

والنفس تأنس من التعبد بما تفهمه، فيكون ميل الطبع إليه معينا على فعله، وباعثا؛ فوظفت لها وظائف لا تفهمها، ليتم انقيادها ، كالسعي ، والرمي، فإنه لاحظ في ذلك للنفس، ولا أنس فيه للطبع، ولا يهتدي العقل إلى معناه، فلا يكون الباعث إلى امتثال الأمر فيه ، سوى مجرد الأمر والانقياد المحض ، وبهذا الإيضاح تعرف أسرار العبادات الغامضة)[1] .

إن المشروع للعبد أثناء تأدية الحج والعمرة : أن يستذكر الحاج والمعتمر ما يشرع فعله ، فيفعله ، ومالا يشرع ، فيجتنبه ، وأن يجتهد في تدبر الأذكار التي رتبها الشرع في كل فعل من أفعال الحج والعمرة ، فهي من مقاصد الحج العظمى كما سبق بيانه، فلا يترك الحاج والمعتمر زمنا في حجه وعمرته يضيع عليه سدى ، بل يجتهد في ذكر الله تعالى ، قدر طاقته ، ويعظم شعائر ربه حق تعظيمها ، قال تعالى : (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ(٣٢))[2]، [3] .

---

(١) ابن الجوزي ، مثير العزم الساكن ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .
(٢) سورة الحج .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٢ / ٨ / ٢٠١٧ م.

س٤١: لماذا يحرم أهل مكة من الحل للعمرة ومن بيوتهم للحج ؟.

ج٤١: المحرم من مكة أو من الحل الذي قرب مكة أو من الميقات كل منهم يشرع له الغسل والتنظف والتطيب، ثم بعد ذلك يلبي بحجه أو عمرته، وإن كان هناك ما يستدعي قص شارب أو قلم ظفر فعل ذلك، إن كان له شارب طويل أو ظفر طويل استحب له أن يقص شاربه ويقلم أظفاره، ثم يلبي بقوله: اللهم لبيك حجاً إذا كان حج، أو اللهم لبيك عمرة بعد النية، بعدما ينوي بقلبه الدخول في الحج أو في العمرة ينوي بقلبه الدخول في الحج أو في العمرة ثم يلبي فيقول: اللهم لبيك عمرة، اللهم لبيك حجاً، كما فعله النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن إذا كان للعمرة لابد يخرج من مكة لا يلبي في مكة، إذا كان أراد عمرة وهو ساكن في مكة أو قد حل من عمرة سابقة في مكة أو من حج في مكة وأراد العمرة فإنه يخرج إلى الحل ولا يلبي في مكة، يخرج إلى الحل إلى التنعيم المسمى مساجد عائشة أو إلى الجعرانة أو إلى عرفات أو غيرها من المواضع التي هي خارج الحرم في الحل، فينوي الدخول في العمرة ثم يلبي؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عائشة لما أرادت العمرة أن تخرج إلى التنعيم إلى خارج الحرم، فذهب بها أخوها عبد الرحمن فأحرمت من التنعيم وهو خارج الحرم، وهكذا الناس مثلها من أراد أن يحرم بالعمرة فإنه يخرج من مكة إلى الحل، فينوي بقلبه الدخول للعمرة ثم يلبي سواء كان من أهلها أو ممن حل فيها من حج أو عمرة ثم أراد عمرة فإنه يخرج إلى الحل ، أما الذي أتى من بلاده يريد العمرة أو يريد الحج، فإنه لابد أن يحرم من الميقات الذي يمر عليه، أن كان من طريق المدينة أحرم من ميقات المدينة إن كان من نجد أو الطائف أحرم من السيل ميقات أهل نجد، إن كان من طريق اليمن أحرم من ميقات اليمن، إن كان من طريق المغرب أو مصر أو الشام أحرم من رابغ إذا كان جاء من طريق الساحل أحرم من رابغ إذا وازنه، إن كان من العراق أحرم من ميقات العراق، وهو ذات عرق ويسمى الضريبة، سواء كان أتى لعمرة أو حج؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد وقت المواقيت للناس وقال: هن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة، ثم قال صلى الله عليه وسلم ومن كان دون ذلك فمهله من حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة، فمن كان دون المواقيت

إذا أراد العمرة أو الحج يحرم من مكانه، أهل جدة من جدة، وأهل الشرائع من الشرائع وأهل النجيم من النجيمة وأهل أم السلم من أم السلم وهكذا، كل إنسان دون المواقيت يحرم من مكانه في الحج والعمرة، حتى أهل مكة إذا أرادوا الحج يحرموا من مكة ، وهكذا من قدم مكة من غير أهلها، قدمها للتجارة أو لزيارة الأقارب أو لأغراض أخرى ما أراد حجاً ولا أراد عمرة ثم بدا له أن يحج وقت الحج يحرم من مكة، والحمد لله ، أما العمرة فإنه كما تقدم يخرج إلى الحل، إذا أراد عمرة وهو في مكة يخرج إلى الحل ويحرم من الحل، كما تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها لما أرادت العمرة أن تخرج إلى الحل، فخرجت ومعها أخوها عبد الرحمن وأحرمت من التنعيم، والتنعيم خارج الحرم ويسمى الآن تسميه الناس اليوم مسجد عائشة[١].

وهنا لزيادة الإلمام بالموضوع ، يحسن أن نذكر أولاً لفظ الحديثين ثم نبين وجه الجمع بينهما:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (وقّت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن المنازل ، ولأهل اليمن يلملم ، قال : فهن لهن ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دونهن فمهله من أهله ، وكذلك أهل مكة من مكة)[٢] .

٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم المحصب ، فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر فقال : (اخرج بأختك من الحرم (وفي رواية إلى التنعيم) فلتهل بالعمرة ، ثم لتطف بالبيت ، فإني أنتظركما هاهنا ، قالت : فخرجنا فأهللت ، ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة ، فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزله في جوف الليل ، فقال: هل فرغت ؟ فقلت : نعم ، فأذن في أصحابه بالرحيل ، فخرج فمر بالبيت فطاف به قبل صلاة الفجر، ثم خرج إلى المدينة) [٣] .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٥٢٦ .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٣٩١٨، أخرجه البخاري (١٥٦٠)، ومسلم (١٢١١)

وعلى هذا يقال : إن حديث ابن عباس رضي الله عنهما عام في أن أهل مكة يحرمون من مكة بالحج مفرداً وبالعمرة مفردة وبالحج والعمرة قراناً ، وحديث خروج عائشة من الحرم مع أخيها عبد الرحمن لتحرم من التنعيم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وإرشاده خاص ، والقاعدة المعروفة المسلمة عند العلماء : أن العام والخاص إذا تعارضا حُمِل العام على الخاص ، فيُعمل بالخاص ، وهو هنا الإحرام بالعمرة من التنعيم ، أو غيره من الحل ، فيكون معنى حتى أهل مكة من مكة : أن أهل مكة يحرمون بالحج مفرَدَاً أو بالحج والعمرة قراناً ، لا يحتاجون إلى الخروج إلى الحل ، أو إلى ميقات من المواقيت الأخرى المذكورة في الحديث ؛ ليحرموا منه بذلك .

أما العمرة مفردة فعلى من أراد الإحرام بها وهو في مكة أو داخل حدود الحرم أن يخرج إلى الحل – التنعيم أو غيره – ليحرم بها، وبهذا قال جمهور العلماء، بل قال المحب الطبري: لا أعلم أحداً جعل مكة ميقاتاً للعمرة).

فيتعين حمل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : حتى أهل مكة من مكة على القارن والمفرد ، دون المعتمر عمرة مفردة .

ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فلو كان الإحرام بالعمرة مفردة من الحرم مأذوناً فيه لاختاره لعائشة ؛ لكونه أيسر وأقل التزاماً وكلفة بالنسبة له ولعائشة وأخيها ، ولم يأمرها بالخروج إلى الحل أو التنعيم ؛ لتحرم منه ، فعدوله عن الإحرام من الحرم وهو أيسر للجميع إلى الإحرام من الحل مع ما فيه من المشقة والكلفة التي لا توجد في الأمر الأول دليل على أن الإحرام بالعمرة من الحل دون الحرم مقصود إليه مأمور به شرعاً لمن أراد أن يعتمر عمرة مفردة وهو بالحرم[١]، [٢] .

---

(١) للجنة الدائمة للافتاء في المملكة ، ج١١، ص ١٤٣
(٢) الشيخ المنجد ، الاسلام سؤال وجواب ، نشر في ١/١٣ / ٢٠٠٣ م.

س٤٢: لماذا سميت أيام العيد وأيام التشريق بأسماء أخرى مثل يوم النحر ؟.

ج٤٢: عُرفت أيام التشريق بهذا الاسم لأنّ الناس كانوا قديماً يقومون بتقطيع اللحم إلى أجزاء صغيرة، ويضعونه في الشمس كطريقة لحفظه لعدم وجود ثلاجات في ذلك الوقت، وذلك ليأكلوا منه مدّة الأيّام الثلاث دون أن يفسد[1]، وكانت تُتَّبع نفس الطريقة في حفظ لحوم الأضاحي، والهدي عندما تكثر في الحَجّ، ويتساوى في ذلك الفقير والغني، وذلك من خلال نشر اللحوم على الجبال، والصخور، بعد أن تُقَطَّع إلى شرائح صغيرة، لتتعرض لأشعة الشمس فتذهب منها الرطوبة التي تُفسدها؛ فتحافظ اللحوم على تركيبتها الطبيعية من الألياف والخلايا التي تجعلها تبقى لفترات طويله صالحة للأكل، وكانت تُسمى القديد، كما أنَّ هناك سبباً آخر في تسمية أيام التشريق بهذا الاسم، وذلك أنَّ الناس كانوا يؤخّرون الذبح إلى أن تطلع الشمس، ولا يذبحون ليلاً[2].

وقال أبو العبّاس أنّها سُمّيت بأيام التشريق؛ لأنّ الذبح لا يُصبح واجباً فيها إلّا بعد شروق الشمس، واحتجوا على قولهم بقول الرسول -صلى الله عليه وسلم: (مَن كانَ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيُعِدْ)[3]؛ أي أنَّ أيام التشريق تبعت في التسمية يوم النحر حيث لا تُصلى صلاة العيد فيه إلّا بعد شروق الشمس[4]، كما أنّها سُمّيت أيام التشريح؛ لأنّ التشريق هو نفسه التشريح[5]، وذهب أبو حنيفة إلى قول لم يذهب له غيره، وهو أنَّ المقصود بالتشريق: التكبير[6].

يُطلق على كل يوم من أيام التشريق اسم خاصّ به؛ فيطلق على يوم العيد العِدَا، وثاني أيام العيد القِرَا؛ لأنّ الناس يَقِرُّونَ فِيهِ ويبقون، وثالث أيام العيد الصَّرِمِ؛ لأنّ الناس ينصرمون

---

(١) علي بادحدح، دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح، صفحة ٣٥، جزء ٦٦.
(٢) عطية سالم، شرح بلوغ المرام، صفحة ٣، جزء ١٥٥
(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٩٦٢ .
(٤) محمد الشنقيطي ، كوثر المعاني الدَّرَارِي في كشف خفايا صحيح البخاري، ج١٠ ، ص٢٦٢ ــ ٢٦٣ .
(٥) مكي بن أبي طالب ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ج١ ، ص٦٧٢ .
(٦) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل ، ج٢، صفحة ٨١

فيه، ويُطلق عليه أيضاً يوم النَّفر[1]، وتُعرف أيّام التشريق عند الإمام مالك بأيام مِنى، وبيان اسماء أيّام العيد فيما يأتي:

١- يوم الحج الأكبر: اليوم الأوّل من أيام العيد، ويُعرف بيوم الأضحى.

٢- يوم القرِّ: اليوم الثاني من أيام العيد، والأوّل من أيّام التشريق، وقد سُميَّ بذلك لأنَّ الناس تستقر فيه بمنطقة مِنى لا يخرجون منها؛ لعدم جواز نفر الحاجّ في اليوم الأوّل، ولأنَّ الحاج يكون متعباً من الأعمال التي قام بها في الثلاثة أيام التي تسبق يوم القرِّ وهي: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر؛ فيقرّ بمنى، وقد عُرِف بهذا الاسم عند أهل الحجاز[2].

٣- يوم النفرة الأولى: اليوم الثالث من أيّام العيد، والثاني من أيام التشريق، وقد سُميَّ بذلك لأنَّه يجوز لمن أراد أن يتعجَّل في يومين، أن يُغادر رمي الجمار، ولا يترتب عليه إثم. يوم النَّفرة الثانية: اليوم الرابع من أيام العيد، والثالث من أيام التشريق[3].[4].

س٤٣: لماذا التيسير في أعمال الحج ؟.

ج٤٣: عدّ اليُسر في الإسلام أحد أهمّ خصائص الشريعة وأحكامها التي امتازت بها؛ إذ رفع الله تعالى عن عباده المشقّة؛ فلا يُكلّفهم فوق طاقتهم، قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا....(٢٨٦)).[5].

ومن صُور اليُسْرِ في الإسلام: أنّ الفرائض والواجبات التي كلّف الله تعالى بها عباده قليلة يسيرة، وأنّ الله أسقط العديد من التكاليف التي كانت على الأُمَم السابقة، مثل قَتل النَّفْس كشرطٍ للتوبة، وهذا من مظاهر رحمة الله تعالى على الأمّة الإسلاميّة؛ فاليُسر من أعظم أصول الإسلام، وأركانه[6].

---

(١) يحيى الشجري ، ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ج٢، صفحة ٩٠، جزء ٢.
(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام ، غريب الحديث ج٣ ، صفحة ٤١٩.
(٣) أحمد حطيبه، شرح كتاب الجامع لأحكام العمرة والحج والزيارة، ، ج ، ٩صفحة ١٢،
(٤) موقع موضوع ، مجد فرارجة ، ١١ يناير ٢٠٢
(٥) سورة البقرة .
(٦) د. وهبة الزحيلي ، التفسير المنير ، ج٣ و ص ١٣٦- ١٣٧ بتصرف واختصار .

وهذا الأصل العظيم هو أحد أسباب كَون الإسلام دِيناً صالحاً لكلّ زمانٍ ومكان، وصالحاً لكلّ البشر، وقد وصفه النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بذلك في قوله: (إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أحَدٌ إلَّا غَلَبَهُ)[1]، [2].

رفعَ الإسلام الحَرَج والمِشقّة عن الناس في العبادات، ويظهر ذلك في ما يسّره الله لعباده الحُجّاج أثناء أدائهم مناسكَ الحَجّ، وجعل لهم في أمرهم سعة؛ فقد يسّر عليهم في الصلاة، ورخّص لهم في أن يقصروا فيها، ويجمعوا بين الصلوات، ولهم أن يقفوا في أيّ مكان من أرض عرفة، ومزدلفة أيضاً[3].

وفيما يأتي بيانٌ لأهمّ مظاهر التيسير في الحَجّ:

١- التيسير في وجوب الحَجّ مرّة واحدة في العُمر أوجب الله سبحانه وتعالى الحَجّ على كلّ مسلم مرّة واحدة في العُمر، واتّفق فقهاء المذاهب على ذلك، قال -صلّى الله عليه وسلّم: (أَيُّهَا النَّاسُ قدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ، فَحُجُّوا، فَقالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حتَّى قالَهَا ثَلَاثًا، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: لو قُلتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَما اسْتَطَعْتُمْ)[4] فاستدلّوا بذلك على أنّ الحَجّ لا يجب فيه التكرار[5]، ووجوب الحَجّ يكون لِمَن هو قادرٌ عليه، وهي إحدى المسائل التي أجمعَت عليها الأمّة الإسلاميّة[6].

٢- التيسير في عدم وجوب الحَجّ للمرأة دون وجود مَحرم ساوت أحكام الشريعة التكليفية بين الرجل والمرأة في وجوب الحج، إلا أنّه في حال عدم وجود محرم للمرأة يُرافقها في رحلة الحَجّ؛ فإنّ حكم الوجوب يرتفع عنها، دفعاً للحرج والمشقّة، وهذا ما ذهب

---

(١) الإمام البخاري ، رقم الحديث ٣٩ .
(٢) عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، صفحة ٨
(٣) عطية سالم، شرح بلوغ المرام، ج١، ص١٧٨ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٣٧ .
(٥) أ.د. عبدالله الدرعان، أ.د.محمد بن يحيى النجيمي، د.عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص ٥٧-٦٠ .
(٦) د. عبدالله الطيار، الفقه الميسر ، ج٤ ، ص ١٢

إليه كثير من أهل العلم، ومنهم الحنفية والحنابلة وغيرهم، وقالوا بأنّ وجود المحرم شرط في وجوب الحجّ كالاستطاعة، وخالفهم في ذلك جمعٌ من الفقهاء، واستدلّوا بعدّة أدلة، منها: أنّ الاستطاعة مُفسَّرة بالزاد والراحلة، وليس المحرم[1]، وذهب القائلون باشتراط المحرم إلى أنّ رفع وجوب الحجّ عن المرأة لا يتغيّر في حال كانت المرأة غنيّة وذات قدرة مالية، كما لا يجوز أن تُخرج من يحجّ عنها[2].

٣- التيسير في تأدية أعمال الحج التيسير في جواز دخول مِنى قبل اليوم الثامن يجوز دخول الحاجّ إلى مِنى قبل اليوم الثامن من أيّام الحجّ، إلّا أنّ دخوله في اليوم الثامن أفضل[3] ، واستحبّ العلماء جميعهم أن يدخل الحاجّ المتمتّع إلى مِنى في يوم التروية بعد أن يُحرم من مكّة؛ ويوم التروية هو اليوم الثامن من شهر ذي الحجّة، والحُكم هنا النُّدب والاستحباب، وليس الوجوب، وفي هذا تأكيدٌ على مظاهر التيسير التي تتجلّى في الحَجّ؛ بأن يكون للحاجّ الخيار في القدوم إلى مِنى في اليوم السادس، أو السابع، أو قبلهما[4].

٤- التيسير في قَصر الصلاة الرُّباعية للحجيج بمِنى ثبت في السنّة النبويّة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان يَقصر الصلاة الرُّباعية بمِنى في أيّام التشريق لأهل مكّة، والحجيج، وقد ورد عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قوله: (صَلَّيْتُ مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رَكْعَتَيْنِ، ومع أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْه رَكْعَتَيْنِ، ومع عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه رَكْعَتَيْنِ)[5]؛ وعلماء الحديث مجمعون على أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام، وعمر بن الخطاب، وأبا بكر الصدِّيق -رضي الله عنهما- قَصروا الصلاة في الحَجّ في مِنى[6]

---

(١) عبدالله الطيار ، الفقه الميسر ، ج٤ ، ص ١٢ .
(٢) عبد المحسن العباد، شرح أبي داوود للعباد ، ج٣٨ .
(٣) ابن عثيمين ، لقاء الباب المفتوح ، ج٤ ،ص ١٩٩ .
(٤) أ. د. عبدالله الدرعان، أ. د. محمد بن يحيى النجيمي، د. عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص ١٢٦ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٦٥٧ .
(٦) أ. د. عبدالله الدرعان، أ.د .محمد بن يحيى النجيمي، د. عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص١٢٨ .

٥- التيسير للحجيج في يوم عرفة يجوز للحاجّ أن يدخل إلى عرفة في ليلة التاسع من ذي الحِجّة؛ تفادياً للزحام الذي يحصل عادةً بعد صلاة الفجر وطلوع الشمس يوم عرفة؛ إذ إنّ عدد الحُجّاج الكبير، وخروجهم في الوقت ذاته إلى الطُّرُق التي تُؤدّي إلى جبل عرفة يُسبّب زحاماً شديداً قد يضطرّ الحاجّ إلى المشي عدداً من الساعات، والسماح للحاجّ بأن يصل إلى عرفة دون الوقوف فيها من مظاهر التيسير ورَفع المشقّة والحَرَج عنه؛ فالسنّة في ذلك الخروج إلى عرفة بعد طلوع شمس يوم عرفة، إلّا أنّه يجوز للحاجّ أن يصل إليها في ليلة التاسع من ذي الحِجّة(١).

٦- ومن مظاهر التيسير أيضاً أنّه يُجزئ عن الحاجّ الوقوف في عرفة ولو لحظات؛ إذ لا يجب عليه الوقوف وقتاً طويلاً(٢)،[ومن ذلك أيضاً أنّ مَن وَقف في عرفة ليلاً ولو مروراً، أو لحظات قليلة بسبب فوات الوقوف فيه نهاراً، فإن ذلك يُجزئه، ويُعَدّ وقوفه صحيحاً(٣).

٧- التيسير في الانصراف من مُزدلفة لأهل الأعذار يمكث الحُجّاج في مُزدلفة إلى ما بعد صلاة الفجر؛ وهو الوقت المسنون عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والأكثر كمالاً للمسلم أن يقتدي بالنبيّ عليه الصلاة والسلام في ذلك؛ ابتغاءً للأجر، والثواب، إلّا أنّ الشارع من باب التيسير على الحُجّاج من أهل الأعذار ورَفع المشقّة عنهم أباح لِمَن لا يستطيع منهم المبيت في مُزدلفة أن ينصرف منها، وأهل الأعذار المأذون لهم بذلك هم الضعفاء من الشيوخ، والأطفال، والنساء، ويدخل في ذلك من يُرافقهم؛ ؛ ودليل ذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها؛ إذ قالت: (اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيْلَةَ جَمْعٍ، وكَانَتْ ثَقِيلَةً ثَبْطَةً، فأذِنَ لَهَا(٤)، (٥)

---

(١) أ. د. عبدالله الدرعان، أ. د. محمد بن يحيى النجيمي، د. عبدالسلام بن محمد الشويعر .التيسير في أحكام الحج ص١٣١ .
(٢) عبد المحسن العباد، شرح سنن أبي داود للعباد، ٣٥، ٢٢٨.
(٣) أ. د. عبدالله الدرعان، أ .د. محمد بن يحيى النجيمي، د. عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص١٣٥.
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،رقم الحديث ١٦٨٠ .
(٥) أ. د. عبدالله الدرعان، أ .د. .محمد بن يحيى النجيمي، د. عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص١٥٣ .

ويُعَدّ أخذ المسلم برُخَص الله سبحانه وتعالى- من تمام التعبُّد له، وقد أخذ بعض الصحابة -رضي الله عنهم- بهذه الرُّخصة، ومنهم: عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-؛ قال عبدالله ابن عبّاس: (أَنَا مِمَّنْ قَدَّمَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَيْلَةَ المزْدَلِفَةِ في ضَعَفَةِ أَهْلِهِ)[١]؛ فقد كان عبدالله بن عمر يقدم الضِّعاف من أهله إلى مُزدلفة ليلاً، فيقفون عند المِشعر الحرام، ويذكرون الله -تعالى-، ثمّ ينصرفون، ولأهل الأعذار أن ينصرفوا من مزدلفة بعد أن يغيب القمر، وذلك بعد مُضِيّ ثُلثَي الليل، وهذا مذهب من قال بوجوب مَبيت الحاجّ في مزدلفة حتى صلاة الفجر، فاستُثنِي من ذلك أهل الأعذار بانصرافهم بعد مُضِيّ ثُلثَي الليل[٢]، وأئمة المذاهب الفقهية متّفقون على أنّ الوقوف بمزدلفة والمبيت فيها واجب، إلّا لصاحب العُذر، ومَن ترك الوقوف في مُزدلفة، فإنّ عليه دماً عند من قال بوجوبه[٣]، [٤].

٨- التيسير في التقديم والتأخير في أعمال يوم النَّحر ذهب الحنفية، والشافعية، والحنابلة إلى أنّ تأدية أعمال يوم النَّحر بالترتيب الذي أدّاه النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مُستحَبّ؛ والترتيب هو الابتداء برَمي جمرة العقبة، ثمّ النَّحر، ثمّ الحلق أو التقصير، وبعد ذلك تأدية طواف الإفاضة؛ ودليلهم في ذلك حديث عبدالله بن عمر -رضي الله عنه- قال: (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وقَفَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ، فَقالَ رَجُلٌ: لَمْ أشْعُرْ، فَحَلَقْتُ قَبْلَ أنْ أذْبَحَ، قالَ: اذْبَحْ ولَا حَرَجَ، فَجَاءَ آخَرُ فَقالَ: لَمْ أشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أنْ أرْمِيَ، قالَ: ارْمِ ولَا حَرَجَ، فَما سُئِلَ يَومَئذٍ عن شيءٍ قُدِّمَ ولَا أُخِّرَ إلَّا قالَ: افْعَلْ ولَا حَرَجَ)[٥].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٦٧٨ .
(٢) أ.د. عبدالله الدرعان، أ.د.محمد بن يحيى النجيمي، د.عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص١٥٣ -١٥٤
(٣) الشيخ ابن باز ،الشيخ ابن عثيمين، فتاوى اسلامية ، ج٢ ، ص ٢٦٨ .
(٤) عبد الحكيم حمادة، الجامع لأحكام الفقه على المذاهب الأربعة، صفحة ٢٨٠.
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٧٣٦ .

إلّا أنّ الشرع أجاز تقديم بعض هذه الأعمال على الأخرى؛ وذلك من باب التيسير، ورَفع المِشقّة عنهم ، فلا حرج إن ذبح الحاجّ الهَدي قبل أن يرميَ الجمرة، أو طاف طواف الإفاضة قبل أن يرميَ الجمرات، أو حَلق قبل أن يرمي(١).

٩- التيسير في رَمي الجمرات:

أ- أجاز الفقهاء بلا خِلاف توكيل العاجز الذي له عُذر لغيره في رَمي الجمرات عنه بشكل كُلّي، أو جزئيّ، وأصحاب الأعذار هم المرضى، وكبار السنّ، والصِّغار، وكلّ مَن لا يستطيع أن يرميَ لأيّ عُذر، ويجوز أن يُوكل غيره بالرَّمي بأُجرة، أو على سبيل التطوُّع، وذلك من مظاهر التيسير في أعمال الحَجّ،(٢) .

ب- ومنها أيضاً إمكانيّة تأخير رَمي جمرات اليوم الحادي عشر إلى اليوم الثاني عشر لأهل الأعذار؛ ودليل ذلك إذن النبيّ عليه الصلاة والسلام- لرُعاة الإبل بجَمع رَمي يومَين في يوم واحد، فمَن شَقّ عليه الذهاب إلى الرَّمي؛ بسبب بُعد مكان الرَّمي، وغيره من الأعذار، فإنّه يجوز له التأخير، ومن صُور التيسير أيضاً أنّ وقت الرَّمي واسع؛ إذ لم يُحدّد النبيّ -عليه الصلاة والسلام- نهاية وقت رَمي جمرة العقبة، إلّا أن تطلع شمس يوم الحادي عشر من ذي الحِجّة، ويبدأ أهل الأعذار المأذون لهم في التأخير برَمي جمرات اليوم الحادي عشر، فإن انتهوا منهنّ، فإنّهم يرمون جمار اليوم الثاني عشر، ويبدأ وقت رَمي الجمار الثلاثة في اليوم الحادي عشر من ذي الحِجّة بعد زوال الشمس، وينتهي مع غروب شمس اليوم الثالث عشر لمن أخّرها.

١٠- التيسير في جَمع طواف الإفاضة مع طواف الوداع يصحّ أن يُؤخِّر الحاجّ طواف الإفاضة إلى وقت طواف الوداع، وتأديتهما معاً، بنيّة طواف الإفاضة(٣)، ويُجزِئ طواف الإفاضة عن طواف الوداع.

---

(١)عبدالله بن محمد البصيري، الحج والعمرة والزيارة ، صفحة ٢ .

(٢)أ. د. عبدالله الدرعان، أ. د. محمد بن يحيى النجيمي، د. عبدالسلام بن محمد الشويعر.. التيسير في أحكام الحج ص١٧٤ – ١٧٥ .

(٣)علي بن عمر با دحدح، دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح، صفحة ٤١ .

١١- ومن مظاهر التيسير في الحجّ أنّ طواف الوداع يسقط عن المرأة الحائض، والنفساء؛ إذ يمكنهما عند الانتهاء من أعمال الحَجّ أن تخرجا من مكّة، وترجعا إلى بلديهما دون طواف الوداع، ولا تنتظرا حصول الطهارة؛ ودليل ذلك ما رواه ابن عبّاس رضي الله عنه عن النبيّ عليه الصلاة والسلام- قال: (أُمِرَ النَّاسُ أنْ يَكونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بالبَيْتِ، إلَّا أنَّه خُفِّفَ عَنِ الحَائِضِ)[١]، [٢].

س٤٤: لماذا يهتم المسلمون بالتاريخ الهجري وليس الميلادي ؟.

ج ٤٤ : أولا: الحديث عن التأريخ الهجري يقتضي تأصيل الحكم الشرعي للتقويم القمري فنقول: دلت النصوص الشرعية على وجوب الأخذ بالتقويم القمري المتمثل بالتأريخ الهجري ١

١- من ذلك قوله تعالى:(يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"...(١٨٩))[٤]

وجه الدلالة: أن الله جعل الهلال علامة على بداية الشهر ونهايته، فبطلوع الهلال يبدأ شهر وينتهي آخر فتكون الأهلة بمعنى المواقيت وهذا يدل على أن الشهر قمري لارتباطه بالأهلة وهي منازل القمر ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأخبر أنها مواقيت للناس وهذا عام في جميع أمورهم، فجعل الله الأهلة مواقيت للناس في الأحكام الثابتة بالشرع، ابتداء أو سبباً من العبادة وللأحكام التي ثبتت بشروط العبد، فما ثبت من الموقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له، وهذا يدخل فيه، الصيام، والحج، ومدة الإيلاء والعدة...

٢- وقوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهَّ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهَّ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ....(١٣٦))[٤] ...وجه الدلالة: أن الله وصف التوقيت بالهلال وأن الشهور القمرية إذا بلغت هذا الرقم سميت سنة وهذا معنى عدة الشهور.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٧٥٥ .
(٢) علي بن عمر بادحدح، دروس للشيخ علي بن عمر بادحدح، صفحة ٤١ ، أنظر موقع موضوع مظاهر التيسير في الحج جيهان عادل حجاحجة ١٢ أكتوبر ٢٠٢٠.
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة التوبة .

وقال الفخر الرازي: قال أهل العلم: الواجب على المسلمين بحكم هذه الآية أن يعتبروا في بيوعهم ومدد ديونهم وأحوال زكاتهم وسائر أحكامهم بالأهلة، لا يجوز لهم اعتبار السنة العجمية والرومية[1]، وذكر رحمه الله أن الشهور المعتبرة في الشريعة مبناها على رؤية الهلال، والسنة المعتبرة في الشريعة هي السنة القمرية[2] .

٣- قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا فإن غم عليكم فاقدروا له)[3] ، ،وجه الدلالة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل انتهاء شهر شعبان ودخول رمضان برؤية الهلال ويقاس عليها بقية الأشهر.

ومؤدى هذه النصوص الشرعية صريح أن المعول عليه والمعتبر هو التقويم القمري مما يؤكد وجوب التمسك به دون غيره من التقاويم وهو يتفق مع أحوال الناس لكونه صالحاً للجميع ليسره وسهولة مخاطبته لجميع الأطراف، ولقد اتفق عليه السلف الأول من الصحابة والتابعين كما مر معنا وأصبح العمل عليه.

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: (التأريخ اليومي يبدأ بغروب الشمس، والشهر يبدأ من الهلال، والسنوي يبدأ من الهجرة، هذا ما جرى عليه المسلمون وعلموا به واعتبره الفقهاء في كتبهم)[4].

وبناء على ما تقدم فإن استخدام التأريخ الهجري والميلادي يكون على حالات:

الحالة الأولى: استخدام التأريخ الهجري دون الميلادي، وحكم هذه الحالة أن التوجيه الشرعي جاء للعمل بالتقويم القمري المتمثل بالتاريخ الهجري وأن احتساب المواقيت والأحوال يكون عليه دون غيره وهو شعار ورمز الأمة الإسلامية التي يؤرخ لها وله دلالاته وأبعاده.

الحالة الثانية: حكم استخدام التأريخ الهجري والميلادي جميعاً: ذكرنا في الحالة الأولى أن الأصل هو العمل بالتقويم القمري المتمثل بالتأريخ الهجري وهذا الحكم يشمل جميع الأفراد

---

(١) الفخر الرازي . التفسير الكبير ، ج١٦ ، ص ٥٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج١٧ ، ص ٣٥ – ٣٦ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٦٤٧ .
(٤) ابن عثيمين ، الضياء اللامع من الخطب الجوامع ص ٣٠٧ .

والدول الإسلامية و لكن لا مانع من الاستفادة بالتقويم الشمسي المتمثل بالتأريخ الميلادي بصفته تقويماً مساعداً للتقويم القمري تابعاً له متى وجد مقتضى لذلك تتحقق فيه مصلحة راجحة ولا عيب أن نأخذ و لا أن نستبدل ، من مواقيت الأمم ما يفيدنا في بعض الحالات فيما لا يتعارض مع أمر من أمور الدنيا)[١]، وأما ما يتعلق بالفصول الأربعة واستخدامها لتنظيم الاكتساب والمهنة والدراسة والعمل دون ربط ذلك بالسنين فليس من التأريخ مثل أن يقال يبدأ العام الدراسي كل عام ببرج الميزان أو يبدأ موعد الحصاد في برج الحمل كل عام فهذا من الاستفادة العامة للمواسم ولا صلة له ببحث التأريخ الهجري أو الميلادي[٢].

الحالة الثالثة: حكم استخدام التأريخ الميلادي فقط: بناء على ما تقدم يتضح لنا أن التأريخ الميلادي مرتبط بالدين النصراني وحضاراته وهذا واضح في أسماء الأشهر في التأريخ الميلادي فغالبها إما وثنية مرتبطة ببعض آلهة النصارى المزعومة أو بأسماء القياصرة وكبار الرهبان[٣].

ولذا فإن وضع التقويم الشمسي المتمثل بالتأريخ الميلادي شعار للبلد والاعتداد به في احتساب المواقيت والأحوال هو تشبه صريح بالنصارى وجاءت النصوص الشرعية التي تحرم ذلك، ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)[٤]، ويتضمن الحديث التشبه بسمات الكفار وعاداتهم وتقاليدهم وأزيائهم وكل ما هو من خصائصهم ولا شك أن اعتبار الأصل هو استخدام التأريخ الميلادي يدخل في سمات الكفار[٥]، وقد سئل الشيخ صالح الفوزان عن: هل التأريخ بالتاريخ الميلادي يُعتبَرُ من موالاة النصارى؟ فأجاب لا يُعتبَرُ موالاة، لكن يعتبر تشبُّهًا بهم.

والصَّحابة رضي الله عنهم كان التاريخ الميلادي موجودًا، ولم يستعملوه، بل عدلوا عنه إلى التاريخ الهجريِّ، وضعوا التاريخ الهجريَّ، ولم يستعملوا التاريخ الميلادي، مع أنه كان موجودًا

---

(١) زيد بن عبد الكريم الزيد، التأريخ الهجري ٦١-٦٣ وما بعده.
(٢) المصدر السابق ، ص ٦٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٤ .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، ج٢ ص ٥٠ ، ص ٩٢ ، وبإسناد فيه مقال، ورواه أبو داود، برقم ٤٠٣١ وصححه الألباني.
(٥) الشيخ صالح الفوزان ، المنتقى من فتاوى الفوزان ، رقم ١٥٣ .

في عهدهم، هذا دليل على أنَّ المسلمين يجب أن يستقلُّوا عن عادات الكفَّار وتقاليد الكفَّار، لا سيَّما وأنَّ التَّاريخ الميلاديَّ رمز على دينهم؛ لأنه يرمز إلى تعظيم ميلاد المسيح والاحتفال به على رأس السَّنة، وهذه بدعة ابتدعها النصارى؛ فنحن لا نشاركهم ولا نشجِّعهم على هذا الشيء، وإذا أرَّخنا بتاريخهم؛ فمعناه أنَّنا نتشبَّه بهم، وعندنا ولله الحمد التاريخ الهجريُّ، الذي وضعه لنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الرَّاشد بحضرة المهاجرين والأنصار، هذا يغنينا)[1] .

ويقول فضيلة الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين: لقد اقتصر المسلمون على تأريخهم الذي اتفقوا عليه من عهد عمر بن الخطاب الذي وضع لهم هذا التاريخ الهجري، حيث اختار مبدأه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وعمل عليه المسلمون في كتبهم وسيرهم مع معرفتهم بتأريخ من قبلهم، ولم يزالوا كذلك حتى استولى النصارى على كثير من بلاد الإسلام، واستعمروهم واضطروهم إلى تعلم التاريخ الميلادي، وأنسوهم التاريخ الهجري إلا ما شاء الله، فنقول: إن في العمل بالتأريخ الهجري تذكراً لوقائع الإسلام وأحوال المسلمين في سابق الدهر، ثم هو أوضح وأبين حيث يعتمد على الأهلة التي ترى عياناً ويحصل بمشاهدتها معرفة دخول السنة وخروجها، دون إعواز إلى حساب وكتابة، فتنصح المسلمين أن يقتصروا على تأريخهم الذي كان عليه سلفهم، وأن يعرضوا عن تأريخ النصارى الذي لا يتحقق صحته، إنما هو مبني على نقل أهل الكتاب وهم غير متيقنين، حيث لم يثبتوا ذلك بالنقل الصحيح. ومتى احتيج إلى معرفة السنة الشمسية، فإن هناك التاريخ الشمسي الهجري وهو يعتمد الحساب، ويسير على سير البروج الاثني عشر التي ذكرها الله تعالى مجملاً كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجا....(١٦))[2] وعرفها الحُسّاب وعلماء الفلك بالمشاهدة، ففي معرفتها ما يكفي عن الاحتياج إلى تاريخ النصارى[3].

---

(١) د. عبد الرحمن السنوسي ، اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات ص ٢٢٨.
(٢) سورة الحجر .
(٣) الشيخ عبد الله الجبرين ، مجلة الدعوة العدد الشهري ٢٠٧٦)

وأما بالنسبة لمن كان يعيش في دولة نظامها يأخذ بالتأريخ الميلادي فإن كان النظام يسمح بوضع التأريخ الهجري مع التأريخ الميلادي فيجب على الأفراد الإشارة إلى التأريخ الهجري في المكاتبات والإجراءات متى ما استطاعوا لذلك لأن هذا يحافظ على بقاء التأريخ الهجري شعاراً للأمة الإسلامية ويخفف من المفسدة الواقعة بالأخذ بالتأريخ الميلادي والقاعدة الشرعية تنص على أنه إذا لم يمكن قطع المفسدة جملة بأسبابها ودواعيها فإن التقليل من آثارها والحد من استشرائها وانتشارها مطلوب وهو من مقاصد الشرع المطهر)[١] .

وأما إذا كان النظام الرسمي للدولة يمنع الإشارة للتقويم القمري المتمثل بالتأريخ الهجري أبداً ويحارب ذلك فيجب على الأفراد في هذه الحالة بذل ما يستطيعون من الإنكار والنصح ومراعاة الأمور والموازنة بين المفاسد المتوقعة وقطع أسبابها والمفاسد الواقعة والسعي إلى تقليل آثارها إذا لم يمكن تلافيها ويبقى الجزاء مرتبطاً بالاستطاعة والقدرة على التغيير ويدخل في هذا التعامل مع الدولة أو الشركات العالمية التي تعتمد التأريخ الميلادي فيجوز مع الحاجة استخدام التأريخ الميلادي مع بعض الاعتبارات المرتبطة في ذلك مثل حساب الزكاة بالتأريخ الميلادي مع معادلته بالتقويم القمري، لإخراج القدر الزائد من المال الزكوي المقابل للزمن الزائد من التقويم الشمسي علما بأن المعتبر في إخراج الزكاة هو التأريخ الهجري لا الميلادي[٢].

س٤٥ : لماذا كان التاريخ الهجري من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس من ابتداء الوحي والدعوة؟.

ج٤٥ : سميت السنة الهجرية بهذا الاسم إشارةٌ إلى الهجرة النبوية المباركة لرسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

استحدث التقويم الهجري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حيث يعتبر رضي الله عنه أول من وضع التّقويم الهجري الذي يبلغ اثني عشر شهراً وذلك بالاعتماد على دورة القمر. حيث أنه إلى يومنا هذا يتم اعتماد الهلال القمري في معرفة بداية الشهور وأواخرها خاصة

---

(١) أحكام وفتاوى الزكاة لعام ١٤٢٣هـ الصادر من بيت الزكاة في الكويت.).
(٢) الدرر السنية ، استخدام التاريخ الميلادي ، الشيخ عبد اللطيف القرني

هلال شهر رمضان وهلال شهر شوال وهلال عيد الأضحى.

أن سني الدعوة التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة يدعو إلى سبيل ربه ،ويتحمل الأذى ، ويصبر على مقولة السفهاء ، لا شك أنها محسوبة من عمر الإسلام ، بل هي من أعظم سني الإسلام ، لما كان عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم من تمام التوكل على ربه وحسن الظن به والصبر على الأذى في سبيله ، وهذا أمر لا يشك فيه عاقل ، ولا ينكره أحد على الإطلاق ، سواء من المسلمين أو من غيرهم .

ولكن الذي حدا بالناس أن يعتمدوا تاريخ الهجرة عند التقويم أو عند ذكر سنة وقوع الحدث ، وهو الذي يقع غالبا في كلامهم ، أن هذا التاريخ هو ما اتفق عليه الصحابة أن يؤرخوا به زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك لأنه التاريخ الحقيقي لقيام الدولة الإسلامية ، بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبنزوله المدينة ، واجتماع الناس حوله ، ونصرتهم له ، وبناء المسجد ، وغير ذلك مما ترتب على الهجرة ، فبدأت معالم الدولة الإسلامية تظهر وتتضح جغرافيا واجتماعيا وعسكريا وسياسيا ، وأما قبل ذلك فلم يكن للمسلمين دولة ، ولم يكن لهم نظام جامع .

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم في سنة ست عشرة وقيل سنة سبع عشرة ، أو ثماني عشرة في الدولة العمرية على جعل ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وذلك أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه رفع إليه صك – أي حجة – لرجل على آخر وفيه ، أنه يحل عليه في شعبان ، فقال عمر: أي شعبان ؟ أشعبان هذه السنة التي نحن فيها أو السنة الماضية ، أو الآتية ؟ ثم جمع الصحابة فاستشارهم في وضع تاريخ يتعرفون به حلول الديون وغير ذلك ، فقال قائل : أرخوا كتاريخ الفرس فكره ذلك ، وقال قائل: أرخوا بتاريخ الروم ، فكره ذلك ، وقال آخرون : أرخوا بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون بل بمبعثه ، وقال آخرون بل بهجرته ، وقال آخرون بل بوفاته عليه السلام ، فمال عمر رضي الله عنه إلى التاريخ بالهجرة لظهوره واشتهاره ، واتفقوا معه على ذلك .

والمقصود أنهم جعلوا ابتداء التاريخ الإسلامي من سنة الهجرة ، وجعلوا أولها من المحرم فيما

اشتهر عنهم ، وهذا هو قول جمهور الأئمة ، لئلا يختلط النظام[1] .

وقد روى البخاري في صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : (مَا عَدُّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ)[2] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :(وَقَدْ أَبْدَى بَعْضهمْ لِلْبُدَاءَةِ بِالْهِجْرَةِ مُنَاسَبَة فَقَالَ : كَانَتْ الْقَضَايَا الَّتِي اتّفقَتْ لَهُ وَيُمْكِن أَنْ يُؤَرَّخ بِهَا أَرْبَعَة : مَوْلِده وَمَبْعَثه وَهِجْرَته وَوَفَاته ، فَرَجَحَ عِنْدهمْ جَعْلهَا مِنْ الْهِجْرَة ، لِأَنَّ الْمَوْلِد وَالْمَبْعَث لَا يَخْلُو وَاحِد مِنْهُمَا مِنْ النِّزَاع فِي تَعْيِين السَّنَة ، وَأَمَّا وَقْت الْوَفَاة فَأَعْرَضُوا عَنْهُ لِمَا تُوُقِّعَ بِذِكْرِهِ مِنْ الْأَسَف عَلَيْهِ ، فَانْحَصَرَ فِي الْهِجْرَة ، وَإِنَّمَا أَخَّرُوهُ مِنْ رَبِيع الْأَوَّل إِلَى الْمُحَرَّم لِأَنَّ اِبْتِدَاء الْعَزْم عَلَى الْهِجْرَة كَانَ فِي الْمُحَرَّم ، إِذْ الْبَيْعَة وَقَعَتْ فِي أَثْنَاء ذِي الْحِجَّة وَهِيَ مُقَدِّمَة الْهِجْرَة ، فَكَانَ أَوَّل هِلَال اِسْتَهَلَّ بَعْد الْبَيْعَة وَالْعَزْم عَلَى الْهِجْرَة هِلَال الْمُحَرَّم ، فَنَاسَبَ أَنْ يُجْعَل مُبْتَدَأ ، وَهَذَا أَقْوَى مَا وَقَفْت عَلَيْهِ مِنْ مُنَاسَبَة الِابْتِدَاء بِالْمُحَرَّم).

وَرَوَى الْحَاكِم عَنْ سَعِيد بْن الْمُسَيِّب قَالَ : (جَمَعَ عُمَر النَّاس فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَوَّل يَوْم يَكْتُب التَّارِيخ ، فَقَالَ عَلِيّ : مِنْ يَوْم هَاجَرَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَك أَرْض الشِّرْك ، فَفَعَلَهُ عُمَر ...)[3].

فالذي يعتبر أن عمر الإسلام إنما يبدأ بالهجرة ، إنما يقصد التاريخ والتقويم وما اتفق الناس عليه من توحيد النظام لمعرفة الأيام والأحداث ، وتصحيح المواقيت للناس في العقود والوفود ونحو ذلك : فهذا أمر اتفق الناس عليه من خلافة عمر رضي الله عنه إلى يومنا هذا ، والذي يحدد بهذا التاريخ إنما يقصد عمر تكوين وإنشاء الدولة ولا نعتقد أن أحدا يتصور أن بداية الإسلام الحقيقية إنما هو من الهجرة ، ويلغي سنين الدعوة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه بمكة قبل الهجرة ، هذا لا يقوله أحد[2] .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ٢٥١ ــ ٢٥٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٩٣٤ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ،ج٧ ، ص ٢٠٩ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال و جواب ، نشر بتاريخ ٣ / ٤ / ٢٠١٢ م.

٤٦: لماذا قرن الله تعالى الصلاة والزكاة في آيات كثيرة من القرآن الكريم ؟.

ج٤٦: جاء في القرآن الكريم ذكر الصلاة والزكاة في أكثر من موضع ما بين ذكر كل منهما بشكل مُنفرد وفي حالة أخرى من خلال الجمع بينهما واقتران ذكر الصلاة والزكاة مع بعضهما البعض، للدلالة على أهمية الصلاة والزكاة فهما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، فالصلاة ركن أساسي من اركان الإسلام فمن أقامها أقام الدين فهي عمود الدين، وكذلك الزكاة على جميع المسلمين تأديتها وإخراجها وفق المعايير المتبعة في إخراج الزكاة، ولطالما كان القرآن الكريم حكيماً في ذكر المواضيع والتشريعات والقوانين السماوية بصورة رائعة ودقيقة ومنسقة وكانت بشكل دائم والغالب عليها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً إما في عدد ذكرها أو في مكانها وموقعها في السور والآيات.

كان الله عز وجل يذكر بشكل دائم ومرتبط وثيق الصلاة والزكاة مرتبطتان مع بعضهما دون انقطاع في أغلب مواقعها في القرآن الكريم ، ومن المواقع التي ذكرت فيها الصلاة والزكاة مرتبطتان ببعضها في قولة تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ(٣١))[١] ، وأيضاً في قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣))[٢] ، وهناك الكثير من المواضع التي ذكرت فيها الزكاة متصلة بالصلاة.

وأيضا حث النبي صلى الله عليه وسلم على الزكاة والصلاة متصلتين كما ورد في القرآن مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً ، منها: (الإسلامُ: أنْ تَشهَدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، وأنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَحُجَّ وتَعتَمِرَ، وتَغتَسِلَ مِنَ الجَنابةِ، وأنْ تُتِمَّ الوُضوءَ، وتَصُومَ رمضانَ)[٣]، وأيضا جاء الصديق وخليفة رسول الله أبو بكرِ الصديق من بعده ليُؤكد على مدى ارتباطها مع بعضها ، ليقول رضي الله عنه : (لأقاتلنّ من فرّق بين الصَّلاة والزَّكاة)[٤].

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج١ ،ص ١٢٢.
(٤) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٣٩٨٥ .

عدد المرات التي اقترن فيها ذكر الزكاة بالصلاة:

دائماً ما تكون كلاً من الزكاة والصلاة مرتبطتان في الأحاديث وآيات القرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً ، وما يدل ذلك إلا عن عظم منزلة هذه العبادة التي قُرنت مع أعظم عبادة نؤديها يومياً على خمس مرات وهي الصلاة .

وقد ذُكرت الصلاة في القرآن الكريم خمساً وثمانين مرّةً، كما ذُكر الحديث عن الصلاة بألفاظٍ أخرى؛ كمشتقّات الفعل منه خمس عشرة مرّةً، وقد نالت الصلاة أهميّةً ومكانةً عظيمةً في الإسلام، فهي ثاني الأركان الخمسة بعد الشهادتين، وقد أمر الله سبحانه عباده بالمحافظة عليها وعدم تركها لأيّ سببٍ كان، في سفرٍ أو حضرٍ أو صحّةٍ أو مرضٍ أو غير ذلك، حتّى بلغ من أهميّتها فرضها حال الحروب والقتال، فإنّها لا تسقط عن المسلم، وسبب أهميّة الصلاة ومكانتها أنّها تعدّ غذاء الروح والقلب للمسلم، وهي وسيلة التواصل بين العبد وربّه على مدار اليوم والليلة؛ ولذلك فرضت إقامتها ولم يُشرع تركها لأيّ سببٍ كان.

وارتبط ذكر ركن الزكاة بركن الصلاة في الكثير من مواضع ذكر الزكاة في القرآن الكريم، حيث ورد ذكر الزكاة في تسعةٍ وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، ارتبطت جميعها بالصلاة إلا في موضعين فقط، وهما: قول الله تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ(١٥٦))[١]، وقوله تعالى أيضاً: (الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(٧))[٢]، وفي ذلك الارتباط دلالةٌ على أهميّة الزكاة؛ إذ إنّها ارتبطت بعماد الدين، ممّا جعل أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقاتل مانعي الزكاة، وقد ورد في بعض أحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم ارتباط الزكاة بالصلاة، منها: (الإسلامُ: أنْ تَشهَدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، وأنْ تُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَحُجَّ وتَعتَمِرَ، وتَغتَسِلَ مِنَ الجَنابةِ، وأنْ تُتِمَّ الوُضوءَ، وتَصُومَ رمضانَ)[٣]، ومن الحِكم التي نصّ عليها

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة فصلت .
(٣) الألباني ، صحيح الترغيب والترهيب ، رقم الحديث ١١٠١ .

العلماء أنّ الصلاة تتضمّن الإخلاص لله تعالى، والزكاة تتضمّن الإحسان لما خلق الله تعالى، والسعادة الحقيقيّة للعبد تتحقّق بوجود الأمرين، وكذلك فإنّ الصلاة تعدّ رأس العبادات البدنيّة، والزكاة تعدّ رأس العبادات الماليّة، وجميع العبادات الأخرى تؤول إليهما.

وذهب البعض إلى القول بأنّ اقتران الزكاة بالصلاة يدلّ على أنّ وجوبهما واحدٌ؛ أي أنّ الزكاة لا تجب في أموال الصبي حتى يبلغ، فالزكاة تجب حيث وجبت الصلاة، وذلك كما في قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ(٣١)﴾[١]، لكنّ القول بذلك مردودٌ؛ لأنّ كلّ جملةٍ وردت تامّةً، وليست بحاجةٍ إلى الجملة الأخرى[٢].

س٤٧: لماذا نهى الإسلام عن إسبال الثياب ؟.

ج٤٧: الإسبالُ: إطالةُ الثَّوبِ إلى ما تحتَ الكعبَينِ[٣].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (الإسبال محرم مطلقًا؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، وزجر عنه مطلقًا، قال صلى الله عليه وسلم :ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار، ولم يقل: بشرط التكبر، وقال صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنان فيما أعطى، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، فتوعدهم بهذا الوعيد العظيم ولم يقل: إذا كان متكبرًا.

أما ما جاء في الحديث: الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! لما سمع منه حديث إن إزاري يتفلت علي إلا أن أتعاهده، فقال صلى الله عليه وسلم : إنك لست ممن يفعله تكبرًا، فهذا معناه: أن هذا التفلت الذي يقع من الإنسان من غير قصد الكبر لا يضره، ولكن عليه أن يتعاهده حتى لا ينفلت، وأما إنسان يتعمد ترك ثيابه تحت كعبيه فهذا متعمد، مظنة الكبر، وإذا كان ما أراد الكبر فعمله سيئ وهو وسيلة للكبر أيضًا، وفيه إسراف وتعريض للملابس للأوساخ والنجاسات.

---

(١) سورة البقرة .
(٢) طلا مشعل ، موقع موضوع ، نشر بتاريخ ٤ يوليو ٢٠١٨.
(٣) النووي ، المجموع ، ج٤ ، ص ٤٥٧، يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢/٣٣٩)، ((شرح النووي على مُسْلِم)) (١٤/٦٢).

فالحاصل: أن الإسبال محرم مطلقًا؛ لأن الأحاديث العامة تدل على ذلك، وإذا كان عن تكبر صار الإثم أعظم وأشد، وفي الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم : إياك والإسبال فإنه من المخيلة، سمى الإسبال كله مخيلة؛ لأنه مظنة الكبر، لماذا يسبل؟ الغالب على الناس هو التكبر والتعاظم، وإذا كان ما أراد هذا فهو وسيلة له، مع ما فيه أيضًا من الإسراف وتعريض الملابس للأوساخ والنجاسات، ولهذا جاء عن عمر رضي الله عنه أنه رأى شابًا قد أرخى ثوبه فقال: (يا عبد الله! ارفع ثوبك، فإنه أتقى لربك، وأنقى لثوبك)[1]، والإسبال مظهر من مظاهر الكبر والإسراف، والأصل العمل بالنص الوارد في ذلك، ظهرت الحكمة أم لم تظهر ، والدليل على ذلك :

١- عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (ما أسفَلَ مِن الكَعبينِ مِن الإزارِ، ففي النَّارِ)[2] .

٢- عن أبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ ولا يَنظُرُ إليهم ولا يُزَكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ، قال: فقرأها رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثلاثَ مَرَّاتٍ. قال أبو ذَرٍّ: خابوا وخَسِروا، من هم يا رسولَ اللهِ؟ قال: المسبِلُ، والمنَّانُ، والمنَفِّقُ سِلعَتَه بالحَلِفِ الكاذِبِ)[3].

٣- عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (مَن جَرَّ ثوبَه خُيَلاءَ، لم يَنظُرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ)[4].

٤- عن جابرِ بنِ سُلَيمٍ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (إيَّاكَ وإسبالَ الإزارِ؛ فإنَّها مِن المخِيلةِ ، وإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المخِيلةَ)[5]،[6].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٧٨٧ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٦ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٦٥ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٠٨٥ .
(٥) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٠٨٤ . قال الذهبي في ((المهذَّب)) (٤٢٥٣/٨): لبعضه طرُقٌ عن جابرٍ، وإسناده حسن، وصَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٠٨٤)، وقال الوادعي في الصحيح المسند (٢٠٢): يرتقي إلى درجة الصِّحَّة.
(٦) علوي عبد القادر السقاف ، الدرر السنية .

س٤٨: لماذا نهى الإسلام عن القزع ؟

ج٤٨: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القَزَع)[١] ...فما هو القزع؟.

القَزَع أن يَحلق بعض الرأس ويَترك بعضه سواء كان من جانب واحدٍ، أو من كل الجوانب، أو من فوق، ومن يمين، ومن شمال، ومن وراء ومن أمام، المهم أنه إذا حلَق بعض الرأس وترَك بعضه، فهذا قزَع، وقد نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أنواع:

١- أن يحلق بعضه غير مرتب، فيحلق مثلاً من الجانب الأيمن ومن الناصية ومن الجانب الأيسر.

٢- أن يحلق وسطه ويدع جانبيه.

٣- أن يحلق جوانبه ويدع وسطه.

٤- أن يحلق الناصية فقط ويدع الباقي.

والقزع كله مكروه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صبيّاً حلق بعض رأسه، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم، أن يحلق كله أو يترك كله، لكن إذا كان قزعاً مشبهاً للكفار فإنه يكون محرماً، لأن التشبه بالكفار محرم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من تشبه بقوم فهو منهم)[٢].[٣].

قال الشيخ ابن عثيمين : " القزع هو حلق بعض الرأس وترك بعضه ، وهو أنواع (ذكرتها أعلاه) ، فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (نَهَى عَنْ الْقَزَعِ) قيل لنافع : ما القزع ؟ : قال : (أن يحلق بعض رأس الصبي ويترك بعضه) ، وروى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَأَى صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعَرِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : (احْلِقُوا كُلَّهُ أَوْ اتْرُكُوا كُلَّهُ)[٤] .

---

(١) أحمد شاكر ، المسند ،ج٧ ، ص ٢٦٠ ، أخرجه البخاري (٥٩٢٠)، ومسلم (٢١٢٠) باختلاف يسير.
(٢) سبق تخريج هذا الحديث .
(٣) صحيفة المدينة شره الجمعة ٢٧ أيّار / مايو ٢٠١٦ .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٥٥٨٣ . صححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١١٢٣) .

والنهي في هذه الأحاديث الواردة عن القزع ، محمول على الكراهة لا التحريم .

قال النووي رحمه الله في المجموع : يُكْرَهُ الْقَزَعُ ، وَهُوَ حَلْقُ بَعْضِ الرَّأْسِ ؛ لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما فِي الصَّحِيحَيْنِ قَالَ : (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ الْقَزَعِ)[(١)].

فعلى هذا ، فالقزع مكروه ، إلا إذا فعله صاحبه على وجه التشبه بالكفار أو الفساق ، ففي هذه الحال يكون محرماً لا مكروهاً .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (والقزع مكروه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رأى غلاماًً حلق بعض شعره وترك بعضه ، فنهاهم عن ذلك . وقال : (احلقوا كله أو اتركه كله) إلا إذا كان فيه تشبه بالكفار فهو محرم ، لأن التشبه بالكفار محرم ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من تشبه بقوم فهو منهم)[(٢)] ، [(٣)] .

س٤٩: لماذا نهى الإسلام عن حلق اللحية ؟.

ج٤٩ : إعفاء اللحية فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

القول الأول : أنه واجب عند جمهور المسلمين، فالرسول يقول: (خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب(. يفسر جمهور علماء الإسلام هذا الحديث بوجوب إعفاء اللحية لدى رجال المسلمين، فقد ثبت عنه من حديث ابن عمر، في الصحيحين وغيرهما أنه قال: «قصوا الشوارب وأعفوا اللحى»، وفي لفظ: «قصوا الشوارب ووفروا اللحى خالفوا المشركين»، وفي رواية مسلم عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: (جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس)، ففي هذه الأحاديث الصحيحة وجد فيه علماء الدين الإسلامي الصراحة بإعفاء اللحى وتوفيرها وإرخائها وقص الشوارب؛ مخالفة للمشركين والمجوس، والأصل في الأمر الوجوب.

وروى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة قالت:« قال رسول الله: (عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، وانتقاص الماء، قال زكريا: قال مصعب:

---

(١) النووي ، المجموع ، ج١ ، ص ٣٤٧ .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١ ، ص ١٦٧ .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، (٧٦٧٦/٥ ، نشر في ٢٣ / ١٠ / ٢٠٠٧ م.

ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة).

القول الثاني : يعتقد علماء آخرون أن اللحية ليست واجبة وإنما هي مستحبة فحسب، وهذا القول هو المعتمد عند الشافعية. وقالوا أن القائلين بالوجوب قد استدلوا بحديث أبي هريرة: (الفطرة خمسٌ: الاختِتان والاستِحداد وقصُّ الشاربِ وتقليمُ الأظفار ونتف الإبْط) متفق عليه.

كما رد الشافعية عليهم في استدلالهم على الوجوب بحديث (أعفوا اللحى) بأن هذا الحكم الوارد بالحديث حكم (معلل) أي وردت له علة وسبب وهي مخالفة المجوس والمشركين، ولما بحث العلماء عن حكم مخالفة المشركين وجدوا أنها ليست على الوجوب، بدليل قول النبي محمد (غيّروا الشيب ولا تتشبهوا باليهود) ولم يقل أحد من العلماء أن صبغ الشعر واجب لأجل مخالفة اليهود. فكذلك يكون الأمر بالنسبة لإعفاء اللحية سواء بسواء، فلو كان الأمر للوجوب بإطلاق لكان تغيير الشيب واجباً أيضاً، وهذا غير حاصل، فينسحب عليه نفس حكم اعفاء اللحية. كما أن الأمر بإعفاء اللحية جاء دوماً مرتبطاً مع إحفاء الشارب، وهو مستحب بالاتفاق كما ذكر النووي.

القول الثالث : أن إطلاق اللحية ليس مستحباً ولا واجباً وإنما هو من سنن العادات كالأكل والشرب والهيئة واللباس الخ. وهذا ما ذهب إليه جمع من العلماء المعاصرين مثل محمود شلتوت ومحمد أبو زهرة، وقد ذكرت دار الإفتاء المصرية هذا الرأي في الفتوى التي أصدرتها حول اللحية. ، وذكرت أن الأوامر المتعلقة بالعادات والأكل والشرب واللبس والجلوس والهيئة إلخ تُحْمَل على الندب لقرينة تعلقها بهذه الجهات. وأصحاب هذا الرأي يشتركون مع الشافعية في أنها من سنن العادات، ولكن بينما ذهب الشافعية إلى الندب والاستحباب، ذهب هؤلاء إلى الإباحة، أي أن الحكم أنه لا يثاب فاعلها (لأنها عادة لا عبادة) ولا يعاقب تاركها[١].

---

(١) دار الإفتاء المصرية ، فتوى رقم مسلسل ٢٦١ بتاريخ ١٥/١١/ ٢٠٠٥

يقول عَلَوي بن عبد القادر السَّقَّاف وهو يرى أن حلق اللحية حرام :(وردَت أحاديثُ كثيرةٌ بتوفيرِ اللِّحى وإعفائِها، وحاصلُ مجموعِ رواياتِها خمسٌ: (أوفُوا)، و(أرخُوا)، و(أرجُوا)، و(وفِّروا)، و(أعفُوا)، ومعانيها كلُّها متقاربةٌ، ولم يردْ حديثٌ بلفظِ: (اترُكوا) ولا بلفظ (أكرِموا) ، وهذه الألفاظ كلُّها تدلُّ على التركِ والتَّوفيرِ والتكثيرِ، وإليك تفصيلُ ذلك:

(أوفُوا) من الإيفاءِ: وهو الإتمامُ وعدمُ النُّقصانِ، قال في تاج العروس: (أوفى الشيءُ، أي: تمَّ وكثُر)، وفي مقاييس اللغة: (وفي) كلمةٌ تدلُّ على إكمالٍ وإتمامٍ).

(أرخُوا) من الإرخاءِ: وهو بمعنى الإطالةِ والسَّدلِ، ومنه: أرخى العِمامةَ: أطالَها، وأرخى السِّترَ: أسدَلَه. (انظر تاج العروس)

(أرجُوا) أصلُها: أرجِئُوا، من الإرجاءِ: وهو التأخيرُ، فلمَّا قال: (أحفُوا الشوارِبَ) قال بعدها: (وأرجُوا اللِّحَى) أي: أخِّرُوها ولا تُحفُوها.

(وفِّرُوا) من التوفيرِ: وهو الكثرةُ، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: ((وفر) كلمةٌ تدلُّ على كثرةٍ وتَمامٍ)، وفي القاموس المحيط: (وفَّرَه توفيرًا: كثَّرَه)، وفي لسان العرب: (وفَّرَه: كثَّره).

(أعفُوا) الإعفاء أصلُ معناه في اللغةِ: التَّركُ، كما في تاج العروس وغيره، تقول: عفا اللهُ عنك، أي تركَ عقابَك، وعفوتُ عن فلانٍ، أي: تركتُه وحالَه ولم أعاقِبْه، ويأتي بمعنى التوفيرِ والكثرةِ؛ ففي لسان العرب: (عفا القومُ: كَثُروا، وفي التنزيل: (حَتَّى عَفَوْا...(٩٥))، أي: كثُروا، وعفا النَّبتُ والشَّعرُ وغيره، يعفوُ، فهو عافٍ: كثُرَ وطال، وفي الحديثِ: أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم أمرَ بإعفاءِ اللِّحى، هو أن يوفَّرَ شعرُها ويُكَثَّر، ولا يُقَصَّ كالشَّوارب، مِن: عفا الشيءُ: إذا كثُرَ وزاد) وقال القرطبي في قال أبو عبيد: (يقال عفا الشَّيءُ: إذا كثُرَ وزاد)[2].

فأنت ترى أنَّ كلَّ الألفاظِ التي جاءت في الأحاديثِ تدُلُّ على الوفرةِ والكثرة، وبصيغةِ الأمرِ الدَّالِّ على الوجوبِ، وقد تأكَّد ذلك بفعلِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ فإنَّه لم يصِحَّ عنه أنَّه

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، كلمة (عفا)
(٢) القرطبي ، المفهم ، ١، ص٥١٢

أخذَ شيئًا من لِحيتِه، بل جاء في أحاديثَ كثيرةٍ في صِفتِه صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه كان: (كَثَّ اللِّحيةِ) ، و (كثيرَ شَعرِ اللِّحيةِ) ، كما ورد في صفة عددٍ من الصحابة رضي الله عنهم أنَّهم كانوا كثيري شَعرِ اللِّحيةِ، ولا يُعرَفُ عن أحدٍ من السلَفِ أنَّه حلقَ لِحيَتَه البتَّةَ؛ ولذلك اتفقَ الفُقَهاءُ على حرمةِ حَلقِها، ونقل غيرُ واحدٍ الإجماعَ على ذلك؛ منهم ابن حزم بقولِه: (واتَّفَقوا أنَّ حَلقَ جميعِ اللِّحيةِ مُثْلةٌ لا تجوزُ)[1]. ا،

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز في مجموع الفتاوى: (حكمُ اللِّحيةِ في الجُملةِ فيه خِلافٌ بين أهلِ العِلمِ؛ هل يجِبُ توفيرُها أو يجوزُ قَصُّها، أمَّا الحَلقُ فلا أعلَمُ أحدًا من أهلِ العِلمِ قال بجوازِه)[1].

أمَّا الأخذُ منها وتقصيرُها وتهذيبُها، فإن كان بحيثُ لا تكونُ وافرةً وكثيرةً وكَثَّةً، فلا يجوزُ؛ لظاهرِ النُّصوصِ السَّابقةِ التي تدُلُّ كلُّها على وجوبِ الإعفاءِ والتوفيرِ والإرخاءِ، وقد اختَلَفوا فيما لو أخذَ منها شيئًا مع بقائِها وافرةً كثيرةً، على قولين:

الأول: عدمُ جوازِ أخذِ شَيءٍ منها، ودليلُهم الأمرُ بالإعفاءِ، وأخَذوا من معنى الإعفاءِ التَّرْك، وهو أحدُ مَعنَيَي الإعفاءِ، أمَّا بقيَّةُ ألفاظ الحديثِ فلا تدلُّ على عدمِ جوازِ أخذِ شَيءٍ منها.

الثاني: جوازُ الأخذِ منها مع توفيرِها وإرخائِها، ودليلُهم أنَّ الإعفاءَ يأتي في اللغةِ بمعنى الكثرةِ كما تقدَّمَ، قالوا: فمَن ترَك لحيتَه وأعفاها حتى طالَت وكثُرَت، فقد حقَّقَ الإعفاءَ الواجِبَ، كما استدلُّوا بفِعلِ عدَدٍ من الصحابةِ- منهم: ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم بأخذِ ما زاد على القَبضةِ، ثم اختلفوا: هل كان هذا في نُسُكٍ أم لا؟ وهذا الاختلافُ لا يغيِّرُ في أصل الاستدلالِ؛ لأنَّه كما قال ابن عبد البَرِّ في ((لو كان غيرَ جائزٍ ما جاز في الحَجِّ)[3].

وسبَبُ اختلافِهم هو أنَّ ابنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عنه راويَ حديثِ: (أعفُوا اللِّحَى) هو نفسُه كان يأخذُ مِن لحيتِه ما زاد على القبضةِ، فمن قال بعدمِ الجوازِ استدَلَّ بقاعدة: (العِبرةُ

---

(١) ابن تيمية ، مراتب الإجماع ، ص ١٢٠، وانظر الإقناع في مسائل الإجماع(٢/ ٢٩٩).
(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز في مجموع الفتاوى (٣٧٣/٣).
(٣) ابن عبد البَرِّ ، الاستذكار ، ٤ ، ص٣١٧

بروايةِ الرَّاوي لا برأيِه) ومن قال بالجوازِ استدلَّ بقاعدة: (الرَّاوي أدرى بما رَوى) وقال: لم يخالِف ابنُ عمَرَ رَضِيَ الله عنهما روايتَه، بل هذا معنى الإعفاءِ.

وقد قال بجوازِ أخذ ما زاد على القبضةِ جمهورٌ مِن أهل العلم؛ منهم الإمام مالك، والإمام أحمد، وعطاء، وابن عبد البر، وابن تيمية، وغيرهم، وعندهم أنَّ ما زاد على القبضةِ تحقَّقَ فيه الإعفاءُ والتوفيرُ والإرخاءُ.

قال أبو الوليد الباجي في المنتقى شرح الموطأ: (روى ابن القاسم عن مالك: لا بأسَ أن يؤخَذَ ما تطايرَ من اللِّحيةِ وشَذَّ، قيل لمالك: فإذا طالت جدًّا؟ قال: أرى أن يؤخَذَ منها وتُقَصَّ، ورُوي عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أنَّهما كانا يأخذانِ مِن اللِّحيةِ ما فضَل عن القبضةِ)[1].

وقال ابن هانئ في مسائله: ((سألتُ أبا عبد الله عن الرجُلِ يأخذ من عارِضَيه؟ قال: يأخذُ مِن اللِّحيةِ ما فضلَ عن القبضة، قلتُ: فحديثُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أحفُوا الشَّوارِبَ وأعفُوا اللِّحى) قال: يأخذُ مِن طولِها ومن تحت حَلقِه، ورأيت أبا عبد الله يأخذُ من عارِضَيه ومن تحتِ حَلقِه)[2].

وقال الخلَّال في كتاب الوقوف والترجل: (أخبرني حربٌ قال: سُئل أحمدُ عن الأخذ من اللِّحية؟ قال: إنَّ ابن عمر يأخذُ منها ما زاد على القبضةِ، وكأنَّه ذهب إليه، قلتُ: ما الإعفاءُ: قال: يُروى عن النبي صلَّى الله عليه وسلم، قال: كأنَّ هذا عنده الإعفاءُ)[3]

وقال المرداوي في الإنصاف: (ويُعفِي لحيتَه ... ولا يُكرَهُ أخذُ ما زاد على القبضةِ، ونصُّه- يعني أحمد- لا بأسَ بأخذِ ذلك، وأخذِ ما تحت الحَلقِ ...) [4].

وقال ابن بطَّال في شرح البخاري: (قال عطاء: لا بأسَ أن يأخُذَ مِن لحيتِه الشيءَ القليلَ مِن طولِها وعَرضِها إذا كثُرَت)[5].

---

(١) أبو الوليد الباجي في (المنتقى شرح الموطأ) (٣٦٧/٤)
(٢) ابن هانئ ، المسائل ، ١٥١/٢.
(٣) الخلَّال ، الوقوف والترجل ، ص ١٢٩ .
(٤) المرداوي ، الإنصاف ، ١ ، ص ١٢١.
(٥) ابن بطال ، شرح البخاري ، ٩ ، ص ١٤٧ .

وقال الحافظ ابن عبد البر في الاستذكار: (وفي أخذِ ابنِ عمَرَ مِن آخِرِ لحيتِه في الحَجِّ دليلٌ على جوازِ الأخذ من اللحيةِ في غير الحَجِّ؛ لأنَّه لو كان غيرَ جائزٍ ما جاز في الحَجِّ ...وابن عمر روى عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (وأعفُوا اللِّحى) وهو أعلَمُ بمعنى ما روى، فكان المعنى عنده وعند جمهورِ العُلَماءِ الأخذَ من اللِّحية ما تطايرَ، والله أعلم)[1].

وقال شيخ الإسلام في شرح العمدة: (وأمَّا إعفاءُ اللِّحيةِ فإنَّه يُترَكُ، ولو أخذَ ما زاد على القبضةِ لم يُكرَهْ؛ نصَّ عليه كما تقدَّمَ عن ابن عمر، وكذلك أخذُ ما تطايرَ منها)[2].

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: (قلت: الذي يظهَرُ أنَّ ابنَ عُمرَ كان لا يخُصُّ هذا التَّخصيصَ بالنُّسُكِ، بل كان يحمِلُ الأمرَ بالإعفاءِ على غير الحالةِ التي تتشَوَّه فيها الصورةُ بإفراطِ طُولِ شَعرِ اللِّحيةِ أو عَرضِه)[3] .

وفي حاشية ابن عابدين: (لا بأسَ بأخذِ أطرافِ اللِّحيةِ إذا طالت)[4] .

وقال الغزالي في (الإحياء): (وقد اختلفوا فيما طال منها، فقيل: إنْ قبَضَ الرجلُ على لحيتِه وأخذَ ما فضَلَ عن القبضةِ، فلا بأس؛ فقد فعَلَه ابن عمر وجماعةٌ من التابعين، واستحسَنه الشَّعبي وابن سيرين، وكَرِهَه الحسَنُ وقتادة وقالا: ترْكُها عافيةً أحَبُّ؛ لِقَولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (أعفُوا اللِّحى) والأمرُ في هذا قريبٌ إن لم يَنتَهِ إلى تقصيصِ اللِّحيةِ وتدويرِها من الجوانبِ)[5] .

وقال العراقي في (طرح التثريب): (إعفاءُ اللِّحيةِ: وهو توفيرُ شعرِها وتكثيرُه، وأنَّه لا يأخذ منه كالشَّارب، مِن: عفا الشيءُ: إذا كثُرَ وزاد ... واستدلَّ به الجمهورُ على أنَّ الأَولى تركُ اللحيةِ على حالِها، وألَّا يُقطَعَ منها شيءٌ)[6]، [7].

---

(١) ابن عبد البر في (الاستذكار) (٣١٧/٤).
(٢) ابن تيمية ، شرح العمدة) (٢٣٦/١)
(٣) ابن حجر في (الفتح) (١٠/ ٣٦).
(٤) ابن عابدين، الحاشية ، (٤٥٩/٢) .
(٥) الغزالي ، الإحياء، (١٤٣/١).
(٦) العراقي ، طرح التثريب ، (٤٩/٢)
(٧) عَلَوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، المشرف العام على مؤسسة الدرر السنية ١٧ ربيع الأول ١٤٣٠

س٥٠: لماذا نهى الإسلام عن الغيبة ؟

ج٥٠: (الغِيبة : هي ذكر المسلم في غيبته بما فيه مما يكره نشره وذِكره ، والبهتان : ذِكر المسلم بما ليس فيه وهو الكذب في القول عليه ، والنميمة : هي نقل الكلام من طرف لآخر للإيقاع بينهما .

والأدلة في تحريم هذه الأفعال كثيرة ، نكتفي بذكرِ شيءٍ يسير فقط لوضوح تحريمها :

١- قال تعالى : (.. وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(١٢))[(١)].

٢- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذِكرُك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهتَّه)[(٢)].

٣- عن ابن عباس قال : (مرَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم على قبرين فقال : أما إنَّهما ليُعذَّبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ، قال : فدعا بعسيبٍ رطْبٍ فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحداً وعلى هذا واحداً ثم قال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا)[(٣)] ، قال العيني: (الترجمة مشتملة على شيئين: الغِيبة والنَّمِيمَة، ومطابقة الحديث للبول ظاهرة، وأما الغِيبة فليس لها ذكر في الحديث، ولكن يوجه بوجهين، أحدهما: أنَّ الغِيبة من لوازم النَّمِيمَة؛ لأنَّ الذي ينمُّ ينقل كلام الرَّجل الذي اغتابه، ويقال: الغِيبة والنَّمِيمَة أختان، ومن نمَّ عن أحد فقد اغتابه. قيل: لا يلزم من الوعيد على النَّمِيمَة ثبوته على الغِيبة وحدها، لأنَّ مفسدة النَّمِيمَة أعظم وإذا لم تساوها لم يصح الإلحاق. قلنا: لا يلزم من اللحاق وجود المساواة، والوعيد على الغِيبة التي تضمنتها النَّمِيمَة موجود، فيصح الإلحاق لهذا الوجه. الوجه الثاني: أنه وقع في بعض طرق هذا الحديث بلفظ

---

(١) سورة الحجرات.
(٢) الامام مسلم ، صحيح مسلم، رقم ٢٥٨٩ .
(٣) الامام مسلم ، صحيح مسلم، رقم٢٩٢ ، والبخاري ٢١٣ .

الغِيبة، وقد جرت عادة البخاري في الإشارة إلى ما ورد في بعض طرق الحديث)[1] .

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنَّبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفيَّة كذا وكذا، فقال: (لقد قلتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته)[2].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيءٍ فليتحلَّلْه منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[3].

كل من وقع منه الغيبة أو البهتان أو النميمة عليه أن يتوب ويستغفر فيما بينه وبين الله ، فإن علِم أنه قد بلَغ الكلامُ للمُتكلَّم عليه فليذهب إليه وليتحلل منه ، فإن لم يعلم فلا يُبلغه بل يستغفر له ويدعو له ويثني عليه كما تكلم فيه في غيبته . وكذا لو علم أنه لو أخبره ستزيد العداوة ، فإنه يكتفي بالدعاء والثناء عليه والاستغفار له :

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية :(ومَن ظلم إنساناً فقذفه أو اغتابه أو شتمه ثم تاب قبِل الله توبته ، لكن إن عرف المظلومُ مكَّنه من أخذ حقه ، وإن قذفه أو اغتابه ولم يبلغه ففيه قولان للعلماء هما روايتان عن أحمد : أصحهما أنه لا يعلمه أني اغتبتك ، وقد قيل : بل يحسن إليه في غيبته كما أساء إليه في غيبته ؛ كما قال الحسن البصري : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته)[4]، [5] .

٢- قال الغزالي: (اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم؛ لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز

---

(١) العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، (٢٠٨/٨).
(٢) (رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وأحمد (١٨٩/٦) (٢٥٦٠١) قال الترمذي: حسن صحيح، وصححه ابن دقيق العيد في الاقتراح (١١٨)، والشوكاني كما في الفتح الرباني (٥٥٩٣/١١)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٧٥)، والوادعي في الصحيح المسند (١٦١٥) وقال: على شرط الشيخين.) .
(٣) الامام البخاري، صحيح البخاري ، الرقم ٢٣١٧ .
(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ٣ / ٢٩١ .
(٥) الاسلام سؤال و ٢/ ٦ / ٢٠٠٢ م.

والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام)[1].
وحول ما قالته عائشة رضي الله عنها في صفية رضي الله عنها :

قال المناوي: (قال النووي: هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغِيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئًا من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلغ)[2] .

قال اين علان : (فإذا كانت هذه الكلمة بهذه المثابة، في مزج البحر، الذي هو من أعظم المخلوقات، فما بالك بغيبة أقوى منها)[3].

وقال ابن عثيمين: (معنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه، أو ريحه، لشدة نتنها، وقبحها، وهذا من أبلغ الزواجر عن الغِيبة)[4] ، [5] .

آثار الغِيبة على الفرد والمجتمع:

إن للغيبة أضرار كثيرة في الدنيا والآخرة، وهذه الأضرار لها آثارها السلبية على الفرد والمجتمع، فلا بد من التنبيه عليها، ؛ كي نتجنبها ولا نقع فيها، ونحذر ارتكابها.

أضرارها على الفرد:

١- الغِيبة تزيد في رصيد السيئات، وتنقص من رصيد الحسنات: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لقد قلتِ كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته)[6] ، وهذا يدل على ما يلحق المغتاب من الإثم بسبب افتياته على خلق الله تعالى الذي حرم الغِيبة، وفي نفس الوقت افتات على حق الإنسان الذي اغتابه).

٢- الغِيبة من أربى الربا: قال الشوكاني: (معصية الربا من أشد المعاصي؛ لأن المعصية التي تعدل معصية الزنا التي هي في غاية الفظاعة والشناعة بمقدار العدد المذكور بل أشد

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ١٤٤/٣ .
(٢) المناوي ، فيض القدير، ٤١١/٢.
(٣) اين علان ، دليل الفالحين ، ٣٥٢/٨ .
(٤) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ١٢٦/٦ .
(٥) الدرر السنية .
(٦) أبو داود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث (٤٨٧٥)،

منها، لا شك أنها قد تجاوزت الحد في القبح وأقبح منها استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم، ولهذا جعلها الشارع أربى الربا، وبعد الرجل يتكلم بالكلمة التي لا يجد لها لذة ولا تزيد في ماله، ولا جاهه فيكون إثمه عند الله أشد من إثم من زنى ستًّا وثلاثين زنية، هذا ما لا يصنعه بنفسه عاقل)[١] .

٣- صاحب الغِيبة مفلس يوم القيامة: (عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)[٢].

٤- الغِيبة تسبب هجر صاحبها: قال ابن باز: (الواجب عليك وعلى غيرك من المسلمين، عدم مجالسة من يغتاب المسلمين مع نصيحته والإنكار عليه فإن لم يمتثل فاترك مجالسته؛ لأن ذلك من تمام الإنكار عليه)[٣] .

٥- الغِيبة تجرح الصوم: قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة، في أن يدع طعامه وشرابه)[٤].

٦- يتتبع الله عورة المغتاب ويفضحه في جوف بيته: فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته)[٥].

٧- عقوبة المغتاب النار.

---

(١) الشوكاني، نيل الأوطار ، ج٣ ، ص٢٠١ .
(٢) الامام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم: ٢٥٨١.
(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٥ /٤٠١).
(٤) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم ٣٤٨٠ .

٨- لا يغفر لصاحب الغِيبة حتى يعفو عنه الذي وقعت عليه الغِيبة.

٩- الغِيبة تترك في نفس الفرد جوانب عدائية، بسبب ما تتركه على سمعته ومكانته.

١٠- الغِيبة تظهر عيوب الفرد المستورة، في الوقت الذي لا يملك فيه الدفاع عن نفسه.

١٢- الغِيبة تدل على دناءة صاحبها، وجبنه، وخسَّته[١] .

بواعث الغيبة، وكيفية التخلص منها:

١- ضعف الورع والإيمان يجعل المرء يستطيل في أعراض الناس من غير روية ولا تفر جاء في حديث عائشة في قصة الإفك قولها عن زينب بنت جحش أنها قالت : (يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً ، تقول عائشةً: (وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله فعصمها الله بالورع)[٢] .

٢- موافقة الأقران والجلساء ومجاملتهم قال الله على لسان أهل النار (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥))[٣].

٣- الحنق على المسلمين وحسدهم والغيظ منهم: قال ابن تيمية: ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد ، وإذا أثني على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح أو في قالب حسد وفجور وقدح ليسقط ذلك عنه .

٤- حب الدنيا والحرص على السؤود فيها: قال الفضيل بن عياض:(ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغي وتتبع عيوب الناس وكره أن يذكر أحد بخير)[٤] .

٥- الهزل والمزاح: قال ابن عبد البر: (وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ومن التوصل إلى الأعراض . . .)[٥] .

---

(١) السنية

(٢) الامام البخاري ، صحيح البخاري ، الرقم ٣٥٤٠ .

(٣) سورة المدثر .

(٤) الفضيل بن عياض ، جامع بيان العلم وفضله " ص(٥٧١).

(٥) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ٢/ ٥٦٩)

كيفية التخلص من الغيبة:

١- تقوى الله عز وجل والاستحياء منه: ويحصل هذا بسماع وقراءة آيات الوعيد والوعد وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث تحذر من الغيبة ومن كل معصية وشر، ومن ذلك قوله تعالى :(أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠))[١] ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (استحيوا من الله عز وجل حق الحياء ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله ، قال: ليس ذاك ، ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، وليحفظ البطن وما وعى)[٢] .

٢- تذكر مقدار الخسارة التي يخسرها المسلم من حسناته ويهديها لمن اغتابهم من أعدائه وسواهم، قال صلى الله عليه وسلم : (أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا ، فيأخذ هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناتهم أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)[٣].

٣- أن يتذكر عيوبه ، وأن يحذر من أن يبتليه الله بما يعيب به إخوانه.

٤- مجالسة الصالحين ومفارقة البطالين: قال صلى الله عليه وسلم :(مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدمك من صاحب المسك ، إما أن تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة)[٤] .

٥- قراءة سير الصالحين والنظر في سلوكهم وكيفية مجاهدتهم لأنفسهم: قال أبو عاصم النبيل: ما اغتبت مسلماً منذ علمت أن الله حرم الغيبة . قال الفضيل بن عياض: كان بعض أصحابنا نحفظ كلامه من الجمعة إلى الجمعة. أي لقِلّته .

٦- أن يعاقب نفسه ويشارطها حتى تقلع عن الغيبة.

---

(١) سورة الزخرف .

(٢)أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص ٣٤٦ ، وقال عنه ضعيف ، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة برقم٥٣٦٤ بألفاظ أخرى .

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٨١ .

(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢١٠١ .

كفارة الغيبة:

الغيبة كغيرها من الكبائر فرض الله التوبة منها: قال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١))[١] ، يقول الشيخ ابن باز : (لغيبة والنميمة كبيرتان من كبائر الذنوب، فالواجب الحذر من ذلك، يقول الله سبحانه: (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا)، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: رأيت اسري بي رجالاً لهم أظفار من نحاس يخدشون بها، وجوههم وصدروهم، فقلت من هؤلاء؟ قيل له: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم. هم أهل الغيبة.)[٢].

والتوبة النصوح هي التي تحقق شروط التوبة وهي:

١- الندم: قال صلى الله عليه وسلم : (الندم توبة)[٣] ،قال أبو الجوزاء : والذي نفس محمد بيده إن كفارة الذنب للندامة.

٢- أن يقلع عن الذنب قال ابن القيم : لأن التوبة مستحيلة مع مباشرة الذنب .

٣- العزم على أن لا يعود إليها: فعن النعمان بن بشير قال : سمعت عمر يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا(٨))[٤] ، قال : هو الرجل يعمل الذنب ثم يتوب ولا يريد أن يعمل به ولا يعود ، وهذه الشروط مطلوبة في سائر المعاصي.

٤- شرط الاستحلال من الغيبة وأضاف جمهور الفقهاء شرطاً وهو أن يستحل من اغتابه، واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم ، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه)[٥] .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة النور .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٦١٤ .
(٤) سورة التحريم .
(٥) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٦٥١١ .

ورأى بعض الفقهاء ومنهم ابن تيمية وابن القيم وابن الصلاح وابن مفلح إسقاط شرط الاستحلال إذا أدى إلى أذية صاحب الحق وزيادة الجفوة بينهما.

حالات تجوز فيها الغيبة:

ذكر العلماء بعض الحالات التي تجوز فيها الغيبة لما في ذلك من مصلحة راجحة، **وهذه الحالات:**

١- الاستفتاء: فيجوز للمستفتي فيما لا طريق للخلاص منه أن يذكر أخاه بما هو له غيبة ، ومثل له النووي بأن يقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو فلان فهل له ذلك أم لا .جاءت هند بنت عتبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (خذي ما يفكيك وولدك بالمعروف)[1] .

٢- الاستعانة على تغيير المنكر: فقد يرى المسلم المنكر فلا يقدر على تغييره إلا بمعونة غيره ، فيجوز حينذاك أن يطلع الآخر ليتوصلا على إنكار المنكر.

٣- التحذير من الشر ونصيحة المسلمين: (جاءت فاطمة بنت قيس إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستشيره في أمر خطبتها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم وأسامة بن زيد فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (أما معاوية فرجل ترب لا مال له ، وأما أبو الجهم فضراب للنساء ، ولكن أسامة بن زيد)[2] .

٤- المجاهر بنفسه المستعلن ببدعته: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ائذنوا له، بئس أخو العشيرة ، أو ابن العشيرة)[3] .

البعد عن مواطن الريبة:

---

(١) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٤٢٥٥ .
(٢) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٥٢٧ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٥٤ ، ٦١٣١ .

وينبغي على المسلم أن يبعد نفسه عن مواطن الريبة والتهمة التي تجعله موضعاً لغيبة الآخرين ، وأن يكشف ما قد يلتبس على الناس، وقد سبق إلى ذلك أكمل الخلق وأعدلهم.

فقد أتته زوج صفية في معتكفه في المسجد ، ولما انتصف الليل قام صلى الله عليه وسلم معها يقلبها إلى بيتها فلقيه اثنان من أصحابه ، فلما رأياه يمشي معها أسرعا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلكما ، إنما هي صفية بنت حيي ، فقالا: سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الشيطان يبلغ في الإنسان مبلغ الدم ، وخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً)[١] .

قال ابن حجر : فيه التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار ، وقال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم، وإن كان لهم فيه مخلص)[٢] .

س:٥١: لماذا كان كثرة الضحك والمزاح من سوء الخلق ؟.

ج٥١:جاء في روضة العقلاء :(لا يكون الضحك والمزاح من سوء الخلق الا اذا خر عن حدود الأدب ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح مه أهله وأصحابه)[٣] ، سبب تسميته بهذا الاسم: سمي المزاح مزاحاً لأنه زاح عن الحق. هكذا قال ابن حبان[١] ، وذكر ذلك البغوي[٤] ، والمزاح مشروع دل على ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قالوا: يا رسول الله! إنك لتداعبنا! قال: إني لا أقول إلا حقاً ، وفي رواية: إني لأداعبكم)[٥] .

٢- وكان صلى الله عليه وسلم يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: يا زوينب! يا زوينب! مراراً)[٦].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٠١ .
(٢) صيد الفوائد د. منقذ بن محمود السقار
(٣) ابن حبان روضة العقلاء، ص ٧٨.
(٤) البغوي ، رح السنة (١٨٤/١٣).
(٥) رواه الترمذي (١٩٩١)، والبغوي في شرح السنة (٢٦٠٢) وحسناه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٩٤) ولفظه: « إني لأمزح، ولا أقول إلا حقاً ».
(٦) واه الضياء في المختارة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٥)..

٣- وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : (إن كان النبي – صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير! ما فعل النغير؟)[١].

٤- وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي، فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش إليه ، أي: يسرع إليه بعد أن أعجب به[٢].

٥- وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن زاهراً باديتنا، ونحن حاضروه قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان دميماً، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني! من هذا؟ فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يألوا ما ألزق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من يشتري العبد؟)، فقال: يا رسول الله! إذاً والله تجدني كاسداً، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لكن عند الله لست بكاسد) أو قال: (لكن عند الله أنت غال)[٣].

والخلاصة: أن المزح سنة ، قيل لسفيان بن عيينة: (المزاح هجنة؟ قال: بل سنة، ولكن الشأن فيمن يُحسِنه ويضعه مواضعه)[٤] ، وعلى هذا جرى عمل كثير من السلف :

١- قال ابن مسعود: (خالط الناسَ، ودينَك لا تَكلِمَنَّه)[٥].

٢- وكان عمر يقول: (إنه ليعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي O فإذا بُغِيَ منه وُجِدَ رجلاً)[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٩).
(٢) رواه البغوي وحسنه محقق شرح السنة (٢٦٠٣).
(٣) رواه البغوي في شرح السنة (٣٦٠٤) وصحح المحقق إسناده، ونقل عن الحافظ تصحيحه في الإصابة.
(٤) البغوي شرح السنة (١٨٤/١٣).
(٥) كره البخاري في صحيحه معلقاً مجزوماً به (١٥٧/١٢) فتح.
(٦) البغوي شرح السنة (١٨٣/١٣).

٣- وقال ثابت بن عبيد: (كان زيد بن ثابت من أفكه الناس في بيته، فإذا خرج كان رجلاً من الرجال)[١] .

٤- وروي عن ابن عباس أنه قال لقوم قعود لديه: (أحمضوا ، أي: لما خاف عليهم الإملال أحب أن يُجِمَّهم فأمرهم بالأخذ في مُلَحِ الحكايات)[٢].

٥- وقال علي بن أبي طالب: (أجِمُّوا هذه القلوب فإنها تمل كما تمل الأبدان)[٣] .

٦- وعن أبي الدرداء قال: (إني أستجِمٌّ ببعض الباطل ليكون أنشط لي في الحق)[٤].

٧- وقال ربيعة الرأي: (المروءة ست خصال: ثلاثة في الحضر، وثلاثة في السفر O ففي الحضر: تلاوة القرآن، وعمارة مساجد الله، واتخاذ القِرى في الله، والتي في السفر: بذل الزاد، وحسن الخلق، وكثرة المزاح في غير معصية)[٥] ، وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه، وإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريا أقرب إليك من ذلك[٦].

٨- وقال ابن عباس: (المزاح بما يحسن مباح، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقل إلا حقاً)[٧].

٩- وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: (الناس في سجن ما لم يمزحوا)[٨].

١٠- وقال ابن حبان: (الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح وترك التعبيس)[٩].

وهنا مسألة:

١- نقل عن بعض السلف كراهة المزاح ومنعه، بل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تمارِ أخاك ولا تمازحه)[١٠].

---

(١) البغوي شرح السنة (١٨٣/١٣).
(٢) البغوي شرح السنة (١٨٣/١٣).
(٣) البغوي شرح السنة (١٨٤/١٣).
(٤) البغوي شرح السنة (١٨٤/١٣).
(٥) البغوي شرح السنة (١٨٤/١٣).
(٦) بهجة المجالس (٥٦٨/٢).
(٧) بهجة المجالس (٥٦٧/٢).
(٨) بهجة المجالس (٥٦٧/٢).
(٩) روضة العقلاء، ص ٧٦.
(١٠) واه الترمذي (١٩٩٥) وضعف إسناده الحافظ في البلوغ (١٣٠٧).

٢- ونقل عن بعضهم قوله: (لكل شيء بدء، وبدء العداوة المزاح).

٣- وكان يقال: (لو كان المزاح فحلاً ما ألقح إلا الشر) .

٤- وقال جعفر بن محمد: « إياكم والمزاح فإنه يذهب بماء الوجه .

٥- وقال إبراهيم النَخعي: (لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر)[١].

٦- وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: (وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ومن التوصل إلى الأعراض واستجلاب الضغائن وإفساد الإخاء)[٢].

فكيف نجمع بين هذا وبين ما سبق تقريره في حكم المزاح؟ والجمع بين ذلك كما قال الحافظ في الفتح: (والجمع بينها: أن المنهي عنه ما فيه إفراط أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر في مهمات الدين، ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار ، والذي يسلم من ذلك هو المباح ، فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب)[٣].

أنواع المزاح: المزاح نوعان:

١- محمود: وضابطه كما قال ابن حبان: « هو الذي لا يشوبه ما كره الله – عز وجل –، ولا يكون بإثم ولا قطيعة رحم)[٤].

٢- مذموم: وضابطه كما قال ابن حبان أيضاً: (الذي يثير العداوة، ويُذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويجرئ الدنيء عليه، ويحقد الشريف به)[٥].

ولكي يكون أكثر وضوحاً فإننا نسرد بعض فوائد المزاح وبعض مخاطره، : قال بعضهم: (من فوائد المزاح أنه: يسلي الهم، ويرقع الخَلَّة، ويحيي النفوس، ويميل قلوب الناس إليه)[٦].

---

(١) ظر جميع ما سبق في بهجة المجالس (٥٦٩/٢ وما بعدها).
(٢) المرجع السابق (٥٦٩/٢).
(٣) فتح الباري (١٥٨/١٢).
(٤) روضة العقلاء، ص ٧٧.
(٥) روضة العقلاء، ص ٧٧.
(٦) (مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٧.

كتب أحدهم إلى صاحب له: (ولنا بعدُ مذهب في الدعابة جميل لا يشوبه أذى ولا قذى، يُخرج إلى الأنس من العبوس، وإلى الاسترسال من القطوب، ويلحقنا بأحرار الناس وأشرافهم الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء والتصنع)[١] .

وكما أن للمزح فوائد فإن له مخاطر، منها)[٢]: إفساده المودة، وإيغار الصدور، وإثارة العداوة، وذهاب البهاء، وتجرئة الدنيء، وحقد الشريف، وإحياء الضغينة ، وهذا ما حدا مِسعَر بن كِدَام إلى أن ينصح ابنه كداماً قائلاً)[٣]

إني نحلتُك يا كِدَامُ نصيحتـــي	**فاسمع مقال أب عليك شفيقِ**
أما المزاحة والمراء فدعهما	**خُلقان لا أرضاهما لصديقِ**
إني بلوتهما فلم أحمدهما	**لمجـاورٍ ، جاراً ولا لشقيقِ**

وقال آخر[٤]:

وإياك من حلو المزاح ومـــره	**ومن أن يراك الناس فيه ممارايا**
وإن مراء المرء يُخلِق وجهه	**وإن مزاح المرء يبدي التشانيا**
دعاه مزاح أو مراء إلى التـــي	**بها صار مقليَّ الإخاء وقاليا**

ضوابط المزح المحمود[٥]:

١- ألاَّ يكون إلا حقاً. كما سبق من قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « إني لا أقول إلا حقاً)[٦].

٢- ألاَّ يداوم المرء عليه، بحيث يكون صفة لازمة لأن الجِد من سمات العاملين، يقول محمد أحمد الراشد: (وقضايا الإسلام أوفر جداً وأثقل هموماً من أن تدع عصبة من الدعاة تطيل الضحك، وتستجيز المزاح، وتتخذ لها من صاحب خير فيها محور تندُّر

(١) عيون الأخبار (٣٧٤/١).
(٢) روضة العقلاء، ص ٧٧، ٧٨.
(٣) روضة العقلاء، ص ٧٧، ٧٨.
(٤) المرجع السابق، ص ٧٩.
(٥) ينظر: فتح الباري (١٥٨/١٢)، الأذكار للنووي، ص ٤٦٨، مسافر في قطار الدعوة،ص ٢٤٥- ٢٤٧.
(٦) سبق تخريجه.

تروى قصصه وغرائبه ، والابتسامة علامة المؤمن ولسنا ننكرها، والنكتة في ساعتها سائغة، والأريحية أصل في سلوكنا، والألفة والبشاشة ليس العبوس ، والقهقهة الأولى لك والثانية نهبها لك أيضاً فإنَّا كرماء، ولكن الثالثة عليك وتشفع حسناتك لها عندنا، وأما الرابعة فيلزمها حد لا شفاعة فيه. وشعار الضحك للضحك باطل، والهزل الهزيل مرفوض في أوساط العمل الإسلامي، وإنما الداعية مفوض بالجد والتجديد)[1] .

٣- ألاَّ يشتمل المزاح على مساوئ الأخلاق ومعايب الكلام مما ينكره الشرع أو يمجه الطبع.

٤- اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب ، وقد ذكر الدكتور عادل الشويخ رحمه الله أوقاتاً يجمل فيها المزاح ، فقال: أجمل ما قد يكون المزاح بعد صلاة الفجر O ودليله ما رواه سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: « أكنت تجالس رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: نعم! كثيراً ما كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس فيضحكون ويبتسم)[2] ، وقال: « ومن الأوقات أيضاً بعد صلاة العشاء. أي: السمر فيه)[3] ، وقال أيضاً « ويقال: إذا كانت المؤانسة تصح من الأهل)[4] فهي تصح من الإخوان والخلان، ويزداد استحبابها إذا كانت لمصلحة الدعوة في بذل النصح، وتقريب القلوب، وزيادة المودة، وإزالة الكدر، وإيجاد أجواء الحب والتعارف)[5] ، قلت: إن الوقت يخضع لنظر المازح حسب اختلاف الأحوال.

وخلاصة الضوابط في رأيي أن ينظر لها من زاويتين:

---

(١) تقرير ميداني، ص ٢٣.
(٢) (٣٤) رواه مسلم في صحيحه (٦٧٠).
(٣) (٣٥) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.
(٤) (٣٦) ينظر فتح الباري (٢٧٨/١ ٢٨٨).
(٥) (٣٧) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.

١- ذات المزح.

٢- آثاره.

فمتى كان أحدهما أو كلاهما حراماً فهو حرام وإلا فلا.

وهذه فائدة ساقها لنا الإمام النووي في المزاح فقال: « المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار.

فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فإنه كان يفعله في نادر من الأحوال لمصلحة، لتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا مانع منه مطلقاً، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة، فاعتمِد ما نقلناه عن العلماء وحققناه فإنه مما يعظُم الاحتياج إليه.)[١] .

تنبيه: مما تجدر الإشارة إليه أنه يوجد ما يغني عن كثير من المزاح إذا أحسن المرء استخدامه، ألا وهو التباسط ، وهذا مفيد لمن لم يعطه الله طابع المزح والمرح ، ولكن لا تنس أن للتباسط آداباً.

المزاح كالملح في الطعام فاجعله قدراً، ولكن لا تنس أن بعض الناس لا يأكلون الطعام إذا كان فيه ملح ،قال الشاعر:

أفد طبعك المكدود بالجِدِّ راحة ... يُجمُّ وعلِّله بشيء من المَزح

ولكن إذا أعطيته المَزح فليكن ... بمقدار ما تُعطي الطعام من المِلحِ

فبعض الناس لا يناسبه المزاح كما نقل الذهبي في سِيَره عن خلف بن سالم: (كنا في مجلس يزيد ابن هارون فمزح مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: ابن حنبل ، فضرب على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح)[٢].

---

(١) الأذكار، ص ٤٦٨.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٧١/٩).

وبعض الناس قد يجره مزحك معه إلى إيذائك كما قيل: « لا تمازح الغلمان فتهون عليهم أو يجترئوا عليك[١] ، وقيل: « لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الوضيع فيجترئ عليك[٢] .

قال ابن حبان: « من مازح رجلاً من غير جنسه هان عليه واجترأ عليه، وإن كان المزاح حقاً لأن كل شيء يجب ألا يسلك به غير مسلكه ولا يظهر إلا عند أهله ، على أني أكره استعمال المزاح بحضرة العامة، كما أكره تركه عند حضور الأشكال[٣].

قال ابن المقفع: « وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين، ويلبس لهم لباسين مختلفين: فطبقة من العامة يلبس لها لباس انقباض وانحجاز وتحفظ في كل كلمة وخطوة، وطبقة من الخاصة يخلع عندهم لباس التشدد، ويلبس لباس الأنسة واللطفة والبذلة والمفاوضة، كلهم ذو فضل في الرأي وثقة في المودة وأمانة في السر ووفاء بالإخاء[٤].

قال الدكتور عادل الشويخ: « ألاَّ يكون المزح إلا مع الأقران O لأن المزاح مع الأعلى يؤذيه، ومع الأقل يؤدي إلى الجرأة على المازح، وكذلك ينبغي البعد عن ممازحة الأعداء لما يقود إلى مفسدة تؤذي الداعية في دينه ودنياه[٥] .

فحاول أن تدرس شخصية من أمامك: هل هو مناسب أم لا؟ ولعل هذا هو هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن يمازح كل أصحابه.

نصائح لمن يحب المزاح :

١- لعل من المناسب ألاَّ تمزح مع شخص أول مرة حتى تعرفه.

٢- إياك والتجريح في المزاح.

٣- لا تتكلف المزح.

---

(١) روضة العقلاء، ص ٧٧.
(٢) روضة العقلاء، ص ٧٧.
(٣) روضة العقلاء، ص ٨٠.
(٤) الأدب الصغير، ص ٤١.
(٥) مسافر في قطار الدعوة، ص ٢٤٥.
(٦) انظر: عيون الأخبار (٢٦٤/٢ وما بعدها)، بهجة المجالس (٥٥٦/٢ وما بعدها).

٤- احذر الأريحية الزائدة مع البعض.

٥- أشعِر من تمازحه أنك تحترمه ، وهذا كان هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – مع من يمازحه، مثل قوله: « لكن عند الله أنت غال »

٦- احذر أوقات انفتاح النفس.

٧- أحسِنِ التصرف مع من يخطئ معك في مزحه حسب ما يناسب المقام: من رد مفحم، أو تجاهل، أو تحديق النظر فيه أو غير ذلك من الأساليب الناجعة[١].

س٥٢: لماذا نهى الإسلام عن النميمة ؟

ج٥٢: النميمة نقل الكلام ونحوه على وجه الإفساد ، قال النووي:(هِيَ نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ، عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ)[٢] .

ومما لا شك فيه أن النميمة من كبائر الذنوب ، وفاعلها من شرار الناس ، وقد جاء في التحذير منها أحاديث كثيرة صحيحة ، منها ما يلي :

١- ما رواه البخاري ، مسلم ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: (مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ المَدِينَةِ ، أَوْ مَكَّةَ ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ: بَلَى ، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا)[٣] ، وقد بوب البخاري على هذا الحديث فقال : النَّمِيمَةُ مِنَ الكَبَائِرِ .

٢- ما رواه الإمام أحمد عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) موقع مداد ، مسائل في المزاح ، محمد عبدالله السحيم التصنيف: آداب الكلام والمزاح ، انظر الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٨/ ١١ / ٢٠٠٧ م.
(٢) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١٦ ، ص ١٥٩ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢١٦ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٢٩٢ .

أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ)[1] .

٣- ما رواه البخاري ، ومسلم ، من حديث حذيفة رضي الله عنه ، قال : (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ ، وعند مسلم بلفظ : لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ)[2] .

وهذا الحديث لا يتعارض مع ما عليه أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا ، إذا تاب منها العبد وأناب ، فإن العبد المسلم إذا أذنب ، ثم تاب إلى الله : تاب الله عليه ، وغفر له ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(١٣٥))[3].

حتى كبائر الذنوب ، بل والشرك بالله ، إذا تاب منه العبد ، وصحت توبته بتركه ما عليه من الشرك أو من هذه الكبيرة ، مع ندمه وعزمه ألا يعود ، فإن الله يقبل توبته ، ويغفر له ، ما دام أن هذه التوبة كانت قبل الموت ، قال الله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِّ إِنَّ اللهَّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ(٥٤))[4] ، وقال تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهَّ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩)إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُّ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُّ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهَّ مَتَابًا(٧١))[5].

٤- جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: (أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا ،

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٢٧٥٩٩ ، حسنه الشيخ الألباني في "صحيح الأدب المفرد" (٢٤٦).
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٥٦ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ١٠٥ .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة الزمر .
(٥) سورة الفرقان .

فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ: نَعَمْ ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ ، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى)[1] .

والنميمة مع عظم جُرمها ، إلا أن العبد إذا تاب منها ، تاب الله عليه ، وأما معنى الحديث الذي أورده السائل :(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ) :فليس هذا في حق من تاب منها ، وأناب إلى رب العالمين ؛ بل الوعيد في الحديث في حق من مات ولم يتب من النميمة ؛ فإن هذا هو الذي يقال فيه "نمام" ، وهو الذي يتناوله الوعيد الوارد في الحديث ، كما هو حال أهل الكبائر ، وعصاة الموحدين .

وقد قيل في معنى الحديث ، أيضا : إن المراد أنه لا يدخل الجنة ابتداء ، بل قد يعذبه الله على ما فعل ثم يكون مآله الجنة إن كان من أهل التوحيد ، ومن أهل العلم من حمل الحديث على من فعل النميمة مستحلا لها :

١- قال ابن الجوزي) :(فَكَأَن المُرَاد: لَا يدْخل الْجنَّة ابْتِدَاء وَإِنَّمَا يدْخل النَّار ، وعَلى هَذَا تَفْسِير قَوْله: " لَا يدْخل الْجنَّة قَتَّات)[2] .

٢- وقال النووي: (وأما قوله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الْجَنَّةَ نَمَّامٌ) : فَفِيهِ التَّأْوِيلَانِ الْمُتَقَدِّمَانِ فِي نَظَائِرِهِ : أَحَدُهُمَا يُحْمَلُ عَلَى الْمُسْتَحِلِّ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ مَعَ الْعِلْمِ بِالتَّحْرِيمِ ، وَالثَّانِي لَا يَدْخُلُهَا دُخُولَ الْفَائِزِينَ)[3].

ومن السلف والأئمة : من كان يترك أحاديث الوعيد كما هي ، ولا يتعرض لها بتأويل ، خشية أن تهون المعاصي في نفوس الناس ، بل يتركون أحاديث الوعيد على وجهها ، مع ما تقرر في أصول الاعتقاد من حال عصاة الموحدين ، وأنهم لا يدخلون النار على سبيل التأبيد

---

(١) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٧ ، ص ٣١٤ ، وصححه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (٣٣٩١) .
(٢) ابن الجوزي ، كشف الحيل ، ج١ ، ص ٣٢٣ .
(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ١١٣ .

، ولا يحرمون من الجنة على سبيل التأبيد أيضا ؛ بل لا بد للموحد من الخروج من النار ، إن عذب بها ، ولا بد له أيضا من دخول الجنة ، وإن حرم منها ما شاء الله له .

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة:(ما معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :(لا يدخل الجنة نمام) ؟فكان الجواب : هذا الحديث من أحاديث الوعيد التي تجرى على ظاهرها ولا تؤول ، وهو يدل على تحريم النميمة ، وذم من تخلق بهذا الخلق الذميم ، ومن المعلوم أن كل ذنب دون الشرك بالله تحت مشيئة الله ، إن شاء سبحانه غفر لصاحبه لما مات عليه من التوحيد والإيمان ، وإن شاء عذبه على قدر معاصيه ، ثم مآله إلى الجنة برحمة الله تعالى ، إذا كان مات على التوحيد والإيمان بالله تعالى ، كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، خلافا للخوارج والمعتزلة)[1] .

إلا أنه يجب أن يُعلم أن للتوبة الصحيحة شروطا ، لا تصح إلا بها ، فالذنب :

١- إما أن يكون بين العبد وربه وليس لآدمي فيه حق ، فيشترط لصحة التوبة ثلاثة شروط :

أ- الإقلاع عن الذنب لله .

ب- الندم .

ت- العزم على عدم العود .

٢- أو يكون متعلقا بحق آدمي ، ومنه النميمة ، وإن كانت متعلقة بحق آدمي ، أضيف إلى ما سبق الخروج عن تلك المظلمة ، قال النووي : (والتوبة من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاثة أشياء : أن يقلع عن المعصية في الحال ، وأن يندم على فعلها ، وأن يعزم ألا يعود إليها ، والتوبة من حقوق الآدميين يشترط فيها هذه الثلاثة ، ورابع : وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو طلب عفوه عنها والإبراء منها)[2].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية ، رقم الفتوى ١٦٣٦٢.

(٢) النووي ، الأذكار ، ص ٣٤٦ .

وقال العراقي :(وَالْأَكْثَرُونَ جَمَعُوا بَيْنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ فَقَالُوا إنَّ لِلتَّوْبَةِ أَرْكَانًا : الْإِقْلَاعُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَالنَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.... فَيُزَادُ فِي التَّوْبَةِ رُكْنٌ رَابِعٌ، وَهُوَ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى فَيَكُونُ لَهَا أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ ، ثُمَّ الِاقْتِصَارُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ ، إنَّمَا هُوَ فِيمَا إذَا كَانَتْ الْمَعْصِيَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ تَعَلَّقَتْ بِآدَمِيٍّ فَلَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ خَامِسٍ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنْ تِلْكَ الْمَظْلِمَة)[١].

وحتى يخرج العبد من ذنب النميمة عليه إصلاح ما أفسد إن أمكن ، مع استحلال صاحب الحق ، فقد ذكر ابن مفلح في توبة المغتاب والنمام :(وَأَنْ يَسْتَحِلَّ مِنْ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَنَحْوِهِمَا)[٢] ، فإن كان يترتب على استحلاله من صاحب الحق مفسدة، لم يستحله ، واستغفر لصاحب الحق .

قال السفاريني: (فَتَجِبُ التَّوْبَةُ مِنْهُمَا (أي من الغيبة والنميمة) وَاسْتِحْلَالُ مَنْ اغْتَابَهُ أَوْ بَهَتَهُ أَوْ جَبَهَهُ بِأَنْ وَاجَهَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، أَوْ نَمَّ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى ذَلِكَ فِتْنَةٌ ، فَيَتُوبُ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ)[٤]،[٥].

س٥٣: لماذا عد الاسلام قذف المحصنات الغافلات من الكبائر ؟.

ج٥٣: لقد حرّم الله تعالى على المسلم الاستطالة في عرض أخيه المسلم سواء كانوا رجالا أو نساء قال تعالى : (وَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا(٥٨))[٥] ، و المعنيّون بالوعيد في هذه الآية هم الذين يستطيلون في أعراض المسلمين ظلماً و عدواناً (أي ينسبون إليهم ما هم برآء منه لم يعملوه و لم يفعلوه " فقد احتملوا بهتاناً و إثماً مبيناً " و هذا هو البَهت الكبير : أن يحكيَ أو ينقل عن المؤمنين و المؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب و التنقص لهم) كما قال ابن كثيرٍ في تفسيره .

يقول الشيخ الفوزان : (لقذف هو الرمي بفاحشة الزنا واللواط هذا هو القذف،

---

(١) العراقي ، طرح التثريب ، ج٨ ، ص ٣٣٨ .
(٢) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج١ ، ص ٨٠ .
(٣) السفاريني ، شرح منظومة الآداب ، ج١ ، ص ٨٨ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٣٠ / ٧ / ٢٠١٨ م.

وحكمه هو محرم وكبيرة من كبائر الذنوب ورمي الإنسان بالزنا أو اللواط كبيرة من كبائر الذنوب فالله يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ(٣٥))[١] ، هذا جزاؤه في الآخرة، أما جزاؤه في الدنيا فهو عدة أمور:

١- يقام عليه الحد بأن يجلد ثمانين جلدة إذا لم يأت بأربعة شهود يشهدون على ما نطق به لقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً(٤))[٢].

٢- سقوط عدالته لقوله تعالى: (وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً..(٤))[٣].

٣- وصفه بالفسق لقوله تعالى: (وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٥))[٤]. والحاصل أن القذف بجريمة الزنا أو اللواط كبيرة من كبائر الذنوب يجب على المسلم أن يطهر لسانه منه وأن يحترم أعراض المسلمين ولا يخوض فيها[٥].

قال السعدي رحمه الله :(ذكر الله تعالى الوعيد الشديد على رمي المحصنات فقال: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) أي: العفائف عن الفجور (الْغَافِلاتِ) التي لم يخطر ذلك بقلوبهن (الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير، وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته[٦].

---

(١) سورة النور .
(٢) سورة النور .
(٣) سورة النور .
(٤) سورة النور .
(٥) موقع طريق الإسلام في ١ / ١٢ / ٢٠٠٦ م.
(٦) الشيخ السعدي ، التفسير ، تفسير سورة النور .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ (أي : المهلكات) . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)[1] ، قال الحافظ ابن حجر : (والمراد بالموبقات هنا : الكبائر المهلكات).

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "قذف المسلم لأخيه لا يجوز ، وهو كبيرة من الكبائر ، يجب التوبة من ذلك ، وطلب العفو من المقذوف ، ومن حقه إذا لم يعف أن يطالبه شرعا بحقه)[2] .

وأجمع العلماء على وجوب الحد على من قذف محصناً ، وهو أن يجلد ثمانين جلدةً ، لقول الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٤))[3] .

الحكمة من مشروعية حد القذف:

١- منع الترامي بالفاحشة .

٢- صيانة أعراض الناس عن الانتهاك ، وحماية سمعتهم من التدنيس .

٣- لئلا تحصل عداءات وبغضاء ، وربما تحصل حروب بسبب الاعتداء على العرض وتدنيسه.

٤- تنزيه الرأي العام من أن يسري فيه هذا القول ، ويسمعه الناس بآذانهم .

٥- منع إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، فإن كثرة الترامي بها ، وكثرة سماعها ، وسهولة قولها ، يجرئ السفهاء على ارتكابها[4] .

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٦٧ .
(٢) اللجنة الدائمة للإفتاء ، ج٢٢ ، ص ٧٦ .
(٣) سورة النور .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب في ٢٧ / ٩ / ٢٠٠٨ م.

س٥٤ : لماذا قال إبراهيم عليه السلام أنا أول المؤمنين مع العلم أن هناك من هو مؤمن قبله مثل نوح وهود وصالح عليهم السلام وغيرهم كثير ؟.

ج٥٤ : يتوهم بعض المشككين وجود تعارض بين قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣))[١] وقوله عز وجل على لسان موسى عليه السلام: (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣))[٢] ، وقوله عز وجل على لسان السحرة: (إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١))[٣] ، ويتساءلون: كيف يقر القرآن في موضع أن إبراهيم عليه السلام هو أول من أسلم، ويثبت في موضع آخر أن موسى عليه السلام هو أول من أسلم، ثم يخبر في موضع ثالث أن السحرة هم أول من أسلموا؟ ويستدلون بذلك في توهمهم على صحة طعنهم في سلامة القرآن وعصمته من التعارض والتناقض .؛ ليثبتوا زعمهم بأن القرآن من صنع البشر.

وجه إبطال الشبهة:

معنى الأولية الذي تقصده الآيات:

من الطبيعي أن كل إنسان يريد أن يدعو إلى فكرة، أو يرشد إلى طريق، لا بد أولا أن يكون هو نفسه مؤمنا بهذه الفكرة مقتنعا بها، مما يدفعه للدعوة في سبيل نشرها، والنبي أو الرسول لا بد له قبل أن يدعو إلى الإسلام أن يكون مسلما صادق الإسلام، مؤمنا حق الإيمان بالله الذي يدعو إليه ويعمل على نشر دعوته، قيل: إن فاقد الشيء لا يعطيه، وقيل أيضا: كل إناء بما فيه ينضح، فإذا كان الإناء فارغا، فبم ينضح؟!.ولذلك نراهم يبحثون عما يرونه ثغرات لتوصلهم إلى ما يتمنون أن يجدوه من نقص في القرآن الكريم أو تضارب بين آياته ؛ ليفثوا سمومهم ويخرجوا أحقادهم على هذا الدين وأهله .

ومن يقرأ الآيات التي ورد فيها كلمة (أول) التي استدل بها هؤلاء، يجد أن:

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة الشعراء .

١- إبراهيم أول من أسلم من أمته بأن الصلاة والنسك والمحيا والممات لله: قيل: إن المراد من قوله: (وأنا أول المسلمين) ، وأنا أول المسلمين في قومي؛ لأنه قد تقدم قوله (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)) ومعلوم أنه عليه السلام كان أول من أسلم بذلك من أمته باعتبار أنه نبي هذه الأمة[1].قال ابن عاشور: وقوله: وأنا أول المسلمين: يعني: قبول الإسلام والثبات عليه والاغتباط به؛ لأن من أحب شيئا أسرع إليه فجاءه أول الناس، ومن استعمال (أول) في مثل هذا قوله تعالى (وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلً... (٤١))[2] ، وليس المراد معناه الصريح؛ لقلة جدوى الخبر بذلك، لأن كل داع إلى شيء فهو أول أصحابه لا محالة[3].

٢- أما موسى عليه السلام فهو أول المصدقين بأن الله لا يراه أحد من خلقه إلى يوم القيامة: قال ابن عباس في تفسير قوله سبحانه وتعالى: (وخر موسى صعقا) غشي عليه، إلا أن روحه في جسده، (فلما أفاق) قال لعظم ما رأى: (سبحانك) تنزيها من أن يراه، تبت إليك رجعت عن الأمر الذي كنت عليه، (وأنا أول المؤمنين) (أي: المصدقين الآن أنه لا يراك أحد، ومن المعلوم أنه قد كان قبل موس عليه السلام مؤمنون، ولكن موسى هو أول من آمن بأن الله لا يراه أحد من خلقه إلى يوم القيامة؛ وذلك لأنه لمس ذلك بنفسه.

٣- السحرة أول من آمن بآيات موسى عليه السلام حين رأوها: لقد كان السحرة أول من آمن بآيات موسى عليه السلام ، لا سيما عصاه التي صارت حية بإذن الله

---

(١) القاضي عبدالجبار ، تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، ص١٦٥.
(٢) سورة البقرة
(٣) الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير، ج٥، ص٢٠٤، ٢٠٥ بتصرف.

وذلك لعلمهم أن ما يصنعون ما هو إلا خيال؛ لقوله سبحانه وتعالى : (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦))[١] ، وعندما رأوا ما فعله موسى – عليه السلام – علموا أن هذا الذي صنعه ليس سحرا يستطيعه بشر، وإنما هو معجزة إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده، فآمنوا به وبآياته بمجرد إلقائها : (فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠))[٢].

الخلاصة:

ليس هناك أي وجه للتناقض بين آيات القرآن بشأن أول المسلمين، وأول المؤمنين؛ إذ إن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته، فلا بد أن يكون النبي مؤمنا بربه ومسلما له حتى يدعو إليه ويرشد إلى طريقه، فنجد أن:

١- إبراهيم عليه السلام أول من أسلم من أمته، وعلم أن الصلاة والنسك والممات والمحيا لله رب العالمين.

٢- كان قبل موسى مؤمنون، ولكنه أول من آمن من أمته بأن الله لا يراه أحد من خلقه إلى يوم القيامة؛ وذلك لأنه قد لمس ذلك بنفسه.

٣- السحرة أول من آمن بآيات موسى – عليه السلام – حين رأوها؛ وذلك لعلمهم أن ما يصنعون إنما هو سحر لأعين الناس، بحيث يخيل إليهم أن العصا تسعى، أما ما وقع من موسى – عليه السلام – فهو معجزة إلاهية يهبها الله لمن يشاء من عباده، فآمنوا به وكانوا أول من آمن بآياته.

س٥٥: لماذا كان الاستغفار ذا أهمية كبيرة في حياة المسلم ؟.

ج٥٥: يقول عبدالعزيز بن عبدالله الضبيعي :(الاستغفار معناه: طلب المغفرة من الله؛ قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما

---

(١) سورة طه .
(٢) سورة طه .
(٣) موقع بيان الاسلام للرد على شبهات الاسلام ، ونقلا عن موقع ابن مريم .

كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تُشرِك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)[1]..

أهمية الاستغفار:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العبد في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علمًا بالله وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقَّها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطرٌّ إليه دائمًا في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات ودفع المضرَّات، وطلب زيادة القوة في الأعمال القلبية والبدنية)[2] ، أما المستغفر بلسانه: وهو متشبِّثٌ بذنبه، مقيمٌ عليه مُصِرٌّ عليه بقلبه، فهو لم يصدق في استغفاره.

الاستغفار في القرآن الكريم:

١- فتارة يأمر الله تعالى عباده به، ويحثُّهم عليه، ويُحرِّضُهم عليه؛ كقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٩٩)﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ.. (٣)﴾[4] وقال تعالى ، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ(٦)﴾[5] .

٢- تارة يمدح أهله ويُثني عليهم؛ كقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ... (١٧)﴾[6].

---

(١) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٣٣٨٢ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص٣١٨ .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة هود .
(٥) سورة فصلت .
(٦) سورة آل عمران .

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥)﴾[(١)] ، وقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨)﴾[(٢)] .

٣- وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا(١١٠)﴾[(٣)] .

٤- وينادي الله تعالى عباده ويدعوهم إلى المسارعة إلى التوبة والرجوع إليه، فيقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣)﴾[(٤)] ، وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ(١٠)﴾[(٥)].

٥- ويحذر القرآن الكريم من اليأس والقنوط من رحمة الله؛ فيقول ربنا عز وجل:﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ(٥٦)﴾[(٦)] ، ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ(٨٧)﴾[(٧)].

الاستغفار شعار الأنبياء والصالحين:

١- فها هو أبونا آدم وأُمُّنا حواء عليهما السلام لما خالفا أمر الله عز وجل وأزلهما الشيطان، وأوقعهما في الخطأ، بادرا بالاستغفار والتوبة والندم ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣)﴾[(٨)] .

٢- وها هو نوح عليه السلام حين سأل الله أن يُنجي ابنَه، عدَّ هذا السؤال ذنبًا يُوجِب

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الذاريات .
(٣) سورة النساء .
(٤) سورة آل عمران .
(٥) سورة إبراهيم .
(٦) سورة الحجر .
(٧) سورة يوسف .
(٨) سورة الأعراف.

الاستغفار؛ بل خشي من الخسران بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٤٧)﴾[١].

٣- وقال نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا(٢٨)﴾ [٢].

٤- وموسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(١٦)﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(١٥١)﴾[٤] .

٥- وإبراهيم عليه السلام يقول راجيًا مغفرة مولاه مُعَدِّدًا أفضالَه عليه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(٨٢) ﴾[٥] .

٦- ويونس عليه السلام يُنادي في الظلمات بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧)﴾[٦].

٧- وسليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥)﴾[٧].

٨- وداود عليه السلام يقول الله عز وجل في شأنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ(٢٤)﴾[٨].

---

(١) سورة هود .
(٢) سورة نوح
(٣) سورة القصص .
(٤) سورة الأعراف
(٥) سورة الشعراء .
(٦) سورة الأنبياء .
(٧) سورة ص .
(٨) سورة ص .

٩- ويعقوب عليه السلام عندما أتى أبناؤه يطلبون المغفرة: (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(٩٨))[١] .

١٠- ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: (والله، إني لأستغفرُ اللهَ، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)[٢].

١١- وأبو بكر رضي الله عنه يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فيُعلِّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول: (اللهم أني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم)[٣].

١٢- و الحارث بن عمرو السهمي رضي الله عنه يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له، فيقول: (يا رسول الله، استغفر لي) [٤].

١٣- وأبو هريرة رضي الله عنه يقول: (إني لأستغفرُ الله، وأتوب إليه، كل يوم ألف مرة، وذلك على قدر ديتي، وكان يقول لغلمان الكتاب قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة، فيؤمِّن على دعائهم)[٥].

ثمرات الاستغفار وفوائده:

١- تكفير السيئات ورفع الدرجات؛ قال الله سبحانه وتعالى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَّ يَجِدِ اللهَّ غَفُورًا رَحِيمًا(١١٠))[٦] ،وقال تعالى في الحديث القدسي: (يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم)[٧]، بل إن الله تعالى ينادي عباده في الثلث الأخير من الليل

---

(١) سورة يوسف .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٠٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٣٢٦ .
(٤) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٦ ، ص١٠٢ .
(٥) ابن رجب ، أسباب المغفرة ، ص ٥.
(٦) سورة النساء .
(٧) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جج٢١ ، ص ٢٠ .

قائلًا: (من يستغفرني فأغفر له)[1].

٢- يرفع العبد من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى، ومن الناقص إلى التام، ومن المكروه إلى المحبوب؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنَّى لي هذه؟! فيقول: باستغفار ولدك لك)[2] .

٣- أما كون الاستغفار سببًا لرفع البلايا؛ فقد قال الله عز وجل في شأن نبيه يونس عليه السلام: (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤٤))[3] ، ووصف تسبيحه في آية أخرى بأنه: (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٧٨))[4] .

٤- أنه سبب لجلب الرزق وسعته والإمداد بالأموال والبنين؛ كما قال عز وجل عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(١٢))[5] ، وقال تعالى: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ(٣))[6] ، وشكا رجل إلى الحسن البصري رضي الله عنه الجدب، فقال له: (استغفر الله)، وشكا رجل آخر الفقر، فقال له: "استغفر الله"، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له: "استغفر الله"، فقالوا له في ذلك: أتاك رجالٌ يشكون، فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟! فقال: ما قلت من عندي شيئًا؛ إن الله تعالى يقول في سورة نوح عليه السلام:

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتوى ' ج٢١ ، ص ٣١١ .
(٢) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١٠ ، ص ٢١٣ .
(٣) سورة الصافات .
(٤) سورة الأنبياء .
(٥) سورة نوح .
(٦) سورة هود .

(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا(١٢))[١].

٥- أنه سبب لجلاء القلب وبياضه وصفائه ونقائه: فالذنوب تترك آثارًا سيئة وسوادًا على القلب، والاستغفار يمحو الذنب وأثره، ويزيل ما علق بالقلب من سواد، وما قد رَانَ عليه من ذنوب ومعاصٍ، وقد صوَّر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحالة فقال: ((إنَّ المؤمن إذا أذنب نُكت في قلبه نُكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب، صقل قلبه، وأن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه؛ وهو الران الذي ذكر الله تعالى: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(١٤))[٢] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة))[٣].

٦- أنه سبب لحصول القوة في البدن؛ كما قال تعالى على لسان هود عليه السلام لقومه: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ(٥٢))[٤] .

٧- أنه يجلب رضا الله تعالى ومحبته، وكفا بذلك نعمة؛ قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢))[٥] .

٨- أنه سبب في تفريج الهموم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب)[٦].

أوقات ومواطن يُستحب فيها الاستغفار:

---

(١) سورة نوح .
(٢) سورة المطففين .
(٣) الإمام مسلم ' صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٠٢ .
(٤) سورة هود .
(٥) سورة البقرة .
(٦) أحمد شاكر ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص ٥٦.

الاستغفار والتوبة مشروعان في كل وقت وحين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمسُ من مغربها)[1] ، إلا أن هناك أوقات أرجى من أوقات، ومواطن أبلغ في الإجابة وأقرب إليها من مواطن، ومن هذه الأوقات والمواطن ما يلي:

١- عقب الذنب: وهو من آكد المواضع التي يستحب فيها الاستغفار ويشرع بل ويجب، وهو هنا اعتراف من العبد بالذنب، وسؤال الله أن يمحو أثره ويغسل درنه:

أ- وقد قال آدم عليه السلام وزوجه حينما عصيا الله: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣))[2].

ب- وحين قتل موسى عليه السلام رجلًا لم يؤمر بقتله: (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(١٦))[3] .

ت- ويونس عليه السلام حينما ذهب غاضبًا وغادر قومه قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧))[4] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: (يا عائشة، إن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله، فإن التوبة من الذنب، الندم والاستغفار)[4]، وقال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ(١٣٥))[5] ، وقال تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا(١١٠))[6].

٢- عقب الطاعات: ولابن القيم رحمه الله كلام نفيس يقول فيه: "وأرباب العزائم

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٥٩ .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة القصص .
(٤) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٢٠٨ .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) سورة النساء .

والبصائر أشد ما يكونون استغفارًا عقيب الطاعات؛ لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية، ولا رضيها لنفسه... وكان صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام)[1] ، ويأمر الله عباده بالاستغفار بعد الفراغ من الحج؛ قال تعالى: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٩٩))[2] ، وكان صلى الله عليه وسلم يختم مجالسه بالاستغفار؛ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك)[3] ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: (غفرانك)[4] .

٣- في الأذكار اليومية الراتبة: فأدعية الصلاة كثيرًا ما يردُ فيها الاستغفارُ، ومن ذلك: دعاء الاستفتاح، وأدعية الركوع، والسجود وبين السجدتين، فالاستغفار يصاحب المسلم في صلاته من حين تكبيرةِ الإحرام، وحتى ينتهي من صلاته؛ بل وبعد الانتهاء منها.

٤- هناك أوقات ومواضع أخرى يستحبُّ الاستغفار فيها، ومن ذلك:

أ- وقت السَّحر؛ قال تعالى: (..وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ(١٧))[5] ، وقال تعالى: (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(١٨))[6] .

ب- عند الخسوف والكسوف؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم شيئًا من ذلك ،يعني الخسوف أو الكسوف، فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره)[7].

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١١ ، ص ٢٥٣ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الإمام البخاري ، الإرشاد ، ج٣ ، ص ٩٦٠ .
(٤) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٧ .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) سورة الذاريات .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٠٥٩ .

ت- وعند التقلُّب على الفراش ليلًا؛ فعن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تعارَّ من الليل وفي آخرة قال: اللهم اغفر لي، أو دعا؛ استجيب له، فإن توضَّأ؛ قُبلت صلاتُه)[1].

ث- عند القيام من الليل ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجَّد قال: (...وفيه: فاغفر لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعلنْتُ، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت)[2].

بعض صيغ الاستغفار في القرآن والسنة:

١- فمن القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى :

أ- (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(١٦))[3].

ب- (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ(١١٨))[4] .

ت- (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(١٤٧))[5] .

ث- (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٦))[6] .

ج- (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨))[7].

ح- (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ(١٩٣))[8].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١١٥٤ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٠ ، ص ٢٦٣ .
(٣) سورة القصص .
(٤) سورة المؤمنون .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) سورة آل عمران .
(٧) سورة نوح .
(٨) سورة آل عمران .

٢- ومن السنة النبوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أ- سيد الاستغفار وهو: (اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)[١]

ب- (ربِّ اغفر لي وتُبْ عليَّ؛ إنك أنت التواب الرحيم)[٢].

ت- (رب اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرْتُ، وما أسْرَرْتُ وما أعلنْتُ، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير)[٣]، [٤] .

س٥٦: لماذا حرم الاسلام التفاخر بالأحساب والأنساب؟.

ج٥٦: يقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله : (الفخر بمجرد النسب لا يجوز، وقد ورد في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ"، فالفخر بالأحساب من أمور الجاهلية؛ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآْبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ"، وهذا ذم للفخر بالأحساب؛ وذلك أن الإنسان إنما يشرف بأفعاله ولا ينفعه شرف آبائه وأجداده، وقال الشاعر:

إذا افتخرتَ بأقوامٍ لهم شرفٌ قُلنا صدقتَ ولكن بئسَ ما وَلَدوا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)، وأما الآية الكريمة

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٠٦ .
(٢) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ٣٠٩٠ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٣٩٨ .
(٤) (شبكة الالوكة الاستغفار: أهميته وفوائده وأوقاته وصيغه عبدالعزيز بن عبدالله الضبيعي تاريخ الإضافة: ٢٠١٩/٢/١٩ ميلادي - ١٤٤٠/٦/١٣ هجري

فالمراد بالدرجات: الفضائل الظاهرة كالعلم والزهد والعبادة والجود والشجاعة وما أشبهها؛ فإن الله يرفع أهلها في الدنيا وفي الآخرة لقول الله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...(١١))[١] ، وأما الحديث: فالمراد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم اصطفاه الله من أشرف العرب وأشهرهم، حتى يكون أقوى لمعنويته وأقرب إلى تصديقه واتباعه إذا عرف أنه من قبيلة لها شهرة ولها مكانة مرموقة، فإن ذلك أقرب إلى أن يكون محل صدق وأمانة، ومع ذلك فإن هذا الشرف لم ينفع بقية قبيلته كأعمامه الذين حرموا من متابعته ومنهم: عمه أبو لهب الذي قال الله فيه: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١))[٢] وفيه يقول الشاعر:

لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلا بدِينِهِ فلا تَتْرُكِ التقوى اتِّكالاً على النسب

فقد رَفَعَ الإسلام سلمانَ فارسٍ وقد وَضَعَ الشركُ الشَّقِيَّ أبا لهب[٣]،[٤]

بعث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لهدم كافة مظاهر الجاهلية المذمومة ومنها التفاخر بالأحساب والنسب والقبيلة لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن)[٥].

وقال في حديث آخر إذ يقول أبي مالك الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم:(أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة)[٦].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال

---

(١) سورة المجادلة .
(٢) سورة المسد .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن جبرين .
(٤) موقع الألوكة ٢٠٠٩-٠٢-٢٣
(٥) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١٧٨٧ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٣٤ .

(ما تقولون في هذا)؟قالوا :حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع. قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال (ما تقولون في هذا)؟قالوا :حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع . فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا)[1] .

نهى أيضاً النبي صلى الله عليه وسلم عن الفخر بالنسب لحديث أبي بن كعب رضي الله أنه انتسب رجلان إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما أنا فلان بن فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتسب على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان — حتى عد تسعة — فمن أنت لا أم لك قال أنا فلان بن فلان ابن الإسلام قال فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إن هذين المنتسبين أما أنت أيها المنتمي – أو المنتسب – إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم وأما أنت يا هذا المنتسب إلى اثنين في الجنة فأنت ثالثهما في الجنة)[2].

والتفاخر بالنسب والتعصب للقبيلة من الأمور المحرمة في الإسلام، واعتبرها الإسلام بأنها من خصال الجاهلية المكروهة المذمومة وقد جاء الإسلام ليجب ما قبله، حيث قال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣))[3]، وقال تعالى أيضا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ...(١١))[4]، وقد قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:(اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)[5].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة:(أربع من أمتي من أمر الجاهلية

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٩١ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٢٧٠ .
(٣) سورة الحجرات .
(٤) سورة الحجرات .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦٧ .

لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)[1].

و قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وخير ولد آدم وسيد الاولين والآخرين: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)[2].

ولا عيب ولا حرج في أن يعرف ويتعلم الرجل عن نسبه، بل هذا من الأمور الواجبة عليه شرعاً ليعرف أرحامه وأقربائه فيصلهم، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر)[3].

والأصل في الإسلام هو التقوى والصلاح وحسن الخلق، والدعوة للجنس او النسب والقبيلة والدم فهي دعوة جاهلية وحمية جاهلية قد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم واسلامنا الحنيف، فقد قال تعالى:(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهَّ أَتْقَاكُمْ) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(الناس ولدُ آدمَ ، وآدمُ من تُرابٍ)[4]، وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يُقاتل حمية وشجاعة، ويقاتل رياء أي ذلك في سبيل الله، فرد النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) [5] ، [6].

أسباب العصبية القبلية وظهور التفاخر :

١- الجهل .

٢- ضعف الإيمان .

٣- الفنوات الفضائية القبلية والمناطقية .

٤- ضعف العدل الحكومي المبني على تكافؤ الفرص الوظيفية .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٣٤ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٢٦٦ .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٩٧٩ .
(٤) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٠٠٩ ، أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وأحمد (٨٧٢١)
(٥) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٦٤١٧ .
(٦) موقع المحيط ٢٢ ديسمبر، ٢٠١٩ .

٥- ضعف العدل الحكومي المبني على الكفاءة وليس الواسطة .

٦- وجود أكادميين عنصريين مع أن بعضهم بلغ الأستاذية في تخصصه .

٧- عدم إنهاء الخصومات القبلية بطريقة شرعية تجتث الخصومة من جذورها بدلا من صلح هش قابل للسقوط .

٨- عدم توزيع الأراضي والمياه بين القبائل بشكل شرعي إسلامي حسب الحاجة وليس حسب الأعراف او الوجاهة والقوة والنفوذ .

٩- عدم وجود مراكز علمية مرجعية لبحث شامل حول القبائل من ناحية النسب والعدد السكاني ومقدار الفقراء والأغنياء والمساحات والمواقع الجغرافية والأعراف والعادات والتقاليد السائدة والعناصر المتوافقة مع الشرع والعناصر المخافة للشرع وليس هناك بحث يبين المخالفات الشرعية في كل قبيلة مثل :

أ- حرمان المرأة من الميراث .

ب- أخذ اموال الناس بالباطل في الأحكام القبلية ،

وغيرها لأن العلاج الحقيقي يكون علاج مؤصل شرعي إسلامي يجتث المخالفات من جذورها، و تعيين شيوخ القبائل على أسس وظيفية لها راتب خاص بها .

١٠- ضعف دور العلماء وطلبة العلم في هذا المجال يؤدي بدوره لتفشي العصبيات القبلية لأن دور العلماء يبين الإيجابيات للقبيلة والسلبيات فيتم دعم الإيجابيات القبلية وتهميش السلبيات.

١١- التربية الخاطئة لدى أولياء الامور لأبنائهم حول هذه الظاهرة.

١٢- عدم وجود تطبيق عملي يكسر حاجز التعصب لدى العارفين بالحكم الشرعي ومنهم العلماء وطلبه العلم وخاصة بالزواج من غير القبيلي والعكس.

١٣- ظهور مهرجانات وأحداث تحيي هذه الظاهرة مثل مزايين الابل والفضائيات الخاصة ببعض القبائل وقنوات الشعر وشاعر المليون.

١٤- صدور أحكام شرعية من المحاكم بالتفريق بين الزوجين لاختلاف القبلي.

١٥- عدم وجود هم لهذه الامة ورغد العيش والفراغ والتكبر[١] .

س ٥٧ : لماذا أوصى الله بالجار؟ .

ج٥٧: أوصى الله تعالى بالجار في القرآن الكريم : يقول الله تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(٣٦))[٢].

كما أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالجار من خلال الأحاديث التالية :

١- عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[٣].

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خيرُ الأصحابِ عِندَ الله خيرُهُم لصاحِبه ، وخيرُ الجيرانِ عِند الله خيرُهُم لجاره)[٤].

٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة ؛ فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك)[٥] .

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : (ما مِن مسلمٍ يموتُ فيشهَدُ له أربعةُ أهلِ أبياتٍ مِن جيرانه الأدنَينَ أنَّهم لا يعلمونَ إلا خيرًا ؛ إلاَّ قالَ الله : قد قبِلتُ عِلمَكُم فيه ، وغَفرتُ له ما لا تعلَمون)[٦].

٥- عن نافع بن الحارث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أربعٌ من السعادةِ : المرأةُ الصالحةُ و المسكنُ الواسعُ والجارُ الصالحُ والمركبُ الهنيءُ)[٧].

---

(١) موقع المسلم .
(٢) سورة النساء .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠١٥ .
(٤) أحمد شاكر ، مسند أحمد ، ج١٠ ، ص ٧٤ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٣٦٢٥ .
(٦) الألباني ، صحيح الترغيب ،٣٥١٥ .
(٧) الألباني ، غاية المرام ، رقم الحديث ١١١ .

٦- عن أبي هريرة رضي اله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (واللهِ لا يؤمنُ ، والله لا يؤمنُ ، والله لا يؤمنُ قيل : من يا رسولَ اللهِ ؟ قال : الذي لا يأمنُ جارُه بوائقَه قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُه ؟ قال : شرُّه)[١].

٧- عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قلتُ يا رسول الله إنَّ لي جارينِ فإلى أيِّهما أُهدي ؟ قال :" إلى أقربِهما منكِ بابًا)[٢].

٨- يقول النبي عليه الصلاة والسلام : (ما تقولون في الزِّنا قالوا حرامٌ حرَّمه اللهُ ورسولُه فهو حرامٌ إلى يومِ القيامةِ قال فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لأن يزنيَ الرَّجلُ بعشرِ نسوةٍ أيسرُ عليه من أن يزنيَ بامرأةِ جارِه قال ما تقولون في السَّرِقةِ قالوا حرَّمها اللهُ ورسولُه فهي حرامٌ قال لأن يسرقَ الرَّجلُ من عشرةِ أبياتٍ أيسرُ عليه من أن يسرِقَ من جارِه)[٣].

٩- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها و لو فرسن شاةٍ)[٤].

١٠- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن حارب جاره فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله)[٥].

١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقِ المحارم تكُن أعبد الناس ، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكُن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب)[٦].

---

(١) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٢٥٥٠ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٥٩٥ .
(٣) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ٣١٨ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٥٦٦ .
(٥) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ٣٢٠ .
(٦) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ١٠٠ ، أخرجه الترمذي (٢٣٠٥)، وأحمد (٨٠٨١).

١٢- عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره)[١].

١٣- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)[٢].

١٤- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه، قَالَ : (قيلَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ و سلَّمَ : يا رَسولَ اللهِ ! إنَّ فلانةَ تقومُ اللَّيلَ و تَصومُ النَّهارَ و تفعلُ ، و تصدَّقُ ، و تُؤذي جيرانَها بِلسانِها ؟ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ و سلم لا خَيرَ فيها ، هيَ من أهلِ النَّارِ . قالوا : و فُلانةُ تصلِّي المكتوبةَ ، و تصدَّقُ بأثوارٍ ، و لا تُؤذي أحدًا ؟ فقال رسولُ اللهِ : هيَ من أهلِ الجنَّةِ)[٣].

١٥- عن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما ، قال : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ)[٤] .

١٦- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَأَرَادَ بَيْعَهَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى جَارِهِ)[٥] .

١٧- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي اللهُ عنهما ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَةِ جَارِهِ يَنْتَظِرُ بِهَا وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدًا)[٦].

١٨- جاء رجُلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يشكو جارَهُ، فقال: (اذهَبْ فاصبِرْ، فأتاه مرَّتَيْنِ أو ثلاثًا، فقال: اذهَبْ فاطرَحْ متاعَكَ في الطَّريقِ، فطرَح متاعَهُ في الطَّريقِ، فجعَل النَّاسُ يسألونه فيُخبِرُهم خبَرَهُ، فجعَل النَّاسُ يلعَنونه: فعَل اللهُ به، وفعَل، وفعَل، فجاء إليه جارُهُ فقال له: ارجِعْ لا ترى منِّي شيئًا تكرَهُهُ)[٧].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٤٦٣ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٨ .
(٣) الألباني ، الأدب المفرد ، رقم الحديث ٨٨ .
(٤) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٤٩ .
(٥) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ٢٠٣٨ .
(٦) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٥١٨ .
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥١٥٣ .

يقول الشيخ المنجد : (**والجيران عمومًا ثلاثة:**

١- فجار له ثلاثة حقوق: فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق، فهو: الجار المسلم صاحب القربى، فله: حق القرابة، وحق الجوار، وحق الإسلام.

٢- وجار له حقان، فجارك المسلم غير القريب، فله حقان: حق الإسلام، وحق الجوار.

٣- جار له حق واحد ، فإذا كان لك جار كافر فله حق واحد، وهو: حق الجوار.

وبعض من فسر الآية أدخل في قوله تعالى:(وَالْجَارِ الْجُنُبِ....(٣))[1] ، كل من جاورك في صناعة، أو دراسة، أو سفر، فالذي يجلس بجانبك في مقعد الطائرة أو السيارة، فإن ذلك يعتبر جاراً ؛ لأجل الاشتراك الحاصل، والقرب الشديد الذي يكون بينهما.

حَدّ الجار :

١- ذهب الشافعية والحنابلة أربعون دارًا من كل جانب، من الأمام والخلف، واليمين والشمال، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حق الجار أربعون داراً هكذا وهكذا وهكذا)[2].

٢- بعضهم ضيق، فقال: الجار هو الملاصق من جميع الجهات، أو المقابل له، بينهما شارع ضيق، لا يفصل بينهما نهر متسع، أو سوق كبير، ونحو ذلك.

٣- بعضهم عرفه بأنه: ما يجمعهما مسجد أو مسجدان متقاربان.

٤- بعضهم قال: إن العرف هو الذي يضبط قضية الجوار، وحملوا حديث الأربعين على التكرمة والاحترام، ككف الأذى، ودفع الضرر، والبشر في الوجه، والإهداء، وإلى غير ذلك ، ولا شك أن الملاصق أولى الناس بأن يطلق عليه اسم الجار.

٥- ويقال حتى للساكن معك في المدينة: جاوره فيها؛ كما قال الله تعالى :(ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً(٦٠))[3].

---

(١) سورة النساء .

(٢) رواه أبو يعلى: ١٠/٣٨٥، رقم: ٥٩٨٢، والبيهقي في السنن الكبرى: ١٢٣٩١، وضعفه الألباني في إرواء الغليل: ٦/١٠٠

(٣) سورة الأحزاب .

وقد تُصور من الجار معنى القرب، فقيل لمن يقرب من غيره: جاره، وجاوره، وتجاور معه، ثم إن جمع جار؛ جيران، والاسم هو الجوار، ويقال للمشارك في العقار والمقاسم: جار أيضًا.

وأما بالنسبة لحقه، فإن حقه عظيم جدًا، وقد قال الله تعالى : (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً (٣٦))[١] ، وإذا أردنا أن نضبط الجار بالعدد؛ فإن أقرب التعريفات التي مرت معنا التي يسندها الدليل: أربعين جاراً من كل جانب من الجوانب[٢].

وصايا لحسن الجوار:

١- إذا رأيت جارك فتذكر وصية الله به كما في الآية السابقة ، فهل تؤدي إليه حقه الذي أوصاك به دين الإسلام؟.

٢- جارك : جار قريب منك فهو من قرابتك ، وجار أجنبي عنك فليس من قرابتك ولكنه قد يكون من قبيلة أخرى أومن جنسية أخرى على هذا فهؤلاء الجيران داخلون في الوصية بالجار فافهم هذا واعلمه جيداً وادِّ لهم حقوقهم.

٣- أدِّ النصيحة لجارك وعلمه كيف يعبد ربه وادعه إلى الله عز وجل وحذره مما يضره في دينه ودنياه.

٤- إذا كان جارك مريضاً في المستشفى أو في منزله فعده حتى لو كان من أصحاب الكبائر واستغل تلك الزيارة في دعوته إلى الله فقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم الغلام اليهودي لما مرض ودعاه إلى الإسلام فأسلم وأنقذه الله من النار .

٥- أحسن إلى جارك فقد قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره)[٣].

---

(١) سورة النساء .
(٢) الشيخ المنجد ٢٩ ذو القعدة ١٣٩٩
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٨ .

٦- اصبر على جارك إذا آذاك وقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اذهب فاصبر)[١].

٧- إذا خرجت إلى الصلاة فنبه على جارك بالصلاة وإذا كان عنده بعض المعاصي فانهه عنها وأمره بالمعروف وانهه عن المنكرات بالأسلوب الجميل والرفق فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرفق ما كان في شيء إلا زانة ولا نزع من شيء إلا شانه)[٢].

٨- لا تؤذِ جارك فقد قال صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره)[٣].

٩- اوص المسلم بجاره وتأمل وصية جبريل لرسول الله فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)[٤] إنها تدل على أهمية العناية بالجار وما أكثر الذين لا يفهمون هذه الوصية ولا يقدرونها.

١٠- كن خير الجيران لجاره فقد قال صلى الله عليه وسلم: (خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره)[٥].

١١- تفقد أحوال الجار فإن كان فقيراً فأعطه وتصدق عليه وعلى أولاده وأهله وإن كان مريضاً فعده وإن كان يحتاج مساعدة فساعده وإن كان عنده مصيبة فعزه وإن حصل على خير فهنئه به وقم بزيارته بين الحين والآخر لوجه الله وتحقيقاً لوصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بجارك.

١٢- اهد للجار بعض الهدايا وقد قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لي جارين فإلى أيهما اهدي؟ قال إلى أقربهما منك باباً)[٦]، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (تهادوا تحابوا)[٧].

---

(١) الألباني ' صحيح أبي داوود ، رقم الحيث ٥١٥٣ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث٥٦٥٤.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠١٨ ، ٦١٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٠١٥ .
(٥) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٥١٨ ، ٥١٩ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٥٩٥ .
(٧) ابن حجر ، بلوغ المرام ، رقم الحديث ٢٧٧

١٣- إذا طبختم طعاماً ومرقاً فأكثروا المرق وأعطوا الجيران منها بل وأعط الجيران من الطعام ولا تتركهم فكيف يأكل أحدنا من فنون الطعام وليس عند جاره شيء.

١٤- إذا اشتريت لأولادك وأهلك كسوة ونحوها في عيد أو غيره فأشتر لأولاد الجار وأهله إذا كانوا محتاجين ولا يخرج أولادك ليغيضوا أولاد الجار وأهل الجار وأجعل هذا نصب عينيك وابتغ به وجه الله .

١٥- احذر من أذية الجار فيخاصمك يوم القيامة وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أول خصمين يوم القيامة جاران)[1].

١٦- اهتم بجيرانك "التعاون معهم في فتح حلقة قرآن لأبنائكم في المسجد، التعاون مع الجيران في فتح حلقة قرآن لنسائكم في ملحق المسجد أو في دار نسائي بين الجيران[2] .

أمور تؤذي الجار :

١- النظر إلى الجيران وهم جالسين في منازلهم .

٢- النظر إلى عورات الجيران ومحارمهم.

٣- محاولة التنصت إلى الجار ومعرفة ما يقوله الجار ومحاولة كشف أسرارهم.

٤- التحدث عن الجار أمام الجميع بالسوء وذِكر عيوب الجار والتحدث بكلام يسيء لسمعة الجار بين الناس.

٥- محاولة الإفساد بين الجيران والتفوه بأقاويل وأحاديث تثير المشاكل والكره بين الجيران.

٦- إزعاج الجيران في أوقات راحتهم ونومهم بطرق مختلفة.

يقول د. عبدالعزيز الفوزان : (من الأمور المعينة على القيام بحق الجار وبخاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشواغل والصوارف والمغريات: التقاء الجيران بشكل دوري، واجتماعهم في كل شهر أو شهرين عند أحدهم أو على التناوب فيما بينهم، والاستفادة من ذلك

---

(١) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ٣٢٠ .
(٢) صيد الفوائد ، محمد شامي شيبة.

بالتعارف والتآلف، وتوثيق المحبة والصلة بينهم، والوقوف على أحوال بعضهم البعض، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وتفقد غائبهم، وعيادة مريضهم، وإعانة محتاجهم، وتقويم معوجهم، ونصيحة بعضهم لبعض، كما يستفاد من هذا الاجتماع في مدارسة أحوال الحي وما يحتاج إليه من خدمات وإصلاحات، ومعالجة ما قد يكون فيه من مشكلات ومنكرات من تقصير في الصلاة، أو تجمعات مشبوهة، أو تسكع ومعاكسات، ودوران بالسيارات، أو تعديات وسرقات، أو غير ذلك، وكل هذا من التعاون على البر والتقوى، ومن الاهتمام بأمر الجيران والإحسان إليهم. كما ينبغي العناية بأمر الناشئة والشباب، والحرص على تهيئة البيئة الصالحة لتربيتهم وإعدادهم، وحمايتهم من أنواع المنكرات والفواحش التي قد تنتشر في بعض الأحياء، بسبب إهمال الجيران والآباء، وعدم تعاونهم على تربية هؤلاء الأبناء، وتكوين المناخ الصالح لتزكية نفوسهم، وتهذيب أخلاقهم، وحثهم على التنافس في الخير، والبعد عن مواطن الفساد والشر، فينبغي أن يكون الحي مكملاً لدور المنزل والمدرسة، ومعينًا على الإصلاح والتربية، وبخاصة مسجد الحي الذي يجب تفعيل دوره، بحيث يكون عامرًا بحلقات التعليم والتحفيظ، وجلسات الوعظ والذكر، ومصدر إشعاع وتوجيه لكل من يرتاده أو يعيش حوله من أهل الحي.)(1) .

يقول أ. د. فيصل بن سعود الحليبي : (مقترحات ووصايا للجيران: يمكنني أن أختم الحديث عن حقوق الجار بعدد من المقترحات تعزز من الصلة، وتوثقُ العلاقة، وتعين بعد الله تعالى على أداءِ حقوق الجيرة وخصوصًا في عصرنا الحاضر، **منها**:

١- إيجادُ جلسة أسبوعية يجتمع فيها الجيران، تُتبادل فيها الأحاديث، وتكونُ متنوعة الأفكار.

٢- التفطن لأحوال شباب الحي، ذكورًا وإناثًا، والحرصُ عليهم بتوجيههم نحو ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، كتحبيبهم للصلاة، وحثهم على الجد على طلب العلم، والعمل

(١) د. عبدالعزيز الفوزان، طريق الإسلام حقوق الجار في الشريعة الإسلامية منذ ٢٠١٣-١٠-١٤ في ١٤ / ١ م ٢٠١ م.

الكريم، والتعاون في افتتاح حلقة القرآن الكريم، وغرس القيم الفاضلة في أنفسهم، وتعزيز حب دينهم ووطنهم وولاة أمرهم، وإبعادُهم عن الأفكار الضالة والمنحرفة.

٣- الاشتراك في رحلات العمرة أو الحج أو الرحلاتِ السياحية داخلَ هذا البلد الكريم.

٤- عملُ المسابقات الهادفة للرجال والنساء.

٥- عمل مجموعة إلكترونية للتواصل الحديث.

٦- الحرص على المتعففين من فقراء الجيران وأيتامهم، وتلبيةُ حاجتهم.

٧- الشفاعة الحسنة لمن احتاجها.

٨- نشر ثقافة العمل التطوعي بين الشباب والمتقاعدين لخدمة دينهم ووطنهم.

٩- تعزيز جانب النظافة للحي، والحفاظِ على مرافقه، سواء أكان المسجد، أو الحديقة، أو الشوارع والأرصفة وغيرها.

١٠- التواصي على زيارة المريض، وتهنئةِ أصحاب المناسبات السعيدة.

١١- إصلاح ذات البين بين المتخاصمين، وتقديمُ الاستشارة من أهل الاختصاص.(الجار أنواع وحقوق ومواقف وأفكار .

أمثال في الجيرة والجيران

١- "الجار ولو جار"، ويقصد بها أنَّ الجار وإن كان سيء أحياناً فإنه يحافظ على أهميته في حياتنا.

٢- حسن الجوار عمارة الديار"، فإن الجار الجيد هو ما يجعل البيت جيداً والعكس صحيح

٣- "لا ينفعك من جار سوءٍ توقٍّ"، أي أن جار السوء مهما اتقيت شرَّه لا ينفعك معه ذلك، فهو الأقدر على إلحاق الأذية بك من غيره.

٤- كومة حجار ولا هذا الجار"، وتقال إذا كان الجار سيء الخلق والجوار.

---

(١) أ. د/فيصل بن سعود الحليبي٠ طريق الإسلام حقوق الجار، في ٤ / ٢ / ٢٠٢٠ م.

س٥٨ : لماذا أمر الله تعالى بكتابة الدين فقال : (إذا تداينتم بدين فاكتبوه)؟.

ج:٥٨ : الطريقة الصحيحة للمداينة هي ما ذكرها الله تعالى في سورة البقرة في آية الدين ، وهي قوله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) وَإِنْ كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨٣))[١] .

فالطريقة الصحيحة لتوثيق الدَّين هي :

١- تحديد أجل الدين ، أي المدة التي سيسدد بعدها الدين .

٢- كتابة الدين وأجله .

٣- إذا كان الذي سيكتب الدين شخصاً آخر غير المدين ، فالمدين هو الذي يملي عليه صيغة الكتابة.

٤- إذا كان المدين لا يستطيع الإملاء لمرض أو غيره ، فإن الذي يتولى الإملاء هو وليه.

٥- الإشهاد على الدين ، فتشهد عليه رجلين ، أو رجلاً وامرأتين .

---

(١) سورة البقرة .

٦- للدائن أن يطالب المدين بتوثيق الدين برهن يقبضه الدائن ، والفائدة من الرهن أنه إذا جاء موعد سداد الدين وامتنع المدين من الوفاء ، فإن الرهن يباع ويُستوفى منه الدين ، ثم إن بقي من ثمنه شيء رُدَّ لصاحبه وهو المدين .

وتوثيق الدين بإحدى هذه الطرق الثلاثة :

١- الكتابة .

٢- الإشهاد .

٣- الرهن.

وتوثيق ذلك إنما هو على سبيل الاستحباب والأفضل ، وليس ذلك بواجب ، وذهب بعض العلماء إلى وجوب كتابة الدين ، ولكن أكثر العلماء على الاستحباب وهو الراجح[1] . والحكمة من ذلك : توثيق الحقوق حتى لا تكون عرضة للضياع ، لكثرة النسيان ، ووقوع المغالطات ، والاحتراز من الخونة الذين لا يخشون الله تعالى ، فإذا لم تكتب الدين ولم تشهد عليه ولم تأخذ رهنا فلا تأثم بذلك ، والآية نفسها تدل على هذا (فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) والائتمان يكون بعدم توثيق الدين بالكتابة أو الشهود أو الرهن . ولكن في هذه الحال يُحتاج إلى التقوى والخوف من الله ، ولهذا أمر الله في هذه الحال من عليه الحق أن يتقي الله ويؤدي أمانته (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ)[2] ، وإذا لم يُكتب الدين ثم أنكره المدين أو ماطل بسداده ، فلا يلومَنَّ الدائنُ إلا نفسَه لأنه هو الذي عَرَّض حقه للضياع ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدين إذا لم يُكتب ، فإنه لا يقبل دعاء الدائن على المدين إذا ماطله أو أنكر الدين . فقال صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم، وذكر منهم : ورجلٌ كان له على رجل مال فلم يُشهد عليه)[3] ،ومن تأمل في هذه التشريعات وغيرها علم كمال الشريعة الإسلامية ، ومدى

---

(١) القرطبي ، التفسير ، ج٣ ، ص ٣٨٣ .
(٢) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ١٦٨ – ١٧٢.
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث١٨٠٥ .

حرصها على حفظ الحقوق ، وعدم تعريضها للضياع ، فالله سبحانه وتعالى يأمر صاحب المال أن يحافظ على ماله ، وأن لا يعرضه للضياع ، مهما كان قليلاً (وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ) .

فهل توجد شريعة جمعت بين مصالح الدين والدنيا على وجه كامل كما جمعت بينهما الشريعة الإسلامية؟ ، وهل يمكن أن يأتي أحدٌ بأكمل من هذه التشريعات ؟!وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٥٠))[١] ، [٢]

من الفوائد التي نستنتجها من هذه الآيات يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

١- العناية بما ذُكر من الأحكام؛ وذلك لتصدير الحكم بالنداء، ثم توجيه النداء إلى المؤمنين؛ لأن هذا يدل على العناية بهذه الأحكام، وأنها جديرة بالاهتمام بها.

٢- أن التزام هذه الأحكام من مقتضى الإيمان؛ لأنه لا يوجه الخطاب بوصف إلا لمن كان هذا الوصف سبباً لقبوله ذلك الحكمَ.

٣- أن مخالفة هذه الأحكام نقص في الإيمان كأنه قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) لإيمانكم افعلوا كذا؛ فإن لم تفعلوا فإيمانكم ناقص؛ لأن كل من يدَّعي الإيمان ثم يخالف ما يقتضيه هذا الإيمان فإن دعواه ناقصة إما نقصاً كلياً، أو نقصاً جزئياً.

٤- بيان أن الدين الإسلامي كما يعتني بالعبادات – التي هي معاملة الخالق – فإنه يعتني بالمعاملات الدائرة بين المخلوقين.

٥- دحر أولئك الذين يقولون : إن الإسلام ما هو إلا أعمال خاصة بعبادة الله – عز وجل – وبالأحوال الشخصية كالمواريث وما أشبهها؛ وأما المعاملات فيجب أن تكون خاضعة للعصر والحال؛ وعلى هذا فينسلخون من أحكام الإسلام فيما يتعلق بالبيوع، والإجارات وغيرها، إلى الأحكام الوضعية المبنية على الظلم والجهل

---

(١) سورة المائدة .

(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٤ / ١ / ٢٠٠٢ م. أوامر وأحكام آية الدَّيْن (المداينة) ـ سورة البقرة د. أحمد محمد أبو عوض١/٥/ ١٤٤٢ منهل الثقافة التربوية.

س ٥٩: لماذا نرى المصلين يوم الجمعة يتنفلون قبل الصلاة في وقت النهي ؟. أم أن للجمعة أحكاما أخرى ؟.

ج٥٩ : هذا السؤال عن وقت النهي في يوم الجمعة، والظاهر أنه يقصد وقت ما قبل صلاة الجمعة من حين يقوم قائم الظهيرة إلى أن تزول الشمس، فالأصل أن هذا وقت نهي، ويدخل في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: (ثلاث ساعات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلي فيهن، أو أن نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب)[1] .

ولكن ورد في الجمعة ما يدل على أنها مستثناة من الأوقات الثلاثة المضيّقة، ونقل عن الصحابة رضي الله عنهم : (أنهم لا يزالون يصلون ويتنفلون حتى يدخل النبي عليه الصلاة والسلام للخطبة، وما ذكر في السؤال هو اقتداء بما جاء عنهم، وجاء أيضًا ما يدل على أن جهنم لا تسجر وقت الزوال في يوم الجمعة دون غيرها من سائر الأيام)[2] .

وأما تشميت العاطس، ورد السلام، والإمام يخطب فيمكن ذلك بالإشارة كما هو شأن المصلي والصلاة أهم من الخطبة، وقد (كان النبي عليه الصلاة والسلام يرد السلام بالإشارة وهو يصلي)[3] ،فإذا سُلِّم على من يستمع الخطبة فإنه يَرد بالإشارة ولا ينطق بلسانه)[4].

يقول الشيخ عبد المحسن الزامل : (الجمعة وقع الخلاف فيها، قيل إنه ليس في يوم الجمعة وقت نهي مطلقًا، وهذا هو مذهب مالك رحمه الله، وقيل إن وقت النهي ثابت في الجمعة وغير الجمعة، وهذا مشهور مذهب أحمد وأبي حنيفة رحمهما الله، ومنهم من فرق بين يوم الجمعة وغير يوم الجمعة، وهذا مذهب الشافعي رحمه الله، وقد استدل برواية النهي عن الصلاة حينما تكون الشمس في كبد السماء : (نهى عن الصلاة وسط النهار إلا يوم

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٣١ .
(٢) أبو داوود ، صحيح ابي داوود و رقم الحديث ١٠٣٨ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٩٢٥ .
(٤) عبد الكريم بن عبد الله الخضير من برنامج فتاوى نور على الدرب، الحلقة السادسة و الستون ١٤٣٣/١/٢٧هـ .

الجمعة)[1].

وهذه رواية ضعيفة من طريق ليث بن أبي سليم، وأبو الخليل الراوي عن قتادة لم يدركه، فهو منقطع، فالحديث له علل، وليس العمدة على هذا الخبر؛ إنما العمدة على ما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام حيث أمر بالتبكير في الجمعة والصلاة وجعل وقت الصلاة ممتد إلى أن يخرج الإمام (عن أوس بن أوس الثقفي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من غسل يوم الجمعة، واغتسل ثم بكر ابتكر ومشي ولم يركب ودنا من الإمام، واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها)[2]، وهذا الوقت هو وقت النهي مفسدته تزول؛ لأن الصلاة يوم الجمعة مشروع التبكير إليها والصلاة قبلها، ومراعاة وقت الشمس وخاصة أن المساجد تكون مسقوفةً، والإنسان ربما ينشط للصلاة قبل الجمعة وربما يضعف، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى أن غمرت هذه المفسدة في المصلحة العظيمة، وهي التبكير إلى الجمعة والصلاة قبلها، وقد شرعت الصلاة حتى خروج الإمام، سواء خرج قبل الزوال على قول، أو بعد الزوال على قول الجمهور، فدل على أنه ليس فيها وقت نهي كما تقدم، وهذا اختيار تقي الدين وابن القيم وجماعة من أهل العلم[3].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (هذا ينبني على القول بجواز النوافل ذوات الأسباب في وقت النهي. والعلماء رحمهم الله مختلفون في ذلك، يعني إذا وجد سبب النافلة في وقت النهي فهل يصليها أو لا؟ اختلف العلماء في ذلك؛ فمنهم من قال: إنه يصليها. ومنهم من قال: إنه لا يصليها إلا ما جاءت فيه السنة. ومنهم من قال: إنه يصليها على سبيل العموم أي يصلي النوافل ذوات الأسباب. مثال ذلك: توضأ رجل بعد صلاة العصر، فمن العلماء

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (١٠٨٣)، وقال أبو داود: وهو مرسل مجاهد أكبر من أبي الخليل، وأبو الخليل لم يسمع من أبي قتادة، وفي إسناده ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف قال أحمد بن حنبل: ليث بن أبى سليم مضطرب، وقال ابن أبى حاتم: كان ضعيف الحديث، وقال أبو زرعة: ليث بن أبى سليم لين الحديث ولا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث).

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٣٤٥) والترمذي رقم (٤١٦)، وقال حسن، والنسائي (٩٧/٣) وابن ماجه رقم (١٠٨٧) وأحمد (١٠٤/٤) .

(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢١ / ٣ / ٢٠١٥ .

مَنْ يقول: لا يصلي سنة الوضوء. ومنهم من قال: يصلي سنة الوضوء. ومنهم من قال لا يصليها؛ لأنها لم ترد بذاتها. والصواب أنه يصليها، وأن الضابط هو إن كانت صلاة النافلة لها سبب فإنه يصليها عند وجود سببها في أي وقت، بعد العصر بعد الفجر عند زوال الشمس في أي وقت. وإن لم يكن لها سبب فلا يصليها. وعلى هذا فإذا دخل الإنسان المسجد بعد صلاة العصر فلا يجلس حتى يصلي ركعتين، وبعد صلاة الفجر لا يجلس حتى يصلي ركعتين، وعند زوال الشمس لا يجلس حتى يصلي ركعتين، و إذا كسفت الشمس بعد صلاة العصر يصلي صلاة الكسوف، وإذا كان له استخارة عاجلة لا تحتمل التأخير إلى زوال النهي فيصليها في وقت النهي، إذا توضأ فيصلي سنة الوضوء في أي وقت، إذا دخل المسجد ووجدهم يصلون وقد صلى من قبل يصلي معهم في أي وقت، وهلم جرا. هذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم لدلالة السنة عليه. وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رحمه الله، واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. بقي أن يقال: يكون الناس في انتظار صلاة الجمعة يأتي الرجل إلى المسجد مبكراً ويصلي ما شاء الله ثم يجلس يقرأ القرآن فإذا قارب الزوال قام يصلي فهل هذا جائز؟ نقول: هذا ليس بجائز؛ لأن قبيل الزوال بنحو عشر دقائق وقت نهي؛ فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عقبة ابن عامر أنه لا صلاة في هذا الوقت وأنه ينهى عن الصلاة في هذا الوقت. وهذا الرجل الذي تقدم إلى الجمعة وصلى ما شاء الله وجلس يقرأ القرآن ليس هناك سبب لأن يقوم فيصلى عند زوال الشمس. والقول بأن صلاة الجمعة ليس فيها وقت نهي عند الزوال دليله ضعيف لا يعتمد عليه، ولا يقوى هذا الدليل على تخصيص عموم الأدلة الدالة على النهي عن الصلاة عند زوال الشمس. وعلى هذا فيقال لهؤلاء: لا تقوموا للصلاة عند زوال الشمس يوم الجمعة. أما لو كان الإنسان يصلي من حين دخل مثل أن يكون أتى مبكراً إلى المسجد وجعل يصلى ما شاء الله من الركعات حتى جاء الإمام فهذا موضع نظر؛ فمن العلماء من قال إنه لا بأس به؛ لأن الصحابة كانوا يتطوعون بالصلاة إلى مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم لصلاة الجمعة. ومنهم من قال: يؤخذ بالنهي عن الصلاة في هذا الوقت ولا يرخص إلا إذا كان فيما له سبب. وهذا القول أحوط وأحسن.

والخلاصة التنبيه على فعل هؤلاء الذين يكونون في المسجد يوم الجمعة فإذا قارب الزوال قاموا يتطوعون نقول: هذا أمر منهي عنه.)[1] .

س ٦٠: لماذا الخوارج ليسوا كفارا مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لأقتلنهم قتل عاد)؟.

ج٦٠: تقول أسماء السويلم في لصحابة بين الفرقة والفرق لأسماء السويلم في كتابها (لصحابة بين الفرقة والفرق لأسماء السويلم): (لقد وردت نصوص نبوية عديدة، تحض على قتال الخوارج، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) [2] ، ويقول: (قتالهم حق على كل مسلم)[3] ، ويبين عليه الصلاة والسلام أجر من يقاتلهم فيقول: (فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)[4] .

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشار إلى أن عليا رضي الله عنه سيلي هذا الأمر، يقول علي بن أبي طالب: إني دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة، فقال: (كيف أنت وقوم كذا وكذا [5] ؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: ثم أشار بيده فقال: قوم يخرجون من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم... الحديث)[6] .

ولكن كانت النصوص صريحة بوجوب قتال الخوارج. اتفقت كلمة الصحابة رضوان الله عليهم على قتالهم، وقاتلهم علي بن أبي طالب وجمع من الصحابة. وكان عبدالله بن عمر يرى أن قتال الحرورية حقا واجبا على المسلمين [7] ، لذلك أراد رضي الله عنه أن يقاتل نجدة الحروري حين أتى المدينة يغير على ذراريهم، فقيل له: إن الناس لا يبايعونك على هذا، فتركه [8] ، وقال رضي الله عنه: "ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل،

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) رواه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).
(٣) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٦٢١/٢)، وقال محقق الكتاب: إسناده صحيح.
(٤) رواه البخاري (٣٦١١).
(٥) قال عبدالله بن إدريس أحد رواة الحديث عند قوله: "وقوم كذا كذا وصف صفتهم. السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٦٢٣/٢).
(٦) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٠/١) (١٣٧٩)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٢٩). وقال الألباني: إسناده صحيح. وقال شعيب الأرناؤوط محقق المسند: إسناده جيد.
(٧) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٦٣٩/٢)، الفتاوى (٣٨٠/٢٨).
(٨) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٦٣٩/٢)، الفتاوى (٣٨٠/٢٨).

وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا) [١] .

ويقول معاوية بن قرة[٢] : (خرج محكم في زمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله منهم عائذ بن عمر)[٣] [٤] .

ويقول الأزرق بن قيس [٥] : (كنا بالأهواز نقاتل الخوارج وفينا أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه)[٦] ، وكذلك قاتلهم معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة[٧] .

ولما عزم علي بن أبي طالب على قتال الخوارج وأراد السير إليهم بين للمسلمين مبررات قتالهم، وأعلمهم بحكم هذا القتال ووجوبه، وبشرهم بالأجر الجزيل لمن يقاتل الخوارج كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء. يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية)[٨] ، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لاتكلوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام[٩] ، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم. والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

يقول زيد بن وهب الجهني[١٠] ، وكان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه لقتال

---

(١) انظر (الطبقات الكبرى) لابن سعد (١٨٥/٤).

(٢) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني ثقة عالم مات سنة ١١٣هـ. انظر التقريب)(٢٦١/٢)، ((التهذيب)) (٢١٦/١٠).

(٣) هو: عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد المزني أبو هبيرة البصري، صحابي شهد الحديبية، مات في ولاية عبيدالله بن زياد سنة ٦١هـ. انظر (الإصابة) (٢٦٢/٢) انظر ((تاريخ الطبري)) / دار الفكر، التقريب(٣٩٠/١).

(٤) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٦٤٠/٢).

(٥) الأزرق بن قيس الحارثي البصري ثقة مات بعد سنة ١٢٠هـ. التقريب(٥١/١)، التهذيب (٢٠٠/١).

(٦) كتاب السنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل (٦٤٠/٢).

(٧) تاريخ ابن خلدون(١٤٢/٣، ١٤٣).

(٨) (١٥) رواه مسلم (١٠٦٦).

(٩) كان علي رضي الله عنه وأصحابه قد أعدوا جيشا للقاء معاوية وأهل الشام وردهم إلى الطاعة، ولكن لما أفسد (لخوارج في العراق وسفكوا الدم الحرام، خطب علي جيشة وسار بهم إليهم، وكانت موقعة النهروان. انظر تاريخ الطبري (١٧/٣ -١٢١).

(١٠) هو: زيد بن وهب أبو سليمان الكوفي من أجلة التابعين وثقاتهم، متفق على الاحتجاج به. هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبض وزيد في الطرق، مات حوالي سنة ٩٠هـ. انظر ميزان الاعتدال (١٠٧/٢)، التقريب(٢٧٧/١).

الخوارج: مررنا على قنطرة[1] . فلما التقيا وعلى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي، فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها، فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء. فرجعوا فوحشوا برماحهم [2] ، وسلوا السيوف، وشجرهم الناس برماحهم [3]، قال: وقتل بعضهم على بعض وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان. فقال علي رضي الله عنه: (التمسوا منهم المخدج، فالتمسوه فلم يجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض، قال: أخروه، فوجدوه مما يلي الأرض. فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله... الحديث)[4] .

فالصحابة رضي الله عنهم بينوا للناس مبررات قتالهم للخوارج، وشجعوهم على ذلك، وبينوا الأجر العظيم في قتالهم. بل إن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان يجزل العطايا من الأموال لمن يقاتلهم[5] .

أما عن سنة الصحابة رضي الله عنهم في قتالهم الخوارج فتتضح من خلال ما فعله علي رضي الله عنه والصحابة معه حينما قاتلوهم في النهروان، ويمكن تلخيص شيء منها في الآتي:

١- إن الخوارج لا يبدءون بقتال، ولا يعتدى عليهم بالقتل ما داموا فقط يرون رأي الخوارج، ولا يقاتلون حتى يقتلوا المسلمين أو يقطعوا السبيل حينها يجب على ولي الأمر ردعهم وقتالهم[6] .

٢- يجب إقامة الحجة عليهم، وتقديم النصح لهم، ووعظهم قبل بدئهم بالقتال[7] ، قال الطبري: (لا يجوز قتال الخوارج وقتلهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم بدعائهم إلى الرجوع إلى الحق، والإعذار إليهم)[8].

---

(١) هي قنطرة الدبرجان وهناك خطبهم علي رضي الله عنه. انظر ((شرح صحيح مسلم)) (١٧٢/٧).
(٢) فوحشوا برماحهم: أي: رموا بها عن بعد. انظر شرح صحيح مسلم (١٧٢/٧).
(٣) شجرهم الناس: أي: مددوها إليهم وطاعنوهم بها، انظر صحيح مسلم (١٧٢/٧).
(٤) (٢١) رواه مسلم (١٠٦٦).
(٥) تاريخ ابن خلدون (١٤٦/٣).
(٦) (فتح الباري(٢٩٩/١٢)، (شرح السنة)للبربهاري (٧١)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد الفراء (٥٤).
(٧) وهكذا فعل علي رضي الله عنه، انظر تاريخ الطبري (١٢٠/٣، ١٢٥)، الأحكام السلطانية (٥٤).
(٨) فتح الباري(٢٩٩/١٢).

٣- إعطاء الأمان لمن يستسلم ويرجع عن باطله وضلاله، ولم يتعرض لقتل المسلمين.

٤- لا يجهز على جريحهم، ولا يتبع مدبرهم - إلا إن كان فارا يتقوى - ولا يسبى منهم سبي، إذ لم يعاملهم علي معاملة الكفار المرتدين، ولم يعاملهم معاملة أهل البغي كأهل الجمل وصفين، بل جعلهم قسما ثالثا[١].

٥- لذلك أخذ ما كان في ساحة المعركة من سلاح وكراع وقسمه بين أصحابه، وهذا لم يفعله مع أهل الجمل. كما أنه لم يأخذ كل أموال الخوارج كالكفار المرتدين، بل أخذ ما كان في ساحة المعركة[٢] .

٦- الاستمرار في قتال الخوارج ما قاتلوا وأفسدوا وخرجوا على المسلمين بالسيف، ولا يكف عنهم حتى يكفوا عن المسلمين و فعلي رضي الله عنه بعد النهروان خرج عليه جماعات من الخوارج فقاتلهم، وكذلك فعل معاوية رضي الله عنه[٣] .

٧- إن فرت جماعات من الخوارج لتتقوى وتخرج فإنهم يطاردون لتستأصل فلولهم، وتقهر قوتهم، وتكسر شوكتهم[٤] .

مسائل حول هذا الموضوع :

س : **ما حكم الواحد المقدور عليه إن كان على رأي الخوارج؟**.

ج: يختلف حكمه باختلاف حاله، ولولي الأمر أن يتعامل معه حسب خطره، وحسب مصلحة المسلمين، فله حبسه أو قتله، أو تخلية سبيله، يقول ابن تيمية رحمه الله: (فأما قتل الواحد المقدور عليه من الخوارج كالحرورية، والرافضة ونحوهم فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم كالداعية إلى مذهبه ونحو ذلك ممن فيه فساد ... فإذا لم يندفع فسادهم إلا بالقتل قتلوا ، ولا يجب قتل كل واحد منهم إذا لم يظهر هذا القول، أو كان في قتله مفسدة راجحة)[٥].

---

(١) (شرح السنة))للبربهاري (٧١)، (الفتاوى) (٢٨١/٢٨).
(٢) (تاريخ الطبري) (١٢١/٣)، (الفتاوى) (٢٧٥/٢٨، ٢٨١، ٢٥٣).
(٣) (مقالات الإسلاميين) (٢١١/١).
(٤) (تاريخ ابن خلدون) (١٤٢،١٤٣/٣).
(٥) الفتاوى (٢٧٣/٢٨)، انظر التنبيه والرد للملطي (١٨٣)، فتح الباري(٢٩٩/١٢)، تاريخ الطبري)(١٢٣/٣)،

س: ما الحكم إذا تاب الخارجي وأراد الرجوع إلى الحق، فما الحكم فيما سفك من دم أو سلب من مال؟

سئل الإمام أحمد بن حنبل عن ذلك فقال: (هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون، فرأوا أن يهدر كل دم أصيب على تأويل القرآن. قيل له: مثل الحرورية؟ قال: نعم، قال: فأما قاطع طريق فلا)[1] ، واستثنى من ذلك أن يوجد المال قائما بعينه فإنه يعاد إلى أصحابه[2] ، [3].

س٦١: لماذا أباح الإسلام قتل الفواسق من الحيوانات ؟.

ج٦١ : يقول د .محمد احمد الدوسري :قتل الفواسق في الحل و الحرم : مسألتان:

المسألة الأولى: الفواسق المنصوص عليها:

أولاً: حكمها: ذهب أكثر العلماء: إلى جواز قتل ستة أنواع من الدواب الفواسق في الْحِلِّ وَالْحَرَمِ، وهي: الْحِدَأَةُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْحَيَّةُ، والْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ[4].

الأدلة :

١- ما جاء عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَمْسٌ لاَ جُنَاحَ على مَنْ قَتَلَهُنَّ في الْحَرَمِ وَالإِحْرَامِ: الفَارَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ)[5].

٢- ما جاء عن حَفْصَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قالت: رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (خَمْسٌ من الدَّوَابِّ كُلُّهَا فَاسِقٌ، لاَ حَرَجَ على مَنْ قَتَلَهُنَّ: الْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحِدَأَةُ، والفَارَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ).[6]

---

(١) انظر السنة للخلال (١٥٢).
(٢) الخلال ، السنة ، ص ١٥٥، ١٥٧.
(٣) أسماء السويلم ، الصحابة بين الفرقة والفرق ، ص ٤٦٧ ، على موقع الدرر السنية .
(٤) : شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ٤٩١)؛ شرح النووي على صحيح مسلم، (٨/ ١١٣)؛ الشرح الكبير، لابن قدامة (٣/ ١١٤)؛ مجموع الفتاوى، (١١/ ٦٠٩)؛ تبيين الحقائق، (٢/ ٦٦)، الطرق الحكمية، (١/ ٤١١).
(٥) رواه البخاري، (٢/ ٦٤٩)، (ح١٧٣١)؛ ومسلم، واللفظ له، (٢/ ٨٥٧)، (ح١١٩٩).
(٦) رواه البخاري، (٤/ ٣٤)، (ح١٨٢٨)؛ ومسلم، واللفظ له، (٢/ ٨٥٨)، (ح١٢٠٠).

٣- ما جاء عن عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(خَمْسٌ فَوَاسِقُ (فَوَاسِقُ): جمع فاسقة، وهي الخارجة عن حدِّ الاستقامة، وأصل الفِسْقِ في كلام العرب الخروج، وسُمِّيَ الرجل الفاسق؛ لخروجه عن أمر الله وطاعته، ومن هنا جاء وصفها هنا بالفواسق؛ لفسقهنَّ وخروجهنَّ لما عليه سائر الحيوان، لما فيهنَّ من الضرر والإيذاء والإفساد، فأباح قتلهن لهذه العلة[١] ؛ يُقْتَلْنَ في الْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْحُدَيَّا، وَالْغُرَابُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ)[٢] .

٤- ما جاء عن الْقَاسِمَ بن مُحَمَّدٍ قال: سمعتُ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - زَوْجَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم تَقُولُ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول:(أَرْبَعٌ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ، يُقْتَلْنَ في الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحِدَأَةُ، وَالْغُرَابُ، والفارة، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ). قال: فقلت لِلْقَاسِمِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَيَّةَ؟ قال: تُقْتَلُ بِصُغْرٍ لها[(بِصُغْرٍ لها) أي: بمذلَّة وإهانة.)[٣].

٥- ما جاء أيضاً عن عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال:(خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ في الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ، والفَارَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا)[٤]، و وجه الدلالة: التنصيص على جواز قتل ستة أنواع من الدواب المؤذية في الحرم؛ لفسقها، وهي: الْحِدَأَةُ، وَالْفَأْرَةُ، وَالْحَيَّةُ، والْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ ، قال النووي - رحمه الله: (فالمنصوص عليه السِّت، واتفق جماهير العلماء: على جواز قتلهن في الحل، والحرم، والإحرام)[٥].

ثانياً: تعريفها وسبب إباحة قتلها: من المناسب أن نُسَلِّطَ الضوء على كلِّ نوعٍ من هذه الدواب الفواسق، وحِكمةِ جواز قتلها في الحلِّ، والحرمِ، والإحرام:

---

(١) انظر: معجم ابن الأعرابي، (٤/ ١٤٩)؛ شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٤/ ٤٩١)؛ تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، (١/ ٢٥٩)]

(٢) رواه البخاري، (٣/ ١٢٠٤)، (ح٣١٣٦)، ومسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).].

(٣) رواه مسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).

(٤) رواه مسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، (٨/ ١١٣)

١- الْحِدَأةُ: الحِدَأُ: جمع الحِدَأةِ، وهو: طائر يصيد الجِرْذَان، وربما فتحوا الحاء، فقالوا: حَدَأةٌ، وحَدأ، والكسر أجْود. والحَدَأ: الفُؤُوس، بفتح الحاء[١] ، وقد جاء في الحديث: (الحُدَيَّا) على وزن الثُّرَيَّا[٢] ، قال ابن الأثير (الحِدَأ: وهو هذا الطائر المعروف من الجوارح، واحدها حِدَأة بوزن عنبة) [٣].

سبب إباحة قتله: الحِدَأ أو الحُدَيَّا من الطير الجوارح، بل هو أخَسُّ الطير؛ لأنه لا يصيد وإنما يَخطف، ولذلك كنِّي بأبي الخَطَّاف، وأبي الصَّلت، يخطف الأفراخ وصغار أولاد الكلاب، وربما يخطف ما لا يصلح له إن كان أحمر، يظنُّه لحماً، ومن عادة الحِدَأَة أنها تُغِيرُ على اللَّحْمِ وَالْكَرِشِ، وتخطف اللحم التي ينشرونها عند ذبحهم للهدايا ونحوها، وربما خطفت اللحم من أيدي الناس، وقد تخطف غير ذلك[٤]..

٢- الْفَأْرَةُ: الفأر: بالهمز جمع فأرة، وكنيتها: أُمُّ خراب، والفأر نوعان: جرذان وفئران، وكلاهما له حاسة السمع والبصر، وهما كالجاموس والبقر، ومنها: اليرابيع، والزباب، والخلد، فالزباب صم، والخلد عمي، وفأرة البيش، وفأرة الإبل، وفأرة المسك، وذات النطق، وفأرة البيت، وهي: الفويسقة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها في الحل، والحرم، والإحرام.

سبب إباحة قتله: ليس في الحيوانات أفسد من الفأر، ولا أعظم أذى منه؛ لأنه لا يُبقي على حقير ولا جليل، ولا يأتي على شيءٍ إلاَّ أهلكه وأتلفه، ولذلك كُنِّي الفأر: بأبي خراب، ومن شأنه: أنه يأتي القارورة الضيقة الرأس، فيحتال حتى يُدخل فيها ذنَبه، فكلما ابتلَّ بالدُّهن أخرجه وامتصَّه حتى لا يدع فيها شيئاً[٥].

قال ابن بكير:(إنما أمر بقتل الفأرة؛ لقرضها السِّقاء، والحذاء، اللذين بهما قوام

---

(١) الأزهري ، تهذيب اللغة، (٥/ ١٢١).
(٢) الأمالي ، ابن سمعون ، ج١ ، ص ٢٢٦ .
(٣) ابن الثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج١ و ص ٣٤٩ .
(٤) أمالي ابن سمعون، (١/ ٢٢٦)؛ التمهيد، (١٥/ ١٦٠)؛ تفسير القرطبي، (٦/ ٣٠٣)؛ بدائع الصنائع، (٢/ ١٩٧)؛ حياة الحيوان الكبرى، للدميري (١/ ٣٢٥)
(٥) الأمالي ، ابن سمعون ، ج١ ، ص٥٧

المسافر)[1] ، وربما سرقت أموال الناس[2].

ومن خراب الفأرة: أنها تحرق على الناس بيوتهم، ولذلك سمَّاها النبي صلى الله عليه وسلم بالفويسقة؛ لفسادها وأذاها[3]، كما جاء عن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(خَمِّرُوا الآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا(أَجِيفُوا): (أمرٌ من الإجافة، بالجيم والفاء، وهو الرد، يقال: أجفتُ البابَ، أي: رددتُه)[4] ، الأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ؛ فإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ(الْفُوَيْسِقَةَ): تصغير فاسقة للتحقير؛ وسبب تسميتها: هو خروجها من جحرها على النَّاسِ وَاغْتِيَالِهَا إِيَّاهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ بِالْفَسَادِ)[5] رُبَّمَا جَرَّتْ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ)[6]

ومثله جاء أيضاً عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: (جَاءَتْ فَأْرَةٌ فَأَخَذَتْ تَجُرُّ الْفَتِيلَةَ، فَجَاءَتْ بها، فَأَلْقَتْهَا بين يَدَيْ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على الْخُمْرَةِ (الْخُمْرَةِ: بضم الخاء المعجمة وسكون الميم، وجمعها خُمْر، وهي: سجادة صغيرة تُعمل من سعف النخل، وتوصل بالخيوط. قيل: سُمِّيت خُمْرَةً؛ لأنها تستر وجه المصَلِّي عن الأرض. ومنه: سمي الخمار الذي يستر الرأس. وقال ابن بطال – رحمه الله: الخُمْرَة: مُصَلَّى صغير يُنسج من سعف النخل، ويوصل بالخيوط ويسجد عليه، فإن كان كبيرًا قدر طول الرَّجل أو أكبر، فإنه يقال له حينئذ: حصير، ولا يقال له: خُمرة، وقال ابن دريد: هي السجادة وجمعها خمر)[7] ، التي كان قَاعِدًا عليها، فَأَحْرَقَتْ منها مِثْلَ مَوْضِعِ الدِّرْهَمِ، فقال: (إذا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ؛ فإن الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هذه على هذا فَتُحْرِقَكُمْ)[8].

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي، (٦/ ٣٠٣).
(٢) بدائع الصنائع، (٢/ ١٩٧).
(٣) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري ، ج٦ ، ص ٦٦ .
(٤) العيني ، عمدة القاري ، ج٢٢ و ص ٢٧١ .
(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن رجب (٢/ ٢٣٢٠).
(٦) رواه البخاري، واللفظ له، (٥/ ٢٣٢٠)، (٥٩٣٧)؛ ومسلم، (٣/ ١٥٩٤)، (ح٢٠١٢).
(٧) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٤٣)؛ عمدة القاري، (٤/ ١٠٨).
(٨) رواه عبد بن حميد في (مسنده)، (ص٢٠٣)، (ح٥٩١)؛ والبخاري في (الأدب المفرد)، (ص٤٠٩)، (ح١٢٢٢)، وأبو داود، (٤/ ٣٦٣)، (ح٥٢٤٧)؛ وابن حبان في (صحيحه)، (١٢/ ٣٢٧)، (ح٥٥١٩)؛ والحاكم في (المستدرك)، (٤/ ٣١٧)، (ح٧٧٦٦) وقال: (صحيح الإسناد، ولم يخرجاه) ووافقه الذهب=

٣- الْعَقْرَبُ: العقرب: معروفة، والباء فيه زائدة، وإنما هو من العقر، ثم يستعار، فيقال للذي يقرص الناس: إنه لتدب عقاربه[(١)]، ويقال للذَّكَر والأنثَى: عَقْرَبٌ. والغالب على العَقْرَب التأنيثُ[(٢)]، وأما العقرب والعُقرُبة والعُقرُبا فاسم للأنثى، ويقال للذكر: عُقرُبان بضم العين والراء[(٣)]، والعقرب: دويبة من العنكبيات ذات سم تلسع[(٤)] يقال: لدغته العقرب، وذوات السموم، إذا أصابته بِسُمِّها، وذلك بأن تأبره بشوكتها)[(٥)(٦)].

سبب إباحة قتله: ومن أهم أسباب إباحة قتل العقرب: أنها من ذوات السموم؛ كما قال القرطبي رحمه الله: (إنما أذن في قتل العقرب؛ لأنها ذات حُمَةٍ)[(٦)]، أي: ذات سُمٍّ. وهي (تَقْصِدُ من تلدغه، وَتَتْبَعُ حِسَّهُ)[(٧)].

ومن أسباب جواز قتلها في الحل والحرم : أنها من المؤذيات، فقد لدغت النبيَّ صلى الله عليه وسلم عقرب وهو يُصلِّي: فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ قالت: لَدَغَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَقْرَبٌ وهو في الصَّلاَةِ، فقال: (لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ ، لَعَنَ اللهُ الْعَقْرَبَ): دل الحديث على جواز لعن المؤذيات.

أما لعن الحيوانات على التشخيص فغير جائز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم هدَّد امرأةً لعَنَت ناقتَها، وقال: (لاَ تَصْحَبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ). وقال أيضاً: (ليس الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ولا اللَّعَّانِ)[(٨)] ما تَدَعُ الْمُصَلِّيَ وَغَيْرَ الْمُصَلِّي، اقْتُلُوهَا فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ)[(٩)].

= وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود)، (٣/ ٢٨٩)، (ح٥٢٤٧).].قال ابن عبد البر - رحمه الله: (أجمع العلماء: على جواز قتل الفأرة في الحل والحرم)[الاستذكار، (٤/ ١٥٦).

(١) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، (٤/ ٣٦٠) .
(٢) الأزهري ، تهذيب اللغة، (٣/ ١٨٦.
(٣) النووي ، المجموع، (٩/ ١٤) .
(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (٢/ ٦١٥).
(٥) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم، (٣/ ٩٣).
(٦) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٦ ، ص ٣٠٣ .
(٧) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٢ ، ص ١٩٧ .
(٨) شرح سنن ابن ماجه، (١/ ٨٨).
(٩) رواه ابن ماجه، (١/ ٣٩٥)، (ح١٢٤٦)؛ والطبراني في (الأوسط)، (٧/ ٢٢١)، (ح٧٣٢٩). وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه)، (١/ ٣٧٢)، (ح١٠٣٧).

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل العقرب في الحِلِّ والحَرَم؛ لكونها من المؤذيات[(١)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ؛ (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِقَتْلِ الأَسْوَدَيْنِ(الأَسْوَدَيْنِ: تسمية العقرب والحية بالأسودين من باب التغليب، ولا يسمى بالأسود في الأصل إلاَّ الحية، وقيل: لأن عقرب المدينة يميل إلى السواد)[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله: (وأخذ أكثر العلماء بهذا الحديث، ورخَّصوا في قتل الحية والعقرب في الصلاة، منهم: ابن عمر رضي الله عنهما، والحسن، وهو قول أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وغيرهم)[(٣)] وقد نقل الإجماعَ غيرُ واحدٍ من أهل العلم على جواز قتل العقرب في الحل والحرم، **ومن ذلك**:

أ- قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: (أَجْمَعُوا: أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَبَاحَ قَتْلَ الْعَقْرَبِ فِي الإِحْرَامِ وَالْحَرَمِ)[(٤)].

ب- وقال ابن عبد البر رحمه الله : (أجمع العلماء: على جواز قتل الفأرة في الحل والحرم، وقتل العقرب)[(٥)] .

ت- وقال ابن حجر رحمه الله : (لا نعلمهم اختلفوا في جواز قتل العقرب[(٦)].

٤- الْحَيَّةُ: الحيَّة: قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (الثُّعْبَانُ: الْحَيَّةُ الذَّكَرُ منها، يُقَالُ: الْحَيَّاتُ أَجْنَاسٌ: الْجَانُّ، وَالأَفَاعِي، وَالأَسَاوِدُ)[(٧)].

---

(١) المناوي ، فيض القدير، (٥/ ٢٧٠).
(٢) تحفة الأحوذي، (٢/ ٣٣٤)؛ حاشية السندي على سنن النسائي، (٣/ ١٠).] في الصَّلاَةِ: الْعَقْرَبِ وَالْحَيَّةِ)[رواه الطيالسي في (مسنده)، (ص٣٣١)، (ح٢٥٣٩)؛ وأحمد في (المسند)، (٢/ ٢٤٨)، (ح٧٣٧٣)؛ وابن ماجه، (١/ ٣٩٤)، (ح١٢٤٥)؛ والترمذي، (٢/ ٢٣٤)، (ح٣٩٠) وقال: (حسن صحيح)؛ وابن خزيمة في (صحيحه)، (٢/ ٤١)، (٨٦٩)؛ وابن حبان في (صحيحه)، (٦/ ١١٥)، (ح٢٣٥١)؛ والحاكم في (المستدرك)، (١/ ٣٨٦)، (ح٩٣٩) وقال: (صحيح، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه)، (١/ ٣٧٢)، (ح١٠٣٦).
(٣) ابن حجر ، فتح الباري، (٦/ ٣٩٨.
(٤) الطحاوي ، شرح معاني الآثار، (٢/ ١٦٧).
(٥) ابن عبد البر ، الاستذكار، (٤/ ١٥٦).
(٦) فتح الباري، (٤/ ٣٩).
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص ١٢٠١ .

سبب إباحة قتلها: أسباب إباحة قتل الحية هي ذاتها في قتل العقرب؛ لأنها من ذوات السموم، وتقصد مَنْ تلدغه وتتبع حسَّه، ولإفسادها وضررها، فهي من المؤذيات، ولذلك جاء الأمر بقتلها في الحل والحرم)[1]، قال الكاساني رحمه الله : (وَالْعَقْرَبُ تَقْصِدُ مَنْ تلدغه وَتَتْبَعُ حِسَّهُ، وَكَذَا الْحَيَّةُ)[2].

ومن إفساد الحية وضررها: أنها تطمس البصر، وتسقط حمل المرأة، فقد جاء عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما؛ أَنَّه سمع النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ على الْمِنْبَرِ، يقول: (اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ، وَالأَبْتَرَ؛ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَر وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ)[3]– يَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ: معناه: أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما وخافت أسقطت الحمل غالباً– قال عبد اللَّهِ: فَبَيْنَا أنا أُطَارِدُ حَيَّةً؛ لأَقْتُلَهَا، فَنَادَانِي أبو لُبَابَةَ: لاَ تَقْتُلْهَا، فقلتُ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قد أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ، قال: إنَّه نَهَى بَعْدَ ذلك عن ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، وَهِيَ الْعَوَامِرُ[4].

قال النووي رحمه الله : (ذهبت طائفة من العلماء: إلى عموم النهي في حيات البيوت بكل بلد، حتى تُنذر، وأما ما ليس في البيوت فيُقتل من غير إنذار... وقال بعض العلماء: الأمر بقتل الحيات مطلقاً، مخصوص بالنهي عن جِنان البيوت، إلاَّ الأبترَ، وذا الطفيتين؛ فإنه يُقتل على كل حال، سواء كانا في البيوت أم غيرها)[5].

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمحاربة الحيَّات؛ لعظيم إفسادهن: كما جاء عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(مَنْ تَرَكَ الْحَيَّاتِ مَخَافَةَ طَلَبِهِنَّ؛ فَلَيْسَ مِنَّا، ما سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ)[6].

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي، (٦/ ٣٠٣) .
(٢) الكاساني ، بدائع الصنائع، (٢/ ١٩٧.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٤/ ٢٣٠).
(٤) واه البخاري، واللفظ له، (٣/ ١٢٠١)، (ح٣١٢٣)؛ ومسلم، (٤/ ١٧٥٢)، (ح٢٢٣٣).
(٥) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم، (١٤/ ٢٣٠).
(٦) رواه أحمد في (المسند)، (١/ ٢٣٠)، (ح٢٠٣٧)؛ وأبو داود، (٤/ ٣٦٣)، (ح٥٢٥٠)؛ والطبراني في (الكبير)، (١١/ ٣٠١)، (ح١١٨٠١). وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي دواد)، (٣/ ٢٨٩)، (ح٥٢٥٠).

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهن لذات السبب: فعن الْعَبَّاسِ بن عبد الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه؛ أَنَّهُ قال لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَكْنُسَ زَمْزَمَ، وَإِنَّ فيها مِنْ هذه الْجِنَّانِ – يَعْنِي: الْحَيَّاتِ الصِّغَارَ – فَأَمَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِهِنَّ)[١].

وعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهُنَّ، فَمَنْ خَافَ ثَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[٢] .

قال القاري رحمه الله: (والظاهر أن هذه الأحاديث مطلقة، محمولة على ما عدا سواكن البيوت)[٣].

وجاء الأمر بقتل الحيات حتى في الصلاة؛ فقد تقدم الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِقَتْلِ الأَسْوَدَيْنِ في الصَّلاَةِ: الْعَقْرَبِ وَالْحَيَّةِ)[٤]، قال ابن حجر رحمه الله : (وأخذ أكثر العلماء بهذا الحديث، ورخَّصوا في قتل الحية والعقرب في الصلاة)[٥] ، ونقل الإجماعَ غيرُ واحدٍ من أهل العلم على جواز قتل الحية في الحل والحرم، **ومن ذلك:**

أ- قال ابن بطال رحمه الله : (أجمع العلماء: على جواز قتل الحية في الحل والحرم)[٦].

ب- وقال ابن عبد البر رحمه الله : (لا خلاف عن مالك وجمهور العلماء: في قتل الحية في الحل والحرم، وكذلك الأفعى (لأفعى: حية، يقال: هي رقشاء دقيقة العنق، عريضة الرأس، لا تزال مستديرة على نفسها، لا ينفع منها ترياق، ولا رقية)[٧].

---

(١) رواه أبو داود، (٤/ ٣٦٣)، (ح٥٢٥١). وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود)، (٣/ ٢٩٠)، (ح٥٢٥١).
(٢) رواه أبو داود، (٤/ ٣٦٣)، (ح٥٢٤٩)؛ والنسائي، (٦/ ٥١)، (ح٣١٩٣)؛ والطبراني في (الكبير)، (٩/ ٣٥١)، (ح٩٧٤٧). قال الهيثمي في (مجمع الزوائد)، (٤/ ٤٦): (رجاله ثقات). وصححه الألباني في (صحيح سنن أبي داود)، (٣/ ٢٨٩)، (ح٥٢٤٩).
(٣) القاري ، رقاة المفاتيح ، ج٨ ، ص ٤٨ .
(٤) سبق تخريجه في الهامش رقم (٣٧).
(٥) ابن حجر ، فتح الباري، (٦/ ٣٩٨).
(٦) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري، (٤/ ٤٩٣)..
(٧) ابن عبد البر ، التمهيد ،ج١٥ ، ص ١٦٣ ، وانظر المصباح المنير، (٢/ ٤٧٨).

٤- الْغُرَابُ الأَبْقَعُ: الغُرابُ: الطائرُ الأَسْوَدُ، والجَمْعُ: أَغْرِبَةٌ، وأَغْرُبٌ، وغِرْبانٌ، وغُرُبٌ، وجَمْعُ الجَمْعِ: غَرَابِينُ)[١].

والغُراب الأَبْقَعُ: هو الذي يُخالط سوادَه بياضٌ، وهو أخْبَثُها، وبه يُضْرَبُ المِثَلُ لِكُلِّ خَبِيثٍ، والبَقَعُ والبَقْعَةُ: تَخَالُفُ اللَّون، والأَبْقَعُ: السَّراب؛ لِتَلَوُّنِه[٢] .

والغراب الأبقع غَريبٌ، وهو غُراب البَيْن، (وكلُّ غرابٍ فقد يُقال له: غُرابُ البَيْن . إذا أرادوا به الشُّؤم، أمَّا غراب البَيْن نَفْسُه: فإنَّه غرابٌ صغير، وإنَّما قيل لكلِّ غرابٍ: غرابُ البَيْن؛ لِسُقوطِها في مواضِعِ منازلهم إذا بانوا عنها)[٣].

المراد بالغراب في الحديث: جاء لفظ (الْغُرَاب) مطلقاً في أغلب الأحاديث، وفي روايةٍ لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ: (الْغُرَابُ الأَبْقَعُ)[٤]، واختلف العلماء: في المراد بذلك على قولين، والراجح: أن المقصود بقتله في الحل والحرم هو الغراب الأبقع دون غيره، وحملوا المطلق على المقيد[٥].

ما جاء عن أهل العلم في ذلك:

أ- قال ابن خزيمة رحمه الله : (باب: ذكر الخبر المفَسِّر للَّفظة المجملة التي ذكرتُها في بعض ما أُبيح قتله للمُحرم، والدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أباح للمُحرم قتل بعض الغربان لا كلها، فأباح قتل الأبقع دون ما سواه من الغربان)[٦].

ب- وقال ابن حجر رحمه الله: (اتفق العلماء: على إخراج الغراب الصغير الذي يأكل الحب من ذلك، ويقال له: غراب الزرع، ويقال له: الزاغ، وأفتوا بجواز أكله، فبقي ما عداه من الغربان مُلْتَحَقاً بالأبقع)[٧].

---

(١) ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم، (٥/ ٥١١).
(٢) المصدر السابق ، ج١ ،ص ٢٥٠ .
(٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ و ص ٤٣١ . لسان العرب، (١/ ٦٤٢)
(٤) رواه مسلم، (٢/ ٨٥٦)، ح١١٩٨ .
(٥) [البناية، (٤/ ٣٠٥)؛ مواهب الجليل، (٤/ ٢٣٥)؛ فتح الباري، (٤/ ٣٨)؛ عمدة القاري، (١٠/ ١٨٠)؛ المغني، (٣/ ٣٤٢).]، وهو قول ابن المنذر[فتح الباري، (٤/ ٣٨)؛ عمدة القاري، (١٠/ ١٨٠).]، وابن خزيمة[صحيح ابن خزيمة، (٤/ ١٩١)].
(٦) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة، (٤/ ١٩١)
(٧) ابن حجر ، فتح الباري، (٤/ ٣٨).

ت- وقال العيني رحمه الله : (الروايات المطلقة محمولة على هذه الرواية المقيدة التي رواها مسلم؛ وذلك لأن الغراب إنما أبيح قتله لكونه يبتدئ بالأذى، ولا يبتدئ بالأذى إلاَّ الغراب الأبقع، وأما الغراب غير الأبقع فلا يبتدئ بالأذى، فلا يباح قتله: كالعقعق، وغراب الزرع. ويقال له: الزاغ، وأفتوا بجواز أكله، فبقي ما عداه من الغربان مُلْتَحَقًا بالأبقع. ومنها: الغداف، على الصحيح في مذهب الشافعي)[1].

سبب إباحة قتله: سبب إباحة قتل الغراب الأبقع في الحل والحرم؛ هو إفساده وضرره وأذاه، ومن ذلك: أنه يقع على ظهر الإبل الرواحل، وينقر الدَّبر والقروح مما يسبب لها الأذى البالغ، وربما خطف اللحم من أيدي الناس[2].

ما جاء عن أهل العلم في ذلك:

أ- ذكر ابن سمعون رحمه الله عن الغراب الأبقع أنه: (إذا رأى دَبرةً في ظهر بعير، أو قرحةً في عنقه نزل عليه، ونقرها إلى الدِّيات[3]الدِّيات: هي عظام الرقبة، وفقار الظهر.

ب- قال الكاساني رحمه الله : (وَعِلَّةُ الإِبَاحَةِ فيها: هِيَ الابْتِدَاءُ بِالأَذَى، وَالْعَدْوُ على الناس غَالِبًا...وَالْغُرَابُ يَقَعُ على دُبُرِ الْبَعِيرِ، وَصَاحِبُهُ قَرِيبٌ منه... قال أبو يُوسُفَ: الْغُرَابُ الْمَذْكُورُ في الحديث، هو الْغُرَابُ الذي يَأْكُلُ الْجِيَفَ، أو يَخْلِطُ مع الْجِيَفِ، إذْ هذا النَّوْعُ هو الذي يبتدئ بِالأَذَى، وَالْعَقْعَقُ (الْعَقْعَقُ: الغراب العقعق: من أنواع الغربان، وهو قدر الحمامة على شكل الغراب، وسمي بذلك؛ لأنه يعق فراخه فيتركها بلا طعم، وكانت العرب تتشاءم به)[4] ، وليس في مَعْنَاهُ؛ لأَنَّهُ لا يَأْكُلُ الْجِيَفَ، وَلاَ يبتدئ بِالأَذَى)[5].

---

(١) العيني ، عمدة القاري، (١٠/ ١٨٠).
(٢) ابن عبد البر ، التمهيد، (١٥/ ١٦٠).
(٣) ابن سمعون ، أمالي ابن سمعون، (١/ ٣٥٤).
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ٤/ ٣٨.
(٥) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ٢/ ١٩٧ .

ت- وقال القرطبي رحمه الله في سياق حديثه في جواز إباحة قتل الغراب في الحل والحرم: (وكذلك الحدأة والغراب؛ لأنهما يخطفان اللحم من أيدي الناس... وفي الغراب لوقوعه على الظهر ونقبه عن لحومها)[١].

٥- الْكَلْبُ الْعَقُورُ: الكلب العقور: هو واحد الكلاب، وجمعه: أكلب، وكلاب، وكليب وهو جمع عزيز لا يكاد يوجد إلاَّ القليل، نحو: عبد وعبيد، وجمع الأكلب: أكالب، وقيل: في جمع الكلاب كلابات، والكلبة: أنثى الكلاب، وجمعها: كَلَبات ولا يكسر[٢].

والمراد بالكلب العقور: اختلف العلماء: في المراد بالكلب العقور في الحديث على عدة أقول، والراجح: أن الكلب العقور هو كلُّ عادٍ مفترسٍ غالباً؛ كالأسد، والنمر، والذئب، والفهد، ونحوها، وهو قول الجمهور)[٣]، ومعنى العقور والعاقر: الجارح[٤].

ما جاء عن أهل العلم في ذلك:

أ- قال الإمام مالك - رحمه الله -: (إنَّ كُلَّ ما عَقَرَ الناس وَعَدَا عليهم وَأَخَافَهُمْ؛ مِثْلُ الأَسَدِ، وَالنَّمِرِ، وَالْفَهْدِ، وَالذِّئْبِ، فَهُوَ الْكَلْبُ الْعَقُورُ)[٥].

ب- وقال ابن بطال رحمه الله: (ولم يَعْنِ بالكلب العقور الكلابَ الإنسِيَّة، وإنما عَنَى بذلك كلَّ سَبُعٍ يَعْقِر، كذلك فسَّره مالكٌ، وابنُ عيينة، وأهلُ اللغة)[٦].

ت- وقال ابن الأثير رحمه الله : (الكلب العقور: هو كلُ سَبُعٍ يَعْقِرُ، أي: يجرح، ويقتل، ويفترس؛ كالأسد، والنمر، والذئب. سمَّاها كلباً؛ لاشتراكها في السَّبُعيَّة. والعقور: من أبنية المبالغة)[٧].

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ٦/ ٣٠٣.
(٢) ابن منظور ، لسان العرب، (١/ ٧٢١)؛ القاموس المحيط، (ص١٦٩).
(٣) البغوي ، شرح السنة ج٤ ، ص ١٦٠ .وانظر شرح فتح القدير، (٣/ ٧٥)؛ شرح النووي على صحيح مسلم، (٨/ ١١٥)؛ شرح الزركشي، (٣/ ١٥٥)؛ فتح الباري، (٤/ ٣٩)؛ مطالب أولي النهى، (٢/ ٣٤٣)؛ نيل الأوطار، (٥/ ٢٧).
(٤) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم، (٨/ ١١٥).
(٥) الإمام مالك ، الموطأ ، ١/ ٣٥٧ .
(٦) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري، (٤/ ٤٩٠).
(٧) ابن منظور ، لسان العرب ، (٤/ ٥٩٤)، ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٧٥)

سبب إباحة قتلها: سبب إباحة قتل الكلب العقور وتلك السباع المفترسة في الحل والحرم هو اعتداؤها على الناس وإخافتها لهم، وكذا عقرها وافتراسها، فهذه السباع العادية القاتلة المفترسة؛ كالأسد، والنمر، والذئب، ونحوها، أبيح قتلها في الحل والحرم لعظيم ضررها؛ كما جاء في تفسير القرطبي: و(الكلب العقور مما يعظم ضرره على الناس)[1]، قال الكاساني رحمه الله : (وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ من شَأْنِهِ الْعَدْوُ على الناس، وَعَقْرهم ابْتِدَاءً من حَيْثُ الْغَالِبِ)[2].

المسألة الثانية :الفواسق غير المنصوص عليها:

أولاً: حكمها: اختلف العلماء: في حُكم قتل الفواسق غير المنصوص عليها في الحرم، على قولين، والراجح: جواز قتل جميع الفواسق في الحرم؛ المنصوص عليها، وما في معناها، وهو قول الجمهور. ومنهم: الأئمة الثلاثة: مالك[3] ، والشافعي[4]، قال النووي رحمه الله: (اتفق جماهير العلماء: على جواز قتلهن في الحل والحرم والإحرام. واتفقوا: على أنه يجوز للمُحرِمِ أن يقتل ما في معناهنَّ، ثم اختلفوا في المعنى)[5] أي: في تحديد المعنى.

الأدلة:

١- ذِكْرُ العدد في الأحاديث السابقة غير مراد؛ لسببين:

أ- اختلاف العدد من حديث لآخر؛ فقد ورد أحياناً بلفظ: (أربع)[6] ، وتارة بلفظ: (خمس)[7] ، وتارة بلفظ: (ست)[8] ، وتارة دون ذِكْرِ العدد[9]..

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي، (٦/ ٣٠٣) .
(٢) الكاساني ، بدائع الصنائع، (٢/ ١٩٧).
(٣) ابن عبد البر ، التمهيد، (١٥/ ١٦٢)؛ الذخيرة، (٣/ ٣١٥٩..
(٤) اللباب في الفقه الشافعي، لأحمد الضبي (ص٢٠٦)؛ شرح النووي على صحيح مسلم، (١٥/ ١١٣)؛ فتح الباري، (٤/ ٣٦).]، وأحمد[المغني، (٣/ ٣٤٢)؛ الإقناع، (١/ ٥٨٣).
(٥) النووي . شرح النووي على صحيح مسلم، (٨/ ١١٣).
(٦) رواه مسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).
(٧) رواه البخاري، (٣/ ١٢٠٤)، (ح٣١٣٦)، ومسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).
(٨) رواه أبو عوانة في (مسنده)، (٢/ ٤١٢)؛ (ح٣٦٣٥). وانظر: فتح الباري، (٤/ ٣٦).
(٩) رواه أحمد في (المسند)، (٦/ ٢٨٥)، (ح٢٦٤٨٢)؛ وأبو داود، (٢/ ١٧٠)، (ح١٨٤٨). وضعفه الألباني في (ضعيف سنن أبي داود)، (ص١٤٥)، (ح١٨٤٨).

ب- اختلاف تحديد الفواسق من حديث لآخَر، فتارةً تُذكر (الحية) ولا يُذكر (العقرب)[1]، ، أو تُذكر (العقرب) ولا تُذكر (الحية)[2] أو لا تُذكر (الحية) و(الغراب)[3] ، وتارة بلفظ: (السَّبُعَ الْعَادِيَ)[4] ، مما يدل على أن ذِكْرَ العدد غير مراد، قال ابن تيمية رحمه الله: (ولم يكن قوله: (خَمْسٌ) على سبيل الحصر؛ لأنَّ في أحد الحديثين ذِكْر الحية، وفي الآخَر ذِكْر العقرب، وفي آخر ذِكْرها وذِكْر السَّبُع العادي، فعُلِمَ أنه قَصَد بيان ما تمسُّ الحاجة إليه كثيراً، وهو هذه الدواب، وعلَّلَ ذلك بفسوقها)[5].

٢- لفظ: (خَمْسٌ فَوَاسِقُ) بالتنوين هو الأشهر، مما يدل أن علة جواز قتل هذه الدواب في الحل والحرم هو فِسقها، فيعمُّ كلَّ فاسق. وورد أحياناً بلفظ: (خَمْسُ فَوَاسِقَ) بالإضافة، مما يقتضي التخصيص بالخَمس دون غيرها.

ما جاء عن أهل العلم في ذلك:

قال ابن دقيق العيد رحمه الله : (المشهور في الرواية: (خَمْسٌ فَوَاسِقُ) بالتنوين، ويجوز: (خَمْسُ فَوَاسِقَ) بالإضافة من غير تنوين... وبين التنوين والإضافة في هذا فرقٌ دقيقٌ في المعنى؛ وذلك أن الإضافة تقتضي الحكم على خمس من الفواسق بالقتل، وربما أشعر التخصيص، بخلاف الحُكم في غيرها وبطريق المفهوم، وأما مع:

أ- التنوين فإنه يقتضي وصفَ الخمس بالفسق من جهة المعنى، وقد يُشعر بأن الحُكم المرتب على ذلك؛ وهو القتل مُعَلَّل بما جعل وصفاً؛ وهو الفسق - فيقتضي ذلك التعميمَ لكلِّ فاسق من الدواب، وهو ضِدُّ ما اقتضاه الأوَّل من المفهوم، وهو التخصيص[6].

---

(١) رواه مسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).
(٢) رواه البخاري، (٣/ ١٢٠٤)، (ح٣١٣٦)، ومسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).
(٣) رواه مسلم، (٢/ ٨٥٦)، (ح١١٩٨).
(٤) رواه الترمذي، (٣/ ١٩٨)، (ح٨٣٨) وقال: (حديث حسن).
(٥) ابن قدامة ، شرح العمدة في الفقه، (٣/ ١٣٩).
(٦) ابن دقيق العيد ، إحكام الأحكام، (٣/ ٣٢-٣٣).

أ- وقال الماوردي رحمه الله : (نَصَّ على قَتْل ما يَقِلُّ ضرره؛ لِيُنَبِّه على جواز قَتْلِ ما يَكْثُرُ ضَرَرُه: فنَصَّ على الغراب والحدأة؛ لينبه على العقاب والرخمة، ونَصَّ على الفأرة؛ لينبه على حشرات الأرض، وعلى العقرب؛ لينبه على الحية، وعلى الكلب العقور؛ لينبه على السَّبُع والفَهْد وما في معناه، وإذا أفاد النَّص دليلاً وتنبيهاً كان حُكْم التَّنبيه مُسْقِطاً لدليل اللفظ؛ كقوله تعالى: (فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ...(٢٣))[١] ففيه تنبيه على تحريم الضَّرب، ودليلُ لَفْظِه يقتضي جوازَ الضَّرب، فقضى بتنبيهه على دليله)[٢].

ب- وقال ابن قدامة رحمه الله : (إن الخبر نَصَّ من كلِّ جنسٍ على صورةٍ من أدناه؛ تنبيهاً على ما هو أعلى منها، ودلالةً على ما كان في معناها، فنَصُّه على الحِدْأَة والغراب تنبيه على البازي ونحوِه، وعلى الفأرة تنبيه على الحشرات، وعلى العقرب تنبيه على الحيَّة، وعلى الكلب العقور تنبيه على السِّباع التي هي أعلى منه)[٣]، وقال أيضاً: (فعلى هذا يُباح قَتْلُ كُلِّ ما فيه أذًى للناس في أنفسِهم وأموالِهم؛ مثل سِباعِ البهائم كلِّها، الحرامِ أَكْلُها، وجوارحِ الطَّير؛ كالبازي، والصَّقْرِ، والشَّاهين، والعُقَابِ، ونحوِها، والحشراتِ المؤذيةِ، والزُّنْبُورِ، والبَقِّ، والبعوضِ، والبراغيثِ، والذُّبابِ، وبه قال الشافعي)[٤].

٣- كُلُّ ما عَقَرَ الناسَ وَعَدَا عليهم وَأَخَافَهُمْ، فَهُوَ الْكَلْبُ الْعَقُورُ: وقد سبق إيراد كلام الإمام مالك رحمه الله : (إنَّ كُلَّ ما عَقَرَ الناس وَعَدَا عليهم وَأَخَافَهُمْ؛ مِثْلُ الأَسَدِ، وَالنَّمِرِ، وَالْفَهْدِ، وَالذِّئبِ، فَهُوَ الْكَلْبُ الْعَقُورُ)[٥] ويشهد له:

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) الماوردي ، الحاوي الكبير، (٤/ ٣٦٠).
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ، ص ١٦٤ .
(٤) ابن قدامة ، الشرح الكبير، (٣/ ٣٠٣)
(٥) الإمام مالك ،الموطأ ، ١/ ٣٥٧.

أ- قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ...(٤))[1] ، قال أبو عبيد بن القاسم رحمه الله : (فهذا اسم مشتق من الكلب، ثم دخل فيه صيد الفهد والصقر والبازي، فصارت كلُّها داخلةً في هذا الاسم، فلهذا قيل لكلِّ جارحٍ أو عاقرٍ من السِّباع: كلب عقور)[2] ، وقال الماوردي رحمه الله : (اسم الكلب يقع على السَّبُع لغةً وشرعاً. أما اللغة: فلأنه مشتق من التَّكَلُّب وهو العَدْوَى والضَّراوة وهذا موجود في السَّبُع)[3].

ب- ما جاء عن أبي عقرب[4] ابي مشهور بكنيته، وقد اختُلف في اسمه، قيل اسمه: خويلد بن خالد رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ لَهَبُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ يَسُبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ). فَخَرَجَ يُرِيدُ الشَّامَ فِي قَافِلَةٍ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَنَزَلَ مَنْزِلاً، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَخَافُ دَعْوَةَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم قَالُوا لَهُ: كَلا، قَالَ: فَحَوَّطُوا الْمَتَاعَ حَوْلَهُ وَقَعَدُوا يَحْرُسُونَهُ، فَجَاءَ الأَسَدُ فَانْتَزَعَهُ فَذَهَبَ بِهِ[5].

وجه الدلالة: لَزِمَ الأسدَ هنا اسمُ الكلب[6].

ثانياً: سبب إباحة قتلها: اختلف العلماء: في سبب إباحة قتل هذه الدواب الفواسق المنصوص عليها وما في معناها على ثلاثة أقوال، والراجح: هو إخافتها للناس، واعتداؤها عليهم، وإيذاؤها لهم في الأبدان أو الأموال، وقال به: الإمامان: مالك[7] ، وأحمد[8].

---

(١) سورة المائدة .
(٢) أبو عبيد بن القاسم ، غريب الحديث، (٢/ ١٦٩).
(٣) الماوردي ، الحاوي الكبير، (٤/ ٣٦٠)
(٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (٥/ ٤٥٧)؛ معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ٢٤٨٨)..
(٥) رواه الحارث في (مسنده)، (٢/ ٥٦٢)، (ح٥١١)؛ والحاكم في (المستدرك)، (٢/ ٥٨٨)، (ح٣٩٨٤) وقال: (صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)؛ وأبو نعيم في (معرفة الصحابة)، (٥/ ٢٤٨٨)، (ح٦٠٥٠)؛ والبيهقي في (دلائل النبوة)، (٢/ ٣٣٨). وحسنه ابن حجر في (فتح الباري)، (٤/ ٣٩)
(٦) ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٣ و ص ١٦٩ .
(٧) الموطأ، (١/ ٣٥٧)؛ مواهب الجليل، (٤/ ٢٥٣)
(٨) لمغني، (٣/ ١٦٤)؛ الإقناع، (١/ ٥٨٢).

ما جاء عن أهل العلم في ذلك:

١- قال الكاساني رحمه الله -: (وَعِلَّةُ الإِبَاحَةِ فيها هِيَ الابْتِدَاءُ بِالأَذَى، وَالْعَدْوُ على الناس غَالِبًا)[1].

٢- وقال ابن العربي رحمه الله : (قال علماؤنا: يجوز للمُحرِمِ قتل السِّباع العادية المبتدئة بالمضرَّة؛ كالأسد والنمر والذئب والفهد والكلب العقور وما في معناها)[2] .

٣- وقال ابن الأثير رحمه الله: (الكلب العقور: هو كلُ سَبُعٍ يَعْقِرُ، أي: يجرح، ويقتل، ويفترس؛ كالأسد، والنمر، والذئب. سمَّاها كلباً؛ لاشتراكها في السَّبُعيَّة)[3]، [4] .

س ٦٢ : لماذا لا يكون الدعاء بعد الصلاة المكتوبة ، وإنما ذكر الله فقط ؟

ج٦٢ :تقول الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية : (في حجة من منع من الدعاء بعد الصلاة المكتوبة والجواب على ذلك :

ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى أن الدعاء لا يشرع بعد الصلاة ، وإنما محل الدعاء في الصلاة لا خارجها ، وحمل ما ورد من الأدعية في دبر الصلاة على أن ذلك محله آخر الصلاة وقبيل السلام .

وقد سئل رحمه الله تعالى عن هذه المسالة أكثر من مرة ، وكان جوابه بنحو ما سبق بيانه وسئل مرة : هل دعاء الإمام والمأموم عقيب صلاة الفرض جائز أو لا ؟

فأجاب : الحمد لله . أما دعاء الإمام والمأمومين جميعا عقيب الصلاة فهو بدعة ، لم يكن وأما الدعاء بعد انصرافه من مناجاته وخطابه فغير مناسب ، وإنما المسنون عقب الصلاة هو الذكر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، من التهليل ، والتحميد ، والتكبير ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عقب الصلاة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا

---

(١) الكاساني ، بدائع الصنائع، (٢/ ١٩٧).
(٢) ابن العربي ، معناها)][أحكام القرآن، (٢/ ١٧٥).
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٢٧٥). وانظر: لسان العرب، (٤/ ٥٩٤).
(٤) د.محمد احمد الدوسري ، ١٢/١ / ١٤٤١ موقع شبكة الالوكة

ينفع ذا الجد منك الجد .

وقد ثبت في الصحيح ، أنه قال : من سبح دبر الصلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد ثلاثا وثلاثين ، وكبر ثلاثا وثلاثين ، فذلك تسعة وتسعون ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، حطت خطاياه أو كما قال ، فهذا ونحوه هو المسنون عقب الصلاة والله أعلم .

وملخص الجواب في النقاط التالية :

١- الدعاء الجماعي للإمام والمأموم بدعة .

٢- لم يكن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم خارج الصلاة بعد الفراغ منها ، بل كان داخل الصلاة .

٣- أن الدعاء في الصلاة هو المناسب لحال من يناجي ربه .

٤- المسنون بعد السلام من الصلاة هو الذكر المأثور ، من التهليل والتحميد والتسبيح والتكبير .

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (الذي نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بعد الصلاة المكتوبة إنما هو الذكر المعروف ، كالأذكار التي في الصحاح ، وكتب السنن والمسانيد ، وغيرها ، مثل ما في الصحيح : أنه كان قبل أن ينصرف من الصلاة ، يستغفر ثلاثا ، ثم يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام . . إلخ .

وقال : (وأما دعاء الإمام والمأمومين جميعا عقيب الصلاة ، فلم ينقل هذا أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقل عنه أمر معاذ أن يقول دبر كل صلاة : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، ونحو ذلك .

ولفظ (دبر الصلاة) قد يراد به آخر جزء من الصلاة ، كما يراد بدبر الشيء مؤخره ، وقد يراد به ما بعد انقضائها ، كما في قوله تعالى : وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ، وقد يراد به مجموع الأمرين ، وبعض الأحاديث يفسر بعضا لمن تتبع ذلك وتدبره .

وبالجملة فهنا شيئان :

أحدهما : دعاء المصلي المنفرد ، كدعاء المصلي صلاة الاستخارة ، وغيرها من الصلوات ، ودعاء المصلي الاستخارة ، وغيرها من الصلوات ، ودعاء المصلي وحده إماما كان أو مأموما

والثاني : دعاء الإمام والمأمومين جميعا ، فهذا الثاني لا ريب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله في أعقاب المكتوبات ، كما كان يفعل الأذكار المأثورة عنه ، إذ لو فعل لنقله عنه أصحابه ، ثم التابعون ، ثم العلماء ، كما نقلوا ما هو دون ذلك .

ولهذا كان العلماء المتأخرون في الدعاء على أقوال :

١- منهم من يستحب ذلك عقيب الفجر والعصر ، كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد ، وغيرهم ، ولم يكن معهم في ذلك سنة يحتجون بها ، وإنما احتجوا بكون هاتين الصلاتين لا صلاة بعدها .

٢- ومنهم من استحبه أدبار الصلوات كلها ، وقال : لا يجهر به إلا إذا قصد التعليم . كما ذكر ذلك طائفة من أصحاب الشافعي ، وغيرهم ، وليس معهم في ذلك سنة ، إلا مجرد كون الدعاء مشروعا ، وهو عقب الصلوات يكون أقرب إلى الإجابة ، وهذا الذي ذكروه قد اعتبره الشارع في صلب الصلاة ، فالدعاء في آخرها قبل الخروج مشروع مسنون بالسنة ، واتفاق المسلمين ، بل قد ذهب طائفة من السلف والخلف إلى أن الدعاء في آخرها واجب قال : (والمناسبة الاعتبارية فيه ظاهرة ، فإن المصلي يناجي ربه ، فما دام في الصلاة لم ينصرف فإنه يناجي ربه ، فالدعاء مناسب لحاله ، أما إذا انصرف إلى الناس من مناجاة الله لم يكن موطن مناجاة له ودعاء ، وإنما هو موطن ذكر له ، وثناء عليه ، فالمناجاة والدعاء حين الإقبال والتوجه إلى الله في الصلاة ، أما حال الانصراف فالثناء والذكر أولى) .

ويظهر والله تعالى أعلم أن فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كانت لمواجهة ما أحدثه بعض الأئمة من الدعاء بعد الصلاة مباشرة ، وتأمين المأمومين على ذلك ، وترك الأذكار المعروفة المشروعة بعد السلام ، من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ونحو ذلك ، يوضح ذلك قوله :(لم ينقل أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى

بالناس يدعو بعد الخروج من الصلاة هو والمأمومون جميعا ، لا في الفجر ولا في العصر ولا في غيرهما من الصلوات ، بل قد ثبت عنه أنه كان يستقبل أصحابه ، ويذكر الله ويعلمهم ذكر الله عقيب الخروج من الصلاة) .

ويوضحه أيضا قوله : (وأما حديث أبي أمامة قيل : يا رسول الله أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ، ودبر الصلوات المكتوبة) ، فهذا يجب أن لا يخص ما بعد السلام ، بل لا بد أن يتناول ما قبل السلام ، وإن قيل : إنه يعم ما قبل السلام وما بعده ، لكن ذلك لا يستلزم أن يكون دعاء الإمام والمأموم جميعا بعد السلام سنة ، كما لا يلزم مثل ذلك قبل السلام ، بل إذا دعا كل واحد وحده بعد السلام فهذا لا يخالف السنة ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل : لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يتناول ما قبل السلام ، ويتناول ما بعده أيضا كما تقدم ، فإن معاذا كان يصلي إماما بقومه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إماما ، وقد بعثه إلى اليمن معلما لهم ، فلو كان هذا مشروعا للإمام والمأموم مجتمعين على ذلك كدعاء القنوت ، ولكان يقول : اللهم أعنا على ذكرك وشكرك ، فلما ذكره بصيغة الإفراد ، علم أنه لا يشرع للإمام والمأموم ذلك بصيغة الجمع .

ومما يوضح ذلك ما في الصحيح ، عن البراء بن عازب ، قال : كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه ، يقبل علينا بوجهه ، قال : فسمعته يقول : ربي قني عذابك يوم تبعث عبادك أو يوم تجمع عبادك فهذا فيه دعاؤه صلى الله عليه وسلم بصيغة الإفراد كما في حديث معاذ ، وكلاهما إمام . وفيه أنه كان يستقبل المأمومين ، وأنه لا يدعو بصيغة الجمع) .

والظاهر أن صنيع أولئك الأئمة من الدعاء الجماعي مع المأمومين ، جعل شيخ الإسلام يحشد ما استدل به من الأدلة النقلية والعقلية على منع الدعاء الجماعي المخالف للسنة ، ولا ريب ، ولكن هذا الدافع ذهب به إلى حد أن يقول بعدم سنية الدعاء بعد الصلاة ، وأن المسنون هو الدعاء قبل السلام ، وأما بعد السلام فإنه (شرع لسنة بلفظ مجمل

يخالف السنة المتواترة بالألفاظ الصريحة) .

ولذلك نجد شيخ الإسلام يرجح أن دبر الصلاة يراد به آخر جزء منها ، وقد يراد به ما يلي : آخر جزء منها ، كما في دبر الإنسان فإنه آخر جزء منه ، قال رحمه الله : (فالدعاء المذكور في دبر الصلاة ، إما أن يراد به آخر جزء منها ؛ ليوافق بقية الأحاديث ، أو يراد به ما يلي آخرها ، ويكون ذلك ما بعد التشهد . . أو يكون مطلقا أو مجملا ، وبكل حال فلا يجوز أن يخص به ما بعد السلام ؛ لأن عامة الأدعية المأثورة كانت قبل ذلك ، ولا يجوز أن يشرع سنة بلفظ مجمل يخالف السنة المتواترة بالألفاظ الصريحة) .

ومن كل ما سبق يمكن تلخيص رأي شيخ الإسلام في هذه المسألة في النقاط الآتية :

١- أن محل الدعاء قبل السلام لا بعد السلام ، وأن الصلاة كلها محل دعاء .

٢- أن الأحاديث التي جاءت في الأدعية دبر الصلاة ينبغي أن تحمل على ما قبل السلام ، لأن دبر كل شيء جزء منه .

٣- لا يجوز أن يقال بسنية الدعاء بعد الصلاة ؛ لأن ذلك تشريع لسنة بلفظ مجمل وهو (دبر الصلاة) هذا ، مع تجويزه ، لأن يراد بدبر الصلاة ما بعدها أيضا .

٤- يستدل شيخ الإسلام بالدليل العقلي لتدعيم مذهبه ، وهو أن المصلي في صلاته يناجي ربه ويدعوه ، وهو في هذه الحالة مقبل على مولاه ، فالدعاء في هذه الحال مناسب ، أما بعد انصرافه عن مناجاة ربه بعد السلام فغير مناسب .

٥- الدعاء الجماعي من الإمام والمأمومين بدعة محدثة .

أما تلميذه ابن القيم رحمه الله ، فقد تناول هذه المسألة في كتابه زاد المعاد ، وكان متأثرا بشيخه من ناحية ، ومخالفا له نوع مخالفة ، من ناحية أخرى .

فأما تأثره بشيخه فهو قوله : " إن الدعاء بعد السلام من الصلاة لم يكن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن) .

وأما مخالفته لشيخه فهي قوله إن الدعاء بعد الصلاة يشرع بعد الفراغ من الأذكار المشروعة ، وتكون مشروعيته لا لكونه واقعا في دبر الصلاة ، بل لأنه بعد العبادة الثانية ،

ويقصد بها الذكر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ونحوه .

ويمكن تلمس مخالفته لشيخه في قوله عقب حديث معاذ في الدعاء دبر الصلاة : (ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده ، وكان شيخنا يرجح أن يكون قبل السلام فراجعته فيه ، فقال : دبر كل شيء منه كدبر الحيوان) .

ويحسن بنا أن ننقل نص كلامه ، لنكون على بينة من مذهبه في المسألة ، وحتى لا ينسب إليه رحمه الله ما لم يرده ، قال في زاد المعاد في هديه صلى الله عليه وسلم في الصلاة : (وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديه صلى الله عليه وسلم أصلا ، ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن ، وأما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه ، ولا أرشد إليه أمته ، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما . والله أعلم .

وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها ، وهذا هو اللائق بحال المصلي ، فإنه مقبل على ربه يناجيه ما دام في الصلاة ، فإذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة ، وزال ذلك الموقف بين يديه ، والقرب منه ، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه والإقبال عليه ، ثم يسأل إذا انصرف عنه ، ولا ريب أن عكس هذا الحال هو الأولى بالمصلي ، إلا أن هاهنا نكتة لطيفة ، وهو أن المصلي إذا فرغ من صلاته ، وذكر الله وهلله ، وسبحه ، وحمده ، وكبره بالأذكار المشروعة عقيب الصلاة ، استحب له أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ويدعو بما شاء ، ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية لا لكونه دبر الصلاة ، فإن كل من ذكر الله وحمده وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم استحب له الدعاء عقيب ذلك كما في حديث فضالة بن عبيد : إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قال الترمذي : حديث صحيح .

هذا نص كلامه ، وهو واضح لا يحتاج إلى زيادة توضيح ، غير أنا نود أن نلخصه في النقاط الآتية :

١- دعاء الإمام وهو مستقبل القبلة أو مستقبل المأمومين ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- أن هذا الدعاء على هذا الوجه لم يرو بسند صحيح ولا حسن .

٣- أن تخصيص هذا الدعاء بصلاة الفجر والعصر استحسان من بعض العلماء .

٤- الدليل العقلي وهو أن اللائق بالمصلي أن يدعو في الصلاة لا بعدها ، وهو عين ما قاله الإمام ابن تيمية .

٥- استحبابه للمصلي أن يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الأذكار المشروعة ثم يدعو بما شاء .

٦- هذا الدعاء مشروع أو مستحب ، لا لكونه واقعا في دبر الصلاة ، بل لأنه واقع بعد تمجيد الله وذكره والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أنا نراه بعد صفحات قلائل يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو إذا سلم من الصلاة ، وذكر بعض أدعيته ، مثل حديث معاذ : اللهم أعني على ذكرك وحديث علي بن أبي طالب كان إذا سلم من الصلاة قال : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت . قال بعده : " هذه قطعة من حديث علي الطويل الذي رواه مسلم في استفتاحه عليه الصلاة والسلام ، وما كان يقوله في ركوعه ، سجوده ، ولمسلم فيه لفظان : أحدهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوله بين التشهد والتسليم ، وهذا هو الصواب . والثاني : كان يقوله بعد السلام ، ولعله كان يقوله في الموضعين . والله أعلم " .

وقال عقيب إيراده لحديث معاذ حين أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوم في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده ، وكان شيخنا يرجح أن يكون قبل السلام فراجعته فيه فقال : (دبر كل شيء منه كدبر الحيوان) .

ويبدو والله أعلم أن الإمام ابن القيم قد نقض قوله السابق بعدم مسنونية الدعاء بعد الصلاة ، أو كاد ، فقد ذكر هذا الكلام الأخير في فصل عقده لبيان ما كان صلى الله عليه

وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة ، وجلوسه بعدها ، وسرعة الانتقال منها ، وما شرعه لأمته من الأذكار والقراءة .

ويدلك على ذلك أيضا قوله في حديث علي بن أبي طالب :إن مسلما رواه بلفظين أحدهما أنه كان يقوله قبل السلام ، والآخر أنه كان يقوله بعد السلام ، ومع أنه رجح الأول إلا أنه جوز أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوله في الموضعين ، وكذلك تفسيره لدبر الصلاة بأنه يعني ما قبل السلام وما بعده ، وذكره لحديث معاذ وغيره .

كل ذلك يدل على أن رأيه في المسألة متجاذب بين متابعته لشيخه ، وبين نظره إلى الأحاديث ، مما حدا به إلى التوفيق بين قول شيخه الإمام ، ودلالات الحديث التي ذكرها في الزاد ، وعقد له فصلا في بيان ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من صلاته والتجاذب الذي كان ابن القيم رحمه الله واقعا تحت تأثيره يشير إليه ، ويوحي به قوله رحمه الله (ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده ، وكان شيخنا يرجح أن يكون قبل السلام ، فراجعته فيه ، فقال : (دبر كل شيء منه كدبر الحيوان) .

وإذن فقد كان ابن القيم يراجع شيخه في تفسيره لمدلول (دبر الصلاة) " والمراجعة تعني ولا شك أنه كان يرى رأيا غير رأي شيخه ، وأنه كان يناقشه فيه ؟ ولذلك جاء بتلك (النكتة اللطيفة) في تجويزه بل استحبابه لدعاء المصلي بعد أن يفرغ من صلاته ، وأذكاره المشروعة ، وقوله : إن هذا الدعاء المستحب ليس لكونه واقعا دبر الصلاة ، ولكن لكونه بعد الأذكار المشروعة ، والصلاة والسلام على رسول الله .

ومع ذلك فقد فهم منه بعض الناس أنه يمنع من الدعاء بعد الصلاة مطلقا ، قال ابن حجر : (وفهم كثير ممن لقيناه من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا ، وليس كذلك ، فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال القبلة وإيراده بعد السلام ، أما إذا انفتل بوجهه وقدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ) .

وبعد هذا العرض لمذهب شيخ الإسلام وتلميذه ، نشرع بحول الله وقوته وتوفيقه وهدايته في النظر فيما ذهبا إليه ، ودراسة ما أورداه من الحجج التي استندا إليها في مذهبهما .

فأما ما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله من منع الدعاء الجماعي من الإمام والمأمومين فحق لا ريب فيه ، ولا مناقشة في هذا ، لأنه كما قال شيخ الإسلام : لم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء من هذا ، ولو كان هناك شيء منه لنقل .

وأما قوله وقول ابن القيم رحمهما الله تعالى : أن المشروع بعد الصلاة الذكر المشروع من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير فهذا أيضا حق واضح ، وشرع بين ، وسنة متواترة . ولكنه لا يمنع من الدعاء بعد الصلاة .

والمناقشة إنما هي في قول شيخ الإسلام وقول ابن القيم : أن الدعاء بعد السلام ليس بمشروع ، بناء على أن ذلك لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن ما ورد عنه من الدعاء دبر الصلاة معناه قبل السلام منها ، وأن اللائق بحال المصلي أن يدعو في الصلاة لا خارجها .

فأما قولهما : إن ذلك لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم . فيرده ما أورده ابن القيم من بعض الأحاديث ، وما سنذكره إن شاء الله في المبحث الخاص بذلك .

وأما قول شيخ الإسلام : إن (دبر الصلاة) يراد به آخر جزء منها قبل السلام . فيرده ما جاء من الحديث من تفسير لدبر الصلاة بما بعد السلام منها ، وما ورد من الحديث أيضا بقراءة المعوذات دبر الصلاة ، بما بعد السلام منها ، وما ورد من الحديث أيضا بقراءة المعوذات دبر الصلاة ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض صحابته بذلك ، ومعلوم أن جلوس التشهد ليس محلا للقراءة ، وإنما هو للدعاء والصلاة والسلام على رسول الله بالمأثور من ذلك ، فوجب أن يحمل ذلك على ما بعد السلام .

وقد ذكرنا في المبحث السادس أن (دبر الصلاة) يراد به ما قبلها وما بعدها ، وهذا ما رجحه ابن القيم ونقلنا قوله في ذلك ، وجوزه أيضا شيخ الإسلام في ثنايا كلامه ونقلناه أيضا .

قال الحافظ ابن حجر : " فإن قيل المراد بـ " دبر الصلاة " قرب آخرها وهو التشهد ، قلنا : ورد الأمر بالذكر دبر الصلاة ، والمراد به بعد السلام إجماعا ، فكذا هذا حتى يثبت ما

يخالفه) ، واحتج الحافظ أيضا بحديث : ذهب أهل الدثور وأن فيه : تسبحون دبر كل صلاة وهو بعد السلام جزما ، فكذلك ما شابهه .

على أنه قد جاءت أحاديث صريحة في دعائه عليه السلام بعد الصلاة بلفظ : كان إذا سلم من الصلاة أو إذا فرغ من صلاته أو نحو ذلك ، فتكون هذه الأحاديث مفسرة للفظ المجمل المختلف حوله .

وأما الدليل العقلي الذي استدل به ، أو استأنس به شيخ الإسلام وتلميذه وهو : أن المصلي قريب من ربه في صلاته ، والمناسب الدعاء حال قربة وإقباله على ربه .

فالجواب : أننا نسلم بذلك ، والصلاة كلها محل للدعاء ، بل هي كلها دعاء إذا نظرنا إلى الاشتقاق اللغوي ، لكن لم لا ينظر إلى الصلاة على أنها قربة ووسيلة إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا قضاها العبد وأداها توسل بها إلى مولاه وتقرب بها إليه سبحانه وطلب حاجته من الله بعدها .

ولم يمنع أحد من الدعاء قبل السلام ، ومن المواضع الأخرى في الصلاة كالركوع والسجود والقيام وغيرها ، حتى يقال : إن المناسب الدعاء في الصلاة لا خارجها : بل إنا نقول : يدعو في الصلاة ويدعو خارجها بعد الفراغ منها بناء على دلالة الأحاديث ، واستئناسا بالنظر الاعتباري ، الذي يجعل الصلاة وسيلة صالحة يدعو فيها العبد ربه ، فإذا فرغ منها جعلها وسيلة صالحة تقوم بين يدي حاجته من ربه وسؤاله إياه .

ثم إن مما يستدل به على مشروعية الدعاء بعد الصلاة – فريضة أو نافلة – أنه ليس هناك وقت محدد من الشارع للدعاء يجوز فيه ، ووقت لا يجوز فيه كالصلاة ، بل الدعاء عبادة مشروعة في كل وقت ، ومن منع منه في حال أو زمان أو مكان يحتاج إلى إثبات ذلك بالدليل الصحيح الصريح ، فمن يدعو بعد الصلاة أقل أحواله أن يكون متمسكا هذا الأصل ، وهو مشروعية الدعاء في كل وقت ، فكيف إذا جاءت بالأمر به والحث عليه أحاديث ، ولو كانت مجملة الدلالة على فرض ذلك ، والواقع أن هذه الأحاديث ، لا إجمال فيها ، بل بينتها أحاديث أخرى ، كما سبق بيانه . والله أعلم .

وقد ذكر المحدثون في كتبهم أحاديث الدعاء بعد المكتوبة وبوبوا لها الأبواب الدالة على مشروعية ذلك ، فها هو الإمام البخاري يعقد بابا لذلك في صحيحه : باب الدعاء بعد الصلاة ، وباب الذكر بعد الصلاة ، ومسلم يعقد بابا لاستحباب الذكر بعد الصلاة ، وأبو داود يعنون ذلك بقوله : باب ما يقول الرجل إذا سلم ، والترمذي عنده : باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وتعوذه دبر كل صلاة ، والنسائي : باب التعوذ في دبر الصلاة ، الذكر والدعاء بعد التسليم والدعاء عند الانصراف من الصلاة ، وابن ماجه : باب ما يقال بعد التسليم ، وابن أبي شيبة : باب ما يقال في دبر الصلوات . وعبد الرزاق : باب التسبيح والقول وراء الصلاة ، وابن حبان : ذكر الاستحباب للمرء أن يستعين بالله عز وجل على ذكره وشكره وحسن عبادته عقيب الصلوات المفروضات ، وابن خزيمة : باب جامع الدعاء بعد السلام في دبر الصلاة ، والحاكم : باب الدعاء بعد الصلاة . وكذلك المصنفون في الأدعية كابن السني وغيره ، وذكر أبو بكر الطرطوشي في كتابه : (الدعاء المأثور وآدابه) باب الدعاء في أثر الصلاة . وما مضى ذكره إنما هو للتمثيل لا للحصر .

تنبيه :

القول بمشروعية الدعاء أدبار الصلوات ، لا يعني به الذكر أو الدعاء الجماعي من الإمام والمأمومين ، كما هو واقع في بعض البلدان الإسلامية ، فإن هذا ليس له أصل من عمل النبي صلى الله عليه وسلم وهديه ، وقد سبق قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك .

لكن لو فعله الإمام على سبيل التعليم في بعض الأحيان ، لكي يعرف المأمومون الأذكار المشروعة بعد الصلاة ، المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالذي يظهر والله أعلم أنه لا بأس بذلك إن شاء الله ، وقد سئلت لجنة الفتوى في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية عن (إمام يرفع يديه بعد الصلوات المكتوبة والمأمومون كذلك ، يدعو الإمام والمأمومون يؤمنون على دعائه) فأجابت بما نصه :(العبادات مبنية على التوقيف ، فلا يجوز أن يقال : هذه العبادات مشروعة من جهة أصلها أو عددها أو هيئتها ، أو مكانها إلا بدليل شرعي يدل على ذلك ولا نعلم سنة في ذلك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا من قوله ،

ولا من فعله ، ولا من تقريره) .

وسئلت عن : حكم الدعاء بعد الصلاة جماعة فأجابت : (الدعاء عبادة ، ولكن لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن خلفائه الراشدين وسائر الصحابة رضي الله عنهم ، أنهم دعوا جماعة بعد الصلاة ، فكان اجتماع المصلين بعد السلام من الصلاة للدعاء جماعة ، بدعة محدثة)[1].

س٦٣: لماذا كان الدعاء هو العبادة ؟.

ج٦٣ : عن النعمان بن بشير، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠))[2] ،[3].

والدعاء نوعان :

١- دعاء مسألة وطلب : بأن يسأل الله تعالى ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ودفع ما يضره في الدنيا والآخرة .

٢- دعاء العبادة ، والمراد به أن يكون الإنسان عابداً لله تعالى ، بأي نوع من أنواع العبادات ، القلبية أو البدنية أو المالية .

والغالب أن كلمة (الدعاء) الواردة في آيات القرآن الكريم يراد بها المعنيان معاً ؛ لأنهما متلازمان ، فكل سائل يسأل الله بلسانه فهو عابد له ، فإن الدعاء عبادة ، وكل عابد يصلي لله أو يصوم أو يحج فهو يفعل ذلك يرد من الله تعالى الثواب والفوز بالجنة والنجاة من العقاب

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله :(كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء ، والنهي عن دعاء غير الله ، والثناء على الداعين ، يتناول دعاء المسألة ، ودعاء العبادة)[4]،

---

(١) (الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، اللغة العربية، مجلة البحوث الإسلامية بإشراف و مسؤولية الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ، العدد الخامس والستون من الإصدار : من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٢هـ ١٤٢٣هـ ، البحوث ، الدعاء بعد المكتوبة على ضوء السنة المطهرة ، المبحث السابع في حجة من منع من الدعاء بعد الصلاة المكتوبة)من ١٩ ـ ٣٥ .

(٢) سورة غافر .

(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٨٣٥٢ ، وعند الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم ٧١٤ .

(٤) الشيخ السعدي ، القواعد الحسان ، رقم ٥١ .

وقد يكون أحد نوعي الدعاء أظهر قصدا من النوع الآخر في بعض الآيات .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قول الله عزّ وجلّ : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦))[(١)] :(هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعَيِ الدُّعاء : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة : فإنّ الدُّعاء في القرآن يراد به هذا تارةً وهذا تارةً ، ويراد به مجموعهما ؛ وهما متلازمان ؛ فإنّ دعاء المسألة : هو طلب ما ينفع الدّاعي ، وطلب كشف ما يضره ودفعِه .

فهو يدعو للنفع والضرِّ دعاءَ المسألة ، ويدعو خوفاً ورجاءً دعاءَ العبادة ؛ فعُلم أنَّ النَّوعين متلازمان ؛ فكل دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاءِ المسألة ، وكل دعاءِ مسألةٍ متضمنٌ لدعاءِ العبادة ، وعلى هذا فقوله : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فإنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إِذَا دَعَانِ) يتناول نوعي الدُّعاء ... وبكل منهما فُسِّرت الآية . قيل : أُعطيه إذا سألني ، وقيل : أُثيبه إذا عبدني ، والقولان متلازمان .

وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما ، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ؛ بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً .

فتأمّله ؛ فإنّه موضوعٌ عظيمُ النّفع ، وقلَّ ما يُفطن له ، وأكثر آيات القرآن دالَّةٌ على معنيين فصاعداً ، فهي من هذا القبيل .

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ).. (٧٧))[(٢)] أي : دعاؤكم إياه ، وقيل : دعاؤه إياكم إلى عبادته ، فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول ، ومحل الأول مضافاً إلى الفاعل ، وهو الأرجح من القولين .

وعلى هذا ؛ فالمراد به نوعا الدُّعاء ؛ وهو في دعاء العبادة أَظهر ؛ أَي : ما يعبأُ بكم

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الفرقان .

لولا أنّكم تَرْجُونَه ، وعبادته تستلزم مسألَته ؛ فالنّوعان داخلان فيه .

ومن ذلك قوله تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ.. (٧٠))[١]. ، فالدُّعاء يتضمن النّوعين ، وهو في دعاء العبادة أظهر ؛ ولهذا أعقبه (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) الآية ، ويفسَّر الدُّعاء في الآية بهذا وهذا .

وروى الترمذي عن النّعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول على المنبر : إنَّ الدُّعاء هو العبادة ، ثمّ قرأ قوله تعالى : (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[٢] .

وأمَّا قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ... (٧٣))[٣] ، وقوله : (إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا... (١١٧))[٤] ، وقوله : (وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ.... (٤٨))[٥] ، وكل موضعٍ ذكر فيه دعاءُ المشركين لأوثانهم ، فالمراد به دعاءُ العبادة المتضمن دعاءَ المسألة ، فهو في دعاء العبادة أظهر ، وقوله تعالى : (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... (٦٥))[٦] ، هو دعاء العبادة : اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته لا تعبدوا معه غيره .

وأمَّا قول إبراهيم عليه السّلام : (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاء(٣٩))[٦]، فالمراد بالسمع هنا السمع الخاص وهو سمع الأجابة والقبول لا السمع العام لأنه سميع لكل مسموع وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب وسمع الرب تبارك وتعالى له إثابته على الثناء وأجابته للطلب فهو سميع لهذا وهذا. .

---

(١) سورة غافر .
(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٩٦٩ ، قال الترمذي : حديث حسنٌ صحيحٌ .
(٣) سورة الحج .
(٤) سورة النساء .
(٥) سورة فصلت
(٦) سورة غافر .
(٧) سورة إبراهيم .

وأمَّا قولُ زكريا عليه السّلام : (ولم أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(٤))[١] ، فقد قيل : إنَّه دعاءُ لسّمع الخاص ، وهو سمعُ الإجابة والقبول ، لا السّمع العام ؛ لأنَّه سميعٌ لكل مسموعٍ ، وإذا كان كذلك ؛ فالدُّعاء : دعاء العبادة ودعاء المسألة ، والمعنى : أنَّك عودتَّني إجابتَك ، ولم تشقني بالرد والحرمان ، فهو توسلٌ إليه سبحانه وتعالى بما سلف من إجابته وإحسانه ، وهذا ظاهرٌ ههنا ، وأمَّا قوله تعالى : (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ... (١١٠))[٢] ؛ فهذا الدُّعاء : المشهور أنَّه دعاءُ المسألة ، وهو سببُ النّزول ، قالوا : (أَنَّ المشركين سمعوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ يدعو يا اللهُ يا رحمنُ فقالوا كان محمدٌ يأمُرنا بدعاءِ إلهٍ واحدٍ وهو يدعو إلهيْنِ فنزلت هذه الآية)[٣] ، وأمَّا قوله : (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨))[٤] ، فهذا دعاءُ العبادة المتضمن للسؤال رغبةً ورهبةً ، والمعنى: إنَّا كنَّا نخلص له العبادة ؛ وبهذا استحقُّوا أنْ وقاهم الله عذابَ السّموم ، لا بمجرد السّؤال المشترك بين النّاجي وغيره : فإنّه سبحانه يسأله من في السّموات والأرض ، (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا... (١٩))[٥] ، أي : لن نعبد غيره ، وكذا قوله : (أَتَدْعُونَ بَعْلاً.... (١٢٥))[٦] ، وأمَّا قوله : (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ... (٦٤))[٧] ، فهذا دعاءُ المسألة ، يبكتهم الله ويخزيهم يوم القيامة بآرائهم ؛ أنَّ شركاءَهم لا يستجيبون لهم دعوتَهم ، وليس المراد : اعبدوهم ، وهو نظير قوله تعالى : (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فلمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ... (٨))[٨] ، [٩]، [١٠].

---

(١) سورة مريم .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، جج١٣ ، ص ٣٧٢ وقال إسناده ضعيف .
(٤) سورة الطور .
(٥) سورة الكهف .
(٦) سورة الصافات .
(٧) سورة القصص .
(٨) سورة الكهف .
(٩) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٥ و ص ١٠ – ١٤ . وانظر أمثلة أخرى في "بدائع الفوائد" لابن القيم (٥١٣/٣-٥٢٧)
(١٠)الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال و جواب ، رقم السؤال ١١٣١٧٧ في ١٠ / ٣ / ٢٠٠٨ .

قال الطيبي في شرح المشكاة : (أتى بضمير الفصل، والخبر المعرف باللام، ليدل علي الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء)[1] .

وقال ابن رجب في فتح الباري : (اعلم أن أصل الدعاء في اللغة: الطلب، فهو استدعاء لما يطلبه الداعي ويؤثر حصوله، فتارة يكون الدعاء بالسؤال من الله عز وجل والابتهال إليه، كقول الداعي: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، وتارة يكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب، وهو الاشتغال بطاعة الله وذكره، وما يحب من عبده أن يفعله، وهذا هو حقيقة الإيمان) ، وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ(٦٠))[2] ، فما استجلب العبد من الله ما يحب، واستدفع منه ما يكره؛ بأعظم من اشتغاله بطاعة الله وعبادته وذكره وهو حقيقة الإيمان، فإن الله يدفع عن الذين آمنوا)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: (التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها، كدعاء الثلاثة الذين آووا إلى الغار بأعمالهم الصالحة، وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه، بل هذا من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ.. (٣٥))[4] وقوله سبحانه :(أولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ...(٥٧))[5] ، فإن ابتغاء الوسيلة إليه، هو: طلب من يتوسل به، أي يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه، سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر، أو كان على وجه السؤال له، والاستعاذة به ، رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار.

---

(١) الطيبي ، تخريج المشكاة ، ج٥ ، ص ١٧٠٨ .
(٢) سورة غافر .
(٣) ابن رجب ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٢٠ .
(٤) سورة المائدة .
(٥) سورة الإسراء .

ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا، الدعاء بمعنى العبادة، أو الدعاء بمعنى المسألة، وإن كان كل منهما يستلزم الآخر، لكن العبد قد تنزل به النازلة ، فيكون مقصوده طلب حاجته، وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، وإن كان ذلك من العبادة والطاعة، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب: من الرزق والنصر والعافية مطلقا، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل ومعرفته ومحبته، والتنعم بذكره ودعائه، ما يكون هو أحب إليه، وأعظم قدرا عنده من تلك الحاجة التي همَّتْه ، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية.

وقد يفعل العبد ما أمر به ابتداء لأجل العبادة لله، والطاعة له، ولما عنده من محبته والإنابة إليه، وخشيته، وامتثال أمره، وإن كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية، وقد قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...(٦٠))(١) ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره: الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...(٦٠))(٤)، وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين: (ادعوني) أي اعبدوني وأطيعوا أمري؛ أستجيب دعاءكم. وقيل: سلوني أعطكم، وكلا المعنيين حق(٢)، (٣).

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيـل ..... فلن يخيب لنا فـــي ربنا أمل

الله في كل خطب حسـبنا وكفى .... إليه نرفع شــكوانا ونبتهل

من ذا نلوذ به في كشـف كربتنا .... ..ومن عليه سوى الرحـــمن يتكل

كم أنقـــذ الله مضطرا برحمته ....وكم أنال ذوي الآمال مــا أملوا

فأنت أكرم من يدعى وأرحـــم من ....يرجى وأمرك فيــما شئت ممتثل

---

(١) سورة غافر .
(٢) سورة غافر .
(٣) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٣ و ص ٣١٢ – ٣١٣ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب، قم السؤال ٣٢٠٧٧٢ ، في ١٨ / ١ / ٢٠٢٠ م.

س٦٤: لماذا أمر الله تعالى المسلم بالوصية قبل موته ؟.

ج٦٤ : يقول أ. د. عبدالله بن محمد الطيار عضو الإفتاء بمنطقة القصيم والأستاذ بجامعة القصيم: تعريف الوصية في اللغة: (مأخوذة من وصيت الشيء إذا وصلته سميت بذلك لأنها وصل لما كان في الحياة بعد الموت)[١].

أما في الشرع: فقد اختلفت عبارات الفقهاء فيها:

١- قال بعض العلماء : الوصية هي هبة الإنسان غيره عيناً أو ديناً أو منفعة على أن يملك الموصى له الهبة بعد الموت)[٢] ، أو بعبارة أخرى:-هي التبرع بالمال بعد الموت.

٢- هناك أقوال أخرى في تعريفها وإن كانت كلها تؤدي إلى معنى واحد هذا المعنى يتمثل في كونها(تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريقة التبرع)[٣] .

ومن هذا التعريف يتبين لنا الفرق بين الوصية والهبة:

١- التمليك المستفاد من الهبة يثبت في الحال أما التمليك المستفاد من الوصية فلا يثبت إلا بعد الموت.

٢- أن الهبة لا تكون إلا بالعين. والوصية تكون بالعين وبالدين وبالمنفعة.

دليل مشروعية الوصية من القرآن الكريم :

جاءت نصوص الكتاب والسنة على مشروعية الوصية وعلى مشروعيتها انعقد إجماع الأمة:

أما دليل الكتاب: فقول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠))[٤]، وقوله تعالى : (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ...(١١))[٥] . وقال تعالى أيضاً :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ.. (١٠٦))[٦].

---

(١) ابن منظور و لسان العرب ، ج١٥ ، ص ٣٤٩ ، وانظر المصباح المنير ، ص٦٦٢.
(٢) البهوتي ، كشاف القناع ، ج٤ ، ص ٣٣٥ .
(٣) ابن عابدين ، حاشية ابن عابدين ، ج٦ ، ص ٦٤٨ .
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة النساء .
(٦) سورة المائدة

دليل مشروعيتها من السنة:

ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندي وصيتي)[1].

دليل مشروعيتها من الإجماع:

فقد نقل ابن قدامة في المغني الإجماع على جواز الوصية حيث قال.(وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية)[2].

الحكمة من مشروعية الوصية :

مما ينبغي التنبيه عليه أن الله تعالى حينما تعبدنا بما أمرنا به فقد يبين لنا الحكمة من هذا الأمر أو هذا النهي وهذا موجود في كتاب الله تعالى كثير وقد لا يبين الحكمة في بعض الأوامر أو في بعض المنهيات لكن ليس معنى ذلك أننا نتوقف في فعل ما أمرنا به لعدم بيان الحكمة بل نقوم بفعله وإن لم تظهر لنا الحكمة من تشري ، ولما كانت الوصية من هذا النوع الأخير التي لم تأت نصوص الكتاب والسنة في بيان الحكمة من تشريعها أحببت أن أنبه على هذا الجانب فلو لم تظهر للبعض الحكمة من تشريعها فإن التشريع لها باقٍ مع العلم بأنه من نظر بعين البصيرة والفقه في الوصية وجد الكثير منالحكمة في تشريعها ، فمن هذه الجوانب:-

١- قال الله تعالى عن يعقوب عليه السلام:(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ(١٣٣))[3]، .فهذه وصية من يعقوب لأبنائه بالتمسك بعبادة الله وحده لا شريك له فهذه وصية جامعة للموصي والموصى إليه بل هي من

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص ١٨٦، وعند الإمام مسلم ج ٣ ، ص ١٢٤٩ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ،ص ٣٩٠ .
(٣) سورة البقرة .

أنفع الوصايا على الإطلاق وللأسف غفل الكثير عن هذه الوصية ونظروا لما هو دونها في النفع فهي وصية الأولين والآخرين لأبنائهم وأتباعهم بل هي وصية رب العالمين لعباده ، فمما ينبغي التفطن له أن يوصي أحدنا أولاده إذا حضرته الوفاة بما وصى به يعقوب أولاده لكي يثبتوا عليه حتى يلقوا ربهم سبحانه وتعالى.

٢- ومن الحكمة في تشريعها أنها تبرأ بها ذمة الموصي مما يحدث بعد موته وبخاصة إذا كان في أماكن يكثر فيها الجهل بعقيدة التوحيد فالموصي يوصي أولاده مثلاً وكذا أقاربه ببراءته من الحالقة والشاقة واللاطمة وكذا براءته من دعوى الجاهلية الممقوتة فإذا وصى الموصي بعدم شق الجيوب ولطم الخدود وحلق الرؤوس وغيرها من الأمور المنهية شرعاً فإنه ينجو من عذاب القبر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)[1] والمراد بالبكاء هنا هو المصحوب بما ذكرناه آنفاً فإذا وصى بعدم هذه الأشياء وبراءته منها نجا بلا شك من عذاب القبر..

٣- ومن حكمها أنها عمل ينتفع به الميت بعد موته فلو أن أحد الموصين أوصى بعمل خيري دائم النفع فهذا بلا شك ينتفع به الميت فهو رصيد دائم يزيد له في حسناته بعد مماته. قال صلى الله عليه وسلم :(إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له)[2].

٤- ومن حكمها أنها أبرأ للذمة وعدم انشغالها بالديون التي على الموصي وفيها الحفاظ على مال الدائن وبراءة ذمة المدين وبهذا تظهر الحكمة بأن حقوق الآدميين محفوظة حتى وإن مات من عليه الدين .

٥- ومن حكمها أنها حماية للأموال ورعاية للقصر فلو أن رجلاً مات وترك ثروة مالية للورثة وبين هؤلاء الورثة قُصّر لا يحسنون التصرف في أموالهم وقد أوصى هذا الرجل بأن يكون زيد من الناس وصياً على أولاده فإن هذا الوصي يقوم مقام والدهم

---

(١) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج١ ، ص ١٦٠ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٣١ .

فيحافظ على هؤلاء القصر ويحافظ على أموالهم.

٦- ثم إنها صدقة تصدق الله بها على الموصي بعد وفاته فينبغي إذا كان صاحب مال ألا يحرم نفسه من الخير.

حكم الوصية (أنواع الوصية):

يدور حكم الوصية بين الإيجاب والاستحباب والكراهة والتحريم.

١- **الوصية الواجبة**: تجب الوصية إذا كان على الإنسان دين لا بينة به أي أنه يكون مديناً ولا أحد يعلم إلا الله والموصي وصاحب الدين هنا تجب الوصية لأن وفاء الدين واجب ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ، كذا تجب الوصية للأقربين الذين ليس لهم حق في الإرث وكانوا فقراء والموصي غني فهنا تجب عليه الوصية لهؤلاء الأقارب ، ودليل ذلك قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠))[١] .

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لهذه الآية: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ) أي فرض الله عليكم يا معشر المؤمنين (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أي أسبابه كالمرض المشرف على الهلاك وحضور أسباب المهالك وكان قد(تَرَكَ خَيْراً) وهو المال الكثير عرفاً فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف على قدر حاله من غير سرف ولا اقتصار على الأبعد دون الأقرب بل يرتبهم على القرب والحاجة ولهذا أتى بأفعل التفضيل ، وقوله(حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ) دل على وجوب ذلك لأن الحق هو الثابت وقد جعله الله من موجبات التقوى، واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل والأحسن في هذا أنه يقال أن هذه الوصية للوالدين

---

(١) سورة البقرة .

والأقربين مجمله ردها الله تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن الله تعالى قدر للوالدين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آية المواريث بعد أن كان مجملاً ، ويبقى الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما من حجب شخص أو وصف فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره ، وهذا القول تتفق عليه الأمة ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين لأن كلاً من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظاً واختلف المورد ، فهذا الجمع يحصل الاتفاق بين الآيات فإن أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح)[(١)] ، فالصحيح وجوب الوصية للأقارب غير الوارثين.

٢- الوصية المستحبة: ونعني بها الوصية المسنونة وهي التي كان فيها الموصي ذا مال وكذا ورثته أغنياء وكذا أقاربه لا حاجة لهم بالمال فهنا يستحب الوصية بما يراه الموصي نفعاً له بعد موته.

٣- الوصية المكروهة: وتكون هذه الوصية إذا كان مال الموصي قليلاً وورثته محتاجون لأنه في هذه الحالة ضيق على الورثة ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد رضي الله عنه : (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)[(٢)] .

٤- الوصية المحرمة: ونعني بها مالا تجوز ويأثم صاحبها وهي نوعان:

أ- ما زاد على الثلث لورود النهي عنه في حديث سعد رضى الله عنه المتقدم.

ب- إذا كانت لوارث.

فإن هذا معصية لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى بعد ذكر آيات المواريث: (وَمَنْ يَعْصِ اللهَّ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ(١٤))[(٣)] ، وقال صلى الله عليه وسلم : (لا وصية لوارث)[(٤)].

---

(١) ابن سعدي ، تفسير ابن سعدي ، ص ٢١٧ – ٢١٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٩ ، وعند الإمام مسلم ، ج٣ ، ص ١٢٥٠ .
(٣) سورة النساء .
(٤) الإمام أحمد ، المسند ، ج٥ ، ص ٢٦٧ ، وأبو داود (١١٤/٣) وصححه الألباني في الإرواء (٨٧/٦) .

٥- الوصية المباحة: وهي ماعدا ذلك من الوصايا المتقدمة كأن يكون الموصي ماله قليل وورثته غير محتاجين أو ماله كثير جداً وورثته محتاجون فهنا تباح الوصية.

حكم تنفيذ الوصية:

يغفل كثير ممن أوصي إليهم عن حكم تنفيذ ما أسند إليهم في الوصية وأحياناً لايبالون بها وهذا خطأ فحكم تنفيذ الوصية واجب يأثم الموصى إليه بعدم تنفيذها أو تأخيرها إن كانت محددة بوقت فعلى من كان وصياً على شيء أن ينتبه لهذا الحكم.

متى يشرع تنفيذها:

يشرع تنفيذ الوصية إذا مات الموصي فإن كانت هذه الوصية حالّة بمعنى أنها في أمر يكون بعد موته مباشرة فهنا يجب في الحال تنفيذها كأن يكون أوصى بعدم ارتكاب مخالفات شرعية عند موته فهنا يجب على الوصي القيام بما أوصي به وإن كانت في أمور مالية فهنا يشرع تنفيذها أيضاً بعد موت الموصي وعلى حسب ما تقتضيه الحاجة.

الإضرار بالوصية:

الإضرار بالوصية يكون من قبل الموصي ويكون من قبل الموصى إليه.

فالإضرار بها :

١- أن يوصي بأكثر من الثلث أو يوصي لغير الوارثين مع كونهم محتاجين وهذا على نحو ما ذكرناه في أحكام الوصية.

٢- تفضيل بعض الورثة على بعض .

٣- إخراج المال مضارة بالورثة ونحوه

أما الإضرار بالوصية من قبل الموصى إليه فيكون:

١- إهمال الوصية .

٢- عدم القيام بحقها.

٣- أن يتصرف فيها بما ليس فيه مصلحتها بل فيه إفساد لها .

٤- نقص منها ونحوه فهذا إضرار بالوصية.

أركان الوصية:

أولاً: الموصي: والمراد به صاحب الوصية:

الشروط المعتبرة في الموصي:

١- كونه أهلاً للتبرع أي كامل الأهلية ، وكمال الأهلية يكون بالعقل والبلوغ والحرية والاختيار وعدم الحجر لسفه أو غفلة ونحو ذلك مما هو معلوم في شروط الأهلية.

٢- كونه لم يعاين الموت فإن عاينه لم تصح لأنه لا قول له.

٣- كونه غير مدين ديناً يستغرق كل ماله فإن كان كذلك فإن الوصية لا تصح لأن سداد الديون مقدم على تنفيذ الوصية.

٤- كونه غير هازل ولا مكره ولا مخطئ.

٥- كونه غير معتقل اللسان فإذا طرأ على اللسان مرض منعه من النطق فإن وصيته لا تصح إلا بأمرين :

الأمر الأول: إذا استمر لسانه معتقلاً فترة طويلة بحيث يكون كالأخرس فهنا تصح وصيته بالإشارة والكتابة ونحو ذلك.

الأمر الثاني: أن يكون مريضاً مرضاً مزمناً في لسانه آيسٌ من شفائه فإنها تصح أيضاً وصيته بالإشارة المعهودة التي يخاطب بها الناس.

أما إذا كان مرضه مرضاً عارضاً وليس له إشارة معهودة ولا يستطيع الكتابة فإنها لا تصح وصيته.

تنبيهات حول الموصي:

١- تصح الوصية من الأخرس بإشاراته أو بكتابته فإننا نجد بعضهم يستطيع الكتابة والقراءة.

٢- السفيه وضعيف العقل والصغير المميز تصح منهم الوصية إذا كانت تشتمل على نفع لهم بلا ضرر.

الثاني: الموصى له: والمراد به من تعين له الوصية.

الشروط المعتبرة فيه:

١- أن لا يكون وارثاً للموصي ، لقوله صلى الله عليه وسلم(لا وصية لوارث) وفي رواية (إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث)[١] ، فإن خالف النص الموصي فأوصى لمن يرثه هل تصح هذه الوصية أم لا؟

٢- كون الموصى له معيناً فإن كان مجهول العين فلا تصح له الوصية ويكفي العلم بالوصف كقوله أوصي للمساكين والفقراء أو أوصي لفلان بن فلان

٣- كون الموصى له أهلاً للتملك ، فإن كان ممن لا يصح تملكه فلا تصح الوصية له. كالجني والبهيمة والميت ونحوه...

٤- كون الموصى له حياً غير ميت. فإن كان حياً حياة تقديرية كالجنين في بطن أمه فهل تصح له الوصية ، فالصحيح أنها تصح للحمل الذي تحقق وجوده قبل صدور الوصية أما إن كان غير موجود حينها كما لو قال أوصيت لحمل فلانة وهي لم تحمل بعد فلا تصح لأنها وصية لمعدوم ، فإن أوصى لحمل تحقق وجوده فنزل ميتاً بطلت الوصية.

لكن هناك سؤال قد يطرأ على البعض بماذا يتحقق وجود الحمل؟ الجواب: يتبين تحقق وجود الحمل إن ولد قبل تمام ستة أشهر من وقت الوصية لأن هذه الفترة أقل مدة تضع فيها المرأة حملها.

٥- كون الموصى له غير قاتل للموصي: فإذا أوصى شخص لآخر ثم قتله الموصى له بعد الوصية بطلت الوصية إن كان القتل عمداً قياساً على الميراث لقول قال الفقهاء : (من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه؟).أما إن أجازها الورثة فهل تصح ؟فالصحيح أنها لا تصح وعند الأحناف تصح ، أما إن كان قتل خطأ فإن أجازها الورثة جاز وإلا فلا.

---

(١) سبق تخريجه .

٦- قبول الموصى له الوصية: فإن لم يقبل بطلت فلو قال الموصي أوصيت لفلان بن فلان بكذا وقلنا هذه وصية من فلان لك فقال لا أريدها فهنا تبطل الوصية ويردها إلى الورثة ، فهل يشترط إسلام الموصي والموصى له ؟ نقول لا يشترط إسلام الموصي والموصى له، فتجوز الوصية من المسلم إلى الكافر بشرط كونه معيناً وأن لا يكون محارباً للمسلمين فإن كان مرتداً هل تصح له الوصية؟ قولان لأهل العلم: والصحيح أنها لا تصح له لأن ملكه غير مستقر ولا يرث ولا يورث ولكون ملكه يزول عن ماله بسبب ردته فلا يثبت له الملك بالوصية.

أما الوصية من الكافر للمسلم فإن كانت الوصية تصح من المسلم إلى الكافر فمن باب أولى صحتها من الكافر للمسلم.

الثالث: الموصى به : والمراد به: ما تحمله الوصية من قول أو كتابة أو ما يقوم مقامها:

ويشترط في الموصى به أمور:

١- كونه بعد موت الموصي فإن كان قبله فهو هبة وليس وصية.

٢- كونه قابلاً للتمليك ، فلو أوصى بشيء يزول ملك الموصى له عنه أو أوصى بشيء سوف يملكه فمات قبل ملكه له فلا تصح الوصية به ، لكن إن أوصى بما لا يقدر على تسليمه صحت الوصية به وللموصي السعي في تحصيله.

٣- كون الموصى به مباحاً ، فإن كان الموصى به غير مباح الانتفاع به فإنه لا يجوز للموصى له تنفيذه كما لو أوصى فلان بالتبرع بالمجلات الخليعة المفسدة للدين والدنيا وكذا لو أوصى بالتبرع باستراحات لزيد من الناس مع العلم أنه يستخدمها في معاصي الله وغيرها مما لا يجوز فإنه يحرم تنفيذ هذه الوصية المشتملة على معصية الله ورسوله.

لكن هل يلزم إنفاذها في أمور الطاعة؟ قيل إن الأمر يرجع فيه إلى الورثة والصحيح أن الأمر يرجع إلى الحاكم وذلك لاختلاف الأنظار فيها.

الرابع: الموصى إليه(النائب عن الوصي).

تعريفه: هو المأمور بالتصرف في الوصية بعد الموت وهو ما يسمى بالوكيل على الوصية أو بمعنى آخر الناظر على الوصية وغيرها.

الشروط المعتبرة فيه: (الموصى إليه):

١- التكليف: أي كونه مكلفاً أي بالغاً عاقلاً.

٢- الرشد: والمراد به إحسان التصرف أي كونه ممن يحسن التصرف فيما ينفعه وينفع غيره.

٣- الإسلام: فلا يصح في الموصى إليه كونه غير مسلم.

٤- العدالة: فإن كان مخروم العدالة فلا تصح نيابته عن الموصي ، والمراد بالعدالة هنا الاستقامة على الدين والمروءة.

أ- الاستقامة على الدين تتم بفعل المأمورات وترك المحرمات ، ففعل المأمورات المراد بها الواجبات الملزمة من الكتاب والسنة والمحرمات ما جاءت نصوص الكتاب والسنة بتحريمه فيدخل في ذلك الكبائر مطلقاً وكذا الإصرار على الصغائر كل ذلك قادح في العدالة أما فعل صغيرة واحدة فلا يقدح في العدالة.

ب- المراد بالمروءة: فهي فعل ما يجمل الإنسان ويزينه واجتناب ما يدنسه ويشينه.

تنبيهات على هذا الركن:

التنبيه الأول: يتم تحديد التصرف من قبل الموصى إليه بما أوصي إليه فقط فإذا أوصى إليه أن ينظر في المال فليس له أن يزوج البنات مثلاً وكذا إذا أوصى إليه بأن ينظر في الوقف الفلاني فلا يحق له أن ينظر في غيره.

التنبيه الثاني: في الموصى إليه ضرورة ، صورة هذا الأمر أن الميت لم يوصه بشيء لكن هو الذي تولى مال الميت بعد موته لأجل الضرورة ، ومثاله: إنسان سافر ومعه صاحب في سفره فأتت إليه المنية ففارق الدنيا ولم يوص فهذا الصاحب يتولى مال صاحبه الميت وجوباً ولا يمكن أن يتركه وماله بل عليه أن يغسله ويكفنه منه.

التنبيه الثالث: لا يجوز للموصى إليه عزل نفسه إذا كان في عزله ضرر على الوصية.

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله :

لكن يمكن أن يستثنى من ذلك حالة الخطورة والضرر من تخلية الوصية ، فإن بعض الأحيان تكون حالةٌ لو فقدت الوصيَّ شيئا قليلاً حصل الضرر الكثير فلعل هذه مستثناة لعلها تستثنى ، إن استثنيت فهو في محله[1].

وقد حدد بعض أهل العلم عزل الموصى إليه نفسه بشروط منها:

١- إذا لم يوجد هناك حاكمٌ لأن العزل فيه تضييع للأمانة وإبطال لحق المسلم.

٢- أن يتعذر تنفيذ الحاكم للموصى به لعدم ثبوته عنده أو لغيره من الأسباب.

٣- أن يعرف الموصى إليه ظلم الحاكم وعدم مبالاته بأوقاف المسلمين ووصاياهم.

٤- أن يخاف الموصى إليه أن يُسند الحاكم الوصية إلى غير أهل[2].

مبطلات الوصية :.

تبطل الوصية بعدم استيفاءها الشروط المعتبرة في أركانها ، لكن أظهر ما يبطلها ثلاثة أمور:

١- موت الموصى له ، وذلك لأن الوصية حقه فإن مات قبل الموصي بطلت الوصية.

٢- قتل الموصى له الموصي ، لأنه كما ذكرنا أن القتل يمنع الوصية فلو قلنا بعدم بطلان الوصية بالقتل لفتحنا باب شر عظيم فكل موصى له إذا أبطأ عليه موت الموصي قد يقتله ليأخذ الوصية.

٣- تلف الموصى به: فمتى تلف الموصى به بطلت الوصية فلو أوصى الميت لزيد بمال أو سيارة مثلاً فتلفت باحتراق أو غيره فإن الوصية تبطل.

٤- رد الموصى له الوصية كما ذكرنا ذلك.

٥- إنكار الموصي للوصية وجحودها، فمتى أنكر الموصي أنه أوصى لزيد بكذا فإنها تبطل لكونه لا يريد إيصالها له.

---

(١) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم ، ج٩ ، ص ٢٤٣ .

(٢) الدكتور صالح بن عبد الرحمن الأطرم، الوصية ، ص ١٣٥ .

الأمور المعتبرة في إثبات الوصية :

أولاً: الكتابة: دليل ذلك الحديث :(ماحق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده)[1].

فإذا كتب الموصي وصيته بقلمه وتحقق أنه قلمه وخطه فإن هذا يكفي في ثبوت الوصية ولو لم يشهد لكن هل يلزم أن تكون الوصية مختومة بخاتم الوصي أو هل يلزم الإمضاء عليها؟ أما الختم عليها فهذا لابأس به فإن وجد فهو زيادة في التوثيق لكن كونه لازم الوجود فهذا لا نقول به لأن الخط أبلغ وأوكد وبخاصة إذا كان الورثة يعلمون خط الموصي فإن إقرارهم بخطه كاف في ثبوت الوصية أما كون الختم لا يلزم من ثبوته ثبوت الوصية وذلك **لأمرين:**

الأمر الأول: أن الختم قد يزور عليه.

الأمر الثاني: أن الختم يمكن فيه التغيير والتصوير ، وهذا مما نشاهده كثيراً ونسمع عنه أكثر.

أما الإمضاء فهذا العمل به أعجب من سابقه بل هو غريب وعجيب في الاكتفاء به فإنه مما هو معلوم لدى الجميع أن الإمضاءات قد تتشابه بل يمكن تزويرها بعد الممارسة وهذا أيضاً مشاهد فالمعمول به في الوصية هو الخط ولهذا نجد أن أهل العلم إذا جاءت إليهم وصية لا يبحثون إلا على الخط.

لكن هناك أمر لا يمكن تجاهله وهو: أن عدم لزوم العمل بالوصية إذا كانت مختومة ليس على إطلاقه بل إذا كانت الوصية مختومة بخاتم الموصي وهناك قرائن أخرى حفت بها وانتفت قرائن العكس فيعمل بالختم عندئذٍ.

ثانياً: الإشهاد:

فإن كان الموصى أُمِيَّاً يجهل الكتابة فالمشروع في حقه الإشهاد على وصيته عند تعذر كتابتها من قبله أو من قبل غيره.

لكن إن تمكن من الجمع بين الكتابة والإشهاد على الوصية فهذا فيه خير لأن فيه زيادة

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص ١٧٦ ، والإمام مسلم ، ج٣ ، ص ١٢٤٩ .

توثيق وإثبات وهو لا يلزم كما ذكر آنفا إذا كان الخط معروفاً.

لكن كلامنا عن الإشهاد العاري عن الكتابة فهل هو كاف في ثبوت الوصية نقول نعم الإشهاد العاري عن الكتابة كاف في ثبوت الوصية ولذا عدّه أهل العلم مما تثبت به الوصية ، دليل ذلك قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ....(١٠٦))[١] .

فدلت الآية على مشروعية الإشهاد على الوصية ، لكن لابد من استيفاء الشروط التي جاءت الشريعة بها في الوصية المشهود عليها ، وهذه الشروط:

١- كون الشاهدين مسلمين فإن تعذر الحصول عليها فتكفي شهادة غيرهما من أهل الكتاب ، فإذا كان المسلم في سفر وحضره الموت ولا مسلمان عنده جاز له أن يُشْهِد على وصيته كافرين للضرورة.

٢- كونهما ذكرين ، أما شهادة المرأة فهي مقبولة في الوصية له وغير مقبولة في الوصية إليه.

٣- كونهما عدلين ، وهذا الشرط هو الذي اشترطه رب العالمين حرصاً منه سبحانه على المحافظة على أموال الناس ووصاياهم ، أما صفة العدالة فقد مرت بنا في الشروط المعتبرة في الموصى إليه فلتراجع.

ثالثاً: ومما تثبت به الوصية الإشارة: فإن كان الموصي عاجزاً عن الكلام لاعتلال في لسانه أو لخرس فإن إشارته كافية في ثبوت وصيته لكن بشرط كونها مفهومة.

حكم التغيير أو الرجوع في الوصية :

الوصية عقد من العقود الجائزة التي يصح للموصي أن يغير فيها ما يشاء أو أن يرجع فيها، فمتى أراد الموصي أن يرجع في وصيته أو أن يغير فيها شيئاً جاز له ذلك مادام على قيد الحياة مثل لو أوصى لبناء مسجد من ثلث ماله ثم رجع جاز ذلك فإن الوصية لا تلزم إلا عند

---

(١) سورة المائدة .

الموت ولا تلزم أيضاً إلا بالقبول إذا كان الموصى له معيناً أو محصوراً يملك فإذا كان كذلك فإنه يجوز أن يرجع فيها أو أن يبدل و يغير فيها ما شاء مادام على قيد الحياة.

المسائل العامة في الوصية:

المسألة الأولى: في حكم الوصية للوارث:

إن من شروط الموصى له أن لايكون وارثاً فإن كان وارثاً فهنا تصبح الوصية محرمة لكن هب أن هناك شخصاً أوصى لوارثه من ماله هل تثبت هذه الوصية في حق الموصى له أم أنها تبطل لكونها اشتملت على محرم.

نقول اختلف أهل العلم في هذه المسألة فذهب جمهور أهل العلم إلى إجازتها إذا سمح الورثة بذلك فإن سمح البعض بها ورفض الآخرون فهنا لا تصح ، وقال آخرون:-بل هي باطلة حتى وإن سمح الورثة بها ، لقوله صلى الله عليه وسلم :(لا وصية لوارث) فالنهي يدل على الفساد والبطلان فهي باطلة وإن أجازها الورثة والصحيح ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من صحتها بشرط إذن الورثة فإن أذنوا جاز له ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم :(لا وصية لوارث إلا أن يجيز الورثة)[1].

لكن نقول لكل صاحب وصية لا ينبغي له فعل ذلك حتى وإن أذن الورثة بذلك لما يترتب عليه من أضرار عظيمة لا يجهلها أحد ففيه إلقاء العداوة بين الورثة الذي ينتج عنه الحسد وقطيعة الرحم وغيرها من المشاكل المترتبة على هذا الخطأ فنصيحتي لكل عاقل موص أن لا يوصي لوارث خروجاً من الإثم ولما فيه من النفع العظيم للورثة.

المسألة الثانية: إذا أسقط الموصي عمن يرثه ديناً أو أوصى بقضاء ما عليه من ديون:

فهنا لا تصح أيضاً هذه الوصية لما فيها من النفع المحض للموصى له فلا يجوز للموصي أن يوصي بذلك إلا أن يجيزها الورثة ولكن إذا كان الورثة أغنياء وهذا الموصى له فقير لا يملك، وعليه دين فالأولى في حقهم إجازتها لما فيها من التعاون على البر ويؤجرون على ذلك

---

(١) البيهقي ، السنن الكبرى ، جج٦ ، ص ٢٦٤ .وقال عنه حديث ضعيف وقال عنه الألباني علته إسماعيل بن مسلم قال ابن حجر ضعيف الحديث.

ولكن نقول لا يلزمهم إجازتها لكن إن أجازوا فهي من تمام البر والصلة.

المسألة الثالثة: إن أوصى لابن بنته هل تصح الوصية:

ونقول إن الأمر مبناه على قصد الموصي ، فإن كان يريد بذلك نفع ابنته الوارثة فهذا لاشك أنه لا يجوز فيما بينه وبين ربه سبحانه وتعالى لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ...(١٨٢)﴾[١] ، قال بعض المفسرين في تفسيرها: أن يوصي لولد ابنته وهو يريد ابنته ، أما إن كان مريداً لابن ابنته فقط فهنا تصح ولا إثم عليه.

المسألة الرابعة: إن أوصى لغير وارث بأكثر من الثلث:

فهنا الأمر يرجع إلى الورثة بعد موت الموصي فإن أجازوها جازت وإن لم يجيزوا ردت إلى الثلث وهذا هو قول جميع العلماء.

المسألة الخامسة: إن أوصى قبل موته لغير وارثه بأكثر من الثلث فأجازها الورثة فلما توفي رجعوا فيما أجازوه هل يعتد بردهم؟:

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم فمنهم من قال بسقوط حقهم ماداموا أذنوا للموصي بذلك ومنهم من قال بأن لهم الرد ولا تلزمهم إجازتهم حال حياة الموصي لأن الأصل أنهم لا يملكون ذلك إلا بعد موت الموصي وهذا هو الصحيح وعليه جمهور أهل العلم فمتى أجاز الورثة لغير وارث بالزيادة عن الثلث أو أجازوا بالوصية لوارث حال حياة الموصي فلهم الرجوع فيها بعد مماته لكونهم قبل موته غير مالكين لها.

المسألة السادسة: إذا مات الموصى له قبل موت الموصي فما الحكم؟ .

هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم ، فمنهم من قال إنها تكون لولد الموصى له إذا كان حياً ومنهم من قال لا تصح الوصية في هذه الحالة، قال ابن قدامة رحمه الله: (ولنا أنها عطية صادفت المعطَى ميتاً فلم تصح)[٢].

---

(١) سورة البقرة .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٨ و ص ٤١٣ .

المسألة السابعة: أيهما أفضل للموصي أن يوصي بالثلث أم الأفضل أن يوصي بأقل من الثلث؟

الأفضل في حق الموصي أن يوصي بأقل من الثلث لقوله صلى الله عليه وسلم :(الثلث والثلث كثير) وقول ابن عباس رضي الله عنهما: (لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (الثلث والثلث كثير) وأوصى الصديق-رضي الله عنه- بالخمس فإذا أوصى الإنسان بالربع أو بالخمس كان أفضل من الثلث ولا سيما إذا كان المال كثيراً وإن أوصى بالثلث فلا حرج)[1].

المسألة الثامنة: رجل كتب في وصيته أن في ذمته لزوجته مبلغاً مالياً وقدره كذا ولم تكن هذه الزوجة تعلم أن في ذمته شيئاً فهل الوصي يعطي هذه الزوجة هذا المبلغ بغير يمين؟:

نقول: في هذه الحالة لا يجوز لهذه المرأة أن تأخذ من ذلك شيئاً فإن هذا يكون وصية لوارث وهي لا تجوز بإجماع المسلمين إلا إذا أجازها الورثة ، أما من حيث الحكم فهنا لا تعطى هذه المرأة شيئاً من هذا المال حتى تصدقه على الإقرار في مرض الموت وإلا كان باطلاً عند أكثر أهل العلم ، فإن صدقته على الإقرار وادعى الورثة أو الوصي أن هذا الإقرار من غير استحقاق فهنا لا تعطى شيئاً حتى تحلف.

المسألة التاسعة: لو أن رجلاً أوصى لأولاده بسهام مختلفة وأشهد على ذلك عند وفاته فهل تنفذ هذه الوصية؟:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في هذه المسألة:(لا يجوز للمريض تخصيص بعض أولاده بعطية منجزة ولا وصية بعد الموت ولا يقر له بشيء في ذمته وإن فعل ذلك لم يجز تنفيذه بدون إجازة بقية الورثة وهذا كله باتفاق المسلمين ، ولا يجوز لأحد من الشهود أن يشهد على ذلك شهادة يعين بها على الظلم وهذا التخصيص من الكبائر الموجبة للنار، حتى قد روى أهل السنن ما يدل على الوعيد الشديد لمن فعل ذلك لأنه كالمتسبب في الشحناء وعدم الاتحاد بين ذريته لا سيما في حقه فإنه يتسبب في عقوقه وعدم بره)[2].

---

(١) الشيخ ابن باز فتاوى إسلامية محمد عبدالعزيز المسند ، ج٣ ، ص ٣٥ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٣١ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

المسألة العاشرة: في طريقة كتابة الوصية:

١- من المستحب أن يذكر في وصيته ما هو معروف في الوصايا فيقول: (هذا ما أوصى به فلان بن فلان (ويذكر اسمه كاملاً) بأنه يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق).

٢- ومما يندب له أيضاً في ذكر صدر وصيته أن يوصي أولاده وأهله بتقوى الله-تعالى- وتحقيق التوحيد الذي لا نجاة لبني آدم إلا بالموت عليه وأن يوصيهم بأن يصلحوا ذات بينهم وأن يطيعوا الله-تعالى-ورسوله-صلى الله عليه وسلم-وذلك بامتثال الأوامر واجتناب المحذور.

٣- ويجب عليه إن كان عليه دين أن يذكره في صدر وصيته ثم يدعو عياله وأهله إلى المبادرة بتسديده وعدم التأخير في ذلك.

٤- ومما يندب إليه أيضاً أن يطلب من أهله عند موته بأن يتحروا فعل المسنون عن النبي صلى الله عليه وسلم من توجيهه إلى القبلة بعد موته وتغميض عينيه وتغسيله وتكفينه وفق ما جاءت به نصوص السنة.

٥- ومما ينبغي أن يوصي به إذا كان في مجتمعات يكثر فيها الجهل أن يمنع ما جرت به عادة النساء وجهلة الرجال من لطم الخدود وشق الجيوب ورفع الأصوات بالنياحة والعويل فإن هذا كله مما جاءت نصوص السنة بالنهي عنه.

٦- ومما يندب له أيضاً أن يوصي بأن يصلي عليه فلان المشهود له بالصلاح والتقى والورع والاستقامة على دين الله والعلم الذي هو ميراث النبوة فقد أوصى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه(أنه أوصى أن يصلي عليه عمر وعمر أوصى أن يصلي عليه صهيب وأم سلمة أوصت أن يصلي عليها سعيد بن زيد وعائشة أوصت أن يصلي عليها أبو هريرة وابن مسعود أوصى أن يصلي عليه الزبير).

٧- أن يوصي أيضاً باجتناب البدع حال شروعهم في الذهاب به إلى المقبرة من رفع الصوت بالذكر أو غيره مما هو ليس من هدي السلف وهذا موجود في بعض البلدان الإسلامية.

٨- إن كان الموصي في أماكن تغطى فيها الرجال في نعوشهم فإنه يوصي بعدم تغطية نعشه مطلقاً وذلك للعظة والعبرة و كونه مخالفاً للسنة.

٩- ومما يوصي به الميت الإسراع بجنازته إسراعاً وسطاً لا يضطرب منه الميت ولا تحصل منه مشقة للحاملين للجنازة أو المشيعين لها.

١٠- ومما ينبغي أن يوصي به أن تمزق كل صورة له قام بعملها في حياته للضرورة فإن الشارع نهى عن التصوير إلا لضرورة وهنا ليس هناك ضرورة لبقاء هذه الصورة.

١١- ومما ينبغي أن يوصي به أيضاً إذا كان في بلد تكثر فيها المخالفات الشرعية ، والوصية بمنع ما يفعله أهل زمانه من تفاخرهم بإقامة السرادقات وإتيانهم بمقرئين للقراءة على روح الميت واجتماعهم لذلك سواء في ذلك يوم الوفاة أو الخميس أو ليلة الأربعين أو السنة الثانية وغيرها من الأيام فإن هذا كله لا يجوز بل حرام في ديننا.

١٢- وهو أنفعها للموصي بعد موته وهي الوصية بالثلث أو الأقل منه من مال أو عقار ونحوه للمحتاجين وإذا كان الورثة محتاجين فالوصية بالأقل أولى.

١٣- أن يركز في وصيته التي اشتملت على نفع دنيوي من مال أو عقار أو محاصيل على ذوي الحاجات من أقاربه الفقراء والمساكين وكذا الأرامل بشرط كونهم غير وارثين فهم الأولى بالمعروف.

١٤- الإشهاد على وصيته بعد الفراغ منها أو ختمها أو الإمضاء عليها لكي يكون ذلك أوقع في الالتزام بتنفيذها ولعدم التلاعب بمضمونها.

١٥- يحسن أن يضع عبارة جامعة تريح الموصى إليه كأن يقول (أوصي بخمس مالي يصرف بأعمال البر فيما يناسب الزمان والمكان والأحوال والأشخاص يتولى ذلك

فلان حسب ما يراه مناسباً ونافعاً).

وخلاصة كتابة الوصية المشتملة على نفع ديني أو دنيوي أن يقول فيها:

(أوصيت من مالي بعد قضاء ديني بكذا (ويذكر مالا) ً يصرف منه للمحتاجين كل شهر بكذا (ويذكره)أو كل سنة مما يحصد من المحاصيل (بكذا ويذكره) مع ذكر جهة المحاصيل ، أو ما يجمع من إيجار العقار كل شهر بكذا (ويذكر المبلغ مع ذكر جهة العقار) ، وإن كان عالماً أو طالب علم وله كتب شرعية وأراد أن يوصي بها فيقول ، وكذا وقفت من كتبي الشرعية ما يلي (ويذكر أسماء الكتب) ، وجعلت مقرها بمسجد (كذا ويذكر اسم المسجد) ، وقفاً صحيحاً شرعياً على من يريد أن يتعلم الأحكام الشرعية ويعمل بها من العاملين بالسنة ، وجعلت المنفذ لهذه الوصية أرشد واحد من الصالحين من أولادي فإن أراد أن يوصي أحد أولاده فيذكره بعينه وإن أطلق فكما ذكرنا، فإن لم يكن فأرشد واحد من الصالحين من بلدتي، وبالجملة فأنا برئ من كل فعل أو قول يخالف الشريعة ومن خالف في ذلك فعليه إثم مخالفته ، وسأطالبه بتلك الوصية يوم العرض على أسرع الحاسبين قال الله تعالى :(فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١))

وفي الختام أسأل الله–تعالى–أن يغفر لي ولوالدي ولأصحاب الحقوق علي ولجميع المسلمين وأن يوفقني وإياهم لما يرضيه إنه سميع قريب مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حررت هذه الوصية في يوم تاريخ اسم الموصي الإمضاء أو الختم

الشاهد الأول	**الشاهد الثاني**
الاسم:	**الاسم:**
التوقيع:	**التوقيع:**

المسألة الحادية عشرة: من توفي وعليه دين هل تنتقل التركة للدائنين أم للورثة؟:

المقدم في هذه الحالة أن تنتقل التركة للورثة لكن لا بد أن يلتزموا بسداد الديون وهناك قول آخر أنها تنتقل إلى الدائنين إلا إذا خيف على التركة إهمالها أو أنهم سيأكلونها فيحال بينهم وبينها ، والصواب: أنها تنتقل إلى الوكيل لسداد هذه الديون أو إلى القاضي لينظر فيها.

المسألة الثانية عشرة: إذا توفي الوصي هل يشرع إقامة غيره؟:

لا بأس بذلك بشرط الاتفاق من قبل أهله وعلى نظر الحاكم الشرعي وذلك لحفظ الوصية وإنفاذها.

المسألة الثالثة عشرة: في استثمار أموال الوصايا وضوابطه الشرعية:

من محاسن شريعتنا الإسلامية أنها جاءت بحفظ الأموال من التلف والضياع ولذا عد المال أحد الضروريات الخمس التي يجب حفظه والاهتمام به وتنميته بالطرق المباحة شرعا ولما كانت أموال الوصايا من أهم الأموال التي يجب الموصي حفظها فإذا رغب في استثمارها وتنميتها مع الحرص التام على وضعها فيما يؤدي بها إلى ذلك. لكن لذلك ضوابط معتبرة وإلا فلا يجوز للموصى أن يستثمرها عند فقدان هذه الضوابط **ومن هذه الضوابط**:

١- أن لا يستثمرها إلا في المواضع الآمنة والمراد بالآمن هنا الأمن الدنيوي والأمن الأخروي ، فالأمن الدنيوي المراد به استثمارها مع من يأمنهم عليها ولا يدفعها إلا لأمين ولا يغرر بماله وغير ذلك من الأمور المنهي عنها شرعاً ، أما الأمن الأخروي: فالمراد به عدم استثمارها فيما نهى عنه الشرع كوضعها في البنوك الربوية مثلاً أو الاتجار بها في الأمور المحرمة.

٢- لا يجوز للموصى إليه بيع عقارات الأوصياء إلا بثلاثة مواضع

الموضع الأول: أن يكون به ضرورة إلى كسوة أو نفقة أو قضاء دين أو ما لا بد منه.

الموضع الثاني: أن يكون في بيعه غبطة وهو أن يدفع فيه زيادة كثيرة على ثمن المثل أو يخاف عليه الهلاك بغرق أو خراب ونحوه.

الموضع الثالث: أن يكون في بيعه منفعة عامة للأوصياء ، كأن يكون في مكان لا

ينتفع به أو نفعه قليل فيبيعه ويشتري في مكان ما يكثر نفعه أو أن تكون داره في مكان يتضرر الأوصياء بالإقامة فيها كسوء الجوار أو غيره فيبيعها ويشتري له بثمنها داراً يصلح له المقام فيها.

٣- عدم الأكل من مال الأوصياء إلا بقدر الحاجة فإن كان موسراً فلا يأكل من مالهم شيئاً أما القدر الذي يأكله إن كان فقيراً فله أقل الأمرين من أجرته أو قدر كفايته لأنه يستحقه بالعمل والحاجة جميعاً.

٤- عدم الإقراض من مال الأوصياء إلا إذا كان في الإقراض مصلحة كأن يخاف عليه من الهلاك أو يكون مما يتلف بتطاول مدته أو حديثه خير من قديمه.

أما إذا كان الإقراض من باب الإرفاق بالمقترض وقضاء حاجته فهذا الأولى عدمه.

بعض الأمور المتعلقة بهذه المسألة:

١- يجوز للوصي أن يشتري للأوصياء أضحية إذا كان مالهم كثيراً ولا يتضرر بشراء الأضحية وهذا من باب التوسعة في النفقة في هذا اليوم الذي هو عيد وفرح وسرور بل فيه جبر قلوب الأوصياء وتطييب قلوبهم وخاصة إذا كانوا أيتاماً فإن هذا العمل يلحقهم بمن له أب.

٢- لا يلزم الوصي إذا أكل من مال الأوصياء حال فقره ثم أغناه الله لا يلزمه عوض ما أكله حال فقره بخلاف من قال بإلزامه .لأن الله–تعالى–أمر بالأكل بدون ذكر عوض فإلزام الوصي بذلك لا دليل عليه.

٣- لا يجوز رهن مال الأوصياء إلا بأمرين:

أ- أن يكون الرهن عند ثقة يرده إذا قام الوصي برد ما كان سبباً في الرهن.

ب- أن يكون للأوصياء حاجة ضرورية في هذا الرهن كحاجتهم إلى نفقة أو كسوة أو بهائمهم وغيرها مما هم في حاجة ضرورية له.

٤- إذا أخذ الموصى له قرضاً من هذه الوصية لنفع نفسه به فلابد من وجود

الضوابط المعتبرة في ذلك ومنها:

أ- كتابة هذا القرض.

ب- الإشهاد عليه.

ت- إبلاغ الأوصياء بما استقرضه من مالهم.

ث- تحديد اليوم الذي سيتم فيه تسديد هذا القرض.

ج- أن لا يتضرر المال بحبسه عنده فإن كان هذا المال يستثمر فلا يقترض منه شيئاً.

المسألة الرابعة عشرة: في حكم زكاة الموصى به:

من الشروط المعتبرة شرعاً في وجوب إخراج الزكاة الملك التام للمُزَكى وهذه الملكية يتناولها صاحب المال والمستحق له فمتى ملكها أحدهما وجبت عليه الزكاة ومن خلال هذا الشرط نقول: لما كان صاحب المال الحقيقي غير موجود بقي المالك الثاني له وهو المستحق لهذا المال ولكنه لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى : إما أن يكون معيناً من قبل الموصي كزيد من الناس أو جماعة معينة من الناس فهنا الصحيح أن الزكاة تجب في هذه الحالة.

الحالة الثانية :أن تكون الوصية عامة أي لا تشمل أحداً بعينه أو جماعة بعينها كالفقراء والمساجد والغزاة واليتامى والأرامل وغيرهم ممن لم يعينوا من قبل الموصي فلا خلاف بين أهل العلم في عدم وجوب الزكاة فيها لافتقار شرط الملكية.

قال النووي في المجموع: قال أصحابنا إذا كانت الماشية موقوفة على جهة عامة كالفقراء أو المساجد أو الغزاة أو اليتامى وشبه ذلك فلا زكاة فيها بلا خلاف وإن كانت موقوفة على معين واحد أو جماعة فإن قلنا بالأصح أن الملك برقبة الموقوف لله-تعالى-فلا زكاة بلا خلاف كالوقف على جهة عامة وإن قلنا بالضعيف أن المال في الرقبة للموقوف عليه ففي وجوبها عليه الوجهان المذكوران في الكتاب أصحها(لا تجب)[1].

(١) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٣١٢ .

لكن الصحيح ما ذكرناه من وجوب الزكاة على الوصية المعينة لأن ملكية الوصية انتقلت إلى هذا المعين وهو يملكها ملكاً مستقراً فكان وجوب الزكاة فيه أرجح عندي من عدم الوجوب.

المسألة الخامسة عشرة: إذا أوصى زيد من الناس بأن يصلي عليه فلان إذا توفي هل يجب تنفيذ ما أوصى به؟:

نقول أجمع صحابة النبي صلى الله عليه وسلم على أن الأحق بالصلاة على الميت من أوصى له أن يصلي عليه ونقل إجماع الصحابة[1] ، لكن هناك أمران:

الأمر الأول: إذا كان الوصي فاسقاً أو مبتدعاً فهل تقبل وصيته؟ ، نقول : لا تقبل وصيته لكون الموصي جهل الشرع فترد الوصية.

الأمر الثاني: إذا كانت الجنازة سيصلى عليها في المسجد فمن الأحق بالصلاة عليه الإمام أم الوصي؟. نقول :اختلف أهل العلم في هذه المسألة ، والصحيح أن الأحق بها الوصي بعد أن يستأذن الإمام تنفيذاً للوصية ومراعاة لحق الإمام الراتب.

المسألة السادسة عشرة: من أوصى بشيء من المال ثم استفاد قبل الموت مالاً آخر فهل يدخل في الوصية؟:

الصحيح وهو قول أكثر أهل العلم أن الوصية تعتبر من جميع ما يخلفه من المال سواء زاد هذا المال بعلمه أم بغير علمه وذهب مالك وغيره إلى أنه لا يدخل مع وصيته إلا ما علم والصحيح ما ذكرناه من دخوله فيه.

المسألة السابعة عشرة: في الوصية المطلقة والوصية المقيدة:

أما صورة الوصية المطلقة أن يقول :(إن مت فثلثي للمساكين أو لفلان من الناس (ويذكر اسمه).

أما صورة الوصية المقيدة: أن يقول: (إذا مت من مرضي هذا أو في هذا البلد أو في سفري هذا فثلثي للمساكين).

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ، ص ٤٠٦ .

فإذا عوفي من مرضه الم ذكور أو خرج من بلده أو عاد من سفره بطلت الوصية المقيدة لكونه علقها بشرط ولم يوجد شرطها.

المسألة الثامنة عشرة: إن أوصى الموصي لرجل ثم أوصى رجلاً آخر فأيهما يعد وصياً له؟:

إن أوصى الموصي بالتصرف بعد موته فيما أوصاه بعد قضاء ديونه وتفريق وصيته والولاية على أولاده ونحوه ثم أوصى رجلاً آخر بما أوصى به الأول فهاهنا وصيان يتوليان أمر الوصية حسب طلب الموصي إلا أن يقول قد عزلت الأول.

المسألة التاسعة عشرة: في حكم الوصية بالنكاح:

لو أن رجلاً أوصى وصيه بتزويج بناته فهل يعتد بهذه الوصية؟ ، نقول هذه مسألة محل خلاف بين أهل العلم ، والذي يترجح عندي أن هذه المسألة لا تخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون لهؤلاء البنات ولاية عليهن من أخ أو عم أو جد ونحوه ممن يكونون محارم لهن من عصبات أبيهن فهنا لا يعتد بهذه الوصية لأنها ولاية تنتقل من الوصي إلى غيره شرعاً لقوله صلى الله عليه وسلم :(لا نكاح إلا بولي)[1].

الحالة الثانية: أن لا يكون للبنات ولي فهنا يجوز للموصي أن يستنيب عنه من يرعى بناته إلى تزويجهن حفاظاً عليهن وحرصاً على تزويجهن أهل الكفاءة والصلاح والدين ، لكن إذا عين الموصي أزواج بناته فعلى الوصي إجبارها تنفيذا للوصية إلا إذا كان من عينه أبوها ليس من أهل التقوى والصلاح والدين فهنا يجوز له إبدالها غيره نظراً لمصلحتها ، وإن لم يعين الأب أحداً لبناته وكانت ابنته كبيرة صحت الوصية واعتبر إذنها وإن كانت صغيرة انتظرنا بلوغها.

المسألة العشرون: هل يحق للوصي أن يقوم بتزويج ولد الموصي قبل بلوغه؟:

الحالة الأولى: أن يعلم حاجته إلى النكاح: فهنا على الوصي تزويجه لأنه بزواجه يصون دينه وعرضه ونفسه فإنه ربما تعرض بترك التزويج إلى الزنا والحد وهتك العرض ونحوه من الأمور المحرمة ولا يلزم طلب الولد من الوصي تزويجه.

---

(١) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث ١٨٣٩ .

الحالة الثانية: أن لا يكون للولد حاجة إلى الزواج ، فهنا لا يزوجه لأنه فيه ضياع للمال في غير فائدة والوصي مأمور بحفظ مال الموصي.

المسألة الحادية والعشرون: هل يحق للقاضي أو الحاكم النظر في أمر الأوصياء الذين عينهم الموصي؟:

نعم ينظر في أمرهم الحاكم أو من ينوب عنه كالقاضي مثلاً وذلك لكونهم ناظرين في أموال اليتامى وتفرقة الوصية بين المساكين ، فإذا جاء الوصي إلى الحاكم أو من ينوب عنه فقبله نفذت وصيته ولم يعزله ولكن يراعيه فإن تغيرت حاله بفسق أو ضعف أضاف إليه أميناً قوياً ، فإن كان الوصي أميناً ضعيفاً ضم إليه من يعينه أما إن كان الوصي فاسقاً فإن عليه أن يعزله ويقيم غيره حفاظاً على الوصية.

المسألة الثانية والعشرون: في حكم شهادة الوصي على من هو موصى عليهم:

هذه المسألة لا تخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يشهد عليهم في أمر ما فهنا شهادته عليهم مقبولة بلا خلاف لأنه لا يجر بشهادته نفعاً لهم ولا يدفع عنهم بها ضرراً.

الحالة الثانية: أن يشهد لهم ، فهنا فيها تفصيل أن يكونوا في حجره أي صغاراً فهنا أكثر أهل العلم على عدم قبول شهادته لأنه هو الذي يطالب بحقوقهم بل هو خصم فلم تقبل شهادته.

أما إذا كانوا كباراً ولا ولاية له عليهم فهنا تقبل شهادته لهم.

المسألة الثالثة والعشرون: إذا مات الشخص بعد أن أُحيل إلى التقاعد وعليه دين فلمن يصرف المعاش الذي حدد له من قبل الهيئة التي كان يعمل فيها للغرماء أم الورثة؟ :

من المعلوم أن هذا المبلغ الذي يتقاضاه الموظف بعد تقاعده على المعاش هو حق محض له ولهذا فإن هذا المال يصرف منه للغرماء أولاً وما بقي فللورثة.

المسألة الرابعة والعشرون: لا ينبغي لمن حضر مريضاً في مرض موته أن يقول له أوص بمالك في سبيل الله وتصدق وافعل كذا على سبيل استغراق ماله والإضرار بالورثة:

قال الله تعالى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ

﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً(٩)﴾[1] ، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (وقول ثالث قاله جمع من المفسرين: هذا في الرجل يحضره الموت فيقول له من بحضرته عند وصيته: إن الله سيرزق ولدك فانظر لنفسك وأوص بمالك في سبيل الله وتصدق وأعتق حتى يأتي على عامة ماله أو يستغرقه فيضر بذلك الورثة فنهوا عن ذلك فكأن الآية تقول لهم: كما تخشون على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله إلى أن قال رحمه الله:

قال ابن عطية :(....بل الناس صنفان يصلح لأحدهما القول الواحد والآخر القول الثاني ، وذلك أن الرجل إذا ترك ورثته مستقلين بأنفسهم أغنياء حسن أن يندب إلى الوصية ويحمل أن يقدم لنفسه ، وإذا ترك ورثته ضعفاء مهملين مقلين حسن أن يندب إلى الترك لهم والاحتياط ، فإن أجره في قصد ذلك كأجره في المساكين فالمراعاة إنما هو الضعف فيجب أن يمال معه.

وهذا التفصيل صحيح لقوله صلى الله عليه وسلم: (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس)[2] فإن لم يكن للإنسان ولد أو كان غنياً مستقلاً بنفسه وماله عن أبيه فقد أمِنَ عليه فالأولى حينئذ تقديم ماله بين يديه حتى لا ينفقه من بعده فيما لا يصلح فيكون وزره عليه).

المسألة الخامسة والعشرون: هل يجوز جعل المرأة وصياً ؟:

اختلف أهل العلم في ذلك وأكثرهم على جواز أن تكون المرأة وصياً فإن عمر-رضي الله عنه أوصى إلى حفصة ولم يقم دليل صريح صحيح في عدم جواز ذلك.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله : (لا مانع من إقامة المرأة وصياً على ثلث ماله بشرطه لأن العلماء صرحوا بأنه تصح الوصية إلى كل مسلم مكلف عدل رشيد ولو امرأة وإذا صارت وصية فإنها تحوز جميع الثلث سواء كان نقوداً أو أثاثاً أو عقاراً وغير ذلك)[3].

---

(١) سورة النساء .
(٢) القرطبي ، التفسير ، ج٥ ، ص ٥١ – ٥٢ .
(٣) الشيخ محمد بن إبراهيم ، الفتاوى ، ج٩ و ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

المسألة السادسة والعشرون: إذا تنازل الورثة عن حقهم للميت فما العمل في حق القاصرين وهل يكفي أن ينوب عنهم الوصي؟:

إذا تنازل الورثة الغير قاصرين عن حقهم للميت فلا مانع من ذلك ويردّ نصيبهم إلى غير القاصرين ولا يجوز للوصي أن يتصرف في حق القاصرين بأي حال من الأحوال بل يبقى مالهم من الإرث إلى بلوغهم ثم يكون لهم الخيار بعد ذلك.

المسألة السابعة والعشرون: إذا أوصى الموصي بأن ماله له ولعياله وعيال عياله :

هنا يدخل فيها الذكور والإناث الصغار والكبار ولا فرق أيضاً بين كون والد العيال حياً أو ميتاً.

المسألة الثامنة والعشرون: إذا أوصى الموصي لشخص ما بشيء، ثم ذكر وصايا أخرى ولم يذكر ذلك الشخص فيها فهل يمنع من الوصية؟:

لا يمنع من الوصية مادام أن هناك وصية منصوصاً عليه فيها فلا يمنع إلا بنفي تلك الوصية أو بينة تدل على نفي وصيته له.

المسألة التاسعة والعشرون: إذا أوصى الموصي لشخص ما وأولاده محتاجون هل يعمل بها؟:

من أوصى بذلك فإنها تصرف على عياله المحتاجين فإن بقي شيء صرف الباقي لمن عينه.

المسألة الثلاثون: إذا قال الموصي للموصى له تصرف في مالي كيف شئت أو تصدق على من شئت :

هنا لا يجوز له أن يأخذ من مال الموصي شيئاً لأنه لم يأذن له بذلك إلا أن يكون فقيراً كما ذكرنا ذلك سابقاً فيجوز له الأخذ منه بقدر حاجته.

المسألة الحادية والثلاثون: إذا توفي شخص ولم يوص فهل يشرع لأولاده إخراج شيء من ماله على أنه وصية؟:

لا يلزم الورثة أن يخرجوا له شيئاً من ماله ولكن إن فعلوا ذلك فأخرجوا له شيئاً مشاعاً معيناً كالثلث أو الربع أو أخرجوا دراهم معلومة يتصدقون بها عنه أو يشترون عقاراً يجعلونه وقفاً لله تعالى فكل هذا جائز بل هو من البر بأبيهم.

المسألة الثانية والثلاثون: المال الذي أُوصى به في أمر مبتدع أين يصرف؟:

لو قام شخص فأوصى بأن ماله يصرف في أمور مبتدعة فلا يجوز للموصى له تنفيذ الوصية فإن قام بتنفيذها أثم وكانا مشتركين بالإثم، وللوصي صرف هذا المال في أعمال البر المشروعة.

المسألة الثالثة والثلاثون: إذا أوصى شخص بمنع بعض أولاده من الإرث منه فما الحكم؟:

لا يجوز لأحد أن يوصي بإلغاء أمر لزمه شرعاً فهذه وصية غير جائزة مصادمة لنصوص الشريعة فلا يعمل بها.

المسألة الرابعة والثلاثون: إذا أوصى شخص بأنه إذا مات يقوم الوصي بذبح شاة أو غيرها مما يحل هل يعمل بهذه الوصية؟ :

نقول هذه المسألة لا تخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون قصد الموصي النفع له وذلك بالدعاء له من قبل الفقراء والمساكين وغيرهم وكذا من جهة العمل أيضاً لأن الذبح أمر دعت إليه الشريعة فهنا لابأس بذلك ويجب تنفيذ هذه الوصية.

الحالة الثانية: أن تكون هذه العادة جارية كمن يعتاد ذبح ذبيحة للميت بعد أسبوع أو أربعين يوماً أو سنة لإقامة مأتمٍ لوفاة كما هو مشاهد في بعض البلدان فهذا بلا شك غير جائز لما فيه من الابتداع والمخالفة لنصوص الشريعة وبناءً عليه فلا ينبغي تنفيذ هذه الوصية.

المسألة الخامسة والثلاثون: في ذكر الوجوه التي تصرف فيها الوصية إذا كان الموصي لم يعين أحداً في الوصية:

ذكرنا فيما سبق أن الأولى للموصي أن يضع عبارة جامعة تريح الوصي ومن هنا كان ولابد على الموصى إليه أن يصرفها في الأمور التي فيها نفع عام للمسلمين كأعمال البر والقرب وأفضل ما يكون على فقراء الموصي الغير وارثين أما أعمال البر فكثيرة منها مياه الشرب وبناء المساجد وقضاء ديون الفقراء والصدقة عليهم وعلى طلبة العلم الشرعي وكذا تعليم القرآن وكذا مستظل للمسافرين وغير ذلك مما فيه نفع عام للمسلمين ويوصى للجهات الخيرية الموثوقة التي يقوم عليها أشخاص موثوقون يتولون صرفها في مصارف الخير التي تنفع

المسلمين وهذه الجهات الخيرية كثيرة ولله الحمد في بلدنا وصرف أموال الوصايا إليها أصلح وأنفع من صرفها إلى غيرها.

المسألة السادسة والثلاثون: قال الله تعالى:(...مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ):

ذكرنا فيما سبق أنه يبدأ عند تنفيذ الوصية بالدين أولاً فما الحكمة من أن القرآن–بدأ بالوصية وأخّر الدين؟:

الحكمة في تقديم ذكر الوصية على الدين في الآية الكريمة وإن كانت تتأخر في التنفيذ أنها لما أشبهت الميراث في كونها بلا عوض كان في إخراجها مشقة على الوارث فقدمت في الذكر حثاً على إخراجها واهتماما بها وجيء بكلمة (أو) للتسوية فيستويان في الاهتمام وإن كان الدين مقدماً عليها[١].

المسألة السابعة والثلاثون: من أوصى بمال يحج به عنه :

لا يخلو المال من كونه قليلاً أو كثيراً فإن كان كثيراً فإنه يصرف منه حجة بعد أخرى حتى ينفد إلا إذا نص في الوصية على أن يصرف في حجة واحدة.

المسألة الثامنة الثلاثون: إذا قال الموصي إنني أوصيت بسهم من مالي ولم يعين قدر السهم:

هنا المعتبر في كلام العرب هو السدس ولأن السهم أقل شيء مفرد قد تنصرف الوصية إليه ، لكن إذا قال أوصيت بشيء من مالي فهنا الشيء لا حد له في لغة العرب ولا في الشرع فهنا يصدق على أقل شيء مما يتمول.

المسألة التاسعة والثلاثون: هل يؤجر الموصى إليه عند قبول وصية الموصي؟.

إن قبول الموصى إليه هذا العمل أمر مندوب إليه وقربة يثاب عليها ، بشرط أن تكون عنده قدرة على هذا العمل ويجد من نفسه توفر الأمانة أما إن كان لا يقدر عليها لاعتلال في بدنه أو لكونه لا يأمن نفسه على حفظها فلا يجوز له الدخول في الوصية، لكن إذا كان به اعتلال بدني وعنده تفكير سليم جاز له قبولها ويضم إليه قادراً أمينا يتعاون معه.)[٢].

---

(١) الشيخ الفوزان ، الملخص الفقهي ، ج٢ ، ص١٧٧ .
(٢) أ. د. عبدالله بن محمد الطيار ، الوصية ضوابط وأحكام الأثنين ١٣ جمادى الآخرة ١٤٤٠هـ

س٦٥: لماذا قال الله تعالى للمسلمين : (أوفوا بالعقود)؟. وما حقوق و واجبات العامل؟.

ج٦٥: العقود: هي العهود، والعقد هو الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة، كعقد الحبل، وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع)[١].

وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الوفاء بالعقود، وذم الغدر والنكث؛ كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ(١))[٢] ،وهذا عام يشمل جميع العقود، وجميع المتعاقَد معهم مسلمين أو غير مسلمين ما لم يكن العقد مخالفاً لأحكام الشريعة الإسلامية؛ وفي الصحيحين ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[٣]، وهذا فيه الترهيب من الغدر وإخلاف الوعد، وهو عام أيضاً يشمل جميع المعاهدات والوعود، وأيًّا كان المعاهَد مسلماً كان أو كافراً.

ومن العقود التي يجب الوفاء بها عقود المداينات (القروض)، بل ورد الوعيد الشديد على عدم الوفاء بها؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)[٤] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه)[٥]، وهذا أيضاً عام يشمل جميع الديون حتى وإن كانت لغير المسلمين، قال ابن عبد البر في الاستذكار: (وفي هذا الحديث من الفقه أن قضاء الدين عن الميت بعده في الدنيا ينفعه في آخرته؛ ولذلك أمر وليه بالقضاء عنه، ولا ميراث إلا بعد قضاء الدين)[٦].

قال الشوكاني رحمه الله تعالى: (فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت، والإخبار لهم

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن الكرين ، ص ٥٧٦ .
(٢) سورة المائدة .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٤ ، وعند الإمام مسلم برقم ٥٨ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٨٦ .
(٥) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٩٣٠٢ ، ورواه ابن ماجة (٢٤١٣) والترمذي (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وقال حديث حسن. وصححه الألباني- رحمهم الله تعالى.
(٦) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٥ ، ص ١٠٠ .

بأن نفسه معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وهذا مقيد بمن له مال يقضي منه دَيْنه، وأما من لا مال له ومات عازما على القضاء فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله تعالى يقضي عنه، بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دينه..)[1]، [2].

من موقع بيان الاسلام(ادعاء أن الإسلام يبيح الغدر والخيانة ويدعو إلى نقض العهود والمواثيق ، حيث زعم بعض المغالطين أن الإسلام يبيح الغدر والخيانة ويدعو إلى نقض العهود والمواثيق؛ إذ يجيز نبذ الدولة المسلمة العهود ونصرة المسلمين المستضعفين، إذا اعتدى الكفار المعاهدون لهذه الدولة المسلمة على هؤلاء المستضعفين.

ولإبطال الشبهة هذه نقول :

١- حرص الإسلام على الوفاء بالعهود والمواثيق:

أكدت تعاليم الإسلام على الوفاء بالعهود والمواثيق تأكيدا شديدا، وجعلت من ألزم صفات المؤمن الصادق أنه إذ وعد أوفى وإذا عاهد صدق، وبالمقابل نعتت المنافق بأنه إذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر، وفي هذا المعنى يقول د. محمود محمد الطنطاوي: (لقد جعل الإسلام حفظ العهود وصيانتها شيئا مقدسا على المسلمين، والقرآن الكريم والسنة النبوية فيهما من الآيات والأحاديث ما يؤكد حفظ العهود والمواثيق التي تجعل منها عقدا محترما مقدسا، يقول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ(١)) ، ويقول تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢))[3].

---

(١) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٤ ، ص ٥٣ .
(٢) د. محمد بن عبد الله المحيميد ، عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم ، في ١٤٢٧/٢/١٢ الموافق ١٢ مارس ٢٠٠٦)موقع بيان الاسلام
(٣) سورة النحل .

ويقول تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤))[١] ، ويقول سبحانه وتعالى :(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢))[٢].

فكل هذه الآيات تؤكد الوفاء بالعهود وتحث المسلمين على عدم نقضها، وتخرج من المشركين من عاهدهم المسلمون فلا يصح لهم أن يتعرضوا لهم بشيء من أنواع الإيذاء؛ لأن للعهد حرمته، وللغدر عقوبته ومعرته، والإسلام حريص على أن يكون المسلمون شرفاء في وعدهم، فالمؤمن عند وعده يفي به، ولا يكون من الغادرين.

والسنة النبوية الشريفة فيها كثير من الأحاديث التي تحث على الوفاء بالعهود والتزام الشروط، ولتقرأ قول محمد صلى الله عليه وسلم: (لكل غادر لواء يوم القيامة، يرفع له بقدر غدرته، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة)[٣]. وقوله صلى الله عليه وسلم :(من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عام)[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل)[٥].

وكل هذه الأحاديث تؤكد حفظ المسلمين العهود واحترامها، وتحرم الغدر والخيانة، ولا تبيح لهم أن يؤذوا المعاهدين إلا إذا خافوا الغدر منهم، فيجوز لهم أن ينبذوا إليهم عهدهم، لقول الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة الأنفال
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٦٣٦ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٩٩٥.
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٠٨ .

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨))[١] .

ولا بد من إعلام أعداء المسلمين بالنبذ، كما حدث في حجة أبي بكر رضي الله عنه: (عن أبي هريرة قال: بعثني أبو بكر رضي الله عنه فيمن يؤذن يوم النحر بمنى : لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)[٢] ، ويوم الحج الأكبر يوم النحر، وإنما قيل الأكبر من أجل قول الناس الحج الأصغر، فنبذ أبو بكر رضي الله عنه إلى الناس في ذلك العام، فلم يحج عام حجة الوداع الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم مشرك.

وفي مثل هذا يقول البلاذري: (إن الروم صالحت معاوية على أن تؤدي إليه مالا، وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببعلبك، ثم إن الروم غدرت، فلم يستحل معاوية والمسلمون قتل من في أيديهم من رهنهم وخلوا سبيلهم وقالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر)[٣].

والمسلمون في العصر الحديث لم يغدروا، وإنما كان الغدر شيمة الأعداء، فرضت الهدنة وأوقف القتال بين المسلمين العرب وإسرائيل في فلسطين المحتلة، ولم يغدر المسلمون العرب أبدا بل كان الغدر دائما من جانب اليهود، وكذلك الحال في الجزائر المجاهدة الظافرة، عقد الجزائريون الهدنة وحافظوا عليها ولم يغدروا، وإنما كان الغدر من الفرنسيين، وإن كان مقنعا تحت اسم منظمة الجيش السري الفرنسي.

وبالمقابل، يعد الإسلام الغدر في العهد من علامات المنافقين، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أربع خلال من كن فيه كان منافقا خالصا: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها)[٤].

فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المذكورة وسير الصحابة تدل على أن الإسلام يحافظ على السلام وينادي به، ويكفل للمعاهدين الأمن والطمأنينة والسلام[٥].

---

(١) سورة الأنفال .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٦٢ .
(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٦٠
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٠٠٧ .
(٥) محمد محمد طنطاوي ، السلام والحرب ص ١٥٣ – ١٥٤ .

٢- المسلمون أمة واحدة كالجسد الواحد، يتداعى لبعضه بعضه الآخر:

يصور الحديث النبوي المشهور الجماعة المسلمة، ومن ثم الأمة الإسلامية، بالجسد الواحد الحي، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وبناء عليه فإن أي شر أو عدوان يصيب جزءا من دار الإسلام أو جماعة من أمة الإسلام، من المتوقع أن يحرك البقية لدفع هذا العدوان عن جزئها المضار المعتدى عليه، حتى لو كان بين هذه البقية وبين العدو المعتدي عهد وميثاق، فإن تصديها له ودفاعها عن إخوانها لا يعد نقضا للعهود والمواثيق، إذ المسلمون برابطة العقيدة بينهم ، كالجسد الواحد إن أصيبت منه القدم تتألم له الرأس والعكس، فالخصم المعتدي في هذه الحالة - هو من نبذ العهد ونقض الميثاق باعتدائه على جماعة من المسلمين، ولا يحتج هنا بأن هذه جماعة وتلك جماعة أخرى غيرها، فالكل في الأصل جماعة واحدة، التناصر واجب فيما بينها.

يقول الأستاذ النحاس (ومن الشبهات المهمة... أنه إذا كان بين إحدى بلاد المسلمين وبين الكفار عهد وميثاق، ثم اعتدوا على بلد مسلم آخر، فلا يلزم الدولة التي بينها وبين الكفار عهد نصرتها، وذلك لقوله عز وجل:(وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ... (٧٢))[١]، [٢] .

يقول الطبري رحمه الله في تفسيره للآية الوفاء بالعقود : (اختلف أهل التأويل في" العقود " التي أمر الله جل ثناؤه بالوفاء بها بهذه الآية، بعد إجماع جميعهم على أن معنى " العقود "، العهود.

فقال بعضهم: هي العقود التي كان أهل الجاهلية عاقد بعضهم بعضًا على النُّصرة والمؤازرة والمظاهرة على من حاول ظلمه أو بغاه سوءًا، وذلك هو معنى " الحلف " الذي كانوا يتعاقدونه بينهم.

ذكر من قال: معنى (العقود) ، العهود:

---

(١) سورة الأنفال .

(٢) محمد السعيد نحاس ، التعاون والاشتراك في جيوش غير المسلمين ، ص ٢٢٩ - ٢٥٤

١- حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي، عن ابن عباس قوله: " أوفوا بالعقود "، يعني: بالعهود.

٢- حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم قال، حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله جل وعز: " أوفوا بالعقود "، قال: العهود.

٣- حدثني المثنى قال، حدثنا أبو حذيفة قال، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

٤- حدثنا سفيان قال، حدثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد، مثله .

٥- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا عبيد الله، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس قال: جلسنا إلى مطرّف بن الشخِّير وعنده رجل يحدثهم، فقال: " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود "، قال: هي العهود .

٦- حدثنا المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: " أوفوا بالعقود "، قال: العهود.

٧- حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن جويبر، عن الضحاك: " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود "، قال: هي العهود.

٨- حدثت عن الحسين بن الفرج قال، سمعت أبا معاذ يقول، أخبرنا عبيد بن سليمان قال، سمعت الضحاك يقول: " أوفوا بالعقود "، بالعهود.

٩- حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة في قوله: " أوفوا بالعقود "، قال: بالعهود.

١٠- حدثنا محمد بن الحسين قال، حدثنا أحمد بن المفضل قال، حدثنا أسباط، عن السدي: " أوفوا بالعقود "، قال: هي العهود.

١١- حدثني الحارث قال، حدثنا عبد العزيز قال، سمعت الثوري يقول: " أوفوا بالعقود "، قال: بالعهود.

١٢- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد،

مثله[1].

ومن صور الوفاء بالعقود(العهود) :

١- الوفاء بالعهد الذي بين العبد وربه:(فالعهود التي يرتبط المسلم بها درجات، فأعلاها مكانة، وأقدسها ذمامًا، العهد الأعظم، الذي بين العبد وربِّ العالمين، فإنَّ الله خلق الإنسان بقدرته، وربَّاه بنعمته، وطلب منه أن يعرف هذه الحقيقة، وأن يعترف بها، وألا تشرد به المغويات، فيجهلها أو يجحدها، قال تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ(٦٠)) [2].

٢- الوفاء في سداد الدين: اهتمَّ الإسلام بالدَّيْن؛ لأنَّ أمره عظيم، وشأنه جسيم، وقد أكَّد النبي صلى الله عليه وسلم على قضاء الدين، وكان لا يصلي على الميت إذا كان عليه دين حتى يُقضى عنه. وقد قال: (من أخذ أموال الناس يريد أداءها، أدَّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها، أتلفه الله)[3].

٣- الوفاء بشروط عقد النكاح: قال صلى الله عليه وسلم: (أحقُّ الشروط أن توفوا به، ما استحللتُم به الفروج)[4] .قال الخطابي: (الشروط في النكاح مختلفة؛ فمنها ما يجب الوفاء به اتفاقًا، وهو ما أمر الله به من إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، وعليه حمل بعضهم هذا الحديث، ومنها ما لا يوفى به اتفاقًا، كسؤال طلاق أختها... ومنها ما اختلف فيه، كاشتراط أن لا يتزوج عليها، أو لا يتسرى، أو لا ينقلها من منزلها إلى منزله) [5] .

٤- الوفاء بين الزوجين: يجعل الأسر مستقرة، والبيوت مطمئنة، فيكون رابط الوفاء بينهما في حال الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر.

---

(١) الطبري ، التفسير ، تفسير سورة الأنفال ، آية رقم ١ .
(٢) الغزالي ، خلق المسلم ، ص ٥٠ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٢٣٨٧ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٢١
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ٢١٨ .

٥- الوفاء بإعطاء الأجير أجره:عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه)[(١)] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يعطه أجره)[(٢)] .

٦- وفاء العامل بعمله: وذلك بأن يعمل العامل، ويعطي العمل حقه باستيفائه خاليًا من الغش والتدليس، فعن عاصم بن كليب الجرمي قال: حدثني أبي كليبٌ (أنَّه شهد مع أبيه جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا غلام أعقل وأفهم، فانتهى بالجنازة إلى القبر، ولم يمكن لها، قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سووا لحد هذا. حتى ظن الناس أنه سنة، فالتفت إليهم، فقال: أما إنَّ هذا لا ينفع الميت ولا يضرُّه، ولكن الله يحبُّ من العامل إذا عمل أن يحسن)[(٣)] .

٧- الوفاء بالنذر: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)[(٤)] ويجب الوفاء بالنذر إذا كان نذر طاعة.

٨- الوفاء بما التزم به من بيع أو إجارة:(وغير ذلك من المعاملات المالية ما دامت مشروعة، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ) ، وسواء كانت هذه العقود مبرمة بين المسلم والمسلم، أو المسلم وغير المسلم)[(٥)] .

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٤٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. ورواه أبو يعلى (٦٦٨٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٣/٨) (٣٠١٤)، وأبو نعيم في الحلية)) (١٤٢/٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٨٩٢): هذا المتن مع غرابته يكتسب بكثرة طرقه قوة، وحسن إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٧٥/٣)، وجوَّد إسناده العجلوني في كشف الخفاء (١٦١/١).

(٢) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث٢٢٢٧ .

(٣) رواه الطبراني (١٩٩/١٩) (٤٤٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٣٥/٤) (٥٣١٥) واللفظ له. حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٩١).

(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦٩٦ .

(٥) حسن مرسي ، الأخلاق الإسلامية ، ص ٢١٨ .

٩- وفاء الولاة والأمراء بالعهود والمواثيق في علاقاتهم مع الدول: وقد دلَّت على ذلك عمومات النصوص، وأكَّد الرسول صلى الله عليه وسلم على احترام الأحلاف المعقودة في الجاهلية، وقال صلى الله عليه وسلم مؤكِّدًا على ضرورة الوفاء بأحلاف الجاهلية: (أوفوا بحلف الجاهلية فإنه لا يزيده – يعني الإسلام– إلا شدة)[١] . وظلَّ تاريخ الإسلام منذ فجر عهده، وعلى مرِّ مراحله التاريخية، صفحة بيضاء نقية، لم يدنَّس بخيانة، ولا غدر، ولا نقض عهد، بدون وجود ناقض من العدو[٢] ، قال النووي: (واتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل)[٣]، [٤] . .

ونتحدث بإسهاب عن نظام العمل في المملكة العربية السعودية والحقوق والواجبات؛ وهي من أهم أنواع العقود الواجب إيفاؤها بين العامل وصاحب العمل :

جاء في الموقع الرسمي لحقوق الإنسان حول هذا الأمر ما يلي :(لقد حدد نظام العمل ولائحته التنفيذية العلاقة بين العامل وصاحب العمل بما يحفظ حقوق وواجبات كل طرف منهما، فجميع العاملين مواطنين ومقيمين في المملكة يتمتعون بنفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات على حداً سواء.

وسوف نستعرض أبرز الحقوق والواجبات التي اشتمل عليها نظام العمل ولائحته التنفيذية.

الحقوق : و يمكن أن نلخص أبرز حقوق العامل فيما يلي:

١- الأجر: يعتبر الأجر أهم حق للعامل تجاه صاحب العمل، والآيات والأحاديث على ذلك كثيرة، ومنها قوله تعالى: (**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَومَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ

---

(١) رواه الترمذي (١٥٨٥)، وأحمد (٢٠٧/٢) (٦٩٣٣). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح، وحسن إسناده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٤٦١/١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٥٨٥) وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق (مسند أحمد) (١٤٠/١١).

(٢) (الوفاء بالعهود والمواثيق في الشريعة الإسلامية) لعبد الله بن محمد الحجيلي (ص ٣٣٧).

(٣) النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١٢ ، ص ٤٥ .

(٤) علوي عبدالقادر السقاف ، الدرر السنية ، صور الوفاء.

غَدَرَ، ورَجُلٌ باعَ حُرًّا فأَكَلَ ثَمَنَهُ، ورَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجِيرًا فاسْتَوْفَى منه ولم يُعطِه أجرَه)[1].

٢- أجيراً فاستوفى منه

٣- الحصول على حقوقه التي ضمنها عقد العمل.

٤- عدم إرهاقه والإضرار بصحته وجعله عاجزاً عن العمل.

٥- الاستمرار في عمله إذا نقصت مقدرته على الإنتاج.

٦- المحافظة على كرامته.

٧- الحق في التقاضي.

٨- الحصول على الرعاية الطبية.

وسنستعرض فيما يلي حقوق العامل (الأجر، ساعات العمل وفترات الراحة، الإجازات، مكافأة نهاية الخدمة، وحقه في ترك العمل دون إشعار).

أولا : الأجر:

فيما يتعلق بالأجر فقد أوجب نظام العمل ما يلي:

١- دفع أجر العامل بالعملة الرسمية للبلاد.

٢- يجب دفع الأجر في ساعات العمل ومكان العمل.

٣- الالتزام بمواعيد استحقاق الأجر وفق المواعيد المحددة والمتفق عليها.

٤- دفع الأجر عن طريق البنوك المعتمدة في المملكة.

٥- لا يجوز أن تزيد نسبة المبالغ المحسومة على نصف أجر العامل المستحق، ما لم يثبت لدى هيئة تسوية الخلافات العمالية إمكان الزيادة في الحسم عن تلك النسبة.

٦- يدفع صاحب العمل للعامل أجراً إضافياً عن ساعات العمل الإضافية يوازي أجر الساعة مضافاً إليه ٥٠% من أجره الأساسي.

الحالات التي يجوز فيها حسم مبالغ من أجر العامل بدون موافقة خطية منه:

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٢٢٧ .

١- استرداد قروض صاحب العمل بشرط ألا يزيد ما يحسم من العامل على ١٠% من أجره.

٢- اشتراكات التأمينات الاجتماعية

٣- اشتراكات العامل في صندوق الادخار والقروض المستحقة للصندوق.

٤- أقساط أي مشروع يقوم به صاحب العمل مثل بناء المساكن بقصد تمليكها للعمال أو أي مزية أخرى.

٥- الغرامات التي توقع على العامل بسبب المخالفات التي يرتكبها وكذلك المبالغ التي تقتطع منه مقابل ما أتلفه

٦- استيفاء دين إنفاذاً لأي حكم قضائي على ألا يزيد ما يحسم شهرياً لقاء ذلك على ربع الأجر ما لم تضمن الحكم خلاف ذلك.

٧- إذا أوقف العامل من قبل الجهات المتخصصة في قضايا تتصل بالعمل أو بسببه فعلى صاحب العمل أن يستمر في دفع ٥٠% من الأجر إلى العامل حتى يفصل في قضيته على ألا تزيد مدة التوقيف ١٨٠ يوماً، وإذا حكم ببراءة العامل يعاد ما خصم من أجره، أما إذا قضي بإدانته فلا يستعاد منه ما قد سبق وأن صرف له ما لم ينص الحكم على خلاف ذلك.

ثانيا : ساعات العمل وفترات الراحة:

فيما يتعلق بساعات العمل وفترات الراحة فإن نظام العمل حدد ما يلي:

١- لا يجوز تشغيل العامل أكثر من ثماني ساعات في اليوم الواحد أو أكثر من ثمان وأربعين ساعة في الأسبوع مع مراعاة تخفيض ساعات العمل في شهر رمضان بحيث لا تزيد ساعات العمل عن ست ساعات يومياً أو ست وثلاثين ساعة في الأسبوع.

٢- لا يعمل أي عامل أكثر من خمس ساعات متتالية دون فترة للراحة والصلاة والطعام، بحيث لا تقل فترة الراحة عن نصف ساعة في المرة الواحدة خلال مجموع ساعات العمل، وبحيث لا يبقى العامل في مكان العمل أكثر من اثنتي عشرة ساعة يومياً.

٣- لا يكون العامل تحت سلطة صاحب العمل خلال فترات الراحة.

٤- بالنسبة للراحة الأسبوعية فإن يوم الجمعة هو يوم الراحة الأسبوعية لجميع العمال، ويمكن أن يستبدل هذا اليوم لبعض أنواع العمل أي يوم من أيام الأسبوع بعد إبلاغ مكتب العمل المختص.

ثالثا : الإجازات:

فيما يتعلق بالإجازات فإن نظام العمل حدد ما يلي:

١- يستحق العامل إجازة سنوية عن كل عام لا تقل مدتها عن واحد وعشرين يوماً تزاد إلى ثلاثين يوماً إذا مضى العامل في خدمة صاحب العمل خمس سنوات متصلة.

٢- يدفع أجر الإجازة مقدماً.

٣- لا يجوز النزول عن الإجازة بمقابل نقدي ويجب أن يتمتع العامل بها وقت استحقاقها.

٤- يجب على صاحب العمل أن يخبر العامل بموعد إجازته قبل ثلاثين يوماً من الإجازة.

٥- بموافقة صاحب العمل يجوز تأجيل الإجازة أو جزء منها إلى السنة التالية.

٦- للعامل حق في الحصول على أجر الإجازة التي لم يتمتع بها إذا ترك العمل.

٧- للعامل الحق في إجازة ثلاثة أيام في حالة ولادة مولود له، وخمسة أيام لمناسبة زواجه أو في حالة وفاة زوجه أو أحد أصوله وفروعه.

٨- للعامل الحق في إجازة بأجر كامل لتأدية امتحانات إذا كان منتسباً لمؤسسة علمية بعدد أيام الامتحان الفعلية.

٩- للعامل أن يحصل على إجازة بدون راتب بموافقة صاحب العمل.

١٠- للعامل الحق في الحصول على إجازة مرضية مثبتة ويستحق العامل أجر الثلاثين يوم الأولى كاملة وثلاثة أرباع الأجر عن الستين يوماً التالية ودون أجر للثلاثين يوماً التي تلي ذلك خلال السنة الواحدة سواء كانت هذه الإجازات متصلة أو متقطعة

١١- لا يجوز للعامل العمل لدى صاحب عمل آخر أثناء تمتعه فيما سبق من إجازات.

١٢- للعاملة الحق في إجازة وضع بأجر كامل لمدة عشرة أسابيع توزعها كيف تشاء، تبدأ بحد أقصى بأربعة أسابيع قبل التاريخ المرجح للوضع.

١٣- لا يجوز تشغيل المرأة بعد الوضع بأيحال من الأحوال خلال الستة أسابيع التالية له.

١٤- يحق للعاملة تمديد إجازة الوضع مدة شهر دون أجر.

١٥- للعاملة الحق في حالة إنجاب طفل مريض أو من ذوي الاحتياجات الخاصة وتتطلب حالته الصحية مرافقاً له — في إجازة مدتها شهر بأجر كامل تبدأ بعد انتهاء مدة إجازة الوضع، ولها الحق في تمديد الإجازة لمدة شهر دون أجر.

١٦- للعاملة المسلمة الحق في إجازة بأجر كامل مدة لا تقل عن أربعة أشهر وعشرة أيام في حالة وفاة زوجها.

١٧- للعاملة غير المسلمة الحق في إجازة بأجر كامل مدة خمسة عشر يوماً في حالة وفاة زوجها.

رابعا : مكافأة نهاية الخدمة:

كفل النظام للعامل مكافأة في نهاية الخدمة فإذا انتهت علاقة العمل وجب على صاحب العمل أن يدفع إلى العامل مكافأة عن مدة خدمته تحسب على أساس أجر نصف شهر عن كل سنة من السنوات الخمس الأولى، وأجر شهر عن كل سنة من السنوات التالية، لحساب المكافأة، ويستحق العامل مكافأة عن أجزاء السنة بنسبة ما قضاه منها في العمل ويتخذ الأجر الأخير أساساً لحساب المكافأة، وفي حال كان انتهاء علاقة العمل بسبب استقالة العامل يستحق في هذه الحالة ثلث المكافأة بعد خدمة لا تقل مدتها عن سنتين متتاليتين، ولا تزيد على خمس سنوات ويستحق ثلثيها إذا زادت مدة خدمته على خمس سنوات متتالية ولم تبلغ عشر سنوات ويستحق المكافأة كاملة إذا بلغت مدة خدمته عشر سنوات فأكثر.

خامسا : ترك العمل دون إشعار:

وفق نظام العمل يحق للعامل أن يترك العمل دون إشعار، مع احتفاظه بحقوقه النظامية كلها،

وذلك في أي من الحالات الآتية:

١- إذا لم يقم صاحب العمل بالوفاء بالتزاماته العقدية أو النظامية الجوهرية إزاء العامل.

٢- إذا ثبت أن صاحب العمل أو من يمثله قد أدخل عليه الغش وقت التعاقد، فيما يتعلق بشروط العمل وظروفه.

٣- إذا كلفه صاحب العمل دون رضاه بعمل يختلف اختلافاً جوهرياً عن العمل المتفق عليه.

٤- إذا وقع من صاحب العمل أو أحد من أفراد أسرته، أو من المدير المسؤول اعتداء يتسم بالعنف، أو سلوك مخل بالآداب نحو العامل أو أحد أفراد أسرته.

٥- إذا اتسمت معاملة صاحب العمل أو المدير المسؤول بمظاهر القسوة والجور أو الإهانة.

٦- إذا كان في مقر العمل خطر جسيم يهدد سلامة العامل أو صحته، بشرط أن يكون صاحب العمل قد علم بوجوده، ولم يتخذ من الإجراءات ما يدل على إزالته.

٧- إذا كان صاحب العمل أو من يمثله قد دفع العامل بتصرفاته وعلى الأخص بمعاملته الجائرة أو بمخالفته شروط العقد إلى أن يكون العامل في الظاهر هو الذي أنهى العقد.

الواجبات:

حدد نظام العمل أبرز الواجبات التي ينبغي على العامل الالتزام بها وهي:

١- التقيد بالتعليمات المتعلقة بالعمل ما لم يكن فيها ما يخالف نصوص عقد العمل أو النظام العام أو الآداب أو ما يعرض للخطر.

٢- المحافظة على مواعيد العمل.

٣- إنجاز العمل على الوجه المطلوب.

٤- العناية بالأدوات التي تحت تصرفه والمحافظة عليها وعلى ممتلكات المنشأة.

٥- الالتزام بحسن السيرة والسلوك والعمل على سيادة روح التعاون بينه وبين زملائه

وطاعة رؤسائه والحرص على إرضاء عملاء المنشأة في نطاق اختصاصه وفي حدود النظام.

٦- تقديم العون والمساعدة في الحالات الطارئة.

٧- المحافظة على الأسرار الفنية والصناعية والتجارية للمنشأة.

٨- عدم ممارسة أي عمل آخر خارج نطاق عمله سواء بأجر أو دون أجر.

٩- عدم استغلال عمله بالمنشأة تحقيق مصلحة شخصية له أو لغيره على حساب المنشأة.

١٠- تحديث بياناته بالمنشأة كلما طرأ جديد على حالته الاجتماعية أو محل إقامته.

١١- التقيد بالتعليمات والأنظمة والعادات والتقاليد المرعية بالبلاد.

١٢- عدم استعمل أدوات المنشأة ومعداتها في الأغراض الخاصة.

بعض مؤشرات الاستغلال الجنسي:

١- مرافقة ومراقبة الضحية من التاجر وتقييد حريتها في التنقل

٢- عدم معرفة اللغة المحلية ما عدا المفردات المتصلة بالجنس.

٣- وجود ما يدل على أن الضحية واقعة تحت سيطرة شخص آخر.

٤- عدم وجود مبالغ نقدية خاصة بها.

٥- لا تستطيع إبراز وثائق تدل على هويتها.

٦- تنقل الضحية بين المحافظات والمدن.

بعض المؤشرات لضحايا الاتجار بالأشخاص:

١- العمل في محيط معين ولا يسمح لهم بمغادرته.

٢- التعرض للعنف، وقد يعانون من إصابات ناتجة عن تعرضهم لاعتداء.

٣- الخوف من انكشاف وضعهم المخالف لأنظمة الإقامة والعمل.

٤- العمل لساعات عمل طويلة دون أن تكون لهم فترات راحة أو أيام إجازة.

٥- عدم حملهم لجوازات سفرهم أو وثائق تثبت هويتهم، لأنها محتجزة لدى أشخاص

آخرين.

٦- الحصول على أجر زهيد أو لا يدفع لهم أجر.

٧- يكون الاتصال بأسرتهم أو بمن هم خارج محيطهم الاجتماعي محدود أو معدوم.

٨- عدم الحصول على الرعاية الطبية.

٩- دفع رسوم أو أموال مقابل نقلهم لبلد المقصد ويجب عليهم العمل وتقديم الخدمات لأشخاص آخرين مقابل ذلك.

بعض مؤشرات العمل أو الخدمة قسراً:

١- العيش كجماعات في نفس المكان الذي يعملون فيه ولا يغادرونه إلا نادراً.

٢- لا يرتدون الملابس المخصصة للعمل الذي يقومون به.

٣- عدم الحصول على الأجر الذي اكتسبوه.

٤- يفتقرون إلى التدريب الأساسي والرخص المهنية.

٥- يخضعون لتدابير أمنية تهدف إلى إبقائهم في أماكن العمل.

٦- لا يتاح لهم حرية اختيار السكن ومكانه.

٧- عدم وجود عقد عمل.

٨- عدم قدرة صاحب العمل على إبراز سجلات الرواتب والأجر المدفوع للعمال[١] .

س٦٦ : لماذا كان الإحسان أعلى مراتب الدين ؟.

ج٦٦ : الإحسان في اللغة: إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه.

وفي الشرع يختلف معناه بحسب إطلاقه وله حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على سبيل الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام والإيمان، فيراد به الدين كله كما سبق في الإسلام والإيمان.

الحالة الثانية: أن يقترن بهما أو أحدهما فيكون معناه: تحسين الظاهر والباطن وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم تفسيراً لا يستطيعه أحد من المخلوقين غيره صلى الله عليه وسلم لما

---

(١) هيئة حقوق الإنسان لجنة مكافحة الاتجار بالأشخاص ، حقوق و واجبات العامل الموقع الرسمي.

أعطاه الله من جوامع الكلم فقال صلى الله عليه وسلم: (الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] ، وهي أعلى مراتب الدين وأعظمها خطرا وأهلها هم السابقون بالخيرات المقربون في أعلى الدرجات.

مقام المحسنين في الإحسان : أخبر صلى الله عليه وسلم أن مرتبة الإحسان على درجتين وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:

المقام الأول وهو أعلاهما: أن تعبد الله كأنك تراه وهذا يسميه بعض العلماء (مقام المشاهدة) وهو أن يعمل العبد كأنه يشاهد الله عز وجل بقلبه فيضيئ القلب بالإيمان حتى يصير الغيب كالعيان فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم.

المقام الثاني: **مقام الإخلاص (والمراقبة)** :وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى لأن استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله، وإرادته بالعمل. وهذا المقام إذا حققه العبد سهل عليه الوصول إلى المقام الأول. ولهذا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم تعليلا للأول فقال: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

وفي بعض ألفاظ الحديث: (فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك) فإذا تحقق في عبادته بأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولا يخفى عليه شيء من أمره فحينئذ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الثاني وهو دوام استشعار قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه يراه. نسأل الله من فضله العظيم[1]، [2].

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٧٦٢ .
(٢) معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي (٢ / ٢٠ – ٣٣، ٣٢٦ – ٣٢٨) المجموع الثمين لابن عثيمين (١ / ٤٩، ٥٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ١٠٦)
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ،في ٢٩ديسمبر ٢٠٠٣ م.

س٦٧: لماذا لا تحل الصدقة لآل البيت ؟.

ج٦٧: من حقوق آل البيت : تحريم الزكاة والصدقة عليهم؛ وذلك لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد)[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما تحريم الصدقة فحرمها عليه وعلى أهل بيته تكميلاً لتطهيرهم، ودفعاً للتهمة عنه؛ كما لم يورث، فلا يأخذ ورثته درهماً ولا ديناراً)[2] .

هذه هي أهم الحقوق التي أوجبها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لآل بيت النبي عليهم السلام، اقتصرنا فيها على ما اشتهر نصه وذاع أمره؛ خشية الإطالة وحرصاً على الاختصار؛ فالواجب على كل مسلم مراعاتها ومعرفتها، واتباع ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم تجاهها، فضلاً عن محبتهم وتوقيرهم[3].

شروط استحقاق آل البيت حقوقهم:

يظهر من خلال معتقد أهل السنة والجماعة أنهم يشترطون لموالاة قرابة النبي صلى الله عليه وسلم شرطين، لابد من تحققهما لتكون الموالاة لهم، وإلا فإنهم لا يجدون ذلك الاحترام وتلك المكانة؛ فإن فيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والسني والرافضي وغير ذلك.

الشرط الأول: أن يكونوا مؤمنين مستقيمين على الملة ، فإن كانوا كفاراً فلا حق لهم في الحب والتعظيم والإكرام والولاية، ولو كانوا من أقرب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم كعمه أبي لهب.

يقول الشيخ العلامة العثيمين رحمه الله تعالى في تقرير هذا الشرط: (فنحن نحبهم لقرابتهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولإيمانهم بالله، فإن كفروا فإننا لا نحبهم ولو كانوا أقارب الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فأبوا لهب عم الرسول عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن نحبه بأي حال من الأحوال، بل يجب أن نكرهه لكفره، ولإيذائه النبي صلى الله عليه

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٧٢
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٩ ، ص ٣٠ .
(٣) صالح بن عبد الله الدرويش ، آل البيت عليه السلام وحقوقهم الشرعية، ص: ٣٨

وسلم، وكذلك أبو طالب؛ فيجب علينا أن نكرهه لكفره ولكن نحب أفعاله التي أسداها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام من الحماية والذب عنه)[١].

الشرط الثاني: أن يكونوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة: فإن فارقوا السنة، وتركوا الجادة، وخالفوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وتلبسوا بالبدع والمحدثات؛ فإنه ليس لهم حق في الحب والتعظيم والإكرام والولاية، حتى يرجعوا إلى السنة، ويتمسكوا بها، والواجب في هذه الحالة دعوتهم إلى العودة إلى الكتاب والسنة، ونبذ ما سواهما من الأهواء والبدع، وأن يكونوا على ما كان عليه سلفهم، كعلي رضي الله عنه وسائر بنيه، والعباس رضي الله عنه وأولاده.

يقول العلامة صديق حسن خان في تقرير هذا الشرط في معرض التعليق على حديث: (تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي)[٢]. (المراد بهم من هو على طريقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسمته ودله وهديه، ولا يستقيم المقارنة بكتاب الله إلا إذا كانوا موافقين له عاملين به. فمعيار الأخذ بالعترة اتفاقهم بالقرآن في كل نقير وقطمير...)، إلى أن قال: (وأما من عاد منهم مبتدعاً في الدين فالحديث لا يشمله؛ لعدم المقارنة، هذا أوضح من كل واضح، لا يخفى إلا على الأعمى. وكم من رجال ينسبونهم إليه صلى الله عليه وسلم في اتحاد الطين قد خرجوا من نسبة الدين، ودخلوا في عدد المنتحلين والغالين والجاهلين، وسلكوا سبيل المبتدعين المشركين، كالسادة الرافضة، والخارجة، والمبتدعة، ونحوهم. فليس هؤلاء مصداق هذا الحديث أصلاً وإن صحت نسبتهم الطينية إليه صلى الله عليه وسلم فقد فارقوه في النسبة الدينية، فالحاصل أن نفس هذا الحديث يخرج الخارجين عن الطريقة المثلى المأثورة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمارة للفرقة الناجية في حديث الافتراق، قال: (هم ما أنا عليه وأصحابي)[٣]، فمن كان من أهل البيت على هذه الشيمة الشريفة فهو

---

(١) ابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ، ج٣ ، ص ٢٧٤ -٢٧٥ .

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٧٨٦ ، و والطبراني (٦٦/٣) (٢٦٨٠). من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، وصححه ابن العربي في ((عارضة الأحوذي) (١٥٩/٧)، والألباني في (صحيح سنن الترمذي.) .

(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٦٤١ .). من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما. وقال: غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، وقال البغوي في ((شرح السنة)) (١٨٥/١)، وابن العربي في ((أحكام القرآن)) (٤٣٢/٣): ثابت، وقال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢٨٤/٣): أسانيدها جياد.

المستحق لما في الحديث، ومن لم يكن كذلك فليس أهلاً بما هنالك)[1] .

ويقول الشيخ صالح الفوزان ، في تقرير شرطي تولي أهل السنة لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم.(... وذلك إذا كانوا متبعين للسنة، مستقيمين على الملة كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنيه، وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا تجوز محبته، ولو كان من أهل البيت)[2].

يقول المقريزي رحمه الله: (فليست بدعة المبتدع منهم، أو تفريط المفرط منهم في شيء من العبادات، أو ارتكابه محرماً من المحرمات مخرج له من نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بل الولد ولد على كل حال عق أو فجر)[3] ؛ وهذا القول لا يستقيم على ما قرره أهل السنة، وأنه مبالغ فيه، فالكلام ليس في كونه من ولد النبي صلى الله عليه وسلم أم لا، وإنما في موالاته ومحبته حال بدعته.[4].

فالواجب واللائق في من ينتسب إلى أهل البيت المطهر أن يكونوا أولى الناس حظاً في تقوى الله وخشيته واتباع طريقة مشرفهم وسنته صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً باطناً وظاهراً، ناظرين إلى أن التفضيل الحقيقي هو بتقوى الله عز وجل واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند تفسير سورة تبت: (وليس في القرآن ذم من كفر به صلى الله عليه وسلم باسمه إلا هذا وامرأته (يعني أبا لهب) ففيه أن الأنساب لا عبرة لها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلفه عن الواجب أعظم، وكما قال تعالى:(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠))[5]، [6]

وجاء عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال لرجل يغلو فيه: (أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فابغضونا، فقال له الرجل: إنكم ذوو قرابة رسول الله صلى

---

(١) صديق حسن خان ، الدين الخالص ' ج٣ ، ص ٣٤٨ .
(٢) الشيخ صالح الفوزان ، شرح العقيدة الواسطية ، ص ١٩٦ .
(٣) المقريزي ، السلوك في معرفة الملوك ، ج٧ ، ص ١٩٩ .
(٤) خالد أحمد الصمي ، دراسات في أهل البيت النبوي ، ص ٦٢ .
(٥) سورة الأحزاب .
(٦) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٦ و ص ٦٠٢ .

الله عليه وسلم وأهل بيته، فقال: ويحكم، لو كان الله نافعنا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا، والله إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين)[١] ، وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) نحو هذا الكلام عن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم.)[٢] .

يقول صاحب المقال : وذلك لأن صاحب الشرف مظنة الاتباع والقدوة لغيره[٣].

الشرط الثالث: ثبوت النسب: أشرفُ الأنساب نسَبُ نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأشرف انتسابٍ ما كان إليه صلى الله عليه وسلم وإلى أهل بيتِه إذا كان الانتسابُ صحيحاً، وقد كثُرَ في العرب والعجم الانتماءُ إلى هذا النَّسب، فمَن كان من أهل هذا البيت وهو مؤمنٌ، فقد جمَع الله له بين شرف الإيمان وشرف النَّسب، ومَن ادَّعى هذا النَّسبَ الشريف وهو ليس من أهله فقد ارتكب أمراً محرَّماً، وهو متشبِّعٌ بِما لَم يُعط، وقد قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:(المتشبِّعُ بِما لَم يُعْطَ كلابس ثوبَي زور)[٤].

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة تحريمُ انتساب المرء إلى غير نسبِه، ومِمَّا ورد في ذلك حديثُ أبي ذر رضي الله عنه أنَّه سَمع النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس مِن رجلٍ ادَّعى لغير أبيه وهو يَعلَمه إلاَّ كفر بالله، ومَن ادَّعى قوماً ليس له فيهم نسبٌ فليتبوَّأ مقعَدَه من النار)[٥].

وفي(صحيح البخاري من حديث واثلة بن الأَسْقع رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ مِن أعظَمِ الفري أن يَدَّعيَ الرَّجلُ إلى غير أبيه، أو يُري عينَه ما لَم تَرَ، أو يقولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لَم يقل)[٦]، ، ومعنى الفري: الكذب، وقوله: ((أو يُري عينَه ما لَم تَرَ)، أي: في المنام.

---

(١) الهيثمي ، الصواعق المحرقة ، ص ٣٤٦ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٩ ، ص ١٧٨ .
(٣) سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص: ١٩٧.
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٢١٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢١٢٩ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٥٠٨ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٦١ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٥٠٩ .

وفي مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنَّ الوقفَ على أهل البيت أو الأشراف لا يستحقُّ الأخذَ منه إلاَّ مَن ثبت نسبُه إلى أهل البيت، فقد سُئل عن الوقف الذي أُوقِف على الأشراف، ويقول: (إنَّهم أقارب)، هل الأقاربُ شرفاء أم غير شرفاء؟ وهل يجوز أن يتناولوا شيئاً من الوقف أم لا؟

فأجاب: (الحمد لله، إن كان الوقفُ على أهل بيتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أو على بعض أهل البيت، كالعلويِّين والفاطميِّين أو الطالبيِّين، الذين يدخل فيهم بنو جعفر وبنو عَقيل، أو على العبَّاسيِّين ونحوِ ذلك، فإنَّه لا يستحقُّ مِن ذلك إلاَّ مَن كان نسبُه صحيحاً ثابتاً، فأمَّا مَن ادَّعى أنَّه منهم أو عُلِم أنَّه ليس منهم، فلا يستحقُّ مِن هذا الوقفِ، وإن ادَّعى أنَّه منهم، كبَنِي عبدالله بن ميمون القدَّاح؛ فإنَّ أهلَ العلمِ بالأنسَاب وغيرَهم يعلمون أنَّه ليس لهم نسبٌ صحيحٌ، وقد شهد بذلك طوائفُ أهل العلم من أهل الفقه والحديث والكلام والأنساب، وثبت في ذلك محاضرُ شرعيَّة، وهذا مذكورٌ في كتب عظيمة مِن كتب المسلمين، بل ذلك مِمَّا تواتر عند أهل العلم ، وكذلك مَن وقف على الأشراف، فإنَّ هذا اللفظ في العُرف لا يدخل فيه إلاَّ مَن كان صحيح النَّسَب من أهل بيت النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وأمَّا إن وقف واقفٌ على بني فلانٍ أو أقارب فلانٍ ونحو ذلك، ولم يكن في الوقف ما يقتضي أنَّه لأهل البيت النبويِّ، وكان الموقوف مُلكاً للواقف يصح وقفُه على ذريّة المعيَّن، لم يدخل بنو هاشم في هذا الوقف)[1]، [2]

فمتى ثبت الانتساب إلى آل البيت مع الإسلام استحق ما لهم من حقوق ، ويتعين على هذا ترك الانتساب إليه صلى الله عليه وسلم إلا بحق وقد جاء الوعيد الشديد في من انتسب إلى غير أبيه أو ادعى قوماً ليس له فيهم نسب، فقد جاء في الحديث الصحيح عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينه ما لم تر، أو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٣١ ، ص ٩٣ .
(٢) عبدالمحسن بن حمد العباد البدر ، فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة ، ص: ٨٢

يقل)[1] .

وجاء عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار)[2].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)[4].

ففي هذه الأحاديث الوعيد الشديد لمن انتسب إلى غير أبيه أو قوماً غير قومه، وتحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى غيره، وقيد لك بالعلم ولابد منه في الحالتين إثباتاً أو نفياً لأن الإثم يترتب على العالم بالشيء المتعمد له)[5] .

ومما يدل على عظم جرم صاحب ذلك الفعل أنه عطفه على الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم والكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كذب على الله وقد قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ....(٢١))[6].

وقد ذكر القاضي عياض أنه روي عن مالك فيمن انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم أنه يضرب ضرباً وجيعاً، ويشهر، ويحبس طويلاً حتى تظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم)[7].

ومع هذا فقد كثر في العصور المتأخرة الانتساب إلى آل البيت إما لمطامع دنيوية وطلب

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٥٠٦ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٠٥٨ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٣٢٦ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٧٦٨ .
(٥) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٤٠٩ – ٤١٠ ، وانظر (فتح الباري)) لابن حجر (٥٤١/٩).
(٦) سورة الأنعام .
(٧) القاضي عياض ، الشفا ، ج٢ ،ص ١١١٣ .

رفعة ومنزلة مكذوبة أو من أجل الكيد للإسلام وأهله.

فالناظر في كتب التصوف يجد أن كثيراً من أرباب الطرق ينتسبون إلى آل البيت ليخدعوا الناس بتلك الدعوى، كما أن كتب الرافضة مليئة بذلك حيث اتخذوا آل البيت ستاراً لبث أفكارهم ومعتقداتهم.

وكما تقدم من أن الانتساب إلى آل البيت لا يكفي لوحده ولو ثبت ذلك فإن الصوفية القائلة بوحدة الوجود أو أن الشريعة لها ظاهر وباطن أو جواز الطواف على القبور والعكوف عندها، والرافضة القائلة بأن القرآن محرف ومزيد فيه ومنقوص منه[١] ، وغير ذلك من المعتقدات التي تنافي الإسلام كالقول بالرجعة ونسبة البداء لله سبحانه وتعالى فهؤلاء وأمثالهم لا حظ لهم في الحقوق ولو صح انتسابهم إلى آل البيت لعدم توافر الشرط اللازم لذلك[٢]، [٣].

وقد اتفق العلماء على عدم جواز أكل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من أموال الزكاة المفروضة ، نقل ذلك الإجماع غير واحد من أهل العلم[٤].

وأما صدقة التطوع فذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يجوز لآل محمد صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا منها ، وهذا القول هو المشهور من مذاهب أئمة الفقه الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله)[٥] .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : " ولا يحرم على آل محمد صدقة التطوع ، إنما يحرم عليهم الصدقة المفروضة :

---

(١) انظر :(الكافي للكليني (٣٦١/٢)، وتفسير العياشي(٩/١)، والاحتجاج للطبرسي (ص: ٢٤٩) ، وأن الصحابة جلهم قد ارتد عن الإسلام انظر ذلك في روضة الكافي للكليني (٢٤٥/٨-٢٤٦)، والاختصاص للمفيد (ص: ٦)، والغدير للأميني (٢٦١/٣-٢٦٢)، وبصائر الدرجات (ص: ٢٨٩)، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٩/٢٧ وما بعدها.) وأن الأئمة معصومون أصول الكافي للكليني (٢٦١/١)، (بصائر الدرجات للصفار (ص: ١٤٩)، عقائد الإمامية) للزنجاني (١٥٧/٢)، الحكومة الإسلامية للخميني (ص: ٩١).

(٢) سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص١٩٧ .

(٣) علوي عبد القادر السقاف ، الدرر السنية ، حقوق آل البيت .

(٤) سعدي أبو جيب ، موسوعة الإجماع' ج٢ ، ص ٥١٧ ــ ٥١٨ .

(٥) انظر: "رد المحتار" (٣٥١/٢) ، "التاج والإكليل" (٢٢٣/٣) ، "مغني المحتاج" (١٩٥/٤) ، "كشاف القناع" (٢٩١/٢-٢٩٢) .

أخبرنا إبراهيم بن محمد عن جعفر – الصادق– بن محمد – الباقر– عن أبيه : أنه كان يشرب من سقايات الناس بمكة والمدينة فقلت له : أتشرب من الصدقة وهي لا تحل لك ؟ فقال : إنما حرمت علينا الصدقة المفروضة .

قال الشافعي : وتصدق علي وفاطمة على بني هاشم وبني المطلب بأموالهما ، وذلك أن هذا تطوع ، وقبل النبي صلى الله عليه وسلم الهدية من صدقة تصدق بها على بريرة ، وذلك أنها من بريرة تطوع لا صدقة [(١)].

وقال ابن قدامة رحمه الله :(ويجوز لذوي القربى الأخذ من صدقة التطوع ، قال أحمد في رواية ابن القاسم : إنما لا يُعطَوْن من الصدقة المفروضة ، فأما التطوع ، فلا . وعن أحمد ، رواية أخرى : أنهم يمنعون صدقة التطوع أيضا ؛ لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : (إنا لا تحل لنا الصدقة) ، والأول أظهر ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المعروف كله صدقة) متفق عليه . وقال الله تعالى : (فمن تصدق به فهو كفارة له) وقال تعالى : (فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) ولا خلاف في إباحة المعروف إلى الهاشمي ، والعفو عنه وإنظاره . وقال إخوة يوسف : (وتصدق علينا) ، والخبر – يعني الحديث– أريد به صدقة الفرض ؛ لأن الطلب كان لها ، والألف واللام تعود إلى المعهود [(٢)].

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله :نحن أسرة متوسطة الحال ، ومن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدينا وثائق تثبت ذلك ، وقد بلغ والدي سن الستين ، حيث تنطبق عليه شروط الالتحاق بالضمان الاجتماعي ، وقد طلبنا من الوالد الاستفادة من الضمان الاجتماعي لكنه رفض ؛ لأن هناك حديثا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ينص على عدم إعطاء الزكاة والصدقة لأهل بيته ، وسؤالي هل يعتبر الضمان الاجتماعي في حكم الصدقة أم لا ؟ أفيدوني ؟.

فأجاب :إذا توافرت في والدك الشروط المعتبرة فيمن يستفيد من مصلحة الضمان

---

(١) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٢ ، ص ٨٨ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج ٢ و ص ٢٧٥ .

الاجتماعي فإنه يحل له أخذ ذلك ؛ لأنه مساعدة من بيت المال للفقراء الذين تتوافر فيهم الشروط المطلوبة ، وليس هو من الزكاة حسب إفادة الجهة المسئولة عن ذلك[1] .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :" إذا كانت الصدقة صدقة تطوع فإنها تعطى إليهم ولا حرج في هذا ، وإن كانت الصدقة واجبة فإنها لا تعطى إليهم[2].

وعلى هذا فلا حرج عليكم من الأكل من الطعام الذي يوزع في الحرمين ومشاعر الحج ، لأن ذلك ليس من الصدقة المفروضة [3].

س٦٨ : لماذا تعددت أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم ؟.

ج٦٨ : أطلق الله سبحانه وتعالى عدّة أسماءٍ على يوم القيامة، منها: النبأ العظيم، والغاشية، والقارعة، ويوم الدِّين، ويوم البَعث، والصاخّة، والحاقّة، ويوم الفَصل، وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أنّ حديث القرآن الكريم عن يوم القيامة، وما له من أسماءٍ يدلّ على أنّه لا يمكن لأحدٍ معرفة معانيها الحقيقيّة، وقد عُرِّف عن يوم القيامة في القرآن بأسلوب الاستفهام؛ من باب إبهام المعنى على القارئ، والسامع، وتعظيم شأن يوم القيامة، وتهويله، ومع أنّ العرب على علمٍ في اللغة، إلّا أنّهم لم يُدركوا معاني تلك الأسماء، ممّا يدلّ على أنّ معنى الألفاظ في اللغة يختلف عن المعنى الاصطلاحيّ لها، كما أنّ معاني أسماء يوم القيامة، مثل: الحاقّة، والقارعة نُقِلت من المعنى اللغويّ إلى المعنى الغيبيّ؛ فلا أحد يُدرك حقيقة تلك المعاني إلّا الله سبحانه.

معاني أسماء يوم القيامة :

وردت أسماء يوم القيامة في نصوص القرآن الكريم، والسنّة النبويّة، وفيما يأتي ذِكْر تلك الأسماء، وتفصيلها:

١- يوم القيامة: القيامة في اللغة: مصدرٌ من الفعل الثلاثيّ (قام)، (يقوم)، وأُدخِلت تاء التأنيث عليها من باب المبالغة، وسُمِّي بهذا الاسم؛ لِما فيه من أمورٍ عظيمةٍ، ومنها: قيام الناس لله -عزّ وجلّ-، وقد ورد ذِكر يوم القيامة في سبعين موضعاً في القرآن

---

(١) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٤ ، ص ٣١٥ ، وج١٤ ، ص ٣١٣ .
(٢) ابن عثيمين ، ج١٨ ، ص ٤٢٩ .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ٢٠ / ١ / ٢٠٠٨ م.

الكريم، ومنها قوله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ...(٦٠))[١].

٢- اليوم الآخر: وقد سُمِّي باليوم الآخر؛ إذ لا يوم بَعده؛ قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢))[٢].

٣- الساعة: بيّن الإمام القرطبيّ أنّ الساعة تدلّ في اللغة على جزءٍ من الزمن دون تحديدٍ، وسُمِّيت القيامة بالساعة؛ إمّا من باب قُرب وقوعها، وإمّا تنبيهاً على ما فيها من أمورٍ عظيمةٍ، وقِيل لأنّها قد تأتي فجأةً في أيّ وقتٍ؛ قال تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ(١٥))[٣].

٤- يوم البَعث: وقد سُمِّي بذلك؛ بسبب إحياء الأموات فيه، وإخراجهم من قبورهم؛ قال تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ(١٦))[٤].

٥- يوم الخروج: وسُمِّي بهذا الاسم؛ لأنّ الناس يخرجون فيه من قبورهم؛ للبَعث؛ قال تعالى: (يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ(٤٢))[٥].

٦- يوم الفَصل: وسُمِّي بذلك؛ لأنّ الله يفصل في هذا اليوم بين الخلائق؛ قال تعالى: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٠))[٦].

٧- يوم الفَتح: إذ يتمّ فيه الفَصل بين عباد الله؛ قال تعالى: (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ(٢٩))[٧].

---

(١) سورة الزمر .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة طه .
(٤) سورة المؤمنون .
(٥) سورة ق .
(٦) سورةالدخان .
(٧) سورة السجدة

٨- يوم الدِّين: ويُقصَد بالدِّين هنا: الجزاء؛ إذ إنّه اليوم الذي يُجازي الله سبحانه وتعالى فيه عبادَه على ما قدّموا من أعمالٍ؛ فيُثاب مَن فعل البِرّ، ويُعاقَب مَن ارتكب الشرّ، ولا يُعذّب الله أحداً دون إقامة الحُجّة؛ بإرسال الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، وتأييدهم بالكُتُب السماويّة، وبذلك يستحقّ العباد الثواب، أو العقاب؛ قال تعالى عن نفسه: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤))[١].

٩- الصاخّة: وتُعرَّف بأنّها: الصيحة الشديدة التي تصمّ الأُذن؛ لقُوّتها؛ قال -تعالى-: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ(٣٣))[٢].

١٠- الطامّة الكُبرى: الطامّة في اللغة: الداهية العظيمة، وعُرِّفت كذلك ب: الأمر الذي لا يُطيقه الشخص، ولا يستطيعه، وسُمِّي يوم القيامة بالطامّة؛ لأنّه يطمّ كلّ شيءٍ؛ أي يضعه فوق بعضه البعض؛ قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ(٣٤))[٣].

١١- يوم الحَسرة: الحَسرة في اللغة: أشدّ مراحل النَّدَم، ويوم الحسرة هو: اليوم الذي يكون فيه النَّدَم شديداً، وهو يوم القيامة؛ إذ يرى كلّ عبدٍ حصيلة أعماله، وتكون الحسرة بما يراه أهل النار من منازل أهل الجنّة، فتشتدّ حَسرتهم؛ قال تعالى: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(٣٩))[٤].

١٢- الغاشية: وسُمِّيت بالغاشية؛ لأنّه يغشى الخلائق بما فيه من أحداث، وشدائد؛ قال -تعالى-: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(١))[٥]. يوم الخلود: إذ إنّه دائمٌ أبديٌّ لا انتهاء له؛ يقول تعالى مخاطباً أهل الجنّة: (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ(٣٤))[٦].

١٣- يوم الحساب: وسُمِّي بيوم الحساب؛ لأنّ الله سبحانه يُحاسب عباده على كلّ ما صدرَ منهم في الحياة الدُّنيا، وقال الإمام القرطبيّ في تفسير معنى الحساب: معنى الحساب

---

(١) سورة الفاتحة .
(٢) سورة عبس .
(٣) سورة النازعات.
(٤) سورة مريم .
(٥) سورة الغاشية .
(٦) سورة ق .

الحساب: أنّ الله عزّ وجلّ يسجّل ويُحصي ويُعدّد على الخلق أعمالهم من إحسانٍ أو إساءةٍ، ثمّ يعدّد عليهم نعمه التي تقلّبوا فيها: نعمة الخلق والإيجاد، والرزق والإمداد والإسعاد، والهداية والدِّين، ثمّ يقابل بعضها ببعضٍ؛ فما زاد عن الآخر حكم للزائد بحكمه الذي عيّنه له بالخير أو بالشرّ"؛ قال تعالى على لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام: (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ(٤١))[١].

١٤- الواقعة: قال الضحّاك إنّ الواقعة هي: الصيحة؛ أي النَّفْخ في الصُّور، ويُقصَد بالواقعة أنّ القيامة ليست كاذبةً، ولا رَدّ لها فهي ستقع لا محالة؛ قال تعالى: (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(٢))[٢].

١٥- يوم الوعيد: أي وقت تحقيق الوعيد الذي ذكره الله تعالى؛ بمحاسبة العبد على ما قدَّم لله من أعمالٍ؛ قال تعالى: (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ(١٥))[٣].

١٦- يوم الآزفة: وسُمِّي بذلك؛ لقُربه؛ أي اقتراب وقت وقوعه، يُقال في اللغة: أَزِفَ الرجل؛ أي قرب؛ قال تعالى: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ...(١٨))[٤].

١٧- يوم الجَمع: وسُمِّي بذلك؛ لأنّ الله يجمع الخلائق كلّها؛ للحساب، والجزاء؛ قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ(٧))[٥].

١٨- الحاقّة: إذ تظهر الأمور، والحقائق، وما أُخفِي في الصدور يوم القيامة، فتَحِقّ وتتنزّل بالخلائق؛ قال -تعالى-: (الْحَاقَّةُ(١) مَا الْحَاقَّةُ(٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ(٣))[٦].

---

(١) سورة إبراهيم .
(٢) سورة الواقعة .
(٣) سورة طه .
(٤) سورة غافر .
(٥) سورة الشورى.
(٦) سورة الحاقة .

١٩- القارعة: وسُمِّيت بذلك؛ لأنّها تقرع الناس بما فيها من أحداث، وشدائد؛ قال تعالى: (الْقَارِعَةُ(١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣))[١].

٢٠- يوم التلاق: وسُمِّي بذلك؛ بسبب التقاء أهل الأرض مع أهل السماء، كما يُقابل كلّ شخص ما قدَّمه من أعمالٍ في حياته الدُّنيا؛ ليُجازى عليها؛ قال تعالى: (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ(١٥))[٢].

٢١- يوم التّناد: إمّا أن يُراد به: الفراق والبُعد، أو المناداة، والنداء الدالّ على رَفْع الصوت؛ قال تعالى: (وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ(٣٢))[٣].

٢٢- يوم الجَمع يوم التغابُن: وسُمِّي بذلك؛ لِما يكون فيه من الخُسران والضَّعف، وما يكون فيه من تمنّي الأقلّ منزلةً مكان الأعلى منه، وقِيل إنّ يوم القيامة سُمِّي بيوم التغابُن؛ لأنّ الأمور والأشياء تبدو بخِلاف طبيعتها وحقيقتها في الحياة الدُّنيا؛ قال تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٩))[٤].

٢٣- يوم الوعيد واليوم الموعود: وسُمِّي بذلك لأنّ الله يُحقّق فيه ما وعد به عباده في الدُّنيا من العذاب الموعود، والتخصيص بالوعيد والعذاب؛ لتهويل ذلك اليوم؛ قال تعالى: ((٢٠))[٥].

٢٤- أقسمَ الله بهذا اليوم بقوله تعالى : (وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ(٢))[٦].

٢٥- اليوم العسير: وسُمِّي بذلك لشدّة أحداثه، وقوّة عذابه على الكافرين؛ قال تعالى:

---

(١) سورة القارعة .
(٢) سورة غافر .
(٣) سورة غافر .
(٤) سورة التغابن .
(٥) سورة ق .
(٦) سورة البروج

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(٩)﴾[١].

٢٦- يوم الحشر: وسُمّي بيوم الحَشر لأنّه اليوم الذي تجتمع فيه الناس، وتُحشَر؛ للحساب والجزاء؛ قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا....(٢٨)﴾[٢].

٢٧- اليوم المشهود: وسُمّي بذلك لأنّ الخلائق تجتمع فيه، ويشهده مَن في السماء، ومَن في الأرض؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ(١٠٣)﴾[٣].

٢٨- يوم عبوس قمطرير: وُصِف يوم القيامة بأنّه اليوم الذي تعبس وتتجهّم فيه وجوه الكافرين؛ لسوء عاقبتهم، والقمطرير وَصف لانقباض وجوه الكفّار وما بَين عيونهم في ذلك اليوم؛ قال تعالى على لسان المؤمنين: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)﴾[٤].

٢٩- النبأ العظيم: وتعني الخبر العظيم الشأن الذي يهتمّ الناس به وبحدوثه؛ قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ(٢)﴾[٥].

٣٠- الجاثية: ويتضمّن هذا الاسم الوصف الذي يكون عليه الناس من الجثوّ والقعود على الرُّكَب في ذلك اليوم؛ قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٨)﴾[٦]؛وفي ذلك إشارة إلى تخاصُم الناس إلى ربّهم وهم قاعدون على رُكَبهم كما كانوا يفعلون في الدُّنيا.

سبب كثرة أسماء يوم القيامة:

تكمُن الحكمة من تعدُّد أسماء يوم القيامة في اعتبار أنّ كلّ اسمٍ من تلك الأسماء يدلّ

---

(١) سورة المدثر .
(٢) سورة يونس .
(٣) سورة هود .
(٤) سورة الإنسان .
(٥) سورة النبأ .
(٦) سورة الجاثية .

على وصفٍ مُحدَّدٍ، وبذلك يتحقّق الإيمان في القلوب بصورةٍ أبلغ، وتستعدّ النفوس ليوم القيامة بشكلٍ أفضل، كما أنّ في تعدُّد الأسماء تنويهاً من الله سبحانه لعباده بشأن ذلك اليوم، وتنبيهاً لهم؛ تحقيقاً للخوف في قلوبهم منه؛ فجميع تلك الأسماء تدلّ على عِظَمِ ذلك اليوم، وشأنه الكبير، وشِدّة وقائعه، كما أنّ ذلك يُعدّ من باب تعدُّد الأساليب القرآنية في الحديث عن اليوم الآخر[١] .

س٦٩ : لماذا نهى الاسلام عن الكذب ؟.

ج٦٩ : الله تعالى حرم الكذب وجاء ذلك في آيات كريمة وأحاديث نبوية يقول تعالى :

١- (إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٠٥))[٢] .

٢- (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ (٦))[٣] .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في ذم الكذب والتحذير منه :

١- (إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا) أخرجه البخاريُّ في (الأدب) بابُ قولِ الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩))[٤] وما يُنهى عن الكذب[٥]مِنْ حديثِ عبد الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه.).

٢- (آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)[٦].

٣- (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)[٧].

---

(١) موقع موضوع أسماء يوم القيامة ومعانيها، ٢٤ يونيو ٢٠٢٠.
(٢) سورة النحل .
(٣) سورة التحريم .
(٤) سورة التوبة .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٩٤ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٣ .
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٤ .

٤- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا)[١].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لمؤمن الصادق لا يكذب، ولكن قد يكذب لنقص إيمانه وضعف إيمانه، فالواجب على كل مؤمن أن يحذر الكذب، ينبغي أن يتحرى الصدق، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصدق! فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب! فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار)[٢]، ويقول الله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩))[٣] ، ويقول سبحانه: (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...(١١٩))[٤] .

فالواجب تحري الصدق والحذر من الكذب أينما كان إلا في الأوجه التي يجوز فيها الكذب، تقول أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها: (لم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها)[٥]، في هذا لا بأس في الثلاث إذا كذب للمصلحة، في هذه الثلاث فلا بأس: الإصلاح بين الناس، وفي الحرب من غير أن يغدر، وفي حديث الرجل مع امرأته، والمرأة مع زوجه)[٦].

أضرار الكذب :

١- انعدام الأمن والطمأنينة في الدنيا، فإنّ الصدق طمأنينةٌ، والكذب ريبةٌ وترقّبٌ وشكٌ واضطرابٌ، وخوفٌ من انكشاف الحقيقة التي سعى الكاذب إلى إخفائها.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٠٨٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٠٩٤ .
(٣) سورة التوبة .
(٤) سورة المائدة .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٦٥ .
(٦) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ، ج٢٨ ، ص ٤٣٦ ، سؤال موجه لسماحته بعد الدرس الذي ألقاه في المسجد الحرام بتاريخ ٢٧/ ١٢/ ١٤١٨هـ

٢- الكذب يمرّض القلب، فإنّ صاحبه يعاني من الضغط النفسي.

٣- الكذب يمحق البركة، وينقص الرزق؛ ودليل ذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (فإن صَدَقَا وبَيَّنَا بُورِكَ لهما في بَيْعِهِما، وإنْ كَتَمَا وَكَذَّبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بيَعْهِمَا)[١]، فإنّ الكذب والخداع والتدليس سبب في محق الله تعالى البركة، وإن كان البيع الظاهر رابحاً.

٤- الكذب يؤذي الملائكة، ويبعدها عن الكاذب، ودليل ذلك قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: (إذا كذب العبدُ تباعد المَلَكُ عنه مِيلًا من نتنِ ما جاء به)[٢].

٥- الكذب سببٌ لبغض الناس، وسببٌ لسقوط الكاذب من أعين الناس، وضياع هيبته بينهم، وهوانه عليهم، وزهدهم فيه.

٦- الكذب يحرم صاحبه هداية الله تعالى وتوفيقه، ودليل ذلك قول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ(٢٨))[٣] .

٧- الكذب سببٌ لحلول اللعنة على صاحبه، فتكون النتيجة بذلك، الطرد من رحمة الله عزّ وجلّ، ودليل ذلك قول الله تعالى: (ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ(٦١))[٤].

٨- الكذب يوصل صاحبه إلى الفجور؛ وهو الميل عن الحقّ، والاحتيال في رده، ويرشد الكذب إلى سوء الخاتمة، بسبب العادة السيئة التي تمسك بها صاحبها على الدوام، فكانت عاقبة الكاذب أن يُختم له بسوء جزاءً؛ لقبح عمله، وما من شكّ أنّ تلك الدلالات توصل إلى خاتمة العذاب في الآخرة أيضاً، فإنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم- قرن في حديثه بين من يكذب، ويكون الكذب ديدنه، وبين خاتمة السوء في الآخرة؛ وهو عذاب جهنم، ودليل ذلك قول النبي: (وإنَّ الكذِبَ يَهدي إلى الفُجورِ، وإن

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٠٨٢ .
(٢) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٤ ، ص ٥٥ .
(٣) سورة غافر
(٤) سورة آل عمران

وإنَّ الفجورَ يَهدي إلى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَكذِبُ، حتَّى يُكتَبَ عندَ اللَّهِ كذَّابًا)[1].

٩- إنّ الله تعالى لا يكلم الكاذب، ولا ينظر إليه يوم القيامة؛ بغضاً له، ولقبيح صنيعه، ودليل ذلك قول الله تعالى: (ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللهُ يومَ القيامةِ، ولا ينظرُ إليهم: رجلٌ حلف على سلعةٍ لقد أعطى بها أكثرَ مما أعطى وهو كاذبٌ، ورجلٌ حلف على يمينٍ كاذبةٍ بعد العصرِ ليقتطعَ بها مالَ امرئٍ مسلمٍ)[2]،[3].

صور الكذب :

١- الكذب على الله تعالى ورسوله: وهذا أعظم أنواع الكذب، (والكذب على الله نوعان:

النوع الأول : أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب.

النوع الثاني: أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا كذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله بما لم يرده الله عزَّ وجلَّ، لكن الثاني إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية، فإنَّ الله تعالى يعفو عنه؛ لأنَّ الله قال: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ(٧٨))[4] ، وقال تعالى : (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا... (٢٨٦))[5] ، وأما إذا تعمَّد أن يفسِّر كلام الله بغير ما أراد الله، اتباعًا لهواه أو إرضاء لمصالح أو ما أشبه ذلك، فإنَّه كاذب على الله عزَّ وجلَّ)[6]، وقال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ(٩٣))[7]، أي لا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممن كذب على الله. بأن نسب إلى الله قولًا أو حكمًا، وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأنَّ فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٩٤ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٤٤٦ .
(٣) عائشة البوريني ، موقع موضوع١٢ أكتوبر ٢٠١٨
(٤) سورة الحج .
(٥) سورة البقرة .
(٦) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٦ ، ص ١٥٦ .
(٧) سورة الأنعام .

إلى الله ما هو من أكبر المفاسد.

ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأنَّ الله يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه مع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم ، ويدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف)[١] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثلاثين كلُّهم يزعم أنَّه رسول الله)[٢] ، قال الله تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهِّ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ(٦٠))[٣] ، وقال سبحانه: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِّ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ...(٣٧))[٤] ، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِّ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِّ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(٣٣))[٥].وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :(من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)[٦] وقال صلى الله عليه وسلم : (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين)[٧].

(وأكثر الناس كذبًا على رسول الله هم الرافضة الشيعة، فإنه لا يوجد في طوائف أهل البدع أحد أكثر منهم كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نص على هذا علماء مصطلح الحديث رحمهم الله، لما تكلموا على الحديث الموضوع قالوا: إن أكثر من يكذب على الرسول هم الرافضة الشيعة، وهذا شيء مشاهد ومعروف لمن تتبع كتبهم)[٨].

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ٢٦٤ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،، رقم الحديث ٣٦٠٩ .
(٣) سورة الزمر .
(٤) سورة الأعراف .
(٥) سورة الأعراف .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١١٠ .
(٧) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، في باب وجوب الرواية عن الثقات، والترمذي (٢٦٦٢)، وابن ماجه (٤١)، وأحمد (٤/٢٥٥) رقم (١٨٢٦٦) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.
(٨) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٦ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

٢- الكذب على الناس بادِّعاء الإيمان: وهو كذب يظهر الإنسان فيه أنَّه من أهل الخير والصلاح، والتقى والإيمان، وهو ليس كذلك، بل هو من أهل الكفر والطغيان - والعياذ بالله - فهذا هو النفاق، النفاق الأكبر الذين قال الله فيهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ(٦))[١] ، لكنَّهم يقولون بألسنتهم، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون، وشواهد ذلك في القرآن والسنة كثيرة، إنهم - أعني المنافقين أهل الكذب يكذبون على الناس في دعوى الإيمان وهم كاذبون، وانظر إلى قول الله تعالى في سورة (المنافقون) حيث صدر هذه السورة ببيان كذبهم حيث قال تعالى: (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِّ...(١))[٢] أكدوا هذه الجملة بكم مؤكد؟ بثلاثة مؤكدات، (نشهد) (إن) (اللام) ثلاثة مؤكدات، يؤكدون أنهم يشهدون أنَّ محمدًا رسول الله، فقال الله تعالى: (وَاللهُّ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُّ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ(١))[٣] في قولهم (نشهد إنك لرسول الله) هذا أيضًا من أنواع الكذب، وهو أشدُّ أنواع الكذب على الناس؛ لأنَّ فاعله والعياذ بالله منافق[٤] .

٣- الكذب في الحديث بين الناس:(الكذب في الحديث الجاري بين الناس يقول: قلت لفلان كذا. وهو لم يقله. قال فلان كذا. وهو لم يقله. جاء فلان. وهو لم يأت وهكذا، هذا أيضًا محرم ومن علامات النفاق، كما قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب)[٥].

٤- الكذب لإضحاك الناس: روي عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة المنافقون .
(٣) سورة المنافقون .
(٤) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٦ ، ص ١٥٧ .
(٥) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٥٨ .

(ويل للذي يحدث بالحديث، ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له)[1] .

قال المناوي في شرحه للحديث: (كرره إيذانًا بشدة هلكته؛ وذلك لأنَّ الكذب وحده رأس كلِّ مذموم، وجماع كلِّ فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب، ويجلب النسيان، ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة)[2] .

قال ابن عثيمين: (وهذا يفعله بعض الناس ويسمونها النكت، يتكلم بكلام كذب ولكن من أجل أن يضحك الناس، هذا غلط، تكلم بكلام مباح من أجل أن تدخل السرور على قلوبهم، وأما الكلام الكذب فهو حرام)[3] .

(والحكمة من هذا المنع أنَّه يجر إلى وضع أكاذيب ملفقة على أشخاص معينين، يؤذيهم الحديث عنهم، كما أنه يعطي ملكة التدرب على اصطناع الكذب، وإشاعته فيختلط في المجتمع الحق بالباطل، والباطل بالحق)[4].

٥- المبالغة في الإطراء والمدح: (تمدح الناس مدرجة إلى الكذب، والمسلم يجب أن يحاذر حينما يثني على غيره، فلا يذكر إلا ما يعلم من خير، ولا يجنح إلى المبالغة في تضخيم المحامد، وطيِّ المثالب، ومهما كان الممدوح جديرًا بالثناء، فإنَّ المبالغة في إطرائه ضرب من الكذب المحرم)[5] ، فعن المقداد رضي الله عنه، قال: (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في وجوه المداحين التراب)[6].

قال النووي: (اعلم أنَّ مدح الإنسان والثناء عليه بجميل صفاته قد يكون في حضور الممدوح، وقد يكون بغير حضوره، فأمَّا الذي في غير حضوره، فلا منع منه إلا أن

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٩٩٠ ، والترمذي (٢٣١٥)، وأحمد (٥/٥) (٢٠٠٦٧) من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه. وحسنه الترمذي، والألباني في صحيح الترمذي.
(٢) المناوي ، فيض القدير ، ج٦ ، ص ٣٦٨ .
(٣) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٦ و ص ١١٧ .
(٤) عبدالرحمن الميداني ، الأخلاق الإسلامية ، ج١ ،ص ٤٩٥ .
(٥) الغزالي ، خلق المسلم ، ص ٣٦ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٣٠٠٢ .

يجازف المادح، ويدخل في الكذب، فيحرم عليه بسبب الكذب لا لكونه مدحًا، ويستحب هذا المدح الذي لا كذب فيه إذا ترتب عليه مصلحة، ولم يجرَّ إلى مفسدة، بأن يبلغ الممدوح فيفتتن به، أو غير ذلك)[1] .

٦- كذب التاجر في بيان سلعته: عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: ((أن رجلًا أقام سلعة في السوق، فحلف فيها، لقد أعطى بها ما لم يعطه، ليوقع فيها رجلًا من المسلمين))، فنزلت: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً....(٧٧))[2] ، [3] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر؛ ليقتطع بها مال رجل مسلم...)[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٧- الكذب على الأولاد: فكثيرًا ما يكذب الوالدان على أولادهما الصغار؛ رغبةً في التخلص منهم، أو تخويفًا لهم؛ كي يكفُّوا عن العبث واللعب، أو حفزًا لهم كي يجِدُّوا في أمر ما، أو غير ذلك.

٨- شهادة الزور: فالحيف في الشهادة من أشنع الكذب، فالمسلم لا يبالي إذا قام بشهادة ما أن يقرر الحقَّ، ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة.

٩- وتزكية المرشحين للمناصب العامة، نوع من أنواع الشهادة فمن انتخب المغموط في كفايته وأمانته، فقد كذب وزوَّر، ولم يقم بالقسط)[5] .

---

(١) النووي ، الأذكار ، ص ٢٧٦ .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٥٥١ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٣٦٩ .
(٥) الغزالي ، خلق المسلم ، ص ٣٧ .

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا، قلنا: بلى. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس. وكان متكئًا فجلس، وقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت))[1] .

١٠- المبالغة في المعاريض: فلا ريب أنَّ في المعاريض مندوحةً عن الكذب، ولكن هناك من يبالغ في المعاريض، ويتوسَّع فيها توسُّعًا يخرجه عن طوره، ويجعله يدخل فيها ما ليس منها، فتجده يقلب الحقائق، وينال من الآخرين، ويُلبس عليهم، ويحصل على مآربه بالمراوغة والمخاتلة، مما يوقعه في الكذب، فَتُفْقَدُ الثقة به، وبحديثه .

١١- الكذب السياسي: وهو الكذب الذي يقوم على القاعدة الميكافيلية التي تقول: (إن الغاية تبرر الوسيلة) أو (الغاية تسوغ الواسطة). وهذه القاعدة يأخذ بها غالبية السياسيين[2].

س٧٠: لماذا نهى الله تعالى عن المن في الصدقة ؟.

ج٧٠: أثنى الله تبارك وتعالى على الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله، ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المنَّ، ووعدهم بأنه سيوفيهم أجرهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقال تعالى: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ(٢٦٣))[3]، وهو أن يمن الإنسان بالعطية، أي: يذكرها ويكررها، فهو المذموم ،ومنه قوله تعالى: (لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى...(٢٦٤))[4]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)[5].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٩٧٦ ، وعند الإمام مسلم برقم ٨٧ .
(٢) علوي عبدالقادر السقاف ، الدرر السنية ، صور الكذب من كتاب الكذب مظاهره - علاجه لمحمد الحمد.
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة البقرة .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٧ .

والمنان: الذي لا يعطي شيئاً إلا منه)[1]، والمنان أيضاً: الذي يمن على الله بعمله، وهذا كله في حق المخلوق حرام مذموم ، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة منان)[2] .

ولما كان البارئ سبحانه يدر العطاء على عباده مناً عليهم بذلك وتفضلاً، كانت له المنة في ذلك ، فيرجع المنان إذا كان مأخوذاً من المن الذي هو العطاء إلى أوصاف فعله ، ويرجع المنان إذا أخذته من المنة التي هي تعداد النعمة وذكرها والافتخار بفعلها في معرض الامتنان، إلى صفة كلامه تعالى[3].

س٧١: لماذا نهى الله عن الإسراف والتبذير؟ .

ج٧١: من المظاهر الملاحظة عند بعض الناس الإسراف والتبذير في الطعام، فالإسراف سلوك مذموم يرفضه الإسلام، ولا يليق بالعبد المؤمن أن يكون مسرفاً، لأن الله تعالى لا يحب المسرفين، يقول تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١))[4].

فالإسراف في الطعام والشراب من التبذير؛ لما فيه من تضييع لنعم الله تعالى التي يجب أن تُشكر ولا تُكفر، والله تعالى يقول: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٧)إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا(٢٧))[5] ، ويقول سبحانه: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ(٧))[6]، والإسراف هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان أو قول .

وكما يكون الإسراف في الشر يكون في الخير، كمن تصدق بجميع ماله ، وليس

---

(١) افمام مسلم ، كتاب الإيمان ، ج١ و ص ١٠٢ .

(٢) النسائي ، سنن النسائي ، ج٨ ، ص ٣١٨ ، ورواه وأحمد (٢٠١/٢) (٦٨٨٢). من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال البخاري في ((تهذيب التهذيب)) (٣٧/٢): لم يصح، وقال صلاح الدين العلائي في ((تحفة التحصيل)) (١٢١): قيل إنه عن سالم عن نبيط عن جابان، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٩٩/١١)، وصححه الألباني في ((صحيح سنن النسائي)) (٣١٨/٨).

(٣) علوي السقاف ، الدرر السنية ، المن ، نقلا عن). (الكتاب الأسنى) (٢/ورقة ٣١٨ب – ٣١٩ب) . (المصدر:::النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد بن حمد الحمود - ٨٢/٣).

(٤) سورة الأعراف .

(٥) سورة الإسراء .

(٦) سورة إبراهيم .

الإسراف متعلقا بالمال وحده : بل في كل شيء وضع في غير موضعه اللائق به ، فالله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البَذْرَ في غير المِحْرَثِ فقال : (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(١٨))[١] .

والإسراف صفة من صفات الكافرين؛ يقول تعالى: (وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ...(١٢٧))[٢] ، وهو صفة من صفات الجبارين الذين يملكون بأيديهم السلطة والمال، يقول تعالى: (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣))[٣]، وقال تعالى: (إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنْ الْمُسْرِفِينَ(٣١))[٤] .

الفرق بين الإسراف و التبذير :

التبذير أخص من الإسراف، لأن التبذير يستعمل في إنفاق المال في غير حقِّه فقط ، أما الإسراف فهو مجاوزة الحد في أي شيء ، كالإفراط في الكلام :

١- قال قتادة : التبذير هو النفقة في معصية الله .

٢- سُئِلَ ابن مسعود عن المبذرين فقال رضي الله عنه : الذين ينفقون في غير حقّ

٣- قال مجاهد : لو أنفق إنسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ، ولو أنفق مدّاً في غير حق كان مبذراً .

المبذر للأموال:

١- متشبه بأفعال الشياطين ، متَّبع للهوى بعيد عن الحق . فقد نهى الله عن التبذير فقال :(وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦)إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً(٢٧)).

٢- إنه يؤدي بصاحبه إلى الغفلة والترف وهما من أسباب سوء المصير ، قال الله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة طه .
(٣) سورة يونس .
(٤) سورة الدخان .
(٥) سورة الإسراء .

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(٢٨))[١]، وقال سبحانه : (إَنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَياةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النُّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ(٨))[٢] ، فالمسرف غافل عن أوامر ربه ونواهيه ، غارق في شهواته وملذاته ، آمنٌ من تقلبات الدهر ومداولة الأيام .

٣- وهو من الأسباب التي توجب دخول النار: قال تعالى: (وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ(٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ(٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ(٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ(٤٤) ،إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ(٤٥))[٣].

أسباب الإسراف والتبذير:

١- الجهل: جهل المسرف والمبذر بأحكام الشريعة الإسلامية، فربما لا يعرف أنَّ الإسراف والتبذير منهي عنه فيقع فيه.

٢- التأثر بالبيئة: فالإنسان الذي يعيش في بيئة تكثر فيها مظاهر الإسراف والترف، سيتأثر بها، مقلدًا من يعيشون حوله، ومن يختلط بهم.

٣- السعة بعد الضيق:(قد يكون الإسراف سببه السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر ذلك أن كثيرًا من الناس قد يعيشون في ضيق، أو حرمان، أو شدة، أو عسر، وهم صابرون محتسبون بل وماضون في طريقهم إلى ربهم، وقد يحدث أن تتغير الموازين، وأن تتبدل الأحوال فتكون السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط، أو الاعتدال، فينقلب على النقيض تمامًا فيكون الإسراف، أو التبذير)[٤].

٤- الغفلة عن الآخرة.

---

(١) سورة الكهف .
(٢) سورة يونس .
(٣) سورة المعارج .
(٤) محمد نوح، آفات على الطريق ، ج١ ، ص ٣٦ .

٥- مصاحبة المسرفين والمبذرين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[1]، فالإسراف والتبذير ربما يكون بسبب (صحبة المسرفين ومخالطتهم ذلك أن الإنسان غالبًا ما يتخلق بأخلاق صاحبه، وخليله، لاسيما إذا طالت هذه الصحبة، وكان هذا الصاحب قوى الشخصية شديد التأثير. ولعلنا بذلك ندرك السر في تأكيد الإسلام، وتشديده على ضرورة انتقاء الصاحب، أو الخليل)[2] .

٦- (وجود خلل ما في التربية الدينية، فإذا كان الفرد يخاف الله فعلاً، لقام باجتناب التبذير والإسراف في كلّ أموره.

٧- التقليد الأعمى للآخرين.

٨- السعي وراء التباهي والرياء والسُّمْعة.

٩- مصاحبة الأصدقاء المسرفين.

١٠- قد يكون الفرد يعاني من قسوة القلب وعدم الاكتراث بأحوال الفقراء.

١١- وجود انحرافات في البيئة التي يوجد فيها الشخص، تؤدي إلى التعايش مع صفة التبذير والإسراف ، وهو يشمل أمورًا عدة في حياة البشر من:

أ- مأكل ومشرب ونوم ويقظة وكلام ومحبة وكراهية وضحك وانفعال وتعامل مع الإنسان والحيوان والطير والنبات والجماد.

ب- العبادات من وضوء وطهارة وصلاة وصدقة وصيام وغيرها.

ت- صرف الأموال في المحرمات (السجائر، المخدرات، الخمور، الأغاني).

ث- إضاعة للمال وتخوض فيه بغير حق .

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٨٣٣ .ورواه التِّرمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٣٣٤/٢) (٨٣٩٨) واللَّفظ له، والحاكم (١٨٨/٤)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٥٥/٧) (٩٤٣٦). قال التِّرمذي: حسن غريب. وصحَّح إسناده النَّووي في (رياض الصالحين) (١٧٧)، وحسَّنه ابن حجر في (الأمالي المطلقة) (١٥١)، والألباني في (صحيح سنن أبي داود) (٤٨٣٣).

(٢) محمد نوح ، آفات على الطريق ، ج١ ، ص ٣٧ ،

صور الإسراف :

١- الإسراف في النفقة والإنفاق هو التبذيرُ المنهيُّ عنه ومجاوزة الحد حتى في الصدقة، قال عز وجل: (وَءاتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ(١٤١))[١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن أراد الصدقة عمومًا أو الوقف لينتفع به في الدار الآخرة: (الثلث، والثلث كثير، لأَن تذَر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يَتَكَفَّفُونَ الناس)[٢].

٢- المبالغة في الطعام و الشراب ، الأكل يجب أن يكون لأجل قوة العبادة فيكون دون الشبع ، لأن العبادة تحتاج إلى خفة ، واللقمة تذهب الفطنة ، فالشبع يمنع من العبادة ولا يقوي عليها ،ولقد بيَّن النبي تقدير الغذاء بياناً يغني عن كلام الأطباء حيث قال : (مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[٣]، فالسيدة عائشة تقول : (أول بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة رسول الله الشبع ، وأول مخالفة للسنة بعد وفاته كانت الشبع ، فمن أكل حتى الشبع فقد نقض نيته التي بدأها في أول الطعام وهي التقوي على طاعة الله وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : (إِنَّ مِنَ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ)[٤] ، وقال عمر لابنه عاصم رضي الله عنهما : (كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوباً حتى تستخلفه ، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم لا تمد يدك إلى الطعام إلا وأنت جائع ، قال : نعم الإدام الجوع)[٥] . وفي ألمانيا مستشفى مكتوب عليها هذا الحديث نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع (محمد بن عبد الله) .

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٠٨٢ .
(٣) الألباني ، إرواء الغليل ، ج٧ ، ص ٤١ .
(٤) الألباني ، ضعيف الجامع ، رقم الحديث١٩٩٥ .
(٥) القرطبي ، التفسير ، تفسير قوله تعالى (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ)

ينبغي أن أكون معتدلاً في طعامي ، فالطب مجموع في ثلاث كلمات لا غنى للمرء عن أحدها، ولو خالفها لاعْتَلَّتْ صِحَّتُهُ وقُوَاهُ وربما أَوْدَتْ بحياته، جاء ذلك في الآية التالية: (وكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ(٣٠))[١] ، لو أن الله قال : لا تسرفوا في الأكل والشرب لانصرف الإسراف إلى الطعام والشراب فقط ، أما حينما قال الله عز وجل وكلوا واشربوا ولا تسرفوا جاءت متأخرة عنها ، إذاً هي مطلقة في كل شيء ، حتى في المتع المباحة ، الإسراف بها له مضاعفات لا ترضي صاحبها ، وقال الرسول : (نحن قوم لا نأكلُ حتى نَجُوعَ، وإذا أكلنا لا نَشْبَعُ)[٢] أي: لا يُدْخِلُونَ الطعامَ على الطعامِ مع الشبع لما فيه من إفساد الثاني لما قبله، وإذا أكلوا لا يملؤون بطونهم حتى يُتْخِمُوها بالطعام ويصلوا إلى الشّبَعِ الْمُفْرِطِ.

قال بعض الأطباء: لو استعمل الناس هذا الحديث لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت دكاكين الصيادلة، وإنما قيل هذا لأن أصل كل داء التخم. وكما أن الشبع يضر البدن، فكذلك هو يقسي القلب ويورث الهوى والغضب.

والحقيقة أن الاعتدال وراء كل توازن ، والمبالغة في الشيء وراء كل تطرف ، ينبغي ألاّ يسرف ،إن الإنسان حينما يجعل همه التنعم بالحياة يكون قد خالف منهج الله عز وجل ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا بَعَثَ بِهِ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ : (إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ ، فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ)[٣] .

قد ينعم الله عليك ، وقد يدخل على قلبك السرور ، وقد يمتعك بالحياة الدنيا ، أما حينما تجعلها أنت مبدأك ، وتسعى لها وحدها فهذا هو الخطأ ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ : (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج٢٥ ، ص٢٧٤ ، إسناده فيه ضعف
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٦٦٨ .

لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ)[1].

٣- الإسراف الذي نراه في المناسبات (قصور الأفراح الغالية ، البهارج في المناسبات) :

إن إقامة ولائم الزواج والمناسبات العامة لا تخلو في معظم حالاتها اليوم من الإسراف المتناهي، حيث :

أ- إن بعض الأولياء يشترط إقامة حفل الزواج في أغلى الفنادق أو في أفخم قصور الأفراح أو أغلى صالات الاحتفالات أو أجمل القاعات، والغالب هو قصدُ المباهاة والمفاخرة، والتقليد الأعمى للآخرين، وحُب الظهور على حساب الزوج الذي يلجأ في معظم الحالات إلى استدانة الأموال أو الاقتراض من غيره حتى يلبي تلك الرغبة، وفي ذلك إهدار للأموال وتضييع وصرف لها في غير محلها، وقد نَهى النبي في أحاديث كثيرة عن إضاعة المال.

ب- إعداد بطاقات الدعوة وطباعتها بأشكال جذابة وألوان مختلفة وإطار مزخرف، واختيار أغلى البطاقات ثمنًا وأعلاها كلفة، وكتابتها بصيغتين مختلفتين: واحدة للرجال وأخرى للنساء، وهذه مبالغة غير محمودة، وتبذير وتحمل لمبالغ طائلة، والمقصود من إرسال البطاقة إلى المدعوين إنما هو إعلامهم بموعد ومكان إقامة الوليمة، وذلك يحصل بأقل من هذه التكلفة.

ت- إعداد وليمة الزواج بأحجامٍ يظهر فيها الإسراف والبذخ والتبذير، بتقديم الأطعمة من اللحوم وأنواع المأكولات والمشروبات والحلوى اللحوم والأرز والفواكه وغير ذلك بكميات كبيرة ، وهذا يجعلنا ندفع ثمناً باهظاً وهو غضب الرب سبحانه وتعالى الذي نَهانا عن الإسراف والتبذير فخالفنا الهدي الإلهي والتوجيه الرباني : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١))[1] ،

---

(١) سورة الأعراف .

ولم نتقيد بالإرشاد النبوي الوارد في قول المصطفى : (كُلوا واشرَبوا وتَصَدَّقوا والبَسوا في غيرِ مَخيلَةٍ ولا سَرَفٍ..)[1] ، فالزواج أصبح يتطلب كلفة كبيرة، ومراسيم العزاء عند الوفاة تحتاج مبالغ طائلة، وتقديم الهدايا عند الولادة من قبل المرأة لصديقاتها يستلزم ميزانية كبيرة .

إن الإسلام لم يشرع في نفقات العقد والزفاف، سوى المهر للمرأة والوليمة لحفلة العرس، وإكرام الضيف بما يناسب الحال ، أما ما عداها من الهدايا والنفقات فهي ليست فرضاً واجباً وليست من شروط العقد والنكاح في شيء أبداً ، وإن أشر مواضع الإسراف أن تقام الولائم العظيمة ويدعى إليها الأغنياء، ويحرم منها الفقراء، لا ينبغي للداعي أن يخصّ بالدعوة عِليةَ القومِ وأثرياءهم ووجهاءهم ويؤكد على الأغنياء والأعيان ويهمل الفقراء والمساكين، بل يدعو أهل الصلاح والتقوى وإخوانه المسلمين أيًّا كان مستواهم الاجتماعي وحالهم المادي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (شرّ الطعام طعام الوليمة؛ يُدعَى لها الأغنياء، ويُترك الفقراء، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله)[2] ، وقال رسول الله : (إذا دُعي أحدكم إلى طعامٍ فليجب، فإن شاء طعِم وإن شاء ترك)[3] ، ومراده بقوله: شر الطعام طعام الوليمة أي: طعام الوليمة التي يُدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء، ولم يرد أن كل وليمة طعامها شرّ الطعام، فإنه لو أراد ذلك لما أمر بها، ولا حثّ على الإجابة إليها، ولا فعلها، ولأن الإجابة تجب بالدعوة، فكل من دُعي فقد وجبت عليه الإجابة.

٤- جنون الموضة: إن تغيرات الأزياء والنماذج المتعددة إن هي إلا تقلبات مفتعلة لحمل المستهلكين على الشراء، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسراف والتبذير في شراء الملابس فقال: كُلوا واشرَبوا وتَصَدَّقوا والبَسوا في غيرِ مَخيلَةٍ ولا سَرَفٍ..) .

٥- الإسراف في استخدام الماء: في تنظيف الأفنية و السيارات ، و حتى في الوضوء

---

(١) أحمد شاكر ، مسند أحمد ، ج١٠ ، ص ١٧٨ .
(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٥٣٠٥ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٣٠ .

والاغتسال ولو كان أحدنا على شاطئ نَهْرٍ جَارٍ!

لما جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (يا رسول الله كيف الوضوء ؟ فأراه الوضوء ثلاثا....ثلاثا ، ثم قال : هكذا الوضوء ، فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم)(١) ، فعَن عبد الله بن عمرو أن رسول الله مَرَّ بِسَعْدٍ وهو يتوضأ فقال: (ما هذا الإسراف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟! قال: نعم ، وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ)(٢) ، وقد كان رسول الله يغتسل بالصاع ، ويتطهر بالمدّ ، والمدّ قدر ملء الكفين للرجل المعتدل . والصاع: أربعة أمداد ، وهذا يدل على الاقتصار على اليسير من الماء في الوضوء ، قال الإمام ابن حجر: (وأجمع العلماء على النهي عن الإسراف في الماء ولو كان على شاطئ البحر)(٣) ، والماء نعمة كبرى فالإسراف في استخدامها واستعمالها حرام، والتلويث للماء جريمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علَّم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس شجرة أو بنى مسجداً أو ورَّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته)(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يبولن أحدكم في الماء الراكد)(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء)(٦)، وعندما يرى المسلم إخوانه المسلمين في أماكن الوضوء في المساجد يشاهد من الأمر عَجَبًا في إهدار الماء وفتحه من مصادره ومحابسه إلى أعلى الدرجات ، أما الْمُتْرَفُونَ الذين تَحْوِي قصورُهم ومساكنُهم المسابحَ التي تتسع لعشرات الأطنان حيث التغيير والتبديل الأسبوعي للماء إن لم يكن اليومي لدى كثير منهم وإهدار الماء الصالح للشرب؛.

---

(١) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث١٤٠ .
(٢) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث١٤٠ ، ضعيف [ثم تراجع الشيخ وحسنه ، انظر : " السلسلة الصحيحة " رقم : ٣٢٩٢]
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٢٠٦ .
(٤) المنذري، الترغيب والترهيب ، ج١ ، ص ٧٦ .
(٥) الألباني، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ٢٧٩ .
(٦) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٥٣٢٨ .

٦- الإسراف في استعمال الهاتف : إذا اتصل بنا أحد:- فلا ينبغي أن نطيل معه الكلام إلا إذا رغب في ذلك، وليكن كلامنا معه مختصرًا موجزًا هادفًا نظيفًا لطيفًا، اقتداء بالرسول الذي كان كلامه قَصْدًا وخاليًا من الفُحْش والإيذاء ، كما ينبغي أن لا نُكثر الكلام معه فيضيع رصيده من المكالمات، فنؤذي مشاعره فنأثم، ونتسبب في ضياع ماله بغير رضاه، وإضاعة مال الغير محرَّم ، وهذا ما لا يرضاه الإسلام في التعامل مع الناس، وإذا كان الله قد كَرِه القيل والقال في الكلام العادي الذي لا يضيع معه مال، فكيف بالكلام الكثير الفارغ التافه الذي يزداد معه المال ضياعًا؟! قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه)[1] ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا ، فذكر ما يرضاه الله وقال : ويكره قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)[2] ، والكراهة هنا قد تصل إلى التحريم .

على المؤمن أن يكون حازمًا في استعماله للهاتف، ولا يستعمله إلا في الحالات المهمة، حتى يحفظ ماله، ويضعه في موضعه، ولا يبذِّره تبذيرًا؛ لأن التبذير حرام، والمبذِّر أخو الشيطان، والمؤمن مسؤول عن ماله يوم لقاء الله، وإن كثيرًا من مستعملي الهاتف اليوم من السفهاء والمبذّرين والطائشين يركِّبون الأرقام بغير معرفة لأهلها، فيتصلون بهذا، ويتكلمون مع هذه، كل ذلك من أجل التشويش والإحراج والفتنة والبحث عن عشيقة بواسطة الهاتف، فيُشغلون الخطوط، ويضيِّعون أموالهم وأوقات غيرهم، ويؤذونهم بغير حق[1].

أضرار الاسراف والتبذير:

١- عدم محبة الله للمسرفين والمبذرين: قال تعالى: (إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(١٤١))[2]، قال ابن عاشور: (فبيَّن أنَّ الإسراف من الأعمال التي لا يحبُّها، فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها، ونفي المحبة مختلف المراتب، فيعلم أنَّ نفي المحبة يشتدُّ بمقدار قوة

---

(١) (الاسراف واضراره حسان كيوان أبريل ١٨، منتديات دنيا الإعلام العالمية الإعلاميين و الباحثين محمد عصام محو و محمد عبد الدايم ٢٠١١).
(٢) سورة الأنعام .

الإسراف، وهذا حكم مجمل، وهو ظاهر في التحريم)[1].

٢- يفضي إلى طلب المال بالكسب الحرام: لأنَّ المسرف ربما ضاقت به المعيشة، نتيجة لإسرافه؛ فيلجأ إلى الكسب الحرام، قال ابن عاشور: (فوجه عدم محبة الله إياهم أنَّ الإفراط في تناول اللذات والطيبات، والإكثار من بذل المال في تحصيلها، يفضي غالبًا إلى استنزاف الأموال، والشَّره إلى الاستكثار منها، فإذا ضاقت على المسرف أمواله؛ تطلَّب تحصيل المال من وجوه فاسدة، ليخمد بذلك نهمته إلى اللذات، فيكون ذلك دأبه، فربما ضاق عليه ماله، فشقَّ عليه الإقلاع عن معتاده ، فعاش في كرب وضيق، وربما تَطلَّب المال من وجوه غير مشروعة، فوقع فيما يؤاخذ عليه في الدنيا أو في الآخرة، ثم إنَّ ذلك قد يعقب عياله خصاصة، وضنك معيشة، وينشأ عن ذلك ملام، وتوبيخ، وخصومات تفضي إلى ما لا يحمد في اختلال نظام العائلة)[2].

٣- الإسراف في الأكل يضرُّ بالبدن: قال علي بن الحسين بن واقد: (جمع الله الطبَّ كلَّه في نصف آية فقال: ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَتُسْرِفُواْ..(٣١)﴾[3]، [4] ، وقال ابن عاشور: (ولا تسرفوا في الأكل بكثرة أكل اللحوم والدسم؛ لأنَّ ذلك يعود بأضرار على البدن، وتنشأ منه أمراض معضلة ، وقد قيل: إنَّ هذه الآية جمعت أصول حفظ الصحة من جانب الغذاء، فالنهي عن السرف نهي إرشاد لا نهي تحريم)[5]، وقال محمد رشيد رضا: (فمن جعل شهوة بطنه أكبر همه فهو من المسرفين، ومن بالغ في الشبع وعرض معدته وأمعاءه للتخم؛ فهو من المسرفين، ومن أنفق في ذلك أكثر من طاقته، وعرض نفسه لذلِّ الدين، أو أكل أموال الناس بالباطل؛ فهو من المسرفين، وما كان المسرف من المتقين)[6].

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، القسم الأول، ج٨ ، ص ١٢٣ .
(٢) المصدر السابق ، القسم الأول ، ج٨ ، ص ١٢٤ .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) البغوي ، معالم التنزيل ، ج٢ ، ص ١٨٩ .
(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، القسم الثاني ، ج٨ ص ٩٥ .
(٦) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج٧ ، ص ٢٥ .

٤- المسرف والمبذر يشاركه الشيطان في حياته: إنَّ الذي يسرف ويبذر معرض لمشاركة الشيطان في مسكنه، ومطعمه، ومشربه، وفراشه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان))[(١)] .

٥- الإسراف والتبذير من صفات إخوان الشياطين: قال تعالى: (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا(٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا...(٢٧))[(٢)]، قال السعدي: (لأنَّ الشيطان لا يدعو إلا إلى كلِّ خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير. والله تعالى إنما يأمر بأعدل الأمور وأقسطها ويمدح عليه، كما في قوله عن عباد الرحمن الأبرار :(وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا(٦٧))[(٣)]، [(٤)] .

٦- الإسراف يجرُّ إلى مذمَّات كثيرة: قال ابن عاشور: (والإسراف إذا اعتاده المرء حمله على التوسع في تحصيل المرغوبات، فيرتكب لذلك مذمَّات كثيرة، وينتقل من ملذَّة إلى ملذَّة فلا يقف عند حدٍّ. وقيل عطف على وَآتُواْ حَقَّهُ أي: ولا تسرفوا فيما بقي بعد إتيان حقِّه، فتنفقوا أكثر مما يجب، وهذا لا يكون إلا في الإنفاق والأكل ونحوه)[(٥)].

٧- التعرض للمساءلة والحساب عن مصارف ماله: وعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه)[(٦)]، أي: من موقفه للحساب حتى يسأل عن عمره فيما أفناه أفي طاعة أم

---

(١) الإمام مسلم و صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٨٤ .
(٢) سورة الإسراء ،
(٣) سورة الفرقان .
(٤) السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ص ٤٥٦.
(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، القسم الأول ، ج٨ ، ص ١٢٣ .
(٦) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٤١٧ ، والدارمي (٤٥٢/١)، قال الترمذي حسن صحيح. وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية) (٤١/٢): إسناده جيد. وصحح إسناده الهيتمي في (الزواجر) (٢٤٢/٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع)(٧٣٠٠).

معصية، وعن عمله فيم عمله لوجه الله تعالى خالصًا أو رياء وسمعة. وعن ماله من أين اكتسبه، أمن حلال أو حرام؟! وفيما أنفقه أفي البرِّ والمعروف أو الإسراف والتبذير؟! وعن جسمه فيما أبلاه أفي طاعة الله أو معاصيه؟!)[1] .

٨- الإسراف والتبذير فيه تضييع للمال ، وهذا مشاهَدٌ محسوس.

٩- الإسراف والتبذير عاقبته وخيمة: قال ابن الجوزي: (العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيرًا؛ اجتهد في كسبٍ وصناعةٍ تكفُّه عن الذُّل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم. وإن كان غنيًّا، فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذُّل للخلق، ومن البلية أن يبذر في النفقة، ويباهي بها ليكمد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر- لإصابته بالعين...وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه، وإنما التدبير حفظ المال، والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره)[2] ، [3].

س٧٢ : لماذا حرم الله شهادة الزور وجعلها من الكبائر؟.

ج٧٢ :يقول الله تعالى في صفات المؤمنين: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢))[4] ، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (شهادة الزور من أكبر الكبائر ومن أعظم الذنوب يقول الله سبحانه: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(٣٠))[5] ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ ثَلَاثًا، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: الإشْرَاكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ)[6] ، يعني: ما زال يكرر التحذير من شهادة الزور، حتى قال الصحابة: ليته سكت، يعني: إبقاءً عليه لئلا يشق على نفسه عليه

---

(١) فيصل المبارك ، تطريز رياض الصالحين ، ص ٢٧٥ .
(٢) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ص ٤٩٨ .
(٣) علوي السقاف ، الدرر السنية ، الإسراف والتبذير .
(٤) سورة الفرقان .
(٥) سورة الحج .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٢٦٥٤ .

الصلاة والسلام.

والمقصود من هذا التحذير منها، وإن كان الشرك أكبر والعقوق أكبر لكنها جريمة عظيمة يتعلق بها شر عظيم وظلم للناس، واستحلال الفروج والأموال والأعراض والدماء بغير ما شرع الله، فلهذا صارت جريمة عظيمة، ويجب على ولي الأمر إذا عرف ذلك أن يعاقب شاهد الزور بالعقوبة الرادعة من الجلد والسجن ونحو ذلك مما يكون زاجرًا له ولأمثاله؛ لأنها جريمة يترتب عليها فساد كبير وشر عظيم فاستحق صاحبها أن يعاقب عقوبة رادعة من ولي الأمر[1] .

إن من أعظم الذنوب عند الله تعالى بعد الشرك به سبحانه: شهادة الزور، ففيها مفسدة للدين، والدنيا، وللفرد والمجتمع، وكذب، وبهتان، وأكل للمال بالباطل، وسبب لانتهاك الأعراض، وإزهاق النفوس. قال القرطبي: «شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال[2].

وقد جاء التحذير الشديد من شهادة الزور، فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(٣)﴾[3]. كما جاء المدح لمجتنبيها، فقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(٧٢)﴾[4].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ[5] .

ففي الأحاديث السابقة عظم النبي صلى الله عليه وسلم شهادة الزور غاية التعظيم، وحذر منها غاية التحذير بقوله، وفعله، حيث كان يتحدث عن الشرك والعقوق متكئًا، فلما ذكر

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص ٤٣٦ .
(٣) سورة الحج .
(٤) سورة الفرقان .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٦٥٣ ، وعند الإمام مسلم برقم ٨٨ .

(شهادة الزور جلس ليبيّن فداحتها وعظمها، وجعل يكرر القول بها حتى قال الصحابة: لَيتَهُ سَكَتَ، وعظمها أيضًا حين صدر القول عنها بأداة التنبيه: (ألا؟)، وحين فصلها في الحديث السابق عما قبلها من الكبائر وقال: (أَلَا وَقَولُ الزُّورِ)[1].

قوله: وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، قال الحافظ ابن حجر: «يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه، وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور، أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرفه عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة، والحسد، وغيرهما؛ فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا)[2] .

وشهادة الزور قرينة الشرك بالله، قال عبد الله بن مسعود: تُعدل شهادة الزور بالشرك، وقرأ:(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ(١٠))[3] ،[4]. ومن الفتن التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تقع في آخر الزمان: شهادة الزور.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ) ، وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ بَعْدَكُم قَوْمًا يَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ

---

(١) ابن عثيمين ، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ج٤ ، ص ٤٥١ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ و ص ٢٦٣ .
(٣) سورة الحج .
(٤) ابن كثير ، التفسير ، ج١٠ ، ص ٥٢ .
(٥) الإمام أحمد و المسند ، ج٦ ، ص ٤١٦ ، ورقم الحديث ٣٨٧٠ ، وقال محققوه: إسناده حسن.

وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ)[1]، وفي رواية: (ثُمَّ يَجِيءُ أَقوَامٌ تَسبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ. قَالَ إِبرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهدِ)[2].

وقد استشكل هذا الحديث مع قول النبي صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ؟ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا)[3].

ذكر العلماء رحمهم الله وجوهًا كثيرةً للجمع بين الحديثين السابقين، قال ابن حجر رحمه الله: «وأحسن الأجوبة أن المراد بحديث زيد: من عنده شهادة لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها، فيأتي إليه فيخبره بها، أو يموت صاحبها العالم بها ويخلف ورثة، فيأتي الشاهد إليهم، أو إلى من يتحدث عنهم فيعلمهم بذلك»[4]..

ومن شهادة الزور: أن يشهد الإنسان بما لا يعلمه علمًا يقينًا مثل الشمس، أو بما يعلم أن الواقع بخلافه، سواء شهد للشخص، أو عليه[5].

وليست شهادة الزور مقتصرة على الشهادة بالكذب أمام القضاة في المحاكم الشرعية، فإن شهادة الزور صورها كثيرة، ويتساهل كثير من الناس فيها، فمن ذلك:

١- أن يشهد المدير لأحد موظفيه بأنه من أحسنهم ويؤدي عمله بجدارة وإخلاص، وقصده بذلك ترقية هذا الموظف إلى مرتبة أعلى، وهذه الشهادة تقدم للمسؤول الأعلى، أو يشهد للموظف المهمل لوظيفته بمبررات لإهماله لا حقيقة لها، فيشهد له بالمرض وهو غير مريض، أو يشهد له بشغل قاهر وهو غير مشغول، أو يشهد له بنقل أهله إلى مقر عمله الجديد وهو لم ينقلهم، أو باستئجار سيارة وهو لم يستأجرها، أو يشهد بأجرة أكثر مما استأجرها به، أو يشهد بأنه قام بالوظيفة منذ

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٦٥١ ، وعند الإمام مسلم برقم٢٥٣٥ .
(٢) المصدران السابقان ، عند البخاري برقم ٢٦٥٢ ، وعند مسلم برقم ٢٥٣٣ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث١٧١٩ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ،ص ٢٦٠ .
(٥) ابن عثيمين ، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ج٤ و ص ٤٥١ .

وقت كذا وهو لم يقم بها ولم يباشرها، يزعم الشاهد بذلك أنه يريد الإصلاح بنفع المشهود له، ولم يدر أنه بهذه الشهادة ضر نفسه وضر المشهود له، وأفسد على نفسه، وعلى المشهود له دينه[1] .

٢- ومنها: ما يحصل عليه بعض الناس من الشهادات الدراسية مثل البكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، يأخذونها زورًا وبهتانًا بغير حق، وبعضهم للأسف تكون شهادته في الشريعة الإسلامية مع جهله بأبسط الأحكام الشرعية، وقد ينال بهذه الشهادة منصبًا، أو مركزًا اجتماعيًّا، فيفتي الناس بغير علم ويضلهم.

٣- ومنها: الشهادة للشركة، أو المؤسسة التجارية الفلانية بأنها من أفضل الشركات، وأنها أجدر من غيرها، وذلك للحصول على المناقصة الحكومية وإرساء المشروع عليها.

٤- ومنها: الشهادة أن فلانًا من الناس يصلح أن يزوج، أو يؤتمن، أو يشارك في تجارة ونحوها، وهو ليس كذلك.

مفاسد شهادة الزور:

١- أن صاحبها قد بنى حاله على الكذب، والافتراء، وطمس الحقائق.

٢- أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله، وعرضه، وروحه (أحيانًا).

٣- أنه ظلم الذي شهد له، بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته، فوجبت له النار، مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيئًا فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[2] .

٤- أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه: من المال، والدم، والعرض[3] .

٥- أن شهادة الزور سبب لزرع الأحقاد، والضغائن في القلوب.

٦- أنها تعين الظالم على ظلمه، وتعطي الحق لغير مستحقه.

---

(١) ابن عثيمين ، الضياء اللامع مع الخطب الجوامع ، ج٤ ، ص ٤٥٠ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧١٦٩ ، وعند مسلم برقم ١٧١٣ .
(٣) الذهبي ، الكبائر ، ص ٧٩ .

٧- أنها سبب لسيطرة الفساق، وتمكنهم، وإبعاد الأخيار عن مواقع التأثير، والإصلاح.

٨- أنها سبب لفساد البلاد، والعباد.

٩- أن فيها زعزعة للثقة، والأمانة بين الناس.

١٠- أن الشاهد بالزور إذا شهد مرة، هانت عليه الشهادة ثانية، وإذا شهد بالصغير، هانت عليه الشهادة بالكبير؛ لأن النفوس بمقتضى الفطرة، تنفر من المعصية وتهابها؛ فإذا وقعت فيها، هانت عليها، وتدرجت من الأصغر إلى ما فوقه[(١)].

س٧٢ : لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب التفاؤل ويكره التطير ؟

ج٧٣: التفاؤل في اللغة معناه التَّيمُّن والاستبشار، تفاءل بالشيء أي رأى أنه يَحمِل له صلاحا وخيرا، وقد ورد التفاؤل في أحاديث متعددة منها ما رواه ابن ماجه وغيره عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن، ويَكرَه الطِّيَرَة).

فالتفاؤل: أن يكون رجل مريض، فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ مِن مرضه، ويجد ضالته[(٢)].

قال الحليمي رحمه الله: وإنما كان صلى الله عليه وسلم يُعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوءُ ظنٍّ بالله تعالى بغير سببٍ مُحقق، والتفاؤل حُسن ظنٍّ به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[(٣)].

إذن فالتفاؤل له صلة وثيقة وارتباط كبير بحسن الظنّ بالمولى سبحانه وتعالى، فالمتفائل يتوقع الخير من الله، بخلاف المتشائم، والله سبحانه وتعالى يقول كما في الحديث القدسي: (إنَّ اللَّهَ يقولُ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي وأنا معهُ إذا دَعانِي.)[(٤)].

---

(١) ابن عثيمين ، الضياء اللامع من الخطب الجوامع، ج٤ ، ص ٤٥٣ ، من الدرر المنتقاة ج٨ لكلمة السابعة والثلاثون: شهادة الزور والتحذير منها.
(٢) ابن الثير ، النهاية في غريب الحديث ج٤ و ص ٤٠٦ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ و ص ٢٢٦ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٧٥ .

فوائد التفاؤل:

١- انشراح الصدر وطمأنينة النفس، فالتفاؤل يبعث في النفس جذوة الأمل.

٢- تدريب النفس على الثقة بأقدار الله سبحانه وتعالى، فالمتفائل يحسن الظنّ بالمولى سبحانه ويرجو منه الخير والبركة.

٣- لإيجابية والفعالية: فالإنسان المتفائل إنسان إيجابي فعّال في الحياة، مقبل على الدين والدنيا.

٤- الفوائد الصحية: ففوائد التفاؤل ليست مقصورة على الجانب الروحي فحسب، بل إنها تتعدى ذلك لتنعكس على صحة الإنسان البدنية، فالتفاؤل يَحُدُّ من مخاطر أمراض القلب، ويقلل التوتر، ويحسّن النوم.

أمثلة من تفاؤل النبي صلى الله عليه وسلم:

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة العظمى والمثال الأكمل، وقد كان صلى الله عليه وسلم إماما في التفاؤل، ومن أمثلة تفاؤله صلى الله عليه وسلم:

١- روى البخاري عن المِسور بن مَخرمة رضي الله عنه (في حديث صلح الحديبية)، قال: لما جاء سهيل بن عمرو، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سهُل لكم من أمركم)[(١)] ، قال الإمام بدر الدين العيني رحمه الله: تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم باسم سهيل بن عمرو على أن أمرهم قد سهل لهم[(٢)].

٢- روى البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم: فقال: (ما اسمك؟ قال: حزْن، قال: أنت سهل، قال: لا أُغير اسمًا سمانيه أبي، قال سعيد بن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعدُ)[(٣)] ، قال ابن حجر: (قوله: (أنت سهل)؛ أي: بل اسمك سهل. قوله: (الحزونة فينا): الشدة التي بقِيت في أخلاقهم)[(٤)].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٣١ .
(٢) العيني ، عمدة القاري ، ج١٢ ،ص ١٢ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ و ص ٥٧٤ – ٥٧٥ .

٣- روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه :(أنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كان يعجبُه إذا خرج لحاجتِه أن يسمعَ: يا راشدُ، يا نَجيحُ)[١].

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع كلمة فأعجبته، فقال: أخذنا فألك من فيك)[٢].

٥- لما شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو عبد الله بريدة بن الحصيب الأسلمي في سبعين من قومه من بني سهم: (فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم :من أنت؟ قال: بريدة، فقال لأبي بكر: برد أمرنا وصلح. ثم قال: ممّن؟ قال: من أسلم. فقال لأبي بكر: سلمنا. ثم قال: من بني من؟ قال: من بني سهم. قال: خرج سهمك يا أبا بكر. فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله رسول الله. فقال بريدة: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا. قال بريدة: الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين)[٣].

أما التشاؤم (فمن الشُّؤْمُ وهو خلاف اليُمْنِ (لسان العرب) فإذنْ هو توقع الشر، وقد يطلق عليه التَّطَيُّر، وقد يطلق التطير على التفاؤل على سبيل المجاز، وسمي التطير بذلك أخذا من الطَّير، وذلك أن العرب كانت تتشاءم بالطير إذا كانوا في سفر أو مسير، فيصدهم ذلك عن المسير، ويردهم عن بلوغ ما يريدونه من مقاصدهم، فأبطل صلى الله عليه وسلم أن يكون لشيء منها تأثيرٌ في اجتلاب ضررٍ أو نفع، واستحب الفأل بالكلمة الحسنة يسمعها من ناحية حسن الظن بالله)[٤] .

وهناك أشياء كانت العرب تتشاءم منها ، حيث كانت تتشاءم من عدة أشياء فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٦١٦ .
(٢) أبو داوود ،سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٩٧١ .
(٣) الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص ٢٥٢ . وانظر البغوي ، الأنوار في شمائل نبي المختار صـ٣٤٠ .
(٤) الخطابي ، معالم السنن ، ج٤ ، ص ٢٣٥ .

النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر)[1] .

١- الهامة: هي البومة، وقد كان العرب يتشاءمون منها فنهى عن ذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أنها لا تقدم ولا تؤخر، فإذا أردت شراء بيت ورأيت فوقه بومة فلا يمنعَنَّك ذلك من إتمام الصفقة، لأنها لا تضر ولا تنفع ، قال ابن الأعرابي رحمه الله: كانوا يتشاءمون بالبومة إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعَت إليَّ نفسي، أو أحدًا من أهل داري[2].

٢- صفر: فقد كانت العرب تتشاءم من هذا الشهر، وتعتقد نحوسة شهر صفر، لذلك بين عليه الصلاة والسلام أن ذلك مذموم منهيٌّ عنه، وأنه ليس في شهر صفر نحوسة ولا شُؤم ، فعن عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ الْقُرَشِيِّ، قَالَ: (ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ)[3]. فالنفي هنا بمعنى النهي، أي: شأن المسلم ألا يرجع عما عزم عليه من أجلها، لعلمه أن لا أثر لغير الله تعالى أصلاً.

علاج التشاؤم

١- تعويد النفس على التفاؤل وعدم التوقف عن العمل من أجل التشاؤم وتوقع الشر ، يقول فضيلة الشيخ إلياس العطار القادري:(إذا أردت الذهاب إلى مكان ورأيت قطة سوداء في الشارع فلا ترجع، بل امض ولا تتوقف فإنها لا تقدم ولا تؤخر).

ومُشَتِّتُ العَزَمَات ينفقُ عمره   حيرانَ لا ظفر ولا إخفاق

٢- التوجه إلى الله بالدعاء وتفويض الأمر إليه: فالمسلم يدعو الله بكل خير، ويسأله أن يصرف عنه كل شر، كما جاء في حديث الطيرة السابق ذكره: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٧٥٧. وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٢٢٢٠ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ و ص ٢٤١ .
(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٩١٩ .

٣- صدق التوكل على الله: قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...(٣))[١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:ل (و أنكم كنتم توكلون على الله حق توكُّله، لرزقتم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا)[٢].

٤- النظر إلى محاسن الأشياء وغض الطرف عن مساوئها:فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ[٣].

و لا ننسى أن الجميل يَرَى الوجودَ كلَّه جميلاً، وينظرُ إلى الكون على أنه مظهر من مظاهر أفعال الحكيم المبدع سبحانه وتعالى، فيحب ما فيه محبةً لخالق الكون سبحانه وتعالى

أَيُّهَذَا الشَّاكِي! وَمَا بِكَ دَاءٌ كَيْفَ تَغْدُو إِذَا غَدَوْتَ عَلِيلا

إِنَّ شَرَّ الْجُنَاةِ فِي الْأَرْضِ نَفْس تَتَوَخَّى قَبْلَ الرَّحِيلِ الرَّحِيلا

وَتَرَى الشَّوْكَ فِي الْوُرُودِ وَتَعْمَى أنْ تَرَى فَوْقَهَا النَّدَى إِكْلِيلا

وَالّذِي نَفْسُهُ بِغَيْرِ جَمَالٍ لَايَرَى فِي الْحَيَاةِ شَيْئاً جَمِيلا[٤]

يقول الشيخ المنجد :(من أحاديث النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في التَّفاؤل :(لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصَّالح الكلمة الحسنة)[٥] ، وفي رواية: (لا عدوى ولا طيرة وأحبُّ الفأل الصَّالح)[٦]. وفي رواية: أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطيَّر، ويعجبه الاسم الحسن وهذه الأحاديث قد ثبت في صحيح البخاري رحمه الله تعالى أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: لا طيرة وخيرها الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصَّالحة يسمعها أحدكم[٧]. هذه رواية في البخاري. وكذلك رواية: (ويعجبني الفأل الصَّالح الكلمة الحسنة)[٨] .

---

(١) سورة الطلاق .
(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٩١١
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦٧٧٦
(٤) موقع دوات العربي الإسلامي ، الأربعاء،١٦-سبتمبر-٢٠٢٠ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٤٢٤ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٢٣ .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٤٢٢ .
(٨) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٤٢٤ .

القدر المشترك بين الطِّيرة والفأل:

ما هو القدر المشترك بين الطِّيرة والفأل؟ هناك قدرٌ مشترك بين الطِّيرة والفأل، فتأثير الفأل ولا شك أبلغ؛ وذلك لأنَّ الفأل يأتي من نُطقٍ وبيانٍ، والفألُ مصدره ومنشؤه من الكلمة الحسنة، والطِّيرة منشأها من حركة الطَّائر أو صوته؛ لأنَّهم كانوا يتشاءمون بصوت البوم، فحركة الطَّائر وصوته ليس فيها بيانٌ، بخلاف كلمة يا راشد يا واجد يا سالم، ففيها كلمة ومعنى فيتفاءلون بهذه الكلمة، وهو في ظرفٍ يترقب فيه شفاءً، أو وجدان ضالة مثلاً ونحو ذلك، إذاً: أيُّهما من ناحية المنشأ له اعتبار وله أساس التَّشاؤم أو التَّطير؟ التَّطير منشؤه من حركة الطَّير أو صوت الطَّائر وهذا ليس فيه بيانٌ ولا شيءٌ مفهومٌ، وإنَّما هو تكلُّفٌ وتعسُّفٌ، إذا قال شخصٌ: إذا ذهب هذا الطَّائر شمالٌ فمعناه أنَّها لن تنجح فهذا تعسُّفٌ ليس له علاقةٌ بذهابه شمالاً، وحتى لو قال: إذا ذهب الطَّائر يميناً فهذا خيرٌ؛ فما علاقة ذهابه يميناً بحصول الخير؟ لا شيء، فالقضية تكلُّفٌ وتعسُّفٌ وليس لها ارتباط بالواقع، بخلاف التَّفاؤل الذي ينطلق من كلمةٍ طيبةٍ يتفاءل بها الإنسان ويتأمَّل حصول الخير ويرجو أن يحصل، ولذلك يقول عكرمة: (كنت عند ابن عباس فمرَّ طائرٌ فصاح فقال رجلٌ: خيرٌ ..خيرٌ، فقال ابن عباس: لا خيرٌ ولا شرٌّ)[1] ما عند الطَّائر سواءٌ نعيق البوم أو الغراب أو صوت غراب أو صوت بلبل أو عصفور فما عند هذا لا خيرٌ ولا شرٌّ، ولا يُؤخذ من أصوات الطِّيور لا خيرٌ ولا شرٌّ، والفرق بين الفأل والطِّيرة أيضاً وهي من الفروق المهمة: أنَّ الفأل ناتجٌ من حسن الظَّنِّ بالله، والطِّيرة ناشئةٌ من سوء الظَّنِّ بالله، فهو يتشاءم ومبنى تشاؤمه على أنَّ الله لن ينجحه ولن يشفيه ولن يجعله يجد ضالته، ولن يجعله يحقِّق أمله ويصل إلى مبتغاه، وهذا كُلُّه سوء ظنٍّ بالله: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ..... (١٥)﴾[2]. فبعض النَّاس عندهم تشاؤمٌ.

---

(١) الدينوري ، المجالسة وجواهر العلم ، ص٩٣٧.
(٢) سورة الحج .

الإسلام يحث على التَّفاؤل:

لماذا شجَّع الإسلام على التَّفاؤل ومنع من التَّشاؤم؟ لأن التَّفاؤل يشحذ الهمم للعمل، ويغذِّي القلب بالطَّمأنينة والأمل، ولا شكَّ أنَّ هذا من أكبر عوامل النَّجاح، فالآن إذا تفكِّر في حال إنسانٍ عاملٍ ذهب ليعمل شيئاً أو ينجز مهمَّةً، ونفسه منشرحةٌ وهو راج للخير، وعنده أملٌ بإنجازها فكيف حال همَّته وانطلاقه؟ قويةٌ أليس كذلك؟ فهذه القوَّة النَّاتجة من التَّفاؤل ستكون أحدُ أكبر أسباب النَّجاح وإنجاز المهمَّة، وإذا ذهب بشعورٍ متشائمٍ وهو لا يرجو أن يُفلح ولا أن ينجح ولا أن ينجز الأمر؛ فكيف تكون همَّته؟ فاترةٌ ضعيفةٌ وهذا الفتور والضَّعف في الهمَّة سيكون من أكبر أسباب الفشل، إذاً: التَّفاؤل خُلُقٌ مهمٌّ أن يكون في النَّفس لأجل إنجاز العمل المطلوب، فهذا من أسرار الشَّريعة التي يتبين للإنسان إذا تأمَّل فيها عظمة هذه الشَّريعة، وكيف أنَّ هذه الشَّريعة تؤدِّي بمن يتَّبعها إلى النَّجاح وتوفِّر أسبابها، فالشَّريعة توفِّر للمسلم أسباب النَّجاح، تأمَّل مثلاً في طالبٍ وهو داخلٌ إلى امتحانٍ شفويٍّ أو مناقشة رسالة وهو متفائلٌ وحسن الظَّن بالله، فحتى لو ما سمع شيئاً فهو متفائل، فكيف سيدخل قاعة الامتحان؟ أو يدخل إلى اللجنة التي ستناقشه؟ يدخل وفيه همَّةٌ ورجاء وأمل ويغلب على ظنِّه النَّجاح، وهذا سينعكس على طريقة نقاشه وإجابته وإقناعه بأعضاء اللجنة في الاختبار، وعلى تثمينهم لإجابته وتأويلهم لوضعه وحالته، لكن إذا الإنسان دخل إلى قاعة الامتحان وهو يقول أكيد أنَّهم سيسألوني أسئلةً لا أعرفها، فأنا متأكدٌ أنني سأفشل، فهذا واضح من وجوه أعضاء اللجنة الكالحة، فمستقبلي أسودٌ في هذا النِّقاش، فإذا كان هو ذاهبٌ بنفسيةٍ متشائمةٍ إلى قاعة الاختبار، فهذا لو كان يعرف الجواب الصَّحيح فسينساه بسبب تأثير نفسيته، فليست قضية الاختبارات والامتحانات هي قضية معلومات فقط؛ لأنَّ الطَّالب في قاعة الاختبار يمكن يضيِّع معلوماتٍ هي عنده بأسباب أخرى، فالمسألة إذاً فيها عاملٌ كبيرٌ من عوامل النَّجاح، وهو التَّفاؤل والأمل، ولو أنَّك نظرت في غالب التُّجَّار والنَّاس النَّاجحين؛ غالبهم عنده أملٌ وتفاؤلٌ، يعني: من أسباب نجاح كبار رجال الأعمال وكبار النَّاس النَّاجحين في أعمالهم تجد أنَّ عندهم جانب الأمل في نفوسهم قويٌّ، وحتى الدُّعاة

النَّاجحين الذين تنفتح لهم القلوب يكتب الله لهم التَّأثير على النَّاس، يسلمون مقاليدهم إليهم ويتبعونهم ويتأثرون بهم، ويسمعون منهم ويلتزمون بما يقولون، ويجتمع إليهم العدد من النَّاس دائماً ما شاء الله، فهؤلاء لا بُدَّ أن يكون عندهم جانبُ التَّفاؤل والأمل قويٌّ، فهذا من أسباب وصوله للنَّتيجة هذه، ولو كانوا شخصيات متشائمة سيقول: سأذهب إليه الآن وأجده نائماً وأطرق عليه ويفيق من نومه مكفهرُّ الوجه ويصك الباب في وجهي، يا أخي تفاءل أنَّه سيكون الآن ضائقٌ صدره ينتظر فقط من يأتي إليه ويطرق الباب ويتحدَّث إليه، تفاءل أنَّ الرَّجل الآن ينتظر من ينتشله ويأخذ بيده، فحتى في مجال الدَّعوة إلى الله فعملية التَّفاؤل والتَّشاؤم هذه من أكبر أسباب النَّجاح أو الفشل، وكثيراً ما يكون التَّشاؤم مبعثه عدم الثِّقة بالله تعالى ، يعني: من عدم حسن الظَّنِّ بالله يقول: هذا سيردُّني كما ردَّني الآخر، هذا يسكن في نفس البيت الذي يسكن فيه الذي ردَّني من أول مرَّة، وما علاقة هذا بهذا نفس البيت؟ وربَّما تشاءم بالأرقام الفردية، وإلَّا بعض الأشياء التي تحصل عند بعض المشركين والجهلة.

عواقب التَّفاؤل وعواقب التَّشاؤم:

١- الإسلام ينفِّر من التَّشاؤم ويريد أن ينصرف المسلمون عنه؛ لأنَّه عنصرٌ نفسيٌّ سيئٌ، يبطِّئ الهمم عن العمل، ويشتِّت القلب بالقلق، ويميت فيه روح الأمل، فيدبُّ اليأسُ، وتضعف الإرادة.

٢- التَّفاؤل من أسباب إشراق الوجه، ولا تجد أحداً دائمَ البشر والابتسامة وهو متشائمٌ، فدائمُ البشر والابتسامة هو الإنسان الذي يكون عنده تفاؤل، وتجد الشَّخص المتشائم مكفهرَّ الوجه عابساً، ولا تلقى عنده ابتسامةً ولا بِشراً في المحيَّا ولا نضارةً؛ بسبب تشاؤمه، فتأمل في موقفين لمتفائل وآخر متشائم، خرجا في سفرٍ وغابا عن أولادهما، فتجد المتفائل يقول: أرجو من الله أن أولادي بخير، وأن الله لن يضيعني وأنني قد قلت في الدُّعاء أنَّني استودعتهم ربِّي، وأنَّ الله لا يضيع من استودعه فإذا استودع شيئاً حفظه الله ، وتجد الآخر المتشائم يقول: يا تُرى من الذي انكسرت

يده؟ يا ترى ما حالهم؟ أكيد أحدهم الآن مريضٌ، ويا ترى هل أحدهم يعاني في مشكلة، وهكذا دائماً مع أنَّ كلاهما لا يدري عن أهله ولا عن أولاده، لكن أحدهما متشائمٌ فهو يعيش عيشةً ضنكا، كلمَّا غاب عن شيءٍ دخل الشَّيطان ولعب به، .

٣- حسب الإنسان التفاؤل أن يعيش سعيداً بالأمل، والأمل لا شك هو جزءٌ من السَّعادة، أمَّا التَّشاؤم فيكفيه ذمَّاً وقبحاً أنَّه يشقي صاحبه ويقلقه ويعذبِّه قبل أن يأتي المكروه، فيعجل لصاحبه الألم.

٤- التَّفاؤل لا شكَّ أنَّ فيه رجاءً من الله سبحانه وتعالى، والفأل والطِّيرة قد صارت عند النَّاس في أشياء كما سبق أن قلنا لا علاقة لها بالشِّيء، لكن بعضها مأخوذةٌ من الجاهلية ومن بعض المعتقدات أو الخرافات الموجودة عند النَّاس، فتجد أنَّ بعضهم يتشاءمون كما حال أهل الجاهلية بالأيام والأشهر، مثل: شهر صفر وشوال فيتشاءمون به، ولذلك كانت عائشة رضي الله عنها تدخل نسائها في شوال مضادَّةً لأهل الجاهلية، ويستحبُّ النِّكاح في شوال مضادَّةً لأهل الجاهلية.

من أنواع التشاؤم في هذا العصر:

١- بعض المجلَّات اليوم التي فيها عالم الفلك أو النُّجوم أو الأبراج والحظُّ مكتوبٌ فيها أيَّام السعد محدَّدةً وذلك حسب البرج، فيقولون: أنت في أيِّ برج ولدت؟ هل ولدت في برج الجوزاء أو في برج الجدي أو في برج التَّيس أو في برج الثَّور، ويكتب البرج أيَّام السعد كذا وكذا وكذا، وأيَّام النَّحس كذا وكذا وكذا، حتى لا تعمل الأعمال التي تريدها -مثلاً- في أيَّام السعد وتتلافى أيَّام النَّحس، والذي كتبها هو النَّحس؛ لأنَّ هذا دجَّالٌ وكذَّابٌ أشرٌ أفَّاكٌ، وأيَّام السعد تختلف في برجٍ الجوزاء عن برج العقرب وهكذا يختلف برج لآخر، ولا يكون من أيَّام السعد في هذا البرج يكون من أيَّام النَّحس في ذلك البرج، فتجد أنَّ المسألة ضالعةٌ ومنتشرةٌ وداخلة حتى في المجلات التي تدخل البيوت يقرأها النَّاس.

٢- بعض النَّاس مثلاً: يتشاءمون بالقطِّ الأسود والقرد والبوم.

٣- بعض النَّاس يتشاءمون بالأشخاص الذين عندهم عيوبٌ: كالأعور، والأحدب، والقبيح، والأسود، والمجذوم.

٤- بعض النَّاس مثلاً: يتشاءمون بالأرقام في المستشفيات، فالنَّصارى يمكن ليس عندهم جناح أوغرفة برقم ثلاثة عشر.

٥- بعض الجهلة يتشاءمون بالرَّقم ٧ .

٦- أهل الرَّفض يتشاءمون بالرَّقم ١٠ عليهم لعنة الله؛ لأنَّهم يبغضون العشرة المبشرين بالجنَّة، حتى إذا أرادوا أن يقولوا عشرةً قالوا: تسعةٌ وواحدٌ، فأغبى من كذا لا تجد، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله.

٧- وبعض النَّاس يتشاءمون من أصوات المطافي وسيارات الإسعاف، فإذا سمع الونَّان تشاءم فوراً، وكذلك بالألوان فرُبَّما يكون هناك لوناً كلون الدَّم –مثلاً– فيعتبرون هذا اللُّون لونٌ أحمرٌ غامقٌ هذا موت.

٨- والمقص إذا كان مفتوحاً صار عند بعضهم شرَّاً.

٩- إذا قلَّمت أظافرك بالليل فمصيبة عند البعض.

١٠- بعضهم إذا رفَّت العين الشَّمال أو طنَّت الأذن الشَّمال فهذا عندهم تشاؤمٌ.

١١- وبعضهم يرى أنه إذا طنَّت الأذن اليمين ورفَّت العين اليمين وحكَّت اليد اليمين فستقبض قريباً مالاً، وهذا التَّفاؤل مأخوذٌ من الفقر الذي يعانونه .

١٢- بعض النَّاس أيضاً لا يسمِّي المولود حديثاً على اسم ولدٍ ميِّت، ويقول إذا سمَّيناه فيمكن أن يلحق بأخيه، فلا علاقة في ذلك.

١٣- وإطلاق لفظة –مثلاً– هذا منحوس أو نحيس أو نحس، وهذا كذا أيضاً فيه إنباءٌ عن التَّشاؤم الذي في قلوبهم، وبعضهم إذا شاهد أمَّ زوجته في الصَّباح فهذا عنده قمَّة النَّحس.

كيف يصنع المسلم لنفسه التَّفاؤل أو التَّشاؤم:

هذا الموضوع يكثر كثيراً في النَّاس أنَّهم يفعلونه ويعتقدون به، ولكن المسلم يعرف أين الحقُّ في

هذه الأشياء؟ وحدثت قصصٌ حتى في القديم، كما جاء في بعض كتب الأدب، وهنا إشارةٌ قبل أن نذكر بعض القصص أنَّ قدر الله تعالى قد يُوافق كلمةً حسنةً أو كلمةَ سوءٍ، قد يتفاءل الإنسان بالخير فيجده، فيكون وافق قدر الله تعالى هذه الكلمة، وقد يتشاءم ويجد ما تشاءم به فعلاً، فيكون قدر الله تعالى قد وافق هذه الكلمة، والبلاء موكلٌ بالنُّطق، فالإنسان أحياناً يتكلَّم بالكلمة على نفسه، فتكون كذلك فيوافق قدر الله هذه الكلمة، وكان بعض العرب مشهورين جداً بالتَّشاؤم حتى يقرءون الوجه، يقول: أنت وجهُك يقرأ فيه كذا وكذا، وقد يخبرونه بتوقُّعٍ ويوافق قدر الله هذا التَّوقُّع، فلا نقول هم يعلمون الغيب؛ لكنَّه هكذا سوء ظنِّه بربِّه، وهكذا قسم الله له، وهكذا هذا حسن ظن بربِّه فأعطاه الله على ظنِّه بربِّه، فأحياناً يأتي القدر موافقاً لحسن الظنِّ وسوءه، فهذا حسن ظنٍّ بربِّه، وقد سبق الكلام وقلنا: بأنَّ بعضهم قد يتشاءمون على أنفسهم بأشياء فيجدونها في الواقع هكذا، فيكون هذا من عقوبة التَّشاؤم، فذكر ابن قتيبة رحمه الله تعالى في عيون الأخبار قال: "خرج كُثيِّر عزَّة إلى مصر يريد عزَّة، فلقيه أعرابيٌّ من نهد، فقال: يا أبا صخر أين تريد؟ قال أُريد عزَّة بمصر، قال فهل رأيت في وجهك شيئاً قال: لا، إلَّا أنِّي رأيتُ غراباً ساقطاً فوق بانةٍ ينتف ريشه، هذا أخبره عن المشهد وذاك تشاءم له به، فقال: رأيت غراباً ساقطاً فوق بانةٍ ينتف ريشه، قال: توافي مصر وقد ماتت عزَّة! فانتهره كثيِّر ثُمَّ مضى، فوافى مصر والنَّاس ينصرفون عن جنازة عزَّة، فقال:

فما أعيف النّهديُّ لا درّ درّه	**وأزجره للطير لا عزَّ ناصره**
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة	**ينتِّف أعلى ريشه ويطايره**
فأمَّا غرابٌ فاغترابٌ ووحشةٌ	**وبانٌ فبين من حبيب تعاشره**

وتشاءم له ذلك الرَّجل بهذا وكان كما قال. قال: وهوي بعد عزَّة امرأةً من قومه يقال لها أُمُّ الحويرث، فخطبها فأبت وقالت: لا مالك ولكن اخرج فاطلب فإنِّي حابسةٌ نفسي عليك، فخرج يريد بعض بني مخزوم فبينما هو يسير عنَّ له ظبيٌّ فكره ذلك ومضى، فإذا هو بغراب يحثو التُّراب على وجهه، فكره وتتطيِّر منه، فانتهى إلى بطن من الأزد يقال لهم بني لهب، قال: أفيكم زاجرٌ؟ قالوا: نعم، فأرشدوه إلى شيخٍ منهم فأتوه فقصَّ عليه القصَّة، هذا الزَّاجر هو

الذي يعمل بالزَّجر، فقال: قد ماتت أو خلف عليها رجلٌ من بني عمها، فلمَّا انصرف وجدها قد تزوَّجت وأنشد شعراً يقول:

تيممت لهباً أطلب العلم عندهم وقد ردَّ علم العائفين إلى لهب

فقال جرى الطَّير السّنيح ببينهم فدونك فاهمل جدّ منهمر سكب

فإلَّا تكن ماتت فقد حال دونهم سواك خليلٌ باطن من بني كعب[1]

كما قلنا من أنَّه قد يكون ما يحدث لبعض النَّاس من المصيبة بسبب سوء ظنِّهم، ويوافق القدر كلمةً قالها إنسانٌ لآخر، أو قال الإنسان عن نفسه، وكما قال لنا بعضهم: بعض العرب ذهبوا إلى موقعةٍ فرأى أحدهم أعوراً في الطَّرق، فقال: إنٍ صدقت العيافة يقتل نصفنا وهذا أعور، قال: فقُتل نصفهم في تلك الموقعة، فإذاً: الإنسان قد يتشاءم على نفسه بأمرٍ ويوافق قدر الله هذا الشَّيء الذي تشاءم به، فالبلاء موكل بالنُّطق.

قصص من عواقب التَّفاؤل لصحابة:

وقد يحيق بالإنسان السُّوء الذي ظنَّه وقد حدثت في المقابل أشياء أو بعض الأحداث في السِّيرة، رُبَّما نذكر منها حادثتين فيها تفاؤلٌ جيِّدٌ:

حديث رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى، قال: حدَّثنا يعقوب وهو ثقةٌ قال حدَّثنا أبي وهو ثقةٌ حجَّةٌ عن ابن إسحاق، وهو إذا عنعن علَّة يقول ابن إسحاق: فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين أخو بني سلمة وهو ثقة أن أخاه عبيد الله بن كعب وكان من أعلم الأنصار حدثه أنَّ أباه كعب بن مالك، وكان كعب ممن شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قصَّةٌ طويلةٌ نسردها للفائدة وفي آخرها التَّفاؤل- قال: "خرجنا في حجَّاج قومنا من المشركين، حيث أنَّ الأنصار تأثَّر بعض أهل المدينة بمصعب بن عمير من الدُّعاة الأوائل الذين أوفدهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وجاء بعضهم مسلمين سرَّاً متخفين مع قومهم المشركين إلى مكة من المدينة، يقول كعب بن مالك:

---

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج١ ، ص ٦٣ .

(خرجنا في حجَّاج قومنا من المشركين وقد صلَّينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا، فلمَّا توجَّهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة قال البراء لنا: يا هؤلاء إنِّي قد رأيت والله رأياً، وإنِّي والله ما أدري توافقوني عليه أم لا؟ قلنا له: وما ذاك؟ قال: قد رأيت ألَّا أدع هذه البنية مني بظهرٍ -يعني الكعبة- وأن أصلِّي إليها، فقلنا: والله ما بلغنا أنَّ نبيَّنا يصلِّي إلَّا إلى الشَّام وما نريد أن نخالفه، وهذا قبل تحويل القبلة، فقال: إنِّي أصلِّي إليها، فقلنا له لكنَّا لا نفعل" أنت تصلِّي إلى مكة ونحن نصلِّي إلى الشَّام "فكنَّا إذا حضرت الصَّلاة صلَّينا إلى الشَّام وصلَّى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة، قال أخي: وقد كنَّا عبنا عليه ما صنع وأبى إلَّا الإقامة عليه، فلمَّا قدمنا مكة قال: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله عمَّا صنعت في سفري هذا، فإنَّه والله قد وقع في نفسي منه شيءٌ لما رأيت من خلافكم إيَّاي فيه، قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنَّا لا نعرفه لم نره قبل ذلك، فلقينا رجلٌ من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمَّه؟ قلنا: نعم، وكنَّا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجراً يمرُّ بالمدينة فيعرفون شكل العباس، قال: فإذا دخلتم المسجد فهو الرَّجل الجالس مع العباس، قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه جالس فسلَّمنا، ثُمَّ جلسنا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: هل تعرف هذين الرَّجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيِّد قومه، وهذا كعب بن مالك، قال كعب: فو الله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر قال: نعم، فقال البراء بن معرور: يا نبي الله إنِّي خرجت في سفري هذا وهداني الله للإسلام، فرأيت ألَّا أجعل هذه البنية مني بظهرٍ فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيءٌ، فماذا ترى يا رسول الله؟ قال: لقد كنت على قبلةٍ لو صبرت عليها قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلَّى معنا إلى الشَّام، قال وخرجنا إلى الحج فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيَّام التَّشريق" يعني: يوم الثَّاني عشر فأخذوا موعداً مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم هؤلاء المسلمون أوسط أيَّام

التَّشريق عند العقبة، فلمَّا فرغنا من الحجِّ وكانت الليلة التي وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيِّد من ساداتنا، وكنَّا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلَّمناه وقلنا له: يا جابر إنَّك سيِّد من سادتنا وشريفٌ من أشرافنا، وإنَّا نرغب بك عمَّا أنت فيه أن تكون حطباً للنَّار غداً، ثُمَّ دعوته إلى الإسلام وأخبرته بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وشهد معنا العقبة، إذاً خرجوا مستخفين والموعد مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كان سرياً، وكعب بن مالك آنس في والد جابر خيراً وعرض عليه الدَّعوة وأسلم، ودخلوا في المجموعة وذهبوا لملاقاة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكان نقيباً قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في راحلنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من راحلنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشِّعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان من نسائهم: نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النَّجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن ثابت إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع، قال: فاجتمعنا بالشِّعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه يومئذٍ عمُّه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذٍ على دين قومه العباس كان مشركاً، لكن كان ثقةٌ مأمونٌ، إلَّا أنَّه أحبَّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلمَّا جلسنا كان العباس بن عبد المطلب أول متكلِّمٍ، فقال: يا معشر الخزرج وكانت العرب ممَّا يسمُّون هذا الحي من الأنصار الخزرج أوسها وخزرجها، إنَّ محمداً منَّا حيث قد علمتم، يقول هذا العباس ، وكان له دورٌ في نصر الدَّعوة قبل أن يسلم، مثل أبي طالب كان له دور في حماية النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، فيقول العباس لهؤلاء الأنصار: إنَّ محمداً منَّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممَّن هو على مثل رأينا فيه وهو في عزٍّ من قومه ومنعةٍ في بلده، قال فقلنا: قد سمعنا ما قلت، فتكلَّم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربِّك ما أحببت، فتكلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا ودعا إلى الله تعالى ورغَّب في الإسلام، قال: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ثُمَّ قال: نعم والذي بعثك بالحقِّ لنمعنَّك مما نمنع منه أُزرنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر، قال:

فاعترض القول والبراء يكلِّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الذي اعترض؟ أبو الهيثم بن التيهان حليف بني عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله إنَّ بيننا وبين الرِّجال حبالاً في علاقاتٍ وتكلفة ثمن الدُّخول في الدِّين الجديد، وما يترتب عليه من الجهاد وإنَّا قاطعوها، يعني: العهود، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثُمَّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ قال: بل الدَّم ..الدَّم والهدم ..الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسا لم من سالمتم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، وأمَّا معبد بن كعب فحدَّثني في حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك قال: كان أول من ضرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور، ثُمَّ تتابع القوم، فلمَّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشَّيطان من رأس العقبة بأبعد صوت سمعته قطَّ: يا أهل الجباجب هل فيكم في ذمم ، والصِّباة معه قد أجمعوا على حربكم؟ اشترك الشَّيطان علانية في القضية وصرخ: يا أهل الجباجب والجباجب يعني المنازل ينبَّه كفَّار قريش: هل لكم في ذمم، الشيطان لعنه الله يقول مذمَّم عكس محمد، فهي سبة والصباة معه قد أجمعوا على حربكم، قال علي يعني ابن إسحاق: ما يقوله عدوُّ الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب اسمع أيَّ عدو الله: أمَّا والله لأفرغنَّ لك، ثُمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفعوا إلى رحالكم فقال له العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحقِّ لئن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيافنا" يعني: أنت أعطنا أمرك ونحن مستعدين وجاهزين، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم أؤمر بذلك فرجعنا فنمنا حتى أصبحنا، فلمَّا أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤوا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج هذا صباح اليوم التَّالي إنَّه قد بلغنا أنَّكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا! والله إنَّه ما من العرب أحدٌ أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، فالآن كفَّار قريش خاطبوا الخزرج هؤلاء ما حالهم في الإيمان والكفر مختلطين كثرة من المشركين، وبينهم هؤلاء أصحاب العقبة فقريش قالوا: بلغنا أنَّكم عاقدتم

محمداً صلى الله عليه وسلم ، يقول كعب: فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله ما كان من هذ شيئاً وما علمنا، وقد صدقوا هؤلاء المشركون ما شهدوها ولا خرجوا للقاء النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، ولم يعلموا ما كان منَّا، قال: فبعضنا ينظر إلى بعض وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي من كفَّار قريش وعليه نعلان جديدان، قال فقلت كلمةً كأنِّي أريد أن أُشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر وأنت سيِّد من ساداتنا أن تتَّخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ فسمعها الحارث فخلعهما ثُمَّ رمى بهما إليَّ فقال: والله لتنتعلهما، قال يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى أحفظته، يعني استفززته فاردد عليه نعليه، قال فقلت: والله لا أردُّهما، قال: والله صلح والله لئن صدق الفأل لأسلبنَّه السَّلب هذا وسيكون لي، فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر منها[1]. [2] .

س٧٤ :لماذا كان البخل عادة مذمومة ؟.

ج٧٤:البخل وهو كنز المال وجمعه وعدم إنفاقه في المباحات بحجة الخوف من عاديات المستقبل، والبخل خصلة ذميمة مكروهة تمنع الفرد من البذل والعطاء. والبخل يعد من أسوأ الصفات التي يكرهها الناس، على الأخص العرب، فهي بنظرهم من الصفات القبيحة التي تقلّل من الرجولة ، والبُخْلُ: ضِدُّ الكَرَمِ والجُودِ، وقد بَخِلَ بكذا: أي ضنَّ بما عنده ولم يجُدْ، ويقال: هو بخيل وباخل، وجمعه بخلاء. وقال الراغب الأصفهاني: (البُخْلُ: إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه). وقال ابن حجر: (البخل هو منع ما يطلب مما يقتنى، وشره ما كان طالبه مستحقًّا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول ، وقد اختلف أهل العلم في البخل والشح، هل هما مترادفان أم لكلِّ واحد منهما معنى غير معنى الآخر، وقد بين الطِّيبي أن الفرق بينهما عسير جدًّا. الشُّحُّ في اللغة: البُخْل مَع حِرْصٍ:

١- قال النووي: (الشحُّ: هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له).

٢- وقال الطبري: (الشحُّ: الإفراط في الحرص على الشيء)

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٥٨٣٦.

(٢) الشيخ المنجد ، الموقع الرسمي في ٢٩ ذو القعدة ١٣٩٩ هـ .

٣- إنَّ الشحَّ هو البخل مع زيادة الحرص، وهو ما رجَّحه القرطبي، فقال: (وقيل: إنَّ الشحَّ هو البخل مع حرص. وهو الصحيح لما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم)[١]. وهذا يردُّ قول من قال: إنَّ البخل منع الواجب، والشحُّ منع المستحب. إذ لو كان الشحُّ منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم، والذمِّ الشديد الذي فيه هلاك الدنيا والآخرة. ويؤيد هذا المعنى ما رواه النسائي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري رجل مسلم أبدًا، ولا يجتمع شحٌّ وإيمان في قلب رجل مسلم أبدًا)[٢]، [٣].

البخل والشُّح خلقان مذمومان، ذمَّهما الله تعالى في غير آية من كتابه الكريم، وتوعَّد أصحابها بوعيد شديد، وعقوبات تلحقهم في الدنيا والآخرة:

١- قال تعالى: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(٢٤))[٤] (أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذين كلٌّ منهما كافٍ في الشرِّ: البخل: وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوهم على هذا الخلق الذميم، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم، وتوليهم عنها...).

٢- وقال تعالى: وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(١٨٠))[٥]، (أي ولا يظنُّ الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٧٨ .
(٢) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٣١١٤ .
(٣) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .
(٤) سورة الحديد .
(٥) سورة آل عمران .

الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرُّهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنُّوا به على عباد الله، وظنُّوا أنَّه خير لهم، بل هو شرٌّ لهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) :يجعل ما بخلوا به طوقًا في أعناقهم، يعذَّبون به).

٣- وقال تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا(٣٧))[(١)] ، قال ابن تيمية: (قَدْ تُؤُوِّلَتْ في البُخْل بالمال والمنع والبخل بالعلم ونحوه، وهي تَعُمُّ البخل بكلِّ ما ينفع في الدِّين والدُّنيا مِن علم ومال وغير ذلك)[(٣)].

(والمراد بالبخل في الآية البخل بالإحسان الذي أمر به فيما تقدم، فيشمل البخل بلين الكلام، وإلقاء السلام، والنصح في التعليم، وإنقاذ المشرف على التهلكة، وكتمان ما آتاهم الله من فضله يشمل كتمان المال، وكتمان العلم)[(٢)] .

٤- وقال تعالى: (...وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩))[(٣)] ، قال الطبري: ("وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ". يقول تعالى ذكره: من وقاه الله شح نفسه "فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" المخلدون في الجنة... وأما العلماء فإنهم يرون أنَّ الشحَّ في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حقٍّ).[(٤)] وقال السعدي: (من رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه "وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه

(١) سورة النساء .
(٢) ابن تيمية ، التفسير ، ج٣ ، ص٢١ .
(٣) سورة الحشر .
(٤) الطبري و التفسير ، تفسير سورة الحشر .

بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعًا منقادًا، منشرحًا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبًا للنفس، تدعو إليه، وتطلع ليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته)[1].

٥- و قال تعالى: (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(١٢٨))[2]، قال السعدي: (وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ) أي: (جبلت النفوس على الشحِّ، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحقِّ الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعًا، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضدَّه وهو السماحة، وهو بذل الحقِّ الذي عليك؛ والاقتناع ببعض الحقِّ الذي لك. فمتى وُفِّق الإنسان لهذا الخلق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهَّلت الطريق للوصول إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشحِّ من نفسه، فإنَّه يعسر عليه الصلح والموافقة؛ لأنَّه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان خصمه مثله اشتدَّ الأمر)[3].

٦- عن جابر بن عبد الله، أنَّ رسول الله قال: (إيَّاكم والظلم، فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم)[4]، قال النووي: (قوله (واتقوا الشحَّ، فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم)[5].

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، تفسير سورة الحشر .
(٢) سورة النساء .
(٣) السعدي ، تفسير السعدي ، تفسير سورة النساء ، الآية ١٢٨ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٧٨ .
(٥) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١٦ ، ص ١٢٤ .

٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ضرب رسول الله مثل البخيل والمتصدق، كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه، حتى تغشي أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة قلصت، وأخذت كل حلقة مكانها، قال: فأنا رأيت رسول الله يقول: بإصبعه في جيبه، فلو رأيته يوسعها ولا توسع)[1]. قال ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث: (لما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان، ممنوعًا عن البرِّ والخير، وكان جزاؤه من جنس عمله؛ فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهمِّ والغمِّ والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب، فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه، بحيث لا يتمكن من إخراجها ولا حركتها، وكلما أراد إخراجها أو توسيع تلك الجبة؛ لزمت كلُّ حلقة من حلقها موضعها، وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقي قلبه في سجنه كما هو)[2].

٨- وعن أنس بن مالك، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال)[3]... يقول ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث: (...ثم ذكر الجبن والبخل فإنَّ الإحسان المتوقَّع من العبد إما بماله؛ وإما ببدنه؛ فالبخيل مانع لنفع ماله، والجبان مانع لنفع بدنه ...)[4]. وقال: (والجبن والبخل قرينان: فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل)[5].

٩- وعن جابر رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله قال: «يا بني سلمة من سيدكم

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٢١ .
(٢) ابن القيم ،الروح ، ص٤٠٨ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٦٩ .
(٤) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص ١١٣ .
(٥) ابن القيم ، الجواب الكافي ، ج١ ، ص ٧٣ .

قالوا: الجدُّ بن قيس وإنا لنبخِّله. قال: وأيُّ داء أدوأ من البخل؟! بل سيدكم الخير الأبيض عمرو بن الجموح، قال: وكان على أضيافهم في الجاهلية، قال: وكان يولم على رسول الله إذا تزوَّج...)[1] قال المناوي: (أيُّ عيب أقبح منه؛ لأنَّ من ترك الإنفاق خوف الإملاق لم يصدق الشارع، فهو داء مؤلم لصاحبه في الآخرة، وإن لم يكن مؤلمًا في الدنيا)[2].

١٠- وعن أبي هريرة، عن النبي قال: (يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويُلقَى الشحُّ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله، أيُّمَ هو؟ قال: (القتل القتل)[3] ... قال ابن حجر: (أما قوله: ويلقى الشح. فالمراد إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم؛ حتى يبخل العالم بعلمه، فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد وجود أصل الشحِّ؛ لأنَّه لم يزل موجودًا)[4]. وقال ابن الجوزي: (قوله: يلقى الشح. على وجهين: أحدهما يلقى من القلوب، يدل عليه قوله: ويفيض المال. والثاني: يلقى في القلوب، فيوضع في قلب من لا شحَّ عنده، ويزيد في قلب الشحيح. ووجه هذا أنَّ الحديث خارج مخرج الذمِّ، فوقوع الشحِّ في القلوب مع كثرة المال أبلغ في الذمِّ)[5] ، [6].

قالوا عن البخل ما يلي :

١- قال علي رضي الله عنه: (البخل جلباب المسكنة، وربما دخل السخيُّ بسخائه الجنة)[7]

٢- وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: (إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء؛ لكننا نتصبر)[8] .

---

(١) الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٦ ، ص ١٩٨ ، وقال لم يرو هذا الحديث عن الحكم إلا أبو شيبة تفرد به أبو سمرة.
(٢) المناوي ، لتيسير بشرح الجامع الصغير، ج ٢ ، ٤٨٢.
(٣) الإمام البخاري ' صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٣٧ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٣ ، ص ١٧ .
(٥) ابن الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين ، ج٣ ، ص ٣٢٧.
(٦) علوي عبد القادر السقاف ، الدرر السنية ، ذم البخل والشح والنهي عنهما في السنة النبوية
(٧) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٣١٠ .
(٨) الغزالي ، إحياء علوم الدين ' ج٣ و ص ٢٥٥ .

٣- وسئل الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما عن البخل فقال: (هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفًا، وما يمسكه شرفًا)[١].

٤- وعَن طاووس قال: (البخل: أن يبخل الإنسان بما في يديه)[٢].

٥- وقال محمد بن المنكدر: (كان يقال: إذا أراد الله بقوم شرًّا أمَّر الله عليهم شرارهم، وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم)[٣] .

٦- وقال أبو حنيفة: (لا أرى أن أُعدِّل بخيلًا؛ لأنَّ البخل يحمله على الاستقصاء؛ فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة)[٤].

٧- وقال بشر بن الحارث: (البخيل لا غيبة له؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم :(إنك إذًا لبخيل)[٥] ، ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: (صوَّامة قوَّامة إلا أن فيها بخلًا، قال: فما خيرها إذن؟)[٦] .

٨- وقال الغزالي : (النظر إلى البخيل يقسي القلب، ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين)[٧]. .

٩- وقال ابن مفلح : (لا تزوِّج البخيل ولا تعامله، ما أقبح القارئ أن يكون بخيلًا)[٨].

١٠- قالت أمُّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز: (أفٍّ للبخيل.. لو كان البخل قميصًا ما لبسته، ولو كان طريقًا ما سلكته)[٩] .

١١- وقال الشعبي: (لا أدري أيهما أبعد غورًا في نار جهنم البخل، أو الكذب)[١٠].

١٢- وقال ابن المعتز: (أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه)[١١].

---

(١) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٢٩٩ .
(٢) السيوطي ، الدر المنثور ، ج٨ و ص ١٠٨ .
(٣) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص ٢٥٥ .
(٤) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٥٦ .
(٥) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج٧ ، ص ٤٤٢ .
(٦) المصدر السابق الجزء والصفحة .
(٧) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص ٢٥٦ .
(٨) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٣١١ .
(٩) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ و ص ٢٥٥ .
(١٠) المصدر السابق ، الجزء والصفحة .
(١١) المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٥٦ .

١٣- قال حبيش بن مبشر الثقفي الفقيه: (قعدت مع أحمد بن حنبل ويحي بن معين، والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلًا صالحًا بخيلًا)[١] .

١٤- وقال يحي بن معاذ: (ما في القلب للأسخياء إلا حبٌّ؛ ولو كانوا فجارًا، وللبخلاء إلا بغض؛ ولو كانوا أبرارًا)[٢].

١٥- وقال أيضًا يحي بن معاذ أيضا: (بشِّرْ مال البخيل بحادث، أو وارث) [٣].

١٦- وقال ابن القيم: (والجبن والبخل قرينان: فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل)[٤].

١٧- وقال الماوردي: (الحرص والشحُّ أصل لكلِّ ذم، وسبب لكلِّ لؤم؛ لأنَّ الشحَّ يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق)[٥]، [٦] .

الوسائل المعينة على ترك البخل والشح:

١- أن يحسن المرء الظنَّ بالله عزَّ وجلَّ، وليعلم أنَّ الله الذي أمره بالإنفاق قد تكفَّل له بالزيادة. وقد قيل: (قلة الجود سوء ظنٍّ بالمعبود).

٢- الإكثار من الصدقة، وإن كان ذلك ثقيلًا على من اتصف بهذه الصفة، وبذلك يعتاد على صفة الكرم والإنفاق، قال ابن القيم: (فالفقير الآخذ لصدقتك يستخرج منك داء البخل، كالحجام يستخرج منك الدم المهلك)[٧] .

٣- معرفة أن الإيحاء بالفقر والتخويف منه إنما هو وعد شيطاني، وأن وعد الله هو المغفرة للذنوب وزيادة الفضل، يقول الله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٦٨))[٨].

---

(١) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٣١١ .
(٢) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص ٢٥٦ .
(٣) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج٣ ، ص ٣١٧ .
(٤) ابن القيم ، الجواب الكافي ، ص ٧٣ .
(٥) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، ص ٢٢٤ .
(٦) علوي السقاف ، الدرر السنية ، قالوا عن البخل .
(٧) ابن القيم ، عدة الصابرين ، ج٦ ، ص ٢٢ .
(٨) سورة البقرة .

٤- الاستعاذة بالله من البخل، كما كان يفعل أكرم الخلق وأجودهم صلى الله عليه وسلم، حيث كان يستعيذ من البخل فيقول: (اللهمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذل العمر)[1].

٥- معالجة طول الأمل بالإكثار من ذكر الموت، والنظر في موت الأقران.

٦- التأمُّل في حال البخلاء الذين تعبوا في جمع المال، والحرص عليه ثم تركهم له يتقاسمه الورثة، وربما استخدموه في غير طاعة الله، فكان وبالًا عليهم.

٧- التأمل في الآيات الواردة في ذمِّ البخل، وما أعده الله للمتصفين بهذه الصفة القبيحة.

٨- صرف القلب إلى عبادة المولى تبارك وتعالى، حتى لا ينشغل بعبادة المال والحرص عليه.

٩- معرفة أن المستقبل بيد الله إن شاء أغناك، وإن شاء أفقرك، وإن كنت أحرص الناس.

١٠- عدم الخوف على مستقبل الأبناء، والتيقن أنَّ من خلقهم قد خلق أرزاقهم معهم، ولن يضيعهم. فكم من ولد لم يرث من والده مالًا صار أحسن حالًا ممن ورث الأموال الطائلة.

١١- علاج القلب بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذمِّ البخل، ومدح السخاء وما توعد الله به البخيل من العقاب العظيم.

١٢- التأمل في أحوال البخلاء، ونفرة الطبع منهم، وبغض الناس لهم، وبقاء الذكر السيئ من بعدهم[2].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٦٥

(٢) علوي عبد القادر السقاف ، الدرر السنية ، الوسائل المعينة على ترك البخل والشح

س٧٥: لماذا حث الاسلام على إكرام الضيف ؟

ج٧٥:الضيافة خلق إسلامي حث عليه الإسلام ، وقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يحث عل إكرام الضيف :

أولا : الضيافة كما وردت في القرآن الكريم :

١- قال تعالى : (فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ(٢٦))[١] .

٢- قال تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ(٦٩))[٢] .

٣- قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا(٥٣))[٣] .

٤- (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ(٥١))[٤] .

٥- (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(٧٧))[٥] .

ثانيا :الضيافة كما وردت في السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه)[٦].

٢- وعن أبي شُرَيحٍ خُويْلد بن عمرو قال: أبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة الذاريات .
(٢) سورة هود .
(٣) سورة الأحزاب .
(٤) سورة الحجر .
(٥) سورة الكهف .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٦١٣٨ .

وسلم وسمعتْهُ أذناي حين تكلم به، قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفَهُ جائزتَهُ"، قالوا: وما جائزتُه؟ قال: "يومٌ وليلةٌ، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدَقةٌ عليه)[1].

٣- وفي رواية أخرى عنه أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الضيافةُ ثلاثة أيام، وجائزتُه يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يُؤثمه" قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمُهُ؟ قال: "يقيم عنده ولا شيء له يقْرِيه به)[2].

٤- وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (إن لزَوْرِك عليك حقًّا)[3]

٥- وعن ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم تبوك فقال: (ما من الناس مثل رجل آخذ بعنان فرسه، فيجاهد في سبيل الله، ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل في غنمه يقري ضيفَهُ ويؤدِّي حقَّهُ)[4].

٦- وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني مجهودٌ (المجهود من أصابه الجهد والمشقة والحاجة والجوع). فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهنَّ مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق. فقال: "من يُضيف هذا الليلة رَحمه الله" فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى رحْلِهِ فقال لامرأته: هل عندك شيءٌ؟ قالت: لا إلا قُوتُ صِبياني. قال: فعلليهم بشيء، فإذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السِّراج حتى تُطفئيه. قال: فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبي فقال: "قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة)[5].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠١٩ ، وأخرجه الإمام ومسلم برقم ٤٨.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٨ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٧٤ .
(٤) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٢٥٩ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٥٤ .

يقول الشيخ المنجد:(قال الخطابي رحمه الله :قوله : (جائزته يوم وليلة) سئل مالك بن أنس عنه فقال : يُكرمه ، ويتحفه ، ويخصه ، ويحفظه ، يوماً وليلة ، وثلاثة أيام ضيافة ، أي : يريد أنه يتكلف له في اليوم الأول بما اتسع له من بر ، وألطاف ، ويقدِّم له في اليوم الثاني والثالث ما كان بحضرته ، ولا يزيد على عادته ، وما كان بعد الثلاث : فهو صدقة ، ومعروف ، إن شاء فعل ، وإن شاء ترك)[1] .

وقال ابن القيم رحمه الله :إن للضيف حقّاً على مَن نزل به ، وهو ثلاث مراتب : حق واجب ، وتمام مستحب ، وصدقة من الصدقات ، فالحق الواجب : يوم وليلة ، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المراتب الثلاثة في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي شريح الخزاعي – وساق الحديث السابق)[2] .

وقال ابن قدامة رحمه الله :(والواجب يوم ليلة ، والكمال ثلاثة أيام ؛ لما روى أبو شريح الخزاعي – وساق الحديث)[3].

والضيف الذي يجب إكرامه ، وله حق على المضيف ، هو الضيف المسافر ، وهو القادم من بلد آخر ، فيجب على من ينزل عليه أن يطعمه ويكرمه ، فإن لم يفعل فله حق في ماله ، وهذا لا ينطبق على الزائر من البلد نفسه ، وليس قادماً من السفر ، فهذا يمكن أن تقول له : "ارجع" ، كما قال تعالى : (..وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(٢٨))[4].

ومما يدل على ذلك : ما يوجد في بعض الأحاديث من التصريح بذلك ، وأن الحق للضيف إنما هو للمسافر ، وليس للمقيم ، ومنه :

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ : إِنَّك تَبْعَثُنَا فَنَمُرُّ بِقَوْمٍ لَا يَقْرُونَنَا –أي لا يقدموا لنا حق الضيف– ، فَمَاذَا تَرَى ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : (إِنْ أَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ)[4].

---

(١) الخطابي ، معالم السنن ، ج٤ ، ص ٢٣٨ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٦٥٨ .
(٣) ابن قدامة ، المغني ، ج١١ ، ص ٩١ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٣٢٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٧٢٧ .

وقد اختلف العلماء في حكم الضيافة ، وعلى من تجب ، ففي الموسوعة الفقهية: (وقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن الضيافة سنَّة ، ومدتها ثلاثة أيام ، وهو رواية عن أحمد ، والرواية الأخرى عن أحمد – وهي المذهب – أنها واجبة ، ومدتها يوم ليلة ، والكمال ثلاثة أيام . وبهذا يقول الليث بن سعد ، ويرى المالكية وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك .

والضيافة على أهل القرى والحضر ، إلا ما جاء عن الإمام مالك ، والإمام أحمد – في رواية – أنه ليس على أهل الحضر ضيافة ، وقال سحنون : الضيافة على أهل القرى ، وأما أهل الحضر فإن المسافر إذا قدم الحضر وجد نزلاً – وهو الفندق – فيتأكد الندب إليها ولا يتعين على أهل الحضر تعينها)[1] .

والراجح – والله أعلم – أن ضيافة المسافر المجتاز – لا المقيم – واجبة ، وأن وجوبها على أهل القرى ، والأمصار ، دون تفريق .

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في شرح قول الحجاوي رحمه الله : "وَتَجِبُ ضِيَافَةُ المسْلِمِ الْمُجْتَازِ بِهِ فِي الْقُرَى يَوْماً وَلَيْلَةً" .

قال : قوله : " وتجب ضيافة المسلم " : " تجب " هذا بيان حكم الضيافة ، والضيافة أن يَتلقَّى الإنسان مَن قدم إليه ، فيكرمه ، وينزله بيته ، ويقدم له الأكل ، وهي من محاسن الدين الإسلامي ، وقد سبقنا إليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، كما قال الله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ(٢٤))[2] ، أي : الذين أكرمهم إبراهيم ، ولا يمتنع أن يقال : والذين أكرمهم الله عزّ وجل بكونهم ملائكة .

فحكم الضيافة واجب ، وإكرام الضيف – أيضاً – واجب ، وهو أمر زائد على مطلق الضيافة ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)

---

(١) الموسوعة الفقهية ، ج٢٨ ، ٣١٦ ، ٣١٧.
(٢) سورة الذاريات .

، أي : من كان يؤمن إيماناً كاملاً : فليكرم ضيفه ، وقوله : " المجتاز به " يعني : الذي مرَّ بك وهو مسافر ، وأما المقيم : فإنه ليس له حق ضيافة ، ولو كان المقيم له حق الضيافة : لكان ما أكثر المقيمين الذين يقرعون الأبواب ! فلا بد أن يكون مجتازاً ، أي : مسافراً ومارّاً ، حتى لو كان مسافراً مقيماً يومين ، أو ثلاثة ، أو أكثر : فلا حق له في ذلك ، بل لا بد أن يكون مجتازاً ، وقوله : " في القرى " دون الأمصار ، والقرى : البلاد الصغيرة ، والأمصار : البلاد الكبيرة .

قالوا : لأن القرى هي مظنة الحاجة ، والأمصار بلاد كبيرة فيها مطاعم ، وفنادق ، وأشياء يستغني بها الإنسان عن الضيافة ، وهذا - أيضاً - خلاف القول الصحيح ؛ لأن الحديث عامّ ، وكم من إنسان يأتي إلى الأمصار وفيها الفنادق ، وفيها المطاعم ، وفيها كل شيء ، لكن يكرهها ويربأ بنفسه أن يذهب إليها ، فينزل ضيفاً على صديق ، أو على إنسان معروف ، فلو نزل بك ضيف - ولو في الأمصار - : فالصحيح : الوجوب)[1] .

وأما الزائر من البلد نفسه فلا شك أن إطعامه وإكرامه يدخل في عموم الأمر بإطعام الطعام والإحسان إلى الناس ، ولكنه ليس هو الضيف الذي أوجب النبي صلى الله عليه وسلم إكرامه ، وجعل له حقاً في مال المضيف)[2].

والضيافة منها ما هو (واجب) ومنها ما هو (مستحب) وبيان ذلك:

١- الضيافة الواجبة: وهي ضيافة المسلم المسافر لمدة يوم وليلة، إذا لم يكن في البلد الذي نزلهُ موضع يقيم فيه .

٢- الضيافة المستحبة: وهي إطعام الطعام على كل حال، وبخاصة أوقات الشدة والأزمات.

آداب الضيافة: للضيافة آداب شرعية لكل من المضيّف والضيّف:

آداب المضيّف:

---

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع على زاد المستقنع ، ج١٥ ، ص ٤٨ – ٥١ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، سؤال رقم ١٢٨٧٩١ في ٢٧ / ٨/ ٢٠٠٩ م.

١- أن ينوي في قيامة بالضيافة فعل السنة وأداء حق أخيه، لا المباهاة والمفاخرة.

٢- الترحيب بالضيف، وحسن استقباله، والبشاشة في وجهه.

٣- المبادرة لإطعام الضيف في الوقت المناسب.

٤- خدمة الضيف وتقديم الطعام والشراب له، ودعوته لتناوله.

. آداب الضيّف:

١- عدم إطالة البقاء عند الضيّف بحيث يمل منه أو يحرجه.

٢- موافقة مضيّفه إذا قدم له الطعام، وعدم الاعتذار منه بشبع أو غيره.

٣- الدعاء للمضيّف، ومن ذلك ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم)[١] .

٤- التأدب بالآداب العامة مثل:

أ- غض البصر.

ب- ترك السؤال عما لايعنيه.

ت- عدم الإضرار بمنزل المضيف[٢]

س٧٦: لماذا كثر الطلاق هذه الأيام ؟.

ج٧٦: أسباب الطلاق متعددة، وقد يكون السبب من الزوج أو الزوجة، أو منهما، ومن هذه الأسباب:

١- سوء العشرة، بأن يعامل أحد الزوجين الآخر معاملة مسيئة، سواء إساءة لفظية أو فعلية، أو بإهمال وعدم مراعاة الآخر، والاستمرار في هذا النوع من المعاملة، قد يؤدي في نهاية المطاف إلى فقدان الصبر، واللجوء للطلاق

٢- الفتور العاطفي وفقدان المشاعر بين الزوجين، سبب آخر من أسباب الطلاق، وهذا الفتور، يسميه البعض بالطلاق العاطفي، حيث يرتبط الزوجان ارتباطاً لا روح فيه،

---

(١) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٣٧٢٩ .
(٢) موقع مداد ، فوائد من درس الضيافة ،أحمد خالد العتيبي١ رمضان ١٤٤١ هـ .

ما قد يؤدي مع الأيام إلى طلاق حقيقي.

٣- تغليب أحد الزوجين مصلحته الفردية، وعدم التشاور والتعاون وتقدير مصلحة الطرف الآخر، فتسود في الأسرة روح الفردية، والتصرفات الأحادية، ويسعى كل من الزوجين ليتحكم في الأسرة دون الآخر، ويفرض آراءه، ويتعصب لها، ويرفض الرأي الآخر، عناداً وانتصاراً لنفسه

٤- لغضب وسرعة الانفعال كذلك، من أعظم أسباب هدم الحياة الزوجية، لأنه يسد باب الحوار والتفاهم بين الزوجين، ويستولد ردود أفعال سلبية من الطرف الآخر، وقد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وخاصة إذا أدمن أحد الزوجين على الغضب، وأصبح جزءاً من طبيعته في التعامل مع المواقف اليومية.

٥- إفشاء المشكلات الزوجية وعدم احتوائها، وإدخال أطراف خارجية فيها، فالتدخل الخارجي غير الحكيم في المشكلات الزوجية، قد يزيدها ولا يحلها، سواء من قبل أسرة الزوج أو الزوجة أو الأقارب أو الأصدقاء.

٦- المشكلات المادية هي إحدى أسباب الطلاق في المجتمعات، ولا شك أن العنصر المادي جزء أساسي في الحياة الزوجية،

٧- ضعف الوازع الديني كذلك، سبب خطير لهدم الأسرة[١].

٨- تعاطي المخدرات :يتفق العديد من الأزواج على أن تعاطي المخدرات هو سبب رئيسي للطلاق، فعندما يخرج أحد الأطراف عن السيطرة، قد يعرض الطرف الأخر للعنف البدني ويؤذي شريكه.

٩- الأولوية للأبناء :عند إنجاب الأطفال يقوم أحد الأطراف بالاهتمام بهم فقط على حساب شريك حياته، وبالفعل الأطفال يحتاجون اهتمام أكبر لكنه قد يكون ذلك سبب في صنع شرارة للخلافات والانفصال.

---

(١) صحيفة البيان ، المصدر:أحمد محمد الشحي ، ٠٣ أبريل ٢٠١٨.

١٠- الزواج المبكر جدا :الزواج مشروع صعب، وقد يقع كثير من الصغار في أوائل العشرينات من العمر في مشاعر الحب والرومانسية ويتزوجون دون أن يكون لديهم دراية كاملة بكل مسئوليات الزواج، ثم يبدؤون في مواجهة واقع الحياة وينصدمون بها وحينها يقرروا الطلاق.

١١- قلة التواصل :التواصل الجيد هو أهم جانب من جوانب أي علاقة قوية وليس الزواج فقط، لذلك قلة التواصل بين الطرفين يعتبر من أهم الأسباب في الانفصال(١).

١٢- اختلاف شخصيّة وحياة الشريكين قبل وبعد الزواج تختلف مراحل العلاقات وتتدرج صعوباتها كلما تقدّم الشريكين في العمر معاً وزادت المسؤوليّة والمتطلّبات الأسرية على عاتقهما، حيث إن طبيعة الحياة في بداية الزواج أو في مرحلة الخطوبة والتي تبدو ورديّةً ومُشرقة ومُكللةً بالتوقّعات والأماني المزهرة قد تختلف عن الحياة العائليّة في ظل وجود الأطفال والأقارب والأسرة، الأمر الذي يجعل العديد من الأزواج يجدون صعوبةً في الحفاظ على شخصيّتهم ووعودهم الأوليّة التي تعهّدوا بها في بداية العلاقة.

س٧٧ : لما شرعت الملاعنة في الاسلام ؟.

ج٧٧: لعان حكم في الشريعة الإسلامية يحدث عندما يتهم الزوج زوجته بالزنا بدون أن يأتي بأربعة شهداء على وقوع الزنا، ففي هذه الحالة يطلب منه القاضي أن يحلف أربع مرات (بدل الشهود الأربعة) (ليدفع عن نفسه حدّ القذف) أنه من الصادقين في دعواه ضدّ زوجته، ثم يحلف مرة خامسة بأن يقول: (لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين) أي: فيما اتهم زوجته به من الزنا. وبالنسبة للمرأة التي تريد أن تدرأ عن نفسها حد الزنا أن تحلف أربع مرات (بدل الشهود الأربعة) كذلك أنه من الكاذبين فيما اتهمها به، وفي الخامسة تؤكد بأن غضب الله عليها وسخطه إن كان زوجها صادقا فيما اتهمها به.

وعند حدوث الملاعنة بين الزوجين تحدث الفرقة على التأبيد، ويدرأ الحد وتنتفي نسبة الولد الذي لاعنا فيه عن الزوج -إذا كان في اللعان ذكر نفي الولد.

---

(١) إيمان طعيمه ، صحيفة أخبار اليوم ٠٨ أكتوبر ٢٠١٩

ويدل على حكم اللعان قول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ(٦))[١].

وقد حدث ذلك في زمن رسول الله حين رمى هلال بن أمية امرأته مع شريك بن سحماء فلاعن بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم)[٢].

أخرج الإمام البخاريّ في صحيحه عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: (أنَّ هِلالَ بنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: البَيِّنَةَ أوْ حَدٌّ في ظَهْرِكَ، فقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إذا رَأَى أحَدُنا علَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: البَيِّنَةَ وإلَّا حَدٌّ في ظَهْرِكَ فقالَ هِلالٌ: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ إنِّي لَصادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللَّهُ ما يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وأَنْزَلَ عليه: (والذينَ يَرْمُونَ أزْواجَهُمْ) فَقَرَأَ حتَّى بَلَغَ: (إنْ كانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فانْصَرَفَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فأرْسَلَ إلَيْها، فَجاءَ هِلالٌ فَشَهِدَ، والنبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أنَّ أحَدَكُما كاذِبٌ، فَهلْ مِنْكُما تائِبٌ ثُمَّ قامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كانَتْ عِنْدَ الخامِسَةِ وقَّفُوها، وقالوا: إنَّها مُوجِبَةٌ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ ونَكَصَتْ، حتَّى ظَنَنَّا أنَّها تَرْجِعُ، ثُمَّ قالَتْ: لا أفْضَحُ قَوْمِي سائِرَ اليَومِ، فَمَضَتْ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أبْصِرُوها، فإنْ جاءَتْ به أكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهو لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْماءَ، فَجاءَتْ به كَذلكَ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَوْلا ما مَضَى مِن كِتابِ اللَّهِ لَكانَ لي ولَها شَأْنٌ)[٣] ، وقتناول أهل الفقه مسألة حُكم اللعان، وفصّلوا في الأسباب الموجبة له، وخلاصة ذلك:

١- **الشافعيّة**: قالوا بأنّ اللعان لا بدّ من وقوعه بين الزوجَين؛ لدفع ما اتُّهِمت به الزوجة من الزِّنا، أو من نَفْي حَمْلها، ولا يجب اللعان على الزوج إلا لنفي نسب ولد أو حمل

---

(١) سورة النور .
(٢) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، الملاعنة .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧٤٧ .

عِلِم أنّه ليس منه. الحنفيّة: قالوا بوجوب اللعان؛ بسبب اتّهام الزوج لزوجته بارتكاب فاحشة الزِّنا، استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّـهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّـهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٧)﴾[(١)]، فكان قذف الزوجة أحد الأسباب الموجِبة لوقوع اللعان بين الزوجَين.

٢- **المالكيّة**: قالوا بوجوب اللعان بين الزوجَين في ثلاث حالاتٍ:

الأولى: رؤية الزوج لزوجته زانيةً، .

الثانية: نفي الزوج حَمْل زوجته منه .

الثالثة: قَذْف الزوج لزوجته، واتّهامها بارتكاب الزنا دون رؤيتها زانيةً، ودون نَفْي الحَمل.

٣- **الحنابلة**: قالوا بجواز وقوع اللعان بين الزوجَين؛ لإسقاط حَدّ القذف عن الزوج؛ بسبب قَذفه لزوجته.

٤- **الحنفيّة** : قالوا :بأنّ للّعان ركنٌ واحدٌ يتمثّل باللفظ؛ أي الشَّهادات، والأَيمان، واللعن بين الزوجين .

ذهب جمهور أهل العلم إلى أنّ للّعان أربعة أركانٍ، وهي

١- المِلاعِن: وهو الزوج؛ فلا بدّ من قيام علاقةٍ زوجيّةٍ له مع امرأةٍ، وإن لم يتحقّق الدخول بها، وإن كانت أيضاً في عدّةٍ من طلاقٍ رجعيٍّ.

٢- المِلاعِنة: وهي الزوجة التي اتُّهمت بالزِّنا، وهي مَن لها الحقّ في طلب اللعان بينها وبين زوجها.

٣- اللفظ: أي الصيغة التي تتمّ بها الملاعنة بين الزوجَين. السبب:

٤- أي الأمر الذي أدّى إلى وقوع اللعان بين الزوجَين، ويتمثّل إمّا بالقذف بالزِّنا، أو بنَفْي نَسَب الولد.

---

(١) سورة النور .

يشترط لصحة اللعان ما يلي:

١- أن يكون بين زوجين مكلفين.

٢- أن يقذف زوجته بالزنا قبل الدخول أو بعده.

٣- أن تكذبه الزوجة فيما ادعاه.

٤- أن يكون بحضور القاضي أو نائبه.

امتناع أحد الزوجَين عن اللعان:

١- ذهب جمهور أهل العلم في مسألة امتناع أحد الزوجين عن الملاعنة إلى ترتُّب حَدّ القذف؛ إذ إنّه عِوضٌ عن حدّ الزِّنا، فلا ينجلي الحَدّ إلّا باللعان، فإن اتّهم الزوج زوجته بالزنا دون بيّنة، أُقيم عليه الحدّ، إلا إذا تمّت الملاعنة بينهما بالأيمان والشهادات المؤكّدة، لقوله تعالى: (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ)، فحينئذٍ تكون الملاعنة بديلاً عن حد الزنا.

٢- ذهب الحنفيّة إلى أنّ الزوج يُحبَس حتى يُلاعن زوجته، أو إلى أن يُكذّب ما اتّهم به زوجته، وإلّا فيُقام عليه حَدّ القذف، أمّا امتناع الزوجة عن اللعان، فيترتّب عليه حَبسها إلى أن تُلاعن زوجها، أو تُقِرّ بما ادّعى به زوجها عليها، فإن أقرّت قوله، فلا يُقام عليها الحَدّ، ويُخلّى سبيلها؛ لقول الله -تعالى-: (وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ...(٨))[٢].

الآثار المُترتِّبة على اللعان :

١- إسقاط الحدّ يسقط حدّ القذف عن الزوج إن تلاعن مع زوجته، وكذلك يسقط عن الزوجة الملاعِنة حدّ الزنا[٣].

٢- التفريق بين المتلاعنَين بيّنت السنّة النبويّة أنّ الزوجَين المتلاعنَين يُفرَّق بينهما على

---

(١) د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته ، ج١٩ و ص ٧١١٣ .
(٢) سورة النور .
(٣) كمال بن السيد سالم ، صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، ج٣ ، ص ٣٨٩ .

وجه التأبيد؛ للبغضاء، والقطيعة التي وقعت بينهما، فإن كان الزوج صادقاً على سبيل المثال، فإنّه قد تسبّب بفَضْح الزوجة، وإشاعة الفاحشة، وذلك أمام الشهود، وإن كانت المرأة صادقةً على سبيل المثال، فتكون بذلك قد كذَّبته أمام الشهود، ووجبت عليه اللعنة، وإن كانت كاذبةً فقد خانته، وبذلك قد تحصل بين الزوجين البغضاء، والنفرة، والوحشة، وذلك يُخالف الأصل في الحياة الزوجيّة القائمة على السَّكَن، والمودّة، والرحمة،).

أما وقت التّفريق بين الزوجين الناتج عن الملاعنة؛ فآراء أهل العلم فيه كما يأتي:

الرأي الأوّل: قال الشافعيّة بوقوع الفُرقة بين المتلاعنَين بمُجرَّد مُلاعنة الزوج، حتى وإن لم تُلاعنه الزوجة.

الرأي الثاني: قال الإمام مالك بأنّ التفريق بين الزوجَين بسبب اللعان يقع بتمام مُلاعنة الزوجَين.

الرأي الثالث: قال الإمام أبو حنيفة، والإمام أحمد بأنّ التفريق باللعان لا يقع إلّا في حال تمام اللعان، وتفريق الحاكم بينهما.

أمّا إن كذّب الرجل نفسه بعد وقوع الملاعَنة بينه وبين زوجته، ففي ذلك خلافٌ بين العلماء، وتفصيله فيما يأتي:

القول الأوّل: قال جمهور العلماء من الشافعيّة، والمالكيّة، والحنابلة بأنّ الزوجة لا تحلّ لزوجها إن تفرّقا باللعان ثمّ كذّب الزوج نفسه؛ لأنّ الفُرقة بينهما وقعت مُؤبّدةً.

القول الثاني: قال الحنفيّة بأنّ الزوج الذي كذّب نفسه بما اتّهم به زوجته من ارتكاب الزّنا يحقّ له إرجاع زوجته إذ أُقِيم عليه حَدّ القذف؛ إذ لم يَعُد مُلاعِناً، وإنّما كاذباً[1].

٣- نَفْي نَسب الولد، وإلحاقه بوالدته، علماً بأنّ نفي نسَب الولد تُشترَط فيه عدّة أمورٍ، هي:

---

(١) عاطف محمد، فقه مقارن(٢)، صفحة ١١-١٤ .

(٢) وزارة الأوقاف، الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٣٥ ، صفحة ٢٦١-٢٦٤ .

أ- الفوريّة: أي أن ينفي الزوج نَسَب الولد عند الولادة، أو خلال مُدّة تهنئة الناس به دون تقديرها بمُدّةٍ مُحدَّدةٍ، وذلك ما اشترطه الإمام أبو حنيفة، وقدَّرها أبو يوسف ومحمد بن الحسن بأكثر من مدّة النَّفاس المقدَّرة بأربعين يوماً عندهم؛ فالنفاس أثرٌ للولادة، فيأخذ حُكمها، أمّا الشافعيّة، والمالكيّة، والحنابلة فقالوا بالتعجيل في نَفْي نَسَب الولد، وإن كان يعلم منذ بداية الأمر، ولم يذكره إلّا بعد اللعان، فإنّ حدّ القذف يُقام عليه؛ سواءً استمرّ سكوته مدّةً قصيرةً، أو طويلةً، إلّا إن عُذِر.

ب- عدم الإقرار: يُشترَط ألّا يُقرّ الزوج بالولد؛ سواءً كان الإقرار دلالةً، أو صراحةً، ومثال الصراحة أن يقول الرجل: "هذا الولد ولدي"، أو يقول: "هذا الولد منّي"، ومثال الدلالة: قبول التهنئة بالولد، أو سكوته عنها. حياة الولد: اشترط الحنفيّة أن يكون الولد حيّاً عند اللعان؛ فلو نفى الزوج الولد، ومات الولد قبل وقوع اللعان، فلا ينتفي عنه النَّسَب، ويحقّ للزوجة المطالبة باللعان إن مات الولد قبل تمام اللعان؛ لتُثبت عِفّتها، ووافق المالكيّة الحنفيّة في رأيهم، وأضافوا بأنّ للزوج طلب اللعان بعد موت الولد؛ ليسقط بذلك حَدّ القذف عنه، ولم يشترط كلٌّ من الشافعيّة، والحنابلة حياة الولد عند اللعان؛ لأنّ النَّسَب لا ينقطع بالموت؛ إذ يُقال: "مات ولد فلان"، كما قالوا بأنّ تكفين الولد على الزوج .

ت- حياة الولد: اشترط الحنفيّة أن يكون الولد حيّاً عند اللعان؛ فلو نفى الزوج الولد، ومات الولد قبل وقوع اللعان، فلا ينتفي عنه النَّسَب، ويحقّ للزوجة المطالبة باللعان إن مات الولد قبل تمام اللعان؛ لتُثبت عِفّتها، ووافق المالكيّة الحنفيّة في رأيهم، وأضافوا بأنّ للزوج طلب اللعان بعد موت الولد؛ ليسقط بذلك حَدّ القذف عنه، ولم يشترط كلٌّ من الشافعيّة، والحنابلة حياة الولد عند اللعان؛ لأنّ النَّسَب لا ينقطع بالموت؛ إذ يُقال: "مات ولد فلان"، كما قالوا بأنّ تكفين الولد على الزوج.[(١)].

---

(١) موقع ، موضوع ابراهيم دهيمات ١٠ يناير ٢٠٢١.

٤- التحريم المؤبد بين المتلاعنين.

٥- انتفاء الولد عن الزوج إن وجد.

٦- لحوق الولد بالزوجة.

٧- سقوط النفقة والسكنى على المرأة أثناء العدة.

٨- لا يجوز أن يزوج الملاعن بنته لمن نفي نسبه منه، لاحتمال كونه ابناً له.

و يَسقط اللعان بعد وجوبه بما يلي:

١- طروء عارض من عوارض الأهلية كالجنون، أو الردة، أو الخرس.

٢- تصديق المرأة زوجها في القذف أو عفوها أو سكوتها.

٣- البينونة بالطلاق أو الفسخ أو الموت.

٤- تكذيب الزوج نفسه.

س٧٨ : لماذا حرم الإسلام الظهار ؟.

ج٧٨: الظهار من أصول الجاهلية والتي كان فيها إذا كان قد كره الرجل امرأته ولم يرد لها أن تتزوج بغيره آلى منها (من الإيلاء) أو ظاهر لتبقى معلقة لا زوج لها، ولا تتزوج من أحد، وكان الظهار في الجاهلية طلاقاً وجاء الإسلام وأبطل هذا الحكم وجعله محرماً للزوجة ليكفر زوجها كفارة الظهار صيانة للأعراض والأسر من العبث، والظهار في الشرع هو أن يُشبه الرجل زوجته بإمرأة محرمة عليه حرمة أبدية أو بجزء يُحرم عليه النظر إليه مثل الظهر أو الفخذ أو البطن، كأن يقول لزوجته أنت علي كابنتي أو كأمي فإن قال ذلك ولم يتبعه بالطلاق صار عائداً ولزومه الكفارة بهذا العود.

والظهار لغة: هو مصدر: والفعل منه ظاهر إذ يُقال ظاهر من امرأته، أي قال لها: (أنت عليّ كظَهْر أمي) ، و**الظهار شرعاً**: هو أن يُشبه الرجل زوجته بأحد النساء المحرمات عليه او لجزء منها، بالنساء المحرمات عليه حرمة أبدية، ومثله يقول الرجل: (أنت عليّ كظَهَرِ أمي)، أو (كظَهْرِ أختي)، أو (نِصفُكِ عليّ كظَهْرِ أمي).

أركان الظهار :

للظهار أربعة أركان وهي كالتالي:

١- المظاهِر: وهو الزوج.

٢- المظاهَر منها: وهي الزوجة.

٣- الصيغة: ما يصدر من الزوج من ألفاظ تدل على الظهار.

٤- المشبه به: كل من يحرم وطؤها على التأبيد كالأم ونحوها.

أدلة شرعية على حرمة الظهار:

الظهار عادة جاهلية جاء الإسلام ليُحرمها، وكانت هناك العديد من الأدلة على حرمتها وهذا ما جعل العلماء يعتمدون عليها كأدلة شرعية ليفتوا من خلالها، وأبرزها ما يلي:

١- قال تعالى: (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّـهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ(٢))[١].

٢- قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ(٤))[٢].

٣- أن أوسَ بنَ الصامتِ ظاهر من زوجتِهِ خولةَ بنتِ مالكٍ بنِ ثعلبةَ وهي التي جادلت فيه رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ واشتكت إلى اللهِ وسمع اللهُ شكواها من فوق سبعِ سماواتٍ فقالت يا رسولَ اللهِ إن أوسَ بنَ الصامتِ تزوجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فيّ فلما خلا سني ونثرت له بطني جعلني كأمةٍ عنده فقال لها رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما عندي في أمرِك شيءٌ فقالت اللهم إني أشكو إليك)[٣].

حرّمت الشريعة الإسلاميّة الظّهار، وأبطلته، ورتّبت على من ظَاهَرَ زوجته، وأراد العودة إليها، كفّارةً؛ عقوبةً، وزجراً له عن فعله، إذ إنّ الظِّهار مخالفٌ لحقيقة الأمور، كما أنّ فيه ظلمٌ بالزوجة، وإلحاقٌ للضرر بها.

أحكام الظهار وأقسامه :

---

(١) سورة المجادلة .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٢٩٢ .

١- الظهار نوعان وهما:

النوع الأول : الظهار المؤقت: وهو الظهار المحدد بزمن معين إن وقع انتهى الظهار، وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي يوماً أو شهراً أو سنة وينتهي بانتهاء المدة دون كفارة عند جمهور العلماء، لأن اليمين يتوقت وينتهي بإنتهاء الاجل عكس الطلاق ، ويقول المالكية: يبطل التأقيت ويتأبد الظهار ولا يحل إلا بالكفار قياساً على الطلاق، إذ إن الطلاق محرم من التوقيت والظهار مثله.

النوع الثاني :الظهار المؤبد: وهو أن يقول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي أو اختي أو احد محارمه مطلقاً أو مدى الحياة، أو من غير تحديد قاصداً الأبدية لأنه كرهها ولا يُريد أن يُطلقها ويُعذبها بتعلقها .

٢- حكمه :لا يبطل حكم الظهار عند الجمهور غير المالكية بالطلاق الرجعي أو البائن أو الثلاث ولا بردة وفي قول أبي حنيفة حتى إن تزوجت بزوج آخر وعادت للأول، فلا يحل وطؤها بدون تقديم الكفارة وهو ثبوت حرمة لا ترتفع إلا بالكفارة.

٣- والظهار مؤبداً أو مطلقاً ينتهي حكم الظهار أو يبطل بالاتفاق بموت أحد الزوجين، لزوال حكم الظهار.

٤- دفع الكفارة ينتهي بالموت أو بالفراق غير الشافعية إن مات أحد المظاهرين أو فارق الزوج قبل العود فلا كفارة عليه، قال تعالى:(وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٢))[١].

٥- قال الشافعي: إن أمسك الرجل المظاهر منها بعد ظهاره زمناً يمكنه طلاقها فيه فلم يطلقها فعليه الكفارة لأن ذلك هو العود عنده.

حكم الظهار في الاسلام :

---

(١) سورة المجادلة .

إن قال الزوج لزوجته أنت كحرمة أمي أو حرمة أختي إن فعلت كذا ..كذا، هذا ظهار ، وعليه الكفارة والتوبة، والظهار من منكرات القول وزور، وإن قال لزوجته أنت انت محرم عليّ كأمي أو أختي أو عمتي أو جدتي أو خالتي إن كلمتِ فلاناً أو إن لم تبيتي في المنزل أو ...، أيضاً ظهاراً، وعليه التوبة وإن فعلت ما منعها منه فعليه الكفارة والتي تكون بالتالي:

١- عتق رقبة، فإن لم يستطع:
٢- صيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع:
٣- أطعم ستين مسكيناً ثلاثين صاعاً، والصاع أربع حفنات باليدين الممتلئتين المتوسطتين، والصاع كما أخبر النبي عليه ثلاثين صاعاً بصاع النبي يقسم بي ستين مسكيناً ولكل مسكين نص صاع وهو كيلو ونص تقريباً، قبل أن يطأها مرة أخرى لما وقع منه الفعل الحرم للمسها ، ولا يجوز له الانتقال إلى الصيام إن كان عاجزاً عن عتق رقبة حيث إن كفارة الظهار تكون على الترتيب.

أداء كفارة الظهار :

يلزم على الزوج الذي ظاهر زوجته أن يُؤدي الكفارة مرة أخرى للتكفير عما بدر منه، قال تعالى:(فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا)، والإشارة إلى أن الكفارة لا تسقط المظاهر حتى وإن وطئ زوجته قبل تأديتها، واستدل العلماء بقول عبدالله بن عباس: عن عبدالله بن عباس ضي الله عنهما: (أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، قَد ظاهرَ منَ امرأتِهِ فوقعَ عليها، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي ظاهَرتُ منَ امرأتي فوَقعتُ قبلَ أن أُكَفِّرَ، قالَ: وما حَمَلَكَ على ذلِكَ يرحَمُكَ اللَّهُ؟ قالَ: رأيتُ خُلخالَها في ضوءِ القمرِ، فقالَ: لا تَقرَبْها حتَّى تفعلَ ما أمرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ)[1].

والمرأة التي ظاهرها زوجها محرمة عليه، وإن وقع الوطء قبل أداء الكفارة لا يرفع حرمة الكفارة عنه.

---

(١) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٣٤٥٧ ، وأخرجه الترمذي (١١٩٩) باختلاف يسير، والنسائي (١٦٧/٦) .
(٢) موقع محيط ، حكم الظاهر في الإسلام

س٧٩: لماذا شرع الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،، وما الأدلة على ذلك ؟ .

ج٧٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات في الإسلام، ومن فرائضه العظام؛ ولأن القيام بذلك في أهل العلم والإيمان والبصيرة من أعظم الأسباب لصلاح المجتمعات الإسلامية ونجاتها من عقاب الله تعالى في العاجل والآجل، واستقامتها على الصراط المستقيم، ولهذا يقول الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ(١١٠))[(١)] فجعلهم خير أمة أخرجت للناس بسبب هذه الأعمال الطيبة.

وقال تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٤))[(٢)] فوصفهم بالفلاح المطلق لهذا الأمر العظيم، وهو دعوتهم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فجعلهم سبحانه مفلحين بعملهم الطيب، والفلاح هو الحصول على كل خير، وهو من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

وقال سبحانه: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٧١))[(٣)] ، فوعدهم الرحمة على أعمالهم الطيبة التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا يدل على أنه واجب على جميع المؤمنين والمؤمنات كل بحسب طاقته وليس خاصا بأحد عن أحد، وهو من صفاتهم العظيمة وأخلاقهم الكريمة، لكن يجب أن يكون ذلك بالحكمة والعلم، لا بالجهل ولا بالعنف والشدة، فينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف عن علم وبصيرة، فالمعروف هو ما أمر الله به ورسوله، والمنكر هو ما نهى عنه الله ورسوله.

فالواجب على الآمر والناهي أن يكون على بصيرة وعلى علم، سواء كان رجلا أو امرأة، وإلا فليمسك عن ذلك، قال الله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة التوبة .

وَمَنِ اتَّبَعَنِي..(١٠٨))[١] فقوله تعالى على بصيرة أي على علم ، ويقول جل وعلا: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...(١٢٥))[٢] والحكمة هو العلم والدعوة إلى الله من جنس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنها بيان للحق وإظهار له للناس، والآمر بالمعروف والناهي قد يكون عنده من السلطة ما يردع بها صاحب المنكر ويلزم بها من ترك المعروف الواجب، والدعوة إلى الله أوسع من ذلك، وهي البيان للناس وإرشادهم إلى الحق.

والخلاصة: أن الواجب على الداعي إلى الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون على علم وبينة حتى لا يأمر بما يخالف الشرع، وحتى لا ينهى عن ما هو موافق للشرع، والواجب أيضا أن يكون ذلك بالرفق وعدم العنف وعدم الكلمات البذيئة، بل يكون بكلام طيب وأسلوب حسن ورفق، كما قال الله عز وجل: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...(١٥٩))[٣] ، وقال سبحانه وتعالى لموسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(٤٤))[٤]، [٥] .

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حِكم ثلاث:

الحكمة الأولى: رجاء انتفاع المأمور بما يوعظ به كما قال سبحانه: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥))[٦].

الحكمة الثانية: الخروج من عهدة التقصير الذي يسبب العقوبة، قال الله تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩))[٧].

---

(١) سورة يوسف .
(٢) سورة النحل .
(٣) سورة آل عمران
(٤) سورة طه .
(٥) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص ٣٣١ .
(٦) سورة الذاريات .
(٧) سورة المائدة .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)﴾[(١)] .

الحكمة الثالثة: إقامة الحجة على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نيابة عن رسل الله كما قال سبحانه: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾[(٢)]، [(٣)].

هناك حكم عظيمة تتحقق عند القيام بهذا الجانب العظيم من الدين.. وإذا تأملت هذه الحكم تجدها إما راجعة ومتعلقة بالآمر الناهي، وإما عائدة إلى المأمور المنهي، وإما عامة للجميع ، ويمكننا تلخيص هذه الجوانب الثلاثة فيما يلي:

١- الفوائد والمصالح العائدة للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

أ- خروجه من عهدة التكليف ، ولذا قال الذين حذروا المعتدين في السبت من بني إسرائيل لما قيل لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا(١٦٤)﴾[(٤)] ، قالوا: مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ فالساكت عن الحق مؤاخذ ومتوعد بالعقوبة، كما أنه شيطان أخرس ، قال علي بن الحسين: (التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره إلا أن يتقي منهم تقاه. قالوا وما تقاه؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطغى)[(٥)] .

ب- إقامة حجة الله على خلقه . قال الله تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ...(١٦)﴾[(٦)] .

ت- الشهادة على الخلق.. قال الإمام مالك رحمه الله: (وينبغي للناس أن يأمروا بطاعة

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة النساء .
(٣) محمد ابراهيم التويجري ، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ص ١١٠ – ١١٢.
(٤) سورة الأعراف .
(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ' ص ١٢٥ .
(٦) سورة النساء .

الله، فإن عصوا كانوا شهوداً على من عصاه)[1] .

ث- أداء بعض حق الله تعالى عليه من شكر النعم التي أسداها له من صحة البدن وسلامة الأعضاء.. يقول النبي صلى الله عليه وسلم ((يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة..))[2] .

ج- تحصيل الثواب، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، سواء كانت الأدلة خاصة كالحديث السابق أم كانت عامة كقوله:(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(٧))[3]، ومثل ذا كثير في الأصلين.

ح- تكفير السيئات.. قال تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..(١١٤))[4] وقال صلى الله عليه وسلم: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)[5] وجاء في حديث حذيفة لما سأله عمر رضي الله عنه عن الفتنة: (فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف) قال سليمان: قد كان يقول: (الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..)[6] .

خ- التشبه بالرسل والقيام بدعوتهم والسير في طريقهم.

د- إلقاء هيبته في قلوب الخلق.

ذ- النجاة من العذاب الدنيوي والأخروي الذي توعد الله به من قعد عن هذا الواجب

---

(١) ابن أبي زيد القيرواني ، الجامع ، ص: ١٥٦.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٢٠ .
(٣) سورة الزلزلة .
(٤) سورة هود .
(٥) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (١٥٣/٥) (٢١٣٩٢)، والدارمي (٤١٥/٢) (٢٧٩١)، والحاكم (١٢١/١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٥/٦) (٨٠٢٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي(٣٤٩/٤): صحيح، وحسنه ابن حجر في الأمالي المطلقة (١٣١)، وقال السفاريني الحنبلي في شرح كتاب الشهاب)) (٤١١): إسناده صحيح.
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٤٣٥.

وأهمله وحينما يحل العذاب بقوم ظالمين فإن الله ينجي الذين ينهون عن السوء، كما قال تعالى: (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ(١١٦) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(١١٧))[١] ، وقال تعالى : (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ (١٦٥))[٢] .

٢- الفوائد والمصالح العائدة على المأمور والمنهي:

أ- رجاء الانتفاع والاستقامة، كما قال لنا الناصحون من بني إسرائيل لما قال لهم: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤))[٣] ، وقال تعالى: (فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى(٩))[٤] وقال تعالى : (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ(٥٥))[٥] .

ب- تهيئة الأسباب لتحقيق النجاة الدنيوية والأخروية. قال أبو هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...(١١٠))[٦] ، (خير الناس للناس يجاء بهم وفي أعناقهم السلاسل حتى يدخلهم في الإسلام)[٧] ، فإن المأمور والمنهي إذا انتفع واهتدى كان ذلك سبباً في تحصيله السعادة الدنيوية والأخروية، فينجو من عقاب الله ويحصل له الثواب.

٣- الفوائد والمصالح العامة والتي لا تختص بطرف دون الآخر:

أ- إقامة الملة والشريعة وحفظ العقيدة والدين لتكون كلمة الله هي العليا، قال تعالى:

---

(١) سورة هود .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة الأعلى .
(٥) سورة الذاريات .
(٦) سورة آل عمران .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٥٥٧.

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِّ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ...(٢٥١)﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِّ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِّ كَثِيرًا .. (٤٠)﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِّ...(١٩٣)﴾[3] ، وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للهِّ...(٣٩)﴾[4] ، هذا واعلم أن الإنسان لابد له من أمر ونهي ودعوة، فمن لم يأمر بالخير ويدعو إليه أمر بالشر..

بل لو أراد الإنسان أن لا يأمر ولا ينهى لا بخير ولا بشر، فإنه لابد له وأن يؤمر وينهى كما تقدم،.. فلمن لم يزحف بمبادئه زحف عليه بكل مبدأ وفكرة، والنفس تتلقى وتتشرب من المبادئ الأخرى والأخلاق، والطبع سراق، شعرت أم لم تشعر.

ولذلك أمر الإسلام بمجالسة الصالحين وأهل البر والمعروف والخير، ونهى عن مجالسة غيرهم، لأن النفس والطبع سراقان لما يريانه، وصاحبهما لا يشعر في كثير من الأحيان.

فإذا قام الناس بذلك المطلب العظيم تحققت حماية المجتمع المسلم من كل دخيل عليه، وإن ذلك يكون بمثابة قوة المناعة التي أودعها الله تعالى في البدن لتقاوم الأمراض والأسقام..

بالإضافة إلى أن الأمر بالمعروف يغذي الأمة أفراداً وجماعات بالمثل والقيم والأخلاق والعقائد السليمة.. فلا يحتاج أحد منهم إلى استيراد مبدأ أو خلق أجنبي على هذا الدين.

فإذا أهملنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شعر الناس بالخواء الفكري والروحي، وبدؤوا يبحثون عما يسد جوعتهم، ويملأ نفوسهم وقلوبهم، واتجهوا إلى المبادئ الأرضية والأفكار المتعفنة، وهجمت عليهم الانحرافات بأنواعها وألوانها التي لا تحصى، ومن ثم يتلقفهم شياطين

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الحج .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة الأنفال .

الجن والإنس على مختلف رتبهم وتخصصاتهم من مشككين ومشرعين.. إلخ، وبالتالي تظهر الفترة، وتستحكم الغربة، ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

ومن المعلوم أن الإنسان لديه دافع داخلي يدفعه إلى حب الفضيلة والخير وفعلهما، وهو أمر مغروس في فطرته، فإذا وجد من يفعل المعروف فإن ذلك يحركه للقيام به، فإذا كان ذلك الفاعل له من نظرائه كان الدافع لفعله أكبر، فكيف إذا أمره بفعله آمر وحرضه عليه؟!

لا ريب أن هذا يكون أدعى إلى القيام به، ثم لو ليم على ترك ذلك المعروف، أو نيل منه بكلام أو ضرب أو حبس، كان ذلك دافعاً خامساً لتحقيقه ، وذلك لأن النفوس مجبولة على تشبه بعضها ببعض..

وقد شبهها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأسراب القطا.. فإذا كثر الفاعلون للخير تداعى الناس لفعله، ولذا جاء في الحديث: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها..)[1].

وفي هذا إيضاح لعظم شأن هذا الواجب وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب. وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر. وبإضاعته تكون العواقب والوخيمة والكوارث العظيمة والشرور الكثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل، ويفشو المنكر.

وسبب ورود هذا الحديث، هو ذلك الرجل الذي جاء بتلك الصرة من المال فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتداعى الناس إلى التصدق.

أ- رفع العقوبات العامة.. قال الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ..(٣٠))[2] ، وقال أيضاً في الجواب عن سبب مصابهم يوم أحد: (قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ..(١٦٥))[3] فالكفر والمعاصي بأنواعها سبب للمصائب والمهالك،

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠١٧.
(٢) سورة الشورى .
(٣) سورة آل عمران .

قال تعالى: (فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ....(١١٦))[١] ، وقال تعالى : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ(١١٧))[٢] ، (وهذه الإشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم، فإن الأمة التي يقع فيها الظلم والفساد فيجدان من ينهض لدفعهما هي أمم ناجية لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير، فأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من يستنكر ذلك، ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد فهي أمم مهددة بالدمار والهلاك كما هي سنة الله تعالى في خلقه، وبهذا تعلم أن دعاة الإصلاح المناهضون للطغيان والظلم والفساد هم صمام الأمان للأمم والشعوب، وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين للخير والصلاح الواقفين للظلم والفساد، إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله واستحقاق النكال والضياع) .

ب- استنزال الرحمة من الله تعالى، لأن الطاعة والمعروف سبب للنعمة قال الله تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ... (٧))[٣] ، وقال تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(١٤٧) فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٤٨))[٤] ، وقال تعالى : (وقال: وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ

---

(١) سورة هود .
(٢) سورة هود .
(٣) سورة إبراهيم
(٤) سورة آل عمران ،

يَعْلَمُونَ(٤١) الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢))[١]، ومثل ذا كثير في الكتاب والسنة كقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...(٩٦))[٢] ،وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم...(٦٦))[٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً))[٤].

خ- شد ظهر المؤمن وتقويته ورفع عزيمته، وإرغام أنف المنافق.. فإن المؤمن يقوى ويعتز حينما ينتشر الخير والصلاح ويوحد الله لا يشرك به، وتضمحل المنكرات على إثر ذلك، بينما يخنس المنافق بذلك، ويكون ذلك سبباً لغمه وضيق صدره وحسرته، لأنه لا يحب ظهور هذا الأمر ولا ذيوعه بين الخلق. كيف لو طولب هو بالتطبيق والعمل ومجانبة المنكر.. وألزم بما أظهر من الانتساب إلى الدين؟! لا شك أنه يتألم لذلك أشد الألم ويحزن بسببه أشد الحزن.

قال الثوري رحمه الله: (إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق)[٥] .

د- بقيام المسلمين بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحصل لهم الطموح والترفع عن الدنايا، كما يحصل لهم الشعور بأنهم ربانيون يصلحون الناس، وحينئذ يكونون قدوة حسنة بصلاح أنفسهم وحسن استقامتهم، مما يجعلهم يحاسبون أنفسهم على

---

(١) سورة النحل .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة المائدة .
(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وأحمد (٣٠/١) (٢٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمانخ (٦٦/٢) من حديث عمر رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال ابن حبان في المقاصد الحسنة ص (٤٠٢): صحيح، وحسنه البغوي في شرح السنة .ج (٣٢٨/٧)، وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرىص (٨٦٦) كما أشار لذلك في مقدمته. وقال محمد جار الله في النوافح العطرة ص (٢٧): صحيح.
(٥) الخلال ، الأمر بالمعروف ،ص ٦٧ .

أصغر زلة، وهذه بحد ذاتها فائدة عظيمة جداً اقتضتها حكمة الله في تهيئة هذه الأمة لقيادة غيرها من الأمم[1] ابتلاء الخلق بعضهم ببعض.. لأن هذا العمل بجميع مراتبه وأنواعه جهاد، وما قتال الكفار بالسيف والسنان إلا نوع من أنواعه. قال تعالى: (وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ..(٤))[2]، وبمثل هذه الابتلاءات يظهر إيمان المؤمن، وصبره على مكاره النفس في سبيل رضى ربه، ولأجل نشر دينه وشريعته.

ذ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنصر على الأعداء، فإن الأمة لا تنتصر بعدد ولا عدة، وإنما تنتصر بهذا الدين، ولذا كانت مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وإرادة الدنيا من البعض سبب لوقوع الهزيمة في أحد، قال تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ...(١٦٥))[3] ، وقال تعالى : (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ..(٣٠))[4] ، وقال: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ(٢٥))[4] ، وقال تعالى : (وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ(٤١))[5].

ر- تحقيق وصف الخيرية في هذه الأمة قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...(١١٠))[6].

---

(١) عبدالرحمن الدوسري ،صفوة الآثار والمفاهيم ، ج٤ ، ص (٤٢٧.
(٢) سورة محمد .
(٣) سورة آل عمران .
(٤) سورة الشورى.
(٥) سورة التوبة .
(٦) سورة آل عمران .

وقد تقدم إيراد كلام بعض أهل العلم في هذه الآية، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير وغيرهم.

ز- التجافي عن صفات المنافقين، وظهور الفرقان بين صفاتهم وصفات المؤمنين.. ذلك أن من أخص صفات المؤمنين القيام بهذا العمل الطيب قال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...(٧١))[١] ، كما أن ترك القيام بهذا العمل يعد من صفات المنافقين البارزة، كما أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله تعالى : (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٦٧))[٢] ، يقول الإمام أحمد رحمه الله (يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع – إلى أن قال – المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى.. والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه..).

س- استقامة الموازين، واتزان المفاهيم، فيجلو أمر المنكر أمام الناس، ويعلمون أنه منكر، كما يعلمون أن هذا الأمر المعين من المعروف، وبالتالي يقبلون على هذا ويعرضون عن ذاك، بخلاف ما إذا عطل جانب الأمر والنهي، فقد يتوهم كثير من الناس في كثير من المنكرات أنها من المعروف، كما يتوهم كثير منهم كذلك في كثير من أمور المعروف وخصاله أنها من المنكر، فيشنعون على فاعلها، ويقفون في طريقه، كما هو حاصل في هذه الأيام[٣] ، [٤].

---

(١) سورة التوبة .

(٢) سورة التوبة .

(٣) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (٢١٦/٣)، الجامع لشعب الإيمان (٩١/٦)، إحياء علوم الدين (٣٠٣/٢ وعارضة الأحوذي (ص: ١٣١٩)، تفسير ابن عطية (٢١٥/٥)،(مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٦-١٦٧)، فتح الباري)(٥٣/١٣)، فتح القدير (٣٦٩/١)، عون المعبود) (٤٩٢/١١)، التشريع الجنائي (٤٨٩/١، ٤٩٣ – ٤٩٥)، صفوة الآثار (٢٧٥/٤))، دقائق التفسير (٢٨٩/٣)، الدرر السنية (٧/ ٣٠-٣٤).

(٤) خالد بن عثمان السبت ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص: ٦٨

درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إنَّ التدرُّجِ من الأعلى إلى الأقل علوًّا في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يوضِّحُ بعض درجاتِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:(سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (من رأى منكم منكرًا فليُغيّرهُ بيدِهِ، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِهِ، فإنْ لم يستطع فبقلبِهِ)[1]،

وقد حثّ رسول الله في الحديث على تغيير المنكر والنهي عنه مهما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلًا، فكان التدرُّجِ في الاستطاعة من اليدِ إلى اللسان ثمّ إلى القلب، دليلًا واضحًا على ضرورة تغيير المنكر مهما كانَ التغيير بسيطًا ولو كانتْ قدرة الإنسان في التغيير أنْ يغيّرَ هذا المنكر بقلبِهِ فلا يأتي بمثلِهِ ولا يدعو إليه، ومن الجدير بالذكرِ هنا أنّه من رأى منكرًا فحاول تغييره وهو يعلم أنّ تغيير هذا المنكر سيؤدي إلى منكر أعظم منه، فهنا لا ينبغي أنْ يغيّر حتى يعلم أنّ التغيير سيكون للخير وليس للإساءة أو لمنكر أعظم وأكبر.

الآثار المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١- وقوع الهلاك: وذلك من جهتين:

الأولى: أن المعاصي التي تظهر ولا تنكر سبب للعقوبات والمصائب[2] .

الثانية: أن السكوت ذاته يعد معصية يستحق صاحبه العقوبة [3] ، كما أنه يدل على التهاون في دين الله عز وجل، هذا إذا كان الساكت عنه فرداً من أفراد المجتمع.. أما حين يسكت المجتمع بأكمله.. فإن العقوبة تعم في هذه الحال. قال الله تعالى: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً..(٢٥))[4] وقال البخاري رحمه الله: باب ما جاء في قوله تعالى: (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً...) ثم ذكر بعض الأحاديث تحت هذا الباب. قال الحافظ:

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٩ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ص ١٣٨ – ١٤٢ ، ص ٢١٥ى.
(٣) السعدي ، تفسير السعدي ، ج٢ ، ص ١٥٥ .
(٤) سورة الأنفال .

(وعند الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: أمر الله المؤمنين أن لايقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب)[1] ، ولهذا الأثر شاهد من حديث عدي بن عميرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة)[2] ، [3] وقد ورد في هذا المعنى أحاديث وآثار متنوعة، منها حديث أبي بكر الصديق –رضي الله عنه عند بيانه لما أشكل على البعض من قوله تعالى: عليكم أنفسكم وفيه: وإنما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب...)[4] .

وثبت عنه أيضاً. (وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب)[5] .

قال ابن العربي في شرحه: (وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته، ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وركوب الذل من الظلمة للخلق...)[6].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٧٤/١٣) (٧٠٨١). قال ابن حجر في(فتح الباري (٦/١٣): له شاهد.

(٢) رواه أحمد (١٩٢/٤) (١٧٧٥٦، ١٧٧٥٧)، وابن أبي شيبة فيالمسند(١٦٨/٢)، وابن المبارك في الزهد (١٣٥٢)، والطبراني (١٣٩/١٧) (١٤٠٣٢). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٠/٧): رواه أحمد من طريقين إحداها هذه والأخرى عن عدي بن عدي حدثني مولى لنا وهو الصواب وكذلك رواه الطبراني وفيه رجل لم يسم وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات، وقال ابن حجر في فتح الباري) (٦/١٣): إسناده حسن وله شاهد.

(٣) انظر: الفتح (٣/١٣-٤)

(٤) رواه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨)، وأحمد (٧/١) (٢٩، ٣٠)، وابن حبان (٥٣٩/١) (٣٠٤). قال الترمذي، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٠٨/٣): صحيح، وصحح إسناده النووي في الأذكار(٤١٢)، وابن مفلح في الآداب الشرعية (١٩٣/١)، وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣٦/١)، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي):

(٥) رواه أبو داود (٤٣٣٨). قال الألباني في صحيح الترغيب)(٢٣١٧): صحيح، وقال الوادعي في الصحيح المسند (٧١٣): صحيح على شرط الشيخين.

(٦) عارضة الأحوذي (١٥/٩).

وقد جاء من حديث جرير –رضي الله عنه مرفوعاً: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز منهم وأمنع لا يغيرون إلا عمهم الله بعقاب)[١] ، وعن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[٢] .

ولما قالت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها: (أنهلك وفينا الصالحون؟) قال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم إذا كثر الخبث)[٣] .وقال بلال بن سعد رحمه الله: (إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تغير ضرت العامة)[٤] .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (كان يقال: إن الله تعالى لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا كلهم العقوبة)[٥] .

هذا وإن العقوبات تتنوع وتقع بصور مختلفة، فمنها ما يكون بالتدمير بالزلازل أو الفيضانات أو نقص الأنفس من جراء الحروب أو الأوبئة أو نقص الثمرات، ومنها ما يكون بالريح، أو بإدالة الأعداء، أو بتولي أهل الشر وتسلطهم على رقاب المسلمين (ولا تكون القيادة لأهل الشر إلا إذا تخلى عنها أهل الخير ورضوا من إيمانهم بإيمان صوري، أو إيمان ناقص لا يلحقهم بهذه الخيرية، وإنما يعاقبهم بتسليط أهل الشر عليهم فيحكمونهم بالحكم الدنيوي المرخص لأعراضهم والمهدر لكرامتهم والمصادر لأموالهم..)[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٤٣٣٩) بلفظ: ما من رجل يكون في قوم..، وابن ماجه (٣٢٥٤)، وأحمد (٣٦٤/٤) (١٩٢٥٠)، وابن حبان (٥٣٦/١) (٣٠٠)، والبيهقي (٩١/١٠) (١٩٩٧٩). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الذهبي في المهذب (٤٠٧٣/٨): له متابعة، وحسنه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجه، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده حسن، عبيد الله بن جرير روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٣٩١/٥) (٢٣٣٧٥). قال الترمذي: حسن، وقال البغوي في (شرح السنة (٣٥٧/٧): حسن إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمر، وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (٤٨٤/٤) كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وقال المناوي في تخريج أحاديث المصابيح (٣٥٨/٤): إسناده جيد.

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٤) (الزهد لابن المبارك رقم (١٣٥٠)، الحلية(٢٢٢/٥)، الشعب (٩٩/٦) (٧٦٠١).

(٥) الموطأ رقم (١٨٢٠)، الزهد لابن المبارك رقم (١٣٥١)،(مسند الحميدي(١٣١/١)، وابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز (ص: ٢٥٠)، والشعب (٩٩/٦) (٧٦٠٢).

(٦) ما بين الأقواس نقلته من صفوة الآثار (٢٨٣/٤).

وبهذا تعلم أن العاصي لا يضر نفسه فحسب، وإنما يضر مجتمعه بأكمله، وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم حاله مع حالهم بقوله: (مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها. فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: فإنا ننقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً)[١] .

٢- انتفاء وصف الخيرية عن هذه الأمة: وذلك أن الحكم المقرون بالوصف المناسب له يدل على أنه معلل بذلك الوصف، فيدور الحكم مع الوصف وجوداً وعدماً.

٣- أنه يجرئ العصاة والفساق على أهل الحق والخير: فينالون منهم ويتطاولون عليهم [٢] وهذا مشاهد ملموس .

٤- أنه سبب لظهور الجهل واندراس العلم[٣] : وذلك أنه إذا ظهر المنكر ولم يوجد من ينكره نشأ عليه الصغير وألفه وظن أنه من الحق، كما هي الحال في كثير من المنكرات اليوم.

٥- أن في هذا الأمر تزييناً للمعاصي عند الناس وفي نفوسهم [٤] ؛ لأن صاحب المنكر كالبعير الأجرب يختلط بالإبل فتجرب جميعاً بإذن الله..!! والناس كأسراب القطا قد جبل بعضهم على التشبه ببعض..!! فإذا أضفت إلى ذلك ما يوجد داخل النفس من الأمر بالسوء، وحب الشهوة، فإذا وجد المنكر عند الناس في الخارج قوي الباعث الذي في النفس!! فإذا كان الفاعل له في الخارج من نظراء هذا ازداد طلبه

---

(١) رواه الترمذي (٢١٧٣)، والبزار (٤٩١/١) (٣٢٩٨). من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى (٦٨٧) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي: صحيح.

(٢) تفسير السعدي (١٥٥/٢).

(٣) تفسير السعدي (١٥٥/٢).

(٤) تفسير السعدي (١٥٥/٢).

له، ويشتد الدافع له إذا وجد من يأمره به ويرغبه بارتكابه.. ويعظم الدافع إلى ارتكابه إذا أوذي بسبب تركه ونيل منه بسبب مجانبته..!!

هذا وإن أهل الفساد لا يرضون إلا بموافقته لهم ويكرهون من تنزه عن ذلك. وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أن المرأة الزانية تود أن النساء كلهن يزنين.. ونقله عن بعض السلف ، علماً أنه لو وقع فيه معهم لانتقصوه وصغر في أعينهم.. واتخذوا من فعله هذا حجة عليه يطعنون بها متى شاؤوا!![1] .

٦- عدم إجابة الدعاء: جاء هذا في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: (مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم)[2] ،وقد تقدم حديث حذيفة قريباً وفيه: ((ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[3] .

٧- سبب ظهور غربة الدين: واختفاء معالمه، وتفشي المنكرات والكفر والظلم.. وهذا هو الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)[4] ، فكلما انتشر الفساد والظلم كلما ازدادت الغربة.. حتى يصبح المتمسك بدينه غريباً بينهم.. وحتى تصبح السنن والهدى من الأمور المرفوضة والمستهجنة عند هذا الجنس السيئ من الخلق.. قال الخلال: (أخبرني عمر بن صالح بطرسوس، قال: قال لي أبو عبد الله: يا أبا حفص: يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، فقلت: يا أبا عبد الله، وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟! فقال: يا أبا حفص صيروا أمر الله فضولاً. وقال: المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١٥/٢٨)، الأمر بالمعروف والنهي عن المنك (ص: ٣٧، ٤٤ – ٤٧).

(٢) (٢١) رواه ابن ماجه (٣٢٥١) واللفظ له، وابن حبان (٥٢٦/١) (٢٩٠)، والبيهقي (٩٣/١٠) (٢٠٦٩٥)، والطبراني في المعجم الأوسط) (٣٧٧/٦) (٦٦٦٥). وحسنه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)).

(٣) (٢٢) رواه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٣٩١/٥) (٢٣٣٧٥). قال الترمذي: حسن، وقال البغوي في شرح السنة (٣٥٧/٧): حسن إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمر، وحسنه ابن حجر في تخريج مشكاة المصابيح (٤٨٤/٤) كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وقال المناوي في تخريج أحاديث المصابيح(٣٥٨/٤): إسناده جيد.

(٤) (٢٣) رواه مسلم (١٤٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وينهى، يعني قالوا: هذا فضول. قال: والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه. فقالوا: نعم الرجل، وليس بينه وبين الفضول عمل!)[1] ، وقال جامع بن شداد: كنت عند عبد الرحمن بن يزيد بفارس، فأتاه نعي الأسود بن يزيد، فأتيناه نعزيه. فقال: مات أخي الأسود. ثم قال: قال عبد الله: يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أصحاب الريب ، قالوا: يا أبا عبد الرحمن، وما أصحاب الريب؟!قال: (قوم لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر)[2].

٨- إلف المسلم لهذه المنكرات: المتفشية لكثرة مشاهدته لها، والأمر كما قيل: (كثرة المساس تبلد الإحساس)، فما تعود للقلب تلك الشفافية والحساسية عند رؤية المنكر. وقد حكي عن بعضهم: أنه مر يوماً في السوق فرأى بدعة فبال الدم من شدة إنكاره لها بقلبه، وتغير مزاجه لرؤيتها، فلما كان في اليوم الثاني مر فرآها فبال دماً صافياً، فلما كان في اليوم الثالث مر فرآها فبال بوله المعتاد لأنه قد ألف رؤيتها[3] ، [4] .

س٨٠ : لماذا سمى الله سبحانه وتعالى الموت مصيبة ، وما واجب المسلم إذا حلت به؟.

ج٨٠: الموت ابتلاء ويصح القول انها مصيبة لأنها ابتلاء بالأنفس قال الله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(١٥٧))[6] قال الطبري في تفسيرها: يعني تعالى ذكره: وبشر يا محمد الصابرين، الذين يعلمون أن جميع ما بهم من نعمة فمني، فيقرون بعبوديتي، ويوحدونني بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إلي فيستسلمون لقضائي، ويرجون ثوابي ويخافون عقابي، ويقولون عند امتحاني إياهم ببعض محني، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال رقم (٦٥).
(٢) (البيهقي في الشعب رقم (٧٥٨٤) (٦/٩٤).
(٣) تنبيه الغافلين (ص: ٩٣ – ٩٤).
(٤) (المنهاج في شعب الإيمان (٣/٢١٦)، الجامع لشعب الإيمان (٦/٩١)، إحياء علوم الدين (٢/٣٠٣ وعارضة الأحوذي (ص: ١٣١٩)، تفسير ابن عطية (٥/٢١٥)، مجموع الفتاوى (٥/ ١٦٦-١٦٧)، فتح الباري (٥٣/١٣)، فتح القدير (٣٦٩/١)، عون المعبود (٤٩٢/١١)، التشريع الجنائي (٤٨٩/١، ٤٩٣ – ٤٩٥)، صفوة الآثار (٢٧٥/٤)، دقائق التفسير (٢٨٩/٣)، الدرر السنية (٧/ ٣٠-٣٤).
(٥) من الدرر السنية ، نقلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لخالد بن عثمان السبت – ص٦٨ .

أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها.

جاء في الدرر السنية ما يلي :

(ما يشرع فعله وقوله عند نزول مصيبة الموت فيه مسائل :

١- الصبر ؛ فالصبر المانع من المحرم واجب ، والأدلة: قال الله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦))[١]، ونقل الإجماع على ذلك، ماذكره ابن تيمية[٢] ، وابن القيم[٣]..

٢- ما يقوله من مات له ميت : يسن الاسترجاع [٤] عند وفاة أحد من أهله أو أقاربه أو غيرهم ، قال الله تعالى :(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧))[٥]، وعن أم سلمة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرا منها، إلا أجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرا منها)[٦] ، [٦] ، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله

---

(١) سورة الأنفال .

(٢) قال ابن تيميةَ: (أنَّ الإنسانَ إذا ابتُلِيَ فعليه أن يصبِرَ ويَثْبُتَ ولا يتَّكِلَ؛ حتى يكونَ من الرجالِ المُوقنينَ القائمينَ بالواجبات. ولا بدَّ في جميع ذلك من الصَّبر؛ ولهذا كان الصبرُ واجبًا باتِّفاق المسلمين على أداء الواجباتِ وتَرْكِ المحظورات. ويدخُلُ في ذلك الصبرُ على المصائِبِ عن أن يَجْزَعَ فيها). مجموع الفتاوى (٣٩/١٠).

(٣) قال ابن القيِّم: (ومِن منازِلِ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ منزلةُ الصَّبرِ. قال الإمامُ أحمد رحمه الله تعالى: الصبرُ في القرآن في نحوِ تسعينَ مَوْضِعًا. وهو واجبٌ بإجماعِ الأمَّةِ). مدارج السالكين (١٥١/٢).

(٤) الاسترجاع هو أن يقول:)إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون (كما في حديثِ أمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ الله عنها.

(٥) سورة البقرة .

(٦) أخرجه مسلم (٩١٨)

تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد)[1] .

ما يباح لأقارب الميت وغيرهم :

١- البكاء ، فيجوز البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية[2] ، والمالكية[3]، والشافعية[4] ، والحنابلة[5] ، وهو قول ابن حزم[6] .

الأدلة من السنة:

- عن أسامة بن زيد، قال: (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ جاءه رسول إحدى بناته يدعوه إلى ابنها في الموت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ارجع، فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب، فأعادت الرسول أنها أقسمت لتأتينها، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، وقام معه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، فدفع الصبي إليه ونفسه تقعقع[7] ؛ كأنها في شن[8] ، ففاضت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله! قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)[9] .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله)[10] .

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (١٩٧٤٠)، وابن حبان (٢٩٤٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧١٤٦) قال الترمذي حسن غريب، وحسنه ابن حجر في (نتائج الأفكار) (٢٨٥/٣)، والألباني في (صحيح سنن الترمذي (١٠٢١).

(٢) حاشية الطحطاوي(ص: ٣٧١). ويُنظر: بدائع الصنائع للكاساني (٣١٠/١).

(٣) التاج والإكليل)للمواق (٢٣٥/٢). ويُنظر: شرح مختصر خليل للخرشي (١٣٣/٢).

(٤) المجموع للنووي (٣٠٧/٥)، مغني المحتاج للخطيب الشربيني (٣٥٥/١).

(٥) الفروع)لابن مفلح (٤٠٠/٣)، كشاف القناع للبهوتي (١٦٢/٢).

(٦) المحلى لابن حزم (٣٧١/٣).

(٧) أَيْ: تَضْطَرب وَتَتَحَرَّكُ. أَراد: كُلَّمَا صار إلى حالٍ لم يَلْبَث أَنْ يَنتَقِل إلى أُخرَى تُقَرِّبه مِنَ المَوت (النهاية) لابن الأثير (٨٨/٤).

(٨) الشن: القِربة الخلقةُ اليابسةُ، شبَّه البدنَ بالجلد اليابس الخَلَق وحركة الرُّوح فيه بما يُطرح في الجلدِ مِن حصاةٍ. يُنظر: فتح الباري لابن حجر (١٥٧/٣).

(٩) أخرجه البخاري (٧٣٧٧) واللفظ له، ومسلم (٩٢٣).

(١٠) أخرجه مسلم (٩٧٦).

٢- الرثاء : فيجوز الرثاء[١] ؛ إذا لم يتضمن غلوا، وهو مذهب الحنفية[٢] ، والشافعية[٣] ، وقول ابن باز[٤] ، وابن عثيمين[٥] ، وذلك لأنه فعل كثير من الصحابة والعلماء[٦] .

ما يحرم على أقارب الميت وغيرهم:

يحرم على أقارب الميت وغيرهم: الندب والنياحة والصراخ، وشق الثوب ولطم الخد، وذلك باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية [٧] ، والمالكية[٨] ، والشافعية[٩] ، والحنابلة [١٠] ، وحكي الإجماع على ذلك[١١]..

---

(١) رَثَيْتُ الميِّت: إذا بَكَيْتَه وعَدَّدْتَ محاسِنَه، وكذلك إذا نظمْتَ فيه شِعْرًا. يُنظر: الصحاح)للجوهري (٢٣٥٢/٦).

(٢) حاشية الطحطاوي (ص: ٣٧١). ويُنظر: الدر المختار للحصكفي (٢٣٩/٢).

(٣) مغني المحتاج للشربيني (٣٥٦/١)، ((نهاية المحتاج)) للرملي (١٧/٣). الشافعية قالوا: يُكرَهُ فيما إذا أَظهَرَ فيه تبرُّمًا أو فَعَلَه مع الاجتماع له، أو الإكثار منه، أو أدَّى إلى تجديد الحزن. قال الشربيني: (ويُكرَهُ إرثاءُ الميِّت بذِكْرِ أيَّامِه وفضائِلِه؛ للنَّهيِ عن المراثي. والأَوْلى الاستغفارُ له، والأَوْجَهُ حَمْلُ النهيِ عن ذلك على ما يَظْهَرُ فيه تبرُّمٌ، أو على فِعْلِه مع الاجتماعِ له، أو على الإكثار منه، أو على ما يُجَدِّدُ الحُزْنَ دون ما عدا ذلك؛ فما زال كثيرٌ من الصحابة وغيرِهم من العلماء يفعلونَه).(مغني المحتاج (٣٥٦/١).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٤١٠/١٣).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤١١/١٧).

(٦) مغني المحتاج للشربيني (٣٥٦/١).

(٧) البحر الرائق)لابن نجيم (١٩٥/٢)، ((مراقي الفلاح للشرنبلالي (ص: ٢٢٤). ويُنظر: بدائع الصنائع للكاساني (٣١٠/١)، الجوهرة النيرة للحدادي (١٠٨/١).

(٨) ((حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني (٤١٠/١). ويُنظر: شرح مختصر خليل للخرشي (١٣٣/٢)، ((الفواكه الدواني للنفراوي (٦٦٦/٢).

(٩) المجموع للنووي (٣٠٧/٥). ويُنظر: الحاوي الكبير للماوردي (٦٧/٣، ٦٨)، أسنى المطالب لزكريا الأنصاري (٣١٢/١)

(١٠) الإنصاف للمرداوي (٣٩٩/٢، ٣٩٨)، كشاف القناع للبهوتي (١٦٣/٢).

(١١) قال ابنُ عبدِ البَرِّ: (وأجمَعَ العلماءُ على أنَّ النِّياحَةَ لا تجوزُ للرِّجالِ ولا للنِّساءِ). الاستذكار (٦٨/٣). وقال النوويُّ: (أمَّا الندبُ والنياحةُ، ولَطْمُ الخدِّ وشَقُّ الجيبِ، وخَمْشُ الوَجْه ونَشْرُ الشَّعرِ، والدُّعاء بالوَيْلِ والثُّبورِ؛ فكلُّها محرَّمةٌ باتِّفاقِ الأصحابِ، وصَرَّحَ الجمهورُ بالتحريمِ، وقد نقل جماعةٌ الإجماعَ في ذلك). المجموع (٣٠٧/٥). وقال ابنُ القيِّمِ: (ونهانا عن النِّياحَةِ فقَبَضَتْ منَّا امرأةٌ يَدَها، فقالت: فلانةُ أَسْعَدَتْنى فأنا أُريدُ أن أَجْزِيَها... قال المُحَرِّمون: لا تُعارَضُ سنَّةُ رَسولِ اللهِ بأحدٍ من الناس كائنًا من كان، ولا نضْرِبُ سُنَنَه بعضَها ببعضٍ، وما ذَكَرْنا من النُّصوصِ صحيحةٌ صريحةٌ لا تحتمِلُ تأويلًا، وقد انعقد عليها الإجماعُ). عدة الصابرين (ص: ١٠٥). وقال العيني: (النَّوح حرامٌ بالإجماعِ؛ لأنَّه جاهليٌّ). عمدة القاري (٨٤/٨). وقال الحدادي: (وأجمعَتِ الأمَّةُ على تحريمِ النَّوحِ، والدُّعاءِ بالوَيْلِ والثُّبورِ، ولَطْمِ الخُدودِ وشَقِّ الجيوبِ وخَمْشِ الوجوه؛ لأنَّ هذا فِعْلُ الجاهليَّةِ). الجوهرة النيرة (١٠٨/١). لكنْ هناك روايةٌ عن أحمد بكراهةِ النَّدبِ والنِّياحةِ، وروايةٌ أخرى بالإباحة، قال المرداوي: (وعنه يُكرَه النَّدبُ والنَّوحُ الذي ليس فيه إلَّا تَعدادُ المحاسنِ بصِدقٍ. جزَمَ به في الهداية والمستوعِب والخلاصة، وقدَّمه في الرعايتين والكافي. قال الآمدي: يُكرَه في الصحيحِ من المذهَبِ، قال: واختاره ابنُ حامد وابن بطة، وأبو حفص العكبري، والقاضي أبو يعلى والخرقي. انتهى. نقله عنه في مجمع البحرين، وقال: اختاره كثيرٌ من أصحابِنا، وأطلَقَهما في الفائق. وذكر المصنِّفُ عن الإمام أحمد ما يدُلُّ على إباحَتِهما وأنَّه اختيارُ الخَلَّال وصاحِبِه، قاله في الفروع. قلتُ: قد نقله الآمدي عن الخَلَّال وصاحِبِه قبل المصنِّفِ. ذكَرَه في مجمع البحرين) الإنصاف (٣٩٩/٢). وقال ابنُ قُدامة: (وأمَّا النَّدبُ فهو تَعدادُ محاسنِ الميت، وما يُلقون بفَقدِه بلفظِ النداء؛ إلَّا أنه يكون بالواو مكان الياء، وربَّما زيدت فيه الألف والهاء، مثل قولهم: وارَجُلاه واجَبَلاه، وانقطاعَ ظَهْراه. وأشباه هذا. والنِّياحَة، وخَمشُ الوجوه، وشق الجيوب، وضرب الخدود، والدعاء بالويل والثُّبور، فقال بعض أصحابنا: هو مكروهٌ. ونقل حرب عن أحمد كلامًا فيه احتمالُ إباحةِ النَّوحِ والنَّدبِ. واختاره الخَلَّال وصاحِبُه) المغني (٤٠٧/٢).

الأدلة من السنة:

١- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة) [١] ، وقال: (النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب[٢] ، [٣] .

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)[٤].

٣- عن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه، قال: (وجع أبو موسى وجعا شديدا، فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما أفاق، قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة[٥] ، والحالقة والشاقة[٦])[٧].

س٨١ : لماذا أحل الله الزواج للمسلم من الكتابية ولم يحل زواج المسلمة من كتابي ؟.

ج٨١: يحرم على المسلم الزواج مِنَ الْكُافرة غير اليهودية والنصرانية إجماعاً لِقَوْل اللَّهِ تَعَالَى: (وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ(٢٢١))[٨] ، وقوله تعالى: (وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ(١٠))[٩] ، قال ابن قدامة: لا خلاف بين أهل العلم في تحريم نسائهم وذبائحهم[١]، وهذا الحكم يشمل جميع الكافرات غير اليهودية والنصرانية كالبوذية والهندوسية والملحدة والبهائية وغيرهم.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٣٤.
(٢) دِرْعٌ مِن جَرَبٍ: الدِّرْعُ: قميصُ النِّساءِ؛ أي: يصير جِلْدُها أجرَبَ حتى كأنَّه قميصٌ لها، وهذا تشويهٌ لها بين الخلائقِ، ونوعٌ من العذاب قبل دخولِها النَّارَ. (التنوير شرح الجامع الصغير)) للصنعاني (٥١٨/١٠).
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث (٩٣٤).
(٤) الإمام البخاري صحيح البخاري ، رقم الحديث (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).
(٥) الصالقة: هي التي ترفعُ صوتَها عندَ المصيبةِ، والصَّلْق: الصوتُ الشَّديد. يُنظر: النهاية لابن الأثير (٤٨/٣)، ((شرح النووي على مسلم (١١٠/٢).
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).
(٧) علوي السقاف ، الدرر السنية و مصيبة الموت
(٨) سورة البقرة.
(٩) سورة الممتحنة.
(١٠) ابن قدامة ، المغني ، ج٦ ، ص ٥٩٢ .

ويجوز للمسلم أن ينكح الكتابية العفيفة بعد أن يعطيها مهرها، لكن الأفضل أن يتزوج المسلمة لأسباب كثيرة منها:

١- نكاح المسلمة أسلم لدينه.

٢- نكاح المسلمة أسلم لذريته.

٣- إعفاف المسلمات بالنكاح منهن أولى.

٤- الإحسان إلى المسلمات أولى من الإحسان إلى غيرهن ولهذا كره عمر نكاح الكتابية.

يقول الشيخ المنجد : (إن من أسماء الله تعالى التي نؤمن بها ، ولا نظن أن أحدا ممن يعتقد أن له ربا يشك فيها ، أنه سبحانه الحكيم ، وبهذا أثنت عليه الملائكة المكرمون ، لما علموا حكمته في أمره لهم بالسجود لآدم : (قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢٣))[١] وبهذا . أيضا شهد لنفسه سبحانه ، وشهدت له ملائكته ، وشهد له أهل العلم به سبحانه : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨))[٢] .

وبذلك قامت حجته سبحانه على خلقه . قال الله تعالى : (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩))[٣] ، ومعلوم من ذلك أن الحكيم لا يفعل ما يفعل عبثا ، ولا يضع شيئا في غير موضعه ، ولا يأمر بأمر إلا وهو أحسن لخلقه من غيره ، كما قال سبحانه : (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ(٢٣))[٤] .

وهذا كما أنه مقتضى اسمه الحكيم ، فهو كذلك مقتضى تفرده بالخلق سبحانه ،

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة الأنعام .
(٤) سورة الزمر .

فمنطقي أن من صنع شيئا هو أعلم بما يصلحه ويلائمه من غيره ؛ فكيف بالخالق العليم : (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(١٤))[١]، وأما عن هذه الحكمة التي سأل الناس عنها ، فيجب أن يعلموا أن الإسلام هو آخر دين نزل من عند الله تعالى ، ولذلك نسخ كل دين سواه ، كما قال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(٣٣))[٢] ، وقال تعالى : (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا(١٤١))[٣] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الإسلام يعلو ولا يُعلَى)[٤].

ومعلوم أن الزوج له القوامة على زوجته ، ومقامه من الأسرة أعلى من مقام زوجته ، وربما كان هذا العلو دافعا له لإكراه زوجته على ترك دينها واتباع دينه ، أو التأثير فيها بغية ذلك ، وهو ما لا يرضاه الإسلام .

وسوف يكون ذلك العلو الذي للزوج سببا أيضا في اتباع أبناء هذه المرأة لأبيهم على دينه ، وهي جناية عظيمة على تلك الذرية ، أن تنشأ ولم تمتد إلى دين الله الخاتم .

وهذه الحكمة العظيمة قد ذكرها ربنا تبارك وتعالى في سياق تحريم تزويج المسلمات لغير المسلمين فقال تعالى : (وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٢٢١))[٥]، ثم إن الكتابية حين تتزوج بمسلم ، تتزوج برجل يؤمن بنبيها ، بل وبسائر أنبياء الله ، ولا يكون مسلماً إلا بهذا ، ولا يحل له أن يفرِّق بين أحد منهم ، قال تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..(٢٨٥))[٦].

---

(١) سورة الملك .
(٢) سورة التوبة .
(٣) سورة النساء .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٧٧٨ .
(٥) سورة البقرة .
(٦) سورة البقرة .

في حين أن الكتابي – من يهودي أو نصراني – لا يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء ، فكيف يستوي الأمران لتكون نساء المسلمين عند رجل يكفر بنبيها ولا يؤمن به ؟!

على أننا ننبه هنا إلى أن زواج المسلم بالكتابية ، وإن كان مباحا في الشرع ، لما يرجى من وراءه من المصلحة ، وما فيه من التخفيف على العباد ، فإنه (مستثقل مذموم) ، كما قال الإمام مالك رحمه الله [(١)]..

وبعد ، فهذا دعوة هادئة لأهل الكتاب ، لعلهم ينتبهون إلى أن الإسلام قد استثنى أهل الكتاب في بعض الأحكام من دون باقي الكفار ، فأباح الله تعالى أن نأكل مما يذبحه أهل الكتاب ، كما أباح لنا التزوج من نسائهم ، تقديراً لأصل دينهم الذي جاء بالتوحيد ، وإكراماً لرسل تلك الأديان الذين أُمرنا بالإيمان بهم وتعظيمهم ، وليُنظر الفرق بين موقف أهل الديانتين اليهودية والنصرانية من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبين موقف ديننا من أنبيائهم وأخيرا ؛ فإن هذا الحكم ليس غريبا على الأديان الأخرى ، ولا شاذا تفرد به الإسلام ، لماذا يستغرب بعض الطاعنين في ديننا من منع الإسلام من تزويج نسائنا بغير المسلمين وهم بينهم لا يزوجون بعضهم بعضاً وهم أهل ديانة واحدة ؟! فالكاثوليكي لا يستطيع أن يتزوج بامرأة بروتستانتية ، وإن تجرأ على ذلك عوقب من قبل الكنيسة ، والعكس بالعكس !

وفي قانون الأقباط الأرثوذكس المصري الصادر عام ١٩٣٨م تنص المادة السادسة على أن(اختلاف الدين مانع من الزواج)[(٢)].

(شروط زواج المسلم من مسيحيّة:

يجوز زواج المسلم من مسيحيّة، ولكن بشروط وهي:

١- على المسلم بداية التأكد من أنّ المرأة التي يريد الزواج بها كتابية؛ يهودية أو نصرانية، على أيّ فرقة منها كاثوليكية أو بروتستانتية أو أرثوذكسية، وأنّها ليست ملحدة أو

---

(١) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٣ ، ص ٦٧ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٨٣٧٣٦ ، في ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٦ م.

مرتدة أو لا دينية.

٢- أن تكون المرأة التي يريد المسلم الزواج بها عفيفة محصنة، فالله سبحانه وتعالى قيّد الإباحة بالزواج من الكتابيات بالإحصان؛ فقال في كتابه العزيز: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ(٥))[١].

٣- نص بعض أهل العلم على اشتراط ألا تكون المرأة التي يريد المسلم الزواج بها حربية معادية للإسلام محاربة له.

٤- ألا تكون في الزواج من المسيحية فتنة، ولا ضرر محقق أو مرجح، فاستعمال المباحات كلها مقيّد بعدم حدوث الضرر.

أضرار زواج المسلم من المرأة الكتابية :

من أضرار زواج المسلم بالمرأة الكتابية ما يلي:

١- انتشار زواج الرجال المسلمين من النساء الكتابيات تنتج عنه زيادة نسبة العنوسة في بنات المسلمين.

٢- في الوقت الحاضر من يتزوّج من بلد كافر فإنّه يتزوج وفق قوانين تلك البلد التي هو فيها، فتطبق عليه نصوص قوانين تلك البلد، فلا تكون ولاية للمسلم على زوجته وأولاده.

٣- ومن الأضرار التي تنتج أيضاً عن الزواج بالمرأة الكتابية، أن يكون المسلم بموضع يخافُ فيه على ولده بأن يُجْبر على الكفر، أو يؤخذ منه عنوة ليسلم إلى أمه النصرانية أو اليهودية لتربيته)[٢].

أما الزواج مِن المرأة الكتابية في بلاد غير المسلمين فقد منع منه كثير من أهل العلم لما يترتب عليه من أضرار بالغة على الأسرة المسلمة، ومنها :

---

(١) سورة المائدة
(٢) موقع موضوع في ١٨ مايو ٢٠٢٠

١- فقدان الولاية على الزوجة والعائلة، وعدم تمكن الزوج من القيام عليهم بسبب الخضوع لقوانين تلك البلاد التي تفرض عليه قوانين وأحكامًا تخالف الشرع، وتمنعه من التصرف في أسرته وتربيتها بما يوافق الأحكام الشرعية، لا سيما في أحكام الأسرة والطلاق والحضانة، ونحوها.

٢- الخشية على ذرية المسلم أن ينشؤوا على غير دين الإسلام، أو يتربَّوا على غير الأخلاق الإسلامية، والعادات السوية، والتعوّد على الأوضاع الاجتماعية، والتأثر بما تتضمنه بيئتها التعليمية من مخالفات شرعية.

٣- ما يعود به هذا الزواج من أضرار على المسلمين، ومن أشد الضرر انتشار الزواج من غير المسلمات، والعزوف عن الزواج منهن.

س٨٢: لماذا نهى الإسلام عن نوم امرأتين في فراش واحد ؟.

ج٨٢:يقول الشيخ المنجد : (دلت السنة الصحيحة على وجوب التفريق بين الأولاد في المضاجع إذا بلغوا عشر سنين ، فقد روى أبو داود عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)[1] وروى الدار قطني والحاكم عن سبرة بن معبد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم و إذا بلغوا عشر سنين فاضربوهم على الصلاة)[2] ، وهذا يشمل الذكور مع الذكور ، والإناث مع الإناث ، والذكور مع الإناث .

وقد فسر أهل العلم التفريق في المضاجع بأمرين:

الأول : التفريق بين فرشهم ، وهذا هو ظاهر الحديث الثاني .

الثاني : ألا يناما متجردين على فراش واحد ، فإن ناما بثيابهما من غير ملاصقة جاز ذلك عند أمن الفتنة .

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤١٨ .
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤١٨ .

قال زكريا الأنصاري رحمه الله : (التفريق في المضاجع يصدق بطريقين : أن يكون لكل منهما فراش ، وأن يكونا في فراش واحد ولكن متفرقين غير متلاصقين ، وينبغي الاكتفاء بالثاني ؛ لأنه لا دليل على حمل الحديث على الأول وحده . قال الزركشي : حمله عليه هو الظاهر بل هو الصواب للحديث السابق : (فرقوا بين فرشهم) مع تأييده بالمعنى وهو خوف المحذور)[١] ، وقال رحمه الله في كشاف القناع : (وإذا بلغ الإخوة عشر سنين ذكورا كانوا أو إناثا ، أو إناثا وذكورا فرق وليُّهم بينهم في المضاجع فيجعل لكل واحد منهم فراشا وحده) لقوله صلى الله عليه وسلم : (وفرقوا بينهم في المضاجع) أي حيث كانوا ينامون متجردين كما في المستوعب والرعاية)[٢] .

وبناء على ذلك فالأصل أن يكون لكل بنت فراش ، وألا تشارك أختها البالغة أو الصغيرة فيه ، لكن إذا لم يتيسر ذلك ، واحتجن إلى النوم جميعا في سرير واحد ، أو إلى نوم اثنتين في سرير ، فلا بأس ، على أن يكون لكل واحدة منهن غطاء أو لحاف يخصها ، قال الحافظ ابن حجر في نوم الجماعة في فراش واحد :(وثبت من طرق أخرى أنه يشترط أن لا يجتمعوا في لحاف واحد)[٣] .

إنّ السبب الرئيس في تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم هو أنه من الممكن اعتياد الأجساد على الحضن والدفء والتلاصق؛ ممّا يؤدّي إلى الشعور باللذة، كما يمكن أن ينتج عن ذلك فاحشة كبيرة وهي السحاق بين النساء والعياذ بالله، ولهذا أمر الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن يتم الفصل والتفريق بين البنات والأولاد عند النوم، ومن الجدير بالذّكر أنّه لا يعني أن تنفصل النساء عن بعضهما فكل واحدة فيهما في غرفة منفصلة، ممّا يعني أنّه إذا كانت الغرفة كبيرة وواسعة ولكل واحدة منهنّ سريرًا أو فراشًا منفصل عن الآخر فهذا لا مانع فيه، ولا حرمة في ذلك أو كراهه.

---

(١) الأنصاري ، أسنى المطالب ، ج٣ ، ص ١١٣ .
(٢) الأنصاري ، كشف القناع ، ج٥ ، ص ١٨ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٧ ، ص ٢٠٤ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ١٠٦٤٢٤تاريخ النشر ٢١ / ٨ / ٢٠٠٨ م.

س٨٣ : لماذا لا يجوز الجمع بين الزوجتين في فراش واحد؟

ج٨٣: جماع الزوجة بحضور الأخرى ومشاهدتها مما لا ينبغي أن يقع خلاف في تحريمه:

١- قال الحسن البصري : كان الصحابة أو كبار التابعين يكرهون (الوجس) ، وهو أن يطأ إحداهما والأخرى تسمع الصوت ، ولفظ الكراهة عند المتقدمين معناه التحريم[١]

٢- وقال ابن قدامة رحمه الله : (فإن رضيت امرأتاه بالسكن سوية في مسكن واحد جاز ذلك لأن الحق لهما فلهما المسامحة في تركه . وكذلك إن رضيتا بنومه بينهما في لحاف واحد . ولكن إن رضيتا بأن يجامع واحدة بحيث تراه الأخرى لم يجز، لأن فيه دناءة وسخفا وسقوط مروءة فلم يبح برضاهما)[٢] .

٣- ولما قال الحجاوي صاحب (زاد المستقنع) : (ويكره والوطء بمرأى أحد) : علق على كلامه الشيخ ابن عثيمين حفظه الله فقال :إن هذا من أغرب ما يكون أن يقتصر فيه على الكراهة ، وهذا تحته أمران :

أحدهما أن يكون بحيث تُرى عورتاهما : فهذا لا شك أن الاقتصار على الكراهة غلط لوجوب ستر العورة ، فإذا كان بحيث يَرى عورتاهما أحدٌ : فهذا لا شك أنه محرم ، وكلام المؤلف ليس بصحيح إطلاقاً .

والثاني : أن يكون بحيث لا تُرى العورة : فإن الاقتصار على الكراهة أيضاً : فيه نظر ، يعني مثلا : لو كان ملتحفاً معها بلحاف ، وصار يجامعها فتُرى الحركة ، فهذا لا شك أنه إلى التحريم أقرب ؛ لأنه لا يليق بالمسلم أن يتدنى لهذه الحال ، وأيضاً ربما يثير شهوة الناظر ويحصل بذلك مفسدة ، فالصحيح في هذه المسألة : أنه يحرم وطء المرأة بمرأى أحد ، اللهم إلا إذا كان الرائي طفلاً لا يدري فهذا لا بأس به ، أما إن كان الطفل يتصور ما يفعل فقد يتحدث عما رأى من غير قصد[٣] ، [٤].

---

(١) ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٤ ، ص ٣٨٨ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٨ ، ص ١٣٧ .
(٣) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، شريط رقم ١٧ ، تفريغ صوتي .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٢٦٢٦٥تاريخ النشر ١١ / ٣ / ٢٠٠٣ م.

إنّ الجمع بين الزوجتين في فراش واحد يؤدي إلى جماع الزوجة وتقبيلها أمام ضرتها، فمجامعة الزوجتين بهذه الكيفية لا تجوز، وهي أقرب إلى فعل البهائم وبعيد تمام البعد عن فعل الإنسان السوي والعاقل، وقد نص الفقهاء على عدم جواز مجامعة إحدى الزوجتين بحيث ترى ذلك الأخرى، ولو رضيتا بذلك لما في ذلك كشف للعورات وهذا حرام باتفاق الفقهاء، كما فيه أذى للنفسية، حيث قال ابن قدامة في المغني: (وَإِنْ رَضِيَتَا بِأَنْ يُجَامِعَ وَاحِدَةً بِحَيْثُ تَرَاهُ الْأُخْرَى، لَمْ يَجُزْ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَنَاءَةً وَسُخْفًا وَسُقُوطَ مُرُوءَةٍ، فَلَمْ يُبَحْ بِرِضَاهُمَا'' وقال أيضًا في مصنف آخر، وهو يتحدث عن آداب الجماع: وَلَا يُجَامِعُ بِحَيْثُ يَرَاهُمَا أَحَدٌ، أَوْ يَسْمَعُ حِسَّهُمَا، وَلَا يُقَبِّلُهَا وَيُبَاشِرُهَا عِنْدَ النَّاسِ، وقَالَ أَحْمَدُ: مَا يُعْجِبُنِي إلَّا أَنْ يَكْتُمَ هَذَا كُلَّهُ، وَقَالَ الْحَسَنُ، فِي الَّذِي يُجَامِعُ الْمَرْأَةَ، وَالْأُخْرَى تَسْمَعُ، قَالَ: كَانُوا يَكْرَهُونَ الْوَجْسَ وَهُوَ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ)[1].

لكن هناك من قال بجواز ذلك بثلاثة شروط هي :

الشرط الأول : أن يكون ذلك برضاهما ، لأن المرأة لها حق في المسكن المستقل ، وقد تمنعها غيرتها من مشاركة زوجة لها في فراشها .

الشرط الثاني : ألا تنكشف عورة إحداهما للأخرى ؛ وعورة المرأة مع المرأة : ما بين السرة والركبة ؛ لأنه يحرم على المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة .

الشرط الثالث : ألا يجامع إحداهما مع وجود الأخرى[2].

س٨٤: لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن النوم بين الظل والشمس؟.

ج٨٤: الجلوس بين الظل والشمس منهي عنه، فقد روى أحمد عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُجلس بين الضَّحِّ والظِّل ، وقال : مجلس الشيطان) ، قال محققو المسند في ط الرسالة . : حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير كثير بن أبي كثير وهو البصري[3] .

---

(١) سبق تخريج الأحاديث
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ،رقم السؤال ١٧٧٦٣٦ تاريخ النشر ٣٠ / ٤ / ٢٠١٢ م.
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٥٤٢١

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: (إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الْفَيْءِ ،فَقَلَصَ عَنْهُ الظِّلُّ ، وَصَارَ بَعْضُهُ فِي الشَّمْسِ وَبَعْضُهُ فِي الظِّلِّ، فَلْيَقُمْ)[1] .

وهذا النهي محمول عند أهل العلم على الكراهة ، إما لكونه من باب الآداب ، أو لورود ما يعارضه من جلوس النبي صلى الله عليه وسلم بين الظل والشمس، فقد روى البيهقي في السنن عن أبى هريرة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا في فناء الكعبة ، بعضه في الظل ، وبعضه في الشمس ، واضعا إحدى يديه على الأخرى)[2]، فيحمل النهي على الكراهة ، وقد روى عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن قتادة قال: (يكره أن يجلس الإنسان بعضه في الظل ، وبعضه في الشمس [3] ، وجاء في كشاف القناع: "وَيُكْرَهُ نَوْمُهُ وَجُلُوسُهُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ ، لِنَهْيِهِ عَنْهُ ، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَفِي الْخَبَرِ: أَنَّهُ مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ)[4] .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (س : ما حكم الجلوس بين الظل والشمس ؟ فكان الجواب : الجلوس بين الظل والشمس مكروه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد بين الظل والشمس رواه ابن ماجه بسند جيد ، وثبت أيضا عنه عليه الصلاة والسلام أنه سماه : مجلس الشيطان ، رواه أحمد وابن ماجه)[5] .

ومن القواعد المقررة عند العلماء : أن المكروه تزول كراهته عند الحاجة ، قال الشيخ ابن عثيمين عن المكروه : (وحكمه عند الفقهاء: أنه يثاب تاركه امتثالا، ولا يعاقب فاعله ، ويجوز عند الحاجة وإن لم يضطر إليه ، أما المحرم فلا يجوز إلا عند الضرورة)[6]، [7] .

يقول الشيخ البراك : (وردَ في النَّهي عن الجلوس بين الشَّمس والظِّلِّ أحاديث؛ منها ما هو حسنٌ ومنها ما هو صحيحٌ، وفيه تعليلُ ذلك بأنَّه مجلسُ الشَّيطان، وهذا يدلُّ على التَّحريم؛

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٨٢١ ، والحديث صححه الألباني في "صحيح أبي داود.
(٢) البيهقي ، سنن البيهقي ، ج٣ ، ص ٢٣٧ .
(٣) عبد الرزاق ، المصنف ، ج١١ ، ص ٢٥ .
(٤) البهوتي ، كشف القناع ، ج١ ، ص ٧٩ ، وينظر أيضا : "مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه" (٥٩٦/٢) ، "الآداب الشرعية" لابن مفلح (١٥٩/٣) .
(٥) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج٢٦ ، ص ٣٦٨ . الموسوعة الفقهية ١٦٨/٢٩
(٦) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٢ ، ص ١٩٠ .
(٧) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٢٥٧٢٣٦ في ١٥ / ١٠ / ٢٠١٦ م.

لأنَّ التَّشبُّه بالشَّيطان حرامٌ؛ فإنَّه أولى بالتَّحريم مِن التَّشبُّه بأوليائه الكفار، ويشبه هذا تعليلُ النَّهي عن الأكل والشّرب بالشِّمال بأنَّه تشبُّه بالشَّيطان.

وهو ظاهر قول قتادة فروى عبد الرزاق في المصنف عن معمر عنه قال: (يكره أن يجلس الإنسان بعضه في الظل، وبعضه في الشمس)[1].

والكراهة عند السلف تعني التحريم.

قال الألباني في الصحيحة : ولعل رواية سفيان هذه أصح وصلاً ورفعاً، أما الوصل؛ فلأن ابن المنكدر لم يسمع من أبي هريرة كما ذكروا في ترجمته. وأما الرفع؛ فلرواية أبي عياض المتقدمة عن أبي هريرة، ولعل أبا عياض هذا هو الواسطة بين ابن المنكدر وأبي هريرة[2]. يشير للحديث السابق وقد تقدم ذكره وشواهده.

وقد علَّل العلماءُ ذلك بأنَّ النَّهيَّ يعودُ إلى مزاجِ البدن إذا تواردَ عليه ضدَّان؛ فإنَّه مضرٌّ به، وتعليلُ الحكم بِمَا علَّل به الشَّارع أحقُّ، وهو أنَّه مجلسُ الشَّيطان.

فنقول: لا يجوزُ للمسلمِ أن يتعمَّدَ الجلوس بين الظِّلِّ والشَّمس؛ فإنَّه بذلك يكون عاصيًا، وعلى مَن كانَ في الفيء فقلصَ عنه الظلُّ أن يقوم. ومَن كانَ في مجلسٍ مقابلٍ لنوافذ صغيرةٍ يقعُ عليه منها شعاعُ الشَّمس فالأولى له أن يتحوَّل؛ لأنَّ فيه شيئًا مِن معنى الجلوس بين الظِّلِّ والشَّمس، وليس له حكمه، ولهذا نقول: إنَّ البقاء في هذا المجلس مكروه.

وورودُ هذا الحكم يدلُّ على كمال الشَّريعة؛ إذ جاءت بالإرشاد إلى كلِّ الأسباب النَّافعة، والنَّهي عن كلِّ الأسباب الضَّارة، فعلى المسلم أن يلزمَ العمل بهذه الشَّريعة، بِمَا جاءت به مِن الأحكام في جميع الأحوال، فالخيرُ كلُّه في ذلك والشَّرُّ في المخالفة، والله أعلم.)[3] .

---

(١) عبدالرزاق ، المصنف ، رقم ١٩٨٠٠ ، تنظر أوجها أخرى مقوية للتحريم في: اللباب شرح فصول الآداب لعبد الله بن مانع الروقي ص٣٤١-٣٤٤.

(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٧ ، ص ٣-١ ، رقم الحديث ٣١١٠ .

(٣) عبدُ الرَّحمن بن ناصر البرَّاك حرر يوم الأحد منتصف شوال ١٤٤١هـ.

س٨٥: لماذا شرع الله الغسل من الجنابة ؟.

ج٨٥: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (انَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ، غَسَلَ يَدَيْهِ، وتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، ثُمَّ يُخَلِّلُ بيَدِهِ شَعَرَهُ، حتَّى إذَا ظَنَّ أنَّه قدْ أرْوَى بَشَرَتَهُ، أفَاضَ عليه المَاءَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ)[1] .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام بعد الجنابة إلا بعد أن يغتسل منها أو أن يتوضأ حتى يحين موعد صلاة الفجر فيغتسل، ولا شك أن هذا الفعل من خير البشر فيه منفعة للبشر، وبذلك تكون فوائد الغسل بعد الجنابة:

١- إتباع سنة الرسول التي علمنا إياها.

٢- تطهير البدن من البكتريا والفطريات وللصلاة.

٣- تنشيط الدورة الدموية.

٤- مساعدة النفس على الاسترخاء والراحة.

٥- التخلص من القلق والتوتر.

٦- اجتناب آلام الظهر الناتجة عن تجمد السائل المحيط بالغضروف.

٧- اجتناب أن تتحول رائحة الجسد إلى رائحة غير مُحببة للنفس.

يقول الدكتور عبد البديع حمزة زللي ، أستاذ علم التلوث البيئي والتسمم البيئي ، ووكيل معهد البحوث والاستشارات في جامعة طيبة في المدينة النبوية ، حيث كتب بحثا بعنوان : (الإعجاز العلمي في مسمى الجنابة وحكمها الشرعي) :

(من هنا تبرز لنا مهمة ووظيفة الوحدات الإخراجية المنتشرة على جميع بشرة الإنسان في حالة المواقعة الجنسية ، وخاصة تلك الكبيرة منها التي يتركز وجودها في مناطق محددة من الجسم كفرج المرأة والرجل ومنطقة الإبطين وحول الحلمتين ، والتي لا تثار لتنتج إفرازاتها عن طريق المثيرات والمنبهات الحرارية ، وإنما ترتبط إفرازاتها بالأمور الجنسية ، وتعمل جميع هذه الوحدات(الإخراجية على إخراج السموم ، وما تولد في الجسم من مركبات سامة ، لتستقر

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٢ ، وعند الإمام مسلم برقم ٣١٦ ..

على سطح البشرة ، ولا يعني هذا أن تكون الإفرازات والسوائل التي تخرج من وحدات الغدد العرقية مرئية للعين ، فقد أشرنا سابقًا أن الناس يعرقون في الجو البارد مثل ما يعرقون في الجو الحار ، وأن العرق في الحالة الأولى يتبخر مباشرة فور خروجه ، ولهذا تسمى هذه العملية بالتعرق غير الملموس . ويتبخر ماء هذا الإفرازات وتبقى السموم والمواد الكيميائية على سطح البشرة ، كما إن الإفرازات التي تفرزها الغدد العرقية البعيدة (الكبيرة) ، وهي غير مرئية أصلا ، مثل العرق العادي لأن هذه الإفرازات عند خروجها تشكل طبقة غير مرئية تشبه المادة البلاستيكية . وعليه ندرك أن السموم التي تخرج بواسطة الغدد العرقية الصغيرة أو الكبيرة لا تذهب عن الجسم ، وإنما تُجنَّب عليه فقط ، حيث تنتقل من موضعها الداخلي إلى موضعها الخارجي ، أي أنها لا تزال موجودة على جسم الإنسان . ومن هنا تتجلى لنا بوضوح تام المعجزة النبوية والانسجام البليغ في إطلاق اسم الجنابة على المواد التي تخرج من الجسم ، وتستقر تحت الشعر أو عليها . وإذا كان خالق الكون جلت قدرته قد خلصنا نحن البشر من هذا الأذى بخروجه من داخل الجسم إلى خارجه ، فينبغي على كل مدرك عاقل أن لا يتركه على الجسم ليتراكم ، ويسبب مشكلات صحية محتملة سنذكرها فيما بعد ، أو يتركها لتعود ثانية إلى داخل الجسم عن طريق إعادة الامتصاص خاصة عندما تتراكم على الجسم ، وتزداد كميتها ، وتنتشر على جميع أجزاء البشرة ، إذ تدل نتائج الدراسات أن للجلد قدرة على امتصاص كثير من العناصر والمركبات الكيميائية التي تتصل به بشكل مباشر ، وله قدرة أيضًا على إعادة امتصاص بعض العناصر والمعادن التي تخرج منه وتبقى عليه ، فالمعادن السامة التي تخرج عن طريق هذه الوحدات كالرصاص مثلا عندما تبقى كثيرًا على الجلد تترك فرصة لإعادة امتصاصها ، وتدل الدراسات أيضًا أن زيادة كمية المعادن الثقيلة الضارة وزيادة زمن مدة بقائها على الجلد وحالة الجلد غير الصحية تعمل على زيادة تأثيرها السام على الجسم ، وتسهل هذا العوامل وتيسر عملية امتصاصها بواسطة الجلد ، ولذلك ينبغي إزالتها عن الجسم بالغسل.

لقد عرفنا أن الإثارة والمواقعة الجنسية هي العامل المثير لتشغيل الغدتين البصيلية

الإحليلية لإفراز المذي ، وأن خروج المذي من الجسم لا يعمل كما تعمل الغدد العرقية الإخراجية على إخراج المواد الضارة المؤذية من جميع أجزاء بشرة الجسم ، وإنما يكون موقع خروجه هو فتحه خروج البول من عضو الرجل ، فيكون عندئذ موقع النجاسة والمواد المؤذية الضارة فقط هو الفرج وموضع اللباس الذي يصيبه ، ولذلك لم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاغتسال ، وإنما أمر من خرج منه المذي بغسل فرجه ، وغسل مكان الثوب الذي يرى فيه الإصابة بالمذي ، وهذا الأمر يكفي تمامًا لإزالة النجس والقذارات من المواضع التي تصيبها ، في حين أن الأذى الذي يخرج ويجنب من الجسم بواسطة الغدد العرقية الإخراجية التي تنتشر في جميع أرجاء بشره الإنسان وخصوصًا مناطق العانة وتحت الإبطين وحول السرة والصدر لا يكفي إزالتها غسل الفرج فقط ، وإنما يتطلب ذلك غسل البدن كله[١].

س٨٦: لماذا ينبغي على المسلم إخراج الزكاة؟.

ج٨٦ : يقول علوي السقاف في الدرر السنية : (الزَّكاة فريضةٌ مِنْ فرائض الدِّينِ، وهي الرُّكنُ الثَّالثُ مِن أركانِ الإسلامِ الخمسةِ ، والأدلَّة على وجوبِها :

أوَّلًا: مِنَ الكِتابِ قوله تعالى: (**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...(٢٠)**)[٢] (قال ابنُ كثير: (أي: أقيموا صلاتَكم الواجبةَ عليكم، وآتوا الزَّكاة المفروضةَ، وهذا يدلُّ لِمَن قال: إنَّ فرض الزَّكاة نزل بمكَّة، لكنَّ مقاديرَ النُّصُب والمخرَج لم تبيَّن إلَّا بالمدينة. والله أعلم)[٣] .

ثانيًا: من السُّنَّة ، نورد الأحاديث التالية :

١- عنِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: (بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضانَ)[٤].

٢- عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذِ بنِ

---

(١) عبد البديع حمزة زللي ، الإعجاز العلمي في مسمى الجنابة وحكمها الشرعي ، ص ١٧ ــ ٢٥ .
(٢) سورة المزمل .
(٣) ابن كثير ، التفسير ، ج٨ ، ص ٢٥٩ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٨ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٦ .

جَبلٍ رَضِيَ اللّٰهُ عنه حين بعَثه إلى اليمنِ: (أعْلِمْهم أنَّ اللّٰهَ افترَض عليهم صدقةً في أموالِهم، تُؤخَذُ مِن أغنيائِهم فتردُّ على فُقرائِهم)[1]، [3].

والزكاة في اللغة بمعنى: النماء والزيادة والبركة والمدح والثناء والصلاح وصفوة الشيء، والطهارة حسية أو معنوية، وبمعنى: زكاة المال. وتطلق الزكاة على ما ينفقه المتصدق من مال، وتستعمل في ديانات التوحيد بهذا المعنى الذي يقصد منه العبادة التي هي بمعنى: التصدق بالمال. والزَّكاةُ في الإسلام: المال اللازم إنفاقه في مصارفه الثمانية وفق شروط مخصوصة، وهي حق معلوم من المال، مقدر بقدر معلوم، يجب على المسلم بشروط مخصوصة، في أشياء مخصوصة هي: الأموال الزكوية، وزكاة الفطر. فهي في الشرع الإسلامي نوع من العبادات بمعنى: إنفاق المال على جهة الفرض، حيث تعد أحد أركان الإسلام الخمسة، وتطلق الصدقة على الإنفاق المفروض وغيره.

وتكررت كلمة الزكاة :

١- معرفه في القرآن ثلاثين مرة.

٢- جاءت كلمة الزكاة مقترنة بالصلاة في آية واحدة سبعًا وعشرين مرة .

٣- جاءت كلمة الزكاة ثمان مرات في السور المكية وسائرها في السور المدنية. وورود كلمة الصدقة والصدقات: فقد وردت اثنا عشر مرة كلها في القرآن المدني.

وإيتاء الزكاة في الإسلام عبادة متعلقة بالمال، تعد ثالث أركان الإسلام الخمسة، وهي مفروضة بإجماع المسلمين، وفرضها بأدلة من الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين، يقول الله تعالى (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ(٤٣))[1] ، والأحاديث المستفيضة، مثل حديث: بُني الإسلام على خمس وذكر منها: إيتاء الزكاة. واقترنت الزكاة بالصلاة في القرآن في اثنين وثمانين آية، وهذا يدل على أن التعاقب بينهما في غاية الوكادة والنهاية ، وفرضت في مكة على سبيل الإجمال، وبينت أحكامها في المدينة في السنة الثانية للهجرة. وتجب الزكاة في

---

(١) الإمام البخاري ' صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣٩٥ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٩ .
(٢) علوي عبد القادر السقاف ، الدرر السنية ، الزكاة .
(٣) سورة البقرة .

مال، أو بدن، على الأغنياء بقدر معلوم تدفع في مصارف الزكاة الثمانية[1] .

شروط وجوب الزكاة:

١- الإسلام: فلا تقبل من الكافر.

٢- الحرية: فلا تجب على العبد؛ لأنه لا يملك.

٣- الملك التام: ومعناه أن يكون المال مملوكاً لصاحبه مستقراً عنده.

٤- النماء: ومعناه أن ينمو المال ويزداد بالفعل أو يكون قابلاً للزيادة، كالأنعام التي تتوالد والزروع التي تثمر، والتجارة التي تزداد، والنقود التي تقبل النماء، ودليل هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس على المسلم في فرسه ولا عبده صدقة)[2] ، قال الإمام النووي: (هذا الحديث أصل في أن أموال القنية لا زكاة فيها)[3] .

٥- الفضل عن الحوائج الأصلية: من مأكل ومشرب، وملبس ومسكن، والنفقة على الزوجة والأبناء، ومن تلزمه نفقتهم.

٦- الحول: ومعناه أن يمر على امتلاك النصاب عام هجري، والدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول)[4]، ما عدا الزروع والثمار لقوله تعالى: (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ(١٤١))[5] ، وكذلك نتاج بهيمة الأنعام، ونماء التجارة؛ إذ حولها حول أصلها.

٧- السوم: وهو رعي بهيمة الأنعام بلا مؤنة ولا كلفة، فإذا كان معلوفة أكثر العام ويتكلف في رعيها فليس فيها الزكاة عند الجمهور، لحديث: (في كل إبل سائمة في كل أربعين بنت لبون)[6] ، وفي كتاب أبي بكر رضي الله عنه قوله: (وفي الصدقة الغنم في سائمتها..)[7] ، حيث قيّد الزكاة بالسوم.

---

(١) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، الزكاة .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٨٢ ، وعند الإمام البخاري برقم ١٤٦٤ .
(٣) النووي ، شرح النووي ، ج٧ ، ص ٥٥ .
(٤) الألباني ، إرواء الغليل ، ج٣ ، ص ٢٥٤ ، [فيه] بقية وهو مدلس وقد عنعنه وإسماعيل وهو ابن عباس ضعيف في روايته عن المدنيين وهذه منها فلا يحتج بها وخصوصا وقد خالفه الثقات فرووه موقوفا
(٥) سورة الأنعام .
(٦) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث ٧٩١ .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٤٥٤.

٨- ملك النصاب: والنصاب هو القدر الذي رتب الشارع وجوب الزكاة على بلوغه، فمن لم يملك شيئاً كالفقير فلا شيء عليه، ومن ملك ما دون النصاب فلا شيء عليه، والنصاب يختلف من مال إلى مال.

الحكمة في إيجاب الزكاة:

١- تطهير النفوس وتزكيتها من البخل، والذنوب والخطايا، قال الله جل وعلا : (خُذ مِن أَموَٰلِهِم صَدَقَة تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا(٣٠))[١].

٢- تطهير المال وتنميته، وإحلال البركة فيه؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ)[٢].

٣- اختبار العبد في طاعته لأوامر الله، وتقديمه حب الله على حبه للمال.

٤- مُواساة الفقير وسَدّ حاجة المحتاجين، مما يَزيد المحبَّة، ويحقق أعلى درجات التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

٥- التعوُّد على البذل والإنفاق في سبيل الله.

فضل الزكاة:

١- سبب لنَيْل رحمة الله، قال الله جل وعلا : (.. وَرَحمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَيء فَسَأَكتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ...(١٥٦))[٣].

٢- شرط لاستحقاق نصر الله، قال الله جل وعل: (ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُم فِي ٱلأَرضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلمَعرُوفِ وَنَهَوا عَنِ ٱلمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلأُمُورِ (٤١))[٤]

٣- سبب لتكفير الخطايا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ)[٥] .

---

(١) سورة التوبة
(٢) الامام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٨٨ .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة الحج .
(٥) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٩٨٣ .

س٨٧ : لماذا شرع الاسلام المسح على الجبيرة والعمامة ؟.

ج٨٧: المسح على الجبيرة هي رخصة جائزة بدلًا من غسل عضو مصاب في الوضوء وفق شروط محددة لذلك. والمسح لغةً: إمرار اليد على الشيء. وشرعاً: أن يصيب البلل خفاً مخصوصاً في زمن مخصوص. والجبيرة هي الرباط الذي يربط به العضو المريض، ولا يشترط أن يكون مشدودًا بأعواد من خشب أو جريد، كما لا يشترط أن يكون العضو مكسورًا بل أن يكون مريضًا سواء كان مكسورًا أو مرضوضًا أو به ألام مفصلية أو نحو ذلك. أو هي الدواء الذي يوضع فوق العضو ويخاف الضرر من نزعه.

ودليل جواز المسح على الجبيرة ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (انكسرت إحدى زندي فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أمسح على الجبائر)[١] ، ولأنه ملبوس يشق نزعه[٢].

وهذه بعض أحكام المسح على العصائب والجبائر:

١- إن المسح على العصائب والجبائر غير مؤقت بمدة معينة بل يجوز المسح بدون توقيت ما دام هنالك حاجة للعصائب والجبائر فمثلاً قد يحتاج وضع الرجل المكسورة في الجبس إلى شهر أو شهرين فيمسح طوال تلك المدة بخلاف المسح على الخفين والجوربين فإنه محدد بيوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليها للمسافر. أي أن المسح على العصائب والجبائر مؤقت بالشفاء وليس بالأيام.

٢- لا يشترط أن توضع العصائب والجبائر على طهارة سابقة على الراجح من أقوال أهل العلم لما في ذلك من الحرج والمشقة فإن الإنسان قد يصاب في حادث مفاجئ ويحمل إلى المستشفى وتوضع يده أو رجله في الجبس ولا يمكنه التطهر قبل ذلك.

٣- يمسح على الجبيرة والعصابة في الوضوء والغسل بخلاف المسح على الخفين فلا يصح إلا في الوضوء فقط.

(١) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج١ ، ص ١٣٤ .
(٢) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .

٤- لا يجوز المسح على العصائب والجبائر إن برء العضو وشفي من الجرح أو الكسر لأن المسح عليها رخصة مرهونة بالعذر فإذا زال العذر بطل المسح

٥- إن مسح على العصابة أو الجبيرة ثم نزعها للبرء أو الشفاء فإن طهارته لا تنتقض لأنها تمت على وجه شرعي[١].

أولا : لا خِلاَفَ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الأْرْبَعَةِ فِي وُجُوبِ الْمَسْحِ عَلَى مَوْضُوعِ الْجَبْرِ إِذَا شُدَّتْ عَلَيْهِ جَبِيرَةٌ، وَهُوَ مِنْ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ وَتَعَذَّرَ الْغَسْل عَلَى الْعُضْوِ، أَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْغَسْل كَالْجُنُبِ وَفِي ذَلِكَ تَفْصِيلٌ ، واتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْمَسْحِ عَلَى الْجَبَائِرِ فِي حَالَةِ الْعُذْرِ نِيَابَةً عَنِ الْغَسْل أَوِ الْمَسْحِ الأْصْلِيِّ فِي الْوُضُوءِ أَوْ الْغُسْل أَوْ التَّيَمُّمِ.

أما العمامة وبعضهم يسميه الخمار للرجل والمرأة فقي ذلك تفصيل :

تعريف الخمار لغة وشرعًا: (كُلُّ ما سَتَرَ شَيْئاً فَهْو خِمَارُه ومنه خِمَارُ المرْأَةِ تُغَطِّي به رَأْسَها، أَخْمِرَةٌ وخُمْرٌ بضم فسكون وخُمُرٌ بضَمَّتَين)[٢] ، يقول النووي في شرح مسلم: يعنى بالخمار العمامة لأنها تخمر الرأس أي تغطيه)[٣] .

والأدلة من السنة: في حديث عمرو بن أمية رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على عمامته وخفيه)[٤] وعن بلال رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : مسح على الخفين والخمار)[٥] ، وكل الأدلة السابقة تؤكد مشروعية المسح على خمار (عمامة) الرجل.

هيئات المسح على الرأس:

المسح معناه: الإصابة بالبلل، ولا يتحقق إلا بحركة العضو الماسح ملصقًا بالممسوح، فوضع اليد أو الإصبع على الرأس أو غيره لا يسمى مسحًا، والمحفوظ عن رسول الله صلى الله

---

(١) من فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ٢٧٥ .
(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٧٤ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٢٠٥ .
(٥) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٣ ، رقم ٢٧٥ .

عليه وسلم في ذلك **طرق ثلاث**:

١- مسح جميع الرأس: عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رجلا قال لعبد الله بن زيد وهو جد عمرو بن يحيى: (أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ فقال عبد الله بن زيد نعم. فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرتين، ثم مضمض واستنثر ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل يديه مرتين ..مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجليه)(١).

٢- مسحه على العمامة وحدها: قال البخاري في صحيحه: (حدثنا عبدان قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا الأوزاعي عن يحيى عن أبي سلمة عن جعفر بن عمرو عن أبيه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على عمامته)(٢)، وعن عمرو بن أمية رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على عمامته وخفيه)(٣) .

٣- مسحه على الناصية والعمامة: قال الإمام مسلم في صحيحه: حدثنا أمية بن بسطام ومحمد بن عبد الأعلى قالا: حدثنا المعتمر عن أبيه قال حدثني بكر بن عبد الله عن ابن المغيرة عن أبيه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين ومقدم رأسه وعلى عمامته)(٤) ، قال ابن القيم : (وكان يمسح على رأسه تارة، وعلى العِمامة تارة، وعلى الناصية والعمامة تارة)(٥) ، وقال الشوكاني رحمه الله: "والحاصل أنه قد ثبت المسح على الرأس فقط وعلى العمامة فقط وعلى الرأس والعمامة والكل صحيح ثابت، فقصر الأجزاء على بعض ما ورد لغير موجب ليس من دأب المنصفين)(٦).

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٨٣ ، كتاب الوضوء ، باب مسح الرأس .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٠٢ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، رقم ٢٠٥ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٤٧ .
(٥) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ و ص ١٩٤ .
(٦) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج١ ، ص ٢٠٤ .

الخلاصة:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يمسح على رأسه تارة، وعلى العِمامة تارة، وعلى الناصية والعمامة تارة.

٢- أنه يجب أن نلتزم هذه الكيفية الواردة في صفة مسحة صلى الله عليه وسلم على الرأس فنعممه بالمسح في جميع الهيئات السابقة.

٣- أنه لم يرد دليل على تكلُّف مسح الأذنين في الوضوء الذي مُسح فيه على العمامة، فيُجْتَزئ بالمسح على العمامة وحدها عن مسح الأذنين مع الرأس؛ لأنها جزء منه كما صح بذلك الدليل.

٤- وإذا ظهر من الأذنين شيء مسح عليه استحبابًا كما قال العثيمين.

مسألة: هل تمسح المرأة على الخمار؟.

اختلف العلماء في جواز مسح المرأة على خمارها:

١- قال المالكية والشافعية والأحناف بالمنع، ، فذهبوا إلى القول بـ: أنه لا يجزئ؛ لأن الله تعالى أمر بمسح الرَّأس في قوله: (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ..(٦))[١] ، وإذا مَسَحَتْ على الخمار فإنها لم تمسح على الرَّأس؛ بل مسحت على حائل وهو الخمار فلا يجوز.

٢- عند الحنابلة قولان والمشهور عندهم جواز مسح المرأة على خمارها واستدلوا: بما صح من أثر عن أم سلمة رضي الله عنها حيث ورد فيه: (أنها كانت تمسح على الخمار). وقاسوا خمار المرأة على عِمَامة الرَّجُل فقالوا: الخِمَار للمرأة بمنزلة العِمَامة للرَّجُل، والمشقَّة موجودة في كليهما، كما قالوا وعلى كُلِّ حالٍ إذا كان هناك مشقَّة إما لبرودة الجوِّ، أو لمشقَّة النَّزع واللَّفّ مرَّة أخرى، فالتَّسامح في مثل هذا لا بأس به، وإلا فالأوْلى ألاَّ تمسح ولم ترد نصوصٌ صحيحة في هذا الباب..[٢]، يقول ابن تيمية في شرح العمدة : (ولأن الرأس يجوز للرجل المسح على لباسه فجاز للمرأة كالرجل ولأنه

---

(١) سورة المائدة .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١ ، ص ١٩٦ .

لباس يباح على الرأس يشق نزعه غالبا فأشبه عمامة الرجل وأولى لأن خمارها يستر أكثر من عمامة الرجل ويشق خلعه أكثر وحاجتها إليه أشد من الخفين)[1].

إلا أن الذين قاسوا خمار المرأة على عمامة الرجل اشترطوا ما يلي:

١- أن تكون مدارة على الحلق.

٢- مشقة النزع ، يقول ابن تيمية رحمه الله: (إِنْ خَافَتْ الْمَرْأَةُ مِنْ الْبَرْدِ وَنَحْوِهِ مَسَحَتْ عَلَى خِمَارِهَا؛ فَإِنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَمْسَحُ خِمَارَهَا وَيَنْبَغِي أَنْ تَمْسَحَ مَعَ هَذَا بَعْضَ شَعْرِهَا وَأَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا حَاجَةٌ إلَى ذَلِكَ فَفِيهِ نِزَاعٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ)[3].

مسألة : هل يدخل في العمامة شماغ الرجل وغطاء رأس المرأة؟

قال الشيخ ابن العثيمين في كتابه: (فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام☹أما شماغ الرجل والطاقية فلا تدخل في العمامة قطعاً، وأما ما يلبس في أيام الشتاء من القبع الشامل للرأس والأذنين والذي قد تكون في أسفله لفة على الرقبة فإن هذا مثل العمامة لمشقة نزعه، فيمسح عليه. وأما النساء فإنهن يمسحن على خمرهن على المشهور من مذهب الإمام أحمد إذا كانت مدارة تحت حلوقهن، لأن ذلك قد ورد عن بعض نساء الصحابة رضي الله عنهن، وكذا ورد في مشروعية المسح أحاديث رواها البخاري ومسلم وغيرهما من الأئمة، وفيما أوردنا الكفاية، كما ورد العمل به عند كثير من أهل العلم)[3].

شروط المسح على العمامة:

١- أن تكون العمامة للرّجل: يجوز للرَجُل المسحُ على العِمَامة، أي: لا للمرأة، وهو أحد شروط جواز المسح على العِمامة، فلا يجوز للمرأة المسحُ على العِمَامة، لأنَّ لبسها لها حرام لما فيه من التشبُّه بالرِّجَال، وقد لعن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المتشبهين من الرِّجال بالنِّساء، والمتشبهات من النِّساء بالرِّجال ، فعن عكرمة، عن ابن عباس:

---

(١) ابن تيمية ، شرح العمدة ، ج١ ، ص ١٣٥ .من موقع المشكاة .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢١ ، ٢١٨ .
(٣) ابن عثيمين ، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ، ج١ ، ص ٣٨٦ .

أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال)[1] ، هذا الشرط متفق عليه عند أهل العلم.

٢- أن تكون العمامة طاهرة ومباحة: فيُشترطُ لها ما يُشترَطُ للخُفِّ من: طهارة العين، وأن تكونَ مباحةً، فلا يجوز المسح على عمامةٍ نجسة فيها صورٌ، أو عمامةِ حريرٍ.

٣- أن تكون العمامة محنكة أو ذات ذوائب: مُحَنَّكَةٍ، أَوْ ذَاتِ ذُؤَابَةٍ، هذا هو الشَّرط الثَّالث لجواز المسح على العِمَامة، فالمحنَّكة هي التي يُدار منها تحت الحنك، وذات الذؤابة هي التي يكون أحد أطرافها متدلِّياً من الخلف، وذات: بمعنى صاحبة، والدَّليل على اشتراط التَّحنيك، أو ذات الذؤابة: أنَّ هذا هو الذي جرت العادةُ بلبسه عند العرب، ولأن المحنَّكة هي التي يَشقُّ نزعها، بخلاف المكوَّرة بدون تحنيك. وعارض شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الشرط، وقـال:

أ- إنَّه لا دليل على اشتراط أن تكون محنَّكة، أو ذات ذؤابة، بل النصُّ جاء: (العِمامة) ولم يذكر قيداً آخر، فمتى ثبتت العِمَامة جاز المسحُ عليها.

ب- ولأنَّ الحكمة من المسح على العِمَامة لا تتعيَّنُ في مشقَّة النَّزع، بل قد تكون الحكمةُ أنَّه لو حرَّكها ربما تَنْفَلُّ أكوارُها.

ت- ولأنَّه لو نَزَع العِمَامة، فإن الغالب أنَّ الرَّأس قد أصابه العرقُ والسُّخونَة فإذا نزعها، فقد يُصاب بضررٍ بسبب الهواء؛ ولهذا رُخِّصَ له المسح عليها ، مع ملاحظة هامة جدا: عارض ابن تيمية بقصر المشقة على تقييد صفة العمامة بـ"أن تكون ذات ذوائب أو محنكة" ولكنه لم يختلف معهم في اشتراط المشقة أو العذر لصحة المسح فعنده: كيفما وجدت المشقة أو العذر جاز المسح سواء بالتحنيك، أو بالتكوير) دون تحنيك، أو خشية البرودة، حيث ختم كلامه بـ: ولهذا رُخِّصَ له المسح عليها[2].

---

(١) ان ماجة ، سنن ابن ماجه ، ج١ ، رقم الحديث ١٩٠٤ ، ص ٣٣١ ، وقد صححه الشيخ الألباني .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج ، ص ٢٣٨ .

٤- يمسح عليها ما لم يخرج الوقت قياسًا على مسح الخف.

مسألة : وهل يُشترطُ لها توقيت كتوقيت الخُفِّ؟.

اختلف العلماء في ذلك:

أ- فمنهم من قال بالتوقيت قياسًا على ضوابط المسح على الخفين، فجعلوا وقت المسح على العمامة؛ كوقت المسح على الخفين (ثلاثة أيام في السفر، ويوم وليلة في الحضر). فقال أبو ثور: (إن وقته كوقت المسح على الخفين[1]

ب- ومنهم من قال بعدم التوقيت ورفض هذا القياس لعدم العلة الجامعة بينهما، فالخفين بدل عما فرْضُه الغسل، وأما الرأس ففرضه المسح، وما كان على الرأس فآخذ حكمه، ولا يقاس ما حقه المسح على ما كان حقه الغسل، فافترقا. ولعدم ورود الدليل الصحيح على ذلك، فلا توقيت ولا تحديد لمدة المسح على أغطية الرأس ، قال ابن حزم في المحلى (إن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على العمامة والخمار ولم يوقت ذلك بوقت)[2] ، وما رواه الطبراني عن أبي أمامة: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح على الخفين والعمامة ثلاثًا في السفر، ويومًا في الحضر). في إسناده مروان أبو سلمة: قال ابن أبي حاتم: "ليس بالقوي". وقال البخاري: "منكر الحديث". وقال الأزدي: "ليس بشيء". وسئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: (ليس بصحيح)[3]، وقال الشيخ العثيمين: (لا مدة لها لعدم الدليل على ذلك، ولو كانت المدة من شريعة الله لبينها النبي صلى الله عليه وسلم، والقياس على الخفين غير صحيح، وعلى هذا فنقول: ما دمت لابسًا للعمامة فامسح عليها وإذا خلعتها فامسح على الرأس، وليس هناك توقيت)[4].

---

(١) الشوكاني ، منتقى الأخيار ، ج١ و ص ٢٠٩ .
(٢) ابن حزم ، المحلى ، ج٢ ، ص ٦٥ .
(٣) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج١ ، ص ٢٠٩.
(٤) ابن عثيمين ، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ، كتاب الطهارة ، ص ١٩٩ .

٥- تمسحُ العمامة في الحَدَث الأصغر دون الأكبر: فالعِمامةُ، والخُفُّ، والخِمارُ، إنما تمسحُ في الحَدَث الأصغر دون الأكبر، والدَّليل على ذلك حديث صفوان بن عَسَّال قال: (كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يأمرنا إذا كُنَّا سَفْراً ألاَّ ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، ولكن من غائط، وبول، ونوم)[1] ، فلو حصل للإنسان جنابة فإنه لا يمسح، بل يجب عليه الغُسلُ؛ لأنَّ الحدث الأكبر ليس فيه شيء ممسوح، لا أصلي ولا فرعي، هذا الشرط متفق عليه بين أهل العلم فلم يثبت فيه نزاع فيما نعلم.

٦- أن يكون لبسها -أي العمامة- على طهارة قياسًا على الخف، ولكن هذا قياس غير صحيح لأمرين:

الأمر الأول: أنه لم يذكر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أمر الإنسان أن يلبس العمامة على طهارة، مع أنه لو كان شرطًا لكان مما تتوفر الدواعي على نقله، فلما لم يرد قلنا: الأصل عدم الاشتراط.

الأمر الثاني: أن القياس لا بد فيه من مساواة الفرع للأصل، وهنا لا توجد مساواة، وذلك بأن الرّجل مغسولة والرأس ممسوح، فتطهير الرأس قد سُهل فيه من أصله حيث إنه مُسح، فإذا كان سُهل فيه من أصله، فلا يمكن أن يُقاس الأسهل على ما هو أصعب منه، فيقال: كما سُهل في أصله -أصل تطهير الرأس- كذلك يسهل في الفرع وهي العمامة التي تلبس عليه)[2]

وهذا الشرط فيه نزاع بين أهل العلم حيث لم يتفقوا على اشتراط لبس العمامة على طهارة لصحة المسح عليها وردوا على قياس المشترطين بما سبق تفصيله من الأدلة التي تثبت عدم صحة القياس.

---

(١) سنن الترمذي / تحقيق الشيخ الألباني/ كتاب الطهارة (٧١) باب المسح على الخفين للمسافر والمقيم/ حديث رقم:٩٦/ ص: ٣٤/ حديث حسن.

(٢) ابن عثيمين ، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ج١ ، ص ٢٣١ .

(٣) (طريق الاسلام - بحث وخلاصة مدارسة (في مشروعية المسح على العمامة والخمار) منذ ٢٠١٢-٠٨-٣١.

س٨٨: لماذا كان الحج مرة واحدة في العمر ؟.

ج٨٨: عن أبي هريرة قال : (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكلَّ عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)[١]، وعن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ الْحَجُّ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ؟ قَالَ : بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ)[٢] .

وأما الأفضلية فكلما أكثر المسلم من الحج فهو أفضل ، حتى لو استطاع أن يحج كل سنة ، وقد ورد الترغيب في كثرة أداء الحج ، ومن ذلك :

١- عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل ؟ فقال : (إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور)[٣].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)[٤] .

٣- عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه سلم : (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة)[٥]، [٦].

يقول الشيخ المنجد : (من رحمته أن أوجبه على عباده مرة واحدة في العمر حتى لا

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٣٧ .
(٢) أبو داوود . سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٧٢١ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٦ ، وعند الإمام مسلم برقم ٨٣ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٤٤٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٣٥٠ .
(٥) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٨١٠ . والنسائي (٢٦٣١) . وصححه ا الألباني في " السلسلة الصحيحة برقم ١٢٠٠ .
(٦) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ١٣ / ٢ / ٢٠٠٤ م.

يشق عليهم ، لكنه حث من كان لديه قدرة وطاقة أن يكثر من الحج والعمرة فقال صلى الله عليه وسلم : " تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد[1] .

وهذه العبادة العظيمة إنما شرعها الله لنعظّمه ونكبّره ونشكرَه على جميل نعمه ، وعظيم فضله ، فليس المقصود من الطواف بالكعبة هو مجرد الدوران على هذه الأحجار ! لا ، بل المقصود هو أن الله أمرنا أن نطوف بها سبعا فنحن نطيع الله ونطوف بها سبعا لا نزيد ولا ننقص بل نفعل ما أمرنا به ونحن نشعر أننا عبيد له أذلاء بين يديه فنكبره ونعظمه ونشكره أن شرفنا بعبوديتنا له عن كثير من بني البشر الذين يعبدون آلهة شتى، بل ربما يعبدون ذواتهم أو شهواتهم ، وهكذا في جميع مناسك الحج ، بل في جميع العبادات التي شرعها الله لنا ، فالحمد لله الذي شرفنا بهذا الدين العظيم .

ولعل من المناسب أن نعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أن أخاه نبيّ الله عيسى عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان وسوف يحج لهذا البيت العظيم وهو يعلن التوحيد لله سبحانه ، ونحن نؤمن أن هذا سيقع كما أخبرنا عليه الصلاة والسلام ، كما نؤمن أن الشمس تطلع في وضح النهار ، قال صلى الله عليه وسلم : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا)[2] ، ومعنى (ليهلن) : أي : ليلبين بالحج أو بالعمرة أو بهما معا ، و(فج الروحاء) : مكان بين مكة والمدينة)[3] .

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لاشك أن تكرار الحج فيه فضل عظيم للرجال والنساء، ولكن بالنظر إلى الزحام الكثير في هذه السنين الأخيرة بسبب تيسير المواصلات، واتساع الدنيا على الناس، وتوفر الأمن، واختلاط الرجال بالنساء في الطواف وأماكن العبادة، وعدم تحرز الكثير منهن عن أسباب الفتنة، نرى أن عدم تكرارهن الحج أفضل لهن وأسلم لدينهن وأبعد

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٢٥٢ .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، في ١٠ / ٢ / ٢٠٠٢ م.

عن المضرة على المجتمع الذي قد يفتن ببعضهن، وهكذا الرجال إذا أمكن ترك الاستكثار من الحج لقصد التوسعة على الحجاج وتخفيف الزحام عنهم، فنرجو أن يكون أجره في الترك أعظم من أجره في الحج إذا كان تركه له بسبب هذا القصد الطيب، ولاسيما إذا كان حجه يترتب عليه حج أتباع له قد يحصل بحجهم ضرر كثير على بعض الحجاج؛ لجهلهم أو عدم رفقهم وقت الطواف والرمي وغيرهما من العبادات التي يكون فيها ازدحام، والشريعة الإسلامية الكاملة مبنية على أصلين عظيمين:

أحدهما: العناية بتحصيل المصالح الإسلامية وتكميلها ورعايتها حسب الإمكان.

والثاني: العناية بدرء المفاسد كلها أو تقليلها.

وأعمال المصلحين والدعاة إلى الحق وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام تدور بين هذين الأصلين وعلى حسب علم العبد بشريعة الله سبحانه وأسرارها ومقاصدها وتحريه لما يرضي الله ويقرب لديه، واجتهاده في ذلك يكون توفيق الله له سبحانه وتسديده إياه في أقواله وأعماله[١].

س٨٩: لماذا يسقط الحج عمن لا يستطيع ؟ وهل يقضى عنه في ما بعد من قبل ورثته ؟.

ج٨٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله في هذا الموضوع : من مات قبل أن يحج فلا يخلو من حالين:

إحداهما: أن يكون في حياته يستطيع الحج ببدنه وماله فهذا يجب على ورثته أن يخرجوا من ماله لمن يحج عنه؛ لكونه لم يؤد الفريضة التي مات وهو يستطيع أداءها وإن لم يوص بذلك، فإن أوصى بذلك فالأمر آكد، والحجة في ذلك قول الله سبحانه: (وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ..(٩٧))[٢] والحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل: إن فريضة الله على عباده أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع الحج ولا الظعن، أفأحج عنه؟ فقال له النبي

---

(١) الشيخ ابن باز ، (مجلة الجامعة الإسلامية)، وفي جريدة (الجزيرة) يوم الجمعة ١٤١٨/١٢/٦هـ. (مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ٣٦١/١٦).
(٢) سورة آل عمران .

صلى الله عليه وسلم حج عن أبيك واعتمر[1].

وإذا كان الشيخ الكبير الذي يشق عليه السفر وأعمال الحج يحج عنه فكيف بحال القوي القادر إذا مات ولم يحج؟! فهو أولى وأولى بأن يحج عنه. وللحديث الآخر الصحيح أيضًا، أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم :: حجي عن أمك[2].

الحال الثانية: وهي ما إذا كان الميت فقيرًا لم يستطع الحج، أو كان شيخًا كبيرًا لا يستطيع الحج وهو حي، فالمشروع لأولياء مثل هذا الشخص كابنه وابنته أن يحجوا عنه؛ للأحاديث المتقدمة؛ ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلًا يقول: "لبيك عن شبرمة" قال له النبي صلى الله عليه وسلم من شبرمة؟ قال: أخ لي أو قريب لي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : حججت عن نفسك؟ قال: لا، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة[3]، وروي هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه. وعلى كلتا الروايتين فالحديث يدل على شرعية الحج عن الغير سواء كان الحج فريضة أو نافلة.

وأما قوله تعالى: (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى(٣٩))[4] ، فليس معناه أن الإنسان ما ينفعه عمل غيره، ولا يجزئ عنه سعي غيره، وإنما معناه عند علماء التفسير المحققين أنه ليس له سعي غيره، وإنما الذي له سعيه وعمله فقط، وأما عمل غيره فإن نواه عنه وعمله بالنيابة، فإن ذلك ينفعه ويثاب عليه، كما يثاب بدعاء أخيه وصدقته عنه، فهكذا حجه عنه وصومه عنه إذا كان عليه صوم؛ للحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من مات وعليه صيام صام عنه وليه[4]، وهذا يختص بالعبادات التي ورد الشرع بالنيابة فيها عن الغير،

---

(١) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٥٧٥١ ، والنسائي في (المناسك) باب وجوب العمرة برقم ٢٦٢١.
(٢) الإمام أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث بريدة الأسلمي ، رقم الحديث٢٢٥٢٣ ومسلم في (الصيام) باب قضاء الصيام عن الميت برقم ١١٤٩
(٣) أبو داوود ، المناسك ، رقم الحديث ١٨١١ .
(٤) سورة النجم .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،رقم الحديث ١٩٥٢ ، والإمام مسلم برقم ١١٤٧ .

كالدعاء والصدقة والحج والصوم، أما غيرها فهو محل نظر واختلاف بين أهل العلم، كالصلاة والقراءة ونحوهما، والأولى الترك، اقتصارًا على الوارد واحتياطًا للعبادة [(١)].

س٩٠: لماذا رخص الله تعالى للمرضع والحامل الفطر في رمضان ؟

ج٩٠: المرضع ومثلها الحامل لها حالان :

الأولى :أن لا تتأثر بالصيام ، فلا يشق عليها الصيام ولا يُخشى منه على ولدها ، فيجب عليها الصيام ، ولا يجوز لها أن تفطر .

الثانية : أن تخاف على نفسها أو ولدها من الصيام ويشق عليها ، فلها أن تفطر وعليها أن تقضي الأيام التي أفطرتها ، وفي هذه الحال الأفضل لها الفطر ، ويكره لها الصيام ، بل ذكر بعض أهل العلم أنها إذا كانت تخشى على ولدها وجب عليها الإفطار وحرم الصوم ، قال المرداوي في الإنصاف : (يُكْرَهُ لَهَا الصَّوْمُ وَالْحَالَةُ هَذِهِ . . . وَذَكَرَ ابْنُ عَقِيلٍ : إنْ خَافَتْ حَامِلٌ وَمُرْضِعٌ عَلَى حَمْلٍ وَوَلَدٍ ، حَالَ الرَّضَاعِ لَمْ يَحِلَّ الصَّوْمُ ، وَإِن لَمْ تَخَفْ لَمْ يَحِلَّ الْفِطْرُ)[(٢)].

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في فتاوى الصيام :إذا أفطرت الحامل أو المرضع بدون عذر وهي قوية ونشيطة ولا تتأثر بالصيام فما حكم ذلك ؟فأجاب :لا يحل للحامل أو المرضع أن تفطرا في نهار رمضان إلا للعذر، فإذا أفطرتا للعذر وجب عليهما قضاء الصوم ، لقول الله تعالى في المريض : (وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) . وهما بمعنى المريض وإذا كان عذرهما الخوف على الولد فعليهما مع القضاء عند بعض أهل العلم إطعام مسكين لكل يوم من البر (القمح) ، أو الرز، أو التمر، أو غيرها من قوت الآدميين ، وقال بعض العلماء: ليس عليهما سوى القضاء على كل حال ؛ لأنه ليس في إيجاب الإطعام دليل من الكتاب والسنة ، والأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على شغلها ، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، وهو قوي[(٣)].

---

(١) خطاب صدر من سماحته عندما كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إجابة عن أسئلة مقدمة من ص. ع. هـ. وهذا أحدها. (مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ١٦/٣٩٨)..

(٢) المرداوي ، الإنصاف ، ج٧ ، ص ٣٨٢ .

(٣) ابن عثيمين ، فتاوى الصيام ، ص ١٦١ .

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى أيضاً في فتاوى الصيام :عن الحامل إذا خافت على نفسها أو خافت على ولدها وأفطرت فما الحكم ؟ فأجاب :جوابنا على هذا أن نقول : الحامل لا تخلو من حالين :

إحداهما : أن تكون نشيطة قوية لا يلحقها مشقة ولا تأثير على جنينها ، فهذه المرأة يجب عليها أن تصوم ؛ لأنها لا عذر لها في ترك الصيام .

والحال الثانية : أن تكون الحامل غير متحملة للصيام : إما لثقل الحمل عليها ، أو لضعفها في جسمها ، أو لغير ذلك ، وفي هذه الحال تفطر ، لاسيما إذا كان الضرر على جنينها ، فإنه قد يجب الفطر عليها حينئذ . وإذا أفطرت فإنها كغيرها ممن يفطر لعذر يجب عليها قضاء الصوم متى زال ذلك العذر عنها ، فإذا وضعت وجب عليها قضاء الصوم بعد أن تطهر من النفاس ، ولكن أحياناً يزول عذر الحمل ويلحقه عذر آخر وهو عذر الإرضاع ، وأن المرضع قد تحتاج إلى الأكل والشرب لاسيما في أيام الصيف الطويلة النهار ، الشديدة الحر، فإنها قد تحتاج إلى أن تفطر لتتمكن من تغذية ولدها بلبنها، وفي هذه الحال نقول لها أيضاً: أفطري فإذا زال عنك العذر فإنك تقضين ما فاتك من الصوم[1] .

وقال الشيخ ابن باز في مجموع الفتاوى: (أما الحامل والمرضع فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أنس بن مالك الكعبي عن أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح أنه رخص لهما في الإفطار وجعلهما كالمسافر . فعلم بذلك أنهما تفطران وتقضيان كالمسافر ، وذكر أهل العلم أنه ليس لهما الإفطار إلا إذا شق عليهما الصوم كالمريض ، أو خافتا على ولديهما والله أعلم)[2]، وجاء في فتاوى "اللجنة الدائمة: أما الحامل فيجب عليها الصوم حال حملها إلا إذا كانت تخشى من الصوم على نفسها أو جنينها فيرخص لها في الفطر وتقضي بعد أن تضع حملها وتطهر من النفاس)[3].[4].

---

(١) ابن عثيمين ، فتاوى الصيام ، ص ١٦٣ .
(٢) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٥ ،ص ٢٢٤ .
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج١٠ ، ص ٢٢٦ .
(٤) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٧ / ١١ / ٢٠٠٣ .

س٩١: لماذا حرم الاسلام الرياء ؟ .

ج٩١: تعريف الرّياء لغةً: الرّياء اسم مشتقّ من مصدر الرؤية، والرّياء هو القيام بالأعمال والإتيان بها في سبيل الحصول على إعجاب النّاس، والرؤيا تختلف عن السّمعة التي هي الإتيان بالأعمال ليسمع النّاس بها، وقد يُطلق عليها الرّياء، ويُعرف الرّياء بأنّه مخالفة الأعمال الظاهرة لما هو مخفيّ من النوايا الباطنة، بقصد الحصول على ثناء النّاس وحمدهم وإعجابهم، والأصل أن تكون نيّة الأعمال نيل رضى الله تعالى، ويُقال: فلان راءى النّاس؛ أي أنّه نافق وأظهر أمامهم أعمالاً تخالف الحقيقة التي عليها المنافق ، واصطلاحاً: القيام بأداء العبادات لله تعالى مع تعمّد إظهارها للنّاس ليحمدوه عليها ويُعجبوا بها، والقصد من الرّياء تعظيم النّاس أو الرغبة في إعجابهم به أو رهبةً من النّاس وخوفاً منهم، وقرين الرّياء العُجْب؛ وهو أن ينظر الإنسان لنفسه بعين الإعجاب لصلاحه أو لعبادته.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (الرياء من الشرك الأصغر، لأن الإنسان أشرك في عبادته أحداً غير الله، وقد يصل إلى الشرك الأكبر، وقد مثَّل ابن القيم رحمه الله للشرك الأصغر بـ: (يسير الرياء)، وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر. قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠))[١]، والعمل الصالح ما كان صواباً خالصاً، والخالص ما قصد به وجه الله، والصواب: ما كان على شريعة الله، فما قصد به غير الله فليس بصالح، وما خرج عن شريعة الله فليس بصالح ويكون مردوداً على فاعله، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، وقال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" الحديث. قال بعض العلماء: هذان الحديثان ميزان الأعمال، فحديث النية ميزان الأعمال الباطنة، والحديث الآخر ميزان الأعمال الظاهرة[٢].

أنواع الرّياء:

---

(١) سورة الكهف .
(٢) ابن عثيمين ، فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مسألة رقم ٢٧٤ .

يحاول العبد أن يحسّن من نفسه أمام الناس، رغبةً في الحصول على الثّناء والإعجاب والحمد، **ويسلك العبد عدّة طرق لتحقيق ذلك، منها:**

١- الرّياء بالبدن؛ ويكون بإظهار التعب والإرهاق والمرض؛ حتى يظنّ النّاس بأنّ ذلك من كثرة العبادات والطّاعات، ويكون أيضاً بإظهار الحزن على الإسلام والمسلمين، وإظهار الخوف من الحياة الآخرة.

٢- الرّياء بالملابس والهيئة العامة؛ بعدم الاهتمام بالشكل الخارجيّ كعدم الاهتمام بالملابس، وبالمشي في الطريق مع خفض الرأس، وعدم إزالة أثر السجود عن الوجه.

٣- الرّياء بالأقوال؛ ومنه الرياء في النصح والوعظ والإرشاد، وتعمّد ذكر الله -تعالى- أمام الناس، وإظهار الحزن والأسف عل ارتكاب النّاس للمعاصي والذّنوب والمنكرات، وإظهار العلم أمام النّاس.

٤- الرّياء بالأعمال؛ القيام بالعبادات بنيّة مراءاة النّاس، ومنه: الإطالة في السجود والركوع، والجهاد في سبيل الله -تعالى- رياءً. الرّياء بالأصحاب والزّوار؛ وهو تعمّد زيارة العلماء والدّعاة والشيوخ ليُقال عنه إنه أخذ العلم عن كثير من الشّيوخ والعلماء ويتفاخر بهم.

نلخص شيئًا من العلاج لمثل هذا الداء بأمور منها:

١- تحقيق تعظيم الله تعالى في القلب، وذلك بتحقيق التوحيد والتعبد لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.

٢- أن يعلم المكلف علمًا يقينًا بأنه عبد محض، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده عوضًا ولا أجرًا، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته، فما يناله من سيده من الأجر والثواب تفضل منه وإحسانٌ إليه لا معاوضة، فلماذا الرياء والعجب؟!

٣- مشاهدة العبد لمنَّة الله عليه وفضله وتوفيقه، وأنه بالله لا بنفسه، وأنه إنما أوجب عمله مشيئة الله لا مشيئته هو، فكل خير فهو مجر فضل الله ومنته، فلما الرياء والعجب؟!

٤- مطالعة عيوبه وآفاته وتقصيره في جنب الله، وما فيه من حظِّ النفس ونصيب الشيطان، فَقَلَّ عمل إلا وللشيطان فيه نصيبٌ، وإن قل، وللنفس فيه حظ.

٥- تذكير النفس بما أمر الله عز وجل به من إصلاح القلب، وإخلاصه وحرمان المرائي من التوفيق.

٦- خوف مقت الله عز وجل وغضبه إذا اطلع على قلبه وهو منطوٍ على الرياء وعجب.

٧- الإكثار من العبادات غير المشاهدة، وإخفائها كقيام الليل، وصدقة السر، والبكاء خالياً من خشية الله تعالى؛ قال الخُطابي رحمه الله تعالى: (كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عملٍ صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها)[١] .

٨- تذكر الموت وسكرته، والقبر وضمته، والقيامة وأهوالها. ٩-

٩- معرفة مداخل العجب والرياء وخفاياهما، حتى يتم الاحتراز منهما.

١٠- النظر في عاقبة الرياء والعجب في الدنيا والآخرة.

١١- مصاحبة أهل الإخلاص والصلاح والتقوى، فالجليس يؤثر على جليسة.

١٢- معرفة قيمة الدنيا وعدم بقائها.

١٣- الإكثار من الدعاء أن يخلصك الله من الرياء والسمعة والعجب[٢].

يقول الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين : وينبغي للمسلم البعد عن الرياء والحذر من الوقوع فيه، وهناك أمور تعين على البعد عنه، **أهمها**:

١- تقوية الإيمان في القلب، ليعظم رجاء العبد لربه، ويعرض عمن سواه، ولأن قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس.

٢- التزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة الإسلامية، ليكون ذلك حرزاً له بإذن الله من فتن الشبهات، وليعرف عظمة ربه جل وعلا، وضعف المخلوقين

---

(١) الخطابي ، العزلة ، ص ٧٦ .
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ظافر بن حسن آل جبعان.

وفقرهم، فيحمله ذلك كله على مقت الرياء واحتقاره والبعد عنه، وليعرف أيضاً مداخل الشيطان ووساوسه، فيحذرها.

٣- الإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أن يعيذه من شر نفسه، ومن شرور الشيطان ووساوسه، وأن يرزقه الإخلاص فيما يأتي وما يذر، والإكثار من الأذكار الشرعية التي هي حصن من شرور النفس والشيطان.

٤- تذكر العقوبات الأخروية العظيمة التي تحصل للمرائي، ومن أعظمها أنه من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

٥- التفكر في حقارة المرائي وأنه من السفهاء والسفلة؛ لأنه يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بالجنة، ونجاته من عذاب القبر، وشدة القيامة، وعذاب النار من أجل مدح الناس والحصول على منزلة عند المخلوقين، فهو يبحث عن رضا المخلوق بمعصية الخالق، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه اللهمن السفلة؟ قال: (من أكل بدينه)[(١)] .

٦- الحرص على كل ما هو سبب في عدم الوقوع في الرياء، وذلك بالحرص على إخفاء العبادات المستحبة، وبمدافعة الرياء عندما يخطر بالقلب، وبالبعد عن مجالسة المداحين وأهل الرياء، ونحو ذلك [(٢)].

س٩٢: لماذا كان التزوير حراما ؟.

ج٩٢ : ج: الزور والتزوير حدَّث عن خطره وشره ومصيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ

---

(١) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج٥ ، ص ٣٥٧ ، الرقم ٦٩٣٣ .
(٢) بن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، ص: ٢٨٣-٢٨٥ ، وانظر الرعاية (ص: ٢٣٣-٢٤٢)، (الإحياء (٣٢١/٣-٣٣٤)، الزواجر (الكبيرة الثانية ٤٩/١-٥٠)، مقاصد المكلفين للأشقر (ص: ٤٦٥-٤٧٣)، نور الإخلاص لسعيد بن علي القحطاني (ص: ٢-٣٠)، لإخلاص لحسين العوايشة (ص: ٤١-٥٦)، الإخلاص والشرك الأصغر للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف (ص: ١٠-١٢)، الشرك الأصغر لعبد الله السليم (ص: ٩٥-٩٩).) . (تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن عبد العزيز الجبرين– ص: ٣٦٥)
(٣) علوي السقاف ، الدرر السنية ، بحث عن الرياء .

فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ) قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: (الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ)[١] .

إنهم الغشاشون ..إنهم المزورون ..إنهم مثل الحدباء... يتلونون حسب الحاجة ويزورون حسب المصلحة، جعلوا التزوير طريقهم لكل وظيفة وعمل، قلبوا الحقائق بالتزوير، ودمروا وقتلوا واغتصبوا بالتزوير، حالهم كما قال الله تعالى فيهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَّ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٤٠))[٢].

التزوير في اللغة هو كلمة مشتقة من (زوّر) والزور هو الكذب والباطل ويقال اِزْوَرَّ عن الشيء أي عدل عنه وانحرف، أما التزوير فهو تزيين الكذب ، وزوّر الشيء تزويراً أي حسّنه وقوّمه ، التزوير فقهاً: فهو كل وسيلة يستعملها شخص ليغش بها شخصاً آخر.

التزوير في الفقه الجنائي هو :

١- تغيير الحقيقة بقصد الغش في سند أو وثيقة أو أي محرَّر آخر بإحدى الطرق المادية أو المعنوية التي يبينها القانون، تغييراً من شأنّه إحداث ضررٍ بالمصلحة العامة أو مصلحة شخص من الأشخاص.

٢- تحريف مفتعل للحقيقة في الوقائع والبيانات التي يراد إثباتها بصك أو مخطوط يحتج بهما يمكن أنّ ينجم عنه ضرر مادي أو معنوي أو اجتماعي .

٣- تغيير الحقيقة بقصد الغش في محرر بأحد الطرق التي نص عليها القانون تغييراً من شأنه أن يسبب ضررا.

٤- العبث عمدًا بوثيقة مكتوبة بهدف الغش، أو الاحتيال ،و تتضمن أنواع التزوير المعروفة، التوقيع بطريقة احتيالية، تحت اسم شخص آخر إما على شيك، أو على وصية، أو عقد، أو أوراق الهوية والشهادات العلمية وغيرها.

---

(١) الطحاوي ، شرح مشكل الآثار ، ص ٤٦٦ .
(٢) سورة البقرة

التزوير في المخطوطات والأصول الأدبية المكتوبة:

يسمى أصحابها بمزوري الأدب، وعادة ما يقوم مزورو الأدب، بتقديم وثائق مزورة، على أنها مخطوطات نادرة.

غالبا ما يتم تناول المواضيع المتعلقة بالتزوير والتزييف والتقليد من ضمن المواضيع المتعلقة بأعمال خدمة الأمن كونها تلحق الضرر بشريحة واسعة من المواطنين(الأفراد) وكذلك يمثل انتهاكا لسرية المعلومات المتعلقة بالوثائق والعملات والبضائع وتعريضا بالنقيصة للمواد المستعملة في صناعتها أو التعامل بها ولأسباب أخرى أهمها:

١- أن غالبية دول العالم تعتبر في انظمتها القانونية ان جرائم التزوير والتزييف هي من الجرائم المضرة بالمصلحة العامة.

٢- أنها من الجرائم التي تلحق الضرر المباشر بحياة الناس واقتصاديات الدول.

٣- أن تلك الجرائم تخرج عن نطاق الجرائم العادية إذ يمكن أن تقوم بها جهات معادية للبلد.

٤- أن الوثائق التي يمكن تزويرها تدخل ضمن اعمال خدمة الامن فيما يتعلق بأمن المعلومات والامن الالكتروني.

٥- أن تزييف العملات يدخل ضمن حملات التخريب الاقتصادي وهو ما تعمل على مكافحته اعمال خدمة الامن في جانبيها الوقائي والتعرضي.

التزوير نوعان:

النوع الاول: تزوير مادي ، وهو حصول عملية تغير في الوثائق بشكل مادي يمكن تتبع آثاره بالعين المجردة ويحصل عند إنشاء الوثيقة او بعدها ويقسم إلى تزوير كلي أو جزئي، ويشمل :

١- وضع إمضاء أو بصمة ابهام أو ختم مزورة أو تغيير مضاء أو بصمة إبهام أو ختم صحيحة.

٢- الحصول بطريقة المباغتة او الغش على امضاء أو بصمة أو ختم لشخص لا يعلم مضمون المحرر على حقيقته.

٣- ملء ورقة ممضاة أو مبصومة أو مختومة على بياض بغير قرار صاحب الإمضاء او البصمة او الختم. وكذلك اساءة استعمال الامضاء او البصمة او الختم.

٤- اجراء اي تغيير بالإضافة او الحذف او التعديل او بغير ذلك في كتابة المحرر او الأرقام أو الصور او العلامات أو أي أمر آخر مثبت فيه.

٥- اصطناع محرر او تقليده.

النوع الثاني: **تزوير معنوي غير مادي**- وهو حصول عملية تغير في الوثائق بشكل لا يترك أي أثر يمكن تتبعه بالعين المجردة ويحصل عادة عند اشاء الوثائق مثل صدار شهادة الميلاد غير صحيحة أو شهادة مدرسية غير صحيحة، ويشمل :

١- تغيير اقرار أولي الشأن الذي كان الغرض من تحرير المحرر ادراجه فيه.

٢- جعل واقعة مزورة في صورة واقعة صحية مع العلم بتزويرها.

٣- جعل واقعة غير معترف بها في صورة واقعة معترف بها.

٤- انتحال شخصية الغير او استبدالها او الاتصاف بصفة غير صحية وعلى وجه العموم تحريف الحقيقة في محرر او اغفال ذكر بيان فيه حال تحريره فيما اعد لإثباته[١].

أشكال التزوير:

١- التزوير العلمي والفقهي والإفتائي والقضائي.

٢- التزوير السياسي كما نرى في بعض انتخابات الدول.

٣- التَّزْوِيرُ فِي الْبُيُوعِ بِإِخْفَاءِ عُيُوبِ السِّلْعَةِ وَتَزْيِينِهَا وَتَحْسِينِهَا؛ لِإِظْهَارِهَا بِشَكْلٍ مَقْبُولٍ تَرْغِيبًا فِيهَا، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام؟)، قال أصابته السماء يا رسول الله، قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني)[٢].

---

(١) مفهوم التزوير ، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية في ١٢ / ٦ / ٢٠١٩ م.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٢ .

٤- والتزوير في المكاييل والأوزان وغش الناس وخداعهم بها، قال تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥))[١].

٥- التزوير في البينات بِمُحَاكَاةِ خَطِّ الْقَاضِي أَوْ تَزْوِيرِ تَوْقِيعِهِ أَوْ شَهَادَةِ الشُّهُودِ فِي سِجِلاَّتِ الْقَضَاءِ بِمَا يَسْلُبُ الْحُقُوقَ مِنْ أَصْحَابِهَا، ويقع أيضا في تزوير الأختام والتواقيع، وكذا الغش في الوثائق والسجلات، ومحاكاة خطوط الآخرين وتوقيعاتهم بقصد الخداع والكذب ، فعَنْ أَبِي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا، الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا، فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)[٢].

٦- التزوير الإعلامي والإلكتروني الحاصل في أيامنا حيث يسرق فلان عمل فلان وينسبه له، فعن عائشة، أن امرأة قالت: يا رسول الله أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني فقال عليه الصلاة والسلام: (المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور)[٣].

٧- التزوير في اليمين، وَهِيَ اليمينُ الغَمُوسُ الَّتِي يَكْذِبُ فِيهَا الْحَالِفُ عَامِدًا عَالِمًا، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ومِنْ ثَمَّ في النار، والإتيان باليمين الغموس حرام، ومن الكبائر؛ لما فيه من الجرأة العظيمة على الله ، وقد عدها الإمام ابن حجر الهيتمي من الكبائر، عن عبد الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو عليها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان) فأنزل الله تعالى في سورة آل عمران : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا....(٧٧))[٤].

---

(١) سورة المطففين .
(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢١٢٩ ، وعند الإمام البخاري برقم ٥٢١٩ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٣٥٦ .

٨- التَّزْوِيرُ فِي النِّكَاحِ بِأَنْ يَكْتُمَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ عَيْبًا فِيهِ عَنِ الْآخَرِ فيكتشفه بعد الزواج. وهذا كله محرم وداخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من غش فليس منا) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)[١].

٩- تغيير حدود الأرض وضمُّ ما ليس منها إليها، قال صلى الله عليه وسلم: (لعن الله من غير منار الأرض)[٢] .

عقوبة التزوير في المملكة العربية السعودية:

صدر المرسوم الملكي برقم (م/١١) بتاريخ ١٨ / ٢ / ١٤٣٥ والذي ينص في بعض مواده على ما يلي :

المادة الثالثة: من زوّر خاتم الدولة، أو خاتم الملك أو ولي العهد أو رئيس مجلس الوزراء أو أحد نوابه، أو خاتم الديوان الملكي أو ديوان ولي العهد؛ يعاقب بالسجن من ثلاث إلى عشر سنوات وبغرامة لا تزيد على مليون ريال.

الفصل الثاني تزوير الأختام والعلامات:

المادة الرابعة: من زوّر خاتماً أو علامةً منسوبة إلى جهة عامة، أو إلى أحد موظفيها بصفته الوظيفية، أو زوّر خاتماً أو علامة لها حجية في المملكة عائدة لأحد أشخاص القانون الدولي العام أو لأحد موظفيه بصفته الوظيفية ؛ يعاقب بالسجن من سنة إلى سبع سنوات وبغرامة لا تزيد على سبعمائة ألف ريال.

المادة الخامسة : من زوّر خاتمَ جهةٍ غير عامة، يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبغرامة لا تزيد على ثلاثمائة ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

الفصل الثالث تزوير الطوابع :

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٣ ، وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٥٩ .
(٢) البيهقي ، السنن الكبرى ، رقم الحديث ١١٥٣٧ .
(٣) رابطة العلماء السوريين ، الأحد ٧ ربيع الأول ١٤٣٩ - ٢٦ نوفمبر ٢٠١٧

المادة السادسة: من زوّر طابعاً يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز خمس سنوات، وبغرامةٍ لا تزيد على خمسمائة ألف ريال، مع إلزامه بدفع ما فوته على الخزينة العامة من مبالغ.

المادة السابعة: من أعاد استعمال طابعٍ سبق تحصيل قيمته، يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، وبغرامةٍ لا تزيد على ثلاثين ألف ريال ، أو بإحدى هاتين العقوبتين، مع إلزامه بدفع ما فوته على الخزينة العامة من مبالغ.

الفصل الرابع تزوير المحررات أولاً: الصور العادية

المادة الثامنة: من زوّر محرراً منسوباً إلى جهة عامة أو أحد موظفيها بصفته الوظيفية، أو إلى أحد أشخاص القانون الدولي العام أو أحد موظفيه بصفته الوظيفية إذا كان للمحرر حجية في المملكة؛ يعاقب بالسجن من سنة إلى خمس سنوات وبغرامة لا تزيد على خمسمائة ألف ريال.

المادة التاسعة: من زوّر محرراً عرفيًّا، يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبغرامة لا تزيد على ثلاثمائة ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

ثانياً: الصور المشددة:

المادة العاشرة: من زوّر محرراً منسوباً إلى الملك، أو ولي العهد، أو رئيس مجلس الوزراء، أو أحد نوابه؛ يعاقب بالسجن من ثلاث إلى عشر سنوات وبغرامة لا تزيد على مليون ريال.

المادة الحادية عشرة: من زوّر سنداتٍ أو أوراقاً ذات قيمة مما تصدره الخزينة العامة، يعاقب بالسجن من سنتين إلى سبع سنوات وبغرامة لا تزيد على مليون ريال، مع إلزامه بدفع ما فوته على الخزينة العامة.

المادة الثانية عشرة: كل موظفٍ عامٍّ زوّر محرراً مما يختص بتحريره، يعاقب بالسجن من سنة إلى سبع سنوات وبغرامة لا تزيد على سبعمائة ألف ريال.

المادة الثالثة عشرة: من زوّر أوراقاً تجارية أو مالية أو الأوراق الخاصة بالمصارف، أو وثائق تأمين؛ يعاقب بالسجن من سنة إلى خمس سنوات وبغرامة لا تزيد على أربعمائة ألف ريال.

ثالثاً: الصور المخففة

المادة الرابعة عشرة: من زوّر أو منح (بحسب اختصاصه) تقريراً أو شهادةً طبيةً على خلاف الحقيقة مع علمه بذلك؛ يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز سنة وبغرامة لا تزيد على مائة ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

المادة الخامسة عشرة: كل مختص زوّر في أوراق إجابات الاختبارات الدراسية أو بيانات رصد نتائجها، يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز ستة أشهر وبغرامة لا تزيد على ستين ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

المادة السادسة عشرة: من زوّر في محرر معدّ لإثبات حضور الموظف إلى عمله أو انصرافه منه؛ يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر وبغرامة لا تزيد على ثلاثين ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

رابعاً: الصور الملحقة :

المادة السابعة عشرة: من استعمل حكماً أو أمراً قضائياً أو وكالة صادرة من جهة مختصة انتهت صلاحيتها، وكان عالماً بذلك، وقاصداً الإيهام بأنها لا تزال حافظةً لحجيتها النظامية، وترتب على هذا الاستعمال إثبات حقٍّ أو إسقاطه أو حدوث ضررٍ للغير؛ يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز سنة وبغرامة لا تزيد على مائة ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

المادة الثامنة عشرة: من زوّر وثيقة تاريخية، يعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز ثمانية أشهر وبغرامة لا تزيد على ثمانين ألف ريال، أو بإحدى هاتين العقوبتين.

الفصل الخامس أحكام عامة :

المادة التاسعة عشرة: يعاقب بالعقوبة نفسها المقررة لجريمة التزوير المنصوص عليها في هذا النظام، كل من استعمل أيًّا مما نص على تجريمه في هذا النظام مع علمه بتزويره، وكل من جلب إلى المملكة أو حاز فيها أيًّا مما نص على تجريمه في المواد (الثالثة) و(الرابعة) و(السادسة) و(الثامنة) و(العاشرة) و(الحادية عشرة) و(الثالثة عشرة) مع علمه بتزويره.

المادة العشرون: يعاقب على الشروع في أي من الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام، بما لا يتجاوز نصف الحد الأقصى للعقوبة المقررة لتلك الجريمة.

المادة الحادية والعشرون: من اشترك – بطريق الاتفاق أو التحريض أو المساعدة – في ارتكاب أيّ من الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام، يعاقب بالعقوبة نفسها المقررة لتلك الجريمة.

المادة الثانية والعشرون: على المحكمة المختصة – عند الإدانة بأيٍّ من الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام – الحكم بمصادرة جميع الأشياء المضبوطة التي استعملت في تلك الجريمة والمتحصلة منها دون الإخلال بحق الغير حسن النية.

المادة الثالثة والعشرون: كل منشأة خاصة تعمل في المملكة ثبت أن مديرها أو أحد منسوبيها ارتكب جريمة من الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام لمصلحتها وبعلم منها، تعاقب بغرامة لا تزيد على عشرة ملايين ريال، وبالحرمان من التعاقد من سنتين إلى خمس سنوات مع أي جهة عامة، وذلك دون الإخلال بأي عقوبة نص عليها هذا النظام في حق الشخص ذي الصفة الطبيعية مرتكب الجريمة.

المادة الرابعة والعشرون: للمحكمة المختصة إيقاف أي عقوبة تبعية تترتب على الإدانة بالجرائم المنصوص عليها في المواد (السابعة) و(الرابعة عشرة) و(الخامسة عشرة) و(السادسة عشرة) من هذا النظام.

المادة الخامسة والعشرون: تحكم المحكمة المختصة بالإعفاء من عقوبة جرائم التزوير المنصوص عليها في هذا النظام، لكل من بادر من الجناة بالإبلاغ عن جريمته قبل اكتشافها واستعمال المزوّر ، وللمحكمة المختصة إعفاء الجاني من العقوبة بعد اكتشاف الجريمة إذا أرشد عن باقي الجناة وسهّل القبض عليهم.

المادة السادسة والعشرون: تطبق أحكام هذا النظام على كل من ارتكب خارج المملكة جريمةً من الجرائم المنصوص عليها في المواد (الثالثة) و(الرابعة) و(الثامنة) و(العاشرة) و(الحادية عشرة) و(الثالثة عشرة) من هذا النظام، إلا إذا ثبت أنه سبق أن صدر حكمٌ قضائي في الخارج بعدم إدانته بما أسند إليه أو حكم بإدانته عن الفعل نفسه واستوفى عقوبته.

المادة السابعة والعشرون: فيما عدا الجرائم المنصوص عليها في المادتين (الثالثة) و(العاشرة)، تنقضي الدعوى الجزائية في الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام بعد مضي عشر سنوات تبدأ

من اليوم التالي لوقوع الجريمة.

المادة الثامنة والعشرون: فيما عدا المواد (الرابعة عشرة) و(الخامسة عشرة) و(السادسة عشرة)، يجوز الحكم بنشر العقوبة المقضي بها في الجرائم الواردة في هذا النظام.

المادة التاسعة والعشرون: يلغي هذا النظام نظام مكافحة التزوير، الصادر بالمرسوم الملكي رقم (١١٤) وتاريخ ٢٦ /١١ /١٣٨٠هـ، وكل ما يتعارض معه من أحكام[(١)].

س٩٣: لماذا كانت الرشوة حراما ؟.

ج٩٣: يقول الله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨))[(٢)] ، وقال تعالى:(مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...(٣٢))[(٣)].

يقول الشيخ ابن باز : (الرشوة محرمة، والواجب الحذر منها، (الرسول صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي)، فإذا رشا إنسانًا ليفعل معه ما حرم الله عليه ما يجوز، كأن يعطي موظفا رشوة حتى يقدمه على غيره، وحتى يعطيه ما لا يحل له؛ هذا لا يجوز، المقصود الرشوة أن يبذل مالًا ليأخذ ما لا يحل له، أو يعطى ما لا يحل له، فلا يجوز لا للفاعل ولا الآخذ، لا للدافع ولا للآخذ؛ لأنه تعاون على الإثم والعدوان، والله يقول سبحانه: (وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...(٢)) ، فكونه يعطي رشوة لأي شخص حتى يفعل معه ما لا يجوز هذا حرام على الآخذ والمعطي وعلى المتوسط بينهما أيضًا، ولهذا في الحديث الصحيح (الرسول صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي، وفي رواية: والرائش» يعني: الواسطة بينهم)[(٤)].

---

(١) هيئة الخبراء بمجلس الوزراء السعودي الاسم النظام الجزائي لجرائم التزويرتاريخ الإصدار١٨/٠٢/١٤٣٥ هـ الموافق : ٢٠١٣/١٢/٢١ متاريخ النشر٠٧/٠٤/١٤٣٥ هـ الموافق : ٢٠١٤/٠٢/٠٧ مـ إصدار النظام :مرسوم ملكي رقم (م/١١) بتاريخ ١٨ / ٢ / ١٤٣٥)

(٢) سورة البقرة .

(٣) سورة المائدة .

(٤) سورة المائدة .

(٥) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

تعريف الرشوة:

قال ابن حجر العسقلاني: الرشوة: بضم الراء وكسرها ويجوز الفتح وهي ما يؤخذ بغير عوض ويعاب أخذه، وقال ابن العربي: الرشوة كل مال دفع يبتاع به من ذي جاه عوناً على ما لا يحل، والمرتشي قابضه، والراشي معطيه، والرائش الواسطة.

قال الأمير الصنعاني: والراشي هو الذي يبذل المال ليتوصل به إلى الباطل، مأخوذ من الرشا وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء في البئر.

وقال أيضاً: وفي النهاية لابن الأثير قال: الراشي منْ يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي الآخذ، والرائش هو الذي يمشي بينهما، وهو السفير بين الدافع والآخذ على سفارته أجراً، فإن أخذ فهو أبلغ(أي: بالإثم والحرمة)(١).

أدلة تحريم الرشوة:

فالرشوة كسب خبيث وأكلٌ لأموال الناس بالباطل وإعانة على الظلم والعدوان وهدر لكرامة الإنسان لما يترتب عليها من ضياع الحقوق وفساد المجتمعات، وقد توعد رسول الله أكلة الرشوة والمتعاملين بها بالطرد والإبعاد عن مظانّ الرحمة كما جاءت الأحاديث مصرحة بذلك:

١- فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:(لعن رسول الله الراشي والمرتشي)(٢).

٢- وعن ثوبان رضي الله عنه قال:(لعن رسول الله الراشي والمرتشي والرائش: يعني الذي يمشي بينهما)(٣).

حكم هدايا العمال(٤) والحكام وعامة الناس:

١- فقد وردت أحاديث صحيحة بحرمة هدية الحاكم من قضاة ومسؤولين وغيرهم واعتبرت من الرشوة التي صرح النبي بحرمتها وأكل أموال الناس بالباطل وخصوصاً إذا كان هناك مصلحة للمُهدي عند

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٥ ، ص٣٠١ .
(٢) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٢٢١١ .
(٣) الألباني ، ضعيف الترغيب ، رقم الحديث ١٣٤٤ .
(٤) العمال هم الولاة في الولايات .

المهدي إليه، وبالأدلة الشرعية على حرمتها يتضح ذلك.

٢- وهناك من أباح هدية الحاكم لدفع ظلم أو تحقيق حق كما سيأتي.

٣- وهناك من أباح للمُهدي للحصول على حقه وحرّم على الآخذ وهو المهدى إليه.

والحق في ذلك أن الأحاديث الصحيحة تفيد الحرمة على الجميع: المهدي والمهدي إليه للأدلة الصريحة في التحريم والتحذير من ذلك:

١- فعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبيّة على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد، فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي، أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعرفنّ أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال: اللهم هل بلغت)[1] .

٢- وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ ، فَأَهْدَى لهُ هَدِيَّةً عليْها ؛ فَقَبِلَها ؛ فقد أَتَى بابًا عَظِيمًا من أبوابِ الرِّبا)[2].

٣- وعن حذيفة بن اليمان مرفوعاً: (هدايا العمال حرام كلها)[3]

٤- عن أبي حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هدايا العمال غلول[4]).

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لرشوة كبيرة من الكبائر، والرسول صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي؛ ولأنها تجر إلى الباطل، والظلم، وأكل الحرام، وخيانة المرشي؛ فلا يجوز

---

(١) الإمام البخاري ، صحصح البخاري ز رقم الحديث ٦٩٧٩ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٣٤٦٥ .
(٣) الألباني ، ضعيف الجامع ،رقم الحديث ٦٠٩١ .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث٧٠٢١ ، أخرجه أحمد (٢٣٦٠١)، والبزار (٣٧٢٣)، والطبراني كما في ((مجمع الزوائد)) للهيثمي (٥/٢٥٢

تعاطيها بالكلية، وهي دفع مال لمن يخون لك، ويعطيك غير حقك، أو يقدمك على غيرك من المستحقين من أجل رشوة، هذه الرشوة تعطيها الموظف حتى يعطيك غير حقك، وحتى يعمل لك ما لا يجوز، أو ما لا يقره النظام الذي لديه والعمل الذي لديه، والتعليمات التي لديه، وإنما حمله على ذلك ما دفعته له من المال، هذه يقال لها: الرشوة، فهي حرام عليك، وعليه جميعًا، وفي الحديث اللعن للراشي والمرتشي جميعًا، وهكذا إذا أعطيته إياها ليقدمك على ناس هم أحق منك بهذا الشيء الذي طلبت ولكن قدمك عليهم من أجل الرشوة هذا أيضًا من المنكر)[١] .

والرشوة من كبائر الذنوب ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ :(لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي)[٢]و"الراشي" هو معطي الرشوة ، و"المرتشي" هو آخذها ، فإذا استطعت إنهاء أعمالك من غير دفع للرشوة حرم عليه دفعها ، وإذا لم يستطع صاحب الحق أخذ حقه إلا بدفع رشوة فقد نص العلماء رحمهم الله على جواز دفعه للرشوة حينئذ ويكون التحريم على الآخذ لها لا المعطي ، واستدلوا بما رواه أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَسْأَلُنِي الْمَسْأَلَةَ فَأُعْطِيهَا إِيَّاهُ فَيَخْرُجُ بِهَا مُتَأَبِّطُهَا ، وَمَا هِيَ لَهُمْ إِلا نَارٌ ، قَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلِمَ تُعْطِيهِمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ يَأْبَوْنَ إِلا أَنْ يَسْأَلُونِي ، وَيَأْبَى اللَّهُ لِي الْبُخْلَ)[٤].

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي هؤلاء المال مع أنه حرام عليهم ، حتى يدفع عن نفسه مذمة البخل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فأما إذا أهدى له هدية ليكف ظلمه عنه أو ليعطيه حقه الواجب كانت هذه الهدية حراما على الآخذ ، وجاز للدافع أن يدفعها إليه ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (إني لأعطي أحدهم العطية ...الحديث)[٤].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٢٥٨٠ ، رواه أحمد (٦٧٩١)، . صححه الألباني في "إرواء الغليل" (٢٦٢١) .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ١٠٧٣٩ ، صححه الألباني في صحيح الترغيب (٨٤٤)ز
(٤) ابن تيمية و الفتاوى الكبرى ، ج٤ ، ص ١٧٤ .

وقال أيضا :" قَالَ الْعُلَمَاءُ : يَجُوزُ رِشْوَةُ الْعَامِلِ لِدَفْعِ الظُّلْمِ لا لِمَنْعِ الْحَقِّ ، وَإِرْشَاؤُهُ حَرَامٌ فِيهِمَا (يعني : أخذه للرشوة حرام) ، وَمِنْ ذَلِكَ : لَوْ أَعْطَى الرَّجُلُ شَاعِرًا أَوْ غَيْرَ شَاعِرٍ ؛ لِئَلا يَكْذِبَ عَلَيْهِ بِهَجْوٍ أَوْ غَيْرِهِ ، أَوْ لِئَلا يَقُولَ فِي عِرْضِهِ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ كَانَ بَذْلُهُ لِذَلِكَ جَائِزًا وَكَانَ مَا أَخَذَهُ ذَلِكَ لِئَلا يَظْلِمَهُ حَرَامًا عَلَيْهِ ؛ لأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ تَرْكُ ظُلْمِهِ ، فَكُلُّ مَنْ أَخَذَ الْمَالَ لِئَلا يَكْذِبَ عَلَى النَّاسِ أَوْ لِئَلا يَظْلِمَهُمْ كَانَ ذَلِكَ خَبِيثًا سُحْتًا ؛ لأَنَّ الظُّلْمَ وَالْكَذِبَ حَرَامٌ عَلَيْهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَهُ بِلا عِوَضٍ يَأْخُذُهُ مِنْ الْمَظْلُومِ فَإِذَا لَمْ يَتْرُكْهُ إلا بِالْعِوَضِ كَانَ سُحْتًا[1] .

وقال أيضا: قَالَ الْعُلَمَاءُ : إنَّ مَنْ أَهْدَى هَدِيَّةً لِوَلِيِّ أَمْرٍ لِيَفْعَلَ مَعَهُ مَا لا يَجُوزُ كَانَ حَرَامًا عَلَى الْمَهْدِيِّ وَالْمُهْدَى إلَيْهِ . وَهَذِهِ مِنْ الرَّشْوَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي) .

فَأَمَّا إذَا أَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً لِيَكُفَّ ظُلْمَهُ عَنْهُ أَوْ لِيُعْطِيَهُ حَقَّهُ الْوَاجِبَ : كَانَتْ هَذِهِ الْهَدِيَّةُ حَرَامًا عَلَى الآخِذِ وَجَازَ لِلدَّافِعِ أَنْ يَدْفَعَهَا إلَيْهِ كَمَا ، كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (إنِّي لأُعْطِي أَحَدَهُمْ الْعَطِيَّةَ فَيَخْرُجُ بِهَا يَتَأَبَّطُهَا نَارًا . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ تُعْطِيهِمْ ، قَالَ : يَأْبَوْنَ إلا أَنْ يَسْأَلُونِي ، وَيَأْبَى اللَّهُ لِي الْبُخْلَ) .

وَمِثْلُ ذَلِكَ : إعْطَاءُ مَنْ كَانَ ظَالِمًا لِلنَّاسِ ، فَإِعْطَاءُه جَائِزٌ لِلْمُعْطِي ، حَرَامٌ عَلَيْهِ أَخْذُهُ .

وَأَمَّا الْهَدِيَّةُ فِي الشَّفَاعَةِ : مِثْلُ أَنْ يَشْفَعَ لِرَجُلِ عِنْدَ وَلِيِّ أَمْرٍ لِيَرْفَعَ عَنْهُ مَظْلِمَةً أَوْ يُوَصِّلَ إلَيْهِ حَقَّهُ أَوْ يُوَلِّيَهُ وِلَايَةً يَسْتَحِقُّهَا أَوْ يَسْتَخْدِمُهُ فِي الْجُنْدِ الْمُقَاتِلَةِ – وَهُوَ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ – أَوْ يُعْطِيَهُ مِنْ الْمَالِ الْمَوْقُوفِ عَلَى الْفُقَرَاءِ أَوْ الْفُقَهَاءِ أَوْ الْقُرَّاءِ أَوْ النُّسَّاكِ أَوْ غَيْرِهِمْ – وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الِاسْتِحْقَاقِ . وَنَحْوَ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ الَّتِي فِيهَا إعَانَةٌ عَلَى فِعْلٍ وَاجِبٍ أَوْ تَرْكُ مُحَرَّمٍ : فَهَذِهِ أَيْضًا لا يَجُوزُ فِيهَا قَبُولُ الْهَدِيَّةِ وَيَجُوزُ لِلمهْدِي أَنْ يَبْذُلَ فِي ذَلِكَ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إلَى أَخْذِ حَقِّهِ أَوْ دَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُ . هَذَا هُوَ الْمَنْقُولُ عَنْ السَّلَفِ وَالأَئِمَّةِ الأَكَابِرِ)[2] .

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٩ ، ص ٢٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، ج٣١ ، ص ٢٧٨ .

وقال تقي الدين السبكي رحمه الله : (والمراد بالرشوة التي ذكرناها ما يعطى لدفع حق أو لتحصيل باطل ، وإن أعطيت للتوصل إلى الحكم بحق فالتحريم على من يأخذها ، وأما من يعطيها فإن لم يقدر على الوصول إلى حقه إلا بذلك جاز ، وإن قدر إلى الوصول إليه بدونه لم يجز)[١].

وقال السيوطي في (الأشباه والنظائر) : القاعدة السابعة والعشرون : (ما حرم أخذه حرم إعطاؤه) كالربا ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن والرشوة ، وأجرة النائحة والزامر ، ويستثنى صور : منها : الرشوة للحاكم ، ليصل إلى حقه ، وفك الأسير ، وإعطاء شيء لمن يخاف هجوه[٢].، و(حلوان الكاهن)": ما يأخذه الكاهن مقابل كهانته .

وقال الحموي في (غمز عيون البصائر) : القاعدة الرابعة عشرة : (ما حرم أخذه حرم إعطاؤه) كالربا ، ومهر البغي ، وحلوان الكاهن ، والرشوة ، وأجرة النائحة والزامر ، إلا في مسائل : الرشوة لخوفٍ على ماله أو نفسه ، وهذا في جانب الدافع أما في جانب المدفوع له فحرام " انتهى بتصرف ، وجاء في (الموسوعة الفقهية) : وفي (الأشباه) لابن نجيم (حنفي) ، ومثله في (المنثور) للزركشي (شافعي) : ما حرم أخذه حرم إعطاؤه ، كالربا ومهر البغي وحلوان الكاهن والرشوة للحاكم إذا بذلها ليحكم له بغير الحق ، إلا في مسائل : في الرشوة لخوفٍ على نفسه أو ماله أو لفك أسير أو لمن يخاف هجوه).وقال الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي : " إذا تعينت الرشوة دون غيرها سبيلاً للوصول إلى الغرض جاز الدفع للضرورة ، ويحرم على الآخذ ، والخلاصة : أنه يجوز لك دفع الرشوة ويكون التحريم على الموظف الذي يأخذها ، لكن **بشرطين** :

١- أن تدفعها لتأخذ حقك أو لتدفع بها الظلم عن نفسك ، أما إذا كنت تدفعها لتأخذ ما لا تستحق فهي حرام ، ومن كبائر الذنوب .

٢- ألا يكون هناك وسيلة أخرى لأخذ حقك أو دفع الظلم عنك إلا بهذه الرشوة .

---

(١) السبكي ، فتاوى السبكي ، ج١ ، ص ٣٠٤ .
(٢) السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ص ١٥٠ .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٥ م.

ولتوضيح ذلك فقد قال تحدث بعض أهل العلم :

١- الرشوة التي يصل بها صاحب الحقِّ إلى حقِّه، وهي رشوة لا يمكن لصاحب الحق أن يصل إلى حقِّه إلَّا بها، وهي رشوة محرَّمة على من يأخذها لا على من يدفعها.

٢- الرشوة التي يدفعها الإنسان مقابل أن يأخذ حقَّه وهو قادر على أن يأخذه من دون أن يدفعها فهذه الرشوة محرّمة على الطرفين.

٣- الرشوة التي يدفعها الإنسان خوفًا على نفسه من أي خطر، فهي حرام على الآخذ أيضًا وغير محرمة على من يدفعها(١).

س٩٣ لماذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم أكثر شعبان ؟.

ج٩٣: يستحب إكثار الصيام في شهر شعبان ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله .

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ إِلا أَنَّهُ كَانَ يَصِلُ شَعْبَانَ بِرَمَضَانَ ،ولفظ أبي داود : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إِلا شَعْبَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَانَ)(٢) ، فظاهر هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شهر شعبان كله ، لكن ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان إلا قليلاً .

روى مسلم عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَامَ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلا قَلِيلا)(٣).

فاختلف العلماء في التوفيق بين هذين الحديثين :

---

(١) موقع حزب الوفد .

(٢) رواه أحمد (٢٦٠٢٢) ، وأبو داود (٢٣٣٦) والنسائي (٢١٧٥) وابن ماجه (١٦٤٨)، . صححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٤٨) .

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٥٦ .

١- ذهب بعضهم إلى أن هذا كان باختلاف الأوقات ، ففي بعض السنين صام النبي صلى الله عليه وسلم شعبان كاملاً ، وفي بعضها صامه النبي صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً . وهو اختيار الشيخ ابن باز رحمه الله[١] .

٢- ذهب آخرون إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكمل صيام شهر إلا رمضان ، وحملوا حديث أم سلمة على أن المراد أنه صام شعبان إلا قليلاً ، قالوا : وهذا جائز في اللغة إذا صام الرجل أكثر الشهر أن يقال : صام الشهر كله ، قال الحافظ :إن حديث عائشة ، يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ فِي حَدِيث أُمّ سَلَمَة (أَنَّهُ كَانَ لا يَصُوم مِنْ السَّنَة شَهْرًا تَامًّا إِلا شَعْبَانَ يَصِلُهُ بِرَمَضَان) أَيْ : كَانَ يَصُوم مُعْظَمَهُ ، وَنَقَلَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ اِبْن الْمُبَارَك أَنَّهُ قَالَ : جَائِزٌ فِي كَلام الْعَرَب إِذَا صَامَ أَكْثَرَ الشَّهْرِ أَنْ يَقُولَ صَامَ الشَّهْرَ كُلَّهُ ...وقال الطِّيبِيُّ : يُحْمَل عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَصُوم شَعْبَان كُلّه تَارَة وَيَصُوم مُعْظَمَهُ أُخْرَى لِئَلا يُتَوَهَّم أَنَّهُ وَاجِب كُلّه كَرَمَضَانَ . ثم قال الحافظ : وَالأَوَّل هُوَ الصَّوَاب[٢] .

يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم شعبان كاملاً . واستدل له بما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : (وَلا أَعْلَمُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ ، وَلا صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ ، وَلا صَامَ شَهْرًا كَامِلا غَيْرَ رَمَضَانَ)[٣] ،وبما رواه البخاري ومسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (مَا صَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا كَامِلا قَطُّ غَيْرَ رَمَضَانَ)[٤] .

وقال السندي في شرحه لحديث أم سلمة: (يَصِل شَعْبَان بِرَمَضَان) أَيْ : فَيَصُومهُمَا جَمِيعًا ، ظَاهِره أَنَّهُ يَصُوم شَعْبَان كُلّه . . . لَكِنْ قَدْ جَاءَ مَا يَدُلّ عَلَى خِلافه ، فَلِذَلِكَ حُمِلَ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَصُوم غَالِبه فَكَأَنَّهُ يَصُوم كُلّه وَأَنَّهُ يَصِلهُ بِرَمَضَان)

---

(١) الشيخ ابن باز ، الفتاوى ، ج١٥ ، ص ٤١٦ .
(٢) العظيم أبادي ، عون المعبود ، ج٦ ، ص ٣٢٩ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٤٦ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١٥٧ ، وعند الإمام البخاري برقم ١٩٧١ .

فإن قيل : ما الحكمة من الإكثار من الصيام في شهر شعبان ؟ فالجواب : قال الحافظ : الأَوْلَى فِي ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ اِبْن خُزَيْمَةَ عَنْ أُسَامَة بْن زَيْدٍ قَالَ : (قُلْت : يَا رَسُول اللَّه ، لَمْ أَرَك تَصُومُ مِنْ شَهْر مِنْ الشُّهُور مَا تَصُوم مِنْ شَعْبَان ، قَالَ : ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاس عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَان ، وَهُوَ شَهْر تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَال إِلَى رَبّ الْعَالَمِينَ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ)[1] ، [2] .

س٩٤: لماذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإحياء ليلة النصف من شعبان ؟.

ج ٩٤: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : قال الله تعالى: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... (٣))[3] وقال تعالى :(أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١))[4].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[5] .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبة يوم الجمعة : (أما بعدُ فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ -ورد بزيادةِ- وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.)[6].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وهي تدل دلالة صريحة على أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل لهذه الأمة دينها ، وأتم عليها نعمته ولم يتوف نبيه عليه الصلاة والسلام إلا عندما بلّغ البلاغ المبين ، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال ، وأوضح صلى

---

(١) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٢٢٢١ ، وقال عنه حديث حسن .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ١٣٧٢٩ ، في : ٢٣ / ٨ / ٢٠٠٦ م.
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة الشورى .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧١٨ .
(٦) ابن باز ، فتاوى نور على الدرب ، ج٣ ، ص ١٠٠ .

الله عليه وسلم : أن كل ما يحدثه الناس بعده وينسبونه للإسلام من أقوال وأعمال ، فكله مردود على من أحدثه ، ولو حسن قصده ، وقد عرف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الأمر ، وهكذا علماء الإسلام بعدهم ،فأنكروا البدع وحذروا منها كما ذكر ذلك كل من صنف في تعظيم السنة وإنكار البدعة ، كابن وضاح والطرطوشي ، وابن شامة وغيرهم .

ومن البدع التي أحدثها بعض الناس : بدعة الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وتخصيص يومها بالصيام ، وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه ، وقد ورد في فضلها أحاديث ضعيفة لا يجوز الاعتماد عليها ، وما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع ، كما نبّه على ذلك كثير من أهل العلم ، وسيأتي ذكر بعض كلامهم إن شاء الله .

وورد فيها أيضاً آثار عن بعض السلف من أهل الشام وغيرهم ، والذي عليه جمهور العلماء : أن الاحتفال بها بدعة ، وأن الأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة ، وبعضها موضوع ، وممن نبه على ذلك الحافظ ابن رجب في كتابه (لطائف المعارف) وغيره ، والأحاديث الضعيفة إنما يعمل بها في العبادات التي ثبت أصلها بأدلة صحيحة ، وأما الاحتفال بليلة النصف من شعبان فليس له أصل صحيح حتى يستأنس له بالأحاديث الضعيفة ، وقد ذكر هذه القاعدة الجليلة الإمام أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن الواجب رد ما تنازع فيه الناس من المسائل إلى كتاب الله عز وجل ، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حكما به أو أحدهما فهو الشرع الواجب الاتباع ، وما خالفهما وجب اطّرَاحه ، وما لم يرد فيهما من العبادات فهو بدعة لا يجوز فعلها ، فضلاً عن الدعوة إليها وتحبيذها ، كما قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩))[١].

---

(١) سورة النساء .

وقال تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١)﴾[٢] ، وقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾[٣] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وهي نص في وجوب رد مسائل الخلاف إلى الكتاب والسنة ، ووجوب الرضى بحكمهما ، وأن ذلك هو مقتضى الإيمان ، وخير للعباد في العاجل والآجل : (وأحسن تأويلاً) أي : عاقبة .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في كتابه : (لطائف المعارف) في هذه المسألة - بعد كلام سبق - : (وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام ، كخالد بن معدان ، ومكحول ، ولقمان بن عامر ، وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها ، وقد قيل : أنهم بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية ، .. وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز ، منهم عطاء ، وابن أبي مليكة ، ونقله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة ، وهو قول أصحاب مالك وغيرهم ، وقالوا : ذلك كله بدعة .. ولا يعرف للإمام أحمد كلام في ليلة النصف من شعبان ، ..) إلى أن قال رحمه الله : قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ..) .

وفيه التصريح منه بأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في ليلة النصف من شعبان .

وكل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعاً ؛ لم يجز للمسلم أن يحدثه في دين الله سواء فعله مفرداً أو في جماعة ، وسواء أسرّه أو أعلنه لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع .

---

(١) سورة الشورى .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة النساء .

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله ، في كتابه (الحوادث والبدع) ما نصه : (وروى ابن وضاح عن زيد بن أسلم قال : ما أدركنا أحداً من مشيختنا ولا فقهائنا يلتفتون إلى النصف من شعبان ، ولا يلتفتون إلى حديث مكحول ، ولا يرون لها فضلاً على ما سواها ، وقيل لابن أبي مليكة : إن زياداً النميري يقول : إن أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر ، فقال : لو سمعته وبيدي عصاً لضربته . وكان زياداً قاصاً) انتهى المقصود .

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في (الفوائد المجموعة) ما نصه : حديث : يا علي من صلى مائة ركعة ليلة النصف من شعبان ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ، و(قل هو الله أحد) عشر مرات ، إلا قضى الله له كل حاجة ... الخ وهو موضوع (أي مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم) ، وفي ألفاظه – المصرحة بما يناله فاعلها من الثواب – ما لا يمتري إنسان له تمييز في وضعه ، ورجاله مجهولون ، وقد روي من طريق ثانية كلها موضوعة ، ورواتها مجاهيل .

وقال في (المختصر) : حديث صلاة نصف شعبان باطل ، ولابن حبان من حديث علي : إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ضعيف .

وقال في (اللآلئ) : مائة ركعة في نصف شعبان بالإخلاص عشر مرات ... موضوع وجمهور رواته في الطرق الثلاث ، مجاهيل وضعفاء ، قال : واثنتا عشرة ركعة بالإخلاص ثلاثين مرة ، موضوع وأربع عشرة موضوع .

وقد اغتر بهذا الحديث جماعة من الفقهاء ، كصاحب (الإحياء) وغيره ، وكذا من المفسرين ، وقد رويت صلاة هذه الليلة – أعني : ليلة النصف من شعبان – على أنحاء مختلفة كلها باطلة موضوعة ، .. انتهى المقصود .

وقال الحافظ العراقي : (حديث : صلاة ليلة النصف ، موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذب عليه) .

وقال الإمام النووي في كتاب (المجموع) : (الصلاة المعروفة بـ : صلاة الرغائب ، وهي : اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان

مائة ركعة ، وهاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ، ولا يُغتر بذكرهما في كتاب (قوت القلوب) و (إحياء علوم الدين) ، ولا بالحديث المذكور فيهما ، فإن كل ذلك باطل ، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات في استحبابهما ، فإنه غلط في ذلك) .

وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتاباً نفيساً في إبطالهما ، فأحسن وأجاد ، وكلام أهل العلم في هذه المسألة كثير جداً ، ولو ذهبنا ننقل كل ما اطّلعنا عليه من كلامهم في هذه المسألة لطال بنا الكلام ، ولعل في ما ذكرنا كفاية ومقنعاً لطالب الحق .

ومما تقدم من الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم يتضح لطالب الحق : أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها ، وتخصيص يومها بالصيام ، بدعة منكرة عند أكثر أهل العلم ، وليس له أصل في الشرع المطهر ، بل هو مما حدث في الإسلام بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم ، ويكفي طالب الحق في هذا الباب وغيره قول الله عز وجل : اليوم أكملت لكم دينكم وما جاء في معناها من الآيات .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي ما جاء في معناه من الأحاديث ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تخصوا يومها بالصيام من بين الأيام ، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم .

فلو كان تخصيص شيء من الليالي بشيء من العبادة جائزاً ، لكانت ليلة الجمعة أولى من غيره ، لأن يومها هو خير يوم طلعت عليه الشمس ، بنص الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيصها بقيام من بين الليالي ، ذل ذلك على أن غيرها من الليالي من باب أولى لا يجوز تخصيص شيء منها من العبادة إلا بدليل صحيح يدل على التخصيص .

ولما كانت ليلة القدر وليالي رمضان يشرع قيامها والاجتهاد فيها ، نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وحث الأمة على قيامها ، وفعل ذلك بنفسه كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه .

فلو كانت ليلة النصف من شعبان ، أو ليلة أول جمعة من رجب ، أو ليلة الإسراء والمعراج بشرع تخصيصها باحتفال أو شيء من العبادة لأرشد النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إليه أو فعله بنفسه ولو وقع شيء من ذلك لنقله الصحابة رضي الله عنهم إلى الأمة ولم يكتموه عنها ، وهم خير الناس وأنصح الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورضي الله عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاهم .

وقد عرفت آنفاً من كلام العلماء : أنه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم شيء في فضل ليلة أول جمعة من رجب ، ولا في فضل ليلة النصف من شعبان فعلم أن الاحتفال بهما بدعة محدثة في الإسلام ، وهكذا تخصيصهما بشيء من العبادة بدعة منكرة ، وهكذا ليلة سبع وعشرين من رجب التي يعتقد بعض الناس أنها ليلة الإسراء والمعراج ، لا يجوز تخصيصها بشيء من العبادة ، كما لا يجوز الاحتفال بها للأدلة السابقة ، هذا لو عُلمت فكيف والصحيح من أقوال العلماء أنها لا تعرف ؟! وقول من قال : أنها ليلة سبع وعشرين من رجب ، قول باطل لا أساس له في الأحاديث الصحيحة ، ولقد أحسن من قال :

وخير الأمور السالفات على الهدى وشر الأمور المحدثات البدائع

والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للتمسك بالسنة والثبات عليها والحذر مما خالفها إنه جواد كريم[(١) ، (٢)] .

---

(١) بتصرّف واختصار من مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ج٢ ، ص ٨٨٢ – ٨٨٤ ، بدون تخريج للأحاديث كما أفعل عند النقل مما كتب رحمه الله تعالى .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب نشر في ٢٩ / ١ / ٢٠١٨ م.

س٩٥ : لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا انتصف شعبان فلا تصوموا ؟..

ج٩٥: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله وربما صامه إلا قليلًا، كما ثبت ذلك من حديث عائشة وأم سلمة.

أما الحديث الذي فيه النهي عن الصوم بعد انتصاف شعبان فهو صحيح كما قال الأخ العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني، والمراد به النهي عن ابتداء الصوم بعد النصف، أما من صام أكثر الشهر أو الشهر كله فقد أصاب السنة[(١)] .

يقول د. عمر المقبل : (النهي عن صيام يوم النصف من شعبان وما بعده ورد في حديث مشهور عند العلماء، ونظراً لكثرة الكلام فيه، ولاختلاف المحدثين فيه ما بين مصحح ومضعف، فيفصل الكلام منه قليلاً بما يناسب المقام.

وقبل تفصيل الكلام، أذكر خلاصة القول في هذا الحديث، ثم أتبعه بالتفصيل:

١- أن هذا الحديث مداره على العلاء بن عبد الرحمن، وهو صدوق ربما وهم، وقد تفرد بهذا الحديث عن أبيه.

٢- أن العلماء اختلفوا في صحة هذا الحديث وضعفه، فالذين صححوه أخذوا بظاهر السند، والذين ضعفوه أعملوا أموراً أخرى غير ظاهر السند، تتعلق بالمتن؛ حيث رأوا أنه معارض لأحاديث قولية وفعلية أصح منه وأثبت كما سيأتي تفصيله.

٣- أن اختلاف العلماء في صحته وضعفه، انبنى عليه اختلافهم في حكم صيام ما بعد النصف من شعبان، هل هو حرام أو مكروه أو مباح؟ كما ستأتي الإشارة إليه.

أما تفصيل الكلام عليه فهو كما يلي:

الحديث رواه باب في كراهية ذلك (أي وصل شعبان برمضان) من طريق عبد العزيز بن محمد - وهو الدراوردي - قال: (قدم عباد بن كثير المدينة، فمال إلى مجلس العلاء، فأخذ بيده فأقامه، ثم قال: اللهم إن هذا يحدث عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا انتصف شعبان فلا تصوموا) فقال العلاء: اللهم إن أبي حدثني عن

---

(١) مجلة (الدعوة) العدد ١٤٣٧ بتاريخ ١٤١٤/١١/٣هـ، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٥/ ٣٨٤).

أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك)[١].

والحديث مداره على العلاء بن عبد الرحمن، مختلف فيه، وبالنظر في كلام الأئمة فيه نجد أن عبارة الحافظ ابن حجر فيه قد لخصت هذه الأقوال، وهي قوله (صدوق ربما وهم)[٢].

وأما أبوه: فثقة؛ كما قال الذهبي[٣]، وابن حجر[٤]، ووتنظر بعض أقوال الأئمة فيه في تهذيب الكمال[٥].

وقد أخرجه كثير من علماء السلف[٦] .

الحكم عليه:

إسناد أبي داود رجاله ثقات سوى الدراوردي والعلاء بن عبد الرحمن ،أما الدراوردي فلا يضره ما عنده من الأوهام؛ لأنه توبع من أئمة.

وقد اختلفت أنظار الأئمة في الحكم على هذا الحديث، فمنهم من صححه، ومنهم من ضعفه واستنكره، فأما من صححه فمنهم:

١- الترمذي حيث قال: (حسن صحيح، لا نعرفه إلا من هذا الوجه على هذا اللفظ)[٧]

---

(١) أبو داوود ، سنن ابي داوود ، ج٢ ، ص ٧٥١ ، رقم الحديث ٢٣٣٧ .
(٢) ابن حجر ، التقريب و رقم الحديث ٥٢٤٧ .
(٣) الذهبي ، الكاشف ، ج١ ، ص ٦٤٩ .
(٤) ابن حجر ، التقريب ، رقم الحديث ٤٠٤٦ .
(٥) المزي ، تهذيب الكمال ، ج١٨ ، ص ١٨ .
(٦) انظر (الترمذي:١١٥/٣)، باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الثاني من شعبان ح(٧٣٨)، وأخرجه النسائي في (الكبرى: ١٧٢/٢)، باب صيام شعبان ح(٢٩١١)، و(ابن ماجة: ٥٢٨/١) باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم ح(١٦٥٠)، و(عبد الرزاق:١٦١/٤) في(٧٣٢٥)، و(ابن أبي شيبة:٢٨٥/٢) ح(٩٠٢٦)، و(أحمد:٤٤٢/٢)، وأبو عوانة (٩٨)، و(ابن حبان:٣٥٦/٨) ح(٣٥٨٩)، وفي(٣٥٨/٨) ح(٣٥٩١)، و(البيهقي:٢٠٩/٤)، من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به بنحوه.
وأخرجه الطبراني في (الأوسط: ٣١٢/٢) ح(١٩٥٧) من طريق عبيد الله بن عبد الله المنكدري، قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده (عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر بن محمد بن المنكدر) عن عبد الرحمن بن يعقوب به بنحوه.
وأخرجه ابن عدي في(الكامل: ٢٢٤/١) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى، عن محمد بن المنكدر، والعلاء بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن يعقوب به بنحوه.
(٧) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٣ ، ص ١١٥ .

٢- الطحاوي في شرح المعاني[1].

٣- أبو عوانة حيث أخرجه في (مستخرجه على صحيح مسلم)[2]

٤- ابن حبان[3] .

٥- ابن عبد البر في(الاستذكار[4].

٦- ابن حزم[5] .

٧- قال الحافظ ابن رجب في (اللطائف) عقب حكاية التصحيح عن هؤلاء الأئمة: (وتكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء وأعلم، وقالوا: هو حديث منكر، منهم عبد الرحمن بن مهدي، والإمام أحمد، وأبو زرعة، والأثرم، وقال الإمام أحمد: لم يرو العلاء أنكر منه، ورده بحديث: (لا تقدموا رمضان بصوم يوم...)[6].

٨- وقد نقل أبو داود عقب إخراجه الحديث عن ابن مهدي أنه كان لا يحدث بهذا الحديث، وهذا ظاهر في إنكاره إذ لم يحدث به الإمام أحمد.

٩- وأما إنكار أبي زرعة، فقد نقله البرذعي في سؤالاته[7].

١٠- ونقل أبو عوانة في (مستخرجه) أن عفان بن مسلم كان يستنكره أيضاً.[8]

١١- ونقل أبو عوانة أيضاً – وذكره الحافظ ابن حجر في (الفتح) أن ابن معين قال عنه: منكر[9].

١٢- وإنكار أحمد للحديث نقله عنه المروذي في سؤالاته[10].

---

(١) الطحاوي ، شرح المعاني ، ج٢ ، ص ٨٣ .
(٢) أبو عوانة ، مستخرج أبو عوانة على صحيح مسلم ، ص ٩٨ .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج٨ ، ص ٣٥٨ .
(٤) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج١٠ ، ص ٢٣٨ .
(٥) ابن حزم ، المحلى ، ج٣٥ .
(٦) ابن رجب ، اللطائف ، ص ٢٦٠ .
(٧) البرذعي ، السؤالات ، ج٢ ، ص ٣٨٨ .
(٨) أبو عوانه ، المستخرج ص ٩٨
(٩) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ، ص ١٥٣ .
(١٠)المروذي ، السؤالات ، رقم ٢٧٣ .

١٣- وقال النسائي عقب إخراج الحديث فيالسنن الكبرى:: (لا نعلم أحداً روى هذا الحديث غير العلاء بن عبد الرحمن)[١]

١٤- وقال الخليلي في الإرشاد عن العلاء: "مديني، مختلف فيه؛ لأنه يتفرد بأحاديث لا يتابع عليها – ثم ذكر حديث الباب، ثم قال: - وقد أخرج مسلم في الصحيح المشاهير من حديثه دون هذا والشواذ[٢] .

١٥- وأشار البيهقي إلى ضعفه[٣].

١٦- وما ذكره الخليلي، فيه إشارة واضحة، أن مسلماً أعرض عن حديثه لما فيه من النكارة، مع أنه أخرج من هذه السلسلة: العلاء عن أبيه كثيراً، وقد أشار إلى هذا السخاوي[٤]، كما في الأجوبة المرضية[٤].

١٧- وما ذكره بعض الأئمة من تفرد العلاء به، لا يعكر عليه ما رواه الطبراني – كما سبق تخريجه- من طريق محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يعقوب؛ لأن هذه الطريق **معلولة بثلاثة أمور**:

الأول: أن فيها المنكدر بن محمد المنكدر، وقال عنه أبو حاتم:(كان رجلاً صالحاً لا يفهم الحديث، وكان كثير الخطأ، ولم يكن بالحافظ لحديث أبيه"، وقال عنه أبو زرعة: "ليس بقوي"، وقال ابن معين: "ليس بشيء"، وقد وثقه أحمد في رواية أبي طالب، نقل ذلك كله)[٥] .

الثاني: أن الطبراني قال عقب إخراج الحديث: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر إلا ابنه المنكدر، تفرد به ابنه عبد الله) ، فهو مع ضعفه تفرد أيضاً.

الثالث: قال ابن عدي في(الكامل في الضعفاء عن هذه السلسلة – عبيد الله بن عبد الله

---

(١) النسائي ، السنن الكبرى ، ج٢ ، ص ١٧٢ .
(٢) الخليلي ، الإرشاد ، ج١ ، ص ٢١٨ .
(٣) البيهقي ، سنن البيهقي ، ج٤ و ص ٢٠٩ .
(٤) السخاوي ، الأجوبة المرضية ، ج١ ، ص ٣٧ .
(٥) أبن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٨ ، ص ٤٠٦ .

المنكدري قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده: وهذه نسخة حدثناه ابن قديد، عن عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر بن محمد، عن أبيه عن جده، عن الصحابة وعن غيرهم، وعامتها غير محفوظة[1].

وأما الطريق التي أخرجها ابن عدي من طريق إبراهيم بن أبي يحي، فلا أثر لها؛ لأن إبراهيم هذا متروك الحديث[2].

وبعد: فإن اختلاف أهل العلم بالحديث في الحكم على هذا الحديث انسحب على المسألة فقهياً، فقد اختلف العلماء في حكم الصوم بعد منتصف شعبان.

فمن صح عنده هذا الحديث :

١- حكم بكراهة صوم السادس عشر من شعبان وما بعده.

٢- وبعضهم صرّح بالتحريم كابن حزم في(المحلى[3] ، إلا أنه خص النهي بصيام اليوم السادس عشر فقط .

ومن ضعّف هذا الحديث لم يقل بالكراهة كما هو قول جمهور العلماء، محتجين بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين، إلا رجل كان يصوم صوماً فليصمه)[4].

وقد احتج بهذا الحديث الإمام أحمد بهذا الحديث على ضعف حديث النهي عن الصوم بعد النصف، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا أنتصف شعبان فلا تصوموا .

ويمكن أن يعلل الحديث أيضاً بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله

---

(١) ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ، ج٦ ، ص ٤٥٥ .

(٢) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص ٥٧ ، وابن حجر في التقريب ص ٩٣ .

(٣) ابن حزم ، المحلى ، ج٧ ، ص ٢٥ .

(٤) أخرجه (البخاري:٣٤/٢) باب لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين ح(١٩١٤)، و(مسلم:٧٦٢/٢) ح(١٠٨٢) واللفظ له، و(أبو داود:٧٥٠/٢)، باب فيمن يصل شعبان برمضان ح(٢٣٣٥)، و(الترمذي:٦٩/٣)، باب ما جاء "لا تقدموا الشهر بصوم" ح(٦٨٥)، و(النسائي:١٤٩/٤) باب التقدم قبل شهر رمضان ح(٢١٧٢، ٢١٧٣)، و(ابن ماجة:٥٢٨/١) باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم ح(١٦٥٠)، من طرق عن يحي بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة.

صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان[1] ، ومقتضى هذا بلا شكأنه كان يصوم شيئاً من الأيام بعد منتصفه.

ومما ضُعف به حديث العلاء أيضاً: الأحاديث الدالة على جواز صوم يوم وإفطار، بعضها في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وهي مشهورة كثيرة.

وقد أجاب بعض المصححين لحديث العلاء بأن النهي محمول على من لم يبتدئ صيامه إلا بعد النصف، أما من كان يصوم قبل النصف واستمر فلا يشمله النهي، ومنهم من حمل النهي على من يضعفه الصوم عن القيام بحق رمضان.

والظاهر والله أعلم هو رجحان قول الأئمة الذين حكموا عليه بالنكارة والضعف؛ **لسببين**:

السبب الأول: لكونهم أعلم ممن صحّحه.

السبب الثاني: لقوة الأدلة التي تخالفه، كحديث أبي هريرة، وعائشة، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم، ومما يقوي هذا (ضعفه) أن الإمام مسلماً رحمه الله كان يخرج من سلسلة العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة كثيراً، فما باله أعرض عن هذا الحديث؟! الأمر كما قال الخليلي – كما سبق نقل كلامه – إنما هو لشذوذ هذا الحديث.

وبناءِ عليه يقال: إن الصيام بعد النصف من شعبان لا يحرم ولا يكره، إلا إذا بقي يومان أو يوم، وليس للإنسان عادة في الصيام، فإنه ينهى عن ذلك لدلالة حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والله تعالى أعلم[2]، [3].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٥٠ ، رقم الحديث ١٩٦٩ ، والإمام مسلم في صحيحه ، ج٢ ، ص ٨١٠ ، رقم الحديث ١١٥٦ ، وأبو داوود في سننه ، ج٢ و ص ٨١٣ ، رقم الحديث ٢٤٣٤ .

(٢) وللمزيد ينظر: (شرح معاني الآثار للطحاوي: ٨٢/٢ – ٨٧)، و(تهذيب سنن أبي داود لابن القيم – مطبوع مع مختصر السنن للمنذري: ٢٢٣/٣ –٢٢٥)، و(فتح الباري: ١٥٣/٤) شرح الحديث(١٩١٤)، و(تحفة الأحوذي: ٢٩٦/٣).

(٣) د. عمر المقبل ، الموقع الرسمي .بتصرف واختصار .

س٩٦: لماذا نهى الإسلام عن السباب واللعان والشتائم ؟.

ج٩٦: من محاسن الإسلام، ومقاصده العظام، تحسينُ الأخلاق، وتقويم السلوك، وتزكية النفوس، وتهذيب الطباع؛ قال تعالى :(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠))[١] وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)[٢].

وإنه من محاسن الأخلاق التي رغَّب فيها ديننا الحنيف صَوْنُ عن اللسان عن القبائح والمنكرات، وعن المعاصي والزلَّات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يُدخِلُ الناس الجنة، فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسُئل عن أكثر ما يُدخِل الناس النار، فقال: الفمُ والفَرْجُ)[٣] .

وذلك لأن الفم يصدر منه الكفر والغيبة والنميمة، ورميَ الغير في المهالك، وإبطال الحق، وإبداء الباطل وغير ذلك مما أشار إليه الشارع بقوله: (وهل يُكِبُّ الناس على وجوههم – أو قال: على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم)[٤].

ولذلك وجب على المؤمن أن يصون لسانه، وأن يكسوَ ألفاظه أحسنها؛ فعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما شيءٌ أثقلُ في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء)[٥]، وهو الذي يتلفظ بالكلام الذي يقبح ذكره ويُستحيى منه[٦].

وإنه من أهم ما ينبغي صون اللسان عنه السبُّ والشَتْمُ، وإن أسوأ السبِّ:

١- سبُّ الوالدين: فعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من أكبر الكبائر والذنوب أن يسبَّ الرجل والديه في الإسلام،

---

(١) سورة الشمس .
(٢) البيهقي ، السنن الكبرى ، رقم الحديث ، ٢٠٧٨٢ ، باب مكارم الأخلاق .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٠٠٤ .
(٤) ابن علان ، دليل الفالحين ، ج٥ و ص ٨٢ .
(٥) الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٧ ، ص ٣٠٤٤ .
(٦) الهروي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج: ٧، ص: ٣٠٤٤

قيل: يا رسول الله، وكيف يسب والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه)[١].

والحكمة من وراء النهي عن سب الوالدين أن سبَّهما فيه استخفاف بحقهما الذي أوجبه الله لهما في قوله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ..(٢٣))[٢]، وكل إساءة لهما عقوق؛ وفي الحديث عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: (قلنا لعلي بن أبي طالب، أخبرنا بشيء أسرَّه إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أسرَّ إليَّ شيئًا كتمه الناس، ولكني سمعته يقول: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدِثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار)[٣].

٢- سب المؤمنين والتعرض لأعراضهم: فعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سِبابُ المسلم فسوق)[٤] ، هذا الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق،، (وقتاله كفر)[٥]، والفسوق في لسان العرب: (الخروج من الطاعة وواجب الشرع)[٦].

والحكمة من وراء النهي عن سب المسلمين: أن سبهم فيه انتهاك لحرمتهم، وهو أمرٌ حذَّرت منه الشريعة في نصوص كثيرة؛ منها: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨))[٧] ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرضه)[٨].

ولأن السب والشتم خَصلة تتنافى مع وصف الإسلام والإيمان؛ ففي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المؤمن بالطَّعَّان، ولا

---

(١) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٤١٢ .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٩٧٨ .
(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج: ٦، ص: ١٠٠.
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٦ .
(٦) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري ، ج٩ و ص ٢٤١ .
(٧) سورة الأحزاب .
(٨) الإمام مسلم ، صحيح مسلم و رقم الحديث ٢٥٦٤ .

باللَّعَّان، ولا الفاحش، ولا البذيء)[1].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم من سلِمَ المسلمون من لسانه ويده)[2].

ولأنه كذلك من الأمور التي تزرع العداوة والبغضاء بين المسلمين؛ قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣))[3] ؛ حيث "يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلامَ الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفِعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة؛ فإن الشيطان عدوٌّ لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة[4].

وهو كذلك من الأمور التي تؤدي بالعبد إلى الإفلاس يوم القيامة؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضَى ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار)[5] ، فذكر صلى الله عليه وسلم من أسباب الإفلاس الشتم.

وعليه؛ فإنه ينبغي للمؤمن ألَّا يسبَّ أحدًا من المسلمين بغير وجه حق ، قال النووي: (واعلم أن سباب المسلم بغير حق حرام)[6] ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب، قال: اضربوه، قال أبو هريرة: فمنَّا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف، قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: لا تقولوا

---

(١) الترمذي و سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٩٧٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤١ .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) ابن كثير ، التفسير ، ج٥ و ص ٨٧ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٨١ .
(٦) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١٦ ، ص ١٤١ .

هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان)[1]، وذلك لأن مراد الشيطان إذلال المسلم[2] .

٣- سب الأموات: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبُّوا الأموات؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)[3] .

والحكمة من وراء النهي عن سب الأموات أن المسلم له حرمة حيًّا وميتًا؛ وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كسر عظم الميت ككسره حيًّا)[4]، ولأن الأموات قد أفضوا إلى ما قدموا، أي: إلى ما عملوه من حسن أو قبيح، وقد ختم الله لأهل المعاصي من المؤمنين بخاتمة حسنة تخفى عن الناس، فمن سبَّهم فقد أثِمَ، ولا يجوز الشهادة لأحد بالنار ولا بالجنة، إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأن سب الأموات يؤذي الأحياء، ويُورِث العداوة؛ فعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء)[5] ، وأذية الحي محرمة؛ فيحرُم ما هو ذريعة إليها[6] .[7] .

س٩٦ : لماذا نهى الله تعالى عن سب الكافرين ؟.

ج٩٦: يقول اللّه تعالى ناهياً لرسوله صلى اللّه عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨))[8]، قال قتادة: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار، فيسب الكفار اللّه عدواً بغير علم، فأنزل اللّه هذه الآية .

وروى ابن جرير عن السدي أنه قال: لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحيي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعهم، فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل والنضر بن

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٧٧٧ .
(٢) ابن الجوزي ، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج: ٣، ص: ٥٢٣.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ١٣٩٣ .
(٤) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث ١٦١٦ .
(٥) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٩٨٢ .
(٦) الكحلاني الصنعاني ، التنوير شرح الجامع الصغير، ج: ١١، ص ١٠٣ .
(٧) الدخلاوي علال شبكة الالوكة ، نشر بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٢١ م - ١٤٤١/٤/٢٣ ه. بتصرف .
(٨) سورة الأنعام .

الحارث، وأمية وأُبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص، والأسود بن البختري، وبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب، قالوا: استأذن لنا على أبي طالب، فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك، فأذن لهم عليه فدخلوا، فقالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :)ما تريدون؟) قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : (أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها العجم، وأدت لكم الخراج)؟ قال أبو جهل: وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها، قالوا: فما هي؟ قال: (قولوا لا إله إلا اللّه)، فأبوا واشمأزوا، قال أبو طالب: يا ابن أخي، قل غيرها فإن قومك قد فزعوا منها، قال: (يا عم ما أنا بالذي يقول غيرها، حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي، ولو أتوا بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها) إرادة أن يؤيسهم، فغضبوا، وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتم من يأمرك، فذلك قوله: (فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) ومن هذا القبيل، وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها، ما جاء في الصحيح أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (ملعون من سب والديه)، قالوا: يا رسول اللّه وكيف يسب الرجل والديه؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه(، أو كما قال صلى اللّه عليه وسلم . وقوله: { كذلك زينا لكل أمة عملهم} أي وكما زينا لهؤلاء القوم حب أصنامهم والمحاماة لها والانتصار (كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ) ، أي من الأمم الخالية على الضلال (عَمَلَهُمْ) الذي كانوا فيه، وللّه الحجة البالغة والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ) أي معادهم ومصيرهم (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي يجازيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

---

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، تفسير سورة الأنعام .

س٩٧ : لماذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم البقاء في أماكن عذاب الأمم السابقة وهل يعني هذا أتن لا نكتشف آثار من سبقونا ؟.

ج٩٧ : جاء في موقع الدليل الفقهي إجابات وافية ، أوردها هنا :

(أرسل الله نبيه صالحاً عليه السلام إلى ثمود الذين آتاهم الله من القوة والبأس ما كانوا به يقطعون الصخر وينحتون الجبال ويتخذونها بيوتًا، وأرسل معه الناقة آية بينة مبصرة على صدق نبوته، فكذبوه واستهزئوا بعذاب الله وقتلوا الناقة، فعاقبهم الله بما أخبر في كتابه، فأمهلهم صالح عليه السلام ثلاثة أيام أصابهم بعدها عذاب الله وانتقامه (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣٣))[١]. وقال تعالى: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨))[٢] ، وإنما عنى بـ(الرجفة) ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهل العلم[٣] ، وقال تعالى: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ(٥))[٤] أي بالصيحة التي طغت وفاقت كل الصيحات كما رجح ابن جرير، فكان عذابهم بالصيحة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨))[٥]أي: صرعى لا أرواح فيهم وكانوا(كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣٣)) قال السدي: (هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحرق وتنسفه الريح)[٥].

حكم زيارة ديار ثمود:

أمر الله عز وجل عموماً بالسير في الأرض والاعتبار من أحوال من سبقنا ممن كذبوا رسلهم للاعتبار والعظة:

١- قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١١))[٦].

---

(١) سورة القمر .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) الطبري ، التفسير ، ج١٢ ، ص ٥٤٥ .
(٤) سورة الحاقة .
(٥) ابن كثير ، التفسير ، ج٧ ، ص ٤٨٠ .
(٦) سورة الأنعام .

٢- قال تعالى : ﴿وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)﴾[١] أي: أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجارًا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها[٢].

٣- وقال عن مكان عذاب قرية لوط التي أمطرت مطر السوء: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٣٨)﴾[٣] .

وورد النهي عن دخول ديار قوم ثمود خصوصًا:

١- عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين" ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي[٤] ، ومعنى تقنع: أي تستر بردائه.

٢- عن ابن عمر أيضًا: (أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة)[٥].

أحوال زيارة ديار ثمود:

ويمكن القول بأن زيارة ديار ثمود في الحجر لها حالتان:

١- زيارتها لمصلحة راجحة كالتفكر والاعتبار، أو التوثيق والتعلم والتعليم، أو الوعظ

---

(١) سورة الروم .
(٢) الطبري ، التفسير ، ج٢٠ ، ص ٧٨ .
(٣) سورة الصافات .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٤١٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٩٨٠ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٣٧٩ ، وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٢٩٨١ .

والتذكير: فهذا يجوز بشرط أن يكون السائح أو الزائر لها على حالة من الخشوع والتفكر والاعتبار والبكاء، وليس لمجرد المتعة بمشاهدة المباني والقصور ، ودليل جواز زيارتها للمصلحة أمور:

أ- عموم الأدلة الداعية للسير في الأرض والآمرة به مع التفكر والنظر في مصارع الأقوام السابقة، مثل قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٩))، وقوله: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١١))[٢]، ومعنى السير هو السير الحقيقي والسفر لتلك الأماكن، قال البغوي في تفسير السَّيْر المذكور: (أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا)[٣] ،وإن كان يدخل فيه السير بالأفهام والتفكر في ما يسمعه من الناس عن أحوال الأمم السابقة وهلاكها.

ب- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن زيارتها مطلقاً بل أباحه بشرط التفكر والخوف والاعتبار فقال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين"، قال ابن الجوزي رحمه الله في معنى البكاء الوارد في الحديث: إنما ينشأ البكاء عن التفكر، فكأنه أمرهم في التفكر في أحوال توجب البكاء)[٤] ، وهذا هو معنى النظر في عاقبة الظالمين المكذبين كما ورد في الآيات، وأكمل الاعتبار والتفكر يكون بالبكاء من خشية الله.

٢- زيارتها لمجرد التسلية والتعرف وربما تعظيم ما كانوا عليه بدون اعتبار ولا تفكر، مثل ما يقع لكثير من الناس: فلا شك في مخالفته لحديث رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة الروم .
(٢) سورة الأنعام .
(٣) البغوي ، تفسير البغوي ، ج٦ و ص ٢٦٢ .
(٤) ابن الجوزي ، كشف المشكل ، ج٢ و ص ٤٨٣ .

وسلم، ونهيه عن الدخول إلا على حالة الخوف والاعتبار والتفكر في قوله: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم" أي حتى لا يصيبكم ما أصابهم.

والراجح أن هذا النهي للتحريم كما عليه جمهور أهل العلم خلافاً لمن قال بالكراهة؛ فقد نهى الصحابة وهم في الجهاد عن الدخول إلا على هذه الصفة، فكيف لمن كان قصده النزهة لا غير، فالأصل في النهي التحريم ولا صارف له عن ذلك، ثم إن مخالفة النهي مخوفة بوقوع العذاب كما في الحديث[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأي تحريم أبين من هذا! قوم مجاهدون في سبيل الله في غزوة العسرة التي غلب عليهم فيها الحاجة، وهي غزوة تبوك التي لم يكن يحصي عددهم فيها ديوان حافظ، وخرجوا في شدة من العيش وقلة من المال، ومع هذا يأمرهم أن لا يأكلوا عجينهم الذي هو أعز أطعمتهم عندهم، فلو كان إلى الإباحة سبيل لكان أولئك القوم أحق الناس بالإباحة)[2].

التفكر المطلوب: معنى التفكر والاعتبار الذي يشترط لزيارة ديار ثمود:

١- التفكر في عظمة الله سبحانه وشدة نقمته وعذابه لمن كفر به وأنه شديد المحال، فكل من دخل أماكن العذاب أو مرّ بها فينبغي عليه أن يستصحب الخوف من الله، والاستشعار لعظيم نقمة الله عز وجل، وأنه الجبّار المنتقم، فإذا شاء أَخَذَ أَخْذَ عزيزٍ مقتدرٍ :(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون(٨٢))[3].

٢- الاعتبار بحال ثمود لما كفروا مع ما آتاهم الله من النعم والقوة، فاستحبوا العمى على الهدى، وضلوا بعد ما أرسل الله لهم الآيات والرسل، فما أغنت عنهم قوتهم وجبروتهم لما كفروا بالله، وكيف تعدى أثر وشؤم معصيتهم إلى المكان والماء والتراب.

---

(١) ابن رجب ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ٤٣٣ .
(٢) ابن تيمية ، شرح العمدة ، ج٤ ، ص ٥١١ .
(٣) سورة يس .

٣- الاعتبار بحال الزائر نفسه، وعظم نعمة الله عليه بتوفيقه للإيمان، واعتباره بغيره، وتمكينه من الاستدراك، وإمهاله مع العصيان، ومسامحته مع الزلل، فيستدرك ما فاته ويحاسب نفسه[١] .

وينبغي أن يكون الاعتبار والتفكر مصاحباً للزائر طوال زيارته ويذكر نفسه به، قال ابن حجر: "قوله: (إلا أن تكونوا باكين) ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول، بل دائمًا عند كل جزء من الدخول، وأما الاستقرار فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولوية[٢] ..

موقع ديار ثمود:

١- ديار ثمود في مدينة الحجر على بعد ٢٢كم، شمال شرق مدينة العلا، وهو المكان المعروف عند الناس بمدائن صالح، وما زال اسم الحجر منتشراً بين أهل تلك المنطقة إلى اليوم، وقد ذكر الحجر في القرآن (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ)، ومذكور في السنة كما في صحيح البخاري عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: "أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة[٣].

٢- وهذه هي المنطقة المعروفة المشهورة من قديم إلى يومنا، وهي أظهر وأشهر ما يراه السائر من الشام للحجاز، قال ابن كثير: "وثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريباً من وادي القرى، وكانت العرب تعرف مساكنهما جيداً، وتمر عليها كثيراً[٤]، بل قال البلقيني إن معرفة بئر الناقة معلوم بالتواتر إذ لا يشترط فيه الإسلام[٥] .

---

(١) ابن الجوزي و كشف المشكل ، ج٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ .
(٢) ابن رجب ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٥٣٠ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٣٧٩ .
(٤) ابن كثير ، التفسير ، ج٦ ، ص ٢٧٨ .
(٥) ابن رجب ، فتح الباري ، ج٦ ،ص ٣٨٠ .

٣- الحجر مدينة معروفة في طريق الحجاج، يعرف الناس بئر الناقة ويردون عليها ويستقون منها، إلى أن اندرس العلم ببئر الناقة في أزمان متأخرة، فصاروا يمرون على ديار ثمود ولا يعلمون أين هي بئر الناقة ، قال السفاريني رحمه الله: جزم علماؤنا أنه لا يباح من آبار ثمود إلا بئر الناقة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هي البئر الكبيرة التي يردها الحجاج في هذه الأزمنة -يعني أزمنته-، قلت: هي الآن مجهولة فقد سألت عنها (أي بئر الناقة) لما مررنا بها في ذهابنا وإيابنا سنة حجنا، وهي سنة ألف ومائة وثمانية وأربعين، فلم يخبرني بها أحد)[١].

٤- ثم هي تشمل جميع المباني في تلك المنطقة وما حولها كما قال ابن جرير: (وكانت مساكنها الحِجْر، بين الحجاز والشأم، إلى وادي القُرَى وما حوله)[٢].

٥- وصْف المؤرخون وعلماء البلدان للمنطقة وبنائها كله يشير إلى ما هو معروف اليوم بمدائن صالح، قال ياقوت الحموي: (والحِجْر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، قال الإصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان، وهو من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت منازل ثمود، قال الله تعالى: (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩))[٣]، قال: ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في أضعاف جبال، وتسمى تلك الجبال الأثالث، وهي جبال إذا رآها الرائي من بعد ظنها متصلة، فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل، لا تكاد ترتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها، لا يصعدها أحد إلا بمشقة شديدة، وبها بئر ثمود التي قال الله فيها وفي الناقة (لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ(١٥٥))[٤]، [٤]، فثبت لنا أنها بنايات في الجبال في مدينة الحجر في طريق المسافر من

---

(١) ابن تيمية ، شرح ثلاثيات أحمد ، ج١ ، ص ٥٢ .
(٢) ابن جرير ، جامع البيان ، ج١٢ ، ص ٥٢٤ .
(٣) سورة الشعراء .
(٤) سورة الشعراء .
(٥) الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٢١ .

الحجاز للشام، ومر بها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وأنها هي ديار ثمود قوم صالح عليه السلام، وما زال الناس يتناقلون الخبر عنها جيلاً بعد جيل من قبل الإسلام، على الظن الجازم الذي تحول إلى القطع بعد مرور النبي صلى الله عليه وسلم منها.

إشكالات حول المكان:

يستشكل بعض الناس ما يقوله بعض علماء الآثار من معلومات قد يظن لأول وهلة أنها تدفع أن تكون مدينة الحجر –أو ما يسمى اليوم مدائن صالح– هي ديار ثمود وقوم نبي الله صالح عليه السلام، ومن تلك الإشكالات:

الكتابات في الحجر نبطية ، يستشكل بعض الناس كون الرسوم والكتابات في الحجر من صنع الأنباط في القرن الثاني قبل الميلاد فكيف تكون هي ديار ثمود؟ فلا مانع من أن يكون سكن الحجر بعد ثمود اللحيانيون قبل ميلاد المسيح عليه السلام بتسعة قرون، ثم احتلها الأنباط في القرن الثاني قبل الميلاد، واتخذوا من بيوت الحجر معابد ومقابر وأعادوا زخرفتها ونسبوها لأنفسهم في نقوشهم وكتاباتهم، وجعلوها عاصمتهم الجنوبية، والبتراء عاصمتهم الشمالية(؟).

ومع ذلك يبقى لها أحكامها وتنسب لأهلها الأوائل؛ كما نسبها لهم النبي صلى الله عليه وسلم :(أن الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ثمود الحجر.... فقال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم)[1].

١- لا توجد آثار زلزال في الحجر: يقول البعض إنه لا توجد آثار زلزال في منطقة الحجر وما يسمى مدائن صالح، مع وجود آثار لزلزال في منطقة أخرى قريبة من الساحل ، ولتوضيح ذلك يقال: إن ديار ثمود التي مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر، كما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ(٨٠))[2]وعرفها

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٣٧٩.
(٢) سورة الحجر .

الناس قبل الإسلام وبعده إلى اليوم، وعذاب الله لثمود قوم صالح كان الصيحة وليست الزلزلة، كما في الآيات الصريحة الدالة على ذلك ، أما قوله تعالى: فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَة) فمعناه الصيحة القوية التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، وهو قول مجاهد والسدي وجمهور المفسرين، كما يسمي العرب الشيء العظيم بأسماء مختلفة، كل اسم دال على معنى فيه، كما سميت الصيحة أيضاً بالطاغية؛ لأنها طغت وتجاوزت غيرها ، قال ابن جرير: (القول في تأويل قوله: (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين) ، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين عقروا الناقةَ من ثمود الرجفة، وهي الصيحة ، والرجفة: الفعلة، من قول القائل: رجَف بفلان كذا يرجُفُ رجْفًا، وذلك إذا حرَّكه وزعزعه... وإنما عنى بـ(الرجفة) ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك؛ لأن ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهل العلم)[1] ، وإذا قيل بأن الرجفة هي الزلزلة كما قال بعض المفسرين، فالله قادر على إبقاء الديار كآية، وظاهر القرآن أن دورهم لم يصبها شيء، على الخلاف في معنى الدار في قوله تعالى: (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين)[2]. وربما أصلح الأنباط بعض آثار الزلزال، على أن الراجح أن الرجفة بمعنى الصيحة كما سبق.

٢- كانت الحجر طريقاً للحجاج ، حيث يشكل على البعض وجود عدد من أمارات التواجد والحراك السكاني في الحجر، كوجود سكة الحديد والقلعة، إضافة إلى أن فيها محطة لقوافل الحجيج واستراحاتهم، فكيف تكون هي المنطقة المنهي عن دخولها إلا على حال البكاء؟ ولتوضيح ذلك يقال: أما كونها طريقاً للحجاج فلا مانع من ذلك، وقد مرَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم - وإن لم ينزل-، وزيارة الناس لديار ثمود وكون الحجاج يقصدونها أثناء سيرهم للاعتبار والعظة لا بأس فيه كما ذكرنا،

---

(١) الطبري ، جامع البيان ، ج٢١ ، ص ٥٤٥ .
(٢) الطبري ، ج٢ ، ص ٥٤٥ .

بل قال تعالى عن موقع عذاب قوم لوط: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٣٨))[١] ، وقال تعالى: (وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ(٧٦))[٢]، ووجود عدد من القلاع هناك لا شك في جوازه إذا وجدت مصلحة راجحة، كالمحافظة على ماء بئر الناقة، أو حماية قوافل الحجاج، وجعل القلعة كمحطة راحة لهم.

ثم إنه لا يسوغ الاستدلال بفعل الناس على الحكم الشرعي، فقد ضيع البعض أهم شعائر الدين وأصوله، ولا يستدل أحد على صحة الفعل بوقوعه وكثرة فاعليه، فتجد الشركيات تنتشر في كثير من الأصقاع، ولا يمكن بحال الاستدلال بانتشار الطواف على القبور مثلاً على جواز ذلك قال تعالى : (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..(١١٦))[٣]، فالمرجع في ذلك للكتاب والسنة.

٣- أن تسميتها بمدائن صالح في العصور المتأخرة :سمى الله المنطقة بالحِجْر، وهو اسمها القديم المعروف إلى اليوم، ويمكن تسميتها بديار ثمود كما نسبها إليهم القرآن (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨))[٤]، ويسميها كثير من الناس اليوم مدائن صالح، وهي تسمية حادثة في العصور المتأخرة، وقد يكون ذلك من نسبة العوام المباني لنبي الله صالح عليه السلام المرسل إلى ثمود، أو يكون ما ذكره البرزالي صحيحاً في أنها نسبة لرجل اسمه صالح من بني العباس، والله أعلم بالصواب ، قال ابن ناصر الدين: (ومدائن صالح التي بالقرب من العلا في طريق الحاج من الشام بلد إسلامي، وصالح المنسوبة إليه من بني العباس بن عبد المطلب، وفيها قبور عليها نصائب تاريخها بعد الثلاث مئة، ذكره الحافظ أبو محمد القاسم ابن البرزالي فيما وجدته بخطه)[٥] ، [٦].

---

(١) سورة الصافات.
(٢) سورة الحجر .
(٣) سورة الأنعام .
(٤) سورة الأعراف .
(٥) ابن ناصر الدين الدمشقي ، توضيح المشتبه ، ج٨ ، ص ٩٧ .
(٦) موقع الدليل الفقهي.

وأقول أنا جامع ومعد هذا الكتاب ؛ وبالله التوفيق حسب ما فهمت من آيات القرآن الكريم وما رأيته في هذه المواقع وغيرها :

١- أن ثمودا خلفوا عادا في ديارهم كما أشار القرآن الكريم قال تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤))

٢- أن ديار عاد تقع في جنوبي الربع الخالي والتي تسمى الأحقاف قال تعالى : (واذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١))، ومعنى هذا أن ثمود خلفوا عادا في الأحقاف .

٣- أن الجبال الموجودة في جنوب شرقي جزيرة العرب تسمى جبال الحجر وبها آثار مهمة منها قبور بعض الأنبياء .

٤- أن هناك محافظة كاملة في الجمهورية اليمنية تسمى محافظة ثمود ؛ فمن أين جاءت التسمية لو لم يكن لثمود أثر هناك .

٥- أن مدائن صالح هي امتداد لديار الأنباط من وادي رم في الأردن ، بدليل كل النقوش والكتابات النبطية .

٦- لا يظهر في مدائن صالح أثر للعذاب .

٧- هذه النقوش والغرف المنحوتة في الصخر هي مقابر وليست بيوتا للسكن .

٨- سميت بمدائن صالح نسبة لأحد العباسيين اسمه (صالح).

٩- مرور النبي صلى الله عليه وسلم بها ثابت .

١٠- وأخيرا أرى ان تسميتها بالحجر ليست تسمية صحيحة .

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الأحقاف .

س٩٨ : لماذا نهى الإسلام عن الرهبانية ؟.

ج٩٨: الرهبنة والرهبانية في اللغة العربية تعني التخلي عن الدنيا والزهد فيها والابتعاد عن البشر والتفرغ للعبادة[١] .

الرهبانية هي الانفراد للعبادة، والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا، ويتسبب عن ذلك حملُ النفس على المشاق المضادة للفطرة والغرائز الإنسانية.

لم يأمر الله عز وجل المؤمنين بهجر المجتمع أو الفرار إلى الكهوف والمغارات والصحارى والأديرة ، ولم يدعوننا إلى العزلة والانفراد بالنفس عن الآخرين فليس في الإسلام ما يدعو إلى الرهبانية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تشددوا على أنفسكم، فيشدد الله عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار)، وقد ضرب الله لنا مثلا في الذين من قبلنا فرضوا على أنفسهم تبتلا ورهبانية ثم لم يقوموا بحقها)[٢] ، يقول الله تعالى : (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧))[٣] .

لقد دعا منهجنا الإسلامي السليم إلى مخالطة الناس الاحتكاك بهم وتحمل آذاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)[٤] .

فإذا كانت المخالطة أمر لازم لحياة البشر وكانت المخالطة شريعة من شرائع الإسلام وسننه

---

(١) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، الرهبانية

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤)، وأبو يعلى في المسند (٣٦٥/٦)، عن أنس، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة (٣٩٠/٦)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير (١٤٣٨١).

(٣) سورة الحديد .

(٤) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ٣٢٧٣ ،وأخرجه وأحمد (٥٠٢٢) باختلاف يسير .

فما منهج المسلم في هذه المخالطة؟ من أجل الإجابة على هذا السؤال الهام جاء المثل الذي ضربه الله تعالي عن هؤلاء النسوة الأربع: امرأة نوح ولوط وفرعون ومريم ، فماذا يقول المثل ؟ وما المنهج الذي يخطه الله للناس عند المخالطة ؟

يقول الله تعالى: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(١٢))[١].

فهذا مثل ضربه الله عز وجل وذكره ليعقل ويفهم . والأمثال في القرآن والسنة أسلوب من الأساليب التي تساق لبيان وتوضيح معنى من المعاني وحقيقة من الحقائق ، يراد لها أن تفهم وتعقل وتستقر في النفس وترسخ لتؤثر فيها و تتحول من مجرد مثل ومعنى إلى سلوك وعمل ، قال تعالى :(وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٢٥))[٢] ، وقال تعالى (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(٢١))[٣] .

فإذا ضرب الله مثلا فحق للناس أن يستمعوا وأن يتفكروا وأن يعقلوا وأن يتذكروا، وموضوع المثل ليس معصية النساء أو طاعتهن إنما المثل مثل للمخالطة والمعايشة المخالطة والمعايشة بين المؤمنين والكافرين وبين الطائعين والعاصين وبين الصالحين والفاسقين ، فهاتان المرأتان كانتا كافرتين وهما يعيشان تحت نبيين صالحين بل كان نوح من قادة الرسل ومقدميهم ، كانت الواحدة منهن تعايش النبي الكريم وتخالطه اشد الخلطة والمعاشرة ، تؤاكله وتشاربه وتجالسه وتضاجعه ، ومع ذلك قال الله عنهما (فخانتاهما) والخيانة هنا خيانة في الدين وهى كفرهما ومعصيتهما أمرهما وليست خيانة جنسية وليست خيانة فاحشة كما قال اِبْن عَبَّاس مَا

---

(١) سورة التحريم .
(٢) سورة إبراهيم .
(٣) سورة الحشر

بَغَتْ اِمْرَأَة نَبِيّ قَطُّ إِنَّمَا كَانَتْ خِيَانَتهمَا فِي الدِّين وهذا إجماع من المفسرين على هذا .

والقاعدة التي يخرج بها القرآن أن هذه المخالطة لم تغن عنهما شيئا (فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) . هذه هي القاعدة التي ضرب لها المثل . يعنى خالط من شئت من الصالحين وكن مع من شئت من أهل الخير والبر وانتمى إلى ما شئت من الطوائف والجماعات فإن مخالطتك ومعايشتك وانتماؤك لا يغنى عنك شيئا ما لم تكن أنت في نفسك صالحا .

الشق الثاني من المثل الذي ضربه الله تعالى عن المخالطة فهو قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)) ، فقد كان جبارا في الأرض ومن أكثر الناس عتوا وتكبرا وتجبرا حتى أنه ادعى الألوهية ، واستبد بقوته وجنوده ملكه وجبروته كما قال عنه تعالى (فتولى بركنه) ، وأذل واستضعف وقتل وشرد أتباع موسى ، ولكن زوجته آمنت وهى من هي في مكانتها هي سيدة المجتمع الأولى وهي المقربة من فرعون الطاغية تعايشه وتخالطه أشد المخالطة .

ومع هذا لم تفتنها تلك المخالطة ولم تصرفها عن إيمانها ولا عن التمسك به وهي في بيت فرعون بل في قصره وقصور فرعون فيها ما فيها من الرفاهية والزخرف والمتاع ما تشهد به آثارهم حتى الآن ، ولكنها انصرفت عن ذلك كله لم تشغلها المغريات ولا المتع ورفعت كفها داعية الله تعالى (قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) فقصور فرعون لم تلها عن غايتها هي تريد بيتا في الجنة بيتا عند الله لا عند فرعون (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١)).

وكذلك كانت مريم ابنة عمران مع قوم كافرين ولكن الله أنبتها نباتا حسنا واصطفاها وطهرها على نساء العالمين فكانت قانتة راكعة ساجدة حتى بلغت من المكانة

والعلو والكرامات ما لم ينله حتى زكريا كما قال تعالى (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حساب(٣٧))[١] .

منهج المسلم في المخالطة :

فالمثل المضروب هنا أن المؤمن إذا خالط وعايش مجتمعا عاصيا فاسقا أو كافرا فلا ينبغي أن يصرفه ذلك عن دينه وإيمانه بل ينبغي أن يكون كامرأة فرعون وكمريم تمسكن بدينهن وإيمانهن وهن في أشد المجتمعات كفرا وضلالا . وما أنفع هذا المثل للمسلمين في هذا العصر بل وفي كل عصر. فالعيش في مجتمعات تشيع فيها الفاحشة والرذيلة أو مجتمعات تحكمها العلمانية أو مجتمعات تحكمها تقاليد وموروثات جاهليه؛ ففي كل هذا الظلام لا ينبغي أن يصرف المرء عن دينه مهما تكن المغريات ومهما تكن المصاعب والمشكلات[٢] .

جاء في صيد الفوائد عن الربانية : (جاء الإسلام وزالت بمجيئه نظريات الرهبنة والتبتل والهروب إلى الصحاري والغابات وترك الأهل والأولاد واعتزال المجتمعات بحجة تطهير النفس وتربيتها وصار للرهبنة في الإسلام مفهوماً جديداً يخالف تماماً ذاك المفهوم الذي كان عليه سابقاً في العهود الماضية قبل الإسلام فقد صارت الرهبنة رمز الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى ومقارعة الأعداء والدخول في خضم المعارف بعد أن كانت رمزاً للخلوات المظلمة التي كثيراً ما تكون هذه الخلوات المظلمة مأوى لمردة الشياطين والتبتلات وقطع العلائق مع البشرية الذي نتج عنه الخلل العقلي والخيالات، ولما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستوصياً قال له النبي صلى الله عليه وسلم: (وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام)[٣].

لكن التصوف أعاد مفهوم الرهبنة السابق إلى الأمة الإسلامية ودعا إلى الخلوات المظلمة وإلى الهروب عن الناس وإلى ترك لتزوج ودعا إلى تطهير الروح عن طريق تعذيب الجسد

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) شبكة فلسطين للحوار ، في ٣/٦/ ٢٠٠٩ م.
(٣) شعيب الأرناؤوط ، تخريج زاد المعاد ، ج٣ ، ص٧٧ .

بأنواع من المجاهدات الشاقة القاتلة وإلى لبس الصوف الخشن من الثياب عامة وتجويع النفس لتطهيرها والسياحة في البلاد ولذلك فالمتصوفة كانوا يستمعون إلى مواعظ الرهبان وأخبار رياضاتهم الروحية حتى يقتدوا بهم في سلوكهم، وكتب المتصوفة مليئة بقصص كثيرة مروية عن رهبان النصارى.

وإليك نموذج لذلك من كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي وهو يدل على حرص الصوفية على الاستفادة من رياضات رهبان النصارى فقد أورد الغزالي عن إبراهيم بن أدهم وهو يعتبر من الرجال الذين يشار لهم بالبنان في الأوساط الصوفية:

(قال إبراهيم بن أدهم: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان، دخلت عليه في صومعته، فقلت: يا سمعان مذ كم كنت في صومعتك؟ قال: منذ سبعين سنة، قلت: فما طعامك؟ قال: يا حنيفي وما دعاك إلى ذلك؟ قلت: أحببت أن أعلم قال: في كل ليلة حمصة، قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى الدير الذي بحذائك؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتون كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد الساعة لعز الأبد.

قال إبراهيم بن أدهم: فوقع في قلبي المعرفة ، فقال: حسبك أو أزيدك؟ قلت: بلى. قال: انزل عن الصومعة؟ فنزلت فأدلى لي بركوة فيها عشرون حمصة)[1] .

وقال الغزالي أيضاً: بأنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والتجرد لله في الحركات والسكنات، ثم بدأ يثني على انفراد رهبان النصارى عن الخلف واعتزالهم في قمم الجبال بعيداً عن الخلق وطلباً للأنس بالله عز وجل وذكر أن الله أثنى عليهم لذلك بقوله تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢))[2].

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص ٣٣٤ .
(٢) سورة المائدة .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الغزالي قد شحن كتابه (الإحياء) بروايات كثيرة منسوبة إلى المسيح في التعبدات والأمثال والحكم والأحكام[1] .

وأن أثر المسيحية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة والفلسفة البوذية عامل لا سبيل إلى إنكاره في تكوين التصوف الإسلامي وقد كانت هذه المذاهب والفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها المتصوفة فلم يكن مخرج من أن تترك طابعها في مذاهبهم [2] .
وأخطر مسألة تأثر فيها المتصوفة بالمسيحية المحرفة هي مسألة الحلول.

ففي المفهوم المسيحي لطبيعة المسيح عليه السلام تتمحور المواقف حول وجهين لشخصية المسيح هما اللاهوت الذي حل في الناسوت، فالمسيح وفق مفهوم أوريجنس وهو فيلسوف مسيحي قد بدأ وظهر أو تجلى في شخص عيسى عليه السلام وفكرة الحلول هذه تفيد أن عيسى إنسان إلهي صورته الخارجية صورة إنسان وطبيعته الداخلية مما ينتمي للإله فهو من طبيعتين امتزجتا وصارتا طبيعة واحدة إنه مركب من الناسوت واللاهوت كما يزعمون[3] .

وكل المسيحيين يعتقدون بحلول الله في المسيح ولكنهم اختلفوا في كيفية الاتحاد والتجسد ففرقة ترى أنه إشراق النور على الجسد المشف وفرقة ترى أنه انطباع النقش في الشمعة وفرقة ترى أنه ظهور الروحاني بالجسماني وفرقة ترى أن اللاهوت تدرع بالناسوت وفرقة ترى أن الكلمة مازجت جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء.

أما حقيقة الله عند المسيحية المحرفة فهو أنه جوهر واحد غير متحيز وليس بذي حجم بل قائم بالنفس وهو واحد بالجوهرية ثلاثة بالأقنومية ، والأقانيم هي الصفات: الوجود والحياة والعلم.. الأب والابن وروح القدس ، ولكن العلم من بين تلك الصفات تدرع وتجسد دون سائر الأقانيم.

والقاضي عبد الجبار يرى أن فرق المسيحية الثلاثة اتفقت على أن الخالق جوهر

---

(١) الغزالي ، (الإحياء) (٢٦٦/١).
(٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكلسون (ص: ٤٣-٤٣).
(٣) التصوف منشؤه ومصطلحاته د/ أسعد السحمراني (ص: ٥٤) ط دار النفائس.

واحد ثلاثة أقانيم وأن أحد هذه الأقانيم أب والآخر ابن والثالث روح القدس وأن الابن هو الكلمة والروح هي الحياة والأب هو القديم الحي المتكلم...

ومضى القاضي عبد الجبار يقول: إن المسيحيين جميعاً اتفقوا على أن الابن اتحد بالشخص الذي يسمونه المسيح وأن ذلك الشخص ظهر للناس وصلب وقتل.

أما في كيفية صلبه فقد آمن المسيحيون أنه قتل وصلب ولكنهم اختلفوا هل القتل ورد على الجزء اللاهوت أم ورد على الجزء الناسوت أم على الجزءين معا ثم قام وصعد[١].

وقال أبو علي الجبائي إن المسيحيين متفقون على أن الكلمة هي الابن وأن الذي له الروح والكلمة هو الابن والثلاثة في رأي المسيحيين جميعاً إله واحد وخالق واحد وأنها من جوهر واحد[٢] .

وتابع بعض غلاة الصوفية المسيحيين في القول بالحلول حيث زعموا أن الحق اصطفى أجساماً حل فيها معنى الربوبية وأزال عنها معاني البشرية والأجسام التي اصطفاها الله تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه اصطفاها بطاعته وخدمته وزينها بهدايته وبين فضلها على خلقه وهذا حسب زعم المتصوفة[٣].

ومن الأدلة على ذلك قول الحلاج في الأبيات الآتية:

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب[٤]

والحلولية ليست من الإسلام في شيء...ولذلك نقول إن ما ظهر من هذا القبيل عند بعض المتصوفة هو من تأثير الحلولية المسيحية على الصوفية.

وقد دعا كثير من المتصوفة إلى البعد عن الزواج وهذه نماذج من أقوال مشائخهم الكبار

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (٢/٣٣-٤٤).
(٢) الملل والنحل للشهرستاني (٢/٣٩-٤٤).
(٣) معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم الحنفي (١/١٤٠٠هـ).
(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص: ١٧١).

١- قال السهروردي: (التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص ورجوع من الترمح إلى النقص وتقييد بالأولاد والأزواج ودوران حول مظان الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة)[١].

٢- ونقل أبو طالب المكي عن قطب من أقطاب الصوفية الأوائل أبي سليمان الداراني المتوفى سنة (٢١٥هـ) أنه قال: (من تزوج فقد ركن إلى الدنيا)[٢].

وهذه العبارات كلها المقصود منها هو التنفير عن الزواج وهذا خطأ كبير منهم وانحراف عن منهج خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام والخير كل الخير في أتباع هديه والشر كل الشر في مخالفته وهذه الأمور إنما ورثها المتصوفة من الرهبان النصارى الذين يمتنعون عن الزواج فيفسدون البنات في الأديرة لأن كبت الغريزة الجنسية بهذه الطريقة أمر من الصعوبة بمكان فالزواج هو السبيل الوحيد لبقاء الجنس البشري على هذه المعمورة وقد حث الرسول على الزواج في أحاديث كثيرة ولا نريد أن نوردها هنا لأن لها موضعاً آخر في الرسالة وسنتطرق ونناقش الموضوع بالتفصيل وسأقوم بالرد عليهم رداً مقنعاً إن شاء الله تعالى في انحراف مفهوم الصوفية في الزهد ، وقد وردت عدة آيات في الإنجيل المحرف تدعو إلى التبتل والبعد عن الزواج فمنها:

١- قول المسيح: (ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات من استطاع أن يقبل فليقبل)[٣] .

٢- ويقول بولس في رسالته إلى أهل كورنتوس: (وأما من جهة الأمور التي كتبتم عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة)[٤].

٣- وكذلك قال: (أقوم لغير المتزوجين الأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا)[٥]

---

(١) (عوارف المعارف) للسهروردي (ص: ١٠٤).
(٢) انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي (٢٥٢/١)
(٣) انظر: إنجيل متى العهد الجديد (الآية: ١٢).
(٤) انظر: رسالة بولس إلى أهل كورنتوس من العهد الجديد(الإصحاح السابع الآية: ١).
(٥) رسالة بولس إلى أهل كورنتوس من العهد الجديد) (الإصحاح السابع الآية: ٨).

ومما يؤكد بأن المسيحية المحرفة مصدر من مصادر التصوف قول الكاتب الأوروبي نيكلسون حيث كتب يقول: (لم يخرج الصوفية كثيراً على الحديث القائل: (لا رهبانية في الإسلام)، إلا بعد مضي عدة قرون...) ثم قال: (وإننا لا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهباني ونشأته في العصور الإسلامية الأولى) ثم قال: (ويقال إن أول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت برملة في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر وأن مؤسسها كان راهباً مسيحياً....) ثم قال: (وقد ذكر الصوفية بعض الأحاديث المدخولة على النبي التي تشير لإباحة العزوبة لجميع المسلمين بعد المائتين من الهجرة... فقد ظهر نظام الرهبنة في الإسلام حوالي هذا التاريخ تقريباً، نعم لم يعم الزهد في العالم الإسلامي ولم تظهر فيه الربط والزوايا المظلمة إلا في عصر متأخر لأن القارئ للكتب التي ألفت في التصوف حتى منتصف القرن الخامس الهجري مثل (قوت القلوب) لأبي طالب المكي (و(حلية الأولياء) لأبي نعيم و(الرسالة) للقشيري قلما يجد فيها إشارة إلى هذه الربط والزوايا ومع ذلك نجد أن كبار الصوفية من رجال القرنين الثالث والرابع قد اجتمع حولهم المريدون ليأخذوا عنهم الطريق ويتأدبوا بآدابه ومن الطبيعي أن هؤلاء المريدين أقاموا في بيوت دينية من نوع ما كلما وجدوا إلى ذلك سبيلاً. ويذكر المقريزي أن الخانقاوات وجدت في الإسلام في القرن الخامس الهجري المقابل للقرن الحادي عشر الميلادي....

وبعد ذلك بمائتي سنة أي بين (٤٥٠و٦٥٠) زيد في نظام الرهبنة وانتشر هذا النظام على أيدي رجال الطرق كالعدوية والقادرية والرفاعية وغير ذلك من الطرق التي توالى ظهورها سريعاً)[١]، [٢] .

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه)) لنيكلسون ترجمة عربية للدكتور أبي العلاء عفيفي (ص: ٥٦-٥٨).

(٢) علوي السقاف ، موقع صيد الفوائد ، والمصدر من مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية لإدريس محمود إدريس ج١ ، ص ٧٢

س٩٩: لماذا حذر الإسلام من البدع ؟.

ج٩٩:يقول الشيخ ابن باز : (البدعة: هي العبادة المحدثة، التي ما جاء بها الشرع، يقال لها بدعة ، وكل البدع ضلالة، ما فيها أقسام، كلها ضلالة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وكان يقول هذا في خطبه، يقول صلى الله عليه وسلم أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها. ويقول: كل بدعة ضلالة. ويقول صلى الله عليه وسلم : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. ويقول صلى الله عليه وسلم: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد، فالبدعة ما أحدثه الناس في الدين، من العبادات التي لا أساس لها، يقال لها بدعة، وكلها منكرة ، وكلها ممنوعة.

أما تقسيم بعض الناس البدعة إلى واجبة ومحرمة ومكروه ومستحبة ومباحة هذا التقسيم غير صحيح، الصواب أن البدع كلها ضلالة؛ كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم)[١].

يقول الشيخ ابن عثيمين: (البدعة شرعاً ضابطها: "التعبد لله بما لم يشرعه الله"، وإن شئت فقل: "التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا خلفاؤه الراشدون"، فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ (٢١))[٢]، والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور" فكل من تعبد لله بشيء لم يشرعه الله، أو بشيء لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع، سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه. أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعرف فهذه لا تسمى بدعة في الدين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة، ولكن ليست بدعة في الدين وليست هي التي

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة الشورى

حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس في الدين بدعة حسنة أبداً، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع، وهذه تشمل أن يبدأ الإنسان بالسنة أي يبدأ العمل بها، أو يبعثها بعد تركها، أو يفعل شيئاً يسنه يكون وسيلة لأمر متعبد به فهذه ثلاثة أشياء: الأول: إطلاق السنة على من ابتدأ العمل ويدل له سبب الحديث، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حث على التصدق على القوم الذين قدموا عليه صلى الله عليه وسلم، وهم في حاجة وفاقة، فحثّ على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصرة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي عليه الصلاة والسلام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها"، فهذا الرجل سنَّ سنة ابتداء عمل لا ابتداء شرع. الثاني: السنة التي تركت ثم فعلها الإنسان فأحياها فهذا يقال عنه: سنها بمعنى أحياها وإن كان لم يشرعها من عنده. الثالث: أن يفعل شيئاً وسيلة لأمر مشروع، مثل بناء المدارس وطبع الكتب فهذا لا يتعبد بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)[1].

يقول الشيخ المنجد :(البدعة في أصل اللغة تدور معانيها على : ابتداء الشيء من غير مثال سابق ، ومنه قول الله عز وجل : (بديع السماوات والأرض) ، والمراد بالبدعة في الاصطلاح الشرعي : هي ما أحدث في دين الله عز وجل وليس له أصل عام ولا خاص يدل عليه .

وذلك على سبيل المثال : مثل الأذكار البدعية كذكر الله تعالى بالاسم المفرد (الله .. الله .. الله ..) أو بالضمير : (هو .. هو ..) فهذه شيء جديد محدث في الدين يقصد به التعبد لله عز وجل ، وليس على فعله أي دليل لا بخصوص هذا الذكر ، ولا دليل عام ، وهي المسماة في علم الأصول بـ (المصالح المرسلة) إذن فهي بدعة .

---

(١) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الثاني - باب البدعة.) موقع طريق الاسلام في ٦/٢/ ٢٠٠٧ م.

وأما صلاة أكثر من ثمان ركعات في التراويح : فإن السنة الثابتة في الصحيح والتي واظب عليها الرسول صلى الله عليه وسلم هو أن يصلي في الليل إحدى عشرة ركعة : يصلي ثمان (يسلم بعد كل ركعتين في غالب أحواله) ويشفعها بركعتين ثم يوتر بواحدة .

وربما صلى ثلاث عشرة ركعة ، هذا هو الثابت من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما ، فإن زاد على ذلك جاز ولكنه خلاف السنة ، ويدل على الجواز قول النبي صلى الله عليه وسلم: (صلاة الليل مثنى مثنى) يعني : ركعتين ركعتين ، ولم يحدد بعدد[١] .

جاء في شبكة الالوكة : (ملامح البدع من آية الحديد: قال الله تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٢٧))[٢] وهذه الملامح هي :

١- البدعة نبتة طفيلية: البدعة شيء زائد متطفل لا حاجة إليها؛ لكمال الدين وتمام التبليغ، وذلك من تتابع الرسل وكمال الإعلام والتبليغ، وهذا مفهوم التقفية في قوله تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) ؛ أي: "لا ننشئ آثار الأول منهم حتى نرسل الذي بعده في قفاه، فكل رسول بين يدي الذي بعده، والذين بعده في قفاه، فهو مقفٍّ له؛ لأن الأول ذاهب إلى الله والثاني تابع له، فنبينا صلى الله عليه وسلم أعرق الناس في هذا الوصف؛ لأنه لا نبي بعده؛ ولهذا كان الوصف أحد أسمائه [٣]. قال ابن مسعود رضي الله عنه: "اتبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم، وكل بدعة ضلالة[٤] ، ولأن الحديث عن بدعة الرهبانية عند النصارى؛ قال الله تعالى: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ)

---

(١) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٧٢٧٧تاريخ النشر ١١ / ٦ / ٢٠٠٠ م.
(٢) سورة الحديد
(٣) نظم الدرر للبقاعي .
(٤) الألباني ، العلم لأبي خيثمة ، رقم الحديث ٥٤ .

فذكر نبيهم عليه الصلاة والسلام وكتابه الإنجيل، والإنجيل وصفه الله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ(٤٦))[١] ، [٢]؛ فلم يكن من حاجة لابتداع الرهبانية.

وكما هي الحجة عليهم من القرآن، فإن الحجة عليهم أيضًا من كتاباتهم، فهم يعترفون ببدعيتها؛ ذكر القاسمي رحمه الله: "رأيت في كثير من مؤلفات علماء المسيحيين المتأخرين ذم بدعة الرهبنة، وما كان لتأثيرها في النفوس والأخلاق من المفاسد والأضرار؛ فقد قال صاحب (ريحانة النفوس) منهم، في الباب السابع عشر، في الرهبنة: إن الرهبنة قد نشأت من التوهم بأن الانفراد عن معاشرة الناس، واستعمال التقشفات والتأملات الدينية - هي ذات شأن عظيم، ولكن لا يوجد سندٌ لهذا الوهم في الكتب المقدسة؛ لأن مثال المسيح، ومثال رسله يضادانه باستقامة؛ فإنهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس لكي يعيشوا بالانفراد، بل إنما كانوا دائمًا مختلطين بالعالم، يعلمون وينصحون، ونحن نقول بكل جراءة: إنه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثال للرهبنة، ولا يوجد أمر من أوامره يلزم بها، بل العكس؛ فإن روح الكتاب وفحواه يضاد كل دعوى مبنية على العيشة المنفردة المقرونة بالتقشفات، ولكن مع أن الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية، فقد ظهر الميل الشديد إليها في الكنيسة في أواخر الجيل الثاني وأوائل الجيل الثالث، وأيَّد بعض الباحثين المقاومين لها وقتئذٍ أنها عادة سَرَتْ للمسيحيين من الهنود الوثنيين السمانيين؛ فإن لهم أنواعًا كثيرةً من عبادات تأمر كهنتها بالبتولية، والامتناع عن أكل اللحم، وأمور أخرى مقرونة بخرافات[٣] ، وهذا الملمح يدلنا على أهمية بيان كفاية الدين وضرورة الاتباع.

٢- البدعة تنمو وتترعرع في بيئة الجهل والتخلف: فإن التقصير في التعلم والفقه في الدين

---

(١) سورة الحديد .

(٢) هذا الوصف جاء في سورة المائدة في سياق الحث على الاحتكام إلى كتاب الله والحكم به، فبيَّن كفايته لمن اهتدى به في زمنه من المتقين، ولم يأتِ مثله في سورة الحديد؛ لأن المبتدع يحتكم لعقله وهواه مهما كان الحق واضحًا.

(٣) القاسمي ، محاسن التأويل ، سورة الحديد

يهيئ بيئة خصبة للبدع، فهي إما تنشأ مع الجهل أو اتباع الهوى أو من كليهما، وكلما خفيت السنن ظهرت البدع؛ لأن التدين والتعبد فطرة في النفوس البشرية، فإن لم يتعبدوا بالسنن تعبدوا بالبدع، وأعظم سلاح في مواجهتها تتبع آثار الرسول؛ ولذلك تجد أكثر الناس بعدًا عنها أهل الحديث، وإن كانت آثار الأنبياء قد مُحيت، فإن آثاره صلى الله عليه وسلم لم تُمحَ وهو المقفي، (والمقفي)؛ أي: هو المتبع للأنبياء[1] ، وهذا الملمح يبرز أهمية التعلم والتعليم في مقاومة البدع.

٣- الاستعداد الشخصي والميل: قد يكون لأناس ميلٌ إلى نوع من البدع أكثر من غيرهم، فالنصارى المتبعون لعيسى عليه السلام لما جعل الله عز وجل لهم من اللين في قلوبهم؛ كما قال جل شأنه: (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً) ، كان فيهم ميل للتبتل الزائد والخوف، والرهبانية قيل: هي من الرهب ، واليهود لِما في قلوبهم من القسوة والمادية وحب الرئاسة والكبر، كان فيهم ميل لما يشاكل قلوبهم، فظهرت فيهم الخيانات والقلاقل أينما ولوا ، ومثل الكريم يميل للكرم حتى يفرط فيترك أهله عالة، والشجاع قد يفرط حتى يلقي بنفسه للتهلكة، فلذلك يعالج كل استعداد نفسه وميوله بما يناسب الشرع ومقاصده ولا ينحرف، فيميل كل الميل.

٤- الغلو:(وَرَهْبَانِيَّةً) ، فالبدعة تجنح للإفراط والغلو، بل إن البدعة ما هي إلا مظهر من مظاهر الغلو في الدين، وقد جاءت الرهبانية بالغلو، "وذلك لأنهم غلَوا في العبادة، وحملوا على أنفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح والملبس، وتعلقوا بالكهوف والصوامع والغيران والديرة[2] ، بينما الشريعة تأمر بالقصد الذي يُرجى معه الدوام؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان أحب العمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدوم عليه صاحبه)، والدوام يرجى معه الوصول؛ قال

---

(١) عن أبِي موسى الأشعري رضي الله عنه قال:(كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ)؛ صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٣٥٥

(٢) صديق حسن خان ، فتح البيان

النبي صلى الله عليه وسلم: (والقصدَ القصدَ تبلغوا)[1]) ، وقال الحسن البصري رحمه الله: "إن العبد إذا ركب بنفسه العنف وكلف نفسه ما لا يطيق، أوشك أن يسيب ذلك كله، حتى لعله لا يقيم الفريضة، وإذا ركب نفسه التيسير والتخفيف وكلف نفسه ما تطيق، كان أكيس وأمنعها من هذا العدو[2]، فإذًا علاج الغلو هو بالرجوع إلى القصد الذي أمرت به الشريعة.

٥- مخالفة مقاصد الشارع: قال تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم) ، فلم تُفرض عليهم الرهبانية؛ لأن فيها مخالفة مقاصد الشرع العظيمة، وإذا كان الشارع عليمًا حكيمًا، كان فيما يكتبه على المكلفين غايات نبيلة لا يستطيع إحاطة الإدراك بجميع جوانبها المكلفون؛ فكان الالتزام بالشرع والانقياد أصوب وأرحم وأسعد، ولما كان الإنسان ظلومًا جهولًا، كان فيما يبتدعه ولا بد شرٌّ وفساد؛ قال ابن تيمية رحمه الله: (لأن جميع المبتدعات لا بد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير؛ إذ لو كان خيرها راجحًا لما أهملتها الشريعة)[3]، وكذلك هي الرهبانية، فعلى الرغم من المقصد النبيل الذي أراده أوائلهم، إلا أنها أفسدت الدين بمخالفتها لمقاصد الشرع؛ ففيها اعتزال الناس خصوصًا من الفئة المتدينة الصالحة وهم العباد؛ فتغيب القدوة الصالحة عن المجتمع، وتتعطل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فيسرع الفساد في المجتمع، ومن يترهبن في الصوامع والأديرة، ينعزل عن واقع الناس ونفعهم وإصلاح أحوالهم، والله المستعان.

نعم، إذا فسد الزمان وكثرت الفتن وخاف المرء على دينه، تُشرع له العزلة، وأما في غير ذلك، فالمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم.

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٦٣ .
(٢) ابن المبارك ، الزهد ، رقم ١٣٣٠
(٣) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج٢ ، ص ٦٠٩

٦- قد يُخدع صاحبها بحسن نيته: قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) فيه قولان؛ أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قاله سعيد بن جبير وقتادة[١]، فهم ابتغَوا رضوان الله ولكن ضلوا الطريق، "فلا يُشترط في البدعة أن يتصف فاعلها بسوء المقصد وفساد النية، بل قد يكون المبتدع مريدًا للخير، ومع ذلك فعمله يوصف بأنه بدعة ضلالة؛ كما ورد ذلك في أثر ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه[٢]،[٣].

ولذلك يصعب الرجوع عنها؛ لاعتقاد صاحبها بصواب عمله وحاله، وعلاج هذه النقطة بعرض الأعمال على ميزان الشرع، فما وافقه فاتبعْهُ، وما لا يوافقه فانتهِ عنه، والله الموفق الهادي.

٧- البدعة طريقة محدثة لا أصل لها في الدين أو لها أصل انحرفت عنه: ويؤخذ الأول من قوله تعالى: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ؛ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم[٤] ، فلم تكن الرهبانية في أصل دين النصارى؛ قال ابن عاشور رحمه الله: "قال الله تعالى: (ابْتَدَعُوهَا) ؛ أي: أحدثوها، فإن الابتداع: الإتيان بالبدعة والبدع وهو ما لم يكن معروفًا؛ أي: أحدثوها بعد رسولهم، فإن البدعة ما كان محدثًا بعد صاحب الشريعة[٥]، ويؤخذ الثاني – وهو كون لها أصل انحرفت عنه من قوله تعالى: (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ) ؛ أي: ما كتبنا عليهم ذلك، إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله[٧] ،وهو اختيار ابن تيمية [٨].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
(٢) قال ذلك رضي الله عنه حين رأي قومًا في المسجد يجلسون حلقًا، وفي كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبِّروا مائة؛ أخرجه الدارمي في سننه (١/ ٦٨ - ٦٩).
(٣) نقلًا من كتاب "قواعد معرفة البدع"، المؤلف: محمد بن حسين الجيزاني.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير.، تفسير سورة الحديث .
(٥) ابن عاشور ، التحرير والتنوير، تفسير سورة الحديد .
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تفسير سورة الحديد .
(٧) فسَّر الآية من سورة الحديد في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح".

فالأصل هو ابتغاء رضوان الله، والانحراف في الرهبانية كان في الطريقة التي يُبتغى بها رضاه جل جلاله، فينبغي مراعاة الشرع في كل شيء: المقاصد والنيات والأعمال.

٨- مشقة رعايتها: لمخالفتها للفطرة القويمة والطبيعة الإنسانية ولذلك يصعب الالتزام بها؛ قال الله تعالى: (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) ؛ قال ابن كثير رحمه الله: "أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام، وهذا ذمٌّ لهم من وجهين؛ أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله، والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قربة يقربهم إلى الله عز وجل[1] ؛قال ابن عاشور: "قد فرع على قوله: (ابْتَدَعُوهَا) ، و(مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ، وما بعده قولُه: (فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)؛ أي: فترتب على التزامهم الرهبانية أنهم – أي: الملتزمين للرهبانية – ما رعوها حق رعايتها،

وظاهر الآية أن جميعهم قصروا تقصيرًا متفاوتًا، قصروا في أداء حقها، وفيه إشعار بأن ما يكتبه الله على العباد من التكاليف لا يشق على الناس العمل به[2]، فلم يفوا بها؛ لأن متطلبات الرهبانية ضد الفطرة ولذلك تشق؛ ولذلك يحسن في الشرع ألَّا يحملَ العبد نفسه ما لم يكلفه الله به، مثل النذر بالطاعات وغيره؛ فإنه لا يدري ما يعرض له وما قد يتغير من همة نفسه فيما بعد، وهو في غنًى عن ذلك يتقلب في سعة الشرع. إضافة لذلك، فإن الآثار العظيمة من الفلاح والتوفيق وانشراح الصدر وغيرها من البركات لا تأتي إلا من الأعمال الصالحة، وهذا أدعى للاستمرار عليها والاستبشار بها، وأما الأعمال المبتدعة فالخير فيها قليل منقطع ولا يأتي بالثمرة المرجوة؛ لذلك يكثر الإلحاد والمروق من الدين فيهم، وانظر حال المتصوفة الآن، والتعرف على هذا الملمح يجعلك ترى يسر الشريعة وسماحتها والثناء على الله بها.

٩- البدعة درجات: ذكر الله عز وجل منهم طائفة ناجية؛ قال الله تعالى:

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تفسير سورة الحديد

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير. تفسير سورة الحديد

(فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) ؛ قال ابن عاشور رحمه الله: "وهذا ثناء على المؤمنين الصادقين ممن مضَوا من النصارى قبل البعثة المحمدية وبلوغ دعوتها إلى النصارى ، وهذا يدل على أن الولوغ في البدع درجات، فمنهم من يسلم له إيمانه وخصوصا أوائلهم، لكن يُخشى من الاستمرار على البدعة محو هذا الإيمان، فإن العمل الصالح يغذي شجرة الإيمان في القلب، فإن ضلَّ العمل توشك شجرة الإيمان أن تموت؛ قال الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(٦٨)) فالعمل الصالح موصل للهداية.

ويدل قوله تعالى: (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ) على عظمة شأن الإيمان؛ وفي حديث أبي هريرة: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: أي العمل أفضل، فقال: إيمان بالله ورسوله)[٢]، فمن استمرَّ على الإيمان منهم بما يجب عليه من الإيمان به، وما يستتبع ذلك مما يقوم في قلب العبد من القول والعمل من التصديق والتعظيم، والخوف والرجاء، والمحبة واليقين، وغير ذلك من أعمال الباطن – آتاه الله عز وجل أجره ، وأجر الإيمان والتوحيد عظيم؛ حيث يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات؛ ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: ((يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقُرابِ الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا – لأتيتُك بقرابها مغفرة)[٣] .

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة)[٤] ، فيغفر الله عز وجل للموحد ما لا يغفره الله عز وجل للمشركين ، والبدعة قد يقارنها من الأحوال ما يعذر به صاحبها فيكون معفوًّا عنه؛ قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:

---

(١) سورة النساء .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٦ .
(٣) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٧٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: ١٢٧، ١٢٨.
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٦٥٥١ .

(لا ريب أن من فعلها – أي: البدعة – متأولًا مجتهدًا أو مقلدًا، كان له أجر على حسن قصده وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع، وكان ما فيه من المبتدع مغفورًا له إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين)[1]

والضلال في النصرانية وقع من جهتين؛ جهة العقيدة: لما قالوا بالتثليث ونسبة الولد للرب جل جلاله، ومن جهة العمل: لما ابتدعوا الرهبانية، ولا شك أن الابتداع بالعمل قد يكون أهون من الابتداع في العقيدة مع انحرافه وخطورته في ذاته، فلا يُحكم على كل مبتدع بالهلاك، بل بحسب نوع البدعة ودرجتها، والله تعالى أعلم.

١٠- قابليتها للتمدد والانتشار: قال الله تعالى: (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) ، فقد ذكر الحق جل جلاله الكثرة، وهذه هي طبيعة البدعة أنها تبدأ بعدد قليل ثم تنتشر وتمدد، فإن لم تُبتَر سريعًا بسيف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فسيكثر أتباعها ومناصروها، والمدافعون عنها والمؤولون لها، فيصعب بعد ذلك إزالتها، "فتنتقل من شخص إلى شخص، ومن جماعة إلى جماعة، ومن بلد إلى بلد، على سبيل العدوى والتقليد[2] .

وهذا مشاهَدٌ اليوم في كثير من البدع حتى امتدت فشملت أقطارًا إسلامية، وقد حصل قبلُ في رهبانية النصارى؛ ذكر القاسمي في تفسيره نقلًا عن بعض كتب النصارى: "ومع أن الرهبنة حصل عليها مقاومة من العقلاء، امتدت وانتشرت في المسكونة، وكان ابتداؤها في مصر في الجيل الرابع، على أثر اشتهار أحد الرهبان وممارسته التقشفات، بسبب الاضطهاد الذي أصابه، وآثر لأجله الطواف في البراري؛ فرارًا من أيادي مضطهديه، ثم عكف على الوحدة وعاش بها، وذلك في الجيل الثالث، ثم امتدت من مصر إلى فلسطين وسورية إلى أكثر الجهات؛ توهمًا بأن رسم المسيحية الكاملة لا يوجد إلا في المعيشة الضيقة القشفة، فدعا ذلك كثيرين إلى ترك المعيشة المألوفة بالاعتزال في الأديرة مع أن ذلك الوهم باطل، ومضاد للكتب

---

(١) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم.ج٢ ، ٨٢-٨٤

(٢) مجموعة رسائل عبدالله بن زيد آل محمود.

المقدسة[1].

وقد جُنَّ جنون هذه الرهبانية في العالم النصراني وتخطى حدود القياس، وإنا نلتقط أمثلة من كتاب (تاريخ أخلاق أوربا) وهو قليل من كثير جدًّا: زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم، واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس، ولا يمكن الآن إحصاؤهم بالدقة، ولكن مما يلقي الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح خمسون ألفًا من الرهبان، وفي القرن الرابع كان راهب واحد يشرف على خمسة آلاف راهب، وكان الراهب (سرابين) يرأس عشرة آلاف، وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر[2].

لكن ذلك لم يستمر؛ فمن حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (لا تشددوا على أنفسكم فيُشدَّد عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشُدِّد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات، رهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[3].

فقال صلى الله عليه وسلم: (فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات)، والنبي صلى الله عليه وسلم قد بُعث في القرن السادس الميلادي، فهذا يدل على عزوف الناس عن الرهبنة بعد أن جُنَّ جنونها في القرن الرابع؛ لمخالفتها في نفسها للفطرة والغريزة الإنسانية، ولفسق كثير من الرهبان، وإن كانت توجد إلى اليوم وهذا من سبب تشددهم، وهذا الملمح يشير إلى الأهمية القصوى في الإنكار على البدع وعدم التهاون بها؛ لأنها كاشتعال النار في الهشيم.

١١- طبيعة البدعة النمو والتحور: قال الله تعالى: (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) ، والفسق هو شق ستر الديانة.

---

(١) تفسير القاسمي محاسن التأويل.
(٢) أبو الحسن الندوي ،ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ج١ ، ص ١٤٧ .
(٣) مسند أبي يعلى (٦/ ٣٦٥)، وضعفه الألباني، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

قال البقاعي رحمه الله تعالى: (هذا تنفير عظيم عن البدع، وحثٌّ شديد على لزوم ما سنه الله وشرع، وتحذير من التشديد، فإنه لن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، وهو الترحال إلى البدعة[١] ؛ ولهذا أكثر في أهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد والحلول وغير ذلك من البلايا[٢].

ولئن بدأت بدعة الرهبانية بالزهد واعتزال ملذات الدنيا والانكباب على العبادة، فقد تحورت إلى مخلوق آخر قبيح، فإلى ماذا تحورت الرهبانية؟

نقل المؤرخ ليكي[٣] ، من هذه البلايا كثيرًا – نسال الله السلامة والعافية – نلتقط هنا بعض الأمثلة وهي قليل من كثير جدًّا، ويلاحظ من تواريخهم أنهم جميعًا عاشوا في القرن الرابع الميلادي:

يقول: يروي المؤرخون عن الراهب ماكاريوس (ت: ٣٩٥م) أنه نام ستة أشهر في مستنقع؛ ليقرص جسمه العاري ذباب سامٌّ، وكان يحمل دائمًا نحو ثمانين رطلًا من حديد، وكان صاحبه الراهب يوسيبيوس (٢٨٣ – ٣٧١م) يحمل نحو مائة وخمسين رطلًا من حديد، وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح، وكان الراهب صابينوس (ت: ٣٠٤م) لا يأكل إلا الذرة المتعفنة بمكثها شهورًا في الماء، وقد عَبَدَ الراهب يوحنا (ت: ٣٩٤م) ثلاث سنين قائمًا على رجل واحدة، ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة، فإذا تعب جدًّا أسند ظهره إلى صخرة، وكان بعض الرهبان لا يكتسون دائمًا، وإنما يتسترون بشعرهم الطويل، ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكل كثير منهم الكلأ والحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون عن غسل

---

(١) هكذا فسَّر (البقاعي) رحمه الله تعالى غلبة الدين للمشاد، وهو أن الدين سيبقى يسرًا ولن يتحول للشدة، ولكن هذا المشاد في الدين سيرتحل للبدعة لقابليتها للغلو، والله أعلم، ولذلك أوصى صلى الله عليه وسلم في الشطر الثاني من الحديث بتسديد الهدف، وهو الإصابة الصحيحة للدين أو على الأقل في مقاربتها: (فسددوا وقاربوا)، فأكثر الناس تمسكًا بهذا الدين أكثرُهم يسرًا ورفقًا ولينًا، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (وأبشروا)، والله تعالى أعلم.

(٢) البقاعي ،نظم الدرر.

(٣) المؤرخ الأيرلندي وليام هارتپول ليكي (١٨٣٨ - ١٩٠٣م) صاحب كتاب (تاريخ أخلاق أوربا).

الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدُهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس؛ يقول الراهب أثاناسيوس: إن الراهب أنتوني (٢٥١ - ٣٥٦م) لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب إبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة ، وكانت بعض الراهبات ترتجفن عند ذكر الاغتسال، وقال الراهب الكسندر بعد زمن متلهفًا: واأسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حرامًا، فإذا بنا الآن ندخل الحمامات، ولقد ظل الراهب سيمون طيلة عام كامل واقفًا على ساق واحدة، وقد مُلئت الساق الأخرى بتقرحات بشعة المنظر، وكان يقف صاحبه بجانبه يلتقط الديدان التي كانت تسقط من جسده، ويضعها في تلك القرح ...[1].

١٢- وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الأطفال، ويهربونهم إلى الصحراء والأديار، وينتزعون الصبيان من حجور أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية، والجمهور والدهماء يؤيدونهم، ويحبذون الذين يهجرون آباءهم وأمهاتهم ويختارون الرهبانية ويهتفون باسمهم، وعُرِف كبار الرهبان ومشاهير التاريخ النصراني بالمهارة في التهريب، حتى روي أن الأمهات كنَّ يسترن أولادهن في البيوت إذا رأين الراهب أمبروز (Ambrose)، وأصبح الآباء والأولياء لا يملكون من أولادهم شيئًا، وانتقل نفوذهم وولايتهم إلى الرهبان والقسوس؛

١٣- وقد ذكر القاسمي في تفسيره نقلًا عن كتاب من كتب النصارى واسمه (البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل الباباوية) التحذيرَ من وقوع كثير الرهبان والراهبات في الزنا: "إن ذم الزيجة خطأ؛ لأنها عمل الأفضل؛ لأن الرسول أخبر بأن الزواج خير من التوقد بنار الشهوة، وإن الأكثرين من رسل المسيح كانوا ذوي نساءٍ تجول معهم، ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تغصب الإنسان على استيفاء حقها، ومن العدل أن تستوفيَه، وليس بمحرم عليها استيفاؤه حسب الشريعة، ولا استطاعة لجميع البشر

---

(١) الندوي ، كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟). ج١، ص ١٧٤ .

على حفظ البتولية؛ ولذلك نرى كثيرين من الأساقفة والقسوس لا بل البابوات المدعين بالعصمة، قد تكردسوا في هُوَّةِ الزنا؛ لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي[1]..

وقد قاومت بدعة الرهبانية الكنائسُ الأخرى؛ لِما رأوه من إفسادها حتى أصبحت أديرة الراهبات مواخير للزنا؛ ذكر القاسمي: "وقد قال صاحب (ريحانة النفوس) أيضًا: إن هذه العادة لا يوجد لها برهان في الكتاب المقدس، وإنما دخلت بالتدريج، حتى قاومتها كنائس أخرى، ورفضت بدعة البتولية وقوانينها؛ لمغايرتها للطبيعة، ومضادتها لنص الكتب الإلهية، واستقرائها أديرة الراهبات، بأنها في بعض الأماكن كانت بيوتًا للفواحش والفساد[2] ، وهذا الملمح مما يبين كمال الشريعة، وكونها محاطة بحدود وتعاليم منهجية ضابطة، بخلاف البدعة العشوائية التي لا تدري إلى ما قد تتحور إليه من قبائح مهما حسنت بداياتها، فالرهبانية بدأت من ابتغاء رضوان الله، ثم تحولت للفسق، فكانت النتيجة خسارة الدنيا وضياع الدين.

١٤- البدعة تفسد ولا تصلح: وهو يؤخذ أيضا من قوله تعالى: (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)، فالفاسق كما أنه مؤذٍ لنفسه بكثرة ذنوبه وعصيانه كما هو في الملمح السابق، فهو أيضًا مؤذٍ لغيره مفسدٌ في الأرض ببدعه ، أما النصرانية الرومية، فقد حاولت عبثًا تغيير الفطرة وإزالتها، وجاءت بنظام لا تطيقه الفطرة الإنسانية ولا تسيغه، وحملت النفوس ما لا طاقة لها به، فرغَّبت فيه كردِّ فعل ضد المادية الطاغية واحتملته كارهة، ثم تخلصت منه وثارت عليه ولم تقدر النصرانية بإسرافها في الرهبانية والزهد ومكابرتها للفطرة والواقع – أن تصلح ما فسد من أخلاق الناس ، وتمسك بضبع المدينة الساقطة إلى الهاوية،فكانت حركة الفجور والإباحة وحركة الغلو في الزهد[3].

وهكذا حصل الفساد والإفساد في بدعة الصوفية؛ فلكل فعل ردة فعل معاكسة له في الاتجاه، فلما أعرض طائفة من الصوفية عن تلك الواقعية في الإنسان، ولم يلتفتوا إلى نوازع

---

(١) القاسمي ، محاسن التأويل، تفسير سورة الحديد
(٢) القاسمي ،حاسن التأويل، تفسير سورة الحديد .
(٣) الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ج١ ، ص ١٧٥ .

الإنسان وغرائزه، وخالفوا الفطرة السوية – تعذَّر عليهم قمع تلك الغرائز، ثم انتكسوا إلى الإغراق في الشهوات والإباحة.

ولقد تحدث ابن الجوزي عن هذا الصنف مبينًا سبب انحرافهم فقال: "إن قومًا منهم وقع لهم أن المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية، فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء، قالوا: ما لنا نتعب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر، فتركوا العمل.

كشْفُ هذا التلبيس أنهم ظنوا أن المراد قمع ما في البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع، ولا يتصور إزالة ما في الطبع بالرياضة، وإنما خُلقت الشهوات لفائدة؛ إذ لولا شهوة الطعام هلك الناس، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل، ولولا الغضب لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يؤذيه ... وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذي ... وإنما تنتهي عما تطلبه، ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الإنسان إلى نهيها؛ وقد قال الله عز وجل: ﴿ (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ(١٣٤))[1] ، وما قال: والفاقدين الغيظ، والكظم رد الغيظ[2] .

فلا تستحسن شيئًا من البدع، فإنها تفسد ولا تصلح، وأغلب البدع الحامل على الاستحسان والتكبر عن الاتباع، ولئن تكون ذيلًا في الخير خيرٌ من أن تكون رأسًا في الشر؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سنَّ سنة سيئةً فعمل بها من بعده، كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا)[3].

١٥- ضعف الدين: وهذا من أخطرها، تأمل تغير نظم الكلام في قول الله تعالى: (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) ، فجاءت جملة الصلة التي تفيد علية الحكم دون الإشارة إلى كمال التلبس أو تمامه، فالإيمان مُنجٍ كثيره وقليله، لكن عند الحديث عن الفاسقون، جيء باسم الفاعل الذي يدل على العراقة .

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ج١ ، ص ٤٣١ .
(٣) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٦٩ .

لكن عند الحديث عن الفاسقون، جيء باسم الفاعل الذي يدل على العراقة في التلبس بالصفة مع وصف الكثرة، وكلاهما هادمٌ للدين: الإغراق في الفسق، مع كثرته.

فقد نفَّرت هذه البدعة النصارى من الدين، فكانوا ضالين مضلين، ولنتأمل بعض تأثيرها في أخلاق المسيحيين : كان نتيجة هذه الرهبانية أن خِلالَ الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل، عادت فاستحالت عيوبًا ورذائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح، والصراحة والسماحة، والشجاعة والجرأة وهجروها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية، وعمَّ الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانًا ورحمة، وعيونهم من الدمع، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد، فيُخلِّفون الأمهاتِ ثكالى والأزواج أيامي والأولاد يتامى، عالة يتكففون الناس، ويتوجهون قاصدين الصحراء، همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون ماتوا أو عاشوا، وحكى (ليكي) من ذلك حكايات تدمع العين وتحزن القلب، وكانوا يفرون من ظل النساء، ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن – ولو كنَّ أمهات وأزواجًا أو شقيقات – تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية، وروى (ليكي) من هذه المضحكات المبكيات شيئًا كثيرًا[(١) ، (٢)].

فكان من أثر هذه الرهبانية أن تقلصت العبادة في النصارى وضلوا سنة الأنبياء – الوسطية التي جاءت بها الأديان السماوية – وانغمسوا في الشهوات، وغلا ما بقي من الرهبان في العبادة في صوامعهم.

قال حسان بن عطية رحمه الله: "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم، إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إلى يوم القيامة .

فالبدعة لأنها طريقة محدثة في الدين تعمل كالممحاة، مع مرور الزمن ونموها وتحورها،

---

(١) الليكي ، تاريخ أوروبا .
(٢) الندوي ، ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين ، ج١ ، ص ١٧٥

تضيع معالم الصراط المستقيم فلا يستطيعون الرجوع، ولذلك جاء وصفهم بـ"الضالين" في كتاب الله عز وجل، ولا نجاة لهم الآن إلا بالإسلام.

الإسلام الطريق الواضح المحدد بالنصوص الشرعية لا يُزاد عليه ولا ينقص، مع سعته ورحابته في نفسه، عاصم من الزلل موصل للرحمة والهدى ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجِلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله ،كأنها موعظة مودِّعٍ، فأوصنا فقال: أوصيكم ونفسي بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم، فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)[1]،[2].

(ومن الكلمات التي جرت كثيرا على الألسنة، كلمة "بدعة"، ومقولة "كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" وشغل بعض الناس بذلك حتى تفرقوا شيعا وأحزابا، وانصرفوا عن قضاياهم المهمة ومشكلاتهم الضاغطة، ورمى بعضهم بعضا إن لم يكن بالكفر والإلحاد فبالفسوق والعصيان، وترتب على ذلك ما لم يكن ينبغي أن يكون، ومن الواجب أن ننبه إلى وجوب تحديد المفاهيم، وبيان المراد من الألفاظ التي يدور حولها النقاش، وبعيدا عن التفاصيل التي أُلّفت فيها كتب خاصة أنبه إلى ما يلي:

١- يجب أن يُفرَّق بين معنى البدعة في اللغة ومعناها في الاصطلاح، فربما لا تكون بمعناها اللغوي ضلالة في النار، ومن ذلك قول عمر: (نعمت البدعة هذه)[3] ، حين رأى المسلمين يصلون التراويح جماعة خلف أُبيّ بن كعب. يقول الإمام الغزالي في كتابه الإحياء حين تكلم عن كتابة القرآن ونقطه: "ولا يمنع من ذلك كونه محدثا، فكم من محدث حسن، كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر،

---

(١) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٣٧ ، أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٤)

(٢) عواطف حمود العمير، التاريخ ا، : ٢٠٢٠/١/٦ ميلادي - ١٤٤١/٥/١٠ هـ .

(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٢٠ ، ص ١٦٣ .

وإنها بدعة حسنة، وإنما البدعة المذمومة ما تصادم السنة القديمة، أو ما يكاد يفضى إلى تغييرها.

٢- البدعة المذمومة لا تكون إلا في الدين، وهو ما يدل عليه حديث (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)(١)،

وتحديد الأمور الدينية وفصلها تماما عن أمور الدنيا من الصعوبة بمكان؛ لأن دين الإسلام نظام شامل، لم يترك شيئا من أمور هذه الحياة إلا بيّنه نصًّا أو إشارة، تصريحًا أو تلويحًا، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة، لكن ورد أن هناك أمورًا دنيوية لا يلزمنا فيها الاتباع، كما جاء في تأبير النخل وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم: (أنتم أعلم بأمر دنياكم)(٢).

٣- إن الكلام عن البدعة واضح فيما ورد في الكتاب والسنة من أقوال، لكن ما هو الرأي فيما وراء ذلك وهو الأفعال التي صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولم تصدر عنه فيها أقوال؟ هل تُعتبر كلها سنة تُتَّبع وجوبا أو ندبا أو لا تُعتبر من هذا القبيل؟.

أ- ما كان خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم كالوصال في الصيام بين الليل والنهار لا تأسّي فيه.

ب- ما صدر عنه على وجه الجبِلّة والطبيعة والعادة كالأكل والشرب والنوم لا تأسي فيه من جهة فعله، بل التأسي فيما ورد فيه قول عنه، وغاية ما يدل عليه مجرد فعله هو الإباحة، ولا يصح أن يقال لمن خالف ذلك: إنه يدعى تاركًا للسنة.

ت- ما عُرف كونه بيانا للقرآن كقطع اليد اليمنى للسارق لقراءة ابن مسعود، فيه التأسي وجوبا أو ندبا كالحكم المبين.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧١٨ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣٦٣ .

ث- ما ليس من الأمور السابقة، أي ليس خاصا ولا جبليا ولا بيانا وهو نوعان: نوع عُلمت فيه صفته في حق الرسول من وجوب أو ندب أو غيرهما، فأمته تابعة له، لقوله تعالى في سورة الأحزاب: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ (٢١)) ، ونوع لم تُعلم صفته في حق الرسول، أي لم يقم دليل خاص على أنه للوجوب أو غيره، فيُنظر فيه، فإن ظهر فيه معنى القربة، كافتتاح الرسائل بـ (باسم الله) فيُحمل على أقل مراتبه وهو الندب، ففيه التأسي والاتباع، وإن لم يظهر فيه معنى القربة، كإرسال شعر رأسه إلى شحمة أذنيه، وإرخاء العذبة بين كتفيه، قال قوم: لا تأسي فيه، غاية الأمر أنه مأذون فيه غير ممنوع. وقال آخرون: إنه مندوب كالنوع السابق.

٤- هذا فيما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فما الحكم في تركه؟ **قال العلماء:**

أ- ما تركه جبلّة وطبيعة كأكل الضب فلا تأسي فيه، وذلك أن خالد بن الوليد قال له: (أحرام هو يا رسول الله؟ قال: "لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه)[1]"،وقد أكله خالد أمامه صلى الله عليه وسلم.

ب- ما تركه خصوصية له، كأكل الثوم، فقد ورد أنه لما أُهدي إليه طعام فيه ثوم، أرسل به إلى أبي أيوب الأنصاري، فقال: (يا رسول الله تكرهه وترسل به إليّ؟! فقال: إني أناجي مَن لا تناجي)[2]، رواه البخاري ومسلم. وهذا لا تأسي فيه لعدم وجود المقتضى، وما ورد من النهي عن أكله فذلك لمن أراد حضور الجماعة في المسجد منعا للإيذاء، أما من لم يرد الحضور فلا حرج عليه في أكله.

ت- ما تركه لا جبلّة ولا خصوصية، فيُنظر فيه، فإن عُلم حكم الترك في حقه (صلى الله عليه وسلم) حُرمة أو كراهة فالناس تبعٌ له، وإن لم يُعلم دلّ على عدم الإذن فيه، وأقل مراتبه الكراهة، فيُحمل عليه حتى يقوم الدليل على ما فوقها وهو التحريم.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٩٤٥ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٥٥ .

ث- وإن ترك شيئا لمانع من فعله وقد صرّح به كترك صلاة التراويح جماعة خشية الفرضية، فهذا لا تأسي فيه بعد وفاته لعدم خشية الفرضية بانقطاع الوحي ولهذا رجع عمر إلى الأصل وصلاها جماعة ومدحها. ومثله عدم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم لحاطب بن أبي بلتعة الذي حاول إخبار قريش بمسيرةِ الرسول إلى مكة لفتحها، وذلك لقوله: (إنه شهد بدرًا) فأي جاسوس غيره يُقتل إن رأى الإمام ذلك، كما قال مالك، وذلك لعدم وجود مانع منه وهو شهود بدر.

ج- وإذا ترك شيئا لعدم المقتضى لفعله ثم حصل المقتضى بعد موته كان للمجتهد أن يرى رأيه، وذلك كجمع المصحف؛ حيث لم يكن له داعٍ في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكن لما توفي وكثر القتل في القرّاء في الغزوات رأى أبو بكر صواب جمعه لوجود المقتضى له. ومثله الأذان الأول للجمعة الذي أحدثه عثمان على الزوراء لإسماع الناس وإعلامهم بدخول وقت الصلاة بعد كثرتهم وشغلهم بالتجارة.

ح- وإذا ترك أمرا لم يوجد ولم تتهيأ أسبابه كعلامات التوقيت ورصد القمر خلف السحاب لمعرفة أوائل الشهور ثم تهيأت الأسباب لذلك فلا تأسي في تركه، وليس ذلك مخالفا للسنة. فهو من قبيل المسكوت عنه يجتهد فيه العلماء، أما الترك الذي يدل على عدم الإذن فيه فهو ما نُقل عنه بلفظ صريح، كتركه الأذان والإقامة للعيدين، وتركه غسل شهداء أحد والصلاة عليهم.

من هنا لا ينبغي أن يسمى (بدعة) إلا كل شيء عملي حدث جديدا لم يكن أيام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الراشدين المهديين؛ لأن هذا هو معنى "أحدث" أما ترك شيء كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه فلا يسمى بدعة بل يسمى "مخالفة"، سواء وصلت إلى درجة التحريم أو بقيت في درجة الكراهة، اللهم إلا إذا اتُّخذ الترك دينا يُتعَبد به فيكون بدعة، كمن حرموا على أنفسهم أكل اللحوم لا لسبب طبيعي ولكن للتدين وترك الحلال، فتحريمها من هذه الوجهة بدعة، أما الزهد والتقشف وإيثار الآخرة فلا بأس به.

إن البدعة الدينية تكون في الأصول المتفق عليها، أما الفروع التي هي محل الاجتهاد وفيها خلافات للعلماء فلا ينبغي أن توصف بالبدعة، وقد قال العلماء: إن العمل المستحدث إذا استند إلى حديث ولو كان ضعيفا يخرجه عن نطاق البدعة.

الشيء الجديد الذي ينتج خيرا على المستويين الفردي أو الجماعي لا ينبغي أن نسارع إلى إطلاق اسم البدعة عليه، والحكم بأنه ضلالة وفي النار، بل يجب أن ننظر أولا إلى عدم وجود نص يمنعه، وإلى عدم وجود ضرر فيه، ويُحكم عليه بأصل الحل، وبما تقرر من أنه إذا وُجدت المصلحة فثمّ شرع الله، وإذا أُطلق اسم على هذا الشيء الجديد يشبه اسما دينيا فلننظر إلى المحتوى لا إلى القالب الذي قد يكون من باب التشبيه الذي يُقصد فيه المعنى المجازي لا الحقيقي[1].

س١٠٠ : لماذا سميت صلاة الخوف بهذا الاسم ؟، وما صفتها الصحيحة ؟.

ج١٠٠:يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (صلاة الخوف لمن كانوا مصافي العدو أو يخافون هجومه؛ لقول الله سبحانه: (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً(١٠٢))[2] ، وفي الصحيحين عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة من أصحابه صلى الله عليه وسلم صفت معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالذين معه ركعة، ثم ثبت قائمًا وأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت، ثم ثبت جالسًا وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم[2].

وفي الصحيحين أيضًا عن ابن عمر قال: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) نجاح عبدالقادر سرور ضابط البدعة والتحذير منها مجموعة مواقع مداد تاريخ النشر: ١٥ رجب ١٤٣٧.

(٢) سورة النساء .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، برقم (٤١٣٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، برقم (٨٤٢).

وسلم قبل نجد فوازينا العدو فصاففناهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا، فقامت طائفة معه وأقبلت طائفة على العدو، وركع بمن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاءوا فركع بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين[1]..

وعن جابر قال: (شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين، صف خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعدو بيننا وبين القبلة، فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعًا، ثم ركع وركعنا جميعًا، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي صلى الله علبيه وسلم السجود، وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا، ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم، ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعًا، ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعًا، ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الأولى، وقام الصف المؤخر في نحر العدو، فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا[2] رواه مسلم في صحيحه، والله ولي التوفيق[3].

يقول الشيخ المنجد : (قد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم عدة مرات بأصحابه بصفات مختلفة) .

قال الإمام أحمد : (ثبت في صلاة الخوف ستة أحاديث أو سبعة أيهما فعل المرء جاز) .

وقال ابن القيم : (أُصُولُهَا سِتّ صِفَات ، وَأَبْلَغَهَا بَعْضهمْ أَكْثَر ، وَهَؤُلاءِ كُلَّمَا رَأَوْا اِخْتِلاف اَلرُّوَاةُ فِي قِصَّةٍ جَعَلُوا ذَلِكَ وَجْهًا مِنْ فِعْلِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب وقوله (وإذا ضربتم في الأرض) برقم ٩٤٢، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، برقم ٨٣٩. ، أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، برقم ٨٤٠.

(٢) نشر في كتاب فتاوى إسلامية من جمع محمد المسند ج ٢ ص ٢٦٠. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٢٢٧/٣٠).) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، برقم ٨٤٠.

(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز

اِخْتِلاف اَلرُّوَاةِ)[1] .

قال الحافظ : (وَهَذَا هُوَ اَلْمُعْتَمَدُ) .

وصفة صلاة الخوف تختلف باختلاف شدة الخوف ، وباختلاف مكان العدو ، هل هو في اتجاه القبلة أم في جهة أخرى ؟

وعلى الإمام أن يختار من الصفات ما هو أنسب للحال ، ومحققاً المصلحة ، وهي الاحتياط للصلاة ، مع كمال التحفظ والاحتراس من العدو ، حتى لا يهجموا على المسلمين بغتة وهو يصلون .

قَالَ الْخَطَّابِيُّ : (صَلاة الْخَوْف أَنْوَاع صَلاهَا النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَيَّام مُخْتَلِفَة ، وَأَشْكَال مُتَبَايِنَة ، يَتَحَرَّى فِي كُلّهَا مَا هُوَ أَحْوَط لِلصَّلاةِ ، وَأَبْلَغ فِي الْحِرَاسَة)[2] .

ثانياً : أول مشروعيتها:

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَقَاتَلُونَا قِتَالا شَدِيدًا ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ : لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَقَالُوا : إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ الأَوْلادِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْ الْعَصْرُ قَالَ : صَفَّنَا صَفَّيْنِ ، وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ . . . ثم ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف[3] .

ثالثاً : بيان بعض هذه الصفات :

الصفة الأولى : إذا كان العدو في غير اتجاه القبلة ، " فيقسم قائد الجيش جيشه إلى طائفتين ، طائفة تصلّي معه ، وطائفة أمام العدو ، لئلا يهجم على المسلمين ، فيصلّي بالطائفة الأولى ركعة ، ثم إذا قام إلى الثانية أتموا لأنفسهم أي : نووا الانفراد وأتموا لأنفسهم ، والإمام لا يزال

---

(١) الشوكاني ، نيل الأوطار ، جج٤ ، ص ٣ .
(٢) السيد سابق . فقه السنة ، ص٢٧٨ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٤٠

قائماً ، ثم إذا أتموا لأنفسهم ذهبوا ووقفوا مكان الطائفة الثانية أمام العدو ، وجاءت الطائفة الثانية ودخلت مع الإمام في الركعة الثانية ، وفي هذه الحال يطيل الإمام الركعة الثانية أكثر من الأولى لتدركه الطائفة الثانية ، فتدخل الطائفة الثانية مع الإمام فيصلّي بهم الركعة التي بقيت ، ثم يجلس للتشهد ، فإذا جلس للتشهد قامت هذه الطائفة من السجود رأساً وأكملت الركعة التي بقيت وأدركت الإمام في التشهد فيسلم بهم ، وهذه الصفة موافقة لظاهر القرآن ، قال الله تعالى : (وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا – أي : أتموا الصلاة – فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى – وهي التي أمام العدو – لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُم)(١) .

وعَنْ مَالِكٍ عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَّاتٍ عَمَّنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَّى صَلاةَ الْخَوْفِ : (أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ ، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ ، فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً ، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِمًا ، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ ، وَجَاءَتْ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلاتِهِ ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِسًا ، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ) قَالَ مَالِكٌ : وَذَلِكَ أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي صَلاةِ الْخَوْفِ(٢) .

الصفة الثانية : (إذا كان العدو في جهة القبلة ، فإن الإمام يصفهم صفين ويبتدئ بهم الصلاة جميعاً ، ويركع بهم جميعاً ويرفع بهم جميعاً ، فإذا سجد ، سجد معه الصف الأول فقط ويبقى الصف الثاني قائماً يحرس ، فإذا قام : قام معه الصف الأول ثم سجد الصف المؤخر ، فإذا قاموا تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ، ثم صلّى بهم الركعة الثانية قام بهم جميعاً وركع بهم جميعاً ، فإذا سجد ، سجد معه الصف المقدم الذي كان في الركعة الأولى هو المؤخر ، فإذا جلس للتشهد سجد الصف المؤخر ، فإذا جلسوا للتشهد سلم الإمام بهم جميعاً ، وهذه لا يمكن أن تكون إلا إذا كان العدو في جهة القبلة(٣).

---

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٤ و ص ٢٩٨ .
(٢) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤١٣، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٨٤٢ .
(٣) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٤ ، ص ٣٠٠ .

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْخَوْفِ ، فَصَفَّنَا صَفَّيْنِ : صَفٌّ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْعَدُوُّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَكَبَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَبَّرْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ رَكَعَ وَرَكَعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ وَرَفَعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ ، وَقَامَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّجُودَ وَقَامَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ انْحَدَرَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ بِالسُّجُودِ وَقَامُوا ، ثُمَّ تَقَدَّمَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ وَتَأَخَّرَ الصَّفُّ الْمُقَدَّمُ ، ثُمَّ رَكَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ وَرَفَعْنَا جَمِيعًا ، ثُمَّ انْحَدَرَ بِالسُّجُودِ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ الَّذِي كَانَ مُؤَخَّرًا فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى ، وَقَامَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ فِي نُحُورِ الْعَدُوِّ ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّجُودَ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ انْحَدَرَ الصَّفُّ الْمُؤَخَّرُ بِالسُّجُودِ ، فَسَجَدُوا ، ثُمَّ سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمْنَا جَمِيعًا)[1] .

الصفة الثالثة : إذا كان الخوف شديداً ، ولم يمكن للإمام أن يصف المسلمين ويصلي بهم جماعة ، وهذا يكون عند تلاحم الصفين ، ونشوب القتال ، ففي هذه الحال يصلي كل مسلم بمفرده ، وهو يقاتل ، ماشيا على قدميه ، أو راكباً ، مستقبل القبلة أو غير مستقبلها ، وينحني عند الركوع والسجود ، ويجعل السجود أخفض من الركوع ، قال الله تعالى : (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً.. (٢٣٩))[2]

قال السعدي:" (رِجَالًا) أي : على أرجلكم ، (أَوْ رُكْبَانًا) على الخيل والإبل وسائر المركوبات ، وفي هذه الحال لا يلزمه الاستقبال (يعني : استقبال القبلة) ، فهذه صلاة المعذور بالخوف[3].

روى البخاري عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : (وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُصَلُّوا قِيَامًا وَرُكْبَانًا)[4] .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٤٠ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ١٠٧ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٩٤٣ .

قال الحافظ : (وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) أَيْ : إِنْ كَانَ اَلْعَدُوّ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اَلْخَوْفَ إِذَا اِشْتَدَّ وَالْعَدْوّ إِذَا كَثُرَ فَخِيفَ مِنْ اَلانْقِسَامِ لِذَلِكَ جَازَتْ اَلصَّلاةُ حِينَئِذٍ بِحَسَبَ اَلإِمْكَان ، وَجَازَ تَرْكُ مُرَاعَاة مَا لا يُقْدَرُ عَلَيْهِ مِنْ اَلأَرْكَانِ ، فَيَنْتَقِلُ عَنْ اَلْقِيَامِ إِلَى اَلرُّكُوعِ ، وَعَنْ اَلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ إِلَى اَلإِيمَاءِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَبِهَذَا قَالَ اَلْجُمْهُور .

وروى اَلطَّبَرِيّ عَنْ اِبْن عُمَر قَالَ : (إِذَا اِخْتَلَطُوا – يَعْنِي فِي اَلْقِتَالِ – فَإِنَّمَا هُوَ اَلذِّكْرُ وَإِشَارَة اَلرَّأْسِ) .

وروى البخاري عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . . . ذكر صفة صلاة الخوف ، ثم قال :(فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، أَوْ رُكْبَانًا مُسْتَقْبِلِي الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا) قَالَ نَافِعٌ : لا أُرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ذَكَرَ ذَلِكَ إِلا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الحافظ :" وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ أُخْتُلِفَ فِي قَوْلِهِ " فَإِنْ كَانَ خَوْف أَشَدّ مِنْ ذَلِكَ " هَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ أَوْ مَوْقُوفٌ عَلَى اِبْن عُمَر ، وَالرَّاجِح رَفْعه .

وقال في المنتقى شرح الموطأ : (فَإِنْ كَانَ خَوْفًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ) يَعْنِي : خَوْفًا لا يُمْكِنُ مَعَهُ الْمُقَامُ فِي مَوْضِعٍ ، وَلا إِقَامَةَ صَفٍّ ، صَلَّوْا رِجَالا ؛ قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَوْفَ عَلَى ضَرْبَيْنِ : ضَرْبٌ يُمْكِنُ فِيهِ الاسْتِقْرَارُ وَإِقَامَةُ الصَّفِّ لَكِنْ يَخَافُ مِنْ ظُهُورِ الْعَدُوِّ بِالاشْتِغَالِ بِالصَّلاةِ ، وَأَمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي مِنْ الْخَوْفِ : فَهَذَا أَنْ لا يُمْكِنَ مَعَهُ اسْتِقْرَارٌ ، وَلا إِقَامَةُ صَفٍّ ، مِثْلُ الْمُنْهَزِمِ (الهارب من العدو) الْمَطْلُوبِ فَهَذَا يُصَلِّي كَيْفَ أَمْكَنَهُ ، رَاجِلا أَوْ رَاكِبًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالا أَوْ رُكْبَانًا) .

رابعاً :قال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع: ولكن إذا قال قائل : لو فرض أن الصفات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن تطبيقها في الوقت الحاضر ؛ لأن الوسائل الحربية والأسلحة اختلفت ؟.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٤٥٣٥ .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٤ و ص ٣٠٠ .

فنقول : إذا دعت الضرورة إلى الصلاة في وقت يخاف فيه من العدو ، فإنهم يصلّون صلاة أقرب ما تكون إلى الصفات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت الصفات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتأتى ، لقول الله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ(١٦))[١]، [٢] .

س١٠١ : لماذا أجاز الإسلام تعبير الرؤى والأحلام ؟. وهل كان النبي صلى الله عليه ويسلم يعبر الرؤى والأحلام ؟ .

ج١٠١: الرؤيا والحلم عبارة عما يراه الإنسان في نومه من الأشياء ، وأَرْأَى الرجل إذا كثرت رُؤَاهُ، بوزن رعاه، وهي أحلامه، جمع الرؤيا. ورأى في منامه رؤيا، على فُعْلَى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤًى، بالتنوين، مثل رعى[٣].

ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه الإنسان في منامه من الخير، والحلم على ما يراه من الشر. قال الحافظ ابن حجر –عند قول البخاري: باب الرؤيا من الله –: ''أي: مطلقًا، وإن قيدت في الحديث بالصالحة، فهو بالنسبة إلى ما لا دخول للشيطان فيه، وأما ما له فيه دخل فنسبت إليه نسبة مجازية، مع أن الكل بالنسبة إلى الخلق والتقدير من قبل الله، وإضافة الرؤيا إلى الله للتشريف، ويحتمل أن يكون أشار إلى ما ورد في بعض طرقه .... وظاهر قوله الرؤيا من الله والحلم من الشيطان؛ أن التي تضاف إلى الله لا يقال لها حلم، والتي تضاف للشيطان لا يقال لها رؤيا، وهو تصرف شرعي، وإلا فالكل يسمى رؤيا[٤] ، يقصد ابن حجر بقوله: فالكل يسمى رؤيا، أي: في الوضع اللغوي للكلمة، لكن الاستعمال الشرعي جعل الرؤيا غالبة في الخير، والحلم غالب في الشر[٥].

يقول الشيخ المنجد :الرؤيا الصادقة وهي من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(١) سورة التغابن .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٣٦٨٩٦تاريخ النشر ٢٥ / ٧ / ٢٠١٥ م .
(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ و ص ٢٩٨ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٣٦٩ .
(٥) موقع سلف للبحوث .

١- الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة [١].

٢- والرؤيا مبدأ الوحي[٢] .

٣- وصدقها بحسب صدق الرائي ، وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا[٣] .

٤- وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها فيكون للمؤمنين شيء من العوض بالرؤيا التي فيها بشارة لهم أو تصبير وتثبيت على الدّين [٤]. ونظير هذا الكرامات التي ظهرت بعد عصر الصحابة ولم تظهر عليهم لاستغنائهم عنها بقوة إيمانهم واحتياج من بعدهم إليها لضعف إيمانهم .

٥- والأحلام ثلاثة أنواع منها رحماني ومنها نفساني ومنها شيطاني وقال النبي صلى الله عليه وسلم "الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة فيراه في المنام،

٦- ورؤيا الأنبياء وحي فإنها معصومة من الشيطان وهذا باتفاق الأمة ولهذا أقدم الخليل على تنفيذ أمر الله له في المنام بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام .

٧- وأما رؤيا غير الأنبياء فتُعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها . وهذا مسألة خطيرة جدا ضلّ بها كثير من المبتدعة من الصوفية وغيرهم .

٨- ومن أراد أن تصدق رؤياه فليتحرّ الصدق وأكل الحلال والمحافظة على الأمر الشرعي واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم وينام على طهارة كاملة مستقبل القبلة ويذكر الله حتى تغلبه عيناه فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة .

٩- وأصدق الرؤى رؤى الأسحار فإنه وقت النزول الإلهي واقتراب الرحمة والمغفرة وسكون الشياطين وعكسه رؤيا العَتَمة عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية[٥].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،رقم الحديث٦٤٧٢، وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٤٢٠١
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٢٣١ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٢٠٠ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٦٤٩٩ .
(٥) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج١ ، ص ٥٠ – ٥١ .

١٠- وقال الحافظ ابن حجر :جميع المرائي تنحصر على قسمين :

أ- الصادقة ، وهي رؤيا الأنبياء ومَن تبعهم مِن الصالحين ، وقد تقع لغيرهم بندور (أي نادرا كالرؤيا الصحيحة التي رآها الملك الكافر وعبّرها له النبي يوسف عليه السلام) والرؤيا الصّادقة هي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم .

ب- والأضغاث وهي لا تنذر بشيء ، وهي أنواع :

- بتلاعب الشيطان ليحزن الرائي كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه ، أو رأى أنه واقع في هَوْل ولا يجد من ينجده ، ونحو ذلك .
- أن يرى أن بعض الملائكة تأمره أن يفعل المحرمات مثلا ، ونحوه من المحال عقلاً.
- أن يرى ما تتحدث به نفسه في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام ، وكذا رؤية ما جرت به عادته في اليقظة ، أو ما يغلب على مزاجه ويقع عن المستقبل غالبا وعن الحال كثيراً وعن الماضي قليلاً[١] .

١١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها : فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها ، وليحدث بها ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره : فإنما هي من الشيطان ، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره [٢]" .

١٢- عن أبي قتادة قال ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الرؤيا الصالحة من الله ، والحلُم من الشيطان ، فمَن رأى شيئا يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثا وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره[٣] ، والنفث : نفخ لطيف لا ريق معه .

١٣- عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٣٥٢ – ٣٥٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٨٤ .وعند الإمام مسلم برقم ٥٨٦٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٥٩٤ .

عن جنبه الذي كان عليه[1] .

١٤- قال ابن حجر : فحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء :

أ- أن يحمد الله عليها .

ب- أن يستبشر بها .

ت- أن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره .

وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة:

أ- أن يتعوذ بالله من شرها .

ب- ومن شر الشيطان .

ت- وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثا .

ث- ولا يذكرها لأحد أصلاً .

ج- ووقع (في البخاري) في باب القيد في المنام عن أبي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصّه على أحد وليقم فليصلّ .

ح- وزاد مسلم سادسة وهي : التحول من جنبه الذي كان عليه .

وفي الجملة فتكمل الآداب ستة ، الأربعة الماضية ، وصلاة ركعتين مثلا والتحوّل عن جنبه إلى النوم على ظهره مثلا [2].

١٥- وفي حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها إلا على وادّ بتشديد الدال اسم فاعل من الوُدّ أو ذي رأي وفي أخرى ولا يحدِّث بها إلا لبيبا أو حبيبا وفي أخرى ولا يقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح قال القاضي أبو بكر بن العربي أما العالم فإنه يؤولها له على الخير مهما أمكنه وأما الناصح فإنه يرشده إلى ما ينفعه ويعينه عليه وأما اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يعْلِمه بما يعوّل عليه في ذلك أو يسكت وأما الحبيب فان عرف خيرا قاله وإن جهل أو شك سكت[3] .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٨٦٤ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٣٧٠ .
(٣) المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٣٦٩ .

١٦- قال الإمام البغوي : واعلم أن تأويل الرؤيا ينقسم أقساماً ، فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب ، أو من جهة السنة،أو من الأمثال السائرة بين الناس ، وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني ، وقد يقع على الضد والقَلْب (أي العكس)[١] .

يقول الشيخ المنجد : وذكر رحمه الله أمثلة ، ومنها :

أ- فالتأويل بدلالة القرآن : كالحَبْل ، يعبَّر بالعهد ، لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله .

ب- والتأويل بدلالة السنة : كالغراب يعبر بالرجل الفاسق ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقاً .

ت- والتأويل بالأمثال : كحفر الحفرة يعبَّر بالمكر ، لقولهم : من حفر حفرة وقع فيها .

ث- والتأويل بالأسماء : كمن رأى رجلا يسمى راشداً يعبَّر بالرُشْد .

ج- والتأويل بالضد والقلب : كالخوف يعبر بالأمن لقوله تعالى وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً .

١٧- أما كتاب (تفسير المنام) المنسوب لابن سيرين : فقد شكك كثير من الباحثين في نسبته إليه، وعليه : فلا يجزم بتلك النسبة لهذا الإمام العلَم[٢] .

جاء في موقع سلف للبحوث : (أقسام الرؤيا: وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا إلى ثلاثة أقسام، كما في حديث أبي هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا ثلاث: حديث النفس، وتخويف الشيطان، وبشرى من الله)[٣] .

والقسم الأول جعلت الشريعة له أحكامًا، وهو الرؤيا؛ وذلك لورود أحاديث عدة فيه تنص على أنه جزء من النبوة، فقد ورد في الحديث: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة)[٤]، وهي البشرى التي أخبر القرآن عنها في قول الله تعالى :

---

(١) البغوي ، شرح السنة ، ج١٢ ، ص ٢٢٠ .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، سؤال رقم٦٥٣٧ تاريخ النشر : ١٩٩٩/١١/٢٠
(٣) االإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦١٤ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٢٢٦٣ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٥٨٢ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٢٢٦٤ .

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء الله لا خوْف عليْهِمْ ولا همْ يحْزنون (٦٢) الذِين آمنواْ وكانواْ يتقون لهم البشْرى فِي الحياةِ الدنْيا.. (٦٣)﴾[(١)].

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم البشرى في الآية بالرؤيا الصالحة: عن عطاءِ بنِ يسارٍ، عن رجلٍ، مِن أهلِ مِصر، قال: سألت أبا الدرداءِ، عن قوْلِ اللهِ تعالى: ﴿لهم البشْرى فِي الحياةِ الدنْيا﴾، فقال: ما سألنِي عنها أحد غيرك إِلا رجل واحِد منذ سألْت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: (ما سألنِي عنْها أحد غيْرك منْذ أنْزِلتْ، هِي الرؤْيا الصالِحة يراها المسْلِم أوْ ترى له)[(٢)].

وهذه الرؤيا لها حالات بحسب الرائي، والمـــعَبِّر

الحالة الأولى : إن كان الرائي نبيًّا وجب العمل بها؛ لأنها وحي من الله، ومن أمثلة ذلك: قصة إبراهيم في ذبح ابنه، وكذلك إذا كان المعبِّر لها نبيًّا فهي على ما أخبر به لا تتخلف، كما عبر يوسف عليه الصلاة والسلام رؤيا الملِك[(٣)] وكذلك إذا أقر النبي أنها رؤيا حق وصدق، وجب العمل بها: كما في حديث عبد الله بن زيد أنه أُرِيَ الأذان في منامه، فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال له: يا رسول الله، إني لبين نائمٍ ويقظان، إذ أتاني آت فأراني الأذان، قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يومًا، قال: ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: (ما منعك أن تخبرني؟) فقال: سبقني عبد الله بن زيد، فاستحييت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بلال، قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد، فافعله، قال: فأذن بلال)[(٤)]، وهذه الرؤيا عُمِل بها؛ لأن الوحي أقرها؛ لا لأنه يجب العمل بها استقلالًا.

الحالة الثانية: أن يراها رجل صالح معروف بالصلاح، فهذه رؤيا حق وصدق، ويُستأنس بها،

---

(١) سورة يونس .
(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٢٧٣ .
(٣) اب كثير ، التفسير ، ج٢ ، ص ٤٥٠ .
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٩١ .

لكن لا يجب العمل بها، إلا إذا جاءت عاضدة لنص شرعي، فهي جزء من النبوة من ناحية أنها بشارة أو نذارة، وهذا حظها من النبوة، لا أنها تشريع، فصدقها ليس هو علامة صلاحها؛ إذ قد يصدق الكاهن والكذاب بل لا بدّ من صلاحها، وصلاحها لا يُعرف إلا بموافقة الشرع[1].

وهذا النوع من الرؤيا كان السلف يستبشرون به، لكنهم لا يعملون به في إنشاء الأحكام، أو تشريع العبادات، وذلك راجع إلى أمرين: أن رؤيا غير النبي ظنية ومحتملة؛ لأنها قد تكون حديث نفس، أو من الشيطان، حتى ولو كان الرائي صالحًا والمعبِّر صالحًا؛ فقد ثبت خطأ الصالح في الرؤيا، وخطأ المعبر، ومن ذلك ما روي عن جابر قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي قطع، قال: فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس. وفي رواية أبي بكر: "إذا لُعِبَ بأحدكم ولم يذكر الشيطان[2] ،فهذا رجل من الصحابة لعب الشيطان به في الرؤيا، ولا يشك أحد في صلاح الصحابة عمومًا، وفضلهم.

ومن أمثلة الخطأ في التعبير: ما ورد من تخطئة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في تعبير الرؤيا، فقد قال له : (أصبت بعضًا، وأخطأت بعضًا)، والقصة بكاملها في الصحيحين من حديث ابن عباس[3] فمن يضمن عدم الخطأ بعد أبي بكر، ولذلك تصدَّى السلف لمثل هذه الأمور واعتبروا كل خارق يراد منه تشريع حكم لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم هو من الشيطان، فقد أخرج ابن وضاح في البدع: عن حارثة بن مضرب: إن الناس نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم دخل الجنة، فانطلق النساء والرجال حتى امتلأ المسجد قيامًا يصلون. قال أبو إسحاق: إن أمي وجدتي فيهم، فأتي ابن مسعود فقيل له: أدرك الناس، فقال: ما لهم؟ قيل: نودي فيهم بعد نومة أنه من صلى في المسجد الأعظم

---

(١) المازري ،المعلم ، ج٣ ، ص١١٢ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٦٨ .
(٣) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦٣٩ ، وعند الإمام مسلم و رقم الحديث ٢٢٦٩ .

دخل الجنة، فخرج ابن مسعود يشير بثوبه: ويلكم اخرجوا لا تعذبوا، إنما هي نفخة من الشيطان، إنه لم ينزل كتاب بعد نبيكم، ولا ينزل بعد نبيكم، فخرجوا، وجلسنا إلى عبد الله، فقال: إن الشيطان إذا أراد أن يوقع الكذب انطلق فتمثل رجلًا، فيلقى آخر فيقول له: أما بلغك الخبر؟ فيقول الرجل: وما ذاك؟ فيقول: كان من الأمر كذا وكذا، فانطلق فحدث أصحابك، قال: فينطلق الآخر فيقول: لقد لقينا رجلًا إني لأتوهمه أعرف وجهه، زعم أنه كان من الأمر كذا وكذا، وما هو إلا الشيطان[1]، وحاصل مذهبهم في الرؤيا أنها مبشرة أو منذرة، أما العمل بها استقلالا عن الشرع، فلا يجوز وذلك لأسباب:

١- أن الرؤيا تقع حال النوم، وليست هي حالة ضبط وتحقيق، ولا هي حالة تكليف؛ ولذا رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ، فلا تقبل رواية النائم لاختلاف ضبطه[2].

٢- أن الرؤيا رموز وإشارات لا يتمكن كل الناس من فهمها، وهي محتملة لتفسيرات عدة؛ لذا يصعب الاستدلال بها، قال المعلمي: (أن الرؤيا قد تكون حقًّا وهي المعدودة من النبوة، وقد تكون من الشيطان، وقد تكون من حديث النفس، والتمييز مشكل، ومع ذلك فالغالب أن تكون على خلاف الظاهر حتى في رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما قصَّ من ذلك في القرآن، وثبت في الأحاديث الصحيحة؛ ولهذه الأمور اتفق أهل العلم أن الرؤيا لا تصلح للحجة، وإنما هي تبشير وتنبيه، وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة)[3] .

أما الحلم: فقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم طريقة التعامل معه، وهي التي التزمها السلف، وملخصها: الاستعاذة منه، والبصق عن اليسار، والتحول على الجنب، والصلاة، وعدم الحديث به، وقد وردت بذلك أحاديث عدة منها: عن أبي قتادة — رضي الله تعالى عنه –مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ''الرؤيا من الله،

---

(١) ابن وضاح ، البدع ، ج١ ، ص ٣٣ .
(٢) المقدم : أصول بلا أصول ، ص ٦٥ .
(٣) المعلمي ، القائد إلى تصحيح العقائد ، ص ٨٠ .

والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله منه فلن يضره[1]، وعن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل[2]) ، وقد عمل السلف بمقتضى هذه الأحاديث ،وحاصل القول في مسألة الحلم: أنه من الشيطان، وهو تحزين للمؤمن، أما الرؤيا فقد تبين مما سبق أن الأحاديث الواردة في الرؤيا تدل على اعتبارها في البشارة والنذارة، وهذا حظها من النبوة،قال تعالى: (لهم البشْرى فِي الحياةِ الدنيا..(٦٣))[3] أما التشريع فلا سبيل إليه؛ لأنها لا تخرج عن حالتين:

إما أن توافق الوحي: فلا إشكال، فالحكم ثابت بالوحي، والأمر قبلها وبعدها سيان.

وإما أن تخالفه: فالوحي نبوة كاملة قاطعة، لا يمكن ردها بما هو دونها، خصوصًا أن الرؤيا لا ينقطع بها العذر، ولا يلزم من مخالفتها العقاب، بخلاف الوحي[4].

٣- أن الوحي لا يشتبه مع غيره، بخلاف الرؤيا فإنها تشتبه مع حديث النفس وحلم الشيطان، وقد مر معنا عدم عصمة الصالحين من لعب الشيطان، فالأصل هو الوحي وهو الحكم، وقد أوجب الله اتباعه وتقديمه على غيره، فقال تعالى: (اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُون(٣))[5]، والرؤيا ليست مما أنزل ولا هي داخلة فيه، فكيف إذا عارضته؟! وقد بين الله أنه أكمل الدين، فلا سبيل إلى الزيادة فيه والنقصان: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً.. (٣)) فلا يكون الدين إلا بالوحي كتابًا وسنة، ثم ما وافقهما من سنة وإجماع وقياس واستصحاب، هذا هو مذهب السلف، ومنهجهم .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٦٦٠٣ ، وعند الإمام مسلم رقم الحديث ٢٢٦١ .
(٢) المصدر السابق رقم الحديث ٦٦٤١ .
(٣) سورة يونس .
(٤) الشاطبي ، الاعتصام ، ج٢ ، ص ٢٩٠ .
(٥) سورة الأعراف .
(٦) سورة المائدة .
(٧) مركز سلف للبحوث .

أما تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للرؤى فنورد ما يلي :

١- جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أنه: كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذا صلى الصبحَ أقبل عليهم بوجهِه فقال: (هل رأى أحدٌ منكم البارحةَ رُؤْيا ؟) [١]

٢- وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص على الصحابة الرؤيا يراها ثم يذكر لهم تفسيرها وقد تكرر ذلك في رؤى متعددة أو كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم: (بينما أنا نائمٌ، رأيتُ الناسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وعليهِم قُمُصٌ، منها ما يَبْلُغُ الثَّدْيَ، ومنها ما يَبْلُغُ دونَ ذلك. ومَرَّ عَلَيَّ عمرُ بنُ الخطابِ وعليه قميصٌ يَجُرُّهُ قالوا: ما أَوَّلْتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : الدِّينُ) [٢]

٣- (بينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ قدحًا أتيتُ بِهِ فيهِ لبنٌ فشربتُ منْهُ حتَّى إنِّي لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري ثمَّ أَعطيتُ فضلي عمرَ بنَ الخطَّاب. قالوا فما أوَّلتَ ذلِكَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: العِلمَ)[٣].

٤- (بينا أنا نائمٌ أُتيتُ بخزائنِ الأرضِ ، فوُضع في كفَّيَّ سِواران من ذهبٍ ، فكبُرا عليَّ ، فأُوحِي إليَّ أنِ انفُخْهما ، فنفختُهما فذهبا ، فأوَّلتُهما الكذَّابَيْن اللذَيْن أنا بينهما : صاحبُ صنعاءَ ، وصاحبُ اليمامةِ) [٤]

٥- روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم السيدة عائشة رضي الله عنها كيفية تفسير الرؤى أو كما نقل ابن حجر العسقلاني بإسناد حسن في كتاب التعبير بموسوعة فتح الباري بشرح صحيح البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كانَتِ امرأةٌ من أهلِ المدينةِ لها زوجٌ تاجرٌ يختلفُ يعني في التجارةِ فأتتْ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فقالَت: إن زوجي غائبٌ وترَكَني حاملًا فرأيْتُ في المنامِ أن

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٧٥ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣٩٠ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣٩١ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٣٧٥ .

سارِيةَ بيتِي انكسرَتْ، وأني ولدْتُ غلامًا أعورَ، فقال خيرٌ يرجعُ زوجُكِ إن شاءَ اللهُ صالحا، وتَلدينَ غلامًا برًّا، فذكَرْتُ ذلك ثلاثًا، فجاءَتْ ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ غائبٌ، فسألْتُها فأخبرَتني بالمنامِ، فقلْتُ لئن صدقَتْ رؤياكِ ليموتَنَّ زوجُكِ، وتلدينَ غلامًا فاجرًا. فقعدَتْ تَبكي، فجاء رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فقال: مَهْ يا عائشةُ إذا عبرْتُم للمسلمِ الرؤيا فاعبُروها على خيرٍ فإن الرؤيا تكونُ على ما يعبرُها صاحبُها)[1].

٦- جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم الصحابة تفسير رموز الرؤى ومعانيها في المنام. فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللبنُ في المنامِ فطرَةٌ)[2].

٧- وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعلم الصحابة قواعد لتفسير الرؤى، أو كما روى ابن ماجة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إن للرؤيا كنى ولها أسماء، فكنوها بكناها، واعتبروها بأسمائها، والرؤيا لأول عابر)[3] (فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف)على الرغم من ضعف إسناد الحديث إلا إنه قد جاء في الحديث الصحيح ما يؤيده ويدل على صحة معناه.

أما التعبير بالاسم والكنية، فقد روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيتُ ذاتَ ليلَةٍ ، فيما يرى النَّائِمُ ، كأنَّا في دارِ عقبةَ بنَ رافِعٍ . فأُتينا برُطبٍ مِن رُطبِ ابنِ طابٍ . فأوَّلتُ الرِّفعةَ لنا في الدُّنيا والعاقبةَ في الآخِرَةِ . وأنَّ دينَنَا قد طاب)[4]، فتفسير الرؤيا بالاسم: تفسير عقبة بالعاقبة وتفسير الرؤيا بالكنية: تفسير بن رافع بالرفعةز

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٤٥٠ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٢٠٧ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٤٥٠ . وقال ضعيف ولكن له شاهد .
(٤) الإمام مسلم و صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٧٠ .

وأما "الرؤيا لأول عابر، فعن أبي رزين العقيلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال:(الرؤيا على رِجلِ طائرٍ ما لم تُعَبَّرْ ، فإذا عُبِّرَتْ وَقَعَتْ)[1] .

وفي هذه الأدلة ما يشير إلى أن تفسير الرؤى هو علم يمكن أن يتعلمه المسلم وأن الأصل في تعليمها أنه جائز من حيث المبدأ إذا صدر عن عالم بها وبأحوالها وبقواعد وأصول تفسيرها[2].

أما حكم من يقرأ كتب الرؤى والأحلام فعن ذلك يقول الشيخ ابن باز : (لا أعلم حرجاً في قراءة كتب التفسير، ابن سيرين وغيره، كتب الأحلام يستفيد منها طالب العلم، لكن لا يعتمد عليها بل بالأدلة، لابد ينظر إلى الأدلة، ويتعلم، وينظر القرائن، وإذا أشكل عليه لا يجزم، يقول: لعل المراد كذا، إذا رأى رؤيا طيبة، حمد الله عليها، مثل: رأى أنه يتفقه في الدين، رأى أنه دخل الجنة، هذا يحمد الله على ذلك، رأى أنه بار بوالديه، رأى أنه يحافظ على الصلوات، كل هذا خير، يحمد الله على ذلك.

فإن رأى ما يكره، كأن يرى أنه سقط في بئر، أو أنه قتل، أو أنه يشرب الخمر، أو ما أشبه ذلك، هذه من الشيطان، إذا رأى أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتفل عن يساره ثلاثًا، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأيت -ثلاث مرات- ثم ينقلب على جنبه الآخر؛ فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا.

فالذي يعبر الرؤيا ينظر ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، يعرف الأحاديث الواردة، يستفيد من الكتب، لكن لا يعتمد على قول فلان وفلان، يعتمد على الأحاديث، والدلائل الشرعية، والقرائن الشرعية لتفيده، ويتثبت في الأمور، ولا يعبر الرؤيا إلا عن بصيرة، وإذا شك، يقول: لعل كذا، لعل كذا، والنبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الرؤيا الصالحة، قال: يحمد الله عليها إذا رأى ما يحب، أو ما يسره، قال: يحمد الله، ويخبر بها من أحب، ولما سئل عن إذا رأى الإنسان ما يكره، قال صلى الله عليه وسلم : إذا رأى أحدكم ما يكره فلينفث

(١) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٥٠٢٠ .
(٢) جمال حسين – باحث ومحاضر ومدرب في علم تفسير الرؤى موقع تعبير الرؤى في الإسلام.

عن يساره ثلاثًا، ويتعوذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى ثلاث مرات ثم ينقلب على جنبه الآخر، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا هذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم.

إذا رأى الإنسان ما يحب مثل يرى أنه يصلي على الوجه الشرعي، يرى أنه يتعلم علمًا يتفقه في الدين، يرى أنه دخل الجنة، وما أشبه ذلك من المرائي الطيبة، يرى أنه يجالس الصالحين والأخيار، يرى أنه في حلقات العلم، هذه رؤية طيبة، يحمد الله، يقول: الحمد لله، إذا استيقظ، الحمد لله، يسر بهذا الشيء، يخبر بها أحبابه ومن أحب، لا بأس.

أما إذا رأى ما يكره، رأى أنه يضرب، أو يتوعد، أو أنه مع الأشرار، أو أنه دخل النار، أو أنه مريض، أو ما أشبه ذلك من الأشياء المكروهة، إذا استيقظ فزع منها، كرهها، فالرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاه أنه: يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان ومن شر ما رأيت -ثلاث مرات- ثم ينقلب على جنبه الآخر؛ فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحدًا وبين صلى الله عليه وسلم أن هذه من الشيطان، أن هذه الرؤيا من الشيطان ليحزن الإنسان، ليؤذيه، يريه هذه الرؤية ليحزنه ليؤذيه، فلا ينبغي أن يقر الشيطان ويسره، لا؛ بل ينبغي له أن يكون عدوًا للشيطان، يتعوذ بالله من الشيطان، يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويتعوذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى، حتى يغيظ الشيطان، ثم ينقلب على جنبه الآخر، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يخبر به، لا يقول: رأيت ..رأيت، يتركها، فإنها لا تضره، والحمد لله)[١] .

س١٠٢: لماذا رفع الله القلم عن بعض الأشخاص وبعض التصرفات ؟.

ج١٠٢ : للتفصيل في ذلك نقول والله أعلم ؛ رفع القلم عن:

١- الصغير حتى يكبر .

٢- النائم حتى يستيقظ .

٣- والمجنون حتى يعقل .

٤- الكبير الذي لم يعد يعقل

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز و تفريغ نصي .

وكل هذه تتمحور حول العقل ودوره في التكليف من عدمه ، وكذلك ، رُفع القلم عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم في ما يلي :

١- الخطأ.

٢- النسيان .

٣- ما استكرهوا عليه .

وللتفصيل في هذه الأمور ننقل ما قاله علماء الأمة السابقين واللاحقين :

(عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (رُفِعَ القلمُ عن ثلاثٍ : عن النائمِ حتى يستيقظَ ، وعنِ الصبيِّ حتى يَشِبَّ ، وعنِ المعتوهِ حتى يعقِلَ)[(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (هذا الحديث صحيح المعنى وإن كان في سنده ما فيه، لكن تشهد له نصوص الكتاب والسنة، فالخطأ معفو عنه معذور به الإنسان؛ لقول الله تبارك وتعالى:(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قال الله: قد فعلت، وكذلك النسيان؛ لهذه الآية وكذلك الإكراه لقول الله تبارك وتعالى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)، هذه نصوص عامة تشمل كل ما يقع من خطإ أو نسيان أو إكراه، وهناك نصوص خاصة تبين ذلك أيضاً، فمنها ما ثبت في صحيح البخاري، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها، أن الناس أفطروا في غيم على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم طلعت الشمس ولم يأمرهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالقضاء؛ لأنهم أفطروا عن ظن أخطئوا فيه، وكذلك عدي بن حاتم رضي الله عنه كان يتسحر ويأكل، وكان قد جعل تحت وساده عقالين، أحدهما أسود والثاني أبيض، وكان يأكل ويأكل حتى تبين العقال الأبيض من العقال الأسود، ثم أمسك، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يأمره

---

(١) الترمذي و سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٤٣٢ .

بالقضاء، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من نسي وهو صائم فأكل وشرب فليتم صومه؛ فإنما أطعمه الله وسقاه»، وعلى هذا الخطأ والنسيان والإكراه، كلها معفو عنها في هذه الشريعة الميسرة المسهلة، نسأل الله تعالى أن يزيدنا تمسكاً بها، وثباتاً عليها إلى الممات ، لكن ما نسي من الواجبات، فإنه يقضى إذا لم يفت سببه، فإذا نسي الإنسان أن يصلي فإنه يصلي إذا ذكر؛ لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك»، ثم تلا قوله تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي))[1].

يقول الشيخ الفوزان : (معنى الحديث رفع الإثم عن هؤلاء الثلاثة فلا يؤاخذون ما داموا في هذه الحالة لأنهم غير مكلفين، لكن النائم يقضي الصلاة إذا استيقظ كما جاء في الحديث الآخر. وكذلك لو ارتكبوا شيئاً فيه اعتداء على الآخرين كإتلاف المال وإتلاف شيء من الأنفس فإنهم يغرمون المال الذي أتلفوه وكذلك لو قتلوا نفساً في هذه الحالة فإنه يعتبر هذا من قتل الخطأ فتجب عليهم الكفارة والدية على العاقلة لأن حقوق الآدميين لا تسقط بذلك لأن مبناها على المشاحة، وأما حقوق الله سبحانه وتعالى فمبناها على المسامحة[2].

يقول السيوطي : (القول في النائم ، والمجنون ، والمغمى عليه قال رسول الله : صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن ثلاث : عن النائم ، حتى يستيقظ ، وعن المبتلى حتى يبرأ ، وعن الصبي حتى يكبر) . هذا حديث صحيح ، أخرجه أبو داود بهذا اللفظ . من حديث عائشة رضي الله عنها . وأخرجه من حديث علي وعمر بلفظ :(عن المجنون حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يعقل) وأخرجه أيضا عنهما بلفظ (عن المجنون حتى يفيق) ، وبلفظ (عن الصبي ، حتى يحتلم) ، وبلفظ(حتى يبلغ) . وذكر أبو داود : أن ابن جريج رواه عن القاسم بن يزيد عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم فزاد فيه والخرف)[3].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين ، تفريغ نصي .
(٢) موقع طريق الاسلام .
(٣) السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج١ ،ص ٢١٢ .

قد ألف السبكي في شرح هذا الحديث كتابا ، سماه " إبراز الحكم من حديث : رفع القلم " ، ذكر فيه ثمانية وثلاثين فائدة تتعلق به ، وأول ما نبه عليه : (أن الذي وقع في جميع روايات الحديث : في سنن أبو داود ، وابن ماجه والنسائي ، والدارقطني " عن ثلاثة " بإثبات الهاء " ويقع في بعض كتب الفقهاء " ثلاث " بغير هاء ، قال : ولم أجد لها أصلا . قال الشيخ أبو إسحاق : (العقل) صفة يميز بها الحسن والقبيح ، قال بعضهم : ويزيله الجنون والإغماء والنوم ، وقال الغزالي : الجنون يزيله والإغماء يغمره والنوم يستره.

قال السبكي : وإنما لم يذكر المغمى عليه في الحديث ؛ لأنه في معنى النائم وذكر الخرف في بعض الروايات ، وإن كان في معنى المجنون ؛ لأنه عبارة عن اختلاط العقل بالكبر ، ولا يسمى جنونا ؛ لأن الجنون يعرض من أمراض سوداوية ويقبل العلاج ، والخرف خلاف ذلك[1] ؛ ولهذا لم يقل في الحديث " حتى يعقل " لأن الغالب أنه لا يبرأ منه إلى الموت ، قال : ويظهر أن الخرف رتبة بين الإغماء والجنون ، وهي إلى الإغماء أقرب، واعلم : أن الثلاثة قد يشتركون في أحكام ، وقد ينفرد النائم عن المجنون . والمغمى عليه تارة يلحق بالنائم ، وتارة يلحق بالمجنون ، وبيان ذلك بفروع :

الأول : الحدث يشترك فيه الثلاثة .

الثاني : استحباب الغسل عند الإفاقة للمجنون ، ومثله المغمى عليه .

الثالث : قضاء الصلاة إذا استغرق ذلك الوقت ، يجب على النائم ، دون المجنون ، والمغمى عليه كالمجنون .

الرابع : قضاء الصوم إذا استغرق النهار ، يجب على المغمى عليه بخلاف المجنون . والفرق بينه وبين الصلاة كثرة تكررها ، ونظيره : وجوب قضاء الصوم على الحائض والنفساء ، دون الصلاة .

وأما النائم : إذا استغرق النهار وكان نوى من الليل ، فإنه يصح صومه على

---

(١) السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج١، ص ٢١٣ .

المذهب ، والفرق بينه وبين المغمى عليه : أنه ثابت العقل ؛ لأنه إذا نبه انتبه بخلافه ، وفي النوم وجه أنه يضر كالإغماء

وفي الإغماء وجه : أنه لا يضر كالنوم ، ولا خلاف في الجنون ، وأما غير المستغرق من الثلاثة ، فالنوم لا يضر بالإجماع ، وفي الجنون قولان : الجديد البطلان ؛ لأنه مناف للصوم ، كالحيض وقطع به بعضهم .

وفي الإغماء طرق :

أحدها : لا يضر إن أفاق جزءا من النهار ، سواء كان في أوله أو آخره

والثاني : القطع بأنه إن أفاق في أوله صح ، وإلا فلا .

والثالث : وهو الأصح فيه أربعة أقوال :

١- أظهرها لا يضر إن أفاق لحظة ما .

٢- في أوله خاصة .

٣- في طرفيه .

٤- يضر مطلقا فيه ، فتشترط الإفاقة جميع النهار .

والفرع الخامس : الأذان : لو نام أو أغمي عليه أثناءه ، ثم أفاق ، إن لم يطل الفصل بنى ، وإن طال ، وجب والاستئناف على المذهب، قال: قال أصحابنا والجنون هنا كالإغماء.

الفرع السادس: لو لبس الخف ، ثم نام حتى مضى يوم وليلة انقضت المدة [(١)]، قال البلقيني : ولو جن أو أغمي عليه ، فالقياس أنه لا تحتسب عليه المدة ؛ لأنه لا تجب عليه الصلاة ، بخلاف النوم لوجوب القضاء ، قال : ولم أر من تعرض لذلك .

الفرع السابع : إذا نام المعتكف حسب زمن النوم من الاعتكاف قطعا ؛ لأنه كالمستيقظ . وفي زمان الإغماء وجهان : أصحهما يحسب . ولا يحسب زمن الجنون قطعا ؛ لأن العبادات البدنية لا يصح أداؤها في حال الجنون .

---

(١) السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج١، ص ٢١٤ .

الفرع الثامن : يجوز للولي أن يحرم عن المجنون بخلاف المغمى عليه كما جزم به الرافعي .

الفرع التاسع : الوقوف بعرفة لا يصح من المجنون ؛ والمغمى عليه مثله في الأصح ، بخلاف النائم المستغرق في الأصح ، وحكى الرافعي عن المتولي – وأقره – : أنه إذا لم يجزه في المجنون يقع نفلا ، كحج الصبي ، وكذا المغمى عليه ، كما في شرح المهذب .

الفرع العاشر : يصح الرمي عن المغمى عليه ، ممن أذن له قبل الإغماء ، في حال تجوز فيه الاستنابة ، قال في شرح المهذب : والمجنون مثله ، صرح به المتولي وغيره .

الفرع الحادي عشر : يبطل بالجنون كل عقد جائز ، كالوكالة إلا في رمي الجمار ، والإيداع والعارية والكتابة الفاسدة ، ولا يبطل بالنوم . وفي الإغماء وجهان : أصحهما كالمجنون .

الفرع الثاني عشر : ينعزل القاضي بجنونه وبإغمائه بخلاف النوم

الفرع الثالث عشر : ينعزل الإمام الأعظم بالجنون : ولا ينعزل بالإغماء ؛ لأنه متوقع الزوال .

الفرع الرابع عشر : إذا جن ولي النكاح ، انتقلت الولاية للأبعد ، والإغماء إن دام أياما ففي وجه : كالجنون ، والأصح لا ، بل ينتظر كما لو كان سريع الزوال .

الفرع الخامس عشر : يزوج المجنون وليه بشرطه المعروف ولا يزوج المغمى عليه كما يفهم من كلامهم ، وهو نظير الإحرام بالحج .

الفرع السادس عشر : قال الأصحاب : لا يجوز الجنون على الأنبياء ؛ لأنه نقص ويجوز عليهم الإغماء ؛ لأنه مرض ، ونبه السبكي على أن الإغماء الذي يحصل لهم ليس كالإغماء الذي يحصل لآحاد الناس ، وإنما هو لغلبة الأوجاع للحواس الظاهرة فقط دون القلب .

قال : لأنه قد ورد أنه إنما تنام أعينهم دون قلوبهم ، فإذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو أخف من الإغماء ، فمن الإغماء بطريق الأولى ، وهو نفيس جدا .

الفرع السابع عشر : الجنون يقتضي الحجر ، وأما الإغماء فالظاهر أنه مثله ، كما يفهم من كلامهم[(١)] .

---

(١) السيوطي ، الأشباه والنظائر ، ج١، ص ٢١٥ .

الفرع الثامن عشر : يشترك الثلاثة في عدم صحة مباشرة العبادة والبيع والشراء ، وجميع التصرفات من العقود والفسوخ كالطلاق والعتق ، وفي غرامة المتلفات وأروش الجنايات[1] .

الفرع التاسع عشر : لا ينقطع خيار المجلس بالجنون والإغماء على الصحيح . ولم أر من تعرض للنوم .

الفرع العشرون : لو قال إن كلمت فلانا فأنت طالق ، فكلمته وهو نائم أو مغمى عليه أو هذت بكلامه في نومها وإغمائها ، أو كلمته وهو مجنون طلقت أو وهي مجنونة ؛ قال ابن الصباغ : لا تطلق ، وقال القاضي حسين : تطلق قال الرافعي : والظاهر تخريجه على حنث الناسي .

الفرع الحادي والعشرون : لو وطئ المجنون زوجة ابنه حرمت عليه ، قاله القاضي حسين .

الفرع الثاني والعشرون : ذهب القاضي الفوراني إلى أن المجنون لا يتزوج الأمة ؛ لأنه لا يخاف من وطء يوجب الحد والإثم ، ولكن الأصح خلافه ، كذا في الأشباه والنظائر لابن الوكيل ، ثم ذكر أن الشافعي نص على أن المجنون لا يزوج منه أمة[2].

س١٠٣: ماذا نهى الإسلام عن الغش ؟.

ج١٠٣: إنّ كلمة الغش تتضمن العديد من المعاني، فهي إظهارُ الإنسان خلاف ما يُضمِر، وقد ظهرت في الاصطلاح تعريفات متعددة تختلف عن بعضها البعض باختلاف المجال الذي وُجِدَ فيه الغش، فعرّفه الاصطلاح الشرعي بأنّه ما يُخلَط من الردي والسيء بالجيد، أو بث السوءِ ونشرهِ على أنّه خير يُرجا، أما الغش في الاصطلاح التربوي فهي عملية تزييف النتائج المتعلقة بالتقويم، أو محاولة من الطالب لأخذ إجابة الأسئلة بطرق غير مشروعة، وعرّف علم الاجتماع الإسلامي الغش بأنّه ظاهرة اجتماعية منحرفة، خرجت عن العديد من المعايير والقيم الشرعية التي أقرّها الإسلام؛ وذلك لما تتركه في المجتمع من آثارٍ سلبيةٍ واضحةٍ تنعكس على مظاهر الحياة الاجتماعية، ورغم تجدُّد مفاهيم الغش وتنوعها؛ إلّا أنّها تتقارب وتتّفق في

---

(١) السيوطي ، الأشباه والنظائر، ج١ ، ص ٣٧٤ .
(٢) موقع ملتقى الخطباء ، في ١٣ / ٥ / ١٤٣٩ هـ .

مضمونها،وإن لم تنطبق بشكلٍ كلّي، فجميعها يقرر أنّ الغش من حيث المفهوم يتضمن الخيانة، بِحُكم أنّ الغش هو نقضٌ للعهد، وتفريطٌ للأمانة، وبمفهومه أيضاً يقترب من النفاق العملي؛ لأنّ الغشّاش يُضمِر للطرف الآخر خِلاف ما يُظهِر[(1)].

ذم الله عز وجل الغش وأهله في القرآن الكريم وتوعدهم بالويل ويفهم ذلك من قوله تعالى : (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦))[(1)].

فهذا وعيد شديد للذين يبخسون المكيال والميزان ، فكيف بحال من يسرقها ويختلسها ويبخس الناس أشياءهم ؟! إنه أولى بالوعيد من مطففي المكيال والميزان .

وقد حذر نبي الله شعيب عليه السلام قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف في المكيال والميزان كما حكى الله عز وجل ذلك عنه في القرآن .

وكذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الغش وتوعد فاعله ، وذلك: (أن رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ مَرَّ علَى صُبْرَةِ طَعامٍ فأدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا فقالَ: ما هذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟ قالَ أصابَتْهُ السَّماءُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النَّاسُ، مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي.)[(2)].

فكفى باللفظ النبوي : (ليس منا) زاجراً عن الغش ، ورادعاً من الولوغ في حياضة الدنسة ، وحاجزاً من الوقوع في مستنقعه الآسن .

واليوم أصبح الغش سمة لكثير من أرباب الأعمال والصناعات ، وهناك شركات كبيرة تقوم على الغش في تصنيع مواد مقلدة للمواد الأصلية ، لكن الغش القاتل حين يكون في الأدوية والعلاجات التي يتنا ولها المرضى .

---

(١) طارق محمد موقع موضوع ١٧ أكتوبر ٢٠١٧

(٢) سورة المطففين .

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٢ .

تعريف الغش :

١- قال المناوي : الغش ما يخلط الرديء بالجيد .

٢- وقال ابن حجر الهيثمي : الغش المحرم أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع أو مشتر فيها شيئاً لو اطلع مريد أخذها ما أخذ بذلك المقابل

٣- وقال الكفوي : الغش سواد القلب ، وعبوس الوجه ، ولذا يطلق الغش على الغل والحقد .

مظاهر الغش : **إن المتأمل في واقع كثير من الناس ليجد أنهم يمارسون صوراً من الغش في جميع شؤون حياتهم ومن ذلك** :

أولاً : الغش في البيع والشراء :

وما أكثره في زماننا في أسواق المسلمين !! ويكون الغش فيهما بمحاولة إخفاء العيب ، ويكون في طرق أخرى كالغش في ذاتية البضاعة أو عناصرها أو كميتها ، أو وزنها أو صفاتها الجوهرية أو مصدرها .

وإليك طرقاً من مظاهر ذلك على التفصيل :

١- عض البائعين للفاكهة يضع في نهاية القفص المعد لبيع الفاكهة أوراقاً كثيرة ، ثم يضع أفضل هذه الفاكهة أعلى القفص ، وبذلك يكون قد خدع المشتري وغشه من جهة أن المشتري يظن أن القفص مليء عن آخره ، ومن جهة أنه يظن أن كل القفص بنفس درجة الجودة التي رآها في أعلاه .

٢- ويعضهم يأتي بزيت الطعام ويخلطه ببعض العطور وعلى أن تكون كمية الزيت على الغالبة ويضعها في عبوات زجاجية ويخرج منها ريح العطر ويبيعه بثمن قليل

٣- وبعض التجار يشتري سلعة في ظرف خفيف جداً ثم يجعلها في ظرف ثقيل نحو خمسة أضعاف الأول ، ثم يبيع ذلك الظرف وما فيه ، ويوزن جملة الكل ، فيكون الثمن مقابلاً للظرف والمظروف .

٤- وبعض التجار يخيط الثياب خياطة ضعيفة ثم يبيعها من غير أن يبين أن هذا مخيط ، بل ويحلف بالله أنه لجديد وما هو بجديد فتباً له !!

٥- وبعضهم يلبس الثوب خاماً إلى أن تذهب قوته جميعها ثم يقصره حينئذٍ ويجعل فيه نشاً يوهم بأنه جديد ويبيعه على أنه جديد .

٦- وبعض العطارين يقرب بعض السلع إلى الماء كالزعفران مثلاً فتكتسب منا مائية تزيد وزنه نحو الثلث .

٧- وبعض التجار وأصحاب المحلات يسعى إلى إظلام محله إظلاماً كثيراً باستخدام الإضاءة الملونة أو القاتمة ، حتى يعيد الغليظ من السلع والملابس خصوصاً رقيقاً والقبيح حسناً ، زين لهم الشيطان سوء أعمالهم .

٨- وبعض الصائغين يخلط الذهب نحاساً ونحوه ، ثم يبيعه على أنه كله ذهب .

٩- وبعضهم يعمد إلى شراء ذهب مستعمل نظيف ، ثم يعرضه للبيع بسعر الجديد دون أن ينبه المشتري على أنه مستعمل .

١٠- يعمد بعض البائعين في مزاد السيارات إلى وضع زيت ثقيل في محرك السيارة حتى يظن المشتري أنها بحالة جيدة .

١١- وبعضهم يعمد إلى عداد الكيلو في السيارة الذي يدل على أنها سارت كثيراً فينقصه بحيلة حتى يوهم المشتري بذلك أنها لم تسر إلا قليلاً .

١٢- وبعضهم إذا كان معه سيارة يريد بيعها ، ويعلم فيها خللاً خفياً ، قال لمن يريد شراءها : هذه السيارة أمامك جربها إن أردتها ، ولا يخبره بشيء عنها ... ولعمر الله إنه لغش وخداع

١٣- ويعضهم يعمد إلى ذكر عيوب كثيرة في السيارة وهل ليست بصحيحة ، ويهدف من وراء ذلك إلى إخفاء العيوب الحقيقة في السيارة تحت هذه العيوب الوهمية المعلن عنها ، والأدهى من ذلك أنه لا يذكر العيوب إلا بعد البيع وتسليم العربون ، ولا يمّكن المشتري من فحص السيارة بل لا يسمح له بذلك .

١٤- وبعضهم إذا كان معه سيارة يريد بيعها صار يمدحها ويحلف بالله أنها جيدة ويختلق أعذاراً لسبب بيعها ، والله عز وجل يعلم السر وأخفى .

١٥- وبعضهم يتفق مع صاحب له ليزيد في ثمن السلعة فيقع فيها غيره ، وهذا هو النجش الذي نهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٦- ومن الغش في البيع أن يقوم القصّاب بنفخ الذبيحة التي يراد بيعها ، ليبين للمشتري أن المنفوخ كله لحم .

١٧- ويعضهم يعمد في مزاد الأغنام إلى تغذيتها بالملح وكذلك محلات بيع الدجاج حتى يظن المشتري أنها سمينة وهي خلاف ذلك .

١٨- وبعض أصحاب بهيمة الأنعام يعمد إلى صر ضرع ذات اللبن من بهيمة الأنعام قبل بيعها بأيام ليظهر أنها حليب ، وهي ليست كذلك فلا ينطلق لها ضَرع إلا بعد تَضَرّع !!

ثانياً : الغش في الزواج :

ومن مظاهر الغش فيه ما يلي :

١- أن يقدم بعض الآباء للمتقدم لإحدى بناته ابنته الصغيرة البكر ، ويوم البناء — ليلة العرس — يجدها الكبيرة الثيب ، فيجد بعضهم لا مناص ولا هروب من هذا الزواج .

٢- وبعض الآباء وأولياء النساء يُري الخاطب البنت الجميلة ، ويوم البناء يرى أنها الدميمة القبيحة فيضطر للقبول — إن قبل .

٣- وبعض الآباء قد يخفي مرضاً أو عيباً في ابنته ولا يبنه للخاطب ليكون على بينة ، فإذا دخل بها اكتشف ما فيها من مرض أو عيب .

٤- وبعض الآباء وأولياء البنات إذا طلب منهم الخاطب رؤية المخطوبة — وهو جائز بشروطه — أذنوا في ذلك بعد أن تملأ وجهها بكل الألوان والأصباغ التي تسمى " مكياجاً " لتبدو جميلة في عينيه ، ولو نظر إليها دون هذا القناع من المساحيق لما وقعت في عينيه موقع الرضا . أليس هذا غشاً يترتب عليه مفاسد عظيمة في حق الزوج والزوجة .

٥- وبعض الأولياء يعمد إلى تزويج موليته دون بذل جهد معرفة حال الخاطب وتمسكه بدينه وخلقه ، وفي هذا غش للزوجة وظلم لها .

٦- ومن الغش في الزواج أن يعمد الخاطب إلى التشبع بما لم يعط ، فيُظهر أنه صاحب جاه وأنه يملك من العقارات والسيارات الشيء الكثير ، بل ويسعى إلى استئجار سيارة فارهة تكلف المئات من الريالات ليُظهر بأنه يملك ، ولا يملك في الحقيقة شيئاً

٧- ومن الغش كذلك أن يعمد بعض الناس إلى تزكية الخاطب عند من تقدم لهم ، ومدحه والإطراء عليه وأنه من المصلين الصالحين ، مع أن هذا الخاطب لا يعرف للمسجد طريقاً .فكفى أيها الأحبة غشاً وخداعاً يهدم البيوت ويشتت الأسر .

٨- ومن الغش ما تقوم به بعض النساء – وخاصة الكبيرات – من الفلج – وهو برد الأسنان لتحصل بينها فرجة لطيفة تظهر بها الكبيرة صغيرة ، فيظن الخاطب أنها كذلك فإذا تزوجها اكتشف أنها بلغت من الكبر عتياً ، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى .

ثالثاً : الغش في النصيحة :

وذلك بعدم الإخلاص فيها ، والقصد من بذلها أغراض دنيوية وأغراض دينية ، ومن حق الأخوة بين المؤمنين نصحه والمنافقون غششة .

والمؤمن مرآة أخيه إذا رأى فيه عيباً أصلحه ، والنصيحة تكون بكف الأذى عن المسلمين ، وتعليمهم ما يجهلونه من دينهم ، وإعانتهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وبجلب النافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم ، ورحمة صغيرهم ، وتخولّهم بالموعظة الحسنة ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه من المكروه .

روى الحافظ أبو القاسم الطبراني بإسناده أن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أمر مولاه أن يشتري له فرساً ، فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال له جرير لصاحب الفرس – انظر إلى النصيحة : فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أتبيعه

بأربعمائة درهم ؟ قال : ذلك يا أبا عبد الله ، فقال : فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة ، وصاحبه يرضى وجرير يقول : فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة فاشتراه بها ، فقيل له في ذلك : إني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم[1] .

رابعاً : الغش في الرعية :

عادَ عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيادٍ مَعْقِلَ بنَ يَسارٍ المُزَنِيَّ في مَرَضِهِ الذي ماتَ فِيهِ، قالَ مَعْقِلٌ: (إنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، لو عَلِمْتُ أنَّ لي حَياةً ما حَدَّثْتُكَ، إنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: ما مِن عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَومَ يَمُوتُ وهو غاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عليه الجَنَّةَ.)[2] .

فهذا وعيد شديد يدخل فيه كل من استرعاه الله رعية سواء كانت صغيرة أم كبيرة ، ابتداء من أفراد الأسرة الحاكمة ، فيجب على الكل النصح لرعيته وعدم غشه .

فالموظف يجب عليه أن ينصح في وظيفته وأن يؤديها على الوجه المطلوب شرعاً دون غش ولا خداع ، ودون تأخير لأعمال الناس ومصالحهم ، وليعلم أنه موقوف بين يدي الله عز وجل ، فما ولاه الله عز وجل هذه الوظيفة إلا ليديم النصح للمسلمين .

وكذلك الأب يجب عليه أن ينصح أولاده ، وألا يفرط في تربيتهم بل يبذل كل ما يستطيع ليقي نفسه وأولاده من نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد .

قال ابن القيم رحمه الله : (وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه ، وإعانته على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ، ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء)[3] .

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٣٥ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٢ .
(٣) ابن القيم ، تحفة المولود ، ص ١٤٦ .

خامساً : الغش في الامتحان:

وما أكثر طرقه ووسائله بين الطلاب والطالبات !! وسبب ذلك هو ضعف الوازع الديني ، ورقة الإيمان ، وقلة المراقبة لله تعالى أو انعدامها .

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله : (الغش في الامتحان محرم ومنكر كالغش في المعاملات، وقد يكون أعظم من الغش في المعاملات؛ لأنه قد يحصل له وظائف كبيرة بأسباب الغش، فالغش محرم في الامتحانات في جميع الدروس؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: من غشنا فليس منا ولأنه خيانة والله يقول جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٧))[١]، فالواجب على الطلبة في أي مادة أن لا يغشوا، وأن يجتهدوا في الاستعداد حتى ينجحوا نجاحًا شرعيًا.

وأما الطالب الذي لم يغش فقد أحسن في عدم الغش، وعليه أن يجتهد وعليه أن يسلك الطريق السوي ولو تأخر في بعض المواد، فالحق أحق بالاتباع وأبشر بالخير والعاقبة الحميدة.

وإذا صدق في الاستعداد والعناية يسر الله أمره كما قال سبحانه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ(٣))[٢]ويقول سبحانه: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا(٤))[٣] ويقول سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا .. (٢٩))[٤] ، والفرقان النور والعلم والهدى ، فاجتهدوا في طلب العلم من طريقه الطيب واحرصوا على بذل الجهد في تحصيل العلم، وأحسنوا ظنكم بالله واسألوه التوفيق، وأبشروا بالخير والعاقبة الحميدة، ولا تغتروا بالغشاشين ولا تغبطوهم على غشهم لأنهم قد ارتكبوا كبيرة من الكبائر وحصلوا على خطر عظيم، نسأل الله السلامة)[٥].

---

(١) سورة الأنفال .
(٢) سورة الطلاق .
(٣) سورة الطلاق .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

هذه بعض مظاهر الغش تدل على غيرها ، وهي غيض من فيض ، وقطرة من بحر ، ليحيا من حيي على بينة ويهلك من هلك على بينة.

وإلى كل من وقع في صورة من صور الغش ذُكرت أو لم تُذكر نقول له : اتق الله يا أخي واستشعر رقابة علام الغيوب ، وتذكر عقابه وعذابه واعلم أن الدنيا فانية وأن الحساب واقع على النقير والفتيل والقطمير ، وأن العمل الصالح ينفع الذرية ، والعمل السيئ يؤثر في الذرية ، قال تعالى : (وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩))[١] ، فمن تأمل هذه الآية خشي على ذريته من أعماله السيئة وانكف عنها ، حتى لا يحصل لهم نظيرها .ثم اعلم أن للغش مضاراً عظيمة وإليك بيانها في **الوقفة التالية :**

من مضار الغش :

١- الغش طريق موصل إلى النار

٢- دليل على دناءة النفس وخبثها ، فلا يفعله إلا كل دنيء نفس هانت عليه فأوردها مورد الهلاك والعطب

٣- البعد عن الله وعن الناس .

٤- أنه طريق لحرمان إجابة الدعاء .

٥- أنه طريق لحرمان البركة في المال والعمر .

٦- أنه دليل على نقص الإيمان .

٧- أنه سبب في تسلط الظلمة والكفار ، قال ابن حجر الهيثمي : (ولهذه القبائح أي: الغش التي ارتكبها التجار والمتسببون وأرباب الحرف والبضائع سلط الله عليهم الظلمة فأخذوا أموالهم ، وهتكوا حريمهم ، وبل وسلط عليهم الكفار فأسروهم واستعبدوهم ، وأذاقوهم العذاب والهوان ألواناً ، وكثرة تسلط الكفار على المسلمين بالأسر والنهب

---

(١) سورة النساء .

وأخذ الأموال والحريم إنما حدث في هذه الأزمنة المتأخرة لّما أن أحدث التجار وغيرهم قبائح ذلك الغش الكثيرة والمتنوعة ، وعظائم تلك الجنايات والمخادعات والتحايلات الباطلة على أخذ أموال الناس بأي طريق قدروا عليها ، لا يرقبون الله المطلع عليهم[١] .

س١٠٤: لماذا نهى الإسلام عن الغلول ؟.

ج١٠٤: الغلول، وهو أخذ المال وحقوق الناس بغيرِ حقٍ ولا موجب، (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(١٦١))[٢].

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: "لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ –أي ذهبٌ أو فضةٌ– فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ)[٣].

جاء في صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: (كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أي على متاعه، رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) زاهر الشهري ، الغش ، موقع لإسلام سؤال وجواب.
(٢) سورة آل عمران .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٣١ .

وَسَلَّمَ: (هُوَ فِي النَّارِ"، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا)[١].

من الغلول :

١- الأخذ من الفيء والغنائم؛ ففي صحيح مسلم قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "كَلا؛ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ)[٢].

٢- الأخذ من الزكاة أخذ عمال الزكاة؛ ففي سنن أبي داود عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاعِيًا ثُمَّ قَالَ: (انْطَلِقْ أَبَا مَسْعُودٍ وَلا أُلْفِيَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَجِيءُ وَعَلَى ظَهْرِكَ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ لَهُ رُغَاءٌ قَدْ غَلَلْتَهُ)[٣].

٣- أخذ العمال من الهدايا والعمال هم الموظفون الذين يتقاضون على أعمالهم رواتب لقاء العمل- فأخذهم الهدايا من المراجعين نوعٌ من الغلول؛ فعن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلاً، فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فَقَالَ لَهُ: "أَفَلا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لا؟!"، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلاةِ، فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ، فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ، وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، أَفَلا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لا؟! فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ، فَقَدْ بَلَّغْتُ)[٤]..

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٣٠٧٤ .
(٢) أخرجه أحمد (١٢٥٢٨) واللفظ له، وابن أبي شيبة (٣٤٢١٥)، وأبو يعلى (٤٣٢٨)
(٣) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٢٩٤٧ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٦٣٦ .

٤- الاختلاس من الأموال العامة؛ فعن عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[١].

٥- اغتصاب الأراضي والعقارات ونحو ذلك بغيرِ حقٍّ؛ ففي البخاري وغيره عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[٢]". فإياكم وإياكم.

٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنْ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إلا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٣].[٤].

س١٠٥: لماذا لا يوجد نص قطعي لعقاب لمن يشرب الخمر ؟

ج١٠٥: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (أجمع المسلمون قاطبة على تحريمها، ومع ذلك تعلمون وتجدون الآن من يتعاطها ولا يبالي، يشتريها بالمال ويضر نفسه ويضر مجتمعه ويضر دينه ودنياه، هذا فساد العقول وفساد الأديان، نعوذ بالله، يقول الله عز وجل أولا قال لهم سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ...(٢١٩))[٥] ، يعني قل لهم يا محمد: (فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...(٢١٩))[٦] ، فتركها قوم وبقي فيها آخرون، وقالوا ما دام فيها منافع للناس نأخذها يعني التجارة والبيع والشراء، ولكن إثمهما أكبر من نفعهما وضررهما أعظم.

ثم قال لهم سبحانه ابتلاء وامتحانًا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ..(٤٣))[٧]، فتركوها عند الصلاة وشربوها في أماكن أخرى فدل على أن

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٣٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٧٧٢ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم . رقم الحديث ١٦١١ .
(٤) التحذير من الغلول ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر في ٢١ / ٦ / ٢٠١٠ م .
(٥) سورة البقرة .
(٦) سورة البقرة .
(٧) سورة النساء .

الخمر ، تغيره حتى لا يعلم ما يقول، تجعله فاسد العقل، لا يعلم ما يقول، ثم بين الله فيها بيانًا عظيمًا بيانًا واضحًا، ما بقي لأحد شبهة فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(٩٢))[١] ، هذا بيان عظيم من الله سبحانه وتعالى بين فيه تحريم الخمر والميسر وهو القمار، فالميسر مفسد للأموال، ومسبب للفتن والشرور، والخمر أعظم من ذلك يفسد العقول والأبدان والأديان والأموال، وكانت العرب تتعاطى هذا، وهذا كانت الجاهلية تتعاطى الخمر والميسر كلاهما، ومن حكمة الله أنه لم ينه عن ذلك أولًا بل أمرهم بالتوحيد، ونهاهم عن الشرك، أول شيء أمرهم بتوحيده والإخلاص له وترك عبادة الأصنام والأوثان والأشجار والأحجار، ونهاهم عن الزنا، وأسباب الفواحش، والعقوق للوالدين، والقطيعة للأرحام، ونقص المكاييل والموازين، وعن الظلم إلى غير ذلك، جعل شرائعه تدريجية سبحانه وتعالى شيئًا بعد شيء، حتى لا تنفر منها عقول الناس بسبب عوائدهم الضالة، رتب الشرائع ونظمها وجعلها شيئًا بعد شيء، فلما هاجر إلى المدينة عليه الصلاة والسلام كمل الله له الشريعة عليه الصلاة والسلام، وشرع له الأحكام ما لم يشرعه في مكة المكرمة، وكان من ذلك الخمر تأخر تحريمها إلى زمان طويل، ومضى سنون في المدينة ولم تحرم الخمر، ثم حرمها الله تعالى على عباده لشرها وعظم خطرها.)[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[٣]، أي لا يكون مؤمناً

---

(١) سورة المائدة .
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز . تفريغ نصي .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٢٩٥ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٨٦ .

كامل الإيمان بل يكون قد نقص إيمانه نقصا عظيما بهذا الفعل الشنيع .

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ)[1] . "

عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ ..قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ)[2] .

جاء في سنن النسائي (أَنَّ ابْنَ الدَّيْلَمِيِّ قال لعبد الله بن عمرو هَلْ سَمِعْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ شَأْنَ الْخَمْرِ بِشَيْءٍ فَقَالَ نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لا يَشْرَبُ الْخَمْرَ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي فَيَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَلاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا)[3] ، والمعنى : أنه لا يثيبه عليها لا أنه لا تجب عليه الصلاة ، بل يتوجب عليه أن يأتي بجميع الصلوات ، ولو ترك الصلاة في هذا الوقت لكان مرتكبا لكبيرة من أعظم الكبائر ، حتى أوصلها بعض العلماء إلى الكفر ، والعياذ بالله .

والأحاديث والآثار الدالة على شدة تحريم الخمر كثيرة جدا ، وهي أم الخبائث ، فمن وقع فيها جَرَّأته على ما سواها من الخبائث والجرائر . نسأل الله العافية .

وأما عقوبة شاربها في الدنيا فهي الْجَلْدُ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ . لِما رواه مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : جَلَدَ فِي الْخَمْرِ بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ)[4] ،ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي عَدَدِ الْجَلَدَاتِ : فَذَهَبَ جماهير العلماء إِلَى أَنَّهَا ثَمَانُونَ جَلْدَةً فِي الْحُرِّ ، وَفِي غَيْرِهِ أَرْبَعُونَ واستدلوا بما جاء في حديث أنس السابق وفيه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَجَلَدَهُ بِجَرِيدَتَيْنِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ قَالَ وَفَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ اسْتَشَارَ النَّاسَ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخَفَّ الْحُدُودِ ثَمَانِينَ فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ) .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥١٤٧ .
(٢) الألباني ، صحيح أبي داوود ، ، ج٢ ، ص ٧٠٠ .
(٣) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ٥٥٧٠ . وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٠٩)
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٣٢٨١ .

".

ووافق الصحابة عمر رضي الله عنه على ذلك ولم يخالفوه . وقد قرر مجلس هيئة كبار العلماء أن عقوبة شارب الخمر هي الحد ، وأن الحد ثمانون جلدة .

وبعض العلماء كابن قدامة رحمه الله ، وشيخ الإسلام في الاختيارات يرون أن الزيادة على الأربعين تابعة لنظر الإمام المسلم فإن رأى الحاجة داعية إلى الزيادة على أربعين كما حصل في عهد عمر رضي الله عنه فله أن يجعلها ثمانين[1] .

وأما الصلاة والصيام من شارب الخمر ، فلا شك أنه يجب عليه أن يؤدي الصلاة في أوقاتها ، وأن يصوم رمضان ، ولو أخل بشيء من صلاته أو صيامه لكان مرتكباً لكبيرة عظيمة هي أشد من ارتكابه لجريمة شرب الخمر ، فلو أنه شرب الخمر في نهار رمضان لكان قد عصى الله بمعصيتين كبيرتين :

الأولى الإفطار في نهار رمضان .

الثانية شرب الخمر .

وليعلم أن وقوع المسلم في معصية وعجزه عن التوبة منها لضعف إيمانه لا ينبغي أن يُسوِّغ له استمراء المعاصي وإدمانها ، أو ترك الطاعات والتفريط فيها بل يجب عليه أن يقوم بما يستطيعه من الطاعات ويجتهد في ترك ما يقترفه من الكبائر والموبقات ، نسأل الله أن يجنبنا الذنوب صغيرها وكبيرها إنه سميع قريب[2] .

أما هذا الحديث :

أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلم لم يُقِتْ – لم يوقِّتْ – في الخمرِ حدًّا وقال ابنُ عباسٍ: (شربَ رجلٌ فسكر فلُقِيَ يميلُ في الفجِّ فانطلق به إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم فلمَّا حاذَى بدارِ العباسِ انفلتَ فدخل على العباسِ فالتزمَه فذكر ذلك للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلم فضحِك وقال أفعَلَها ولم يأمرْ فيه بشيءٍ)[3].

---

(١) البسام ، توضيح الأحكام ، ج ٥ ، ص ٣٣٠

(٢) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، تاريخ النشر ٢٧ / ٥ / ٢٠٠٢ م.

(٣) : العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج١٢ ، ص ١٠١ .أورده الألباني في ضعيف أبي داود برقم ٤٤٧٦ ، وقال حديث ضعيف ،وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود الرقم: ٤٤٧٦: إسناده ضعيف ثم إن في متنه مخالفة للأحاديث الصحيحة

اختلاف العلماء حول عقوبة شارب الخمر بين أربعين وثمانين جلدة:

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية ما يلي: ثبت حد شارب الخمر بالسنة ، فقد وردت أحاديث كثيرة في حد شارب الخمر ، منها ما روي عن أنس: (أن النبي أتي برجل قد شرب الخمر ، فجلده بجريدتين نحو أربعين) ، قال: وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس ، فقال عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانون، فأمر به عمر .

وعن السائب بن يزيد قال: (كنا نؤتى بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمرة أبي بكر، وصدرا من خلافة عمر، فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى كان آخر إمرة عمر، فجلد أربعين، حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين) ، وقد أجمع الصحابة ومن بعدهم على جلد شارب الخمر.

واتفق الفقهاء على وجوب الحد على من شرب الخمر مطلقا أي سواء سكر منها أم لا ، وسواء أكان ما شربه منها قليلا أم كثيرا . واختلف الفقهاء في قدر الحد الواجب في شرب الخمر على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية والمالكية والحنابلة في الراجح عندهم وهو مقابل الأصح عند الشافعية إلى أن الحد ثمانون جلدة لا فرق بين الذكر والأنثى، وبه قال الثوري .

واستدلوا على ذلك بإجماع الصحابة فإنه روي أن عمر استشار الناس في حد الخمر فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعله كأخف الحدود ثمانين، فضرب عمر ثمانين، وكتب به إلى خالد وأبي عبيدة بالشام ، وروي أن عليا قال في المشورة : إنه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى ، وعلى المفتري ثمانين .

القول الثاني : ذهب الشافعية في الأصح والحنابلة في رواية ثانية إلى أن قدر الحد أربعون فقط، ولو رأى الإمام بلوغه ثمانين جاز في الأصح عند الشافعية والزيادة على الأربعين تكون تعزيرات ، وقد استدلوا على ذ لك بأن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين ثم قال: (جلد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين } ، وجلد أبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين، وكلٌ سنةٌ وهذا أحب إلي .

وعن أنس بن مالك قال: (إن نبي الله صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال)، ثم

جلد أبو بكر أربعين، فلما كان عمر ودنا الناس من الريف والقرى قال : ما ترون في جلد الخمر؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : أرى أن تجعلها كأخف الحدود ، قال: فجلد عمر ثمانين قالوا : وفعل النبي صلى الله عليه وسلم حجة لا يجوز تركه بفعل غيره ولا ينعقد الإجماع على ما خالف فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعلي رضي الله عنهما ، فتحمل الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رأى الإمام ذلك[1].

(جاء عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء من خلال مجلتها ما يلي :

خلاف العلماء في أن العقوبة في شرب الخمر : هل هي حد أو تعزير ؟ مع بيان ما يترتب على ذلك : اختلف أهل العلم في عقوبة شارب الخمر على قولين : أحدهما : أنها حد ، والثاني : أنها تعزير . والذين قالوا بأنها حد اختلفوا على قولين هما المشهوران : منهم من قال بأنه ثمانون ، ومنهم من قال بأن الحد أربعون وما زاد على ذلك يرجع فيه إلى اجتهاد الإمام ، فإن رأى الزيادة زاد وإلا فلا .

وفيما يلي بيان هذه الأقوال مع الأدلة والمناقشة :

القول الأول : أنه تعزير ، قال الحافظ ابن حجر : إن الطبري وابن المنذر حكوا عن طائفة من أهل العلم أن الخمر لا حد فيها وإنما فيها التعزير ، واستدلوا بأحاديث الباب ، فإنها ساكتة عن تعيين عدد الضرب ، وأصرحها حديث أنس ، ولم يجزم فيه بالأربعين في أرجح الطرق عنه . وقد قال عبد الرزاق : أنبأنا ابن جريج ومعمر ، سئل ابن شهاب : كم جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر ؟ فقال : لم يكن فرض فيها حدًّا ، كان يأمر من حضره أن يضربوه بأيديهم ونعالهم حتى يقول لهم : ارفعوا . وورد أنه لم يضربه أصلا ، وذلك فيما أخرجه أبو داود والنسائي بسند قوي عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوقت في الخمر حدًّا . قال ابن عباس : وشرب رجل فسكر ، فانطُلق به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما حاذى دار العباس انفلت فدخل على العباس فالتزمه ، فذُكر ذلك للنبي

---

(١) الموسوعة الفقهية ج٢٥، ص ٩٦ ، كما وردت بدون تخريج للأحاديث .

صلى الله عليه وسلم فضحك ولم يأمر فيه بشيء .

وأخرج الطبري من وجه آخر عن ابن عباس : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر إلا أخيرًا ، ولقد غزا تبوك فغشي حجرتَه من الليل سكران ، فقال : ليقم إليه رجل فيأخذ بيده حتى يرده إلى رحله

والجواب : أن الإجماع انعقد بعد ذلك على وجوب الحد ؛ لأن أبا بكر تحرى ما كان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب السكران فصيره حدًّا واستمر عليه ، وكذلك استمر من بعده ، وإن اختلفوا في العدد .

وجمع القرطبي بين الأخبار بأنه لم يكن أولا في الشرب حد ، وعلى ذلك يحمل حديث ابن عباس في الذي استجار بالعباس ، ثم شرع فيه التعزير على ما في سائر الأحاديث التي لا تقدير فيها ، ثم شرع الحد ، ولم يطلع أكثرهم على تعيينه صريحًا مع اعتقادهم أن فيه الحد المعين ، ومن ثم توخى أبو بكر ما فعل بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فاستقر عليه الأمر ، ثم رأى عمر ومن وافقه الزيادة على الأربعين إما حدًّا بطريق الاستنباط وإما تعزيرًا . انتهى المقصود من كلام ابن حجر .

القول الثاني : أنها حد ، وأنه ثمانون ، وهو مذهب الحنفية والمالكية والمقدم عند الحنابلة ، ففي بداية المبتدي : وحد الخمر والسكر إلى ثمانين سوطًا . وفي قوانين الأحكام الفقهية : وهو ثمانون جلدة للحر . وقال ابن قدامة : إحداهما أنه ثمانون ، وبهذا قال مالك والثوري وأبو حنيفة ومن تبعهم .

واستدل لهذا بإجماع الصحابة ، فإنه روي أن عمر استشار الناس في حد الخمر ، فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعله كأخف الحدود ثمانين ، فضرب عمر ثمانين ، وكتب به إلى خالد وأبي عبيدة بالشام . وروي عن علي في المشورة أنه إذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى ، فحده حد المفتري . روى ذلك الجوزجاني والدارقطني وغيرهما ، ونوقش هذا الدليل بما يلي :

أولا : أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم حجة لا يجوز تركه بفعل غيره ، ولا ينعقد الإجماع على ما خالف فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فتُحمل

الزيادة من عمر على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الإمام . ذكر هذا الوجه ابن قدامة .
ثانيًا : أن عليًّا أشار على عمر بذلك ، ثم رجع عليٌّ عن ذلك واقتصر على الأربعين ؛ لأنها القدر الذي اتفقوا عليه في زمن أبي بكر ، مستندين إلى تقدير ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما الذي أشار به فقد تبين من سياق قصته أنه أشار بذلك ردعًا للذين انهمكوا ؛ لأن في بعض طرق القصة كما تقدم : " أنهم احتقروا العقوبة " .

القول الثالث : أنه أربعون وما زاد عن ذلك يرجع فيه إلى اجتهاد الإمام . وبهذا قال الشافعي ، وهو الرواية الثانية عن الإمام أحمد ، وبه قال أبو ثور وداود ومن وافقهم من أهل العلم . قال الشيرازي : وقال الشافعي وأبو ثور وداود : الحد في ذلك أربعون – ومضى إلى أن قال – فإن رأى الإمام أن يبلغ بحد الحر ثمانين وبحد العبد أربعين جاز . انتهى .

وقال ابن قدامة : والرواية الثانية أن الحد أربعون ، وهو اختيار أبي بكر ومذهب الشافعي ، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا أوجه القولين .

واستدل لهذا القول بما روى أبو ساسان قال : لما شُهد على الوليد بن عقبة قال عثمان لعلي : دونك ابن عمك فاجلده ، قال : قم يا حسن فاجلده ، قال : فيما أنت وذاك وَلِّ هذا غيري ، قال : ولكنك ضعفت وعجزت ووهنت ، فقال : قم يا عبد الله بن جعفر فاجلده وعلي يعد ذلك فعد أربعين وقال : جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكُلٌّ سُنَّة أخرجه البيهقي .

وأخرج مسلم عن حضين بن المنذر قال : شهدت عثمان بن عفان أُتي بالوليد وقد صلى الصبح ركعتين ثم قال : أزيدكم ؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران أنه شرب الخمر ، وشهد آخر أنه رآه يتقيّأ ، فقال عثمان : إنه لم يتقيأ حتى شربها . فقال : يا علي ، قم فاجلده . فقال علي : قم يا حسن فاجلده . فقال الحسن : وَلِّ حارَّها من تولّى قارَّها . فكأنه وجد عليه ، فقال : يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده . وعلي يعد حتى بلغ أربعين ، فقال : أمسك . ثم قال : جلد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكُلٌّ سُنّة ، وهذا أحب إليَّ .

وأما كون الزيادة عن الأربعين راجعة إلى رأي الإمام فقد استدلوا لذلك بما رواه أبو وبرة الكلبي قال : أرسلني خالد بن الوليد إلى عمر رضي الله عنه ، فأتيته ومعه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم ، فقلت : إن خالد بن الوليد رضي الله عنه يقرأ عليك السلام ويقول : إن الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فيه . قال عمر : هم هؤلاء عندك فسلهم . فقال علي : تراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون . فقال عمر : بلِّغ صاحبَك ما قال ، فجلد خالد ثمانين ، وجلد عمر ثمانين . وقال : وكان عمر إذا أُتِي بالرجل القوي المنهمك في الشراب جلده ثمانين ، وإذا أُتِي بالرجل الضعيف الذي كانت منه الزلة جلده أربعين .

وأما بيان ما يترتب على القول بأنها تعزير أو حد ، فعلى القول بأنها حد لا يدخله العفو والإسقاط والصلح ؛ لأنه من حقوق الله جل وعلا ، وإذا مات المضروب ثمانين عند من يقول بذلك وأربعين عند من يقول بهذا ؛ فإنه يموت هَدَرًا لا دية له . وعلى القول بأنها تعزير يدخله العفو والإسقاط والصلح من جهة أصله عند من يقول بأنها تعزير ، وما زاد على الأربعين ففيه الدية .

وفيما يلي نُقولٌ عن أهل العلم في ذلك :

١- قال الشيرازي : فإن جلده أربعين ومات لم يضمن ؛ لأن الحقَّ قَتَلَه ، وإن جلده ثمانين ومات ضمن نصف الدية ، لأنّ نصفه حد ونصفه تعزير ، وسقط النصف بالحد ووجب النصف بالتعزير . انتهى المقصود .

٢- قال الخرقي : مسألة ، فإن مات في جلده فالحقّ قَتَله ، يعني ليس على أحد ضمانه . قال ابن قدامة : وهذا قول مالك وأصحاب الرأي ، وبه قال الشافعي إن لم يزد على الأربعين ، وإن زاد على الأربعين فمات فعليه الضمان ؛ لأن ذلك تعزير إنما يفعله الإمام برأيه ، وفي قدر الضمان قولان :

أحدهما : نصف الدية ؛ لأنه تلف من فعلين : مضمون وغير مضمون ، فكان عليه نصف الضمان .

والثاني : تقسط الدية على عدد الضربات كلها ، فيجب من الدية بقدر زيادته على الأربعين . وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : ما كنت لأقيم حدًّا على أحد فيموت ، فأجد في نفسي منه شيئًا إلا صاحب الخمر ، ولو مات وَدَيْتُهُ ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسنَّه لنا .

ولنا : أنه حد وجب لله فلم يجب ضمان من مات به ، كسائر الحدود ، وما زاد على الأربعين قد ذكرنا أنه من الحد وإن كان تعزيرًا ، فالتعزير يجب وهو بمنزلة الحد .

وأما حديث علي فقد صح عنه أنه قال : جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين وثبت الحد بالإجماع فلم تبق فيه شبهة)[1].

س١٠٦ : لماذا كانت قطيعة الرحم من كبائر الذنوب ؟.

ج١٠٦: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة قاطع رحم، قطيعة الرحم من الكبائر، كبائر الذنوب، من أسباب حرمان دخول الجنة إلا إذا عفا الله عن صاحبها، فالقطيعة من المنكرات والمعاصي الكبيرة فاتق الله ولا تقطعهم وتصالح معهم ودعوى أنهم يسحرونك قد تكون هذه دعوى باطلة لا أساس لها، قد تكون أوهامًا لا دليل عليها فاتق الله وحاسب نفسك، وإذا تعدوا عليك فلك أن تسمح ولك أن تخاصمهم وتدعي عليهم عند المحكمة، ولا تقطع الرحم بمجرد الهوى أو الوساوس أو دعاوى لا أساس لها، فاتق الله وصل رحمك إلا إذا قطعوك وأبوا أن تأتيهم ولم يسمحوا لك، فأنت معذور حينئذ، أما ما داموا لم يمنعوك فإنك تصلهم وتحسن إليهم ولو أساءوا إليك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها، وجاءه رجل وقال: يا رسول الله! إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال له صلى الله عليه وسلم لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ،

---

(١) الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء>اللغة العربية>مجلة البحوث الإسلامية بإشراف و مسؤولية الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء لعدد السابع والخمسون - الإصدار : من ربيع الأول إلى جمادى الثانية لسنة ١٤٢٠هـ > بحث اللجنة الخمر والكلونيا > ثالثا خلاف العلماء في أن العقوبة في شرب الخمر هل هي حد أو تعزير) ثالثا خلاف العلماء في أن العقوبة في شرب الخمر هل هي حد أو تعزير ج٥٧ ، رقم ٣٢ – ٣٧

ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك، فالمؤمن يصل أرحامه وإن قطعوه يحسن إليهم، ويعالج الأمور إذا كانت من شحناء يعالجها بالحكمة أو بتوسيط الأخيار الطيبين، ولا يستمر على القطيعة، يعالج الأمور ..... إلا إذا كانوا على بدع أو معاصي ظاهرة ولم يتوبوا، فلك أن تتركهم ولك أن تهجرهم، أما من أجل الشحناء بينك وبينهم، فعليك أن تعالجها بالحكمة بالأسلوب الحسن، وبتوسيط الأخيار حتى تزول الشحناء وحتى تحل محلها المحبة والصلة.)[1] ، ولقد أمر الله بصلة الأرحام والبر والإحسان إليهم، ونهى وحذر عن قطيعتهم والإساءة إليهم، وعد صلى الله عليه وسلم قطيعة الأرحام مانعاً من دخول الجنة مع أول الداخلين، ومُصْلٍ للمسيئين لأرحامهم بنار الجحيم. وعلى الرغم من وصية الله ورسوله بالأقارب وعد الإسلام صلة الرحم من الحقوق العشرة التي أمر الله بها أن توصل في قوله تعالى :(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى... (٣٦)) ، إلا أن جلّ المسلمين أضاعوا هذا الحق مثل إضاعتهم لغيره من الحقوق أو أشد مما جعل الحقد والبغضاء والشحناء تحل محل الألفة والمحبة والرحمة بين أقرب الأقربين وبين الأخوة في الدين على حد سواء.

تعريف الصلة: الوصل وهو ضد القطع.

تعريف الرحم: هي كل من تربطك به صلة نسبية من جهة الأم أو الأب ، ويدخل في ذلك من تربطك به صلة سببية من النكاح أيضا وهم الأصهار.

فضل صلة الرحم:

١- صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه)[3].

٢- صلة الرحم سبب لزيادة العمر وبسط الرزق: فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦١٣٨ .

أثره فليصل رحمه)[1] ، والمراد بزيادة العمر هنا إما: البركة في عمر الإنسان الواصل أو يراد أن الزيادة على حقيقتها فالذي يصل رحمه يزيد الله في عمره ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الرزق نوعان:

أحدهما : ما علمه الله أن يرزقه فهذا لا يتغير.

والثاني: ما كتبه وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب.

٣- صلة الرحم تجلب صلة الله للواصل: فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك)[2]

٤- صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة: عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)[3] .

٥- صلة الرحم طاعة لله عز وجل: فهي وصل لما أمر الله به أن يوصل، قال تعالى مثنيا على الواصلين : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَاب (٢١))[4].

٦- شيوع المحبة بين الأقارب: فبسببها تشيع المحبة، وبهذا يصغو عيشهم وتكثر مسراتهم.

٧- رفعة الواصل: فإن الإنسان إذا وصل أرحامه وحرص على إعزازهم أكرمه أرحامه وأعزوه وأجلوه وسودوه وكانوا عونا له.

عقوبة قاطع الرحم :

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٩٨٦ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٩٧٨ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٩٨٣ .
(٤) سورة الرعد .

١- قاطع الرحم ملعون في كتاب الله: قال الله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُّ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٣))[١] ، قال علي بن الحسين لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواطن.

٢- قاطع الرحم من الفاسقين الخاسرين: قال الله تعالى : (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧))[٢].

٣- قاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا ولعذاب الأخرة أشد وأبقى: عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)[٣].

٤- لا يرفع له عمل ولا يقبله الله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم)[٤].

٥- قطعها قطع للوصل مع الله: عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله)[٥] .

٦- سبب في المنع من دخول الجنة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة قاطع رحم)[٦] .

---

(١) سورة محمد .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٥١١ .
(٤) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٣ ، ص ٣١١ .وقال رجاله ثقات .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٥٥ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٥٥٦ .

بأي شيء تكون الصلة ؟:

١- تكون بزيارتهم وتفقّد أحوالهم والسؤال عنهم والإهداء إليهم وإنزالهم منازلهم والتصدق على فقيرهم والتلطف مع غنيهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وضعفتهم وتعاهدهم بكثرة السؤال والزيارة: إما أن يأتي الإنسان إليهم بنفسه أو يصلهم عبر الرسالة أو المكالمة الهاتفية.

٢- تكون باستضافتهم وحسن استقبالهم وإعزازهم وإعلاء شأنهم وصلة القاطع منهم.

٣- تكون أيضا بمشاركتهم في أفراحهم ومواساتهم في أتراحهم.

٤- تكون بالدعاء لهم وسلامة الصدر نحوهم وإصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم والحرص على تأصير العلاقة وتثبيت دعائمها معهم.

٥- تكون بعيادة مرضاهم وإجابة دعوتهم وأعظم ما تكون به الصلة أن يحرص المرء على دعوتهم إلى الهدى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.. وهذه الصلة تستمر إذا كانت الرحم صالحة مستقيمة أو مستورة.

الأمور المعينة على الوصل :

١- التفكر في الآثار المترتبة على الصلة: فإن معرفة ثمرات الأشياء وحسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها والسعي إليها.

٢- النظر في عواقب القطيعة: وذلك بتأمل ما تجلبه القطيعة من هم وغم وحسرة وندامة ونحو ذلك، فهذا مما يعين على اجتنابها والبعد عنها.

٣- الاستعانة بالله: وذلك بسؤال التوفيق والإعانة على صلة الأقارب.

٤- مقابلة إساءة الأقارب بالإحسان: فهذا مما يبقي على الود ويهون على الإنسان ما يلقاه من إساءة أقاربه.

٥- قبول أعذارهم إذا أخطأوا واعتذروا، والصفح عنهم ونسيان معايبهم حتى ولو لم يعتذروا: فهذا مما يدل على كرم النفس وعلو الهمة.

٦- ترك المنة عليهم والبعد عن مطالبتهم بالمثل.

٧- تجنب الشدة في العتاب وتحمل عتاب الأقارب وحمله على أحسن المحامل.

٨- الاعتدال في المزاح مع الأقارب مع مراعاة أحوالهم وتجنب المزاح مع من لا يتحمله.

٩- المبادرة بالهدية إن حصل خلاف مع الأقارب : فالهدية تجلب المودة، وتكذب سوء الظن، وتستل سخائم القلوب.

١٠- الحرص التام على تذكر الأقارب في المناسبات والولائم والاجتماعات الدورية سواء كانت شهرية أو سنوية أو غير ذلك.

١١- صندوق القرابة الذي تجمع فيه تبرعات الأقارب واشتراكاتهم، ويشرف عليه بعض الأفراد، فإذا ما احتاج أحد من الأسرة مالاً لزواج أو نازلة أو غير ذلك بادروا إلى دراسة حاله وساعدوه ورفدوه، فهذا مما يولد المحبة وينمي المودة.

١٢- التغاضي والتغافل: فهو من أخلاق الأكابر وهو مما يعين على استبقاء الموده وعلى وأد العداوة. وقال علي رضي الله عنه: أُغمض عيني عن أمور كثيرة .. وإني على ترك الغموض قدير وأسكت عن أشياء لو شئت قلتها .. وليس علينا في المقال أمير

أسباب قطيعة الرحم:

١- الجهل: فالجهل بعواقب القطيعة العاجلة والآجلة يحمل عليها ويقود إليها كما أن الجهل بفضائل الصلة العاجلة والآجلة يقصر عنها ولا يبعث إليها.

٢- ضعف التقوى: فإذا ضعفت التقوى ورق الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل ولم يطمع بأجر الصلة ولم يخش عاقبة القطيعة.

٣- الكبر: فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً أو حاز مكانة عالية أو كان تاجراً كبيراً تكبر على أقاربه وأنف من زيارتهم والتودد إليهم بحيث يرى أنه صاحب الحق وأنه أولى بأن يزار ويؤتى إليه.

٤- العتاب الشديد: فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه بعد طول انقطاع أمطر عليه وابلا من اللوم والعتاب والتقريع على تقصيره في حقه، وإبطائه في المجيء إليه ومن هنا تحصل النفرة من المجيء خوفاً من لومه وتقريعه وشدة عتابه.

٥- قلة الاهتمام بالزائرين: فمن الناس من إذا زاره أقاربه لم يبد لهم الاهتمام ولا يفرح بمقدمهم ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل مما يقلل رغبتهم في زيارته.

٦- الشح والبخل: فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تجده يتهرب من أقاربه خوفاً من الاستدانة منه أو يكثرون الطلبات عليه أو غير ذلك.

٧- الاشتغال بالدنيا واللهث وراء حطامها فلا يجد هذا اللاهث وقتاً يصل به قرابته ويتودد إليهم.

٨- نسيان الأقارب في الولائم والمناسبات: فربما نسي واحداً من أقاربه، وربما كان هذا المنسي ضعيف النفس أو ممن يغلب سوء الظن فيفسر هذا النسيان بأنه تجاهل له واحتقار لشخصه فيقوده ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

٩- كثيرة المزاح: فإن لكثرة المزاح آثار سيئة فلربما خرجت كلمة جارحة من شخص لا يراعي مشاعر الآخرين فأصابت مقتلاً من شخص شديد التأثر فأورثت لديه بغضاً لهذا القائل ويحصل هذا كثيراً بين الأقارب لكثرة اجتماعاتهم.

١٠- الطلاق بين الأقارب.

١١- التقارب في المساكن: يسبب غالباً خصومات بسبب الزوجات أو بسبب الأولاد فتنتقل إلى الوالدين فتحلل القطيعة قال عمر: مروا ذوي القربات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا.

١٢- قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم إذا حصلت هفوة أو زله.

١٣- الحسد.

١٤- تأخير قسمة الميراث.

موعظة للقاطعين:

كان أبوبكر رضي الله عنه ينفق على ابن خالته لأنه كان فقيرا، ولما كان حديث الإفك عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تكلم عنها ابن خالته مع من تكلموا في حقها، فلما بلغ ذلك أبابكر قطع عليه النفقة وهذا في نظرنا أقل ما يمكن فعله، ولكن الله سبحانه

وتعالى أنزل في ذلك قرآنا كريما ليسطر لنا مثلا عظيما في التعامل الاجتماعي بين الناس فنزل قوله تعالى : (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢٢))[(١)] قال أبوبكر رضي الله عنه: بلى!! أي بلى أحب أن يغفر الله لي وأن يعفو عني فرد أبوبكر رضي الله عنه النفقة التي كان ينفقها على ابن خالته رغم ما كان منه في حق أم المؤمنين رضي الله عنه.

صلة الرحم لا تزيد كمية الرزق ولا في مدة العمر من حيث هو لأن الأرزاق مقسومة والآجال مضروبة كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها تزيد في بركة هذا وذاك فيكثر خير الرزق ويعظم نفعه كما يكثر العمل الصالح ويوفق الإنسان إليه بما يتسبب فيه أثناء زيارته لذوي رحمه ولا سيما إذا كان من الصالحين الذين يقتدى بهم فإنه يؤثر فيهم بصلاحه فيكون له مثل أجورهم لأنه تسبب فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم: (من أعان على خير فله مثل أجر فاعله) رواه مسلم فيكون عمره بذلك مباركا لكثرة ثوابه عند الله تعالى.

فيا عباد الله يا من آمنوا بالله ورسوله انظروا حالكم في أقاربكم:

- هل قمتم بما يجب لهم عليكم من صلة؟.
- هل ألنتم لهم الجانب؟ هل أطلقتم الوجوه لهم؟.
- هل شرحتم الصدور عند لقائهم؟.
- هل قمتم بما يجب لهم من محبة وتكريم واحترام؟.
- هل زرتموهم في صحتهم توددا؟ هل عدتموهم في مرضهم إحتفاء وسؤالا؟.
- هل بذلتم ما يجب بذله لهم من نفقة وسداد حاجة؟[(٢)].

---

(١) سورة النور .
(٢) سلسلة العلامتين ابن باز والألباني موقع صيد الفوائد.

س١٠٧ : لماذا سمى الله نفسه ب (الجبار) ؟.

ج١٠٧: يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : (الجبار له ثلاثة معان:

الأول: جبر القوة، فهو سبحانه وتعالى الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عز وجل وجبروته وفي يده وقبضته.

لثاني: جبر الرحمة، فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغنى والقوة، ويجبر الكسير بالسلامة، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها، وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله.

الثالث: جبر العلو فإنه سبحانه فوق خلقه عال عليهم، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم، قال ابن القيم في النونية في معنى الجبار:

وكذلك الجبار من أوصافه والجبــر في أوصافه قسمان

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كســرة فالجبر منه دان

والثانِ جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من إنسان

وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من إنسان

من قولهم جبارة للنخلة الـــــــــعليا التــي فاقت لكل بنان

قال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٢٣))[٢] .

قال الطبري: الجبار يعني المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم [٣] وقال قتادة: جبر خلقه على ما يشاء من أمره.، وقال الخطابي: الجبار هو الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره ونهيه يقال جبره السلطان وأجبره بالألف.

---

(١) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الأول - باب الأسماء والصفات فتاوى العقيدة" (صـ ٥٦) .

(٢) سورة الحشر .

(٣) الطبري (٢٨/٣٦) وابن كثير (٤/٣٤٣).

ويقال: هو الذي جبر مفاقر الخلق وكفاهم أسباب المعاش والرزق ، ويقال: بل الجبار العالي فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات إذا علا واكتهل ويقال للنخلة التي لا تناولها اليد طولاً الجبارة [(١)] .

وقال الشوكاني: الجبار جبروت الله عظمته، والعرب تسمي الملك: الجبار [(٢)] .

وقال السعدي: (الجبار) هو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به ولجأ إليه [(٣)] .

فيكون معنى الجبار على وجوه:

١- الجبار هو العالي على خلقه وفعال من أبنية المبالغة.

٢- الجبار هو المصلح للأمور من جبر الكسر إذا أصلحه وجبر الفقير إذا أغناه.

٣- الجبار هو القاهر خلقه على ما أراد من أمر أو نهي [(٤)] . كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ..(٤٥))[(٥)] أي لست بالذي تجبر هؤلاء على الهدى ولم تكلف بذلك.

وعلى المعنى الأول يكون من صفات الذات وعلى المعنى الثاني والثالث يكون من صفات الفعل [(٦)].

س١٠٨ : لماذا كان الكبر من كبائر الذنوب ؟

ج١٠٨: **معنى الكِبْر لغةً:** الكِبْرُ: العَظَمَة والتَّجَبُّر، كالكِبْرِياء، وقد تَكَبَّرَ واسْتَكْبَرَ وَتَكابَرَ، والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار: التَّعَظُّم، والكِبْر بالكسر: اسم من التكبر [(٧)].

معنى الكِبْر اصطلاحًا:

---

(١) ((شأن الدعاء)) (ص: ٤٨)، وراجع ((تفسير الأسماء)) للزجاج (ص: ٣٤-٣٥)، و((الاعتقاد)) للبيهقي (ص: ٥٥)، والقرطبي (٤٧/١٨)، و((روح المعاني)) (٦٣/٢٨).

(٢) ((فتح القدير)) (٢٠٨/٥).

(٣) ((تيسير الكريم)) (٣٠١/٥).

(٤) سورق ق .

(٥) انظر ((شرح الأسماء)) للرازي (ص: ١٩٧-١٩٨)، و((لسان العرب)) (٥٣٤/١).

(٦) ::النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد بن حمد الحمود – ١/ ١٣٢ من الدرر السنية .

(٧) ((تاج العروس)) للزبيدي (٨/١٤)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٥٢٣/٢).) .

١- جاء تعريفه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال: (الكِبْر بطر الحق، وغمط الناس)[(١)] .

٢- قال الزَّبيدي: (الكِبْر: حالةٌ يتخصَّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسَه أَكْبَرَ من غيره)[(٢)] .

٣- وقيل الكِبْر هو: (استعظام الإنسان نفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس، واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له)[(٣)] ،[(٤)] .

والكِبْر سبب رئيس في هلاك الأمم السابقة: فهؤلاء قوم نوح ما منعهم عن قبول الدعوة، والاستماع لنداء الفطرة والإيمان، إلا الكِبْر، فقد قال الله تعالى على لسان نبيِّهم نوح عليه السلام: (وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧))[(٥)].

وهؤلاء قوم عاد ظنوا بسبب تكبرهم أنَّه لا قوة أشدُّ من قوتهم، فقد قال الله عنهم: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ(١٦))[(٦)].

وها هي ثمود من بعدهم ينهجون نفس النهج في الاستكبار والتعالي، فيردون دعوة الله عزَّ وجلَّ، ويكذبون نبيه عليه السلام: (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦))[(٧)]..

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩١ .
(٢) الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٤ ، ص ٨ .
(٣) الجاحظ ، تهذيب الأخلاق ، ص ٣٢ .
(٤) علوي السقاف ، الدرر السنية ، الكبر ،
(٥) سورة نوح .
(٦) سورة فصلت .
(٧) سورة الأعراف .

وقال الله تعالى عن قوم نبي الله شعيب عليه السلام: (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ(٨٨))[١] .

أما فرعون فقد ملأ الدنيا كبرًا وعجبًا وخيلاءً، حتى وصل به الحال أن ادَّعى الربوبية والألوهية، قال الله تبارك وتعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠))[٢].

والكِبْر :

١- سبب في الإعراض عن آيات الله ، قال الله تبارك وتعالى: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨))[٣].

٢- وهو سبب للصرف عن دين الله، قال الله تبارك وتعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ(١٤٦))[٤] .

٣- وهو سبب لدخول النَّار والخلود فيها، قال الله تبارك وتعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ(٢٠))[٥].

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة الجاثية .
(٤) سورة الأعراف .
(٥) سورة الأحقاف .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لا يدخل الجنَّة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر! فقال رجل: إنَّ الرَّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: إنَّ اللَه جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقِّ وغمط النَّاس)[1] ،قال النووي في شرح الحديث: (قد اختلف في تأويله. فذكر الخطابي فيه وجهين:

أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان، فصاحبه لا يدخل الجنة أصلًا إذا مات عليه.

والثاني: أنَّه لا يكون في قلبه كبر، حال دخوله الجنَّة، كما قال الله تعالى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ.. (٤٣))[2] .

وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكِبْر المعروف، وهو الارتفاع على الناس، واحتقارهم، ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب. بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين، أنَّه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه. وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إمَّا أولًا، وإمَّا ثانيًا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها. وقيل: لا يدخل مع المتقين أوَّل وهلة)[3] .

وقال ابن القيم: (فسر النَّبي الكِبْر بضده فقال: الكِبْر بطر الحق وغمص الناس. فبطر الحق: رده، وجحده، والدفع في صدره، كدفع الصائل. وغمص الناس: احتقارهم، وازدراؤهم. ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها)[4] .

وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم بأهل الجنَّة؟ كل ضعيف متضاعف؛ لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النَّار؟ كل عتلٍّ ، جواظٍ مستكبرٍ)[4].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩١ .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) النووي ، شرح النووي على مسلم ، ج٣ و ص ٩١ .
(٤) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج٢ ،ص ٣١٨ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩١٨ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٨٥٣ .

وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: (احتجَّت الجنة والنار، فقالت النَّار: فيَّ الجبَّارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنَّك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنَّك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها)[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يزكِّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخ زان، وملك كذَّاب، وعائلٌ مستكبر)[2] .

يقول ابن تيمية: (فهؤلاء الثلاثة: اشتركوا في هذا الوعيد، واشتركوا في فعل هذه الذنوب مع ضعف دواعيهم؛ فإنَّ داعية الزنا في الشيخ ضعيفة، وكذلك داعية الكذب في الملك ضعيفة؛ لاستغنائه عنه وكذلك داعية الكِبْر في الفقير، فإذا أتوا بهذه الذنوب- مع ضعف الداعي- دلَّ على أنَّ في نفوسهم من الشرِّ الذي يستحقون به من الوعيد ما لا يستحقه غيرهم)[3]، [4].

صور الكبر:

إنَّ للكِبر صُورًا كثيرة، يصعُب حصرُها، ومنها:

١- ردُّ الحقِّ، وعدم الإذعان والانقياد له؛ قال تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا.. (١٤))[5] ، وقال تعالى: (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا... (٤٧))[6] وقال تعالى: (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا... (١٠))[7] .

٢- التكبُّر على الله جل وعلا مثل ما يُحكَى عن النمرود بن كنعان: أنَّه كان يحدِّث

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٨٤٦ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٠٧ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٨ ، ص ١٤ .
(٤) علوي السقاف ، الدرر السنية ، الكبر .
(٥) سورة النمل .
(٦) سورة المؤمنون .
(٧) سورة إبراهيم .

نفسه عن قتال ملك السماء، وكذلك قارون، وتكبُّر فرعون عندَ ادعائه الألوهية؛ قال تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ(٣٩)﴾[١] .

٣- حسَدُ الناس على النِّعم التي حبَاهم الله بها، مثل حسد إبليس قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤)﴾[٢]

٤- مخالفةُ الحقِّ لدافع الهوى؛ قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ(٨٧)﴾[٣] .

٥- الكذِب والمكر والخيانة؛ مخالفةً للحق، واستكبارًا عليه؛ قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً (٤٣)﴾[٤] .

٦- التولِّي عن الحقِّ والصدود عنه، كما وقَع لنبيِّ الله نوح عليه السلام مع قومه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧)﴾[٥].

---

(١) سورة القصص .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة فاطر .
(٥) سورة نوح .

٧- الإعجابُ بالقوَّة كقومِ عاد؛ قال تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوا أَنَّ اللهَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(١٥))[١].

٨- استضعاف الناس، والتأثير عليهم؛ كي يَكْفروا بالله تعالى؛ قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ(٧٥)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(٧٦))[٢] ، وقال تعالى: (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهَّ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٣٣))[٣] ، قال تعالى: (وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَّ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨))[٤] .

٩- الاغترار بالعمل، وأنَّ الإنسان ما يعمله هو عيْنُ الصواب دون مبالاة منه إنْ وافق الشرع أو لا؛ قال تعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ(٢٩))[٥] .

١٠- الجِدال في الدِّين بغيْر عِلم؛ كي لا يظهر المرءُ أنه جاهِل؛ قال تعالى :

---

(١) سورة فصلت .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة سبأ .
(٤) سورة غافر .
(٥) سورة النحل .

(الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آَيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ(٣٥))[١].

١١- اتِّباع سُبل الظلم والغَي، والجَوْر والكذب؛ قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آَيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ(١٤٦))[٢] .

١٢- الاختيال في المِشية واللِّباس؛ قال تعالى: (وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا(٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا(٣٨))[٣] وقال تعالى: (وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(١٨))[٤] .

١٣- النِّفاق، قال تعالى: (لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ(٢٣))[٥].

١٤- الاستعلاء في الأرض؛ قال تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(٨٣))[٦] .

١٥- محبَّة المرء أن يقومَ الناس له في مجلسِهم؛ قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: (مَن أحبَّ أن يتمثَّل له الرجالُ قِيامًا، فليتبوأْ مقعدَه من النار)[٧]، [٨] .

---

(١) سورة غافر .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) سورة لقمان .
(٥) سورة النحل
(٦) سورة القصص .
(٧) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٥٢٢٩ .
(٨) عبدالجليل مبرور الالوكة ٢٠١٠/٨/١٥ ميلادي - ١٤٣١/٩/٥ هجري

كيف التخلص من الكبر ؟.

يقول الدكتور عيد اللطيف هاجس الغامدي :(الواجب المتحتم على كلِّ مسلم أن يبتعد عنه ويحذر منه، وينتبه إلى مداخله على النفوس، وتلبيساته على القلوب، وإليك بعض الوسائل المعينة على تركه والتخلص منه، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل:

١- أن تقف على شناعته وبشاعته، وأنه مما يستوجب غضب الله تعالى وسخطه ونقمته، فهو مشاركة لله تعالى في صفة من صفاته - فإن الكبرياء لا تكون إلا لله تعالى، ومن شاركه في صفة من صفاته قصمه وأهلكه، وجعل النار مستقرَّه ومكانه.

أ- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عزَّ وجلَّ: الكِبرياءُ رِدائي، والعظمَةُ إزاري، فمن نازَعني واحدًا مِنهما، قذَفتُهُ في النَّار)[1].

ب- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُحشَرُ المتكبِّرونَ أمثالَ الذَّرِّ يومَ القيامةِ في صُور الرِّجالِ، يغشاهُمُ الذُّلُّ من كلِّ مكانٍ، يُساقونَ إلى سجنٍ من جهنَّمَ يُسمَّى بُولس، تعلوهم نارُ الأنيارِ، يُسقَونَ من عُصارةِ أهلِ النَّارِ طِينَةِ الخبالِ)[2] .

ت- وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخُلُ الجنَّة من كان في قلبِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبرٍ)[3]، قال تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ(٦٠))[4].

٢- أن تعلم أن المتكبِّر محتقر عند الله تعالى ثم عند الناس، فإن الخلق يمجُّون من يرونه مُتكبِّرًا، يكرهونه من أعماقهم، ويبغضون رؤيته ومجالسته، والحديث إليه، فهو ينظر إليهم من علوٍ، شامخ بأنفه، نافخ لصدره، متعجرف في كلامه، لا يراهم شيئًا

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٢٠ . وصحيح سنن أبي داود: ٢/٧٧٠ رقم الحديث٣٤٤٦ واللفظ له، وصحيح سنن ابن ماجة: ٢/٤٠٥ رقم الحديث٣٣٦٦

(٢) الألباني ، صحيح الترمذي ، ر٤قم الحديث ٢٠٢٥ ، ج٢ ، ص ٣٠٤ . وقال حديث حسن .

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم ١٤٩ ، ج١ ، ص ٩٠ .

(٤) سورة الزمر .

مذكورًا، فمن ذا الذي يرضى لنفسه بهذه المنزلة؟! ويوم القيامة تظهر الحقيقة، ويُحشر المرء بوزنه الحقيقي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّهُ ليأتي الرَّجُلُ العظيمُ السَّمينُ يومَ القيامةِ لا يزِنُ عندَ اللهِ جَناحَ بعوضَةٍ)[1] وقال: (أقرؤوا (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا(١٠٥))[2].

٣- أن تذهب إلى المقابر، لتنظر بعين البصر والبصيرة إلى أولئك الأقوام الذين ضمتهم تلك الحفر، فأين ملوكهم؟ أين الجبابرة منهم؟ أين من ملأ الدنيا ضجيجًا وصخبًا، وكان يقول بلسان حاله ومقاله: ومن مثلي؟! فإذا به كغيره في ذ لك المضجع الحزين، يُشفِق عليه من يمرُّ به، فأين ملكه الذين كان يصول به؟ أين ماله الذي كان يتكبَّر بجمعه ومنعه؟ أين عِلمه الذي كان يتغطرس بتحصيله؟ أين فراشه الوثير؟ وقصره المنيف؟ أين اللباس الثمين؟ أين الخدم والأجراء؟ أين النعومة والرقة؟ أين المراكب والمطاعم والمشارب؟ نُزِعت من يده، وتركها مرغمًا خلف ظهره، وذهب عنها وفي قلبه حسرات عليها، فإذا به يعاني من الحسرات منها، فالحساب ثقيل، والميزان دقيق، والديوان لا يغادر الصغائر ولا الكبائر. فأين من كان يتعفّف عن لقاء الناس وكلامهم والحديث إليهم، ويتقذر من ملامستهم؟ لقد أصبح للدود مأكلًا، وللهوام طعامًا، وصار بيت الصديد والدود مضجعه ومسكنه، والحشرات جيرانه الذين لا يفارقونه! فأين الكِبر؟ أين التعالي؟ لقد دُفِنَ الفقير بجوار الغني، ودُفِنَ الأمير بجوار المأمور، ودُفِنَ الوزير بجوار الحقير، فهل تتمايز قبورهم إلا بما فيها من نعيمٍ أو عذاب؟! أما ظهورها فالهدوء والسكون جاثم، وأما دواخلها فالدواهي والعِظائم!

٤- أن تذهب لزيارة الفقراء والمساكين، لترى فضل الله عليك، وتشعر بما أنت فيه من نعم سُلبت من غيرك وسيقت إليك ابتلاء من الله لك، وامتحانًا منه لإيمانك. ولعلَّ الشيطان يقعد على طريق هذه الزيارة، فيثقلها عليك، ويحول بينك وبينها –

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث٢٧٨٥ .

ليحرمك منها، وتأتي نفسك الأمارة بالسوء لتقول لك: أيُعقل منك هذا؟! أنت صاحب الجاه والمال والحسب والنسب تذهب لهذه البيوت الفقيرة، فتدخل هذه الأحياء الحقيرة؟ وتجلس – على جلالة قدرك– على هذه الفُرَش الوسخة القذرة، وتصافح تلك الأيدي الشعثة الخشنة، وتمسح على رأس ذلك الطفل الذي تمزقت ثيابه، وتفرق شعره، واتسخت وجنته وخده بالأقذار والأكدار؟ فلماذا تذهب إليهم وهم ينظرون لجيبك أكثر مما ينظرون لوجهك؟ ويطمعون في عطائك أكثر مما يفرحون بلقائك؟ وربما يؤصِّل هذه النظرة السيئة بعض أعوان الشيطان، فيُخوِّفونك من هذه الزيارة ويحولون دون ذهابك للفقراء، ويحاولون بما أوتوا من خبث ودهاء أن تبقى أسير الحياة البرجوازية والعيش المخملي دون تعكير للنفس بما ترى من حياة الفقراء. فأرغم النفس بهذه الزيارة، وسترى نتائجها العجيبة، وخصوصًا إذا حملت معك ما يُدخل على الفقراء البهجة والفرحة، وأنا على ذلك زعيم أنك ستشعر بسعادةٍ لم تلامس شغاف قلبك من زمن! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم[1] .

٥- زيارة منك إلى السجون ستعالج الكثير من الكبرياء المتأصلة في نفسك، لأنك سترى بعينك من المآسي والأحزان ما يغتسل به القلب من كثير من الأوساخ والأدران، فهذا غنيٌّ ثري، تغير به الزمان، وأغارت عليه الأحزان، فها هو ينغمس في الديون التي أثقلت كاهله وعجز عن سدادها، فإذا به في غياهب السجون كالمطعون، وهذا صاحب الجاه والمنصب والمركز الاجتماعي وقع في زلَّة عُمره، فإذا به يجور عليه الزمان، فتنكشف سوءته، ويتضح ما كان مخبوءًا من أمره، فإذا به بين جدران السجون. وهذا الذي كان يتعالى على أقرانه ويتكبّر على خلانه، وقع في شِراك من

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٩٦٣ ، ج٤ ، ص ١٧٩٩ .

كان يخادعه ويُملي له، فإذا به يمكُر ويغدر به، ثم إذا حان وقت الجدِّ وزمن النصرة تخلَّى عنه من عاش من أجله، فإذا به يتجرّع غصص الغدر وآلام المكر. وكم سترى من قصص تُعيد لك الكثير من الحسابات الخاطئة في حياتك.

٦- زيارة منك للمستشفيات كفيلة بتغيير كبير في حياتك، فكم سترى من مآسي وأحزان، وآلام وأسقام، فهذا يصرخ من الألم، وهذا في غيبوبة كاملة لا يشعر بأحبابه وأقاربه الذي يذرفون دموع الحزن فوق سريره، وهذا مقطوع الأعضاء، وهذا مشلول الحركة في عجزٍ كامل عن خدمة نفسه، وهذا فاقد للشعور يُلبسه من بجواره (الحفايظ) كما يُلبِسونها لصغارهم، وهذا ينتظر ساعة الموت والنقلة إلى الله تعالى، وهذا قد نخره المرض المميت يطلب الدعاء من كل أحد بعد أن يئس من علاج الأطباء، وهذا جريح يثعب دمًا، وهذا يعاني من الأمراض المزمنة المحزنة، فأين أنت عن هؤلاء جميعًا؟ لماذا ألهاك التكاثر عن هذه الزيارات التي يستفيد منها الزائر أكثر من فائدة المزور؟! فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كن مع صاحب البلاء؛ تواضعًا لربك، وإيمانًا)[١].

٧- اقرأ كتب التاريخ والسير والتراجم لتقف على كثير من القصص لمن كانوا على شاكلتك، يتكبّرون ويتجبّرون، فإذا بهم عِظات لغيرهم، وعبر لمن بعدهم، كانوا يظنون أنهم مانعتهم حصونهم وقصورهم وأموالهم ومناصبهم من الله، فإذا بالله تعالى يُنكِّل بهم، فيجعلهم عِبرة للمعتبرين وعِظة بالغة للمتعظين، وما يعقلها إلا العالِمون! فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما رجلٌ يتبختَرُ، يمشي في بردِيهِ، قد أعجبتهُ نفسُهُ، فخسَفَ الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)[٢].

---

(١) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٨٧٧ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم اليث ٥٧٨٩ .

٨- الجلوس بين يدي العلماء العاملين والدعاة المخلصين الصادقين، لينهل من عِلمهم، ويغترف من أخلاقهم، ويقتبِس من نورهم، ما يرجو به شفاء قلبه العليل، وربما يسمع من أحدهم كلمة ينفعه الله بها على مدى عمره، ويرتفع بها حظه عند ربه، وفي مجالس العلم إرغام لهذه النفس التي تتمرد على هذه المجالس وتضيق بها ذرعًا، فتغدو فيها كالطير في قفصه، ولذلك فمجالس العلم من أعظم أسباب صفاء النفس وطيب القلب وراحة الضمير.

٩- قراءة القرآن الكريم بتدبر، والنظر في حكمه وأحكامه بتعقل، من أعظم الأسباب الموجبة لذهاب الكبر من النفس، فهو شفاء لما في الصدور، وطهارة لما في القلوب، وغسل لما في النفس من الأدناس والأنجاس، وفيه من العظات البينات ما تطيب به القلوب من أدوائها. واحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ(١٤٦))[١].

١٠- النظر في سيرة الحبيب المعصوم صلى الله عليه وسلم وكثرة قراءة سيرته العجيبة، فهو أكمل الناس قدرًا وأعظمهم منصبًا وأشرفهم نسبًا، وأطهرهم قلبًا، وأكثرهم عِلمًا، وأكبرهم جاهًا، فهو العظيم الذي لا يجارى، والكبير الذي لا يُبارى، ومن مثله في شرفه ورفعة قدره؟! وبالرغم من ذلك فهو المتواضع الرحيم، واللين الكريم.. أحنى الناس قلبًا، وألطفهم معشرًا، وأعطفهم عليهم، ليس في الخلق مثله في تواضعه ولطفه، وما زاده ذلك إلا تشريفًا وتعظيمًا، وتوقيرًا وتكريمًا، فعليك بقراءة سيرته، فهي البلسم الشافي لكثير من أدواء القلوب!

١١- الدعاء والتضرع بين يدي مولاك، أن يُنجيك من شرِّ الكِبر وأوضاره، وأن يطهر

---

(١) سورة الأعراف.

قلبك من التعالي وأخطاره، فالقلوب بين يدي الذي يقلبها كيف يشاء، وهو الله ربّ العالمين، فتضرع بين يديه أن يقيك من شرور النفس، وألحَّ عليه أن يمنحك التواضع، وأن يحليك باللطف و العطف والرقة والرحمة، وما يلقاها إلا ذو حظٍ عظيم.

١٢- أن تتذكّر أصلك الذي خلقت منه، وأنك لم تكن شيئًا مذكورًا، فخلقك الله من ماءٍ مهين، وأخرجك من موضع البول مرتين، فأوّلك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وبينهما تحمل في بطنك العذرة. فتأمّل في ضعفك يا من تهلكة الفيروسات، وترديه الحشرات، وتزعجه البعوضة، وتميته الشرقة، وتدميه البقة، تأمّل –أيها المتكبر– ما يخرج من بطنك، ويكفيك! وإذا أردت أن تتكبّر فلا تدخل إلى دورة المياه، فما يليق بمن يرى نفسه فوق الورى أن يلج إلى بيت الخلاء! هل يكفيك هذا؟! أعتقد أنه ما عاد للكِبر مكان، فليرحل إلى غير رجعه لينغرس في قلوب الأقزام[1] .

س١٠٩: لماذا يعرض بعض المسلمين عن السلام على غير المسلمين ويرى أن هذا ليس من الإسلام ؟.

ج١٠٩ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وقال صلى الله عليه وسلم إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم متفق عليه. وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وحكم بقية الكفار حكم اليهود والنصارى في هذا الأمر؛ لعدم الدليل على الفرق فيما نعلم.

فلا يبدأ الكافر بالسلام مطلقًا، ومتى بدأ هو بالسلام وجب الرد عليه بقولنا: وعليكم؛ امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا مانع من أن يقال له بعد ذلك: كيف حالك؟

---

(١) الشيخ عبدالعزيز بن هاجس ، موقع هاجس .

وكيف أولادك؟، كما أجاز ذلك بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولا سيما إذا اقتضت المصلحة الإسلامية ذلك، كترغيبه في الإسلام و إيناسه بذلك؛ ليقبل الدعوة ويصغي لها، لقول الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ(١٢٥))[١] وقوله سبحانه:(وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ(٤٦))[٢]،[٣].

وجاء عن دار الافتاء المصرية هذه الفتوى : (الشريعة الإسلامية السمحة تحضّ على حسن معاملة الناس عموماً واحترام خصوصياتهم، وأهل الكتاب خاصة إذا كانوا مسالمين لنا، ولا يبارزون المسلمين العداء والحرب، بيّنت الشريعة أنّ معاملتهم إنما تكون بالعدل معهم، والإحسان إليهم، وعدم الإساءة لهم، فقد قال الله عز وجل: (لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨))[٤]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٥].

ومن صور هذه المعاملة جواز زيارتهم ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، وقد ورد في الصحيح أن النبيّ صلى الله عليه وسلم عاد غلاماً يهودياً في مرضه.

وديننا الحنيف يدعو إلى الألفة والمودة والصلة بغض النظر عن اللون أو العرق أو الدين، فأحكام الشريعة جاءت موائمة للمستجدات ومراعية للعادات، فالمسيحيون من زمن بعيد وعلى مرّ العصور من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا الحالي يعيشون في بلاد المسلمين بأمن وأمان، فلا حرج في تحيتهم بأيّ تحية ، ومن ذلك تحيتهم بلفظ السلام.

---

(١) سورة النحل .
(٢) سورة العنكبوت .
(٣) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ج٥ ، ص ٤٠٦ .
(٤) سورة الممتحنة .
(٥) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٠٥٢ .

واستدلّ العلماء بما ورد عن بعض الصحابة كابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم بجواز ذلك، قال ابن حجر رحمه الله: وعن الأوزاعي إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد تركوا)[١] .

وعنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قالَ: (مَنْ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَرُدُّوا عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا أَوْ مَجُوسِيًّا)[٢].

وروى أيضا عَنْ علقَمةَ، قالَ: (كنتُ رِدفًا لابنِ مَسعودٍ، فصَحِبَنا دِهقانٌ، فلمَّا انشَعَبَتْ له الطَّرِيقُ أخَذَ فيها، فأتبَعَه عبدُ اللهِ بَصَرَه، فقال: السَّلامُ عليكم. فقلتُ: ألسَتَ تَكرَهُ أنْ يُبدَؤوا بالسَّلامِ؟ قال: نعَمْ، ولكنْ حَقُّ الصُّحبةِ.)[٣].

أما حديث النهي عن السلام، فيحمل على حادثة خاصة، وذلك عندما سار المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لمعاقبتهم على غدرهم ونقضهم لعهدهم مع المسلمين، فعن أبي الخير قال: سمعت أبا بصرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إِنَّا غَادُونَ عَلَى يَهُودَ فَلا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلامِ، فَإِذَا سَلَّمُوا عَلَيْكُمْ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)[٤] .

وعليه؛ فلا مانع شرعاً من ابتداء غير المسلم بالسلام؛ لأنّ المسألة هذه من المسائل الخلافية، والذين حرموا ذلك أدلتهم في المسألة موضع اجتهاد..(لموضوع : لا مانع شرعاً من ابتداء غير المسلم بالسلام[٥].

وقال ابن القيم رحمه الله: (اختلف السلف والخلف في ذلك، فقال أكثرهم: لا يُبدؤون بالسلام، وذهب آخرون إلى جواز ابتدائهم كما يُرد عليهم، روي ذلك عن ابن عباس، وأبي

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص ٤٥ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٢ ، ص ٣٢٢ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص ٤٤ .
(٤) الإمام أحمد ' المسند ، رقم الحديث ٢٧٢٣٧ واللفظ له، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٢٥٨)، والطبراني (٢٧٧/٢) (٢١٦٣)
(٥) دار الافتاء المصرية . رقم الفتوى: ٣٤٦٧ التاريخ : ٢٠-٠٢-٢٠١٩)

أمامة، وابن محيريز، .. وقالت طائفة: يجوز الابتداء لمصلحة راجحة من حاجة تكون له إليه، أو خوف من أذاه، أو لقرابة بينهما، أو لسبب يقتضي ذلك، يروى ذلك عن إبراهيم النخعي، وعلقمة. وقال الأوزاعي: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون)[1].

وسبب الخلاف في هذه المسألة ورود حديث صريح في النهي عن ابتداء السلام على الكافرين لكن تكلم بعض العلماء في صحته، روى هذا الحديث الإمام مسلم في صحيحه من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه)[2]، وقد ذكره الإمام مسلم في آخر أحاديث الباب وبين اختلاف الرواة في لفظه فقال: (وفي حديث وكيع: (إذا لقيتم اليهود)، وفي حديث ابن جعفر عن شعبة قال: (في أهل الكتاب) وفي حديث جرير: (إذا لقيتموهم) ولم يسم أحدا من المشركين).

وقد عد الحافظ ابن عدي رحمه الله هذا الحديث من الأحاديث التي أُنكرت على سهيل بن أبي صالح لتفرده بها، فإنه لم يرو هذا الحديث أحد غير سهيل عن أبيه أبي صالح، ولا يوجد هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، وإذا تفرد سهيل بن أبي صالح بحديث فإن كثيرا من المحدثين لا يقبلون تفرده وإن كان ثقة؛ لأنهم وجدوا في أحاديثه بعض الأخطاء، قال يحيى بن معين: لم يزل أهل الحديث يتقون حديثه. وقال البخاري: سمعت علي بن المديني يقول: كان سهيل قد مات له أخ فوجد عليه فنسي كثيرا من حديثه. وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتج به. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطئ. وقال الذهبي: أحد العلماء الثقات وغيره أقوى منه، وقال الحافظ ابن حجر: صدوق تغير حفظه بآخرة[3].

يقول الأستاذ : محمد بن علي بن جميل المطري : (في الحديث المذكور ثلاث علل:

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٢ ، ص ٣٨٨ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٦٧ .
(٣)). ينظر: ((الثقات)) لابن حبان (٦/ ٤١٨)، ((الكامل في ضعفاء الرجال)) لابن عدي (٤/ ٥٢٢ - ٥٢٦)، ((ميزان الاعتدال في نقد الرجال)) للذهبي (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤)، ((من تُكُلِّم فيه وهو موثق)) للذهبي (ص: ٩٦)، ((تقريب التهذيب)) لابن حجر (ص: ٢٥٩).

الأولى: أن سهيل بن أبي صالح ساء حفظه كما قال البخاري، ولهذا تجنب الاحتجاج به في صحيحه، وقال أبو حاتم ويحيى بن معين: لا يُحتج به.

الثانية: أنه تفرد به، ولم يُتابع على روايته هذه، لا عن أبيه، ولا عن أبي هريرة، حتى ذكر حديثه هذا ابن عدي في الكامل، ولم يرو أحد غير سهيل لفظة: (واضطروهم إلى أضيق الطريق).

الثالثة: أنه ثبت اضطرابه في روايته، فتارة يقول: (المشركين)، وتارة: (أهل الكتاب)، وتارة: (اليهود).

وقد روى هذا الحديث ثلاثة من الصحابة بلفظ آخر يدل على وجه الحديث، ويكشف عن وهم سهيل فيه، وأنه قد يكون اختصره ورواه بالمعنى فلم يضبطه أو يكون نسيه.

١- روى ابن ماجه وصححه الألباني عن أبي عبد الرحمن الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني راكب غدا إلى اليهود فلا تبدؤوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم)[١].

٢- روى البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني عن أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إني راكب غدا إلى يهود، فلا تبدؤوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم فقولوا: وعليكم)[٢].

٣- روى البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم لاقون اليهود غدا، فلا تبدؤوهم بالسلام، فإن سلموا عليكم فقولوا: وعليك)[٣].

فهذا هو اللفظ الصحيح للحديث، وفيه بيان سبب ورود الحديث، وليس فيه ما زاده سهيل من اضطرارهم إلى أضيق الطريق، وقد فسر الإمام إسحاق بن راهويه هذا الحديث بأن

---

(١) ابن ماجة ، السنن ، رقم الحديث ٣٦٩٩ .
(٢) الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، رقم الحديث ١١٠٢ .
(٣) البيهقي ، السنن الكبرى ، رقم الحديث ١٨٧٢١ ، وصححه الألباني في ((إرواء الغليل)) (٥/ ١١١)، وأصله في الصحيحين.

المراد منه منع بذل الأمان لليهود حين خرج إليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحصارهم لكونهم أهل حرب، قال إسحاق بن راهويه رحمه الله: (في مصافحة غير أهل الملة تعظيم، وقد أُمرنا بتذليلهم، إلا أن تكون حاجة أو أردت أن تدعوه إلى الإسلام وما أشبه ذلك من أمر الآخرة كالسلام، ليس لك أن تبدأه لما فيه تعظيم وتشبيه بتحية المسلم، فإذا كانت حاجة إليه فلك أن تبدأه بالسلام، ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تبدؤوهم بالسلام) لما خاف أن يدَّعُوا ذلك أماناً، وكان قد غدا إلى اليهود)[1]

وكذا فسره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما نقله عنه تلميذه ابن قيم الجوزية، قال ابن القيم رحمه الله: (وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تبدؤوهم بالسلام) وهذا لـمَّا ذهب إليهم ليحاربهم وهم يهود قريظة – فأمر ألا يُبدؤوا بالسلام؛ لأنه أمان، وهو قد ذهب لحربهم. سمعت شيخنا يقول ذلك) (أحكام أهل الذمة)[2].

قد وردت آثار عن السلف الصالح تدل على جواز البدء بالسلام على الكافر غير الحربي:

١- روى ابن أبي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين عن علقمة قال: أقبلت مع عبد الله بن مسعود من السيلحين فصحبه دهاقين من أهل الحيرة، فلما دخلوا الكوفة أخذوا في طريق غير طريقهم، فالتفت إليهم فرآهم قد عدلوا، فأتبعهم السلام، فقلت: أتسلم على هؤلاء الكفار؟! فقال: (نعم، صحبوني، وللصحبة حق).

٢- قال ابن أبي شيبة: حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن شعيب بن الحبحاب قال: كنت مع علي بن عبد الله البارقي، فمر علينا يهودي أو نصراني عليه كارة من طعام، فسلم عليه علي، فقال شعيب: فقلت: إنه يهودي أو نصراني! فقرأ علي آخر سورة الزخرف: (وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(٨٩)) [4].

---

(١) االمروزي ، مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ، ج٢ ، ص ٣٣٧ .
(٢) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج٣ ، ص ١٣٢٦ .
(٣) ابن أبي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٢٥٨٦٥
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٥٨٦٧

٣- قال ابن أبي شيبة :حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا المسعودي عن عون بن عبد الله قال: سأل محمد بن كعب عمر بن عبد العزيز عن ابتداء أهل الذمة بالسلام فقال: (نرد عليهم ولا نبدؤهم)، فقلت: وكيف تقول أنت؟ قال: (ما أرى بأسا أن نبدأهم)، قلت: لمَ؟ قال: لقول الله في الزخرف : (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(٨٩))[١] .

٤- قال ابن أبي شيبة في باب أهل الذمة يُبدؤون بالسلام حدثنا وكيع عن سفيان عن عمار الدهني عن رجل عن كريب عن ابن عباس: أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب: السلام عليك)، وإسناده ضعيف لوجود رجل مبهم في إسناده، قال ابن القيم: (قلت: إن ثبت هذا عن ابن عباس - وهو راوي حديث أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر: (سلام على من اتبع الهدى) فلعله ظن أن ذلك مكاتبة أهل الحرب ومن ليس له ذمة)[٢] .

٥- قال ابن أبي شيبة : حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم النخعي قال: (إذا كتبت إلى اليهودي والنصراني في الحاجة فابدأ بالسلام)، وقال مجاهد: (اكتب: السلام على من اتبع الهدى)، قلت: الأمر واسع تقول هذا أو هذا بحسب الحال والمصلحة، وقد قال الأوزاعي: (إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون)[٤].

٦- قال ابن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد الألهاني وشرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة:(أنه كان لا يمر بمسلم، ولا يهودي، ولا نصراني، إلا بدأه بالسلام.)[٥] وسنده صحيح. ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن زياد قال: كنت آخذ بيد أبي أمامة فأنصرف معه إلى بيته، فلا يمر بمسلم ولا نصراني ولا صغير

(١) ابن أبي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٢٥٧٥٠
(٢) المصدر السابق ، ج٥ و ص ٢٤٨ ، رقم الحديث ٢٥٧٤٨ .
(٣) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ' ج٣ ، ص ١٣٢٦ .
(٤) ابن أبي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٢٥٧٤٩ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٥٧٥١ .

ولا كبير إلا قال: سلام عليكم، سلام عليكم، سلام عليكم، حتى إذا انتهى إلى باب داره التفت إلينا، ثم قال: (يا بني أخي، أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفشي السلام)[1]، قال البيهقي بعد روايته: قال الإمام أحمد: (السلام على النصراني رأيٌ من أبي أمامة، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ابتدائهم بالسلام).

الإمام أحمد وأكثر الفقهاء ينهون عن ابتداء الكافر بالسلام للحديث الوارد في النهي عن ابتدائهم بالسلام، وهذا من تعظيمهم للسنة النبوية وعدم مخالفتهم لها بالرأي، ولكن قد علمت من سبب ورود الحديث أن النهي وارد في سبب خاص عندما ذهب النبي صلى الله عليه وسلم لمحاصرة اليهود، فنهى أصحابه أن يسلموا عليهم لأنه يريد أن يحاربهم، فإن سلم عليهم أحد من أصحابه فسيكون ذلك أمانا لهم، وقد أشار إلى ذلك إسحاق بن راهويه وابن تيمية كما تقدم، وقد ذهب إلى جواز ابتداء الكافر غير الحربي بالسلام غير واحد من الصحابة، ولم يتفرد بهذا القول أبو أمامة، قال ابن عبد البر رحمه الله: (روي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أنهم كانوا يبدؤون بالسلام كل من لقوه من مسلم أو ذمي، .. روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رويم قال: رأيت أبا أمامة الباهلي يُسلِّم على كل من لقي من مسلم وذمي ويقول: هي تحيةٌ لأهل ملتنا، وأمانٌ لأهل ذمتنا، واسمٌ من أسماء الله نُفشيه بيننا)[2] .

٧- قال ابن أبي شيبة: حدثنا إسماعيل بن عياش عن ابن عجلان: أن عبد الله، وأبا الدرداء، وفضالة بن عبيد كانوا يبدؤون أهل الشرك بالسلام[3].

٨- روى البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني عن أبي عثمان النهدي قال: كتب

---

(١) البيهقي ، السنن ، رقم الحديث ٨٣٧٨ .
(٢) ابن عبد البر ، بهجة المجالس ، ص ١٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٥٧٥٢

أبو موسى الأشعري إلى رهبان يسلِّم عليه في كتابه، فقيل له: أتسلم عليه وهو كافر؟! قال: إنه كتب إليَّ فسلَّم عليَّ، فرددت عليه[1].

مسألة ١: الكافر إذا سلم سلاما واضحا وقال: السلام عليكم، يُرد عليه بالمثل: وعليك السلام، ولا يقال له: وعليك فقط، لعموم قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا.. (٨٦))[2] وهذا هو الذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة، والله يأمر بالعدل والإحسان، وإنما نقول لهم: وعليك إذا تأكدنا أنهم قالوا لنا: السام عليكم[3].

وقال الألباني رحمه الله: (إذا قالوا: السلام عليك، يُرد عليهم بالمثل: وعليك السلام، ويؤيد أن الآية على عمومها أمران:

الأول: ما أخرجه البخاري في الأدب المفرد والسياق له وابن جرير الطبري في التفسير من طريقين عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: (ردوا السلام على من كان، يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا؛ ذلك بأن الله يقول: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)[4].

فالقائل الألباني: وسنده صحيح لولا أنه من رواية سماك عن عكرمة، وروايته عنه خاصة مضطربة، ولعل ذلك إذا كانت مرفوعة وهذه موقوفة كما ترى، ويقويها ما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (لو قال لي فرعون: بارك الله فيك قلت: وفيك. وفرعون قد مات)[5] أخرجه البخاري في أدبه ، وسنده صحيح على شرط مسلم.

والآخر: قول الله تبارك وتعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨))[6] ، فهذه الآية صريحة بالأمر بالإحسان إلى الكفار المواطنين الذين يسالمون المؤمنين ولا يؤذونهم، والعدل معهم، ومما لا ريب فيه أن أحدهم إذا سلم قائلا بصراحة: السلام عليكم، فرددناه عليه باقتضاب:

---

(١) الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، رقم الحديث ١١٠١ .
(٢) سورة النساء .
(٣) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ٤٢٥ .
(٤) البخاري ، الأدب المفرد ، رقم الحديث ١١٠٧ . وابن جرير الطبري في التفسير (١٠٠٣٩)
(٥) البخاري ، الأدب المفرد ، رقم الحديث ١١٣ .

وعليك! أنه ليس من العدل في شيء بله البر؛ لأننا في هذه الحالة نسوي بينه وبين من قد يقول منهم: السام عليكم، وهذا ظلم ظاهر. والله أعلم)[1] .

مسألة ٢: هل يجوز عند السلام على الكافر ابتداءً أو ردًا أن نكمل له التحية فنقول: ... ورحمة الله وبركاته، أو يُكتفى بلفظ السلام فقط من غير أن ندعو له بالرحمة والبركة؟ ، جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية جوابا لذلك : الذين جوزوا ابتداءهم بالسلام صرحوا بالاقتصار على: السلام عليك دون الجمع، ودون أن يقول: ورحمة الله.[2]

وقد تقدم الأثر الذي رواه البيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن زياد قال: (كنت آخذ بيد أبي أمامة فأنصرف معه إلى بيته، فلا يمر بمسلم ولا نصراني ولا صغير ولا كبير إلا قال: سلام عليكم)[3]..

وبالنسبة للدعاء للكافر بالرحمة ورد حديث صحيح فيه أن الدعاء بالرحمة خاص بالمسلمين، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كانت اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول لهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)[4] قال المباركفوري رحمه الله في شرح هذا الحديث: (لا يقول لهم: يرحمكم الله؛ لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق والإيمان)[5].

والخلاصة أنه لا يثبت حديث مطلق في النهي عن ابتداء الكافر غير الحربي بالسلام، بل ثبت أن النهي وارد لسبب خاص، فالراجح أنه يجوز للمسلم أن يبتدئ الكافر غير المحارب بالسلام، ومن بابٍ أولى أن يرد عليه السلام إذا سلَّم، والأفضل أن يكون السلام على الكافر الواحد بلفظ الإفراد دون الجمع، والأحوط أن يقتصر على لفظ السلام دون ذكر الرحمة[6].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (٢/ ٣٢٢)، صحيح الأدب المفرد للألباني (ص: ٤٢٥).
(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج١١ ، ص ١٨٦ .
(٣) البيهقي ، شعب الإيمان ، رقم الحديث ٨٣٧٣ .
(٤) رواه أحمد (١٩٥٨٦) والترمذي (٢٧٣٩) وأبو داود (٥٠٣٨) وصححه الألباني والأرناؤوط.
(٥) المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج٨ ، ص ١٠ . وينظر: ((الآداب الشرعية)) لابن مفلح (٢/ ٣٣٦)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٦٠٤)، ((الشرح الممتع)) لابن عثيمين (١٤/ ٣٠٩).
(٦) جواز البدء بالسلام على الكافر غير الحربي ، شبكة الالوكة
(٧) محمد بن علي بن جميل المطري تاريخ الإضافة: ٢٠١٧/٢/٢٢ ميلادي - ١٤٣٨/٥/٢٥ هجري

س ١١٠ لماذا كان السحر جريمة كبرى ؟. وما حد الساحر ؟. وهل يعالج السحر بالسحر ؟.

ج١١٠: **السحر لغة**: ما خفي ولطف سببه، ومنه سمي السَّحَر لآخر الليل، لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكذلك سمي السحور، لما يؤكل في آخر الليل، لأنه يكون خفياً، فكل شيء خفي سببه يسمى سحراً.

وأما في الشرع، فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقي، أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: (وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ...(١٠٢))[1].

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف.

فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك ، فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك ، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه ، وفي عقله، فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (السحرة والكهنة والعرَّافون لا يجوز سؤالهم، ولا تصديقهم بما يقولون، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً رواه مسلم في الصحيح.

والعرَّاف هو الذي يدعي معرفة الأمور من طريق الغيب والتكهن ، وهكذا الكاهن وهو الذي له رأي من الجن وصاحب من الجن يخبره ببعض المغيبات التي يسمعها من الناس في البلدان البعيدة أو القريبة، أو يسمعها حين يسترق السمع من جهة السماء فهؤلاء لا يسألون ولا يصدقون.

---

(١) لقول المفيد على كتاب التوحيد لمحمد بن صالح بن عثيمين – بتصرف - ٥/٢) من الدرر السنية

وهكذا السحرة وهم من يتعاطون أموراً يضرون بها الناس، فالسحر له وجود وله حقيقة وبعضه خيال لكن بعضه لعله حقيقة يقتل ويمرض ويفرق بين المرء وزوجه، فلا يجوز سؤال السحرة، ولا تصديقهم ولا العلاج عندهم.

ولكنك تعالج المرض عند الأطباء المعروفين، أو بقراءة القرآن ليقرءوا عليك القرآن وآيات السحر وينفثوا عليك، أو في ماء تشربه وتغتسل به فلا بأس.

أما المعروفون بالسحر، والمعروفون بتعاطي السحر، أو الكهانة، أو العرَافة التي فيها دعوى علم الغيب هؤلاء كلهم لا يجوز سؤالهم، ولا تصديقهم، وعليك أن تتوب إلى الله من سؤال هذا الساحر، وعليك أن تعمل الأدوية المباحة، والطب المباح، ومن ذلك أن تقرأ أنت ويقرأ لك بعض الإخوان الطيبين أصحاب العقيدة الطيبة في ماء، يقرؤوا لك الفاتحة، وآية الكرسي، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وآية السحر الموجودة في سورة الأعراف، ومن سورة يونس، ومن سورة طه يقرأها في الماء ثم تشرب من ذلك الماء وتغتسل بالباقي هذا بإذن الله علاج لما قد يقع من السحر، وقد يجعل فيه سبع ورقات من السدر الأخضر يدق ويجعل في الماء، ويكون أيضاً من باب الطب والعلاج المباح؛ لأنه مجرب ونافع في حق المسحور، وفي حق من حبس عن زوجته؛ لأسباب فإن هذا العلاج الشرعي في قراءة الفاتحة، وآية الكرسي، وآيات السحر المعروفة في سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة طه و قل يا أيها الكافرون، و قل هو الله أحد، والمعوذتين تقرأ في الماء' وفيه السدر أو ليس فيه سدر، ثم يشرب منه الإنسان، ويغتسل منه المصاب بالسحر، أو المحبوس عن زوجته، ثم يبرأ بإذن الله تعالى وإن نفث فيه مع ذلك اللهم رب الناس أذهب البأس واشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً وكرر هذا ثلاثاً فهذا طيب يعني دعوات طيبة ثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام : اللهم رب الناس أذهب البأس واشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً، وهكذا الدعاء المعروف بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ثلاث مرات أيضاً هذا ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً فإذا نفث في هذا في الماء فهو أيضاً طيب ومن أسباب الشفاء.

وهو علاج نبوي علاج شرعي الدعاء الأول: اللهم رب الناس أذهب البأس واشفي أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً، والدعاء الثاني: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك يقوله ثلاث مرات هذا من الدعاء الطيب الذي يرجى فيه النفع والله المستعان مع سؤال الله-جل وعلا- الإنسان يسأل ربه أن يمن عليه بالشفاء يضرع إلى الله في سجوده، وفي آخر التحيات، وبين الأذان والإقامة، في آخر الليل في جميع الأوقات يسأله ربه ويضرع إليه أن الله يشفيه مما أصابه ويزيل عنه ما به من الأذى والله يحب السائلين-جل وعلا-وهو القائل سبحانه: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ.)[1].

يقول الشيخ المنجد : (الذي يفك السحر عن المسحور لا يخلو من حالين :

الحال الأولى : أن يستخدم في ذلك الرقى الشرعية والتعوذات النبوية ، والأدوية المباحة ، فهذا لا بأس به ، بل مستحب .

الحال الثانية : أن يعالجه . أي السحر بعمل السحرة الذي هو التقرب إلى الجن بالذبح أو غيره من القربات فهذا لا يجوز ؛ لأنه من عمل الشيطان بل من الشرك الأكبر فالواجب الحذر من ذلك ، كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين واستعمال ما يقولون ، وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من إتيانهم وسؤالهم وتصديقهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[2]، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[3] ، فالسحرة لا يجوز إتيانهم ولا سؤالهم ولا تصديقهم.

وقد روى أبو داود في سننه عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ النُّشْرَةِ فَقَالَ : (هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)[4] .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤١٣٧ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٩١٧١ ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٩٣٩)
(٤) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٣٧٠ .

قال ابن القيم في إعلام الموقعين : (والنشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان : حل سحر بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ؛ فإن السحر من عمل الشيطان فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور ، والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة ، فهذا جائز ، بل مستحب)[1].

وبهذا نعلم أن هذا الذي قد يحل السحر بالسحر إن كان من الصنف الذي يحل السحر بالطريقة المحرمة فإن الذهاب إليه معصية ، وقد تكون كفرا ، فالواجب على من ذهب إليه التوبة من ذلك ، والله يتوب على من تاب ، فإن كان فعل ذلك جاهلا فنرجو أن لا يكون عليه إثم لكن عليه الإقلاع عن ذلك والعزم على عدم العود إليه في المستقبل .

وإذا كان من الصنف الأول الذين يعالجون المسحور بالقرآن الكريم والأدعية النبوية ، فلا حرج من الذهاب إليه ، وليس ذلك معصية.)[2] .

وتفصيلا في موضوع السحر تقول نجلاء بنت عبدالله الحربي في بحث متكامل عن السحر أنقله كاملا للفائدة :

(**الباب الأولواقع السحر**)

تاريخ ظهور السحر: إن السحر بعيد الغور في الحياة البشرية، ولا يخلو أي عصر من العصور إلا وتجد بصمات السحر تكمن فيه ظاهرة جلية، قال تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(٥٢))[3] ، وهذا يدل على أن كل الأمم السابقة قد عايشت السحر وعرفته.

١- ومن أقدم الأمم التي فشا فيها السحرُ وذاع (أهل بابل)، وهي مدينة عراقية أهلها الكلدانيون من النبط والسريانيين، وهم قوم صابئون يعبدون الكواكب السبعة، ويسمونها آلهة، ويعتقدون أنها الفعالة لكل ما في العالم، وعملوا لها أوثانًا على أسمائها، ولكل واحد منهم

---

(١) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٤ ، ص ٢٩٩

(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، ١٠٥٨٥٠تاريخ النشر في ٨ / ٩ / ٢٠٠٨ م .

(٣) سورة الذاريات .

هيكل فيه صنمه يتقرب إليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور، وكانت علومهم في النجوم، ويستعملون سائر وجوه السحر، وينسبونها إلى فعل الكواكب؛ لئلا يبحث عنها وينكشف تمويههم[١]، وأول ظهوره لديهم كان بطريق الملكين اللذين بعثهما الله -عز وجل- لتعليم السحر لمن أراده، اختبارًا من الله لهم، وهما هاروت وماروت، ومع ذلك فهما يحذران من أراد تعلم السحر قبل الوقوع فيه، فيقولان له: لا تكفر، أي لا تأخذ السحر؛ لأنه كفر، كما حكاه الله في كتابه: (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ(١٠٢))[٢] ، وظل السحر سمة فارقة ومميزة لأهل بابل في العراق على مر العصور، قال كعب الأحبار لعمر بن الخطاب لما أراد أن يخرج للعراق: (أنَّ عُمَرَ أرادَ أن يَسكُنَ العِراقَ، فقال له كعبٌ: لا تَفعَلْ؛ فإنَّ بها الدجَّالَ، وبها مَرَدةُ الجِنِّ، وبها تِسعةُ أعشارِ السِّحرِ، وبها كلُّ داءٍ عُضالٍ، يَعني الأهواءَ.)[٣].

٢- ثم بعد قصة هاروت وماروت جاء عصر أول الرسل نوح عليه السلام؛ قال ابن حجر: "وقصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام على ما ذكر ابن إسحاق وغيره"، ويدل عموم قوله تعالى: (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(٥٢))[٤] ، أن كل الأقوام زعموا أن نبيهم الذي جاءهم ساحر، ولا شك أن قوم نوح قالوا هذه المقالة وواجهوا بها نبي الله نوحًا عليه السلام، وهذا يدل على وجود السحر في عصرهم.

٣- وأهل فارس كان بداية أمرهم على التوحيد، إلى أن استولوا على أرض بابل ففشا عندهم السحر، فاستعانوا بالطلاسم لاستحضار الكواكب لقضاء حاجاتهم واستطلاع الغيبيات.

---

(١) عبدالله الرازي، أحكام القرآن. ص ٤٣، م ١

(٢) سورة البقرة .

(٣) الأرناؤوط ، تخريج شرح السنة ، ج١٤ ، ص ٢١١ ، طاووس لم يدرك عمر، [وكعب الأخبار قال فيه معاوية :إن كان لمن اصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

(٤) سورة الذاريات .

٤- وقوم فرعون كانوا يخلطون الأدوية الطبية بالعزائم الشركية للشفاء من الأمراض، ويتلونها عند تحضير الموتى للانتقال للعالم الآخر، فإجراءات التحنيط والدفن كانت مرتبطة بالسحر ارتباطًا وثيقًا. وبلغ السحر مبلغًا عظيما في أيَّامِ (دَلُوكَا) مَلِكَة مِصْرَ بَعْدَ فِرْعَوْنَ، فوَضَعُوا السِّحْرَ فِي الْبَرَابِي (وهي بيوت حكمة القبط يجلس فيها الكاهن على كرسي من ذهب) وَصَوَّرُوا فِيهِ عَسَاكِرَ الدُّنْيَا، فَأَيُّ عَسْكَرٍ قَصَدَهُمْ، وَأَيُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ تَخَيَّلَ ذَلِكَ الْجَيْشَ الْمُصَوَّرَ أَوْ رِجَالَهُ -مِنْ قَلْعِ الْأَعْيُنِ أَوْ ضَرْبِ الرِّقَابِ- وَقَعَ بِذَلِكَ الْعَسْكَرِ فِي مَوْضِعِهِ، فَتُحَاشِيهِمْ الْعَسَاكِرُ، فَأَقَامُوا سِتَّمِائَةِ سَنَةً وَالنِّسَاءُ هُنَّ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ بِمِصْرَ بَعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَجُيُوشِهِ، كَذَلِكَ حَكَاهُ الْمُؤَرِّخُونَ[١].

٥- وأما أهل الهند فحسبنا أن نعلم أن أحد أسفار الفيدا الأربعة وهو سفر أترافا مخصص لمعرفة الرقى والسحر. والفيدا هو الكتاب المقدس لدى الهندوس[٢].

٦- وفي بلاد الإغريق نحا اليونانيون هذا المنحى من الاعتقاد بتأثير الرقى الشركية والعزائم والطلاسم في حياة البشر، فألفوا فيه الكتب ودرسوا علم النجوم.

٧- واليهود بلغ فيهم الأمر إلى ترك الشرعة المنزلة واتباع السحر؛ قال الله فيهم (وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ... (١٠٣))[٣]،ونسبت اليهود السحر إلى سليمان عليه السلام، وتنكر أن يكون سليمان نبيا مرسلا، بل يزعمون أنه ساحر انقادت له الجن والإنس والطير والريح بأخذه للسحر، فنزلت تبرئته من هذه الفرية في القرآن الكريم؛ قال تعالى: (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ... (١٠٢))[٤].

---

(١) شهاب الدين القرافي، كتاب أنوار البروق في أنواع الفروق، الفرق ٢٤٢.
(٢) عالم السحر والشعوذة، د. عمر سليمان الأشقر.
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة البقرة .

واختلف في المراد بالآية؛ فقيل: إن سليمان كان جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه، فلم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي، فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر، جاءهم شيطان في صورة إنسان فقال لليهود: هل أدلكم على كنز لا نظير له؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا -وهو متنح عنهم- فوجدوا تلك الكتب، فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الإنس والجن بهذا، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحرًا، فلما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء أنكرت اليهود ذلك وقالوا: إنما كان ساحرًا[1].

تعريف السحر:

السحرُ لغةً: الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه وَدَقَّ فهو سِحْرٌ، والجمع أَسحار وسُحُورٌ، وأَصل السِّحْر: صَرْفُ الشيء عن حقيقته إِلى غيره، فكأَنَّ الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه، وقال الفراء في قوله تعالى: (....فَأَنَّى تُسْحَرُونَ(٨٩))[2] ، معناه فَأَنَّى تُصْرَفون؛ وقال يونس: تقول العرب للرجل: ما سَحَرَك عن وجه كذا وكذا؟ أَي ما صرفك عنه[3]؟.

واصطلاحًا: اختلفت تعريفات السحر اصطلاحًا بناء على اختلاف العلماء فيه من حيث: هل هو حقيقة لها تأثير؟ أو أنه مجرد خيالات لا حقيقة لها؟ فتباينت التعريفات وافترقت بناء على هذا الخلاف، والصواب أن السحر يشمل الأمرين معًا؛ فمنه ما هو حقيقة وله تأثير حسي على الأبدان والمحسوسات، ومنه ما هو تخييل.

١- عرفه الرازي بما هو تخييل فقال: "اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر خفي سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخدع؛ قال تعالى: (سحروا أعين الناس)[4].

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ج ١٠، ص٢٣٤).
(٢) سورة المؤمنون .
(٣) ابن منظور، لسان العرب. كلمة صرف .
(٤) الإمام الرازي، أحكام السحر والسحرة في القرآن والسنة، ص/١٠.

٢- وعرفه ابن قدامة بما هو حقيقة فقال: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة؛ فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر أو يحبب بين اثنين ، فقصر السحر على ذكر نوع منه[1].

٣- وعرفه أحد العلماء المعاصرين تعريفًا جمع فيه القسمين فقال: "هو عبارة عن أمور دقيقة موغلة في الخفاء، يمكن اكتسابها بالتعلم، تشبه الخارق للعادة وليس فيها تحد، أو تجري مجرى التمويه والخداع تصدر من نفس شريرة تؤثر في عالم العناصر بغير مباشرة أو بمباشرة[2].

أنواع السحر التي عددها أهل العمل لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة:

١- السحر الحقيقي.

٢- السحر التخيلي.

(وهذان لا يتمان إلا بالكفر والعبودية للشيطان).

٣- السحر المجازي.

القسم الأول: **السحر الحقيقي**: وهو كل سحر كان له أثر حقيقي وملموس في الخارج، وأنواعه كما يلي:

النوع الأول: **ما يكون بغير معين خارجي**: بل بهمة النفس وقوتها وقدراتها الروحية، وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية الخبيثة الفاسدة[3] ، وبناءً عليه يقوم الساحر بأقوال وأفعال مخصوصة تقوي النفس حتى تؤثر في الآخرين بقدرة الله تعالى. ولا بد لهم لتحقيق ذلك من رياضيات بليغة واجتهادات ومجاهدات عسيرة؛ كتقليل الغذاء، والانقطاع عن الناس وغيرها.

---

(١) المغني لابن قدامة المقدسي، ص١٥٠، م/٨ .

(٢) حقيقة السحر وحكمه في الإسلام، الدكتور عواد بن عبدالله المعتق، ص/٢.

(٣) أبو عبدالله الرازي، التفسير الكبير، (م/٣،ص٢٠٨).

وَمِنْ خَوَاصِّ النُّفُوسِ مَا يَقْتُلُ؛ فَفِي الْهِنْدِ جَمَاعَةٌ إِذَا وَجَّهُوا أَنْفُسَهُمْ لِقَتْلِ شَخْصٍ مَاتَ، وَيُشَقُّ صَدْرُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ قَلْبُهُ، بَلْ انْتَزَعُوهُ مِنْ صَدْرِهِ بِالْهِمَّةِ وَالْعَزْمِ وَقُوَّةِ النَّفْسِ، وَيُجَرِّبُونَ بِالرُّمَّانِ فَيَجْمَعُونَ عَلَيْهِ هِمَمَهُمْ فَلَا تُوجَدُ فِيهِ حَبَّةٌ، وَخَوَاصُّ النُّفُوسِ كَثِيرَةٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَإِلَيْهِ مَعَ غَيْرِهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ) الْحَدِيثَ، وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُؤْذِي بِالْعَيْنِ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ بِهَا تَخْتَلِفُ أَحْوَالُهُمْ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيدُ بِالْعَيْنِ الطَّيْرَ فِي الْهَوَى وَيَقْلَعُ الشَّجَرَ الْعَظِيمَ [١٠].

وقد أخرج البزار بسند حسن عن جابر رفعه (أكثرُ من يموت بعد قضاءِ اللهِ وقدرهِ بالنفس)، قال الراوي: يعني بالعين.

ومعلوم أن النفوس الخبيثة لها آثار بإذن الله تعالى، ومن أصرح الأدلة الشرعية في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين)، وهذا الحديث الصحيح يدل على أن همة العائن وقوة نفسه في الشر جعلها الله سببًا للتأثير في المصاب بالعين.

النوع الثاني: هو السحر الذي يستعان عليه بمعين خارجي:

أولا: الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهم الشياطين من الجن، واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية؛ لما بينها من المناسبة والقرب، ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد فيقوم الساحر بتسخير الجن، ويعزم عليهم بالعزائم؛ ليطيعوه، ويتقرب لهم بما يحبونه من الكفر والشرك، فيقضوا له أغراضه، فقد يكتب الساحر كلام الله بالنجاسات أو يكتبه مقلوبًا وغير ذلك.

ثانيًا: الاستعانة بروحانيات الكواكب والأفلاك والأجرام السماوية ، ويدخل من ضمنه أنواع عدة:

١- سحر الكلدانيين والكشدانيين، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهي

---

(١) شهاب الدين القرافي، كتاب أنوار البروق في أنواع الفروق، الفرق٢٤٢.
(٢) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، (م/٤، ص/٤٤٥).
(٣) أبو عبدالله الرازي، التفسير الكبير، (م/٣، ص/٢١١).

السيارة، وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتي بالخير والشر[1] ، وهو سحر أهل بابل وهم يزعمون أن الكواكب السبعة هي المدبرة للكون والمتصرفة فيه، ومنها تصدر الخيرات والشر والسعادة والنحوس، فيلبسون لها لباسًا خاصًّا، وينحرون لها الأنعام، وصوروا لها تماثيل وسموها بأسماء الكواكب؛ فالساحر في هذا النوع يعبد الكواكب ويعتقد تصرفها في العالم.

١- ومنه الطلاسم: وَحَقِيقَتُهَا نَفْسُ أَسْمَاءٍ خَاصَّةٍ لَهَا تَعَلُّقٌ بالأفلاكِ وَالْكَوَاكِبِ عَلَى زَعْمِ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ، فِي أَجْسَامٍ مِنَ الْمَعَادِنِ أَوْ غَيْرِهَا، تَحْدُثُ لَهَا آثَارٌ خَاصَّةٌ رُبِطَتْ بِهَا فِي مَجَارِي الْعَادَاتِ، فَلَا بُدَّ فِي الطلسمِ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَسْمَاءِ الْمَخْصُوصَةِ وَتَعَلُّقِهَا بِبَعْضِ أَجْزَاءِ الْفَلَكِ وَجَعْلِهَا فِي جِسْمٍ مِنَ الْأَجْسَامِ، وَلَا بُدَّ مَعَ ذَلِكَ مِنْ قُوَّةِ نَفْسٍ خاصة لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ، فَلَيْسَ كُلُّ النُّفُوسِ مَجْبُولَةً عَلَى ذَلِكَ[2].

٢- ومنه: النظر في حركات الأفلاك والنجوم ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها، مع اعتقاد أن لكل نجم تأثيرًا من ضرر أو نفع عند انفرادها أو افتراقها؛ من غلاء الأسعار أو وقوع الحوادث، ومنه الاستقاء بالأنواء[3]، قال الرسول صلى لله عليه وسلم: (من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد)[4]، وعن زَيْدِ بنِ خَالِدٍ أَنَّهُ قالَ: (صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم صَلاَةَ الصُّبْحِ بالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟ قالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قالَ: قالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ، فذلكَ مُؤْمِنٌ بِي كافِرٌ بِالْكَوْاكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فذلِكَ كافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكَبِ)[5]

(١) أبو عبدالله الرازي، التفسير الكبير، (م/٣، ص/٢١١).
(٢) القرافي، أنوار البروق في أنواع الفروق، الفرق٢٤٢.
(٣) معارج القبول، لحافظ الحكمي. م١. ص/٣٧٦.
(٤) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٠٠٠) باختلاف يسير.
(٥) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٦١٣٢ .

٣- ومنه النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين، مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها أو مفارقته؛ من سعادة أو نحوس، وهذا ادعاء لعلم الغيب[١] .

٤- ومنه ما يفعله من يستخدم حروف (أبجد هوز)، ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعًا معروفًا عنده ويطرح طرحًا خاصًا، ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراج الاثني عشر المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثير منهم يغير الاسم من أجل ذلك، أو يفرق بين المرء وزوجته بذلك، بدعوى أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم، وقد يتحكم بذلك في الغيب؛ فيدعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا ذكر وهذا أنثى، وهذا يكون غنيًا وهذا يكون فقيرا، أو غنيا أو وضيعا ونحو ذلك. كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا والله لا يدريه الملك الذي يكتب حتى يسأل ربه، فكيف بهذا الكاذب المفتري؟ ويدعي أن ذلك بصناعة اخترعها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صدق به فقد كفر والعياذ بالله [٢].

القسم الثاني: السحر التخييلي : وهو أن يقوم الساحر بالسيطرة على القوى المتخيلة للشخص المسحور، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقي فيها من الخيالات والصور، ثم ينزلها إلى الحِسّ من الرائي، فينظر لها الرائي ببصره وكأنها حقيقة في الخارج، وليس في الأصل شيء من ذلك، وينقل لنا ابن بطوطة عن أوحد الدين السنجاري (أحد أهل العلم الذين كانوا ببلاد الصين) أنه دخل على رجل عابد في غار، فأخذ ذلك العابد بيده، فخيل لأوحد الدين أنه في قصر عظيم، وأن ذلك العابد المبتدع قاعد فيه على سرير، وفوق رأسه تاج، وحوله الوصائف الحسان، والفواكه تتساقط في أنهار هناك، وتخيل أوحد الدين أنه أخذ تفاحة ليأكلها، فإذا هو في الغار بين يدي ذلك العابد الضال وهو يضحك منه[٣].

---

(١) معارج القبول، لحافظ الحكمي. م١. ص/٣٧٧ .
(٢) معارج القبول، لحافظ الحكمي. م١. ص/٣٧٦.
(٣) عالم السحر والشعوذة. د. عمر سليمان الأشقر. ص/١٢٢.

ومثاله أن يقوم الساحر بتفريق أعضاء شخص آخر ثم يعيدها، فالرائي يعتقد أن ذلك حصل في الخارج، والحقيقة أن الرائي واقع تحت تأثير السحر التخييلي، وما رآه مجرد خيالات أحدثها له الساحر في قواه المتخيلة. فوالله لم يحدث لا تقطيع ولا تجميع، إنما هو سحر تخييلي.

١- ومنه السيمياء: بكسر السين، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَمَّا يُرَكَّبُ مِنْ خَوَاصِّ أَرْضِيَّةٍ؛ كَدُهْنٍ خَاصٍّ، أَوْ مَائِعَاتٍ خَاصَّةٍ، أَوْ كَلِمَاتٍ خَاصَّةٍ تُوجِبُ تَخَيُّلَاتٍ خَاصَّةً، وَإِدْرَاكَ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ أَوْ بَعْضها لِحَقَائِقَ مِنْ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْمُومَاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ وَالْمَلْمُوسَاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ، وَقَدْ يَكُونُ لِذَلِكَ وُجُودٌ حَقِيقِيٌّ؛ يَخْلُقُ اللَّهُ تِلْكَ الْأَعْيَانَ عِنْدَ تِلْكَ الْمُحَاوَلَاتِ، وَقَدْ لَا تَكُونُ لَهُ حَقِيقَةٌ بَلْ تَخَيُّلٌ صِرْفٍ، وَقَدْ يَسْتَوْلِي ذَلِكَ عَلَى الْأَوْهَامِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ الْوَهْمُ مُضِيَّ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ، وَيَسْلُبُ الْفِكْرَ الصَّحِيحَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَتَصِيرُ أَحْوَالُ الْإِنْسَانِ مَعَ تِلْكَ الْمُحَاوَلَاتِ كَحَالَاتِ النَّائِمِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ، وَيَخْتَصُّ ذَلِكَ كُلُّهُ بِمَنْ عُمِلَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يُعْمَلْ لَهُ لَا يَجِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ[١].

٢- الهيمياء: بكسر الهاء، قيل: هو ما تركب من خواص سماوية تضاف لأحوال الأفلاك يحصل لمن عمل له شيء من ذلك أمور معلومة عند السحرة، وقد يبقى له إدراك، وقد يسلبه بالكلية فتصير أحواله كحالات النائم من غير فرق حتى يتخيل مرور السنين الكثيرة في الزمن اليسير، وحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار، وغير ذلك في ساعة ونحوها من الزمن اليسير، ومن لم يعمل له ذلك لا يجد شيئا مما ذكر وكل ما يتصوره المسحور في هذه الحالة من الأوهام التي لا حقيقة لها[٢]، فتفريقه بين المرء وزوجه: تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخصَ الآخر على خلاف ما هو به في حقيقته من حُسْن وجمال، حتى يقبحه عنده، فينصرف ويعرض عنه، حتى يحدث الزوج لامرأته فراقًا، فيكون الساحر مفرقًا بينهما بإحداثه السبب الذين كان منه فرقة ما بينهما[٣].وقد يكون التفريق بما يلقيه الشيطان في قلب أحدهما تجاه الآخر.

---

(١) القرافي. أنوار البروق في أنواع الفروق، الفرق ٢٤٢
(٢) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، (م/٤، ص/ ٤٥٢)
(٣) تفسير ابن جرير الطبري، (م/١،ص/ ٣٦٨)

القسم الثالث: السحر المجازي :قال ابن كثير في تفسيره: "وأدخل –أي الرازي – كثيرًا من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر للطافة مداركها؛ لأن السحر في اللغة عبارة عما لطف وخفي سببه" ، وأنواعه كما يلي:

١- الأخذ بالعيون وخفة اليد وهذا مبناه على أن أغلاط البصر كثيرة؛ فقد يرى الشيء على غير حقيقته لبعض الأسباب العارضة؛ فالبصر قد يخطئ ويشتغل بالشيء المعين دون غيره، ألا ترى ذا الشعبذة الحاذق يظهر عمل شيء يذهل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء بالتحديق ونحوه، عمل شيئًا آخر عملًا بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جدًا، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفطن الناظرون لكل ما يفعله، وكلما كانت الأحوال تفيد حسن البصر نوعًا من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسن؛ مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدًا أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها[1] .

٢- الاستعانة بخواص الأدوية والأطعمة والملابس ومن ذلك :

أ- دخول بعض هؤلاء النار؛ حيث يدهنون جلودهم بمواد لها خاصية مقاومة النار، أو يلبس ثيابًا لا تحرقها النار.

ب- أو أن يجعل في طعام أحدهم بعض الأدوية أو الأطعمة المبلدة المزيلة للعقل، أو الدخن المسكرة التي تغير المزاج، فإذا تناولها تبلد عقله وذهبت فطنته، وقد يستعين بهذه الأدوية ونحوها في إمساك الحيات أو الأسود الضارية [2].

ت- ومنه تغيير المشعوذ وجه إنسان من البياض إلى السواد، وهذه حيلة يقوم بها المشعوذ بدهن الوجه بمادة (أكسيد البزموت) ثم يضع أمام المشاهدين إناء مليئًا بالماء الممزوج

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (م/١، ص/٢٠٣).
(٢) أبو عبدالله الرازي، التفسير الكبير، (م/٣، ص/٢١٢) بتصرف.

بمادة الهيدروجين، ثم يدعي أنه يشم ذلك الماء فيتحول وجهه من البياض للسواد، وذلك نتيجة التفاعل الكيميائي بين المادتين.

ث- ومنه أن يأمر الساعة بالتوقف عن الدوران فتقف، فيشير إلى الساعة دون أن يلمسها ويخفي بيده مغناطيسًا، فتقف الساعة عن الحركة بتأثير المغناطيس[1].

٣- السعي بالنميمة وإغراء بعض الناس ببعض وقد سمى الرسول صلى الله عليه وسلم النميمة بالعضه؛ ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال: (ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس)، قال أبو الخطاب في عيون المسائل: "ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس[2].

والنميمة على قسمين: تارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين، فهذا حرام متفق عليه، "فأما إن كانت على وجه الإصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين؛ كما جاء في الحديث (ليس بالكذاب من ينمي خيرًا)، أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب؛ كما جاء في الحديث (الحرب خدعة)، وكما فعل نعيم بن مسعود في تفريق كلمة الأحزاب وبني قريظة؛ جاء إلى هؤلاء فنمى إليهم عن هؤلاء كلامًا، ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر، ثم لأم بين ذلك فتناكرت النفوس وافترقت، وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء ذو البصيرة النافذة، والله المستعان[3].

٤- تعليق القلب :وهو أن يدعي الساحر أنه عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك قليل التمييز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، فإذا ما حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء.

---

(١) عالم السحر والشعوذة. د. عمر سليمان الأشقر.
(٢) فتح المجيد.ص/٢٥٣.
(٣) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج/١. ص/٢٠٥.

٥- هذا النمط يقال له التنبلة، وإنما يروج على ضعفاء العقول من بني آدم. وفي علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه؛ فإذا كان المَتَنْبِلُ حاذقًا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس من غيره[١] .

الخامس: **البيان**: عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من البيان لسحرًا)[٢] ، قال صعصعة بن صوحان: "صدق نبي الله؛ فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق".

يعني لتضمنه التخييل، فيخيل الباطل بالحق، وإنما عنى بالبيان المفاخرة والخصومات بالباطل، كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما بحسب الآخر ونسبه. وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع لذلك سبيلا[٣].

وقد قسم بعض أهل العلم السحر إلى أنواع أخرى؛ منها: سحر الخمول، سحر الهواتف، سحر المرض، سحر المحبة (التولة)، سحر التفريق، سحر النزيف (الاستحاضة)، سحر التخييل، سحر الجنون، سحر تعطيل الزواج.

ومن أنواع السحر العقد والنفث: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر)[٤]، ومن السحر: زجر الطير، والخط بالأرض، والطيرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العيافة والطيرة والطرق من الجبت)، رواه أبو داود وأحمد. والعيافة: هي زجر الطير والتفاؤل بأصواتها وممرها وبأسمائها، والطرق: هو الخط بالأرض، قال ابن الأثير: (هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء)، والطيرة: أصلها التطير بالطير والظباء، وهي من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، والجبت: هو السحر، قاله عمر رضي الله عنه، وابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم[٥]..

---

(١) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج/١. ص/٢٠٤.
(٢) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٢١٦ .
(٣) أخرجه النسائي (٤٠٧٩)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (١٤٦٩) واللفظ لهما، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٣٤١/٤)
(٤) حافظ الحكمي، معارج القبول. م١.ص/٣٧٩.
(٥) فتح المجيد.ص/٢٥٠

فَهَذِهِ أَنْوَاعُ السِّحْرِ قَدْ تَقَعُ بِلَفْظٍ هُوَ كُفْرٌ، أَوْ اعْتِقَادٍ هُوَ كُفْرٌ، أَوْ فِعْلٍ هُوَ كُفْرٌ، فَالْأَوَّلُ: كَالسَّبِّ الْمُتَعَلِّقِ بِمَنْ سَبُّهُ كُفْرٌ.

وَالثَّانِي: كَاعْتِقَادِ انْفِرَادِ الْكَوَاكِبِ أَوْ بَعْضِهَا بِالرُّبُوبِيَّةِ.

وَالثَّالِثِ: كَإِهَانَةِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعْظِيمَهُ مِنْ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَغَيْرِهِ.

فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ مَتَى وَقَعَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي السِّحْرِ فَذَلِكَ السِّحْرُ كُفْرٌ لَا مِرْيَةَ فِيهِ[1] ، ومتى وقعت هذه الأنواع بشيء مباح، لم يكن ذلك السحر كفرًا، بل إما محرم؛ إن كان لا يروج ذلك المباح إلا بنحو الزنا واللواط، وإما مباح؛ إن راج بدون ذلك، نعم ويكون كفرًا من جهة خارجة كقصد إضراره صلى الله عليه وسلم[2].

يقول النووي: "علم السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرًا، ومنه ما لا يكون كفرًا، بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا[3] .

حكم الساحر:

الساحر كافر؛ والدليل قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(١٠٣))[4] وجه الدلالة: أن الآية تدل على نفي الإيمان عن السحرة، قال ابن كثير: وقد استدل بقوله: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا) من ذهب إلى تكفير الساحر، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل وطائفة من السلف[5] ، وقال تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ(١٠٢))[6] ، أي من استبدل بدينه السحر فماله من نصيب، قال الحسن: ليس له دين، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من تعلم شيئًا من السحر قليلا كان أو كثيرا كان آخر عهده من الله)[7].

---

(١) القرافي. أنوار البروق في أنواع الفروق، الفرق ٢٤٢.
(٢) محمد علي بن حسين المكي المالكي، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (م/١٣، ص/١٧٧).
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة البقرة .
(٦) تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٢٠١ .

وقال تعالى: (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩))[١] [طه: ٦٩] وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى نفى الفلاح عن الساحر نفيًا عامًا حيث توجه وسلك، وذلك دليل كفره؛ لأن الفلاح لا ينفى بالكلية نفيًا عامًا إلا عمن لا خير فيه وهو الكافر، ذلك أنه قد عرف باستقراء القرآن أن الغالب فيه أن لفظه "لا يفلح" يراد بها الكافر؛ كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠))[٢] ، إلى غير ذلك من الآيات ، وقد سماه الله كفرًا فقال: (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ).

عَنِ الْحَسَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ». رواه النسائي.

وعن عمران بن الحصين مرفوعًا: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له..) الشاهد قوله: (ليس منا من سحر) فدل على نفي الإيمان عن الساحر.

قال الشافعي: إن اعتقد ما يوجب الكفر؛ مثل التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس، أو اعتقد حِلَّ السحر، كَفَر؛ لأن القرآن نطق بتحريمه، وثبت بالنقل المتواتر والإجماع عليه، وإلا فسق ولم يكفر.

عقوبة الساحر:

حد الساحر القتل، وروي عن كثير من الصحابة ولم ينكر عليهم أحد ذلك فكان إجماعا سكوتيًّا، قال ابن المنذر: وإذا أقرّ الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرًا وجب قتله إن لم يَتُب، وكذلك لو ثبتت به عليه بيّنة ووصفت البينة كلامًا يكون كفرًا. وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سَحَرَ به ليس بكفر لم يجز قتله، فإن كان أحدث في المسحور جناية توجب القصاص اقتُصّ منه إن كان عَمَد ذلك؛ وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دِيَة ذلك[٤].

---

(١) سورة طه .
(٢) سورة يونس .
(٣) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، (م/٤، ص/٤٤٢).
(٤) تفسير القرطبي، ج٢ص ٤٨.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ حَفْصَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ قَتَلَتْ جَارِيَةً لَهَا سَحَرتها، وَقَدْ كَانَتْ دَبَّرَتْهَا، فَأَمَرَتْ بِهَا فَقُتِلَتْ، قَالَ مَالِكٌ: السَّاحِرُ الَّذي يَعْمَلُ السِّحْرَ، وَلَمْ يَعْمَلْ ذلِكَ لَهُ غَيْرُهُ، هُوَ مثل الَّذِي قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ.. (١٠٣))فَأَرَى أَنْ يُقْتَلَ ذلِكَ إذَا عَمِل ذلِكَ هُوَ نَفْسُهُ[١].

وروي عن جندب بن عبدالله عن النبي أنه قال: «حد الساحر ضربه بالسيف»، رواه الترمذي.

وروى أبو داود في سننه عن بجالة قال: كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، إذ جاءنا كتاب عمر قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر، فقتلنا ثلاث سواحر في يوم.

وقد روي من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرجل، ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله يحيي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان الغد جاء مشتملاً على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر، وقال: إن كان صادقًا فليحي نفسه، وتلا قوله تعالى: (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ(٣))[٢] ، فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك، فسجنه ثم أطلقه[٣].

كما روى البخاري في التاريخ الكبير بسند صحيح عن أبي عثمان: (كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح إنسانًا وأبان رأسه، فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله).

فحد الساحر القتل؛ روي ذلك عن عمر، وعثمان بن عفان، وابن عمر، وحفصة وجندب بن عبدالله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة ومالك، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر، ووجه ذلك أن عائشة رضي الله عنها باعت مدبرة سحرتها، ولو وجب قتلها لما حل بيعها، ولأن النبي قال: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير حق)[٤]، ولم يصدر

---

(١) موطأ الإمام مالك - كتاب العقول.
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) تفسير ابن كثير، ج/١. ص/٢٠١
(٤) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٢ ، ص ٥٦٨ .

منه أحد الثلاثة، فوجب أن لا يحل دمه[1]، فيجاب عنه: أن الأمة لم تصنع السحر، إنما ذهبت لساحر يصنع لها السحر، أو أنها قد تكون تابت بعدها، أو أن يكون سحرها من النوع الذي بالأدوية وخفة اليد والخداع، فلم يشمل كفرًا فلا تعتبر مرتدة لتقتل. وزاد أبو حنيفة فقال: وان قتل بسحره لم يقتل، إلا أن يتكرر ذلك منه.

ودليلنا على أنه يقتل وإن لم يتكرر منه الفعل عموم الخبر في قوله: (حد الساحر ضربة بالسيف)، ولأن كل فعل أوجب القتل تكراره أوجب القتل عند ابتدائه[2].

هل يستتاب الساحر؟.

عن مالك: الساحر كافر؛ يقتل بالسحر ولا يستتاب، بل يتحتم قتله كالزنديق.

وللحنابلة فيه روايتان؛ إحداهما: لا يستتاب؛ لأن الصحابة لم يستتيبوهم، ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة، والثانية: يستتاب؛ فإن تاب قبلت توبته وخلي سبيله؛ لأن ذنبه لا يزيد على الشرك، والمشرك يستتاب، وتقبل توبته، فكذلك الساحر. وعلمه بالسحر لا يمنع توبته؛ بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم[3]. ، ولأن في توبته منفعة للمسلمين؛ لأنه بعد التوبة هو عالم بالسحر يمكنه حله فكان في ذلك منفعة[4].

وقد روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن امرأة جاءتها، فجعلت تبكي بكاء شديدًا، وقالت: يا أم المؤمنين، إن عجوزًا ذهبت بي إلى هاروت وماروت، ليعلماني السحر فقالا: اتقي الله ولا تكفري؛ فإنك على رأس أمرك، فقلت: علماني السحر، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه، ففعلت، فرأيت كأن فارسًا مقنعًا في الحديد خرج مني حتى طار، فغاب في السماء، فرجعت إليهما فأخبرتهما، فقالا: ذلك إيمانك، فذكرت باقي القصة إلى أن قالت: والله يا أم المؤمنين، ما صنعت شيئًا غير هذا، ولا أصنعه أبدًا، فهل لي من توبة؟ قالت عائشة: ورأيتها تبكي بكاء شديدًا، فطافت في أصحاب رسول الله وهم متوافرون تسألهم هل لها من

---

(١) ابن قدامة المقدسي، المغني ج٨ص١٥٣ .

(٢) القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، الإشراف على نكت مسائل الخلاف، (م/٢، ص/٨٤٦).

(٣) كشاف القناع، باب الحكم في الساحر، (م/٤،ص/١٦٤).

(٤) مسائل فقهية، كتاب الحدود.

توبة؟ فما أفتاها أحد إلا أن ابن عباس قال لها: إن كان أحد من أبويك حيًا فبريه، وأكثري عن عمل البر ما استطعت[١].

ويكفر بتعلم السحر، والعمل به؛ لقوله تعالى: ﴿ (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ(١٠٢))[٢] ، فدل هذا على أنه يكفر بتعلمه السحر ، وقد **أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين:**

١- إما لتمييز ما فيه كفر من غيره؛ وهذا فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا.

٢- وإما لإزالته عمن وقع فيه ، فإن كان لا يتم -كما زعم بعضهم- إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا، وإلا جاز للمعنى المذكور[٣] .

ما حكم إتيان الساحر؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)[٤]، وقال صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له)[٥].

فهنا بين رسول الله كفر من أتى الساحر وطلب السحر عمومًا لأي غرض كان، "والكفر هنا ظاهره الكفر الحقيقي وهو الكفر الأكبر، وقيل الكفر المجازي وهو الكفر الأصغر، وقيل: من اعتقد أن العراف أو الساحر أو الكاهن يعرفان الغيب ويطلعان على الأسرار الإلهية كان كافرًا كفرًا أكبر؛ كمن اعتقد تأثير الكواكب، وإلا فلا [٦] ، وقيل: إنه كفر أصغر لا يخرج عن الملة، هذا المشهور عن الإمام أحمد.

---

(١) ابن كثير ، التفسير ، ج١ ، ص ٢٠٣ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (م/١٠، ص/٢٣٥).
(٤) المنذري ، الترغيب والترهيب ، ج٤ ، ص ٩٠ .
(٥) الألباني ، غاية المرام ، رقم الحديث ٢٨٩ .
(٦) الشوكاني ، نيل الأوطار (م/٧، ص/ ٣٦٨).

الباب الثاني :(علاج السحر):

مشروعية التداوي في الإسلام: إن التداوي لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب، وكذلك تجنب المهلكات، والدعاء بطلب العافية ودفع المضار وغير ذلك، قال صلى الله عليه وسلم:(ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء)[١] ، وعنْ أُسَامَةَ بنِ شَرِيكٍ قالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وأصحَابُهُ كأَنَّمَا عَلَى رُؤوسِهِمْ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاء الأَعْرَابُ مِنْ هَاهُنَا وهاهنا، فقَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَنَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: تَدَاوَوْا؛ فَإِنَّ الله تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَم)[٢]، وحتى الداء القاتل الذي اعترف حذاق الأطباء بأن لا دواء له، وأقروا بالعجز عن مداواته، فإن له دواء لكنه مجهول، بناء على ما جاء في حديث ابن مسعود من قوله: (وجهله من جهله)[٣]، وجاء من طريق أبي خزامة عن أبيه قال::(سألتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقلتُ يا رسولَ اللهِ أرأيتَ رُقًى نسترْقيها ودواءً نتداوى به وتقاةً نتقِيها هل تردُّ من قدرِ اللهِ شيئًا قال هي منْ قدرِ اللهِ)[٤].

وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢- وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى.

ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"، وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمتنع احتياطًا[٥].

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث .
(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٥٥) واللفظ له، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦) باختلاف يسير
(٣) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٦٨٦٣) أوله في أثناء حديث، وابن ماجه (٣٤٣٨) مختصراً، وأحمد (٤٣٣٤) واللفظ له.
(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٠٦٥ .
(٥) ابن حجر، فتح الباري، (باب الرقى والمعوذات ص١٩٥، م/١٠)

العلاج المشروع للسحر:

قبل البداية في العلاج يجب على المسلم أن يحصن نفسه وأهله من شر شياطين الإنس والجن، وذلك بقراءة أذكار المساء والصباح وأذكار النوم، والمحافظة عليها، وأيضًا المحافظة على قراءة (قل هو الله أحد) والمعوذتين وآية الكرسي بعد كل صلاة، والإكثار من قول (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) وقول (أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ بها الحسن والحسين.

وقد جمع العلماء من الأذكار والدعوات التي يقولها العبد إذا أصبح وإذا أمسى وإذا نام وإذا خاف شيئًا وأمثال ذلك من الأسباب ما فيه بلاغ، فمن سلك مثل هذا السبيل فقد سلك سبيل أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن دخل في سبيل أهل الجبت والطاغوت الداخلة في الشرك فقد خسر الدنيا والآخرة، وبذلك ذم الله من ذمه من مبدلة أهل الكتاب إذ قال: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢))[١]، [٢].

وأما ما ورد في الكتاب والسنة وكلام السلف عن علاج السحر بعد وقوعه فهو:

أولا- اللجوء للرقية الشرعية:

---

(١) سورة البقرة.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج٢٤، ص٢٨١.

١- العلاج بالقرآن الكريم :

فالقرآن كله شفاء؛ قال تعالى: (**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ..(٤٤)**)[١] ، وقال سبحانه: (**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ.. (٨٢)**)[٢] وهناك سور وآيات مخصوصة في علاج السحر؛ منها:

أ- قراءة سورة البقرة، وفي حديث مسلم: "اقرأوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة"، قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة.

ب- سورة الفاتحة؛ فعن خَارِجَةَ بنِ الصَّلْتِ التَّميميِّ عن عَمِّهِ: (عن عمِّهِ ، أنَّهُ مرَّ بقومٍ فأتوهُ ، فقالوا : إنَّكَ جِئتَ من عندِ هذا الرَّجلِ بخيرٍ ، فارقِ لَنا هذا الرَّجلَ فأتوهُ برجلٍ مَعتوهٍ في القيودِ ، فرقاهُ بأمِّ القرآنِ ثلاثةَ أيَّامٍ غدوةً وعشيَّةً ، كلَّما ختمَها جمعَ بزاقَهُ ، ثمَّ تفلَ فَكأنَّما أُنْشِطَ من عقالٍ فأعطوهُ شيئًا ، فأتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فذَكرَهُ لَهُ ، فقالَ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ : كُل فلَعمري لمن أَكَلَ برقيةٍ باطلٍ ، لقد أَكَلتَ برُقيةٍ حقٍّ)[٣].

ت- وفي عون المعبود كتاب الطب قال: قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلعل طَبًّا أصابه ثم نشره بـ(قل أعوذ برب الناس) أي رقاه)، والطب هو السحر سمي بذلك تفاؤلا. فأنفع ما يستعمل في إذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك، وهما المعوذتان، وفي الحديث (ولم يتعوذ المتعوذ بمثلهما)، وكذلك قراءة آية الكرسي فإنها مطردة للشياطين [٤].

ث- قال القرطبي: قال ابن عباس: من أخذ مضجعه من الليل ثم تلا هذه الآية: (**مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ(٨١)**)[٥] ، لم يضره كيد

---

(١) سورة فصلت .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٣٤٢٠ .
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج١،ص/٢٠٦).
(٥) سورة يونس .

ساحر ، ولا تكتب على مسحور إلا دفع الله عنه السحر[1].

ج- قال ابن أبي حاتم: عن ليث قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى؛ تقرأ في إناء فيه ماء ثم تصب على رأس المسحور: (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ(٨٢))[2] ، (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١١٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١١١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(١١٢))[3] ، (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩))[4]

ح- وهناك آيات أخرى مجربة في فك السحر وإبطاله [5]:قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧))[5]وقال تعالى: (قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وابْعَثْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُل سَحَّارٍ عَلِيمٍ(٣٧) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُّجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠) فَلَمَّا جَآءَ السَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَآ أَنتُمْ مُّلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُواْ آمَنَّا بِرَب الْعَالَمِينَ (٤٧))[6]، وقال تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي، ج ٨.ص ٣٦٨.
(٢) سورة يونس .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة طه .
(٥) فتح المغيث في السحر والحسد ومس إبليس (ص١٣٦).

(٦) سورة الشعراء .

(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وشِفَآءٌ والَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ(٤٤))[1] ، وآية الكرسي والمعوذتان وسورة الكافرون، وهذه الآيات مع التي قبلها في رقية المسحور بالإضافة إلى آيات الشفاء، وتكون الرقية بالنفث مباشرة على المسحور، أو بقراءتها على ماء نظيف ثم الاحتساء منه مع الاغتسال به في مكان طاهر، ويروى عن عائشة أنها كانت لا ترى بأسًا أن يعوذ في الماء ثم يعالج به المريض، أو بقراءتها على زيت الحبة السوداء ودهن جسد المسحور به، وثبت في صحيح البخاري أن نبينا صلى الله عليه وسلم قال: (في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام)[2]، والسام: الموت.

٢- بالأدعية والتعوذات النبوية العامة لكل داء:

أ- عن ابنِ عَبَّاسٍ قالَ: (كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُعوِّذُ الحسنَ والحسينَ فيقولُ أُعيذُكما بكلمةِ اللهِ التَّامةِ من كلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ ومن كلِّ عينٍ لامَّةٍ ثم يقولُ : هكذا كان أبِي إبراهيمُ عليهِ السلامُ يُعوِّذُ إسماعيلَ واسحاقَ عليهما السلامُ)[3].

ب- عن ابنِ عبّاسٍ قال: (كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعو عندَ الكرْبِ؛ يقول: لا إلهَ إلاّ اللَّهُ العظيمُ الحليم، لا إله إلاّ اللَّهُ ربُّ السماواتِ والأرض وربُّ العَرشِ العظيم)[4].

ت- عن هِشام بن عروة قال: عن عائشةَ (أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي؛ يقول: امسح البأس، ربَّ الناس، بيدكَ الشفاء، لا كاشفَ له إلا أنت)[5] .

ث- عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ منذ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: (ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَ لَّمَ مِنْ جَسَدِكَ. وَقُلْ: بِاسْمِ الله

---

(١) سورة فصلت .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦٨٨ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، ج٤ ، ص ١٤٣ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٥٤ .

(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٧٤٤ .

ثَلاَثًا. وَقُلْ، سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)[١].

ج- عن أَبِي الدَّرْدَاءِ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (مَن اشْتَكَى مِنْكُم شَيْئًا أو اشْتَكَاهُ أَخٌ لَهُ فَلْيَقُلْ: رَبُّنَا الله الَّذِي فِي السَّماءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كما رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاء فاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ)[٢].

ح- عن عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ عن أَبِيهِ عن جَدِّهِ: (أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الفَزَعِ كَلِمَاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ)[٣].

ثانيا:- الأدوية المباحة التي نصت عليها السنة:

١- التصبح كل يوم بسبع تمرات من عجوة المدينة؛ فعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فِي عَجْوَةِ العالِيَةِ أَوَّلَ البُكْرَةِ على رِيقِ النَّفسِ شفاءٌ مِنْ كُلِّ سِحْرٍ أَوْ سم)[٤] ، وعن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (مَن تَصَبَّحَ كُلَّ يَومٍ سَبْعَ تَمَراتٍ عَجْوَةً، لَمْ يَضُرَّهُ في ذلكَ اليَومِ سُمٌّ ولا سِحْرٌ.)[٥]. وكون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لتمر المدينة لا لخاصية في التمر[٦] .

٢- استعمال الحجامة؛ أي استفراغ الدم من العضو الذي يصل إليه أذى السحر؛ فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: (إِنْ كانَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ خَيْرٌ فالْحِجَامَةُ)[٧]وروي أن الرسول احتجم بقرن لما طُب أي لما سُحِر.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٠٢ .
(٢) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٨٩٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٨٩٣ .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٢٦٢ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٤٤٥ .
(٦) ابن حجر، فتح الباري ج١٠،ص ، ٢٥٠.

(٧) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٣٨٥٧ .

٣- قال ابن القيم في زاد المعاد:(الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر؛ فإن للسحر تأثيرًا في الطبيعة وهيجان أخلاطها وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو، نفع جدًا. وقد ذكر أبو عبيد في كتاب غريب الحديث له بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم على رأسه بقرن حين طب، قال أبو عبيد: معنى طب سحر)[١].

٤- ذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه: أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر –النبق–فيدقه بين حجرين، ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي وذوات قل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله[٢].

٥- قال ابن حجر: "وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفازة وورد البساتين، ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماء عذبًا، ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا، ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه، فإنه يبرأ بإذن الله".

٦- ومن أنجح الأدوية أيضًا الوصول إلى مكان السحر بعد البحث عنه، واستخراجه لإبطاله بقراءة المعوذات عليه وآيات السحر، ثم كسره إن كان ودعًا أو صدفًا، أو إذابته إن كان (بودرة)، أو حرقه بعد القراءة عليه، وكما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سأل الله سبحانه وتعالى في ذلك فأرشده إليه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بسؤال الله تعالى مع الإلحاح في الدعاء بأن يكشف له مكان السحر، واعلم أن الله سميع قريب، ويجيب الدعاء إذا دعاه عبده بصدق وإخلاص، مع تمام المسكنة وكامل التوكل، واعلم أيضًا أن الله حيي كريم ويستحيي أن يرد يدي عبده صفرًا، فجد في المسألة وثق بالإجابة بإذن الله، فقد يمن الله على عبده بأن يريه رؤيا تدله على مكان السحر والرؤيا جزء من أجزاء النبوة؛ فعن أَنس بن مالكٍ أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٢٣٩ ، وهو حديث مرسل .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٤٩-٥٠.

وسلم قال: (الرُّؤيا الحسنةُ منَ الرجُلِ الصالح جُزءٌ من ستةٍ وأَربعينَ جزءًا منَ النبَّوة)[١]، أو أن يقدر الله بأن يتكلم الجني الموكل بالسحر فيخبر عن مكان السحر.

٧- قال ابن حجر: (أخرج عبد الرزاق من طريق الشعبي قال: لا بأس بالنشرة العربية التي إذا وطئت لا تضره، وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل، ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به)[٢]، أي يأخذ من أوراق أشجار الشوك التي عن يمينه وعن شماله في البقعة التي هو فيها.

وورد في كتب العلم علاج خاص للمربوط عن زوجته؛ يقول ابن حجر: (المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين، ويضعه في وسط تلك الحزمة، ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا حمي الفأس استخرجه من النار وبال على حره، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى)[٣] فالأبخرة المتصاعدة من الفأس بعد تسخينه على النار تفيد المربوط عند تعريض الذكر لهذه الأبخرة فيخرج الجني بإذن الله ويبطل السحر .

٨- أما السحر المطعوم أو المشروب فإن علاجه باستسهال البطن للمسحور مع أخذ الرقية الشرعية.

الباب الثالث :(فك السحر بالسحر):

القول الراجح في مسألة فك السحر عن المسحور بالسحر: لا يجوز فك السحر بالسحر؛ لعموم أدلة التحريم من الكتاب والسنة، وهي عامة في حال التداوي، أو النشرة، أو قصد الأذية، ومن فرق بينها فقد فرق بين ما جمع الله بينه وخص العموم، وهذا لا يجوز بدون مسوغ، والقاعدة عند العلماء أن ما حرم فعله حرم طلبه.

أولا: عموم أدلة التحريم من الكتاب:

١- يقول تعالى في سورة البقرة :((وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٩٨٣ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص١٩٩ .

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (ج١٠، ص /٢٣٣). والقَضِيب: الغُصْنُ. والقَضِيب: كلُّ نَبْتٍ من الأَغصان يُقْضَب، والجمع قُضُبٌ وقُضْب، وقُضْبان وقِضْبان الأخيرة اسم للجمع. قاله ابن منظور في لسان العرب..

مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (١٠٢)) ، هم يعتقدون أنه نفع لما يتعجلون به من بلوغ الغرض، وحقيقته مضرة؛ لما فيه من عظيم سوء العاقبة، وحقيقة الضرر عند أهل السنة: كل ألم لا نفع يوازيه، وحقيقة النفع: كل لذة لا يعقبها عقاب ولا تلحق فيه ندامة، والضرر وعدم المنفعة في السحر متحققة[١] .

٢- قال تعالى: (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ(١٥٧))[٢]، .الشاهد (ويحرم عليهم الخبائث)، والسحر لما يحويه من الكفر هو أولى بالتحريم، وهو أعلى درجات الخبائث لما فيه من الكفر والشرك.

ثانيا: نصوص السنة:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله ما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)[٣]، يقول شارح كتاب التوحيد: (قوله اجتنبوا أي ابعدوا، وهو أبلغ من قوله دعوا واتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ)[٤].

٢- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان)[٥]، و(النشرة): هي ضرب من العلاج والرقية، يُعالج به من يظن أن به مسًا من الجن، سُميت نشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء: أي يُكشف ويُزال، قال ابن الجوزي: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر، وفي كلامه إشارة منه أنه لا يرى جوازها لما فيها من السحر. وقد سئل الحسن عن النشرة فقال: لا يحل السحر

(١) ابن العربي، أحكام القرآن، القسم الأول، ص/٣١ .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٩ .
(٤) الغنيمان ، شرح كتاب التوحيد ، ص ٢٣ .

(٥) خرجه أبو داود (٣٨٦٨)، وأحمد (١٤١٦٧)

إلا ساحر ، والساحر كافر، وحكمه القتل، ولا يستعان به، وقال الإمام أحمد: ابن مسعود يكره هذا كله، أي الرقى كلها ، قال ابن القيم رحمه الله: "النشرة: حل السحر عن المسحور، **وهي نوعان**:

- حل السحر بمثله والذي هو من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.
- بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة فهذا جائز[1].

والشاهد على أن الرقية بالقرآن تسمى نشرة ما جاء: (فنشره بـ(قل أعوذ برب الناس) أي رقاه ، وفي عون المعبود قال: قوله: (هو من عمل الشيطان): أي من النوع الذي كان أهل الجاهلية يعالجون به ويعتقدون فيه، وأما ما كان من الآيات القرآنية والأسماء والصفات الربانية والدعوات المأثورة النبوية فلا بأس به[2]..

٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)[3].

٤- وعن عمران بن الحصين مرفوعًا: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له...)[4]، رواه البزار، وهو حديث صحيح في صحيح الجامع والسلسلة الصحيحة.

٥- حكاية الصحابية زوجة عبدالله بن مسعود في الأثر المشهور، وملخصها أنها كانت عندها راقية ترقي بالسحر بخيط تربطه في كتفها، فدخل ابن مسعود فاختبأت الساحرة تحت السرير، فرأى ابن مسعود الخيط في كتف امرأته، فعلم أنه سحر فنزع الخيط وقال: (إن ابن أم عبد وآله أغنياء عن الشرك)[5].

---

(١) ابن القيم ، فتح المجيد ، ص (٤٢١، ٤٢٢)
(٢) العظيم أبادي ، عون المعبود ، ج١٠ ، ص ٢٤٩ .
(٣) أخرجه البزار كما في ((إتحاف الخيرة المهرة)) للبوصيري (١١٤/٦)، وأبو يعلى (٥٤٠٨)، والطبراني (٩٣/١٠) (١٠٠٠٥).
(٤) أخرجه البزار (٣٥٧٨) مطولاً واللفظ له، والدولابي في ((الكنى والأسماء)) (٢٠٨٣) مختصراً، والطبراني (١٦٢/١٨) (٣٥٥) مطولاً باختلاف يسير.

(٥) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج١ ، ص٦٤٩ .

٦- وعنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عنْ أبي الدَّرْدَاءِ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله أنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا وَلاَ تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ)[١]، سنن أبي داود كتاب الطب، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة بلفظ: (إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فَتَدَاوَوْا وَلاَ تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ)[١].

٧- وفي رواية: سئل ابن مسعود عن التداوي بشيء من المحرمات فأجاب: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)[٢]، علقه البخاري في صحيحه، وفي الحديث: (رضِيتُ لأُمَّتي ما رضيَ لها ابنُ أُمِّ عَبْدٍ)[٣]، لمعرفته بشفقته عليهم ونصيحته لهم، وابنُ أُم عَبْدٍ: هو عبدالله بن مسعود.

٨- وفي الفتح قال الحافظ.. :ولأبي داود مرفوعًا من حديث أم سلمة قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها)[٤].

٩- قالت أم سلمة رضي الله عنها: اشتكت ابنة لي، فنبذت لها في كوز، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يغلي، فقال: ما هذا؟ فقلت: إن ابنتي اشتكت فنبذنا لها هذا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)، وفي رواية: (إن الله لم يجعل في حرام شفاء)[٥].

١٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الدواء الخبيث، سنن أبي داود، والترمذي كتاب الطب، ورواه أحمد، وقيل: هو النجس أو الحرام أو ما ينفر عنه الطبع[٦].

---

(١) الألباني ، غاية المرام ،رقم الحديث ٦٦ وقال عنه أنه حديث ضعيف .
(٢) ابن حبان ، بلوغ المرام ، رقم الحديث ٣٧٩ .
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٥٠٩ .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٤ ، ص١٧٥ .

(٦) عون المعبود، كتاب الطب. باب الأدوية المكروهة، م١٠ (ص/٣٥٣)

ثالثا: **بعض أقوال أهل العلم**:

١- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال؛ لأن ذلك محرم في كل حال، وليس هذا كالتكلم به عند الإكراه، فإن ذلك إنما يجوز إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان، والتكلم به إنما يؤثر إذا كان بقلب صاحبه، ولو تكلم به مع طمأنينة قلبه بالإيمان لم يؤثر)[١].

٢- قال الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله-: (قال بعض الحنابلة: يجوز الحل بسحر ضرورة، والقول الآخر أنه لا يحل، وهذا الثاني هو الصحيح، وحقيقته أنه يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب من ذبح شيء أو السجود له أو غير ذلك، فإذا فعل ذلك ساعد الشيطان، وجاء إلى إخوانه الشياطين الذين عملوا ذلك العمل، فيبطل عمله عن المسحور، أفيعمل الكفر لتحيا نفوس مريضة أو مصابة؟ مع أن الغالب في المسحور أنه يموت أو يختل عقله، فالرسول صلى الله عليه وسلم منع وسد الباب، ولم يفصل في عمل الشيطان ولا في المسحور)[٢].

٣- قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه في هذه المسألة: أن استخراج السحر إن كان بالقرآن كالمعوذتين، وآية الكرسي، ونحو ذلك مما تجوز الرقية به، فلا مانع من ذلك، وإن كان بسحر، أو ألفاظ أعجمية، أو بما لا يفهم معناه، أو بنوع آخر مما لا يجوز، فإنه ممنوع، وهذا واضح، وهو الصواب إن شاء الله تعالى كما ترى)[٣].

٤- وقال الشيخ حافظ حكمي:

وحَلُّه بالوحي نصًّا يُشرعُ   أما بسحر مثله فيُمنعُ

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٩ /٦٤)
(٢) فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (ج١ص١٦٥) بتصرف
(٣) أضواء البيان، (م/٤ ص/ ٤٦٥)

(وحله) يعني حل السحر عن المسحور (به) الرقى والتعاويذ والأدعية من (الوحي) الكتاب والسنة (نصًّا) أي بالنص (يشرع) كما رقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديث الرقى.

٥- وقال رحمه الله: (أما حل السحر عن المسحور بسحر مثله فيحرم؛ فإنه معاونة للساحر، وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر، وقال الرسول –صلى الله عليه وسلم– عنها: هي من عمل الشيطان. ولهذا ترى كثيرًا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه، ليضطره بذلك إلى سؤاله حله، ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل، فيستحوذ على أموالهم ودينهم، نسأل الله تعالى العافية)[١] [٥٧].

٦- قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:"فك السحر بالسحر لا يجوز، وإتيان الكهان أو إحضارهم عند المسحور لفك ما به من سحر لا يجوز، وتعليق الحجب والتمائم لذلك لا يجوز، ولو ترتب على ما ذكر فك السحر أحيانًا، ولكن يرقى المسحور بتلاوة القرآن عليه؛ كسورة الفاتحة، وآية الكرسي، وقل هو الله أحد، والمعوذتين ونحوها من سور القرآن وآياته، وكذلك يرقي بالأدعية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم)[٢].

شبه وحجج مجيزي فك السحر بالسحر، والرد عليها على ضوء الكتاب والسنة وقواعد الفقه وأصوله:

أما حجج مجيزي فك السحر بالسحر، فالغالب أنه لا دليل لهم عليها، وما هي إلا تقديم للرأي على النص، وتعظيم لكلام الأشياخ أو قواعد تنتفي مناسباتها في هذه المسألة، **وهذه استدلالاتهم وحججهم وما توصل إليه البحثُ في حقها:**

---

(١) حافظ الحكمي، معارج القبول (م/١، ص/٣٨١) بتصرف
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .

١- يرد المجيزون قول الرسول صلى الله عليه وسلم لما سأل عن النشرة فقال: (هي من عمل الشيطان) عن كونه يدل على نهي النبي عن النشرة، فيرون أن قوله: (هي من عمل الشيطان) إشارة لأصلها ولا يرون أن فيه أي أمر بالنهي عنها، وذكر الحافظ ابن حجر مثل ذلك في فتح الباري[1] ، قال مصنف كتاب التوحيد شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في باب النشرة: عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان)، رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله ، ويقول أهل العلم هو حديث صحيح، رجاله رجال الصحيحين، وقال أهل العلم: هذا محمول على ما إذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، وعن المداواة المعروفة[2]..قال الشارح الشيخ حسن آل الشيخ رحمه الله تعالى: قوله: "سئل عن النشرة": الألف واللام في (النشرة) للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان".

ونرد عليهم من قواعد الأصول؛ فإن الألفاظ التي تتلقى منها الأحكام إما أن تأتي بصيغة الأمر أو بصيغة خبر يراد به الأمر فتستدعي الفعل، وإما أن تأتي بصيغة النهي أو بصيغة خبر يراد به النهي فتستدعي الترك[3] ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ليس في حديثه لفظ صريح بأمر أو نهي كقول: اجتنبوا أو دعوا.. وغيره من الألفاظ التصريحية. لكنه استعاض عنه بخبر جاء عوضًا عن التصريح ودل عليه.

قال: (هي من عمل الشيطان). وفي الشرع هذا وصف خاص للمحرمات دون المباحات، وهو علة تستدعي وتدل على النهي، وخبر ويراد به الترك في الأصل ، ودليله أن أهل العلم يستنبطون من وصف أي أمر ما في النصوص بأنه من عمل الشيطان، أن الشارع

---

(١) كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، ص٢٤٤

(٢) تفسير القرطبي، سورة الإسراء، المجلد العاشر ص٣١٩

(٣) محمد علي بن حسين المكي المالكي، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية.

يريد بذلك النهي عنه ، ومثاله قول الله تعالى:(إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ .. (٩٠))[١]، واستفاد أهل العلم التحريم في هذه الآية من وجوه؛ منها قوله تعالى: (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) .

أ- يقول القرافي: قال تعالى: (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) فإضافته إلى الشيطان تفيد التحريم في عرف الشرع"[٢] .

ب- قال أبو بكر الرازي في أحكام القرآن: قال تعالى: (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)؛ لأن مهما كان من عمل الشيطان حرم تناوله[٣].

ت- يقول الطيبي: قوله تعالى(مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) وما هو من عمله حرام[٤].

وقال تعالى: (فَاجْتَنِبُوهُ) والحكم المقرون بالفاء بعيد وصف يشعر بعليته كما في قواعد الأصول، فالأمور المذكورة في الآية قرنت بعلة واحدة مشتركة فيها اقتضت النهي عن الجميع، فالعلة المجتمعة هي في قوله تعالى: (رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) ، وبدوران العلة يثبت حكم النهي في النشرة؛ لوجود العلة التي اقتضت تحريم كل ما ذكر في الآية السابقة. فالأمر الذي يوصف بعمل الشيطان أو بالرجس يكون حكمه النهي دائمًا؛ سواء نهي كراهة أو نهي تحريم بحسب الحال.

وأيضًا من الأمثلة قوله تعالى: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ.. (٣١))[٥]. يقول ابن جرير: "عن ابن عباس: (وَلا يَضْرِبنَ بأَرْجُلِهِنَّ)، نهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك لأنه من عمل الشيطان". فالسبب الذي كان من دواعي النهي ذكره لنا ابن عباس، وقول الصحابي حجه.. إذن "عمل الشيطان" كما يظهر هي علة استفاد منها العلماء النهي

---

(١) سورة المائدة .
(٢) القرافي، كتاب الذخيرة، باب الأشربة، ص ١١٦، الجزاء الرابع.
(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، كتاب الأشربة، (ص/٣١،م/١٠).
(٤) عون المعبود على شرح سنن أبي داود، كتاب الأشربة، (ص/١٠٦،م/١٠).
(٥) سورة النور .

والترك...والرسول صلى الله عليه وسلم ينهانا في أحاديثه عن أمور ويصرح بالسبب: أنها من عمل الشيطان.

وفي صحيح مسلم وعند الإمام أحمد رحمهما الله عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمنِ الضعيف، وفِي كل خير، احرِص علَى ما ينفعك، واستعن بِالله، ولا تعجز، وإِن أصابك شيء فَلا تقل: لو أَنِي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدر الله وما شاء فَعل، فإِن لو تفتح عمل الشيطَانِ)[1].

وفي صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد عَنْ أنس رضي الله عنه قَال: (لما فتح رسول اللّه خيبر، أصبنا حمرًا خارِجًا من القرية، فطَبَخنا منها، فنادى منادي رسولِ الله: أَلا إن الله ورسوله ينهيانكم عنها فإنها رِجس من عملِ الشيطَانِ، فأكفئت القدور بِما فيها، وإنها لتفور بِما فيها)[2].

السبب الذي دعا للنهي هو كونها من عمل الشيطان، وصرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحري بنا أن ننتهي بنهيه ونحرص على اجتناب كل ما كان كذلك، وورد في الأصل تحريمه وتواترت الأدلة على ذلك ، وكثير من المحرمات والكبائر في الشرع يطلق عليها هذه التسمية: "من عمل الشيطان"، ولم يسبق أن سميت بها المباحات إطلاقًا.

قال تعالى: (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...(١٦))[3] ، موسى عليه السلام قتل القبطي فندم وقال: هذا من عمل الشيطان – أي القتل العدوان المحرم – واستغفر الله وتاب إليه. ويقول أهل العلم إن التوبة تكون من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق.

وبنو إسرائيل لما أراد السامري إغواءهم وصدهم عن توحيد الله أتاهم بالعجل ليعبدوه، يقول ابن كثير: "قالت فرقة من بني إسرائيل: هذا من عمل الشيطان – أي الشرك – وليس

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، مسند الإمام أحمد، في مسند أبي هريرة .
(٢) صحيح مسلم، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية، مسند الإمام أحمد، في مسند أنس بن مالك
(٣) سورة القصص .

بربنا لا نؤمن به ولا نصدق".

وفي فتح الباري قال الحافظ: وثبت النهي عن الأكل بالشمال وأنه من عمل الشيطان، من حديث ابن عمر ومن حديث جابر عند مسلم.

فالأمثلة الشرعية السابقة هي برهان على بطلان حجتهم ودليل على دحض شبهتهم وردها عليهم. وهي إثبات لعكس ما يقولون. فمن الخطأ أن يقال: إن قول النبي صلى الله عليه وسلم عن النشرة: "هي من عمل الشيطان" لا يحمل دلالة على النهي عن النشرة، مع أنها قرنت فيه بهذه الصفة المقتضية للنهي..!! ف"منهج الشريعة" هو الذي أكد استدعاء النهي؛ لأن عمل الشيطان عمل حقير خبيث يحمل عليه هو؛ فيزين القبيح، ويغوي الخلق به، ويضلل به العباد عن الحق وعن الصراط السوي، وعمله من الأعمال التي تسخط الله ولا ترضيه، وليست هي من الأعمال التي يرتضيها الله لصفوة عباده المسلمين. قال عز وجل: (...وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(١٦٨))[١] ، وقال تعالى: (..إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...(٦)) [٢] ، يقول المفسرون: أي لا تتبعوا طرائقه ومسالكه التي أضل بها أتباعه.

ثم إن النهي يحمل على التحريم لا الكراهة، وليس في النص إشارة كافية للحمل سواء على التحريم أو الكراهة، ولكن أدلة السحر العامة في حكمه وحكم فاعله وحكم طالبه ترجح حمل هذا النهي على التحريم لورود الزجر والعقاب وترتب الإثم الكبير على ذلك، ومنها. قوله تعالى: (....وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ(١٠٢))[٣] ، أي من استبدل دينه بالسحر فإنه لا نصيب له، وعد الرسول صلى الله عليه وسلم السحر عامة من الموبقات المهلكات في الحديث الذي أخرجه البخاري، وقال: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له).

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة فاطر .
(٣) سورة البقرة .

والأدلة في هذا المعنى كثيرة، ويستفاد منها التحريم لا الكراهة، والنصوص القرآنية تبين أن السحر كفر والساحر كافر، وتنهى عن طلب السحر واستبداله بالدين؛ فالنصوص عامة أو قد تكون مجملة، وإن كانت مجملة فهي تحتاج لما يبينها، وفي السنة ما يبينها؛ فالنشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها: (هي من عمل الشيطان)، وبين الرسول أن إتيان الساحر كفر بما أنزل الله وهو القرآن، وهذا عام؛ سواء كان الإتيان لتعلم السحر، أو كان لسؤال الساحر عن المغيبات، أو لعمل السحر للآخرين، أو كان للنشرة، كما دلت النصوص، والتفريق بين ما جمع بينه النص بغير قرينة صحيحة لا يجوز.

ثم إن الرسول صلى اله عليه وسلم لم يصدر هنا حكمًا جديدًا أو وصفًا خاصًّا بالنشرة؛ لأن السحر أخبر الله عنه أنه من عمل الشيطان بدلالة قوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ.. (١٠٢)) قال ابن باز رحمه الله: "هنا في هذه الآية تحذير من تعلم السحر وتعليمه؛ لأنه من عمل الشيطان، ولأنه كفر ينافي الإيمان)[1].

فالذي يخلص إليه بعد النظر في الأدلة والقرائن، وبعد التتبع لهذه العبارة في أحكام القرآن والسنة، بيان أن وصف النشرة بأنها من عمل الشيطان كان كافيًا لنعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أراد فيها التحريم؛ لأنه ألصقها بوصفٍ مقتضٍ للنهي في الشرع دائمًا، ولا يدل على الإباحة... فما زعموه مغاير لمقتضى الكتاب والسنة.

٢- يقول بعض المجيزين: "أخذ البعض يستدلون بما لا دليل فيه، ويخلطون بين الساحر والكاهن، ويستدلون بقوله: (من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)، والكاهن والعراف هما اللذان يخبران بالغيب المستقبل الذي لا يعرفه إلا الله، ولهذا فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عقد بابًا فيما جاء في الكهان ونحوهم، ثم عقد بابًا آخر فقال: "باب ما جاء في النشرة"، مما يدل على

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .

التفريق[1].

قال الإمام أحمد: "العرافة طرف من السحر، والساحر أخبث؛ لأن السحر شعبة من الكفر. والساحر والكاهن حكمهما القتل أو الحبس حتى يتوبا؛ لأنهما يلبسان أمرهما[2]، والكاهن هو من يخبر بواسطة النجم عن المغيبات في المستقبل[3] ، وما يقوم به العراف والكاهن من ادعاء علم الغيب يُعدُ من السحر بدلالة أن التنجيم ادعاء لعلم الغيب ودجل وكذب، وعده الرسول أيضًا من السحر؛ فعن العباس رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد)، رواه أبو داود وإسناده صحيح،. فكل من ادعى علم الغيب فهو داخل في مسمى الساحر كما ثبت بالنص،،،، وكل حكم يلحق بالكاهن والعراف فالساحر أولى به لأن الساحر كاهن وزيادة. فزيادة على ادعائه لعلم الغيب هو يعقد وينفث.

ثم إن العلامة الألباني حمه الله تعالى صحح الحديث برواية أخرى: (من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا يؤمن بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)، وحديث آخر على هذا المعنى: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له)[4]، فيبطل احتجاجهم من غير ريب ولا شك ، وقال الشيخ حفظه الله أيضًا: "الذين يأمرون الناس بالاقتصار على الرقية يخالفون ما فعله من استخراج السحر وحله.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم استخرجه بالوحي، ولم يستخرجه بالسحر والشعوذة، وحاشاه من ذلك، وإن من أنجح الأدوية الوصول إلى مكان السحر وإتلافه وإبطاله، لكن لا يباح إن كان ذلك بالسحر الذي حرمه الله في كتابه وعلى لسان نبيه، وعده من الموبقات المهلكة لما فيه من الأمور الموغلة في الكفر والشرك..

---

(١) الصارم المشهور على كل من أنكر حل السحر بسحر عن المسحور. للدكتور العبيكان
(٢) ابن قدامة المقدسي، المغني كتاب المرتد، (ص/١٥٥،م/٨)
(٣) الخطيب الشربيني، مغني المحتاج كتاب دعوى الدم، (ص/١٢٠،م/٤).
(٤) سبق تخريج هذه الأحاديث .

قال الشيخ أيضًا: "يُستدلُ بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التداوي بالحرام. فإن حل السحر ليس من تعاطي الأدوية المحرمة المأكولة والمشروبة، فالحديث هو في التداوي بأكل الطعام المحرم أو شرب ما هو محرم؛ كالخمر ولو على سبيل التداوي، أما السحر فهو بحل عقد وإتلاف ما وضع فيه السحر واستخراجه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم".

إن لفظ التداوي الوارد في الحديث الشريف لفظ عام لا يسوغ تخصيصه بالدواء المأكول والمشروب؛ لأن المفهوم الظاهر للحديث هو عموم الدواء، والأدوية متنوعة الهيئة والأساليب ليست فقط مأكولة أو مشروبه؛ فمنها ما هو على هيئة البخور، ومنها ما يكون عن طريق الرقى أو الحجامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَة)، رواه الترمذي، أو الكي أو التدليك أو الاستفراغ، أو حرق الحصير كما ثبت ذلك بفعل فاطمة رضي الله عنها، أو الحمية أو الاغتسال بالسدر وغيره من الأعشاب، وكذلك حل العقد وإتلافها فهي من الأساليب الناجحة في دواء المسحور.

ثم إنه لا أحد يستطيع أن ينكر أن حل عقد وإتلاف ما وضع فيه السحر واستخراجه كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم هو من أسباب الشفاء وإزالة البأس. والرسول صلى الله عليه وسلم قيد أسباب الشفاء فقال: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)، أخرجه البخاري في صحيحه. فطلب الشفاء عن طريق السحر محرم؛ لأن السحر محرم في ذاته، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل في محرم شفاء، وقال الله تعالى: (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) ، وهذا عام في تحريم كل ما هو خبيث، ويشمل التداوي بالسحر.

٣- يتذرعون بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم النشرة، وحجتهم في ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَكثَ النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا يُخيَّلُ إليه أنه يأتي أهلَه ولا يأتي. قالت عائشة: فقال لي ذات يوم: يا عائشة، إن الله تعالى أفتاني في أمر استفتيته فيه؛ أتاني رجُلان فجلسَ أحدُهما عندَ رجلَيَّ والآخرُ عندَ رأسي، فقال الذي عندَ رِجليَّ للذي عندَ رأسي: ما بالُ الرجُل؟ قال: مَطبوب –يعني

مسحورًا– قال: ومَن طبَّه؟ قال: لَبيدُ بنُ أعصَم قال: وفيمَ؟ قال: في جُفِّ طلعةٍ ذَكر في مشطٍ ومُشاطة تحتَ رَعوفةٍ في بئرِ ذَروانَ. فجاءَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: هذهِ البئرُ التي أُرِيتها، كأَنَّ رُؤوس نخلِها رؤوس الشياطين، وكأنَّ ماءَها نقاعةُ الحنّاء. فأمرَ به النبي صلى الله عليه وسلم فأُخرجَ. قالت عائشة: فقلتُ يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهلا، تَعني تَنشرْتَ؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أمّا الله فقد شفاني، وأما أَنا فأكرَهُ أن أثيرَ على الناسِ شرًّا. قالت: ولَبِيدُ بن أعصَم رجل من بني زُرَيق، حَليفٌ ليهود)[1]. يقول الشعبي: إن في ذلك دلالة على جواز النشرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الإنكار على عائشة، وهذا دليل على الجواز.

ويؤخذ عليهم في استدلالهم هذا مأخذان:

أ- أن من الأصول المستقرة عند الأصوليين إذا اختلفت الروايات فإن الجمع بينها أولى، وحملها جميعها على معنى واحد متوافق أولى، والحديث هذا أتى بروايات متعددة ظاهرها الاختلاف حول سؤال عائشة؛ فأتى سؤالها بلفظ: أفلا أحرقته؟ في صحيح مسلم، وعند أحمد بلفظ: أفأخرجته أو استخرجته؟ ولفظ: أفلا؟ أي تنشرت في البخاري، ومدار الحديث على هشام بن عروة، يقول ابن بطال: إن الاعتبار يعطى لسفيان الذي ورد في روايته أن عائشة سألت عن النشرة، فإن الزيادة منه مقبولة؛ لأنه أقواهم في الضبط.

ويقول ابن حجر في فتح الباري: "إن سفيان عندما قال: أفلا؟ أي تنشرت، كأنه لم يستحضر اللفظة فذكره بالمعنى، وظاهر هذه اللفظة أنه من النشرة، ويحتمل أن يكون من النشر؛ بمعنى الإخراج فتوافق من رواه بلفظ: (فهلا أخرجته) أي أخرجت ما حواه الجف. ولأن النشر يأتي بمعنى الإخراج، فالأولى أن تحمل الروايات على معنى واحد يعبر عن هذه الألفاظ المتعددة؛ وهو أن سؤالها كان عن إخراج ما احتواه الجف من السحر وإظهاره للناس، فهناك

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٦٣ .

إخراجان أحدهما مثبت والآخر منفي؛ الأول إخراجه من البئر، وهو المثبت؛ ففي الحديث: فأمرَ به النبي صلى الله عليه وسلم فأُخرجَ، والثاني المنفي؛ وهو إخراج ما حواه الجف من السحر وإظهاره للناس، وهو الذي سألت عنه عائشة رضي الله عنها ، فيها إشعار باستكشاف ما حواه الجف فوجدوا وترًا فيه عقد وانحلت عند قراءة المعوذتين، فهذه الروايات غير ثابتة، قال الحافظ: فلو كان ثابتًا لقدح في الجمع المذكور، لكن لا يخلو إسناد كل منهما من ضعف[١] .

ب- ثم إن سؤال عائشة من الصعب أن يحمل على معنى: لو أنك ذهبت للسحرة لفك سحرك؛ إذ كيف تشير عليه عائشة رضي الله عنها بطلب العون من السحرة واللجوء لهم، وهي تدرك قول الله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) وتدرك وتعي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات)، وذكر منها السحر، ولا تجهل الكفر الذي يقوم به الساحر، فهل يعقل أن تشير على رسول هذه الأمة أن يلجأ إلى ساحر وهو الذي ينهى عنه وعن إتيانه؟ فالأولى حمل النشرة التي وردت في حديث سفيان على الإخراج؛ للتوفيق بين الأدلة وهذا ممكن ولله الحمد.

ت- حتى وإن سلمنا أن سؤال عائشة كان عن الذهاب للسحرة، وثبت إقرار النبي للنشرة، فهذا أيضًا لا يرجح الجواز؛ لأن ذلك فيه تعارض بين النصوص مع بعضها، ولا يمكن الجمع والتوفيق بينها؛ وهي حديث عائشة هذا الذي برواية سفيان وحديث جابر الذي رواه أحمد وأبو داود، فعن النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن النشرة قال: (هي من عمل الشيطان)[٢] .

وكل منهما دليل خاص.. **فعلينا الترجيح بينهما، ومن قواعد الترجيح:**

---

(١) فتح الباري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر (ص٢٤٦).
(٢) سبق تخريج الحديث .

- أن الفعل لا يقدم على القول؛ ويقول الأصوليون من باب أولى أن لا يقدم الإقرار على القول، فيرجح بهذا حديث جابر لأنه قولي فيقدم بذلك.
- أخذ ما كان العمل به أحوط، وما لا يتعارض مع ما شهد به القرآن والسنة والإجماع، والذي لا يتعارض أيضًا مع ما عمل به الخلفاء؛ ففي البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر، فلو كان في إبقائهم مصلحة ترجى أو خير يبتغى لما أمر بقتلهم عمر رضي الله عنه!!! فيرجح بهذا حديث جابر لأنه أحوط وأسلم ولا يخالف النصوص، بل جاء موافقًا للقرآن وسنة النبي وسنة أصحابه الأخيار من بعده.
- إذا تعارض دليلان أحدهما يقتضي التحريم والآخر يقتضي الإباحة قدم التحريم في الأصح، قال الأئمة: وإنما كان التحريم أحب لأن فيه ترك مباح لاجتناب محرم، وذلك أولى من عكسه. وأورده جماعة حديثًا، وروي موقوفًا على ابن مسعود فيرجح بهذا حديث جابر لأنه نص على النهي.
- ففِعله وإقراره صلى الله عليه وسلم إن عارض قوله ظاهرًا، فإما أن يكون ذلك خاصًّا به أو لأسباب وحكمة لا نعلمها بسب القصور في الذهن لدينا. فيبقى حكم النهي كما هو لا يزول لهذه الأسباب التي قررها أهل العلم.

٤- يستدل المجيزون بما رواه البخاري عن قتادة قال: قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه، وهذا من ابن المسيَّب يُحمل على نوع من النشرة لا يُعلم أنه سحر؛ لأن سؤال قتادة في النشرة عن المسحور، وكان جواب ابن المسيب لا بأس – أي بالنشر– لأنهم يريدون الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. فدل على أنه أراد الرقية الشرعية أو النشرة المباحة الخالية من الشرك؛ لأنها منفعة لا تلحقها مضرة لا دنيوية أو أخروية، والنبي لم يأذن بفك السحر إلا بالرقية الشرعية والأدوية المباحة؛ كما في الحديث: فلعل طبا أصابه، ثم نشره ب(قل أعوذ برب الناس)، أي رقاه،

وطلب من الصحابة الكرام أن يعرضوا رقاهم عليه فقال: اعرضوا علي رقاكم؛ لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا.

وأما حمل كلام ابن المسيب على جواز النشر عن المسحور بالسحر فلا يصح، وإن صح عنه ذلك فإنه لا يؤخذ بقوله؛ لأنه قول مخالف للنصوص العامة والخاصة، والسحر عرف منذ القدم وعرفته العرب، وكان يستخدم على الوجهين: في الشر والضرر، وفي النشر وحل السحر عن المسحور، وبعد الإسلام نزلت آيات السحر في ذمه والنهي عنه، آيات عامة بدون تخصيص، وكذلك أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم تأمر باجتنابه وتبين كفر طالِبِه والخطاب فيها عام، فالنهي يشمل الوجهين.

يقول ابن قدامة في روضة الناظر وجنة المناظر: "إجماع الصحابة رضوان الله عليهم؛ فإنهم من أهل اللغة، بأجمعهم أجروا ألفاظَ الكتاب والسنة على العموم إلا ما دل على تخصيصه دليل، فإنهم كانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم، والإجماع حجة، فالأصل استصحاب عموم الدليل حتى يرد المخصص".

والعموم لا يحمل على غيره إلا بقرينة. ولا توجد قرينة تنقله للخصوص، فأدلة السحر القرآنية والحديثية، أدلة تشتمل على ألفاظ وصيغ تعبر عن العموم، وهي معروفة ومدونة في كتب العلم، فإن وردت في النصوص كان دليلا عامًّا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) ، فيه من صيغ العموم "من" للعاقل، و(ما) فيما لا يعقل، أي عموم الإتيان للساحر والاستعانة به وقصد سحره يترتب عليه الكفر، بأي غاية كانت، وتصديقه بأي شيء قاله دون تخصيص أو استثناء، فهذا هو المفهوم الظاهر للحديث، فيبقى المعنى والحكم كما هو لانتفاء الناسخ أو المخصص أو الإجماع على خلاف العموم ، **فلم يخصصون الدليل؟**

وقال أيضًا صلوات ربي وسلامه عليه: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له)، فيه (من) وهي من ألفاظ العموم؛ ففيه كفر من تطلب

عمل السحر، ولا شك أن الشخص المسحور الذي ينشر عنه بالسحر يدخل في هذا العموم، والسحر هنا لفظ عام يشمل الوجهين.

وقال صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله/ والسحر..... الخ)، والسحر اسم جنس محلى بـ(ال) التعريف فيوجب العموم، أي يشمل سِحرًا قُصِد للشرِ والأذية أو التفريق أو للنشر عن المسحور لما فيه من الأمور الكفرية، فالأمر عام بالاجتناب، والأصل في الأوامر الحتم، يقول شارح كتاب التوحيد: "قوله: اجتنبوا أي ابعدوا، وهو أبلغ من قوله دعوا واتركوا؛ لأن النهي عن القربان أبلغ"، وغيره من الأدلة ، وهكذا الأدلة جميعها، فالناظر إليها يجدها أدلة عامة. فليست هي خاصة لمن قصد السحر لإرادة الإضرار.

والمخصصات هي: النص، والعقل، والحس، والمفهوم، والإقرار، والفعل، والإجماع، ولا أحد يستطيع أن يثبت شيئًا منها ، فالأولى حمل كلام ابن المسيب على نوع من النشرة لا يُعلم أنه سحر.

٥- يقولون حملَنا على الإباحة الضرورةُ التي تباح بها المحرمات استنباطًا من قول الله تعالى: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ..(١١٩))[١] .

فهذا احتجاج فاسد لا اعتبار له؛ لأن علماء الأصول وضعوا لهذه القاعدة شروطًا تضبطها وتحكمها، فلا بد من تحققها واستيفائها أولا، ومن هذه الشروط -بل هو أولها- أن يتعين المحظور طريقًا لدفع الضرورة، أي انتفاء البديل عدا الأخذ بالمحظور، والمعلوم أن البدائل موجودة وطرق علاج السحر كثيرة، كما تبين سابقًا، فلا يرى إذن ما يسوغ فعل المحظور .

وفي بيان للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن علاج السحر، جاء فيه: (.. ولا يصح القول بجواز حل السحر بسحر مثله بناء على قاعدة الضرورات تبيح المحظورات؛ لأن من شرط هذه القاعدة أن يكون المحظور أقل من الضرورة، كما قرره علماء الأصول.

---

(١) سورة الأنعام .

وحيث إن السحر كفر وشرك، فهو أعظم ضررًا؛ بدلالة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك)، أخرجه مسلم، والسحر يمكن علاجه بالأسباب المشروعة، فلا اضطرار لعلاجه بما هو كفر وشرك..)[1]..

ثم إن التداوي لا يعد ضرورة، ولا تستحل به المحرمات، والدليل على ذلك ما قاله ابن تيمية في الرد على من أباح التداوي بالمحرمات؛ قال: "أما إباحة المحرمات للضرورة فحق؛ وليس التداوي بضرورة لوجوه:

١- أن أكثر المرضى يشفون بلا تداو، ويشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة للمرض، وفيما ييسره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة قلب وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة ظاهرة وباطنة، روحانية وجسدية.

٢- أن التداوي غير واجب، ومن نازع فيه خَصَمَتْه السنةُ في المرأة السوداء التي خيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين الصبر على البلاء ودخول الجنة، وبين الدعاء بالعافية، فاختارت البلاء والجنة. ولو كان رفع المرض واجبًا لم يكن للتخير موضع، وخَصَمَه حالُ أنبياء الله المبتلين الصابرين على البلاء حين لم يتعاطوا الأسباب الدافعة له؛ مثل أيوب عليه السلام وغيره، وكذلك السلف الصالح.

٣- أن الدواء لا يستيقن، بل وفي كثير من الأمراض لا يظن دفعه للمرض، إذ لو اطرد ذلك لم يمت أحد.

٤- أن المرض يكون له أدوية شتى، ومحال أن لا يكون له في الحلال شفاء أو دواء، والذي أنزل الداء أنزل لكل داء دواء إلا الموت، ولا يجوز أن يكون أدوية الأدواء في القسم المحرم، وهو سبحانه الرؤوف الرحيم كما جاء في الحديث المروي: "إن الله لم

---

(١) العدد الثامن والسبعون - الإصدار : من ربيع الأول إلى جمادى الآخرة لسنة ١٤٢٧هـ ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم الذهاب إلى السحرة من أجل المعالجة، ج : ٧٨ ، ص ٢٧٤ ـ ٣٨١ باختصار

يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها[1].ثم قال في موضع آخر -رحمه الله-: (والمسلمون وإن تنازعوا في جواز التداوي بالمحرمات كالميتة والخنزير، فلا يتنازعون في أن الكفر والشرك لا يجوز التداوي به بحال)،

٥- احتجاجهم بالقاعدة (الأصل في المنافع الإذن، وفي المضار المنع)؛ فالمجتهد الضال عندما يخالف عموم النصوص الصريحة من غير مسوغ شرعي من أجل مصلحة يتوهمها ليس له عليها من الله برهان فقد وقع في الخطأ العظيم؛ لأنه تحليل للحرام وتحريم للحلال، وذلك دليل على ضحالة علمه وجرأته على دين الله ، وهذه القاعدة ليست على الإطلاق، بل قُيدتْ بقيد، يقول الفقهاء: إن الحكم على المضار والمنافع، يكون بأدلة السمع لا بأدلة العقل، خلافًا للمعتزلة[2] ؛ لأن المصالح والمنافع نسبية يختلف اعتبارها من مجتهد لآخر، فاحتاجت لشرع من الإله يضبطها ،فالضابط هو قول الشارع، والله عز وجل قال في السحر الذي يزعم المجيزون منفعته ويحتجون لإثبات إذن التداوي به: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾يقول أهل العلم:

نفى الله أن يكون في السحر منفعة بأي وجه من الوجوه، فإنه ضرر محض خالص لا نفع فيه إطلاقا؛ لأن الفعل المضارع بعد النفي يدل على العموم كما حكاه بعض العلماء، فالمحرمات التي فيها شيء من النفع وفيها ضرر أكبر تحرم للضرر العظيم الذي فيها، فكيف بالذي كله ضرر؟ فإنه يحرم من باب أولى. والخمر والميسر أخبر الله أن فيهما منفعة، فالله لم ينفِ منافعهما مع رجحان إثمهما فلذلك حرما، ولكن أجيز التداوي بأبوال الإبل بالنص مع أنها مستقذرة لثبوت المنفعة الراجحة بها ، روى ابن المنذر عن ابن عباس مرفوعًا: (إن في أبوال الإبل شفاء لذربة بطونهم)[3].

لكن في السحر الأمر يختلف لنفي الشارع المنفعة مطلقًا؛ لأن الكفر لا توجد فيه

---

(١) فتاوى ابن تيمية، (م/٢١ص٥٦٣).
(٢) الدكتور محمد صدقي البورنو، الوجيز في إيضاح فواعد الفقه الكلية ص٤٣.
(٣) ابن حجر، فتح الباري، ك الوضوء، باب أبوال الإبل، (ص/٤٠٤).

منفعة، بل هو مفسدة عظمى للعقائد والنفوس، ولو كان فيه منفعة لنفع السحرة أنفسهم، فهؤلاء يعلمون أن الساحر ما له نصيب في الآخرة، لكنهم يطلبون به الشرف والرئاسة في الدنيا، وطالت الأزمان ولم يحصل لهم ذلك، فما نفعهم السحر كما دلت عليه أحوالهم، ولا ننكر أن الساحر قد يتحصل له بعض أغراضه لكن يعقبه الضرر عليه في الدنيا والآخرة أعظم مما حصل عليه من أغراضه.

وقال تعالى: (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩))[١] .

يقول البعض: إن هذه الآية المقصود بها نفي فلاحهم في الآخرة، وليس المقصود نفي فلاح سحرهم في الدنيا؛ لأنهم قد يفلحون في إيقاع الضرر أو النفع، ويقول المفسرون على هذه الآية: أي لا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان[٢] ، والمفلح: هو الذي ينال المطلوب وينجو من المرهوب، فالساحر لا يحصل له ذلك[٣].

فالفعل في سياق النفي يدل على العموم؛ قال تعالى: (لا يفلح) أي يعم نفي جميع أنواع الفلاح عن الساحر، والفلاح يطلق في العربية على الفوز بالمطلوب؛ قال تعالى: (حيث أتى) تأكيدًا للعموم، أي حيث توجه وسلك، وهذا أسلوب عربي معروف، يقصد به التعميم كقولهم: فلان متصف بكذا أينما كان [٤] ، وإن قولهم بأن السحرة يفلحون في إيقاع الضرر والنفع فإنه مصادمة مع كتاب الله؛ لأن الأصل هو إثبات ما أثبته الله في كتابه ونفي ما نفاه. والله أثبت لهم إيقاع الضرر بعد مشيئته سبحانه فقال: (يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) ، لكن النفع نفاه الله عز وجل فقال: (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) وحقيقة النفع: لذة لا يعقبها عقاب ولا يلحقها ندامة، ونفي فلاحهم بعملهم مقيد يخرج عنه ما أثبته لهم من التفريق والأذية.

---

(١) سورة طه .
(٢)تفسير الطبري، سورة طه، (ص/١١٢،م/١٦)
(٣)مجموع الفتاوى ابن تيمية، (م/٣٥، ص/١٧١)
(٤)محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، (م/٤، ص/٤٤٤.٤٤٣.٤٤٢،٤٤١) بتصرف

فبطل احتجاجهم بالقاعدة؛ لأنها قاعدة مقيدة وليست على الإطلاق، فتبين زيف ادعائهم؛ لأن النصوص الإلهية تنفي النفع عن السحر، بل على العكس ثبت مضرته وفساده على العقائد والنفوس، فمن ادعى أن في السحر مصلحة فإنها مصلحة متوهمة، وهي مصلحة ملغاة؛ لتعارضها مع عموم نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال: (إن الله تعالى خلق الداء والدواء، فتتداووا ولا تتداووا بحرام) فعلى تقدير رجحان المصلحة يلزم انتفاء الحرمة كما قرر ذلك علماء الأمة.

٦- يحتجون بالقاعدة الفقهية (الأمور بمقاصدها) ، وذكر ابن حجر مثل هذا، والقاعدة استنباط من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..)، يقول أهل العلم: إن الشريعة مبنية على المقاصد ووسائلها، ووسائل المقصود الموصلة إليه لها حكمه. وهذا الكلام صحيح، لكن في هذه المسألة لا يستدل به؛ **لأنه إلباس للحق بالباطل، لأن القاعدة هي**:

أ- قاعدة فقهية موضوعها أفعال المكلفين، وهي ليست ضابطًا لاستنباط الحكم من النصوص الواردة في المسألة.

ب- وأيضًا لا يقتصر عليها بذاتها في إصدار الأحكام دون أن يعضدها نص يعزز الحكم.

ت- وأهل العلم يستدلون بهذه القاعدة في العبادات المحضة، وفي المباحات والتروك الموجبة للمثوبة، لأن النية عبادة بحد ذاتها، وفي المعاملات والعقود بين الأفراد بشتى أنواعها، وفي الأيمان. لكن الاستدلال بها لتسويغ المحرمات والكبائر ما سبق أحد من أهل الحق لهذا.

ث- يقول المحققون: إن قواعد الفقه قواعد أغلبية مبنية على وجود مسائل مستثناة من تلك القواعد، تخالف أحكامها حكم القاعدة، بسبب نص أو إجماع أو ضرورة أو قيد أو علة مؤثرة، لذلك سمى العلماء قواعد الفقه قواعد أغلبية أكثرية لا كلية مطردة، وسموا قواعد الأصول قواعد مطردة؛ لأنه لا يستثنى منها شيء.

وورد في كتب القواعد الفقهية مسائل مستثناة على قاعدة الأمور بمقاصدها، من هذه الاستثناءات التي وردت على القاعدة: التوسل بالوسائل المحرمة للحصول على أمر مباح شرعًا؛ إما استعجالا أو تحايلا، وعُبر عن هذا الناقض في منظومةٍ لأصُولِ الفقهِ يقولُ نَاظِمُها:

وَكُلُّ مَنْ تَعَجَّلَ الشَّيءَ على وجْهٍ مُحَرَّمٍ فَمَنْعُهُ جَلاَ

فالتوسل بالسحر المحرم المشتمل على أقوال أو أفعال أو اعتقادات كفرية، والتداوي به، والعدول عن الوسائل المباحة استعجالا للشفاء...هو أمر لا يستدل عليه بهذه القاعدة؛ لأنه مستثنى من القاعدة، ولا سبيل لهم للاحتجاج بها على ذلك؛ لأن السحر وسيلة في ذاتها محرمة بل كفر في أصلها.

ج- قال ابن حجر: إن قصد بها خيرًا كان خيرًا، وإلا فهو شر ، أي بحسب النية؛ لكن أهل العلم قرروا أن هناك أفعالا لا تتبدل أحكامها باختلاف القصد أو النية، ولا شك أن الكفر هو في مقدمة الأشياء التي لا يتبدل حكمها، وإن قيل: النطق بالكفر يجوز كما في حال الفرار به من القتل فكذلك السحر؟ نقول: يختلف هذا؛ لأن الفرار به من القتل متيقن ومباح بالنص، لكن الاستشفاء بالسحر متوهم وغير متيقن وحرم بالنص، فاختلفا في الحكم، ثم إن النطق بكلمة الكفر لا يتعدى اللسان والقلب مطمئن بالإيمان، أما الاستعانة بالساحر فإن القلب عند ذلك يدخل عليه شيء قل أو كثر من التوكل عليهم واعتقاد مقدرتهم الخاصة فلذلك افترقا.

ح- وفي مبحث شروط صحة وسلامة النية يقول الفقهاء: لا بد أن لا يتنافى المنوي مع الشرع، أي عدم التوصل للمنوي -الذي هو رفع الضرر بالسحر- بسبب منع منه الشرع، والشارع قد نفى مطلقًا المنفعة من السحر بوجه من الوجوه، فكيف ينوى بالسحر النفع ورفع الضرر؟ وان كان هناك نفع فهو وقتي زائل وتعقبه ندامة وحسرة وعقاب، فكان من المفترض أن لا تترك النصوص الظاهرة الجلية وتستبعد الأدلة الشاملة للفرع والضابطة لحكمه، ويحتج بقاعدة فقهية يظهر بالبرهان أنها وُضِعتْ في

غير محلها، وأنها لا ترجح ما اختاروه إطلاقًا.

خ- قالوا: إن مسألة فك السحر بالسحر قد تعرض لها علماء أجلاء من السلف وقالوا بجوازها؛ كالإمام أحمد، وابن الجوزي، والإمام البخاري، وابن حجر، والطبري، وابن بطال، والشعبي، وبعض علماء الحنابلة؛ رحمهم الله تعالى جميعًا ، وهذا مرود عليه؛ لأن الأصل أن لا يقدم قول أحد البشر على قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟)

قال الإمام مالك: (ما منا إلا رادّ ومردود عيه، إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم"، وكلام الأئمة في هذا المعنى كثير. وما زال العلماء يجتهدون في الوقائع؛ فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر كما في الحديث، لكن إذا استبان لهم الدليل أخذوا به وتركوا اجتهادهم، وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد العلماء كائنًا من كان، قال أبو حنيفة رحمه الله: "إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال"، فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله، وفهم معنى ذلك أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه؛ كما قال تعالى: (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ(٣))[١] ، وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٥١))[٢].

فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء، ونظر فيها، وعرف أقوالهم، أن يعرضها على ما في الكتاب والسنة. والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في هذا البيان، بل نهوا عن

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة العنكبوت .

تقليدهم إذا استبانت السنة؛ لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه وقد يبلغ غيرهم، قال أبو حنيفة: إذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله، وقال الربيع: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: (إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت)[1].

وأما قولهم: إن الإمام أحمد يجيزه فهذا خطأ؛ لأنه لما سئل عن الرجل يحل السحر قال: قد رخص فيه بعض الناس، قيل: إنه يجعل في الطنجير ماء، ويغيب فيه، فنفض يده وقال: لا أدري ما هذا، قيل له: أترى أن يؤتى مثل هذا؟ قال: لا أدري ما هذا. وهذا دليل على أنه لا يجيزه.

ومما يمكن أن يُستدل به على عدم جواز فك السحر بالسحر أمور:

١- المجيزون اجتهدوا فرأوا أن في النشرة السحرية علة التداوي فأباحوها لهذه العلة، والمانعون يرون أن فيها علة الأقوال والأفعال والاعتقادات الكفرية، فالذي دعاهم إلى المنع هذه العلة، ويقول الشيرازي في التبصرة: (إذا كانت إحدى العلتين تقتضي الحظر والأخرى تقتضي الإباحة، فالتي تقتضي الحظر أولى، ولأن الحظر أحوط؛ لأن في الإقدام على المحظور إثمًا، وليس في ترك المباح إثم"، فهذا هو الفيصل في أمور الاجتهاد، والحق الذي لا بد أن يتأمله المجتهد ولا يغفل عنه؛ لأنه موقع عن الله جلا جلاله)[2].

٢- أن القاعدة التي تحكم المتناولات كافة، كالأدوية والأطعمة والأشربة والزينة والألبسة، تقول: "ما أبيح لصفته حرم لسببه[3].

فالأدوية الأصل فيها الإباحة لاشتمالها على مصلحة التعالج والشفاء، وتحرم لأسباب؛ كأن يكون الدواء مغصوبًا، أو أن يكون مسروقًا، أو أن يكون الدواء خبيثًا أو محرمًا، كما

---

(١) عبدالرحمن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد. (ص٣٤٠/٣٧٣)
(٢) التبصرة في أصول الفقه، لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، ص٤٨٤.
(٣) كتاب أنوار البروق في أنواع الفروق، لشهاب الدين القرافي

نصت أحاديث الرسول على ذلك؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الدواء الخبيث)[1]. والنشرة هذه لاشتمالها على السحر والكفر تكون من أخبث الخبائث التي يزينها الشيطان ويدعو لها، فالتداوي بها يحرم أيضًا لهذا السبب الذي أثبته النص.

٣- القياس الصحيح: القياس لا يكون مع وجود النصوص، وهناك نصوص كثيرة مبينة للمسألة، وتغني عن اللجوء للقياس، لكن المجيزون لا يرجعون لها؛ لأنهم يرون العامة منها خصصها العقل بمن قصد السحر للإضرار، والنص الخاص بالنشرة يرونه لا يحمل دلالة على حكمها، فأصبحت النشرة لديهم وكأنها في محل المسكوت عن حكمها ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والقياس الصحيح من العدل؛ فإنه تسوية بين متماثلين وتفريق بين المختلفين.).

وفي كتاب التوحيد قال المصنف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك، هنا ثبوت ظاهر لحكم التولة ومتفق عليه.

قال الشارح رحمه الله تعالى الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فتح المجيد: "قال الحافظ: التولة شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر. وكان من الشركِ لما يُرادُ به من دفعِ المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى[3].

ومن ضمن ما علق به الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى على التولة قال: (الدجالون يكتبون التمائم والتولات على طريقة العقيدة اليهودية، فيزعمون أن للحروف خدامًا يقومون بما يطلب منهم من الأعمال السحرية، ويتخذون أنواعًا من البخور والأدوات المخصوصة التي يوحي بها شياطينهم، وكل ذلك من الكفر) [4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٠)، والترمذي (٢٠٤٥)، وابن ماجه (٣٤٥٩)، وأحمد (٨٠٤٨).
(٢) سعيد بن ناصر الغامدي ، حقيقة البدعة،ج٢ ، ص ٩٠ .
(٣) فتح المجيد ، عبدالرحمن آل الشيخ ، ص ١٧١ .
(٤) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .

وقال ابن الأَثير: التِّوَلة، بكسر التاء وفتح الواو، ما يُحَبِّب المرأَة إلى زوجها من السِّحْر، وحكى ابن بري عن القزاز: التُّولة والتِّوَلة السِّحْر. قال ابن الأعرابي: تالَ يَتُول إذا عالج التِّوَلة وهي السِّحْر[1] ..

ومما لاشك فيه أن الوصول للقربة والألفة بين الزوجين اللذين هما لبنة المجتمع من الأمور التي يدعو لها ديننا الحنيف ويرغب فيها، ومن المنافع التي فيها خير عظيم، تعود على الأسرة أولا وعلى المجتمع ثانيًا، فالسحر هنا زالت عنه إرادة الأذية، بل على العكس أُرِيد به جلب منفعة محضة ودفع مضرة التفكك والفرقة وابتغاء للأنس والطمأنينة -كما يظن- وهي منفعة قريبة لما يراه المجيزون في النشرة. فالزوجة من الخير لها أن تلجأ للوسائل التي تحبب زوجها فيها، لكن عندما يصل الأمر إلى العقيدة والإخلال بها ،نقف ، فكان حكم التولة الشرك؛ لأن الوسيلة المستخدمة هي وسيلة كفرية بحد ذاتها، العلة هي وجود السحر لما فيه من الكفر والشرك والتعلق بغير الله، والنشرة هي كذلك؛ فهي إزالة وكشف الداء وحل السحر عن المسحور، ففيها جلب للمنفعة كما يظن، فالنشرة تُشبِهُ التولة للجامع الذي بينهما في كونِ السحر الكفري أداة لهما، وأيضًا ما عُمِدَ إليهما إلا لجلبِ المنافع ودفع المضار، فكلاهما طلب لأمر مشروع؛ النفع ورفع الأذى، بطريقة غير مشروعة محرمة هي السحر ، فلِمَ يثبتون الحكم في التولة وينفونه عن النشرة؟ مع وجود الأوصاف المشتركة بينهما من حيث الغرض والوسيلة والكيفية والعلة، ومع انتفاء المانع أو الناقض في هذا القياس!!

استنباط العلة الصحيحة التي من أجلها حُرِّمَ الذهاب للساحر وسؤاله، أي العلة التي لا يزول المنع إلا بزوالها؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرافًا أو ساحرًا أو كاهنًا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)[2] ، ويقول صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له)[3].

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، كلمة تال .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) سبق تخريجه .

فهنا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر من أتى الساحر وطلب السحر عمومًا، والمجيزون يثبتون ويسلمون بكفر من أتى الساحر لإضرار أحد الخلق، وهو كفر لا يخرج عن الملة في المشهور عن الإمام أحمد، لكن من قصدَ السحرة للتداوي وحل السحر فاستعان بهم على ذلك في حال الضرورة -كما يقولون- يرون أنه لا يدخل في الحكم، فينازعون في إثبات الحكم عليه؛ لأنه كما يرون هم أنه لم يذهب ليضر أحدًا بذلك، فلم يقصد أن يفرق بين المتحابين ولم يؤذ أحدًا، إذن.. ألا يلزم من قولهم هذا أن تكون علة المنع في الذهاب هي قصد الإضرار، فبزوالها يزول المنع.

والشرع والعقل يتفقان في عدم قبول أن هذه العلة هي التي قصدها الشارع؛ لأن أحكام الشرع كلها حق وعدل لا ظلم فيه، ولأن الحكم على الشخص بالكفر بالقرآن أمر عظيم، ليس بالهين أن يطلق على المسلم الموحد إلا إن كان بسبب قوي يستدعي ويوجب ذلك، بل إن الاستعانة بأهل وأرباب الكفر، وبأعمالهم ورقاهم وعزائمهم وطلاسمهم الشركية بحد ذاته هو السبب والعلة التي قصدها الشارع في النهي، فهي تتناسب مع حكم الكفر المنصوص.

والعلة الصحيحة عند الأصوليين لا بد لإثباتها من شروط منها أن تكون العلة مطردة في معلولاتها، فيخرج بهذا الشرط قصد الإضرار للخلق عن كونه علة المنع في إتيان الساحر بالاستقراء والتتبع لهذه العلة في أحكام الشرع؛ لأنها ليست مطردة إطلاقًا مع الحكم السابق الكفر.

فقصد إضرار أحد الخلق؛ سواء الإضرار الحسي أو المعنوي، ليس سببًا يتأتى معه الكفر أبدًا، بخلاف قصد إضرار النبي صلى الله عليه وسلم، فإذن زوال قصد الإضرار عند الذهاب للساحر لا يجعل أبدًا من النشرة أمرًا مباحًا؛ لأنه بقي في النشرة السحرية ما يستدعي بقاء الحكم، فلا يتخلف عنها الحكم إلا إذا تخلف موجب الحكم، وهو فعل أو قول أو اعتقاد الكفر.

إن عند فك السحر بالسحر أمورًا توجب الكفر؛ كأن يعزم الساحر على الجن الموجود مع المسحور ليتركه، فيقسم بحق أبالسة الشياطين وملوك الجن بأن يخرج، أو يقوم باسترضائه

عن طريق القرابين من ذبح وزار في طقوس غريبة شاذة، أو أن يقوم باستحضار شياطين لتبعد شياطين المسحور ويقدم لهم ما يشاءون من الأشياء التي ترضيهم، فيُتَقرب لهم بالذبح وإهانة المصحف بالنجاسات والزنا وشرب المسكرات، ويستخدمون لذلك طلاسم ورقى وتمائم موغلة في الكفر والشرك.

وتلك الرقى المنهي عنها هي التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له، فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل، يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ بمردتهم[١].

فالمعزم الذي يستعين بالجن، ذكره القاضي وأبو الخطاب في جملة السحرة قال: فأما المعزم الذي يعزم على المصروع، ويزعم أنه يجمع الجن، وأنها تطيعه، والذي يحل السحر، فذكرهما أصحابنا من السحرة الذين ذكرنا حكمهم. وسئل ابن سيرين عن امرأة تعذبها السحرة، فقال رجل: أخط خطا عليها، وأغرز السكين عند مجمع الخط، وأقرأ عليها القرآن، فقال محمد: ما أعلم بقراءة القرآن بأسًا على حال، ولا أدري ما الخط والسكين.. وأما من يحل السحر؛ فإن كان بشيء من القرآن، أو شيء من الذكر والأقسام والكلام الذي لا بأس به، فلا بأس به، وإن كان بشيء من السحر، فقد توقف أحمد عنه، قال الأثرم: سمعت أبا عبدالله سئل عن رجل يزعم أنه يحل السحر؟ فقال: قد رخص فيه بعض الناس، قيل لأبي عبدالله: إنه يجعل في الطنجير ماء، ويغيب فيه، ويعمل كذا، فنفض يده كالمنكر وقال: ما أدري ما هذا، قيل له: فترى أن يؤتى مثل هذا يحل السحر؟ فقال: ما أدري ما هذا[٢].

فمتى ما كان الذهاب للساحر لفك السحر يترتب عليه قيام الساحر بأمر كفري من قول أو عمل أو اعتقاد، فالحكم هو كفر الذاهب، كما ثبت ذلك بالأدلة، وكما اتضح لنا من بيان العلة.

الأضرار المترتبة على الاستعانة بالساحر لفك السحر:

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، (باب الرقى والمعوذات، ص/١٩٦،م/١٠)

(٢) ابن قدامة المقدسي، المغني (ج٨ ص/١٥٤)

قال ابن تيمية: يكفي المسلم أن يعلم أن الله تعالى لم يحرم شيئًا إلا ومفسدته محضة أو غالبة، وأما ما كانت مصلحته محضة أو راجحة، فإن الله شرعه؛ إذ الرسل بعثت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، والسحر قرن بالشرك؛ قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا(٥٢))[١].

وفي الذهاب للسحرة مخالفة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتلهم، ناهيك عن الإقرار للسحر دون الإنكار، وقد أمرنا أن نكفر به وهذا لا يجوز، فكيف إن كان يطلبه، فهذا تعاون على الإثم والعدوان، وهو محرم، والله يقول: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ(٢))[٢] ، قال شيخ الإسلام: (من حضر إلى مكان فيه منكر لم يستطع تغييره لم يجز له الحضور)[٣]، وقال تعالى: (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ...(١٤٠))[٤] .

وقال العلماء: الرضى بالشيء رضى بما يتولد منه، والسحرة قد يكتبون كلام الله بالنجاسات دم أو غيره، وقد يقلبون حروف كلام الله عز وجل، وقد يقولون ما يرضي الشيطان، ويفعلون ما يرضيه من لواط أو زنا أو ذبح، فإذا فعلوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على أغراضهم.

ومن أشد الضرر الترويج لبضاعتهم الكاسدة المزجاة، والعمل على انتشارها، والتقوية لشوكتهم؛ قال د. إبراهيم أدهم: "فتلمع أسماء بعض السحرة وتشتهر، ويزداد الإيمان والتسليم بأقوالهم وقدراتهم، ويزداد نفوذهم في المجتمع، وينظر إليهم نظرة المنقذ والمخلص، وأصحاب الحلول التي لا تخطئ، فيتنفس السحرة الصعداء، ويكشرون عن أنيابهم وأظافرهم، ليبذروا حب

---

(١) سورة النساء .
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة النساء .

الفتنة والفساد في أرض المجتمع الغافل عن نداء السماء ، ناهيك عن تسهيل أكل أموال الناس بالباطل، وإن كثرة التردد عليهم واللجوء لهم وسؤالهم يفتح الأبواب لتسلط جموع الجن والشياطين وتمردهم؛ لأنها لما رأت كثرة خضوع الإنس واستعاذتهم بها وبملوكها لقضاء الحاجات زاد طغيانهم وجورهم على بلاد الإسلام بسبب ضعاف الإيمان الذين يتمسكون بهذه الفتاوى الشاذة.

ومن أعظم البلاء أن الاستعانة بالسحرة والكهنة سبب لبعد القلوب عن فطرها السوية وعقيدتها السليمة، وسبب لدخول الشك في عون الله عند الملمات، ومن الضرر المحض التعلق بغير الله؛ فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تعلق شيئا وكل إليه) رواه النسائي. والتعلق قد يكون في القلب أيضًا، أي التعلق بشيء والاعتقاد أنه قد يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا من دون الله. فالساحر يعتقد أنه يشقي ويسعد ويشفي ويمرض بمعاونة الجن وروحانيات الكواكب، وفي ذلك شرك عظيم..

ومن المفاسد العظمى التي لا تخفى على كل ذي لب: أنه قد يتوسع البعض فيلجؤون إلى الكهان والسحرة في جميع حوائجهم كما كانوا في الجاهلية يفعلون ، ومن البلاء أنه قد يكذب الساحر ويقول كلامًا يكون سببًا في تقطيع الأرحام؛ كأن يقول: سحرك أخوك، أو سحرتك أختك، وهكذا، ويتبع ذلك نشر العداوة والبغضاء والانتقام والحقد والنميمة والكذب والظلم بين الناس.

وإن الضرر لا يزال بالضرر، فصاحب العقيدة السليمة حري به أن يبتعد عن السقوط بيد أمثال أولئك حفظًا لدينه وإبراء لذمته أمام الله ، يقول ابن قدامة: متى لزم من ترتب الحكم على الوصف المتضمن للمصلحة مفسدة مساوية للمصلحة أو راجحة عليها فقيل إن المناسبة تنتفي؛ فإن تحصيل المصلحة على وجه يتضمن فوات مثلها أو أكبر منها ليس من شأن العقلاء لعدم الفائدة..

---

(١) شبكة الألوكة كشف المستور عن حكم فك السحر بسحر عن المسحور نجلاء بنت عبدالله الحربي تاريخ الإضافة: ٢٠٠٨/١٠/١٥ ميلادي - ١٤٢٩/١٠/١٤ هجري.

س١١١ : لماذا كان الماء من أعظم نعم الله تعالى على الخلق ؟.

ج١١١: **الإسلام أول من وضع التشريعات الحكيمة لحمايته وترشيده:**

إذا كانت الدراسات العلمية تؤكد :

١- أن البلدان العربية والإسلامية مقبلة على موجة من الفقر المائي الذي يهدد مظاهر الحياة وخطوات التنمية .

٢- أن أكثر من مليار من سكان العالم لا يعرفون الماء النقي.

٣- أن مليار شخص في الدول النامية يعانون من نقص مياه الشرب .

٤- أن أحدث تقارير للبنك الدولي تؤكد أن ٨٠% من أمراض مواطني العالم الثالث منشؤها المياه الملوثة..

والإسلام هو أول دين سماوي سبق التشريعات الحديثة وأرسى مبادئ المحافظة على المياه وترشيد استهلاكها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

والحديث عن المياه يعني في معظم الدول الأمن الغذائي، وهو ما يرادف الأمن القومي، فلقد تحولت المياه في ظل تزايد النمو السكاني ومعدلات الاستهلاك والندرة الملحوظة في مصادرها إلى محور من أهم محاور الصراع الدولي في الربع الأخير من القرن الماضي، وزاد الأمر حدة مع مطلع القرن الجديد حتى أن البعض تنبأ بنشوب حروب بين الدول بسبب المياه خلال القرن الحالي، خاصة في ظل صدور العديد من التقارير الدولية للبنك الدولي والمجلس العالمي للمياه والتي تحذر من "شح" المياه وندرتها، وتبنيها لسياسات جديدة لترشد استهلاك المياه، والمحافظة على مصادرها المختلفة من التلوث.

ولقد اهتمَّت معظم المنظمات الدولية بقضايا ندرة المياه واحتمالات تعرُّض العالم لأزمة مياه في المستقبل، ولذلك عقدت العديد من المؤتمرات الدولية والإقليمية تحت رعاية هذه المنظمات لتدارس هذه القضية، وحدّدت الأمم المتحدة يوم ٢٢ مارس من كل عام يومًا عالميًّا للمياه لتلفت أنظار العالم إلى أهمية هذه المشكلة المتوقَّع حدوثها، وبدأت هذه المنظَّمات الدولية تُدخل قضايا المياه بطريقة جديدة في النظام العالمي، مما أدَّى في بعض الأحيان إن لم

يكن في معظمها إلى زيادة حدة الصراع بين دول الشمال ودول الجنوب. ولا غرابة في أن تمثل قضية المياه هذه الأهمية الكبيرة على المستوى الدولي، فالماء أساس كل حي، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠))[(١)].

١- وقد نشأت الحياة منذ البداية وستبقى إلى يوم الساعة مرتبطة بالماء عصب الحياة، وأهم مكون من مكوناتها، وارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض وازدهار حضارته بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمواقع مائية، عرف بعضها بالمسمى المائي مثل حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)).

٢- الماء يعني الحياة: وكلمة الماء – كما هو معروف – هي المرادف لكلمة الحياة، والماء يعنى الزراعة والغذاء، والغذاء والشراب والطاقة، ويصل الأمر إلى أن حجم الأراضي الزراعية يتحدد في كثير من دول العالم ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة ولكن بكميات المياه العذبة المتوفرة. وقد اثبت العلم استحالة الحياة على وجه الأرض دون الماء لارتباط الأنشطة البشرية المختلفة به، ولأنه المكون الهام في تركيب الخلية الحية، حيث يدخل في تكوين جميع خلايا الكائنات الحية بمختلف صورها وأشكالها وأحجامها وأنواعها، فالماء يكون نحو ٩٠ % من أجسام الأحياء الدنيا، ونحو ٦٠ – ٧٠ % من أجسام الأحياء الراقية بما في ذلك الإنسان. ونظرا لهذه الأهمية القصوى للماء جعله الله سبحانه حقا شائعا بين البشر جميعا، فحق الانتفاع بالماء

---

(١) سورة الأنبياء .
(٢) سورة إبراهيم .

مكفول للجميع دون إسراف ولا إفساد ولا احتقار ولا تعطيل، وهذا يعنى أن مصادر الماء لا يجوز لأحد أن يحتكرها أو يمنعها عن الآخرين، ولو أدركت الشعوب والحكومات هذه التعاليم الإسلامية لانتهت الصراعات التي تدور حول الماء وموارده المختلفة.

٣- أن تصرفات البشر من سوء استخدام المياه العذبة والإسراف فيها وتلويثها قد يكون سببا لندرة المياه، وإهدار هذه النعمة الربانية، وحدوث الفقر المائي في بعض المناطق.. ولذلك فقد أصبحت مشكلة المياه تتصدر أولويات هموم سكان العالم خاصة وأن هناك أكثر من بليون من سكان العالم لا يعرفون الماء النقي.

٤- تعتبر المنطقة العربية من أكثر المناطق تأثرا بمشكلة المياه بسبب عدم وجود استراتيجية عامة كافية للمياه تتعامل مع هذا النقص الحاد، وحسب دراسة أعدها البنك الدولي لا يوجد في المنطقة العربية سوى ١% فقط من إجمالي المياه المتوفرة في العالم، والأخطر من ذلك – كما تشير الدراسة – أن الدول العربية تستهلك أكثر من ١٠٠% من مصادر مياهها المتجددة، ورغم ذلك فان هناك ٦٠ مليون شخص من مواطني العالم العربي لا تتوافر لديهم مياه صحية.

٥- لا تقتصر مشكلة المياه في الوطن العربي على الندرة، وإنما تمتد إلى نوعية المياه التي تتدنى وتتحول إلى مياه غير صالحة للاستخدام لأسباب متعددة، وتسرى مشكلة المياه على كل المصادر المائية في الوطن العربي، فالأنهار العربية الكبرى مثل النيل والفرات تنبع من دول غير عربية وتجرى وتصب في بلدان عربية مما يجعل لدول المنبع ميزة استراتيجية في مواجهة البلدان العربية، كما يتطلب الاستغلال الأمثل للمياه الجوفية ومياه الأمطار استثمارات ضخمة لإقامة التجهيزات والمشروعات الأزمة لهذا الاستغلال.

قيم إسلامية عظيمة:

وإذا كانت مشاكل المياه تنحصر في التلوث والإسراف وسوء الاستخدام ، فان هذه

قضايا عالجها الإسلام منذ ١٤ قرنا من الزمان بما قرره من آداب وقواعد وأحكام للمحافظة على الماء وترشيد استهلاكه، فالماء هو مصدر الحياة، والمحافظة عليه تعني المحافظة على الحياة بأشكالها المختلفة. وقد قرر الإسلام مجموعة من القيم والآداب والأسس والقواعد للمحافظة على الماء وحمايته من التلوث، منها ما يلي:

١- نهى الإسلام عن الإفساد في الأرض:

أ- قال الله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠))[١] .

ب- وقال تعالى: (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧))[٢] .

ت- ت وقال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١))[٣] .

ث- وقال تعالى في وصف الطغاة: (لَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢))[٤] .

ج- وقال تعالى: (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١))[٥]..

ومعلوم أن تلويث الماء بشتى طرق التلوث المختلفة هو إفساد في الأرض لما يترتب عليه من أضرار جسيمة لكل من يستخدم هذا الماء الملوث من البشر إلى جانب بقية الأحياء الحيوانية والنباتية والمائية.

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة الروم .
(٤) سورة الفجر .
(٥) سورة يونس .

٢- أقر الإسلام مبدأ: (لا ضرر ولا ضرار)، فكل ما يضر المسلمين في رزقهم ومأكلهم ومشربهم ينهي الإسلام عنه، وتلوث الماء من أكبر أشكال الضرر.

٣- حرم الإسلام كل ما يفسد حياة المسلمين، وفقا للقاعدة الفقهية التي تقول (ما أدى إلى الحرام فهو حرام)، والتلوث المائي يتسبب في حالات كثيرة في إزهاق الأرواح وقتل الأحياء ونشر الأوبئة والأمراض، ودرء هذا التلوث واجب.

٤- أرسى الإسلام قواعد الطب الوقائي حماية للنفس وحماية للبيئة، ومن هذه القواعد ما يتعلق بالماء، :

أ- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء الراكد في قوله صلى الله عليه وسلم : (لا يبولَنَّ أحدُكُم في الماءِ الرَّاكدِ ، ثمَّ يغتسلُ منهُ)[١] ، ومن المعروف أن هناك أمراضا كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراقد الذي سبق التبول فيه مثل الكوليرا والبلهارسيا.

ب- كما نهى صلى الله عليه وسلم: (أن يبال في الماء الجاري)[٢] ، وذلك للمحافظة على نظافة الماء من الطفيليات التي تكون مع البول وتؤدى إلى تلوث الماء.

ت- دعا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحرى المسلم في قضاء حاجته الأماكن المعزولة حتى تستقر الفضلات الآدمية في مكان سحيق فلا يتلوث بها ماء، ولا يتنجس بها طريق فقال صلى الله عليه وسلم: (اتَّقوا الملاعنَ الثلاثَ : البَرازُ في الموارِدِ ، و قارِعَةِ الطَّريقِ ، و الظِّلِّ)[٣].

ث- وروي عن ابن عمر : (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة).[٤]

---

(١) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٢٢١ .
(٢) المنذري ، الترغيب والترهيب ج١ ، ص ١١١ .
(٣) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ١٤٦ .
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٣٩٢)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢٤/٦) وفيه فرات بن السائب منكر الحديث.

ج- ونهى أن يتخلى على ضفة نهر جار. رواه الطبراني. فالتبرز أو التبول في الماء من السلوكيات الخاطئة التي يجب البعد عنها، والمعروف أن تصريف مياه المجاري في المياه النقية لا يؤدي إلى تلويثها بالطفيليات والروائح الكريهة فحسب، بل يتسبب في استهلاك الأكسجين الذائب في المياه مما يؤثر على حياة الكائنات التي تعيش فيه، كما أن المواد العضوية الموجودة في مياه المجاري تؤدى إلى ازدهار أنواع عديدة من البكتيريا والطفيليات والكائنات الأولية التي تسبب تلوث الماء.

ح- وعلاوة على ذلك دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تغطية أواني الماء لحمايته من الملوثات التي قد تنتقل إليه من الهواء أو الحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات كالصراصير والفئران والنمل والبعوض، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (غطوا الإناء وأوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء)[1] ومعنى (أوكوا السقاء) أي اربطوا فوهات أواني الماء لحمايتها من التلوث والأوبئة.

خ- حرص النبي صلى الله عليه وسلم على طهارة الماء وسلامته بلغت حدا أكبر من ذلك إذ نهى عن النفخ في الشراب ليحميه من نفس شاربه ورائحة فمه كي لا يتلوث، لأن الشارب الأول قد لا يشرب الماء كله، وقد يحتاج بقيته شخص آخر.

د- نهى صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم السقاء مباشرة، ويرى المفسرون والعلماء أن لذلك سببين: الأول عدم تلوث ماء السقاء برائحة فم الشارب، والثاني حماية الشارب مما قد يكون في السقاء من شيء مختلط بالماء، فإذا وضع الماء في كأس علم ما به.

ولقد التزم المسلمون منذ فجر الإسلام بهذه التعاليم فحرصوا على الماء حرصا

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠١٤ .

شديدا، كما حرصوا على بقائه نقيا طاهرا حتى يتمكنوا من شربه والتطهر به في صلاتهم وسائر عباداتهم التي تحتاج إلى طهارة، كما حرصوا على توفيره للجميع فلا يحرم منه أحد، وفي مرحلة مبكرة من الإسلام اعتبر الماء ثروة يمكن التصدق بها كالمال، وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك في مناسبات كثيرة أشهرها قصة بئر رومة الذي كان تحت يد يهودي وكان يمنع المسلمين من مائه، فقال صلى الله عليه وسلم: (أن عثمانَ سبل بئرَ رومةَ وكان دلوُه فيها كدلاءِ المسلمين)[1]، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ذ- وتيسير الماء في الإسلام ليس مقصورا على الإنسان، بل يمتد للحيوان حتى لو كان كلبا ضالا، فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي سقى كلبا في خفه فغفر الله له.

مبادئ الترشيد:

فيما يتعلق باستهلاك المياه، نجد أن الإسلام كان له السبق في إقرار مبادئ ترشيد الاستهلاك لكل ما في يد الإنسان من نعم وثروات، باعتبار أن الإسراف والتبذير من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله – سبحانه – للحياة والأحياء في هذا الكون.

١- وقد أقام الإسلام منهجه في هذا الصدد على الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان، وأقام بناءه كله على الوسطية والتوازن والقصد. فالإسراف يعتبر سببا من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها، مما يؤدي إلى إهلاك الحرث والنسل، وتدمير البيئة.

٢- وقد نهى القرآن الكريم عن الإسراف في أكثر من موضع:

أ- قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١))[2].

---

(١) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث ١٥٩٤ .
(٢) سورة الأعراف .

ب- وقال تعالى : ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾[١] .

ت- وتوعد القرآن المسرفين بالهلاك ، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩)﴾[٢] .

٣- ودعا الإسلام إلى الوسطية والاعتدال، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧)﴾[٣].فالوسطية الرشيدة هي:

أ- مسلك المسلمين ودعوة الإسلام لأتباعه في كل الأحوال وعموم الأوقات.

ب- وهي خير ضمان لحماية التوازن البيئي فيما يتعلق بالماء وغيره من الموارد الطبيعية.

ت- وقفت الشريعة الإسلامية ضد الإسراف في استهلاكه، سواء في أغراض الشرب أو الزراعة أو الصناعة، أو حتى في مجال العبادات، **ومن التعاليم والآداب الإسلامية التي وردت في هذا الشأن ما يلي:**

- دعا الإسلام إلى المحافظة على الماء وعدم الإسراف في استهلاكه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (كُلوا واشرَبوا وتَصدَّقوا والبَسوا، غيرَ مَخيلةٍ، ولا سَرفٍ، وقال يزيدُ مرَّةً: في غيرِ إسرافٍ، ولا مَخيلةٍ)[٤].
- نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في استعمال الماء حتى ولو كان من أجل الوضوء، فقد روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال: (ما هذا الإسراف؟)، فقال: أفي الوضوء إسراف؟، قال (نعم وان كنت على نهر جار)[٥].

(١) سورة الأنعام .
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) سورة الفرقان .
(٤) أخرجه النسائي (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وأحمد (٦٦٩٥) واللفظ له.
(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٥)، وأحمد (٧٠٦٥) واللفظ له.

وأخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد)، والإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية، كأن يزيد في الغسل على الثلاث، وقد اتفق العلماء على أن الزيادة في غسل الأعضاء للوضوء على الثلاث مكروه، وأنه إسراف في استعمال الماء[2].[3] .

س١١٢: لماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد (جبل يحبنا ونحبه) ولماذا اهتز هذا الجبل حين صعده رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ؟.

ج١١٢:عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : (رَجْنَا مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَسَاقَ الحَدِيثَ وَفِيهِ، ثُمَّ أَقْبَلْنَا حتَّى قَدِمْنَا وَادِي القُرَى، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: إنِّي مُسْرِعٌ، فمَن شَاءَ مِنكُم فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَن شَاءَ فَلْيَمْكُثْ، فَخَرَجْنَا حتَّى أَشْرَفْنَا علَى المَدِينَةِ، فَقالَ: هذِه طَابَةُ، وَهذا أُحُدٌ، وَهو جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)[4].

يقول الدكتور د. محمود عبدالعزيز يوسف : (فضل جبل أحد وبيان معجزاته صلى الله عليه وسلم : يظهر هذا في قول النبي: (اثبُتْ أُحُد؛ فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان)[5]، فإن من الغيب الذي أخبر الله به نبيَّه صلى الله عليه وسلم ، الشهيدان المقصودان في هذا الحديث هما: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، والصدِّيق هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، يُوضِّح ذلك ما رواه البخاري عن قتادة أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدَّثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صعِد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجَف بهم، فقال: (اثبُتْ أُحُد؛ فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان)، وقد تحقَّق ما قاله صلى الله عليه وسلم؛ فقد قُتِل عمرُ في محراب رسول الله شهيدًا، وقُتِل عثمان شهيدًا.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٣٢٥ .

(٢) انظر محمد عبد القادر الفقي - البيئة.. مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، . د. علي محمد علي عبد الله - التلوث البيئي والهندسة الوراثية ، مجدي شندي - المياه الصراع القادم في الشرق الأوسط - كتاب أكتوبر - دار المعارف ، محمود عبد الوهاب فايد - الإسلام والصحة ، ابن القيم الجوزية - زاد المعاد - الجزء الثالث ، د. احمد فؤاد باشا - التشريعات الإسلامية لحماية البيئة نعيمة عبد الفتاح ناصف طريق الاسلام الماء .. تلك النعمة المهدرة ٢١ / ١٢ / ٢٠١٤ م.

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٩٢ .

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٨٦٢)، والروياني في ((مسنده)) (١٠٧٥)، وأبو يعلى (٧٥١٨).

ويُستفاد من الحديث:

١- فضل جبل أُحُد، .

٢- بيان معجزاته صلى الله عليه وسلم، المتضمِّنة: تكليمه للجمادات، كما حنَّ الجِذْعُ إليه، وسلَّم الحَجَرُ عليه، بأبي هو وأمي صلوات الله عليه.

والغيب الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- غيب أخبر الله به نبيَّه صلى الله عليه وسلم مما قد سلف في غالب الأزمان؛ كإخباره بما قصَّ الله عليه من نبأ يوسف وإخوته، وأهل الكهف، وقوم نوح، وعاد، وغيرهم.

٢- خبر يخبر عنه صلى الله عليه وسلم ممَّا وقع في حياته؛ كإخباره صلى الله عليه وسلم عن صرعى بدر.

٣- إخباره صلى الله عليه وسلم عن أمور تقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وهذا يندرج تحت الحديث الذي بين أيدينا.

هذا الجبل صعِده النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان؛ الخلفاء الراشدون بعده، فلما صعِدوا إلى الجبل رجَف بهم، والسؤال: لِمَ رجف الجبلُ بهم؟

قال العلماء في تعليل ذلك: إن الجبل رجف فرحًا بمن رَقِيَه من الشُّرفاء ، ولا ريب أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف الخَلْق، وأصحابه أشرف الناس بعد الأنبياء والمرسلين، فالجبل فرِح فسكَّنه النبي صلى الله عليه وسلم بقدَمِه، وقال: (اثبُتْ أُحُد)، ثم قال صلوات الله وسلامه عليه: (فإنما عليك نبيٌّ - يعني: نفسه عليه الصلاة والسلام - وصدِّيقٌ -يقصد: أبا بكر- وشهيدان)، وهذا من الغيب؛ لأن عمر وعثمان آنذاك لم يُقتُلا؛ وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم أنهما شهيدان دلالةً على أنهما سيموتان شهيدين، وقد وقع بعد ذلك كما سيأتي. وهذا الحديث النبوي فيه دلالات مستفيضة يمكن طرقُها من عدة جوانب؛ منها: أن الله جل وعلا ألْهَم بعض الجمادات حُبَّ نبيه صلى الله عليه وسلم، وليس جبل أُحُد بأوَّلها ولا بآخِرها؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب كثيرًا مُتَّكئًا على جذع نخلة في مسجده الشريف صلوات الله وسلامه عليه، وهو موضع المنبر اليوم، ثم بعد فترة صُنِع له منبر له ثلاث

درجات، فكان صلى الله عليه وسلم يرقى هذا المنبر المصنوع من أعواد ليخطب الناس، ويكون مشرفًا من مكان عالٍ، فأوَّل يوم ارتقى صلى الله عليه وسلم فيه المنبر، أحدث الجذع صوت حنينٍ وشوقٍ إلى خير سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، هذا كله والصحابة ينظرون فنزل عليه الصلاة والسلام إلى الجذع، وسكَّنه، ثم عاد عليه الصلاة والسلام وخطب، ولهذا يُقال: حنَّ الجِذْعُ إليه صلوات الله وسلامه عليه.

ذكر بعض الأحداث التي وقعت في غزوة أحد:

في أُحُد الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الذي بين أيدينا: (اثبُتْ أُحُد)، وقعت غزوة أحد؛ وهي غزوة وقعت – كما هو معلوم – بعد بَدْر في السنة الثالثة، وفيها وقعت أحداثٌ عِظامٌ؛ منها: شجُّ رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم، وكسْرُ رَباعيَتِه، وسَيلان الدم على وجنتيه

وكفى بذلك حدثًا في تلك المعركة، كما أنه قُتِل في تلك المعركة عمُّه حمزة، وحمزة من أحبِّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتَله الوحشيُّ وهو غلامٌ لبعض بني أُميَّة.

كما وقع في تلك المعركة قتلٌ كثيرٌ للصحابة، فقد وصل عددُهم إلى سبعين شهيدًا؛ قال الله جل وعلا في القرآن: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠))[(١)]وقال تعالى : (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥))فالنبي صلى الله عليه وسلم قُتِل من أصحابه يوم أحد سبعون، وكانوا قد قتلوا في يوم بدر سبعين، وأسَرُوا سبعين، ولعلَّ هذا من أقرب المعاني لقول الله جل وعلا: (أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا) .

في أُحُد كذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة أن يَدفنوا شهداءهم في أرض

---

(١) سورة آل عمران ..
(٢) سورة آل عمران .

المعركة وإلى اليوم ما تزال القبور باقيةً بجوار الجبل، والنبي عليه الصلاة والسلام قبل أن يموت لما شعَر بدنُوِّ أجلِه وقُرْب رحيله، أتى إلى هؤلاء الشهداء الكرام، فسلَّم عليهم، واستغفَر لهم، ودعا لهم كالمودِّع، من باب الوفاء معهم، وهذا من دلائل عظيم وفائه صلى الله عليه وسلم لمن بذلوا الْمُهَجَ والنفوس والدماء من أجل نصرة دينه صلوات الله وسلامه عليه.

إن تلك الأنفُس كانت عظيمةً جليلةً، بذلت دماءها وأرواحها وأنفُسَها من أجل نصرة دين الله جل وعلا، فقام نبيُّ الأُمَّة ورأس الملَّة وسيد الأُمَّة صلى الله عليه وسلم وهو يشعُر بدنوِّ الرحيل وقُرب الأجل ومُفارقة الدنيا إلى ذلك الموضع، فسلَّم على أهله واستغفر لهم؛ ليكون بعد ذلك سُنَّة، وإلى اليوم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدِّم الناس والزوَّار لزيارة شهداء أُحُد اتِّباعًا لسُنَّة نبيِّنا صلوات الله وسلامه عليه، ونحن نعلم أن أهل تلك القبور لا يملكون لنا ولا لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، لكنها سنة يُؤدَّى لهم فيها بعض الواجب، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

استشهاد عمر رضي الله عنه كما أخبر النبي الكريم:

فقد صرَّح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيموت شهيدًا، وقد مات شهيدًا؛ طعنه أبو لؤلؤة المجوسي كما هو معروف مشهور في محراب نبيِّنا صلى الله عليه وسلم.

وقد كان عمر يقول قبل أن يُقتَل: اللهم إني أسالك شهادةً في سبيلك وميتةً في بلد رسولِكَ، ويُقال: إن بعض الصحابة وبعض مَنْ حولَه من التابعين كانوا يُنازعون عمر رضي الله عنه في هذه الكلمة، ويقولون: يا أمير المؤمنين، إن الشهادة مظانُّها ساحاتُ الجهاد وليست في المدينة؛ لأن المدينة ديار إسلام محميَّة، ليس فيها كُفَّار، أو ليس فيها محاربون من أهل الكُفْر؛ لكن عمر كان يصرُّ على دعائه.

وقد أعطاه الله جل وعلا لصدق نيَّته وعظيم جهاده ما تمنَّاه، فمات شهيدًا في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقَّق له ما أراد رضي الله عنه وأرضاه.

استشهاد عثمان رضي الله عنه كما أخبر النبي الكريم:

قُتِل في المدينة؛ قتله الخوارج بعد أن تسوَّرُوا دارَه وقتلوه، فهو أمير البَرَرة، والذين قتلوه فَسَقةٌ فَجَرةٌ، ويصعُب أن نقول بكفرهم، وإن كان بعض أهل العلم قد يُكفِّر مَنِ استحلَّ دمَه، فعثمان رضي الله تعالى عنه مات شهيدًا.

والمقصود أن هذا بعض الغيب الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنهم ماتوا شهداءَ كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه.

جبل أُحُد من أبرز الأماكن المعطَّرة بالسيرة النبوية:

يعتبر جبل أُحُد من أبرز الأماكن التاريخية الخالدة والمعطَّرة بالسيرة النبوية وأحداثها؛ حيث شهِد جبل أُحُد الكثيرَ من الأحداث العظيمة التي قد صاحبت ولادة فَجْر الدعوة الإسلامية منذ هجرة النبي عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة المنورة، وقد دارَتْ أحداث معركة أُحُد في السنة الثالثة من الهجرة أيضًا، ويحرِص زُوَّار المدينة المنورة دائمًا على زيارة "جبل أُحُد"؛ لأنه يضمُّ الكثير من الآثار، منها مقبرة الشهداء التي تضمُّ ٧٠ صحابيًّا قد استشهدوا أثناء المعركة.

موقع جبل أُحُد:

جبل أُحُد هو أحد الجبال المطلَّة على المدينة المنورة من الجانب الشمالي، ويفصله عنها مسافة ثلاثة ميل، ولكن هذه المسافة بدأت بالتناقُص تدريجيًّا مع التوسُّع العمراني المستمر باتِّجاه الجبل، ويمتدُّ جبل أُحُد كسلسلة جبلية من الجانب الشرقي نحو الجانب الغربي، ثم ينحرف قليلًا نحو الجانب الشمالي، ويظهر جبل أُحُد مانعًا طبيعيًّا على شكل سلسلة من الشرق إلى الغرب مع ميل نحو الشمال من المدينة المنورة بطول سبعة كيلومترات، وعرض ما بين ٢ و٣ كيلومترات، وبارتفاع يصل إلى ٣٥٠ مترًا.

وبجبل أُحُد العديدُ من الكهوف والشقوق التي يتجاوز ارتفاع بعضها مترًا ونصفًا، وعمقها عشرة أمتار، ويمتدُّ جبل أُحُد على طول ٧ كيلو مترات بارتفاع يصل إلى ١٠٧٧ مترًا، ويفصل الجبل عن المسجد النبوي مسافة ٥ كيلو مترات، ويحده من الجانب الشمالي

الغربي جبلي تيأب وثور، ومن الجانب الجنوبي الغربي جبل الرماة.

ويقع جبل أُحُد شمالي المدينة، ويبعد عن المسجد النبوي ٤ كيلو مترات، محيطه يقرب من ١٦ كيلو مترًا من الناحية الجنوبية، يمتدُّ من الشرق إلى الغرب ٣ كيلو مترات، ومن الناحية الشمالية يمتدُّ من الشرق إلى الغرب ٧ كيلو مترات، وعرضه شرقًا ٢ كم وغربًا ٤ كيلو مترات.

من فضائل جبل أُحُد:

عن أنس بن مالك عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، أنه قال عن جبل أُحُد: (هذا جبل يحبُّنا ونُحبُّه)[١].

غزوة أُحُد:

وقعت غزوة أُحُد في سفوحه الجنوبية؛ ولذلك سُمِّيت غزوة أُحُد، وكان جبل أُحُد عن يمين جيش النبي صلى الله عليه وسلم، وجبل الرماة عن يساره.

فقد شهِد جبل أُحُد غزوة أُحُد بين المسلمين وكفار قريش في العام الثالث من الهجرة، وتحديدًا في الجانب الجنوبي الغربي من الجبل على مَقربة من جبل الرماة، وقد خسِر المسلمون في هذه الغزوة بسبب مخالفة الرماة لأوامر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؛ حيث أمرهم بالوقوف على الجبل وعدم مغادرتهم مواقعهم قبل انتهاء القتال، وانتهت المعركة باستشهاد سبعين فردًا، منهم حمزة بن أبي طالب عمُّ الرسول عليه الصلاة والسلام.

ويضمُّ جبل أُحُد العديدَ من الآثار الإسلامية المهمة؛ كمقبرة الشهداء السبعين الذين سقطوا في غزوة أُحُد، وكذلك الشق؛ وهو المكان الذي لجأ إليه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعد الهزيمة؛ لتفادي بطش المقاتلين من الكفار، كما يوجد على مقربة منه مسجد الفسح، وهو من المساجد التي صلى فيها النبي عليه الصلاة والسلام؛ كما ورد في بعض الرِّوايات.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٠٨٣ .

سبب تسمية جبل أُحُد:

وردت تسمية جبل أُحُد (بضم الألف والحاء) في ثلاث روايات؛ هي:

الرواية الأولى: تقول بأن جبل أُحُد سُمِّي بذلك؛ لتوحُّده عن الجبال، وأنه محاطٌ بالأودية والسهول.

الرواية الثانية: تقول بأن جبل أُحُد سُمِّي بأُحُد نسبةً إلى رجل يُدْعى "أُحُد" من العماليق؛ وهم السكان الأوائل التقليديون للمدينة؛ حيث إن أُحُد انتقل إلى الجبل وسكنه، ومِن ثَمَّ سُمِّي باسمه.

الرواية الثالثة : فتقول بأن تسمية جبل أُحُد ترجع إلى الرمز لوَحدانية الله عز وجل.

وقيل: **لِما وقع لأهله من نُصرة التوحيد، وذكر ابن شبة أنه كان يُعرف في الجاهلية باسم (عنقد)، ويقع شمال المدينة، وبسَفحه وقعتْ غزوة أُحُد.**

وجبل أُحُد عبارة عن جبل صخري، ولونه ذو صبغة حمراء، وطوله من الشرق إلى الغرب يبلغ ستة آلاف متر تقريبًا، وبه رؤوس كثيرة وهضبات متعدِّدة، وتوجد بجبل أحد المهاريس، وهي عبارة عن نقر طبيعية في الجبل لحفظ المياه المنسابة من أعاليه.

إذا تصورت مساحة هذا الجبل العظيم، فتأمَّل قوله عليه الصلاة والسلام: (مَنِ اتَّبع جنازةَ مسلمٍ إيمانًا واحتسابًا، وكان معه حتى يُصلَّى عليها، ويَفْرُغ من دَفْنِها، فإنه يرجِع من الأجر بقيراطين؛ كل قيراط مثل أُحُد، ومَنْ صلَّى عليها، ثم رَجَعَ قبل أن تُدْفَن، فإنه يرجِع بقيراط) ، وفي رواية: (مَنْ صلَّى على جنازةٍ، ولم يتَّبِعْها فله قيراطٌ، فإنْ اتَّبَعها فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: (أصْغَرُهما مثل أُحُد)[2].

مقبرة شهداء أُحُد من الصحابة:

بجبل أُحُد قبور سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهدوا في معركة أُحُد، وفي مقدِّمتهم عمُّه حمزة بن عبدالمطلب، ومصعب بن عمير، وعبدالله بن جحش، وحنظلة بن أبي عامر

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٥٢ .

(حنظلة الغسيل)، وعبدالله بن جبير، وعمرو بن الجموح، وعبدالله بن حرام وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وكان استشهادُهم في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهَّدُهم بالزيارة بين الحين والآخر؛ فعن طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرَفنا على حرة (واقم)، فإذا قبور، فقلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال هذه قبور أصحابنا، فلما جِئْنا قبور الشهداء، قال: (هذه قبور إخواننا)[١]؛ وروى البخاري عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أُحُد بعد ثماني سنين كالمودِّع للأحياء والأموات)[٢]؛ ولذا يستحَبُّ زيارة شهداء أُحُد والسلام عليهم.

جبل أُحُد كانت له علاقة محبَّة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم، علاقة وُدٍّ ومحبَّة، قال عليه الصلاة والسلام: (أُحُد جبلٌ يحبُّنا ونُحبُّه)[٣].

أُحُد جبل كان يُكلِّمُه رسول الله، فيستجيب ويُذعِن ويُطيع، ارتجف يومًا، فقال له: (اثبُتْ أُحُد؛ فإن فوقَك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدَين)[٤].

هذا الجبل يحمل ذكريات فصَّلها العلماءُ في مجلدات ضخمة ومواعظ، هنا ضُرِبَ وجُرِحَ خيرُ خَلْقِ الله، هنا سال أشرفُ دمٍ على أشرف جبل، هنا كُسِرَت رَباعيَتُه، هنا كاد أن يُقتَل، هنا دعا لقومه بدل أن يدعو عليهم: (اللَّهمَّ اغفِر لِقَومي فإنَّهم لا يعلَمونَ)[٥].

هنا دروس من التضحية، دروس من التفاني في الحُبِّ، دروس من الوفاء والشجاعة.

هنا برزت شخصيات عظيمة؛ مثل: (أم عمارة نسيبة بنت كعب)، و(أبو دجانة)، و(حنظلة) غسيل الملائكة، و(طلحة بن عبيدالله)، و(حمزة بن عبدالمطلب)، و(مصعب بن عمير)، و(عبدالله بن جحش)، فخلَّد التاريخ ذِكْرَهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٤٣)، وأحمد (١٣٨٧) واللفظ له

(٢) الإمام البخاري و صحيح البخاري و رقم الحديث ٤٠٤٢ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) أخرجه ابن حبان (٩٧٣)، والطبراني (١٢٠/٦) (٥٦٩٤)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (١٤٤٨)

هناك أمام جبل أُحُد (جبل الرماة)، والموعظة العظيمة التي لا يزال يحملها ويتذكَّرها كلُّ مَنْ وَقَع بصرُه عليه من معركة أُحُد إلى اليوم: الطاعة، فالطاعة هي المنجية في الدنيا والآخرة، والنصر لا يكون إلَّا بالطاعة، من هنا جاءت الهزيمة بسبب المعصية، والمعصية لا تأتي إلَّا بالهزائم، وهذا قانون إلهي لا يُحابي أحدًا؛ لأن الجواب من الله كان: (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ).[1]

س١١٣: لماذا كانت شفاعة بينا صلى الله عليه وسلم سببا لدخول بعض المسلمين الجنة ؟.

ج١١٣: يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : (الشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو ضد الوتر، وهو جعل الوتر شفعاً مثل أن تجعل الواحد اثنين، والثلاثة أربعة، وهكذا هذا من حيث اللغة. أما في الاصطلاح: فهي "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"، يعني أن يكون الشافع بين المشفوع إليه، والمشفوع له واسطة لجلب منفعة إلى المشفوع له، أو يدفع عنه مضرة، والشفاعة نوعان:

النوع الأول: شفاعة ثابتة صحيحة، وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه، أو أثبتها رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه قال: (يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه). وهذه الشفاعة لها شروط ثلاثة:

الشرط الأول: رضا الله عن الشافع.

الشرط الثاني: رضا الله عن المشفوع له.

الشرط الثالث: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع. وهذه الشروط مجملة في قوله تعالى: (وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦))[2]، ومُفصَّلة في قوله: (من ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ... (٢٥٥))[3] ، وقوله:

---

(١) د. محمود عبدالعزيز يوسف ، شبكة الألوكة . فضل جبل أحد ١٤٣٩/١٢/١٨ هجري

(٢) سورة النجم .

(٣) سورة البقرة .

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩)﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾[2]، فلا بد من هذه الشروط الثلاثة حتى تتحقق الشفاعة.

ثم إن الشفاعة الثابتة ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الشفاعة العامة، ومعنى العموم أن الله سبحانه وتعالى يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وهي أن يشفع في أهل النار من عصاة المؤمنين أن يخرجوا من النار.

القسم الثاني: الشفاعة الخاصة: التي تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وأعظمها الشفاعة العظمى التي تكون يوم القيامة، حين يلحق الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله عز وجل أن يريحهم من هذا الموقف العظيم فيذهبون إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى وكلهم لا يشفع حتى تنتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقوم ويشفع عند الله عز وجل أن يخلص عباده من هذا الموقف العظيم، فيجيب الله تعالى دعاءه، ويقبل شفاعته، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩)﴾[3].

ومن الشفاعة الخاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط أوقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فتمحص قلوب بعضهم من بعض حتى يهذبوا وينقوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة النجم .
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) سورة الإسراء .

أنواع الشفاعة المثبتة:

١- شفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين: روى مسلمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ) ، وروى الشيخانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ – وذلك في حديث الشفاعة– ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (وهو يتحدث عن المؤمنين الذين نجاهم الله من النار): وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا)[٢] .

٢- شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم: لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم شفاعات يوم القيامة وهي:

أ- الشفاعة العظمى له صلى الله عليه وسلم للفصل بين العباد، وهي المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به. وهذه الشفاعة خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء والمرسلين.

ب- شفاعته صلى الله عليه وسلم في دخول المؤمنين الجنة.

ت- شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٣ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٤٣٩ و وعند الإمام مسلم برقم ١٨٣

ث- شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام من أهل الجنة، وذلك برفع درجاتهم فيها.

ج- شفاعته صلى الله عليه وسلم في إخراج العُصاة مِن الموحدين مِن النار، ودخولهم الجنة.

ح- شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فيكون في قليل مِن نار تغلي منها دماغه.

خ- شفاعته صلى الله عليه وسلم لأقوام من الموحدين العصاة، قد استوجبوا دخول النار، فيشفع لهم ألا يدخلوها.

د- شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب؛ كعُكاشة بن مِحْصن رضي الله عنه[1].

من أسباب نيل الشفاعة في الآخرة:

١- تلاوة القرآن:روى مسلمٌ عَنْ أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ)[2].

٢- الصيام: روى أحمدٌ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بنِ العَاصِ: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فيُشَفعانِ) [3].

٣- صلاة الجنازة على الميت: روى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيه)[4].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية جـ ١ صـ٢٧٤، ص ـ٢٨٤)(١) ، و(النهاية في الفتن والملاحم؛ لابن كثير جـ٢ صـ٢٠٢: صـ٢٠٩
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٠٤ .
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٨٨٢ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٤٧ .

٤- روى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ، فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ النَّاسِ؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ)[1].

٥- ترديد الأذان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب الوسيلة له:(روى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)[2].

٦- الشهادة في سبيل الله: روى أبو داودَ عَنْ أبي الدَّرْدَاءَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[3]، [4].

يقول الشيخ المنجد: (الشفاعة المتعلقة بالدنيا ، وهي على نوعين:

الأول: ما يكون في مقدور العبد واستطاعته القيام به ؛ فهذه جائزة بشرطين :

١- أن تكون في شيء مباح، فلا تصح الشفاعة في شيء يترتب عليه ضياع حقوق الخلق أو ظلمهم ، كما لا تصح الشفاعة في تحصيل أمر محرم، كمن يشفع لأناس قد وجب عليهم الحد أن لا يقام عليهم، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.....(٢))[5]، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها " أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٤٨ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٨٤ .
(٣) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٢٢٠١ .
(٤) الشفاعة: معناها وأنواعها وأسباب نيلها الشيخ صلاح نجيب الدق شبكة الالوكة في ٢٠٢٠/٧/١، ميلادي - ١٤٤١/١١/١٠ هجري.
(٥) سورة المائدة .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)[1] ، عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ" اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَب "[2].

٢- أن لا يعتمد بقلبه في تحقيق المطلوب ودفع المكروه إلا على الله وحده ،وأن يعلم أن هذا الشافع لا يعدو كونه سببا أَذِنَ الله به، وأن النفع والضر بيد الله وحده ، وهذا المعنى واضح جدا في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا تخلف أحد هذين الشرطين صارت الشفاعة ممنوعة منهيا عنها .

الثاني : **ما لا يكون في مقدور العبد ، وطاقته ووسعه** : كطلب الشفاعة من الأموات وأصحاب القبور ، أو من الحي الغائب معتقدا أن بمقدوره أن يسمع وأن يحقق له طلبه فهذه هي الشفاعة الشركية التي تواردت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بنفيها وإبطالها لما في ذلك من وصفهم بصفات الخالق عز وجل ، لأن من صفاته عز وجل أنه هو الحي الذي لا يموت وشبهة هؤلاء أنهم يقولون: إن الأولياء وإن السادة يشفعون لأقاربهم، ولمن دعاهم، ولمن والاهم، ولمن أحبهم، ولأجل ذلك يطلبون منهم الشفاعة، وهذا بعينه هو ما حكاه الله عن المشركين الأولين حين قالوا: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) يونس/١٨ ، يعنون معبوداتهم من الملائكة، ومن الصالحين، وغيرهم ، وأنها تشفع لهم عند الله . وكذلك المشركون المعاصرون الآن ؛ يقولون: إن الأولياء يشفعون لنا، وإننا لا نجرؤ أن نطلب من الله بل نطلب منهم وهم يطلبون من الله، ويقولون: إن النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين أعطاهم الله

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٢٦١ ، وعند الإمام مسلم برقم ٣١٩٦ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٥٦٨ ، وعند الإمام مسلم برقم ٤٧٦١ .

الشفاعة، ونحن ندعوهم ونقول: اشفعوا لنا كما أعطاكم الله الشفاعة. ويضربون مثلاً بملوك الدنيا فيقولون: إن ملوك الدنيا لا يوصل إليهم إلا بالشفاعة إذا أردت حاجة فإنك تتوسل بأوليائهم ومقربيهم من وزير وبواب وخادم وولد ونحوهم يشفعون لك حتى يقضي ذلك الملك حاجتك، فهكذا نحن مع الله تعالى نتوسل ونستشفع بأوليائه و بالسادة المقربين عنده، فوقعوا بهذا في شرك السابقين ، وقاسوا الخالق بالمخلوق.

والله تعالى ذكر عن الرجل المؤمن في قوله: (أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣))[١]

ولهذا لم يدع صلى عليه وسلم أمته لطلب الشفاعة منه في الدنيا ، ولا نقل ذلك عنه أحد من أصحابه رضي الله عنهم ، ولو كان خيرا ، لبلَّغه لأمته. ، ودعاهم إليه ، ولسارع إلى تطبيقه أصحابه الحريصون على الخير ، فعُلم أن طلب الشفاعة منه الآن منكر عظيم ؛ لما فيه من دعاء غير الله ، والإتيان بسبب يمنع الشفاعة ، فإن الشفاعة لا تكون إلا لمن أخلص التوحيد لله ، وأهل الموقف إنما يطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لهم في فصل القضاء ، لحضوره معهم ، واستطاعته أن يتوجه إلى ربه بالسؤال ، فهو من باب طلب الدعاء من الحي الحاضر فيما يقدر عليه ، ولهذا لم يرد أن أحدا من أهل الموقف سيطلب منه صلى الله عليه وسلم أن يشفع له في مغفرة ذنبه .

وهؤلاء الذين يطلبون منه الشفاعة الآن ، بناء على جواز طلبها في الآخرة ، لو ساغ لهم ما يدّعون ، للزمهم الاقتصار على قولهم : يا رسول الله اشفع لنا في فصل القضاء !! ولكن واقع هؤلاء غير ذلك ، فهم لا يقتصرون على طلب الشفاعة ، وإنما يسألون النبي صلى الله عليه وسلم -وغيره – تفريج الكربات ، وإنزال الرحمات ، ويفزعون إليه في الملمات ، ويطلبونه في البر والبحر ، والشدة والرخاء ، معرضين عن الله[١] .

---

(١) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٢٦٢٥٩ ، تاريخ النشر ٨ / ٢ / ٢٠٠٢ م.

النوع الثاني: **الشفاعة الباطلة** التي لا تنفع أصحابها، وهي ما يدَّعيه المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى: (فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨))[١] ، وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز وجل والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ .. (١٨))[٢] تعلقٌ باطلٌ غير نافع، بل هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بُعداً، على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام، وهذا من سفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعداً[٣].

وفي بحث مفصل عن الشفاعة يقول د. سعيد بن سالم الدرمكي نزيد به على ما أورده الشيخ العثيمين رحمه الله : الشفاعة :

أولا : الشفاعة ملك خالص لله تعالى، قال الله سبحانه وتعالى سبحانه تعالى : (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ، قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٤٣))[٤] ، قال ابن كثير في التفسير يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا لِلْمُشْرِكِينَ فِي اتِّخَاذِهِمْ شُفَعَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهُمُ الْأَصْنَامُ وَالْأَنْدَادُ، الَّتِي اتَّخَذُوهَا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا بُرْهَانٍ حَدَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهِيَ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ، بَلْ وَلَيْسَ لَهَا عَقْلٌ تَعْقِلُ بِهِ، وَلَا سَمْعٌ تَسْمَعُ بِهِ، وَلَا بَصَرٌ تُبْصِرُ بِهِ، بَلْ هِيَ جَمَادَاتٌ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْحَيَوَانِ بِكَثِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ: قُلْ: أَيْ يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلَاءِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ مَا اتَّخَذُوهُ شُفَعَاءَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، أَخْبِرْهُمْ أَنَّ الشَّفَاعَةَ لَا تَنْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَاهُ وَأَذِنَ لَهُ، فَمَرْجِعُهَا كُلّهَا إِلَيْهِ[٥].

(١) سورة المدثر .
(٢) سورة يونس .
(٣) مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الحادي عشر - باب اليوم الآخر
(٤) سورة الزمر .
(٥) ابن كثير ، التفسير ، ج٧ ،ص ١٠٢ .

فإذا تقرر ذلك وأن الشفاعة منفية عن كل أحد سوى الله – تعالى – لأنه هو الذي يملك الشفاعة وحده ، بطل تعلق قلوب المشركين – الذين يسألون الموتى الشفاعة – بمسألة الشفاعة ؛ لأن الشفاعة ملك لله ، وهذا المدعو لا يملكها.

ثانيا: يشفع الشافعون يوم القيامة بعد إذن الله تعالى للشافع، ورضاه عن الشافع والمشفوع فيه.

أما دليل الإذن فقول الله سبحانه وتعالى : " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " وهذه الصيغة من صيغ العموم التي لم يخرج عنها أحد، حتى النبي صلى الله عليه وسلم ، ففي البخاري قال صلى الله عليه وسلم (فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ (لِي) فإذا رأيتُ ربي خررْتُ له ساجدًا فأحمدُ ربي بمحامدَ يفتحُها عليَّ لا أحسنُها الآن ، فيقولُ لي : أي محمدٍ ارفعْ رأسكَ وقلْ تُسمعْ وسلْ تُعطَه واشفعْ تُشفَّعَ)[1] ، وقول الله تعالى : (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩))[2].

أما دليل الرضى عن الشافع والمشفوع فيه فقوله تعالى : (وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(٢٨))[3] ، وقد جمعها الله في قوله : (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى(٢٦))[4].

وهنا فائدة ذكرها الشيخ محمد بن صالح العثمين رحمه الله عن الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال في شرح العقيدة الواسطية : (لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم)[5].

للنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات:

١- الشفاعة العظمى، دل عليها ما رواه البخاري من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا – صلى الله عليه وسلم – فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ ، وَقَدْ غَفَرَ

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٢ ، ص ٣٧٧ .
(٢) سورة طه .
(٣) سورة الأنبياء .
(٤) سورة النجم .
(٥) ابن عثيمين ، شرح العقيدة الواسطية ، ج٢ ، ص ١٦٨ .

اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِى تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّى عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَىَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ..)[1]"

٢ – والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة، وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط؛ وقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي كان في عَرَصات القيامة، بل هو قصاص أخص، يطهر الله فيه القلوب، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن؛ فإذا هُذِّبوا ونُقّوا؛ أُذن لهم في دخول الجنة، ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة؛ لا يجدونها مفتوحة كما يجد ذلك أهل النار؛ فلا تفتح الأبواب، حتى يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة أن يدخلوها ، وهاتان الشفاعتان خاصتان بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وهناك أيضًا شفاعة ثالثة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لا تكون لغيره، وهي الشفاعة في عمه أبي طالب.

٣ – والشفاعة فيمن استحق النار من عصاة المؤمنين ودخلها بأن يخرج منها.

الشفاعة يوم القيامة ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بالأنبياء؛ بل تَشفع الملائكة ويَشفع المؤمنون بدرجاتهم: (العلماء والشهداء والصالحون يشفعون)؛ كما ثبت في الصحيح أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة (ثُمَّ يقولُ اللهُ: شَفَعَتِ الملائكةُ، وشَفَعَ الأنبياءُ، وشَفَعَ المؤمِنونَ، وبَقِيَ أرحَمُ الرَّاحِمينَ، قال: فيَقبِضُ قَبْضةً مِنَ النَّارِ -أو قال: قَبضَتَينِ- ناسٌ لم يَعمَلوا للهِ خَيرًا قَطُّ)[2].

مسألة : هل يوجد من يشفع ولا تقبل شفاعته ؟

الجواب نعم ، ومن ذلك ما ورد عن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عَنِ النَّبِيِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)
(٢) خرجه مسلم (١٨٥)، وابن ماجه (٤٣٠٩) بنحوه مختصراً، وأحمد (١١٨٩٨) واللفظ له

أَبَاهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَيَقُولُ اللَّهُ إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ)[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَة، وَعَلَى وَجْه آزَرَ قَتَرَة وَغَبَرَة، فَيَقُول لَهُ إِبْرَاهِيم: أَلَمْ أَقُلْ لَك لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُول أَبُوهُ: فَالْيَوْم لَا أَعْصِيك، فَيَقُول إِبْرَاهِيم: يَا رَبِّ إِنَّك وَعَدْتنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيّ خِزْي أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَد، فَيَقُول اللَّه: إِنِّي حَرَّمْت الْجَنَّة عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَال: يَا إِبْرَاهِيم مَا تَحْتَ رِجْلَيْك؟ أُنْظُرْ، فَيَنْظُر فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُتَلَطِّخ، فَيُؤْخَذ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّار)[2] ، فهذا لما مات مشركًا لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره عند الله سبحانه وتعالى ، و إذن تقرر أن الشفاعة لا يملكها أحد من المخلوقين، وإنما هي حق لله تعالى، فإنها تطلب من الله ولا تطلب من المخلوق.

مسألة : ما حكم طلب الشفاعة من المخلوقين ؟

أولا : طلب الشفاعة من الأحياء : الحيّ الحاضر الذي يسمع يجوز أن يستشفع وذلك بطلب الدعاء منه ، ولهذا سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لهم في حياته صلى الله عليه وسلم لأنه حي حاضر يسمع ، وقد ثبت في الصحيح أن عمر رضي الله عنه لما جاءت المجاعة وأصاب الناس الكرب في عام الرّمادة أنه قال لما استسقى بالناس(للَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَتَسْقِينَا، وإنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فيُسْقَوْنَ.)[3] ، فدل هذا على أنهم كانوا يطلبون الشفاعة من النّبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيا : طلب الشفاعة من الأموات .

وهذا الطلب محرم، وهو ما كان عليه أهل الشرك، فإنهم كانوا يقولون: ما دعوناهم — أي الأصنام – وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، قال الله سبحانه وتعالى : (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ**

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧٦٩ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٣٧٠ .
(٣) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧١٠ .

هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ(٣))[1]، وقال سبحانه : (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهَّ(١٨))[2].

فإذا علمنا أن الشفاعة حق خالص لله تعالى لا يعطيه الله لأحد من خلقه إلا بشروط أهمها : الإذن والرضى، علمنا خطأ من طلب الشفاعة من ميت بسبب جاهه وسلطانه عند الله سبحانه .

وسبب وقوعهم في هذه الشبهة :

أنهم اعتقدوا أن الشفاعة عند الله من جنس شفاعة الناس بعضهم لبعض، والصحيح خلاف ذلك ، فالشفاعة عند الله تكون في مقام الافتقار وليست في مقام الوجاهة، فالعبد إذا شفع عند الله فإنما يشفع وهو عبد ذليل مفتقر إلى الله .

والشفاعة عند أهل الدنيا تكون لمن له جاه وعز عند المشفوع عنده ، والمشفوع عنده يجيب شفاعة هذا الشافع لما يرجوه عنده من إجابة شفاعته في يوم ما، فالمشفوع عنده له فضل على الشافع يرجوه في يوم ما ، أما الشفاعة عند الله فهي ليست من هذا القبيل، بل هي إكرام من الله لمن شاء من عباده أن يكون شفيعا ثم يكرم من شاء من عباده أن يؤذن له في الشفاعة، فالفضل فيها لله ابتداء وانتهاء .

وللرد عليهم يقال :

أولا : الشفاعة يوم القيامة لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى " قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا " فلا تطلب إلا من الله .

ثانيا : الشفاعة لكي تمنح من الله للعبد لها شرطان : الإذن من الله للشافع بأن يشفع، ورضى الله عن الشافع والمشفع فيه، فهل تعلم أن الله أذن لمن سألته في الشفاعة ؟ الجواب لا ، فإن أذن له فهل تعلم أن الله رضي له في أن يشفع لك، وهل الله رضي عنك ليمكنه من الشفاعة فيك ؟ الجواب لا .

---

(١) سورة الزمر .
(٢) سورة يونس .

قال تعالى : (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ... (٢٣))[١] ، إذا اطلب الشفاعة من مالكها وليس ممن لا يملكها .

سابعا : قالت المعتزلة والخوارج : الشفاعة لأهل الكبائر لا تنفع، ولا لمن في النار لقول الله : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)) ، ووجه الاستدلال عندهم من الآية أنَّهُ قال : (شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) بالجمع، فدلت الآية على أنَّ من في النار لا تنفعه الشفاعة لأجل عموم لفظ الشافعين فهو عام في كل من يشفع.

والرد عليهم من وجوه :

الأول :أنَّ هذه الآية جاءت في سياق ذكر الكفار وأنهم في النار، فقال سبحانه وتعالى : (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ(٤٨)) فقوله (فَمَا) الفاء هنا ترتيبية تُرَتِّبُ النتيجة التي بعدها على الوصف الذي قبلها، والوصف الذي قبلها في الكافرين الذين وصفهم بقوله :(لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ(٤٤)) ووصفهم بقوله (وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ(٤٦)) وهؤلاء هم الكفار ، والمسألة التي هي الشفاعة لأهل الكبائر هي في مَنْ كان مسلماً، أما المكذّب بيوم الدين والذي لم يصحَّ إسلامُه فإنه ليس هو محل البحث.

الثاني : أنَّ قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه أبوداود، نص لا يحتمل التأويل، وكذلك قوله (أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ)[٤]، هذا فيه ظهور في الدلالة؛ لأنها تعم من

---

(١) سورة سبأ .
(٢) سورة المدثر .
(٣) سورة المدثر .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٥٧٠ .

قال لا إله إلا الله مخلصاً وصاحب الكبيرة قالها ، هذا اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب الشفاعة، والله أسال الإعانة والتوفيق، والحمد لله رب العالمين[1] .

يقول الشيخ صلاح نجيب الدق :

الشفاعة نوعان: شفاعة في الدنيا وشفاعة في الآخرة، وسوف نتحدث كل منهما:

الشفاعة في الدنيا:

الشفاعة في الدنيا منها ما هو مشروع ومنها ما هو غير مشروع؛ قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا(٨٥))[2] .

والشفاعة المشروعة هي التي يترتَّب عليها قضاء حوائج الناس المشروعة، فقد روى الشيخانِ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ)[3].

وروى البخاريُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِعبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا»، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ رَاجَعْتِهِ»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ)[4].

س١١٤: لماذا ضرب الله الأمثال كثيرا للناس في القرآن الكريم ؟.

ج١١٤ : قال الله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ(٤٣))[5].

---

(١) شبكة بينونة للعلوم الشرعية ، في يوم الجمعة، ٢٠٢٠/١١/٠٦
(٢) سورة النساء .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ١٤٣٢ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٦٢٧ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٢٨٣ .
(٥) سورة العنكبوت .

والأمثال: جمع مثل، والمثِل والمثيل: كالشَّبه والشِّبه والشبيه لفظًا ومعنى. والتمثيل يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيه المعقول بالمحسوس وقياس النظير على النظير. ويرى العلماء: أنَّه لا بد أن "تجتمعَ في المثلِ أربعة لا تجتمعُ في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة". ولا شكَّ عند كثير من الباحثين أنَّ الكلام: "إذا جعل مثلاً كان أوضحَ للمنطقِ وأنق للسمع، وأوسع لشعوبِ الحديث". تنقسم الأمثال إلى قسمين:

الأول : المثل الصريح : هو الظاهر والمصرح به مثل قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(١٧))[١] ، فلا يحتاج إلى دليل، كفى بلفظه الصريح دليلا.

الثاني : الكامن: وهو الذي لا يذكر في النص لفظ المثل وإنما يكون حكمه حكم الأمثال، كقوله تعالى: (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠٩))[٢] ، فالمثل هنا يؤخذ من مكنون النص ودلالاته. المجالات التي تناولتها الأمثال القرآنية كثيرة نذكر أبرزها وأهمها وهي:

١- بينت الإيمان ومثلت له .
٢- كشفت الكفر وردت شبهه.
٣- فضحت النفاق .
٤- نادت بالخير وردت الشر.
٥- صورت الخبيث والطيب.
٦- ميزت الصالح عن الطالح.

إن أمثال القرآن لها بلاغة خاصة لا يدركها إلا العارف بأسرار اللغة العربية، وفي القرآن الكريم

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة التوبة

من صريح الأمثال واحد وأربعون مَثلاً:

١- (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(١٧)).سورة البقرة .

٢- (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ.. (١٩)) ، سورة البقرة .

٣- (أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا... (٢٦))، سورة البقرة .

٤- (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ....(١٧١))، سورة البقرة .

٥- (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ.. (٢٦١))، سورة البقرة .

٦- (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ.. (٢٦٤))، سورة البقرة .

٧- (وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ... (٢٦٥))، سورة البقرة .

٨- (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ...(٢٦٦))، سورة البقرة .

٩- (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ... (٢٧٥))، سورة البقرة .

١٠- (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ.. (١٠٣)) ، سورة آل عمران .

١١- (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ......(١١٧)) ، سورة آل عمران .

١٢- (كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ...(٧١)) ، سورة الأنعام .

١٣- (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ... (١٧٦))، سورة

١٤- (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ(٢٤)) ، سورة يونس .

١٥- (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ...(٢٤)) ، سورة هود .

١٦- (كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ....(١٤)) ، سورة الرعد .

١٧- (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا....(١٧)) ، سورة الرعد .

١٨- (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ.. (١٨)) ، سورة إبراهيم .

١٩- (كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ... (٢٤)) ، سورة إبراهيم .

٢٠- (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ...(٢٦)) ، سورة إبراهيم .

٢١- (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا ....(٧٥))، سورة النحل .

٢٢- (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ... (٧٦))، سورة النحل .

٢٣- (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً.... (١١٢)) ، سورة الكهف .

٢٤- (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ... (٣٢)) ، سورة الكهف ..

٢٥- (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..... (٤٥)) ، سورة الكهف .

٢٦- (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ .... (٣١)) ، سورة الحج .

٢٧- (ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. (٧٣)) ، سورة الحج .

٢٨- (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ..... (٣٥)) ، سورة النور

٢٩- (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ.... (٣٩))، سورة النور .

٣٠- (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ...(٤٠)) ،سورة النور .

٣١- (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ... (٤١)) ، سورة العنكبوت.

٣٢- (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... (٢٨)) ، سورة الروم .

٣٣- (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا .... (٢٩)) ، سورة الزمر .

٣٤- (نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ..... (٢٠)) ، سورة محمد .

٣٥- (ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ..... (٢٩)) ، سورة الفتح.

٣٦- (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ.....(٢٠)) ، سورة الحديد .

٣٧- (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ....(١٥)) ، سورة الحشر .

٣٨- (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ..... (١٦)) ، سورة الحشر .

٣٩- (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ...... (٥)) ، سورة التحريم:

٤٠- (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا..... (١٠)) ، سورة التحريم .

٤١- (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا.... (١١)) ، سورة التحريم .

ومن دلائل رحمة الله عز وجل وحبه وتودده لعباده ضرب الأمثال فهو المتعالي والغني عنهم إلا أنه ضرب الأمثال لسهولة الفهم والإدراك ولسهولة الوصول إليه حتى لا يكون لأحد حجة يوم القيامة فكل الدلائل العقلية والكونية والأدبية تشير بنفس واحد لا آله إلا الله[1] .

يقول الشيخ المنجد : (قال الشيخ الشنقيطي رحمة الله تعالى عليه في تفسير قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤))[2] .

وفي هذه الأمثال وأشباهها في القرآن عبر ومواعظ وزواجر عظيمةٌ جدّاً ، لا لبس في الحق معها ، إلا أنها لا يعقل معانيها إلا أهلُ العلم كما قال تعالى : (تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ (٤٣))[3] ، ومن حِكَم ضرب المثل : أن يتذكر الناس ، كما قال تعالى : (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١))[4]، وقد بين في مواضع أخر أن الأمثال مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قوماً ، ويضل بها قوماً آخرين ، كما في

---

(١) عماد الدين فضلون المصدر: طريق الاسلام.
(٢) سورة الكهف .
(٣) سورة العنكبوت .
(٤) سورة الحشر .

قوله تعالى: (إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهَّ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهَّ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهَّ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩))[١]، ولا شك أن الذين استجابوا لربهم هم العقلاء الذين عقلوا معنى الأمثال ، وانتفعوا بما تضمنت من بيان الحق ، وأن الذين لم يستجيبوا له هم الذين لم يعقلوها ، ولم يعرفوا ما أوضحه من الحقائق :

فالفريق الأول : هم الذين قال الله فيهم : (وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) .

والفريق الثاني : هم الذين قال فيهم :((يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا) ، وقال فيهم : (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ))[٢].

سبب نزول الآية:

ذُكر أنَّ سببَ نزولِ هذِهِ الآيةِ أنَّ المشركين اعترضُوا، فقالوا: كيف يضرب اللهُ المثلَ بالذُّبابِ والعنكبوتِ، في قولِهِ تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهَّ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ... (٧٣))[٣] قالوا: الذباب يذكره الله في مقام المحاجة؟! فبيَّن الله عزّ وجلّ أنه لا يستحيي من الحق، حتى وإنْ ضُرِبَ المثلُ بالبعوضةِ فَمَا فوقها.

بعض الفوائد المستفادة من الآيات:

١- إثبات صفة الحياء لله عزّ وجلّ؛: (إِنَّ اللهَّ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا).

---

(١) سورة البقرة .
(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٢٢٢٩٨ ، تاريخ النشر ٩ / ١٠ / ٢٠٠١ م.
(٣) سورة الحج .

٢- ووجه الدلالة: أن نفي الاستحياء عن الله في هذه الحال، دليل على ثبوته فيما يقابلها؛ وقد جاء ذلك صريحاً في السنة؛ كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن ربكم حييّ كريم يستحيي من عبده، إذا رفع يديه إليه أن يردهما صِفراً)) [(١)]، ولكنه حياءٌ ليس كحياء المخلوق؛ كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(١١)) [(٢)].

٣- أنه لا ينبغي أن يمنع من فعل المعروف وقوله والأمر به [(٣)].

٤- أن الله تعالى يضرب الأمثال؛ لأن الأمثال أمور محسوسة يُستدلُّ بها على الأمورِ المعقولةِ؛ انظر إلى قوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِّ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا)، وهذا البيت لا يقيها من حَرّ، ولا برد، ولا مطر، ولا رياح (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ(٤١)) [(٤)] وغير ذلك من الأمثلة.

٥- أن البعوضة من أحقر المخلوقات؛ لقوله تعالى: (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) ومع كونها من أحقر المخلوقات فإنها تقض مضاجع الجبابرة؛ وربما لو سُلطت على الإنسان لأهلكته، وهي حشرة صغيرة مهينة.

٦- أن القياس حجة؛ لأن كل مثل ضربه الله في القرآن، فهو دليل على ثبوت القياس.

٧- فضيلة الإيمان، وأن المؤمن لا يمكن أن يعارض ما أنزل الله عزّ وجلّ بعقله؛ لقوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ) ولا يعترضون، ولا يقولون: لِمَ؟ وكيف؟، وإنما يقولون: سمعنا، وأطعنا، وصدقنا؛ لأنهم يؤمنون بأنَّ الله عزّ وجلّ له الحكمة البالغة فيما شرع، وفيما قدر.

٨- إثبات الربوبية الخاصة؛ لقوله تعالى:(مِن رَّبِّهِمْ)؛ وذلك أنَّ ربوبية الله تعالى تنقسم

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٩٦).
(٢) سورة الشورى .
(٣) أيسر التفاسير (١/ ٣٨).
(٤) سورة العنكبوت .

إلى قسمين: عامة وخاصة؛ فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق، وتقتضي التصرف المطلق في العباد. والخاصة هي التي تختص بمن أُضيفت له، وتقتضي عناية خاصة؛ وقد اجتمعتا في قوله تعالى: (قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ(١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(١٢٢))[1] فالأولى ربوبية عامة، والثانية خاصة بموسى وهارون.

٩- أنَّ الكافرين ديدنهم الاعتراضُ على حُكْمِ اللهِ، وعلى حِكْمَةِ اللهِ؛ لقوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا) فكل من اعترض ولو على جزء من الشريعة ففيه شبه بالكفار. إلا أن يقول ذلك على سبيل الاسترشاد، والاطلاع على الحكمة؛ فهذا لا بأس به.

١٠- أن لفظ الكثير لا يدل على الأكثر؛ لقوله تعالى: (يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) فلو أخذنا بظاهر الآية لكان الضالون، والمهتدون سواءً؛ وليس كذلك؛ لأن الواقعَ يشهدُ بخلافِ ذلكَ.

١١- أن إضلال مَن ضَلَّ ليس لمجرَّدِ المشيئة؛ بل لوجود العلة التي كانت سبباً في إضلال الله العبد؛ لقوله تعالى: (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)، وهذا كقوله تعالى: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥))[2].

١٢- أن نقض عهد الله من الفسق؛ لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ) فإذا رأيت شخصاً فرط في واجب، أو فعل محرماً؛ فإنه بذلك قد نقض العهد من بعد الميثاق.

١٣- التحذير من قطع ما أمر الله به أن يوصل من الأرحام؛ لأن الله ذكر ذلك في مقام الذم؛ وقطع الأرحام من كبائر الذنوب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل

---

(١) سورة الأعراف.
(٢) سورة الصف.

الجنة قاطع)[1] ، يعني قاطع رحم.

١٤- منَّة الله تعالى على عباده بأن خلق لهم ما في الأرض جميعاً، ولكن للعجب أنَّ من الناس من سخر نفسه لما سخره الله له؛ فخدم الدنيا، ولم تخدمه؛ وصار أكبر همه من الدنيا، جمع المال، وتحصيل الجاه، وما أشبه ذلك[3] .

س١١٥: لماذا نهى الإسلام عن الإفساد في الأرض ، وما أشكال هذا الإفساد ؟.

ج١١٥ :يقول الدكتور طه فارس : (الفساد في اللغة: ضدُّ الصلاح، وهو مصدر فَسَدَ يَفْسُدُ ويَفْسِدُ فَسَادًا وفُسُودًا، وهو فاسِدٌ وفَسِيْدٌ، وقوم فَسْدَى، وفَسُدَ الشيء فهو فسيد، والاسْتِفْسَادُ: خلاف الاستصلاح، والمفْسَدَة: خِلاف المصلحة، وتَفَاسَدَ القومُ تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام[2].

والفساد في الاصطلاح: خروج الشيء عن الاعتدال، قليلًا كان الخروج أو كثيراً، ويستعمل ذلك في النفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة[3].

قال ابن الجوزي: (الفساد: تغيُّر عمَّا كان عليه من الصَّلاح، وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته، ويقال فيه مع انتقاضها، ويقال فيه إذا بطل وزال، ويُذكر الفساد في الدِّين كما يذكر في الذَّات، فتارةً يكون بالعِصيان، وتارة بالكفر، ويُقال في الأقوال إذا كانت غير منتظمة، وفي الأفعال إذا لم يعتدَّ بها)[4].

قال الجُرجاني: (الفساد زوال الصورة عن المادة بعد أن كانت حاصلة، وعند الفقهاء: ما كان مشروعاً بأصله، غير مشروع بوصفه، وهو مرادف للبطلان عند الشافعي)[5] ، وقال المناوي: «الفساد هو انتقاص صورة الشيء».. وفساد الوضع: أن لا يكون الدليل على الهيئة الصالحة لاعتباره في ترتيب الحكم، وفساد الاعتبار: أن يخالف الدليل نصًا أو إجماعًا وهو أعم

---

(١) رواه البخاري (٥٦٣٨)، ومسلم (٢٥٥٦).
(٢) ابن عثيمين ، التفسير ، ج١ ، ص ١٠٣ – ١١٠ .
(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤: ٥٠٣، الصحاح ٢: ٤٤، المفردات للراغب ٢: ١٩٢، لسان العرب ٣: ٣٣٥ مادة فسد، التوقيف للمناوي ص٥٥٦.
(٤) انظر: المفردات للراغب ٢: ١٩٢، بصائر ذوي التمييز ٤: ١٩٢، التوقيف للمناوي ص٥٥٦.
(٥) نزهة الأعين النواظر ص٤٦٩.
(٦) انظر: التعريفات ص٢١٤.

من فساد الوضع)[1].

والفساد أعمُّ منَ الظلم؛ لأنَّ الظلم نقص، أما الفساد فيقع عليه وعلى الابتداع واللهو واللعب[2].

وأمَّا الإفساد: فهو جعل الشيء فاسدًا خارجًا عمَّا ينبغي أن يكون عليه، وعن كونه مُنتفعًا به، والإفساد في الحقيقة: إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح[3].

وقد أخبر الله تعالى عن عدم محبته للفساد والفاسدين وعدم رضاه عنهم في مواضع من كتابه فقال: (وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(٢٠٥))[4] وقال تعالى: (وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٦٤))[5] وقال تعالى: (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧))[6] .

دلالة ألفاظ الفساد في القرآن:

المتتبع لألفاظ الكتاب والسنة يجد أن لفظي الفساد والإفساد استعملا للدلالة على المعنى العام لهما، كما استعملا للدلالة على جانب من معناهما، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً: الكفر بالله سبحانه تعالى:

من ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ(٢٧))[7] فإفسادهم في الأرض ب:

١- باستدعائهم إلى الكفر.

٢- والترغيب فيه.

٣- وحمل الناس عليه.

٤- وتعويقهم وصدّهم للنَّاس عن الإيمان.

---

(١) انظر: التوقيف للمناوي ص٥٥٦.
(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء ص١٠٩٧.
(٣) انظر: الكليات لأبي البقاء ص٢٢٠.
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة المائدة .
(٦) سورة القصص .
(٧) سورة البقرة .

٥- والاستهزاء بالحقِّ.

٦- وقطع الوُصل التي بها نظام العالم وصلاحه[1].

ومن ذلك قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ(٤٠))[2] ، أي: من هؤلاء الذين بُعثتَ إليهم يا محمد من يؤمن بهذا القرآن، ويتَّبعُك وينتفع بما أُرسلت به، (وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ) بل يموت على ذلك ويبعث عليه، (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) أي: المكذِّبين المصرِّين على كفرهم، ولفظ الآية يشمل جميع أهل الكفر[3] ، ومنه قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٨))[4] ، أي: بالكفر والظلم،)بعد إصلاحها(بإقامة الشرائع وظهور العدل، فلفظ الفساد هنا يعمُّ دقيق الفساد وجليله[5] ، إلا أن قوله تعالى: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يرشح أن يكون أبرز جانب من جوانب فسادهم هو الكفر بالله سبحانه وتعالى.

ثانياً: النِّفَاق:

ومن ذلك قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ(١١)أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ(١٢))[6]، فالآيتان وردتا في سياق ذكر المنافقين، وأنَّ من صفاتهم وأخلاقهم إذا قال لهم أهل الإيمان: (لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ) بالمعاصي والتعويق عن الإيمان، وإغراء أهل الكفر والطغيان على أهل الإسلام والإيمان، وتهييج الحروب والفتن، وإظهار الهرج والمرج والمحن، وإفشاء أسرار المسلمين إلى أعدائهم الكافرين، **(قَالُوا)** في جوابهم الفاسد: (إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) في ذلك، فلا تصحُّ مخاطبتنا بذلك، فإن

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية ١: ٩٩، تفسير القرطبي ١: ٢٤٧، تفسير البيضاوي ١: ٢٦٧، تفسير أبي حيان ١: ٢٧٤، تفسير ابن عجيبة ١: ٦٦.
(٢) سورة يونس
(٣) انظر: تفسير الطبري ١٥: ٩٤، تفسير القرطبي ٨: ٣٤٥، تفسير ابن كثير ٤: ٢٧٠.
(٤) سورة الأعراف .
(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧: ٢٤٨، البحر المحيط لأبي حيان ٤: ٣٤٠، البحر المديد ٢: ٥١٥.
(٦) سورة البقرة .

من شأننا الإصلاح والإرشاد، وحالنا خالص من شوائب الفساد، فردّ الله عليهم ما ادَّعوه من الانتظام في سلك المصلحين بأبلغ ردّ، من وجوه الاستئناف الذي في الجملة، والاستفتاح بالتنبيه، والتأكيد بإن وضمير الفعل، وتعريف الخبر، والتعبير بنفي الشعور، إذ لو شعروا أدنى شعور لتحقَّقوا أنهم مفسدون[(١)].

ثالثاً: المعاصي:

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦))[(٢)] ، أي: لا تفسدوا في الأرض بالمعاصي الموجبة لفساد العالم بالقحط والفتن، بعد إصلاحها بالخصب والأمان، بما يحقِّق منافع الخلق ومصالح المكلَّفين، فالنهي هنا عامّ يشمل كلَّ فساد قلَّ أو كَثُر، ومن أنواعه: إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان[(٣)].

ويُؤخذ من الآية: أن إقامة الشرائع وظهور الدِّين من علامة إصلاح الأرض وبهجتها وخصبها وعافيتها، وترك الشرائع وظهور المعاصي من علامة فساد الأرض وخرابها[(٤)].

ومنه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ(٢٥))[(٥)] ، وإفسادهم في الأرض: عملهم بمعاصي الله، وتهييج الفتن[(٦)].

ومنه قوله تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(٨٣))[(٧)] أي: عملاً بالمعاصي، أو ظُلماً على النَّاس، أو أخذاً للمال بغير حقٍّ، ولم يعلق الله الوعد بترك العلو والفساد ، ولكن بترك إرادتهما وميل القلب

---

(١) انظر: البحر المديد لابن عجيبة ١: ٥١.
(٢) سورة الأعراف
(٣) انظر: تفسير البغوي ٣: ٢٣٨، تفسير ابن عطية ٢: ٢٧٧، تفسير القرطبي ٧: ٢٢٦، تفسير أبي حيان ٤: ٣١٣، تفسير ابن عجيبة ٢: ٤٩٩.
(٤) [انظر: البحر المديد ٢: ٥١٨.
(٥) سورة الرعد
(٦) انظر: تفسير الطبري ١٦: ٤٢٨، تفسير البغوي ٤: ٣١٤، تفسير البيضاوي ٣: ٣٢٨.
(٧) سورة القصص .

إليهما[١] ، وهو أبلغ في النَّهي عن الفساد والردع عنه.

رابعاً: خراب العالم وفساد نظامه:

ومن ذلك قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ(٢٢))[٢] ، أي: لو تعدَّدت الآلهة لكان بينهما التنازع والتغالب، ممَّا يؤدي إلى فساد نظام العالم، وفساد السماء والأرض: هو خرابهما وهلاك من فيهما، وذلك بسبب وقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء، فيبغي بعضُهم على بعض، ويذهبُ كلُّ إله بما خلق، واقتضاب القول في هذا: أنَّ الإلهين لو فُرضا فوقع بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه، فمُحال أن تتم الإرادتان، كما هو مُحالٌ أن لا تتم جميعًا، وإذا تمَّت إحدى الإرادتين كان صاحب الأخرى عاجزًا، وهذا ليس بإله، وجواز الاختلاف عليهما بمنزلة وقوعه منهما[٣]، ومنه قوله تعالى: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ(٣٤))[٤] ، أي: إن الملوك إذا دخلوا قرية عنْوَة بالقهر خَرَّبوها وأذلُّوا أعزتها وأهانوهم غاية الهوان، إمَّا بالقتل أو بالأسر[٥].

خامساً: المنكر:

ومن ذلك قوله تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ.. (١١٦))[٦] ، أي: فهلا وُجِدَ فيمن كان قبلكم من القرون من فيه بقية من العقل والحزم والثبوت والدِّين، ينكرون على أهل الفساد فسادهم، (إِلاَّ قَلِيلاً) أي: لكن قليلاً (مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) نَهَوا عن الفساد في الأرض[٧].

---

(١) تفسير البغوي ٦: ٢٢٦، تفسير القرطبي ١٣: ٣٢٠، تفسير البيضاوي ٤: ٣٠٥، البحر المديد ٥: ٤٤٥.
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) المحرر الوجيز ٤: ٩٥، الجامع لأحكام القرآن ١١: ٢٧٩، البحر المديد ٤: ٤٩٩، روح المعاني ١٧: ٢٥، التحرير والتنوير ١٧: ٣٩.
(٤) سورة النمل .
(٥) تفسير البغوي ٦: ١٦٠، تفسير الرازي ٢٤: ١٦٨، تفسير ابن كثير ٦: ١٩٠.
(٦) سورة هود .
(٧) : تفسير الطبري ١٥: ٥٢٧، تفسير القرطبي ٩: ١١٣، تفسير ابن عجيبة ٣: ٣٤٤.

سادسًا: الحِرَابة:

ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا....(٣٣))[1] ، وهو بيان للحِرابة، أي: ويسعون بحرابتهم مفسدين، وهي على درجات؛ أدناها: إخافة الطريق، ثمَّ أخذ الأموال، ثمَّ قتل الأنفس[2].

سابعاً: إثارة الفتن والحروب:

ومن ذلك قوله تعالى في اليهود: (...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٦٤))[3] ، أي: يسعون في الأرض مفسدين أو للفساد، وذلك بإثارة الحروب والفتن، وهتك المحارم واستحلالها، وسفك الدِّماء، والكيد للمسلمين وخداعهم ، (والله لا يحبُّ المفسدين) أي: لا يرضى فعلهم، فلا يجازيهم على إفسادهم إلَّا شرًّا وعقوبة، ونفي المحبَّة: كناية عن كونه لا يعود عليهم بفضله وإحسانه، ولا يثيبهم، وإذا لم يثبهم فهو معاقبهم[4].

ثامناً: الوِلاية والحُكم:

ومن ذلك قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ(٢٢))[5] ، أي: فهل يتوقع منكم إن توليتم أمورَ النَّاس وتأمَّرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام، إلَّا الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، تناحرًا على الولاية وتجاذبًا لها، أو رجوعًا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب[6].

تاسعًا: السّحر:

---

(١) سورة المائدة .
(٢) تفسير ابن عطية ٢: ٢١٥، تفسير ابن عجيبة ٢: ٢٤١.
(٣) سورة المائدة
(٤) تفسير الرزي ١٢: ٣٩، تفسير القرطبي ٦: ٢٤١، تفسير البيضاوي ٢: ٣٤٧، تفسير أبي حيان ٣: ٥٣٧، تفسير ابن عجيبة ٢: ٢٧٥.
(٥) سورة محمد .
(٦) انظر: تفسير الرازي ٢٨: ٥٥، تفسير البيضاوي ٥: ١٩٤.

ومن ذلك قوله تعالى: (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ(٨١))[١] فسحرهم هو من قبيل عمل المفسدين، وإضافة (عمل) إلى (المفسدين) يُؤذِن بأنَّه عمل فاسد، لأنه فعل مَنْ شأنُهم الإفساد، فيكون نسجاً على منوالهم، وسيرة على معتادهم، والله لا يؤيِّد هذا العمل الفاسد ولا يثبته ولا يقوِّيه[٢].

عاشراً: أكل أموال اليتامى ظلماً:

ومن ذلك قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ(٢٢٠))[٣]، أي: لا يخفى على الله من داخلهم بإفساد وإصلاح، فيجازي كلًّا على إصلاحه وإفساده، وفي الآية وعد للمصلحين ووعيد للمفسدين[٤].

حادي عشر: فاحشة قوم لوط:

ومن ذلك قوله تعالى مُخبرا عن نبيِّه لوط عليه السلام ودعائه على قومه: (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ(٣٠))[٥] ، وذلك لمَّا يئس من استجابتهم، بعد أن أنكر عليهم سُوء صنيعهم، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال، في إتيانهم الذُّكران من العَالَمين، ولم يسبقهم إلى هذه الفِعْلة أحدٌ من بني آدم قبلهم، مع كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لرسوله، وعملهم للمُنكَرات[٦].

ثاني عشر: الظُّلم والجَور والتَّفريط بالحقوق:

ومن ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ(١٢))[٧] ، (طَغَوْا) أي: تمرَّدُوا وعتوا وتجاوزوا القدر في الظُّلم والعُدوان، (فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) أي: الجور والأذى وإضاعة حقوق النَّاس، لأنَّ الطغيان يُجرِّىء صاحبه على دحض حقوق النَّاس، فهو

---

(١) سورة يونس .
(٢) تفسير القرطبي ٨: ٣٦٨، تفسير البيضاوي ٣: ٢١١، تفسير الطاهر بن عاشور ١١: ٢٥٦.
(٣) سورة البقرة .
(٤) تفسير الطبري ٤: ٣٥٧، تفسير الزمخشري ١: ٢٩١، تفسير القرطبي ٣: ٦٦، تفسير البيضاوي ١: ٥٠٦.
(٥) سورة العنكبوت .
(٦) : تفسير ابن كثير ٦: ٢٧٦، تفسير الشوكاني ٥: ٣٧١.
(٧) سورة الفجر

من جهة يكون قدوة سُوءٍ لأمثاله ومَلئِهِ، فكلٌّ واحد منهم يطغى على من هو دونه، وذلك فساد عظيم، لأنَّ به اختلالَ الشرائع الإلهيّة والقوانين الوضعية الصالحة، وهو من جهة أخرى: يثير الحفائظ والضغائن في المطْغيّ عليه من الرعيَّة، فيُضمرون السوء للطَّاغين، وتنطوي أنفسهم على كراهيتهم[١] .

ثالث عشر: تَسَلُّط الكفارِ على المؤمنين واستحلالهم للحُرُمَات:

ومن ذلك قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ(٧٣))[٢] ، أي: إلَّا تفعلوا ما أُمِرتم به من مُوالاة المؤمنين ونصرتهم، أو نصرةِ من استنصر بكم ممَّن لم يهاجر، (تكن فتنةٌ في الأرضِ) وذلك باستيلاء المشركين على المؤمنين، (وفسادٌ كبير) وذلك باستحلال المشركين أموالَ المؤمنين وفروجهم[٣].

رابع عشر: السَّرِقة:

ومن ذلك قوله تعالى: (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ(٧٣))[٣] ، فقد أكَّد إخوة يوسف عليه السلام براءتهم من السرقة بالقَسَم، واستشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم من السرقة لما عَرَفُوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك[٤] ، وقد نَفَوا عن أنفسهم الاتّصاف بالسرقة بأبلغ ممَّا نَفَوا به الإفساد عنهم، وذلك بنفي الكون سارقين دون أن يقولوا: وما جئنا لنَسْرِق[٥].

قال الرازي: حلفوا على أمرين: أحدهما: أنهم ما جاؤوا لأجل الفساد في الأرض، لأنَّه ظهر من أحوالهم امتناعهم من التَّصرف في أموال الناس بالكليَّة، لا بالأكل ولا بإرسال الدوابّ في مزارع الناس، والثاني: أنهم ما كانوا سارقين، وقد حصل لهم فيه شاهد قاطع وهو أنَّهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر ولم يستحلُّوا أخذها، والسَّارق

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ٢٠: ٤٩، تفسير الطاهر بن عاشور ٣٠: ٣٢١.
(٢) سورة الأنفال .
(٣) سورة يوسف
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨: ٥٨، البحر المديد ٣: ٦٩، التحرير والتنوير ١٠: ٨٨.
(٥) تفسير البغوي ٤: ٢٦١، تفسير البيضاوي ٣: ٣٠١.

لا يفعل ذلك البتة[1].

خامس عشر: فساد البيئة:

ومن ذلك قوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٤١))[2] ، وفساد البرّ: خرابه، وغور مياهه، وقلّة نباته، وقلة أمطاره، وكثرة السباع العادية والحشرات المؤذية فيه، وكثرة الحرق والغرق، ومحق البركات وكثرة المضار، أمَّا فساد البحر: فبكثرة الرياح القاصفة، وكثرة الغرق، وقلة السلامة، وانقطاع الصيد، وكلا الفسادين بشؤم ما كسبت أيدي الناس من المعاصي والذنوب[3].

سادس عشر: فساد نظام العالم:

ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ(٧١))[4] ، أي: لو عمل الربُّ تعالى بما يهوى هؤلاء المشركون، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم، وترك الحقَّ الذي هم له كارهون، لفسدت السموات والأرض ومن فيهنّ؛ وذلك أنَّهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق[5].

سابع عشر: النهي عن عموم الفساد:

من ذلك قوله تعالى: (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦))[6] ، فإنّ الكلام في الآيات السابقة لما أنبأ عن عناية الله بالمسلمين وتقريبه إيَّاهم، إذ أمرهم بأن يدعوه، وعرّض لهم بمحبّته إياهم دون أعدائهم المعتدين، أعقبه بما يحول بينهم وبين الإدلال على الله بالاسترسال فيما تُمليه عليهم شهواتهم

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨: ١٤٤.
(٢) سورة الروم .
(٣) درج الدرر ٢: ٤٣٨، المحرر الوجيز ٤: ٣٩٤، الجامع لأحكام القرآن ١٤: ٤١، أنوار التنزيل للبيضاوي ٤: ٣٣٨، البحر المديد ٥: ٥٢٨.
(٤) سورة المؤمنون ز
(٥) تفسير الطبري ١٩: ٥٧.
(٦) سورة الأعراف .

من ثوران القوتين: الشّهوية والغَضبيّة، فإنّهما تجنيان فساداً في الغالب، فذكَّرهم بترك الإفساد ليكون صلاحهم مُنزّهاً عن أن يخالطه فساد، فإنّهم إن أفسدوا في الأرض أفسدوا مخلوقات كثيرة، وأفسدوا أنفسهم في ضمن ذلك الإفساد[١].

فالآية نهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال ماهيته في الوجود، فيتعلق بجميع أنواعه: من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان، ومعنى ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، أي: بعد أنْ أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلّفين[٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(٩٤)﴾[٣] ، وإفسادهم في الأرض كان عامًّا، ومن صوره: القتل، والتَّخريب، وإتلاف الزرع، وغير ذلك[٤] ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(٤٨)﴾ [٥] أي: أنَّ إفساد هؤلاء الرهط من قوم ثمود كان إفساداً محضاً لا يخالطه شيء من الصلاح أصلاً[٦].

دلالة لفظ الفساد في السنَّة:

أولاً: القتل والتَّخريب في الغزو:

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «الْغَزْوُ غَزْوَانِ، فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ اللَّهِ وَأَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنُبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الْإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ[٧].

---

(١) التحرير والتنوير ٨: ١٧٣.
(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ٤: ٣١٣.
(٣) سورة الكهف
(٤) انظر: تفسير البغوي ٥: ٢٠٤، تفسير البيضاوي ٣: ٥٢٣، تفسير ابن عجيبة ٤: ٢٨٢.
(٥) سورة النمل
(٦) [٣٥] انظر: تفسير القرطبي ١٣: ٢١٥، تفسير ابن عجيبة ٥: ٣٤١.
(٧) أخرجه مالك في الموطأ برقم ٩٩٨، وأبو داود في الجهاد برقم ٢٥١٥، والنسائي في الجهاد برقم ٣١٨٨، والدارمي في الجهاد برقم ٢٤١٧، والطبراني في الكبير برقم ١٦٩٣٣، والحاكم في المستدرك ٢: ٩٤ برقم ٢٤٣٥ وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

والمراد من اجتناب الفساد في الحديث: عدم مجاوزة المشروع في القتل والأسر والنهب والتخريب[1].

ثانياً: إضاعة المال:

فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَنْفَقَت الْمَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ أَجْرَ بَعْضٍ شَيْئًا)[2] ، فإنفاق الزوجة من الأطعمة التي يجلبها زوجها قدراً تعلم رِضاه به في العادة من دون إسراف ولا تبذير ليس من الإفساد في شيء، بل يعود ذلك عليها وعلى زوجها بالأجر والثَّواب، أمَّا إن تجاوزت الحدَّ في الإنفاق من طعام بيتها فإنها تكون بذلك مُفْسدة آثمة[3].

ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: (أمسِكُوا عَلَيْكُم أَمْوَالَكُم ولا تُفْسِدُوْهَا..)[4] ، وفي الحديث: حضٌّ على المحافظة على المال وعدم إهداره من غير منفعة[5].

ثالثاً: عنوسة النِّسَاء وقِلَّة العِفَّة في الرِّجَال:

فعَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»، وَفِي رِوَايَةٍ: (عَرِيضٌ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: (إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ) قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[6] فحِرْصُ النَّاس على الدُّنيا وعدمُ تزويجهم لبناتهم

---

(١) انظر: شرح المشكاة للطيبي ٨: ٢٦٥٧، فيض القدير للمناوي ٤: ٤١١. قوله «ياسر الشريك» أي: ساهل الرفيق، واستعمل اليسر معه نفعًا بالمعونة وكفاية للمؤنة. وقوله: «لم يرجع بالكفاف» أي: لم يعد من الغزو رأسًا برأس، بحيث لا يكون له أجر ولا عليه وزر، بل وزره أكثر؛ لأنه لم يغز لله، وأفسد في الأرض.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة برقم ١٣٥٩، ومسلم في الزكاة برقم ١٠٢٤.

(٣) انظر: شرح المشكاة للطيبي ٥: ١٥٦٨، شرح مسلم للنووي ٧: ١١٣.

(٤) أخرجه مسلم برقم ١٦٢٥.

(٥) إكمال المعلم ٥: ٣٥٨.

(٦) أخرجه الترمذي برقم ١٠٨٥ وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه برقم ١٩٦٧، والطبراني في الكبير ٢٢: ٢٩٩ برقم ٨١٦١٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ١٣٢ برقم ١٣٤٨١.

إلَّا ممَّن يملك المال والجاه سيُبقِي كثيراً من النِّساء بلا أزواج، وكذلك الرِّجال بلا زوجات، مما يؤدِّي إلى انتشار المفاسد في المجتمع، ويكثر الافتتان بالزنى، ويلحق العار بالأولياء، فتهيج الفتن والفساد، ويترتَّب على ذلك قطع النَّسب وقلة الصلاح[1].

رابعاً: فساد الضمائر:

فعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (..أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)[2] ، فالإنسان هو القلب حقيقةً، فما اتَّصف به القَلبُ فاضت صفاتُه على الأعضاء[3] ، والقلب هو محلُّ الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب، وهو ملك الأعضاء وهي جنوده، وفساد القلب: ظلمته بالضلالة، مما ينتُج عنه فسادُ الجسد كلِّه بانبعاثه في القبائح[4].

خامساً: فساد العلاقات الاجتماعية وإفسادها:

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: (ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامَ وَالصلاة والصدقة؟»، قَالُوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: (إِصْلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ)[5] ، ففي الحديث حثٌّ وترغيب على إصلاح العلاقات الاجتماعية واجتناب الفساد فيها؛ لأنَّ الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدِّين، لذلك سمَّاها النبي صلى الله عليه وسلم الحالقة لأنَّها تستأصل أصلَ الدِّين الذي يدعو إلى الصَّلاح والإصلاح، فمن تعاطى إصلاحَ ذات البين ورفعَ فسادِها نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ما ينالها الصائمُ القائم المشتغل بخويصة نفسه[6].

---

(١) شرح المشكاة للطيبي ٧: ٢٢٦٣، تحفة الأحوذي ٤: ١٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان برقم ٥٢؛ ومسلم في المساقاة برقم ١٥٩٩، واللفظ له. عن النعمان بن بشيررضي الله عنه.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير ١: ٥٢٠.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير ٥: ٤٤٤.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص١٤٢ برقم ٣٩١، وأحمد في مسنده ٦: ٤٤٤ برقم ٢٧٥٤٨، وأبو داود برقم ٤٩١٩، والترمذي برقم ٢٥٠٩ وقال: حديث صحيح، وابن حبان في صحيحه ١١: ٤٨٩ برقم ٥٠٩٢.

(٦) شرح المشكاة للطيبي ١٠: ٣٢١٣ - ٣٢١٤.

ومِمَّا يُفسِد العلاقات الاجتماعية: السعيُ بالنَّميمة بين النَّاس، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ)[1] ، فإفسادهم بين الأحبَّة بما يسعون به بينهم من الفتن[2] ، من ذلك: النميمة، وهي نقل كلام النَّاس بعضِهم إلى بعض على جهة الإفساد[3] ، وقد سمَّاها النبيُّ صلى الله عليه وسلم أيضاً بالعِضَة[4] ، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم ما العِضَةُ؟ وإنَّ العِضَةَ هي النَّمِيْمَة، التي تُفْسِد بينَ النَّاسِ)[5].

سادساً: تغير أحوال الناس:

فعنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، أَوِ ابْن أَبِي الْمُغِيرَةِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يُصْلِحُونَ حِينَ يُفْسِدُ النَّاس)[6] وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ:(أناس صالحون في أناسِ سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم)[7].

عوامل الفساد والإفساد:

١- طاعة الشيطان واتباع وساوسه:

فقد أعلن الشيطان عداوته لبني آدم وأخذ على نفسه إفسادهم بالتزيين والإغواء والإغراء،

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ١١٩ برقم ٣٢٣، وأحمد في المسند ٦: ٤٥٩ برقم ٢٧٦٤٠، والطبراني في الكبير ٢٤: ١٦٧ برقم ٢٠٤٤٤، وذكره الهيثمي في المجمع ٨: ١٧٥ برقم ١٣١٣٨ وقال: رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح.

(٢) المناوي ، فيض القدير ٣: ٤٦٥.

(٣) شرح مسلم للنووي ١٦: ١٥٩.

(٤) جاء في لسان العرب ١٣: ٥١٥ مادة: عضه: العَضَهُ والعِضَهُ والعَضِيهةُ: هي الإِفْكُ والبُهْتانُ والنَّمِيمةُ وجمعُ العِضَهِ: عِضاهٌ وعِضاتٌ وعِضُون، والعَضْهُ: القالةُ القبيحة.

(٥) أخرجه الدارمي برقم ٢٧١٥، وأصله في مسلم برقم ٢٦٠٦ بلفظ: «ألا أنبئكم ما العِضَة ؟ هي النميمة القالة بين الناس».

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣: ٢٣٧ برقم ٢٣٥.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٢: ١٧٧ برقم ٦٦٥٠؛ وذكره الهيثمي في المجمع ٧: ٥٤٥ برقم ١٢١٩١ وقال: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف؛ وذكر الهيثمي في المجمع ٧: ٥٤٥ رواية عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الإيمان بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء، إذا فسد الناس...»، وقال: رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح. فالحديث بمجموع طرقه ورواياته حسن.

فأوقعهم في الفواحش والمنكرات إلَّا من عصم الله تعالى من عباده المخلَصين، وقد حذَّر الله عبادَه منِ اتِّبَاع الشيطان وطاعته، والوقوع في شباكه، فقال تعالى: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(١٦٩)﴾[١] ، وقال عزَّ من قائل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ(٢١)﴾[٢] ، فكلُّ معصية لله تعالى هي من خطوات الشيطان، لأنَّها عمل من أعماله وأثر من آثار إغوائه وتزيينه، ومن يتبع طرائق الشيطان ومسالكه وما يأمر به يفعل الفحشاء والمنكر، لأنَّ الشيطان يأمر النَّاس بفعلهما، والسوء والفحشاء: هو ما أنكره العقل واستقبحه الشرع، والعطف بينهما لاختلاف الوصفين، فإنَّه سوء لاغتمام العاقل به فهو يسوء صاحبَه بسوء عواقبه، وفحشاء باستقباحه إيَّاه، أمَّا المنكر: فهو ما تنكره الشَّريعة وينكره أهلُ الخير[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ(٢٥)﴾[٤] أي: إنَّ رجوع أهل النِّفاق إلى الكفر، وارتكابهم لقبائح الأفعال والأحوال، بعد ظهور الدلائل الواضحة، والمعجزات القاهرة، إنَّما كان بسبب اتِّباعهم لوساوس الشيطان وإغواءاته، حيث سهَّل لهم ركوبَ العظائم، واقترافَ الكبائر، والسّول: هو الاسترخاء، أي: أَرْخى لهم العنانَ، حتى جرَّهم إلى مُراده، ومدَّ لهم في الآمال والأماني[٥].

٢- اتباع الهوى :

منَ الكفار المجادلين في المطاعم وغيرها ليُضلون أتباعهم بالتحريم والتحليل، من غير علم منهم بصحَّة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إنما ركوباً منهم لأهوائهم، واتباعاً لشهواتهم، وطاعة لشيطانهم ومنه قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة النور .
(٣) تفسير القرطبي ٢: ٢٠٨ - ٢١٠، تفسير البيضاوي ١: ٤٤٦، ٤: ١٧٩، تفسير ابن كثير ١: ٤٧٩، ٦: ٣٠.
(٤) سورة محمد .
(٥) تفسير البيضاوي ٥: ١٩٥، تفسير ابن عجيبة ٧: ١٧٣.

﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ(٢٩)﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ(١٤)﴾ ، سواء كان ذلك بشركهم أو بظلمهم أو بارتكابهم للمعاصي والمنكرات.

٣- التقليد الأعمى:

فأهل الفساد يحتجُّون للثبات والاستمرار على مفاسدهم بتقليد أسلافهم دون أي تعقُّل وتبصُّر، إنما هو التقليد الأعمى دون أي بيّنة أو دليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ(١٧٠)﴾[٣] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ(١٤٠)﴾[٤] ، بل إنَّهم قد يتجاوزون ذلك إلى الكذب على الله تعالى بأنَّه هو من أمرهم بما يفعلونه من فواحش ومنكرات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٢٨)﴾[٥] ، وقد جرت عادة الله سبحانه وتعالى أن لا يأمر عباده إلَّا بمحاسن الأفعال ومكارم الخلال[٦].

٤- الحكم وتولي المناصب:

إنَّ تولي الحكم والمناصب غالبًا ما يغيِّر طباعَ النَّاس، ويحملهم على الفساد والظلم، خصوصاً إذا لم يكن المتولي للمناصب والولايات من أهل الدِّين والكفاءة، والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ(٢٠٥)﴾[٧].

---

(١) سورة الروم.
(٢) سورة محمد.
(٣) سورة البقرة.
(٤) سورة المائدة.
(٥) سورة الأعراف.
(٦) تفسير البيضاوي ٣: ١٥.
(٧) سورة البقرة.

قيل: إنَّ هذه الآيات نزلت في الأخنس بن شُريق وكان زعيم مواليه من بني زهرة، إلَّا أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكلُّ من اتَّصف بصفة هذا المنافق فهو داخل في الآية، وقوله:)وإذا تولى(على القول بأنَّه مشتق من الولاية، يصبح المعنى: إذا صار والياً وتزعَّم ورأس النَّاس سعى في الأرض بالفساد، فلا همَّة لهذا المنافق إلَّا الإفساد في الأرض، وإهلاكَ الحرث الذي هو مَحل نماء الزروع والثمار، وإهلاك نسل كلِّ ما له نسل، وقد خُصَّ الحرثُ والنَّسلُ بالذكر لأنَّهما أعظم ما يُحتاج إليه في عمارة الدُّنيا، فكان إفسادهما هو غاية الإفساد[1].

ومن ذلك قوله تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢))[2] فقوله: (إِنْ تَوَلَّيْتُمْ) على أنه من الولاية، يصبح المعنى: فهل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمَّرتم عليهم فجُعِلتم حُكَّامًا أن تفسدوا في الأرض بالظُّلم وأخذ الرِّشا، أو بالتَّناحر على الولاية والتَّجاذب لها، وتقطيع الأرحام[3]، وفي الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[4] ، وفي رواية: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)[5] ، قال الإمام النَّووي: (هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأمَّا الخزي والندامة فهو في حقِّ من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدِل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرَّط، وأمَّا من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة)[6].

---

(١) تفسير القرطبي ٣: ١٧، تفسير ابن كثير ١: ٥٦٤، تفسير أبي حيان ٢: ١٢٥، تفسير ابن عاشور ٢: ٢٦٨.
(٢) سورة محمد .
(٣) تفسير القرطبي ١٦: ٢٤٥، تفسير البيضاوي ٥: ١٩٤.
(٤) أخرجه مسلم في الإمارة برقم ١٨٢٥.
(٥) أخرجه مسلم في الإمارة برقم ١٨٢٦.
(٦) شرح صحيح مسلم ٤: ٢٢١.

٥- الغنى:

كثرة الأموال إن لم تقترن بتقوى الله وخشيته تكون عاملاً كبيراً من عوامل الفساد والطغيان، فقد حكى الله لنا في كتابه قصَّة قارون وغناه، وكيف أن غناه دفعه للبغي على قومه والتَّكبُّر عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ..(٧٦)﴾[1] ، فلمَّا أحسَّ قومه بفساده وطغيانه توجَّهُوا إليه بالنُّصح وقالوا: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)﴾[2] ، أي: لا تكنْ همتك وقصدك بما أنت فيه من نِعَم الدُّنيا أن تفسد به الأرض، بالظلم والبغي وإنفاق المال في المعاصي والإساءة إلى خلق الله، فهذه الأفعال لا يحبُّها الله ولا يرضى عن فاعليها[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى(٦)﴾[4] أي: حقًّا إِنَّ الإِنْسَانَ ليتجاوز حدَّه ويستكبر على ربِّه لرؤية نفسه مستغنياً[5] ، وعلَّة هذا الخُلق: أنَّ المستغني تُحدِّثُه نفسُه بأنَّه غير محتاج إلى غيره، وأنَّ غيره محتاج إليه، فيرى نفسَه أعظم من أهل الحاجة، ولا يزال ذلك التوهُّم يربو في نفسه حتى يصير خُلقاً، حيث لا وازع يزعه من دين أو تفكير صحيح، فيطغى على النَّاس، لشعوره بأنَّه لا يخاف بأسهم، لأنَّ له ما يدفع به الاعتداء عن نفسه، من سلاحٍ وخدمٍ وأعوان، ومنتفعين بماله من شركاء وعُمَّال وأُجراء، فهو في عزَّة عند نفسه[6].

٦-الحرص على المال والجاه:

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المرْءِ عَلَى المالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)[7] أي:

---

(١) سورة القصص .
(٢) سورة القصص .
(٣) سورة العلق .
(٤) تفسير الرازي ٢٥: ١٤، تفسير القرطبي ١٣: ٣١٥، تفسير البيضاوي ٤: ٣٠٤، تفسير ابن كثير ٦: ٢٥٤.
(٥) تفسير البغوي ٨: ٤٧٩، تفسير ابن عجيبة ٨: ٥٠١.
(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠: ٤٤٤ - ٤٤٥.
(٧) أخرجه أحمد في المسند ٣: ٤٥٦ برقم ١٥٨٢٢، والترمذي برقم ٢٣٧٦ وقال: حسن صحيح، والدارمي برقم ٢٧٣٠، وابن حبان في صحيحه ٨: ٢٤ برقم ٣٢٢٨.

ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفساداً لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه؛ فإنَّ إفساد الحرص لدين المرء أشدُّ من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أُرسِلا فيها[(١)].

٧- الخِداع والخِيانة:

فعن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً على زَوْجِهَا، أوْ عَبْدَاً على سَيِّدِهِ)[(٢)] ، معنى: «خَبب» أفْسد وخدع، وذلك بأن يزين للزوجة خِداعاً عداوة زوجها، وللعبد أو العامل عداوة سيده[(٣)].

قال النووي: (يَحرمُ على المكلَّف أن يُحدِّث عبدَ الإنسان أو زوجته أو ابنه أو غلامَه ونحوَهم بما يُفسدهم به عليه، إذا لم يكنْ ما يُحدِّثهم به أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر)[(٤)].

٨- التجسس وإساءة الظن بالناس:

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنهم عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ)[(٥)] ، وعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ)[(٦)].

والمعنى: إن الإمام إذا اتَّهم رعيتَّه، وخامرهم بسوء الظنِّ، وابتغى عيوبهم، بالتَّجسُّس على أحوالهم ومفاسدهم، أدَّاهم ذلك إلى ارتكاب ما ظنَّ فيهم ففسدوا، ففي الحديث: حَثٌّ على ستر عيوب الناس، وتركهم على ظواهرهم من غير تفتيش عن سرائرهم وخفيات أمورهم، سيما للأمراء[(٧)].

---

(١) انظر: شرح المشكاة للطيبي ١٠: ٣٢٨٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢: ٣٩٧ برقم ٩١٤٦، وأبو داود برقم ٢١٧٥ واللفظ له، وابن حبان في صحيحه ١٢: ٣٧٠ برقم ٥٥٦٠، والحاكم في المستدرك ٢: ٢١٤ برقم ٢٧٩٥ وقال: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٣) : شرح المشكاة للطيبي ٧: ٢٣٣٥، فيض القدير للمناوي ٥: ٣٨٥، عون المعبود ٦: ١٥٩.

(٤) الأذكار ص٥٦٨.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص٩٦ برقم ٢٤٨، وأحمد في المسند ٦: ٤ برقم ٢٣٨٦٦، وأبو داود برقم ٤٨٨٩، والحاكم في المستدرك ٤: ٤١٩ برقم ٨١٣٧، وذكره الهيثمي في المجمع ٥: ٣٨٧ برقم ٩٠٨٢ وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه أبو داود برقم ٤٨٨٨ وسنده صحيح كما قال النووي في رياض الصالحين، وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١٣: ٣٨٢ برقم ٧٣٨٩، وابن حبان في صحيحه ١٣: ٧٢ برقم ٥٧٦٠.

(٧) شرح المشكاة للطيبي ٨: ٢٥٨٢، التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني ٣: ٤٣٣، التحبير لإيضاح معاني التيسير ٣: ٧٤٢.

عقاب وعاقبة المفسدين:

١- دفع خطر المفسدين بالمؤمنين الصالحين:

فالمدافعة بين النَّاس سُنَّة ربانيَّة ماضية، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ(٢٥١)﴾[١] أي: لولا أنَّ الله يدفع بعضَ الناس ببعض، فينصر المسلمين على الكافرين ويكفّ فسادهم، لغلبوا وأفسدوا في الأرض[٢] ، وأعظم مظاهر هذا الدفاع هو الحروب؛ فبالحرب الجائرة يطلب المحارب غصب منافع غيره، وبالحرب العادلة ينتصف المحقُّ من المبطل، ثمَّ إنَّ دفاع النَّاس بعضهم بعضاً يصدُّ المفسد عن محاولة الفساد، كما أنَّ شعور المفسد بتأهُّب غيره لدفاعه يصدُّه عن اقتحام مفاسد جمَّة[٣].

٢- إنكار التسوية بين جزاء المصلحين والمفسدين يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ(٢٨)﴾[٤] استفهام إنكاري، أي: أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض؟! كما يقتضيه عدم البعث وما يترتَّب عليه من الجزاء؛ لاستواء الفريقين في التمتُّع في الحياة الدينا، لكن ذلك الجعل محال، فتعيّن البعث والجزاء، لرفع الأولين إلى أعلى عليين، وخفض الآخرين إلى أسفل سافلين[٥]. ففي الآية ردٌّ على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي إلى شيء واحد[٦].

٣- مضاعفة العذاب للمفسدين:

فبعد أن ذكر الله تعالى العذاب الذي سيلاقيه الكفار بسبب كفرهم وإفسادهم، استأنف هنا بذكر زيادة العذاب ومضاعفته لهم يوم القيامة، فقال تعالى:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) البحر المديد ١: ٣١٩.
(٣) التحرير والتنوير ٢: ٥٠٣.
(٤) سورة ص
(٥) تفسير الطبري ٢١: ١٩٠، تفسير ابن عجيبة ٦: ٣٢٦.
(٦) انظر: تفسير القرطبي ١٥: ١٩١.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ(٨٨)﴾[١]

والمراد: إفسادهم الراغبين في الإسلام بتسويل البقاء على الكفر، وصدّهم عن الإيمان[٢].

موقف المؤمنين من المفسدين:

١- عدم طاعة أمر المفسدين والانقياد لهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ(١٥٢)﴾[٣] وفيه يخبر الله تعالى عن قيل صالح عليه السلام لقومه من ثمود: لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، ولا تنقادوا لأمرهم، فقد تجاوز الحدَّ بكفرهم وعصيانهم، ولا تتبعوا رأيهم، وهم الذين يُفسدون في الأرض بالإسراف بالكفر والمعاصي، ففسادهم خالص لا يشوبه شيء من الصلاح[٤].

٢- عدم سلوك مسالك أهل الفساد:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ(١٤٢)﴾[٥] ، فوصية موسى عليه السلام لأخيه هارون أن لا يتبع طريق من سلكوا سبيل الفساد ولا يسايرهم عليه، لما يعلم بما في نفس هارون عليه السلام من اللين في سياسته، والاحتياط من حدوث العصيان في قومه، وهو تحذير من الفساد بأبلغ صيغة، لأنَّ النَّهي لما تعلَّق بسلوك طريق المفسدين، كان تحذيراً من كلِّ ما يؤول إلى فساد، لأنَّ المفسدين قد يعملون عملاً لا فساد فيه، فنُهي عن المشاركة في عمل من عُرف بالفساد، لأنَّ صدوره عن المعروف بالفساد كافٍ في توقُّع إفضائه إلى فساد، ففي هذا النَّهي سدٌّ لذريعة الفساد[٦].

٣-التَّمسُّكُ بسبيل الإصلاح عند فساد النَّاس:

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة النحل .
(٢) تفسير القرطبي ١٠: ١٦٤، تفسير البيضاوي ٣: ٤١٦، تفسير الطاهر بن عاشور ١٤: ٢٤٩.
(٣) سورة الشعراء .
(٤) تفسير الطبري ١٩: ٣٨٤، تفسير البيضاوي ٤: ٢٤٩.
(٥) سورة الأعراف .
(٦) انظر: تفسير البيضاوي ٣: ٥٦، تفسير ابن عجيبة ٢: ٥٣٦، تفسير الطاهر بن عاشور ٩: ٨٨.

(إنَّ الإسلامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأ، فَطُوْبَى للغُرَبَاءِ»، قالوا: يا رسول الله ومنِ الغُرَبَاءُ؟ قال: الَّذِين يَصْلُحُونَ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ)[١].

أي: إن الإسلام لما بدأ في أوَّل وهلة نهض بإقامته والذَّبّ عنه أناس قليلون من أشياع الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان أن شرَّدهم أقوامهم من البلاد، فأصبحوا غرباء منبوذين، وهكذا يصبح المؤمنون في آخر الزمان، أو أنَّ المماثلة هي ما بين الحالة الأولى والحالة الأخيرة لقلَّة من كانوا يتدينون به في الأوَّل، وقلة من يعملون به في الآخر، إلَّا أنَّ الفوز والعاقبة إنما هي لهؤلاء الغُرباء المتمسِّكِين بحبله، المتشبثين بذيله، الذين يصلحون عند فساد النَّاس وانحرافهم عن طريق الحق[٢]،[٣].

س١١٦ : لماذا نهى الإسلام عن الكهانة والأبراج وخط الرمل وما في حكمها ؟.

ج١١٦ : يقول الشيخ الفوزان : (الكِهَانة: ادعاء علم الغيب بواسطة استخدام الجنِّ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن في "فتح المجيد": «وأكثرُ ما يقع في هذا ما يخبر به الجنُّ أولياءَهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار؛ فيظنُّه الجاهل كشفًا وكرامة. وقد اغترَّ بذلك كثير من الناس يظنُّونَ المخبرَ بذلك عن الجنِّ وليًّا لله، وهو من أولياء الشيطان[٤].

ولا يجوز الذهاب إلى الكُهَّان؛ روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ ليلةً)[٥] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا)[٦]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٧: ٥٤٦ برقم ١٢١٩٣ وقال: رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة. قلت: أصله في صحيح مسلم برقم ١٤٥ عن أبي هريرة دون جزئه الأخير.
(٢) شرح المشكاة للطيبي ٢: ٦٢٦.
(٣) الفساد والإفساد في ضوء الكتاب والسنة د. طه فارس ، شبكة الألوكة تاريخ: ٢٠١٦/٦/١١ ميلادي - ١٤٣٧/٩/٥ هجري
(٤) عبدالرحمن بن الحسن ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص ٣٠٦).
(٥) مسلم (٢٢٣٠).
(٦) لم أجده من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ، لكن رواه الإمام أحمد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (٥ /٣٨٠) وفيه: «فصَدَّقه بما يقول» بدلًا من قوله: «فسأله عن شيءٍ».

(مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[1] ، رواه أبو داود، ورواه أحمد والترمذي. وروى الأربعة والحاكم – وقال: صحيح على شرطهما –: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[2].

قال البغويُّ: (والعرَّاف هو الذي يدَّعِي معرفة الأمور بمقدِّمات يستدلُّ بها على المسروق ومكان الضالة، .. وقيل: هو الكاهن.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (العراف اسمٌ للكاهن والمنجِّمِ والرمَّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق)[3]. انتهى.

والتَّنْجيمُ: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو من أعمال الجاهلية؛ وهو شركٌ أكبر إذا اعتقد أنَّ النُّجومَ تتصرَّف في الكونِ[4].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان الكهان وعن سؤالهم، قال عليه الصلاة والسلام: من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً رواه مسلم في صحيحه، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وسأله بعض الناس عن إتيان الكهان؟ قال: لا تأتوهم،، وقال: ليسوا بشيء . قالوا: يا رسول الله! إنهم يصدقوننا في بعض الأحيان، قال: تلك الكلمة يسمعها الجني من السماء – المسترق للسمع – فيقرها في أذن وليه من الإنس –وهو الكاهن والساحر– فيصدق في تلك الكلمة ولكنهم يقرفون ويزيدون عليها مائة كذبة –وفي رواية: أكثر من مائة كذبة فيقول الناس: إنه صدق يوم كذا وكذا، فيصدقونه بتلك الكلمة التي سمعت من السماء وتكون وسيلة إلى تصديقه في كذبه الكثير.

فالكهان لهم أصحاب من الشياطين من الجن، الكاهن هو الذي له رئي، يعني:

---

(١) لم يروه أحد من هؤلاء الثلاثة بهذا اللفظ؛ بل بزيادة أو اختلاف في العبارة لا تؤثر في المعنى؛ انظر: "مسند أحمد" (٢ /٤٢٩)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩). وصححه الألبانيُّ في "صحيح سنن أبي داود" (٣٣٠٤).

(٢) مستدرك الحاكم" (١ /٨ رقم ١٥) لكنَّه قدَّم العراف على الكاهن. وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) "فتح المجيد" (ص ٣٠٩ - ٣١٠) . وانظر: "مجموع الفتاوى" (٣٥ /١٧٣) .

(٤) صالح بن فوزان الفوزان - «المنتقى» (ج٢ / ص ٥٦ - ٥٧)

صاحب من الجن يخبره عن بعض المغيبات وعن بعض ما يقع في البلدان، وهذا معروف في الجاهلية وفي الإسلام وهو الكاهن، وهو الذي له صاحب من الجن يشعره ويخبره عما يلقاه من شياطينه وإخوانه فيقول: جرى كذا، ووقع كذا في البلد الفلانية؛ لأن الجن يتناقلون الأخبار فيما بينهم، والشياطين تتناقل الأخبار فيما بينها، فيخبر بعضهم بعضاً بسرعة هائلة من الشام إلى اليمن من اليمن إلى الشام إلى مصر إلى نجد إلى أمريكا إلى أي مكان، بينهم تناقل للأخبار فلهذا قد يغتر بهم من يسمع صدقهم في بعض المسائل.

وكذلك قد يعرف الشيطان قريب هذا المبتلى؛ أخوه .. عمه من الشياطين التي بينهم، كل إنسان معه شيطان، كل إنسان منا معه شيطان، معه قرين من الإنس وقرين من الجن، كل واحد من بني آدم، فالشياطين يخبر بعضها بعضاً ويدل بعضها على عورات بعض وقد تخبر عما عندهم من المال، ما عندهم من الأولاد، ما عندهم من الأثاث، كل هذا يقع بين الناس ،وقد يسترقون السمع فيسمعون بعض ما يقع في السماء بين الملائكة مما يتكلم الله به جل وعلا من أمور أهل الأرض وما يحدث في الأرض، فيتسامعون تلك الكلمة، فإذا سمعوها قروها في أذن أصحابهم من الكهنة والسحرة والمنجمين، فيقول المنجم والساحر والكاهن: سوف يقع كذا سوف يقع كذا، عن تلك الكلمة التي سمعت من السماء، ولا يكتفي بهذا بل يكذب معها الكذب الكثير حتى يروج بضاعته وحتى يأخذ أموال الناس بالباطل، فهي بسبب هذا الكلام الذي ينقله إليهم سوف يجري كذا سوف يقع كذا، إذا صدق في موضع نقل الناس هذا الصدق الذي وافق فيه الخبر الذي وقع في السماء، أو وافق فيه الحوادث التي وقعت في بعض البلدان، فعند هذا الناس يغلب عليهم تصديقهم بسبب هذه الحوادث، فيقولون: صدق في يوم كذا، صدق في كذا، صدق في كذا، والمرضى يتعلقون بخيط العنكبوت ويتشبثون بكل شيء، فلهذا يأتون الكهنة ويأتون المنجمين ويأتون السحرة بسبب ما قد يسمعون عنهم أنهم صدقوا في كذا وصدقوا في كذا.

فالواجب عدم إتيانهم وعدم سؤالهم وعدم تصديقهم ولو قدر أنهم صدقوا في بعض الشيء، الواجب تركهم بالكلية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن إتيانهم، ونهى عن

سؤالهم ونهى عن تصديقهم، فالواجب على المسلمين أن لا يصدقوهم وأن لا يسألوهم وأن لا يأتوهم بالكلية، هذا هو الواجب على الجميع، وأن يسلكوا في علاج المرضى ما شرعه الله من القراءة والدواء المباح ونحو ذلك مما يعرفه الأطباء، فبين الأطباء وبين القراء الذين يرقون المرضى ويعرفون بإسلامهم ودينهم، هذه هي الأسباب الشرعية والوسائل الشرعية، أما إتيان الكهان والمنجمين والرمالين والعرافين وسؤالهم هذا منكر لا يجوز، نسأل الله العافية والسلامة.)[١] .

يقول الشيخ المنجد (علم الغيب من الأمور التي استأثر الله تعالى بها ، واختص بها نفسه جل وعلا ، دون من سواه من ملك مقرب أو نبي مرسل ، وهو يطلع من يرتضيه من رسله على بعض الغيب ، متى شاء وإذا شاء .

وبذلك جاءت الآيات والأحاديث :

قال سبحانه وتعالى : (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ .. (١٢٣))[٢] ، وقال تعالى : (فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ(٢٠))[٣] ، وقال عز وجل : (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..(٢٦))[٤] ، وقال سبحانه : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ(١٧٩))[٥]، وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ... (٥٠))[٦] .

قال الطبري رحمه الله : (قل لهؤلاء المنكرين نبوتك : لست أقول لكم إني الرب الذي له خزائن السماوات والأرض ، فأعلمَ غيوب الأشياء الخفية ، التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء ، فتكذبوني فيما أقول من ذلك ؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ربا إلا من له ملك كل شيء ، وبيده كل شيء ، ومن لا يخفى عليه خافية ، وذلك هو الله الذي لا إله غيره)[٧] .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة هود .
(٣) سورة يونس .
(٤) سورة الكهف .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) سورة الأنعام .
(٧) الطبري ، التفسير ، ج١١ ، ص ٣٧١ .

وقال عز وجل : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ...(٦٥))[٢] .

قال القرطبي رحمه الله :(لا يجوز أن ينفي الله سبحانه وتعالى شيئا عن الخلق ويثبته لنفسه ، ثم يكون له في ذلك شريك ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) وقوله تعالى : (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) ، فكان هذا كله مما استأثر الله بعلمه لا يَشْرَكُه فيه غيره)[٣] .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :(والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه ، فهذا محرم ، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين يوماً ، كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[٤] .

القسم الثاني : أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبر به ، فهذا كفر بالله عز وجل ، لأنه صدقه في دعوى علمه الغيب ، وتصديق البشري دعوى علم الغيب تكذيب لقول الله تعالى : (قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهُ.. (٦٥))[٥] ، ولهذا جاء في الحديث: (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)[٦] .

القسم الثالث : أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ليبين حاله للناس ، وأنها كهانة وتمويه وتضليل ، وهذا لا بأس به ، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى ابن صياد ، فأضمر له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً في نفسه ، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم ماذا خَبَّأَ له؟ فقال : الدخ . يريد الدخان)[٦] .

---

(١) سورة النمل .
(٢) القرطبي ، التفسير ، ج٤ ، ص ١٧ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٣٠ .
(٤) سورة النمل .
(٥) الألباني ، السلسلة الصحيحة و رقم الحديث ٣٣٨٧ .
(٦) ابن عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ، ج٢ ، ص ١٨٤ .

وهناك من يرسل رسائل إلى محطات كهانة وشعوذة ، ونقول أن هذه الرسائل عبارة عن لعبة ، ليس صحيحا ، وإنما هو كهانة ظاهرة ، ودجل وشعوذة . ثم على افتراض صحة ذلك : فليس هذا مجال اللعب والتسلية ، إنما ذكر أمر دين ، وقضية إيمان وكفر ؛ فكيف نقبل من السفهاء أن يلعبوا بأديان الناس ، وعقائدهم ، كهذا الذي ذكر في السؤال ؟!!قال الله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ... (٦٦))[٢] ، ثم إن هؤلاء الذين يرسلون هذه الرسائل لا يقصدون بذلك الجهد والتعب : مجرد اللعب ، إنما يقصدون أكل أموال الناس بالباطل ، ونشر الضلال ، والترويج للدجل والكهانة . فليست هذه الأمور من قبيل اللعب والتسلية بوجه أصلا ، إلا عند من توجه عنده الاستهزاء بآيات الله ، فعلى المسلم الابتعاد عن هؤلاء القوم المفسدين ، وعن ضلالهم ، وإياك ومراسلتهم والتعاون معهم ، وموافقتهم أو مخالطتهم بحال ، فإن الله تعالى يقول في كتابه :(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا.. (١٤٠))[٣]، ثم ننصح بالمسارعة بالتوبة إلى الله عز وجل : إن كنت قد حسنت الظن بحال هؤلاء المشعوذين ، أو دخلت معهم في باطلهم ، ولو على وجه اللعب ؛ وإن من تمام توبتك : أن تنصح من تعلمه من إخوانك ، ممن ابتلي بها ، بحكمها في دين الله ، وخطرها على دينه وإيمانه .نسأل الله أن يثبتنا وإياك على الإيمان ، ويقينا شر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن)[٤].

يقول د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجة عن قنوات السحر والكهانة في بحث جميل أورده هنا كاملا : (الصورة كما نراها على الهواء مباشرة: كاهن يتكهن، وساحر يتعاطى السحر.. يقرأ القرآن ويدعو.. مع.. تمتمات خفية ؟!!.غرضهم من فعلهم هذا كما

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة النساء .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ١٢٦٦٧٧تاريخ النشر١٥ / ٩ / ٢٠٠٩ م.

يقولون: استشكاف المستقبل، وحل المشكلات الزوجية ونحوها، وعلاج الأمراض المستعصية ، والمستهدفون هم: جملة من المشاهدين، ذوي المعاناة المزمنة.

فأين المشكلة إذن ؟.

أصحاب القنوات، ومتعاطوا الكهانة والسحر يقولون: نقدم حلولا، وعلاجا، وأملاً، والمعترضون المنكرون المستنكرون يقولون: هذه كهانة وسحر، وخزعبلات ودجل، وكفر بالله تعالى. واستخفاف بعقول الناس ودينهم، واستغفال، واستغلال حاجاتهم.

المتعاطفون قالوا: كيف يكون كفرا ودجلا، ونحن نعالج بالقرآن والدعاء، ونأمر بالصلاة والذكر. وكم رأى الناس في المعالجين من آثار التقوى، من جبهة ساجدة، ولحية وافرة، إن كان ذكرا. وإن كانت أنثى فحجاب سابغ يغطي حتى اليدين. وهم يستغيثون بالله تعالى وحده ويستعينون ، قال المعترضون المنكرون: فالتمتمات ما هي ؟!.. لم تخفون شيئا مما تقولونه؟!!..

- أهو استغاثة بالجن وتقرب وتضرع، كما سمع منكم على حين فلتة؟، أم إرضاء الجن ؟.

- ألم تظهر منكم كلمات تحسنون فيها السحر ؟.

- ألستم تأخذون اسم المتصل، واسم أمه، تكتبون أشياء خفية، بالحساب وبالجمع، فمن أين هذا؟. - أتريدون إقناع الناس أن هذا من الشرع من المنزل، وقد عرفوا أنها طرق السحرة والكهنة والمنجمين، الذين يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم، ويستعينون ويستغيثون بالشياطين ؟.

المراقبون يقولون: لكن كيف تقولون فيمن حلت مشكلته، وشفي مريضه.. وكيف تفسرون تجدد آمال آخرين، بواسطة هذه البرامج، أليس دفع الضر وجلب المنفعة من مقاصد الإسلام ؟.

تلك صورة القضية، وتفصيل الاعتراض عليها كما يلي: الكهانة والسحر معدن الوهم والظنون، والتجربة هي الدليل؛ فالفوائد المرجوة من ورائهما: إما أنها حاصلة، أو ليست بحاصلة.. فأيهما؟.

إن كانت الثانية فهي القاضية على فكرة الكهانة والسحر من كل وجه ابتداء؛ فإذا لم يتحصل من ورائهما فائدة فهو دليل بطلانها، لكن ماذا عن الأولى؛ ماذا لو تحققت الفوائد المرجوة ؟.

ذكرنا هذه الحالة؛ لأنها واقعة، ولو بنسبة قليلة، وهذه هي الفتنة؛ فلولا أن بعض الناس انتفعوا لما تداعى الناس إليها، لكن مع ذلك ثمة أمور مهمة وخطيرة تدعو للحذر، وتمنع من الإقبال على هؤلاء الكهنة والسحرة.. وإنها لمعادلة مستعصية على بعض الناس: أن يكون في الشيء فائدة، ثم يكون المنع منه هو المتوجب، والمطلوب ؟!!.

إلا أن عرض هذه المعادلة على موازين القبول والرفض، سوف يبين ويثبت هذه المعادلة. والموازين التي بها نقبل بالشيء أو نعرض عنه ثلاثة، هي: التجربة، والعقل، والحكم الإلهي.

فأما التجربة:

فتقول: إن تلك المنفعة المتحصلة عنهما موهومة مظنونة، بدليل أنها قليلة ونادرة، والقاعدة: أن الحكم لما غلب لا ما ندر. فأكثر الذين يلجئون لهؤلاء يرجعون بلا شيء، واسألهم إن شئت ، وأما الذين انتفعوا فنفعهم موهوم مظنون، من جهة أنه مؤقت؛ أي ينتفعون زمنا، لا أبدا مؤبدا، ثم ترجع إليهم المشكلات والبلايا نفسها، أو من جنسها، بعد حين ليس بالبعيد. وفي ذلك سر ؟، فهؤلاء السحرة يتقربون إلى الجن – الذين أصابوا هذا المريض، واستولوا على بدنه – بما يرضيهم من أنواع الكفر والشرك؛ ليخففوا عنه، ويتركوه وشأنه. فيحصل ذلك في شبه اتفاق: المريض يدفع للساحر مالا، ذلاً، وخضوعا، وامتثالا. والساحر يتقرب إلى الجن، وهم يخرجون من بدن المريض أو يخفوا عنه، ليعود إلى حالة الصحة. فيحسن الظن بهم وبعملهم هذا، فيكثر المقبلون.. هذا هو السر!!، لكن ذلك لا يدوم عادة؛ لأن هذا المريض لا زال ضعيفا عرضة لتسلط الجن عليه تارة أخرى؛ فمشكلته حلت بإرادتهم ورضاهم، بالتقرب إليهم، فما أسهل أن ينقلبوا ويعودوا..!!.. ولو أنه استعمل الرقى الشرعية لحلت المشكلة رغما عنهم، بكسرهم وطردهم أذلاء، فأنى لهم أن يعودوا ؟.. لكنه استعمل رقية جعلته ميدانا لتسلط الشياطين متى شاءت !!..

وأما العقل:

فيقول: ما أدرى هذا البشر الضعيف المسمى بالكاهن بالغيب، حتى يقدر على استكشاف المستقبل؟. لو كان يعلم الغيب لوقى نفسه شرورا تفجؤه، فتبهته، فلا يستطيع ردها. فإن كانت الجن تخبره، فالجن كانت تسترق السمع قبل البعثة، فتلقي على الكاهن، فيكذب معه مائة كذبة، ومنذ البعثة حرست السماء بالشهب، فمن يسترق يجد له شهابا رصدا، فالجن معزولون عن خبر السماء إذن، فمن أين له أن يعرف الغيب المستقبل؟. ما بقي إلا أن يخبروه بالغيب الحاضر؛ مثل مكان المسروق أو الضائع، فالجن تخبر بعضها بعضا، فالأقصى يخبر بما يراه الأدنى، حتى يبلغ هذا الكاهن، فهذا ممكن.. لكن لا تأمنه، فما أدراك بصدقه ؟. فإنه وإن أصاب أحيانا في الدلالة على مكان الضالة، غير أنه يفتح على هذا السائل باب شر، من التعلق به، وسؤاله ما هو أكثر وأكبر كالحظ والمستقبل، واعتقاد أنه ينفع ويضر؛ ولأجله منع الشارع سؤال السحرة وإتيانهم، وهذا يتبين في الميزان الثالث، وهو:

الحكم الإلهي:

١- حرم السحر والكهانة، وحرم الذهاب إلى السحرة والكهنة..

٢- حرم السحر بقوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢))[١].

٣- حرم الذهاب إلى السحرة والكهنة، فقال صلى الله عليه وسلم:(من أتى كاهنا أو

---

(١) سورة البقرة .

ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)[1] ، وقال: (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما)[2].

فيستفاد من النصوص هذه:

١- أن الساحر كافر، وهذا متفق عليه إذا كان سحره باستخدام الشياطين، وترصد الكواكب، واتفق الصحابة على قتله، حكم بذلك: عمر، وجندب الأزدي.

٢- أن الكاهن كافر كفرا أكبر إذا ادعى علم الغيب، وكفرا أصغر إذا زعم أن الشياطين تخبره.

٣- أن من أتاهم، فإن صدقهم أنهم يعلمون الغيب، أو يقدرون على النفع والضر بذاتهم، فهو كفر. وإن صدقهم أن الشياطين تخبرهم، أو أنهم أسباب للنفع والضر فهو كفر أصغر.

٤- المنع من متابعة هذه القنوات. لمن خاف على إيمانه.

هكذا تغلق الشريعة كل الأبواب أمام هذا الدجل؛ لأنه لا ينفع الإنسان، بل يضره، فإنه ولو نفع بعض الناس، لغاية في نفوس السحرة والكهنة والشياطين، إلا أن ضرره أكبر؛ لأنه يضر الدين والإيمان، والقاعدة: أن كل ما يضر الدين والإيمان فهو محرم، مهما بدا فيه من نفع. لذا حرم الخمر والميسر، مع ما فيهما من فائدة: للبائع، والشارب، والمقامر المستفيد. في قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩))[3].

وأما وجه ضرره بالدين والإيمان:

١- أنه يعلق القلوب بغير الله تعالى؛ بهؤلاء السحرة والكهنة. وكفى بهذا ضررا، وما الشرك إلا هذا، وما التوحيد إلا تعليق القلوب به تعالى.

---

(١) الألباني ، السلسلة الصحيحة و رقم الحديث ٣٣٨٧ .
(٢) الألباني ، غاية المرام ، رقم الحديث ٢٨٤ .
(٢) سورة البقرة .

٢- أنه إذا تعلق قلبه بغير الله تعالى كثرت شكوكه ووساوسه، واضطرب حاله؛ لأن الشياطين حينئذ تتولاه، فيقع في التطير والتشاؤم.

٣-أنه من أسباب ترك التوكل على الله تعالى، فالمقبل على هؤلاء الدجالين ضعيف التوكل، ضعيف العزم، كثير الخوف والوجل.

وبهذا تحل المعادلة السابقة (أن يكون في الشيء فائدة، ثم يكون المنع منه هو المتوجب، المطلوب). فالحل باختصار: لأن فيه ضررا هو أكبر، والحكم لما غلب.

إن الإنسان له حاجات وضرورات، فحيثما أنزلها كان فيها ذليلا خاضعا:

- إن أنزلها بالله تعالى كان بين يديه بالذل والخضوع.
- وإن أنزلها بالساحر والكاهن صار بين يديه عبدا مطيعا.

فإن لم ينزلها بالله تعالى أنزلها بغيره ولا بد.. فلينظر الإنسان من أولى به:

١- الرحيم الذي يقله، أم الرجيم الذي يستغله ؟.

٢- الكريم الذي يعطيه، أم اللئيم الذي ينهشه ؟.

٣- القادر الذي يكفيه ما يخشى، أم العاجز الذي لا يرد عن نفسه البلوى ؟.

٤- الهادي الذي يهديه، أم المضل الذي يعده ويمنيه ؟.

٥- من أولى به: الذي له ملكوت السموات والأرض، وهو يجير ولا يجار عليه..

أم الذي لا يملك مثقال ذرة، وهو كل على مولاه، أينما يوجه لا يأت بخير ؟.

(قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ((١٦))[1]، [2].

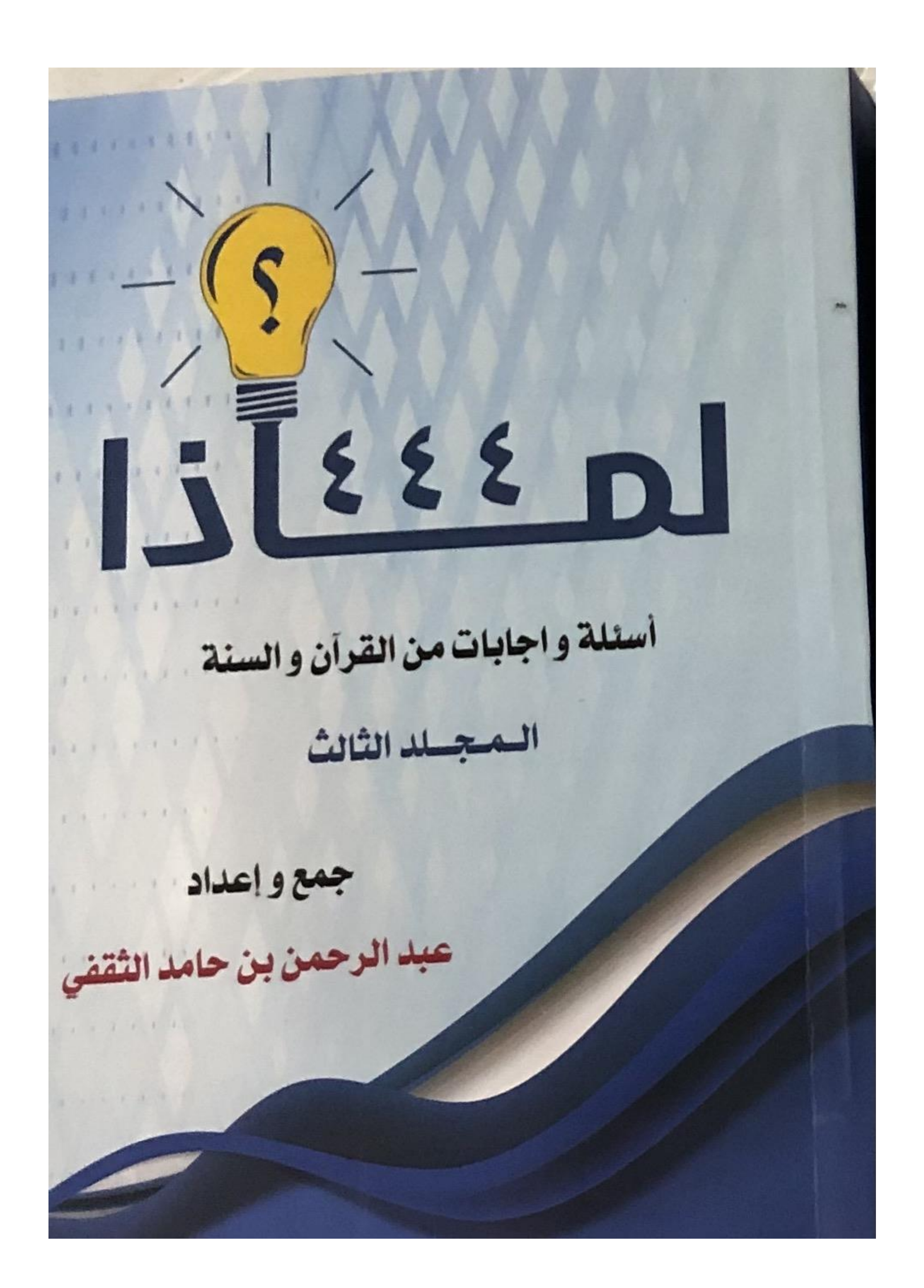
---

(١) سورة الرعد .

(٢) د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه ، موقع صيد الفوائد .

فهارس المجلد الثاني


تم بحمد الله المجلد الثاني


لماذا ٤٤٤
أسئلة و اجابات من القرآن و السنة
المجلد الثالث
جمع و إعداد
عبد الرحمن بن حامد الثقفي

رقم فسح وزارة الإعلام ٥٧٨٠٤٩٢٠٢١٠٧١١

في ١١ / ٧ / ٢٠٢١ م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لماذا / عبدالرحمن حامد محمد الثقفي- الطائف — ١٤٤٢ هـ. ٣ مج.

ردمك ٦- ٨٢٥٧ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك ٦- ٨٢٦٠ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (ج٣)

١- الثقافة الإسلامية : العنوان

ديوي ٢١٤ ١٠٩٣٤ / ١٤٤٢

رقم الإيداع ١٠٩٣٤ / ١٤٤٢

دمك ٦- ٨٢٥٧ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (مجموعة)

ردمك ٦- ٨٢٦٠ — ٠٣ — ٦٠٣ — ٩٧٨ (ج٣)


بسم الله الرحمن الرحيم



أسئلة وإجابات من القرآن والسنة

المجلد الثالث

جمع وإعداد

عبدالرحمن بن حامد الثقفي


المحتويات

س١: لماذا يأخذ المسلمون الجزية من غير المسلمين الذين يعيشون معهم ؟.

ج١: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (قال جماعة من أهل العلم لا بأس بأخذ الجزية منهم من سائر الكفرة ما عدا العرب فإن العرب لا يقرون، النبي صلى الله عليه وسلم ما أقرهم، بل قاتلهم حتى دخلوا في دين الله، وأما غير العرب من الأعاجم كلهم فلا بأس أن يقروا بالجزية إذا بذلوها وإن كانوا ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا مجوسًا ولكن أديان آخرون وأديان أخرى من وثنية وغيرها فهذا يقرون بالجزية عند جمع من أهل العلم)[١].

يقول الأستاذ إيهاب كمال أحمد: (تعريف الجزية: إن الجِزْية في أصلها مشتقّة من الجزاء، كأنّها جزاء تركنا لأهل الذمة ببلادنا وإسكاننا إيّاهم في دارنا، وعِصْمتنا دماءهم وأموالهم وعيالهم ، وقيل: إنها من الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه عصمة دمه ، وقيل: هي مشتقّة من جزى يجزي إذا قضى، ومنه قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا(٤٨))[٢] ، أي: لا تقضي عنها[٣] ، وقيل: سميت جزية لأنها تجزي من القتل أي تعصم منه[٤] ، قال الجوهريّ: "الجزية ما يؤخذ من أهل الذّمّة، والجمع الجِزى مثل لحية ولِحى[٥] ، وقال ابن منظور: وهي عبارة عن المال الّذي يعقد الكتابيّ عليه الذّمّة، وهي فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتله[٦] ،وقال الخوارزميّ: ومن أبواب المال: أخماس المعادن وأخماس الغنائم، وجزاء رؤوس أهل الذّمّة جمع جزية، وهو معرّب: كزيت، وهو الخراج بالفارسيّة[٧] ، وقال الماوردي: "فأما الجزية فهي موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم لأخذها منهم صغارًا، وإما جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقًا[٨] ، وقال ابن رشد: ما يؤخذ من أهل الكفر جزاء على تأمينهم وحقن دمائهم مع إقرارهم على الكفر، وهي

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة البقرة .
(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري (١٦ / ٢٠).
(٤) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (١ / ٥٣٠).
(٥) الصحاح (٢ / ١٦٧٧).
(٦) لسان العرب (١٤ / ١٤٧).
(٧) مفاتيح العلوم ص٨٥.
(٨) الأحكام السلطانية ص١٤٢.

مشتقة من الجزاء وهو المقابلة؛ لأنهم قابلوا الأمان بما أعطوه من المال فقابلناهم بالأمان وقابلونا بالمال[1] ، وقال ابن قدامة: وهي الوظيفة المأخوذة من الكافر لإقامته بدار الإسلام في كل عام، وهي فعلة من جزى يجزي إذا قضى[2]، وقال ابن القيّم: " الجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفّار إذلالاً وصغارًا [3] ، وعرّفها الحصنيّ الشافعي بأنّها: المال المأخوذ بالتّراضي لإسكاننا إيّاهم في ديارنا، أو لحقن دمائهم وذراريّهم وأموالهم، أو لكفّنا عن قتالهم[4].

وعلى هذا فالجزية هي: مقدار من المال يُفرض إذلالاً وصغارًا على رؤوس من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم، وسكن في ديارهم من أهل الكتاب ومن في حكمهم، وهي تطلق على المال، وعلى العقد، وعليهما معًا، ويطلق العلماء على الجزية عدّة مصطلحات وألفاظ منها: خراج الرّأس، والجالية – وجمعها الجوالي– ومال الجماجم [5].

مشروعية الجزية:

ثبتت مشروعيّة الجزية بالكتاب والسّنّة والإجماع، قال ابن قدامة: "والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع[6] ، أمّا الكتاب فقوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤمنونَ باللهِ ولا بِاليومِ الآخِرِ ولا يُحَرِّمونَ مَا حَرَّمَ اللهُ ورسُولُه ولا يَدِينونَ دِينَ الحَقِّ من الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهم صَاغِرُون(٢٩))[7] ، قال الماوردي: أما قوله سبحانه (الَّذينَ لا يُؤمنونَ باللهِ) فأهل الكتاب وإن كانوا معترفين بأن الله سبحانه واحد فيحتمل نفي هذا الإيمان بالله تأويلين:

أحدهما : لا يؤمنون بكتاب الله تعالى وهو القرآن.

والثاني: لا يؤمنون برسوله محمد صلى الله عليه

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني (٤ / ٣٣).
(٢) المغني (١٠ / ٥٥٧).
(٣) أحكام أهل الذمة ص٢٢.
(٤) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار (٢ / ٢١٥).
(٥) انظر الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦ / ١٤٣).
(٦) المغني (١٠ / ٥٥٧).
(٧) سورة التوبة .

وسلم ؛ لأن تصديق الرسل إيماناً بالمرسل[١]، وقوله سبحانه (**ولا بِاليومِ الآخِرِ**) يحتمل تأويلين أحدهما: لا يعرفون وعيد اليوم الآخر وإن كانوا معترفين بالثواب والعقاب، والثاني: لا يصدقون بما وصفه الله تعالى من أنواع العذاب ، وقوله: (**ولا يُحَرِّمونَ مَا حَرَّمَ اللهُ ورسُولُه**) يحتمل تأويلين:

أحدهما: ما أمر الله سبحانه بنسخه من شرائعهم.

الثاني: ما أحله الله لهم وحرمه عليهم.

وقوله (**ولا يَدِينونَ دِينَ الحَقِّ**) فيه تأويلان، أحدهما ما في التوراة والإنجيل من اتباع الرسول وهذا قول الكلبي، والثاني الدخول في الإسلام وهو قول الجمهور ، وقوله (**من الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ**) فيه تأويلان:

أحدهما: من دين أبناء الذين أوتوا الكتاب.

الثاني: من الذين بينهم الكتاب لأنهم في اتباعه كأبنائه.

وقوله تعالى: (**حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَة**) فيه تأويلان، أحدهما: حتى يدفعوا الجزية، والثاني حتى يضمنوها لأن بضمانها يجب الكف عنهم ، وفي الجزية تأويلان:

أحدهما: أنها من الأسماء المجملة التي لا نعرف منها ما أريد بها إلا أن يرد بيان.

والثاني: من الأسماء العامة التي يجب إجراؤها على عمومها إلا ما قد خصه الدليل.

وفي قوله سبحانه وتعالى (عَنْ يَدٍ) تأويلان :

أحدهما: عن غنى وقدرة[٢].

---

(١) وهم غير مؤمنين بالله وغير عارفين به لما يعتقدونه في الله من معتقدات كفرية شركية، قال القاضي عياض: "ما عرف الله تعالى من شبّهه وجسمه من اليهود أو أجاز عليه البداء أو أضاف إليه الولد منهم، أو أضاف إليه الصاحبة والولد وأجاز الحلول عليه والانتقال والامتزاج من النصارى أو وصفه بما لا يليق به أو أضاف إليه الشريك والمعاند في خلقه من المجوس والثنوية، فمعبودهم الذي عبدوه ليس هو الله، وإن سموه به إذ ليس موصوفًا بصفات الإله الواجبة له؛ فإذن ما عرفوا الله سبحانه" شرح النووي على صحيح مسلم (١ / ٩٠).

(٢) وقد ضعف ابن القيم هذا القول فقال: " وأما قوله: "(عَنْ يَدٍ) فهو في موضع النصب على الحال أي يعطوها أذلاء مقهورين هذا هو الصحيح في الآية. وقالت طائفة: المعنى من يد إلى يد نقدًا غير نسيئة: وقالت فرقة من يده إلى يد الآخذ لا باعثًا بها ولا موكلاً في دفعها، وقالت طائفة: معناه عن إنعام منكم عليهم بإقراركم لهم وبالقبول منهم والصحيح القول الأول وعليه الناس، وأبعد كل البعد ولم يصب مراد الله من قال: المعنى عن يد منهم أي عن قدرة على أدائها فلا تؤخذ من عاجز عنها وهذا الحكم صحيح وحمل الآية عليه باطل ولم يفسر به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة وإنما هو من حذاقة بعض المتأخرين"اهـ، أحكام أهل الذمة ص٢٢.

والثاني: أن يعتقدوا أن لنا في أخذها منهم يداً وقدرة عليهم.

وفي قوله (وهم صَاغِرُون) تأويلان:

أحدهما أذلاء مستكينين.

الثاني: أن تجري عليهم أحكام الإسلام، فيجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام[1].

وقال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أوّل الأمر بقتال أهل الكتاب بعدما تمهّدت أمور المشركين ودخل النّاس في دين اللّه أفواجًا واستقامت جزيرة العرب، أمر اللّه رسوله بقتال أهل الكتابين، وكان ذلك في سنة تسع...وقوله: (حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ) أي إن لم يسلموا (عَنْ يَدٍ) أي عن قهر لهم وغلبة، (وهم صَاغِرُون) أي ذليلون حقيرون مهانون فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين بل هم أذلاء صغرة أشقياء[2].

وقال الطبري: ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعًا عنها[3]، فالآية تدلّ على مشروعيّة أخذ الجزية من أهل الكتاب، وأنهم ينبغي أن يعطوا هذه الجزية عن قهر لهم وذلة وغلبة وهم صاغرون.

واختلف العلماء في تفسير معنى الصغار والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية، فإن التزام ذلك هو الصغار[4] ، قال الشّافعيّ: "وأشدّ الصّغار على المرء أن يحكم عليه بما لا يعتقده ويضطرّ إلى احتماله[5] .

وأمّا السّنّة فقد وردت أحاديث كثيرة منها:

١- عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم إذا أمّر أميرًا على جيش أو سريّة أوصاه في خاصّة نفسه بتقوى اللّه ومن معه من المسلمين خيراً، ثمّ قال :

---

(١) الأحكام السلطانية ص١٤٣.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥٤٢ - ٥٤٣).
(٣) تفسير جامع البيان للطبري (١٠ / ١٤١).
(٤) أحكام أهل الذمة ص٢٣.
(٥) الأم (٥ / ٢٠٨).

(اغزوا باسم اللّه في سبيل اللّه، قاتلوا من كفر باللّه، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيّتهنّ ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، ثمّ ادعهم إلى التّحوّل عن دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنّهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحوّلوا منها فأخبرهم أنّهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم اللّه الّذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلاّ أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم فإن هم أبوا فاستعن باللّه وقاتلهم)[١] .

٢- وعن جبير بن حية أن المغيرة بن شعبة قال لكسرى: "أمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية[٢].

وأمّا الإجماع فقد أجمع العلماء والفقهاء على جواز أخذ الجزية في الجملة، وقد أخذها أبو بكر وعمر رضي الله عنهما دون إنكار من أحد من الصحابة، وكذلك أخذها سائر الخلفاء دون إنكار من المسلمين فكان إجماعًا.

وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء:

قال ابن قدامة: وأجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية في الجملة[٣] ، وقال ابن القيم: "أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس[٤] ، وقال ابن حزم: (واتفقوا على وجوب أخذ الجزية من اليهود والنصارى، ممن كان منهم من الأعاجم الذين دان أجدادهم بدين من الدينين، قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن معتقًا ولا بدّل ذلك الدين بغيره، ولا شيخًا كبيرًا، ولا مجنونًا ولا زمنًا ولا غير بالغ، ولا امرأة ولا راهبًا ولا عربيًا.[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٢٦١).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٥).
(٣) المغني (١٠ / ٥٥٨).
(٤) أحكام أهل الذمة ص٧.
(٥) مراتب الإجماع ص١٩٦، ولم يتعقبه ابن تيمية في نقد مراتب الإجماع.

الحكمة من مشروعيّة الجزية:

١- إظهار سيادة الدولة الإسلامية وإعلان خضوع وانقياد أهل الذمة لحكم المسلمين، وبيان عزة الإسلام وأهله، وصغار وذلة الكفر وأهله، وهذا ظاهر قول الله تعالى في سورة التوبة : (حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهم صَاغِرُون(٢٩)) .

٢- أن الجزية وسيلة تساعد على ترك أهل الذّمّة لدينهم ودخولهم إلى الإسلام، قال القرافيّ: " إنّ قاعدة الجزية من باب التزام المفسدة الدّنيا لدفع المفسدة العليا وتوقّع المصلحة، وذلك هو شأن القواعد الشّرعيّة، بيانه: أنّ الكافر إذا قتل انسدّ عليه باب الإيمان، وباب مقام سعادة الإيمان، وتحتّم عليه الكفر والخلود في النّار، وغضب الدّيّان، فشرع اللّه الجزية رجاء أن يسلم في مستقبل الأزمان، لا سيّما باطّلاعه على محاسن الإسلام، والإلجاء إليه بالذل والصغار في أخذ الجزية[١].

قال إلكيا الهرّاسيّ في أحكام القرآن: فكما يقترن بالزّكاة المدح والإعظام والدّعاء له، فيقترن بالجزية الذّلّ والذّمّ، ومتى أخذت على هذا الوجه كان أقرب إلى أن لا يثبتوا على الكفر لما يتداخلهم من الأنفة والعار، وما كان أقرب إلى الإقلاع عن الكفر فهو أصلح في الحكمة وأولى بوضع الشّرع[٢].

وقال ابن حجر: قال العلماء: الحكمة في وضع الجزية أنّ الذّلّ الّذي يلحقهم يحملهم على الدّخول في الإسلام، مع ما في مخالطة المسلمين من الاطّلاع على محاسن الإسلام[٣] .

٣- الجزية وسيلة لحفظ أهل الذمة وعصمة دمائهم وأموالهم والكف عن قتالهم، وإفساح الفرصة لهم ليتعرفوا على الإسلام ويدخلوا فيه، قال ابن العربي: "لو قتل الكافر ليئس من الفلاح ووجب عليه الهلكة، فإذا أعطى الجزية وأمهل لعله أن يتدبر الحق ويرجع

---

(١) الفروق (٣ / ١٠).
(٢) أحكام القرآن لإلكيا الهراسي (٣ / ٧٧).
(٣) فتح الباري (٦/ ٢٥٩)، وانظر: نيل الأوطار للشوكاني (١٢/ ٣٣٦).

إلى الصواب، لا سيما بمراقبة أهل الدين والتدرب بسماع ما عند المسلمين؛ ألا ترى أن عظيم كفرهم لم يمنع من إدرار رزقه سبحانه عليهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس أحد أصبر على أذى من الله يعافيهم ويرزقهم وهم يدعون له الصاحبة والولد[١].

٤- الجزية مورد من موارد الدولة الماليّة، تستعين به الدّولة الإسلاميّة في الإنفاق على المصالح والخدمات والمرافق العامّة والحاجات الأساسيّة للدولة، كالأمن والتعليم والصحة والطرق والمساكن ونحو ذلك.

قال ابن العربيّ في الجزية: "في أخذها معونة للمسلمين وتقوية لهم ورزق حلال ساقه اللّه إليهم[٢].

وجباية المال ليست هي الهدف الأساسيّ من تشريع الجزية، وإنّما الهدف الأساسيّ هو تحقيق خضوع أهل الذّمّة إلى حكم المسلمين، والعيش بين ظهرانيهم ليطّلعوا على محاسن الإسلام وعدل المسلمين، فتكون هذه المحاسن بمثابة الأدلّة المقنعة لهم على الإقلاع عن الكفر والدّخول في الإسلام .

الّذي يؤيّد ذلك أنّ الجزية تسقط عمّن وجبت عليه بمجرّد دخوله في الإسلام، وأنّ الحكومة الإسلاميّة لا تقدم على فرض الجزية على الأفراد إلاّ بعد تخييرهم بين الإسلام والجزية، وهي تفضّل دخول أهل البلاد المفتوحة في الإسلام وإعفاءهم من الجزية على البقاء في الكفر ودفع الجزية ؛ لأنّها دولة هداية لا جباية[٣].

الجزية الصّلحيّة والجزية العنويّة:

وتنقسم الجزية باعتبار رضا المأخوذ منه وعدم رضاه إلى جزية صلحيّة، وجزية عنويّة، والجدول التالي يوضح بعض وجوه الفرق بينهما:

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٨٢)، والحديث أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٥٠١٦) بلفظ مقارب.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٨٢).
(٣) انظر الموسوعة الفقهية الكويتية (١٦/ ١٤٦).

	الجزية الصلحية	الجزية العنوية
تعريفها	هي الّتي توضع على أهل الذّمّة بالتّراضي والصّلح	هي الّتي توضع على أهل البلاد المفتوحة عنوة بدون رضاهم
محلها	تفرض على أهل الصّلح من الكافرين الّذين طلبوا باختيارهم ورضاهم من المسلمين المصالحة على الجزية	تفرض على المغلوبين من أهل البلاد المفتوحة عنوة بدون رضاهم، وتضرب عليهم إجمالاً وتفصيلاً
مقدارها	ليس لها حدّ معيّن وإنّما تكون بحسب ما يقع عليه الاتّفاق	محدّدة المقدار عند بعض الفقهاء على خلاف في تحديدها
شروطها	لا يشترط لها شروط معيّنة وإنما يعمل بما اتفق	يشترط لها شروط معيّنة كالعقل والبلوغ والذّكورة والقدرة
ما تضرب عليه	يجوز أن تضرب على الأموال والأشخاص	تضرب على الأشخاص لا الأموال

ممن تقبل الجزية؟:

اتّفق الفقهاء على أنّ الجزية تقبل من أهل الكتاب من العجم ومن المجوس، واختلفوا في العرب من أهل الكتاب وفي المشركين وعبدة الأوثان، والراجح أنها تقبل من جميع الكفار؛ لما دلّ عليه حديث بريدة رضي الله عنه: (وإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال– فأيّتهنّ ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم... إلى أن قال: "فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم فإن هم أبوا فاستعن باللّه وقاتلهم)[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٢٦١) وسبق ذكره قريبًا.

قال ابن القيم: (وفي هذا الحديث أنواع من الفقه... منها: أن الجزية تؤخذ من كل كافر؛ هذا ظاهر الحديث ولم يستثن منه كافرًا من كافر)[1].

شروط فرض الجزية:

واشترط الفقهاء لفرض الجزية على أهل الذّمّة عدّة شروط تدور في جملتها على أن يكونوا من أهل المقاتلة، مع وجود القدرة المالية على أداء الجزية، واستدلّوا لهذا بقوله تعالى بآية الجزية: (**قَاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤمنونَ باللهِّ ولا بِاليومِ الآخِرِ ولا يُحَرِّمونَ مَا حَرَّمَ اللهُّ ورسُولُه ولا يَدِينونَ دِينَ الحَقِّ من الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهم صَاغِرُون(٢٩)**)[2] ، فقالوا: إن المقاتلة مفاعلة من القتال تستدعي أهليّة القتال من الجانبين، فلا تجب على من ليس أهلاً للقتال ، ولذلك اشترطوا: البلوغ، والعقل، والذّكورة، والحرّيّة، والمقدرة الماليّة، والسّلامة من العاهات المزمنة.

قال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن لا تؤخذ من صبي ولا من امرأة جزية، وأجمعوا على أن لا جزية على العبيد"[3].

قال ابن قدامة: "ولا جزية على صبي ولا زائل العقل، ولا امرأة، لا نعلم بين أهل العلم خلافًا في هذا، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشّافعيّ وأحمد وأبو ثور، وقال ابن المنذر، لا أعلم عن غيرهم خلافهم"[4].

وقال القرطبي: "قال علماؤنا رحمة الله عليهم: والذي دل عليه القرآن أن الجزية تؤخذ من الرجال المقاتلين، لأنه تعالى قال: " قاتلوا الذين " إلى قوله: " حتى يعطوا الجزية " فيقتضي ذلك وجوبها على من يقاتل.

ويدل على أنه ليس على العبد وإن كان مقاتلاً، لأنه لا مال له، ولأنه تعالى قال: "حتى يعطوا" ولا يقال لمن لا يملك حتى يعطي.

---

(١) أحكام أهل الذمة ص١٠.
(٢) سورة التوبة
(٣) الإجماع ص٨١.
(٤) المغني (١٠/ ٥٧٢).

وهذا إجماع من العلماء على أن الجزية إنما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين، وهم الذين يقاتلون دون النساء والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم والشيخ الفاني.
واختلف في الرهبان، فروى ابن وهب عن مالك أنها لا تؤخذ منهم.

قال مطرف وابن الماجشون: هذا إذا لم يترهب بعد فرضها فإن فرضت ثم ترهّب لم يسقطها ترهبه[1].

والخلاف في الرهبان واقع في الّذين انقطعوا للعبادة في الصّوامع، ولم يخالطوا النّاس في معايشهم ومساكنهم، أما المخالطون منهم للنّاس، والمشاركون لهم في الرّأي والمشورة، فقد اتفق العلماء على أن الجزية تؤخذ منهم؛ بل هم أولى بها من العوام، لأنهم العلماء والرؤوس.

مقدار الجزية:

وقد اختلف الفقهاء في مقدار الجزية[2]:

١- فذهب بعضهم إلى أنها مقدرة بمقدار لا يزاد عليه ولا ينقص ثم اختلفوا في هذا المقدار .

٢- ذهب بعضهم إلى أن أقلها مقدر بدينار أما أكثرها فغير مقدر.

٣- ذهب بعضهم إلى التفصيل، فقالوا: إن الجزية العنوية مقدرة، أما الجزية الصلحية فتتقدّر بحسب ما يتّفق عليه الطّرفان، ولا حدّ لأقلّها ولا أكثرها.

٤- ذهب البعض إلى أن الجزية عمومًا غير مقدرة وإنما يرجع فيها إلى تقدير الإمام في الزيادة والنقصان، وهو القول الراجح الموافق للأدلة ، واستدلّ أصحاب هذا القول بقوله تعالى: (حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهم صَاغِرون) فقالوا: إن لفظ الجزية في الآية مطلق غير مقيّد بقليل أو كثير، فينبغي أن يبقى على إطلاقه، غير أنّ الإمام لما كان وليّ أمر المسلمين جاز له أن يعقد مع أهل الذّمّة عقدًا على الجزية بما يحقّق مصلحة المسلمين؛ لأنّ تصرّف الإمام على الرّعيّة منوط بالمصلحة ،وقالوا إن النبي

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١١٢).
(٢) انظر: المغني لابن قدامة (١٠/ ٥٦٦)، والشرح الكبير (١٠/ ٥٩٢).

صلى الله عليه وسلم فرضها على أهل اليمن: "من كلّ حالم دينارًا[1].

٥- وصالح أهل نجران على ألفي حلّة، النّصف في صفر والباقي في رجب[2].

٦- وجعل عمر بن الخطّاب الجزية على ثلاث طبقات على الغنيّ ثمانية وأربعين درهمًا، وعلى المتوسّط أربعة وعشرين درهمًا، وعلى الفقير اثني عشر درهمًا[3] ، وصالح بني تغلب على ضعف ما على المسلمين من الزّكاة[4].

وهذا الاختلاف في مقدار الجزية يدلّ على أنّها إلى رأي الإمام، لولا ذلك لكانت على قدر واحد في جميع هذه المواضع ولم يجز أن تختلف ، ويؤيّد ذلك ما روى البخاريّ عن ابن عيينة عن أبي نجيح قال: قلت لمجاهد: ما شأن أهل الشّام عليهم أربعة دنانير، وأهل اليمن عليهم دينار؟ قال: جعل ذلك من أجل اليسار[5].

قال ابن القيم: (الجزية غير مقدرة بالشرع فيؤخذ من عروضه بقدر ما عليه من الجزية، هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه التي لا معدل عنها، فقد تبين أن الجزية غير مقدرة بالشرع تقديرًا لا يقبل الزيادة والنقصان، ولا معينة الجنس.

قال الخلال: العمل في قول أبي عبد الله على ما رواه الجماعة أنه لا بأس للإمام أن يزيد في ذلك وينقص على ما رواه عنه أصحابه معينة الجنس في عشرة مواضع، فاستقر قوله على ذلك ، وهذ اقول سفيان الثوري وأبي عبيد وغيرهم من أهل العلم.

وأول من جعل الجزية على ثلاث طبقات عمر بن الخطاب رضي الله عنه، جعلها على الغني ثمانية وأربعين درهمًا، وعلى المتوسط أربعة وعشرين، وعلى الفقير اثني عشر، وصالح بني تغلب على مثلي ما على المسلمين من الزكاة. وهذا يدل على أنها إلى رأي الإمام، ولولا ذلك لكانت على قدر واحد في جميع المواضع ولم يجز أن تختلف ،وقال البخاري: قال ابن عيينة:

---

(١) أخرجه النسائي (٢٤٠٧) والترمذي (٥٦٦) وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣/ ٢٦٩).
(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٤١) وسكت عنه.
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الصغير((٤/ ٧ مرسلاً.
(٤) المحلى (٦/ ١١٢) وقال أحمد شاكر: خبر بني تغلب هذا روى من طرق كثيرة تطمئن النفس إلى أن له أصلاً صحيحاً.
(٥) صحيح البخاري(٦/ ٢٥٧)، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب.

عن ابن أبي نجيح قلت لمجاهد: ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير، وأهل اليمن عليهم دينار؟ قال: جعل ذلك من أجل اليسار وقد زادها عمر أيضًا على ثمانية وأربعين فصيرها خمسين درهمًا)[١].

الجزية وبنو تغلب[٢]:

تصالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بني تغلب على أن يدفعوا ضعف ما يدفعه المسلم في الزكاة تحت مسمى الصدقة عوضًا عن الجزية بعد أن انحازوا ولحقوا بالروم وكانوا ذوي عدد وبأس وقوة مما قد يشكل خطرًا عسكرياً على المسلمين، وكان بنو تغلب قوماً لا مال لهم لكن لهم في العدو نكاية، فنُصح عمر رضي الله عنه بألا يعين عدوه على نفسه بهؤلاء المقاتلين الأشداء، وعلم عمر أنه لا ضرر على المسلمين من إسقاط اسم الجزية عنهم، مع استيفاء ما يجب عليهم من الجزية وزيادة[٣]، فعن زرعة بن النعمان أنه كلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بني تغلب وقال له: إنهم عرب يأنفون من الجزية، فلا تعن عدوك بهم، فصالحهم عمر على أن أضعف عليهم الصدقة فاشترط عليهم: أن لا ينصّروا أولادهم[٤]

وقال أبو عبيد: (حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو إسحاق الشيباني عن السفاح عن داود بن كردوس قال: صالحت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن بني تغلب بعدما قطعوا الفرات وأرادوا أن يلحقوا بالروم على ألا يصبغوا صبيًا ولا يكرهوا على دين غير دينهم، وعلى أن عليهم العشر مضاعفًا، من كل عشرين درهمًا درهم[٥] ، قال أبو عبيد: قوله لا يصبغوا في دينهم يعني: لا ينصِّروا أولادهم ، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (هؤلاء

---

(١) أحكام أهل الذمة ص٢٨.

(٢) قال ابن القيم: "بنو تغلب بن وائل بن ربيعة بن نزار من صميم العرب انتقلوا في الجاهلية إلى النصرانية وكانوا قبيلة عظيمة لهم شوكة قوية واستمروا على ذلك حتى جاء الإسلام فصولحوا على مضاعفة الصدقة عليهم عوضًا من الجزية" أحكام أهل الذمة ص٦٠.

(٣) انظر: الأموال لأبي عبيد ص٦٥١.

(٤) المحلى (٦/ ١١٢) وقال أحمد شاكر: خبر بني تغلب هذا روى من طرق كثيرة تطمئن النفس إلى أن له أصلاً صحيحاً.

(٥) أحكام أهل الذمة ص٦٠، وقال أبو عبيد: والحديث الأول أي حديث داود بن كردوس- هو الذي عليه العمل.

حمقى رضوا بالاسم وأبوا المعنى)[1] ، وقال ابن قدامة: "بنو تغلب بن وائل من العرب من ربيعة بن نزار انتقلوا في الجاهلية إلى النصرانية فدعاهم عمر إلى بذل الجزية فأبوا وأنفوا وقالوا: نحن عرب خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض باسم الصدقة، فقال عمر: لا آخذ من مشرك صدقة فلحق بعضهم بالروم، فقال النعمان بن زرعة: يا أمير المؤمنين إن القوم لهم بأس وشدة وهم عرب يأنفون من الجزية فلا تعن عليك عدوك بهم وخذ منهم الجزية باسم الصدقة، فبعث عمر في طلبهم فردّهم وضعف عليهم من الإبل من كل خمس شاتين، ومن كل ثلاثين بقرة تبيعين، ومن كل عشرين دينارًا ..دينارًا، ومن كل مائتي درهم عشرة دراهم، وفيما سقت السماء الخمس، وفيما سقي بنضح أو غرب أو دولاب العشر، فاستقر ذلك من قول عمر، ولم يخالفه أحد من الصحابة فصار اجماعًا، وقال به الفقهاء بعد الصحابة[2] .

ومن الروايات السابقة يتبين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد استطاع أن يحقق جملة من المصالح الراجحة ويدفع مفسدة كبرى بارتكاب ضرر لا يكاد يذكر، وإليكم تفضيل ذلك في الجدول التالي:

المصالح المتحققة	المفسدة المدفوعة	الضرر المتحمل
١-كفّ شر بني تغلب عن المسلمين وحرمان الروم من معاونتهم لهم في القتال. ٢- دخول بني تغلب تحت سلطان المسلمين والخضوع لحكمهم صاغرين. ٣- منع بني تغلب من تنصير أبنائهم. ٤- دفع بني تغلب الصدقة مضاعفة للمسلمين. ٥- تقريب بني تغلب من المسلمين مما يساعد على اعتناقهم للإسلام	اشتراك بني تغلب مع الروم في قتالهم ضد المسلمين وهم أصحاب شوكة وقوة وبأس ونكاية في العدو.	أخذ الجزية من بني تغلب تحت مسمى الصدقة، وهو ضرر لا يكاد يذكر لا سيما في ظل المصالح التي تم تحصيلها.

(١) تلخيص الحبير (٢٣٢٦)، والمغني (١٠/ ٥٨٢).
(٢) المغني (١٠/ ٥٨١).

وينبغي هنا التنبيه على أمور منها:

١- أن المال المأخوذ من بني تغلب على الصحيح هو جزية في الحقيقة وإن كان باسم الصدقة؛ لأن الصدقة قربة، والكافر لا قربة له

قال الجصاص: (والمأخوذ من بني تغلب هو عندنا جزية ليست بصدقة وتوضع مواضع الفيء؛ لأنه لا صدقة لهم، إذ كان سبيل الصدقة وقوعها على وجه القربة ولا قربة لهم، وقد قال بنو تغلب: نؤدي الصدقة مضاعفة ولا نقبل أداء الجزية فقال عمر: هو عندنا جزية وسموها أنتم ما شئتم، فأخبر عمر أنها جزية وإن كانت حقًّا مأخوذة من مواشيهم وزروعهم)[١].

وقال الشافعي: "المأخوذ منهم جزية وإن كان باسمِ الصدقة[٢]، وقال ابن قدامة: " هذا المأخوذ منهم جزية باسمِ الصدقة فإن الجزية يجوز أخذها من العروض[٣]

٢- أن بعض العلماء قد نصّ على أن هذا الحكم خاص ببني تغلب لا يتعدى لغيرهم ، قال ابن القيم: "وهذا الحكم يختص ببني تغلب، نص عليه أحمد[٤].

٣- ذهب بعض العلماء إلى أن الصدقة لا تؤخذ من بني تغلب ولا من غيرهم من الكفار، ورفض الأخذ بهذا الخبر لضعفه واضطرابه.

قال ابن حزم: (لا تؤخذ زكاة من كافر لا مضاعفة ولا غير مضاعفة، لا من بني تغلب ولا من غيرهم، وهو قول مالك، وقال أبو حنيفة والشافعي كذلك إلا في بني تغلب خاصة؛ فإنهم قالوا: تؤخذ منهم الزكاة مضاعفة، واحتجوا بخبر واهٍ مضطرب في غاية الاضطراب.. ولو كان هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حل الأخذ به لانقطاعه وضعف رواته، فكيف وليس هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!)[٥].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٤٠).
(٢) أحكام أهل الذمة ص٦٢.
(٣) المغني لابن قدامة (١٠/ ٥٨٢).
(٤) أحكام أهل الذمة ص٦٥
(٥) المحلى لابن حزم (٣/ ٨١٣).

٤- أنه كما لا يجوز تغيير ما وقع عليه الصلح مع بني تغلب إلا إن نقضوا عهدهم، فكذلك لا يجوز نقض ما اصطلح عليه غيرهم ليكونوا مثل بني تغلب.

قال علي بن سعيد: سمعت أحمد يقول: أهل الكتاب ليس عليهم في مواشيهم صدقة ولا في أموالهم إنما تؤخذ منهم الجزية إلا أن يكونوا صولحوا على أن يؤخذ منهم كما صنع عمر رضي الله عنه بنصارى بني تغلب حين أضعف عليهم الصدقة في صلحه إياهم إذا كانوا في معناهم، أما قياس من لم يصالح عليهم في جعل جزيتهم صدقة فلا يصح[1].

وقال ابن القيم: "إن بني تغلب كانوا ذوي قوة وشوكة لحقوا بالروم وخيف منهم الضرر إن لم يصالحوا ولم يوجد هذا لغيرهم، فإن وجد هذا لغيرهم فامتنعوا من أداء الجزية وخيف الضرر بترك مصالحتهم فرأى الإمام مصالحتهم على أداء الجزية باسم الصدقة جاز ذلك إذا كان المأخوذ منهم بقدر ما يجب عليهم من الجزية أو زيادة[2].

ومن هنا يتبين خطأ ما ذهب إليه البعض من جواز إسقاط الجزية عن أهل الكتاب لأنهم يدفعون الضرائب قياسًا على بني تغلب، وهذا قياس باطل لتخلف العلة وهي الصلح الذي وقع للأسباب المذكورة آنفًا، فكيف يُقاس من صالحوا على الجزية وعاشوا قرونًا في بلاد المسلمين صاغرين تحت حكم الإسلام على بني تغلب وما تبين من حالهم؟ لعَمْر الله إن هذا في القياس عجيب.

حكم معاقبة وتعذيب أهل الذمة:

ويجوز للإمام أن يعاقب الذّمّيّ إذا تأخّر عن أداء الجزية في وقتها المحدّد إن كان موسراً ومطل بها، وأمّا إن كان معسرًا فلا تجوز عقوبته، قال القرطبيّ: قال علماؤنا: أمّا عقوبتهم إذا امتنعوا من أدائها مع التّمكّن فجائز، فأمّا مع تبيّن عجزهم فلا تحلّ عقوبتهم، لأنّ من عجز عن الجزية سقطت عنه[3].

---

(١) أحكام أهل الذمة ص٦٧.
(٢) أحكام أهل الذمة ص٦٦.
(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١١٥).

ولا يجوز إيذاء أهل الذمة أو تعذيبهم أو التعدي عليهم بظلم أو تحميلهم فوق طاقتهم في أداء الجزية ، فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: مر هشام بن حكيم بن حزام على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا".. وزاد في رواية: وأميرهم يومئذ عمير بن سعد على فلسطين فدخل عليه فحدثه فأمر بهم فخلوا[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة)[٢].

قال ابن قدامة: " ولا يشتط عليهم في أخذها، ولا يعذبون إذا أعسروا عن أدائها، فإن عمر رضي الله عنه أُتي بمال كثير، قال أبو عبيد: وأحسبه من الجزية، فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس، قالوا: لا والله، ما أخذنا إلا عفوًا صفوًا، قال: بلا سوط ولا بَوط[٣] ؟ قالوا: نعم، قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي، ولا في سلطاني.

وقدم عليه سعيد بن عامر بن حذيم فعلاه عمر بالدرة، فقال سعيد: سبق سيلك مطرك، إن تعاقب نصبر، وإن تعف نشكر، وإن تستعتب نعتب. فقال: ما على المسلم إلا هذا ما لك تبطئ بالخراج؟ فقال: أمرتنا أن لا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير، فلسنا نزيدهم على ذلك، ولكن نؤخرهم إلى غلاتهم، قال عمر: لا أعزلنك ما حييت ، رواهما أبو عبيد، وقال: إنما وجه التأخير إلى الغلة الرفق بهم قال: ولم نسمع في استيداء الخراج والجزية وقتًا غير هذا.

واستعمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه رجلاً على عكبرى، فقال له على رؤوس الناس:

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٣٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٥٥) وسكت عنه، وقال العجلوني في كشف الخفا(٢/ ٣٤٢): إسناده حسن، وقال العراقي في التقييد والإيضاح (٢٦٤): إسناده جيد، وحسنه ابن حجر العسقلاني في موافقة الخبر الخبر (٢/ ١٨٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠٥٢).
(٣) البَوط: الذل بعد عز، والفقر بعد غنى، انظر: المعجم الوسيط (١/ ٩٦).

لا تدعنّ لهم درهمًا من الخراج، وشدد عليه القول، ثم قال: القني عند انتصاف النهار، فأتاه فقال: إني كنت أمرتك بأمر، وإني أتقدم إليك الآن، فإن عصيتني نزعتك، لا تبيعن لهم في خراجهم حمارًا، ولا بقرة، ولا كسوة شتاء ولا صيف، وارفق بهم[(١)].

قال الشّافعيّ في الأمّ: "إن أخذ الجزية منهم أخذها بأجمال، ولم يضرّ أحد منهم ولم ينله بقول قبيح[(٢)] .

وقد نقل ابن القيم عن طائفة من أهل العلم أنهم قالوا الصغار معناه" أن يأتي بها – أي الجزية – بنفسه ماشيًا لا راكبًا ويطال وقوفه عند إتيانه بها، ويجرّ إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف ثم تجر يده ويمتهن ، ثم قال: "وهذا كله مما لا دليل عليه ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك، والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم وإعطاء الجزية فإن التزام ذلك هو الصغار[(٣)].

سقوط الجزية:

وأجمع العلماء على أنّ الجزية تسقط عمّن دخل في الإسلام من أهل الذّمّة، وأنه لا يطالب بها فيما يستقبل من الزّمان، لقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: "لا تصلح قبلتان بأرض، ولا جزية على مسلم[(٤)] ، قال ابن المنذر: "وأجمعوا على أن لا جزية على مسلم[(٥)]

وكذلك إذا عرض لمن وجبت عليه الجزية ما يعجزه عن أدائها من فقر أو مرض أو عاهة سقطت عنه الجزية وعيل من بيت مال المسلمين.

جاء في كتاب الصّلح بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وأهل الحيرة: "وجعلت لهم أيّما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر وصار أهل دينه يتصدّقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار

---

(١) المغني (١٠/ ٦٢١).
(٢) الأم (٥/ ٢٠٨).
(٣) أحكام أهل الذمة ص٢٣.
(٤) أخرجه أحمد (١٨٤٨) وأبو داود (٢٦٥٥) والترمذي (٥٧٤)، قال ابن تيمية في المستدرك على المجموع، وابن القيم في أحكام أهل الذمة: إسناده جيد، وحسنه ابن حجر في تخريج المشكاة، وصححه أحمد شاكر.
(٥) الإجماع لابن المنذر ص٨١.

الإسلام، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام فليس على المسلمين النّفقة على عيالهم[1].

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ قال: يهودي، قال: فما ألجأك إلي ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه، أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ...(٦٦))[2] والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[3].

وينبغي على المسلمين في مقابل أخذهم للجزية أن يوفروا الحماية لأهل الذّمّة، وأن يدافعوا عنهم، ويمنعوا من يقصدهم بالاعتداء، وأن يعملوا على استنقاذ من أسر منهم، واستعادة ما أخذ من أموالهم ظلمًا.

قال الماوردي: (ويلتزم لهم ببذلها . أي الجزية . حقان، أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين)[4].

وقال القرافي: (وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له: أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك صونًا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة وحكى في ذلك إجماع الأمة ، فعقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صونًا لمقتضاه عن الضياع؛ إنه لعظيم) [5] ..

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٥٦.
(٢) سورة التوبة .
(٣) الخراج لأبي يوسف ص١٢٦.
(٤) الأحكام السلطانية ص١٤٣.
(٥) الفروق للقرافي (٣/ ١٤) ولم أقف على ما نقله عن ابن حزم في مراتب الإجماع.

فإن عجزت الدّولة الإسلاميّة عن حمايتهم والدّفع عنهم تسقط الجزية عنهم لا سيما إن اشترطوا في عقد الجزية حفظهم وحفظ أموالهم.

ذكر أبو يوسف أن أبا عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه عندما أعلمه نوّابه على مدن الشّام بتجمّع الرّوم لمقاتلة المسلمين كتب أبو عبيدة إلى كل والٍ ممن خلّفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردّوا عليهم ما جُبي من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: "إنّما رددنا عليكم أموالكم، لأنّه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وأنّكم اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنّا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشّرط وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا اللّه عليهم ، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئًا وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئًا[1].

وقال البلاذريّ في فتوح البلدان: (حدّثني أبو حفص الدّمشقيّ قال: حدّثنا سعيد بن عبد العزيز قال: "بلغني أنّه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردّوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدّفع عنكم، فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحبّ إلينا ممّا كنّا فيه من الظّلم والغشم، ولندفعنّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا: والتّوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلاّ أن نغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن الّتي صولحت من النّصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الرّوم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنّا عليه، وإلاّ فإنّا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد)[2].

والأصل عدم اشتراك الذّمّيّين في القتال مع المسلمين إلا عند الحاجة؛ لما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فلما كان بحرّة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص١٣٩.
(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ص١٨٧.

حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: جئت لأتبعك وأصيب معك، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: لا، قال: فارجع فلن أستعين بمشرك ، قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة قال: فارجع فلن أستعين بمشرك، قالت: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله؟ قال: نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فانطلق[١] .

قال سليمان الباجيّ: (من ليس بمسلم لا يقاتل جهادًا وليس حضوره بجهاد ولا نصرة للإسلام؛ لأن معنى الجهاد أن يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، والمشرك لا يقاتل لذلك، ولأنه ممن يلزم أن يقاتل عنه، وتمنع الاستعانة به في الحرب وإن استعين به في الأعمال والصنائع والخدمة[٢] ، فإن اشترك أهل الكتاب في القتال مع المسلمين فالصحيح أن الجزية لا تسقط عنهم؛ لأن الجزية إنما وضعت صغارًا وإذلالاً للكفار)[٣] وإظهارًا لسيادة المسلمين وعزتهم وخضوع أهل الكتاب لهم، وليس في مقابل عدم اشتراكهم في القتال ، حتى إن قلنا أن الجزية تجب بدلاً عن النصرة، فهذا لا يسوّغ القول بسقوطها عن أهل الذمة حال اشتراكهم مع المسلمين في القتال؛ لأن الجزية من علامات الصغار الذي جاء النص القرآني بوجوب فرضه على أهل الكتاب من جهة، ومن جهة أخرى فإن الشرع جعل طريق النصرة في حق الذمي المال دون النفس، فاعتبار قتال الذمي بديلاً عن دفعه مال الجزية يؤدي إلى تغيير الشرع وهذا لا يجوز.

جاء في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: (فإن قلت: لا نسلم أن الجزية بدل عن النصرة، ألا ترى أن الإمام لو استعان بأهل الذمة سنة فقاتلوا معه لا تسقط عنهم جزية تلك السنة، فلو كانت بدلاً لسقطت.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٣٨٨).
(٢) المنتقى في شرح الموطأ (٣/ ٣٧).
(٣) أحكام أهل الذمة ص٢٤.

وإنما لم تسقط لأنه يلزم حينئذ تغير المشروع وليس للإمام ذلك، وهذا لأن الشرع جعل طريق النصرة في حق الذمي المال دون النفس ، فإن قلت: الجزية حق مالي وجب على الكافر على كفره فوجب أن لا يسقط بالإسلام كخراج الأرض ، فخراج الرأس فيه صغار بالنص، ولهذا لا يوضع على المسلم أصلاً بخلاف خراج الأرض، فإنه ليس فيه صغار، ولهذا يؤخذ في أرض خراجية للمسلم فافترق)[1].

وقال ابن القيم: (فإن الله سبحانه وتعالى مد القتال إلى غاية وهي إعطاء الجزية مع الصغار، فإذا كانت حالة النصراني وغيره من أهل الجزية منافية للذل والصغار فلا عصمة لدمه ولا ماله وليست له ذمة)[2].

مصارف الجزية:

وقد اتّفق الفقهاء على أنّ الجزية تصرف في مصارف الفيء، حتّى رأى كثير منهم أنّ اسم الفيء شامل للجزية[3].

ومن ثم فالجزية تصرف في المصالح العامّة للمسلمين ومرافق الدّولة الهامّة: كأرزاق المجاهدين وذراريّهم وسدّ الثّغور، وتمهيد الطرق وشق القنوات، وبناء الجسور والمساجد والمدارس والمستشفيات ومحطات الطاقة والقناطر، وإصلاح الأنهار الّتي لا مالك لها، ورواتب الموظّفين من القضاة والعلماء والمفتين والمدرّسين والأطباء والمهندسين والعمّال وغير ذلك.

وأخيرًا فإن تشريعات الجزية وأحكامها موافقة لمقاصد الشريعة الإسلامية التي تحفظ للمسلمين عزتهم وكرامتهم وعلوهم، وتوفر من التدابير ما يؤدي إلى حفظ الدين وتيسير سبل انتشاره وتقريب الناس له وتمهيد طرق الهداية للعالمين.

وكما ضمت الجزية تشريعات تحفظ للمسلمين دينهم وعزهم فقد أبرزت في ذات الوقت ما يدلّل بقوة على السمو والرقي والسماحة في التعامل مع الآخرين، والشفقة والرحمة بخلق الله أجمعين، في أنموذج رباني متفرد شهد له المؤرخون والكُتّاب من غير المسلمين.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٩/ ٤٤٤).
(٢) أحكام أهل الذمة ص٢٣.
(٣) الموسوعة الفقهية (١٦/ ٢٠٤)، أحكام أهل الذمة ص٦٤.

يقول ول ديورانت: (لقد كان أهل الذمة، المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيرًا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زيّ ذي لون خاص، وأداء ضريبة عن كل شخص باختلاف دخله، وتتراوح بين دينارين وأربعة دنانير، ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء والشيوخ، والعجزة، والعمي والفقراء، وكان الذميون يعفون في نظير ذلك من الخدمة العسكرية. .ولا تفرض عليهم الزكاة البالغ قدرها اثنان ونصف في المائة من الدخل السنوي، وكان لهم على الحكومة أن تحميهم...)[1].

ويقول المؤرخ آدم ميتز: (كان أهل الذمة يدفعون الجزية، كلمنهم بحسب قدرته، وكانت هذه الجزية أشبه بضريبة الدفاع الوطني، فكان لا يدفعها إلا الرجل القادر على حمل السلاح، فلا يدفعها ذوو العاهات، ولا المترهّبون، وأهل الصوامع إلا إذا كان لهم يسار)[2]، [3].

س٢ : لماذا جعل الله لأهل الذمة حقوقا ؟.

ج٢: يقول الاستاذ فوزي عبدالله :

تعريف أهل الذمة:

الأهل: معناه أصحاب.

الذمة: بالكسر، معناها: العهد، رجل ذمي: معناه رجل له عهد.

وفي التنزيل العزيز: (﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً﴾(١٠))[4] قال: الذمة: العهد، والإل: الحِلْف ، وللذمة معان أخرى كثيرة منها: الأمان والكفالة أو الضمان والحرمة والحق والعقد، فأهل الذمة مركب إضافي معناه: من يعقد معهم عقد العهد والضمان والأمان وهم الذين

(١) قصة الحضارة (١٢/ ١٣١).
(٢) الحضارة الإسلامية (١/ ٩٦).
(٣) ، إيهاب كمال أحمد ، موقع شبكة تاريخ الإضافة: ٢٠١٢/٤/١٧ ميلادي - ١٤٣٣/٥/٢٥ هجري.
(٤) سورة التوبة .

يؤدون الجزية من المشركين كلهم[1] .

تعريفه اصطلاحا:

لقد عرف فقهاء المسلمين أهل الذمة أو الذمي بتعريفات متعددة منها:

الأول: ما عرفه ابن جُزَيّ المالكي في القوانين الفقهية بقوله عن الذمي: (كافر حر بالغ ذكر قادر على أداء الجزية، يجوز إقراره على دينه، ليس بمجنون مغلوب على عقله، ولا بمترهب منقطع في ديره)[2].

الثاني: ما عرفه الإمام الغزَّالي كما في الوجيز: (هو كل كتابي عاقل بالغ حر ذكر متأهب للقتال قادر على أداء الجزية)[3].

الثالث: ما لخصه الشيخ العُنقَري في حاشيته على الروض المربع من تعريف الذمي: (من استوطن دارنا بالجزية)[4].

من خلال التعريفات المذكورة يتبين لنا أن الذمي هو: (**كل كافر بالغ عاقل حر ذكر ممن يقيم في دار الإسلام قادر يجوز إقراره على دينه بالجزية". أو "إقرار بعض الكفار على كفرهم ببذل الجزية والتزام أحكام الملة)**".

الحكمة من مشروعية عقد الذمة:

أن يترك الحربي القتال مع احتمال اعتناقه الإسلام مختارا. وذلك بعد مخالطته للمسلمين واطلاعه على محاسن الإسلام وخصائص شرائعه، وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال عن طريق الجزية.

من تعقد له الذمة ومن لا تعقد له:

تعقد الذمة على العموم لغير المسلمين الذين يريدون أن يقيموا بدار الإسلام سواء كانوا يعيشون مع المسلمين أم هم مستقلون في أماكنهم بعيدون عن المسلمين، وهم ينقسمون بناء على اختلاف الفقهاء إلى ثلاث طوائف:

---

(١) مختار الصحاح ص٢٢٣، وتاج العروس ج٨ ص٣٠١ مادة ذمم، ولسان العرب ج٢ ص٢٢١، ٢٢٢.
(٢) ابن الجزري .القوانين الفقهية ، ج٤ ١٠ .
(٣) الغزالي ، الوجيز ، ج٢ ، ص ١٩٨ .
(٤) العنقري ، حاشية الروض المربع ، ج٢ ، ص ٢٥ .

الطائفة الأولى: من تعقد له الذمة إجماعا بدون خلاف، وهم: أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس ، وهؤلاء يجوز عقد الذمة لهم بلا خلاف بين الفقهاء، وذلك لأن أهل الكتاب قد صرحت آية الجزية في جواز عقد الذمة لهم كما في قوله تعالى: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآَخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ(٢٩))[١] ، أما المجوس فقد ثبت لهم جواز عقد الذمة بالسنة القولية والفعلية. فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أخذ من مجوس هجر الجزية[٢] ، وأخذ الجزية من المجوس لا لأنهم أهل كتاب أو لأنهم لهم شبهة كتاب فإن هذا مما لم يصح به دليل؛ وإنما هذا لثبوت أخذها منهم بالسنة كما مر.

الطائفة الثانية: من لا تعقد لهم الذمة إجماعاً بلا خلاف وهم:

المرتدون وهؤلاء لا يجوز عقد الذمة لهم إجماعاً وذلك للأسباب الآتية:

١- قوله تعالى: (تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ.. (١٦))[٣] ، فهذه الآية نزلت في أهل الردة من بني حنيفة[٤]..

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: (من بدل دينه فاقتلوه) رواه البخاري، فهم ليسوا على دين يقرون عليه وبذلك أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد، وإن اختلفوا في وجوب الاستتابة قبل قتله، وعقد الذمة يتنافى مع وجوب القتل؛ لأن الذمة تفيد العصمة لصاحبها والمرتد يستحق القتل، إذن فلا يجوز عقد الذمة له.

الطائفة الثالثة: المشركون وهم عبدة الأوثان والأصنام والملحدون غير المرتدين:

وهؤلاء اختلف فيهم الفقهاء على ثلاثة أقوال:

القول الأول: لا يجوز عقد الذمة وأخذ الجزية من غير أهل الكتاب والمجوس عربا كانوا أو عجما، والقائل به: الشافعية والحنابلة والظاهرية رحم الله الجميع.

---

(١) سورة التوبة .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٥٧ .
(٣) سورة الفتح .
(٤) الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٩ ، ص ٣٧٥ .

واستدلوا بما يلي:

١- قوله تعالى: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ (٥٠))[١]

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) متفق عليه.

وجه الاستدلال: أن الآية والحديث يدلان على أن القتال واجب إلا من استثني بجواز تركه حيث استثني من ذلك أهل الكتاب بآية الجزية، والمجوس بالسنة النبوية ، وأما من عداهم من غير المسلمين فإنه داخل في عموم الآية والحديث فلا يجوز عقد الذمة لهم.

دراسة الاستدلال:

أولا: بأن الآية الكريمة التي فيها: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) والآيات التي قبلها في سورة التوبة، إنما نزلت قبل آية الجزية في السورة نفسها[٢] ، فإنه قبل نزول آية الجزية كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين من العرب والعجم وأهل الكتاب ولم يأخذ منهم الجزية، ثم نزلت آية الجزية فأخذها من أهل نجران وهم نصارى العرب، كما أخذها من المجوس وليسوا هم أهل كتاب، فأخذها من المجوس يعد التفسير العملي أو الخطوة التطبيقية لمراد آية الجزية، وهذا دليل على جواز أخذها من جميع المشركين إذ لا يخص مراد الآية أهل الكتاب فقط، وعلى هذا فلا يكون ذكر أهل الكتاب فيها دليلا على حصر الآية بجواز عقد الذمة لهم دون غيرهم.

ثانيا: يجوز حمل الحديث على أنه قبل نزول آية الجزية، كما يجوز حمله أيضا على أن المقصود بالقتال هو القتال أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها، وقال بعضهم: يحمل الحديث على مشركي العرب فقط.

ومع هذه الاحتمالات في مدلول هذا الحديث لا يبقى حجة للمستدلين به على عدم

---

(١) سورة التوبة .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٩٧ .

جواز عقد الذمة لغير أهل الكتاب[1]..

القول الثاني: يجوز عقد الذمة لجميع المشركين إلا عبدة الأوثان من العرب: القائل به: الحنفية وأحد قولي أحمد[2] ، واستدلوا: بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من المجوس، وعقد لهم الذمة مع أنهم ليسوا أهل كتاب، فدل على جواز عقدها لجميع المشركين عدا عبدة الأوثان من العرب؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ولأن قوله تعالى: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) نزلت في عبدة الأوثان من العرب دون غيرهم؛ ولأن كفرهم قد تغلظ فلا يجوز عقد الذمة لهم.

ونوقش استدلالهم:

١– أن عدم ثبوت أخذ الجزية من عبدة الأوثان من العرب لا يدل على عدم قبول الجزية منهم؛ لأن آية الجزية إنما نزلت عام تبوك في السنة التاسعة من الهجرة بعد أن أسلمت جزيرة العرب ولم يبق بها أحد من عبدة الأوثان، ولو بقي منهم أحد تقبل منه الجزية كما تقبل من المجوس والنصارى من العرب[3].

٢– أنه لا فرق بين شدة كفر بعض الطوائف وبين غيره في الحكم، وبالتالي فإن كفر المجوس أغلظ من كفر عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم يقرون بتوحيد الربوبية بخلاف المجوس[4].

القول الثالث:

يجوز عقد الذمة لجميع المشركين بلا استثناء: القائل به: الأوزاعي ومالك واختاره ابن تيمية وابن القيم رحم الله الجميع.

واستدلوا بما يلي :

١– حديث بريدة رضي الله عنه وفيه: (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٩٧ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج١٢ و ص ٧٦٤ ، والكاساني ، لبدائع ج٩ ، ص ٣٧٤ .
(٣) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ١٦
(٤) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٢٢٤

ثلاث إلى ثلاث خصال... ومنها: فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم..) رواه مسلم، فهذا الحديث كان بعد نزول آية الجزية بدليل استمرار حكمه بعد عصره صلى الله عليه وسلم وكان يشمل بعمومه جميع أصناف المشركين، لأن قوله صلى الله عليه وسلم: (عدوك من المشركين) عام يشمل مشركي العرب وغيرهم، وحمله على أهل الكتاب فقط في غاية البعد[1].

يقول البغوي في شرح السنة: فظاهره يوجب قبول الجزية من كل مشرك كتابي أو غير كتابي[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة: "إن الجزية تؤخذ من كل كافر هذا ظاهر الحديث، ولم يستثن منه كافرا من كافر، ولا يقال: هذا مخصوص بأهل الكتاب فإن اللفظ يأبى اختصاصهم بأهل الكتاب[3]. وقال أيضا "تؤخذ من أهل الكتاب بالقرآن ومن عموم الكفار بالسنة[4]".

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل هجر وإلى المنذر بن ساوى –أمير البحرين– وإلى ملوك الطوائف يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية، ولم يفرق بين عربي وغيره[5].

٣- أن عدم جواز عقد الذمة لبعض أصناف المشركين يعد إكراها لهم على تبديل عقيدتهم وإرغامهم على الدخول في الإسلام كرها، وهذا يخالف ما جاء في الشرع الإسلامي، قال تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ....(٢٥٦))[6].

الراجح:

وهكذا يتضح مما سبق من خلال عرض الأقوال وأدلة كل قول، رجحان القول الثالث

---

(١) سبل السلام ، ج٤ ، ص ٦١ .
(٢) البغوي ، شرح السنة ، ج١١ و ص ٩ .
(٣) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ١٥ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٣ ، ص ٢١٢
(٦) سورة البقرة ،

وهكذا يتضح مما سبق من خلال عرض الأقوال وأدلة كل قول، رجحان القول الثالث القاضي بجواز عقد الذمة لجميع المشركين بدون استثناء[1].

أهل الذمة ما لهم حقوق الذميين:

جاء في بعض الآثار عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– قال: "إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا" روى مثله الدار قطني.

بعد عقد الذمة للكفار يلزم المسلمين الكف عنهم نفسا ومالا، فليس لهم أن يؤذوهم في شيء من ذلك وعلى المسلمين خلاص من أسر من أهل الذمة واسترجاع ما أخذ من أموالهم؛ لأن المسلمين منوط بهم حماية أهل الذمة والذب عنهم ودفع ما يحيق بهم من ضرر أو شر عدوان.

ويلزم المسلمين أن يضمنوا ما أتلفوه على أهل الذمة سواء كان المتلَفُ نفسا أو مالا، أي: يضمنه المتلِف من المسلمين مثلما يضمن مال المسلم نفسه وهو ما لا خلاف فيه.

ويلزم المسلمين أن يدفعوا عنهم أهل الحرب وغيرهم إذا كانوا أهل الذمة في بلاد المسلمين؛ لأنه لابد من الذب عن الدار ومنع الكفار من طروقها، وكذلك لو انفرد ببلد مجاور لدار الإسلام فإنه يلزم الذب عنهم إن أمكن إلحاقا لهم بأهل الإسلام في العصمة والصيانة ، قال في المغني "وإذا عقد الذمة فعليه حمايتهم من المسلمين وأهل الحرب أو أهل الذمة؛ لأنه التزم بالعهد حفظهم... ولهذا علي رضي الله عنه: (إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا)[2] ، وقال عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة بعده: (وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم)[3]، قال في دليل الطالب للشيخ يوسف بن مرعي مع المنار: (ويحرم قتال أهل الذمة وأخذ أموالهم ويجب على الإمام حفظهم ومنع من يؤذيهم)[4].

---

(١) للاستزادة: المغني مع الشرح الكبير (٧٥٦/١٢) وبعدها، الشرح الممتع (٦٠/٨) وبعدها. أحكام أهل الذمة لابن القيم (١٥/١) وبعدها، أثر اختلاف الدارين في المعاملات والمناكحات ص١٢٢ وغيرها.

(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج١٢ ، ص ٢٢٨ .

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٠٥٢ .

(٤) يوسف بن مرعي ، دليل الطالب ، ج١ ، ص ٣٢٨ .

فلهم الحقوق العامة وهي الحقوق اللازمة للإنسان، والتي لا يمكن الاستغناء عنها وهذه الحقوق مقررة لحماية الشخص في نفسه وحريته وماله كالحق في الاعتقاد وحرمة المسكن والتنقل وغيرها.

وقد وردت جملة من الأحاديث النبوية في حماية أهل الذمة ودفع الظلم عنهم وتوفير الحرية الشخصية لهم ومنها:

١- فعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)[١].

٢- ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة)[٢] .

٣- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل نفسا معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها)[٣].

٤- عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما)[٤] .

٥- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما)[٥] .

٦- وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قتل نفس معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام)[٦].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٦٦ .
(٢) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٣٠٥٢ .
(٣) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٤٧٦٢ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٧٦٤ .
(٥) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٧٣٨٢ .

٧- قال صلى الله عليه وسلم: (من قتل معاهدا في غير كُنْهِهِ حرم الله عليه الجنة) رواه أبو داود والنسائي، وصححه الألباني ، وقوله: (في غير كنهه) قال في عون المعبود: "قال في النهاية: كنه الأمر حقيقته، وقيل: وقته وقدره، وقيل: غايته، يعني من قتله في غير وقته أو غاية أمره الذي يجوز فيه قتله. انتهى، وقال العلقمي: "أي: في غير وقته أو غاية أمره الذي يجوز فيه مثله(٢).

قال العلامة السفاريني: في غير كنهه: أي وقته الذي لا يجوز قتله فيه حين لا عهد له ، ففي هذه الأحاديث وغيرها التصريح بعدم التعرض للذميين بشيء من أنواع الأذى في النفس والمال أو تكلفته ما لا يطيق، بل نجد في هذه الأحاديث من الوعيد مما قد لا تجده في غيره؛ وذلك لأن عقد الذمة ألحق هؤلاء الكفار بالمسلمين في العصمة والصيانة، فإذا أخل أحد من أهل الإسلام ونالهم بشيء من الأذى في النفس أو المال وقع تحت طائلة هذا الوعيد الشديد في هذه النصوص النبوية الصحيحة(٣).

ما يجب على أهل الذمة:

يجب على الإمام أن يعقد لأهل الذمة حيث أَمِن مكرهم، فإن خاف غائلتهم إذا تمكنوا بدار الإسلام فلا يعقد لهم، وأن يلتزموا بخمسة أحكام:

١- أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون في كل عام، وتؤخذ الجزية من الرجال البالغين لقول صلى الله عليه وسلم: (خذ من كل حالم دينارا)(٤) ، ولا تؤخذ الجزية من امرأة وخنثى وصبي ومجنون وقن وزمن وأعمى وشيخ فانٍ وراهبٍ في صومعته.

٢- أن لا يذكروا دين الإسلام إلا بالخير، فيجب أن يمتنعوا عما فيه غضاضة على المسلمين كذكر الله سبحانه وتعالى أو كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو دينه بسوء.

---

(١) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٤٧٦١ .
(٢) العظيم أبادي ، عون المعبود ، ج٥ ، ص ١٩٤ .
(٣) الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١٩ ، ، ص ٨٨ .
(٤) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ١٥١ .

٣- الامتناع عن إظهار المنكر كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والفطر في رمضان في أمصار المسلمين.

٤- التزام أحكام المسلمين في العقود والمعاملات وغرامات المتلفات ، قال ابن ضويان في منار السبيل: أي تجري عليهم أحكام المسلمين في حقوق الآدميين في العقود والمعاملات، وأروش الجنايات وقيم المتلفات؛ لقوله تعالى: (وَهُمْ صَاغِرُونَ)، قيل الصغار: جريان أحكام المسلمين عليهم". وقال كذلك : ولأنهم التزموا أحكام الإسلام وهذه أحكامه، ويقرون على ما يعتقدون حله كخمر ونكاح ذات محرم، لكن يمنعون من إظهاره لتأذي المسلمين؛ لأنهم يقرون على كفرهم وهو أعظم جرما[1] .

٥- الامتناع من إحداث الكنائس والبيع، وكذا الجهر بكتبهم وإظهار شعارهم وأعيادهم في الدار؛ لأنه فيه استخفافا بالمسلمين. وهذا ما عاهدهم عليه عمر -رضي الله عنه- في كتاب عبد الرحمن بن غنُم الذي اشتهر بالشروط العمرية ، قال ابن القيم رحمه الله في أحكام أهل الذمة: وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها واحتجوا بها ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها[2] .

ومما جاء في هذه الشروط العمرية ما يلي:

١- وأن لا نضرب ناقوسا إلا ضربا خفيفا في جوف كنائسنا .

٢- لا نظهر عليها صليبا .

٣- لا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في الصلاة فيما يحضره المسلمون.

٤- أن لا نخرج باعوثا أو شعانين الأعياد والاستسقاء.

٥- لا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديرا ولا قلاية ولا صومعة راهب.

---

(١) ابن ضويان ، منار السبيل ، ج١ ، ص ٣٢١ .

(٢) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج٢ ، ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ .

٦- ولا نجدد ما خرب من كنائسنا. لا ما كان منها في خطط المسلمين.

٧- وأن لا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار.

٨- أن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل.

٩- لا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً

١٠- ألا نكتم غشا للمسلمين.

١١- أن لا نخرج صليبا ولا كتاباً في سوق المسلمين.

١٢- أن لا نخرج باعوثاً - والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر- ولا شعانين (عيد للنصارى).

١٣- لا نرفع أصواتنا مع موتانا.

١٤- لا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين.

١٥- ألا نجاورهم بالخنازير.

١٦- لا نبيع الخمور.

١٧- لا نظهر شركاً.

١٨- لا نرغِّب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً، ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين.

١٩- ألا نمنع أحداً من أقربائنا أراد الدخول في الإسلام.

٢٠- أن نلزم زينا حيثما كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، وأن نجزَّ مقادم رؤوسنا، ولا نفرق نواصينا، ونشدُّ الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية.

٢١- لا نركب السروج، ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف.

٢٢- أن نوقر المسلمين في مجالسهم.

٢٣- نرشد المسلمين الطريق.

٢٤- نقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس.

٢٥- لا نطلع عليهم في مجالسهم.

٢٦- لا يشارك أحد منا في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة.

٢٧- لا نعلم أولادنا القرآن.

٢٨- أن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيامٍ، ونطعمه من أوسط ما نجد.

ضَمِنًّا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيّرنا أو خالفنا عمّا شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق[1] .

ويقول كذلك رحمه الله: (البلاد التي أنشأها المسلمون في الإسلام... مثل البصرة والكوفة وواسط وبغداد والقاهرة... فهذه البلاد صافية للإمام إن أراد الإمام أن يقر أهل الذمة فيها ببذل الجزية جاز، فلو أقرهم الإمام على أن يحدثوا فيها بيعة أو كنيسة... وإن شرط ذلك وعقد عليه الذمة كان العقد والشرط فاسداً، وهو اتفاق من الأمة لا يعلم بينهم فيه نزاع.

وقال: ولا يجوز للإمام أن يصالحهم في دار الإسلام على إحداث شعائر المعاصي والفسوق فكيف بإحداث موضع الكفر والشرك؟!!).

وقال: فإن قيل: فما حكم هذه الكنائس التي في البلاد التي مصرها المسلمون"؟

قيل: هي على نوعين:

أحدهما: أن تحدث الكنائس بعد تمصير المسلمين فهذه تزال اتفاقا.

الثاني: أن تكون موجودة بفلاة من الأرض ثم يمصر المسلمون حولها المصر، فهذه لا تزال... ثم قال رحمه الله: الأمصار التي أنشأها المشركون ومصروها ثم فتحها المسلمون عنوة وقهرا بالسيف فهذه لا يجوز أن يحدث فيها شيء من البيع والكنائس[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى : وقد اتفق المسلمون على أن ما بناه المسلمون من المدائن لم يكن لأهل الذمة أن يحدثوا فيها كنيسة.

---

(١) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج٣ ، ص ١٣٥٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٥٨ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ص ٤٨٤ .

وقال رحمه الله في مجموع الفتاوى: (والمدينة التي يسكنها المسلمون والقرية التي يسكنها المسلمون وفيها مساجد لا يجوز أن يظهر فيها شيء من شعائر الكفر لا كنائس ولا غيرها إلا أن يكون لهم عهد فيوفى لهم بعهدهم)[1].

ما ينتقض به عقد الذمة:

عقد الذمة إذا تم عقده في حق المسلمين لازم، إذ لا يملك المسلمون أن ينقضوه بحال طالما التزم أهل الذمة بما عليهم. أما أهل الذمة فيجب عليهم الوفاء به ما داموا في دار الإسلام، وإذا نقضوه صاروا من أهل الحرب، يحل منهم ما يحل من أهل الحرب.

لذلك إذا أرادوا استمرارية عقد الذمة في حقهم فيلزمهم أن يمتنعوا من جملة أعمال فيها من المعاصي والفسق ما يسيء إلى شريعة الله وما يؤذي المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم ومشاعرهم، فأهل الذمة قد أحاطهم الإسلام بكل أسباب الرعاية والصون ودرأ عنهم كل مظاهر العدوان والشر فمن واجبهم أن لا يسيئوا إلى الدار التي يقيمون فيها حيث الأمان والسلام، وإلا انتقض عهدهم ونبذ إليهم، وصاروا حلال الدم والمال، ولذلك عني الفقهاء بذكر الأمور التي ينتقض بها عهد الذمة على النحو التالي:

١- الامتناع عن دفع الجزية للمسلمين: فإن رفض إعطاء الجزية فإن عهده انتقض وحل دمه وماله عند الجمهور خلافا للأحناف.

٢- عدم الالتزام بحكم الإسلام: فالتزام أحكام الإسلام هو قبول كل ما يحكم به عليهم من أداء حق أو ترك محرم؛ لأن معنى عقد الذمة: إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة. لأنهم لو التزموا الملة لكانوا مسلمين، لكن التزام أحكام الملة، أي: ما حكمت به الشريعة الإسلامية عليهم من أداء الحقوق وترك

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ص ٤٨٥ ، وانظر : المغني لابن قدامة مع الشرح الكبير (١٢/ ٨١١ وبعدها)، والشرح الكبير بحاشية المغني (٨٢٣/١٢ وبعدها).، بدائع الصنائع للكاساني (٣٨٣/٩ وبعدها). ، أحكام أهل الذمة لابن القيم (٤٥٥/٢ وبعدها).، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- (٤٨٤/٢٨ وبعدها).، حكم بناء المعابد والكنائس للشيخ إسماعيل الأنصاري تقديم الشيخ عبد العزيز بن باز رحم الله الجميع.

المحرمات ، فإن لم يلتزموا أحكام الملة، بأن صاروا يجهرون بشرب الخمر ويعلنونه، ولا يلتزمون بإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه ولا يتورعون عن نكاح ذوات المحارم في غير المجوس؛ لأن المجوس يرون أن نكاح ذوات المحارم جائز، لكن اليهود والنصارى لا يرون ذلك، فإذا أبى التزام أحكام الإسلام انتقض عهده ونبذ إليه.

٣- التعدي على مسلم بقتل أو فتنة في دينه: فإن تعدى الذمي على مسلم أو مسلمة بقتل فإن عهده ينتقض حتى لو عفا أولياء المقتول فإن عهده ينتقض؛ لأن أولياء المقتول إن طالبوا بالقصاص اقتص منه، وإلا لم يقتص منه، لكن بالنسبة للعهد ينتقض ، فعن أنس رضي الله عنه: (أن يهوديا رض رأس جارية بين حجرين، قيل من فعل هذا بك؟ أفلان، أفلان؟؟ حتى سمي اليهودي، فأومأت برأسها، فأخذ اليهودي فاعترف، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم به فرض رأسه بين حجرين)[1]

٤- التعدي على مسلمة بزنى أو إصابتها بنكاح: ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه رفع إليه رجل أراد استكراه امرأة مسلمة على الزنى، فقال: (ما على هذا صالحناكم، فأمر به فصلب في بيت المقدس)[2] .

٥- قطع الطريق على المسلمين: وذلك لعدم وفائه بمقتضى الذمة من أمن جانبه، فينتقض عهده بذلك.

٦- التجسس على المسلمين: وهذا من أشر ما يكون إذا تعدى على المسلمين بالتجسس فينتقض عهده بذلك.

٧- ذكر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم أو ذكر كتابه أو شريعته بسوء: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الاختيارات العلمية: (وإذا أبى أهل الذمة بذل الجزية أو الصغار أو التزام حكمنا ينقض عهده، ومن قطع الطريق على المسلمين أو تجسس عليهم أو أعان أهل الحرب على سبي المسلمين أو أسرهم ، وذهب بهم إلى

---

(١) مام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٤١٣ .
(٢) الألباني ، لإرواء الغليل ، رقم الحديث ١٢٧٨ .

دار الحرب ونحو ذلك مما فيه مضرة على المسلمين فهذا يقتل ولو أسلم[1].

وقال أيضا في الاختيارات: وساب الرسول صلى الله عليه وسلم يقتل ولو أسلم وهو مذهب أحمد[2]، فعن علي رضي الله عنه: (أن يهودية كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها)[3].

ويشهد له حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر قال فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فأخذ المغول وهو سيف قصير، فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع الناس فقال أنشد الله رجلا فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين وكانت بي رفيقة فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا اشهدوا أن دمها هدر)[4] .

الواجب تجاه من انتقض عهده:

ذكر العلماء أن الذمي إذا انتقض عهده فأمره إلى الحاكم وهو مخير فيه كالأسير الحربي بين أن:

١- أن يسترقه – يجعله رقيقا –.

٢- أو يقتله.

٣- أو يمن عليه فيطلق سراحه.

---

(١) ابن تيمية ، الاختيارات العلمية ، ص ٣١٩ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .
(٣) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٤٣٦٢ .
(٤) الألباني إرواء الغليل ، ج٥ ، ص ٩١ .

٤-	أو يطلق سراحه بمال أو مصلحة للمسلمين.

وتخيير الإمام في هذه الأربعة حسب مصلحة المسلمين ولا يترك الأمر لهواه وشهوته. ويصير ماله فيء في الأصح ويصرف في مصالح المسلمين العامة.

قالوا: لأنه كافر لا أمان له، قدرنا عليه في دارنا بغير عقد ولا عهد.

قالوا: ولا ينتقض عهد نسائه ولا أولاده؛ وذلك لوجود النقض منه دونهم فاختص حكمه به فقط وهنا يتبعض الحكم لتبعض موجبه[١] .

يقول الدكتور منقذ محمود السقار: (تمتع غير المسلمين – المقيمون في بلاد المسلمين – بسلسلة من الضمانات التي منحها لهم المجتمع المسلم بهدي من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولسوف نعرض لأهم هذه الضمانات، ونوثقها بشهادة التاريخ ونصوص الفقهاء، حراس الشريعة، ورثة النبي صلى الله عليه وسلم .

أولاً : ضمان حرية المعتقد:

يعتقد المسلمون أن دينهم هو الحق المبين، وأن ما عداه إنما هي ديانات حُرفت ونُسخت بالإسلام أو ضلالات وقع فيها البشر جهلاً منهم بحقيقة الدين والمعتقد ، وقد عمل المسلمون على استمالة الأمم والشعوب التي اختلطوا بها إلى الإسلام، وذلك بما آتاهم الله من حجة ظاهرة وخلق قويم ودين ميسر تقبله الفطر ولا تستغلق عن فهم مبادئه العقول، ولم يعمد المسلمون طوال تاريخهم الحضاري العظيم إلى إجبار الشعوب أو الأفراد الذين تحت ولايتهم، وذلك تطبيقاً لمجموعة من المبادئ الإسلامية التي رسخت فيهم هذا السلوك:

١- حتمية الخلاف وطبيعته:

إن التعدّد في المخلوقات وتنوّعها سنة الله في الكون وناموسه الثابت، فطبيعة الوجود في الكون أساسها التّنوّع والتّعدّد.

---

(١) موقع صوت السلف ، على الشبكة العنكبوتية .

والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية، فاختلف البشر إلى أجناس مختلفة وطبائع شتى، وكلّ من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السُّنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

واختلاف البشر في شرائعهم هو أيضاً واقع بمشيئة الله تعالى ومرتبط بحكمته، يقول الله: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨))[١] .

قال ابن كثير : هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث اللّه به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد[٢] ، وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(١١٩))[٣] .

قال ابن حزم: وقد نص تعالى على أن الاختلاف ليس من عنده، ومعنى ذلك أنه تعالى لم يرض به، وإنما أراده تعالى إرادة كونٍ، كما أراد الكفر وسائر المعاصي[٤].

قال ابن كثير عن قول الله (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) : "أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم ..

قال الحسن البصري: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، فمن رحم ربك غير مختلف[٥] .

---

(١) سورة المائدة .
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦٧/٢).
(٣) سورة هود .
(٤) ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام (٦٤/٢).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٢).

ولما كان الاختلاف والتّعدّد آية من آيات الله، فإنّ الذي يسعى لإلغاء هذا التّعدّد كلية، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعاً، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف.

١- مهمة المسلمين الدعوة إلى الله لا أسلمة الناس :

أدرك المسلمون أن هداية الجميع من المحال، وأن أكثر الناس لا يؤمنون، وأن واجب الدعاة الدأب في دعوتهم وطلب أسباب هدايتهم. فإنما مهمتهم هي البلاغ فحسب، والله يتولى حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٢))[١] وقال تعالى: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠))[٢] ، قال القرطبي: (فإن تولوا أي أعرضوا عن النظر والاستدلال والإيمان؛ فإنما عليك البلاغ، أي ليس عليك إلا التبليغ، وأما الهداية فإلينا)[٣].

قال الشوكاني في سياق شرحه لقول الله تعالى: (وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠))[٤]، أي: فليس عليك إلا تبليغ أحكام الرسالة، ولا يلزمك حصول الإجابة منهم، لما بلّغته إليهم، (وعلينا الحساب) أي: محاسبتهم بأعمالهم ومجازاتهم عليها، وليس ذلك عليك[٥] ، وقال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢))[٦]، ولذلك فإن المسلم لا يشعر بحالة الصراع مع شخص ذلك الذي تنكب الهداية وأعرض عن أسبابها، فإنما حسابه على الله في يوم القيامة ، فقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ... (٢٧٢))[٧] وقال له وللأمة من بعده:

---

(١) سورة النحل .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن (١٦١/١٠)
(٤) سورة الرعد .
(٥) الشوكاني ، فتح القدير (٩٠/٣).
(٦) سورة الغاشية.
(٧) سورة البقرة . .

﴿لِذَٰلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)﴾[١].

٢- التكريم الإلهي للإنسان، ومبدأ عدم الإكراه على الدين:

خلق الله آدم عليه السلام، وأسجد له ملائكته ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١)﴾[٢] ، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)﴾[٣] ، ووفق هذه الغاية كرم الله الجنس البشري على سائر مخلوقات الله :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠)﴾[٤].

وأكد نبينا صلى الله عليه وسلم وصحبه احترام النفس الإنسانية ، ففي الخبر أن سهل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أي من أهل الذمة فقالا: إن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام. فقيل له: إنها جنازة يهودي؟! فقال: (أليست نفساً)[٥].

ومن تكريم الله للجنس البشري ما وهبه من العقل الذي يميز به بين الحق والباطل ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾ ، وبموجبه وهبه الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء :

(١) سورة الشورى .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) سورة القرة .
(٤) سورة الإسراء .
(٥) رواه البخاري ح (١٣١٣)، ومسلم ح (٩٦١).

: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾[١]، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾[٢] ، وعليه فالإنسان يختار ما يشاء من المعتقد ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... (٢٥٦)﴾[٣] ، والله يتولى في الآخرة حسابه ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ... (٢٩)﴾[٤] ، قال ابن كثير :(أي لا تُكرِهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بَيِّن واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ؛ دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره؛ فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً)[٥]، و يقول تعالى: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)﴾[٦]، ويقول تعالى : ﴿وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾[٧].

وقد امتثل سلفنا هدي الله، فلم يلزموا أحداً بالإسلام إكراهاً، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب قال لعجوز نصرانية: أسلمي تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت أقرب إليّ! فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٨] ، والإيمان ابتداء هو عمل قلبي، فليس بمؤمن من لم ينطو قلبه على الإيمان، ولو نطق به كرهاً فإنه لا يغير في حقيقة قائله ولا حكمه، وعليه فالمكره على الإسلام لا يصح إسلامه، ولا تلزمه أحكامه في الدنيا، ولا ينفعه في الآخرة.

---

(١) سورة الإنسان .
(٢) سورة يونس .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة الكف .
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤١٦/١).
(٦) سورة الزمر .
(٧) سورة الحج .
(٨) المحلى (١٩٦/١١)

قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة: (لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من خلفائه؛ أنه أجبر أحداً من أهل الذمة على الإسلام ... وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم؛ لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً؛ مثل أن يثبت على الإسلام بعد زوال الإكراه عنه، وإن مات قبل ذلك فحكمه حكم الكفار، وإن رجع إلى دين الكفر لم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام .. ولنا أنه أكره على ما لا يجوز إكراهه عليه، فلم يثبت حكمه في حقه، كالمسلم إذا أكره على الكفر والدليل على تحريم الإكراه قول الله تعالى في سورة البقرة : (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... (٢٥٦))[1] ، وبمثله قال الفقيه الحنبلي ابن قدامة: (وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم؛ لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً)[2]. وهذا ما حصل بالفعل زمن الحاكم بأمر الله الذي يصفه ترتون بالخبل والجنون، وقد كان من خبله أن أكره كثيرين من أهل الذمة على الإسلام، فسمح لهم الخليفة الظاهر بالعودة إلى دينهم، فارتد منهم كثير سنة ٤١٨هـ[3]، ولما أُجبر على التظاهر بالإسلام موسى بن ميمون فر إلى مصر، وعاد إلى دينه، ولم يعتبره القاضي عبد الرحمن البيساني مرتداً، بل قال: (رجل يكره على الإسلام، لا يصح إسلامه شرعاً)، وعلق عليها الدكتور ترتون بقوله: (وهذه عبارة تنطوي على التسامح الجميل)[4].

لقد فقه المسلمون هذا ووعوه، فتركوا لرعاياهم من غير المسلمين حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر التعبدية، ولم يأمروا أحداً باعتناق الإسلام قسراً وكرهاً.

ثانياً: حرية ممارسة العبادة وضمان سلامة دورها:

وإذا لم يجبر الإسلام من تحت ولايته على الدخول فيه؛ فإنه يكون بذلك قد ترك الناس على أديانهم، وأول مقتضياته الإعراض عن ممارسة الآخرين لعباداتهم، وضمان سلامة دور العبادة.

---

(١) السير الكبير (١٠٣/١٠).
(٢) المغني (٢٩/٩)، وانظر كشاف القناع للبهوتي (١٨٠/٦).
(٣) أهل الذمة في الإسلام، د. أ س ترتون (٢١٤).
(٤) أهل الذمة في الإسلام، د. أ س ترتون (٢١٤).

وهذا بالفعل ما ضمنه المسلمون في عهودهم التي أعطوها للأمم التي دخلت في ولايتهم أو عهدهم، فقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران أماناً شمل سلامة كنائسهم وعدم التدخل في شؤونهم وعباداتهم ، وأعطاهم على ذلك ذمة الله ورسوله، يقول ابن سعد: "وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: أن لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير، من بيعهم وصلواتهم ورهبانهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته[1].

ووفق هذا الهدي السمح سار الخلفاء الراشدون من بعده صلى الله عليه وسلم ، فقد ضمن الخليفة عمر بن الخطاب نحوه في العهدة العمرية التي كتبها لأهل القدس، وفيها: (بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم .. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين)[2] ، وبمثله كتب عمر لأهل اللُد[3]، ، وبمثله أيضاً كتب عياض بن غنم رضي الله عنه لأهل الرقة، ولأسقف الرها[4] .

وقد خاف عمر من انتقاض عهده من بعده فلم يصل في كنيسة القمامة[5] ، حين أتاها وجلس في صحنها، فلما حان وقت الصلاة قال للبترك: أريد الصلاة. فقال له البترك:

---

(١) الطبقات الكبرى (٢٦٦/١)، وانظر كتاب الأموال، ابن زنجويه (٤٤٩/٢).

(٢) [١٤] تاريخ الطبري (٤٤٩/٤)، ويجدر هنا التنبيه إلى أن الصيغة التي أوردها ابن القيم رحمه الله للعهدة العمرية لا تصح، وقد نبه العلماء على ضعف سندها، فقال الألباني: " وإسناده ضعيف جداً من أجل يحيى بن عقبة، فقد قال ابن معين : ليس بشئ. وفي رواية : كذاب خبيث عدو الله. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم : يفتعل الحديث ". إرواء الغليل ح (١٢٦٥).

(٣) المصدر السابق (٤٤٩/٤).

(٤) انظر : فتوح البلدان (٢٣٩).

(٥) سميت كذلك لأن اليهود كانوا يلقون في مكانها القذر قبل أن تطهره هيلانة أم الامبرطور قسطنطين، وتتخذه كنيسة. انظر: تاريخ ابن خلدون (٤٣٥/١).

صل موضعك. فامتنع عمر رضي الله عنه وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة منفرداً، فلما قضى صلاته قال للبترك: (لو صليتُ داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي، وقالوا: هنا صلى عمر).

وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة، ولا يؤذن عليها، ثم قال للبترك: أرني موضعاً أبني فيه مسجداً فقال: على الصخرة التي كلم الله عليها يعقوب، ووجد عليها دماً كثيراً، فشرع في إزالته[(١)].

وحين فتح خالد بن الوليد دمشق كتب لأهلها : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى خالد بن الوليد أهل دمشق إذا دخلها أماناً على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم، ولا يسكن شيء من دورهم ، لهم بذلك عهد الله وذمة رسول الله eوالخلفاء والمؤمنين[(٢)].

وتضمن كتابه رضي الله عنه لأهل عانات عدم التعرض لهم في ممارسة شعائرهم وإظهارها: (ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعة شاءوا من ليل أو نهار، إلا في أوقات الصلاة، وأن يخرجوا الصلبان في أيام عيدهم)[(٣)].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: "لا تهدموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار[(٤)].

قال أبو الوليد الباجي: إن أهل الذمة يقرون على دينهم ويكونون من دينهم على ما كانوا عليه لا يمنعون من شيءٍ منه في باطن أمرهم، وإنما يمنعون من إظهاره في المحافل والأسواق[(٥)] .

وقال الفقهاء المسلمون بتأمين المسلمين لحقوق رعاياهم في العبادة، فقرروا أنه "يحرم إحضار

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٢٦٦/٢). وقد نقل هذه الحادثة بإعجاب المستشرق درمنغم في كتابه " The live of Mohamet" فقال: "وفاض القرآن والحديث بالتوجيهات إلى التسامح، ولقد طبق الفاتحون المسلمون الأولون هذه التوجيهات بدقة، عندما دخل عمر القدس أصدر أمره للمسلمين أن لا يسببوا أي إزعاج للمسيحيين أو لكنائسهم، وعندما دعاه البطريق للصلاة في كنيسة القيامة امتنع، وعلل امتناعه بخشيته أن يتخذ المسلمون من صلاته في الكنيسة سابقة، فيغلبوا النصارى على الكنيسة"، ومثله فعل ب سميث في كتابه: "محمد والمحمدية". نقلاً عن التسامح والعدوانية، صالح الحصين، ص (١٢٠-١٢١).

(٢) رواه البلاذري في فتوح البلدان (١٦٦)، وانظر كتاب الأموال، ابن زنجويه (٤٧٣/٢).

(٣) رواه أبو يوسف في الخراج (١٧٥).

(٤) رواه أبو عبيد في الأموال (١٣٨).

(٥) المنتقى شرح موطأ مالك (١٧٨/٢).

يهودي في سبته، وتحريمه باق بالنسبة إليه، فيستثنى شرعاً من عمل في إجازة، لحديث النسائي والترمذي وصححه: (وأنتم يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت)[1].

ويمتد أمان الذمي على ماله ، ولو كان خمراً أو خنزيراً ، وينقل الطحاوي إجماع المسلمين على حرية أهل الذمة في أكل الخنازير والخمر وغيره مما يحل في دينهم، فيقول: "وأجمعوا على أنه ليس للإمام منع أهل الذمة من شرب الخمر وأكل لحم الخنازير واتخاذ المساكن التي صالحوا عليها، إذا كان مِصراً ليس فيه أهل إسلام (أي في بلادهم التي هم فيها الكثرة)[2].

قال مالك: إذا زنى أهل الذمة أو شربوا الخمر فلا يعرض لهم الإمام؛ إلا أن يظهروا ذلك في ديار المسلمين ويدخلوا عليهم الضرر؛ فيمنعهم السلطان من الإضرار بالمسلمين.[3]

وحين أخل بعض حكام المسلمين بهذه العهود اعتبر المسلمون ذلك ظلماً، وأمر أئمة العدل بإزالته وإبطاله، ومنه أن الوليد بن عبد الملك لما أخذ كنيسة يوحنا من النصارى قهراً، وأدخلها في المسجد، اعتبر المسلمون ذلك من الغصب، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكا إليه النصارى ذلك، فكتب إلى عامله يأمره برد ما زاد في المسجد عليهم، فاسترضاهم المسلمون، وصالحوهم، فرضوا[4].

كما شكا النصارى إلى عمر بن عبد العزيز في شأن كنيسة أخرى في دمشق كان بعض أمراء بني أمية أقطعها لبني نصر، فردها إليهم[5].

ومن أمارات تسامح المسلمين مع غيرهم أنهم لم يتدخلوا في الشؤون التفصيلية لهم ، ولم يجبروهم على التحاكم أمام المسلمين وإن طلبوا منهم الانصياع للأحكام العامة للشريعة المتعلقة بسلامة المجتمع وأمنه.

---

(١) غاية المنتهى وشرحه (٦٠٤/٢)، وقد أكد عليه عدد من الفقهاء. انظر: الإنصاف للمرداوي (٢٤٨/٤)، وكشاف القناع للبهوتي (١٤٠/٣)، والحديث رواه الترمذي ح (٢٧٣٣)، والنسائي ح (٤٠٧٨)، وأحمد ح (١٧٦٢٦).
(٢) اختلاف الفقهاء (٢٣٣).
(٣) التمهيد (٣٩٢/١٤)، وانظر: أحكام أهل الذمة (٣١٧/١)، والمحلى (١١٨/٩).
(٤) رواه أبو عبيد في الأموال (٢٢٣)، وانظره في فتوح البلدان (١٧١-١٧٢).
(٥) رواه أبو عبيد في الأموال (٢٢٣)، وانظر الأموال، ابن زنجويه (٣٨٨/١)، وفتوح البلدان (١٦٩).

وينقل العيني عن الزهري قوله: مضت السنة أن يرد أهل الذمة في حقوقهم ومعاملاتهم ومواريثهم إلى أهل دينهم؛ إلا أن يأتوا راغبين في حكمنا، فنحكم بينهم بكتاب الله تعالى[1].

كما ينقل عن ابن القاسم: إن تحاكم أهل الذمة إلى حاكم المسلمين ورضي الخصمان به جميعاً؛ فلا يحكم بينهما إلا برضا من أساقفهما، فإن كره ذلك أساقفهم فلا يحكم بينهم، وكذلك إن رضي الأساقفة ولم يرض الخصمان أو أحدهما لم يحكم بينهما[2].

وقد بين المرداوي المراد من التزام الأحكام الإسلامية فقال: (لا يجوز عقد الذمة إلا بشرطين : بذل الجزية والتزام أحكام الملة من جريان أحكام المسلمين عليهم .. يلزم أن يأخذوهم بأحكام المسلمين في ضمان النفس والمال والعرض وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه)[3].

شهادات المؤرخين الغربيين على سماحة المسلمين مع غيرهم:

وإن خير شاهد على التزام المسلمين بهذه المبادئ، تلك الشهادات التاريخية المتتابعة التي سجلها مؤرخو الغرب والشرق عن تسامي المسلمين عن إجبار أحد – ممن تحت سلطانهم – في الدخول في الإسلام.

١- يقول ول ديورانت: (لقد كان أهل الذمة، المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح، لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم)[4]، ويقول: (وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين .. وأصبحوا يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وممارسة شعائر دينهم) ..

---

(١) عمدة القاري (١٦/١٦١)
(٢) عمدة القاري (١٦/١٦١)
(٣) الإنصاف (٤/٢٢٢).
(٤) قصة الحضارة (١٢/١٣١).

وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم علناً، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين .. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية، الذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد بطاركة القسطنطينية وأورشليم والاسكندرية وإنطاكيا، أصبح هؤلاء الآن أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين[١].

٢- يقول توماس آرنولد : لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي[٢].

٣- وينقل معرب (حضارة العرب) قول روبرتسن في كتابه (تاريخ شارلكن): (إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم، تركوا مَن لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية)[٣].

٤- وينقل أيضاً عن الراهب ميشود في كتابه (رحلة دينية في الشرق) قوله: ومن المؤسف أن تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح ، الذي هو آية الإحسان بين الأمم واحترام عقائد الآخرين وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة[٤].

٥- وينقل ترتون في كتابه (أهل الذمة في الإسلام) شهادة البطريك (عيشو يابه) الذي تولى منصب البابوية حتى عام ٦٥٧هـ: إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون. إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسينا وقسسنا، ويمدون يد العون إلى كنائسنا وأديرتنا[٥] .

٦- ويقول المفكر الأسباني بلاسكوا أبانيز في كتابه "ظلال الكنيسة" متحدثاً عن الفتح

---

(١) قصة الحضارة . ٢٢٢/٤
(٢) الدعوة إلى الإسلام (٩٩).
(٣) الدعوة إلى الإسلام ص٩٩
(٤) حاشية الصفحة ١٢٨ من كتاب "حضارة العرب" لغوستاف لوبون.
(٥) أهل الذمة في الإسلام (١٥٩).

الإسلامي للأندلس: "لقد أحسنت أسبانيا استقبال أولئك الرجال الذين قدموا إليها من القارة الإفريقية، وأسلمتهم القرى أزمتها بغير مقاومة ولا عداء، فما هو إلا أن تقترب كوكبة من فرسان العرب من إحدى القرى؛ حتى تفتح لها الأبواب وتتلقاها بالترحاب .. كانت غزوة تمدين، ولم تكن غزوة فتح وقهر .. ولم يتخل أبناء تلك الحضارة زمناً عن فضيلة حرية الضمير، وهي الدعامة التي تقوم عليها كل عظمة حقة للشعوب، فقبلوا في المدن التي ملكوها كنائس النصارى وبيع اليهود، ولم يخشَ المسجد معابد الأديان التي سبقته، فعرف لها حقها، واستقر إلى جانبها، غير حاسد لها، ولا راغب في السيادة عليها"[١].

٧- ويقول المؤرخ الإنجليزي السير توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): (لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة ، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة ، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة ، وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح)[٢] .

٨- وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه : (العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها؛ سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟)[٣] .

---

(١) فن الحكم في الإسلام، مصطفى أبو زيد فهمي (٣٨٧).
(٢) الدعوة إلى الإسلام (٥١).
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦٤) .

٩- يقول المؤرخ الإسباني أولاغي: (فخلال النصف الأول من القرن التاسع كانت أقلية مسيحية مهمة تعيش في قرطبة وتمارس عبادتها بحرية كاملة)[١].

١٠- يقول القس إيِلُوج : (نعيش بينهم دون أنْ نتعرض إلى أيّ مضايقات، في ما يتعلق بمعتقدنا)[٢].

بل ينقل المؤرخون الغربيون باستغراب بعض الحوادث الغريبة المشينة في تاريخنا، وهي على كل حال تنقض ما يزعمه الزاعمون المفترون على الإسلام:

١- تقول المؤرخة زيغرد: (لقد عسّر المنتصرون على الشعوب المغلوبة دخول الإسلام حتى لا يقللوا من دخلهم من الضرائب التي كان يدفعها من لم يدخل في الإسلام)[٣].

٢- ويبين لنا توماس أرنولد : (أن خراج مصر كان على عهد عثمان اثنا عشر مليون دينار، فنقص على عهد معاوية حتى بلغ خمسة ملايين، ومثله كان في خراسان، فلم يسقط بعض الأمراء الجزية عمن أسلم من أهل الذمة، ولهذا السبب عزل عمر بن عبد العزيز واليه على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي ، وكتب: "إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً)[٤].

إذا كان الحال كما عرفنا، فما السر في تقبل الشعوب للإسلام وإقبالها عليه؟

١- ينقل الخربوطلي عن المستشرق دوزي في كتابه (نظرات في تاريخ الإسلام) قوله: (إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة) [٥].

٢- ويقول غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) : (إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن ، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم .. فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به

(١) منقذ السقار ، التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، ص ٢٢ .
(٢) حوار الثقافات في الغرب الإسلامي، سعد بوفلاقة (١٤).
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦٥) .
(٤) طبقات ابن سعد (٢٨٣/٥)، والدعوة إلى الإسلام لأرنولد (٩٣).
(٥) الإسلام وأهل الذمة (١١١).

العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى)[١].

ويقول غوستاف لوبون كذلك : (وما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحاتهم وفي سهولة اقتناع كثير من الأمم بدينهم ولغتهم .. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم)[٢] .

٣- ويوافقه المؤرخ ول ديورانت فيقول: (وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة اعتنق الدين الجديدَ معظمُ المسيحيين وجميع الزرادشتيين والوثنيين إلا عدداً قليلاً منهم .. واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلدان الممتدة من الصين وأندنوسيا إلى مراكش والأندلس، وتملك خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها)[٣].

٤- ويقول روبرتسون في كتابه (تاريخ شارلكن): (لكنا لا نعلم للإسلام مجمعاً دينياً، ولا رسلاً وراء الجيوش، ولا رهبنة بعد الفتح، فلم يُكره أحد عليه بالسيف ولا باللسان، بل دخل القلوب عن شوق واختيار، وكان نتيجة ما أودع في القرآن من مواهب التأثير والأخذ بالأسباب)[٤] .

٥- ويقول آدم متز: (ولما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسلمين، فقد خلَّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسية، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها

---

(١) حضارة العرب (١٢٧).
(٢) حضارة العرب (٦٠٥).
(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت (١٣/ ١٣٣).
(٤) عفيف طبارة ، عفيف طبارة (٤١٢).

مقام كبار القضاة أيضاً، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به)[(١)].

٦- ويقول آدم متز أيضاً: (أما في الأندلس، فعندنا من مصدر جدير بالثقة أن النصارى كانوا يفصلون في خصوماتهم بأنفسهم، وأنهم لم يكونوا يلجؤون للقاضي إلا في مسائل القتل)[(٢)].

٧- لكن الخربوطلي ينقل عن الدكتور فيليب في كتابه (تاريخ العرب) حديثه عن رغبة أهل الذمة في التحاكم إلى التشريع الإسلامي، واستئذانهم للسلطات الدينية في أن تكون مواريثهم حسب ما قرره الإسلام[(٣)].

ثالثاً : حسن العشرة والمعاملة الحسنة :

أمر الله في القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨))[(٤)].

قال الطبري: (عنى بذلك لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم .. وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) يقول : إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم، فيبرون من برهم، ويحسنون إلى من أحسن إليهم)[(٥)].

والبر أعلى أنواع المعاملة ، فقد أمر الله به في باب التعامل مع الوالدين ، وقد وضحه رسول الله e بقوله : (البر حسن الخلق)[(٦)].

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٩٣/٢).
(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٩٥/٢).
(٣) الإسلام وأهل الذمة، الخربوطلي (١١٩).
(٤) سورة الممتحنة .
(٥) جامع البيان (٦٢/١٢).
(٦) رواه مسلم ح (٢٥٥٣) .

قال القرافي وهو يعدد صوراً للبر أمر بها المسلم تجاه أهل الذمة: (ولين القول على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته، لطفاً منا بهم، لا خوفاً وتعظيماً ، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، نصيحتهم في جميع أمور دينهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم .. وكل خير يحسُن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه، فإن ذلك من مكارم الأخلاق .. نعاملهم – بعد ذلك بما تقدم ذكره – امتثالاً لأمر ربنا عز وجل وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم)[1] .

وقد تجلى حسن الخلق عند المسلمين في تعاملهم مع غيرهم في كثير من تشريعات الإسلام التي أبدعت الكثير من المواقف الفياضة بمشاعر الإنسانية والرفق.

فقد أوجب الإسلام حسن العشرة وصلة الرحم حتى مع الاختلاف في الدين ، فقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين وإن جهدا في رد ابنهما عن التوحيد إلى الشرك، فإن ذلك لا يقطع حقهما في بره وحسن صحبته: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(١٥))[2] ، قال ابن كثير: (إن حرصا عليك كل الحرص، على أن تتابعهما على دينهما؛ فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك أن تصاحبهما في الدنيا (معروفاً) أي محسناً إليهما)[3]، وقد جاءت أسماء بنت الصديق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول: يا رسول الله ، قدمت عليّ أُمّي وهي راغبة ، أفأَصِلُ أُمي؟ فأجابها الرحمة المهداة : (صِلِي أُمَّك)[4] ، قال الخطابي: فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة؛ وإن كان الولد مسلماً)[5].

---

(١) الفروق (٣/٢١-٢٢)، وقد بين رحمه الله في كلام نفيس له ضوابط المعاملة مع غير المسلمين، وما يجوز منها وما لا يجوز، فليرجع إليه.
(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٤٦).
(٣) سورة لقمان .
(٤) رواه البخاري ح (٢٦٢٠)، ومسلم (رقم ١٠٠٣).
(٥) فتح الباري (٥/٢٣٤).

قال محمد بن الحسن: "يجب على الولد المسلم نفقة أبويه الذميين لقوله تعالى: (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) ، وليس من المصاحبة بالمعروف أن يتقلب في نعم الله، ويدعهما يموتان جوعاً، والنوازل والأجداد والجدات من قبل الأب والأم بمنزلة الأبوين في ذلك، استحقاقهم باعتبار الولاد بمنزلة استحقاق الأبوين[1].

وفي مثل آخر لصلة الرحم – وإن كانت كافرة – يقول عبد الله بن مروان: قلت لمجاهد: إن لي قرابة مشركة، ولي عليه دين، أفأتركه له؟ قال: نعم. وصِله[2].

ويمتد البر وصلة الرحم بالمسلم حتى تبلغ الرحم البعيدة التي مرت عليها المئات من السنين، فها هو صلى الله عليه وسلم يوصي أصحابه بأهل مصر خيراً ، براً وصلة لرحم قديمة تعود إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث قال صلى الله عليه وسلم : (إنكم ستفتحون مصر .. فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذِمة ورحِماً)[3].

قال النووي: وأما الذمة فهي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعنى الذمام ، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم[4].

ومن البر وصلة الأرحام عيادة المريض ، فقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب في مرضه[5] ، وعاد أيضاً جاراً له من اليهود في مرضه، فقعد عند رأسه.[6]. ومن صور البر التي تهدف إلى كسب القلوب واستلال الشحناء؛ الهدية، وقد أهدى النبي صلى الله عليه وسلم إلى مخالفيه في الدين، من ذلك ما رواه ابن زنجويه أن رسول الله أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة، وهو بمكة، وكتب إليه يستهديه أدماً، فأهدى إليه أبو سفيان[7].

وقبِل صلى الله عليه وسلم في خيبر هدية زينب بنت الحارث اليهودية، لكنها هدية

---

(١) المبسوط (١٠٥/٤).
(٢) رواه أبو عبيد في الأموال (٨٠٤).
(٣) رواه مسلم ح (٢٥٤٣).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٩٧/١٦).
(٥) رواه أحمد ح (٢٠٠٩) ، والترمذي ح (٣٢٣٢).
(٦) رواه البخاري ح (١٣٥٦).
(٧) رواه ابن زنجويه في كتاب الأموال (٥٨٩/٢).

غدر لا مودة، فقد أهدت له شاة مشوية دست له فيها السم[1] ، وفي مرة أخرى دعا يهودي النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير وإهالة سنخة، فأجابه صلى الله عليه وسلم [2]، كما قبِل النبي صلى الله عليه وسلم هدايا الملوك إليه، فقِبل هدية المقوقس، وهدية ملك أيلة أكيدر، وهدية كسرى[3].

قال ابن قدامة : ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبي eقبل هدية المقوقس صاحب مصر[4].

وأهدى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حُلّةً ثمينة، فأهداها عمر tأخيه بمكة كان يومئذ مشركاً[5]، قال النوويّ: وفي هذا دليل لجواز صلة الأقارب الكفار ، والإحسان إليهم، وجواز الهدية إلى الكفار[6].

ويروي البخاري في الأدب المفرد عن مجاهد أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول لغلام له يسلخ شاة: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم : اليهودي أصلحك الله!؟ فقال : سمعت النبي eيوصي بالجار، حتى خشينا أنه سيورثه[7].

وحين تحدث الفقهاء عن حقوق الضيف رأوا وجوبها لكل ضيف، سواء كان مسلماً أم غير مسلم، قال أبو يعلى: "وتجب الضيافة على المسلمين للمسلمين والكفار لعموم الخبر، وقد نص عليه أحمد في رواية حنبل، وقد سأله إن أضاف الرجل ضيفان من أهل الكفر؟ فقال: قال صلى الله عليه وسلم : (ليلة الضيف حق واجب على كل مسلم)، دل على أن المسلم والمشرك مضاف .. يعم المسلم والكافر[8].

---

(١) رواه البخاري ح (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).
(٢) رواه أحمد ح (١٢٧٨٩).
(٣) البخاري ح (١٤٨٢)، وأحمد ح (٧٤٩).
(٤) المغني (٢٦٢/٩) وانظر: كتاب الأموال، ابن زنجويه (٥٩٠/٢).
(٥) البخاري ح (٨٨٦)، ومسلم ح (٢٠٨٦).
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٩/١٤).
(٧) رواه البخاري في الأدب المفرد ح (٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ح (٧٢).
(٨) الأحكام السلطانية (١٥٨)، والحديث رواه أبو داود ح (٣٧٥٠)، وابن ماجه ح (٣٦٧٧)، وأحمد ح (١٦٧٢٠).

ومن حق الضيافة إكرام الضيف على قدر الاستطاعة ، وقد صنعه النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه عدي بن حاتم، يقول عدي: "أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد، فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئتُ بغير أمان ولا كتاب، فلما دُفعتُ إليه أخذ بيدي .. حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادة، فجلس عليها[1].

ومن أعظم أنواع البر وصوره؛ دعاءُ النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين، وهو بعض رحمته صلى الله عليه وسلم للعالمين، ومنه دعاؤه لقبيلة دوس ، وقد قدم عليه الطفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت ؛ فادع الله عليها، فقيل : هلكت دوس - أي ستهلك بدعائه عليها - فقال صلى الله عليه وسلم : (اللهم اهد دوساً، وائت بهم)[2]، ولما قيل له صلى الله عليه وسلم في موطن آخر: يا رسول اللّه، ادع على المشركين .. قال: (إنّي لم أبعث لعّاناً، وإنّما بعثت رحمةً)[3].

رابعاً : العدل في معاملتهم ورفع الظلم عنهم:

إن من أهم المثل ومكارم الأخلاق التي جاء الإسلام لحمايتها وتتميمها؛ العدل، والعدل غاية قريبة ميسورة إذا كان الأمر متعلقاً بإخوة الدين أو النسب، وغيرها مما يتعاطف له البشر ، لكن صدق هذه الخُلة إنما يظهر إذا تباينت الأديان وتعارضت المصالح، وهو ما يعنينا في هذا المبحث، فما هو حكم الإسلام في العدل مع غير المسلمين، وهل حقق المسلمون ما دعاهم إليه دينهم أم خالفوه؟

لقد أمر القرآن الكريم بالعدل، وخصَّ - بمزيد تأكيده - على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِّ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨))[4].

---

(١) رواه الترمذي ح (٢٩٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي ح (٢٣٥٣).
(٢) رواه البخاري ح (٢٩٣٧)، ومسلم ح (٢٥٢٤).
(٣) رواه مسلم ح (٢٥٩٩).
(٤) سورة المائدة.

قال القرطبي: (ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يُقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة ، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمّونا بذلك؛ فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم).[١]

وقال البيضاوي: (لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كمُثلة وقذف وقتل نساء وصِبية ونقض عهد، تشفياً مما في قلوبكم (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) أي: العدل أقرب للتقوى)[٢] .

وأعلم الله تعالى المؤمنين بمحبته للذين يعدلون في معاملتهم مع مخالفيهم في الدين الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، فقال: (لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨))[٣]فالعدل مع الآخرين موجب لمحبة الله.

وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم أهل الذمة وانتقاص حقوقهم، وجعل نفسه الشريفة خصماً للمعتدي عليهم، فقال: (من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس؛ فأنا حجيجه يوم القيامة)[٤].

وأكد أن ظلم غير المسلم موجب لانتقام الله الذي يقبل شكاته ودعوته على ظالمه المسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم (اتقوا دعوة المظلوم – وإن كان كافرًا – فإنه ليس دونها حجاب)[٥] .

ولمزيد التأكيد يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بعدم التعرض للمستضعفين من غير المسلمين بالظلم والتسلط، فيقول: (لعلكم تقاتلون قوماً فتظهرون عليهم، فيتقوكم بأموالهم دون أنفسهم وذراريهم، فيصالحونكم على صلح، فلا تصيبوا منهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/١١٠).
(٢) مواهب الجليل (١٣٧).
(٣) سورة الممتحنة .
(٤) رواه أبو داود ح (٣٠٥٢)، و نحوه في سنن النسائي ح (٢٧٤٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ح (٢٦٢٦).
(٥) رواه أحمد ح (١٢١٤٠).

فوق ذلك ، فإنه لا يصلح لكم).

لذا لما سأل رجل ابن عباس فقال: إنا نمر بأهل الذمة، فنصيب من الشعير أو الشيء؟ فقال الحبر ترجمان القرآن: (لا يحل لكم من ذمتكم إلا ما صالحتموهم عليه)[1].

ولما كتب النبي كتاب صلحه لأهل نجران قال فيه: (ولا يغير حق من حقوقهم ، ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين)[2].

أما منتهى الظلم وأشنعه، فهو قتل النفس بغير حق، لهذا جاء فيه أشد الوعيد وأعظمه، يقول صلى الله عليه وسلم : (من قتل معاهَداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)[3].

قال ابن حجر: (المراد به من له عهد مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم)[4].

ومن الطريف أن الخوارج الذين استباحوا دماء المسلمين وأوغلوا فيها توقفوا عن قتل أهل الذمة خشية نقض عهدهم. قال ابن حجر: (الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم، وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم)[5].

وقال صلى الله عليه وسلم : (أيما رجل أمّن رجلاً على دمه، ثم قتله، فأنا من القاتل بريء، وإن كان المقتول كافراً)[6].

قال ابن القيم: (المستأمن يحرم قتله، وتضمن نفسه، ويقطع بسرقة ماله)[7] .

---

(١) رواه أبو داود ح (٣٠٥١)، ورواه سعيد بن منصور في سننه ح (٢٦٠٣) وضعفه الألباني لإبهام في إسناده في ضعيف أبي داود ح (٦٦٥).
(٢) رواه أبو عبيد في الأموال (٢١٩).
(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٢٦٦) .
(٤) رواه البخاري ح (٣١٦٦).
(٥) فتح الباري (٢٥٩/١٢).
(٦) فتح الباري (٣٠٢/١٢)
(٧) رواه ابن حبان ح (٥٩٨٢)، والبيهقي في السنن ح (١٤٢/٩)، والطبراني في معجمه الأوسط (٤٢٥٢).
(٨) أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٣٧).

ويقول القرطبي: (الذمي محقون الدم على التأبيد، والمسلم كذلك، وكلاهما قد صار من أهل دار الإسلام، والذي يحقِق ذلك: أنّ المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أنّ مال الذمي قد ساوى مال المسلم، فدل على مساواته لدمه، إذ المال إنّما يحرم بحرمة مالكه[(١)].

وقد ذهب جمع من العلماء على أن المسلم يقتل بقتله النفس المعصومة من غير المسلمين، وتأولوا الحديث الوارد في النهي عن ذلك ، ويروي عبد الرزاق عن إبراهيم النخعي أن رجلاً مسلماً قتل رجلاً من أهل الذمة من أهل الحيرة على عهد عمر، فأقاد منه عمر)[(٢)].

ويروي الشافعي في مسنده أن رجلاً من المسلمين أُخذ على عهد علي رضي الله عنه وقد قتل رجلاً من أهل الذمة، فحكم عليه بالقصاص، فجاء أخوه، واختار الدية بدلاً عن القود، فقال له علي: "لعلهم فرقوك أو فزّعوك أو هددوك؟" فقال: لا ، بل قد أخذت الدية، ولا أظن أخي يعود إلي بقتل هذا الرجل، فأطلق علي القاتل، وقال: (أنت أعلم، من كانت له ذمتنا، فدمه كدمنا، وديته كديتنا)[(٣)] .

ويحدث ميمون بن مهران أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض أمرائه في مسلم قتل ذميّاً، فأمره أن يدفعه إلى وليه، فإن شاء قتله، وإن شاء عفا عنه. يقول ميمون: فدفع إليه، فضرب عنقه، وأنا أنظر[(٤)] .

ولئن اختلف الفقهاء في مسألة قتل المسلم بالذمي؛ فإنهم لم يختلفوا في عظم الجناية وشناعة الفعل، كما لم يختلفوا في وجوب العدل مع مخالفيهم في الدين ووجوب كف الأذى والظلم عنهم.

قال صلى الله عليه وسلم : (إن الله عز وجل لم يُحِلَّ لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ، ولا ضَرْبَ نسائهم ، ولا أكلَ ثمارهم ، إذا أعطوكم الذي عليهم)[(٥)] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤٦).
(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/١٠١).
(٣) رواه الشافعي في مسنده (١/٣٤٤)، والبيهقي في السنن (٨/٣٤).
(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/١٠١).
(٥) رواه أبو داود ح (٣٠٥٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٨٨٢).

ويرى ابن عابدين في حاشية الدر المختار وجوب " كف الأذى عن الذمي، وتحرم غيبته كالمسلم[1].، ويفسر ابن عابدين ذلك بقوله: لأنه بعقد الذمة وجب له ما لنا، فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت غيبته، بل قالوا: إن ظلم الذمي أشد[2]، قال القرافي: عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عِرْض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام[3].

وشواهد عدل المسلمين مع أهل ذمتهم كثيرة، منها العدل معهم في خصومتهم مع الخلفاء والأمراء، ومنه خصومة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع يهودي في درعه التي فقدها ثم وجدها عند يهودي، فاحتكما إلى شريح القاضي، فحكم بها لليهودي، فأسلم اليهودي وقال: "أما إني أشهد أن هذه أحكام أنبياء! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه، فيقضي لي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق. فقال علي رضي الله عنه: أما إذ أسلمت فهي لك[4] ، ومنه أيضاً قصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر وابنه، وقد اقتص الخليفة للقبطي في مظلمته، وقال مقولته التي أضحت مثلاً: يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟[5] ، ولما كان ابن رواحة رضي الله عنه يخرص ليهود خيبر حاولوا رشوته فأبى، وقال: (وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي). فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض، قد أخذنا، فاخرجوا عنا[6] .

---

(١) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه (٤١٠/٦).
(٢) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه (١٧١/٤).
(٣) الفروق (٢٠/٣).
(٤) حلية الأولياء (١٤١/٤)، والبداية والنهاية (٤/٨ – ٥).
(٥) تاريخ عمر، ابن الجوزي (١٢٩-١٣٠)، وانظر فتوح مصر، لابن الحكم (١٩٥).
(٦) رواه أحمد ح (١٤٥٢٦).

ومن عجيب الأخبار، أخبار عدل الخلفاء مع أهل ذمة الله ورسوله والمؤمنين ؛ أن عمير بن سعد رضي الله عنه ترك ولاية حمص لإساءته إلى ذمي، فقد قال للخليفة مستعتباً عن الرجوع إلى الإمارة: (إن ذلك لسيء، لا عملت لك، ولا لأحد بعدك، والله ما سلِمت، بل لم أسلم، قلت لنصراني: أخزاك الله، فهذا ما عرضتني به يا عمر، وإن أشقى أيامي يوماً خلفت معك يا عمر) ولم يجد الخليفة بُداً من قبول هذه الاستقالة[1]وفي تاريخ دمشق أن عميراً قال للخليفة عمر: " فما يؤمنني أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خصمي يوم القيامة ومن خاصمه خصمه[2]، ولما ولي أمير العدل عمر بن عبد العزيز أمر مناديه أن ينادي: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها، فقام إليه رجل ذمي يشكو الأمير العباس بن الوليد بن عبد الملك في ضيعة له أقطعها الوليد لحفيده العباس، فحكم له الخليفة بالضيعة، فردها عليه[3]، وفي أحيان أخرى لم يأخذ المسلمون العدل من خصومهم، بل عفوا وتجاوزوا كما جرى زمن معاوية بن أبي سفيان حين نقض أهل بعلبك عهدهم مع المسلمين، وفي أيدي المسلمين رهائن من الروم، فامتنع المسلمون من قتلهم، ورأوا جميعاً تخلية سبيلهم، وقالوا: وفاء بغدر خير من غدر بغدر. قال هشام: وهو قول العلماء، الأوزاعي وغيره[4].

ولم يخلُ تاريخنا – على وضاءته – من بعض المظالم التي وقعت للمسلمين ولغيرهم، وقد استنكرها فقهاء الإسلام، ورأوا فيها جوراً وخروجاً عن رسوم الشريعة، ومنه أن هشام بن حكيم بن حزام tمرّ على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله eيقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا). قال: وأميرهم يومئذ عمير بن سعد على فلسطين، فدخل عليه، فحدثه، فأمر بهم فخُلوا[5].

---

(١) القصة رواها الطبراني في معجمه الكبير (٥٢/١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٨/١)، قال الهيثمي: " رواه الطبراني، وفيه عبد الملك بن إبراهيم بن عنترة، وهو متروك ". مجمع الزوائد (٣٨٣/٩)، ويشهد له خبر ابن عساكر الآتي.
(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩٣/٤٦)، والمتقي الهندي في كنز العمال ح (٣٧٤٤٦).
(٣) صفة الصفوة (١١٥/٢- ١١٦)، والبداية والنهاية (٢١٣/٩-٢١٤).
(٤) رواه أبو عبيد في الأموال (٢٣٦)، والبلاذري في فتوح البلدان (٢١٧).
(٥) رواه مسلم ح (٢٦١٣).

ولما خاف الخليفة الوليد بن يزيد من نصارى قبرص أجلاهم منها، فاستفظع المسلمون ذلك، واعتبروه من الظلم ، يقول إسماعيل بن عياش : "فاستفظع ذلك المسلمون، واستعظمه الفقهاء، فلما ولي يزيد بن الوليد ردهم إلى قبرص ، فاستحسن المسلمون ذلك من فعله، ورأوه عدلاً"[1]، كما حطَّ عمر بن عبد العزيز عن أهل قبرص ألف دينار زادها عبد الملك عما في عهد معاوية رضي الله عنه لهم، ثم ردها عليهم هشام بن عبد الملك، فلما كانت خلافة أبي جعفر المنصور أسقطها عنهم، وقال: "نحن أحق من أنصفهم، ولم نتكثر بظلمهم[2]، ومثله صنع الأوزاعي فقيه الشام حين أجلى الأمير صالح بن عليٍّ بن عبد الله بن عباس أهل ذمة من جبل لبنان، فكتب إليه الأوزاعي: "فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة، حتى يُخرَجوا من ديارهم وأموالهم؟ وحكم الله تعالى: (أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى(٣٨))[3] ، وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به ، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: (من ظلم ذميًا أو كلَّفه فوق طاقته فأنا حجيجه) ... فإنهم ليسوا بعبيد، فتكونَ في حِلٍ من تحويلهم من بلد إلى بلد، ولكنهم أحرار أهلُ ذمة[4].

وما زال العلماء والخلفاء يتواصون بحقوق الذمة، كل يحذر أن تخفر ذمة الله وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو شاهد، لأجل ذلك حرصوا على تفقد أحوالهم ومعرفة أمورهم، ومن ذلك أن وفداً من أهل الذمة جاء إلى عمر، قال عمر للوفد: (لعل المسلمين يفضون إلى أهل الذمة بأذى وبأمور لها ما ينتقضون بكم؟) فقالوا: ما نعلم إلا وفاء وحسن ملكة[5]، ويرسل عمر كتاباً إلى عامله أبي عبيدة، فيقول موصياً بأهل الذمة: "وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحلها، ووف لهم بشرطهم الذي شرطت لهم في جميع ما أعطيتهم[6].

---

(١) فتوح البلدان (٢١٣-٢١٤)، وانظر الأموال، ابن زنجويه (٤٢٥/١).
(٢) فتوح البلدان (٢١١).
(٣) سورة النجم
(٤) [رواه أبو عبيد في الأموال)٢٤٧-٢٤٨)، انظر: فتوح البلدان للبلاذري (٢٢٢).
(٥) تاريخ الطبري (٥٠٣/٢).
(٦) رواه البلاذري في فتوح البلدان (١٤٤).

ولما جاءه مال الجباية سأل رضي الله عنه عن مصدره مخافة العنت والمشقة على أهل الذمة، ففي الأثر عنه رضي الله عنه "أنه أتي بمال كثير، أحسبه قال: من الجزية. فقال: إني لأظنكم قد أهلكتم الناس؟ قالوا: لا والله ما أخذنا إلا عفواً صفواً. قال: بلا سوط ولا نوط؟ قالوا: نعم. قال: الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ولا في سلطاني[1] .

ولما جاء عمر رضي الله عنه الشام تلقاه المقلسون من أهل أذرعات بالسيوف والريحان يلعبون بين يديه. فكره عمر لعبهم، وأمر بمنعهم. فقال له أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين هذه سُنتهم، وإنك إن منعتهم منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهدهم. فقال عمر: دعوهم. وفي رواية ابن زنجويه أنه قال: (دعوهم ، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة)[2]، فقد كره رضي الله عنه مساءهم، وأن يظنوا به النقض، فأذعن لقول أبي عبيدة.

ولما تدانى الأجل به رضي الله عنه لم يفُته أن يوصي المسلمين برعاية أهل الذمة فقال: (أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، وأن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتلوا من ورائهم ، وألا يكلفوا فوق طاقتهم)[3].

وكتب إلى واليه في مصر: واعلم يا عمرو أن الله يراك ويرى عملك، فإنه قال تبارك وتعالى في كتابه : (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(٧٤))[4] يريد (أي من المؤمن) أن يُقتدى به، وأن معك أهل ذمة وعهد، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، وأوصى بالقبط فقال : (استوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً)، ورحِمُهم أن أم إسماعيل منهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته؛ فأنا خصمه يوم القيامة) احذر يا عمرو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً، فإنه من خاصمه خَصَمه[5].

وكتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلسان الوجِل من ربه إلى عماله على الخراج:

---

(١) رواه أبو عبيد في الأموال)٩١).
(٢) رواه أبو عبيد في الأموال (٢٢٣)، وابن زنجويه في الأموال (٣٨٦/١). والبلاذري في فتوح البلدان (١٧٩).
(٣) رواه البخاري ح (١٣٩٢).
(٤) سورة الفرقان .
(٥) كنز العمال (١٤٣٠٤).

إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة، شتاءً ولا صيفاً، ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرَضاً في شيء من الخراج، فإنا إنما أمرنا الله أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ذلك عزلتُك[1].

ولما فتح المسلمون دمشق ولي قسم منازلها بين المسلمين سبرة بن فاتك الأسدي، فكان ينزل الرومي في العلو، وينزل المسلم في السفل؛ لأنْ لا يضر المسلم بالذمي[2].

ويدخل فقيه عصره أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة على الخليفة هارون الرشيد يذكره برعاية أهل الذمة وتفقد أحوالهم، ويستميل قلبه بذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب ذمتهم، فيقول: (وقد ينبغي يا أمير المؤمنين – أيدك الله – أن تتقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا، ولا يؤذوا، ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ من أموالهم إلا بحق يجب عليهم)[3].

وقد شهد المؤرخون بسمو حضارتنا في هذا الباب، فقد اعترف بريادتنا له نصارى حمص حين كتبوا إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : (لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم"، ثم أغلقوا أبواب المدينة في وجه الروم إخوانهم في العقيدة[4].

وتنقل المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها الماتع (شمس العرب تسطع على الغرب) شهادة مهمة من بطريك بيت المقدس، فتقول: (فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل، ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف)[5].

---

(١) رواه أبو يوسف في الخراج (١٨).
(٢) تاريخ ابن عساكر (٢٨/٢٠).
(٣) رواه أبو يوسف في الخراج (١٤٩).
(٤) رواه البلاذري في فتوح البلدان (١٨٧).
(٥) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٦٤).

خامساً : التكافل الاجتماعي:

لعل من أهم الضمانات التي يقدمها الإسلام لغير المسلمين – الذين يقيمون في المجتمع المسلم – كفالتهم ضمن نظام التكافل الإسلامي.

فإن الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧))[١] ، وقد أمر صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتصفوا بصفة الرحمة، في تعاملهم فيما بينهم ومع غيرهم، بل وحتى مع الحيوان ، فقال صلى الله عليه وسلم (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)[٢] ،وكلمة الناس لفظة عامة تشمل كل أحد ، دون اعتبار لجنس أو دين ، قال ابن بطال: (فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق ، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم والمملوك منها وغير المملوك)[٣] .

وحث الإسلام أيضاً المؤمنين وألزمهم بالإحسان والبر في معاملة من لا يعتدي على المسلمين، فقال تبارك وتعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥))[٤]، وقد جعل الإسلام دفع الزكاة إلى مستحقيها من المسلمين وغيرهم ركناً من أركان الإسلام، فقال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ(٦٠))[٥] قال القرطبي: ومطلق لفظ الفقراء لا يقتضي الاختصاص بالمسلمين دون أهل الذمة .. وقال عكرمة: الفقراء فقراء المسلمين، والمساكين فقراء أهل الكتاب[٦].

ويقول السرخسي:(لنا أن المقصود سد خلة المحتاج ودفع حاجته بفعل هو قربة من المؤدي، وهذا المقصود حاصل بالصرف إلى أهل الذمة، فإن التصديق عليهم قربة بدليل التطوعات، لأنّا لم ننه عن المبرة لمن لا يقاتلنا)[٧].

---

(١) سورة الأنبياء .
(٢) رواه البخاري ح (٧٣٧٦).
(٣) تحفة الأحوذي (٤٢/٦).
(٤) الجامع لحكام القرآن (١٧٤/٨)، و قد منع كثير من الفقهاء إعطاء أهل الذمة من الزكاة المفروضة استدلالاً بقوله صلى الله عليه وسلم : ((فتؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)).
(٥) سورة البقرة.
(٦) سورة التوبة
(٧) المبسوط (٢١٠/٢)

ولئن كان الخلاف بين الفقهاء قوياً في بر أهل الذمة من أموال الزكاة المفروضة، فإنهم أجازوا دفع الكفارة الواجبة إلى أهل الذمة، بل قدمهم الكاساني فيها حتى على المسلم ، لأنها (وجبت لدفع المسكنة، والمسكنة موجودة في الكفرة، فيجوز صرف الصدقة إليهم، كما يجوز صرفها إلى المسلم، بل أولى، لأن التصدق عليهم بعض ما يرغبهم إلى الإسلام ويحملهم عليه)[(١)].

وأمر القرآن الكريم ورغَّب بالصدقة على غير المسلمين، فقد روى أبو عبيد أن بعض المسلمين كان لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم، يريدوهم أن يسلموا ، فنزلت : (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢))[(٢)، (٣)].

وقد جاء في مراسيل سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تجري عليهم[(٤)] .

وعليه قد أجاز فقهاء الشريعة التصدق على أهل الذمة، يقول أبي رزين قال كنت مع سفيان بن سلمة فمر عليه أسارى من المشركين، فأمرني أن أتصدق عليهم، ثم تلا هذه الآية : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨))[(٥)] .

كما أجازوا الوقف لهم، واعتبروه من وجوه البر التي يحبها الله، يقول محمد بن الحسن الشيباني: " ويصح (الوقف) على أهل الذمة؛ لأنهم يملكون ملكاً محترماً، وتجوز الصدقة عليهم .. وإذا جازت الصدقة عليهم جاز الوقف عليهم كالمسلمين، وروي أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقفت على أخ لها يهودي، ولأن من جاز أن يقف عليه الذمي جاز أن

---

(١) بدائع الصنائع (٢٦٢/٤).
(٢) سورة البقرة .
(٣) رواه أبو عبيد في الأموال ح (١٣٢١)، وابن زنجويه في الأموال ح (١٨٦٢) وصححه الألباني في تمام المنة (٣٨٩/١).
(٤) رواه أبو عبيد في الأموال ح (١٣٢٢)، وصحح الألباني إسناده إلى سعيد في تمام المنة (٣٧٨/١).
(٥) سورة الإنسان .

يقف عليه وسلم وقفت على أخ لها يهودي، ولأن من جاز أن يقف عليه الذمي جاز أن يقف المسلم عليه كالمسلم، ولو وقف على من ينزل كنائسهم وبيعهم من المارة والمجتازين من أهل الذمة وغيرهم؛ صح[1] .

وهذا كما رأينا بعض البر والعدل الذي حثَّ عليه القرآن الكريم ، حين ذكر أهل الذمة المسالمين الذين لا يعتدون على المسلمين، فقال تعالى : (لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ((٨))[2] .

ويفصل الإمام القرافي في شرحه للبر والعدل المأمور به في معاملة غير المسلمين، فيقول: (وأما ما أمر به من برِّهم من غير مودة باطنية، فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم .. وصون أموالهم، وعيالهم، وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم)[3].

ويقول القرشي المالكي في شرحه على مختصر خليل: (دفع الضرر وكشف الأذى عن المسلمين أو ما في حكمهم من أهل الذمة من فروض الكفايات، من إطعام جائع وستر عورة، حيث لم تفِ الصدقات ولا بيت المال بذلك)[4].

ووفق هذا الهدي سلك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من بعده ، فكتب خالد بن الوليد رضي الله عنه لنصارى الحيرة : (وجعلتُ لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه؛ طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)[5] .

وروى ابن زنجويه بإسناده أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً كبيراً من أهل الجزية يسأل

---

(١) الشرح الكبير (٢١٢/٦).
(٢) سورة الممتحنة.
(٣) الفروق (٢١/٣).
(٤) شرح القرشي على مختصر خليل (١٠٩/٣).
(٥) رواه أبو يوسف في كتاب الخراج (١٥١).

الناس فقال: (ما أنصفناك إن أكلنا شبيبتك، ثم نأخذ منك الجزية، ثم كتب إلى عماله أن لا يأخذوا الجزية من شيخ كبير)[1].

وفي رواية أن عمر أخذ بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال : (انظر هذا وضرباءه، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب)، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[2].

وكان مما أمر به رضي الله عنه : (من لم يطق الجزية خففوا عنه، ومن عجز فأعينوه)[3].

ومر رضي الله عنه في الجابية على مجذومين من أهل الذمة، فأمر أن يعطوا من صدقات المسلمين، وأن يجرى عليهم القوت من بيت المال[4].

وكتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى واليه عدي بن أرطأة : وانظر من قِبَلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب؛ فأجرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه[5] .

وقد سجل هذه الرعاية الفريدة المستشرق بارتولد في كتابه (الحضارة الإسلامية)، فقال : (إن النصارى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين، إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة مبدأ الرعاية والتساهل)[6]، [7] .

---

(١) رواه أبو يوسف في الخراج (١٥٠-١٥١)، وانظر الأموال (١٦٣/١).
(٢) رواه أبو يوسف في كتاب الخراج (١٥١).
(٣) تاريخ مدينة دمشق (١٧٨/١).
(٤) رواه البلاذري في فتوح البلدان (١٧٧).
(٥) رواه أبو عبيد في كتاب الأموال (٩٤) وانظر: الأموال، ابن زنجويه (١٦٩/١).
(٦) انظر : تاريخ أهل الذمة في العراق ، توفيق سلطان (١٢٤).
(٧) د.منقذ محمود السقار موقع اعجاز القرن والسنة الأثنين/ديسمبر/٢٠١٩

س٣: لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ ؟ والأشياء التي تعوذ منها ؟.

ج٣ : إنّ الأعراض والفتن التي تنهش ابن آدم في رحلته في هذه الحياة كثير وخطيرة، قد توردە موارد الهلاك تبعده عن سبل النجاة لذلك لا بد أن يستعيذ من هذه الفتن ويلجأ إلى القوي القهار ليحميه منها ويعصمه من الوقوع فيه .

الأمور التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم تقسم على قسمين:

١- استعاذة عامة وتبلغ أكثر من خمسين أمراً استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- استعاذة لها وقت مخصوص وتبلغ أكثر من خمسة عشر استعاذة في أوقات متعددة .

وهذه الأمور التي استعاذ منها النبي عليه الصلاة والسلام تشمل بمحتواها كل الفتن والأعراض والأمراض التي يمكن أن تصيب ابن آدم في حياته فليحرص الواحد منا على تكرار هذه المعوذات واستشعار ضعفه أمام الفتن بالالتجاء إلى الله تعالى.

أدعية الإستعاذة:

أولاً: أدعية الاستعاذة العامة :

١- قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾[١] .

٢- قال تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾[٢].

٣- قال تعالى : ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٦٧)﴾[٣] .

٤- قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ(٩٨)﴾[٤] .

---

(١) سورة الفلق .
(٢) سورة الناس .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة المؤمنون .

٥- قال تعالى : (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ(٤٧))[١] .

أما دعاؤه صلى الله عليه وسلم فكان يقول :

١- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ)[٢]

٢- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِن عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[٣].

٣- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[٤].

٤- : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن العَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المحْيَا وَالْمَمَاتِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[٥].

٥- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)[٦].

٦- (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ)[٧].

٧- (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ)[٨].

٨- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[٩].

---

(١) سورة هود .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٣٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٧٧ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٨٢٢ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٨٢٣ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٣٦٣ .
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٣٧١ .
(٨) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٣٢٣ .
(٩) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٣٦٨ .

٩- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[١].

١٠- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ)[٢].

١١- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)[٣].

١٢- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)[٤].

١٣- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)[٥].

١٤- (أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ)[٦].

١٥- (أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ)[٧].

١٦- (اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ علينا)[٨].

١٧- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَمِن الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْر وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ)[٩].

١٨- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٦٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧١٦ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧١٧ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٢٢ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٣٩ .
(٦) الألباني ، ضعيف الجامع ، رقم الحديث ٤٥٨٧ .
(٧) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٣٩٢ .
(٨) الأرناؤوط ، تخريج المسند ، رقم الحديث ٢٦٦١٦ وقال عنه ضعيف لانقطاعه .
(٩) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٤٣ .

وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي. (يَعْنِي فَرْجَهُ)[1].

١٩- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ)[2].

٢٠- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ)[3].

٢١- (أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ)[4].

٢٢- (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[5].

٢٣- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ)[6].

٢٤- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلَاقِ)[7].

٢٥- (أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ)[8].

٢٦- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الجُنُونِ وَالجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَسَيِّئِ الأَسْقَامِ)[9].

٢٧- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)[10].

٢٨- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن التَّرَدِّي وَالهَدْمِ وَالغَرَقِ وَالحَرِيقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَن يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِندَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَن أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَن أَمُوتَ لَدِيغًا)[11].

٢٩- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ)[12].

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي و رقم الحديث ٣٤٩٢ .
(٢) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٢٩١٨ .
(٣) الوادعي ،الصحيح المسند ، رقم الحديث ١٠٨٧ .
(٤) الألباني ، تخريج كتاب السنة ، رقم الحديث ٣٧٨ .
(٥) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١١٢٣ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٢٣ .
(٧) الألباني ، ضعيف أبي داوود ، رقم الحديث ١٥٤٦ .
(٨) أخرجه النسائي (٥٤٧٣)، وأحمد (١١٣٥١) باختلاف يسير، وعبد بن حميد في ((مسنده)) (٩٢٩) واللفظ له وضعفه الألباني .
(٩) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٥٥٠٨ .
(١٠) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٥٤٤ .
(١١) أخرجه أبو داود (١٥٥٢)، والنسائي (٥٥٣١)، وأحمد (١٥٥٢٣) واللفظ له
(١٢) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ١٥٤٩ .

٣٠- (كانَ إذا سافرَ فأقبلَ اللَّيلُ ؛ قالَ : يا أرضُ ! ربِّي وربُّكِ اللَّهُ ، أعوذُ باللَّهِ من شرِّكِ وشرِّ ما فيكِ ، وشرِّ ما خُلِقَ فيكِ ، ومن شرِّ ما يدبُّ عليكِ ، وأعوذُ باللَّهِ من أسدٍ وأسوَدَ ، ومنِ الحيَّةِ والعَقربِ ، ومن ساكنِ البلدِ ، ومن والدٍ وما ولدَ)[١].

٣١- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ)[٢].

٣٢- (أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يَتَعَوَّذُ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ النَّارِ ومِنْ عَذَابِ النَّارِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن عَذَابِ القَبْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الغِنَى، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ الفَقْرِ، وأَعُوذُ بكَ مِن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ.)[٣].

٣٣- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ غَمًّا أَوْ هَمًّا أَوْ أَنْ أَمُوتَ غَرَقًا)[٤].

٣٤- (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ وَمِنْ سُوءِ الْحَشْرِ)[٥].

ثانياً: استعاذة في أوقات محددة :

١- إذا عصفت الريح قال :(... انَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ وَالْمَالِ.)[٦].

٢- عند التوجع والمرض :(أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)[٧].

٣- عند الحمى والأوجاع :(أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ)[٨].

٤- عند الغضب: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[٩].

---

(١) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٤٨٣٧ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ١٥٤٢ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٧٦ .
(٤) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج١٦ ، ص٢٧٣ .
(٥) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٣٥٠٢ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٤٣ .
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٢٠٢ .
(٨) الألباني ، ضعيف الجامع ، رقم الحديث ٤٥٨٧ .
(٩) الألباني ، ضعيف الترغيب ، رقم الحديث ١٦٤٦ .

٥- إذا نزل منْزلاً : (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ)[١] .

٦- إذا أمسى : (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا)[٢] .

٧- إذا أمسى أو أصبح: (أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ)[٣] .

٨- إذا خرج من منْزله : (إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ علينا)[٤] .

٩- إذا دخل الخلاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ)[٥] .

١٠- إذا نزل أرضاً: (انَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ إذا سافرَ فأقبلَ اللَّيلُ قالَ يا أرضُ ربِّي وربُّكِ اللَّهُ أعوذُ باللَّهِ من شرِّكِ وشرِّ ما فيكِ وشرِّ ما خَلقَ فيكِ ومِن شرِّ ما يدُبُّ عليكِ وأعوذُ باللَّهِ من أسدٍ وأسوَدَ ومنِ الحيَّةِ والعقربِ ومِن ساكنِ البلَدِ ومِن والِدٍ وما ولَدْ)[٦] .

١١- إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ الْجَارِيَةَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ وَإِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ)[٧] .

١٢- إِذَا خَافَ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ قَوْمٍ قَالَ :(اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)[٨] .

١٣- إذا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ: (اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ وَمِنْ سُوءِ الْحَشْرِ)[٩] .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٠٨ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٧٢٣ .
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٤٤٠٢ .
(٤) شعيب الأرناؤوط ، تخريج المسند ، رقم الحديث ٢٦٦١٦، وقال في إسناده ضعف .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٤٢ .
(٦) الألباني ، ضعيف أبي داوود ، رقم الحديث ٢٦٠٣ .
(٧) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٨٣٩ .
(٨) الوادعي ، أحاديث معلة ، رقم الحديث ٢٦٦ .
(٩) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٣٥٠٢ .

الأحاديث:

١- عَن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ)[١] .

٢- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[٢].

٣- كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلِّمُ الْغِلْمَانَ الْكِتَابَةَ وَيَقُولُ : (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلَاةِ :" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[٣] .

٤- عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[٤] .

٥- (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه فَكُنْتُ أَسْمَعُ النبي صلى الله عليه وسلم كَثِيرًا يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَال)[٥].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٧٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٦١٠ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٨٢٣ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٦٧٩ .

٦- عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ :(إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ)(١).

٧- عن شَدَّاد بْن أَوْسٍ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)(٢).

٨- كَانَ سَعْدٌ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ وَيَذْكُرُهُنَّ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: (أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)(٣).

٩- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)(٤) .

١٠- عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلَاءِ الْخَمْسِ وَيُحَدِّثُهُنَّ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٢٠ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٨٣١ .
(٣) المصدر السابق ٥٨٨٨ .
(٤) المصدر السابق ٥٨٩١ .

أنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)[١] .

١١- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَعَوَّذُ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ)[٢] (البخاري ٥٨٩٤)

١٢- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[٣].

١٣- عَن هِشَامٍ عَن أَبِيهِ عَنْ خَالَتِهِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَعَوَّذُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)[٤].

١٤- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً مِن الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ :(اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)[٥] .

١٥- عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا عَصَفَتْ الرِّيحُ قَالَ :(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِه" قَالَتْ وَإِذَا تَخَيَّلَتْ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٨٩٣ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٣٩٤ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٨٩٨
(٤) المصدر السابق رقم الحديث ٥٨٩٩ .
(٥) الإمام مسلم ، رقم الحديث ٧١٥ .

١٦- ◌ٌوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ:" لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا)[١] .

١٧- عن ابْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ:"(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنْ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)[٢]" (مسلم٢٣٩٢)

١٨- عَن عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)[٣] .

١٩- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ قَالَ اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَ أَحَدُهُمَا تَحْمَرُّ عَيْنَاهُ وَتَنْتَفِخُ أَوْدَاجُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي لَأَعْرِفُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" فَقَالَ الرَّجُلُ وَهَلْ تَرَى بِي مِنْ جُنُونٍ قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ فَقَالَ وَهَلْ تَرَى وَلَمْ يَذْكُرْ الرَّجُلَ)[٤].

٢٠- عن خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ قالت سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:(مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى

---

(١) الإمام مسلم و صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٩٦ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٣٩٢ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٠٨٢ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٦١٠ .

يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ(١) ز

٢١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ قَالَ:(أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ)(٢).

٢٢- جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ)(٣) .

٢٣- سُأَلْتُ عَائِشَة عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو بِهِ اللَّهَ قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ(٤) .

٢٤- عَن ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)(٥).

٢٥- عَن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ كَانَ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٨٨١ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٨٨٣.
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٨٨٨.
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث .٤٨١٩.
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٨٩٣ .

دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)[1] .

٢٦- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمْسَى قَالَ:(أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ)[2] .

٢٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)[3]

٢٨- عَن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنْ الْحُمَّى وَمِنْ الْأَوْجَاعِ كُلِّهَا أَنْ يَقُولَ: (بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ)[4] .

٢٩- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ قَالَ قُلْ: (اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ)[5] .

٣٠- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ:(بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ نَظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ علينا)[6].

٣١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم و رقم الحديث ٤٨٩٩ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٩٠٠ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٩٢٢ .
(٤) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٠٠١ .
(٥) المصدر السابق و رقم الحديث ٣٣١٣ .
(٦) الترمذي و المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٣٢٤ .

فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ قَالَ بِإِصْبَعِهِ وَمَدَّ شُعْبَةُ إِصْبَعَهُ قَالَ: "(اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا بِنُصْحِكَ وَاقْلِبْنَا بِذِمَّةٍ اللَّهُمَّ ازْوِ لَنَا الْأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ)[1] .

٣٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمر قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ يَقُولُ ان رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ إذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، وَدَعْوَةِ المظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ وَالْمَالِ. (وفي رواية): وفي رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بنِ خَازِمٍ، قالَ: يَبْدَأُ بالأهْلِ إذَا رَجَعَ. وفي رِوَايَتِهِما جَمِيعًا: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ.)[2] .

٣٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ)[3] .

٣٤- عَنْ شَكَلِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ قَالَ: فَأَخَذَ بِكَتِفِي فَقَالَ قُلْ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي يَعْنِي فَرْجَهُ)[4].

٣٥- عَن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ أَكْثَرُ مَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ:(اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ اللَّهُمَّ لَكَ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي وَإِلَيْكَ مَآبِي وَلَكَ رَبِّ تُرَاثِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ وَشَتَاتِ الْأَمْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ)[5].

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٣٢٦ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٤٣ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٣٦١ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث٣٤١٤ .
(٥) المصدر السابق و رقم الحديث ٣٤٤٢ .

٣٦- عن مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ قَالَ: (قَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ إِذَا اشْتَكَيْتَ فَضَعْ يَدَكَ حَيْثُ تَشْتَكِي وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ مِنْ وَجَعِي هَذَا ثُمَّ ارْفَعْ يَدَكَ ثُمَّ أَعِدْ ذَلِكَ وِتْرًا فَإِنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ حَدَّثَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُ بِذَلِكَ)[١].(الترمذي ٣٥١٢)

٣٧- عَن قُطْبَة بْن مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ)[٢].

٣٨- عن أَنَس قال : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ)[٣].

٣٩- عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَخَفَّهَا فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا فَقَالَ أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ قَالُوا بَلَى قَالَ أَمَا إِنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدُعَاءٍ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو بِهِ : (اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ)[٤]

٤٠- عن مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ كَانَ أَبِي يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ" فَكُنْتُ أَقُولُهُنَّ فَقَالَ أَبِي أَيْ بُنَيَّ عَمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا قُلْتُ عَنْكَ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُهُنَّ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ[٥].

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٥١٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٥١٥ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٤٢ .
(٤) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ١٢٨٩ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٣٠ .

٤١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ عَلَّمَنَا خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَقْرَأُ ثَلَاثَ آيَاتٍ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا)[١] .

٤٢- عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ بِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْتَفْتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ قَالَتْ : (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكَبِّرُ عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا وَيُسَبِّحُ عَشْرًا وَيُهَلِّلُ عَشْرًا وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا وَيَقُولُ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٢].

٤٣- عن ابْن عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ فِي أَبٍ كَانَ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَطَمَهُ الْعَبَّاسُ فَجَاءَ قَوْمُهُ فَقَالُوا لَيَلْطِمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ فَلَبِسُوا السِّلَاحَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ:(أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ أَهْلِ الْأَرْضِ تَعْلَمُونَ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالُوا أَنْتَ فَقَالَ:" إِنَّ الْعَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ لَا تَسُبُّوا مَوْتَانَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا فَجَاءَ الْقَوْمُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِكَ اسْتَغْفِرْ لَنَا)[٣].

٤٤- عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ)[٤] .

---

(١) النسائي ' سنن النسائي ، رقم الحديث ١٣٨٧
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٥٩٩ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٦٩٣ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٣٦٥

٤٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ)(١).

٤٦- عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ)(٢).

٤٧- عن أَبَي سَعِيدٍ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ" قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْدِلُ الدَّيْنَ بِالْكُفْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "نَعَمْ)(٣).

٤٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)(٤)

٤٩- عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ)(٥).

٥٠- عن عمر قال : أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الصَّدْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)(٦)

٥١- عن ابْن عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي" قَالَ جُبَيْرٌ وَهُوَ الْخَسْفُ(٧) .

٥٢- عَنْ أَبِي الْيَسَرِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ التَّرَدِّي وَالْهَدْمِ وَالْغَرَقِ وَالْحَرِيقِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا)(٨).

---

(١) النسائي ، سنن النسائي ، رقم الحديث ٥٣٧٣
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٣٦٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٣٧٨.
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٣٨٠ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٣٩٨.
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٤٠٢.
(٧) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٤٣٤.
(٨) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٤٣٦ .

٥٣- عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قال إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ وَذَكَرَ دُعَاءً آخَرَ)[١].

٥٤- عَنْ أَبِي الْيَسَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَدْمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ التَّرَدِّي وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا)[٢] .

٥٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ:" يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ وَمِنْ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)[٣] .

٥٦- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ إِمَّا قَمِيصًا أَوْ عِمَامَةً ثُمَّ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ)[٤] .

٥٧- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ الْجَارِيَةَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ وَإِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ)[٥] .

٥٨- عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٣٥٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣٢٨
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٢٣٦ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٠٥٤ .
(٥) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث ١٩٠٨ .

عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا)[١] .

٥٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى سَفَرٍ قَالَ :(اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الضُّبْنَةِ فِي السَّفَرِ وَالْكَآبَةِ فِي الْمُنْقَلَبِ اللَّهُمَّ اطْوِ لَنَا الْأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ وَإِذَا أَرَادَ الرُّجُوعَ قَالَ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ وَإِذَا دَخَلَ أَهْلَهُ قَالَ تَوْبًا تَوْبًا لِرَبِّنَا أَوْبًا لَا يُغَادِرُ عَلَيْنَا حَوْبًا)[٢] .

٦٠- كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى مِنْبَرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فقال إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَعَوَّذُ فِي دُبُرِ صَلَاتِهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ:(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْأَعْوَرِ الْكَذَّابِ)[٣].

٦١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الشَّيْطَانِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ فَهَمْزُهُ الْمُوتَةُ وَنَفْثُهُ الشِّعْرُ وَنَفْخُهُ الْكِبْرُ)[٤] .

٦٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ غَمًّا أَوْ هَمًّا أَوْ أَنْ أَمُوتَ غَرَقًا أَوْ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا)[٥].

٦٣- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ)[٦].

---

(١) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، رقم الحديث٤ ٣٨٣٦ .
(٢) الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث ٢١٩٧ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٥٣٥ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٦٣٨ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ٨٣١٣ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٢٥٣٣

٦٤- عَن أَبِي مُوسَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا خَافَ مِنْ رَجُلٍ أَوْ مِنْ قَوْمٍ قَالَ :"اللَّهُمَّ إِنِّي أَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)[(١)].

٦٥- عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ:" اللَّهُ أَكْبَرُ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْقَدَرِ وَمِنْ سُوءِ الْحَشْرِ)[(٢)].

٦٦- عن أبي سعيد قَالَ كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَرَآهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ)[(٣)].

٦٧- -عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي فَيُقَالُ هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ" فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ تَرْجِعُونَ عَلَى الْعَقِبِ)[(٤)]"[(٥)].

س٤: لماذا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ من الحسد ؟.

ج٤: يقول تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١٠٩))[(٦)] ، ويقول: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا(٥٤))[(٧)] ، ويقول: (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ(٥))[(٨)].

---

(١) الإمام أحمد ، مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث ١٨٨٨٧ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢١٧٢٦ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٢٨ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦١٠٤ .
(٥) محمد مصطفى حسني، منتدي محبي مصطفي حسني الأحد يوليو ٠٣، ٢٠١١ م.
(٦) سورة البقرة .
(٧) سورة النساء .
(٨) سورة الفلق .

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية من سورة الفلق : (﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الإستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العائن، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا.)[1] .

والحسد: هو البغض والكراهة لما يراه من حسن حال المحسود[2].

جاء النهي صراحة عن الحسد؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي قال: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم)[3]..

الفرق بين العين والحسد :

١- الحاسد أعم من العائن، فالعائن حاسد خاص، فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا؛ ولذلك جاء ذكر الاستعاذة في سورة الفلق من الحاسد، فإذا استعاذ المسلم من شر الحاسد دخل فيه العائن، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته)[4] .

٢- الحسد يتأتى عن الحقد والبغض وتمني زوال النعمة، أما العين فيكون سببها الإعجاب والاستعظام والاستحسان.

٣- الحسد والعين يشتركان في الأثر؛ حيث يسببان ضررًا للمَعِين والمحسود، ويختلفان في المصدر، فمصدر الحسد تحرُّك القلب، واستكثارُ النعمة على المحسود، وتمَنِّي زوالها عنه، أما العائن فمصدره انقداحُ نظرة العين؛ لذا فقد يصيب من لا يحسده من جماد، أو حيوان، أو زرع، أو مال، وربما أصابت عينه نفسَهُ، فرؤيته للشيء رؤية تعجُّب وتحديق، مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المِعِين.

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، تفسير سورة الفلق .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١٠ ، ص ١١١ .
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٧٦)، ومسلم (٢٥٥٩).
(٤) ابن القيم ، بدائع الفوائد ٢/٢٣٢، ابن القيم وزاد المعاد ٤/١٦٧

٤- الحاسد يمكن أن يحسد في الأمر المتوقَّع قبل وقوعه، بينما العائن لا يَعِين إلا الموجود بالفعل.

٥- لا يحسد الإنسان نفسه ولا ماله، ولكنه قد يَعِينُهما.

٦- لا يقع الحسد إلا من نفس خبيثة حاقدة، ولكن العين قد تقع من رجل صالح، من جهة إعجابه بالشيء دون إرادة منه إلى زواله، كما حدث من عامر بن ربيعة، عندما أصاب سهلَ بنَ حنيف بعين، رَغْم أن عامرًا رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، بل ومن أهل بدر، وممن فرَّق بين الحسد والعين ابنُ الجوزي، وابن القيم، وابن حَجَر، والنووي، وغيرهم – رحمهم الله جميعًا[1].

من آثار الحسد :

١- حسرات الحسد وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء، قال ابن المعتز: الحسد داء الجسد .

٢- انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة؛ لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود .

٣- مقت الناس له، حتى لا يجد فيهم محبًّا، وعداوتهم له، حتى لا يرى فيهم وليًّا، فيصير بالعداوة مأثورًا، وبالمقت مزجورًا .

٤- يؤدي إلى المقاطعة، والهجر، والبغضاء، والشحناء .

٥- يؤدي إلى الغيبة، والنميمة .

٦- يؤدي إلى الظلم، والعدوان .

أقسام الحسد :

قسم العلماء الحسد إلى عدد من الأنواع، ومنهم ابن القيم الذي قسمه إلى ثلاثة أنواع :

١- حسد يخفيه ولا يرتب عليه أذى بوجه ما؛ لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في

---

(١) صيد الفوائد : علاج العين والحسد والفرق بينهما الشيخ وحيد عبدالسلام بالي تاريخ الإضافة: ٢٠١٤/٨/١٩ ميلادي - ١٤٣٥/١٠/٢٢

٢- قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعاجل أخاه إلا بما يحب الله .

٣- تمني استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله؛ من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه .

٤- حسد الغبطة؛ وهو تمني أن يكون له مثل حال المحسود، من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة[1].

من الوسائل المعينة على ترك الحسد :

١- قطع النظر عن الناس، وتعليق قلبه بالله سبحانه وتعالى، وسؤاله من فضله .

٢- المنافسة في الأعمال الصالحة لا في أمور الدنيا .

٣- التربية منذ الطفولة على حب الخير للناس .

٤- أن يدرب نفسه على قول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، والدعاء بالبركة، إذا أعجبه شيء .

٥- الدعاء للمحسود بالزيادة من فضل الله تعالى، إذا وجد في نفسه شيئًا من الحسد المذموم .

٦- الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لحكمه، فهو الذي يعطي النعم ويسلبها، قال تعالى : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ(٣٢))[2]، [3] .

من الوسائل المعينة على دفع شر الحاسد عن المحسود :

ذكر ابن القيم عدة أسباب تدفع شر الحاسد عن المحسود منها:

١- التعوذ بالله تعالى من شره، واللجوء والتحصن به، والله تعالى سميع لاستعاذته، عليم بما يستعيذ منه وخاصة حين يقرأ المعوذتين الفلق والناس .

---

(١) بدائع الفوائد، بتصرف.

(٢) سورة الزخرف .

(٣) سلامة الصدر، ل سعيد بن وهف القحطاني ، الموقع .

٢- تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه؛ فمن اتَّقى الله تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال تعالى : (وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ... (١٢٠))[١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك)[٢] ، فمن حفظ الله، حفظه الله ووجده أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه، فممن يخاف ؟! .

٣- الصبر على عدوه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلًا، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيره وبغيه، فإنه كلما بغى عليه، كان بغيه جندًا وقوة للمبغي عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه، وقد قال تعالى : (وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ ... (٦٠))[٣] ، فإذا كان الله قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقَّه أولًا، فكيف بمنلم يستوفِ شيئًا من حقِّه ؟! .

٤- التوكل على الله :(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ.. (٣))[٤] ، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، فإنَّ الله حسبه أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضرُّه إلا أذى لا بد منه، كالحرِّ والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له؛ وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه .

٥- فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، ولا يجعل قلبه معمورًا بالفكر في حاسده، والباغي عليه، والطريق إلى الانتقام منه، فهذا التفكير مما لا يتسع له إلا

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢٠١٦ .
(٣) سورة الحج .
(٤) سورة الطلاق .

قلب خراب، لم تسكن فيه محبة الله، وإجلاله وطلب مرضاته، وهذا العلاج من أنفع الأدوية، وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره .

٦- الإقبال على الله والإخلاص له، وجعل محبته وترضيه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه وأمانيها، تدب فيها دبيب الخواطر شيئًا فشيئًا، حتى يقهرها، ويغمرها، ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره، وهواجسه، وأمانيه كلها في محابِّ الرب، والتقرب إليه، وتملقه، وترضيه، واستعطافه، وذكره[١] .(موقع الكلم الطيب)

(مراتب الحسد، وهي:

المرتبة الأولى: الحاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره، ويعمل ويسعى بكل الوسائل المحرمة الظالمة في تنفيذ هذا الأمر، وهذا غاية الخبث والخسة والدناءة، وهذه الحالة هي الغالبة في الحسّاد، خصوصًا المتزاحمين في صفة واحدة؛ كالمال والمنصب والجاه ونحوها.

المرتبة الثانية: في هذا المرتبة يظهر أن الحاسد يتمنى زوال النعمة عن غيره، ويحب ذلك، حتى وإن كانت لا تنتقل إليه، وهذا أيضًا في غاية الخبث والكره والبغض لرؤية نعم الله تعالى تعمّ على الناس، ولكنها دون الأولى؛ إذ لا يلجأ إلى الوسائل الخبيثة والمحرمة.

المرتبة الثالثة: الرغبة في زوال النعمة عن المحسود سواء انتقلت إليه أم إلى غيره، ولكنه في جهاد مع نفسه وكفها عمّا يؤذي؛ خوفًا من الله تعالى، وكراهية في ظلم عباد الله، ومن يفعل هذا يُكفى شر غائلة الحسد، ولكن ينبغي أن يعالج نفسه من هذا الوباء المقيت.

المرتبة الرابعة: تمني زوال النعمة عن الغير؛ بغضاً لذلك الشخص لسبب شرعي، كأن يكون ظالمِا يستعين على مظالمه بهذه النعمة، أو فاسقًا يستعين بهذه النعمة على فسقه وفجوره فيتمنى زوالها عنه ليرتاح العباد والبلاد من شره، فهذا لا يسمى حسداً مذموماً، بل هو حسد ممدوح.

المرتبة الخامسة: ألّا يتمنى الحاسد زوال النعمة عن غيره، ولكن يتمنى لنفسه مثلها، فإن حصل له مثلها سكن واستراح، وإن لم يحصل له مثلها تمنى زوال النعمة عن المحسود؛ وذلك حتى يتساويا ولا يفضله بشيء، وهذا فيه كراهة والله أعلم؛ إذ لا بد من القناعة بقضاء الله

وقدره.

المرتبة السادسة: أن يحب ويتمنى لنفسه مثلها، فإن لم يحصل له مثلها فلا يحب زوالها عن غيره فهذا لا بأس به، إن كان من النعم الدنيوية كالمال الحلال، وإن كان من النعم الدينية كالعلم والعبادة، كأنّ يغبط من عنده مال حلال ثم سلطه على هلكته في الحق، فإن هذا من أعظم الأدلة على الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان، وكذا من آتاه الله الحكمة والعلم فوفق لنشره.

سبل الحماية من الحسد :

في علاج الحسد ذُكر أنه لا بد أن يكون مستنِدًا إلى الرقية الشرعية التي وردت في السنة النبوية الشريفة، أما ما عداها فهو غير مقبول، ومن ذلك :

أولا : الإكثار مِن التعويذات مثل :

١- اللهم إني أجعلُكَ في نحورِهم، وأعوذُ بك من شرورِهم".

٢- اللهم ربَّ الناس، أَذهِب الباس، اشفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا.

٣- أعوذ بكلمات الله التامَّة، من كلِّ شيطانٍ وهامَّة، ومن كلِّ عين لامَّة.

٤- أعوذ بكلمات الله التامَّات من شرِّ ما خلَق.

٥- أعوذ بكلمات الله التامَّة مِن غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرونِ.

٦- أعوذ بكلمات الله التامَّات التي لا يُجَاوِزُهنَّ بَرٌّ ولا فاجر، مِن شر ما خلق وذَرَأ وبَرَأ، ومن شرِّ ما ينزل مِن السماء، ومن شرِّ ما يَعرُج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فِتَنِ الليل والنهار، ومن شر كل طارقٍ، إلا طارقًا يطرق بخيرٍ، يا رحمن.

٧- بسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

ثانيا : بالأذكار المشروعة: مثل أذكار الصباح والمساء، وأذكار ما قبل النوم، والدخول والخروج

ثالثا : الإكثار من قراءة القرآن الكريم، والاستغفار، والمواظَبة على التعوذات، وقراءة بعض الأدعية الشرعيَّة)[١] .

س٥: لماذا كان الصبر من أعظم ما حث عليه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين؟.

ج٥ : الصبر في المفهوم العام ببساطة هو الحبس والمنع، وهو حبس النفس عن الجزع، واثبت العلم الحديث ان للصبر فوائد جمة.

الصبر لغةً: الصَّبْرُ - صَبْرُ : التجلُّد وحسن الاحتمال . و الصَّبْرُ عن المحبوب : حَبْسُ النفس عنه . و الصَّبْرُ على المكروه : احتماله دون جزع . وشهر الصَّبر : شهر الصوم، لما فيه من حَبْس النفس عن الشهوات . المعجم الوسيط:

- عرفه الراغب الأصفهاني الصبر بأنه : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، وعما يقتضيان حبسها عنه .
- عرفه الجنيد بن محمد بأنه : تجرع المرارة من غير تعبس.
- عرفه ذو النون المصري بأنه : التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.
- عرفه الجرجاني بأنه : ترك الشكوى من أ لم البلوى لغير الله لا إلى الله)[٢].
- عرفه ابن القيم بأنه : حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش ، قيل : هو الوقوف على البلاء بحسن الأدب[٣].

يقول ابن كثير رحمه الله : (الصبر في اللغة: الحبس، وفي القرآن صبر جميل، قال ابن تيمية رحمه الله: "الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه" وقال مجاهد رحمه الله:" هو الذي لا جزع معه)[٤].

---

(١) موقع سطور ، ٨ أكتوبر ٢٠١٩ الفرق بين العين والحسد بتصرف.
(٢) الشريف الجرجاني تعريفات العلوم وتحقيقات الرسوم تحقيق عبد المولى هاجل :ص ٢٨٣، رقم : ٨٠٢).
(٣) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، الصبر .
(٤) ابن كثير ، التفسير ، ج٢ ،ص ٤٨٩ .

أهمية الصبر:

أربعة أمور تدل على أهمية الصبر:

الأول: أن الله ذكره في أكثر من تسعين موضعاً في القرآن.

الثاني: أن الله قرنه بالصلاة.

الثالث: أن مقامات الدين كلها مرتبطة به.

فالدين فعل طاعة وترك معصية، وقوام ذلك على الصبر.. ألا ترى أن العفة هي الصبر عن الفواحش وعن سؤال الناس، والزهد الصبر عن فضول العيش، وحسن الخلق الصبر على أذى الناس، والقناعة الصبر والرضا بما قسم الله، والحلم الصبر عن الغضب؟

الرابع: أن الله لما أقسم بالعصر على خسران الإنسان استثنى فقال: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣))[١]. أي: أوصى بعضهم بعضاً بذلك.

ثمرات الصبر:

للصبر ثمرات عديدة، منها:

١- **تحقيق الإيمان**: فالإيمان قول وعمل واعتقاد، والصبر من الإيمان، وقد دل على ذلك القرآن.. فكل ما أمر الله به بعد ندائه بـ (يا أيها الذين آمنوا)} دليل على دخوله في مسمى الإيمان ، ودلت على ذلك سنة خير الأنام.، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الإيمان: الصبر والسماحة)[٢] وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (الصبر نصف الإيمان)[٣].

٢- **تحقيق الإخبات**: والإخبات الخضوع. قال تعالى: (..وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ(٣٤)) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣٥))[٤].

---

(١) سورة العصر .
(٢) خرجه أحمد (١٩٤٥٤) واللفظ له، وعبد بن حميد في ((مسنده)) (٣٠٠) باختلاف يسير
(٣) أخرجه الطبراني (١٠٧/٩) (٨٥٤٤)، والحاكم (٣٦٦٦)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٩٧١٧) واللفظ له

٣- **تحقيق الصدق والتقوى**: قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ(١٧٧))[١]، والبأساء: حال الفقر، والضراء: حال المرض.

٤- **تحقيق الهداية**: قال تعالى: (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١))[٢]، قال ابن مسعود رضي الله عنه : (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم)[٣] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (الصبر ضياء)[٤]، لا يزال صاحبه مستضيئاً به ومهتدياً مستمراً على الصواب، ومما قاله علي رضي الله عنه في الصبر: (الصبر مطية لا تكبو". وقال عمر رضي الله عنه :" وجدنا خير عيشنا بالصبر".وذلك لأن به هداية القلب وراحة البال.

٥- **التمكين**: قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُو(١٣٧))[٥] وقال تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ(٢٤))[٦].

٦- **محبة الله** :قال تعالى: (...وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦))[٧].

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة التغابن .
(٣) البيهقي ، شعب الإيمان ، رقم الحديث
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٣ .
(٥) سورة الأعراف .
(٦) سورة السجدة .
(٧) سورة آل عمران .

٧- **نيل الرحمة**: قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(١٥٧))[١] ، والصلوات المغفرة كما قال الطبري رحمه الله.

٨- **تكفير السيئات**: قال تعالى: (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...(١٢٣))[٢]، وقد سأل أبو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في الحديث الذي رواه أبو زهير الثقفي رضي الله عنه : (كل سوء عملنا جزينا به؟، وأينا لم يعمل سوء؟ فقال صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به)[٣] ، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)[٤]. والنصب: التعب. والوصب: الوجع ، و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في جسدِه ومالِه ونفسِه حتَّى يلقى اللهَ وما عليه مِن خطيئةٍ)[٥].، وجاء في صحيح البخاري: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ)[٦].

٩- **الأجر الجزيل**: قال تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠))[٧] ، قال قتادة رحمه الله:(لا والله، ما هُناكم مكيال ولا ميزان)[٨]، عَنْ جَابِر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قالرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة النساء .
(٣) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج١ ، ص ٥١ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦٤١ .
(٥) الأرناؤوط ، تخريج صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٢٩١٣ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦٤٥ .
(٧) سورة الزمر .
(٨) الطبري ، التفسير ، ج٢١ و ص ٢٧٠ .

الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ)[1] .وقد جمع الله بين المغفرة والأجر الجزيل للصابرين في آية فقال تعالى : (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١١))[2] .

١٠- **معية الله قال تعالى**: (إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)[3] .

١١- **الجنة** : قال تعالى: (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧))[4] وفي الصحيحين أن ابن عباس رضي الله عنهما قال لعطاء رحمه الله: (أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قال: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ»؟ فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. فمن صبر فله الجنة لقوله: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ)[5].

١٢- **الصبر يرفع العبد درجات عالية في الجنة** :فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فما يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها)[6] ، ولهذه الثمار كلها قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر)[7] ، [8] .

---

(١) ابن الجوزي ، الموضوعات ، جج٣ ، ص٤٨٥ ، وما أورده هنا إلا لتوضيح حقيقة هذا الحديث وليس للاستشهاد به .
(٢) سورة هود .
(٣) سورة البقرة: ٢٤٩، والأنفال: ٦٦
(٤) سورة آل عمران .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٥٦٥٢ .
(٦) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٥٩٩ .
(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٤٦٩ .
(٨) د. مهران ماهر عثمان الصبر صيد الفوائد

من أقوال السلف رحمهم الله في الصبر :

١- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنَّ أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أنَّ الصبر كان من الرجال كان كريمًا)[١] .

٢- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا إنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس باد الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له)[٢] ، وقال: (الصبر مطية لا تكبو[٣] ، والقناعة سيف لا ينبو[٤]، [٥] .

٣- قال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: (ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر، إلا كان ما عوَّضه خيرًا مما انتزع منه، ثم قرأ قول الله تعالى في سورة الزمر : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠)) [٦] .

٤- (وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه، واغتمامًا بذلك، فقال: (أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا. قال: فبسمعك؟ قال: لا. قال: فبلسانك؟ قال: لا. قال: فبعقلك؟ قال: لا... في خلال. وذكَّره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة؟!)[٧] .

٥- عن إبراهيم التيمي، قال: (ما من عبد وهب الله له صبرًا على الأذى، وصبرًا على البلاء، وصبرًا على المصائب، إلا وقد أُوتي أفضل ما أوتيه أحد، بعد الإيمان بالله)[٨].

٦- وعن الشعبي، قال شريح: (إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني)[٩] .

---

(١) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٣).
(٢)) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٤).
(٣) كبا يكبو كبوة إذا عثر. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٢١٣/١٥).
(٤) نبا حد السيف إذا لم يقطع. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٠١/١٥).
(٥) ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي (ص ٢٩٤)
(٦) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٣٠).
(٧) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٢٩٢/٦).
(٨) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٢٨).
(٩) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٠٥/٤).

٧- وقال ميمون بن مهران: (الصبر صبران: الصبر على المصيبة حسن، وأفضل من ذلك الصبر عن المعاصي)[١] .

٨- وعن أبي ميمون ، قال: (إن للصبر شروطًا، قلت -الراوي-: ما هي يا أبا ميمون؟ قال: إن من شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر؟ ولمن تصبر؟ وما تريد بصبرك؟ وتحتسب في ذلك وتحسن النية فيه، لعلك أن يخلص لك صبرك، وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك، ثم هدأ فهدأت، فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت، ولا هي صبرت، ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها، فحمدت الله على ذلك وشكرت)[٢].

٩- وقال أبو حاتم: (الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عند الشدائد المصيبات، فأفضلها الصبر عن المعاصي، فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل، حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا في حال العسر واليسر معًا)[٣].

١٠- وقال زياد بن عمرو: (كلنا نكره الموت وألم الجراح، ولكنا نتفاضل بالصبر)[٤] .

١١- وقال زهير بن نعيم: (إنَّ هذا الأمر لا يتمُّ إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتمَّ، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتمَّ، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلًا فقال: مثل اليقين والصبر مثل فَدادين[٥] يحفران الأرض، فإذا جلس واحد جلس الآخر)[٦] .

---

(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص ٢٩).
(٢) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص ٥٣).
(٣) روضة العقلاء لابن حبان البستي (ص ١٦٢).
(٤) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص ٤٤).
(٥) الفدادين، مخففة، واحدها فدان، بالتشديد؛ عن أبي عمرو، وهي البقر التي يحرث بها. انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٣٠/٣).
(٦) صفة الصفوة لابن الجوزي (٨/٤).

١٢- وقال أبو عبد الرحمن المغازلي: (دخلت على رجل مبتلى بالحجاز، فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به، وأجد نِعَمه عليَّ أكثر من أن أحصيها، قلت: أتجد لما أنت فيه ألمًا شديدًا؟ فبكى ثم قال: سلا بنفسي عن ألم ما بي ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير، قال: ثم غشي عليه فمكث مليًّا[1] ،ثم أفاق، فقال: إني لأحسب أنَّ لأهل الصبر غدًا في القيامة مقامًا شريفًا لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء، إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى)[2] .

١٣- وعن عمرو بن قيس الملائي (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) قال: (الرضا بالمصيبة، والتسليم)[3] .

١٤- وعن ميمون بن مهران قال (ما نال عبد شيئًا من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر)[4] .

١٥- وعن الحسن قال: (سبَّ رجل رجلًا من الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه، وهو يتلو قوله تعالى من سورة الشورى : (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ(٤٣)) قال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون)[5] .

١٦- وقال يحيى بن معاذ: (حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنا)[6] .

١٧- وقال أبو حاتم: (الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له، وأول درجته الاهتمام، ثم التيقظ، ثم التثبت، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، وهو النهاية في الحالات)[7].

---

(١) الملي: الزمان الطويل. انظر: ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٢٩٨).
(٢) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٨٠).
(٣) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٨٦).
(٤) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦٢).
(٥) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ٨٧).
(٦) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٩٤/٤).
(٧) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (ص ١٦١).

١٨- وقال عمر بن ذر: (من أجمع على الصبر في الأمور فقد حوى الخير، والتمس معاقل البر وكمال الأجور)[١].[٢].

يقول الشيخ خالد بن سعود البليهد :

والصبر ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على أداء الطاعة بحيث يحتسب الأجر في فعلها ويصبر على مشقتها ويؤديها على الوجه المشروع ويداوم على فعلها قال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأمور(١٧))[٣]. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على مشقة قيام الليل فيقوم قياما طويلا حتى تفطرت قدماه ولامته عائشة رضي الله عنها فقال: (أفلا أكون عبدا شكورا)[٤]..

الثاني: الصبر عن ارتكاب معصية الله بحيث يجاهد هواه والشيطان ويصبر على مشقة ترك المألوف واجتناب الفساد وأهله قال الله سبحانه وتعالى: (وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ(٢٢))[٥]. وقد صبر النبي يوسف عليه السلام عن ارتكاب الزنا حين أغرته امرأة العزيز واجتمعت له دواعي الشهوة وتيسير أمرها وغاب عنه الرقيب فصبر صبرا عظيما لقوة إيمانه واستحضاره مراقبة الله واستحيا من الله فعصمه الله عن الوقوع في الفاحشة وحماه من الرذيلة.

الثالث: الصبر على الأقدار المؤلمة بحيث يصبر على مشقتها والآثار المترتبة عليها ويتجنب جميع الأقوال والأفعال التي تسخط الرب قال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(١٥٧))[٦].

---

(١) ((الصبر والثواب عليه)) لابن أبي الدنيا (ص ١١٣)
(٢) علوي السقاف ، الدرر السنية ، الصبر .
(٣) سورة لقمان .
(٤) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٧١ .
(٥) سورة الرعد .
(٦) سورة البقرة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)[1] ، ولا يؤجر المؤمن على صبره إلا إذا احتسب الأجر من الله بأن يوقن أن الله قدر عليه هذه المصيبة لحكمة بالغة ليبتليه ويختبر إيمانه ويرفع درجته ويكفر سيئاته وأنه إذا صبر عليها جازاه الله بالثواب في الآخرة.

ويدخل في الصبر على المصائب ترك الشكوى من البلوى لغير الله لأن الشكوى للمخلوق مذلة ومناف لمعنى الصبر ونقص في التوكل والنبي أيوب عليه الصلاة والسلام لما ابتلي شكى إلى ربه مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(٨٣))[2]. وقد أثنى الله عليه بصفة الصبر فقال: (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤))[3].

وقال سفيان الثوري: (ثلاثة من الصبر لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزك نفسك)، والناس في مقام الصبر أربعة أصناف:

الصنف الأول: من يصبر على طاعة الله ويصبر عن معصية الله وهذا أعلى الأصناف وهو حال الأنبياء والصديقين والأولياء : قال ابن بطال :أرفع الصابرين منزلة عند الله من صبر عن محارم الله وصبر على العمل بطاعة الله ومن فعل ذلك فهو من خالص عباد الله وصفوته ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم: (لن تعطوا عطاء خيرا وأوسع من الصبر)[4].

الصنف الثاني: من يصبر على طاعة الله فيواظب على الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيرتكب الفواحش فهذا ظالم لنفسه ولا يدخل في الفضل العظيم للصبر.

الصنف الثالث: من يصبر عن المعصية فلا يغشى الفواحش لسمو نفسه عن الرذائل ولا يصبر على الطاعة فيفرط في الفرائض فهذا مسيئ وهو على شفا هلكة وسوء خاتمة.

---

(١) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ٢٣٩٦ .
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) سورة ص .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٧٠ ؟

الصنف الرابع: من لا يصبر على طاعة الله فيترك الفرائض ولا يصبر عن معصية الله فيغشى الفواحش فهذا شر الأصناف وقد باع دينه بعرض من الدنيا وتعرض لسخط الله وعذابه وهذا حال أهل الفجور.

وهناك أحوال وأمور يتأكد الصبر فيها:

١- الصبر على ترك الشهوات المحرمة قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ(٤١))[١].

٢- الصبر على الفقر وضيق الحال قال تعالى: (أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا(٧٥))[٢]. قال محمد بن علي بن الحسين: (بما صبروا على الفقر والفاقة في الدنيا).

٣- الصبر على قتال الكفار قال تعالى: (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ.. (٢٥١))[٣].

٤- الصبر على الدعوة إلى الله قال تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(١٢٧))[٤].

٥- الصبر على كلام المخالفين من الكفار وأهل البدع والفساق قال تعالى: (وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠))[٥].

٦- الصبر على الأذى الذي يحصل من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فال تعالى: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ

---

(١) سورة النازعات.
(٢) سورة الفرقان.
(٣) سورة البقرة.
(٤) سورة النحل.
(٥) سورة المزمل.

٧- ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(١٧))[١].

٨- الصبر على لأواء المدينة وشدتها قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة)[٢]. رواه مسلم.

٩- الصبر عن الكسب الحرام والتورع عنه لا سيما عند انعدام الأمانة وكثرة المغريات.

١٠- الصبر عند فقد البصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبدِي بحبيبتَيْهِ فَصبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ يُرِيدُ عينيْه)[٣].

١١- الصبر عند فقد الأحبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة)[٤].

١٢- الصبر على مخالطة الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)[٥].

١٣- الصبر على المرض قال عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى قال: (هذه المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر فقالت إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها)[٦].

١٤- الصبر على تربية الأولاد وتوجيه الأهل لا سيما مع كثرة الفتن وقلة المعين قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ(١٣٢))[٧].

---

(١) سورة لقمان .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٦٣ .
(٣) لم اجد لهذا الحديث أصلا .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٢٤ .
(٥) الألباني ، صحيح الأدب المفرد ، رقم الحديث ٣٠٠ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦٥٢ .
(٧) سورة طه .

١٥- الصبر على سوء خلق المرأة ومرضها قال تعالى: (..فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا(١٩))[١]. قال ابن عباس في هذه الآية : (هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدا ويكون في ذلك الولد خير كثير). وصبر المرأة على ظلم الزوج وفقره يرجى لها ثواب عظيم إذا احتسبت الأجر من الله وتكون لها العاقبة حسنة في صلاح ولدها وبرهم لها.

أسباب تعين على الصبر وتقويه:

١- التفكر في عظم فضل الصبر وكثرة ثوابه في الآخرة قال تعالى: (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٩٠))[٢].

٢- التفكر في شدة العذاب يوم القيامة لمن فرط في الصبر وأتبع نفسه الشهوات قال عبد الرحمن بن محمد القاري: (جلس إلي يوما زيادة مولى ابن عباس فقال لي: يا عبد الله قلت: ما تشاء قال: ما هي إلا الجنة والنار. قلت: لا والله ما هي إلا الجنة والنار. قال: ما بينهما منزل ينزله العباد. فقلت: ما بينهما منزل ينزله العباد. قال: (فو الله لنفسي نفس أضن بها عن النار وللصبر اليوم عن معاصي الله خير من الصبر على الأغلال في نار جهنم).

٣- تقوية الحياء من الله فكيف يعصي العبد سيده الذي خلقه وهداه وأكرمه وميزه عن سائر المخلوقات وكيف يستعمل نعم الله التي وهبها الله له في معاصيه قال ابن القيم: (ذكر للصبر عن المعصية سببين وفائدتين: أما السببان فالخوف من لحوق الوعيد المرتب عليها والثاني الحياء من الرب تبارك وتعالى أن يستعان على معاصيه بنعمه وأن يبارز بالعظائم وأما الفائدتان: فالإبقاء على الإيمان والحذر من الحرام). وإذا أيقن العبد أن الله ينظر إليه ويسمعه ويراقبه استحيا منه.

---

(١) سورة النساء .
(٢) سورة يوسف .

٤- الاستعانة بالله على الصبر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يتصبر يصبره الله)[١]، ومن استعان بالله يسر له الشدائد وهون عليه الأمور وأزال عنه العقبات.

٥- دعاء الله وسؤاله تيسير الصبر عند نزول البلاء قال تعالى: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ(١٢٦))[٢]. أما حال العافية فيدعو بإتمام العافية والستر ودوام النعمة.

٦- محبة الله وخشيته فإن محبة الله تحمل المؤمن على الصبر على الطاعة وخشيته تحمله على الصبر عن المعصية وعلى المصيبة فكلما قويت الخشية والمحبة قوي الصبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه). فالمحب الصادق يوافق هوى محبوبه ولا يخالف مراده.

٧- التأمل في صبر الأنبياء والصالحين وأخذ العبرة واستنهاض الهمة قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١١١))[٣]. فيتأمل في صبر النبي أيوب على البلاء وصبر النبي يوسف عن المعصية وصبر خاتم النبيين محمد على القيام بالدعوة إلى الله وتحمله المشاق والأذى في سبيل الله[٤].

س٦: لماذا أمر الله بالستر ؟

ج٦ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٤٦٩ .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة يوسف .
(٤) خالد بن سعود البليهد ، موقع صيد الفوائد

كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة) ، هذا هو المشروع إذا رأى الإنسان من أخيه في الله أو أخته في الله عورة -يعني: معصية- فلا يفضحه ولا ينشرها بين الناس، بل يستر عليه وينصحه، ويوجهه إلى الخير، ويدعوه إلى التوبة إلى الله من ذلك، ولا يفضحه بين الناس، ومن فعل هذا وستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، أما الذين يظهرون المعاصي ولا يستحون ويظهرونها بين الناس فهؤلاء فضحوا أنفسهم فليسوا محلًا للستر كالذي يشرب الخمر بين الناس في الأسواق وفي المحلات والاجتماعات هذا قد فضح نفسه -نسأل الله العافية- وهكذا من يعمل المعاصي الأخرى جهرة ولا يبالي، هذا يرفع بأمره إلى ولاة الأمور إذا كانوا يردعون مثله ويقيمون عليه الحد، يرفع في أمره، وليس محل الستر من أظهر فاحشته وأعلنها ، نسأل الله العافية.)[1] .

من صور الستر :

١- **ستر المسلم نفسه**: (المسلم عليه أن يستر نفسه، فلا يُشْهر خطاياه أمام الخَلْق، ولا يذكر زلَّاته أمام النَّاس، ولو كانوا أصدقاءه، إلَّا على وجه السُّؤال والفتيا، دون تحديد أنَّه الفاعل، سيَّما عند من يعرفه)[2] ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلُّ أمَّتي معافى إلا المجَاهرين، وإنَّ من المجَاهرة أن يعمل الرَّجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يَسْتُره ربُّه، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه)[3] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (أيُّها النَّاس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليَسْتَتر بسِتْر الله)[4].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) مصطفى مراد ، خلق المؤمن ، ص ١١٣ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٦٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٩٩٠ .
(٤) رواه مالك في الموطأ (١٢٠٥/٥)، والبيهقي (٣٢٦/٨) (١٨٠٢٩) من حديث زيد بن أسلم رضي الله عنه. قال الشافعي في الأم)(٣٦٧/٧): منقطع، ليس مما يثبت به هو نفسه حجة. وقال البيهقي في السُّنن الصغير (٣٤٥/٣): مرسل، وقد أُسند آخره عن ابن عمر مرفوعًا. وقال ابن عبد البر في الاستذكار (٥٠٤/٦)، وابن الملقن في خلاصة البدر المنير (٣٠٣/٢): مرسل.) .

٢- **سَتْر المسلم لإخوانه المسلمين:** وكما يَسْتُر المسلم نفسه، عليه أن يَسْتُر إخوانه المسلمين، إذا رأى منهم عيبًا أو خطأً، قال صلى الله عليه وسلم: (من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب الآخرة، ومن سَتَر على مسلم، سَتَرَه الله في الدُّنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه)[1] .

٣- **سَتْر الميِّت:**إذا غسَّل المسلم ميِّتًا، فرأى فيه شيئًا معيبًا، فعليه أن يَسْتره، ويكتم أمره، قال صلى الله عليه وسلم: (من غسَّل ميِّتًا، فكتم عليه، غَفَر الله له أربعين مرَّةً)[2] .

الوسائل المعينة على اكتساب صفة السَّتْر:

١- أن تعلم فضل السَّتْر، وأنَّ من سَتَر أخاه المسلم، سَتَرَه الله في الدُّنيا والآخرة.

٢- أن تستشعر معنى أخوة الإيمان، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ(١٠))[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في تَوَادِّهِم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عُضْو، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى)[3]

٣- أن تضع نفسك مكان أخيك الذي أخطأ وزلَّ، فهل تحبُّ أن تُفْضَح أم تُسْتَر؟ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم، حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه)[4]، وعن عكرمة أنَّ ابن عبَّاس، وعمَّارًا، والزُّبير - رضي الله عنهم جميعًا- أخذوا سارقًا، فخلوا سبيله، فقلت لابن عبَّاس: (بئسما صنعتم حين خلَّيتم سبيله، قال: لا أمَّ لك، أما لو كنت أنت، لسرَّك أن يُخَلَّى سبيلك)[5] .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٩٩ .
(٢) رواه الطبراني (٣١٥/١) (٩٢٩)، والبيهقي (٣٩٥/٣) (٦٩٠٠) واللَّفظ له. قال المنذري في التَّرغيب والتَّرهيب (٢٥٧/٤): رواته محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في الفتوحات الربانية (١٦٣/٤): حسن غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح التَّرغيب والترهيب (٣٤٩٢).)
(٣) سورة الحجرات
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠١١ .
(٥) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٣ .
(٦) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف (٢٨٠٨٤)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٩٠/١٢).) .

٤- أن ينشغل العبد بإصلاح نفسه: قال الحسن البصري: (يا ابن آدم، لن تنال حقيقة الإيمان حتَّى لا تعيب النَّاس بعيب هو فيك، وتبدأ بذلك العيب من نفسك، فتصلحه، فما تصلح عيبًا إلَّا ترى عيبًا آخر، فيكون شغلك في خاصَّة نفسك). وقيل لربيع بن خُثَيْم: ما نراك تعيب أحدًا، ولا تذمُّه! فقال: ما أنا على نفسي براضٍ، فأتفرَّغ من عيبها إلى غيرها)[1] .

لقد حثَّ الإسلام على السَّتْر، ورغَّب فيه، واتَّخذ وسائل من أجل ذلك، فشرع حدَّ القذف، حتَّى لا يُطْلِق كلُّ أحد لسانه، وكذا أمر في إثبات حدِّ الزِّنى بأربعة شهود، ونهى عن أن يتجسَّس المسلم على أخيه، كما توعَّد بالعذاب لكلِّ من يشيع الفاحشة في المؤمنين:

١- قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ(١٩))[2] ، قال ابن كثير: (أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا أي: بالحدِّ، وفي الآخرة بالعذاب)[3].

٢- وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ(١٢))[4] ، عن مجاهد في قوله تعالى: وَلا تَجَسَّسُوا قال: (خذوا ما ظهر لكم، ودعوا ما سَتَرَ الله)[5] ، وقال الطَّبري: (وقوله: وَلا تَجَسَّسُوا يقول: ولا يتتبَّع بعضكم عَوْرة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظُّهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذمُّوا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره)[6].

---

(١) عبدالعزيز السلمان ، موارد الظمآن ، ج١ ، ص٣٧٧ .
(٢) سورة النور .
(٣) ابن كثير ، التفسير ، ج٦ ، ص ٢٩ .
(٤) سورة الحجرات .
(٥) الطبري ، التفسير ، ج٢١ ، ص ٣٧٥ .
(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

٣- وقال تعالى: (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ(٢٢))[١] ، قال القرطبي: (معنى تَسْتَتِرُونَ: تستخفون، في قول أكثر العلماء، أي: ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرًا من شهادة الجوارح عليكم، ولأنَّ الإنسان لا يمكنه أن يُخفِي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية)[٢] ، وقال البيضاوي: (أي: كنتم تَسْتَتِرون عن النَّاس عند ارتكاب الفواحش، مخافة الفضيحة، وما ظننتم أنَّ أعضاءكم تشهد عليكم بها، فما اسْتَتَرْتم عنها. وفيه تنبيه على أنَّ المؤمن ينبغي أن يتحقَّق أنَّه لا يمرُّ عليه حال إلا وهو عليه رقيب.(وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) فلذلك اجترأتم على ما فعلتم)[٣]. .

٤- كان النَّبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرَّجل الشَّيء ، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ وهذا مشهور عنه صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كلُّ أمَّتي معافى إلا المجاهرين، وإنَّ من المجاهرة: أن يعمل الرَّجل باللَّيل عملًا، ثمَّ يصبح وقد سَتَره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يَسْتُره ربُّه، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه)[٤]، .قال ابن الجوزي: (المجَاهرون: الذين يجاهرون بالفواحش، ويتحدَّثون بما قد فعلوه منها سرًّا، والنَّاس في عافية من جهة الهمِّ مستورون، وهؤلاء مُفْتَضحون)[٥]، و قال العيني: (أنَّ سِتْر الله مستلزم لستْر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجَاهرة، فقد أغضب الله تعالى فلم يَسْتُره،

---

(١) سورة فصلت .
(٢) القرطبي ، التفسير ، ج١٥ ، ص ٣٥٢ .
(٣) البضاوي و التفسير ، ج٥ ، ص ٧٠ ؟
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٦٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٩٩٠ .
(٥) ابن الجوزي ، كشف المشكل ، ج٣ ، ص ٣٩٧ .

ومن قصد التَّسَتُّر بها حياءً من ربِّه ومن النَّاس، مَنَّ الله عليه بِسِتره إيَّاه)[1] .

٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفَّس عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب الآخرة، ومن سَتَر على مسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه)[2] ، .قال المباركفوري: (من سَتَر مسلمًا، أي: بَدَنه أو عيبه بعدم الغيبة له، والذَّبِّ عن معائبه، وهذا بالنِّسبة إلى من ليس معروفًا بالفساد، وإلَّا فيُستحب أن تُرْفع قصَّته إلى الوالي، فإذا رآه في معصية، فينكرها بحسب القدرة، وإن عَجز، يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتَّب عليه مفسدة)[3] .

٧- وعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عَورَاتهم، فإنَّه من اتَّبع عَوراتهم يتَّبع الله عَوْرته، ومن يتَّبع الله عَوْرته يفضحه في بيته)[4].

(فاسْتُر إخوانك، فإنَّه لا طاقة لك بحرب الله، القادر على كشف عيوبك، وفضح ذنوبك، التي لا يعلمها النَّاس عنك، وألْجِم لسانك عن الخوض في الأعراض، وتتبُّع العَورات، وإفساد صِيت إخوانك، وإساءة سُمْعَتهم)[5].

أقوال السَّلف والعلماء في الحثِّ على السَّتْر :

١- قال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: (لو أخذت سارقًا لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ، ولو أخذت شاربًا، لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ)[6].

---

(١) العيني ، عمدة القاري ، ج٢٢ و ص ١٣٨ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٩٦٦ .
(٣) المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج٤ ، ص ٥٧٤ .
(٤) (رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤٢٠/٤) (١٩٧٩١)، وأبو يعلى (٤١٩/١٣) (٧٤٢٣)، والبيهقي (٢٤٧/١٠) (٢١٦٩٦). وجوَّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء (٢٥٠/٢)، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود) (٤٨٨٠): حسن صحيح.
(٥) محمود الخزندار ، هذه أخلاقنا ، ص ٤٥٣ .
(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص ١٣ . وابن أبي شيبة في المصنَّف (٤٧٤/٥)، وصحَّح إسناده ابن حجر في (الإصابة) (٥٧٥/١).

٢- وعن أبي الشَّعثاء قال: (كان شُرَحْبِيل بن السِّمْط على جيشٍ، فقال لجيشه: إنَّكم نزلتم أرضًا كثيرة النِّساء والشَّراب- يعني الخمر- فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا، فنطهِّره، فأتاه ناس، فبلغ ذلك عمر بن الخطَّاب، فكتب إليه: أنت- لا أمَّ لك - الذي يأمر النَّاس أن يهتكوا سِتْر الله الذي سَتَرَهم به)[1] .

٣- وعن المعْرُور بن سُوَيْد قال: (أُتي عمر بامرأة راعية زنت، فقال عمر: ويح المرِّيَّة، أفسدت حَسَبَها، اذهبا بالمرِّيَّة فاجلداها، ولا تخرقا عليها جلدها، إنَّما جعل الله أربعة شهداء سترًا ستركم به دون فواحشكم، ولو شاء لجعله رجلًا صادقًا أو كاذبًا، فلا يطَّلعنَّ سِتْر الله منكم أحد)[2].

٤- وعن الشَّعبي: أنَّ رجلًا أتى عمر بن الخطَّاب، قال: (إنَّ ابنة لي أصابت حدًّا، فعَمَدت إلى الشَّفْرة، فذبَحَت نفسها، فأدركتُها، وقد قطعت بعض أوداجها، فداويتها فبرأت، ثم أنَّها نَسَكت، فأقبلت على القرآن، فهي تُخْطب إليَّ، فأخبر من شأنها بالذي كان، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتَره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنَّك ذكرت شيئًا من أمرها، لأجعلنَّك نَكالًا لأهل الأمصار، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة)[3].

٥- وعن عبد الله بن مسعود عنه قال: (ثلاث أحلف عليهنَّ، والرَّابعة لو حلفت لبَرَرْت: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غيره يوم القيامة، ولا يحبُّ رجل قومًا، إلا جاء معهم يوم القيامة، والرَّابعة التي لو حلفت عليها لبَرَرْت: لا يَسْتُر الله على عبد في الدُّنيا، إلَّا سَتَر عليه في الآخرة)[4]

---

(١) مصنَّف عبد الرزاق الصنعاني (١٩٧/٥) (٩٣٧١)، والزهد لهناد بن السري (٦٤٦/٢).) .

(٢) (مصنَّف عبد الرزاق الصنعاني (٣٧٤/٧) (١٣٥٣٠)، والتوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني (٦٥/١).

(٣)) (رواه عبدالرزاق في المصنَّف (٢٤٦/٦)، وهناد في الزهد(١٤٠٩)، والحارث في بغية الباحث)(٥٠٧) واللَّفظ له. قال ابن كثير في مسند الفاروق (٣٩٣/١): فيه انقطاع. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢٧٢/٤): إسناده رجاله ثقات إلا أنه منقطع، فإنَّ رواية الشَّعبي عن عمر مرسلة.) .

(٤) واه عبدالرزاق في المصنَّف (١٩٩/١١)، وصحَّح إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصَّحيحة (١٣٨٧) وقال: رجاله ثقات رجال الشيخين.) .

٦- (وعن مريم بنت طارق: (أنَّ امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أمَّ المؤمنين، إنَّ كَرِيًّا أخذ بساقي (الكري: الذي يكري دابته)[١] ، وأنا مُحْرِمَة، فقالت رضي الله عنها: حِجْرًا حِجْرًا حِجْرًا (حجرا أي سترا وبراءة من هذا الأمر)[٢] ، وأعرضت بوجهها، وقالت بكفِّها، وقالت: يا نساء المؤمنين، إذا أذنبت إحداكنَّ ذنبًا، فلا تخبرنَّ به النَّاس، ولتستغفر الله تعالى، ولتتب إليه؛ فإنَّ العباد يُعَيِّرُون ولا يُغَيِّرُون، والله تعالى يُغَيِّر ولا يُعَيِّر)[٣] .

٧- وعن أبي عثمان النَّهدي، قال: (إنَّ المؤمن ليُعطى كتابه في سِتْرٍ من الله تعالى، فيقرأ سيِّئاته فيتغيَّر لونه، ثمَّ يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه، ثمَّ ينظر، وإذا سيِّئاته قد بُدِّلت حسنات، فعند ذلك يقول كما جاء في سورة الحاقة: (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ(١٩)))[٤].

٨- وقال الحسن البصري: (من كان بينه وبين أخيه سِتْر فلا يكشفه)[٥].

٩- وعن إبراهيم بن أدهم، قال: (بلغني أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لخالد ابن صفوان: عِظْني وأوجز. قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقوامًا غرَّهم سِتْر الله عزَّ وجلَّ، وفتنهم حُسْن الثَّناء، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالسِّتْر مغرورين، وبثناء النَّاس مسرورين، وعمَّا افترض الله متخلِّفين مقصرين، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتِّباع الهوى)[٦] .

١٠- وقال العلاء بن بدر: (لا يعذِّب الله عزَّ وجلَّ قومًا يسترون الذُّنوب)[٧].

١١- وعن محمود بن آدم قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: (لولا سِتْر الله عزَّ وجلَّ ما جالسَنا أحدٌ)[٨].

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص ٢١٩ .
(٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٦٧ .
(٣) الخرائطي ، مكارم الأخلاق ، ج١ ، ص ١٥٣
(٤) ابن المبارك ، الزهد ، ج١ ، ص ٤٩٧ .
(٥) الخرائطي ، مكارم الأخلاق ، ج١ ، ص ١٤٩ .
(٦) البيهقي ، الزهد الكبير ، ج١ ، ص ١٨٧ .
(٧) الخرائطي ، مكارم الأخلاق ، ص ١ ، ص ١٥٣ .
(٨) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج٦ ، ص ٢٩٠ .

١٢- وعن شُبَيْل بن عوف الأَحْمَسِي، قال: (كان يقال: من سمع بفاحشة، فأفشاها، كان فيها كالذي بدأها)[١] .

١٣- وعن عبد الله بن المبارك، قال: (كان الرَّجل إذا رأى من أخيه ما يكره، أمره في سِتْر، ونهاه في سِتْر، فيُؤجر في سِتْره، ويُؤجر في نهيه، فأمَّا اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره، استغضب أخاه، وهتك سِتْره)[٢] .

١٤- وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن يَسْتر وينصح، والفاجر يهتِك ويُعيِّر)[٣].

١٥- وعن عبيد الله بن عبد الكريم الجِيْلِي، قال: (من رأيته يطلب العثرات على النَّاس، فاعلم أنَّه معيوب، ومن ذكر عَورات المؤمنين، فقد هتك سِتْر الله المرخَى على عباده)[٤] .

١٦- وقال ابن رجب: (رُوي عن بعض السَّلف أنَّه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب النَّاس، فذكر النَّاس عيوبهم. وأدركت أقوامًا، كانت لهم عيوب فكَفُّوا عن عيوب النَّاس فنُسيت عيوبهم)[٥].

١٧- وقال ابن القيِّم: (وأمَّا اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزِّنا، ففي غاية الحِكْمة والمصلحة؛ فإنَّ الشَّارع احتاط للقصاص والدِّماء، واحتاط لحدِّ الزِّنا، فلو لم يقبل في القتل إلَّا أربعة لضاعت الدِّماء، وتواثب العادون، وتجرَّءوا على القتل؛ وأمَّا الزِّنا فإنَّه بَالَغَ في سِتْره، كما قدَّر الله سِتْره، فاجتمع على ستْره شرع الله وقدره، فلم يقبل فيه إلَّا أربعة يصِفُون الفِعْل وصف مشاهدة، ينتفي معها الاحتمال؛ وكذلك في الإقرار، لم يكتف بأقلَّ من أربع مرَّات، حرصًا على سِتْر ما قدَّر الله ستْره، وكَرِه إظهاره، والتَّكلُّم به، وتوعَّد من يحبُّ إشاعته في المؤمنين بالعذاب ، في الدُّنيا والآخرة)[٦].

---

(١) وكيع ، الزهد ، ج١ ، ص ٧٦٨ .
(٢) ابن حبان ، روضة العقلاء ، ج١ ، ص ١٩٦ .
(٣) ابن رجب ، جامع العلوم والحكم ، ج١ و ص ٢٢٥ .
(٤) أبو الشيخ الأصبهاني ، التوبيخ والتنبيه ، ج١ ، ص ١٠١ .
(٥) ابن رجب ، جامع العلوم والحكم ، ج٢ ، ص ٢٩١ .
(٦) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٢ ، ص ٥٠ .

١٨- وقال أيضًا: (للعبد سِتْرٌ بينه وبين الله، وسِتْرٌ بينه وبين النَّاس، فمن هتك السِّتْر الذي بينه وبين الله، هتك الله السِّتْر الذي بينه وبين النَّاس)[١].

١٩- وقال أيضًا: (ومن النَّاس من طبعه طبع خنزير: يمرُّ بالطَّيِّبات فلا يلوي عليها، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قَمَّه (قم الشيء قما: كنسه، وقم الرجلُ: أكل ما على الخوان)[٢] ، وهكذا كثير من النَّاس، يسمع منك، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ، فلا يحفظها، ولا ينقلها، ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة، أو كلمة عَوْراء، وجد بغيته، وما يناسبها، فجعلها فاكهته ونقله)[٣].

٢٠- وقال أبو البركات الغزي العامري في كلامه عن آداب العِشْرة بين المسلمين: (ومنها: الاجتهاد في سِتْر عَورَات الإخوان وقبائحهم، وإظهار مناقبهم، وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات)[٤]. [٥].

س٧ : لماذا كانت المجاهرة بالمعاصي من الكبائر ؟.

ج٧: المجاهرون هم أشخاص يفعلون الذنوب في السر فيسترهم الله لعلم يرجعون في أي وقت إلي الله ، ولكنهم يفضحون أنفسهم متباهين بما فعلوه ، وما أكثر الشباب الذين يجاهرون بذنوبهم في يومنا هذا ، تجد الشاب طوال الليل يعصي الله ويشاهد الأفلام الإباحية ويمارس العادة السرية ، ويستره الله ولا يفضح أمرة ، وحين يقابل أصدقائه يحكي متفاخراً علي ما قام به ، تجد الشباب يتفاخرون بمكالمتهم مع البنات ، تجد الكبير والصغير يتباهى بذنوبه التي يفعلها ولا يشعر بالندم ، ولقد حذرنا رسول الله من المجاهرة بالذنب.

يقول الدكتور أمين بن عبدالله الشقاوي : (الذنوب والمعاصي عاقبتها وخيمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى مبينًا أضرارها على العباد:

---

(١) ابن القيم ، الفوائد ، ج١ ، ص ٣١ .
(٢) انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤٩٣/١٢)، ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (١١٥١).).
(٣) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج١ ، ص ٤٠٦ .
(٤) أبو بركات الغزي العامري ، آداب العشرة ، ج١ ، ص ٥٣ .
(٥) علوي السقاف ، الدرر السنية .

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّـهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ(٤٠)﴾[١] ، وأعظم هذه الذنوب المجاهرة بها، ومعناها أن يرتكب الشخص الإثم علانية، أو يرتكبه سرًّا فيستره الله عز وجل ولكنه يخبر به بعد ذلك مستهينًا بستر الله له، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ اللَّـهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّـهُ سَمِيعًا عَلِيمًا(١٤٨)﴾[٢]، جاء في تفسيرها: (لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء من القول، إلا من ظُلِم، فلا يُكره له الجهر به)[٣] ، وعن سالم بن عبدالله، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلُّ أُمَّتي معافًى إلا المجاهرين، وإنَّ من المجاهرة أن يعمل الرَّجلُ بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه، ويُصبِح يكشف سترَ الله عنه)[٤] ، قال ابن حجر: (والمجاهِر هو الذي أظهر معصيتَه، وكشف ما ستَر الله عليه، فيحدِّث بها، أما (المجاهرون) في الحديث الشريف فيحتمل أن يكون بمعنى مَن جَهَر بالمعصية وأظهرها، ويحتمل أن يكون المراد الذين يُجاهِر بعضهم بعضًا بالتحدُّث بالمعاصي، وبقية الحديث تؤكِّد المعنى الأول)[٥].

ومما سبَق يتضح أن المجاهرة على أنواع ثلاثة:

١- المجاهرة بمعنى إظهار المعصية، وذلك كما يفعل المجَّان والمستهترون بحدود الله، والذي يفعل المعصية جهارًا يرتكب محذورين: الأول: إظهار المعصية. الثاني: تلبُّسه بفعْل المجَّان؛ أي: (أهل المجون)، وهو مذموم شرعًا وعُرفًا.

٢- المجاهرة بمعنى إظهار ما ستر الله على العبد من فعله المعصية؛ كأن يُحدِّث بها تفاخرًا أو استهتارًا بستر الله تعالى، وهؤلاء هم الذين لا يتمتعون بمعافاة الله عز وجل كحال

---

(١) سورة العنكبوت .
(٢) سورة النساء .
(٣) القرطبي ، التفسير ، ج٧ ، ص ١٩٩ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠٦٩ .
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٤٨٧ .

الشباب الذين يسافرون إلى خارج البلاد، ويرتكب الواحد منهم الفواحش وشرب الخمور، ثم يخبر بهذا أصدقاء السوء تفاخرًا واستهتارًا بستر الله له.

٣- المجاهرة بمعنى أن يجاهر بعض الفسَّاق بعضًا بالتحدث بالمعاصي[١] ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (إن المظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية، ولا تبقى له غيبة، ويجب أن يعاقَب علانية بما يردعه عن ذلك، وينبغي لأهل الخير أن يهجروه ميتًا إذا كان فيه ردع لأمثاله، فيتركون تشييع جنازته)[٢] ، وقال النووي رحمه الله: (إن من جاهر بفسقه أو بدعته، جاز ذكره بما جاهر به دون ما لم يجاهر به)[٣]، وقال ابن حجر رحمه الله: (مَن قصد إظهار المعصية والمجاهرةَ، أغضب ربه فلم يستره، ومَن قصد التستر بها حياءً من ربه ومِن الناس، مَنَّ الله عليه بستره إياه)[٤] ، قال ابن بطال: (في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله، وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف)[٥].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المجاهرة بالمعاصي لها عقوبات في الدنيا قبل الآخرة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا معشرَ المهاجرين، خمسٌ إذا ابتُليتم بهنَّ -وأعوذ بالله أن تدركوهنَّ-: لم تظهرِ الفاحشة في قوم قطُّ حتى يُعلنوا بها، إلا فَشَا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مَضتْ في أسلافهم الذين مضَوْا، ولم ينقصوا المكيالَ والميزان، إلا أُخِذوا بالسِّنين وشدَّة المؤونة وجورِ السلطان عليهم، ولم يَمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنِعوا القطر من السَّماء، ولولا البهائم لم يُمطَرُوا، ولم يَنقضوا عهدَ الله وعهدَ رسوله، إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكُم أئمتُهم بكتاب الله ويتخيَّروا مما أَنزل الله، إلا جَعَل الله بأسَهم بينهم)[٦].

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٤٨٧ .
(٢) ابن تيمية ، غذاء الألباب ، ج١ ، ص ٢٦١ – ٢٦٢ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٤٨٧ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٤٨٨ .
(٥) المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٤٨٧
(٦) ابن ماجة ، السنن ، رقم الحديث ٤٠١٩ . وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) برقم: ٧٩٧٨.

روى الترمذي في سننه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (في هذه الأمَّة خَسْفٌ ومَسْخ وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، متى ذاك؟ قال: إذا ظهرتِ القَيْنات، والمعازف، وشُرِبت الخمور)[1]. ومن الأمثلة على الجهر بالمعاصي في وقتنا المعاصر:

١- انتشار البنوك الربوية في كثير من بلاد المسلمين؛ بل والإعلان عبر الصحف ووسائل الإعلام الأخرى أن القروض منها، أو المساهمة فيها مُيسَّر وسهل.

٢- تبرج النساء بشكل سافرٍ في الأسواق والأماكن العامة.

٣- بيع المحرمات؛ كالمجلات الهابطة، والدخان، وأشرطة الفيديو، والأقراص التي تحتوي على أفلام هابطة، ومحلات بيع أشرطة الغناء والخمور في بعض البلاد الإسلامية .

لذا ينبغي الإنكار على هؤلاء المجاهرين، وإخبارهم بعظيم جُرْمهم، وأنهم يُعرِّضون أنفسهم لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ... (١٩))[2]، فإذا كان مجرد الحب صاحبه مهدد بالعذاب، فكيف بمن يجهر وينشر، ويساعد على هذه الفواحش والمنكرات؟! ولذلك؛ ينبغي على المسلِم إذا ابتُلي بالمعصية أن يستتر بستر الله، وأن يبادر بالتوبة النصوح..)[3].

يقول الشيخ المنجد : (المسلم يكره المعصية ، ويكره من العاصي فِعْلَها ، وإذا رآه على معصية أنكرها ، ونصحه ، وذكّره بالله ، وخوفه العقوبة العاجلة والآجلة ، ودعا له ، واستعاذ بالله من الوقوع فيما وقع ، ولا يكون عونا للشيطان على أخيه المسلم ، روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ ، قَالَ: (اضْرِبُوهُ) ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ ،

---

(١) الترمذي ، السنن ، (ص: ٣٦برقم: ٢٢١٢، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في (صحيح الجامع الصغير ٧٨٦/٢

(٢) سورة النور .

(٣) موقع طريق الاسلام ، نشر في ١٢ / ٤ / ٢٠١٥ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ ، قَالَ: (لاَ تَقُولُوا هَكَذَا، لاَ تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ)[١] ، ورواه أحمد ولفظه : (لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، وَلَكِنْ قُولُوا: رَحِمَكَ اللهُ)[٢].وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

وعند أبي داود ، والبيهقي ، واللفظ له : أُتِيَ بِشَارِبٍ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ ، فَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَهُ بِنَعْلِهِ ، وَمِنْهُمْ بِيَدِهِ ، وَمِنْهُمْ بِثَوْبِهِ ، ثُمَّ قَالَ: (ارْجِعُوا) ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ فَبَكَّتُوهُ (واجهوه بقبيح فعله) ، فَقَالُوا: أَلَا تَسْتَحِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْنَعُ هَذَا ؟ ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ،، فَلَمَّا أَدْبَرَ وَقَعَ الْقَوْمُ يَدْعُونَ عَلَيْهِ وَيَسُبُّونَهُ ، يَقُولُ الْقَائِلُ: اللهُمَّ أَخْزِهِ ، اللهُمَّ الْعَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُولُوا هَكَذَا، ولَكِنْ قُولُوا: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ)[٣]. .وحسنه الألباني في صحيح أبي داود .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :(لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ) وَجْهُ عَوْنِهِمُ الشَّيْطَانَ بِذَلِكَ: أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ بِتَزْيِينِهِ لَهُ الْمَعْصِيَةَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْخِزْيُ ، فَإِذَا دَعَوْا عَلَيْهِ بِالْخِزْيِ ، فَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَّلُوا مَقْصُودَ الشَّيْطَانِ)[٤] ، وقال القاري رحمه الله : قَالَ الْقَاضِي: فَإِنَّهُ إِذَا أَخْزَاهُ الرَّحْمَنُ ، غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، أَوْ لِأَنَّهُ إِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَيِسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَانْهَمَكَ فِي الْمَعَاصِي ، أَوْ حَمَلَهُ اللِّجَاجُ وَالْغَضَبُ عَلَى الْإِصْرَارِ، فَيَصِيرُ الدُّعَاءُ وَصْلَةً وَمَعُونَةً فِي إِغْوَائِهِ وَتَسْوِيلِهِ)[٥] ، وروى أبو داود عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، أَنَّهُ قَالَ: " مُرَّ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ بِرَجُلٍ يُقَادُ فِي حَدٍّ أَصَابَهُ قَالَ: فَنَالَ الْقَوْمُ مِنْهُ ، فَقَالَ: لَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ الَّذِي عَافَاكُم ، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ رَأَيْتُمُوهُ فِي قَلِيبٍ أَكُنْتُمْ مُسْتَخْرِجِيهِ ؟ ، قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الَّذِي عَافَاكُمْ ، فَقِيلَ: لَهُ أَتُبْغِضُهُ؟ فَقَالَ: " إِنِّي لَا أُبْغِضُهُ، وَلَكِنْ أُبْغِضُ عَمَلَهُ ، فَإِذَا تَرَكَهُ كَانَ أَخِي)[٦] .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٧٧٧ .
(٢) الإمام احمد ، المسند ، رقم الحديث ٧٩٨٥ .
(٣) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٤٤٧٨ ، وعند البيهقي في سننه ، برقم ١٧٤٩٥ .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٦٧ .
(٥) القاري ، مرقاة المفاتيح ، ج٦ ، ص ٢٣٧٤ .
(٦) أبو داوود ، الزهد ، الرقم ٢٣٢ .

والحاصل :

أن المسلم مع أخيه المسلم على النصيحة وحب الخير له ، وإن وقع في المعصية ، فلا يعين الشيطان عليه ، ولا يدعو عليه ، ولا يحتقره ، ولكن ينصحه ، وينكر عليه ، ويبغض فعله ، ويسأل الله العافية ، ويدعو لصاحبه بالستر والتوبة والمغفرة ، إلا إذا كان هذا العاصي مجاهرا بمعصيته ، معلنا لها ، فهذا مذموم منبوذ ، يبغض في الله بقدر معصيته ، وتتخذ كل السبل المتاحة لرده عن غيه ، وكفاية الناس شره ، ولو بهجره ؛ لأنه يستطيل بالمعصية ، ويفاخر بها ، ولا يسلم الناس منه .

عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه)[(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(إِذَا أَظْهَرَ الرَّجُلُ الْمُنْكَرَاتِ : وَجَبَ الْإِنْكَارُ عَلَيْهِ عَلَانِيَةً ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ غِيبَةٌ ، وَوَجَبَ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَانِيَةً بِمَا يَرْدعُهُ عَنْ ذَلِكَ ، مِنْ هَجْرٍ وَغَيْرِهِ ؛ فَلَا يُسَلَّمُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ إذَا كَانَ الْفَاعِلُ لِذَلِكَ مُتَمَكِّنًا مِنْ ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ مَفْسَدَةٍ رَاجِحَةٍ. وَيَنْبَغِي لِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ أَنْ يَهْجُرُوهُ مَيِّتًا –أي : بترك تشييع جنازته– ، كَمَا هَجَرُوهُ حَيًّا ، إذَا كَانَ فِي ذَلِكَ كَفٌّ لِأَمْثَالِهِ مِنْ الْمُجْرِمِينَ)[(٢)] .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : مَنْ قَصَدَ إِظْهَارَ الْمَعْصِيَةِ وَالْمُجَاهَرَةَ بِهَا : أَغْضَبَ رَبَّهُ ، فَلَمْ يَسْتُرْهُ ، وَمَنْ قَصَدَ التَّسَتُّرَ بِهَا حَيَاءً مِنْ رَبِّهِ وَمِنَ النَّاسِ : مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِسَتْرِهِ إِيَّاهُ)[(٣)].

ففرق بين من غلبته نفسه فطاوع هواه وعصى الله ، لكنه لم يجاهر بمعصيته ، ولا أصر عليها : فهذا يستر عليه ، وينصح ، ويذكر بالله ، ويدعى له بالهداية ، ولا يحتقر ، ولا يهان ، ويدعى إلى التوبة ، فإن تاب ، فربما كان حاله بعد التوبة أصلح من حاله قبل الذنب .

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري و رقم الحديث ٥٧٢١ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٩٩٠ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ص ٢١٧ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص ٤٨٨ .

بخلاف المشاق المجاهر المعاند المفاخر بالمعصية ، فإن هذا ينكر عليه وينصح ويدعى له بالهداية أيضا ، فإذا أصر ولم يزدجر ، عوقب وذُكر في الناس بالسوء ، وهجروه ، وعابوه ، وحذروا الناس منه ، ومثل هذا لا يقال في حقه : " لعله عند الله أحسن حالا منا " فإن حاله من أسوأ الأحوال ، وهو متعرض لمقت الله وغضبه وعاجل عقوبته ..)[(١)].

س ٨: لماذا خلق الله تعالى مع كل إنسان قرينا ؟.

ج٨: يقول الله تعالى : (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦))[(٢)] الزخرف ، ويقول تعالى : (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ(٢٩))[(٣)].

يقول الشيخ المنجد : (قال ابن كثير : قال قرينه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم : هو الشيطان الذي وُكِّل به ، ربَّنا ما أطغيته أي : يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامةَ كافراً يتبرأ منه شيطانه ، فيقول : ربنا ما أطغيته أي : ما أضللتُه ولكن كان في ضلالٍ بعيدٍ أي : بل كان هو في نفسه ضالاًّ قابلاً للباطل معانداً للحقِّ ، كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٢))[(٤)].

وقوله تبارك وتعالى قال لا تختصموا لديَّ يقول الرب عز وجل للإنسي وقرينِه من الجن وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الإنسي : يا رب هذا أضلَّني عن الذِّكر بعد إذ جاءني ، ويقول الشيطان ربَّنا ما أطغيتُه ولكن كان في ضلالٍ بعيدٍ أي : عن منهج الحق

(١) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٢٣٩٠٨٩ ، في ٢٥ / ١ / ٢٠١٦ م.
(٢) سورة الزخرف .
(٣) سورة ق .
(٤) سورة إبراهيم .

فيقول الرب عز وجل لهما : لا تختصموا لدي أي : عندي ، وقد قدمت إليكم بالوعيد أي : قد أعذرت إليكم على ألسنة الرسل ، وأنزلت الكتب ، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين . ما يبدل القول لديَّ : قال مجاهد : يعني : قد قضيتُ ما أنا قاض ، وما أنا بظلاَّم للعبيد أي : لست أعذِّب أحداً بذنب أحدٍ ، ولكن لا أعذِّب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه)[1] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير .وفي رواية : " ... وقد وكِّل به قرينُه من الجنِّ وقرينُه من الملائكة)[2] .

وبوَّب عليه النووي بقوله : باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً .قال النووي :" فأسلم " برفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه : أسلم أنا من شرِّه وفتنته ، ومَن فتح قال : إن القرين أسلم ، من الإسلام وصار مؤمناً لا يأمرني إلا بخير .

واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابي : الصحيح المختار الرفع ، ورجح القاضي عياض الفتح ، وهو المختار ؛ لقوله : " فلا يأمرني إلا بخير " ، واختلفوا على رواية الفتح ، قيل : أسلم بمعنى استسلم وانقاد ، وقد جاء هكذا في غير صحيح مسلم " فاستسلم " ، وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً ، وهذا هو الظاهر ، قال القاضي : واعلم أن الأمَّة مجتمعة على عصمة النَّبي صلَّى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه ، وفي هذا الحديث : إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان)[3] .

---

(١) ابن كثير ، التفسير ، ج٤ ، ص ٢٢٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٨١٤.
(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١٧ ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا كان أحدكم يصلِّي فلا يدع أحداً يمرُّ بين يديه ، فإن أبى فليقاتلْه فإن معه القرين)[1] ، قال الشوكاني :قوله " فإن معه القرين " في القاموس : القرين : المقارن ، والصاحب ، والشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه ، وهو المراد هنا)[2]، [3].

يقول الشيخ حامد العلي : القرين الذي يكون مع كل إنسان ليس له القدرة على التدخل في حياته، وإنما هو يوسوس بالسيئات فقط ، وقد جعل الله تعالى للمؤمن سلاحا يقاوم به هذا الوسواس ، وهو ذكر الله تعالى ، فمن اعتصم بذكر الله ، وأعلاه كتاب الله الكريم ، فلن تستطيع شياطين الأرض كلها أن تغلبه بوسواسها الخناس[4].

معلومات عن القرين :

١- قرين الإنسان هو الذي يبقى موكلا به من ساعة الولادة الى الموت، وهو الذى يمنعه من عمل الخير، ويزين له عمل الشر.

٢- يوجد قرين الذي لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى، وهو من الجن الكافر، ويتميز بقدرات خاصة، لا يستطيعها أحد كسرعة الحركة، لكنهم لا يضرون الإنسان إلا بأمر الله تعالى.

٣- لا احد يعلم كيف تكون هيئته التي خلق عليها الا الله تعالى، وليس له سلطان على الاولياء والانبياء وعباد الله الصالحين.

٤- لا يمكن التخلص من وسوسة القرين الا بالتمسك بكتاب الله، واداء صلاة الجماعة في وقتها، وعدم ترك صلاة قيام الليل، وتجنب الأماكن التي يكثر فيها تواجد الشياطين قدر الإمكان، مثل مجالس اللهو والغناء، والأسواق

٥- لا يمكن انكار وجود القرين لان ذلك يستوجب عليك بالإثم، ولان انكاره يعنى

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٠٦ .
(٢) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٣ و ص ٧ .
(٣) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، ٢٦٢٢٦ في ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٢ م.
(٤) موقع طريق الإسلام في ١/ ١٢ / ٢٠٠٦ م.

انكار ما جاء في الكتاب والسنة.

٦- الرجل له قرين والمرأة لها قرين وليس مقصورا عن جنس لخر، والقرين لا يحرق ولا يموت، ولكن يمكن تعذيبه من قبل بعض الاولياء الذين يقرؤون آيات القران.

٧- الوظيفة الاساسية للقرين، ابتلاء العبد واختبار قوة ايمانه، ويتميز القرين بأنه ماكر وعنيد، ويأتي للإنسان في صلاته و يجعله لا يشعر بالخشوع.

٨- قد يظهر في الاحلام بأشكال عديدة، مثل العبد الاسود، والبقرة والثعبان والجاموسة، ويستطيع اختراق الحجب ويتسرق الاوامر.

٩- قد يسبب المشاكل الزوجية بين الزوج والزوجة، ومن الممكن ان يسيطر على العقل البشرى، والذاكرة، والاعصاب، وايضا قد يسبب المشاكل بين الاصدقاء، وافراد الاسرة، لكن كلما زادت قوة ايمان العبد، وزادت مجالسته لاهل الخير والصلاح، ضعف كيد القرين ولم يكن له على المؤمنين سبيل(١).

١٠- وجود القرين مؤكد في كلِ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولا يوجد خلاف في ذلك، منهم قوله تعالى: (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا(٣٨))(٢).

١١- عمل قرين الإنسان هو الإضلال والإغواء والوسوسة.

١٢- هو من أتباع إبليس، وليس الشيطان نفسه.

١٣- القرين أحد الفتن التي بعثها الله لِعباده مثله مثل باقي فتن الدنيا الأخرى.

١٤- قرين الإنسان ليس له سلطة عليه بل أنه يغويه فقط ويدفعه لعمل الشر إلا أنه لا يجبره عليه.

١٥- تتوقف هيمنة القرين على الإنسان على مدى إيمان العبد وسيره على ما أمر به الرحمن سبحانه وتعالى.

١٦- هناك اختلاف بين العلماء على ما إن كان للإنسان قرين واحد فقط أم يتم المناوبة

---

(١) موقع البوابة الخميس ٢٨/يونيو/٢٠١٨

(٢) سورة النساء .

بين أكثر من شيطان.

١٧- لا يمكن أن يرى الإنسان قرينه إلا ببعض الطرق التي تغضب رب العزة، وتدخل ضمن الشرك به، ولكن القرين يرى صاحبه.

١٨- غير معروف مظهر القرين لأنه من الشياطين، وبالتالي من الخطأ مثل الأقوال التي تشير إلى أن القرين يشبه صاحبه وغيرها.

١٩- يجب على الإنسان المؤمن أن يستعيذ دائماً من كل أنواع الشياطين ونزاعاتهم، ومنهم قرينه؟ بتكرار قول الله تعالى، في كتابه العزيز: (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ(٩٨))[١].

٢٠- مثلما جعل الله سبحانه وتعالى لكل إنسان قرينه من الجن؛ فإنه يوجد قرين الانسان من الملائكة، ومهمة هذا القرين عكس ما تتلوا الشياطين على المرء؟ بمعنى أنها تدعوه إلى فعل الخير وتذكره بالآخرة للبعد عن المعاصي والذنوب وفعل ما يرضي الله ورسوله، وما يقرب العبد من الجنة ويبعده عن عذاب النار. هذا وقد جاء في القرآن الكريم إشارة إلى قرين الانسان من الملائكة، كما في قوله تعالى: (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(١٨) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(١٩))[٢].يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ما منكم مِن أحدٍ إلا وقد وُكِّلَ به قرينُه من الجنِّ وقرينُه من الملائكةِ قالوا : وإيَّاك يا رسولَ اللهِ قال : وإيَّايَ لكنَّ اللهَ أعانني عليه فأسلمَ فلا يأمرُني إلا بخيرٍ)[٣] .

س٩ : لماذا جعل الله لكل نبي عدوا شياطين الجن والإنس ؟.

ج٩: يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالته كشف الشبهات :

---

(١) سورة المؤمنون .
(٢) سورة ق .
(٣) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٥ ، ص ٣٠٦ .

واعلم أنه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد الا جعل له أعداء كما قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(١١٢))[١] .

قال الشيخ بن عثيمين رحمه الله معلقا على هذا الكلام : نبه المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الجملة العظيمة على فائدة عظيمة ، حيث بين أن من حكمة الله عز وجل أنه لم يبعث نبيا الا جعل له أعداءا من الانس و الجن ، وذلك أن وجود العدو يمحص الحق و يبينه فانه كلما وجد المعارض قويت حجة الآخر ، وهذا الذي جعله الله تعالى للأنبياء جعله أيضا لأتباعهم فكل أتباع الأنبياء يحصل لهم مثل ما يحصل للأنبياء قال تعالى في غير الآية السابقة : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا(٣١))[٢] ، فان هؤلاء المجرمين يعتدون على الرسل و اتباعهم و على ما جاءوا به بأمرين :

الأول : التشكيك قال الله تعالى في مقابلته :(وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا) لمن أراد ان يضله أعداء الأنبياء .

الثاني : العدوان ، فقال الله تعالى في مقابلته :(وَنَصِيرًا)" لمن أراد أن يردعه أعداء الأنبياء .

فالله تعالى يهدي الرسل و أتباعهم و ينصرهم على أعدائهم ولو كانوا من أقوى الأعداء ، فعلينا أن لا نياس لكثرة الأعداء و قوة من يقاوم الحق فان الحق كما قال ابن القيم رحمه الله : الحق منصور وممتحن فلا تعجب فهذي سنة الرحمن، فلا يجوز لنا ان نياس بل علينا ان نطيل النفس و ان ننتظر و ستكون العاقبة للمتقين ، فالأمل دافع قوي للمضي في الدعوة و السعي في انجاحها ، كما ان اليأس سبب للفشل و التأخر في الدعوة[٣] ، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة :

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) سورة الفرقان .
(٣) ابن عثيمين ، شرح كشف الشبهات ، ص ٢٩ – ٤٠ .

﴿كَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)﴾ ، يقول تعالى : وكما جعلنا لك – يا محمد – أعداء يخالفونك ، ويعادونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء فلا يهيدنك ذلك ، كما قال تعالى : ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ(١٨٤)﴾[(١)] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)﴾[(٢)] ، وقال تعالى : ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)﴾[(٣)] ، وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١)﴾[(٤)] وقال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، وقوله : (شياطين الإنس والجن)، بدلا من (عدوا) أي : لهم أعداء من شياطين الإنس والجن ، ومن هؤلاء وهؤلاء ، قبحهم الله ولعنهم .

قال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله تعالى (شياطين الإنس والجن) قال : من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، يوحي بعضهم إلى بعض ، قال قتادة : وبلغني أن أبا ذر كان يوما يصلي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " تعوذ يا أبا ذر من شياطين الإنس والجن " فقال : أو إن من الإنس شياطين ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، وهذا منقطع بين قتادة وأبي ذر وقد روي من وجه آخر عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال ابن جرير : حدثنا المثنى ، حدثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذر قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال ، فقال : " يا أبا ذر ، هل صليت ؟

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الأنعام .
(٣) سورة فصلت .
(٤) سورة الفرقان .

قال : لا يا رسول الله . قال : قم فاركع ركعتين قال : ثم جئت فجلست إليه ، فقال : يا أبا ذر ، هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس؟ قال : قلت : لا يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين؟ قال : " نعم ، هم شر من شياطين الجن) ، وهذا أيضا فيه انقطاع وروي متصلا كما قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا المسعودي ، أنبأني أبو عمر الدمشقي ، عن عبيد بن الخشخاش ، عن أبي ذر قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد ، فجلست فقال : يا أبا ذر هل صليت؟ " قلت : لا . قال : " قم فصل " قال : فقمت فصليت ، ثم جلست فقال : (يا أبا ذر ، تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن " قال : قلت يا رسول الله ، وللإنس شياطين؟ قال : نعم). وذكر تمام الحديث بطوله ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، من حديث جعفر بن عون ، ويعلى بن عبيد ، وعبيد الله بن موسى ، ثلاثتهم عن المسعودي ، به .

طريق أخرى عن أبي ذر : قال ابن جرير : حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، حدثني رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يا أبا ذر ، هل تعوذت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟ " قال : قلت يا رسول الله ، هل للإنس من شياطين؟ قال : نعم) .

طريق أخرى للحديث : قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عوف الحمصي ، حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا معان بن رفاعة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا أبا ذر تعوذت من شياطين الجن والإنس؟ (قال : يا رسول الله ، وهل للإنس من شياطين؟ قال : نعم ، شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) .

فهذه طرق لهذا الحديث ، ومجموعها يفيد قوته وصحته ، والله أعلم .

وقد روى ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة : (شياطين الإنس والجن) قال : ليس من الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .

قال : وحدثنا الحارث ، حدثنا عبد العزيز ، حدثنا إسرائيل ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) قال : للإنسي شيطان ، وللجني شيطان فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا .

وقال أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة في قوله : (يوحي بعضهم إلى بعض) في تفسير هذه الآية : أما شياطين الإنس ، فالشياطين التي تضل الإنس ، وشياطين الجن الذين يضلون الجن ، يلتقيان ، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : إني أضللت صاحبي بكذا وكذا ، فأضلل أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيعلم بعضهم بعضا .

ففهم ابن جرير من هذا؛ أن المراد بشياطين الإنس عند عكرمة والسدي : الشياطين من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم . ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عكرمة ، وأما كلام السدي فليس مثله في هذا المعنى ، وهو محتمل ، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا ، عن ابن عباس من رواية الضحاك ، عنه ، قال : إن للجن شياطين يضلونهم – مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا : أضلله بكذا ، أضلله بكذا . فهو قوله : (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) .

وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر : إن للإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء مارده ، ولهذا جاء في صحيح مسلم ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الكلب الأسود شيطان) ومعناه – والله أعلم – : شيطان في الكلاب .
وقال ابن جريج : قال مجاهد في تفسير هذه الآية : كفار الجن شياطين ، يوحون إلى شياطين الإنس ، كفار الإنس ، زخرف القول غرورا .

وروى ابن أبي حاتم ، عن عكرمة قال : (قدمت على المختار فأكرمني وأنزلني حتى كاد يتعاهد مبيتي بالليل ، قال : فقال لي : اخرج إلى الناس فحدث الناس . قال : فخرجت ، فجاء رجل فقال : ما تقول في الوحي؟ فقلت : الوحي وحيان ، قال الله تعالى في سورة يوسف : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ(٣)) ، وقال الله

تعالى : (شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) قال : فهموا بي أن يأخذوني ، فقلت : ما لكم ذاك ، إني مفتيكم وضيفكم . فتركوني .

وإنما عرض عكرمة بالمختار – وهو ابن أبي عبيد – قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق ، قال الله تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١))[١] ، وقوله تعالى : (زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) أي : يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف ، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره .(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) أي : وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نبي عدو من هؤلاء ، (فَذَرْهُمْ) أي : فدعهم ، (وَمَا يَفْتَرُونَ) أي : يكذبون ، أي : دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم ، فإن الله كافيك وناصرك عليهم)[٢]

س١٠: لماذا كان الطهور شطر الإيمان ؟.

ج١٠: أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[٣]، وأخرجه الإمام الترمذي بلفظ: (الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان ... كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)[٤].

ولفظة الطهور شطر الإيمان هنا تشمل طهارة كل من البدن والملبس والنعل، والمسكن

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) ابن كثير ، التفسير ، تفسير سورة الأنعام .
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (كتاب الطهارة حديث رقم: ٢٢٣).
(٤) أخرجه الترمذي في سننه (كتاب الدعوات، حديث رقم: ٣٥١٧). وقال: هذا حديث صحيح.

والفناء والطرقات ، والأواني والشراب والطعام، وكل ما يستخدمه الإنسان من أدوات، كما يشمل طهارة كل من القلب والنفس، وطهارة كل أمر يخص المسلم.

والطهارة ضربان: طهارة جسم، وطهارة نفس، وحمل على هذين المعنيين عامة الآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى الطهارة ، ويقال: طهرتُه فطَهُرَ، وتَطَهَّرَ واطَّهَرَ فهو طاهر ومتطهر.

وعلى ذلك، فإن للطهارة من المدلولات ما يفوق مجرد النظافة المادية؛ لأنها تحوي من الضوابط والقيم والحدود ما لا يحويه مجرد النظافة المادية، ومن ذلك اجتناب كل ما حرمه الله سواء فهم الإنسان الحكمة من تحريمه، أو لم يفهمها انطلاقا من الإيمان بكمال علم الله وإحاطته وشموله، وقصور علم الإنسان ومحدوديته وعجزه.

ومن باب الطهور شطر الإيمان نفهم مبدأ النظافة في الإسلام الذي يشمل النظافة المادية من كل وسخ ودنس ورجس ، فإنه يشمل طهارة البدن والملبس بل هي شرط في الكثير من العبادات في الإسلام، وذلك لأن طهارة البدن والثياب مقدمة لطهارة كل من القلب والنفس، ولذلك أنزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٦))[١].

وهذا الأمر الإلهي بضرورة الطهارة الكاملة قبل الوقوف بين يدي الله في الصلاة أو الطواف، أو تلاوة القرآن هو من لوازم الضراعة والخشوع والتهيئة الروحية لمناجاة الله، ومن هنا كانت فريضة الوضوء والغسل من الجنابة والتيمم في حال عدم وجود الماء، أو في المرض الذي يتأذى صاحبه بالماء.

---

(١) سورة المائدة .

وبدن الإنسان كرمه الله تعالى حيا وميتا، وهو في حياته يفرز من العرق والمخاط وغير ذلك من نواتج العمليات الحياتية ما يستوجب التطهر من آثارها؛ ومن هنا كانت فرائض الوضوء والغسل وكانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله الشريف عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ:(الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب)[1]، ومن هنا عظم القرآن الكريم، كما عظمت السنة النبوية الشريفة الطهارة بأبعادها المختلفة تعظيما كبيرا قبل أن يكتشف الإنسان جراثيم الأمراض، وقبل أن يدرك أن تدني مستوى النظافة المادية (للبدن والثياب والنعل، والمأكل والمشرب والإناء والمسكن، والفناء والطرقات) هو من الأسباب الرئيسية للعديد من الأمراض، وذلك بأكثر من أربعة عشر قرنا[2]، وفي ذلك يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أنظف الناس وأطهرهم، وكان في ذاته وأفعاله قمة في ذلك ونموذجا يحتذى به؛ فمن أقواله المأثورة: عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طَهِّروا هذه الأجساد، طهَّركم اللهُ؛ فإنَّه ليس من عبدٍ يبيتُ طاهراً إلا باتَ معه في شِعاره مَلَك، لا ينقلبُ ساعةً من الليلِ إلا قال: اللهم اغفر لعبدِكَ؛ فإنَّه باتَ طاهراً)[3]، وقد ثبت بالتجربة أن للوضوء تأثيرا فعالا على طهارة الجسد البشري من ناحية تطهير كل من الفم والأنف، وهما مدخلان أساسيان للملوثات والجراثيم والفطريات والبكتيريا إلى داخل الجسم، ويتم تطهيرهما أثناء عملية الوضوء خمس مرات في كل يوم وليلة، وتقوم كل من مضمضة الفم والاستنشاق والاستنثار للأنف بتطهيرهما مما يمكن أن يلتصق بهما من الجراثيم والقشور، والإفرازات المخاطية من كل من الأنف والجيوب الأنفية، وغير ذلك من الملوثات التي تنتشر في الغلاف الغازي للأرض، وسرعان ما يتنفسها الإنسان عن طريق كل من الأنف والفم[4].

---

(١) ـ أخرجه البخاري / كتاب اللباس / حديث رقم: ٥٨٨٩.
(٢) ـ د. زغلول النجار / الإعجاز العلمي في السنة النبوية / (ص: ٤٤٢ ـ ٤٤٦).
(٣) ـ المعجم الأوسط (للطبراني) / (حديث رقم: ٥٠٨٧). وهو في صحيح الترغيب للألباني ح:٥٩٩.
(٤) اسلام اون لاين ٢٠٢٠/٠٤/٢٢)

س١١ : لماذا قالت النملة لا يَحطِمَنّكُمْ ولم تقل لايقتلنكم؟.

ج١١: يقول الله تعالى في كتابه العزيز :(حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨))[١] .

في هذه الآية أوجه عديدة من الإعجاز البلاغي كما قال الإمام السيوطي : (جمع في هذه الآية أحد عشر جنسا من الكلام :نادت - وكَنَت - ونبهت - وسمت - وأمرت - وقصت - وحذرت - وخصت - وعمت — وأشارت - وعذرت ، وأدت حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان)[٢] :

فالنملـــة...

- أحست بوجود سليمان
- نادت (يا)
- وكنت (أيّ)
- ونبهت (ها)
- وسمت (النمل)
- وأمرت (ادخلوا)
- وقصت (مساكنكم)
- وحذرت (لايحطمنكم)
- وأكدت (استخدام نون التوكيد)
- وخصت (سليمان)
- وعممت (جنوده)
- وبينت (من الذي سيحطمهم)
- وعذرت (وهم لايشعرون).

---

(١) سورة النمل .
(٢) السيوطي ، الإتقان ، المسالة السادسة والخمسون

انظروا إلى وجوه البلاغة المذهلة في هذه الآية الكريمة و التي لايبلغ شأؤها أحد :

قالت : (يا أيّها النمل) ولم تقل : يا نملُ، مع أن الوجهين نداء، لكن (أيها) فيها تنبيه ، والمنادى الحقيقي هو النمل، فلو قالت :يانملُ، لاحتمل أن يفوت النداء بعض النمل وخاصة البعيد منها ، فلا يدخل مسكنه وهي تريد أن تنبه النمل جميعاً، أما (يا أيها النمل) تفيد النداء والتنبيه ، وهذا ما قصدت إليه النملة.

قالت : (ادخلوا) خطاب من النملة لمجتمع النمل بضمير العقلاء، فهي لم تقل : ادخلي أو ادخلنْ، وإنما خاطبتهم بضمير العقلاء (واو الجماعة) لأنها لما قاربت حد العقل، ذُكرت بما يُذكر به العقلاء.

وقالت (مساكنكم) يعني أن كل واحدة من النمل تدخل إلى مسكنها وتستقر فيه، ونفهم من كلامها في الآية الكريمة انّ لكل نملة مسكنا ، وقالت (مساكنكم) ولم تقل بيوتكم أو جحوركم، لأنهم في وضع حركة، والحركة ضدها السكون، فاختارت لفظ المساكن لتدل على وجوب السكون بعد الحركة.

وقد ذكرت سليمان باسمه العَلَم، ولم تذكر صفته، فلم تقل : نبي الله سليمان، وذلك لأن النمل يعرف سليمان الذي يحكم الجميع، ولأن النملة كانت تريد توصيل الخبر بسرعة، فليس ثمة وقت لتقول: نبي الله سليمان.

وقالت (جنوده) ولم تقل جنده. لأن الجند هم العساكر فقط، أما الجنود فهم جميع من يخضع لسليمان عليه السلام من الجن والإنس والطير ، وقالت: (سليمان وجنوده) ولم تقل : جنود سليمان، حتى ترفع العذر عن سليمان، فلو قالت : جنود سليمان، لكان سليمان غير عالم، إذا كان قاصدا أ وغير قاصد.

وقالت : (لا يحطمنكم) ولم تقل (لا يقتلنكم) وفعل يحطمنكم مقصود في الآية الكريمة، لأنه ثبت علمياً أن جسم النمل يتركب معظمه من كمية كبيرة من السليكون الذي يدخل في صناعة الزجاج، وكلمة التحطيم هي أنسب الكلمات التي تدل على التكسير والتهشيم والشدة.

والتحطيم هو كسر الشيء اليابس فقط، أما التهشيم فهو كسر الشيء اليابس والرطب. لذلك ذكر الله التحطيم لأنه أنسب وأخص بجسم النمل، وهذه الكلمة من الإعجاز العلمي للقرآن، حيث كشف العلم حديثا أن جسم النمل يتركب من السليكون الصلب، فكلمة يحطم مناسبة جدا للمواد التي يتركب منها جسم النمل.

وقد هاجم بعض الجهلاء وخفاف العقل والنظر القرآن في استخدامه كلمة (لا يحطمنكم) وقالوا كيف يستخدم القرآن كلمة التحطيم لجسم النمل اللين، ولكن العلم الحديث أخرس ألسنة المغرضين والجاهلين والملحدين، وأثبت أن أنسب كلمة تستخدم لتكسير جسم النمل هي (التحطيم) ، و(لا) هنا من باب النهي، وليست للنفي، والمعنى: لا تعرضوا لأن يحطمنكم سليمان وجنوده ، وهي من باب لا أَرَيَنَّكَ هنا ، وهذا خلاف ماجاء في قوله تعالى :(لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى(٧٧))[١] ، ٧٧حيث إن (لا) في الآية الكريمة للنفي وليست للنهي. أما في سورة النمل فهي للنهي(إن جُعلت (لا) فيها ناهية كانت الجملة مستانفة تكريرا للتحذير ودلالة على الفزع ، وإن جُعلت (لا) نافية كانت الجملة واقعة جواب الأمر والتقدير إن تدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان .

جاء في كتاب الكشاف للزمخشري : (لا يحطمنكم ما هو ؟ قلت يحتمل أن يكون جوابا للأمر ، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر ، والذي جوّز أن بكون بدلا منه : أنه في معنى : لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة لا أرينك هاهنا ، أراد : لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ، ونحوه عجبت من نفسي ومن إشفاقها) ، وقال البقاعي في نظم الدرر : لا يحطمنكم : هو نهي لهم ، وهو أبلغ من التصريح بنهيهم .

لاذا عدى (أتوا) بعلى ؟ الجواب من وجهين : الأول : أن إيتائهم كان من فوق ، فأتى بحرف الاستعلاء .والثاني : أن يُراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم : أتى على الشيء إذ بلغ آخره)[٢]

---

(١) سورة طه .
(٢) محمد حكلا ٢، موقع ، ٢٠١٨/٤/٠.

س١٢: لماذا قال الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير ؟.

ج١٢ : قال تعالى: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩))[١] ، فالآية تتحدث عن رفع الصوت وأن الصوت ينبغي أن يكون معتدلاً أو مقتصداً متوسطاً، وأن يكون منخفض الطبقة لأن الصوت العالي ليس من شيم المسلم، ولهذا كان الصوت العالي مختصاً بالحيوان، وأنكر هذه الأصوات صوت الحمار ، وهذه حقيقة علمية دقيقة تؤكدها دراسات شدة أصوات الحيوانات المختلفة، حيث تصل شدة صوت الحمار إلى ما يتجاوز مائة ديسيبل، ويصل تردده إلى ٣٥٠ هيرتز، وهو أعلى تردد لصوت حيوان من الحيوانات التي تحيا على اليابسة، ومن أعلاها شدة، وذلك لأن شدة صوت الحوت الأزرق تصل إلى ضعف شدة صوت الحمار الحمار تقريباً ١٨٨ ديسيبل ولكن تردده أقل بكثير، ونظراً لعيشه في ماء محيط فلا يكاد الإنسان يسمع صوته إلا إذا رفع الحوت الأزرق رأسه فوق الماء، وإن كانت الحيتان يسمع بعضها بعضاً على بعد مئات الأميال في داخل كتلة ما)[٢] .

(ومن أوجه الإعجاز العلمي والتشريعي في الآية الكريمة في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على لسان لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه: (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ...) أي: توسط في مشيك بين الإسراع والبطء حتى لا يكون في ذلك شيء من الاستعلاء والكبر، فخطي الإنسان علي الأرض محصية عليه، (...وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ...) أي: خفضه إلي مستوي الحاجة حتى لا يكون في ذلك شيء من الرعونة وسوء الأدب، والإساءة إلي مسامع الآخرين، (...إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ) أي: إن أقبح الأصوات لهو صوت نهيق الحمير لما فيه من العلو المفرط عند ممارسة عملية التنفس من الشهيق والزفير، وذلك من الفزع الذي ينتاب تلك الحيوانات عند رؤيتها للشياطين. وفي ذلك يروي النسائي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم

---

(١) موقع بحوث على شبكة الإرنترنيت .

نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها رأت شيطانا)[1] .

وقد ثبت بالقياس أن لصوت نهيق الحمار شدة تقدر بما يتجاوز المائة ديسيبل، وأن كثرة تعرض الإنسان لهذا الصوت الشديد قد يصيب أذنيه بالصمم، ويصيب صاحبهما بالعديد من الأمراض العصبية والبدنية.

ولذلك وضعت جداول لتحديد أقصي مدة يمكن أن يتعرض لها الإنسان تحت شدة معينة من الأصوات. فإذا وصلت شدة الصوت إلي (٤٥) ديسيبل لا يستطيع الفرد العادي أن ينام في هدوء. وعند (٨٥) ديسيبل تبدأ آلام الأذنين، فإذا وصلت شدة الصوت إلي (٩٠) ديسيبل لا يستطيع الإنسان أن يتحمل ذلك لأكثر من ثماني ساعات. فإذا زادت إلي (١٠٠) ديسيبل فإن هذه المدة تتناقص إلي ساعتين فقط، وإذا وصلت إلي (١١٠) ديسيبل تناقصت مدة سلامة الإنسان إلي نصف ساعة فقط. أما إذا وصلت شدة الصوت إلي (١٦٠) ديسيبل فإن الإنسان يصاب بالصمم التام. وإذا كان نهيق الحمار يتعدي في شدته مائة ديسيبل، فإنه يعتبر من أشد الأصوات إيذاء لأذن الإنسان، وهنا تتضح لمحة الإعجاز العلمي في هذا التقرير القرآني الكريم.

ويتضح وجه الإعجاز التشريعي في الآية الكريمة التي اتخذناها عنوانا لهذا المقال في دعوة الإنسان إلي القصد في المشي، والغض من الصوت، والتذكير بأن أنكر الأصوات هي تلك الأصوات الفائقة الشدة، المرتفعة النبرة، والتي تؤذي السامعين، وتسيء إليهم إساءات مادية ومعنوية، لما تحمله من صور التكبر علي الخلق، والاستعلاء في الأرض، وهما خصلتان سيئتان، لا يحبهما الله ـ سبحانه وتعالي ـ ولا يحبهما رسوله ـ صلي الله عليه وسلم ـ ولذلك أمر القرآن الكريم بخفض الصوت.

من هنا جاء النهي القاطع عن المبالغة في المشي بالإسراع أو البطء تكبرا واختيالا علي الخلق أو استعلاء وإهمالا لهم، كما نهي عن رفع الصوت فوق الحد لأن الوقوع في أي من

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم و رقم الحديث ٢٧٢٩ .

هذين السلوكين الخاطئين يؤذي الإنسان، كما يؤذي جميع ما حوله من المخلوقات التي تتأثر بالاستعلاء والكبر كما تتأثر بشدة الأصوات العالية، ولا يستثني منها مخلوق واحد جمادا كان أو نباتا أو حيوانا أو إنسانا. لأن العلم يثبت أن هذه المخلوقات جميعا لها قدر من الوعي، والإدراك والشعور والانفعال، والقدرة علي التعبير عن كل ذلك بصورة قد لا يدركها كل الناس ، والغض من الصوت هو من سمات الأدب، والتواضع، والثقة بالنفس، والاطمئنان إلي صدق الحديث، وصدق القصد. أما رفع الصوت بغير داع، والإغلاظ في القول للآخرين بغير مبرر، فكلها من مظاهر ضعف الشخصية، وسوء الأدب مع الغير، وقلة الثقة بالنفس. كما أنها من علامات الادعاء والكذب، ومن محاولات فرض الرأي الخاطئ بالقوة عن طريق رفع الصوت في شيء من الحدة والغلظة غير المبررة.

من هنا جاء القرآن الكريم بهذه الآية الآمرة بالتوسط في المشي في غير تكبر، والناهية عن رفع الصوت بلا مبرر، وواصفة هذا السلوك بأنه سلوك قبيح مرذول، ونفر من الوقوع فيه، وذلك بتشبيهه بنهيق الحمار. ووصف ها النهيق بأنه أنكر الأصوات فجاء بحقيقة علمية مؤكدة تنفيرا من محاكاته، ورفضا للتشبه به. وإذا كانت الحمير معذورة في رفع أصواتها فزعا من رؤية الشياطين، فإن الإنسان ـ ذلك المخلوق العاقل المكرم ذو الإرادة الحرة ـ لا يجوز له رفع الصوت دون مبرر لأن الله ـ تعالى ـ لا يرضي عن ذلك السلوك، ويذمه غاية الذم بهذا التشبيه القرآني المعجز الذي يصل بالأمر إلي مستوي التحريم وإن لم ينطق النص القرآني بذلك.

وفي ذلك يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر.)[١] ، وقال أيضا: (إن الله عز وجل أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد علي أحد، ولا يفخر أحد علي أحد)[٢]وقال عليه الصلاة والسلام: (ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل، جواظ، مستكبر)[٣].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩١ .
(٢) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٥٦٩٧.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٩١٨ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ أنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم ـ إذا مشي، مشي كأنه يتوكأ)[1]. كذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ما كان يرفع صوته في الأسواق).

هذه الآية الكريمة تأمر بالقصد في المشي وبخفض الصوت احتراما للآخرين وصونا لكرامتهم. فإذا كانت الخطي علي الأرض محسوبة علي كل إنسان وجب عليه التوسط بين الإسراع والبطء في المشي، بغير استعلاء أو كبر. وإذا كانت الحمير معذورة في رفع أصواتها فزعا من رؤية الشياطين، فإن الإنسان ذلك المخلوق العاقل المكرم ذو الإرادة الحرة لا يجوز له رفع الصوت فوق الحد المقبول دون مبرر.

والحقائق العلمية، والضوابط السلوكية التي جاءت في هذه الآية الكريمة لما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام رب العالمين، ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة[2] .

س١٣: لماذا لم تبدأ سورة التوبة بالبسملة؟.

ج١٣: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (سئل عثمان رضي الله عنه عن هذا فقال: إن سورة الأنفال وسورة براءة متقاربتان في المعنى ولم ينزل كلمة (بسم الله الرحمن الرحيم) بينهما فظن عثمان ومن معه من الصحابة أنهما سورة واحدة فوضعتا جميعاً في مكان واحد ولم توضع بينهما آية (بسم الله الرحمن الرحيم) لعدم وجود الدليل الذي يدلهم على أنهما سورتان، فاحتاط الصحابة وجعلوهما متجاورتين من أجل هذا؛ لأن الصحابة لم يحفظوا نزول (بسم الله الرحمن الرحيم) بين هاتين السورتين، هذا هو المشهور الذي رواه أهل العلم عن عثمان رضي الله عنه   لما جمع المصحف في خلافته)[3].

يقول الشيخ الفوزان : (نعم كل سورة من القرآن تأتي في بدايتها (بسم الله الرحمن الرحيم) إلا سورة التوبة، وقد أجابوا عن هذا بجوابين:

الأول: أن سورة التوبة مكملة لسورة الأنفال فلذلك لم تأت في بدايتها (بسم الله الرحمن

---

(١) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج١ ، ص٤٤٦ .
(٢) شبكة المهندسين على الفيسبوك ، تفريغ نصي .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز تفريغ نصي .

الرحيم)، لأنها مكملة لسورة الأنفال.

والقول الثاني: أن سورة التوبة لم تأت قبلها البسملة لأنها سورة ذكر فيها الجهاد وقتال الكفار وذُكر فيها وعيد المنافقين وبيان فضائحهم ومخازيهم، و(بسم الله الرحمن الرحيم) يؤتى بها للرحمة وهذا الموطن فيه ذكر الجهاد وذكر صفات المنافقين، وهذا ليس من مواطن الرحمة بل هو من مواطن الوعيد والتخويف. فلذلك لم تذكر (بسم الله الرحمن الرحيم) في بدايتها[1] .

يقول الاستاذ محمد صبري : (تفتتح سور القرآن الكريم بالتعوّذ ثم البسملة إلا سورة التوبة فلا يجوز افتتاحها بالبسملة، ويكفي افتتاحها بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وذلك لقول الله عز وجل : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٩٨))[2] ، وفي حال البدء بقراءة سورة التوبة من وسطها فيكفي التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولا حرج إذا ما بسمل القارئ في وسطها.

سبب نزول سورة التوبة :

سورة التوبة يطلق عليها أيضًا اسم سورة البراءة، وهي سورة مدنية نزلت في العام التاسع من الهجرة، كما أنّها من أواخر ما أنزل على النبي عليه السلام من سور إذ نزلت على الرسول عليه السلام أثناء خروجه لقتال الروم، وهي السورة التي كشف بها الله تعالى أحوال المنافقين ومكائدهم، كما أورد فيها الله عزّ وجل ما جرى في غزوة تبوك من وقائع وحوادث، وقد سمّيت سورة التوبة بهذا الاسم بسب ذكرها قصة الثلاث مسلمين الذين تخلّفوا عن الجهاد في غزوة وتبوك وتوبتهم إلى الله تعال وتقبّله جلّ وعلى هذه التوبة.

وقيل لأن العرب كان من شأنهم أنهم إذا كان بينهم وبين قوم عهد فإذا أرادوا التوقف عنه كتبوا إليهم كتابًا ولم يكتبوا فيه بسملة، فلما نزلت براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين بعث بها النبي –صلى الله عليه وسلم– علي بن أبي طالب، فقرأها عليهم ولم يبسمل في ذلك على ما جرت به عادة العرب.

---

(١) موقع طريق الاسلام في ١ / ١٢ / ٢٠٠٦ م.

(٢) سورة النحل .

وردت تفسيرات حول خلوّ سورة التوبة من البسملة، منها ما أخرجه أبو الشيخ وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (سألتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ لِمَ لَمْ تُكْتَبْ فِي بَراءةَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟ فقال: لأنَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمانٌ، وبراءةُ أُنزِلَت بالسَّيفِ، ليسَ فيها أمانٌ).

وكان من عادة العرب أنهم إذا ما كان بينهم وبين قبيلة أخرى هدنة وأرادوا إنهاءها بعثوا لهم رسالة تخلو من البسملة، وقد نزلت سورة التوبة «براءة» لنقض الصلح ومعاهدة السلام التي كانت بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين المشركين والدعوة إلى الجهاد، وقد بعثها الرسول عليه الصلاة والسلام مع علي بن أبي طالب إلى المشركين فقرأها عليهم دون أن يبسمل، دلالة على انتهاء العهد القائم ما بين المسلمين وبينهم.

كما جاء في تفسير عدم بدء سورة التوبة بالبسملة بأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم في أول هذه السورة، وذلك لما روي عن الترمذي في السنن بإسناده بأن ابن عباس رضي الله عنهما قال «قلتُ لعُثمانَ بنِ عفَّانَ رضي اللَّه عنه: ما حملَكُم على أن عمدتُمْ إلى الأنفالِ، وَهيَ منَ المثاني وإلى براءةٌ، وَهيَ منَ المئينَ، فقرنتُمْ بينَهُما ولم تَكْتبوا بينَهُما سطر بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، ووضعتُموها في السَّبعِ الطِّوالِ، فقالَ: كان رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ممَّا يأتي عليهِ الزَّمانُ تنزلُ عليهِ الآيات ذواتِ العددِ، فيدعو بعضَ من كان يَكْتبُ فيقولُ: ضعوا هؤلاءِ في السُّورةِ الَّتي يذكرُ فيها كذا وَكَذا، وتنزلُ عليهِ الآيةُ فيقولُ: ضَعوا هذِهِ السُّورةَ الَّتي يذكَرُ فيها كذا وَكَذا، وَكانتِ الأنفالُ من أوّلِ ما نزلَ بالمدينةِ، وَكانت براءةٌ من آخرِ ما نزل من القرآنِ، وكانت قصَّتُها شبيهةً بقصَّتِها، فظنَنتُ أنَّها مِنها، وماتَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ولم يبيِّن لَنا أنَّها مِنها، فلذلِكَ قرنتُ بينَهُما ولم أَكْتُب بينَهُما سطرَ بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. ووضعتُها في السَّبعِ الطُّوالِ).

قال الشيخ أحمد ممدوح، مدير إدارة الأبحاث الشرعية وأمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية، إنه يستحب البسملة عند قراءة سور القرآن إلا سورة التوبة، ولذلك لحكمتين:

الحكمة الأولى: أن سورة التوبة لم تأت قبلها البسملة لأنها سورة ذكر فيها الجهاد وقتال الكفار وذُكر فيها وعيد المنافقين وبيان فضائحهم ومخازيهم، و«بسم الله الرحمن الرحيم"» يؤتى بها للرحمة وهذا الموطن فيه ذكر الجهاد وذكر صفات المنافقين، وهذا ليس من مواطن الرحمة بل هو من مواطن الوعيد والتخويف فلذلك لم تذكر "بسم الله الرحمن الرحيم" في بدايتها.

الحكمة الثانية: أن سورة التوبة مكملة لسورة الأنفال فلذلك لم تأت في بدايتها «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقال هذان الرأيان العلماء قديمًا.) [١].

س١٤ : لماذا لم يقاتل المسلمون المشركين قبل الهجرة؟.

ج١٤: انطلقت دعوة الإسلام في العهد المكي بشكل سري، إذ كان المسلمون قلة مستضعفين، يسامون سوء العذاب من قِبَل المشركين، الذين وقفوا بكل ما أتوا من قوة في وجه الدعوة الجديدة، محاولين جهدهم وأدها في مهدها، قبل أن تنتشر ويستحكم أمرها ويشتد أزرها. ثم شاء الله سبحانه أن ينتقل مركز الدعوة من مكة إلى المدينة، لتكون قاعدة الدعوة الجديدة، والتي سيكون منها انطلاق الرسالة الخاتمة في مشارق الأرض ومغاربها .

وقد رافق هذا الانتقال المكاني لمركز الدعوة، انتقال بمنهج الدعوة من السرية إلى العلنية، ومن المنع من القتال إلى الإذن فيه والسماح به فقال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩))[٢].

ولأهل التفسير قولان في الذين عُنوا بالإذن لهم في القتال في هذه الآية فقال بعضهم:

١- **عني به**: نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجاء في هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)) قال: يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إذ أخرجوا من مكة إلى المدينة .

٢- قال آخرون: بل عني بهذه الآية، قوم معيَّنون، كانوا قد خرجوا من دار الحرب ،

---

(١) صحيفة صدى البلد لخميس ٢٠/فبراير/٢٠٢٠.
(٢) سورة الحج .

يريدون الهجرة، فمُنعوا من ذلك، فعن مجاهد ، في قول الله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ ، قال: أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة، فكانوا يمنعون، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار، فقاتلوهم. ومؤدَّى القولين واحد، وهو الأذن بقتال الكفار، الصادِّين عن رسالة الإسلام وهديه .

هذا وقد ذهب كثير من السلف أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الإذن بجهاد الكافرين، فعن قتادة، في قوله سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ قال: هي أول آية أنزلت في القتال، فأذن لهم أن يقاتِلوا. وذلك أن المشركين كانوا يؤذون المؤمنين بمكة أذى شديدًا، فكان المسلمون يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أُومَر بالقتال. فلما هاجر إلى المدينة، نزلت هذه الآية إذنًا لهم بالتهيؤ للدفاع عن أنفسهم، ولم يكن قتال قبل ذلك، كما يُؤذِنُ به قوله تعالى عقب هذا: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾[1] .

وجاء في تفسير ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما أُخرجِ النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، قال أبو بكر رضي الله عنه: أخرجوا نبيهم! إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأنزل الله عز وجل: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩)﴾ قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: فعرفتُ أنه سيكون قتال .

ووراء سبب نزول هذه الآية، ما يفيد أنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يترك المؤمنين للفتنة

---

(١) سورة الحج .

للفتنة، إلا ريثما يستعدون للمقاومة، ويتهيأون للدفاع، ويتمكنون من وسائل الجهاد. وعندئذ يؤذن لهم في القتال لرد العدوان .

وقبل أن يأذن سبحانه للفئة المؤمنة من عباده بالانطلاق إلى المعركة، آذنهم أنه هو سيتولى الدفاع عنهم، فهم في حمايته وأمنه، فقال: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨))[١] ، وبالطبع فإن هذا الوعد مشروط بالأخذ بأسباب النصر كافة .

وفي الآية الكريمة ما يدل على أنه سبحانه وتعالى قد حكم لعباده المؤمنين بأحقيِّة دفاعهم على أنفسهم وديارهم، وبالتالي سلامة موقفهم من الناحية الأدبية O إذ هم مظلومون، غير ظالمين، ومعتدى عليهم، غير معتدين: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا) ، فإنَّ لهم ما يسوغ خوضهم للمعركة. ليس هذا فحسب، وإنما أخبرهم سبحانه أن لهم أن يطمئنوا إلى حماية الله لهم، ونصرته إياهم: (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) ، وفي هذا الإذن والإخبار ضمان لحرية العقيدة، وحرية العبادة، وحرية العيش بكرامة .

فهل بعد هذا الإذن الإلهي، من يحق له أن يقول: ليس للمظلوم أن يدفع ظالمه ويدافعه ! وأن ليس للمستضعَف أن يطالب برفع الظلم عنه! وهل يقول هذا إلا كل جبَّار مستكبر ؟[٢].

جاء في كتاب الحاوي : (لم يختلف العلماء في أن القتال قبل الهجرة كان محظورًا على المسلمين، بنصوص كثيرة في كتاب الله تعالى، منها:

١- قوله تعالى (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣))[٣] .

٢- قوله تعالى: (ادفع بالتي هِيَ أَحْسَنُ(٩٦))[٤].

---

(١) سورة الحج .
(٢) موقع مداد تاريخ النشر: ٢٧ شوال ١٤٢٨هـ .
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة المؤمنون

٣- قوله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البلاغ(٢٠)﴾[1].

٤- قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله(١٤)﴾[2].

٥- قوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَمًا(٦٣)﴾[3].

٦- هناك نص صريح بالكف عن القتال وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين قِيلَ لَهُمْ كفوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصلاوة وَآتُواْ الزكاوة فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتال إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ الناس(٧٧)﴾[4][5].

والحكمة في الكف عن القتال في بدء الدعوة يمكن أن نلخِّص أسبابها فيما يلي:

١- إن المسلمين كانوا في مكة قلة، وهم محصورون فيها لا حول لهم ولا طول، ولو وقع بينهم وبين المشركين حرب أو قتال لأبادوهم عن بكرة أبيهم، فشاء الله أن يكثروا وأن يكون لهم أنصار وأعوان، وأن يرتكزوا قاعدة آمنه تحميها الدولة، فلمّا هاجروا إلى المدينة المنورة أذن لهم بالقتال بعد أن قويت شوكتهم وكثر عددهم.

٢- كانت الغاية تدريب نفوس المؤمنين على الصبر امتثالًا للأمر، وخضوعًا للقيادة، وانتظارًا للإذن، وقد كان العرب في الجاهلية شديدي الحماسة، لا يصبرون على الضيم، وقد تعودوا الاندفاع والحماسة، والخفة للقتال عند أول داع، فكان لابد من تمرينهم على تحمل الأذى، والصبر على المكاره والخضوع لأمر القيادة العليا، حتى يقع التوازن بين الاندفاع والتروي، في جماعةٍ هيأتهم إرادة الله لأمر عظيم.

٣- البيئة العربية كانت بيئة نخوة ونجدة، وكان صبر المسلمين على الأذى- وفيهم الأبطال والشجعان الذين يستطيعون أن يردوا الصاع صاعين- مما يثير النخوة، ويحرك القلوب نحو الإسلام، حصل هذا بالفعل في المحاصرة في الشعب عندما أجمعت قريش

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الجاثية .
(٣) سورة الفرقان .
(٤) سورة النساء .
(٥) الرازي ، الحاوي ، الأحكام الشرعية: الحكم الأول: متى فرض الجهاد على المسلمين.

على مقاطعة بني هاشم، كي يتخلوا عن حماية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتد الاضطهاد على بني هاشم، ثارت نفوس لم تؤمن بالإسلام، أخذتها النخوة والنجدة حتى مزّقوا الصحيفة التي تعاهد فيها المشركون على المقاطعة، وانتهى ذلك الحصار المشئوم.

٤- كان المسلمون في مكة يعيشون مع آبائهم وأهليهم في بيوت، وكان أهلوهم المشركون يعذبونهم ليفتنوهم عن دينهم، ويردوهم إلى الشرك والضلال، فلو أذن للمسلمين أن يدفعوا عن أنفسهم يومذاك، لكان معنى هذا أن تقوم معركة في كل بيت، وأن يقع دم في كل أسرة، وليس من مصلحة الدعوة أن تثار حرب دموية داخل البيوت، فلما أحدثت الهجرة وانعزلت الجماعة أبيح لهم القتال.

أول الآيات في تشريع القتال :

اختلف السلف: في أول آية نزلت في القتال:

١- روي عن الربيع بن أنس وغيره أن أول آية نزلت هي قوله تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ(١٩٠))[١] نزلت بالمدينة، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كفّ عنه.

٢- وروي عن جماعة من الصحابة: منهم أبو بكر الصديق وابن عباس وسعيد بن جبير أن أول آيةٍ نزلت في القتال هي قوله تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ الله على نَصْرِهِمْ لَقَدِير(٣٩))[٢].

قال أبو بكر بن العربي: والصحيح أن أول آية نزلت آية الحج (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ) ثم نزل: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله الذين يُقَاتِلُونَكُمْ)، فكان القتال إذنًا ثم أصبح بعد ذلك فرضًا، لأن آية الإذن في القتال مكية، وهذه الآية مدنية متأخرة.)[٣].

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الحج .
(٣) ص٢٤٠ - التفسير الموضوعي جامعة المدينة - حالات مشروعية الجهاد وبيان أن الجهاد وسيلة لدفع العدوان - المكتبة الشاملة الحديثة.

س١٥: لماذا لم يحرم الاسلام الرق والاسترقاق ؟.

ج١٥: يقول الشيخ المنجد : (الخوض في الحديث عن الرق وإثارة الأسئلة حوله من قبل دعاة التنصير والصادين عن دين الإسلام مما يثير حفيظة المتعقل ، ومما يشير بأصابع الاتهام نحو الأغراض المستترة وراء هذه التساؤلات .

ذلك أن الرق في اليهودية والنصرانية مقرر ثابت على صور ظالمة ، وكتبهم بتفاصيل الحديث عنه والاستحسان له طافحة ، وعليه فإن أول ما يستلفت النظر : كيف يسعى الكنسيون للدعوة إلى التنصير ، والنصرانية تقول بالرق ومشروعيته ؟، وبمعنى آخر : كيف يثيرون أمراً هم غارقون فيه إلى الأذقان ؟.

أما أمر الرق في الإسلام فمختلف تماماً إذا ما قورن بين النظرتين ، وإذا ما قورن كذلك بما عليه حال الرق حين مجيء الإسلام .

ولذلك لا بد من بسط القول في هذا الموضوع شيئاً ما مع الإشارة إلى ما عند اليهودية والنصرانية والحضارة المعاصرة في هذا الموضوع (الرق) ثم نذكر ما في الإسلام .

وقد تعرض الإسلام في هذا لإفك كثير على حين نَجَا مجرمون عريقون في الإجرام لم تشر إليهم – مع الأسف – أصابع الاتهام .

الإسلام والرق :

يقرر الإسلام أن الله عز وجل خلق الإنسان كامل المسئولية وكلفه بالتكاليف الشرعية ورتب عليها الثواب والعقاب على أساس من إرادته واختياره .

ولا يملك أحد من البشر تقييد هذه الإرادة ، أو سلب ذلك الاختيار بغير حق ، ومن اجترأ على ذلك فهو ظالم جائر .

هذا مبدأ ظاهر من مبادئ الإسلام في هذا الباب وحينما يثار التساؤل : كيف أباح الإسلام الرق ؟

نقول بكل قوة وبغير استحياء : إن الرق مباح في الإسلام ، ولكن نظرة الإنصاف مع التجرد وقصد الحق توجب النظر في دقائق أحكام الرق في الإسلام من حيث مصدره وأسبابه

ثم كيفية معاملة الرقيق ومساواته في الحقوق والواجبات للحر وطرق كسب الحرية وكثرة أبوابها في الشريعة ، مع الأخذ في الاعتبار نوع الاسترقاق الجديد في هذا العالم المتدثر بدثار الحضارة والعصرية والتقدمية .

لقد جاء الإسلام وللرق أسباب كثيرة ، منها : الحروب ، المدين إذا عجز عن الدين ، يكون رقيقا ، السطو والخطف ، الفقر والحاجة .

وما انتشر الرق ذلك الانتشار الرهيب في قارات الدنيا إلا عن طريق هذا الاختطاف ، بل كان المصدر الأعظم في أوربا وأمريكا في القرون الأخيرة .

والإسلام يقف بنصوصه من هذا موقفاً حازماً حاسماً ، جاء في حديث قدسي : قال الله تعالى : (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ ، ذكر منهم : رَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ)[1] ، ومن الطريف أنك لا تجد في نصوص القرآن والسنة نصاً يأمر بالاسترقاق ، بينما تحفل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالعشرات من النصوص الداعية إلى العتق والتحرير.

كانت مصادر الرق ومنابعه كثيرة عند ظهور الإسلام ، بينما طرق التحرر ووسائله تكاد تكون معدومة ، فقلب الإسلام في تشريعاته النظرة فأكثر من أسباب الحرية ، وسَدَّ مسالك الاسترقاق ، ووضع من الوصايا ما يسد تلك المسالك .

فقد حصر الإسلام مصادر الرق التي كانت قبل الرسالة المحمدية في مصدر واحد فقط وهو : رق الحرب الذي يفرض على الأسرى من الكفار وكذا على نسائهم وأولادهم .

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله : (وسبب الملك بالرق : هو الكفر ، ومحاربة الله ورسوله ، فإذا أقدر اللهُ المسلمينَ المجاهدين الباذلين مُهَجهم وأموالهم وجميع قواهم وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار : جعلهم ملكاً لهم بالسبي إلا إذا اختار الإمام المنَّ أو الفداء لما في ذلك من المصلحة للمسلمين)[2].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٢٢٧ .
(٢) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٣ ، ص ٣٨٧ .

وقال أيضاً :فإن قيل : إذا كان الرقيق مسلماً فما وجه ملكه بالرق ؟ مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة الله ورسله قد زال .

فالجواب : أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء : أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق ، والأحقية بالأسبقية ظاهرة لا خفاء بها .

فالمسلمون عندما غنموا الكفار بالسبي : ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع ، وهو الحكيم الخبير ، فإذا استقر هذا الحق وثبت ، ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبوقاً بحق المجاهد الذي سبقت له الملكية قبل الإسلام ، وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه كما هو معلوم عند العقلاء .

نعم ، يحسن بالمالك ويجمل به أن يعتقه إذا أسلم ، وقد أمر الشارع بذلك ورغَّب فيه ، وفتح له الأبواب الكثيرة . فسبحان الحكيم الخبير (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥))[١]، فقوله : (صدقاً) أي : في الأخبار ، وقوله : (عدلاً) أي : في الأحكام ، ولا شك أن من ذلك العدل : الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن ، وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم)[٢] .

ولقد كان الأسر في الحروب من أظهر مظاهر الاسترقاق ، وكل حرب لابد فيها من أسرى ، وكان العرف السائد يومئذ أن الأسرى لا حرمة لهم ولا حق ، وهم بين أمرين إما القتل وإما الرق ، ولكن جاء الإسلام ليضيف خيارين آخرين : المن والفداء ، قال الله تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً(٤))[٣] .

ففي غزوة بدر أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الفداء من أسرى المشركين وأطلق سراحهم ، وأطلق الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً من الأسرى في غزواته مجاناً ، منَّ عليهم من غير فداء ، وفي فتح مكة قيل لأهل مكة : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

---

(١) سورة الأنعام .
(٢) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٣ ، ص ٢٨٩ .
(٣) سورة محمد .

وفي غزوة بني المصطلق تزوج الرسول أسيرة من الحي المغلوب ليرفع من مكانتها ، حيث كانت ابنة أحد زعمائه ، وهي أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ، فما كان من المسلمين إلا أن أطلقوا سراح جميع هؤلاء الأسرى ، فالإسلام ليس متعطشا لدماء الأسرى ، بل ولا متعطشا حتى لاسترقاقهم ، ومن هذا تدرك الصورة المحدودة والمسالك الضيقة التي يلجأ إليها في الرق ، وهو لم يلغه بالكلية ، لأن هذا الأسير الكافر المناوئ للحق والعدل كان ظالماً ، أو معيناً على ظلم ، أو أداة في تنفيذه أو إقراره ، فكانت حريته فرصة لفشو الطغيان والاستعلاء على الآخرين ، والوقوف في وجه الحق ، ومنعه من الوصول إلى الناس .

إن الحرية حق أصيل للإنسان ، ولا يسلب امرؤ هذا الحق إلا لعارض نزل به ، والإسلام – عندما قبل الرق في الحدود التي أوضحناها – فهو قيّد على إنسان استغلَّ حريته أسوأ استغلال .... فإذا سقط أسيراً إثر حرب عدوان انهزم فيها ، فإن إمساكه بمعروف مدة أسره تصرف سليم ، كل هذا فإن فرصة استعادة الحرية لهذا وأمثاله في الإسلام كثيرة وواسعة ، كما أن قواعد معاملة الرقيق في الإسلام تجمع بين العدالة والإحسان والرحمة .

فمن وسائل التحرير :

١- فرض نصيب في الزكاة لتحرير العبيد.

٢- وكفارات القتل الخطأ والظهار والأيمان والجماع في نهار رمضان .

٣- إضافة إلى مناشدة عامة في إثارة للعواطف من أجل العتق والتحرير ابتغاء وجه الله .

وهذه إشارات سريعة لبعض قواعد المعاملة المطلوبة عدلاً وإحساناً مع هؤلاء :

١- ضمان الغذاء والكساء مثل أوليائهم :عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ)[1].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٦٠٥٠ .

٢- حفظ كرامتهم :عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ)[١] ، وأعتق ابن عمر رضي الله عنهما مملوكاً له ، ثم أخذ من الأرض عوداً أو شيئاً فقال : ما لي فيه من الأجر ما يساوي ! هذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ)[٢].

٣- العدل مع الرقيق والإحسان إليهم ، فقد روى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دَعَك أُذُن عَبْدٍ له على ذنب فعله ، ثم قال له بعد ذلك : تقدم واقرص أذني ، فامتنع العبد فألح عليه ، فبدأ يقرص بخفة ، فقال له : اقرص جيداً ، فإني لا أتحمل عذاب يوم القيامة ، فقال العبد : وكذلك يا سيدي : اليوم الذي تخشاه أنا أخشاه أيضاً .وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إذا مشى بين عبيده لا يميزه أحد منهم لأنه لا يتقدمهم ، ولا يلبس إلا من لباسهم .ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فرأى العبيد وقوفاً لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب ، وقال لمواليهم : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم دعا الخدم فأكلوا معهم .ودخل رجل على سلمان رضي الله عنه فوجده يعجن – وكان أميراً – فقال له : يا أبا عبد الله ما هذا ؟! فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين[٣] !

٤- لا مانع أن يتقدم العبد على الحر في بعض الأشياء: فيما يفضله فيه من شئون الدين والدنيا ، وقد صحت إمامته في الصلاة ، وكان لعائشة أم المؤمنين عبد يؤمها في الصلاة ، بل لقد أمر المسلمون بالسمع والطاعة إذا ملك أمورهم عبد

٥- وله أن يشتري نفسه من سيده ويكون حراً فإذا حدث لأمر ما أن استرق ثم ظهر أنه

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٧٥

(٣) لرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، مجلة البحوث الإسلامية بإشراف و مسؤولية الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، العدد الثاني والثلاثون - الإصدار : من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤١١هـ ١٤١٢هـ الرق ، الإسلام والرق

أقلع عن غيه ، ونسي ماضيه وأضحى إنساناً بعيد الشر قريب الخير ، فهل يجاب إلى طلبه بإطلاق سراحه ؟ الإسلام يرى إجابته إلى طلبه ، ومن الفقهاء من يوجب ذلك ومنهم من يستحبه !!! وهو ما يسمى عندنا مكاتبة العبد لسيده (بمعنى أن العبد يشتري نفسه من سيده مقابل مال يدفعه له على أقساط) قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ(٣٣))[١] ، وهذا عدل الإسلام مع الرقيق وإحسانه إليهم ، ومعاملته لهم ، فكان من نتائج هذه الوصايا : أن أصبح الرقيق صديقا لمالكه في كثير من الأحيان ، بل أحله بعضهم محل الابن، يقول سعد بن هاشم الخالدي في وصف غلام له :

ما هو عبد لكنه ولـــد   خولنيه المهيمن الصمـد

شد أزري بحسن خدمته   فهو يدي والذراع والعضد

وكان من نتيجة معاملة المسلمين للأرقاء هذه المعاملة، اندماج الأرقاء في الأسر الإسلامية إخوة متحابين، حتى كأنهم بعض أفرادها.

يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : (الذي أراه صادقاً هو أن الرق عند المسلمين خير منه عند غيرهم، وأن حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، وأن الأرقاء في الشرق يكونون جزءاً من الأسرة... وأن الموالي الذين يرغبون في التحرر ينالونه بإبداء رغبتهم.. ومع هذا لا يلجؤون إلى استعمال هذا الحق)[٢].

معاملة غير المسلمين للرقيق :

أولا : موقف اليهود من الرقيق :

ينقسم البشر عند اليهود إلى قسمين : بنو إسرائيل قسم ، وسائر البشر قسم آخر ، فأما بنو إسرائيل فيجوز استرقاق بعضهم حسب تعاليم معينة نص عليها العهد القديم، وأما غيرهم ، فهم أجناس منحطة عند اليهود ، يمكن استعبادها عن طريق التسلط والقهر ، لأنهم سلالات كتبت عليها

---

(١) سورة النور .
(٢) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٥٩ – ٤٦٠ .

الذلة باسم السماء من قديم ، جاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج ما نصه :(إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم ، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً ، إن دخل وحده ، فوحده يخرج ، إن كان بعل امرأة تخرج امرأته معه ، إن أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين وبنات فالمرأة وأولادها يكونون للسيد ، وهو يخرج وحده ، ولكن إذا قال العبد : أحب سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً ، يقدمه سيده إلى الله ، ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ، ويثقب سيده أذنه بالمثقب يخدمه إلى الأبد)[١].

أما استرقاق غير العبراني فهو بطريق الأسر والتسلط لأنهم يعتقدون أن جنسهم أعلى من جنس غيرهم ، ويلتمسون لهذا الاسترقاق سنداً من توراتهم المحرفة ، فيقولون : إن حام بن نوح – وهو أبو كنعان– كان قد أغضب أباه ، لأن نوحاً سكر يوماً ثم تعرى وهو نائم في خبائه ، فأبصره حام كذلك ، فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه غضب ، ولعن نسله الذين هم كنعان ، وقال – كما في التوراة في سفر التكوين: (ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته ، وقال : مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم)[٢] . وفي الإصحاح نفسه: (ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم)[٣] ،وفي سفر التثنية الإصحاح العشرون : (حين تقرب من مدينة لكي تحل بها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك)[٤] .

---

(١) العهد القديم ، سفر الخروج ، الاصحاح ٢١ ، (٢-١٢)
(٢) العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح ٩ ، (٢٥ – ٢٦) .
(٣) المصدر السابق ، (٢٧).
(٤) العهد القديم و سفر التثنية ، الإصحاح ٢٠ (١٠ – ١٤)

ثانيا : موقف النصرانية من الرقيق :

جاءت النصرانية فأقرت الرق الذي أقره اليهود من قبل ، فليس في الإنجيل نص يحرمه أو يستنكره .

والغريب أن المؤرخ (وليم موير) يعيب نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه لم يبطل الرق حالاً ، مع تغاضيه عن موقف الإنجيل من الرق ، حيث لم ينقل عن المسيح ، ولا عن الحواريين ولا عن الكنائس شيئاً في هذه الناحية ، بل كان بولس(شاؤول اليهودي) يوصي في رسائله بإخلاص العبيد في خدمة سادتهم ، كما قال في رسالته إلى أهل إفسس.

أمر بولس العبيد بطاعة سادتهم كما يطيعون المسيح ، فقال في رسالته إلى أهل إفسس : (**أيها العبيد ، أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس ، بل كعبيد المسيح ، عاملين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس ، عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبدا كان أو حرا**)[١] .

وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر (لاروس) : (لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم ، فإن نواب الدين الرسميين يقرون صحته ويسلمون بمشروعيته)

الخلاصة : أن الدين المسيحي ارتضى الاسترقاق تماماً ، إلى يومنا هذا ، ويتعذر على الإنسان أن يثبت أنه سعى في إبطاله ، وأقر القديسون أن الطبيعة جعلت بعض الناس أرقاء ، فرجال الكنيسة لم يمنعوا الرق ولا عارضوه بل كانوا مؤيدين له ، حتى جاء القديس الفيلسوف توماس الأكويني فضم رأي الفلسفة إلى رأي الرؤساء الدينيين ، فلم يعترض على الرق بل زكاه لأنه – على رأي أستاذه أرسطو – حالة من الحالات التي خلق عليها بعض الناس بالفطرة الطبيعية ، وليس مما يناقض الإيمان أن يقنع الإنسان من الدنيا بأهون نصيب[٢] .

---

(١) رسالة بولس الى أهل إفسس ، الإصحاح السادس (٥-٩).
(٢) العقاد ، حقائق عن الإسلام ، ص ٢١٥ .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج يوسف : إن المسيحية لم تعترض على العبودية من وجهها السياسي ولا من وجهها الاقتصادي ، ولم تحرض المؤمنين على منابذة جيلهم في آدابهم من جهة العبودية ، حتى ولا المباحثة فيها ، ولم تقل شيئاً ضد حقوق أصحاب العبيد ، ولا حركت العبيد إلى طلب الاستقلال ، ولا بحثت عن مضار العبودية ، ولا عن قساوتها ، ولم تأمر بإطلاق العبيد حالاً ، وبالإجماع لم تغير النسبة الشرعية بين المولى والعبد بشيء ، بل بعكس ذلك فقد أثبتت حقوق كل من الفريقين ، وواجباته(١) .

ثالثا : أوربا المعاصرة والرقيق :

من حق القارئ أن يسأل وهو في عصور النهضة والتقدم عن رائدة التقدم في هذه العصور ، وعدد من كانوا يموتون بسبب طرق الاصطياد، وفي الطريق إلى الشواطئ التي ترسو عليها مراكب الشركة الإنجليزية وغيرها ، ثم إن الباقين يموتون بسبب تغير الطقس ، ويموت نحو ٤% أثناء الشحن ، و ١٢ % أثناء الرحلة ، فضلاً عمن يموتون في المستعمرات !!!

ومكثت تجارة الرقيق في أيدي شركات إنجليزية حصلت على حق احتكار ذلك بترخيص من الحكومة البريطانية ، ثم أطلقت أيدي جميع الرعايا البريطانيين في الاسترقاق ، ويقدر بعض الخبراء مجموع ما استولى عليه البريطانيون من الرقيق واستعبدوه في المستعمرات من عام ١٦٨٠ / ١٧٨٦م حوالي ٢١٣٠٠٠٠ شخصاً .

فعندما اتصلت أوربا بإفريقيا السوداء كان هذا الاتصال مأساة إنسانية ، تعرض فيها زنوج هذه القارة لبلاء عظيم طوال خمسة قرون ، لقد نظمت دول أوربا وتفتقت عقليتها عن طرق خبيثة في اختطاف هؤلاء واستجلابهم إلى بلادهم ليكونوا وقود نهضتها ، وليكلفوهم من الأعمال مالا يطيقون ، وحينما اكتُشِفَتْ أمريكا زاد البلاء ، وصاروا يخدمون في قارتين بدلاً من قارة واحدة !!

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة Slavery : إن اصطياد الرقيق من قراهم المحاطة

---

(١) د . أحمد شلبي ، مقارنة الأديان ، الإسلام ، ص ٢٣٣

بالأدغال كان يتم بإيقاد النار في الهشيم الذي صنعت منه الحظائر المحيطة بالقرية حتى إذا نفر أهل القرية إلى الخلاء تصيدهم الإنجليز بما أعدوا لهم من وسائل)(1) .

وتم نقل مليون زنجي أفريقي إلى أمريكا مقابل موت تسعة ملايين أثناء عملية الاصطياد والشحن والنقل ، وذلك في الفترة ما بين عام ١٦٦١م إلى عام ١٧٧٤م ، أي أن عشر الذين كانوا يصطادونهم فقط هم الذين يبقون أحياء ، ويتم نقلهم إلى أمريكا ، لا ليجدوا الراحة واللذة ، بل ليجدوا السخرة والتعذيب ، وكان لهم في ذلك قوانين يخجل منها العقلاء ، فكان من قوانينهم السوداء في ذلك :

١- من اعتدى على سيده قُتل ، ومن هرب قطعت يداه ورجلاه وكوي بالحديد المحمى.

٢- إذا أبق للمرة الثانية قُتل ! وكيف سيهرب وقد قطعت يداه ورجلاه !!

٣- يحرم التعليم على الرجل الأسود ويحرم على الملونين وظائف البيض .

٤- وفي قوانين أمريكا : إذا تجمع سبعة من العبيد عُدَّ ذلك جريمة ، ويجوز للأبيض إذا مر بهم أن يبصق عليهم ، ويجلدهم عشرين جلدة .

٥- ونص قانون آخر : العبيد لا نفس لهم ولا روح ، وليست لهم فطانة ولا ذكاء ولا إرادة ، وأن الحياة لا توجد إلا في أذرعهم فقط .

والخلاصة في ذلك : أن الرقيق من جهة الواجبات والخدمة والاستخدام عاقل مسئول يعاقب عند التقصير ، ومن جهة الحقوق شيء لا روح له ولا كيان بل أذرعة فقط !!

ثم أخيرا وبعد قرون طويلة من الاستعباد والظلم تم تحرير البروتوكول الخاص بمنع الرق والعمل للقضاء عليه ، والمحرر في مقر الأمم المتحدة عام ١٩٥٣ م ، وهكذا لم تستفق ضمائرهم إلا في هذا القرن الأخير بعد ما بنوا حضارتهم على رفات الأحرار الذين استعبدوهم ظلماً وقهراً ، وأي منصف يقارن بين هذا وبين تعاليم الإسلام –الذي مضى له أكثر من ١٤ قرناً– يرى أن إقحام الإسلام في هذا الموضوع أحق بالمثل السائر : رمتني بدائها وانسلت(2)!

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ، ج٢ ، ص ٧٧٩ .

(٢) د. صالح بن حميد ، شبهات حول الإسلام، تلبيس مردود في قضايا خطيرةونشر في موقع الإسلام سؤال وجواب رقم السؤال ٩٤٨٤٠ ، في ٤/ ٣/ ٢٠٠٧ م.

جاء في فتوى لدار الافتاء المصرية ما يلي (جاء الإسلام فوَجَدَ الرِّقَّ موجودًا في كُلِّ أنحاء الدنيا، وكانت وسائلُه متعددةً، بعضها يقوم على الخطف والسرقة، وبعضها يقوم على الحروب، وبعضها يقوم على استرقاق الغرماء، فألغى الإسلام كل هذه السبل وأبقى الاسترقاق بالحرب، وإنما لم يمنعه الشرع مرةً واحدةً على عادته في التدرج في الأحكام؛ حتى لا يحصل الاختلال الاجتماعي؛ فإن الرق كان ظاهرةً موجودةً عند كل الأمم، وكان الرقيق قوةً بشريةً لها أثرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأزمان الغابرة، وكان الاسترقاقُ والسَّبْيُ قانونًا معمولًا به لدى شعوب الأرض كلها، فضَيَّق الإسلامُ منابعَه؛ سعيًا لِتَجفِيفِها، وجَعَلَه حرامًا إلَّا إذا كان سببه هو القتال والجهاد لدفع الطغيان ورَدِّ العدوان، وكذلك فيما يتوالد من الأرِقَّاء السابقين؛ فأباح استرقاق المحاربين فقط ومَن معهم في دار الحرب مِن النساء والأطفال، على أن يكون ضرب الرِّقِّ على الأسير بأمر الحاكم إن رأى فيه المصلحة، أما غير المحاربين فلا استرقاق لهم أصلًا، واسترقاق المحارب أهونُ مِن قتله، وحَرَّمَ قتل المرأة في الحرب وجعل سَبْيَهَا عِوَضًا عن قتلها، ومع ذلك كان الاسترقاق مصحوبًا بآدابٍ أوجبها الإسلامُ تجاه الرقيق، بحُسن معاملتهم والرِّفق بهم، وعدم جواز إيذائهم، وحُرمة الاعتداء عليهم ، ثم وَسَّعَ الإسلامُ في تَشَوُّفِهِ لجَعْلِ الناس كلهم أحرارًا أبوابَ الحرية بالعتق في مخالَفاتٍ كثيرةٍ؛ كالفِطر في رمضان، والظهار، والقتل الخطأ، والحنث في اليمين، وغير ذلك، كما رَغَّبَ في العتق ابتداءً، وإذا ضاق المَنبَعُ واتَّسَع المصبُّ كانت النتيجةُ القضاءَ على الرِّقِّ بالتدريج ، وفي المسافة التي بين الرِّقِّ والعِتق أَمَرَ الإسلامُ بالإحسان إلى الرقيق، ونصوصُه في ذلك كثيرةٌ جاء فيها التعبير عن المملوكين بأنهم إخوانُ مَن مَلَكُوهُم، وهي أُخُوَّةٌ في الإنسانية تقتضي الرحمة والحفاظ على كرامتهم، حتى كان عتقُ العبد كفارةً عن ضَربِه وإهانَتِه، فكانت هذه الرحمة بابًا عريضًا لدخول الناس في دين الله أفواجًا ،وقد وقف الإسلام بتضييق منابع الرِّقِّ، وتوسيع منافذ الحرية، والإحسان إلى المملوك والترغيب في عتقه، موقفًا شريفًا مناقضًا للأساليب التي كانت موجودةً قَبله في بلاد العالم، وما فعله بعد ذلك تُجَّار الرقيق في القرون الأخيرة عند اكتشافهم للأراضي الجديدة. والآيات التي تتحدث عن مِلك اليمين تتعامل مع واقعٍ حاول الإسلامُ

تغييره؛ كما بَيَّنَّا، حتى وصل العالم الآن إلى معاهدة تحرير العبيد التي أقرها علماء المسلمين والدول الإسلامية مع بقية دول العالم، وذلك في زمنٍ اشتَدَّ فيه التنافس بين الدول في هذه التجارة فقَرَّرُوا الاتفاق على منعها، فكانت الاتفاقية الدولية لتحرير الرِّقِّ (في برلين سنة ١٨٦٠ ميلادية تقريبًا)، وبعد هذه الاتفاقية انتهت تجارة الرقيق في العالم، وحلَّ مكان الاسترقاق لأسرى الحرب اليوم السجنُ وغيرُه مِن الممارسات التي نَصَّت عليها المعاهدات الدولية التي التزم العالَمُ بها ومعهم المسلمون؛ فأصبح هذا نظامًا مُلزِمًا، ولم يَعُد يجوز لأحدٍ استرقاقُ أحد ...وعليه: فلا تجوز التجارة في البشر، وكُلُّ البشر بهذه الاتفاقيات أحرارٌ وليسوا محلًّا للبيع والشراء، وقد وقع المسلمون المعاهدات الدولية التي تقضي بإنهاء الرق والعبودية للبشر، وكان ذلك متفقًا مع ما أراده الإسلام من تضييق منابعه وتوسيع أبواب العتق، ليكون الناس كلهم أحرارًا كما خلقهم الله تعالى[1]..والله سبحانه وتعالى أعلم).

س١٦: لماذا تقدم الصبر على الصلاة ؟.

ج١٦ : يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (قدم الله تبارك وتعالى الصبر على الصلاة لأن الصبر أوسع فالصلاة عبادة معينة لكن الصبر أوسع ومن الصبر الصلاة لأن الصلاة طاعة لله عز وجل وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن الصبر ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله وهو حمل النفس على الطاعة وصبر عن معصية الله وهو كف النفس عن المعصية وصبر على أقدار الله المؤلمة وهو كف النفس عن التسخط من قضاء الله وقدره فيكون هذا من باب عطف الخاص على العام لأن الصلاة صبر فالإنسان يصبر نفسه عليها ويحملها على أن تقوم بها أي بالصلاة)[2] ، وق أَمَرَ الله تعالى عباده المؤمنين بالاستعانة بالصبر والصلاة في العديد من الآيات، قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ(١٥٣)**)[3]، وفيما يأتي بيان توضيح المفسّرين لكيفية الاستعانة بالصبر والصلاة:

---

(١) دار الإفتاء المصرية ، الرقم المسلسل : ٤٦٠٧ ، في ٢٠١٣/٠٦/١١.
(٢) الشيخ ابن عثيمين ، كتاب فتاوى نور على الدرب للعثيمين ج٥ ، ص ٢.
(٣) سورة البقرة .

تكون الاستعانة بالصبر من خلال مُجاهدة المسلم نفسَه وحَبسِها على ما تَكْره مِنَ العِبادة؛ كالجهاد، لقول الله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦))[١]، وقد يُكره العبد نفسه على تْرك المعصية مع حُبِّه لها؛ ابتغاء الأجر من الله – تعالى–، وطلباً لمرضاته، وجاء عن الألوسيّ في تفسيره: إنَّ الله تعالى ذكر الصبر قبل الصلاة؛ لأنَّ الصلاة من أنواع الصبرِ، كما أنَّ الصلاة تحتاج إلى صبرٍ، كالقيام لصَلاة الفجر في الشتاء. ذهب مُقاتلٌ إلى أنَّ المعنى: استعينوا على أُمور الآخرة والفلاح بها بالصبر على الفرائض، وخاصّةً الصلاة في أوقاتها؛ فإنَّها مغفرةٌ للذُنوب. والاستعانة بالصبر تكون من خلال حَبْس النفس عن الشَّهوات والمحرّمات[٢].

جاء في تفسير الطبريّ: (أنّ على المسلم الاستعانة بالصبر والصلاة؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وذلك من طاعته عزّ وجل)[٣] .

فسّر الماورديّ رحمه الله معنى الثبات على الصبر لقولين، أولهما: الثبات على ما أَمَرَ الله تعالى به، والثانيّ: الصيام الذي قُصد به وجه الله تعالى، وأمّا معنى الاستعانة بالصلاة فتعني: الاستعانة بأجرها وثوابِها، أو ما يُتلى بها؛ لتكون عوناً للمُسلم على طاعة الله تعالى)[٤].

سبب اقتران الصبر بالصلاة إنّ مما يشار إليه رَبْطُ الله –تعالى– بين الصبر والصلاة في القرآن الكريم، وخاصّةً في أوقات الشِّدة، كالجِهاد؛ لِمَا في الصلاة من السّكينة في الرُّوح، والرِّضا، وراحة البال، وتربط المسلم بِخالقه، كما أن الخُشوع فيها يُخرج المسلمَ من تعب الدُنيا إلى الجنَّة ونعيمها، وهذا الخُشوع لا بُدّ له من الصبر على أداء الصلاة وإقامتها بِكُلِّ شُروطها وأركانها، مما يُساعد المسلم على الصبر في الدُنيا حتى يلقى ربه، وجاء في تفسير النّسفيّ أنّه بالصَّبر تُنالُ الفضائل، وبالصلاة يُبتعدُ عن الرذائل)[٥].

---

(١) سورة البقرة .
(٢) الواحدي ، التفسير البسيط ، ج٣ ، ص ٤٢٢ .
(٣) الطبري ، التفسير ، ج٣ و ص ٢١٤ .
(٤) الماوردي ، النكت والعيون ، ج١ ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ .

(٥) النسفي ، تفسير النفسي ' ج١ ، ص ١٤٣ .

إنّ للصّلاة الكثير من الفضائل التي تعود على الفرد والمُجتمع، ومنها ما يأتي:

١- أعظم أركان الإسلام، وهي أُمّ العِبادات، ومن أعظم ما يَتقرَّبُ به المسلم لربِّه.

٢- تنهى عن المنكر، وتعصم من الشهوات، وتُكفّر الخطايا والسيئات، وتحفظ صاحبها من الكُربات.

٣- طريق للفلاح يوم القيامة، وتُنجي من عذاب الآخرة. طريق الهداية، وشُكر الله - تعالى- على نِعمه. عمود الدين، وأوّلُ الطاعات وأهمُّها، ومما جاء في فضلها، قول النبي عليه الصلاة والسلام: (ما مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها، إلَّا كانَتْ كَفَّارَةً لِما قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ ما لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ)[١] .

٤- خُشوع المسلم في الصلاة يُكسبه العديد من الفضائل، فتكونُ كفْارةً لِمَا سبقها مِن الذُنوب؛ إنْ صلى ركعتين لا يُحدّثُ فيهما نفسه، لفعل النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه عثمان بن عفّان رضي الله عنه حيث قال: (رَأَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، وقالَ: مَن تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يُحَدِّثُ فِيهِما نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ)[٢].

٥- الإقبال عليها من أسباب دُخول الجنَّة، ولو كان ذلك بصلاة ركعتين، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (ما مِن مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عليهما بقَلْبِهِ ووَجْهِهِ، إلَّا وجَبَتْ له الجَنَّةُ)[٣].

٦- كما أنَّ الخُشوعَ فيها سببٌ لِنَيل المغفرة والأجر الكبير، وسببٌ لِلنّجاح والفوز والسعادة في الدُّنيا والآخرة، لقول الله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢))[٤]، [٥].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٨ .وانظر ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين ، ص ٢٨ – ٢٩ .
(٢) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٦٤ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٣٤ .
(٤) سورة المؤمنون .

(٥) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الخشوع في الصلاة في ضوء الكتاب والسنة،ج١ ، ص ٢- ٢١ .

٧- الصلاة أوّلُ ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن كانت الصلاة صالحة، كانت فوزاً لصاحِبِها، ك

٨- ما أنّها من سُنن الهُدى، وهَدي النبي -عليه الصلاة والسلام- وشريعته لأُمته، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (إنْ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى، وإنَّ مِن سُنَنَ الهُدَى الصَّلَاةَ في المسْجِدِ الذي يُؤَذَّنُ فِيهِ)[١]

٩- الصلاة سببٌ لرؤية المسلم وجه ربِّه في الجنَّة، قال الله تعالى: (لِلَّذينَ أَحسَنُوا الحُسنى وَزِيادَةٌ(٢٦))[٢] ،[٣] .

فضل الصبر :

إنَّ للصبر العديد من الفضائل، وهي فيما يأتي:

١- البِشارة من الله تعالى للمسلم الصابر عند المصيبة بالصّلاة والرَّحمة، وكذلك الهِداية، لقول الله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِّ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ(١٥٦) أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ(١٥٧))[٤].

٢- نيْل الصابر أجره بغير حِساب، لقوله الله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠))[٥].

٣- أنّها سببٌ لِمعيَّة الله تعالى، لقول الله تعالى: (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ(٤٦))[٦].

٤- الصبرُ سببٌ للتوفيق والنّصر وإجابة الدَّعوة من الله تعالى.

٥- الصبرُ طريقٌ للفلاح، ومحبَّة الله تعالى، والفوز بالجنَّة، وسببٌ للإمامة و التَّقدُّم في

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦٥٤ ، ج٣ ، ص ٢٠ – ٢١ .
(٢) سورة يونس .
(٣) محمد أحمد إسماعيل المقدم، لماذا نصلي، صفحة ٦، جزء ٧. بتصرّف.
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة الزمر .
(٦) سورة الأنفال .

الدِين، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ(٢٤))[١].

٦- مُضاعفة الأجرِ للمسلم الصابر، لقول الله تعالى: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا.... (٥٤))[٢]، [٣].

س١٧: لماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الدَّين ؟.

ج١٧: يقول د. محمد بن إبراهيم النعيم : (هناك العديد من فضائل الأعمال التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم وحث الصحابة على فعلها، وهناك نوع آخر من تلك الفضائل لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم فحسب وإنما أكثر منها وحث على الإكثار منها، وما ذلك – والعلم عند الله تعالى – إلا لعظم ثوابها وأهميتها، هذه الأعمال لا تكلف المرء مالاً ولا جهداً، يغفل عن فضلها وعظيم أجرها الكثير من الناس، فحري بنا أن نتعرف عليها أولاً ومن ثم نكثر منها كما فعل سلفنا الصالح رضوان الله عليهم.

روت عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ) قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنْ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: (إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ)[٤]، فالحديث يشير إلى كثرة استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من أن يقع في ديون يعجز عن سدادها، فالمغرم هو الدين الذي لا يقوى صاحبه على سداده.

قال بعض أهل العلم: يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ سَدّ الذَّرَائِعِ ؛ لأَنَّهُ صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة السجدة .
(٢) سورة القصص .
(٣) أحمد فريد، دروس الشيخ أحمد فريد، صفحة ٧، جزء ٥٧. بتصرّف، وانظر موسوعة الأخلاق الإسلامية، الدرر السنية dorar.net ، صفحة ٣٠٩، جزء ١. بتصرّف.(من موقع موضوع كتابة طلال عبد الرحمن مشعل ٤ فبراير ٢٠٢١.
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٨٩ .

اِسْتَعَاذَ مِنْ الدَّيْنِ، لأَنَّهُ فِي الْغَالِبِ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْكَذِبِ فِي الْحَدِيثِ وَالْخُلْفِ فِي الْوَعْدِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالاسْتِعَاذَةِ مِنْ الدَّيْنِ الاسْتِعَاذَة مِنْ الاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ حَتَّى لا يَقَعَ فِي هَذِهِ الْغَوَائِل ، أَوْ مِنْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى وَفَائِهِ ، ولا تَنَاقُضَ بَيْنَ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ الدَّيْنِ وَجَوَاز الاسْتِدَانَةِ لأَنَّ الَّذِي أُسْتُعِيذَ مِنْهُ غَوَائِل الدَّيْن – أي كثرة الدين – وَقَدْ اِسْتَعَاذَ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَلَبَة الدَّيْن – أي كثرته وثِقَله[1] .

إنَّ التهافتَ على الاقتراض أصبَحَ ظاهرةً خطيرة في مجتمَعنا، فكثيرٌ من الناس لا يبالي بالاستدانةِ، والبنوك فتحَت لهم الأبواب على مصراعيها بأنواعِ القروض الميسَّرة كما يقولون، سهَّلوا المهمَّةَ في الظاهر ولاحقوا الناس في دوائر عملهم ومكاتبهم يغرونهم بالاقتراض وقالوا: استقرِض منَّا قروضًا ميسَّرة ونعطيك رواتبَ سنةٍ كاملة وإلى غير ذلك، والبعض اطمأنَّ إلى قولهم فحمَّل ذمّتَه فوقَ ما يستطيعُ وفوقَ ما يقدِر عليه، فتفاجئ أنه اصبح مديناً لهذه البنوك لعشرات السنين، والطامة الكبرى إذا كانت هذه الديون ليست في الضروريات!

إن معظم البنوك سهلت وأغرت الناس بالاقتراض منها لتوقعهم في فخ الديون المتراكمة والمتسلسلة. وكم سمعنا قصصاً مفجعة عند الانهيار الأسود لسوق الأسهم وكيف قامت تلك البنوك بتسييل محافظ المقترضين منها فتحول المليونير إلى مديونير في لمح البصر ويا ليت الأمر وقف عند هذا وإنما أصاب العديد بسكتات قلبية وجلطات واكتئاب وأمراض لا يعلمها إلا الله ، لذلك ابتعدوا من الاقتراض من البنوك إلا في الضرورات ولا تغرنكم عروضهم المعسولة.

كثيرٌ من الناس تراه يحمِل بطاقاتِ ديون: هذه لسيّارَة، هذا لأثاث، وهذا للسَّفر، فيحمل نفسه ما لا تطيق؟ فليس الدَّين فَخرًا ولا شَرَفًا، إنما الفخرُ راحةُ الذمّة من حقوق الغير، فقد روى عقبة بن عامر صلى الله عليه وسلم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها) قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: (الدين)[2] .

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٦ ، ص٧٥ .
(٢) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٤٢٠

فالدَّين همٌّ وحزنٌ وذلّ وصَغار، يطأطِئ رأسَ الإنسان عندما يتوجّه المدّعون عليه، يطلبونَه حقوقَهم ولا يرحمونَه وقد يتكلمون عليه ويشهرون به.

إذاً فالمؤمنُ ينبغي أن يفكِّر عندما يريد الاقتراض من الآخرين: أوّلاً مدى ضرورة هذا الدَّين، ثم هل هو حاجة ملِحّة أم حاجَة كمَالية وحاجةُ مجاراة وحاجَة لأمورٍ لا قيمةَ لها؟ فإن يكن ذلك الدَّين ضروريًّا لك أو حاجَةً ملِحّة أنت بحاجَةٍ إليها فخذ من الدَّين قدرَ ما يغلِب على ظنِّك قُدرتَك على الوفاء به وسداده، وإلاّ فإن حمَّلتَ ذمَّتَك ما لا تطيق فقد وقعت في الحرج.

فاحذَر أن تلقى الله بحقوقِ الخَلق وما أعطَيتَهم حقَّهم، اتّق الله ونَم مُرتاحًا بتخليص ذمَّتك مِن حقوقِ الخلق، وإن اضطُرِرتَ فاكتُب وأشهِد واستوثِق واجعَل الأمرَ واضحًا لك ولمن بعدَك من ذرّيّتك؛ فإنَّ العبدَ لا يَدري متى يفاجئه الأجَلُ وفي ذمّتِه حقوق الناس.

خطب النبيُّ صلى الله عليه وسلم فأخبَرَ عن ثوابِ المجاهدين فماذا قال؟ روى أبو قَتَادَةَ رضي الله عنه أن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (كَيْفَ قُلْتَ)؟ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إِلاَّ الدَّيْنَ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ لِي ذَلِكَ)[١] .

أي أن الشهادةَ في سبيل الله مع عِظمِها لا تكفِّر الدَّينَ ولا تخفِّف الدّين، فالشهيد يَلقَى الله بالشهادَةِ، ولكن دَينُ العِبادِ في ذمّته، فكيفِ بحالِنا نحن أيّها الإخوة؟! فالمطلوبُ منّا أن لا نحمِّل أنفسَنا ما لا نطيق، وأن نحذَرَ من التهاونِ بحقوق النّاسِ مهما كانت حالُها.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٨٥ .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعظِّم الدَّينَ في نفوس أصحابِه تعظيمًا عظيمًا، قال جابرُ بن عبد الله: تُوفِّيَ رجل منَّا فغسَّلناه وحنَّطناه وكفّنّاه وأتينا به النّبيَّ ليصلّيَ عليه، فخَطا خطَواتٍ ثم قال: (أعليه دَين؟) قالوا: ديناران يا رسول الله، فتأخَّرَ عنِ الصّلاةِ عليه وقال: (صَلّوا على صاحِبِكم)، فقال أبو قتادة: هما عليَّ يا رسولَ الله، قال له النبيُّ: (برِئَت ذمّةُ الغريم وحُقَّ الدين؟) قال: نعم يا رسول الله، فصلّى عليه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم لقِيَ أبا قتادة في اليومِ الثاني قال: (يا أبا قتادةَ ما فعَل الديناران؟) قال: يا رسول الله، إنما ماتَ بالأمس! ثمّ لقِيَه اليومَ الثاني وقال: (يا أبا قتادةَ ما فعل الديناران؟) قال: يا رسول الله، دفعتُهما لصاحبهما، قال: (الآن برَدت عليه جِلدَته)[1]، قال ابن حجر: وفي هذا الحديث أشعار لصعوبة أمر الدين وأنه لا ينبغي تحمله إلا من ضرورة.

هكذا علَّم النبيّ أمّته؛ ليعرفوا حقوقَ العباد ولا يظلِم بعضهم بعضًا ولا يتعدَى بعضهم على بعض.

إننا نرى تساهلاً لدى كثير من الناس في سداد ديونهم، فترى البعض يماطل في السداد، بل البعض قد يماطل أو يرفض في سداد الديون التي اقترضها من الدولة كصناديق الإقراض العقاري والصناعي والزراعي وصندوق التسليف المتعدد الأغراض، بحجة أن هذا مال عام، وأن كثير من الناس لا يسددون، فهذه ليست حجة لأن الدين يبقى في الذمة.

جاء من تحذير لمن امتنع عن السداد، فقد روى ميمون الكردي عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيُّما رجلٍ تَزَوَّجَ امرأةً على ما قَلَّ مِنَ المهْرِ أوْ كَثُرَ ، ليس في نفسِهِ أنْ يُؤَدِّيَ إليها حقَّها ؛ خَدَعَها ، فماتَ ولمْ يُؤَدِّ إليها حقَّها ؛ لَقِيَ اللهَ يومَ القيامةِ وهوَ زَانٍ ، وأيُّما رجلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لا يُرِيدُ أنْ يُؤَدِّيَ إلى صاحِبِه حقَّهُ ؛ خَدْعَةً حتى أَخَذَ مالهُ ، فماتَ ولمْ يَرُدَّ إليهِ دِينَهُ ؛ لَقِيَ اللهَ وهوَ سارِقٌ)[2] .

---

(١) ابن عثيمين ، شرح بلوغ المرام ، ج٤ ، ص١٥٣ .

(٢) وروي هذا الحديث (من تزوَّجَ امرأةً على صداقٍ وَهوَ ينوي أن لا يؤدِّيَه فَهوَ زانٍ ومن ادَّانَ دينًا وَهوَ ينوي أن لا يؤدِّيَهُ إلى صاحبِه فَهوَ سارقٌ.)قال عنه ابن الجوزي في العلل المتناهية ج٢ ، ص ٦٢٤ بأنه لا يصح

وروى عبدُ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ)(١) .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ قَالَ كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا نُزِّلَ مِنْ التَّشْدِيدِ)؟ فَسَكَتْنَا وَفَزِعْنَا فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ سَأَلْتُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نُزِّلَ؟ فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلاً قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيِيَ ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ أُحْيِيَ ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ دَيْنُهُ)(٢).

وعَنْ سَعْدِ بْنِ الأَطْوَلِ أَنَّ أَخَاهُ مَاتَ وَتَرَكَ ثَلاثَ مِائَةِ دِرْهَمٍ وَتَرَكَ عِيَالاً فَأَرَدْتُ أَنْ أُنْفِقَهَا عَلَى عِيَالِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَخَاكَ مُحْتَبَسٌ بِدَيْنِهِ فَاقْضِ عَنْهُ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَدَّيْتُ عَنْهُ إِلاَّ دِينَارَيْنِ ادَّعَتْهُمَا امْرَأَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ قَالَ: (فَأَعْطِهَا فَإِنَّهَا مُحِقَّةٌ)(٣).

وتأملوا كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ دبر كل صلاة من المغرم وهو الدين، أي كان يستعيذ من ذلك خمس مرات في اليوم، أي ألف وثمانمائة (١٨٠٠) مرة في السنة، مما يدل على خطر الوقوع في الديون التي لا يقوى المرء على سدادها، بعض الناس يحاول جاهدًا أن يعيش عيشة الأغنياء المترفين حتى ولو كلفه ذلك إلى الاقتراض فوق ما يطيق، فتجده يدخل في متاهات من الديون والقروض والتقسيطات في سبيل أن تكون له سيارة فارهة، ومنزل فاخر قد يكون فوق مستواه الاجتماعي والاقتصادي، فيذل نفسه بهذه الديون حتى يعجز عن الأداء فيلجأ إلى أخذ الزكاة وينتظر إحسان المحسنين، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الدين وليدبر كل امرئٍ نفقته على قدر رزقه، ولا ينظر إلى نفقة الأغنياء ولو كانوا أقاربه؛ فإنّ أبا ذر رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنظر إلى من دوني ولا أنظر إلى من فوقي.

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٨٦ .
(٢) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٤٦٩٨ .
(٣) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٩٨٨ .

بادر الى التخلص من ديونك قدر المستطاع بسدادها ولا تقترض إلا في الأمور الملحة، فقد روى ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: (مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاثٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ الْكِبْرِ وَالْغُلُولِ وَالدَّيْنِ)(١) .

وتذكر أن من رفض السداد في حياته أخذ من حسناته وعذب في النار، فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دِينَارٌ أَوْ دِرْهَمٌ قُضِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ)(١) رواه ابن ماجه

وفي رواية للطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدَّينُ دَينانِ ، فمن مات و هو ينوي قضاءَه ، فأنا وليُّه ، و من مات و لا ينوي قضاءَه فذاك الذي يُؤخذُ من حسناتِه ، ليس يومئذٍ دينارٌ و لا درهمٌ)(٢) .

أدعية تعين على سداد الديون فأحفظوها:

١- عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي قَالَ أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ قَالَ: (قُلْ اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ)(٣) .

٢- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ فَقَالَ يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاةِ قَالَ هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلا أُعَلِّمُكَ كَلامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ

---

(١) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٩٧١ .
(٢) لم أقف على تخريج موافق لما ورد في هذا الحديث .
(٣) أحمد شاكر ، مسند الإمام أحمد ، ج٢ ، ص ٣٣٢ وقال عنه أنه حديث ضعيف

الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي)[1]

ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الكلماتِ في دُبُر الصلاة أي: قبل أن يسلِّم، يقول في دعائه: (اللهمّ إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن والعَجز والكَسَل والبُخل والجُبن وغَلَبة الدّين وقَهرِ الرجال)[2] .

فكان يستعيذ بالله من غَلَبة الدَّين أي: من الدَّينِ الذي يغلبه ويعجزُ عن قضائِه ويلقَى اللهَ وحقوقُ العبادِ في ذمّته، فالنّبيُّ يستعيذ من ذلك لأنّ حقوقَ العباد إذا لم تُؤدَّ في الدنيا أُدِّيَت يومَ القيامة من حسناتك، من صلاتك، من صيامك، من حجِّك، من برِّك، مِن فعلِك الخير ، و حقوقُ العباد لا بدَّ من أدائها، فأدِّها في الدنيا لتبرأَ منها ذمّتك، أدِّها في الدنيا لتسلمَ من عقوبةِ الله، أدِّها في الدنيا لتريحَ من بعدك من الوَرَثة حتى لا تؤخَذَ أموالهم من بين أيدِيهم فيعودون فقراءَ بعدما كانوا يؤمِّلون الغِنى من الله ثم ممّا خلَّفتَ.)[3].

يقول الشيخ د . سعد الخثلان حول موضوع الدين :

أولا: استحباب الاستعاذة بالله تعالى من هذه الأمور المذكورة، وهي غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماته الأعداء، وذلك لشدة وقعها على الإنسان وعظيم أثرها، فإن غلبة الدين تُوقع الإنسان في الهم والغم والقلق النفسي، وربما توقع الإنسان في بعض الخصال المذمومة، مثل الكذب وإخلاف الوعد، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى في التشهد الأخير في كل صلاة يصليها، يقول: (اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم) المأثم يعني الإثم، المعاصي، والمغرم: الدين، فسأله سائل قال: يا رسول الله ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ قال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف، وهذا في الصحيحين، إذا غرم يعني إذا غلبه الدَّين، وهذا واقع ومشاهد، تجد بعض الناس إنسانا صالحا تقيا، لكن بسبب غلبة الدين يكذب، وبسبب غلبة الدين يُخلف الوعد، فتسبب غلبة الدين في وقوعه في خصال مذمومة، وأما غلبة

---

(١) الالباني ضعيف ابو داوود ، رقم الحديث ١٥٥٥.
(٢) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٦٩ .
(٣) د. محمد بن إبراهيم النعيم موقع طريق الاسلام ، في ٢٥ / ١١ / ٢٠٢٠ م.

العدو فكما قال الله تعالى في سورة النمل: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤))، فالعدو إذا غلب على إنسان أهانه وأذله، واحتقره وأذاقه أصنافا وألوانا من العذاب، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منه، وكان الناس في الزمن السابق يغير بعضهم على بعض، فإذا غلبت طائفة على أخرى أخذوا أموالهم وسبوا نساءهم، وكان الألم عظيما جدا، يأتون للبلد، ويسبُون، ويأخذون جميع الأموال والممتلكات التي فيه، البهائم والأغنام، جميع الممتلكات، والنساء تُسبى، فيكون الألم شديدا جدا وعظيما، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من غلبة العدو.

وأما شماته الأعداء، فإنها ألم نفسي شديد، وربما يكون ألم الشماتة أشد من المصيبة أحيانا، وبعض الناس عندما تقع له مصيبة، يقول المصيبة هينة لكن أكثر ما يهمني شماتة أعدائي بي، فالشماتة ألم نفسي شديد، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله منها.

ثانيا: أن مطلق الدين لا حرج فيه، وقد استدان النبي صلى الله عليه وسلم عدة مرات، وتُوفي ودرعه مرهونة عند يهودي، في ثلاثين صاعا من شعير، اشتراها لأهله دينا، ولكن عندما تكثر الديون على الإنسان وتثقل كاهله فهذا هو غلبة الدين، وهو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منه، وهو المغرم الذي أيضا كان يستعيذ منه.

ولهذا ينبغي للمسلم أن يستعيذ بالله من المغرم ومن غلبة الدين، وأن يبتعد عن الأسباب التي تُسبب له غلبة الدَّين، فلا يتهوّر، ويدخل في أمور فيها مخاطرة كبيرة قد توقعه في غلبة الدين، وكم من إنسان كان في سلامة وعافية ثم تهوَّر ووقع في مخاطرات، تسببت في تراكم الديون عليه، فربما حُبس بسبب ذلك، وانقطع عن أهله وأسرته، ومجتمعه، أما إذا كان الدّين يسيرا وليس غالبا، ووفاؤه قريب، فلا بأس به، ومن ذلك: أن يُولد للإنسان ولد فيستدين لأجل أن يذبح عنه عقيقة، وله دخل شهري فلا بأس بهذا، ولهذا لما سئل الإمام أحمد، قيل: (يعق الذي عليه الدَّين؟ قال: نعم، وأرجو أن يُخلف الله عليه، فإنسان مثلا له راتب أو دخل شهري لا بأس أن يستدين لأجل أن يشتري أضحية أو عقيقة، أو نحو ذلك

مادام أنه له راتبا يغطي ذلك، المهم ألا يدخل في ديون تتراكم عليه ويغلبه الدين، هذا الذي ورد ذمه، أما الديون اليسيرة أو التي يستطيع أن يسددها من غير تراكم الدين عليه ومن غير غلبة الدين عليه، فهذا لا بأس به، وكثير من التجار لا تخلو أحوالهم من ديون، معظم التجار يستدينون، لكنهم قادرون على السداد وقادرون على الوفاء.

فالاستدانة إذاً لا بأس بها بشرط ألا تؤدي إلى تراكم الديون وغلبة الدين والمغرم.

فائدة: الدَّين يُعتبر من جملة حقوق العباد، وحقوق العباد تبقى لأصحابها يوم القيامة، ما يُكفرها شيء، حتى الشهادة في سبيل الله ما تُكفرها، ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل الذي يقتل في سبيل الله هل تُكفر خطاياه؟ قال: (إن قتل وهو صابر محتسب مقبل غير مدبر دخل الجنة، قال: كفرت عنه خطاياه، ثم قال: إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك) والدائن يأخذ من حسنات المدين، لكن قال بعض أهل العلم: إنه إذا كان المدينُ عازما على السداد ، ولكنه عجز فيرجى أن الله تعالى يُعطي الدائن خيرا مما أخذ منه المدين، بسبب حسن نية هذا المدين، وأيضا عجزه عن سداد الدين، وفضل الله واسع.

لكن الدين من حيث الأصل يعني الاستدانة مذمومة ما لم تكن يسيرة ووفاؤها قريب، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يُصلي على من مات وعليه دَينٌ، حتى كثرت الفتوحات فأصبح يُسدد من بيت مال المسلمين، فينبغي للمسلم على سداد الديون وإبراء ذمته ما أمكن، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وألا يستدين أصلا إلا عند الحاجة الملحة.)[١] .

(وقد يجد بعض الأشخاص صعوبة في سداد ديونهم والتزاماتهم المالية الأخرى وقد يصل بهم الأمر إلى الوقوف عاجزين أمامها وعدم القدرة على الوفاء بها مما يؤدي بهم إلى الوقوع في مشكلات مالية أكبر وتعقيدات أعمق تمتد إلى جوانب أخرى من حياتهم مثل فقدان منازلهم أو مواجهة دعاوى قضائية. ويعود سبب ذلك في معظم الأمر إلى تبنيهم عادات وممارسات مالية غير سليمة. لذا، فإن التخطيط المالي السليم يساعدك على الوفاء بالتزاماتك المالية

---

(١) الموقع الرسمي للدكتور سعد بن تركي الخثلان .

وسداد ديونك في أوقاتها المستحقة وفي أسرع وقت ممكن لتنعم بحياة خالية من هموم الديون. وإليك ستة خطوات ستساعدك على معالجة مشكلة التعثر في سداد الديون.

١- وجود إرادة قوية :

تعد الإرادة من أهم العوامل التي تساعدك على التخطيط المالي وتنفيذ ما خطط له بنجاح مهما كانت التحديات التي تواجهها، فالجزء الأصعب هنا هو اتخاذ قرار التخلص من بعض العادات المالية الخاطئة ، لذا تحدى نفسك واجعل سداد ديونك يتصدر جميع أولوياتك لتتمكن من الوفاء بها بأسرع وقت ممكن وتستفيد من دخلك في الأمور الضرورية الأخرى وتتمكن من ادخار جزء منه للمستقبل.

٢- تجنب دفع رسوم إضافية:

تأكد دوما أن المال الذي تنفقه يعود عليك بالنفع مهما كان المبلغ بسيطا، لذا راجع مصاريفك واعرف في أي وجه تنفقها لكي تتمكن من تحديد ما هو غير ضروري ويمكنك الاستغناء عنه أو استبداله بما هو أقل تكلفة. فعلى سبيل المثال إذا أردت الحصول على تمويل من أحد المصارف أو شركات التمويل، يجب عليك المقارنة بين أسعار المنتجات التمويلية المقدمة من تلك الجهات المختلفة ومن أهمها مقارنة كلفة الأجل و معدل النسبة السنوي (APR) الذي هو معيار ألزم البنك المركزي السعودي المصارف وشركات التمويل بالإفصاح عنه لتمكين العميل من معرفة التكلفة الفعلية لمنتجات التمويل المقدمة وبالتالي قدرة العميل على اختيار الأقل تكلفة بينها.

٣- زيادة المبلغ الشهري المخصص لسداد الديون:

لتتمكن من تسديد ديونك والتخلص من عبئها بأسرع وقت، قم بزيادة المبلغ الشهري الذي خصصته لسداد الديون، خصوصا إذا كانت قروض مرتفعة التكلفة. فعند زيادة مبلغ القسط الشهري تقل مدة تسديد القرض وبالتالي عدم تكبد فوائد أكثر في حال زيادة مدة التسديد. لذلك ينصح بإعطاء الأولوية لسداد الديون مرتفعة التكلفة، أو التي يترتب عن تأخر سدادها غرامات ورسوم أكثر.

٤ – لا تكتفي بسداد الحد الأدنى للبطاقات الائتمانية :

يتساهل البعض في أمر البطاقات الائتمانية ولا يسددون إلا الحد الأدنى من المبلغ الذي يجب دفعه بالكامل، فتكبدهم فائدة على تأجيل السداد ويضطرون إلى دفع الفائدة بالإضافة إلى تسديد المبلغ المتبقي في الشهر التالي، لذلك، يجب أن تقوم بسداد المبلغ المستحق لبطاقاتك الائتمانية كاملا عند استحقاق موعد السداد حتى لا تتراكم عليك الفوائد.

٥– استعن بمستشار مالي:

في حال تغير وضعك المادي نتيجة انخفاض راتبك أو فقدانك لوظيفتك أو بلوغك سن التقاعد أو وقوعك في أزمة مالية طارئة وعدم مقدرتك على سداد ديونك والتزاماتك المالية، قم بالاستعانة بخبرات مستشار مالي معتمد لتحليل وضعك المادي وإرشادك إلى التصرف السليم في مثل هذه الظروف. ومن الجدير ذكره في هذا الشأن أن جميع المصارف في المملكة ملزمة بتقديم خدمات الاستشارة الائتمانية بلا مقابل مادي لعملاء التمويل لديها وذلك بموجب مبادئ حماية عملاء المصارف الصادرة عن البنك المركزي السعودي في عام ٢٠١٤ لمساعدة المتعثرين والأخذ بيدهم لتخطي الأزمة المالية بأقل تأثير ممكن.

٦– ابحث عن حلول وخدمات مصرفية مناسبة:

في حال تراكمت الديون عليك بسبب الاستخدام المفرط لعدة بطاقات ائتمانية أو الحصول على أكثر من منتج تمويلي في وقت واحد وعدم مقدرتك على سداد الالتزامات المالية الناشئة، ابحث عن حلول وخدمات مناسبة لوضعك المالي وحاجتك في هذه الظروف حيث تقدم المصارف حلول ومنتجات مختلفة تناسب جميع فئات وحاجات العملاء. ولا تجعل أزمتك المالية تتفاقم باتخاذ قرارات غير سليمة مثل اللجوء إلى جهات مالية غير مرخصة لسداد ديونك حيث يقوم بعض تجار الأزمات ممن يدعي سداد الديون باستغلال الغير أثناء أزماتهم المالية وتوريطهم في ديون أكبر أو إيقاعهم في عمليات احتيال غير مباشرة(١).

---

(١) البنك المركزي السعودي (ساما) ، الموقع الرسمي .

س١٨: لماذا شرع الله العزاء ؟.

ج١٨: التعزية في الإسلام -كما حددها الفقهاء- مستحبة استحباباً شديداً، أو يمكن القول بأنها سنة مؤكدة، ومنهم من قال إنها واجبة إذا ترتب عليه دفع قطيعة رحم، وهي من مكارم الأخلاق ومحاسن الإسلام، فهي تدعو للتكافل الاجتماعي، وتعاون الناس في المصائب كما أمر الإسلام المسلمين.

١- عن أسامةَ بنِ زيدٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: (كنَّا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ إذ جاءه رسولُ إحدى بناتِه يدعوه إلى ابنِها في الموتِ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ارجِعْ، فأخْبِرْها أنَّ لِلَّهِ ما أخَذَ، وله ما أعطى، وكُلُّ شيءٍ عنده بأجَلٍ مُسَمًّى، فمُرْها فَلْتَصبِرْ ولْتَحتسِبْ، فأعادتِ الرَّسولَ أنَّها أقسَمَتْ لَتَأتِيَنَّها، فقام النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وقام معه سعدُ بنُ عُبادةَ، ومعاذُ بنُ جَبَلٍ، فدُفِعَ الصبيُّ إليه ونَفْسُه تَقَعقَعُ كأنَّها في شَنٍّ، ففاضَتْ عيناه، فقال له سعدٌ: يا رسولَ اللهِ! قال: هذه رحمةٌ جعَلَها اللهُ في قلوبِ عِبادِهِ، وإنَّما يَرحَمُ اللهُ مِن عبادِه الرُّحَماءَ)[١] .

٢- عن معاويةَ بنِ قُرَّةَ، عن أبيه، قال: (كان نبيُّ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم إذا جلس يجْلِسُ إليه نفَرٌ من أصحابه، وفيهم رجلٌ له ابنٌ صغيرٌ يأتيه مِن خَلْفِ ظهرِه، فيُقْعِدُه بين يديه، فهَلَك فامتنَعَ الرَّجُلُ أن يحضُرَ الحلقَةَ لذِكْرِ ابنِه، فحَزِنَ عليه، ففَقَدَه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: مالي لا أرى فلانًا؟ قالوا: يا رسولَ الله، بُنَيُّه- الذي رأيتَه- هَلَكَ، فلَقِيَه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فسأله عن بُنَيِّه، فأخبَرَه أنَّه هَلَكَ، فعَزَّاه عليه..)[٢].

٣- عن عمرِو بنِ حزمٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: (ما من مُؤمنٍ يُعزِّي أخاه بمصيبةٍ إلَّا كَساه اللهُ من حُلَلِ الكرامةِ يومَ القيامةِ)[٣].

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٣٧٧ ، وعند الإمام مسلم برقم ٩٢٣ .

(٢) أخرجه النسائي (٢٠٨٨)، والطبراني (٣١/١٩) (٦٦)، والبيهقي (٧٣٤٠) حسن إسناده النووي في الأذكار (١٩٩)، وصححه الألباني في (صحيح سنن النسائي (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٠١) واللفظ له، وعبد بن حُميد في مسنده (٢٨٧)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥٢٩٦)، والبيهقي (٧٣٣٨). حسَّنَ إسنادَه النووي في الأذكار)(١٩٧)، وقال محمد ابن عبدالهادي في تنقيح تحقيق التعليق)(١٦٤/٢): فيه إرسال، ووثَّقَ رجالَ إسنادِه ابنُ الملقن في تحفة المحتاج (٦١٥/١)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٨٦/١):

ولأنَّ التعزيةَ مشتَمِلَةٌ على الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكَر، وهي داخلةٌ أيضًا في قوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى... (٢))[1] ، قال النووي: (وهذا أحسَنُ ما يُستَدَلُّ به في التعزيَةِ)[2] .

يقول الشيخ المنجد : (تعزية المصاب تحصل بأي وسيلة من الوسائل المشروعة ، سواء كان عن طريق الكتابة أو عن طريق الاتصال أو المشافهة أو يوكل شخصاً يقوم بالتعزية عنه ؛ لأن المقصود من التعزية هي تسلية المصاب وحمله على الصبر والرضا بما قدره الله ، ولا شك أنها تحصل بما ذُكر، ولا يشترط أن يذهب للمصاب ويعزيه مشافهة ، وإن كان هذا أكمل .

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : (كَانَ ابْنٌ لِبَعْضِ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي . أي : يحتضر . فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ ، وَلَهُ مَا أَعْطَى ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ...)[3] ، ففي الحديث دلالة على أن التعزية لا يشترط لها ذاهب المعزي بنفسه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذهب لتعزيتها ، بل أرسل إليها من يقوم مقامه ، ولم يذهب بنفسه عليه الصلاة والسلام ، مع أن المصابة من أقرب الناس إليه ، فدل ذلك على أن التعزية تحصل بأي وسيلة مشروعة .

وجاء في مطالب أولي النهى: (ومن جاءته تعزية بكتاب ؛ ردها على الرسول لفظاً ، قاله الإمام أحمد)[4].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: (وإذا أراد التعزية فيكتب لهم كتاباً أو يتصل بالهاتف أو يزورهم ، وهذا أكمل)[5] .

---

(١) سورة المائدة .
(٢) النووي ، الأذكار ، ص ١٤٨ ، نقلا عن موقع الدرر السنية .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٢٨٤ ، وعند الإمام مسلم برقم ٩٢٣ .
(٤) السيوطي ، مطالب أولي النهى ، ج١ و ص ٩٢٩ .
(٥) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٣ ، ص ٤٠٨ ، نقلا عن موقع الاسلام سؤال وجواب ، في ٢٩ / ٧ / ٢٠١٠ م.

يقول د. عبد العزيز بن إبراهيم الشبل : (عزاء المسلم للمسلم مشروع سواء أكان المعزي رجلاً أم امرأة، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم عزّى آل جعفر، وذهب إلى آل أبي سلمة، وعزى الرجل الذي كان له ابن يحبه حباً، عظيماً فتوفي فحزن عليه حزناً عظيماً، وغيرها من الأحاديث والآثار التي تدل على مشروعية التعزية في الجملة[1] ، وإنما الخلاف في حكم الاجتماع من أجل العزاء، فهل يجوز أن يجتمع المعزون عند أهل الميت، سواء أكان المعزون رجالاً أم نساء؟

بعض أهل العلم منع من الاجتماع عند أهل الميت وعده من النياحة، وقال بكراهة الجلوس للعزاء الشافعية، وعدوه من البدع، والحنابلة في المشهور عنهم، واستدلوا بأثر جرير بن عبد الله رضي الله عنه: (كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة)[2].

وبعض أهل العلم من الحنفية (وإن كان بعضهم يقول: إن الجلوس للرجال لا النساء) والمالكية، ورواية عن الإمام أحمد رخصوا في ذلك ، واستدل القائلون بالجواز بما في الصحيح: (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه قتل زيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، جلس يعرف فيه الحزن...)[3].

واستدلوا أيضاً بما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك النساء، ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت، ثم صنع ثريد، فصبت التلبينة عليها، ثم قالت: كلن منها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن)[4]. ففي حديث عائشة أن النساء كن يجتمعن عند أهل الميت.

وقالوا أيضاً: التعزية مستحبة، والجلوس وسيلة للتعزية، والوسائل لها أحكام المقاصد؛ لأنه

---

(١) انظر سنن أحمد (١٦٥٩)، وصحيح البخاري (١٢٨٤)، وصحيح مسلم (٩٢٠)، وسنن النسائي (٢٠٨٨).
(٢) رواه أحمد (٦٩٠٥)، وابن ماجه (١٦١٢). والأثر صححه النووي والشوكاني والألباني رحمهم الله..
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٢٩٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ٩٣٥ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٤١٧ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٢١٦ .

يصعب – خاصة في المدن– أن يعزي الشخص أهل الميت إذا لم يجلسوا في مكان معروف.

وأما أثر جرير بن عبد الله الذي استدل به من منع من الجلوس فقد ضعفه الإمام أحمد، وذكر أنه لا يرى لهذا الحديث أصلاً كما في سؤالات أبي داود.

وعلى فرض صحته فالممنوع هو الاجتماع مع صناعة الطعام لما فيه من التباهي وغيره من المحاذير، أما إن كانوا يجتمعون ويصنع الطعام غيرهم فليس فيه محظور.

وحتى على القول بالجواز، لا يجوز أن يصاحب ذلك بعض الأمور المحدثة، كالاجتماع لقراءة القرآن، أو تحديد هيئة أو أوقات معينة لقراءة القرآن، أو إسراف في المآدب، كما لا يجوز أن يصاحب ذلك نياحة، أوشق للجيوب، أولطم للخدود، أو سخط واعتراض على القدر، بل المطلوب من المعزين الدعاء للميت، ومواساة أهل الميت وتسليتهم لا تهييجهم.

كما أن المشروع صناعة الطعام لأهل الميت؛ لأن عندهم ما يشغلهم لا أن يصنعوا هم الطعام للناس ويجمعونهم لذلك، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم)[1].

وعلى ذلك فالمسألة اجتهادية خلافية -وإن كان الأقوى الجواز- ولا إنكار في مسائل الاجتهاد.)[2] .

يقول الشيخ صالح الفوزان : (العزاء مشروع، ولكنه لا يتوقف على الاجتماع ، والإتيان من أماكن بعيدة، وإعداد الطعام للمُجتمعين، كُل هذا مِنَ التكلّف، ومن الآصارِ وَالأَغْلالَ التي مَّا أَنزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ، يقولُ أحد الصحابة كُنّا نعدُّ الاِجْتِمَاعِ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةِ الطَّعَامِ مِن النياحة، صحابة رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كانوا يعدونَّ هذا مِنَ النياحة، والنياحَة مُحرّمة، وهي مِن خِصال الجاهلية، والعزاء معناهُ أن تدعو للمُصاب، تقول (جَبَرَ اللهُ مُصيبَتَك)، وأن تدعو للميت (وغَفَر لِميتِك)، (أَحْسَنُ اللهُ عَزَاءَك، وغَفَر لِميتِك

(١) أخرجه أبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨)، وابن ماجه (١٦١٠).
(٢) د. عبد العزيز بن إبراهيم الشبل، خزانة الفتاوى » كتاب الصلاة » كتاب الجنائز » التعزية الاثنين ٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٧ الموافق ١٩ يونيو ٢٠٠٦

، وجَبَرَ اللهُ مُصيبتَك) هذه هي صيغةُ العزاء. وأما إعداد أهل الميت الطعام فهذا بِدعَة، والواجِب العَكس أنَّ الناس يُعِدونَ الطعام بِقدرِ حاجةِ أهل الميت، ويُقدمونهُ لهم بقدرِ حاجتهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما جاءَ نَعيُّ جعفر بن أبي طالِب- رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُ- قالَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأهلهِ اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإنهم أَتَاهُمْ مَا يُشْغِلُهُمْ فيُصنَع طعام مِن غيرِ أهل الميت، يُصنَع طعام لأهلِ الميت بقدرِ حاجتهم، ولا يُصنَع طعام يُقدّم للمجتمعين، الذين يبقون ثلاثة أيام مجتمعين ويكلفون المصابين بخدمتهِم واستقبالِهِم، واستقبال الذين يأتونَّ إليهم، كل هذه ما أنزل اللهُ بها من سُلطان، والتعزيّة مُيسرّة، إذا لقيتَ المصاب في المقبرَة، أو في المكتب، أو في المسجد تُعزيه، تقول أحسن الله عزاءَك وجَبَرَ اللهُ مُصيبتَك وغَفَرَ لميتِك، أو تتصل عليهِ بوسائِل الإتصال من جوالٍ وتلفونٍ وغير ذلك، وتُعزيهِ بذلك، ولا حاجة إلى الإجتماع وإلى الوفود وإلى وإلى .)[1] .

يقول الشيخ المنجد حول هذا الموضوع ننقل منه مختصرا عن التعزية ، وفيه بعض التكرار لما سبق :

المقصود من الاجتماع للتعزية : أن يجلس أهل الميت ويجتمعوا في مكان معين ، بحيث يقصدهم فيه من أراد العزاء ، سواء اجتمعوا في بيت أهل الميت ، أو في تلك السرادقات التي يقيمونها لهذا الشأن وغيره ، وهذه المسألة من مسائل الخلاف المعتبر بين أهل العلم ، وللعلماء فيها اتجاهان :

الاتجاه الأول :لا يرى الاجتماع لأجل العزاء ، وأن هذا الاجتماع مكروه ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة وكثير من المالكية ، وصرح بعضهم بالتحريم ، وأقوى ما استدلوا به القائلون بالكراهة أمران :

١- أثر جرير بن عبد الله قَالَ : (كُنَّا نَعُدُّ الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ ، وَصَنِيعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ : مِنْ النِّيَاحَةِ)[2].

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ د. صالح الفوزان .
(٢) رواه أحمد (٦٨٦٦) ، وابن ماجه (١٦١٢) .

٢- أن هذا الأمر لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ، فهو من المحدثات ، وفيه مخالفة لهدي السلف الصالح ، الذين لم يجلسوا ويجتمعوا للعزاء ، قال الإمام الشافعي: (وَأَكْرَهُ الْمَأْتَمَ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بُكَاءٌ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجَدِّدُ الْحُزْنَ ، وَيُكَلِّفُ الْمُؤْنَةَ مَعَ مَا مَضَى فِيهِ مِنْ الْأَثَرِ)[١] .

قال النووي : (أَمَّا الْجُلُوسُ لِلتَّعْزِيَةِ ، فَنَصَّ الشَّافِعِيُّ وَالْمُصَنِّفُ وَسَائِرُ الْأَصْحَابِ عَلَى كَرَاهَتِهِ ... قَالُوا : بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْصَرِفُوا فِي حَوَائِجِهِمْ ، فَمَنْ صَادَفَهُمْ عَزَّاهُمْ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فِي كَرَاهَةِ الجلوس لها ... .)[٢].

وقال المرداوي : (وَيُكْرَهُ الْجُلُوسُ لَهَا ، هَذَا الْمَذْهَبُ ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَصْحَابِ ، وَنَصَّ عَلَيْهِ)[٣].

وقال أبو بكر الطُرطوشي : (قال علماؤنَا المالكيون : التصدي للعزاء بدعةٌ ومكروه ، فأَما إن قعد في بيته أَو في المسجد محزوناً من غير أن يتصدى للعزاء ؛ فلا بأس به ، فإنه لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم نعيُّ جعفر ؛ جلس في المسجد محزوناً ، وعزاه الناس)[٤].

وبهذا القول يفتي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حيث يقول : (بالنسبة لأهل الميت لا يشرع لهم الاجتماع في البيت وتلقي المعزين ؛ لأن هذا عدَّه بعض السلف من النياحة ، وإنما يغلقون البيت ، ومَن صادفهم في السوق أو في المسجد عزَّاهم)[٥]، فلا يرى حرجاً من الاجتماع والجلوس للتعزية إذا خلا المجلس من المنكرات والبدع ، ومن تجديد الحزن وإدامته ، ومن تكلفة المؤنة على أهل الميت ، وهو قول بعض الحنفية وبعض المالكية وبعض الحنابلة[٦].

وأما الاتجاه الآخر : قال ابن نُجيم الحنفي : (وَلَا بَأْسَ بِالْجُلُوسِ إلَيْهَا ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ مِنْ فَرْشِ الْبُسُطِ وَالْأَطْعِمَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ)[٧]، وهذا القول رواية عن الإمام أحمد ،

---

(١) الإمام الشافعي ، الأم ، ج١ ، ص ٣١٨ .
(٢) النووي ، المجموع ، ج٥ ، ص ٣٠٦ .
(٣) المرداوي ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٥٦٥ .
(٤) الطرطوشي ، الحوادث والبدع ، ص ١٧٠ .
(٥) الشيخ ابن عثيمين ، مجموع الفتاوى ، ج٧ ، ص ١٠٣ .
(٦) ، ينظر : "البحر الرائق" (٢٠٧/٢) ، "مواهب الجليل" (٢٣٠/٢) .
(٧) ابن نجيم ، البحر الرائق ، ج٢ و ص ٢٠٧ .

نقلها حنبل والخلال .

قال المرداوي : (وَعَنْهُ : الرُّخْصَةُ فِيهِ ؛ لِأَنَّهُ عَزَّى وَجَلَسَ ، قَالَ الْخَلَّالُ : سَهَّلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْجُلُوسِ إلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ...، وَعَنْهُ : الرُّخْصَةُ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ ، نَقَلَهُ حَنْبَلٌ وَاخْتَارَهُ الْمَجْدُ – ابن تيمية – .وَعَنْهُ : الرُّخْصَةُ لِأَهْلِ الْمَيِّتِ وَلِغَيْرِهِمْ ، خَوْفَ شِدَّةِ الْجَزَعِ)[١]، وقال ابن عبد البر: (وأرجو أن يكون أمر المتجالسة في ذلك خفيفاً)[٢] ، واختار هذا القول من العلماء المعاصرين : الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى[٣] .

وأقوى ما استدل به القائلون بالجواز :

١- حديث عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا ، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتْ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : كُلْنَ مِنْهَا ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزْنِ)[٤] . التلبينة : هي حساء يعمل من دقيق ونخالة ، وربما جعل معه عسل ، وسميت به تشبيها باللبن ، لبياضها ورقتها، و هذا الحديث فيه الدلالة الواضحة على أنهم كانوا لا يرون في الاجتماع بأساً ، سواء اجتماع أهل الميت ، أو اجتماع غيرهم معهم .

٢- وعَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : (لَمَّا مَاتَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ اجْتَمَعَنْ نِسْوَةُ بَنِي الْمُغِيرَةِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ ، فَقِيلَ لِعُمَرَ: أَرْسِلْ إِلَيْهِنَّ فَانْهَهُنَّ ، لاَ يَبْلُغُك عَنْهُنَّ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ .فَقَالَ عُمَرُ : وَمَا عَلَيْهِنَّ أَنْ يُهْرِقْنَ مِنْ دُمُوعِهِنَّ عَلَى أَبِي سُلَيْمَانَ ، مَا لَمْ يَكُنْ نَقْعٌ ، أَوْ لَقْلَقَةٌ)[٥]، وَالنَّقْعُ: التُّرَابُ عَلَى الرَّأْسِ ، وَاللَّقْلَقَةُ : الصَّوْتُ ، أي ما لم يرفعن أصواتهن أو يضعن التراب على رؤوسهن.

---

(١) المرداوي ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٦٥٦ .
(٢) ابن عبد البر ، الكافي ، ج١ ، ص ٢٨٣ .
(٣) انظر في "مجموع الفتاوى" (٣٧٣/١٣) - ، وهو ترجيح الشيخ محمد المختار الشنقيطي في "سلسلة دروس شرح الزاد
(٤) رواه البخاري (٥٤١٧) ، ومسلم (٣٢١٦).
(٥) رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (٣/ ٢٩٠) ، وعبد الرزاق الصنعاني (٣/ ٥٥٨) بسند صحيح.

وأجاب هؤلاء عن أثر جرير بن عبد الله بجوابين :

الأول :أن الراجح فيه أنه ضعيف[1] ، غير أن في الحديث علة خفية بينها الحفاظ والنقاد ، هي تدليس هشيم بن بشير ، فإنه على ثقته كان كثير التدليس والإرسال ، وأحيانا عن الضعفاء والمجاهيل .

يقول الحافظ الذهبي : (لا نزاع في أنه كان من الحفاظ الثقات ، إلا أنه كثير التدليس ، فقد روى عن جماعة لم يسمع منهم)[2] .

ولذلك أعل بعض الحفاظ المتقدمين حديث جرير هذا بتدليس هشيم فيه :قال أبو داود : ذَكَرْتُ لِأَحْمَدَ حَدِيثَ هُشَيْمٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ قَيْسٍ ، عَنْ جَرِيرٍ: (كُنَّا نَعُدُّ الِاجْتِمَاعَ عِنْدَ أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَامِ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ)، قال : زعموا أنه سمعه من شريك ، قَالَ أَحْمَدُ: وَمَا أُرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ أَصْلاً"[3].

وجاء في (العلل) للدار قطني ما يشعر باحتمال تدليس هشيم له[4] ، فإن كان المدلَّس هو شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي فهي رواية ضعيفة ، فإنه ضعيف الحديث عند عامة المحدثين ، ومثله لا يقبل تفرده بحديث ينبني عليه حكم شرعي بالتحليل أو التحريم .

ولقد تابعه نصر بن باب كما في مسند أحمد[5] ، غير أن نصراً هذا جاء في ترجمته في (تعجيل المنفعة): قال البخاري : يرمونه بالكذب ، وقال ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال علي بن المديني : رميتُ حديثه ، وقال أبو حاتم الرازي : متروك الحديث ، وقال أبو خيثمة زهير بن حرب : كذاب)[6]، فلا تقوى متابعته على تحسين رواية شريك ، بل هناك احتمال قوي

---

(١) أعله الإمام أحمد ، والدار قطني ، فهذا الاثر رواه أحمد بن منيع في "مسنده" ، وابن ماجه في "السنن" (١٦١٢) ، والطبراني في "المعجم الكبير" (٣٠٧/٢) من طريق هُشيم عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير به ، وهذا سند ظاهره الصحة ، فإن رواته أئمة حفاظ ثقات ، لذلك صححه جماعة من أهل العلم كالنووي في "المجموع" (٣٢٠/٥) ، وابن كثير في "إرشاد الفقيه" (٢٤١/١) ، والبوصيري في "مصباح الزجاجة" (٢٨٩/١) ، والشوكاني في "نيل الأوطار" (١٤٨/٤) ، والشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٢٦/١١) ، والألباني في "أحكام الجنائز" (ص/٢١٠) ، وكذا محققو مسند أحمد (٥٠٥/١١) وغيرهم .

(٢) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ٢٤٩ .

(٣) أبو داوود ، مسائل الإمام أحمد ، ص ٣٨٨ .

(٤) الدار قطني ، العلل ، ج١٣ ، ص ٤٦٢ .

(٥) الإمام أحمد ، المسند ، رقم ٦٩٠٥ .

(٦) ابن حجر ، تعجيل المنفعة ، ص ٤٢٠ .

بأن المدلَّس في رواية هشيم هو نصر بن باب نفسه وليس شريكاً .

والخلاصة : أن قول جرير بن عبد الله البجلي لم يثبت من طريق صحيح ، والرواية المشهورة معلة بالتدليس[1] .

الثاني :على القول بصحته فالمقصود منه : الاجتماع الذي يكون فيه صنعٌ للطعام من أهل الميت لإكرام من يأتيهم ومن يجتمع عندهم ، ولذلك نص في الأثر على الأمرين : (كُنَّا نَعُدُّ الِاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ ، وَصَنِيعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ : مِنْ النِّيَاحَةِ) ، فاجتماع هذين الوصفين معاً ، هو الذي يعد من النياحة ، قال الشوكاني: " يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعُدُّونَ الِاجْتِمَاعَ عِنْدَ أَهْلِ الْمَيِّتِ بَعْدَ دَفْنِهِ وَأَكْلَ الطَّعَامِ عَنْدَهُمْ نَوْعًا مِنْ النِّيَاحَةِ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ التَّثْقِيلِ عَلَيْهِمْ وَشَغْلِهِمْ مَعَ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شُغْلَةِ الْخَاطِرِ بِمَوْتِ الْمَيِّتِ وَمَا فِيهِ مِنْ مُخَالِفَةِ السُّنَّةِ ؛ لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِأَنْ يَصْنَعُوا لِأَهْلِ الْمَيِّتِ طَعَامًا فَخَالَفُوا ذَلِكَ وَكَلَّفُوهُمْ صَنْعَةَ الطَّعَامِ لِغَيْرِهِمْ[2] ، وقال الشيخ ابن باز : " المقصود أن كونهم يجمعونهم ليقرؤوا ويأكلوا هذا لا أصل له، بل هي من البدع ، أما لو زارهم إنسان يسلم عليهم ، ويدعو لهم ويعزيهم ، وقرأ في المجلس قراءة عارضة ليست مقصودة ، لأنهم مجتمعون فقرأ آية أو آيات لفائدة الجميع ونصيحة الجميع فلا بأس ، أما أن أهل الميت يجمعون الناس أو يجمعون جماعة معنية ليقرؤوا أو يطعموهم أو يعطوهم فلوساً ، فهذا بدعة لا أصل له)[3]" .

وأما القول بأن الاجتماع للعزاء لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فهو من البدع المحدثة ، **فيجاب عنه** :بأن الاجتماع للعزاءِ من العادات ، وليس من العبادات ، والبدع لا تكون في العادات ، بل الأصل في العادات : الإباحة ، ثم إن التعزية أمر مقصود شرعاً ، ولا وسيلة لتحصيلها في مثل هذه الأزمنة إلا باستقبال المعزين ، والجلوس لذلك ، فإن ذلك مما يعينهم على أداء السنة .

---

(١) ظافر آل جبعان ، التجلية لحكم الجلوس للتعزية ، ص ٢٧ .
(٢) الشوكاني ،نيل الأوطار ، ج٤ ، ص ١١٨ .
(٣) ابن باز ، فتاوى نور على الدرب ، ج١٤ ،ص ٢٠٢ .

وقد سئل الشيخ ابن باز عن استقبال المعزين والجلوس للتعزية ، فقال : (لا أعلم بأساً فيمن نزلت به مصيبة بموت قريب ، أو زوجة ، ونحو ذلك ، أن يستقبل المعزين في بيته في الوقت المناسب ؛ لأن التعزية سنة ، واستقبال المعزين مما يعينهم على أداء السنة ؛ وإذا أكرمهم بالقهوة ، أو الشاي ، أو الطيب ، فكل ذلك حسن)[1].

وقال الشيخ صالح آل الشيخ : (والذي رأيناه من علمائنا في هذا البلد وفي غيره حتى علماء الدعوة من قبل أنهم كانوا يجلسون ؛ لأنه لا تكون المصلحة إلا بذلك ، إذا فات ذلك فاتت سنة التعزية)[2].

وحتى على القول بالكراهة ، فإن الكراهة تزول عند وجود الحاجة كما هو معلوم عند العلماء ، ولا شك أن الجلوس للتعزية تشتد لها الحاجة في هذا الزمن لما فيها من تيسير على المعزين ورفع للحرج عنهم ، فقد يكون أبناء الميت وأقاربه في أصقاع مختلفة أو في نواح متباعدة داخل المدينة الواحدة مما يصعب فيه على من أراد التعزية التنقل بينهم .

وقد علل بهذا التعليل الشيخ عبد العزيز بن باز حينما سئل عن حكم الجلوس للتعزية، فأجاب بالجواز قائلاً : (إذا جلسوا حتى يعزيهم الناس فلا حرج إن شاء الله حتى لا يتعبوا الناس ، لكن من دون أن يصنعوا للناس وليمة) [3] .

وقال الشيخ محمد المختار الشنقيطي : (كان السلف يمنعون ذلك ، وكان الإمام مالك رحمة الله عليه يشدد في ذلك كثيراً ويمنع منه ، وعلى ذلك درج فعل السلف ، لكن أفتى المتأخرون من العلماء والفقهاء أنه لا حرج في هذه العصور المتأخرة ، والسبب في ذلك : أن العصور المتقدمة كان الناس قليلين ، ويمكنك أن ترى آل الميت في المسجد ، وأن تراهم في الطريق ، وأن تراهم في السابلة وتعزي ، وكان الأمر رِفقاً ، بل قل أن يموت ميت إلا وعلم أهل القرية كلهم وشهدوا دفنه ، فكان العزاء يسيراً ، لكن في هذه الأزمنة اتسع العمران ،

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، ج١٣ ، ص ٣٧٣ .
(٢) الموقع الرسمي للشيخ صالح آل الشيخ .
(٣) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج١٣ ، ص ٣٨٢ .

وصعُب عليك أن تذهب لكل قريب في بيته ، ويحصل بذلك من المشقة ما الله به عليم ، وفيه عناء ؛ لذلك لو اجتمعوا في بيت قريبٍ منهم كان أرفق بالناس وأرفق بهم ، وأدعى لحصول المقصود من تعزية الجميع والجبر بخواطر الجميع ؛ ولذلك أفتوا بأنه لا حرج -في هذه الحالة- من جلوسهم ، ولا يعتبر هذا من النياحة ، بل إنه مشروع لوجود الحاجة له)[1] .

وكثير من العلماء إنما أنكر الاجتماع لما يحدث فيه غالباً من البدع والمنكرات ، وأما مع الخلو من ذلك ، فلا حرج فيه .

قال شمس الدين المنبجي الحنبلي : (إن كان الاجتماع فيه موعظة للمعزَّى بالصبر والرضا وحصل له من الهيئة الاجتماعية تسلية بتذاكرهم آيات الصبر ، وأحاديث الصبر والرضا ، فلا بأس بالاجتماع على هذه الصفة ، فإن التعزية سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن على غير الصفة التي تفعل في زماننا من الجلوس على الهيئة المعروفة اليوم ، لقراءة القرآن ، تارةً عند القبر في الغالب ، وتارةً في بيت الميت ، وتارة في المجامع الكبار ، فهذا بدعة محدثة ، كرهها السلف)[2].

والخلاصة : أن مسألة الجلوس الخالي من المنكر وتهييج الأحزان مسألة دار فيها الخلاف ، وهي محل نظر، والأمر فيها واسع ، وأما مع وجود المنكرات والبدع فممنوعة ، وأما مع الخلو منها ، فأدلة القول الثاني – وهو القول بالجواز – أصح إسناداً ، وأظهر دلالةً ، وأما أدلة المنع فهي آثار ضعيفة ، ليس منها شيء صريح الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما أن دلالتها محتملة ، إذ يبدو أن المنع فيها ليس عن الجلوس للتعزية المجردة ، بل عن تكلف أهل الميت للناس بصنع الطعام وقد جاءهم ما يشغلهم بالمصيبة .

ثم لا يخفى أن القول بالجواز هو الأقرب إلى اليسر ورفع الحرج ، وخاصة مع اختلاف الزمان وتنوع مشاغل الناس ، مما اضطرهم إلى اتخاذ بعض الأعراف التي تساعدهم على تنظيم

---

(١) الشنقيطي ، سلسلة دروس شرح الزاد، ج١٦ ، ص ٨٦ .
(٢) المنبجي ، تسلية أهل المصائب ، ص ١٢١ .

أمور حياتهم ، ومنها اجتماع أهل الميت لتلقي مواساة الناس وتعزيتهم في بداية هذه المصيبة ، فلا يضطر المعزون إلى التفتيش عن أهل المتوفى واحدا واحدا في أماكن عملهم أو مساجدهم أو حتى بيوتهم ، ولا يلجؤون إلى ترك أعمالهم أياما كثيرة لإدراك ذلك مع بعد المسافات واختلاف الظروف والأوقات .

فلو لم يكن في القول بالجواز إلا رفع المشقة والحرج عن الناس لكان كافياً في ترجيحه ، فكيف وقد عضدته الأدلة الصريحة الصحيحة [1].

س١٩: لماذا كان بيت العنكبوت أوهن البيوت؟

ج١٩ : يقول الدكتور صلاح رشيد : قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ(٤٣))[1] واستوقفني كثيرا قوله تعالى: (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ العَنكَبُوتِ) ثم رجعت إلى كتب التفسير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري/ مختصر تفسير القرطبي للقرطبي، تفسير ابن كثير لابن كثير، تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، فتح القدير للشوكاني، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، صفوة التفاسير للصابوني، تفسير أبر السعود للعمادي، فتح البيان في مقاصد القرآن للقنوجي البخاري، زاد المسير في علم التفسير للجوزي، الضوء المنير على التفسير للصالحي، تنوير الأذهان عن تفسير روح البيان للبروسوي وتفسير القرآن العظيم للقرشي الدمشقي) ووجدت أنها أجمعت على أن المقصود ببيت العنكبوت في هذه الآيات هو البيت المادي بمعنى المسكن الذي تتخذه العنكبوت سكنا لها، وقد وصفت كتب التفسير هذا البيت:

١- يقول الطبري :لا يغني عنها شيئا .

٢- يقول القرطبي :هو أضعف البيوت لا يقيها حرا ولا بردا .

---

(١) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال و جواب ، رقم السؤال ٢١٥٠١٦ في ١٣ / ١ / ٢٠١٤ م.

(٢) سورة العنكبوت .

٣- يقول ابن كثير : ضعيف ووهن.

٤- يقول ابن حيان الأندلسي : ضعيف .

٥- يقول الشوكاني : لا بيت أضعف منه.

٦- يقول السعدي : من أضعف البيوت .

٧- يقول الصابوني : أضعف البيوت لتفاهته وحقارته .

٨- يقول العمادي : لا يرى شيء يدانيه في الوهن .

٩- يقول القنوجي البخاري :لا بيت أضعف منه ولا أوهن .

١٠- يقول الصالحي :أوهن البيوت وأضعفها .

١١- يقول البروسوي : لا بيت أوهن منه فيما تتخذه الهوام .

غير أن العلم الحديث يثبت أن نسيج العنكبوت هو من أقوى الأنسجة الطبيعية وأن صلابته تزيد على صلابة الحديد الصلب حتى سمي بالصلب الحيوي، وأن بيت العنكبوت – المسكن – هو من أقوى البيوت المعروفة من ناحية متانة نسجه الذي يستطيع أن يقاوم الرياح العاتية، ويمسك في نسجه فرائس العنكبوت فلا تستطيع منه فكاكا ،ولإيماني المطلق أن الحقائق العلمية لا يمكن أن تتعارض مع ما ذكر في القرآن الكريم فإن تعارضت فلا شك أن ما أثبته القرآن هو الحق وأن العلم البشري قد جانب الحقيقة، فقد رجعت إلى القرآن الكريم وكتب التفسير وقواميس ومعاجم اللغة العربية وللحقائق العلمية عن العنكبوت وبيته ومعيشته وعلاقاته الاجتماعية لأرى إن كان المقصود بالآيات يختلف عن ما ذهبت إليه كتب التفسير ،وكان منهجي في البحث أن قمت بتحديد المواقع التي ذكرت بها كلمة (أولياء) في القرآن الكريم لأرى بين من تكون الولاية، وهل ذكرت الأصنام والأوثان في أي آية على أنهم يتخذون أولياء، ثم بحثت عن معنى كلمة أولياء ومعنى الولاية في القواميس والمعاجم العربية، وبعد ذلك بحثت عن معنى كلمة (بيت) في القواميس والمعاجم العربية لأرى هل استعمل العرب كلمة بيت بمعنى آخر غير المعنى الدارج وهو المسكن ليكون هو المقصود بكلمة بيت في هذا المثل الذي ضربه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة العنكبوت. ثم بحثت في الحقائق

العلمية عن نسيج وبيت أو (مسكن) العنكبوت لأرى مدى قوة هذا النسيج وهذا المسكن وهل هو بحق أضعف المساكن كما ذهبت إلى ذلك كتب التفسير؟ ثم بحثت في العلاقات الاجتماعية للعناكب لأرى نوع العلاقة بين ذكور العناكب وإناثها وصغارها وهم آل البيت الواحد حيث تطلق العرب كلمة بيت أيضًا على الزوجة والأولاد ،ثم ربطت نتائج ما سبق بعضها ببعض لأرى إذا كان هناك احتمال تفسير آخر للآيات على ضوء ما وجدته.

نتائج البحث:

١- كلمة أولياء في القرآن الكريم: وردت كلمة أولياء في القرآن الكريم ثلاثًا وثلاثين مرة، وقد ورد ذكر الأولياء في عشرين موقعا على أنهم: الكافرون، الذين كفروا، المنافقون، اليهود والنصارى، الذين أوتوا الكتاب، الشياطين، إبليس وذريته، الظالمون والذين هادوا. وكذلك الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا، والآباء والإخوان من الكفار، والمؤمنون والمؤمنات، وعباد الله الصالحين، ولم ينص في أية آية على أن الأولياء من الأصنام أو الأوثان .

٢- معنى كلمة (أولياء) ومعنى الولاية في القواميس والمعاجم العربية:

أ- القاموس المحيط: الولي: هو المحب والصديق والنصير.

ب- لسان العرب: الولي: هو الناصر ، والولاية تعني النصرة قال ابن كثير: وكأن الولاية تشعر بالتدبر والقدرة والفعل.

٣- معنى كلمة (بيت) في القواميس والمعاجم العربية: كلمة بيت لها استعمالات كثيرة في اللغة العربية فتعني (بيتًا من الشِّعر) وتعني أيضًا (المسكن، وفرش البيت، والكعبة، والقبر) وتطلق الكلمة أيضًا على (امرأة الرجل وعياله) كما ورد في المعاجم التالية:

أ- المعجم الوسيط: بيت الرجل: امرأته وعياله.

ب- لسان العرب المحيط: بيت الرجل: امرأته ، قال الشاعر:

ألا يا بيت، بالعليـاء بيت ولولا حب أهلك ما أتيت

و قال الشاعر:

ما لي، إذا أنزعها صأيت أكبر غيّرني أم بيت

ت- القاموس المحيط: البيت: عيال الرجل.

ث- الصحاح: البيت: عيال الرجل

٤- الحقائق العلمية عن نسيج العنكبوت ومسكنه: تتكون خيوط العنكبوت الحريرية من بروتين يتم تصنيعه في غدد الحرير. والحرير المنتج قوي جدًّا ومتانته أشد من متانة الحديد الصلب وهو قابل للتمدد لضعفي طوله قبل أن ينقطع[١] ، وهو يعد من أقوى أنواع الألياف الطبيعية على الإطلاق.

وشبكة العنكبوت من القوة بمكان حتى إنها تستطيع إيقاف نحلة يزيد حجمها عن حجم العنكبوت مرات عديدة وهي تطير بسرعة ٣٢ كلم في الساعة بدون أن تتأثر أو تتمزق (تقرير نكسيا) وتقوم شركة كندية حاليًّا بإنتاج نسيج العنكبوت لتصنع منه خيوطا طبية وحبالا لصيد الأسماك وألبسة واقية من الرصاص[٢] ، وقد قام سكان جزر السلمون قديما بصنع شباك صيد الأسماك من خيوط العنكبوت.

ومما سبق يتضح أن بيت العنكبوت بمعنى السكن هو بحق من أقوى بيوت المخلوقات المعروفة إن لم يكن أقواها.

٥- الحقائق العلمية عن معيشة العناكب وعلاقاتها الاجتماعية:

أ- العناكب أمّة من الأمم ويوجد في العالم أكثر من ثلاثين ألف نوع من العناكب تتفاوت في الأحجام والأشكال ونمط المعيشة ويغلب عليها المعيشة الفردية والعدائية لبعضها بعضًا، ولا يوجد إلا أنواع قليلة جدًّا تعيش في جماعات.

ب- الإناث أكبر حجمًا من الذكور.

ت- الزوجان من العناكب يلتقيان في الغالب وقت التزاوج فقط ويقوم الذكر قبل الجماع برقصات وطقوس معينة أمام الأنثى يقصد منها الحد من الغريزة العدوانية لدى

---

(١) راجع كتاب : الحشرات في القرآن والأحاديث النبوية والتراث الشعبي الكويتي للدكتورة وسيمة الحوطي.
(٢) تقرير نكسيا يناير ٢٠٠٢م

الأنثى، وعند انتهاء عملية التلقيح يغادر الذكر في الغالب عش الأنثى خوفًا من أن تقوم بقتله.

ث- قتل الذكر بعد الانتهاء من عملية التلقيح يحدث بين كثير من أنواع العناكب وأكثرها شهرة عنكبوت الأرملة السوداء التي سميت بذلك لأن الأنثى تقتل ذكرها بعد انتهائه من عملية التلقيح. أما بعض أنواع العناكب فتترك الأنثى الذكر ليعيش في العش بعد عملية التلقيح ليقوم الأبناء بقتله وأكله بعد أن يخرجوا من البيض.

ج- وفي أنواع أخرى تقوم الأنثى بتغذية صغارها حتى إذا اشتد عودهم قتلوا أمهم وأكلوها.

ومما سبق يتضح أن البناء الاجتماعي والعلاقات الأُسرية في بيت العنكبوت تتصف بأنها مبنية على مصالح مؤقتة حتى إذا انتهت هذه المصالح انقلب الأفراد أعداء وقام بعضهم بقتل بعض، فهذه أنثى العنكبوت تسمح للذكر بدخول عشها لوجود مصلحة التلقيح حتى إذا قضت أربها منه انقلبت عليه وقامت بقتله وأكله، وأخرى تقدم زوجها طعاما لأولادها، وفي نوع آخر يأكل الصغار أمهم أول ما تقوى أعوادهم.

وهذا العداء الشديد الذي يتجلى فقط بعد انقضاء المصالح، وهذه العلاقات الهشة الضعيفة بين أفراد بيت العناكب يجعل هذا البيت بحق أَوْهَى بيوت المخلوقات المعروفة.

ذهبت كتب التفسير إلى أن المقصود بالمثل في الآية (٤١) من سورة العنكبوت هو أن مثل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ونفعهم ورزقهم عند حاجتهم إليهم ويتمسكون بهم في الشدائد كمثل العنكبوت في ضعفها اتخذت بيتا ضعيفا لا يغني عنها شيئا عند حاجتها إليه (الطبري وابن كثير وآخرون). وذهب بعض المفسرين إلى أن الأولياء المقصودين هنا هم الأصنام والأوثان (زاد المسير في علم التفسير للجوزي)، وبمراجعة المواضع التي ذكرت بها كلمة أولياء في القرآن الكريم نجد أن الآيات نصت على ذكر الأولياء في أغلب المواضع (٢٠ من أصل ٣٣) على أنهم من الأحياء، كما فصل سابقا ولم تنص أي من آيات القرآن الكريم على أن الأولياء يكونون من الأوثان والأصنام، وهذا يتوافق على معنى كلمة

أولياء ومعنى الولاية، كما وردت في لغة العرب حيث تعني الولاية النصرة وهي تشعر بالتدبر والقدرة والفعل، والولي هو المحب والصديق والنصير، وهذه الأفعال والتصرفات لا تصدر عن جماد.

وبمراجعة الحقائق العلمية الحديثة عن نسيج العنكبوت ومسكنه نجد أن العلم الحديث يظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن نسيج العنكبوت يعد من أقوى الأنسجة الطبيعية حيث يتصف بالمرونة والصلابة التي تفوق صلابة الحديد الصلب وأن بيت العنكبوت المادي بمعنى المسكن يعد من أقوى المساكن حيث يستطيع إيقاف نحلة تفوق حجم العنكبوت مرات عديدة وتطير بسرعة فائقة بدون أن يصيبه تلف أو تمزق.

وعلى ذلك فإني أرى . والله أعلم . أنه من غير الراجح أن المقصود ببيت العنكبوت الذي وصفه القرآن بأنه أوهن البيوت هو شبكة العنكبوت التي يتخذها سكنا ومصيدة لفرائسه. بل لعل المقصود ببيت العنكبوت . والله أعلم . أسرة العنكبوت التي هي بحق أَوْهَى الأسر ترابطا وتآلفا، كما بيّنّا. وقد ذكرنا أن العرب استخدمت كلمة (بيت) بمعنى امرأة الرجل وعياله. وقد أثبت العلم الحديث أن العلاقة الأسرية بين العناكب علاقة تحكمها المصلحة حتى إذا انقضت المصلحة انقلبوا أعداء يقتل بعضهم بعضا كما فصّل سابقا، ولا تجتمع هذه الخصال السيئة والعلاقات الهشة في أي بيت لمخلوق آخر مما يجعل بيت العنكبوت بمعنى المرأة والأولاد هو أوهن بيوت المخلوقات قاطبة.

وإذا قبلنا أن المقصود في الآية الكريمة هذا المعنى للبيت، أي بمعنى العلاقات الأسرية، فإن وصف القرآن الكريم له بأنه أوهن البيوت يتطابق مع ما بينه الله تعالى لعباده من خلال ملاحظات العلم الحديث لحياة العناكب. ويكون وجه الشبه في المثال المضروب في القرآن الكريم واضحا جدًّا حيث إن الذين يتخذون من دون الله أولياء إنما يتخذونهم لمحاولة تحقيق مصالح دنيوية حتى إذا تحققت هذه المصالح انقلبوا أعداء، إما في الدنيا أو في الآخرة، يقول تعالى: (الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ(٦٧))[١] وهذه العلاقة المؤقتة والمصلحة الآنية تنطبق على العنكبوت وأهل بيته كما ذكرنا.

ومن ناحية أخرى: إذا نظرنا إلى وجه الشبه في المثل المضروب بين الذين اتخذوا من دون الله أولياء . وأوليائهم وبين العنكبوت وبيتها بمعنى المسكن، نجد أن الفرق كبير فالعلاقة بين الذين اتخذوا من دون الله أولياء وأوليائهم هي علاقة بين أحياء وهي علاقة محبة وصداقة ونصرة وذلك تحقيقا لمعنى الولاية. أما العلاقة بين العنكبوت وبيتها المادي بمعنى المسكن فهي علاقة بين كائن حي وجماد فلا تتحقق الولاية بمعنى الصداقة والنصرة لعدم قدرة الجماد على التدبر والقدرة والفعل ، وتتجلى في هذه الآيات صورة من صور الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فهذه الحقائق عن بيوت وحياة العناكب لم يتم اكتشافها إلا حديثا وهي تصف بدقة واقع حال بيت العناكب على أنها أوهن البيوت حيث أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة قبل أكثر من ألف سنة من اكتشافها ، وعند النظر إلى آخر الآية المذكورة نجد أنها ختمت بقوله تعالى (لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ) وهذا يوحي بأنهم لم يكونوا يعلمون المقصود لأن هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة للبشر وقت نزول القرآن الكريم.

وفيما يمكن أن يؤخذ على أنه إيحاء آخر على أن المقصود بالمثل يختلف عن المعنى الظاهر ما جاء في الآية التي تلي المثل وهي قوله تعالى: (وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ(٤٣))[٢] ، جعلنا الله وإياكم منهم[٢].

س٢٠: لماذا قال الله تعالى عن النار وان منكم الا واردها؟.

ج٢٠ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (هذه الآية الكريمة فسرها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي قوله تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١))[٤] يعني: النار، (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا(٧٢))[٥]، فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الورود المرور والعرض عليها، هذا هو الورود، يعني: مرور المسلمين عليها إلى الجنة ولا يضرهم

---

(١) سورة الزخرف .
(٢) سورة العنكبوت .
(٣) مجلة رابطة العالم الإسلامي .
(٤) سورة مريم .
(٥) سورة مريم .

ذلك، منهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاود الخيل والركاب، تجري بهم أعمالهم ولا يدخلون النار، المؤمن لا يدخل النار، بل يمر مرور لا يضره ذلك.

فالصراط جسر على متن جهنم يمر عليه الناس، وقد يسقط بعض الناس لشدة معاصيه وكثرة معاصيه، فيعاقب بقدر معاصيه، ثم يخرجه الله من النار إذا كان موحدًا مؤمنًا، وأما الكفار فلا يمرون بل يساقون إلى النار ويحشرون إليها نعوذ بالله من ذلك.

لكن بعض العصاة الذين لم يعف الله عنهم قد يسقط بمعاصيه التي مات عليها لم يتب كالزنا وشرب المسكر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا وأشباه ذلك من المعاصي الكبيرة، صاحبها تحت مشيئة الله، كما قال الله سبحانه: (إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ... (٤٨))[١].

فهو سبحانه لا يغفر الشرك لمن مات عليه، ولكنه يغفر ما دون ذلك من المعاصي لمن يشاء ، وبعض أهل المعاصي لا يغفر له يدخل النار، كما تواترت بذلك الأحاديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الكثيرة أن بعض العصاة يدخل النار، ويقيم فيها ما شاء الله، فقد تطول إقامته لكثرة معاصيه التي لم يتب منها وقد تقل.

ويشفع النبي صلى الله عليه وسلم في العصاة عدة شفاعات، يحد الله له حدًا فيخرجهم من النار فضلًا منه سبحانه عليهم لأنهم ماتوا على التوحيد والإسلام لكن لهم معاصي لم يتوبوا منها، وهكذا تشفع الملائكة، يشفع المؤمنون، يشفع الأفراط، ويبقى أناس في النار من العصاة لا يخرجون بالشفاعة فيخرجهم الله جل وعلا فضلًا منه سبحانه، يخرجهم من النار بفضله؛ لأنهم ماتوا على التوحيد، ماتوا على الإسلام، لكن لهم معاص ماتوا عليها لم يتوبوا فعذبوا من أجلها، ثم بعد مضي المدة التي كتبها الله عليهم، وبعد تطهيرهم بالنار

---

(١) سورة النساء .

يخرجهم الله من النار إلى الجنة فضلًا منه سبحانه وتعالى .

وبما ذكرنا يتضح معنى الورود، وأن قوله سبحانه: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا..(٧١))[١] يعني: المرور فقط لأهل الإيمان، وأن بعض العصاة قد يسقط في النار، ولهذا في الحديث: فناج مسلم ومكدس في النار، فالمؤمن السليم ينجو وبعض العصاة كذلك، وبعض العصاة قد يخر ويسقط)[٢] .

لفظة الورود في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا(٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا(٧٢))[٣] .

وقد جاءت لفظة الورود في القرآن الكريم – مرادا به الدخول في النار – في ستة مواضع، في قوله تعالى في الآيات الآتية:

- (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا.. (٧١))[٤].
- (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ...(٩٨))[٥].
- (...وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨))[٦].
- (لَوْ كَانَ هَؤُلاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوها... (٩٩))[٧].
- (....وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا(٨٦))[٨] .
- (...حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(٩٨))[٩] .

---

(١) سورة مريم .
(٢) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٣) سورة مريم .
(٤) سورة مريم .
(٥) سورة هود .
(٦) سورة هود .
(٧) سورة الأنبياء .
(٨) سورة مريم .
(٩) سورة الأنبياء .

وكان ابن عباس يستند إلى هذه الآيات في تفسيره للورود بالدخول في النار فهل الورود المذكور في الآيات يراد به الدخول في النار؟ أو مجرد المرور من غير إحساس بها؟ الواقع أن هذه المسألة هي من المسائل التي فيها خلاف بين العلماء في زمن الصحابة ومن بعدهم[1].

أقوال العلماء في معني الورود:

اختلف العلماء في المراد بهذا الورود إلى أقوال كثيرة، يمكن إيجازها فيما يلي:

١- الورود المذكور في الآية: يراد به الدخول في النار.

٢- يراد به المرور عليها؛ أي فوق الصراط.

٣- يراد به الدخول، ولكن عني به الكفار دون المؤمنين.

٤- أنه عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.

٥- ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض.

٦- أنه يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم.

وتلك أشهر الأقوال.

وهناك أقوال أخرى ذكرها بعض أهل العلم منها:

٧- القول بالتوقف في معنى الورود.

٨-ومنها القول بأن المراد بالورود هنا هو الإشراف و الاطلاع و القرب منها، حيث يكونون وهم في الموقف يشاهدون النار؛ فينجيهم الله مما شاهدوه.

أما الذين فسروه بالدخول، من السلف: فمنهم ابن عباس، وابن مسعود وعبد الله بن رواحه، وجابر بن عبد الله، وأبو ميسرة، وابن جريج، وخالد ابن معدان.

أما ابن عباس، فقد اشتهر رأيه هذا، في جوابه لنافع بن الأزرق في مساءلات نافع لابن عباس ونبدأ الآن بذكر عزو تلك الأقوال إلى أهلها ثم الترجيح فيما يأتي:

---

(١) غالب عواجي ، الحياة الآخرة ، ج٢ ، ص ١٣٤٧ .

الرأي الأول : فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى الآية فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا، فقرأ ابن عباس: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ(٩٨))[١] ، أورود هو أم لا؟ وقال: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ(٩٨))[٢] أورود هو أم لا؟ أما أنا و أنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع.

و في رواية أخرى لعطاء بن أبي رباح قال: قال أبو راشد الحروري - يعنى نافع بن الأزرق -: ذكروا هذا؛ فقال الحروري: (لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا.. (١٠٢))[٣] ، قال ابن عباس: ويلك، أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى: (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ(٩٨))[٤] وقوله: (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا(٨٦))[٥] وقوله تعالى : (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا.. (٧١))[٦] ، والله إن كان دعاء من مضى: اللهم أخرجني من النار سالما و أدخلني الجنة غانما.

و الروايات عن ابن عباس في هذا كثيرة وبطرق متعددة، يرى أن الورود المذكور في الآية يراد به الدخول لكل أحد؛ مسلما كان أم كافرا، وهو المشهور عنه ، قال الجمل: و هذا هو تفسير ابن عباس الصحيح عند أهل السنة.

وأما جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ فقد جاء عن أبي سمية أنه قال: اختلفنا هاهنا في الورود؛ فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا؛ ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت: إنا اختلفنا ها هنا في ذلك، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعا، فأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: (صمتا إن لم أكن سمعت

---

(١) سورة الأنبياء .
(٢) سورة هود
(٣) سورة الأنبياء .
(٤) سورة هود .
(٥) سورة مريم .
(٦) سورة مريم .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الورود: الدخول) لا يبقى بر و لا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار – أو قال لجهنم – ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين). و أخرج الطبري بسنده إلى خالد بن معدان قال: (قال أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة).

و أخرج كذلك عن غنيم بن قيس قال: (ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار للناس كأنها متن إهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق، برهم وفاجرهم ثم يناديهم مناد: أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي، قال: فيخسف بكل ولي لها، ولهي أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم، قال: و قال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة، مع كل واحد منهم عمود له شعبتان، يدفع به الدفعة فيصرع به في النار سبعمائة ألف).

و أخرج عن أبي إسحاق، قال: (كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه قال: يا ليت أمي لم تلدني، ثم يبكي فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها، ولم يخبرنا أنا صادرون عنها).

و عن قيس بن أبي حازم قال: (بكى عبد الله بن رواحة في مرضه فبكيت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال ابن رواحة: إني قد علمت أني وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا؟).

و قال أبو عمرو داود بن الزبرقان: سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني عن أبي مسعود : (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) قال: داخلها.

و أخرج الحاكم عن ابن مسعود أنه سئل عن قوله: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا)قال: وإن منكم إلا داخلها ، والروايات عن ابن مسعود كثيرة يفسر الورود في النار بالدخول فيها.

ومما يدل على أن الورود المراد به الدخول: ما جاء عن سهل بن معاذ عن أبيه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطانه بحرس، لم ير النار بعينه، إلا تحلة القسم، فإن الله تعالى يقول:(وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) ، وكذا ماجاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم) يعني الورود.

هذا ما يتعلق بالرأي الأول وهو تفسير الورود بالدخول في النار، وهل ذلك يشمل الأنبياء والرسل وخاصة المؤمنين أو لا؟ سيأتي جوابه في مسألة خاصة به بعد عرض آراء العلماء في الورود.

الرأي الثاني : وهو تفسير الورود بالمرور عليها: فهو رأي قتادة وغيره من علماء السلف وفي هذا يقول الطبري: حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة:(وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) يعني: جهنم، مر الناس عليها. وفي رواية أخرى عن معمر عن قتادة بما سبق.

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول عند حفصة: (لا يدخل النار – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد قال الله عز وجل: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا(٧٢)) ، قال النووي عن معنى الحديث (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة. .....) ، قال العلماء: معناه لا يدخلها أحد منهم قطعا – كما صرح به في الحديث الذي قبله و إنما قال: إن شاء الله؛ للتبرك لا للشك ، وحديث حاطب الذى أشار إليه النووي هو ما رواه جابر رضي الله عنه: (أن عبدا لحاطب جاء الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا فقال يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبت، لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرا والحديبية)[١].

---

(١) الإمام مسلم ،صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٤٩٥ .

و أما قول حفصة: بلى، وانتهار النبي صلى الله عليه وسلم لها؛ فقالت: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وقد قال:(ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا)، فيه دليل للمناظرة والاعتراض و الجواب، على وجه الاسترشاد؛ وهو مقصود حفصة؛ لا أنها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم، والصحيح أن المراد بالورود في الآية: المرور على الصراط؛ وهو جسر منصوب على جهنم) ،و يقول ابن أبي العز: واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) ماهو؟ والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط، قال تعالى: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا) ، ثم قال في تعليقه على حديث حفصة المتقدم: (أشار صلى الله عليه وسلم إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تسلتزم حصوله؛ بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا.. (٥٨))[١] ، (فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا... (٦٦))[٢] (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا(٩٥))[٣] ولم يكن العذاب أصابهم ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، و كذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذي اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا).

أما الرأي الثالث: وهو القول بأن الورود هو الدخول، لكنه عنى الكفار دون المؤمنين، فإن هذا الرأي يعزى إلى ابن عباس أيضا وقد ذكر هذا عنه الطبري دون تعيين اسم الراوي عن ابن عباس؛ بل قال بسنده عن شعبة قال: أخبرني عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُها) يعني الكفار، قال: لا يردها مؤمن. ويعزى كذلك إلى عكرمة:

---

(٢) سورة هود .
(٣) سورة هود .
(٤) سورة هود .

أن المراد بالورود هنا ورود الكفار ، ويذكر ابن كثير عنهما أنهما كانا يقرآن الآية (وَإِن مِّنهمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) ، قال الجمل: لمناسبة الآيات التي قبل هذه، فإنها في الكفار وهي قوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢))(١) ، وكذلك قرأ عكرمة وجماعة، لكن الأكثرون على أن المخاطب العالم كلهم كما تقدم.

أما الرأي الرابع: وهو أن الورود عام لكل مؤمن وكافر، غير أن ورود المؤمن: المرور، وورود الكافر: الدخول؛ فهذا رأي ابن زيد، وهو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

قال الطبري: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا): ورود المسلمين: المرور على الجسر بين ظهريها، وورود المشركين أن يدخلوها، قال النبي الله صلى الله عليه وسلم: (الزالون والزالات يومئذ كثير و وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة ودعواهم يومئذ: يا الله، سلم سلم)(٢).

أما الرأي الخامس: وهو أن ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمى ومرض: فإنه يعزى هذا القول إلى مجاهد أنه قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار، ثم قرأ(وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا...) ويستدل له بما أسنده الطبري إلى أبي هريرة قال: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وبه وعك، وأنا معه، ثم قال: إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة)).

أما الرأى السادس: وهو أن معنى الورود: هو أن يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم؛ فهذا القول يعزى أيضا إلى عبد الله بن مسعود ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه يفسر الورود بالدخول.

---

(١) سورة مريم .

(٢) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج١ ، ص ٢٧٧ ، وقال عنه حديث ضعيف .

ومن الأدلة لهذا القول: ما أخرجه الترمذي و الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (يرد الناس النار، ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه)[1] .

أما بالنسبة للقول السابع؛ وهو القول بالتوقف: فهو ما ذكره الشوكاني بعد أن نسبه إلى كثير من العلماء، وذلك في قوله: (وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود، وحمله على ظاهره لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ(١٠١))[2] ، قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله أن يبعده عنها) ، فسبب توقفهم عن تحقيق القول في الورود: أن الله أخبر أن من سبقت لهم الحسنى لا يردون النار، وأخبر في سورة مريم أنه ما من أحد إلا وسيرد النار؛ فصاروا إلى التوقف ، لكن الآية تقوي قول من ذهب إلى أن الورود يراد به المرور العادي وعدم الدخول؛ وهو ما يذهب إليه بعض العلماء ، و في هذا يقول الشوكاني: (ومما يدل على أن الورود لا يستلزم الدخول: قوله تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ.. (٢٣))[3] القصص: فإن المراد أشرف عليه لا أنه دخل فيه، وقول زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامة وضعن عصي الحاضر المتخيم

أما القول الثامن : وهو ما ذكره العلامة الجمل عن بعض الفرق بقوله: (وقالت فرقة: الورود هو الإشراف والاطلاع والقرب، وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم؛ فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب، ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه، ويصار بهم إلى الجنة، ويذر الظالمين؛ أي يأمر بهم إلى النار)(٢)،— فهو بعيد عن معنى الآية والمراد بها .

القول الراجح في معنى الورود:

بعد عرض ما سبق؛ اتضح أن معنى الورود الذي ذكره الله يحتمل معاني كثيرة، ولهذا فقد اختلف كلمة العلماء في تعريفه، والمراد منه، إلى الأقوال التي ذكرناها، والواقع أن تلك الأقوال

---

(١)الترمذي . سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣١٥٩ .
(٢)سورة الأنبياء .
(٣) سورة القصص .

منها ما هو قريب، ومنها ما هو بعيد إلا أنه يقال: إن القول السادس منها – وهو أنه يردها الجميع، ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم – وهو الراجح؛ لتصريح الآية به ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ ، ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ، بالإضافة إلى ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف الصراط ومرور الناس عليه بحسب أعمالهم.

ولهذا يقول الطبري في ترجيحه: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون؛ فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهم هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فناج مسلم ومكدس فيها.

وقال الشوكاني: (ولا يخفى أن القول بأن الورود: هو المرور على الصراط أو الورود على جهنم وهي خامدة، فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة؛ فينبغي حمل هذه الآية على ذلك؛ لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار؛ مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها، أو يحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها؛ وهو الصراط.

وقد رجح ابن أبي العز أيضا القول بأن الورود يراد به المرور على الصراط كما سبق[(١)].

س٢١: لماذا حث الاسلام على تحري الصواب في القول والفعل؟.

ج٢١: للصدق مجالات عديدة منها:

أولاً: الصدق في الأقوال :

الصدق يكون في الأقوال كما قلنا سابقاً، وهو: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها، فحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه ولا يتكلم إلا بالصدق، وصدق اللسان أشهر أنواع الصدق وأظهرها، وأن يتحرز من الكذب ومن المعاريض التي تجانس الكذب، وينبغي أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله: وجهت وجهي

---

(١) من الدرر السنية نقلا عن كتاب علي عواجي ، الحياة الآخرة ، ج٢ ، ص ١٣٤٧ وما بعدها ، ولم أخرج أقوال المفسرين واكتفيت بنقل الموضوع .

للذي فطر السماوات والأرض، فإن كان قلب العبد منصرفاً عن الله منشغلاً عن الدنيا وهو يقول: وجّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض في الصلاة في الاستفتاح فهو كاذب.

ومن الأقوال التي ينبغي الحرص على الصدق فيها: الحلف والقسم، فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يحلف بأبيه فقال: لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق ومن حُلِف له بالله فليرضَ، ومن لم يرض بالله فليس من الله)[1]

و(يمينك على ما صدقك به صاحبك)[2]، لا يجوز لك أن تورّي فيه، ولا تجوز التورية في القَسَم عند القاضي أو عند الشخص الذي تريد أن تقسم له إذا كان صاحب حق، فلا تنفعك توريتك في اليمين، وهي حرام والواجب أن تكون يمينك على ما يصدقك به صاحبك ويفهم من كلامك، فلو حلف أنه -مثلاً- لم يأخذ منه مالاً ونوى في نفسه أنه لم يأخذ منه مالاً في هذا المجلس فلا ينفعه ذلك ولا يجعل المال حلالاً له، يمينك على ما صدقك به صاحبك، والحقوق لا يجوز لك أبداً التورية فيها.

ثانياً: الصدق في الأفعال:

ومن مجالات الصدق: الصدق في الأفعال: وهو استواء الفعل على الأمر والمتابعة كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وكما أمر، كاستواء الرأس على الجسد، وهو أن تصدق السريرة العلانية؛ حتى لا تدل أعمالهم الظاهرة من الخشوع ونحوه على أمر في باطنه، والباطن بخلافه، فالمراءون أعمالهم الظاهرة بخلاف بواطنهم، فلذلك ليسوا بصادقين في أعمالهم، بل هم من الكذابين، وإذا استوت علانية العبد وسريرته قال الله: هذا عبدي حقاً، والأعمال منها ما يكون أعمال قلب ومنها ما يكون أعمال جوارح ، والأمثلة في الصدق مع الله والإخلاص لله كثيرة ومنها: قصة الثلاثة الذين أطبق عليهم الغار فقال بعضهم لبعض: "إنه والله لا ينجيكم إلا الصدق، فليدعُ كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق الله فيه، توسلوا إلى الله

---

(١)ابن ماجة ، السنن ، رقم الحديث ٢١٠١ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٧٢٤٧

(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٥٣ .

بصالح أعمالكم ، فكان كل واحد يذكر أرجى ما عمل في حياته لله وأصدق ما حصل منه لله حتى كان السبب في انفراجها ذلك الرجل الذي وفر أجرة الأجير وحفظها كأمانة ونماها له – أيضاً – حتى صارت وادياً من المال، وجاء الأجير فصدقه في هذا المال المحفوظ عنده وأعطاه إياه وسلمه كاملاً بعد تنميته.

هل أخذ أجرة على التنمية؟ بل هل التنمية واجبة عليه؟ لا. لكنه نماه مجاناً ولم يأخذ أجرة على التنمية ولم يذكر في الحديث أنه قال له: جزاك الله خيراً أو أثنى عليه، فاستاقه فلم يبقِ منه شيئاً، حتى ما قال: خذ نصفه أو خذ أرباحه وأعطني أجرتي فقط، أخذه فلم يبقِ منه شيئاً فكان الفرج بسبب الدعوة الأخيرة مع الدعوات السابقة.

وبعض الناس قد يصدقون في تعبيراتهم الفعلية وقد يكذبون، وقد يفعل الإنسان فعلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود وذلك على سبيل المخادعة، فالمخادعة مثلما تكون بالقول تكون بالفعل أيضاً، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال.

من أمثلة الكذب في الأفعال ما فعله إخوة يوسف: (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ(١٦))[1]، هذه بكاء كذب ليس ببكاء حقيقي ولا صحيح:(وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ.. (١٨))[2] ،جعلوا في القميص دماً، ذبحوا شاة فصبغوها فجعلوا الدم في هذا القميص، ليقولوا: إن الذئب قد أكله، ولكن نبي الله يعقوب بفطنته وفراسته عرف أن هذا القميص مصبوغ بدم كذب، فليس فيه تشقيق ولا آثار مخالب ولا أنياب، فاستغرب من كلامهم واستعجب وقال: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً... (١٨)) ،ما أعجب هذا الذئب الذي يخلع القميص عن الولد ثم يأكل الولد وليس في القميص آثار مخالب ذلك الأسد أو أنياب الذئب ولذلك جاءوا على قميصه بدم كذب،(وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) بكاء كذب.

---

(١) سورة يوسف .
(٢) سورة يوسف .
(٣) سورة يوسف .

إذن، الكذب يكون في الأقوال ويكون في الأفعال وقالوا -كذباً-: (يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ(١٧))[١] ،فجمعوا بين الكذب في القول والكذب في العمل.

وكذلك فإن الأعمال التي يقوم بها المراءون ولو شيدوا مساجد وطبعوا كتباً وعملوا صدقات، إذا كانوا يقصدون الرياء فإنها أعمال كذب وليست بصدق.

وقد يكون الكذب في الحركات التعبيرية، كإشارات اليد والعين، والحاجب والرأس، فإن كانت مطابقة للواقع فهي صدق وإن كانت مخالفة فهي كذب، فلو سئل إنسان مثلاً: هل أودع فلان عندك مالاً؟ فهز برأسه نافياً دون أن يتكلم، وقد أودع صاحبه عنده المال فعلاً، فإن هذه الحركة كذب.

ثالثاً: الصدق في النية والإرادة:

ومن مجالات الصدق: الصدق في النية والإرادة كما ذكرنا المثال عليه؛ وهو الإخلاص في قصة أصحاب الغار الثلاثة.

ولنعلم أن أول من تُسعّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة: (عالم وقارئ ومجاهد)[٢] ، لأنهم ما أرادوا وجه الله.

أما الصادقون في النية والعمل، الذين يصدقون الله فإن الله يصدقهم ويصدّقهم، ويأتي لهم بالنتائج التي يحبها الله تعالى ، ومن الأمثلة التي وردت في السنة ما جاء في حديث شداد بن الهاد: "أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: "أهاجر معك، فأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها شيئاً، فقسم وقسم للأعرابي، فأعطى أصحابه ما قسم له لكي يوصلوه إلى الأعرابي، وكان يرعى ظهرهم -ذلك الأعرابي المسلم- فلما جاءهم دفعوا إليه نصيبه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه

---

(١) سورة يوسف .

(٢) رواه الترمذي: ٢٣٨٢، والنسائي في الكبرى: ١١٨٢٤؛:، ١٥٢٧، الألباني في صحيح الجامع الصغير: ١٧١٣

فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك قال: ما على هذا تبعتك ولكن اتبعتك على أن أُرمى إلى ها هنا – وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن تصدق الله يصدقك إن كانت فعلاً هذه نيتك صدقت الله فالله يصدقك، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأُتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أصابه سهم حيث أشار – في نفس المكان الذي أشار إليه- فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: صدق الله فصدقه ثم كفّنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبته صلى الله عليه وسلم ، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك[١] .

وكذلك الصدق يكون فيما يريد العبد أن يعزم عليه في المستقبل كما هو حال هذا الصحابي، فبعض الناس يقول: إن آتاني الله مالاً لأتصدقن ولأفعلن، هذه عزيمة لشيء في المستقبل، وقد تكون حقاً: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...(٢٣))[٢] ، وقد تكون كذباً: (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَّ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَّ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(٧٧))[٣].

وكذلك فإن الصدق يكون في الأحوال كلها، وهذه رتبة الصديقين الذين يصدقون في الأقوال والأعمال والنيات والعزائم[٤].

س٢٢ : لماذا حكم دخول الاسواق لغير كحكم الجلوس على الطرقات؟.

ج٢٢: روي في سنن الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت

---

(١)رواه النسائي في الكبرى: ٢٠٩١، والحاكم في المستدرك: ٦٥٢٧، والطبراني في الكبير: ٧١٠٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٣٦.

(٢) سورة الأحزاب .

(٣) سورة التوبة .

(٤) الشيخ المنجد ، الموقع الرسمي ٢٩ ذو القعدة ١٣٩٩

وهو حي لا يموت، بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتاً في الجنة ". السوق في زمن الرسول و الصحابة عن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق)[1] ، والغرض من ذكر السوق فقط وكونه كان موجوداً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يتعاهده الفضلاء من الصحابة لتحصيل المعاش للكفاف وللتعفف عن الناس[2]. - فتح الباري٤/٤٢٩ كما ورد ذكر الأسواق في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: (وما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ.. (٢٠))[3] ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرتاد الأسواق حتى إن المشركين عابوه بذلك، كما قال الله تعالى حاكياً عنهم: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا(٧))[4]، وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما قدمنا المدينة قلت هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع. وقال أنس قال عبد الرحمن: دلوني على السوق، وقال عمر: ألهاني الصفق بالأسواق. أحكام و آداب المتسوقين نظم الإسلام جميع نواحي حياة للفرد المسلم والمجتمع، وقد اهتم العلماء بتوضيح الأحكام والآداب المتعلقة بالسوق قديماً وحديثاً.

أهم الأحكام والآداب الخاصة بالمتسوقين:

- ذكر دعاء السوق عند دخوله. عدم ذهاب المسلم للسوق إلا عند الحاجة، لما في كثرة الذهاب على الأسواق حرصٍ على الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها)[5]، قال الإمام النووي: أبغض البلاد إلى الله أسواقها لأنها أماكن يكثر فيها الغش، الخداع ،الأيمان الكاذبة، إخلاف الوعد بالإضافة الى الإعراض عن ذكر الله وغير

---

(١)الألباني ، ضعيف الترغيب ، رقم الحديث ٢٠١ وقال عنه حديث ضعيف .
(٢)ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ، ص ٤٢٩ .
(٣) سورة الفرقان .
(٤) سورة الفرقان .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٦٧١ .

ذلك مما في معناه. فيفضل ألا يكون الشخص أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه ، فإن ذلك شرٌّ عظيمٌ، فقد روى الإمام مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: " لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته". كما أضاف الإمام النووي في قوله في السوق (إنها معركة الشيطان)؛ فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم بالمعركة؛ لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسوم على سومه، وبخس المكيال والميزان. قوله (وبها ينصب رايته) إشارة إلى ثبوته هناك، واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة، ونحوها، فهي موضعه وموضع أعوانه[1] .

- إفشاء السلام فهو من السنن الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد صح في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[2] المحافظة على الصلاة وعدم الانشغال بالسوق عنها ، وخاصة صلاة الجمعة؛ لأنها فرض على كل مسلم وقد أمر الله بالسعي إلى ذكر الله والصلاة و ترك البيع لما فيه لهو عن الصلاة. قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ(٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠))[3].

- الالتزام بالآداب الشرعية في التخاطب والكلام، فلا يجوز للمسلم أن يرفع صوته بالخصام ... وأخذت الكراهة من نفي الصفة المذكورة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما نفيت عنه صفة الفظاظة والغلظة. وأورد المصنف فيه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في

---

(١)النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٨-٩ .
(٢) الإمام البخاري . صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٨ .
(٣) سورة الجمعة .

صفة النبي صلى الله عليه وسلم، والغرض منه قوله فيه (ولا سخابٍ في الأسواق)[١] ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم وهيشات الأسواق)[٢] ، ويعني بالهيشات؛ الخصومات والمنازعات واللغط وارتفاع الأصوات جمع هيشة وهي جمع هيشة. كف الأذى عن الناس، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها، أو قال: فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها شيء)[٣] .

- عدم قراءة القرآن الكريم في السوق، لأن في قراءته عدم تعظيم لما في السوق ارتفاع الأصوات والانشغال بالبيع والشراء وعدم الاستماع للقرآن.
- السماحة في البيع والشراء، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)[٤].
- غض البصر من الرجال والنساء: قال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَّ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَ(٣٢))[٥]، التزام المرأة باللباس الشرعي بشروطه الشرعية. كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ... (٥٩))[٦] ،وقال تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ.. (٣١))[٧]، فيحرم شرعاً أن تتزين المرأة عند خروجها من بيتها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة استعطرت ثم خرجت، فمرت على قومٍ ليجدوا ريحها؛ فهي زانية)[٨].

---

(١)ابن حجر ، فتح الباري ، ج٦ ، ص ٤٤٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٣٢ .
(٣)المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٦١٥ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث
(٥) سورة النور .
(٦) سورة الأحزاب .
(٧) سورة النور .
(٨) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٧٠١ .

- ينبغي الحذر الشديد من استعمال غرف القياس في محلات بيع الألبسة النسائية لاحتمال وجود آلات التصوير الخفية، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها)[١] .
- شراء المواد التي يحتاجها الشخص فعلاً والبعد عن التبذير والإسراف، فلا بد من ترشيد الاستهلاك، والحرص على شراء منتجات المسلمين ومقاطعة منتجات الدول المعادية للمسلمين مهما استطاع لذلك سبيلاً.
- الامتناع من التسوق من المحلات التي تبيع المحرمات كالخمور.
- التقليل من الاستدانة فلا يستدين إلا للحاجة فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ في صلاته كثيراً من المأثم والمغرم -الإثم والدَّين- فقيل له: يا رسول الله، ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ فقال: إن الرجل إذا غرم -أي استدان- حدث فكذب ووعد فأخلف)[٢]، [٣].

س٢٣ : لماذا حث الرسول صلى الله عليه وسلم النساء على تعلم سورة النور ؟.

ج٢٣: إن حديث علِّمُوا رجالَكم سورةَ (المائدة) ، وعلِّمُوا نساءَكم سورةَ (النور)، هو من الأحاديث الضعيفة فلقد قال عنه :

١-الالباني في السلسلة الضعيفة برقم٣٨٧٩ بأنه ضعيف .

٢-الألباني في ضعيف الجامع برقم٣٧٢٩ بأنه ضعيف.

٣-السيوطي في الجامع الصغير برقم٥٤٦٤ بأنه ضعيف مرسل.

٤-وقال عنه الشوكاني في فتح القير ج٤ و ص ٥ بأنه مرسل.(**وبالتالي لا يحتج به**).

وقالوا: إن من المرويات عن عندكم حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: (لا تنزلوهن

---

(١) لم أقف على تخريج لهذا الحديث بهذا النص .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٣٩٧ .
(٣) موضوع محمد ابو خليف ٦ سبتمبر ٢٠١٥ ، وللاستزادة انظر أحكـــام السُّـــوقِ للإمام الفقيه أبي زكريا يحيى الكناني الأندلسي المتوفي ٢٨٩هـ أحكام السوق في الإسلام لأحمد الدريويش..).

الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور)[1].

لكن ، تلكم العلماء في بيان ضعفه وشدّة وهنه لأن في سنده محمد بن إبراهيم الشامي:

١- قال ابن الجوزي: (هذا لا يصح، محمد بن إبراهيم الشامي كان يضع الحديث)[2].

٢- ونقل الذهبي عن الدار قطني تكذيبة[3].

٣- وقال ابن حجر: (منكر الحديث)[4].

٤- وقال شمس الحق العظيم آبادي: (هو منكر الحديث ومن الواضاعين)[5].

٥- وأما تصحيح الحاكم للرواية التي أخرجها فقد تعقبه الحافظ ابن حجر بقوله: (بل عبد الوهاب بن الضحاك متروك، وقد تابعه محمد بن إبراهيم الشامي عن شعيب بن إسحاق، وإبراهيم رماه ابن حبان بالوضع)[6].

٦- وقال شمس الحق آبادي: (وأحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات ولم يصحح العلماء واحدًا منها، ما عدا الحاكم الحافظ أبا عبد الله، وتساهله في التصحيح معروف، وتصحيحه متعقب عليه... ومن قال: إن البيهقي أيضًا صحح حديث النهي وتبعه جلال الدين السيوطي فهذا افتراء عظيم على البيهقي والسيوطي، إلى أن قال: "وخلاصة الكلام أنه لا ريب في جواز تعليم الكتابة للنساء البالغات المشتهيات بواسطة النساء الأخريات أو بواسطة محارمهن، أما البنات غير البالغات وغير المشتهيات فيتعلمن ممن شئن .وليست الكتابة سببًا للافتتان لأنها إن كانت سببًا للفتنة لما أباحها الشارع، قال تعالى في سورة مريم: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا(٦٤)) والتي تصاب بفتنة إنما تصاب بأمر غير الكتاب[7].

---

(١)أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/٣٩٦)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٧٧)،

(٢) عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان، لأبي الطيب شمس الحق آبادي (٢٢)

(٣) الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص ٤٤٥ .

(٤) ابن حجر ، تقريب التهذيب ، ج٢ ، ص ١٤١ .

(٥) شمس الحق العظيم آبادي ، عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان ، ص ٢٢ .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٣٤ – ٣٦ .

قال الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود: "أما ما يذكر من نهي النساء عن الكتابة فإن الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حقق العلماء بطلانه فسقط الاحتجاج به.

وقول الحق هو أن المرأة كالرجل في تعلم الكتابة والقراءة والمطالعة في كتب الدين والأخلاق وقوانين الصحة والتدبير وتربية العيال ومبادئ العلوم والفنون، من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير والتاريخ وكتب الحديث والفقه، كل هذا حسن في حقها، تخرج به عن حضيض جهلها، ولا يجادل في حسنه عاقل، مع الالتزام بالحشمة والصيانة وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب[1].

س٢٤ : لماذا مشى النبي صلى الله عليه وسلم على أطراف أنامله عند دفن خادمه ثعلبة ؟.

ج٢٤: (قصة مطولة ، تُروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : (إن فتى من الأنصار يقال له ثعلبة بن عبد الرحمن أسلم ، فكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، بعثه في حاجة ، فمر بباب رجل من الأنصار ، فرأى امرأة الأنصاري تغتسل ، فكرر النظر إليها ، وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج هاربا على وجهه ، فأتى جبالا بين مكة والمدينة فولجها ، ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ، وهي الأيام التي قالوا ودعه ربه وقلى ، ثم إن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ! إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : إن الهارب من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بي من ناري . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمر و يا سلمان ! انطلقا فأتياني بثعلبة بن عبد الرحمن ، فخرجا في أنقاب المدينة ، فلقيهما راع من رعاء المدينة يقال له : ذفافة . فقال له عمر : يا ذفافة ! هل لك علم بشاب بين هذه الجبال ؟ فقال له ذفافة لعلك تريد الهارب من جهنم ؟ فقال له عمر : وما علمك أنه هارب من جهنم ؟ قال :

---

(١) أحمد بن عبد العزيز الحصين ، المرأة المسلمة أمام التحديات ، ص ٦٤ – ٦٥ . من موقع صيد الفوائد .

لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من هذه الجبال واضعا يده على رأسه وهو يقول : يا ليتك قبضت روحي في الأرواح ، وجسدي في الأجساد ولم تجردني في فصل القضاء . قال عمر : إياه نريد . قال : فانطلق بهم رفاقة ، فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال واضعا يده على أم رأسه وهو يقول : يا ليتك قبضت روحي في الأرواح ، وجسدي في الأجساد ، ولم تجردني لفصل القضاء . قال : فعدا عليه عمر فاحتضنه فقال : الأمان الخلاص من النار . فقال له عمر : أنا عمر بن الخطاب . فقال : يا عمر ! هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنبي ؟ قال : لا علم لي إلا أنه ذكرك بالأمس فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يا عمر ! لا تدخلني عليه إلا وهو يصلي ، وبلال يقول : قد قامت الصلاة . قال : أفعل . فأقبلا به إلى المدينة ، فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صلاة الغداة ، فبدر عمر وسلمان الصف ، فما سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه ، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عمر ويا سلمان ! ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن ؟ قالا : هو ذا يا رسول الله . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقال : ثعلبة ! قال : لبيك يا رسول الله ! فنظر إليه فقال : ما غيَّبك عني ؟ قال : ذنبي يا رسول الله . قال : أفلا أدلك على آية تكفر الذنوب والخطايا ؟ قال : بلى يا رسول الله ! قال : قل : اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قال : ذنبي أعظم يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل كلام الله أعظم . ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصراف إلى منزله . فمرض ثمانية أيام ، فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! هل لك في ثعلبة نأته لما به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا بنا إليه . فلما دخل عليه أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فوضعه في حجره ، فأزال رأسه عن حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أزلت رأسك عن حجري ؟ قال : إنه من الذنوب ملآن . قال : ما تجد ؟ قال : أجد مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي . قال : فما تشتهي ؟ قال : مغفرة ربي . قال : فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول : لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الأرض خطيئة لقيته بقرابها مغفرة . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلا أعلمه ذلك ؟ قال : بلى . فأعلَمَه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . فصاح صيحة فمات . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسله وكفنه وصلى عليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على أطراف أنامله ، فقالوا : يا رسول الله ! رأيناك تمشي على أطراف أناملك ؟ قال : والذي بعثني بالحق نبيا ما قَدِرت أن أضع رجلي على الأرض من كثرة أجنحة مَن نزل لتشييعه من الملائكة)[١] .

إلا أن رواية الخرائطي ليس فيها ذكر قوله تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ، وهذا الحديث ضعيف ، فيه عدة علل :

أولا : **سليم بن منصور بن عمار** لم يوثقه أحد من أهل العلم توثيقا صريحا ، قال ابن أبي حاتم رحمه الله :"روى عنه أبي ، وسألته عنه فقلت : أهل بغداد يتكلمون فيه ؟ فقال : مه ، سألت ابن أبي الثلج عنه فقلت له : إنهم يقولون : كتب عن ابن علية وهو صغير ؟ فقال : لا ، كان هو أسن منا[٢]، وقال الذهبي رحمه الله : (تُكُلِّم فيه ولميُتْرَك)[٣] ، وقد ذكر بعض أهل العلم أنَّ له متابعا ، ولكنها متابعة ضعيفة أيضا ، قال ابن عراق رحمه الله :(سُليم توبع ، فقد رواه عثمان بن عمر الدراج في جزئه فقال : حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن هشام الطالقاني ، حدثني جدي ، حدثنا منصور بن عمار . وهذا الطالقاني ما عرفته)[٤] .

ثانيا : **منصور بن عمار الواعظ** : كان إليه المنتهى في بلاغة الوعظ ، وترقيق القلوب ، وتحريك

---

(١)رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٣٢٩/٩-٣٣١) وفي "معرفة الصحابة" (٤٩٨/١) – ومن طريقه ابن الجوزي في "الموضوعات" (١٢١/٣) .ورواه الخرائطي في "اعتلال القلوب" (٢٧٢) ، ومن طريقه ابن قدامة في "التوابين" (١٠٥-١٠٨).ورواه أبو عبد الرحمن السلمي في "طبقات الصوفية" (ص/٥١) .وابن مندة مختصرا - كما في " الإصابة " لابن حجر (٤٠٥/١) -:جميعهم من طريق : سليم بن منصور بن عمار ، ثنا أبي ، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما...فذكر القصة.

(٢)ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٤ ، ص ٢١٦ .

(٣) الذهبي ، المغني في الضعفاء ، ج١ . ص ٢٨٥ .

(٤) ابن عراق ، تنزيه الشريعة ، ج١ ، ص ٣٤٩ .

الهمم ، وعظ ببغداد والشام ومصر ، وبعد صيته واشتهر اسمه ، قال أبو حاتم : ليس بالقوي . وقال ابن عدي : منكر الحديث . وقال العقيلي : فيه تجهم . وقال الدار قطني : يروي عن الضعفاء أحاديث لا يتابع عليها[1] .

ثالثا : **المنكدر بن محمد بن المنكدر** :قال ابن عيينة : لم يكن بالحافظ . وعن يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال مرة : ليس به بأس . وقال أبو زرعة : ليس بالقوي . وقال أبو حاتم : كان رجلا لا يفهم الحديث ، وكان كثير الخطأ ، لم يكن بالحافظ لحديث أبيه . وقال الجوزجاني والنسائي : ضعيف . ولخص الحافظ ابن حجر في "التقريب" الحكم عليه فقال : لين الحديث[2] .

رابعا : **وفي الحديث علة في المتن أيضا** :فالآية المذكورة في الحديث : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) ، نزلت في مكة قبل الهجرة ، وفي هذا الحديث ما يدل على نزولها في المدينة بعد الهجرة ، وهذه مخالفة منكرة ، وقد حكم عليه ابن الجوزي رحمه الله بأنه موضوع فقال :هذا حديث موضوع شديد البرودة ، ولقد فضح نفسه من وضعه بقوله : (وذلك حين نزل عليه : مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) وهذا إنما أنزل عليه بمكة بلا خلاف ، وليس في الصحابة من اسمه ذفافة ، وقد اجتمع في إسناده جماعة ضعفاء ، منهم : المنكدر ، قال يحيى : ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان يأتي بالشيء توهما ، فبطل الاحتجاج بأخباره . ومنهم : سليم بن منصور ، فإنهم قد تكلموا فيه[3]، ، وقال ابن الأثير رحمه الله :(فيه نظر غير إسناده ، فإن قوله تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) نزلت في أول الإسلام والوحي والنبي بمكة ، والحديث في ذلك صحيح ، وهذه القصة كانت بعد الهجرة فلا يجتمعان[4]، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله :قال ابن مندة بعد أن رواه مختصرا : تفرد به منصور .

---

(١)الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج١٠ ، ص ٣١٨ .
(٣) ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٣ ، ص ١٢٣ . ووافقه السيوطي في "اللآلئ المصنوعة" (٤١٦/١).
(٤) ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص ٣٥٨ .

قال الحافظ ابن حجر : وفيه ضعف ، وشيخه أضعف منه ، وفي السياق ما يدل على وهن الخبر ؛ لأن نزول (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) كان قبل الهجرة بلا خلاف[1].

والحاصل : أن هذه القصة سندها مسلسل بالضعفاء ، وفي متنها ما يدل على نكارتها ، فلا يجوز روايتها ولا التحديث بها إلا مع بيان ضعفها ، وكونها تتعلق بالرقائق لا يجيز التساهل في شأنها ، لأن إسنادها شديد الضعف ، وقد اشترط العلماء الذين أجازوا رواية الحديث الضعيف في أبواب الرقائق ألا يكون شديد الضعف ، وليس فيه ما يستنكر، أما في الدرر السنية فذكروا أنه موضوع)[2]

س٢٥: لماذا شُرِع الاستئذان؟.

ج٢٥ : يقول الشيخ المنجد : (تعريف الاستئذان :الإذن، العلم والإعلام: (وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.. (٣))[3] أي: إعلام ، وأذن للشخص، أي: أباح له ذلك ، واستأذن، طلب الإذن. والألف والسين والتاء، تفيد الطلب فالعلم، والإعلام، والإباحة، والأنس، والنداء، معانٍ ، للاستئذان يتضمنه[4].

وأما بالنسبة للاصطلاح: فإن الاستئذان: هو التماس الإذن تأدباً خشية الاطلاع على العورة ، وهو أيضاً: استباحة المحظور على وجه مشروع ، وهو أيضاً: طلب الإذن في الدخول لمحلٍ لا يملكه المستأذن. هذا كله استئذان.

حرمة البيوت في الإسلام وأهمية الاستئذان :

لا شك أن هذه الشريعة التي تريد سعادة المجتمع، وأن يكون مجتمع إيمان وبرٍ وتقوى، ويتبين فيه خصائص هذه الأمة التي قال الله فيها: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ(١١٠))[5] ، لا شك أن هذا الأدب يبين فعلاً رغبة الشريعة في هذه الرفعة والمكانة.

---

(١) ابن حجر ، الإصابة ، ج١ ، ص ٤٠٥ .
(٢) موقع الاسلام سؤال و جواب ، رقم ١٤٥٧٩٧تاريخ النشر ٢٥ / ٢ / ٢٠١٠ م
(٣) سورة المائدة .
(٤) ابن منظور ،لسان العرب ، ج٩ ، ص ١٣ ، وتهذيب اللغة: ١٥/١٥.
(٥) سورة آل عمران

والإنسان صاحب غرائز وشهوات وميول ورغبات، والله تعالى يعلم ذلك، وحينما حرم الزنا، حرم دواعيه من النظر والخلوة والتبرج، وكل ما يؤدي إليه.

ومن المعلوم خطورة النظر في المجتمع الإسلامي، وإنه إذا أطلق يؤدي إلى الوقوع في المحرمات، ولذلك كان شأنه خطيراً، فنزلت أحكام الاستئذان لمعالجة قضايا البصر.

وهو –أي الاستئذان– أدبٌ رفيع، يحمي حرمة البيوت، ويحافظ عليها.

وأي حرمة أعظم من أن جعل المصطفى صلى الله عليه وسلم العين التي تنظر بغير استئذانٍ عيناً مهدرةً، لا دية لها، فقال صلى الله عليه وسلم : (لو أن امْرَأً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة، ففقأت عينه لم يكن عليك جناح)[1] .

فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً ينظر بفتحة الباب، وكان في يده مدراة يسوي بها شعره لها حد، فأخبر الرجل أنه لو علم أنه ينظر إليه لأدخلها من الباب ففقأ عينه، ولذلك نص العلماء على أن الذي ينظر من خرم الباب على شخصٍ في بيته وملكه بغير إذنٍ، فأدخل، صاحب البيت، شيئاً في الثقب ففقأ عين الناظر أنها عينٌ مهدرة لا دية فيها. كل ذلك من حرمة البيوت.

والشريعة هذه تريد حماية حرمة البيوت، وتريد أن يكون المجتمع نظيفاً، والناس يعيشون في عفة، وتمنع الاطلاع على العورات، وتحفظ العورات، فهذه العورات محفوظة في الشريعة، وليست فقط عورة البدن، بل كل ما يمكن أن يكون عورة، فللطعام عورة، وللأثاث عورة، وللباس عورة، وللبدن عورة، والإنسان يحب أن يطلع عليه الناس، وهو في حالة تجمل متهيئاً لنظرهم، ولذلك، فإن الناس لا يريدون أن يطلع شخصٌ على بيوتهم، وهي في غير ترتيب، ولذلك إذا استأذن شخصٌ على إنسان في بيته وفي غرفته، وهي ليست مرتبة سارع إلى ترتيبها.

ففي الاستئذان مراعاة لمشاعر الناس الذين لا يريدون إظهار أشياء، ليس من المناسب

---

(١)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،رقم الحديث ٦٩٠٢ .

أن يطلع عليه الآخرون، وربما يكون في البيت بقايا طعام، ربما يكون إنسان فرغ لتوه من طعامه، ولا يريد من الشخص الغريب أن يدخل عليه وفي بيته بقايا طعام -مثلاً-.

فالاستئذان يفيد؛ فيرفع بقايا الطعام قبل أن يدخل الضيف، إذ ليس من المستحسن عنده أن يدخل عليه ضيفٌ فيرى البقايا أو أوساخ أو أشياء غير مرتبة، أو يرى في ثوب نوم أو بقميص داخلي، ولو كان ساتراً للعورة، لكن الإنسان لا يحب أن يراه غيره في هذه الحالة، ولذلك الاستئذان فيه مراعاة لمشاعر الناس، بالإضافة إلى قضية ألا يطلع أحد على العورة، وألا تثور الشهوة، وألا تقوم الفتنة، وألا يقع الزنا.

ولذلك نلاحظ أن آية الاستئذان، جاءت بعد الزجر عن الزنا والقذف، فلما ذكر الزجر عن الزنا والقذف في سورة النور ذكر الاستئذان، والزجر عن دخول البيت بغير استئذان؛ لأنه ربما أدى إلى وقوع أحد المحظورين، ولذلك فإن أدب الاستئذان يؤدي إلى قطع ألسنة السوء من مظنة الريبة، وربما يصادف الإنسان حال خروجه رب الدار، وليس فيها إلا امرأته، فتذهب به الظنون كل مذهب، وربما أدى ذلك إلى خراب البيت، وإلحاق الأطفال بحال اليتامى والضياع.

وقد أباح الله للمماليك والصغار الطواف في البيوت بغير استئذان لحاجة أهليهم وأسيادهم، إلا في الأوقات الثلاثة التي جاء النص عليها، وهي: ما قبل الفجر، ووقت الظهر، وبعد العشاء، فلا يجوز لأي إنسان الدخول في هذه الأوقات إلا بإذن، حتى لو كانوا داخل البيوت من الخدم، أو الإماء، والعبيد، أو الأطفال الصغار، وذلك لأن هذه الأوقات الثلاثة يأوي فيها الرجال إلى نسائهم وأزواجهم، وتنزع فيها الثياب، ولذلك جعل الدخول محظوراً لكي لا تقع الأنظار على عورات الأهل من الأبوين.

وهذا أدب يغفل عنه الناس، ويتساهلون في دخول الخدم عليهم، ودخول الأطفال الصغار، وربما أدى ذلك إلى أن يرى الطفل أشياء تبقى في مخيلته، أو في ذهنه وهو في صغره، وربما أدى ذلك إلى أضرار في كبره.

تفسير آية الاستئذان العام:

بالنسبة للاستئذان العام؛ فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ(٢٩)﴾.

فهذه أول آية من آيات الاستئذان، وهي آية الاستئذان العام التي أدب الله بها عباده المؤمنين، كان الرجل في الجاهلية إذا لقي أخاه لا يسلم عليه، بل يقول له: حييت صباحاً، وحييت مساءً، ونحو ذلك، فأبدلهم الله خيراً منها تحية أهل الإسلام، أنفع الخير والثناء، وهي دعاء صالح وطيب، وهذا النهي في الآية وهو قوله: لا تَدْخُلُوا للتحريم، فمعنى ذلك: أن الدخول لا يجوز إلا بإذن؛ لما في ذلك من الاطلاع على العورات، والتصرف في ملك الغير بغير إذن، وهذا نوعٌ من الغصب.

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾، معنى ذلك: أن الإنسان يدخل بيته متى ما شاء، وقد يسكن في ملكه، ويسكن في غير ملكه، فليست الإضافة هنا اختصاص الملك، فلو أنك استأجرت بيتاً، فهل يدخل في قوله تعالى: بُيُوتِكُمْ؟ ، نعم، فهو أضيف لك، سواء استأجرته، أو كان ملكاً لك، فتدخل فيه في أي وقتٍ ما دام بيتا لك.

وقوله سبحانه: ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾الاستئناس: من آنس شيئاً إذا أبصره ظاهراً، أو مكشوفاً، أو علمه، وهذا الاستكشاف والعلم يكون من استئذان، وقد يكون الاستئناس ضد الاستيحاش؛ لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له زالت الوحشة.

---

(١) سورة النور .

وكذلك فإن الاستئناس يفيد الاستئذان وزيادة: تَسْتَأْنِسُوا ليس فقط معناها: تستأذنوا، فهي أعلى من الاستئذان، حتى تستشعروا أنس أهل البيت بكم، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الزائر لا ينبغي أن يدخل إذا تبين له من حال صاحب البيت أنه لا يرغب في دخوله، ولو صرح لك بالإذن، فإن بعض الناس يأذنون لكن على كره وعلى مضض، فلما قال الله: (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) عرفنا أن المسألة لا بد أن يكون فيها أنس، وليس مجرد الإذن؛ لأنه قد يحرج، فبعض الناس تراه إذا استأذنت عليه يتردد، يقول: لا.. تفضل، ولم تخرج من نفسٍ طيبة، فإذا كان كذلك لا تدخل؛ لأن الله قال: حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا فيحصل الأنس، فإذا أحسست أنه لم يحصل أنسٌ فلا تدخل.

وحتى في مسألة أخذ المال، ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام، وإن كان أعطاك وسلمك بيده، لَكنْ فيه إحراج، وقع عليه الأمر وقعاً شديداً، لم يملك إلا أن يأذن مرغماً، فهذا لا يدل على أنه خرج بطيب نفسٍ منه: (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) أي: الاستئناس، أو التسليم خير من أن تدخلوا بغتةً (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ) أي: إذا لم تجدوا أحداً من الآذنين يأذن لكم، فاصبروا ولا تدخلوا.. إن لم تجدوا أحداً من أهلها، ولكم فيها حاجة، فلا تدخلوا إلا بإذن أهلها؛ لأن الاستئذان من أجل البيت وساكنه.

(وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا) سواءً ردوكم من الباب، أو لم يأذنوا لكم، ولم يردوا عليكم (وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا) لم يجيبوكم في الدخول، بل ردوكم، أو قال: ارجع الآن، أو ليس الوقت مناسباً، لو طرقت باب واحد، وقال لك: يا أخي ليس الوقت مناسباً، أنا غير متهيئ لاستقبالك، أي عبارة من العبارات التي تعني: (ارْجِعُوا) ، (وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ)، وبعض الناس الآن لو قيل لهم: ارجعوا، لثارت ثائرتهم، ووقعت الخصومة بينه وبين صاحب البيت، وهاجوا وماجوا، وقالوا: لا نأتيك، ولا نكلمك بعد الآن، كيف تقول: ارجع؟
بعض الناس يكبر عليه أن يقال له: ارجع، يكبر عليه جداً، الله يقول: (وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا) ، فلماذا تستكبر عن شيءٍ ذكره الله، وأرشد إليه؟.

وهذه في الحقيقية فيه نوع كبر، الذي يقال له: ارجع، فيغضب ويزبد ويرغي ويقاطع صاحب البيت، ولا يعود إليه مرة أخرى، هذا إنسان متكبر، يرى أن مقامه فوق الآية: (وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ)، وأطهر من إلحاحكم، وأحسن من الوقوف في الباب، وخيرٌ من الإصرار على الدخول، إن قيل لك: ارجع، فارجع، ولا تلح ولا تصر ، فتضمنت الآية الرجوع في حالتين: في حالة عدم الإذن الصريح، كأن يقال: لا تدخل، لا أسمح لك بالدخول، ارجع.

وكذلك في حالة عدم الإذن الظني، كأن لا يكون في البيت أحد، فترجع، أو سكتوا، افرض أنك طرقت الباب فسكتوا، أنت سمعت أصواتاً وصياحاً داخل البيت، طرقت الباب، سكتوا، واصلت الطرق لم يتكلم أحد، هذه معناها: ارجع؛ لأنه لم يأذن.

قال الله تعالى: (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) ، فيدخل في علمه تعالى ، أنه يعلم من يدخل بإذن، ومن يدخل بغير إذن، فيجازي كلاً بعمله.

كان بعض السلف يفرح إذا قيل له: "ارجع" من دينه وتقواه؛ لأنه تحقق له شيء في الآية فينصرف مستبشراً بالخيرية التي ذكرها الله، يريد أن يقال: "ارجع"؛ لأن الله يقول: خيرٌ لكم فصار من أهل الخير والخيرية في هذه الآية، وهذا الحكم في البيوت المسكونة، سواء فيها متاع للإنسان أو لا، وفي البيوت غير المسكونة التي لا متاع فيها للإنسان ،وأما البيوت التي ليس فيها أهلها وفيها متاع للإنسان المحتاج للدخول؛ فقد قال الله تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ... (٢٩)) فليس عليكم إثم ولا حرج أن تدخلوا بغير استئذان في هذه النوعية من البيوت.

وهذه البيوت الغير مسكونة التي فيها متاع لكم للعلماء فيها أقوال، فلعل ما يتضح به المقصود إن شاء الله أن نضرب مثالاً: بيوت على الطريق يأوي إليها الناس لابن السبيل، فنادق مستأجرة، وفيها غرف ودكاكين وحوانيت في الشارع، كل هذه تدخل في قوله: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ) فمثلاً: استأجرت غرفة في فندق،

أو تريد أن تدخل محلاً في الشارع، دكانا، أو في بيت في الطريق مبني لابن السبيل، يدخل يستظل فيه، ينام فيه، خام، مفتوح لأي واحد يدخل، فهذه لا تحتاج إلى استئذان، فقد يكون المتاع هو: الاستظلال، قد يكون المتاع: تدخل وتشتري حاجة، وقد يكون المتاع أغراضاً وضعتها في غرفة الفندق، فلا يحتاج أن تستأذن عند الدخول في غرفتك في الفندق، ولا يحتاج أن تستأذن عند دخول دكان في الشارع يبيع، ولا يحتاج أن تستأذن في دخول مبنى في الطريق مهيأ لاستقبال المسافرين، أو جعل لابن السبيل يأوي إليه؛ لأن بعض الناس من أعمال الخير، يقيمون على طرق السفر مثلاً أو أماكن مظللة مثلاً لاستراحة المسافرين، بدون أجرة، باباً مفتوحاً بالمجان، فليس هناك من حرج في دخولها، وليس من الضرورة أن يكون الدخول المقصود بها فيها متاع، يعني: فيها جهاز، أو فيها عفش، وما شابه ذلك، بل يدخل فيها ما سوى ذلك من الحاجات، بل لو أن إنساناً يريد أن يدخل خربة ليقضي حاجته، من بولٍ أو غائط، فلا يحتاج أن يستأذن في دخول هذه الخربة، فإن ذلك من المتاع الذي يقصده بالدخول ، فإذن، مثل هذه الأشياء لا حرج من الدخول فيها، وهذا الاستئذان العام.

آية الاستئذان الخاص:

أما الاستئذان الخاص، فهو الاستئذان داخل البيت، ذاك استئذان لدخول البيت، وهذا استئذان داخل البيت، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٩)﴾[١].

---

(١) سورة النور .

هذه الآية عامة للرجال وللنساء، وإن كانت بصيغة المذكر، لكن يدخل فيها النساء؛ لأن صيغة التذكير هنا من باب التغليب ليس إلا، وإلا فالنساء يدخلن في ذلك؛ لأن النساء من باب حفظ العورة أشد من الرجال، فإذا ثبت الحكم في الرجال فالنساء من باب أولى، وقوله:(الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) كانوا بالغين أو غير بالغين، (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) هؤلاء الأحرار، وليس المراد الذين لم يظهروا على عورات النساء؛ لأن الذي لم يبلغ الحلم قد يعرف أحوال النساء، ويميز المرأة الجميلة من المرأة القبيحة، وله التفات إلى النساء، وإلى ملابس النساء، وزينة النساء، ويصف النساء ، فقوله: (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) الأحرار غير البالغين، وليس خاصاً بالذين لم يظهروا على عورات النساء، بل المراد الذين عرفوا أمر النساء، لكن ما بلغوا الحلم، لكن ولد ابن سنتين، ليس من الذين يظهرون على عورات النساء، لا يظهر على عورات النساء، لا يفهم في عورات النساء، ولا يميز المرأة الجميلة من المرأة القبيحة، أو يصف، ويهتم بشئون النساء، وله ميلٌ إلى ذلك.

وهذه الأوقات الثلاثة التي ذكرها الله تعالى هي أوقات الخلوة والتصرف التي يمكن أن يأتي فيها الإنسان أهله في العادة.

فالله تعالى يعلم أن الاستئذان الخاص مثلاً: استئذان الخدم أو الإماء أو الأطفال على الأبوين مثلاً، كل وقت يشق فجعله خاصاً واجباً في هذه الأوقات الثلاثة؛ لماذا يوجد مشقة؟ **لأجل الطواف بالخدمة، وقضاء الأشغال، والحوائج.**

فإذا كانت كلما تريد أن تتحرك من مكان إلى مكان تستأذن، سيكون هناك مشقة، لكن جعل هناك أوقات معينة ليس فيها دخول إلا باستئذان، وهي هذه الأوقات الثلاث، التي هي مظنة خلع الثياب، ومظنة إتيان الرجل أهله واستراحته، وقيلولته ونومه، وكانوا في الحر يخلع الرجل إزاره ورداءه، فربما تعرى، فينكشف، فيطلع غير المستأذن على شيء غير مناسبٍ على الإطلاق.

وقوله تعالى : (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ)يدل على أنه ينبغي أن نربي أولادنا على هذا الأدب، يجب أن

يربى الأولاد على عدم اقتحام غرفة نوم الأبوين إلا بإذن، ويربى الأولاد أن لا يدخل الواحد على غرفة الآخر إلا بإذن، يستأذن، الإذن الخاص، فقد يكون يغير ثيابه بعد استحمام، أو لأجل الخروج من البيت، ونحو ذلك، ولما استغرب أحد الناس، قال لابن عمر: "أستأذن على أمي؟ قال: أتريد أن تراها عارية؟".

فربما أنها تبدل ثيابها، فلا بد أن يستأذن استئذاناً خاصاً، حتى في الدخول على الأم، وبالذات غرف البنات، ينبغي تعليم من يدخل الاستئذان قبل أن يدخل، هذا أدب إسلامي حصل فيه تفريط وإخلال به يؤدي إلى كوارث.

الاستئذان عند الانصراف إذا كان في اجتماع:

وهناك استئذان آخر عند الانصراف، يكون الإنسان في بيته شخص زائراً -مثلاً-، أو في مكان اجتماع، أما إذا كان في مكان اجتماع فيه الخليفة، أو إمام المسلمين، فإنه لا ينصرف إلا باستئذان؛ لقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٦٢))[١].

فهذا نوعٌ من الأدب أرشد إليه ربنا تبارك وتعالى عباده المؤمنين، وهو الاستئذان عند الانصراف، كما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، ومدح الله من تأدب بهذا الأدب الرفيع، فكل من كان قائماً على أمر، أو أميراً على مكان، مثل أمير السفر مثلاً، فأراد إنسان أن ينصرف، أو يغادر، فيستأذن منه؛ لئلا ينفرط عقد الجماعة، أو يكون هناك اختلال في الإمرة، أو الواجبات نحوها.

وأما بالنسبة للزيارة العادية ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد إلى أن الإنسان إذا زار أخاه فلا يقومن حتى يستأذنه ، فإذا كنت عند شخص في زيارة، فالأدب إذا أردت الانصراف أن تستأذن قبل أن تقوم، وليس أن تقوم وتمشي؛ لأن هذا احترام لصاحب الدار، ولأخيك المسلم.

ويكون هذا الاستئذان مصحوباً بالسلام؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال: (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة)[1].

ولذلك روى البخاري رحمه الله في الأدب المفرد: (باب إذا جلس الرجل إلى الرجل يستأذنه في القيام"، وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: جلست إلى عبد الله بن سلام، فقال: إنك جلست إلينا، وقد حان منا قيام؟ فقلت: فإذا شئت، فقام، فتبعته حتى بلغ الباب)[2] .

حكم الاستئذان:

ولنعلم كذلك بأن هذا الأدب، وهو أدب الاستئذان بنوعيه العام والخاص، أدب كريم، أجمع العلماء على أن الاستئذان مشروع، وتضافرت في ذلك دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

- قال بعض العلماء: إنه مستحب
- وقال بعضهم: إنه واجب بنوعيه الخاص والعام ، قال ابن مفلح: فيجب في الجملة[3].

وأدلة الوجوب كثيرة؛ مثل: الأمر أو النهي ، والأصل في الأمر الوجوب، والأصل في النهي التحريم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع)[4]، وهذا أمر أيضاً ، وهذه اللام في قوله: (لِيَسْتَأْذِنكُمُ)، هي لام الأمر، هذا ظاهره يدل على الوجوب.

وستر العورة واجب، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)[5] ، والاطلاع على العورة محرم، فالمسألة كبيرة.

صيغ الاستئذان :

---

(١)رواه أبو داود: ٥٢١٠، والترمذي: ٢٧٠٦، وأحمد: ٩٦٦٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٤٠٠.
(٢)الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٤٠١ .
(٣) ابن مفلح ، الآداب الشرعية ، ج١ ، ص ٤١٧ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٧٥٩ .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٤١ .

الصيغة المشهورة: (**السلام عليكم أأدخل؟**) فإن أذن له دخل وإلا رجع.

ودل على هذه الصيغة: (أن رجلاً من بني عامر استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال: أألج – ولج يلج، دخل يدخل، أي أأدخل؟ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان؟ فقال له: قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمع الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل)[(١)].

وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه كان إذا استأذن، فقيل له: ادخل بسلام، رجع، وقال: لا أدري أدخل بسلامٍ أو بغير سلام[(٢)].

فهذا امتناع ابن عمر رضي الله عنهما الدخول لما قيل له: "بسلام" احتمال أن يكون المراد ادخل بسلامك لا بشخصك، ولأنهم اشترطوا عليه شرطاً لا يدري أيفي به أم لا، ولذلك من ورعه كان يرجع ، فالمهم الصيغة: السلام عليكم أأدخل؟ ، وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه استأذن، فقال: السلام على رسول الله، السلام عليكم؛ أيدخل عمر[(٣)]؟ .

ولكل قومٍ عرفٌ في الاستئذان ، ولذلك لو استأذن بأي كلمة: ممكن أدخل؟ لا بأس، أأدخل؟ ممكن ، لكن الصيغة الأتم والأكمل: "السلام عليكم أأدخل؟"، فهذه الصيغة الأفضل ، وقد جاء عن عبد الملك مولى أم مسكين قال: أرسلتني مولاتي إلى أبي هريرة، فجاء معي، فلما قام بالباب، فقال: أندراييم؟ قالت: أندرون[(٤)]، وهذه العبارة معناها بالفارسية: استئذان، والإذن.

وعليه : يمكن أن تدخل على شخص لا يعرف العربية، فتستأذن عليه بلسانه، بالإنجليزية، أو بغيرها، المهم أن يفهم أنك تريد الدخول، وتسمع إذناً صريحاً.

بعض آداب الاستئذان :

---

(١)رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب كيفية الاستئذان: ٥١٧٩، وصححه الألباني في الصحيحة: ٨١٨

(٢)لإمام البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٣٧٣ .

(٣)رواه أبو داود: ٥٢٠٣، وأحمد: ٢٧٥٦، وصحح إسناده الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص: ٤٣١

(٤)الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٣٧٧ .

– **الاستئذان ثلاثاً**: ورد في الحديث: (كان إذا سلَّم ؛ سلَّم ثلاثاً، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً)[1]. عنون عليه البخاري رحمه الله: "باب التسليم والاستئذان ثلاثاً"[2] ، أما قضية التسليم ثلاثاً ستأتي –إن شاء الله تعالى– في آداب السلام ، وأما مسألة الاستئذان ثلاثاً؛ فإن الاستئذان ثلاثاً لا يزيد عليها الإنسان، وإذا لم يؤذن له، فليرجع.

وجاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: "كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى الأشعري كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً، فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع فقال عمر لأبي موسى: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحدٌ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟، فقال أبي بن كعب لأبي موسى: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقمت معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك[3] ، وعمر رضي الله عنه أراد أن يستثبت، وأراد المزيد من التأكد، فطلب من أبي موسى شاهداً، معه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدد الاستئذان بثلاث مرات، وأن الإنسان لا يزيد عليها، وأنه إذا لم يؤذن له يرجع ، وهذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، طبقه أبو موسى الأشعري مع عمر، وشهد مع أبي موسى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه .

– **إذا لم يؤذن له فليرجع**: أما الزيادة على الثلاث ، فقد منع من ذلك جمهور العلماء؛ لأن ظاهر الحديث الاكتفاء بالثلاث، والزيادة عن الثلاث إزعاج، يعني يمكن تقول: ما سمع من أول مرة، كان ساهياً، كان لاهياً، طيب ثاني مرة، ثالث مرة، المفترض أنه يكون قد يكون سمع، ولو كان يريد أن يأذن لأذن، فكونه لم يرد، معنى ذلك أن تكتفي بالثلاث، وتنصرف.

---

(١)الإمام البخاري ، صحي البخاري ، رقم الحديث ٦٢٤٤.

(٢)المصدر السابق ، ج٨ ' ص ٦٧ .

(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٢٤٥ .

وقال ابن عبد البر رحمه الله: (السنة في الاستئذان ثلاث مرات، لا يزاد عليها)[1]، وبعض العلماء قال: يجوز الزيادة إذا لم يكن فيها إزعاج وإحراج لصاحب البيت ، يعني لو أن إنساناً مثلاً خاصم شخصاً، أو بينه وبينه خصومة، فأراد أن يتصالحا معه، فذهب إلى مكانه، وأراد من الزيادة على ثلاث استرضاء الشخص الذي بينه وبينه خصومة، فلم يقصد بالزيادة على الثلاث الإحراج أو الإزعاج، قصد أن يسترضيه، ويلح عليه، ويقبل منه الدخول، ويقبل منه الاعتذار، فلا بأس، لها معنى، ولها وجاهة.

وقد جاء في حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا، فقال: السلام عليكم ورحمة الله قال: فرد سعد رداً خفيفاً، يعني: أباه، قلت: ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: ذره يكثر علينا السلام، فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد رداً خفيفاً، ثم قال: السلام عليكم ورحمة الله ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأتبعه سعد، فقال: يا رسول الله إني كنت أسمع تسليمك، وأرد رداً خفياً لتكثر علينا من السلام، فانصرف معه صلى الله عليه وسلم)[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم اكتفى بالثلاث ورجع، قالها في قوله، وعملها في فعله صلى الله عليه وسلم ، وإذا تحقق المستأذن أن أهل البيت سمعوه لزمه الانصراف بعد الثلاث؛ لأنهم لما سمعوه ولم يأذنوا دل ذلك على أنهم لا يريدون الإذن، وعدم الزيادة على الثلاث ثابت في السنة.

- **عدم متابعة الاستئذان ورفع الصوت:** ومما ينبغي للمستأذن: ألا يجعل استئذانه متواصلاً: أأدخل، أأدخل، أأدخل، ثم ينصرف، فهذه صارت مثل واحد يريد ألا يدخل، أعط فرصة لصاحب البيت، ويكون بين كل استئذان والآخر وقتٌ يسير، أما قرع الباب بعنف، ويضغط الجرس عشرين مرة، كما يفعل بعض الناس، والصياح لصاحب الدار، فهذا فيه إيذاء وإيحاش، والله تعالى عاتب الأعراب، فقال سبحانه وتعالى :

---

(١)ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٣ ، ص ١٩٧.
(٢) رواه أبو داود ، ٥١٨٧، وضعف إسناده الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود: ٥١٨٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ... (٥)﴾[١] ، فهؤلاء كانوا يأتون عند بابه ويصوتون ولا يصبرون.

والأولى للإسماع، والثانية ليأخذوا الحذر والأهبة أهل البيت، والثالثة ليأذنوا، وإن شاؤوا ردوه، الأولى استعلام، والثانية تأكيد، والثالثة إعذار ، الثلاث وردت في أشياء كثيرة أنها منتهى الأمر، فالاستئذان ثلاثاً، فإن لم يؤذن له رجع وكذلك الخضر بعد الثلاث امتنع عن مرافقة ، موسى؛ المرة الأولى قد يكون الإنسان جاهلاً، المرة الثانية قد يكون ناسياً، المرة الثالثة أقيمت عليه الحجة، ما بقي بعد ذلك سبب ، والطلاق ثلاث مرات؛ المرة الثالثة ما فيها رجعة ، فنجد أن الثلاث في الشريعة جاءت في أمورٍ كثيرة؛ أنها منتهى الأجل، ونهاية المطاف.

- **إذا أحرج صاحب البيت فلينصرف ولا يدخل**: وكذلك فإن الإنسان إذا لاحظ أن صاحب البيت قد أحرج، وخرج إليه في حال غير مناسبة؛ فإنه لا يدخل، بل إنه ينصرف،

فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء مرة إلى عتبان رضي الله عنه واستأذنه، فخرج إليه، ورأسه يقطر ماءً، فقال: لعلنا أعجلناك؟ قال: نعم[٢].

والنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى سعد بن عبادة، ولم يسمع رداً انصرف ولم يلح. وعليه؛ فإذا تبين للإنسان أنه قد أحرج صاحب البيت، فيعتذر عن حضوره في وقتٍ غير مناسب وينصرف، إلا إذا لاحظ أن صاحب البيت يريده فعلاً أن يدخل، وراغب في ذلك، فإنه يدخل.

ولذلك الآن من الأمور التي أهلكتنا: قضية المجاملات الفارغة، يعني مثلاً واحد أوصل الثاني إلى بيته بعد العمل، بعد تعبه وإرهاقه وعرقه، وجوعه الذي حصل، وصله إلى البيت، فهذا الذي ينزل بيته، يقول: تفضل معنا، هل هو يقصد فعلاً حقيقة هذه الكلمة؟، لا يقصدها، بدليل أنه لو تفضل معه لصارت نكبةً عليه ، وتفضل معناه، يعني: مع السلامة.

---

(١)سورة الحجرات .

(٢)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٦ ، وعند الإمام مسلم برقم ٨٠٤ .

فلذلك ينبغي عدم الوقوف عند هذه الألفاظ المجردة، بل ننظر إلى ما وراء ذلك من المعاني والأحوال.

- **الاستئذان على المحارم** : ينبغي التأكيد على قضية الاستئذان على المحارم لئلا يكون في ذلك انكشاف للعورة، واطلاع عليها، وقد سأل رجل حذيفة، فقال: (أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره)[1].

وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : (عليكم الإذن على أمهاتكم وأخواتكم) ، وجاء عن موسى بن طلحة قال: (دخلت مع أبي على أمي، فدخل فاتبعته، فالتفت إليَّ، فدفع في صدري، وقال: أتدخل بغير إذن؟)[2].

فهذا الأب عاتب ابنه على الدخول على أمه، بدون استئذان، يعني: هو زوجها يدخل عليها. وسأل عطاء ابن عباس، فقال: أستأذن على أختي؟ قال: نعم، قال: إنها في حجري أنا الذي أربيها، قد تكون يتيمة قال: أتحب أن تراها عريانة؟".

فهذه الآثار الصحيحة، كما بين ابن حجر تدل على الاستئذان حتى على المحارم. ويستأذن الرجل على أمه ولو كانت عجوزاً ، وأن هذا الاستئذان أمرٌ مفروض؛ لعموم البلوى التي تحصل داخل البيوت، وربما يكون الخطر من الداخل أعظم من الخطر من الخارج[3].

- **الاستئذان على الزوجة:**

لكن الاستئذان على الزوجة ليس بواجب، إنما هو من كمال الأدب، قال ابن جرير لعطاء: (أيستأذن رجل على امرأته؟ قال: لا)[4]، لكن قالت زينب زوجة ابن مسعود: "كان عبد الله يعني زوجها إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب تنحنح كراهة أن يهجم منا على أمرٍ يكرهه[5].

---

(١)الإمام البخاري ، الأدب المفرد ، ص ٣٦٤ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .
(٣)ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص ٢٥ .
(٤)الطبري ، التفسير ، ج٦ ، ص ٣٩ .
(٥) رواه أحمد: ٣٦١٥، وصحح إسناده ابن كثير في تفسيره: ٣٩/٦

فإذا من كمال الأدب أن يستأذن الإنسان على زوجته، لكن من ناحية الوجوب لا يجب ، وهناك فرقٌ بين إعلامها بالدخول، وبين الاستئذان عليها، الزوجة تعلم بالدخول لئلا تكون على حالٍ تكره أن يراها زوجها عليها، وإلا فالزوجة لا يجب الاستئذان عليها، لكن لا يفاجئها فتقع في شيءٍ من الحرج.

ولقد أمرنا ألا ندخل على أهالينا ليلاً من السفر ، لا يطرق الرجل أهله طروقاً" لئلا يقع منها على أمرٍ يكرهه، ينتظر حتى تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة، وبعد ذلك إذا أراد أن يدخل، فليدخل ، ولو أن إنساناً أخبر زوجته بالهاتف: أنا سآتي هذه الليلة، فقد حصل المقصود، فيجوز أن يأتي ليلاً، لكن النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره ينتظر قرب المدينة، يعني: أهل المدينة يكون عندهم خبر أنه سيدخل قريباً، إذا وصل في الليل لا يدخل في الليل، ينتظر لئلا يدخل الرجل على زوجته في حال يكرهها، يعني هو جاء من السفر، مشتاقاً إلى زوجته، وزوجته غير ممتشطة، وغير مستعدة، فعند ذلك كان صلى الله عليه وسلم يبيت خارج المدينة، ثم يدخل في الصباح، إذا جاء في النهار دخل ، قال: حتى تستحد المغيبة التي غاب زوجها تستحد، يعني: تحلق العانة بالحديد، بالموس، ونحو ذلك من لوازم التهيؤ للزوج، فالمقصود التهيؤ للزوج: (تمتشط الشعثة)، لأنه إذا رآها شعثة، متفرقة الشعر، في حالة العرق والمهنة، وهو آتٍ من سفر، مشتاق إليها، نفر منها، وقد يحدث هناك وحشة بينهما، ولذلك أمرت المرأة بالتهيؤ لزوجها إذا جاء من سفر، ولا يطرقها طروقاً في الليل إلا إذا أخبرها قبل أن يأتي، اتصل عليها، قال: سآتي أنا في الليل، الطائرة ستصل في الليل، ونحو ذلك.

- **تقديم السلام على الاستئذان:**

حين تكلمنا عن قضية الاستئذان، وقلنا: إنه يرفق بالسلام، السلام قد يكون استئذاناً، وقد يكون الاستئذان بغير سلام، فلو قال الإنسان: أأدخل؟ يكفي للاستئذان، لكن الأفضل أن يكون السلام مرافقاً أن يسلم معه، فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ ويتضح من هنا أن السلام قبل.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وفي هذه السنن رد على من قال بتقديم الاستئذان على السلام،

ورد على من قال: إن وقعت عينه على صاحب الدار قبل دخوله قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان، وهذان القولان مخالفان للسنة)[1]، لأن السنة أن يقدم السلام، فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ ولا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلام، إذا دخل ولم يقل: السلام عليكم فقل: لا، حتى تأتي بالمفتاح: السلام[2]، كان إذا دخل ولم يقل: السلام عليكم يقول: لا، حتى تأتي بالمفتاح ، ويقصد بالمفتاح السلام ، وعليه : يقدم السلام على الاستئذان.

- **الدعوة إلى وليمة إذن بالدخول وضابط ذلك**: بالنسبة لموضوع الرسول الذي يرسل من شخصٍ إلى آخر، واحد أرسل خادمه إلى شخصٍ، يقول: فلان يدعوك، فهل هذا الخادم يغني عن الاستئذان؟

يقول البخاري رحمه الله في صحيحه: باب إذا دعي الرجل فجاء هل يستأذن. ، وساق حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هو إذنه)[3]، وأما حديث أبي هريرة أنه قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال:(فجاؤوا فاستأذنوا)[4] ، كيف نجمع بين الحديثين؟ قال ابن القيم رحمه الله: إن جاء الداعي على الفور مِن غير تراخ، لم يحتج إلى استئذان، وإن تراخى مجيئه عن الدعوة، وطال الوقتُ، احتاجَ إلى استئذان)[5].

فلو إنك قلت لشخص: ادع لي فلاناً فذهب وكلمه، فجاء هذا مباشرةً، يدخل عليك مباشرة ولو بغير استئذان، لكن لو دعاه فجاء بعد فترة من الزمن، فيحتاج إلى استئذان، وقيل: إذا حضر مع الرسول فلا يستأذن، قلت له: ادع لي فلانًا فجاء وإياه، وإن تأخر عن الرسول لزمه الاستئذان، فأبو هريرة ما كان معهم، ولذلك لما جاؤوا استأذنوا، وأما قوله: (رسول الرجل إلى الرجل إذنه)[6]، فإنه جاء معه، ولذلك جاء في رواية: إذا دعي أحدكم إلى طعام

---

(١)ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٢ ، ص ٤٣٠ .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: ١٠٦٧، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: ٨١٧.

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٤٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٢ ، ص ٤٣٣ .

(٦) رواه أبو داود: ٥١٩١، والبخاري في الأدب المفرد: ١٠٧٦، وصححه الألباني مشكاة المصابيح: ٤٦٧٢، وفي صحيح الأدب المفرد: ٨٢٤

فجاء مع الرسول، فإن ذلك له إذنٌ[1]، ففي هذا دلالة على أن الدعاء إلى الوليمة إذنٌ بالدخول والأكل ، وهذه مسألة واسعة تختلف فيها الأعراف، يعني -مثلاً-: الناس يقولون: الليلة العشاء عندي، يأتي الناس يجدون باب البيت مفتوحاً، ما معنى فتح باب البيت ، معناه الإذن، فلا يحتاج إلى قرع باب ولا استئذان، تدخل مباشرة إلى المجلس، هذه واضحة من أعراف الناس ، وإبراهيم عليه السلام كان بابه مفتوحاً للضيوف، ولذلك قال الله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ(٢٥))[2] ، ودخلوا عليه، معناه: أن بيته مفتوح للضيوف، وقد اشتهر بذلك عليه السلام.

- **الزيارة في الأوقات المناسبة**: فالإنسان لا يأتي مثلاً في نصف الليل، أو بعد نصفه، أنا أطرق الجرس ثلاث مرات إن أذنوا لي وإلا رجعت، ولكن هذا الوقت غير مناسب، استئذانك مزعج، لو ما جئت لكان أحسن.
- **مكان وقوف المستأذن عند الاستئذان:**

كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء الباب يستأذن لم يستقبله، يقول: يمشي مع الحائط، حتى يستأذن، فيؤذن له أو ينصرف[3]، فإذًا، لا يقوم مواجها للباب، بحيث إذا فتح الباب رأى كل شيءٍ وراء الباب.

وقد جاء رجل إلى باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام على الباب، فقال: (هكذا عنك)[4]" تنح يميناً أو شمالاً.

والآن الإنسان يتنحى في أي جهة؟ يعني: إذا استقبل باباً، لا يستقبل الباب هذه معروفة، أين يذهب يميناً أو شمالاً؟ يذهب عكس اتجاه فتحة الباب، إذا كان الباب يفتح هكذا..

---

(١)رواه أبو داود: ٥١٩٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ٥٤٣.
(٢) سورة الذاريات .
(٣) رواه أحمد: ١٧٧٣٠، والبخاري في الأدب المفرد: ١٠٧٨، صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد: ٨٢٦.
(٤) رواه أبو داود: ٥١٧٦، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي: ٥١٧٤.

وهو لا يكون في الجانب الذي إذا فتح الباب رأى، يكون في الجانب الآخر، فإذا كان الباب يُفتح يميناً وقف إلى الشمال، وإذا كان الباب يفتح شمالاً، فيقف عكس الجهة.

المهم أنه يجلس في المكان الذي إذا افتح الباب لا يرى ولا يطلع، وإذا جعل ظهره للباب أو جنبه بحيث أنه لا يرى، وتأخر عن الباب، فهذا من الأدب.

وبعض الناس، قلة منهم من يراعي هذه الأشياء، مع أنه من الدين والشريعة، ومن السنة، وفيها أجر؛ ولكن يوجد تهاون في الحقيقة، وإهمال في هذه الأمور.

- **أن يخبر باسمه حتى يعرف** : ومن ملأ عينه من قاع بيتٍ، يعني بعض الناس تراه ينفتح الباب فقط، وهو يحاول أن يرى أكبر قدر ممكن، ويخطف نظره، فهذا مخالف للأدب، وشيء شنيع- فإذا ضرب الباب، الآن الجرس يقوم بالاستئذان يفيد، فالبيوت قديماً، لو قلت: السلام عليكم أدخل؟ يسمعوا، لأنه قد لا يكون على الباب إلا ستارة، أو يكون باباً بسيطاً، والبيت ليس فيه أدوار، وأشياء عميقة، بيوت بسيطة وصغيرة، حجرات النبي صلى الله عليه وسلم ماذا كانت؟

الآن البيوت أدوار، وطابق ثانٍ وثالث، ويكون الإنسان في بابٍ وراء بابٍ، وراء بابٍ، أبواب مغلقة. فلو قلت: السلام عليكم، بأعلى صوتك، والمكيفات شغالة، لا يمكن أن يسمعك، فيقوم الآن الجرس مكان الكلام، فأنت تطرق الجرس أول مرة، وثاني مرة، وثالث مرة، فإن رد عليك، تقول: السلام عليكم .. فلان، تقديم الاسم أحسن؛ لكن إن سأل أهل البيت تأكد الجواب؛ لأنه قد ورد في الصحيحين عن جابر قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دينٍ كان على أبي، فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا، فقال: أنا، أنا كأنه كرهها)[1] [رواه البخاري: ٦٢٥٠]، ف "أنا" هذه ليست تغني بالتعري، من؟ ، ولا تقل: أنا، وقل: فلان، وإذا كان في أكثر من شخص بهذا الاسم، فيقول: فلان الفلاني؛ لأنه لو طرق الباب، وقالوا: من؟ قال: عبد الله، مَن عبد الله؟ فيقول: فلان بن فلان، أو أبو فلان،

---

(١)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٢٥٠ .

والمقصود أن يعرف صاحب البيت بشخصيته، بكنية معروفة مشهورة، أو باسم العائلة الأول والأخير، المهم أن يأتي له بالاسم الذي يتميز به؛ لأن صاحب البيت لو أذن لك على أنك فلان وأنت لست فلان، فإذنه لا يغني، وليس المقصود مخادعة صاحب البيت حتى يظنك فلان، فيأذن، ثم يتضح أنه شيءٌ آخر، فهذا ليس استئذان.

- **ألا يكون الاستئذان مزعجاً**: **ف**هذه الأجراس والقرع الموجود ينبغي أن يكون بدون إزعاج، فإن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأظافر، من الرقة، ومن المبالغة في الأدب والتوقير والإجلال ، وبعض الناس يضع يده على الجرس ولا يرفعها، والجرس يواصل الطرق، بعض الأجراس تواصل التصويت بالضغط على الزر، وهذا من قلة الأدب.

وجبريل لما صعد بالنبي صلى الله عليه وسلم للسماء، جعل يستأذن، فيقال: من؟ فيقول: جبريل، فيقال: ومن معك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم[1] .

إذن ،كان في تعريف بجبريل وبمن معه، فلو معك أحد تقول هذه قد تكون من الإحراجات أن يأتي واحد معه ثلاثة، يطرق الباب، فيقال: من؟ فلان اتفضل ومعه ثلاثة، عرِّف، وقل: معي فلان وفلان وفلان، فلان ومعي جماعة.

المشكلة في قضية عدم التعريف تسبب إحراجاً لصاحب البيت، فلا بد من الإفصاح، وتقديم المعلومات، فإذا دخل الإنسان إلى البيت، فإن هناك آداباً للمجلس، قد سبق بيانها في غير هذا الموضع.

- **بعض الحالات التي يسقط فيها الاستئذان:**

وهناك حالات يسقط فيها الاستئذان:

كمن أراد الدخول لإنقاذ إنسان من حريق، أو إسعاف شخص في هجوم سارق، أو اقتحام لإنكار منكر في بيت دعارة، أو مصنع خمر، ولا يجوز الاستئذان، هنا دور أهل الحسبة، فلا مجال للاستئذان في مثل هذه الحالات.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٢٠٧ .وعند الإمام مسلم برقم ٤٣٤ .

والأمر بالرجوع أدب شرعي، وإذا استأذن، فيقال له: ارجع، فيجب أن يرجع دون أن يحمل في نفسه شيئاً ، وكذلك فإن الإنسان إذا جاء إلى منزل ليس فيه أحد فلا يسقط الإذن؛ لأن داخل البيت قد يكون فيه أشياء لا يراد منه أن يطلع عليها.

- **الإذن المعتبر:** لا عبرة بمن إذنه غير معتبر، فلو طلع واحد صغير عمره ثلاث سنوات أأدخل؟ وقال: ادخل. فهذا إذنه غير معتبر، هذا قد يدخلك على أمه ، فبعض الناس قد يتساءل، فلذلك يتأكد يقول: اذهب إلى أبيك، وقل له: فلان، أو يطرق الجرس مرة ثانية، ومرة ثالثة، ولا يكتفى بإذن الصغار ، وبعض الناس عنده سائق أو خادمة أو شخص أعجمي، تقول: أأدخل؟ يقول: هاه، أو يقول: إيه، يظنها إذناً، وهو ليس بشيء ، ويقول ابن القيم رحمه الله: "يقبل قول الصبي والكافر والمرأة في الهدية والاستئذان[(١)]" إذا صارت القرائن قائمة على أنه فعلاً يكون إذن، أو أنه نقل إذنا من صاحب البيت، يقول لك فلان صاحب البيت ادخل.

وقد يكون الإذن بغير الكلام؛ كأن يجعل علامة تدل على الإذن، مثلاً طرقت الجرس قلت: السلام عليكم أأدخل،؟ فتحوا لك الباب بالزر الكهربائي، هذا الفتح معناه إذن بالدخول، وقد يحصل هذا في بعض البيوت، إذن بالدخول، لكن يجب أن يتأكد الإنسان؛ لأنه أحياناً تطرق البيت تقول: السلام عليكم يظنون أنه ولدهم الذي خرج إلى البقالة، فيفتح الباب تلقائياً بالزر الكهربائي، هذا ليس معناه إذن لك بالدخول، فينبغي أن تتأكد أن الفتح لك أنت يا أيها المستأذن.

وكذلك يمكن أن بعض الناس قد يكون بينه وبين شخص علاقة خاصة، فيقول: أنت ما يحتاج أن تستأذن إذا أردت أن تدخل البيت، يعني هذا ما يحتاج استئذان أبداً تجيء على المجلس مباشرةً، النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن مسعود: (إذنك عليَّ أن يرفع الحجاب، وأن تسمع سوادي يعني- السر- حتى أنهاك)[(٢)].

---

(١)ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ج١ ، ص ١١ .

(٢) صحيح ابن حبان: ٧٠٦٨، ومسند أبي يعلى: ٥٣٥٦، والمعجم الكبير للطبراني: ٨٣٦٨،

وكذلك فإن الاستئذان قد يكون على إنسان يصلي، فماذا يفعل؟

نقول : لو أنه سبح يوحي لك بالإذن، فادخل، أو الانتظار، قد يسبح، يعني بالانتظار، حتى يفتح لك الباب، أو يتقدم المصلي فيفتح لك الباب ونحو ذلك.)[1].

(أما تفصيل المواضع التي يستأذن فيها ، فقد جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية ، تفصيل ذلك ، و **تختصره ونزيده توضيحًا في النقاط التالية** :

١- إن من يريد دخول بيت من البيوت ، فإن ذلك البيت لا يخلو من أن يكون بيته أو غير بيته ، فإن كان بيته ، فإنه لا يخلو من أن يكون خاليًا ، لا ساكن فيه غيره ، أو تكون فيه زوجته ، وليس معها غيرها ، أو معها بعض محارمه ، كأخته وبنته وأمه ونحو ذلك ، فإن كان البيت بيته ، ولا ساكن فيه غيره ، فإنه يدخله بغير استئذان أحد ؛ لأن الإذن له ، واستئذان الشخص نفسه ، ضرب من العبث الذي تتنزه عنه الشريعة .

٢- أما إن كان في بيته زوجته ، وليس معها غيرها ، فإنه لا يجب عليه الاستئذان للدخول ؛ لأنه يحل له أن ينظر إلى سائر جسدها ، ولكن يندب له الإيذان بدخوله بنحو التنحنح ، وطرق النعل ، ونحو ذلك ؛ لأنها ربما كانت على حالة لا تريد أن يراها زوجها عليها .

٣- وإن كان في بيته أحد محارمه ، كأمه أو أخته أو نحو ذلك ، ممن لا يصلح له أن يراه عريانا ، من رجل أو امرأة ، فلا يحل له أن يدخل عليه بغير استئذان ، وهناك تفصيل في بعض الصور .

٤- وإن كان البيت غير بيته ، وأراد الدخول إليه ، فعليه الاستئذان ، ولا يحل له الدخول قبل الإذن بالاتفاق ، سواء أكان باب البيت مفتوحا أو مغلقا .

ويستثنى من وجوب الاستئذان لدخول البيوت عمومًا :

أ- دخول البيوت غير المسكونة التي فيها متاع – أي منفعة – للناس ، فإنه يجوز دخولها من غير استئذان ، بناء على الإذن العام بدخولها ، وقد اختلف في تحديد هذه البيوت .

ب- إذا كان في ترك الاستئذان لدخول بيت إحياء لنفس أو مال ، حتى لو استأذن وانتظر الإذن تلفت النفس وضاع المال .

٥- الأصل أنه لا يجوز للإنسان التصرف في ملك غيره ، أو في حق للغير إلا بإذن من الشارع ، أو من صاحب الحق ، وعندئذ لا يكون اعتداء ، فلا يجوز أكل طعام الغير إلا بإذن المالك ، أو في حالة الضرورة ، ولا يجوز سكنى داره إلا بإذنه .

٦- استئذان المرؤوس رئيسه ، وهي مسألة خاضعة للعرف ، بمعنى : أنه إذا عُرف أن المدرس مثلًا لا يبيح الدخول للطلاب إلا بإذن ، فالواجب عليهم أن يستأذنوا ، لأن الولايات أقيمت رعاية للمصالح وحفاظا عليها ، واستئذان من له الولاية ، في حدود ولايته : أمر لا بد منه ؛ لتستقيم الأمور وتحسم الفوضى ، وهذا باب واسع .

٧- وينبغي على الضيف أن يستأذن قبل الانصراف من بيت مُضيفه .

٨- وإذا أراد الشخص أن يجلس بين رجلين فعليه استئذانهما .

٩- وإذا أراد الشخص أن ينظر في كتاب فيه ما يخص غيره ، فعليه أن يستأذنه قبل النظر .

يسقط الاستئذان لأسباب ، منها :

١- تعذر الإذن : يسقط الاستئذان لسبب من أسباب التعذر ، كموت صاحب الإذن ، أو سفره سفرا بعيدا ، أو حبسه ومنعه من مقابلة أحد ، وكان التصرف لا يمكن تأخيره إلى حين قدومه من السفر ، أو خروجه من الحبس ، ونحو ذلك .

٢- دفع الضرر : يسقط الاستئذان إن كان في الاستئذان ضرر ، فيجوز بيع ما يخاف عليه التلف من الأمانات من غير استئذان ، ويجوز دخول البيت بغير استئذان إن كان ذلك الدخول يمنع من وقوع جريمة .

٣- الحصول على حق لا يمكن الحصول عليه بالاستئذان : يسقط الاستئذان عن صاحب الحق ، إن كان الاستئذان يفوت حقه ، فيجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها بالمعروف ، من غير استئذان ، إذا منعها النفقة مثلًا [٢] .

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية" (٣/ ١٤٥)

(٢) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٣٠٧٧٢٢ ، نشر في ٢٠ / ٦ / ٢٠١٩ م.

يقول الشيخ صالح بن حميد في خطبة له :إن اقتحام البيوت من غير استئذان هتك لتلك الحرمات، وتطلّع على العورات، وقد يفضي إلى ما يثير الفتن، أو يهيئ الفرص لغوايات، تنشأ من نظرات عابرة، تتبعها نظرات مريبة، تنقلب إلى علاقات آثمة، واستطالات محرمة. وفي الاستئذان وآدابه ما يدفع هاجس الريبة، والمقاصد السيئة.أيها الإخوة المؤمنون، إن كل امرئ في بيته قد يكون على حالة خاصة، أو أحاديث سرية، أو شؤون بيتية، فيفاجأه داخل من غير إذن قريباً كان أو غريباً، وصاحب البيت مستغرق في حديثه، أو مطرق في تفكيره، فيزعجه هذا أو يخجله، فينكسر نظره حياءً، ويتغيظ سخطاً وتبرماً. ولقد يقصِّر في أدب الاستئذان بعض الأجلاف ممن لا يهمه إلا قضاء حاجته، وتعجُّل مراده، بينما يكون دخوله محرجاً للمزور مثقلاً عليه. وما كانت آداب الاستئذان وأحكامه إلا من أجل ألا يفرِّط الناس فيه أو في بعضه، معتمدين على اختلاف مراتبهم في الاحتشام والأنفة، أو معولين على أوهامهم في عدم المؤاخذة، أو رفع الكلفة ، إن من الخير لك ولصاحبك أيها الطارق، أن يَعتذر عن استقبالك بدلاً من الإذن على كراهية ومضض، ولو أخذ الناس أنفسهم بهذا الأدب، وتعاملوا بهذا الوضوح؛ لاجتنبوا كثيراً من سوء الظن في أنفسهم وإخوانهم، ،إن هذه التفاصيل الدقيقة في آداب الاستئذان تؤكد فيما تؤكد حرمة البيوت، ولزوم حفظ أهلها من حرج المفاجآت، وضيق المباغتات، والمحافظة على ستر العورات. عورات كثيرة تعني كل ما لا يُرغب الاطلاع عليه من أحوال البدن، وصنوف الطعام واللباس وسائر المتاع، بل حتى عورات المشاعر والحالات النفسية، حالات الخلاف الأسري، حالات البكاء والغضب والتوجع والأنين. كل ذلك مما لا يرغب الاطلاع عليه لا من الغريب ولا من القريب، إنها دقائق يحفظها ويسترها أدب الاستئذان

س٢٧: لماذا ظهر النفاق في المدينة ولم يظهر في مكة ؟.

ج٢٧ : يقول الشيخ عبدالعزيز الراجحي : (قال المؤلف رحمه الله تعالى: وهذا كما قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه، وهذا هو المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه من الناس من كان

يظهر الكفر مستكرهاً وهو في الباطن مؤمن، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس.

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقل من أسلم من اليهود، إلا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضاً؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف، بل قد كان عليه الصلاة والسلام وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله؛ قال عبد الله بن أبي بن سلول وكان رأساً في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخير وأسلموا واشتغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله- فلما كانت وقعت بدر قال: هذا أمر الله قد توجه.

فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هو على طريقته ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب.

النفاق لم يوجد إلا في المدينة، أما مكة فلم يكن فيها نفاق، ولم يظهر النفاق في المدينة إلا بعد غزوة بدر؛ لأن الكفار في مكة كانوا هم الأقوياء في مكة، فلم تكن هناك حاجة للنفاق بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، بل الحال كان هو العكس، وهو أن كثيراً من المؤمنين كانوا يخفون إسلامهم بسبب تعذيب الكفار لهم وإيذائهم.

فالنفاق ووجود المنافقين يدل على قوة المسلمين؛ لأن المنافقين لا يستطيعون إظهار كفرهم، ولهذا لما حدثت وقعة بدر فأعز الله جنده وخذل الكفر وأهله، وقتل من الكفار سبعون وأسر سبعون؛ قال عبد الله بن أبي: هذا أمر قد توجه.

فأظهر الإسلام وأبطن الكفر حتى يحقن دمه وماله؛ لأنه لو أظهر الكفر لقتل، وكان عبد الله بن أبي رئيساً في المدينة في الأوس والخزرج، وكادوا قبيل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أن

يتوجوه ويعصبوه بالعصابة التي يعصب بها الرؤساء والملوك.

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم الأوس والخزرج فاته ذلك، فأظهر الإسلام وأبطن الكفر، وتبعه طوائف من المنافقين، نسأل الله السلامة والعافية.

فوجود المنافقين يدل على قوة المسلمين؛ لأنهم لا يستطيعون إظهار كفرهم، فهم قوم يداهنون ويخادعون، وإذا حصلت لهم فرصة أظهروا كفرهم، وإذا لم تحصل لهم فرصة أخفوا كفرهم وهكذا، وهم يقلون ويكثرون، ويقوون ويضعفون على حسب أحوال مجتمع المسلمين الذي هم فيه، فنسأل الله أن يكفي المسلمين شرهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: فأما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نافق؛ لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرهاً، بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة.

المعنى أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق؛ لأنهم هاجروا باختيارهم، وتركوا ديارهم وأموالهم لله تعالى، فالنفاق كان في الأوس والخزرج، ولم يظهر إلا بعد غزوة بدر لما قوي الإسلام والمسلمين.)[1].

يقول الشيخ أسامة بدوي : (بلغ عدد المنافقين في المدينة ما يقارب ثلاثمائة وسبعين رجلًا وامرأةً، أحدثوا بين المسلمين من الفُرقة والشِّقاق والكَيد أمورًا تغلَّب عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤيَّد بالوحي، فقد جمع الله تعالى له من أسباب الحكمة والقوة وبُعْدِ النَّظَر ما لم يجتمع لزعيم قبله ولا بعده.

ومعظم هؤلاءِ المنافقين إما: أنهم من أهل الكتاب الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وبعضهم من الخزرج والأوس، وفريق رابع من الأعراب المجاورين للمدينة.

وإليك أشهرَ هؤلاءِ المنافقين الذين لَعِبوا دورًا خطيرًا في الفتن في العَهْد المدنيِّ:

أولاً: منافقون من الأوس والخزرج:

---

(١) الشيخ عبدالعزيز الراجحي، شرح تفسير ابن كثير، ج١٨ ، ص ٥ .

- عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ (رأس المنافقين)، وفيه نزلت سورة المنافقون، والآيات من (١١-١٧) من سورة الحشر، وحادثة الإفك في ثماني آيات من سورة النور، وآيات أخرى كثيرة.

- جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وفيه نزل قوله تعالى: (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ...(٧٤))[1] .

- الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ أخو جُلَاس. وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٨٦))[2] .

- بِجَادُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرٍ.

- نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ. وفيه نزل قوله تعالى: (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٦١))[3] .

- زُوَيُّ بْنُ الْحَارِثِ... وهو أوْسِيٌّ.

- أَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ. وكان ممن بنَى مسجدَ الضِّرار، ومعه من المنافقين: خِذَامُ بْنُ خَالِدٍ، وَعَبَّادُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَعَمْرُو بْنُ خِذامٍ، وَجَارِيَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَابْنَاهُ مُجَمِّعٌ وَزَيْدٌ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(١٠٧))[4] .

- أَوْسُ بْنُ قَيْظِيّ. وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (....وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا(١٣))[5] ، وهو أخو مِرْبَعِ بْنِ قَيْظِيّ من المنافقين أيضًا.

---

(١)سورة التوبة .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة التوبة
(٤) سورة التوبة .
(٥) سورة الأحزاب .

– (أبو طُعمة) بَشِيرُ بْنُ أُبَيْرِقٍ سَارِقُ الدّرْعَيْنِ. وفيه نزل قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ... (١٠٧))[١] .

– وَقَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ، وَعَمْرُو بْنُ قَيْسٍ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، ورَافِعُ بْنُ وَدِيعَةَ... وكلُّهم من الخزرج، ومن بني النجار.

– وَالْجَدّ بْنُ قَيْسٍ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ...(٤٩))[٢] .

ثانيًا: منافقون من أحبار اليهود:

(سَعْدُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَزَيْدُ بْنُ اللّصَيْتِ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى بْنُ عَمْرٍو، وَعُثْمَانُ بْنُ أَوْفَى)، وكلُّهم مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَرَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، وَسِلْسِلَةُ بْنُ بَرْهَامٍ، وَكِنَانَةُ بْنُ صُورِيَا.

ثالثا: منافقون آخرون:

– عَصْمَاءُ بِنْتُ مَرْوَانَ.

– الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ الثّقَفِيُّ من ثقيف، وكان حسن المظهر حلو المنطق. نزل فيه قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(٢٠٤))[٣] ، [٤].

س٢٨: لماذا شُرِعِ الفتح على الإمام في الصلاة الجهرية ؟

ج٢٨ : يقول د. عبد المجيد المنصور:الفتح على الإمام هو (تصحيح خطئه وتذكيره ما نسي أثناء القراءة أو تلقينه إذا سكت في الصلاة)، ويسمى: (إطعام الإمام)، وهو سنة في الصحيح من أقوال العلماء في الفرض والنفل، روي عن عثمان وعلي وابن عمر رضي الله عنهم وبه قال عطاء والحسن وابن سيرين وجماعة من السلف، وكرهه ابن مسعود وشريح والشعبي والثوري، وقال أبو حنيفة وابن حزم تبطل الصلاة به؛ لأنه كلام بلا حاجة.

---

(١)سورة النساء .
(٢)سورة التوبة .
(٣)سورة البقرة .
(٤) شبكة الألوكة تاريخ الإضافة: ٢٠١٧/٢/٣ م. - ١٤٣٨/٥/٦ هـ.

وبوب أبو داود في سننه: (باب الْفَتْحِ عَلَى الإِمَامِ فِي الصَّلاَةِ)، وروى عن الْمُسَوَّرِ بْنِ يَزِيدَ الْمَالِكِي قال شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ فِي الصَّلاَةِ فَتَرَكَ شَيْئًا لَمْ يَقْرَأْهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَكْتَ آيَةَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «هَلاَّ أَذْكَرْتَنِيهَا»، صححه ابن خزيمة، وحسنه الألباني، وعن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فالتبس عليه، فلما فرغ قال لأُبي بن كعب: (أشهدت معنا؟) قال: نعم قال: (فما منعك أن تفتحها علي)، صححه ابن حبان، وروى البيهقي عن نافع قال: كنت ألقن ابن عمر في الصلاة فلا يقول شيئا، وروى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع أن ابن عمر صلى المغرب فلما قرأ (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) جعل يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرارا يرددها فقلت: (إذا زلزلت) فقرأها، فلما فرغ لم يعب علي ذلك، وقال ثابت البناني: كان أنس إذا قام يصلي قام خلفه غلام معه مصحف، فإذا تعايا في شيء فتح عليه، وقال علي رضي الله عنه: من السنة أن تفتح على الإمام إذا استطعمك، قال الراوي: قلت لأبي عبد الرحمن السلمي: ما استطعام الإمام؟ قال إذا سكت، وفي الباب أحاديث وآثار أخر لا تخلو من ضعف.

ولم نجد من قال من الأئمة بوجوبه مطلقاً إلا في الفاتحة، أما في غير الفاتحة فلا يجب، قال المرداوي في الإنصاف: (أمَّا في غيرِ الفاتحةِ، فلا يجِبُ بلا خِلافٍ أعْلَمُه)، وبهذا نعرف أن التسارع الجماعي والتسابق والتساهل من بعض المأمومين على الفتح على الإمام بدون حاجة وبشكل فوضوي يعد من الظواهر السلبية الملحوظة في بعض المساجد، وقد تُعَرِّض صلواتهم للبطلان على قول أبي حنيفة وابن حزم، ناهيك عما فيها من تضايق كثير من الأئمة من هذا الصنف من الناس، وقد يُلتمس للعامة العذر في الجهل بهذا الباب من العلم لقلة طرقِه على الأسماع وفي الدروس، لذا رأيت من المناسب أن أذكر إخواني المأمومين بما يدور في خواطر الأئمة وما يحبذونه ويريدون أن يروه من الآداب التي ينبغي للمأموم أن يلتزم بها إذا أرتج على الإمام وعند استطعامه، لعل الله أن ينفع بها الجميع:

الأول: الإخلاص لله في الفتح على الإمام، وتصحيح المقصد، وعلى الفاتح أن يحرص على إبعاد حظوظ النفس من رياء وتظاهر بالحفظ أمام الناس وجلب أنظاهرهم إليه، ومن كان مقصده مطلق الفتح على الإمام فإنه لن يبالي أن يكون هو الفاتح أو غيره.

الثاني: الفتح برحمة وشفقة؛ لأن الفتح إعانة للإمام، وليس للتأديب، ولا مجال فيه للتشفي والانتقام وتصفية الحساب كما يحصل من بعض المأمومين لإحراج الإمام أمام الناس.

الثالث: الغالب أن الأئمة يتركون خلفهم من يفتح عليهم كالمؤذن، وعليه فلا ينبغي للمأموم أن يفتح على الإمام إذا كان يعلم أن خلفه من تكفل بالفتح عليه، مما قد يعرض صلاته للنقص والخلل أو البطلان على رأي بعض العلماء.

الرابع: إذا لم يُعيّن خلف الإمام فاتح، فالأولوية في الفتح للأقربين من الإمام، وعليه فلا ينبغي لمأموم في أطراف المسجد أو في الصفوف المتأخرة والخلفية مزاحمة الأقربين

الخامس: إذا غلب على ظنك أن الإمام لن يسمع فتحك لبعدك أو لاختلاط الأصوات أو بسبب مكبرات الصوت، فلا تفتح عليه؛ لأنه لن يستفيد من فتحك شيئًا، وتحرج نفسك أمام الناس.

السادس: يقبح الفتح من مأموم في أقصى أطراف المسجد أو في الدور العلوي، والإمام في الدور السفلي مثلا كما الحال في الحرمين أو الجوامع الكبيرة، وقد يجرّ هذا على صاحبه العجب أو الرياء أو غيبة الناس له.

السابع: أن كثرة الفاتحين على الإمام فيه تشويش عليه وإرباك وخلط بين الأصوات لن يتمكن به الإمام من سماع أحدهم بوضوح غالباً، فعلى المأمومين الاتكال على من عيّنه الإمام أو الأحفظ منهم، ولهذا يشرع الإيثار في الفتح على الإمام، ويكره التسابق عليه، وإن كان الفتح في أصله سنة وقربة إلا أن التسابق هنا يسبب التزاحم والتعارض والتشويش فتعين فيه الإيثار، بخلاف مسألة التسابق على القُرْبِ من الإمام والصف الأول ونحوها، فلا يسبب التسابق فيها مفسدة التعارض والتشويش، وهذا الإيراد وراد عند من يكره الإيثار في القُرَب والطاعات.

الثامن: ينبغي إعطاء الإمام الفرصة في تصحيح الخطأ، وعدم الاستعجال عليه في الفتح،

والغالب أن الإمام المتقن قد يعرف خطأه مباشرة قبل الفتح، فلا حاجة للدخول السريع عليه، ولهذا قال الحنفية: (ولا ينبغي للمقتدي أن يفتح على الإمام من ساعته؛ لأنه ربما يتذكر الإنسان من ساعته فتكون قراءته خلفه قراءة من غير حاجة).

التاسع: يجب أن يكون الفتح بهدوء ورفق وصوت مسموع لا مزعج ولا عالٍ ولا مفاجئ يربك الإمام.

العاشر: الفتح على الإمام لحظة قراءته غير مجدٍ ولا مسموع غالباً، لذا يفضل كثير من الأئمة أن يتَحيّنَ الفاتح لحظة الرد (وقت سكوته لأخذ نفس جديد)؛ لأنه قد لا يسمع فتحه وهو يقرأ، وذهنه وعقله مرتكز في القراءة التالية.

الحادي عشر: طريقة الفتح المفضلة عند كثير من الأئمة إذا أخطأ في كلمة هي أن يعيد عليه ما قبل الكلمة ليصحح الخطأ بنفسه، فلو قال الإمام مثلاً في سورة الأعراف: (يأتوك بكل سحّار عليم)، يقول الفاتح: (يأتوك بكل) ويقف، فإن صحح الخطأ فذاك، وإن لم يعرف الصواب فتح عليه في المرة الثانية، وعلى هذا فقس، في مثل نهاية الآيات(غفوراً رحيماً)، و(عليماً حكيماً)...يقول الفاتح (وكان الله) ويقف.

الثاني عشر: إذا كثرت الأخطاء بشكل فاحش في الركعة الواحدة، وظهر في الإمام إرباك وتوتر بسببها، فالأولى في هذه الحال عدم التدقيق عليه في كل صغيرة مثل الحركات أو الحروف كالواو والفاء ونحوها، فمثل هذه الأخطاء حقها التمرير في مثل هذه الحال، لا سيما أن الفتح على الإمام بأصله غير واجب إلا في الفاتحة بلا خلاف كما سبق، والله تعالى أعلم.

الثالث عشر: الخطأ الفاحش الذي يحيل المعنى حقه الفتح في كل الأحوال كقول أحد الأئمة سهوا في سورة إبراهيم: (وارزقني وبني أن نعبد الأصنام) أو نحو: (وكلم الله موسى تكليما) لو نصب لفظ الجلالة.

الرابع عشر: لا يجوز للفاتح أن يفتح على الإمام إلا مع (يقين) خطأ الإمام، وصواب فتحه، أما إذا شك المأموم بخطأ الإمام فلا يجوز له الجرأة في الرد خاصة من غير الحفظة، فكم من مأموم التبست عليه المتشابهات المتفرقة في القرآن، وأصبح يرد على الأئمة خطأ؛ ويظن أن

الإمام يقرأ في السورة التي يحفظها، وفي الحقيقة أنه يقرأ في سورة أخرى، كقوله تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا...)، وردت هذه الجملة في فصلت وفي الأحقاف، وبعد (استقاموا) يتغير السياق فيهما، فالمتعجل وغير الحافظ يفتح على جهل ويلزمه أن يقرأ ما يحفظه.

الخامس عشر: إذا كان الخطأ في آخر القراءة، وشرع الإمام في الركوع فلا يناسب الفتح في هذه الحال؛ لأنه يصعب على الإمام الرجوع عن الركوع للتصحيح، والركوع ركن وتصحيح الخطأ سنة، أما إذا لم يشرع في الركوع فله الفتح إذا وجد فرصة لذلك، وغلب على ظنه أخذ الإمام بفتحه، والمسألة اجتهادية وتقديرية لكل حالة بحسبها، وليس فيها نصوص قطعية غير أن الفتح على الإمام مزلق خطير، وجرأة على الله لا يقتحمه بدون يقين إلا ضعيف الإيمان أو لهوى في نفسه، نسأل الله السلامة والعافية)[1].

وكتب الأستاذ محمود العشري عن قواعد في أحكام وآداب الفتح على الإمام: (هذه مجموعةٌ من الأحكام والآداب لمن يريد أن يفتح على إمامه في الصلاة، جمعتُها ورتبتها لما رأيتُ الحاجة إليها، خاصة وأن كثيرًا من الأئمة والمأمومين قد يعرِّضُ صلاته للبطلان بمخالفة هذه الأحكام والخروج عن هذه الآداب:

١- الصحيح من أقوال أهل العلم أنه يجوز الفتح على الإمام إذا نسي آية؛ لِمَا رواه الإمام أحمد رحمه الله وأبو داود رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى فترك آية، فقال له رجل: يا رسول الله، آيةُ كذا وكذا؟ قال: (فهلاَّ ذكرتَنيها؟)[2].

ولِمَا رواه أبو داود أيضًا عن ابن عمر - رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى صلاة فقرأ فيها فتلبس عليه، فلما انصرف قال لأُبَي: (أصلَّيت معنا؟)، قال: نعم، قال: (فما منعك؟!)[3].

---

(١) موقع المسلم٢١ رمضان ١٤٣٨

(٢) رواه أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في الصحيحة ٨٠٢

(٣) رواه أحمد وأبو داود، وحسَّنه الألباني في الصحيحة ٨٠٣

وقد روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قولَه: (كنا نفتحُ على الأئمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (إذا استطعمك الإمام فأطعمه)؛ يعني: الفتح عليه، وجاء عن عدد من الصحابة والتابعين استحبابُ الفتح على الإمام.

٢- ويجب أن تكون نيَّة مَن يفتح على الإمام تذكيرَه إذا نسي، أو تصحيحَ ما أخطأ فيه، وأما إن نوى القراءة، فإن صلاته تبطل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟)، قلنا: نعم، هَذًّا يا رسول الله! قال: (لا تفعلوا إلا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها)[(١)].

٣- ولا يجوز المبادرة بالفتح على الإمام إذا سكت إلا إذا عُلِم أن سكوته من أجل نسيان، وأمَّا إذا سكت عند آيةِ رحمةٍ ليدعو، أو آية عذاب ليدعو، فإنه لا يبادر؛ لحديث حذيفة قال: (صلَّيت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلتُ: يركعُ عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مسترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ)[(٢)]

(ومعنى مسترسلاً؛ أي: متمهلاً)، وكذلك إذا سكت لالتقاط نَفَسه، أو لاستحضار ذهنه، فإنه لا يُبَادر بالفتح؛ ولذلك قال علماء الحنفية: "ينبغي للمأموم ألا يعجلَ الإمام بالفتح، ويكره له المبادرة بالفتح"؛ (فتح القدير ١/٢٨٣).

وكذلك قد يكون سكوتُ الإمام من أجل نخامة، أو جفاف حلق، أو انقطاع نَفَس، فالواجب إمهاله، وعدم مبادرته.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٥٦ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٧٢ .
(٣) الشوكاني ، فتح القدير ، ج١ ، ص ٢٨٣ .

٤- ولا يجوز لمن يصحِّح آيةً يرى أن الإمام أخطأ فيها أن يبادرَ بتصحيحِها، إلا إذا كان على ثقةٍ من حفظه، ومخالفة الإمام للصواب، فإن القرآن معظمه متشابهٌ في اللفظ.

- وقد يأتي التشابه في آية بكاملها؛ كقوله تعالى: (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٣٤))[١] ، وكقوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٦))[٢].
- وقد يكون باختلافٍ في بعض الحروف؛ كقوله تعالى: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(٤٨))[٣] ، وقوله تعالى: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ(١٢٣))[٤].
- وقد يكون في التقديم والتأخير؛ كقوله تعالى: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى... (٢٠))[٥] ، وكقوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى... (٢٠))[٦] ، وكثيرًا ما ينبري للردِّ والتصحيح مَن لا يكون على علم دقيق بالحرف الصحيح، فيفسد على القارئ قراءته، ويتسبَّب في التشويش والتعويق.

٥- ولا يجوز الردُّ والتصحيح للإمام إذا كان الإمام مجيدًا وعلى علمٍ بالقراءات، فقد يقرأ بقراءة غير ما يحفظه المأموم، كأن يقرأ الإمام بقراءة ورش، والمأموم لا يعلم إلا قراءة حفص مثلاً، ومعنى هذا أنه لا يجوز لمن يصحِّح للإمام أن يردَّ إلا إذا عَلِم يقينًا أن الحرف الذي أخطأ فيه الإمام ليس حرفًا متواترًا، أو علم أن الإمام لا يعرف إلا قراءة واحدة من القراءات المتواترة، وبذلك يكون تجاوزه عنها خطأً، والدليل على ذلك ما رواه الإمام البخاري بإسناده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الرحمن .
(٣)سورة البقرة .
(٤)سورة البقرة .
(٥)سورة القصص .
(٦) سورة يس .

على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأَنِيها، وكدتُ أن أعجل عليه، ثم أمهلتُه حتى انصرف، ثم لببتُه بردائه فجئتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ على غير ما أقرأتَنيها، فقال لي: (أرسله)، ثم قال له: (اقرأ)، فقرأ: قال: (هكذا أنزلت)، ثم قال لي: (اقرأ)، فقرأت، فقال: (هكذا أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا منه ما تيسَّر)[1].

وفي هذا الحديث من الفقه أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أقرَّ عمر على سكوته، وقد سمع قراءة مخالفة لما تعلَّمه، ولم يردَّ على هشام بن حكيم حتى انتهى من صلاته، وأن كل حرف من القرآن كان ثابتًا إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قُرِئ به، ولا يجوز إنكاره على مَن قرأ به.

ومعلوم أن عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرفٍ واحد حتى لا يختلفوا في القرآن، وقد أجمع المسلمون على ذلك، وبقي الاختلاف في القراءة فيما يحتملُه رسم المصحف العثماني، ونقل عن النبي صلى الله عليه وسلم تواترًا.

٦- الذي له الحق في الردِّ على الإمام هو الذي يصلي بجواره، أو الذي يليه من خلف ظهره، وأما مَن كان في مكان بعيد عن الإمام، فإنه لا يجوز له الفتح على الإمام، وأمَّا إذا أيقن المأموم أن صوته لا يصل إلى الإمام، فإنه يحرم عليه الفتح والرد.

٧- لا يجوز أن يتولَّى الردَّ والتصحيح والفتح على الإمام أكثرُ من واحد في وقت واحد؛ لأن هذا يؤدِّي إلى اختلاط الأصوات والتشويش على الإمام والمصلِّين، ويجب أن يتركَ الأقل حفظًا وعلمًا لمن هو أحفظ منه وأعلم.

٨- لا يجوز للمرأة إذا صلَّت خلف الرجال أن تفتح على الإمام، ولا أن تصحِّح له، وهذا مما لا خلاف فيه؛ وذلك أنها مُنِعت من التسبيح تنبيهًا للإمام لئلاَّ يخرج صوتها في الصلاة، فمن باب أولى الفتح عليه، والله أعلم.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٤١٩ .

٩- لا يجوز للمأموم أن يحملَ مصحفًا لمتابعة الإمام والتصحيح له، وذلك أنه في صلاة، وليس في تعليم وتعلم، ثم إن الحركة بحمل المصحف، وفتحه عند القراءة وإغلاقه بعد ذلك ينافي عمل الصلاة، وأما ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، قال: حدثنا يحيى بن آدم قال: حدثنا عيسى بن طهمان قال: حدثني ثابت البناني قال: كان أنسٌ يصلِّي وغلامه يمسكُ المصحف خلفه، فإذا تعايا في آية فتح عليه، فإنه ليس في هذا الأثر أن غلام أنس كان يصلِّي معه ، وكان أنس بن مالك رضي الله عنه قد كبرت سنُّه وعَمِي، ولعله كان يصلِّي وحدَه في منزله، فكان يفعل ذلك حتى يتابعَ القراءة وهو في الصلاة، وهذا يخالف ما يفعله كثير من الناس اليوم؛ حيث ينشرون مصاحفهم وهم وقوف في الصلاة خلف إمامهم، وهذا أشبه بفعل أهل الكتاب منه بصلاة أهل الإسلام.

١٠- يجب أن تكون نية مَن يفتح على الإمام أو يصوِّب خطأه أنه يفعلُ ذلك إخلاصًا لله وتعبدًا له، وأمَّا إذا كان يفعله رياءً وسُمْعَة ليرى الناس أنه حافظ، فإنه بهذا يُحبِط أجره، وقد تبطل صلاته تبعًا لذلك.)[١] .

س٢٩: لماذا قدم الله المال على البنون؟.

ج٢٩: لقد قرن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الأموال والأولاد في أربعة وعشرين موضعاً قُدِّمَت فيها الأموال على الأولاد، وفي موضعين قُدِّمَ الأولاد على الأموال؛ فما الحكمة والسر في ذلك؟.

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله : (في الأغلب في آيات القرآن الكريم المال مقدم على النفس والأولاد ففي معظم آيات الجهاد في سبيل الله تعالى يكون المال مقدم على النفس" جاهدوا بأموالهم وأنفسهم"). قال تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا(٤٦))[٢]، تلك هي العناصر الأساسية في فتنة الناس في الدنيا: المال والبنون، لكن لماذا قدَّم المال؟ أهو أغلى عند الناس من البنين؟.

---

(١) شبكة الألوكةتاريخ الإضافة: ٢٠١٣/١٢/٣٠ م - ١٤٣٥/٢/٢٦ ه.
(٢) سورة الكهف .

نقول: قدَّم الحق سبحانه المال على البنين، ليس لأنه أعزُّ أو أغلى؛ إنما لأن المال عام في المخاطب على خلاف البنين، فكلُّ إنسان لديه المال وإنْ قلَّ، أما البنون فهذه خصوصية، ومن الناس مَنْ حُرِم منها.

كما أن البنين لا تأتي إلا بالمال؛ لأنه يحتاج إلى الزواج والنفقة لكي يتناسل ويُنجب، إذن: كل واحد له مال، وليس لكل واحد بنون، والحكم هنا قضية عامة، وهي: (المال والبنون زِينَةُ الحياة الدنيا..) كلمة (زِينَةُ) أي: ليست من ضروريات الحياة، فهو مجرد شكل وزخرف؛ لأن المؤمن الراضي بما قُسِمَ له يعيش حياته سعيداً بدون مال، وبدون أولاد؛ لأن الإنسان قد يشقَى بماله، أو يشقى بولده، لدرجة أنه يتمنى لو مات قبل أن يُرزقَ هذا المال أو هذا الولد.

حكمة حول عدم الإنجاب:

لقد باتت مسألة الإنجاب عُقْدة ومشكلة عند كثير من الناس، فترى الرجل كَدِراً مهموماً؛ لأنه يريد الولد ليكون له عِزْوة وعِزّة، وربما يُرَزق الولد ويرى الذُّلَّ على يديه، وكم من المشاكل تُثار في البيوت؛ لأن الزوجة لا تنجب.

حكم ربانية:

١–لو أيقن الناس أن الإيجاد من الله نعمة، وأن السَّلْب من الله أيضاً نعمة لاستراح الجميع، ألم نقرأ قول الله تعالى: (لِلَّهِ مُلْكُ السماوات والأرض يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذكور(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠))، والعُقْم في ذاته نعمة وهِبَة من الله لو قبلها الإنسان من ربه لَعوَّضه الله عن عُقْمه بأنْ يجعل كل الأبناء أبناءه، ينظرون إليه ويعاملونه كأنه أبٌ لهم، فيذوق من خلالهم لذَّة الأبناء دون أن يتعب في تربية أحد، أو يحمل هَمَّ أحد.

٣– وكذلك، الذي يتكدر لأن الله رزقه بالبنات دون البنين، ويكون كالذي قال الله فيه:

---

(١) سورة الشورى .

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأنثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨))[١] .

إنه يريد الولد ليكون عِزْوة وعِزّة. ونسى أن عزة المؤمن بالله لا بغيره، ونقول: والله لو استقبلت البنت بالفرح والرضا على أنها هِبَة من الله لكانتْ سبباً في أن يأتي لها زوج أبرّ بك من ولدك، ثم قد تأتي هي لك بالولد الذي يكون أعزّ عندك من ولدك.

فائدة حول المال والبنون:

المال والبنون من زينة الحياة وزخرفها، وليسا من الضروريات، وقد حدد لنا النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا، فقال: (من أصبح مُعَافىً في بدنه، آمناً في سِرْبه أي: لا يهدد أمنه أحد وعنده قوت يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها)[٢] ، فما زاد عن ذلك فهو من الزينة، فالإنسان إذن يستطيع أن يعيش دون مال أو ولد، يعيش بقيم تعطي له الخير، ورضاً يرضيه عن خالقه تعالى.

ثم يقول تعالى: (والباقيات الصالحات خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً(٤٦))[١] .

لأن المال والبنين لن يدخلا معك القبر، ولن يمنعاك من العذاب، ولن ينفعك إلا الباقيات الصالحات. والنبي صلى الله عليه وسلم حينما أُهديَتْ إليه شاة، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها تعرف أن رسول الله يحب من الشاة الكتف؛ لأنه لَحْم رقيق خفيف؛ لذلك احتفظتْ لرسول الله بالكتف وتصدّقت بالباقي، فلما جاء صلى الله عليه وسلم قال: ماذا صنعتِ في الشاة»؟ قالت: ذهبتْ كلها إلا كتفها، فضحك صلى الله عليه وسلم وقال: (بل بقيت كلها إلا كتفها)[٤] ، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: (هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبسْتَ فأبليْتَ، أو تصدَّقْتَ فأبقيْتَ)[٤].

وهذا معنى: (والباقيات الصالحات خَيْرٌ..).

---

(١) سورة النحل .
(٢) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١٠ ، ص ٢٩٢ .
(٣) سورة الكهف .
(٤) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٨٥٩ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٩٥٨ .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذِّهْن الآن: إذا لم يكُنْ المال والبنون يمثلان ضرورة من ضروريات الحياة، فما الضروريات في الحياة إذن؟. (خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً)

نقول : الضروريات في الحياة هي كُلُّ ما يجعل الدنيا مزرعة للآخرة، ووسيلة لحياة باقية دائمة ناعمة مسعدة، لا تنتهي أنت من النعيم فتتركه، ولا ينتهي النعيم منك فيتركك، إنه نعيم الجنة ، الضروريات إذن هي الدين ومنهج الله والقِيَم التي تُنظم حركة الحياة على وَفْق ما أراد الله من خلق الحياة، ومعنى: (والباقيات) ما دام قال (والباقيات)، فمعنى هذا أن ما قبلها لم يكُنْ من الباقيات بل هو زائل بزوال الدنيا، ثم وصفها بالصالحات ليفرق بينها وبين الباقيات السيئات التي يخلدون بها في النار ، (والباقيات الصالحات خَيْرٌ..)خير عند مَنْ؟ لأن كل مضاف إليه يأتي على قوة المضاف إليه، فخَيْرك غير خير مَنْ هو أغنى منك، غير خير الحاكم، فما بالك بخير عند الله؟(خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً).

والأمل: ما يتطلع إليه الإنسان مما لم تكُنْ به حالته، فإنْ كان عنده خير تطلَّع إلى أعلى منه، فالأمل الأعلى عند الله تبارك وتعالى، كُلُّ هذا يُبيّن لنا أن هذه الدنيا زائلة، وأننا ذاهبون إلى يوم بَاقٍ؛ لذلك أردف الحق سبحانه بعد الباقيات الصالحات ما يناسبها، فقال تعالى: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجبال وَتَرَى الأرض بَارِزَةً...)[1] .

يقول د.توفيق علي زيادي (وقفات مع الآيات:المال والبنون زينة وتفاخر في الحياة الدنيا: قال تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)، وقال سبحانه : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ)، وقال تعالى: (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا)، وقال تعالى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا). قال القرطبي رحمه الله : (إنما كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا)[2].

---

(١) تفريغ صوتي من اليوتيوب.
(٢) القرطبي ، التفسير ، ج١٠ ، ص ٤١٣ .

وقال السعدي رحمه الله (أخبر – تعالى – أن المال والبنين، زينة الحياة الدنيا؛ أي: ليس وراء ذلك شيء، وأن الذي يبقى للإنسان وينفعه ويسرُّه: الباقيات الصالحات)[1].

فالمال والبنون زينة الحياة، والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات. ولكنه يعطيهما القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد، إنهما زينة ولكنهما ليستا قيمة؛ فما يجوز أن يوزَن بهما الناس ولا أن يقدَّروا على أساسهما في الحياة؛ إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات.

الأموال والأولاد استدراج وإملاء للكافرين ليزدادوا إثماً:

قال تعالى : (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ(٥٦))[2] وعن قتادة رحمه الله قال: (مُكِرَ – والله – بالقوم في أموالهم وأولادهم فلا تعتبروا الناس بأموالهم وأولادهم ولكن اعتبروهم بالإيمان والعمل الصالح)[3].

وذلك لأنهم استخدموا أموالهم وأولادهم لأجل الطغيان والاستكبار عن الحق؛ كما قال تعالى :(أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)، وأغروا بهما الناس وصدُّوهم عن سبيل الله؛ كما قال –تعالى : عن قوم نوح (وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلا خَسَارًا)، فذكر أنهم أهل أموال وأولاد؛ إيماءً إلى أن ذلك سبب نفاذ قولهم في قومهم وائتمار القوم بأمرهم؛ فأموالهم إذا أنفقوها لتأليف أتباعهم، وأولادهم أرهبوا بهم من يقاومهم، والمعنى: واتَّبعوا أهل الأموال والأولاد التي لم تزدهم تلك الأموال والأولاد إلا خساراً؛ لأنهم استعملوها في تأييد الكفر والفساد فزادتهم خساراً إذ لو لم تكن لهم أموال ولا أولاد لكانوا أقل ارتكاباً للفساد.

الأموال والأولاد اختبار وامتحان في الدنيا:

قال تعالى : (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَّ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ(٢٨))[5]:

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، ص٤٧٩ .
(٢) سورة المؤمنون .
(٣) السيوطي ، الدر المنثور ، ج١٠ ، ص ٥٨٢ .
(٤) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢٩ ، ص ١٩٢ .
(٥) سورة الأنفال .

هذا تنبيه على الحذر من الخيانة التي يحمل عليها المرءَ حبُّ المال؛ وهي خيانة الغلول وغيرها؛ فتقديم الأموال لأنها مظنة الحمل على الخيانة في هذا المقام.

وعطف الأولاد على الأموال لاستيفاء أقوى دواعي الخيانة فإن غرض جمهور الناس في جمع الأموال أن يتركوها لأبنائهم من بعدهم.

وجَعْلُ نفس (الأموال والأولاد) فتنة لكثرة حدوث فتنة المرء من جراء أحوالهما؛ مبالغة في التحذير من تلك الأحوال وما ينشأ عنها، فكأن وجود الأموال والأولاد نفس الفتنة.

وعطف قوله: (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) على قوله: (أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ) للإشارة إلى أن ما عند الله من الأجر على كفِّ النفس عن المنهيات هو خير من المنافع الحاصلة عن اقتحام المناهي لأجل الأموال والأولاد[1].

والفتنة: هي البلاء والمحنة؛ لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة، ولا بلاء أعظم منهما ، وقد شاهدنا مَنْ ذكر أنه يشغله الكسب والتجارة في أمواله حتى يصلي كثيراً من الصلوات الخمس فائتة ، وقد شاهدنا من كان موصوفاً عند الناس بالديانة والورع، فحين لاح له منصب وتولاَّه، استناب من يلوذ به من أولاده وأقاربه، وإن كان بعض من استنابه صغير السن قليل العلم سيئ الطريقة، ونعوذ بالله من الفتن. وقُدِّمت الأموال على الأولاد لأنها أعظم فتنة[2].

والفتنة ليست مذمومة في ذاتها؛ لأن معناها اختبار وامتحان، وقد يمر الإنسان بالفتنة وينجح؛ كأن يكون عنده الأموال والأولاد، وهم فتنة بالفعل فلا يغرُّه المال؛ بل إنه استعمله في الخير، والأولاد لم يصيبوه بالغرور بل علمهم حمل منهج الله، وجعلهم ينشؤون على النماذج السلوكية في الدين؛ لذلك فساعةَ يسمع الإنسان أي أمر فيه فتنة فلا يظن أنها أمر سيئ؛ بل عليه أن يتذكر أن الفتنة هي اختبار وابتلاء وامتحان، وعلى الإنسان أن ينجح مع هذه الفتنة؛ فالفتنة إنما تضر من يخفق ويضعُف عند مواجهتها.

---

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٩ ، ص ٧٩ .
(٢) الزركشي ، البحر المحيط ، ج ٨ ، ص ٢٠٩ .

والكافرون لا ينجحون في فتنة الأموال والأولاد، بل سوف يأتي يوم لا يملكون فيه هذا المال، ولا أولئك الأولاد؛ وحتى إن ملكوا المال فلن يشتروا به في الآخرة شيئاً، وسيكون كل واحد من أولادهم مشغولاً بنفسه.

إن الكافر من هؤلاء يخدع نفسه ويغشُّها، ويغتر بالمال والأولاد وينسى أن الحياة تسير بأمر من يملك الملك كلَّه، إن الكافر يأخذ مسألة الحياة في غير موقعها؛ فالغرور بالمال والأولاد في الحياة أمر خادع؛ فالإنسان يستطيع أن يعيش الحياة بلا مال أو أولاد. ومن يغتر بالمال أو الأولاد في الحياة يأتي يوم القيامة ويجد أمواله وأولاده حسرة عليه، لماذا؟، لأنه كلما تذكَّر أن المال والأولاد أبعداه عما يؤهله لهذا الموقف فهو يعاني من الأسى ويقع في الحسرة.

ويقول الحق سبحانه عن هذا المغتر بالمال والأولاد وهو كافر بالله: (وأولئك أَصْحَابُ النار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)، وهذا مصير يليق بمن يقع في خديعة نفسه بالمال أو الأولاد[1].

إن فتنة الأموال والأولاد عظيمة لا تخفى على ذوي الألباب؛ إذ أموال الإنسان عليها مدار معيشته وتحصيل رغائبه وشهواته، ودفع كثير من المكاره عنه؛ من أجل ذلك يتكلَّف في كسبها المشاقَّ ويركب الصعابَ ويكلفه الشرع فيها التزامَ الحلال واجتنابَ الحرام ويرغِّبه في القصد والاعتدال، ويتكلَّف العناء في حفظها، وتتنازعه الأهواء في إنفاقها، ويفرض عليه الشارع فيها حقوقاً معيَّنة وغير معيَّنة: كالزكاة ونفقات الأولاد والأزواج وغيرهم ، وأما الأولاد فحبُّهم مما أودع في الفطرة؛ فهم ثمرات الأفئدة وأفلاذ الأكباد لدى الآباء والأمهات، ومن ثَمَّ يحملهما ذلك على بذل كل ما يستطاع بذله في سبيلهم: من مال وصحة وراحة.

فحب الولد قد يحمل الوالدين على اقتراف الذنوب والآثام في سبيل تربيتهم والإنفاق عليهم وتأثيل الثروة لهم، وكل ذلك قد يؤدي إلى الجبن عند الحاجة إلى الدفاع عن الحق أو الأمة أو الدين، وإلى البخل بالزكاة والنفقات المفروضة والحقوق الثابتة، كما يحملهم ذلك على الحزن على من يموت منهم بالسخط على المولى والاعتراض عليه إلى نحو ذلك من المعاصي:

---

(١) الشعراوي ، التفسير ، رقم ١١٤٢ .

كنوح الأمهات وتمزيق ثيابهن ولطم وجوههن... وعلى الجملة ففتنة الأولاد أكثر من فتنة الأموال؛ فالرجل يكسب المال الحرام ويأكل أموال الناس بالباطل لأجل الأولاد.

فيجب على المؤمن أن يتقي الفتنتين، فيتقي الأُولَى بكسب المال من الحلال وإنفاقه في سبيل البر والإحسان، ويتقى خطر الثانية من ناحية ما يتعلق منها بالمال ونحوه بما يشير إليه الحديث. ومن ناحية ما أوجبه الدين من حُسْن تربية الأولاد وتعويدهم الدين والفضائل وتجنيبهم المعاصي والرذائل[١].

وقال السمرقندي رحمه الله : (إنما ذكر الأموالَ والأولادَ؛ لأن أكثر الناس يدخلون النار لأجل الأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أنه لا ينفعهم في الآخرة؛ لكيلا يفني الناس أعمارَهم لأجل المال والولد؛ وإنما ذكر الله تعالى الكفار، لكي يعتبر بذلك المؤمنون)[٢].

فعلى العاقل أن يعتبر بالآيات ولا يغتر بكثرة الأعداد من الأموال والأولاد وعدم اجتهاده؛ لمعاده فإن الله يمتِّعه قليلاً ثم يضطره إلى عذاب غليظ[٣].

الأموال والأولاد قد تُقعِد المسلم عن العمل لدين الله:

إن الأموال والأولاد قد تقعد الناس عن الاستجابة خوفاً وبخلاً. والحياة التي يدعو إليها الإسلام حياة كريمة، لا بد لها من تكاليف، ولا بد لها من تضحيات؛ لذلك يعالج القرآن هذا الحرص بالتنبيه إلى فتنة الأموال والأولاد – فهي موضع ابتلاء واختبار وامتحان – وبالتحذير من الضعف عن اجتياز هذا الامتحان، ومن التخلف عن دعوة الجهاد وعن تكاليف الأمانة والعهد والبيعة؛ واعتبار هذا التخلف خيانة لله والرسول، وخيانة للأمانات التي تضطلع بها الأمة المسلمة في الأرض؛ وهي إعلاء كلمة الله وتقرير ألوهيته وحدَه للعباد، والوصاية على البشرية بالحق والعدل ومع هذا التحذير التذكير بما عند الله من أجر عظيم يرجح الأموال والأولاد، التي قد تُقعِد الناس عن التضحية والجهاد.

---

(١) المراغي ، التفسير ، ج٩ ، ص ١٩٦ .
(٢)السمرقندي ، بحر العلوم ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٣) سماعيل حقي ، روح البيان ، ج١ ، ص ١٢.

فإذا انتبه القلب إلى موضع الامتحان والاختبار، كان ذلك عوناً له على الحذر واليقظة والاحتياط؛ أن يستغرق وينسى ويخفق في الامتحان والفتنة. ثم لا يدعه الله بلا عون منه ولا عوض... فقد يضعف عن الأداء بعد الانتباه؛ لثقل التضحية وضخامة التكليف وبخاصة في موطن الضعف في الأموال والأولاد؛ إنما يلوِّح له بما هو خير وأبقى، ليستعين به على الفتنة ويتقوى: (وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ). إنه سبحانه هو الذي وهب الأموال والأولاد... وعنده وراءهما أجر عظيم لمن يستعلي على فتنة الأموال والأولاد، فلا يقعد أحد إذن عن تكاليف الأمانة وتضحيات الجهاد.

ومن أجل ذلك حذَّر الله المؤمنين من الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكره فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ()) خص الأموال والأولاد بتوجُّه النهي عن الاشتغال بها اشتغالاً يلهي عن ذكر الله؛ لأن الأموال مما يكثر إقبال الناس على إنمائها والتفكير في اكتسابها؛ بحيث تكون أوقات الشغل بها أكثر من أوقات الشغل بالأولاد. ولأنها كما تشغل عن ذكر الله بصرف الوقت في كسبها ونمائها، تشغل عن ذكره أيضاً بالتذكير لكنزها؛ بحيث ينسى ذكر ما دعا الله إليه من إنفاقها.

وأما ذكر الأولاد فهو إدماج؛ لأن الاشتغال بالأولاد والشفقة عليهم وتدبير شؤونهم وقضاءِ الأوقات في التأنس بهم من شأنه أن ينسي عن تذكُّر أمر الله ونهيه في أوقات كثيرة فالشغل بهاذين أكثر من الشغل بغيرهما ، وفيه أن الاشتغال بالأموال والأولاد الذي لا يلهي عن ذكر الله ليس بمذموم[1].

(١) مجلة البيان العدد٢٩١، توفيق علي زيادي.

س٣٠ : لماذا قُدِّمَ في سورتي آل عمران والتوبة البنون على الأموال؟ :

ج ٣٠ :قال تعالى في آل عمران: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْـمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْـخَيْلِ الْـمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْـحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْـمَآبِ(١٤))[1]، وقال في التوبة: (قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(٢٤))[2].

ج : كلمَّا يذكر سبحانه الحبَّ الفطري يؤخر الأموال؛ لأن الأموال تترك للأبناء؛ يعمل ويكد ويعلم أنه ميت ويترك الأموال للأبناء.

أما في مواطن الإلهاء قدَّم الأموال على الأولاد مع أن حُبَّ الأولاد أكثر لكن الالتهاء بالمال يكون أكثر؛ لذا قدَّم الأموال على الأولاد للتحذير.

قال ابن حيان رحمه الله : (لـمَّا كان المال في باب المدافعة والتقرب والفتنة أبلغ من الأولاد قُدِّم ، بخلاف قوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَـاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ) فإنه ذكر هنا حُبَّ الشهوات، فقدَّم فيه البنين على ذكر الأموال)[3].

س٣١: لماذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الظنَّ بأنه أكذب الحديث؟.

ج٣١ : جاء في موقع الدرر السنية : (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث)[4].

قال الصنعاني: (المراد بقوله صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظنَّ) سوء الظنِّ به تعالى، وبكلِّ من ظاهره العدالة من المسلمين وقوله: (فإن الظن أكذب الحديث). سماه حديثًا؛ لأنَّه حديث النفس، وإنما كان الظنُّ أكذب الحديث؛ لأنَّ الكذب مخالفة الواقع من غير استناد

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة التوبة .
(٣) د.توفيق علي زيادي، مجلة البيان العدد٢٩١.
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥١٤٣ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٥٦٣ .

إلى أمارة، وقبحه ظاهر لا يحتاج إلى إظهاره. وأما الظن فيزعم صاحبه أنه استند إلى شيء، فيخفى على السامع كونه كاذبًا بحسب الغالب، فكان أكذب الحديث، والحديث وارد في حقِّ من لم يظهر منه شتم ولا فحش ولا فجور)[1].

وقال الملا علي القاري: (... (إياكم والظن). أي: احذروا اتباع الظن في أمر الدين الذي مبناه على اليقين، قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا...(٣٦)﴾[2] ، قال القاضي: التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع، أو التحدث به عند الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه.. أو اجتنبوا الظن في التحديث والإخبار، ويؤيده قوله: (فإنَّ الظنَّ). في موضع الظاهر زيادة تمكين في ذهن السامع حثًّا على الاجتناب أكذب الحديث)[3] .

وعن صفية بنت حيي قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا أو قال: شيئًا)[4] .

قال النووي: (الحديث فيه فوائد، منها بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، ومراعاته لمصالحهم، وصيانة قلوبهم وجوارحهم، وكان بالمؤمنين رحيمًا؛ فخاف صلى الله عليه وسلم أن يلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكا؛ فإنَّ ظنَّ السوء بالأنبياء كفر بالإجماع، والكبائر غير جائزة عليهم، وفيه أنَّ من ظنَّ شيئًا من نحو هذا بالنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الصنعاني ، سبل السلام ، ج٢ ، ص ٦٦٤ – ٦٦٥ .
(٢) سورة يونس .
(٣) علي القاري ، مرقاة المفاتيح ، ج٨ ، ص ٣٢٤٧ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٢٨١ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢١٧٥ .\

كفر .. وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظنَّ السوء)[1].

وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم)[2].

قال المناوي: (... (إنَّ الأمير إذا ابتغى الريبة). أي: طلب الريبة، أي: التهمة في الناس بنية فضائحهم أفسدهم وما أمهلهم، وجاهرهم بسوء الظن فيها، فيؤديهم ذلك إلى ارتكاب ما ظن بهم ورموا به ففسدوا، ومقصود الحديث حث الإمام على التغافل، وعدم تتبع العورات؛ فإن بذلك يقوم النظام ويحصل الانتظام، والإنسان قل ما يسلم من عيبه، فلو عاملهم بكل ما قالوه أو فعلوه اشتدت عليهم الأوجاع، واتسع المجال، بل يستر عيوبهم، ويتغافل ويصفح، ولا يتبع عوراتهم، ولا يتجسس عليهم)[4]، [5].

س٣٢ : لماذا قال الله تعالى زين للناس ولم يقل للرجال؟.

ج٣٢ : يقول الله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(١٤))[6]. يقول د .فاضل السامرائي :(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ) لِمَ لمْ يقل زُيّن للرجال طالما ذكر في الآية (من النساء)؟ فعندما ذكر البنين هذا ألمح إلى رغبة النساء في ذلك، هن يحملن البنين ويرغبن فيه. إذن البنين ليست خاصة بالرجال، عندما ذكر البنين هذا إلماح وليس تصريح إلى رغبة النساء فيه لكن لم يشأ أن يخدش حياءها ولم يقل زُين

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١٤ ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .
(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٩)، وأحمد (٤/٦) (٢٣٨٦٦)، والطبراني (١٠٨/٨) (٧٥١٦) ، والحاكم (٤١٩/٤)، والبيهقي (٣٣٣/٨) (١٧٤٠٢). والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الهيثمي (٢١٨/٥): رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، وحسنه ابن حجر في (تخريج مشكاة المصابيح) (٤٦٩/٣) كما قال في المقدمة، وصححه لغيره الألباني في (صحيح سنن أبي داود).
(٣)المناوي ، فيض القدير ، ج٢ ، ص ٣٢٣ .
(٥) السقاف ، الدرر السنية ، الظن (موقع) .
(٦) سورة آل عمران .

للنساء حب الشهوات من الرجال، كلمة البنين فيها إشارة إلى معاشرة الرجال وإلا كيف يأتي الأولاد؟ بمعاشرة الرجال فلما قال البنين دخل فيه النساء تضميناً لا تصريحاً. الناس يحبون شهوة النساء والبنين والذهب والفضة، البنين يحبها الرجال والنساء إذن دخلت النساء في الآية تلميحاً وليس تصريحاً ولكن لم يصرِّح حتى لا يخدش حياءها ما قال زين للنساء حب الشهوات من الرجال، لما ذكر البنين دخل فيه النساء تلميحاً. لم يقل زُيّن للرجال حب الشهوات من النساء لأن الرجال يسعون في ذلك وينفقون في ذلك والناس هذه أعم لأن البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ليست خاصة بالرجال ولو قال الرجال فأين يذهب النساء؟ ألا يحبون القناطير المقنطرة؟! فعمم لكن دخل فيه النساء تلميحاً يعني حب النساء للرجال دخله تلميحاً بذكر البنين لأنه لا يحسن أن يذكر أن يحب النساء الرجال لكن الرجال ليس عندهم مانع يجهرون بذلك ويتحدثون بذلك ويسعون في هذا الأمر وينفقون المال في هذا الأمر فلا مانع أن يصرّح بهم في الآية لكن النساء في الغالب يتعففن عن ذكر ذلك لا يُحسن أن يقال فيهن ما يقال في الرجال لكن الآية شملت النساء أولاً دخلت تحت العموم في كلمة الناس وذكرها تلميحاً بحبِّ البنين والقناطير المقنطرة إذن دخلت النساء في الآية تلميحاً لكن لم يخدش حياءها وكلمة الناس تضم الجنسين الرجال والنساء.

وفي مواطن الحُبّ يقدّم الأولاد على غيرهم وفي حبّ الشهوات قدّم النساء على باقي الشهوات (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(١٤)). أما في مواطن الالهاء كقوله تعالى في سورة المنافقون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩))[١] قدّم الأموال على الأولاد مع أنّ حُبّ الأولاد أكثر لكن الإلتهاء بالمال يكون أكثر لذا قدّم الأموال على الأولاد للتحذير.

---

(١) سورة المنافقون .

وما من شك أن القناطير المقنطرة هنا يُراد بها المال والاتيان بهذا اللفظ (القناطير المقنطرة) يلقي ظلاً ترسمه هذه العبارة فلِمَ عدل ربنا تعالى عن المال إلى هذه العبارة؟ (ورتل القرآن ترتيلاً).

إنه نَهَم المال ولو كان ربنا يريد مجرد الميل إلى المال لعبّر باللفظ الصريح لكن القناطير المقنطرة تدل أولاً على المال المضاعف والكثرة وتضفي تصويراً لشره الإنسان الذي لا يكتفي بالدراهم التي تسد حاجته بل يسعى إلى تكديس المال وتجميعه إرواءً لحبه للمال وشرهه.

يقول تعالى : (ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... (١٤)) آل عمران) انظر إلى هذا البيان وتأمل دقة الأسلوب القرآني. فبعد الإطناب السابق والإسهاب في ذكر الشهوات حتى كاد المرء يذهل من تصوير الله تعالى للشهوات الدنيوية ولأمور البذخ والنعيم تأتي كلمة المتاع المؤذنة بالقِلّة وهو ما يُستمتع به مدة ثم يزول. وما كان الله تعالى ليبين قيمة الحياة الدنيا الحقيقية لينتزع تعلق القلوب بها لولا استعمال هذه الكلمة فانظر واعتبر!.) [(١)].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :في هذه الآية عدة فوائد:

أولا: حكمة الله عز وجل في ابتلاء الناس بتزيين حب الشهوات لهم في هذه الأمور السبعة، ووجه الحكمة: أنه لو لا هذه الشهوات التي تنازع الإنسان في اتجاهه إلى ربه لم يكن للاختبار في الدين فائدة، انتبه يعني لو كان الإنسان لم يغرس في قلبه أو في فطرته هذا الحب لم يكن في الابتلاء في الدين فائدة، والسبب: لأن الانقياد إلى الدين إذا لم يكن له منازع يكون سهلا ميسرا، ولهذا من أول من يجيب إلى الرسل؟ الفقراء الذين حرموا من الدنيا، لأنه ليس عندهم شيء ينازعهم لا المال ولا رئاسة ولا غير ذلك، فهذا من حكمة الله أن زين في قلوب الناس حب الشهوات . ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يذم من أحب هذه الأمور على غير هذا الوجه، وهي محبته شهوة، وذلك لأنه إذا زين له محبة هذه الأمور لا لأجل الشهوة لم يكن ذلك سببا لسده عن دين الله لأن أكثر ما يفتن الإنسان الشهوة إذا لم يكن هناك شبهة،

---

(١) د.فاضل السامرائى ، برنامج ورتل القران ترتيلا تفريغ صوتي

فإن كان هناك شبهة واجتمع عليه شبهة وشهوة حصلت له الفتنتان ، ويدل لذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (حبب إلي من دنياكم النساء والطيب) ويدل لذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم رغب في والنكاح حث عليه، وأمر به الشباب، ومما يدل لذلك أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تزوج المرأة الولود، والولود كثيرة الولادة، وإذا كانت ولودا كثر نسلها ومن نسلها البنون، فالمهم أن محبة هذه الأشياء لا من أجل الشهوة أمر لا يذم عليه الإنسان .

ثانيا : قوة التعبير للقرآن، وأنه أعلى أنواع الكلام في الكمال ، ولهذا قال: (حب الشهوات) ولم يقل حب النساء، أو حب البنين، أو حب القناطير المقنطرة بل قال حب الشهوات من هذه الأشياء ، فسلط الحب على أيش؟ على الشهوات لا على هذه الأشياء لأن هذه الأشياء حبها قد يكون محمودا كما عرفت .

ثالثا: تقديم الأشد فالأشد، ولهذا قدم النساء، ففتنة شهوة النساء أعظم فتنة، أعظم فتنة ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) ولهذا بدأ بها فقال: (من النساء) .

رابعا: أن البنين قد يكونون فتنة، ويشهد لذلك قوله تعالى: (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) والأولاد أعم من البنين .

خامسا :أن الذهب والفضة من أشد الأموال خطرا على الإنسان، ولهذا قدمهما على بقية الأموال، فقال: (والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) لأنها أعظم من المال فتنة لاسيما الموصوفة بهذه الصفات أنها قناطير المقنطرة .

سادسا : أنه كلما كثر المال ازدادت الفتنة في شهوته، من أين نأخذه؟ لقوله: (القناطير المقنطرة من الذهب والفضة) ولهذا نجد بعض الفقراء يجود بكل ماله والغني لا يجود بكل ماله، بل بعض الأغنياء ـ نسأل الله العافية ـ يبتلون كلما كثر مالهم اشتد بخلهم ومنعهم .

سابعا : أن الخيل أعظم المركوبات فخرا ، ولهذا قال: (الخيل المسومة) ولاسيما إذا كانت مسومة أي معتنى بها أو مسومة مطلقة في المرعى معنى بها في رعيها فإنا تكون أعظم المركوبات

فتنة .

ثامنا : أن فتنة الأنعام الإبل والبقر والغنم دون فتنة الخيل بناء على الترتيب وأن الترتيب في هذه الآية من الأعلى إلى الأدنى .

تاسعا : أن من الناس من يفتن في الحرث، في الزراعة فيفتن بها ويزدرع على الوجه المشروع وغير المشروع وهو كذلك ولاسيما في زمننا هذا حيث الزراعة فصار الناس ـ والعياذ بالله ـ يذهبون فيها كل مساء ويرتكبون فيها المحرمات من الكذب على الدولة والخيانة نعم ؟ ومع ذلك لا يرون في هذا بأسا تجد الإنسان مثلا يبيع محصورة على شخص من الناس بدراهم نقدا ثم يعطيه اسمه من أجل أن يأخذ المشتري من الحكومة أو دولة ثمنا أكثر، يشتريه من المزارع مثلا بريال ونصف بكيلو ويبيعها على الدولة بريالين ويكذب فيأخذ اسم المزارع فيكون المزارع خائنا والآخر كاذبا وينتج من ذلك أكل المال بالباطل، وإذا سألوا هذا حرام قال: نحن محتاجون فلوس يقول يحتاج، إذا تحتاج فلوس تكذب وتتحيل ؟ اصبر وإلا بع عليه هذا ولا تعطيه اسمك، بع عليه المحصور ولا تعطيه اسمك إذا كانت الدولة تسمح لبيعه، لكن ابتلي الناس بهذا الشيء، (والحرث) .

عاشرا : أن هذه الأشياء كلها لا تعدوا أن تكون متاع الحياة الدنيا، لقوله: (ذلك متاع الحياة الدنيا) . ومن فوائدها: التزهيد في التعلق بهذه الأشياء، لقوله: (ذلك متاع الحياة الدنيا) وكل ما كان للدنيا فلا ينبغي للإنسان أن يتبعه نفسه، لأنه زائل، لا تتبع نفسك شيئا من الدنيا إلا شيئا تستعين به على طاعة الله حتى ينفعك وأنت سوف تنال منه ما يناله من أتبع نفسه ما متاع الحياة الدنيا للدنيا، يعني مثلا أن الرجل الذي يأكل العشاء من الناس من يأكله لأجل أن يحفظ بدنه أو أن يحفظ جسمه، يأكله امتثالا لأمر الله، يأكله استعانة به على طاعة الله، يأكله تمتعا بنعم الله فيؤجر على ذلك، ومن الناس من يأكله لمجرد الشهوة ليملأ بطنه فيحرم هذا الأجر، يحرم هذا الأجر لأنه نوى به مجرد الشهوة فقط .

حادي عشر : تنقيص هذه الحياة، لقوله: (الحياة الدنيا) فو الله إنها ناقصة، إن دارا لا يدري الإنسان مدة الإقامة فيها، وإن دارا لا يكون صفها إلا منقصا بكدر، وإن دارا فيها شحناء

والعداوة والبغضاء بين الناس، وغير ذلك من المناقصات إنها لدنيا، الإنسان منا في هذه الدنيا لا يضمن أن يبقى ولا واحدة أليس كذلك؟ إذا كيف نقول هذه حياة ؟ كيف نقول إن هذه حياة؟ إنها لحياة الدنيا والإنسان في الحقيقة من حكمة الله عز وجل أنه فتن بما فيها من هذه الأشياء التي ذكر الله عز وجل، ولكن العاقل ينظر إلى المآل وال .

ثاني عشر: أن ما عند الله خير من هذه الدنيا، لقوله: (والله عنده حسن المآب) . ومنها: ما أشار إليه بعضهم في أن من تعلق بهذه الأشياء تعلق شهوة فإن عاقبته لا تكون حميدة، لأن الله لما ذكر التعلق على وجه الشهوة بهذه الأشياء قال: (والله عنده حسن المآب) فكأنه يقول: ولا حسن مآب لهذا المتعلق بهذه الأشياء، أي أن عاقبته ليست حميدة، هكذا ذكر بعضهم، ولكن في نفسي منها شيء والذي يظهر لي أن الآية ختمت بهذا (والله عنده حسن المآب) من أجل ترغيب الإنسان بما عند الله عز وجل وأن لا يتعلق بهذا المتاع الحياة الدنيا.)[1].

س٣٣ : لماذا أتى السمع مفردا والأبصار جمعا في القرآن الكريم؟.

ج٣٣: قال الله تعالى : (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٨))[2].

البَصَر :هو القدرة على الرؤية و تمييز الأشكال المختلفة .... و هو بحاجة الى ضوء .. والعين هي وسيلة الابصار لا غير ..فحتى أرى و أنظر يجب أن أكون مبصرا أي لا أكون أعمى ....(وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا.....(١٧٩))[2].

السَّمع ..هو القدرة على سماع الامواج الصوتية ..عن طريق الأذن (وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا .. (١٧٩))[3] ، و الإنسان يسمع الأمواج الصوتية التي تتراوح بين ٢٠ هرتز و ٢٠٠٠٠ هرتز

---

(١) الشيخ ابن عثيمين التفسير ، تفسير سورة آل عمران .
(٢) سورة النحل .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) سورة الأعراف .

..ولا يمكنه ان يسمع الامواج تحت الصوتية الأقلّ من ٢٠ هرتز .... أو الأمواج فوق الصوتية التي هي فوق ٢٠٠٠٠ هرتز ....

اذن فالإنسان له سمع محدّد .. وهو ثابت لدى جميع البشر ..

ووجد في القرآن الكريم .. أن السمع يأتي مفردا ممّا يعني أن هناك قدرة واحدة على السمع محددة بين ٢٠ الى ٢٠٠٠٠ هرتز .. بينما البصر قد يأتي جمعا (الأبصار) ..والذي يعني القدرة على الرؤية .. ونجد أنّ الانسان يستطيع أن يبصر أشياء كثيرة مما سمح الله تعالى له به بعينه المجرّدة من الأشياء المرئية ..وهذه هي قدرة الانسان على الابصار بعينه المجردة وفي وجود الضوء ، و لكن و بتطوّر العلم تمكّن الانسان من رؤية الخلايا الدقيقة و البكتريا و الفيروسات التي ليس له ان يراها بالعين المجرّدة الا من خلال المجاهر الالكترونية ..فهذه قدرة أخرى على الإبصار ..(فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ(٣٩))[١] ، ويمكن لنا ان نرى قدرة جديدة على الإبصار .. وهي عن طريق الموجات فوق الصوتية (الألتراساوند) و تحت الصوتية (الانفراسونيك) ..فنجد أن هذه الموجات الصوتية لا تفيد في السمع مع أنها موجات صوتية ..و لكنها تفيد في الإبصار و تعطي للإنسان قدرة جديدة في إبصار أشياء لم يكن له ان يراها بعينه المجرّدة ..فتستعمل موجات الالتراساوند فوق الصوتية في التصوير الطبي ..و جاري تطويرها في الاجهزة التي تستخدم التصوير الثلاثي الأبعاد ...

أمّا بالنسبة للامواج تحت الصوتية (الانفراسونيك) فقد قام مجموعة من العلماء بدراسة تاثيرها على مجموعة من المتطوعين الذين تعرضوا الى هذه الامواج .. فكانت النتيجة هو شعور كل منهم برؤية شيء ما (شبح) و كذلك الاحساس بحضور أحد ما ...و شعور بالغثيان و التّعب ..فسبحان الله العظيم .. فالأمواج السمعية مكّنت الانسان من قدرة جديدة على الإبصار .. لذلك نجد أن الإبصار له درجات متعدّدة .. بينما السمع له درجة واحدة وهي ما يسمعه الانسان ما بين ٢٠ الى ٢٠٠٠٠ هرتز ..ولو كانت للإنسان القدرة

---

(١) سورة الحاقة .

على سماع أصوات كثير من الأشياء الساكنة حوله .. لما كانت له القدرة على احتمال ذلك ..أمّا في مجال الإبصار فيستطيع ان يتحمّل .. بل و يدهشه ذلك ..ويرغب برؤية المزيد .. ممّا تقدّم .. نفهم و بوضوح شديد كون السمع مفرداً و الأبصار جمعاً)[1]..

س٣٤ : لماذا قال عيسى عليه السلام : احمد ولم يقل محمد ؟.

ج٣٤:يقول د . أحمد علي سليمان :

أولا: أن الشيء أو الشخص كلما عظُم أمره، وعلا شأنه، وزاد فضله؛ كثُرت أسماؤه وصفاته. ألا ترى مثلا، عظم السيف عند العرب، فجعلوا له خمسمائة اسم.. وكذلك الأسد والجبل والبحر ويوم القيامة... وهكذا دواليك.

ثانيا: أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم علا قدره وزاد فضله عن كل الحوادث –الحوادث هي كل ما دون الله، فكرمه الله تعالى بكثير من الأسماء العظيمة الجليلة.

ثالثا: أن أسماءه ليست أعلامًا محضةً مجردة لمجرد التعريف، بل هي مشتقة من صفات قائمة به، توجب له المدح والكمال كما قال الإمام ابن القيم.

رابعا: أن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر النبي بعض أسمائه فقال: (اسمي في التوراة أحيد؛ لأني أحيد أمتي عن النار، واسمي في الزبور الماحي، محا الله بي عبدة الأوثان، واسمي في الإنجيل أحمد، واسمي في القرآن محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض)[2]. وقال أيضا: (إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)[3].

خامسا: إن منهج الله سبحانه وتعالى في التدرج واضح في كل شيء، فما من نبي إلا بُشرت به أمته قبل مجيئه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم) موصوفًا في التوراة والإنجيل، حتى أن القسيسين والرهبان والأحبار ليعرفون صفته وشكله وهيأته أكثر مما يعرفون أبناءهم وأهليهم.

---

(١) وفاء برهان ، موقع شخصي .(شرت بتاريخ أغسطس ٢٣، ٢٠١٤ .

(٢) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ١٨٦٥ ، وقال عنه أنه موضوع .

(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٨٩٦ .

وهكذا فإن بشارة سيدنا عيسى عليه السلام بسيدنا محمد لم تكن بدعا، بل إن عيسى قد بشّر به موسى من قبل، وهكذا.

سادسا: وقد خصه الله بهذا الاسم، فلم يشاركه فيه ملَك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن عامة الخلق، يقول القاضي عياض:(... أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشَّرت به الأنبياء؛ فمنع الله تعالى بحكمته أن يُسمى به أحد غيره، ولا يُدعى به مدعو قبله؛ حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك)[١].

ويصور القرآن الكريم ذلك بقوله الله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ(٦))[٢].

جاء في تفسير البيضاوي: (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل، ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم، إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، يعني محمدا عليه الصلاة والسلام، والمعنى أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه، فذكر أول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون، والنبي الذي هو خاتم المرسلين)[٣].

وقال ابن كثير في تفسيره: وقوله (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)، يعني أن التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن يأتي بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي «أحمد». فعيسى عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو «أحمد» خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة)[٤].

---

(١) يوسف بن إسماعيل/النبهاني، واهر البحار في فضائل النبي المختار ، ج١ ، ص٨٣
(٢) سورة الصف .
(٣) البيضاوي ، التفسير ، تفسير سورة الصف .
(٤) ابن كثير و التفسير ، تفسير سورة الصف .

أما تفسير القرطبي فأورد: (وإذ قال عيسى ابن مريم إني رسول الله إليكم) أي بالإنجيل، مصدقا لما بين يدي من التوراة لأن في التوراة صفتي، وأني لم آتكم بشيء يخالف التوراة فتنفروا عني، ومبشرا برسول مصدقا من بعدي (اسمه أحمد). و(أحمد) اسم نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو اسم علم منقول من صفة أفعل التفضيل لا من فعل، وبذلك فمعنى (أحمد) أي أحمد الحامدين لربه جل وعلا، والأنبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله، ونبينا أحمد أكثرهم حمدا ، وأما (محمد) فمنقول من صفة أيضا، وهي في معنى محمود؛ ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار. فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة.. فاسم محمد مطابق لمعناه، والله سبحانه سماه قبل أن يسمي به نفسه. فهذا علم من أعلام نبوته، إذ كان اسمه صادقا عليه؛ فهو محمود في الدنيا لما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة. وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد، أي حمد ربه فنبأه وشرفه؛ فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال: اسمه أحمد ، وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه: تلك أمة أحمد، فقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذكره قبل أن يذكره بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له. فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل. وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه، فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته[1].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله كما في كتابه (جلاء الإفهام): عُرف النبي عند أمة المسيح ب(أحمد) الذي يستحق أن يحمد أفضل مما يحمد غيره، وحمده أفضل من حمد غيره، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وزهد وأخلاق وحض على الإحسان والاحتمال والصفح حتى قيل: إن **الشرائع ثلاث**:

١- شريعة عدل وهي شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص.

---

(١)القرطبي ، التفسير ، تفسير سورة الصف .

٢- شريعة فضل، وهي شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان؛ كقوله من أخذ رداءك فأعطه ثوبك ومن لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر.

٣- شريعة نبينا جمعت هذا وهذا وهي شريعة القرآن، فإنه يذكر العدل ويوجبه والفضل ويندب إليه كقوله تعالى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٤٠))[١]» (الشورى: ٤٠)، فجاء اسمه عند هذه الأمة - وهم النصارى- بأفعل التفضيل الدال على الفضل والكمال كما جاءت شريعتهم بالفضل المكمل لشريعة التوراة، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله - وهو القرآن الكريم- بالاسمين معا، فتدبر هذا الفصل وتبين ارتباط المعاني بأسمائها ومناسبتها لها.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: «وهذه الكلمة الجامعة (أحمد) التي أوحى الله بها إلى عيسى عليه السلام أراد الله بها أن تكون شعارا لجماع صفات الرسول الموعود به صلى الله عليه وسلم، صيغت بأقصى صيغة تدل على ذلك إجمالا بحسب ما تسمح اللغة بجمعه من معانٍ، ووكل تفصيلها إلى ما يظهر من شمائله قبل بعثته وبعدها ليتوسمها المتوسمون، ويتدبر مطاويها الراسخون عند المشاهدة والتجربة)[٢].

س٣٥: لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النوم على البطن؟.

ج٣٥: يقول الشيخ ابن باز : (قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى بعض أصحابه قد نام على بطنه فحركه في رجله وقال له: إن هذه ضجعة يبغضها الله وفي رواية: إنها ضجعة أهل النار فهي ضجعة مكروهة ينبغي تركها إلا من ضرورة كالوجع الذي يحتاج معه صاحبه إلى هذه الضجعة وإلا فينبغي تركها وأقل أحوالها الكراهة لقول النبي صلى الله عليه وسلم إنها ضجعة يبغضها الله فينبغي تركها وعلى الأقل الكراهة في ذلك مع أن ظاهر الحديث التحريم فينبغي للمؤمن والمؤمنة ترك هذه الضجعة إلا من ضرورة لا حيلة فيها)[٣] .

---

(١) سورة الشورى .
(٢) د. أحمد علي سليمان ، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . الإمارات العربية المتحدة ، ٣١ يناير ٢٠٢٠.
(٣)الشيخ ابن باز ، الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

يقول الشيخ المنجد : (النهي الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي ما ترك خيرا إلا دلّنا عليه ولا شرّا إلا حذّرنا منه ، وقد روى يَعِيشُ بْنُ طِهفَةَ الغفاري عن أبيه قَالَ : (ضفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن تضيفه من المساكين (أي نزلت عليه ضيفا) فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل يتعاهد ضيفه فرآني منبطحا على بطني فركضني برجله وقال لا تضطجع هذه الضجعة فإنها ضجعة يبغضها الله عز وجل . وفي رواية : فَرَكَضَهُ بِرِجْلِهِ فَأَيْقَظَهُ فَقَالَ هَذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ)[1] ، وهذا النهي عام يشمل الذّكر والأنثى لأنّ الأصل اشتراكهما في الأحكام إلا ما دلّ الدليل على التفريق بينهما)[2]، وليس من الصحي أن ينام الإنسان على بطنه، وفق موقع (هيلث) فمن الأضرار التي أثبتتها الدراسات :

١- أنّ النّوم على البطن يسبب ضيقًا في التنفّس يرهق القلب والدّماغ؛ لأنّ الإنسان في هذه الطريقة من النّوم يضغط على قفصه الصدري بثقل الظهر.

٢- أنّه يسبب الانثناء في الفقرات، مما قد يؤدّي إلى كثير من الأضرار والآلام في العمود الفقري. والنّوم على البطن يحرم الإنسان من الطريقة الصحيّة في النّوم والفوائد التي يجنيها منه.

٣- أن النوم على البطن له كثير من الأضرار؛ منها أنه يزيد من خطر تكون حصوات بالكلى. كما أوضح الباحثون أن الأشخاص الذين ينامون على بطونهم لفترات طويلة يكونون أكثر عرضة للإصابة بأمراض الكلى المختلفة وتكوّن الحصوات.

٤- التأثير على صحة المرأة الحامل، حيث إن نسبة ألم الظهر والمفاصل ستكون أكثر من المرأة غير الحامل، حيث يجب أن تبتعد المرأة الحامل عن النوم على بطنها وخاصة في أشهر الحمل الأخيرة، وذلك لأنه من الممكن أن يقوم بالتأثير على صحة الجنين.

٥- النوم على البطن يزيد من الضغط على العمود الفقري والظهر مما يؤدي إلى الشعور

---

(١) رواه أحمد : الفتح الرباني ٢٤٤/١٤-٢٤٥. ورواه الترمذي رقم ٢٧٩٨ ط. شاكر ورواه أبوداود في كتاب الأدب من سننه رقم ٥٠٤٠ ط. الدعاس والحديث في صحيح الجامع ٢٢٧٠ – ٢٢٧١.

(٢) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، س ٨٢٧ في ٢١ / ١١ / ٢٠٠٠ م .

بالتنميل والتخدير في أماكن مختلفة بالجسم مثل الذراعين والقدمين واليدين والوجه.

٦- التسريع من التعرض للتجاعيد والخطوط الرفيعة على الوجه، وذلك بسبب الضغط المتواصل عليه أثناء النوم، كما وأنه يؤدي إلى التسبب بترهل الجلد في البطن والصدر

٧- التهاب الأعصاب في منطقة الرقبة بشكل خاص، وذلك لأن الشخص الذي ينام على بطنه يقوم بإمالة رأسه إما إلى الجهة اليمنى أو اليسرى ليتمكن من التنفس بالشكل الصحيح، ولأنه يبقى على هذه الوضعية لفترة طويلة خلال الليل، الأمر الذي من شأنه التسبب بآلام في الرقبة.

٨- ضعف عضلات البطن، والتسبب في بروزها عند النساء ..

٩- إلحاق الأذى بالأعضاء الحساسة لدى البنات؛ كالصدر.

١٠- حدوث ترهل في الجلد وتحديدا في منطقة البطن والصدر.

١١- النوم على البطن أثناء الأشهر الأخيرة من الحمل ممنوع، إلا أنه يفضل تجنبه كذلك أثناء الأشهر الأولى، فرغم اعتقاد البعض أنه لا يشكل خطراً في المراحل الأولى من الحمل، إلا أنه يجب الحذر ، السبب في ذلك هو أن النوم على البطن أثناء الحمل قد يفرض ضغطاً إضافياً كبيراً على العمود الفقري، وهذا الضغط مصدره ليس فقط وزن الأم بل جنينها الذي ينمو في رحمها كذلك ، وينصح الأطباء عموماً الحامل بالنوم على الجهة اليسرى لزيادة تدفق الدم والمواد المغذية إلى الجنين، ولمساعدة الجنين والأم على الحصول على كفايتهما من الأكسجين.

وقد أشارت كثير من الدراسات الأميركية إلى منافع وفوائد كثيرة للنّوم على الشق الأيمن. فمن تلك الفوائد أنّ القلب في هذه الوضعية يكون أخف حملاً؛ لأنّ الرّئة اليسرى أصغر وأخف من الرّئة اليمنى، والكبد يكون مستقراً، والمعدة تعلوه بكل أريحيّة، كل هذا مما يساعد على الاسترخاء، ويحقّق راحة أكبر للجسم[١].

(١) موقع آيات ومعلومات.

س٣٦: لماذا كره الجلوس بين النيام أو القرب منهم ؟.

ج٣٦: جاء في الدرر السنية : (حديث: (يا علي، لا تجلس بين النيام، ولا تنام بين الجالسين، ولا تضع يدك على خدك، ولا تشبِّك أصابعك، ولا تنهش الخبز مثل اللحم، ولا تأكل الطِّين، ولا تنظر إلى المِرآة ليلًا، ولا تلبس القميص مقلوبًا، ولا تنفخ في الطعام الحار، ولا في قدح الماء، ولا تنظر إلى ما يخرج منك، ولا تتثاءب إلا ويدك على فمك، ولا تشمَّ طعامك، ولا تكبِّر لقمتك، ولا تأكل في الظلمة. يا علي، من صلى عليَّ بعد غَسل القدمين عند الوضوء عشر مرات، فرَّج الله همَّه وغمَّه، واستجاب دعوته، وأيضًا من قرأ بعد الوضوء مباشرة إنا أنزلناه في ليلة القدر، يكتب الله له بكل طهارة عبادة خمسين سنة. يا علي، من قال كل يوم واحدًا وعشرين مرة: اللهم، بارك في الموت، وما قبله، وما بعده، لم يحاسبه الله تعالى، لا تلتهون بالدنيا، كل شيء ذاهب إلا العمل الصالح. يا علي، عليك بقراءة سورة يس، من قرأها جائع إلا يشبع، ولا عطشان إلا رَوي، ولا عريان إلا كساه الله، ولا عازب إلا تزوَّج، ولا خائف إلا أمَّنه الله، ولا مريض إلا برئ، ولا مسجون إلا خلصه الله من سجنه، ولا مسافر إلا أعانه الله على سفره، ولا قُرئت على ميِّت إلَّا وخفَّفَ الله عنه سكرات الموت، والعذاب).**الدرجة: مكذوب مختلَق، وهو موجود في كتُب الشيعة، ولا يوجد في كتب السُّنة)**

يقول الشيخ سليمان الماجد : (لا أعرف شيئا يثبت في السنة في حكم نوم الشخص بين الجالسين أو العكس، ولكن توافقت الأعراف السوية على اعتبار ذلك خلقا غير حسن؛ للتحرج من النائم بوجود أحد حوله ، فلربما أحدث أو تكلم في منامه مما يكره الناس ظهوره. وكذلك في النوم بين الجالسين إحراج لهم؛ للأسباب المذكورة ، مما يؤدي بهم إلى الانفضاض أو إخفاض الصوت. والله أعلم.)[(١)] .

س٣٧ : لماذا وصف الله الشرك بالظلم العظيم ؟.

ج٣٧ :يقول الشيخ ابن عثيمين في حوار مع طلبته : (قال (وَ) اذْكُرْ (إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ) تَصْغِيرُ إِشْفَاق (لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ) بالله (لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ فتوى رقم : ١٩٠١٦مصنف ضمن : الآداب بتاريخ : ١٤٣٤/١٠/١٢هـ.

فرجع إليه وأَسْلَم ، قوله: (واذكر إذ قال) أفادنا المؤلف أنَّ (إذ) مفعولٌ لِفعل مَحذوف، أو ظَرف مُتَعَلِّق بفعل محذوف يعني اذكُرْ هذا الوقت الذي قالَ فيه لُقمانُ لابنِه إلى آخرِه، وقوله: (إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه) جملة (وهو يعظه) حاليَّة حالٌ مِن فاعل (قال) وهو لقمان يعني والحال أنه يَعِظ فيه ابنَه، والموعظة هي التذْكِير المقرُون بالتخويفِ أو الترْغِيب، قال له: (يا بُنَيَّ) قال المؤلف: إنه تصْغِير إشفَاق وهو كذلك وليس تصغِيرَ احْتِقَار، لأنَّ المقَام لا يقتضيه ولكنَّه تصغِير إشفاقٍ عليه، (يا بُنَيَ لا تشرك بالله) هذا مفعولُ القول في قوله: (وإذ قال)، (لا تشركْ بالله) أي لا تجعلْ معه شريكاً فِي مَاذا؟ فِي العبادة وفي الخلْق والتقْدِير وفي أسمائِه وصفاتِه، لأن التوحيد -كما هو معروف عند أهل العلم، ينقسِم إلى ثلاثةِ أقسام:

(توحيدُ الرُبُوبِيَّة وتوحِيدُ الأُلُوهِيَّة وتوحِيدُ الأسْمَاءِ والصِّفَات)

فالشرك بالله أن يُشرِكَ بالله تعالى في أحدِ هذه الأقسام، فمَن اعتقد أنَّ معَ الله خالقاً فهو مُشْرِك في الربوبية، ومَنِ اعتقدَ أنَّ معَ الله مَن يَسْتَحِقُّ أن يُعْبَد فهو شِرك ألوهية، ومَن اعتقد أن لِله مُنازِعاً في أسمائِه وصِفاتِه فهو مِن باب الشِّرك في الأسماءِ والصفات، قال: (لا تُشركْ بالله إنَّ الشركَ) بالله (لَظلمٌ عَظيمٌ) " أكَّد لقمان كون الشرك ظُلماً بمؤَكِّدَيْن وهما (إنَّ) واللام، وقوله: (إنَّ الشرك لَظلمٌ عظيم) الجملة تعليلٌ لِما قبلَها وهو قوله: (لا تشرك بالله) فجمَعَ له لُقمان بَيْن الحُكْم والحِكْمَة، نهاه عن الشرك وبَيَّنَ أنه ظُلم عظيم، والظُّلم في الأصْل النَّقْص ومِنه قوله تعالى: (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا(٣٣))[١]، أي لم تَنْقُص، وأمَّا في الشَّرْع فإنَّ الظُّلم هو نَقْص كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وعلى هذا فالشِّرك نقصٌ في حقِّ الله عز وجل، وقولُه: (لظلم عظيم) هذا مِن باب تعظِيم الشرك والحَذَرِ مِنه ، وليس هناك أعْظَم ظُلْماً مِن الشِرك، لأنه مهمَا كان فإنَّ ظُلْمَ الشرك أعْظَم مِن كُلّ شيء فالذي خلقَك أوجدَك مِن العدم والذي أمدَّكَ بما تَقومُ به حياتُك هو الله عز وجل، والذي أعدَّكَ وجعلَك مُستعدًّا لِمَا تَنتفِعُ به هو الله فهو الموجد المعِدّ الممِدّ، إذا كان كذلك فهل يُوجَد أحَد أعْظَم حَقًّا عليك

(١) سورة الكهف .

مِن اللهِ؟ لا يُوجَد، فإذا نَقصْتَ اللهَ حقَّه كان ذلك أعظمَ الظُّلْم واضح؟، ولهذا مَن كان إليك أكثرَ إحساناً فإن إساءَتَك إليه تكونُ أعظَم مِن غيرِه، الذي يُحسِن إليك ويُعطِيك ويُرَبِّيك ثم تُسيءُ إليه أعظم ممَّا لو أسأتَ إلى أحدٍ لم يكُنْ مِنْه ذلك :(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فرجع إليه وأسْلَم " مَن الذي رجع؟ إذن الذي رجع ابنه ، وعلى كُلِّ حال ما نعرف عَادْ هل هذه المسألة كما قال المؤلف أنَّ الابن كان مُشْرِكاً فلما وعظَه أبُوه رجَع فأسلَم، أو أنَّه –أي الابن– خافَ عليه أبوه مِن الشرك فنَهاه عنْه وبَيَّنَ لَه أن الشِّرك لَظُلم عظيم، ولا يلزمُ مِن النهي عنِ الشرك أن يكونَ الإنسان قد أشرَك، لأنَّه قد يُنْهَى عن الشيء خوفاً مِن وقوعِه لا رفعاً لما وقعَ مِنْه، وهذا أمرٌ موجود مُطَّرِد في القرآن وفي السنة وفي كلامِ الناس تقول لِلرَّجُل مثلاً: لا تُصاحِبِ الأشرار.

فهل يلزم مِن هذا النهي أن يكون مُصاحباً لهم؟ ما يلزم قد يكون نهياً لِما يُخَاف أن يحصُل مِنه، فكلِمة (لا تشرك بالله) ليست صريحةً في أنَّ الابن قد وقَع في الشرك حتى يُقال: إنَّه رجع وأسلم بل قد يكونُ أبوهُ نهاهُ عن الشرك خوفاً مِن أن يقعَ فِيه والعِلْمُ عِنْد الله)[1].

س٣٨ : لماذا أعطى النبي صلى الله عليه وسلم نصف شعره لأبي طلحة رضي الله عنه ؟.

ج٣٨ : يقول الشيخ بن باز : (لاريب أنه قد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتبركون بماء وضوئه، وبشعره عليه الصلاة والسلام، وببصاقه عليه الصلاة والسلام، ونخامته، كل هذا ثابت عنه عليه الصلاة والسلام وعن الصحابة.

فقد ثبت في حديث أبي جحيفة في الصحيحين في حجة الوداع: أنه لما خرج بلال بوضوئه صلى الله عليه وسلم كان الصحابة يتناولون منه ما تيسر –هذا يأخذ قليلًا وهذا يأخذ كثيرًا– من وضوئه عليه الصلاة والسلام.

وثبت في صلح الحديبية: أنه كان إذا تنخع نخاعة أو بصق أخذها، تلقاها الصحابة

---

(١) موقع اهل الحديث والأثر، الشيخ محمد بن صالح العثيمين / تفسير القرآن الكريم تفسير سورة لقمان.

وجعلوا يدلكون بها أجسامهم؛ لما جعل الله فيه من البركة، ولما حلق في حجة الوداع قسم نصف الشعر بين الصحابة، والنصف الثاني أعطاه أبا طلحة رضي الله عنه .

كل هذا ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام، وليس هناك شك عند أهل العلم في بركة جسمه صلى الله عليه وسلم وشعره، وما مس جسمه، ووضوئه وعرقه عليه الصلاة والسلام.

لكن لا يقاس عليه غيره؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم ما فعلوا هذا مع الصديق ولا مع عمر ولا مع عثمان ولا مع علي وهم أفضل الصحابة وخير الصحابة، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء.

فلو كان هذا مشروعًا أو جائزًا مع غير النبي صلى الله عليه وسلم لفعله المسلمون مع هؤلاء الأخيار، ولأن ذلك قد يكون وسيلة إلى الشرك والغلو، فلهذا منعه أهل العلم.

فالصحيح من أقوال أهل العلم: أنه لا يقاس على الرسول صلى الله عليه وسلم أحد، بل هذا خاص به صلى الله عليه وسلم ؛ لما قد ثبت وعلم من بركته صلى الله عليه وسلم في جسمه وعرقه وشعره وسائر أجزائه عليه الصلاة والسلام، ولأنه أقر الصحابة على ذلك، فلولا أنه جائز لما أقرهم، فلا يقاس عليه غيره؛ لأمور كثيرة.

أما التبرك بالعلماء أو بالعباد الذي يفعله بعض الناس هذا غلط ولا يجوز؛ لأنه خلاف هدي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فلم يفعله المسلمون مع فضلائهم وكبارهم: كالخلفاء الراشدين، ولم يفعلوه مع بقية الصحابة، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه؛ ولأن العبادات توقيفية، ولأن هذا قد يفضي إلى الشرك والغلو، فلهذا رجح المحققون من أهل العلم منعه مع غير النبي عليه الصلاة والسلام.

أما شرب ابن الزبير دمه وأم أيمن بوله: فهذا محل نظر، قد ورد هذا ولكن في صحته نظر، فهو يحتاج إلى تمحيص ونظر، والنظر في أسانيد القصة.

والأصل: تحريم الدم وتحريم البول، هذا هو الأصل، أن الله حرم علينا البول؛ لأنه نجس، وحرم الدم؛ لأنه من الخبائث وهو نجس، فإن صح فهذا يستثنى؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم له خصائص، فإذا صح فيكون من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، كما قلنا في

مسألة العرق ومسألة الشعر ومسألة البصاق، هذا خاص به، فهكذا إذا صح حديث أم أيمن وصح حديث ابن الزبير ؛ صار من الخصائص، وسوف نبحثه إن شاء الله ونعتني به، ويكون في حلقة أخرى إن شاء الله.)[1].

س٣٩ : لماذا أعطى الله تعالى القوامة للرجال دون النساء ؟.

ج٣٩ : يقول د. محمد بن سعد المقرن : (إن الله سبحانه وتعالى أخبرنا من فوق سبع سموات بأنه سبحانه قد أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، قال تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً...(٣)**)[2] ، وهذا مما يدل على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن هذا من لوازم كمال الدين.

وإن من الدين إثبات القوامة الزوجية للزوج بضوابطها الشرعية، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ...(٣٤)**)[3] ، الآية، وإن هذه القوامة من تمام نعمة الله تعالى علينا، فإنها ملائمة ومناسبة لكل من الرجل والمرأة وما الله عليه من صفات جِبِلِّية، ومن استعدادات فطرية.

إلا أنه مع تبدل الأزمان، وتداخل الثقافات، ومحاولة أعداء المسلمين تشويه صورة هذا الدين الحنيف، بطرق مباشرة وأخرى غير مباشرة، بل بطرق ظاهرها الرحمة، والشفقة والعطف على المرأة، وباطنها العذاب، كل هذه الأمور، مضافاً إليها سوء الفهم لدى كثير من المسلمين لمعنى القوامة ووظيفتها الشرعية، جعل من الأهمية الحديث عن هذه الوظيفة الشرعية السامية بما يوضح حقيقتها الشرعية، ويبين زيف تلك الشُّبَه والادعاءات التي وجهت لهذا الدين عبر القوامة الزوجية في الشريعة الإسلامية.

تعريف القوامة:

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة النساء .
(٣) سورة النساء .

القوامة في اللغة :من قام على الشيء يقوم قياماً: أي حافظ عليه وراعى مصالحه، ومن ذلك القيِّم وهو الذي يقوم على شأن شيء ويليه، ويصلحه، والقيم هو السيد، وسائس الأمر، وقيم القوم: هو الذي يقوّمهم ويسوس أمورهم، وقيم المرأة هو زوجها أو وليها لأنه يقوم بأمرها وما تحتاج ، والقوّام على وزن فعال للمبالغة من القيام على الشيء، والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد[1]، قال البغوي رحمه الله : القوام والقيم بمعنى واحد، والقوّام أبلغ، وهو القائم بالمصالح والتدبير والتأديب[2].

القوامة اصطلاحاً:

بعد التأمل في نصوص الفقهاء رحمهم الله تعالى واستخدامهم للفظة "القوامة" نجد أنهم رحمهم الله يستخدمون لفظ القوامة ويريدون به أحد المعاني الآتية:

الأول: القيم على القاصر، وهي ولاية يعهد بها القاضي إلى شخص رشيد ليقوم بما يصلح أمر القاصر في أموره المالية.

الثاني: القيم على الوقف، وهي ولاية يفوض بموجبها صاحبها بحفظ المال الموقوف، والعمل على بقائه صالحاً نامياً بحسب شروط الواقف.

الثالث: القيم على الزوجة، وهي ولاية يفوض بموجبها الزوج تدبير شؤون زوجته والقيام بما يصلحها ، وهذا النوع هو المراد بهذا البحث ، وبناءً عليه يمكن القول بأن القوامة الزوجية: ولاية يفوض بموجبها الزوج القيام على ما يصلح شأن زوجته بالتدبير والصيانة[3].

وبهذا يتبين أن القوامة للزوج على زوجته تكليف للزوج، وتشريف للزوجة، حيث أوجب عليه الشارع رعاية هذه الزوجة التي ارتبط بها برباط الشرع واستحل الاستمتاع بها بالعقد الذي وصفه الله تعالى بالميثاق الغليظ، قال تعالى: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً(٢١))[4].

---

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ٥٠٢/١٢-٥٠٣، مختار الصحاح، الرازي، ٢٣٣.

(٢) تفسير البغوي ٤٢٢/١.

(٣)الفتاوى الهندية ٢١٤/٦، و٤٠٩/٢،

(٤) سورة النساء .

فإذاً هذه القوامة تشريف للمرأة وتكريم لها بأن جعلها تحت قيّم يقوم على شؤونها وينظر في مصالحها ويذب عنها، ويبذل الأسباب المحققة لسعادتها وطمأنينتها.

ولعل هذا يصحح المفهوم الخاطئ لدى كثير من النساء من أن القوامة تسلط وتعنت وقهر للمرأة وإلغاء لشخصيتها، وهذا ما يحاول الأعداء تأكيده، وجعله نافذة يلِجُون من خلالها إلى أحكام الشريعة الإسلامية فيعملون فيها بالتشويه.

الأصل في القوامة الزوجية:

الأصل في قوامة الزوج على زوجته الكتاب والسنة.

أولاً: الكتاب: قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.. (٣٤)﴾[١] فهذه الآية الكريمة هي الأصل في قوامة الزوج على زوجته، وقد نص على ذلك جمهور العلماء من المفسرين والفقهاء، ولا شك أنهم أدرى الناس بمراد الله تعالى.

ومن المناسب عرض بعض أقوالهم في ذلك:

- قال ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾: "أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها، وكبيرها، والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت[٢]".
- قال ابن جرير رحمه الله: "يعني بذلك جل ثناؤه ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ الرجال أهل قيام على نسائهم، في تأديبهن، والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهم لله ولأنفسهم ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ يعني: بما فضل الله به الرجال على أزواجهم من سَوقهم إليهم مهورهن وإنفاقهم عليهن أموالهم، وكفايتهم إياهن مؤنهن، وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهن، ولذلك صاروا قُواماً عليهن، نافذي الأمر عليهن، فيما جعل الله إليهم من أمورهن[٣]".

---

(١) سورة النساء.
(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت ٥٠٣/١.
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر ٦٨٧/٦.

- وقال الجصاص في تفسير الآية: "قيامهم عليهن بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة، لما فضَّل الله الرجل على المرأة في العقل والرأي وبما ألزمه الله تعالى من الإنفاق عليها، فدلت الآية على معان أحدهما: تفضيل الرجل على المرأة في المنزلة وأنه هو الذي يقوم بتدبيرها وتأديبها، وهذا يدل على أن له إمساكها في بيته، ومنعها من الخروج، وأن عليها طاعته وقبول أمره ما لم تكن معصية، ودلت على وجوب نفقتها عليه[1].

- وقال ابن العربي في تفسير الآية: "قوله: (قَوَّامُونَ) يقال: قوّم وقيم وهو فعال وفيعل من قام، والمعنى: هو أمين عليها، يتولى أمرها ويصلحها في حالها، قاله ابن عباس، وعليها له الطاعة... وعليه – أي الزوج – أن يبذل المهر والنفقة ويحسن العشرة، ويحميها ويأمرها بطاعة الله تعالى، ويرغب إليها شعائر الإسلام، من صلاة وصيام، وعليها الحفاظ لماله، والإحسان إلى أهله وقبول قوله في الطاعات[2].

- وقال الزمخشري: وفي الآية دليل على أن الولاية تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر[3].

- وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) يعني: أمراء، عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله. وكذا قال مقاتل والسدي والضحّاك[4].

- وقال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "يخبر الله تعالى أن (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه، وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموك بذلك، وقوامون عليهن أيضاً بالإنفاق عليهن والكسوة والمسكن[5].

---

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت ٢/٢٣٦.
(٢) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت ١/٥٣٠.
(٣) الكشاف للزمخشري ١/٥٢٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مرجع سابق ١/٥٠٣، تفسير ابن جرير الطبري، مرجع سابق ٦/٦٨٧.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ابن سعدي، مؤسسة الرسالة، ص ١٤٢.

ثانياً: السنة:

جاءت أحاديث كثيرة يأمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم المرأة بطاعة زوجها ما دام ذلك في حدود الشرع، وما دام ذلك في حدود قدرتها واستطاعتها، قال تعالى: (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ....(٢٢٨)**)[١] (البقرة: من الآية٢٢٨) الآية، ومن تلك الأحاديث ما يأتي:

١- قال صلى الله عليه وسلم: (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه)[٢] .

قال ابن حجر: (وهذا القيد - أي وزوجها شاهد - لا مفهوم له بل خرج مخرج الغالب، وإلا فغيبة الزوج لا تقتضي الإباحة للمرأة أن تأذن لمن يدخل بيته، بل يتأكد حينئذ عليها المنع؛ لثبوت الأحاديث الواردة في النهي عن الدخول على المغيَّبات)[٣].

وقال الشوكاني: (إن النهي في الحديث محمول على عدم العلم برضا الزوج، أما لو علمت رضاه بذلك فلا حرج)[٤].

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح)[٥].

٣- وقال صلى الله عليه وسلم عليه وسلم: (إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت)[٦].

تكريم الإسلام للمرأة:

جاء الإسلام والمرأة لا قيمة لها في الجملة بما تعنيه هذه الكلمة وإن كانت قاسية لكنها الحقيقة، بل جاء الإسلام والمرأة إنما تعد من سقط المتاع: تباع وتورث وتوهب وتهان، فهي

---

(١) سورة البقرة .
(٢) أخرجه البخاري كتاب النكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، ومسلم كتاب الزكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني دار الريان ٢٠٧/٩.
(٤) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، دار النفائس ٢٣٨/٦.
(٥) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها.
(٦) رواه أحمد في المسند برقم (١٤٧٣)،

سلعة من السلع التي تتداولها الأيدي، وإنما يحتاج إليها للاستمتاع الجسدي فقط كسائر ما يستمتع به الرجل، ولهذا لا غرابة أن نجد من يدفن ابنته وهي حيّة؛ خشية العار، وما الظن بمجتمع وصل به الحال إلى أن يقتل الرجل فلذة كبده بيديه، وبأبشع صورة للقتل.

لكن لما جاء الإسلام جاء معه بالكرامة للمرأة، وجاء معه بالشرف والتقدير، جاء بما يكفل حقوقها ويحميها من كيد الآخرين وعدوانهم لما في طبيعتها من اللين والرقة واللطافة.

فهي الأم الحنون، وهي الأخت الكريمة، وهي الزوجة الحبيبة، وهي البنت الرقيقة.

ولما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك[1].

وإن الحديث عن تكريم الإسلام للمرأة ليطول، وإنما حسبنا في هذه العجالة أن نذكر شيئاً من ذلك:

١- لقد أقر الإسلام لها حق التملك ما دام عن طريق مشروع، وأقر لها حق الميراث، وأعطاها الصلاحية التامة في التصرف بأموالها.

٢- جعل الإسلام رضاها شرطاً أساساً في صحة زواجها وحرم على الأولياء إكراهها على ذلك. فهي صاحبة القرار في الرضا بالزواج ابتداءً؛ إذ ليس لوليها أن يعضلها ويمنعها من ذلك، فإن فعل انتقلت الولاية إلى من بعده، كما إنها صاحبة القرار في الرضا بالزوج الذي تقدم لها ، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا كارهة قالت: اجلسي حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردتُ أن أَعْلَمَ أللنساء من الأمر شيء)[2].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به.

(٢) أخرجه النسائي كتاب النكاح، باب البكر يزوجها أبوها وهي كارهة، وأحمد في المسند برقم (٢٣٨٩٢).

٣- الإسلام أكرم المرأة بتشريع ما يصونها ويحفظ كرامتها وعفافها، فأمر بالحجاب والستر ونهى عن السفور والاختلاط.

٤- هيأ لها أسباب الاستقرار والراحة والأمان، فأوجب على زوجها النفقة والكسوة والسكن، كما أمره برعايتها والتلطف معها ، قال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله في النساء، فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن[(١)].

٥- جعل النبي صلى الله عليه وسلم الإنفاق عليها من أفضل النفقات، قال صلى الله عليه وسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها الذي أنفقته على أهلك[(٢)].

٦- حث الإسلام على التودد إلى المرأة وتحمل ما قد يصدر منها من أذى، وحفظ معروفها، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر[(٣)].

وبعد فهذا غيض من فيض عن مكانة المرأة ومنزلتها في الإسلام منزلة التكريم، ومنزلة التشريف والوقار.

أسباب القوامة:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ(٣٤))[(٤)].

الله سبحانه وتعالى بيّن في الآية الكريمة سببين للقوامة التي جعلها للرجال، وهما:

السبب الأول: قوله سبحانه: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) ، وهذا نص من الله تعالى على تفضيل الرجال على النساء؛ بما ركب الله سبحانه في الرجال من صفات وسمات وخصائص اقتضت تفضيل الرجال على النساء، وسواء أكانت تلك الخصائص والصفات من جهة

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك.
(٣) أخرجه مسلم كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.
(٤) سورة النساء .

الخلقة التي خلق الله عليها الرجال، أم من جهة الأوامر الشرعية التي تطلب من الرجال دون النساء.

أما من جهة الخلقة التي خلق الله عليها الرجال فإن من المعلوم تفوق الرجال على النساء في الجملة في العقل والقوة والشدة، على عكس النساء، فهن جبلن على الرقة والعطف واللين، وهذا الأمر فضلاً عن كونه مشاهداً في الواقع، فإن النص القرآني قد جاء بتأييده، ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد، قال سبحانه: (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى....(٢٨٢))[١] .

قال ابن كثير رحمه الله: وإنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة كما قال مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت: يا رسول الله ما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان عقلها فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي لا تصلي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين[٢]، [٣].

وهذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم وشهادة منه على نقصان عقل المرأة، ولعل هذا الأمر من أقوى الأمور التي يتمسك بها أعداء الإسلام الذين يزعمون باطلاً مساندتهم للمرأة، وأن ذلك – أي القول بنقصان عقل المرأة – مما يجرح كرامتها وكبرياءها، وينادون بالمساواة مع الرجال، وإن المتأمل في دعاواهم ومكايدهم يتبين له قلة علمهم وضعف فقههم، إضافة إلى ما تكنّه صدورهم من الحقد والعداوة للإسلام وأهله، وبتأمل حديث النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة .
(٢). تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مرجع سابق ٣٤٣/١.
(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات.

يجد كل منصف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف المرأة بالجنون أو السفه، بل أخبر صلى الله عليه وسلم أن تركيبها التي خلقها الله سبحانه وتعالى عليه يستدعي نقصان العقل والدين مقارنة بالرجال، فالله سبحانه أعطى الرجل من قوة العقل وحسن التدبير ما لم يعطه المرأة، وأعطاه من أمور الدين ما لم يعطه المرأة، وليس ذلك ينقص من أجرها وثوابها، وإنما ذلك يتناسب وفطرتها التي فطرها الله تعالى عليها، بل في نفس الحديث أثبت النبي صلى الله عليه وسلم قدرة النساء الضعيفات على سلب لبّ الرجال بما منحن الله تعالى من قدرة على ذلك، أما من جهة الأمور الشرعية التي يطالَب بها الرجال دون النساء وكانت سبباً في تفضيلهم فذلك مثل الجهاد وشهود الجمعة والجماعات وغيرها من العبادات التي لم تطلب من النساء.

السبب الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ ، حيث جعل سبحانه وتعالى إنفاق الرجال على النساء سبباً لقوامتهم عليهن؛ إذ إن الرجل اكتسب خاصية القوامة لكونه القائم على الزوجة من جهة الإنفاق والتدبير والحفظ والصيانة، ولا يرد هنا فرضية إنفاق الزوجة على زوجها مما يجعلها هي صاحبة القوامة؛ إذ إن ذلك مخالف للأصل الذي جعله الشارع، فالأصل أن الإنفاق يكون على الرجل فهو الذي يقوم بالمهر والنفقة والسكن لزوجته، وأما ما شذ عن ذلك فهو مخالف للأصل، إضافة إلى أن الإنفاق سبب من أسباب القوامة، مما يستدعي مراعاة الأسباب الأخرى، ولعل من المناسب في هذا المقام إيراد كلام أئمة السلف رضوان الله عليهم في أسباب قوامة الرجل على المرأة.

يقول أبو بكر ابن العربي في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾: "المعنى: إني جعلت القوامية على المرأة للرجل لأجل تفضيلي له عليها وذلك لثلاثة أشياء:

الأول: كمال العقل والتمييز[١].

الثاني: كمال الدين والطاعة في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على العموم، وغير

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي، ١/٥٣١.

ذلك.

وهذا الذي بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم منكن قلن: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: أليس إحداكن تمكث الليالي لا تصلي ولا تصوم فذلك نقصان دينها، وشهادة إحداكن على النصف من شهادة الرجل، فذلك من نقصان عقلها"(٢٤)، وقد ذكر الله سبحانه ذلك في كتابه الكريم فقال: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى(٢٨٢)﴾ .

الثالث: بذله المال من الصداق والنفقة، وقد نص الله عليه هاهنا.

- قال ابن كثير[٢] في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة[٣] ، وكذا منصب القضاء وغير ذلك، وقوله: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيماً عليه كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾
- قال الشوكاني رحمه الله في قوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قال: "الباء في قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ﴾ للسببية، والضمير في قوله: ﴿بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ للرجال والنساء أي: إنما استحقوا هذه المزية لتفضيل الله للرجال على النساء بما فضلهم به من كون الخلفاء والسلاطين والحكام والأمراء والغزاة فيهم، وغير ذلك من الأمور، وقوله: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي: وبسبب ما أنفقوا من أموالهم، وما مصدرية، أو موصولة، وكذلك هي في

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تفسير القرآن لعظيم لابن كثير، مرجع سابق ١/٥٠٣.
(٣) أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد

قوله: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ) ومن تبعيضية، والمراد: ما أنفقوه على النساء، وبما دفعوه في مهورهن من أموالهم وكذلك ما ينفقونه في الجهاد وما يلزمهم في العقل[1].

- وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ): يعني: أمراء عليهن، أن تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله. وقوله: (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ) وفضله عليها بنفقته وسعيه[2].

- قال الشيخ محمد رشيد رضا: وسبب ذلك – أي قوامة الرجال على النساء – أن الله تعالى فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة، وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة، فكان التفاوت في التكاليف والأحكام... وسبب آخر كَسْبِيٌّ يدعم السبب الفطري، وهو ما أنفق الرجال على النساء من أموالهم، فإن المهور تعويض للنساء ومكافأة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجال، فالشريعة كرمت المرأة؛ إذ فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة ونظام المعيشة، وهو أن يكون زوجها قيِّماً عليها، فجعل هذا الأمر من قبيل الأمور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لأجل المصلحة، كأنّ المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة وسمحت له بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة وهي درجة القوامة والرياسة ورضيت بعوض مالي عنها[3].

- قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله: "فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة، من كون الولايات مختصة بالرجال والنبوة والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والجمع، وبما خصهم الله من العقل والرزانة، والصبر، والجَلَد الذي ليس للنساء مثله وكذلك خصّهم بالنفقات على الزوجات، بل كثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء[4].

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، مرجع سابق ٤١٤/١.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر ٣٨٤/٤.
(٣) تفسير المنار ٦٧/٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص ١٤٢.

ويمكن القول باختصار هنا: إن قوامة الرجل على المرأة تكون بسبب الجانب الفطري الذي فطر الله تعالى الرجال عليها، من كمال العقل وحسن التدبير والقوة البدنية، والنفسية، وبسبب المسؤولية التي يتحملها الرجال للنساء من النفقة، والقيام على شؤونهن بالحفظ والرعاية.

ضوابط القوامة:

إن الشارع الحكيم لما جعل القوامة بيد الرجل بحكمته سبحانه وتعالى لم يجعل ذلك مطلقاً يستغله الرجال في إذلال النساء والتحكم بهن، وفق أهوائهم وما تشتيه أنفسهم، بل قيد تلك الوظيفة بضوابط وقيود من شأنها أن تكون سبباً في فهم الرجال للقوامة التي أرادها الشارع، وتنبه النساء إلى ذلك، وتردع كل من يستغل تلك الوظيفة الشرعية لإهانة المرأة والحط من قدرها، وسلبها حقوقها.

وهذا هو واقع كثير من الرجال ممن جهلوا الحكم الشرعي لتلك الوظيفة الرائدة، فعملوا فيها بالجهل الذي هو سبب لكل شر والعياذ بالله، أو علموا الحكم الشرعي إلا أنهم تجاهلوا أو حمّلوا تلك الوظيفة ما لم تحتمل، فجعلوها نافذة يلجون من خلالها إلى حقوق المرأة ومكانتها فيعملون فيها بالهدم والتشويه، ونرجو أن تكون هذه الفئة من الرجال قليلة، إلا أنهم والحق يقال كانوا ولا زالوا سبباً رئيساً لامتعاض المرأة من هذه الكلمة (القوامة) بل حدا الأمر كثيراً من النساء إلى التمرد على تعاليم الدين الحنيف بسببها.

ولذا فإننا نقول: إن الشارع الحكيم ضبط تلك القوامة وبينها أحسن بيان، حيث وضح الحقوق التي يجب أن تتوافر للمرأة كاملة غير منقوصة، ووضح كذلك حقوق الرجل التي تطالب المرأة بتحقيقها، ولهذا استحقت هذه الشريعة المباركة أن توصف بأنها شريعة العدل، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً(١٤٣))[1] الآية، أي: عدولاً خياراً.

ويمكن القول بأن ضوابط القوامة الزوجية تتمثل في الآتي:

---

(١) سورة البقرة .

الضابط الأول: أداء الزوج لواجباته:

ومن الواجبات الشرعية التي يجب على الرجل أداؤها:

١- المهر: وهو المال الواجب للمرأة على الرجل بالنكاح أو الوطء[١] ، قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً(٤)﴾[٢].وقد نقل الإجماع على وجوبه في النكاح ابن عبد البر قال: "أجمع علماء المسلمين أنه لا يجوز له وطء في نكاح بغير صداق ديناً أو نقداً"[٣].

وهذا المهر حق للمرأة أثبته الشارع لها توثيقاً لعقد الزواج الذي هو أخطر العقود، وتأكيداً على مكانة المرأة، وشرفها، ودليلاً على صدق رغبة الرجل في الارتباط بها حيث بذل لها المال الذي هو عزيز على النفس، ولا يبذل إلا فيما هو عزيز، كما إنه سبب لديمومة النكاح واستمراره.

قال الكاساني رحمه الله: (إن ملك النكاح لم يشرع لعينه، بل لمقاصد لا حصول لها إلا بالدوام على النكاح والقرار عليه، ولا يدوم إلا بوجوب المهر بنفس العقد؛ لما يجري بين الزوجين من الأسباب التي تحمل الزوج على الطلاق من الوحشة والخشونة، فلو لم يجب المهر بنفس العقد لا يبالي الزوج عن إزالة هذا الملك بأدنى خشونة تحدث بينهما، لأنه لا يشق عليه إزالته لما لم يخف لزوم المهر فلا تحصل المقاصد المطلوبة من النكاح، ولأن مصالح النكاح ومقاصده لا تحصل إلا بالموافقة، ولا تحصل الموافقة إلا إذا كانت المرأة عزيزة مكرَّمة عند الزوج، ولا عزة إلا بانسداد طريق الوصول إليها، ولا يكون ذلك إلا بمال له خطر عند الزوج لأن ما ضاق طريق إصابته يعز في الأعين فيعزّ به إمساكه وما يتيسر طريق إصابته يهون في الأعين فيهون إمساكه، ومتى هانت في عين الزوج تلحقها الوحشة فلا تقع الموافقة ولا تحصل مقاصد النكاح، ولأن الملك ثابت في جانبها – أي الزوجة – إما في نفسها وإما في المتعة،

---

(١) حاشية ابن عابدين، ٢٣٠/٤، والمعونة على مذهب عالم المدينة، القاضي عبد الوهاب البغدادي، ، مكة المكرمة ٧٥٠/٢، وروضة الطالبين، يحيى بن شرف النووي، ٢٧٤/٩.

(٢) سورة النساء

(٣) فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر، محمد المغراوي، دار التحف والنفائس الدولية ١٦٨/١٠.

وأحكام الملك في الحرة تشعر بالذل والهوان، فلا بد أن يقابله مال له خطر لينجبر الذل من حيث المعنى)[1].

٢- النفقة: بمجرد تمام عقد الزواج وتمكن الزوج من الاستمتاع بالزوجة يلزم الزوج الإنفاق على زوجته، وتوفير ما تحتاجه من مسكن وملبس، قال تعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ(٢٣٣))[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف[3].

وقد أجمع العلماء رحمهم الله تعالى على وجوب إنفاق الزوج على الزوجة.

قال ابن قدامة: (اتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين، إلا الناشز منهن... وفيه ضرب من العبرة وهو أن المرأة محبوسة على الزوج يمنعها من التصرف والاكتساب، فلا بد من أن ينفق عليها)[4].

ولا شك أن إنفاق الرجل على زوجته من أعظم أسباب استقرار الأسرة واستدامة الزواج، كما إنه دليل على علو مكانة المرأة ورفيع منزلتها.

لكن ينبغي أن يعلم أن النفقة على الزوجة والأولاد يكون بقدر كفايتهم وأن ذلك بالمعروف، دليل ذلك قوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً(٧))[5] .

ولما جاءت هند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني من النفقة ما يكفيني وولدي. قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)[6] ، وهذا الحديث كما يدل على وجوب النفقة وكونها بقدر الكفاية

---

(١) بدائع الصنائع للكاساني، مرجع سابق ٥٦٠/٢؟
(٢)سورة البقرة .
(٣) أخرجه مسلم كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.
(٤) المغني، موفق الدين ابن قدامة، دار هجر ٣٤٨/١١.
(٥) سورة الطلاق .
(٦) أخرجه البخاري كتاب النفقات، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف، ومسلم كتاب الأقضية، باب قضية هند.

بالمعروف فهو يدل أيضاً على جواز أخذ الزوجة من مال زوجها بغير علمه إذا لم يعطها ما يكفيها[1].

٣- المعاشرة بالمعروف: إن من حق المرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف، قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) ، ولا شك أن المعاشرة لفظ عام يشمل جميع جوانب الحياة الأسرية، والتعاملات الزوجية التي تقع بين الزوجين، وبناء عليه فإن الزوج مطالب بأن يحسن إلى زوجته من جهة تحسين الحديث، والتأدب معها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، ومن جهة التجمل لها ومراعاة ما يدخل السرور عليها، والتجاوز عما قد يبدر منها مما يكدر الصفو.

- قال القرطبي في قوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أي: (على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والمراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج؛ وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقاً في القول لا فظاً ولا غليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها... فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهنّ لتكون أُدْمَة بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش، وهذا واجب على الزوج، وقال بعضهم: هو أن يتصنّع به)[2].

- قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: (أتيت محمد ابن الحنفية فخرج إليّ في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من الغالية، فقلت: ما هذا؟ قال: إن هذه الملحفة ألقتها عليّ امرأتي ودهنتني بالطيب، وإنهن يشتهين منا ما نشتهيه منهنّ)، وقال ابن عباس رضي الله عنه: (إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي).

- قال ابن كثير في قوله تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) "أي طيبوا أقوالكم لهن وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) المغني، ابن قدامة، مرجع سابق ٣٤٨/١١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق ٦٤/٥.

"خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[1]، وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يتودد إليها بذلك، قالت رضي الله عنها: (سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني فقال: هذه بتلك)[2] ، ويجمع نساءه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك، قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... (٢١))[3]، [4] .

الضابط الثاني: العدل والإنصاف في استخدام هذه الوظيفة:

إن قوامة الرجل إنما هي وظيفة شرعية جعلها الشارع للرجل، ومن ثم فإن على الرجل مراعاة النصوص الشرعية عند مباشرة تلك الوظيفة، بأن يكون عادلاً في تعامله منصفاً في معاملته لزوجته مراعياً حقوقاً وواجباتها، ومما يؤسف له أن الكثير من الرجال يستخدمون وظيفة القوامة على أنها سيف مصْلَت على رقبة المرأة، وكأنه لا يحفظ من القرآن الكريم سوى آية القوامة، ولا من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم سوى الأحاديث التي تبين عظيم حق الزوج على زوجته، وينسى أو يتناسى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحذر الأزواج من ظلم أزواجهم، وتبين لهم حرمة الاعتداء على النساء سواءٌ أكان ذلك الاعتداء مادياً أم معنوياً، وهذا مما جعل الكثير من أعداء الإسلام يتمسكون بمثل هذه القضايا لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

---

(١) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة الحديث ٢٨٥.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى كتاب عشرة النساء، باب مسابقة الرجل زوجته،

(٣) سورة الأحزاب .

(٤)تفسير القرآن العظيم، ٤٧٧/١.

إن وظيفة القوامة تعني مسؤولية الزوج عن إدارة دفة سفينة العائلة، وسياسة شؤون البيت ومراعاة أفراده، وعلى رأسهم الزوجة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها خير متاع الدنيا، وليس للزوج الحق مطلقاً في استغلال هذه الوظيفة في الإساءة للزوجة والتقليل من شأنها أو تكليفها ما لا تطيق، فإن فعل فإن للمرأة أن ترفع أمرها إلى وليها أو من تراه من المسلمين لردع ذلك الزوج وتبصيره سواء السبيل.

مقتضى القوامة:

كما تقدم لا تعني القوامة إلغاء حقوق المرأة وتهميش شخصيتها، ولا تعني أيضاً الإذن للرجل بإيذاء المرأة والنيل منها.

إن مقتضى القوامة هو قيام الرجل بواجباته تجاه المرأة وأسرته من تقديم المهر ابتداءً للمرأة وتوفير المسكن والملبس اللائق بها وأداء النفقة الواجبة عليه.

- يقول ابن العربي في قوله: (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) قال: (بفضل القوامية ؛ فعليه أن يبذل المهر والنفقة، ويحسن العشرة ويحجبها ويأمرها بطاعة الله تعالى، وينهي إليها شعائر الإسلام من صلاة وصيام إذا وجبا على المسلمين)[١].

كما إن من مقتضى القوامة إشراف الرجل على المرأة من جهة أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر بالحسنى، وكذلك تعاهدها بالتعليم والرعاية واستحضار معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته والتأسي به في ذلك كله.

ومن هنا يمكن اختصار القول في القوامة بأنها تقتضي إدارة الرجل لأسرته وقيادته لها إلى أن تصل إلى بر الأمان، ولا شك أن معنى الإدارة والقيادة تشمل الإشراف التام على من تحت يده، لكن ينبغي أن ينبه إلى أن تلك الإدارة وتلك القيادة لا تعني تهميش الآخرين الذين يشرف عليهم، بل الاستئناس بآرائهم ومشاورتهم في أمور ذلك البيت الإسلامي.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القائد الأعلى يستشير أصحابه في كثير من

---

(١) القرطبي ، أحكام القرآن، ١/٥٣٠.

الأمور، فقد استشار أصحابه في منزله يوم بدر[١]، واستشارهم في أسرى بدر[٢]، بل وقبِلَ مشورة زوجته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها كما في عمرة الحديبية[٣].

لقد حقق النبي صلى الله عليه وسلم القوامة بمعناها الحقيقي دون أن يكون ذلك تهميشاً لحقوق المرأة، ودون أن يكون ذلك إهانة للمرأة، ودون أن يكون ذلك تسلطاً وتجبراً على هذا المخلوق اللطيف الرقيق.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "إذا كان صلى الله عليه وسلم في بيته يكون في مهنة أهله[٤].

إن من مقتضى القوامة قيام الزوجة بواجباتها تجاه زوجها، ومن تلك الواجبات:

١ – طاعته بالمعروف: إن الشارع الحكيم أوجب على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية الله تعالى "ووجوب الطاعة في الحقيقة من تتمة التعاون بين الزوجين، وذلك لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع فإن كانت سليمة كان المجتمع سليماً، ولا تستقيم حياة أي جماعة إلا إذا كان لها رئيس يدير شؤونها ويحافظ على كيانها، ولا توجد هذه الرياسة إلا إذا كان الرئيس مطاعاً، وهذه الرياسة لم توضع بيد الرجل مجاناً، بل دفع ثمنها لأنه مكلف بالسعي على أرزاق الأسرة والجهاد من أجلها مع ما في تكوينه وطبيعته من الاستعداد لها[٥].

ولقد حث النبي صلى الله عليه وسلم النساء على طاعة أزواجهن كما تقدم.

٢ – القرار في البيت: من حقوق الزوج على زوجته قرارها في بيته وعدم خروجها منه إلا بإذنه ما لم يكن ضرورة شرعية تبيح ذلك، وقرارها في بيتها ليس استبعاداً لها أو كبتاً لحريتها، بل هو تشريف لها، فهي مسؤولة عن بيتها ترعاه وتحوطه وتقوم على تنظيمه بما يكفل السعادة لأفراد أسرتها قال صلى الله عليه وسلم: "والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها[٦].

---

(١) البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن كثير، دار هجر ٨١/٥.
(٢) أخرجه مسلم كتابا لجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.
(٣) أخرجه البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل بدر.
(٤) أخرجها لبخاري كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج.
(٥) أحكام الأسرة في الإسلام، محمد مصطفى شلبي، دار النهضة العربية، بيروت، ٣٢٩.
(٦) أخرجه البخاري كتاب العتق، باب العبد راعٍ في مال سيده، ومسلم كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل.

٣ – عدم إذن الزوجة لأحد يكره زوجها دخول بيته: قال صلى الله عليه وسلم: "فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون[١]".

٤ – القيام على شؤونه: من حقوق الزوج رعاية الزوجة لجميع أموره فتحفظ ماله، وتراعي كتم أسراره التي لا يأذن بنشرها بين الناس، وتتعاهد مأكله ومشربه، ومنامه، ولقد كان هذا هو شأن الصحابيات رضوان الله تعالى عليهن، **ومما ورد عنهن في ذلك ما يأتي**:

١ – عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (تزوجني الزبير ومالَه في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدقٍ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي، وهنّ مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: إخ إخ ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني)[٢].

٢ – عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن بلالاً بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما حبسك؟ فقال: مررت بفاطمة وهي تطحن والصبي يبكي، فقلت لها: إن شئت كفيتك الرحى وكفيتني الصبي وإن شئت كفيتك الصبي وكفيتني الرحى، فقالت: أنا أرفق بابني منك فذاك حبسني، قال: فرحمتها رحمك الله[٣]، ولعل في هذه الأحاديث ما يواسي

---

(١) سنن الترمذي كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، وسنن ابن ماجه كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج.

(٢) أخرجه البخاري كتاب النكاح، باب الغيرة، ومسلم كتاب السلام باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٢٠٦٦)

قلوب كثير من النساء إذا عرفن أن نساء الصحابة رضوان الله عليهن وهن من خير القرون كن يخدمن أزواجهن ويقمن بشؤونهن، بل كنّ يرين ذلك من العبادة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم كما قال: (إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت)[1].

شبهات حول القوامة:

من قديم الزمن وأعداء المسلمين يحاولون تشويه صورة الإسلام عبر قنوات متعددة، ولا شك أن موضوع المرأة من الموضوعات التي يتعلق بها أولئك القوم لتشويه صورة الإسلام من خلال إبراز مفاهيم خاطئة عن مكانة المرأة المسلمة وحقوقها، ومن ذلك موضوع القوامة قوامة الرجل على زوجته، فحمّلوها ما لا تحتمل وجعلوا منها سبباً لإثارة ضغائن النساء، ومن تلك الشبه التي أوردوها على موضوع القوامة ما يأتي:

١ – القوامة تقييد لحرية المرأة وسلب لحقوقها، وإهانة لكرامتها.

٢ – القوامة سبب للقدح في عقل المرأة وحسن تدبيرها.

٣ – القوامة استعباد للمرأة ووصاية للرجل عليها[2].

وللرد على هذه الشبه يمكن القول ابتداءً: إن تلك الشبه إنما هي صادرة من أعداء الإسلام الذين يريدون الإساءة إليه، ومن ثم إذا علمنا مصدر تلك الشبه استطعنا أن نرد تلك الشبهة بكل يسر وسهولة، لا سيما إذا استحضرنا جهل أولئك بمعنى القوامة ومقتضاها وضوابطها في الشريعة الإسلامية والمقاصد الشرعية لإقرارها، والقوامة الزوجية في الشريعة الإسلامية ليست تسلطاً ولا قهراً وليست سلباً لحقوق المرأة أو حطاً من كرامتها، بل هي تقدير وتشريف لها ورفعة لشأنها، وإقرار بكرامتها، فإن الذي خلق الرجل هو الذي خلق المرأة وهو الذي شرع القوامة، أوَليس الذي خلق المرأة عالماً بما يصلح لها وبما يناسبها (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، ص ١٢١.

خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(١٤)) [(١)].

إن الشريعة الإسلامية لما جاءت بالقوامة للرجل لم تنس وظيفة المرأة فهي ربة البيت، والقائمة على شؤونه من تنظيم وترتيب ورعاية، وهي الراعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، كما أنها مربية الأجيال، فهي ملكة متوجة في بيت الزوجية، قد كفل لها الشرع السكنى والنفقة والكسوة بالمعروف، وكفل لها أيضاً حسن المعاملة والاحترام والتقدير.

إن الذين أثاروا مثل هذه الشبه جهلوا أو تجاهلوا تكريم الإسلام للمرأة، وما علموا أن الرسول الكريم وهو في مرضه الذي توفي فيه يوصي الرجال بالنساء، وكفى بها شرفاً ومنقبة لهن.

وهاهن نساء الغرب يشتكين الويلات بسبب تحررهن من تعاليم الإسلام، فقد فقدن الوظيفة الحقيقية للمرأة.

تقول الروائية الإنجليزية الشهيرة أجاثا كريستي: "إن المرأة مغفلة، لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم لأننا بذلنا الجهد الكبير للحصول على حق العمل والمساواة مع الرجل، ومن المحزن أننا أثبتنا – نحن النساء – أننا الجنس اللطيف الضعيف ثم نعود لنتساوى اليوم في الجهد والعرق اللذين كانا من نصيب الرجل وحده".

وتقول المحامية الفرنسية كريستين: "سبعة أسابيع قضيتها في زيارة كل من بيروت ودمشق وعمّان وبغداد، وها أنا أعود إلى باريس فماذا وجدت؟ وجدت رجلاً يذهب إلى عمله في الصباح يتعب ويشقى... يعمل حتى إذا كان المساء عاد إلى زوجته ومعه خبز، ومع الخبز حب وعطف ورعاية لها ولصغارها.

الأنثى في تلك البلاد لا عمل لها إلا تربية الجيل، والعناية بالرجل الذي تحب، أو على الأقل الرجل الذي كان قدره ، في الشرق تنام المرأة وتحلم وتحقق ما تريد، فالرجل وفّر لها خبزاً وراحة ورفاهية، وفي بلادنا حيث ناضلت المرأة من أجل المساواة فماذا حققت؟.

---

(١) سورة الملك

المرأة في غرب أوروبا سلعة فالرجل يقول لها: انهضي لكسب خبزك فأنت قد طلبت المساواة، ومع الكد والتعب لكسب الخبز تنسى المرأة أنوثتها وينسى الرجل شريكته وتبقى الحياة بلا معنى(١).

فهذه كتابات نساء الغرب اللاتي تعالين على القوامة، وطلبن المساواة التي تمنعها الفطرة فضلاً عن العقل والدين ، وأما الظلم الذي تعيشه المرأة الغربية فحدث ولا حرج، وهل هناك ظلم أعظم من أن تفقد المرأة وظيفتها الحقيقة، بل كما تقدم على لسان إحدى الغربيات تفقد أنوثتها، هذا إضافة إلى العنف والقسوة التي تقابل لها المرأة في تلك المجتمعات.

تقول الدكتورة فاطمة نصيف في معرض حديثها عن العنف ضد النساء في الغرب: "وإليكم بعض ما حصلت عليه قبل ذهابي لمؤتمر بكين حيث طلبنا من الشرطة الفيدرالية الأمريكية أن تمنحنا تقارير عن العنف ضد المرأة الأمريكية:

٧٩% من الرجال في أمريكا يضربون زوجاتهم ضرباً يؤدي إلى عاهة. ١٧% منهن تستدعي حالتهن الدخول للعناية المركزة وحسب تقرير الوكالة المركزية الأمريكية للفحص والتحقيق هناك زوجة يضربها زوجها كل ١٨ ثانية في أمريكا.

وكتبت صحيفة أمريكية أن امرأة من كل ١٠ نساء يضربها زوجها، فعقبت عليها صحيفة Family Relation أن امرأة من كل امرأتين يضربها زوجها وتتعرض للظلم والعدوان.

أما في فرنسا فهناك مليونا امرأة معرضة للضرب سنوياً، وتقول أمينة سر الدولة لحقوق المرأة (ميشيل اندريه): "حتى الحيوانات تعامل أحياناً أفضل من النساء، فلو أن رجلاً ضرب كلباً في الشارع سيتقدم شخص ما يشكوه لجمعية الرفق بالحيوان، لكن لو ضرب رجل زوجته في الشارع فلن يتحرك أحد في فرنسا"، ٩٢%من عمليات الضرب تقع في المدن و٦٠% من الشكاوى الليلية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس هي استغاثة من نساء يسيء أزواجهن معاملتهن.

---

(١) من صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٣٦

في أمستردام اشترك في ندوة ٢٠٠ عضو يمثلون إحدى عشرة دولة كان موضوع الندوة إساءة معاملة المرأة في العالم، وأجمع المؤتمرون أن المرأة مضطهدة في جميع المجتمعات الدولية، وبعض الرجال يحرقون زوجاتهم بالسجائر ويكبلونهن بالسلاسل.

في بريطانيا يفيد تقرير أن ٧٧% من الأزواج يضربون زوجاتهم دون أن يكون هناك سبب لذلك.

وتمضي الدكتورة فاطمة قائلة: "وعندما نعلم أن كل هذا يحدث في بلادهم وتركونها لتركيز الأضواء على المرأة المسلمة والعربية ويقولون: مظلومة وتتدخل لجانهم فلا بد أن نعي أنها لن تتدخل لإنقاذ المرأة المسلمة لكنها تريد تشويه صورتها ثم إلصاق التهم بالإسلام"[1].

الخاتمة:

١- التأكيد على أن الإسلام كرّم المرأة، ورفع من شأنها، وكفل لها الحرية المنضبطة بضوابط الشرع.

٢- القوامة الزوجية إنما هي للرجل، وليست للمرأة بنص القرآن الكريم.

٣- أن جنس الرجال أفضل من جنس النساء؛ بما فضل الله الرجال على النساء من العبادات، وكذلك من جهة الخلقة التي فضل الله عليها الرجال والنساء.

٤- أن وظيفة القوامة وظيفة شرعية جعلها الشارع الحكيم تكريماً للمرأة وتشريفاً لها.

٥- أن وظيفة القوامة لا تعني تسلط الرجل، كما لا تعني سلب حقوق المرأة أو تهميش رأيها ووجودها في الحياة.

٦- أن الشارع الحكيم لما جعل القوامة بيد الرجل لم يجعل ذلك مطلقاً دون قيد أو شرط، بل جعله مقيداً بالمعروف.

٧- أن الشبه والافتراءات الذي يثيرها أعداء الإسلام، إنما هي من العداوة والبغضاء المتأصلة في نفوسهم، وما تخفي صدورهم أكبر.

---

(١) مجلة "عربيات" العدد السابع ٢٠٠٠/١١/١م، وانظر: صور تكريم الإسلام للمرأة، محمد إبراهيم الحمد، ص ٣٥.

٨- أن القوامة الزوجية إنما هي رعاية الأسرة وإدارتها بحكمة، وليس تسلطاً أو تعنتاً.

٩- إسناد مسؤولية الأسرة، وإدارتها للرجل من أعظم أسباب سعادة الأسرة واستقرارها.

١٠- كون مسؤولية الأسرة وإدارتها بيد الرجل لا يعني ذلك تهميش مسؤولية المرأة تجاه أسرتها، بل هي مسؤولة عن تلك الأسرة في نطاق اختصاصها.

١١- اعتراف كثير من نساء الغرب بأن سعادة المرأة الحقيقية إنما هو في بيتها، وأن وظيفتها الحقيقية هي رعاية أسرتها من زوج وأولاد.

١٢- أن من الحكمة ألا ننساق وراء الشعارات الغربية البراقة التي تدعو إلى تحرر المرأة من وظيفتها الحقيقية، وتمردها على طبيعتها التي أوجدها الله تعالى؛ بل ننظر إلى الحياة الحقيقية لتلك النسوة وكيف أصبحت سلعة قيمتها في إنتاجها فقط، ثم حمد الله تعالى على ما منّ به علينا من نعمة الإسلام.

١٣- انتهاك الغرب لحقوق المرأة، والتعامل معها بأبشع صور العنف، ولا أدل على ذلك من تلك الإحصائيات التي تقدمت في ثنايا البحث والتي تبين حجم العنف الذي يمارس مع المرأة في تلك البلاد.)[١] .

س٤٠ : لماذا حث الاسلام على العمل ؟.

ج٤٠: (دين الإسلام هو خاتم الأديان ، وإن مِن أهم خصائص هذا الدين أنه دين ينظم الحياة كلها ، فالإسلام دين الدنيا والآخرة ، قال الله سبحانه وتعالى : (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢))[٢] ، وفي دعاء المسلمين في مواضع متفرقة يقولون : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١))[٣] ، فهذا دين الله الكامل والشامل والجامع ، جمع بين حق الله وحق العبد ، وبين أمر الدنيا وأمر الآخرة ، وإن ادِّعاء أن الإسلام جاء بالرهبانية ادعاء باطل ، بل الرهبانية في دين النصارى المحرَّف ،

---

(١) صيد الفوائد القوامة الزوجية.. أسبابها، ضوابطها، مقتضاه المصدر : موقع المسلم
(٢) سورة الأنعام .
(٣)سورة البقرة .

وأخذها عنهم بعض مبتدعة المسلمين كالصوفية ، أما أهل السنة والجماعة الذي أخذوا الدين من نبعه الصافي ، وفهموه على وجهه الصحيح فإنهم يعتقدون أن الدنيا معبر إلى الآخرة ، وأن الإنسان لا ينبغي له أن يتعلق بالدنيا على حساب الآخرة ، فهم جعلوا الآخرة هي محط أنظارهم لأنها الحياة الأبدية الخالدة ، فالعمل ينبغي أن يكون من أجلها لا من أجل حياة قصيرة فانية ، وليس معنى هذا أن لا يعملوا في الدنيا ولا يعمروا الأرض ، بل إن المسلمين بلغوا في مجالات العلم النظرية والعملية أعلى المنازل ، وكانت الحضارات تتبع المسلمين في تقدمهم وعلومهم ، ولا تزال بعض الجامعات الغربية العريقة تعترف بهذا وتدرِّس كتاباً للمسلمين في مناهجهم .

قال الفيلسوف الفرنسي " جوستاف (لوبون) في كتابه (حضارة العرب) :(هل يتعين أن نذكر أن العرب – والعرب وحدهم – هم الذين هدونا إلى العالم اليوناني والعالم اللاتيني القديم ، وأن الجامعات الأوربية ومنها جامعة باريس عاشت مدة ستمئة عام على ترجمات كتبهم وجرت على أساليبهم في البحث ، وكانت الحضارة الإسلامية من أعجب ما عرف التاريخ [1] ،والمسلمون ليسوا كغيرهم ، فإنهم لما كانوا متمسكين بدينهم كانوا سابقين — أيضاً — في الدنيا ، ولما تركوا دينهم وتخلوا عنه صاروا تبعاً لغيرهم وعالة عليهم ، والنصارى لما كانوا متمسكين بدينهم المحرَّف كانوا متخلفين في دنياهم ، ولما قاموا على كنائسهم حرقاً وعلى رهبانهم قتلاً وفصلوا الدين عن الدنيا تقدموا في دنياهم وعلومها ، فالمسلمون يدفعهم دينهم إلى التقدم ، ويتأخرون بتأخرهم عن دينهم ، والنصارى تخلفوا لما تمسكوا بدينهم المحرَّف ، لأنه لا يمكن لدين حرفه العباد أن يؤدي إلى التقدم ، وتقدموا لما تخلوا عنه ، فأي المنهجين يدعو لعمارة الدنيا ويسعى في تقدمه في العلوم وإسعاد الناس في الدنيا والآخرة ؟

والآيات والأحاديث التي تحث المسلم على عمارة الأرض بالزراعة والصناعة كثيرة ، وقد فهم المسلمون ذلك فسارعوا إلى العمل على هذه العمارة دون أن يؤثر ذلك على عبادتهم

(١) جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٥٧٩ .

وطاعتهم ، ودون أن يروا أن بين الدين والدنيا تضادّاً وتنافراً ، والمحذور في هذه العمارة هو أن ينشغل المسلم بها عن واجبات دينه وطاعة ربه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :وفي الحديث : (فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض ، ويستنبط منه اتخاذ الضيعة والقيام عليها ، وفيه فساد قول من أنكر ذلك من المتزهدة ، وحُمل ما ورد من التنفير عن ذلك على ما إذا شغل عن أمر الدين ، فمنه حديث ابن مسعود مرفوعا : (لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا) الحديث ، قال القرطبي : يجمع بينه وبين حديث الباب بحمله على الاستكثار والاشتغال به عن أمر الدين ، وحمل حديث الباب على اتخاذها للكفاف أو لنفع المسلمين بها وتحصيل ثوابها)[2] ، والحديث الذي ذكره الحافظ ابن حجر : (لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا)[3]..

قال المباركفوري:(الضيعة) هي : البستان والقرية والمزرعة . (فترغبوا في الدنيا) أي : فتميلوا إليها عن الأخرى ، والمراد : النهي عن الاشتغال بها وبأمثالها مما يكون مانعاً عن القيام بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي إلى أمور العقبى . وقال الطيبي : المعنى لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله قال تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

وقد رأينا إنصاف المسلمين ودينهم من بعض الباحثين الغربيين ، فاعترفوا بسبق المسلمين في مجالات العلوم الدنيوية المختلفة ، وها هي بعض أقوالهم ليعلم الناس موقع الإسلام من الحضارات الأخرى ، وليعلم منهج الإسلام في حثه أتباعه على النظر والتأمل والعمل والإبداع ، وسنحرص على تنويع بلدان القائلين واختلاف ثقافاتهم :

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢١٩٥ ، ورواه الإمام مسلم برقم ١٥٥٣ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٥ ، ص ٤ .
(٣) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٣٢٨ .
(٤) المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج٦ ، ص ٥١١ .

١- يقول المفكر الفرنسي (جوستاف لوبون) في كتابه المعروف (حضارة العرب) ترجمة (عادل زعيتر) :(لو أن العرب استولوا على فرنسا : إذن لصارت باريس مثل قرطبة في إسبانيا ، مركزاً للحضارة والعلم ؛ حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ ، بل ويقرض الشعر أحياناً ، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا لا يعرفون كتابة أسمائهم) ! .

٢- وقالت المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة) – في كتابها المعروف "(شمس الله تشرق على الغرب) :انتشار المكتبات في العالم العربي والإسلامي : (نمت دور الكتب في كل مكان نمو العشب في الأرض الطيبة ، ففي عام ٨٩١ م يحصي مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد بأكثر من مئة ، وبدأت كل مدينة تبني لها داراً للكتب يستطيع عمرو وزيد من الناس استعارة ما يشاء منها ، وأن يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد ، كما يجتمع فيها المترجمون والمؤلفون في قاعات خصصت لهم ، يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية) .

وكتاب (شمس الله تشرق على الغرب) في النص الألماني معناه : نور الإسلام يضيء الحضارة الغربية ، والكتاب مليء بأسماء مبدعين مسلمين عرب وغير عرب .

٣- واقرأ هذا الكلام لحكيم روسي وهو يبين أن هذا الدين فيه ما خدم الإنسانية ، وقاد إلى الرقي والمدنية ، قال تولستوي الحكيم الروسي :(ومما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة ، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام .

٤- وقال الدكتور النمساوي شبرك :(إنّ البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها ، إذ إنّه رغم أُمّيته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أنْ يأتي بتشريع ، سنكونُ نحنُ الأوروبيين أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمّته).

٥- وفي باب الطب والجراحة كان للمسلمين دورٌ لا يُنكر ، يقول الكاتب البريطاني

هـ.ج. ويلزفي كتابه (معالم تاريخ الإنسانية) : وتقدموا في الطب أشواطا بعيدة على الإغريق ، ودرسوا علم وظائف الأعضاء ، وعلم تدبير الصحة ، ... ولا يبرح كثير من طرق العلاج عندهم مستعملا بين ظهرانينا إلى اليوم ، وكان لجراحيهم دراية باستعمال التخدير ، وكانوا يجرون طائفة من أصعب الجراحات المعروفة ، وفي ذات الوقت التي كانت الكنيسة تحرم فيه ممارسة الطب انتظاراً منها لتمام الشفاء بموجب المناسك الدينية التي يتولاها القساوسة : كان لدى العرب علم طبي حق)، بل ويقول كذلك :(كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط ، ولم أجد ديناً يسير مع المدنية أنَّى سارت سوى دين الإسلام) .

والشهادات أكثر من أن تحصى ، وأردنا بذكر بعضها التدليل على ما قلناه من كلام غير المسلمين ، وقد اخترنا أناساً لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، فهم من دول مختلفة ، ومن ثقافات مختلفة ، بل ومن أديان وحضارات مختلفة ، وفي كل ما ذكرناه عنهم بيان لما كان عليه المسلمون – ويجب أن يبقوا عليه – من تقدم وازدهار في العلوم المدنية ومن السعي في الإنسانية للرقي بحياتها في مختلف المجالات ، وكان المسلمون مع بروزهم في هذه المجالات متقدمين – كذلك – في العلوم الدينية والعبادات والطاعات لربهم عز وجل ، وتاريخ هذا الدين يشهد بالحركة العظيمة في التأليف في المجال الشرعي المتعلق بالقرآن والسنة ، ويشهد بنماذج عالية لعبَّاد وزهَّاد لم تمنعهم عبادتهم ولم يمنعهم زهدهم من أن يكونوا علماء في الشرع أو علماء في علوم دنيوية .

وثمة أسماء لامعة لعلماء مسلمين في مجالات متعددة لا يُنكِر علمَهم وتقدمَهم إلا جاهل أو مكابر ، ومنهم : ابن النفيس والزهراوي في الطب ، وابن الهيثم في الرؤية والضوء ، والخوارزمي في الرياضيات ، وغيرهم كثير ... كثير)[1].

يقول هادي فهمي في موقع موضوع : (أهمية العمل في الإسلام حثّ الإسلام على العمل واهتمّ به، وكرّم الله كُلّ من يؤدّيه عندما عدّه جزءاً من الرسالة التي حمّلها الله للإنسان؛

---

(١) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٦٩٧٤٧ ، في ٨ / ٤ / ٢٠٠٥ م.

وهي رسالة الإعمار والاستخلاف في الأرض؛ لقوله تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ(٦١))[١]، وفي المقابل، حارب الإسلام الكسل، واعتماد الإنسان على غيره في رزقه؛ لما فيه من تأمين الحياة الكريمة، والاستغناء عن الناس، وقد كان النبيّ يذهب إلى عمله، كما كان الأنبياء من قبله يعملون بأيديهم، ويكسبون رزقهم، إضافة إلى أنّ النبيّ كان يُشارك الصحابة في المواقف التي تحتاج إلى عمل ومُساعدة، كمثل مساعدته لهم في حمل التراب عند حفر الخندق[٢]، ويُشار إلى أنّ العمل يُعرَّف بأنّه: الفعل الذي يؤدّيه الإنسان؛ لتحصيل رزقه، وجلب المنفعة له[٣]. حَثّ الإسلام على العمل الآيات القرآنية التي تحثّ على العمل وردت في القرآن الكثير من الآيات التي تحثّ المسلم على العمل، ومنها: قوله –تعالى-: (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(١١))[٤]، وفي هذه الآية بيان من الله بأنّه جعل للبشر النهار مُضيئاً؛ ليتمكّنوا من العمل، والسّعي ابتغاء تحصيل رزقهم، ومعاشهم[٥]، قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(١٠))[٦]، وهذا بيان من الله أنّه لا بُدّ للمسلم من الموازنة بين أمر دينه ودُنياه؛ فأوجب عليه الصلاة، ولكنّه أباح له بعدها أن يذهب إلى عمله، ويسعى إلى تحصيل رزقه، مع عدم نسيانه ذِكرَ لله، فيبقى مُراقباً لله في عمله[٧]، قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ(٨))[٨]، وفي هذه الآية حثٌّ من الله تعالى

---

(١) سورة هود، آية: ٦١.
(٢) سمير محمد جمعة العواودة (٢٠١٠ م)، واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني، : جامعة القدس، صفحة ٢٢-٢٣.
(٣) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية الكويتية (الطبعة الثانية)، صفحة ٧٠، جزء ٢.
(٤) سورة النبأ، آية: ١١.
(٥) وهبة بن مصطفى الزحيلي (١٤١٨ ه)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (الطبعة الثانية)، دمشق: دار الفكر المعاصر ، صفحة ١١، جزء ٣٠.
(٦) سورة الجمعة، آية: ١٠.
(٧) وهبة بن مصطفى الزحيلي (١٤١٨ هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (الطبعة الثانية)، دمشق: دار الفكر المعاصر ، صفحة ١٩٨، جزء ٢٨.
(٨) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

على التصدُّق من المال الذي يحصل عليه الإنسان من خلال عمله، وكسب يده، مع ضرورة تحرّي أن يكون الكسب حلالاً طيّباً[1]، والأحاديث النبويّة التي تحثّ على العمل وردت عن النبيّ عليه الصلاة والسلام مجموعة من الأحاديث التي تحثّ على العمل، ومنها:

- قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (أفضلُ الكسْبِ بيعٌ مبرورٌ، وعملُ الرجلِ بيدِه)[2]، وفيه بيان من النبيّ أنّ أفضل طرق العمل هي ما يؤدّيه الإنسان بنفسه، ؛ لأنّها سُنّة الأنبياء، كزكريّا عليه السلام، فقد كان نجّاراً، وألّا يكون في العمل شيء من الغشّ، والخيانة.[3].
- قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (والَّذي نفسي بيدِهِ لَأن يأخذَ أحدُكم حبلَهُ فيحتطِبَ على ظَهرِهِ خيرٌ لَهُ من أن يأتِيَ رجلًا أعطاهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ من فضلِهِ فيسألَهُ أعطاهُ أو منعَه)[4]، وفيه إشارة إلى أنّ العمل يحفظ صاحبه من سؤال الناس، وإذلال نفسه لهم، وأنّ العمل مهما كان فهو يُعَدّ من سُنَن المرسَلين.[5].
- قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (التاجرُ الأمينُ الصَّدوقُ المسلمُ : مع النَّبيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهَداءِ يومَ القيامةِ)[6]؛ فالذي يقوم بعمله بأمانة، ، فإنّه ينال الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، وتكون منزلته يوم القيامة بمنزلة الأنبياء والشهداء.[7].
- قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (ما أَكَلَ أحَدٌ طَعامًا قَطُّ، خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ عليه السَّلامُ، كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ)[8]؛ وذلك لأنّ العمل فيه عفّة للنفس عن سؤال الناس، وإيصال المنفعة إليهم، وفيه إشغال للنفس عن المحرَّمات

---

(١) "تفسير: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ...)
(٢) رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن هانئ بن نيار أبو بردة، الصفحة أو الرقم: ١١٢٦، صحيح.
(٣) علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين العزيزي، السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، صفحة ٢٣٠. بتصرّف.
(٤) رواه الألباني، في صحيح النسائي، عن أبو هريرة ، الصفحة أو الرقم: ٢٥٨٨، صحيح.
(٥) أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (صفحة ٤٦٩، جزء ٣.
(٦) رواه الألباني، في السلسلة الصحيحة، عن عبدالله بن عمر ، الصفحة أو الرقم: ٣٤٥٣، إسناده جيد.
(٧)محمد بن عبد الهادي السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه بدون ، صفحة ٢، جزء ٢. بتصرّف.
(٨)رواه البخاري ، في صحيح البخاري، عن المقدام بن معدي كرب ، الصفحة أو الرقم: ٢٠٧٢، صحيح.

واللهو، والقدوة في ذلك نبيّ الله داوود؛ فقد كان يعمل في صناعة الدروع[1].

مظاهر عناية الإسلام بالعمل :

من أعظم المظاهر التي تبيّن اهتمام الإسلام بالعمل :

النبيّ عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة إلى المدينة واطمئنانه على استقرار أمور الدولة فيها، توجّه إلى استصلاح الأراضي، وحثَّ الصحابة على العمل فيها، وأصدر قراراً أنّ من أحيا أرضاً فهي له، بل وحثّ الكثير من المسلمين على عدم الاقتصار على عمل مُعيَّن؛ لأنّ الوظائف جميعها تلزم الأمّة، وهي مُكمِّلة لبعضها، كما أنّه اهتمّ بالصنّاع، وكان يكرمهم[2]، ويشار إلى أنّ الأنبياء كانت لهم مِهن، وأعمال يؤدّونها؛ لأنّهم قدوة لغيرهم من البشر في الأخذ بالأسباب، والسعي في تحصيل الرزق؛ فقد :

- كان آدم عليه السلام يعمل في الحراثة، وكان نوح عليه السلام يعمل في رعي الغنم، إلى جانب عمله في النجارة .
- يوسف عليه السلام فقد عمل خادماً في بيت ملك مصر، ثُمّ أصبح وزيراً؛ قال تعالى: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ(٥٥))[3].
- وكان صالح وشعيب عليهما السلام يعملان في التجارة، وموسى عليه السلام في رعي الغنم، وداوود عليه السلام في الحِدادة؛ لقوله تعالى: (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ(٨٠))[4] .
- والنبيّ محمد عليه الصلاة والسلام عمل في أكثر من مهنة؛ فقد عمل في شبابه في التجارة مع ميسرة خادم خديجة رضي الله عنها، وعمل في بناء الكعبة؛ فقد كان يحمل الحجارة بنفسه.

---

(١) زين الدين محمد تاج العارفين القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير صفحة ٤٢٥، جزء ٥. بتصرّف.
(٢)سمير محمد جمعة العواودة، واجبات العمال وحقوقهم في الشريعة الإسلامية مقارنة مع قانون العمل الفلسطيني، : ، صفحة ٢٥-٢٩. بتصرّف.
(٣)سورة يوسف، آية: ٥٥.
(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٠.

أمّا الصحابة الكرام فقد ساروا على نهج النبيّ في العمل :

- كان أبو بكر رضي الله عنه يعمل في التجارة، ثُمّ عمل بعد وفاة النبيّ في خلافة المسلمين، وفُرِض له راتب من بيت مال المسلمين؛ كي يترك تجارته، ويتفرّغ لشؤون الدولة.
- كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعمل في التجارة، وينصح المسلمين بالسَّعي في طلب الرزق، وعدم الاتِّكال على غيرهم، أمّا عثمان بن عفان –رضي الله عنه، فقد كان يعمل في تجارة الثياب في الجاهلية، وفي الإسلام.
- عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان يعمل في استخراج الماء من البئر ليأخذ بعض التمرات أجرة له على ذلك العمل .
- اشتُهِر خباب بن الأرت بالحِدادة.
- عبدالله بن مسعود كان راعيا للغنم.
- وسلمان الفارسيّ كان حلاقا ، إلى جانب كونه خبيراً بالفنون الحربيّة،

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعملون في شتّى الأعمال؛ فالأنصار كانوا يعملون في الزراعة، والمهاجرون في التجارة، وكان النبيّ يحثُّهم على ذلك[(١)].

حُكم العمل والبطالة في الإسلام بيَّن الفُقهاء:

أنّ العمل يأخذ عدداً من الأحكام التكليفيّة، وذلك بحسب الحالة التي يمرّ بها الإنسان:

- فقد يكون العمل فرضاً وذلك عند احتياج الإنسان إلى أن يكفيَ نفسَه، وعياله، وكلّ من تجب عليه نفقتهم، ويحصل معه قضاء دينه؛ لحديث النبيّ عليه الصلاة والسلام: (كَفَى بالمرْءِ إثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ)[(٢)] .
- وقد يكون العمل مُستحَبّاً، وذلك إذا كان العمل بهدف الاستزادة، وتحقيق الكفاية من الرزق؛ فقد يتبرّع به لفقير، أو يصل به رَحِمه.
- وقد يكون مُباحاً؛ إذا كان لأجل الزيادة في المال، والجاه، والتوسعة على نفسه، وأهله،

---

(١) أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق ، صفحة ٦٣-٧٢. بتصرّف.
(٢)رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو، الصفحة أو الرقم: ٩٩٦، صحيح.

مع عدم وجود دَين عليه، أمّا العمل لأجل التكاثر، والتفاخر، فقد كرهه الحنفيّة، وذهب الحنابلة إلى حرمته،[1] ويُشار إلى أنّ القعود عن العمل يُسمّى (بطالة)، ويختلف حُكم البطالة بحسب الحالة التي تكون فيها:

- فتكون مُحرَّمة في حالة الحاجة إلى المال لتحصيل الرزق والقوت له ولعياله مع القدرة على العمل، حتى وإن كان المقصود منها التفرُّغ للعبادة .
- تكون مكروهة في حالة القعود مع عدم الحاجة إلى المال.
- أمّا إن كانت لعُذر، كمرض، أو عجز، فيكون الإنسان معذوراً، ولا إثم عليه؛ لقوله – تعالى-: (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا(٢٨٦))[2]، [3].

آداب العمل :

وضع الإسلام للعمل مجموعة من الآداب التي لا بُدّ لكلّ عامل من أن يلتزم بها، ومنها:

١- **الإتقان**: إذ يجب على العامل أداء عمله بكلّ صدق، وإتقان؛ وذلك من أجل خدمة المسلمين، والتيسير عليهم، وقد بيّن النبيّ أنّ الله يحبّ المرءَ المتقِن لعمله، بقوله: (إنَّ اللَّهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ)[4]، [5]، وقد ورد في بيان سبب ورود هذا الحديث أنّ هناك رجلاً يُسمّى (كليب الجرمي) خرج مع أبيه لحضور جنازة كان فيها النبيّ، فسمع النبيّ يخبرهم بأنّ الله يحبّ من العامل إذا عمل شيئاً أن يحسنه، وذلك عندما جِيءَ بجنازة لتُدفَن، فلم يحسنوا دفنها، فأخبرهم النبيّ بأن يسدّوا الأجزاء التي لم يُمكّنوها[6]، وهذا الإتقان يشمل أمور الدنيا والآخرة، فيؤدّي العمل على أحسن وجوه الإحسان والكمال.[7]

٢- **المحافظة على الوقت**: إذ يجب على العامل الالتزام بأوقات عمله من أوّله إلى آخره، فلا

---

(١) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الموسوعة الفقهية الكويتية صفحة ٢٣٥، جزء ٣٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.
(٣) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية صفحة ١٠٠-١٠١، جزء ٨.
(٤)رواه الألباني ، في صحيح الجامع، عن عائشة أم المؤمنين، الصفحة أو الرقم: ١٨٨٠ ، حسن.
(٥) أ ب ت ث خالد بن جمعة بن عثمان الخراز ، مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ ، صفحة ٤٣٥-٤٣٧. بتصرّف.
(٦) إبراهيم بن محمد بن محمد كمال الدين الدمشقيّ، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث ، صفحة ١٩٠-١٩١.
(٧)محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني (٢٠١١ م)، التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ صفحة ٣٧٨، جزء ٣. بتصرّف.

يجوز له أن يضيع وقته بشيء لا يخدم مصلحة العمل.

٣- **الحماس في العمل**: يجب على العامل أن يكون نشيطاً في عمله، مُبادراً إليه، وأن يبتعد عن الكسل والخمول، وقد كان النبيّ يستعيذ من العجز والكسل.

٤- **مراقبة الله**: ويكون ذلك باستشعار العامل مُراقبةَ الله له في كلّ أحواله الظاهرة، والباطنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٤)﴾[١].

٥- **التنزُّه عن الحرام والابتعاد عنه**: يأخذ الحرام أشكالاً عديدة؛ فقد يكون ب :

أ- الأخذ من ممتلكات المؤسسة أو الدولة أو صاحب العمل بغير وجه حقّ.

ب- التغيّب عن العمل بغير عذر شرعيّ أو قانوني يُجيز الغياب،

ت- أخذ رشوة مقابل تغييره للحقائق .

ث- تزوير شيء مُعيَّن.

ج- قبول الهدية إذا كانت مُتعلِّقة بعمله، ولعنَ الراشي والمرتشي، وعدّها من كبائر الذنوب،

ح- إشغال العامل نفسه أو غيره من العمّال عن أعمالهم وأداء واجباتهم ، وقد عدّ الفقهاء أداء العمل مُقدَّماً على أداء السُّنَن؛ لأنّ العمل فرض، أمّا السنن فهي من المستحَبّات؛ فيُقدَّم الفرض على السنّة، كما يحرم أن يستغلّ العامل مصلحة العمل لصالحه بالغشّ والخيانة، أو أن يكون سيّئ الخُلق مع غيره، أو أن لا يكون متعاوناً مع غيره من العمّال فيُعطّل العمل.[٢]

٦- **التوازن في العمل**: وذلك بمراعاة :

أ- عدم تأخير الفرائض، أو الإنقاص منها لأجل العمل.

ب- وأن لا يؤذي غيره من أجل العمل .

ت- أن تكون نيّته من العمل العفّة لنفسه ولأهله، وليس جمع المال وتكثيره دون وجه حقّ

ث- أن لا يُكلّف نفسه فوق طاقتها أثناء العمل.

ج- أن يؤمن بأنّ الرزق بيد الله وحده، وأنّ هذا العمل مُجرّد سبب للرزق.

---

(١) سورة الحديد

(٢) خالد بن جمعة بن عثمان الخراز ، مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ صفحة ٤٣٧-٤٤١. بتصرّف.

فوائد العمل وسلبيّات تركه :

فوائد العمل :

حثّ الإسلام على السعي في طلب الرزق؛ لما له من فوائد كثيرة، منها[(١)]:

١- تحقُّق المنفعة للإنسان العامل؛ بأخذه الأجرة إن كان يعمل عند غيره، أو زيادة في رأس المال إن كان يعمل في التجارة.

٢- تحقُّق الخير، والنفع لغيره؛ من خلال أداء الأعمال التي يحتاجونها، كخياطة ثيابهم، أو زرع أشجارهم.

٣- البُعد عن اللهو والجلوس دون عمل؛ لما فيه من إشغال للنفس، وكسر لتكبُّرها، وطغيانها.

٤- العفّة عن سؤال الناس والتذلُّل لهم؛ بسبب القعود عن العمل.

علاج الإسلام للبطالة وضع الإسلام حلولاً ووسائلَ؛ للقضاء على مشكلة البطالة والقعود عن العمل، ومنها:

١- الحثّ على العمل، والسعي في طلب الرزق، وبيان أنّ هناك أجوراً عظيمة مُترتِّبة عليه، بل وعدّه الله من الجهاد؛ بقوله: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ(٢٠))[(٢)].

٢- استغلال الطاقات البشرية القاعدة عن العمل، وتوجيهها، وإعدادها لتكون قادرة على العمل، اقتداءً بالنبيّ عليه الصلاة والسلام؛ فقد كان النبي ينمّي طاقات الصحابة، ويُدرّبهم على العمل.

٣- المحافظة على استمرار المال وبقائه، مع الحرص على تنميته، واستثماره.

٤- الحثّ على إنشاء الأعمال والمشاريع حتى وإن كانت صغيرة.

٥- الحثّ على إحياء ما دعت إليه الشريعة، كالمضاربة. معالجة مشكلة العاجزين عن العمل؛ بالحثّ على الزكاة[(٣)].

---

(١)شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ، الكاشف عن حقائق السنن) ص ٢٠٩٥، جزء ٧.
(٢) سورة المزمل.
(٣) موقع موضوع ٦ سبتمبر ٢٠٢٠م.

س٤١: لماذا قال الله تعالى وجعل بينكم مودة ورحمة؟.

ج٤١:يقول الدكتور جاسم المطوع : (لماذا وصف القرآن المرأة مادحا لها بأنها هي السكن وليس الرجل؟ سؤال مهم يحتاج منا لتوقف وتأمل لنعرف كيف تكون المرأة سكن للرجل ؟ وهل يمكن أن يكون الرجل سكن للمرأة ؟ فقد يملك الرجل عدة عقارات ومساكن ولكنه يفتقر للسكن الحقيقي وهو المرأة في حياته، ولا أقول هذا نظريا بل سمعت هذا الكلام من عدة رجال كانوا يصارحونني بمشاعرهم الداخلية، ويقولون لي بأنه لا ينقصهم شيء من المال والصحة والجاه والمنصب ولكنهم يفتقرون لراحة نفسية بالسكون والسكينة لامرأة يحبها وتحبه، فهل السكن في البنيان أم في راحة الإنسان؟.

فالله تعالى وصف المرأة بالسكن عندما قال (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١))[١] ، فالمرأة سكن للرجل كما أن الرجل مركز أمان للمرأة، ويجمع بينهما المودة والرحمة، فالمرأة تربي الأبناء وتجمعهم وتدير البيت من الصباح إلي المساء لا تأخذ إجازة ولا ترتاح وهي تؤدي عملها هذا بحب وشوق، ويشعر الرجل بفراغ كبير في حياته لو فقد المرأة حتى لو كان يملك المساكن الكثيرة، فهي إذن سكن ومسكن للأسرة

وكون المرأة سكن إذن هي لديها عدة غرف وهذه من المهارات التي تمتلكها المرأة لتكون سكنا وراحة، فالزوجة عندها غرفة للحنان، وغرفة للحب، وغرفة للأمان، وغرفة للراحة، وغرفة للترفيه، وغرفة للتمريض، وغرفة للتغذية والصحة، وغرفة للحوار والحديث، وغرفة للإدارة، وغرفة للنظافة، وغرفة للزينة، وغرفة للعلاقة الحميمية، وغرفة للتربية، وغرفة للتعليم، فكل هذه الغرف عبارة عن أعمال وخدمات تقوم فيها الزوجة بالبيت ولهذا هي (سكن) وراحة وطمأنينة و استقرار.

ولو تأملنا الآيات القرآنية التي وردت بها كلمة (سكن) لفهمنا المقصود، قال تعالى

---

(١) سورة الروم .

واصفا الليل:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٧))[١] أي يرتاح فيه الناس، وقال عن صلاة النبي عليه السلام ودعائه للمؤمنين (وصل عليهم، إن صلاتك سكن لهم) أي أنهم يطمئنون ويسكنون إلى دعواتك ، وفي العلاقة الزوجية قال الله تعالى:(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا....(١٨٩))[٢] أي أن حواء خلقها الله من آدم ليسكن إليها، أي أن المرأة هي سكن الرجل ومحله الذي يطمئن إليه ويستقر لأن المرأة لها دور عظيم في حياة الرجل ولا يستغنى الرجل عن المرأة في حياته مهما حاول، فالمرأة هي سكن للرجل، والرجل أمان للمرأة فكل واحد منهما يعطي الآخر ما يحتاجه ويشعره بالراحة والاستقرار.

والسكينة على وزن فعيلة، أي تعني الوقار وليس فقد الحركة، وهذا مؤشر على أن العلاقة الزوجية التي يصفها القرآن (بالسكن) لا تعني عدم وجود مشاكل، فالمشاكل من حركة الحياة، وهذا أمر طبيعي، ولكن السكن يعني الطمأنينة والراحة، ولهذا فقد وصف الله قلوب المؤمنين بها فقال : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤))[٣]، أي أوجد فيها الثبات والاطمئنان ، وتقول العرب سكنت الريح أي هدأت، فهذه كلها من معاني السكن والسكينة ،لا شك أن تأمين السكن مهم ولكن الأهم (السكن الزوجي) الذي توفره الزوجة ويساعدها عليه الزوج لتحقيق الراحة والأمان والاطمئنان، فسكن البنيان مهم ولكن سكن الإنسان وراحته النفسية هي الأهم، فكم صرفنا من الأوقات والأموال لحل أزمة السكن في دولنا ولكن هل نصرف مثل هذه الجهود لحل أزمة السكن الزوجي بالمعنى القرآني؟ ، نعم إن حروف (السكن) واحدة ولكن هناك فرق بين السكن المنزلي والسكن الزوجي فلنتأمل !!)[٣] .

---

(١) سورة يونس .
(٢)سورة الأعراف .
(٣)سورة الفتح .
(٤)الموقع الرسمي للدكتور جاسم المطوع ٥ أغسطس، ٢٠٢٠م.

يقول الشيخ المنجد : (إن من أعظم مقاصد النكاح في شرع الله المطهر أن تسود المودة والرحمة بين الزوجين ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تبنى الحياة الزوجية . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (٢١)﴾[١] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (المودة هي : المحبة ، والرحمة هي : الرأفة ، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها ، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد) .

ويجب أن لا يغيب عن بالك المودة والرحمة اللتين ذكرهما الله تعالى في الآية الكريمة بين الزوجين ، وأن تتأملي في حال أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لاسيما دور السيدة خديجة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجتهدي في إسعاد أسرتك وسوف تجدين أثر ذلك خيرا إن شاء الله .

ومن أكبر أسباب كسب القلوب البشاشة وإلانة القول كما جاء عن بعض الصالحين : (إنما البر شيء هين ؛ وجه طلق وقول لين " فتكلفي هذا البر مع زوجك – حتى يصير سجية لك – تكسبي قلبه وتنعشي في قلبه المودة والرحمة نحوك) .

بل قبل ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، قول ربنا الرحمن جل جلاله : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٣٥)﴾[٢] .

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : (أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إِلا الإحْسَانُ.

ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال تعالى :

---

(١) سورة الروم .
(٢)سورة فصلت .

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة .

(فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أي: كأنه قريب شفيق ، (وَمَا يُلَقَّاهَا) أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة إلا الَّذِينَ صَبَرُوا نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟.

فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتثل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيده شيئًا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع للّه رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذًا مستحليًا له.

(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق[1] .

وإذا كان هذا كله في حق الخلق ، فكيف في حق الزوج، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ الْحَقِّ)[2] .

روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ)[3].

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ٥٤٩ ــ ٥٥٠ .
(٢) رواه أبو داود (٢١٤٠) ، والترمذي (١١٩٢) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٠٣).
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٨٨.

روى مسلم في صحيحه عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ؛ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ؛ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا !! قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ؟! قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ !! قَالَ الْأَعْمَشُ : أُرَاهُ قَالَ : فَيَلْتَزِمُهُ !!)[١].

وأما من يغضب الرحمن ويعصيه ، فليسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم : (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ..)[٢] .

روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى هذا الحديث العظيم عن رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)[٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : وقوله صلى الله عليه وسلم : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي)[٣])[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)[٥] .

يقول الصحابي الجليل ، عَائِذَ بْنَ عَمْرٍو ، رضي الله عنه ، وقد دخل عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، الوالي الظالم ، فَقَالَ له الصحابي : (أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ ؛ فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)[٦] !!

---

(١)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٨١٣ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث .١٢١٨
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٤٦٨ وعند الإمام البخاري برقم ٣٣٣١ .
(٤) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي .ا
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٩٣ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٨٢٩ .
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٨٣٠ .
(٧) الشيخ المنجد ، الاسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ١٠١١٣٠ تاريخ النشر : ٢٠٠٧/٠٥/٢٨م.

س٤٢ : لماذا كان العشاء والفجر اثقل الصلاة على المنافقين ؟.

س٤٢: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله :(الواجب على المكلف من الرجال أن يصلي الصلوات الخمس كلها في المسجد مع إخوانه المسلمين ولا يجوز له التساهل في ذلك، والتخلف عن ذلك في الفجر أو غيرها من صفات النفاق كما قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى..(١٤٣))[(١)] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا)[(٢)] متفق على صحته ، وقال عليه الصلاة والسلام: من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر أخرجه ابن ماجة والدار قطني والحاكم بإسناد صحيح.

وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم قال: فأجب خرجه مسلم في صحيحه، فإذا كان الأعمى الذي ليس له قائد يلائمه ليس له عذر في ترك الصلاة في الجماعة فغيره من باب أولى.

فالواجب عليك أيها السائل أن تتقي الله تعالى، وأن تحافظ على الصلاة في الجماعة في الفجر وغيرها، وأن تبادر بالنوم مبكرًا حتى تستطيع القيام لصلاة الفجر وليس لك الصلاة في البيت إلا من عذر شرعي كمرض أو خوف.

يقول الشيخ عبدالقادر شيبة الحمد : (أثقل الصلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاة الفجر وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أثقل الصلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأَتَوْهما ولو حَبْوًا)[(٤٤)]

- (أثقل): أشق، وفيه إشارة إلى أن الصلوات كلها ثقيلة على المنافقين.
- (ولو يعلمون ما فيهما)؛ أي: من الخير والفضل والأجر العظيم.

---

(١) سورة النساء .
(٢) رواه البخاري في (الأذان) برقم (٦١٧)، ومسلم في (المساجد ومواضع الصلاة) برقم (١٠٤١).
(٣) نشرت في (المجلة العربية) في ربيع الآخر ١٤١٣ هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٧١/١٢)
(٤) سبق تخريجه .

- (ولو حبوًا)؛ أي: يزحفون إذا منعهم مانع من المشي على أرجلهم كما يزحف الصغير.

أورد البخاري رحمه الله هذا الحديث في (باب فضل صلاة العشاء في الجماعة)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس صلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا، لقد هممتُ أن آمُرَ المؤذِّن فيُقِيم، ثم آمُر رجلًا يؤمُّ الناس، ثم آخذ شعلًا من نار فأُحرِّق على مَن لا يخرج إلى الصلاة بعد).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وإنما كانتِ العِشاءُ والفجر أثقلَ عليهم من غيرهما لقوةِ الداعي إلى تركهما؛ لأن العشاء وقت السكون والراحة، والصبح وقت لذَّة النوم؛ اهـ.

ولقد أشار الله عز وجل إلى أن جميع الصلوات ثقيلة على المنافقين؛ حيث قال: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى(٥٤))[١] .

وبيَّن أنه لا يفرح بها ولا يحرِص عليها إلا الخاشعون؛ حيث قال: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ(٤٥))[٢] ، ومعنى كبيرة؛ أي: ثقيلة.

ولَمَّا كانت العشاء والفجر في غير وضح النهار، وهم لا يصلون إلا رياءً، فلا يشاهدهم مَن يراؤوهم من الناس غالبًا، فلا باعث يستخفُّهم لها، ولذلك كله ثقُلَت عليهم.

ما يستفاد من الحديث :

١- الحث البليغ على صلاة العشاء والفجر في الجماعة.

٢- أنه لا يستثقل جماعةَ العشاء والفجر إلا المنافقون.

س٤٣: لماذا قال الله تعالى امرأة فرعون ولم يقل زوجة فرعون؟.

ج٤٣: نحن نعلم أن لفظ الزوج يطلق على كل من الرجل والمرأة. والزوج في اللغة يدل على مقارنة شيء لشيء، من ذلك: الزوج زوج المرأة، والمرأة زوج لبعلها.

جاء في لسان العرب: (يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة

---

(١) سورة التوبة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) شبكة الألوكة تاريخ الإضافة: ٢٠٢٠/٢/١٩ ميلادي - ١٤٤١/٦/٢٤ ه

زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادا زوج .. وزوجة لغة رديئة، وجمعها زوجات، وجمع الزوج أزواج.

معنى (الزوج) إذن يقوم على الاقتران القائم على التماثل والتشابه والتكامل، فحتى يتم الاقتران لا بد من وجود صفات بين الطرفين تحقق التماثل والتشابه عند اجتماعهما وتكاملهما واقترانهما، وهذا المعنى متحقق في الزوجين الذكر والأنثى.

فالله تعالى خلق الذكر ميالا إلى الأنثى، طالبا لها، راغبا فيها، والله خلق الأنثى ميالة للذكر، راغبة فيه، والإسلام نظم العلاقة بينهما، بأن جعلها عن طريق واحد مباح، هو الزواج الشرعي.

لماذا يطلق على الرجل زوج للمرأة؟ ويطلق على المرأة زوج للرجل؟.

الرجل يكمل المرأة، ففي المرأة "نقص" لا يسده إلا الرجل، حيث يلبي لها حاجاتها النفسية والاجتماعية والإنسانية.

ولأن المرأة تكمل (نقص) الرجل، وتلبي له حاجاته النفسية والاجتماعية والنفسية، إذن المرأة بدون زوج فيها نقص، فيأتي الرجل زوجا لها مكملا لإنسانيتها، والرجل بدون امرأة فيه نقص، فتأتي المرأة زوجا له، مكملة لإنسانيته، ولهذا كل منهما "زوج" لصاحبه، يقترن معه ويزاوجه.

متى تكون المرأة زوجا ومتى لا تكون؟.

عند استقراء الآيات القرآنية التي جاء فيها اللفظين:

١- نلحظ أن لفظ (زوج) يطلق على المرأة إذا كانت الزوجية تامة بينها وبين زوجها، وكان التوافق والاقتران والانسجام تاما بينهما، بدون اختلاف ديني أو نفسي ..

٢- فإن لم يكن التوافق والانسجام كاملا، ولم تكن الزوجية متحققة بينهما، فإن القرآن يطلق عليها (امرأة) وليست زوجا، كأن يكون اختلاف ديني عقدي بينهما..

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢١)﴾[١] .
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(٧٤)﴾[٢] .
- وبهذا الاعتبار جعل القرآن حواء زوجا لآدم، في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...(٣٥)﴾[٣] .
- وبهذا الاعتبار جعل القرآن نساء النبي صلى الله عليه وسلم (أزواجا) له، في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ...(٦)﴾[٤] .

فإذا لم يتحقق الانسجام والتشابه والتوافق بين الزوجين لمانع من الموانع فإن القرآن يسمي الأنثى (امرأة) وليس زوجا ، قال القرآن الكريم : امرأة نوح، وامرأة لوط، ولم يقل: زوج نوح أو زوج لوط، وهذا في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ... (١٠)﴾[٥].

إنهما كافرتان، مع أن كل واحدة منهما امرأة نبي، ولكن كفرها لم يحقق الانسجام والتوافق بينها وبين بعلها النبي. ولهذا ليست "زوجا" له، وإنما هي (امرأة) تحته.

ولهذا الاعتبار قال القرآن: امرأة فرعون، في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ...(١١)﴾[٦] ، لأن بينها وبين فرعون مانع من الزوجية، فهي مؤمنة وهو كافر، ولذلك لم يتحقق الانسجام بينهما، فهي "امرأته" وليست زوجه.

---

(١) سورة الروم .
(٢)سورة الفرقان .
(٣)سورة البقرة .
(٤)سورة الأحزاب .
(٥) سورة التحريم .
(٦) سورة التحريم .

ومن روائع التعبير القرآني العظيم في التفريق بين (زوج) و(امرأة) ما جرى في إخبار القرآن عن دعاء زكريا، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، أن يرزقه ولدا يرثه. فقد كانت امرأته عاقر لا تنجب، وطمع هو في آية من الله تعالى، فاستجاب الله له، وجعل امرأته قادرة على الحمل والولادة.

عندما كانت امرأته عاقرا أطلق عليها القرآن كلمة "امرأة"، قال تعالى على لسان زكريا: "وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا" . وعندما أخبره الله تعالى أنه استجاب دعاءه، وأنه سيرزقه بغلام، أعاد الكلام عن عقم امرأته، فكيف تلد وهي عاقر، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(٤٠))[١] .

وحكمة إطلاق كلمة (امرأة) على زوج زكريا عليه السلام أن الزوجية بينهما لم تتحقق في أتم صورها وحالاتها، رغم أنه نبي، ورغم أن امرأته كانت مؤمنة، وكانا على وفاق تام من الناحية الدينية الإيمانية .

ولكن عدم التوافق والانسجام التام بينهما، كان في عدم إنجاب امرأته، والهدف (النسلي) من الزواج هو النسل والذرية، فإذا وجد مانع بيولوجي عند أحد الزوجين يمنعه من الإنجاب، فإن الزوجية لم تتحقق بصورة تامة .

ولأن امرأة زكريا عليه السلام عاقر، فإن الزوجية بينهما لم تتم بصورة متكاملة، ولذلك أطلق عليها القرآن كلمة "امرأة" .

وبعدما زال المانع من الحمل، وأصلحها الله تعالى، ولدت لزكريا ابنه يحيى، فإن القرآن لم يطلق عليها "امرأة"، وإنما أطلق عليها كلمة (زوج)، لأن الزوجية تحققت بينهما على أتم صورة . قال تعالى: (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ(٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ...(٩٠))[٢][٣] .

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) قاموس المعاني .

س٤٤ : لماذا قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله ولم يقل نعم الله ؟.

ج٤٤:يقول الشيخ الجويني : (**كثرة نعم الله علينا وضعف محبتنا له:**

لماذا لا نحب الله؟! هذا سؤالٌ مر! لكنه واقع ما له من دافع! لماذا لا نحب الله عز وجل وقد تحبب إلينا بسائر نعمه: (**وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(٣٤)**)[١] وإنما قال: نعمة على الإفراد ولم يقل: نِعَم؛ لأنه إذا جاز لي أن أعجز عن عد نعمةٍ واحدة، فلأن أعجز عن عد نعمه من باب أولى: (**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**) ، وقال تعالى: (**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**).

وربنا عز وجل يقول: (**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ(٦٠)**)[٢] ، أي: لا يكون جزاء الإحسان إلا من جنسه، لا يرد الصنيعة إلا لئيم، وكثير من العباد لئام، قال تعالى: (**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)**)[٣] ، أقل الناس هو الذي يشكر، والاعتراف بالنعمة أول بوابة الحب.

ولذلك لما شمخ إبليس لعنه الله بأنفه، وحاج ربه تبارك وتعالى، وأقسم أنه سيقف على الطريق لعباده يصدهم عن الله عز وجل قال: (**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(١٧)**)[٤] ، أكثرُ شيء مُرٌّ: أن تُسْدِي الصنيعة ثم تتهم بأنك أسأت، البريء المظلوم: هو أشد الناس تجرعاً للمرارة.

فلو نظرت إلى موقف السيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، لعلمت مدى المرارة التي تجرعتها العفيفة، الغافلة المؤمنة، لما اتهمت في عرضها بالزنا.

ومع ذلك فيا لَحِلْمَ الله! ما أحلمه على عباده! كما قال عليه الصلاة والسلام: (ما أحدٌ أصبر على أذى يسمعه من الله! إنهم ليدَّعون أن له ولداً ،وأنه لا يحيي الموتى ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم، ولو أن العبد ملأ طباق الأرض ذنوباً ثم تاب مسح ذنبه واجتباه، وجعله من

---

(١) سورة إبراهيم .
(٢) سورة الرحمن .
(٣)سورة سبأ .
(٤)سورة الأعراف .

أوليائه، فله الأسماء الحسنى والصفات العلى)' فأكثر شيء وأثقل على النفس: رد الجميل، ولذلك قال إبليس: ﴿وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ .

فلماذا لا نحب الله عز وجل، وهو الذي يتحبب بالنعم؟! من أهم العلامات في محبة الله تبارك وتعالى أنك تؤثر عليه ولا يضرك لوم اللائمين، بل تستعذب الأمر كلما ضيقوا عليك، هذه هي الثمرة العظيمة من المحبة في حال إقبالك عليه تبارك وتعالى، إقبال قلبك فإن الإقبال لا يكون إلا بالقلب، ثم تنفعل الجوارح بالقلب، ففي حال إقبالك على الله تبارك وتعالى تشعر بذاك السمو، كما حدث بذلك الأنصاري، كما رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده بسندٍ قوي: عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة من الغزوات، فدخل الصحابةُ دار رجلٍ من المشركين، فأصابوا امرأته -أي: أسروها- فلما جاء المشرك وعلم بالأمر أقسم أن يريق في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دماً، ثم قفل النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً، وهم في بعض الطريق عرسوا -أي: ضربوا بخيامهم وباتوا- فقال النبي عليه الصلاة والسلام: مَن رجلان يكلآنا في نومنا؟ فقام رجلان أحدهما من المهاجرين والآخر من الأنصار، فقالا: إنا نكلؤك يا رسول الله! فنام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وانتصب هذان، فقال الأنصاري للمهاجري: تكفيني أول الليل أم آخره؟ قال: بل أكفيك آخره، فنام المهاجري ووقف الأنصاري وصف قدميه لله عز وجل ودخل في الصلاة، فجاء الرجل المشرك يبحث عن المسلمين -لأنه أقسم أن يريق في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دماً- فرأى هذا واقفاً، فعَلِم أنه طليعة المسلمين، وأنه هو الذي يحرسهم، فجاء بسهم وضربه، فلم يتحرك، فذهب المشرك وانتزع السهم منه، ثم عاود فضربه وهو لا يتحرك، فعاود المشرك فانتزع السهم منه، ثم جاء الثالثة فضربه، والمسلم لا يتحرك -الأنصاري- ثم ركع، ففر المشرك، وإذا بالأنصاري يموت دماً، فأيقظ المهاجري فلما رآه كذلك فزع، وقال: ما هذا؟ فأخبره بالأمر، فقال له: رحمك الله فهلا أيقظتني؟ قال: والله لولا أنني على ثغرٍ من ثغور المسلمين ما قطعت صلاتي حتى أتم قرآتي ولو تقطعت نفسي).

فأين إحساس هذا الإنسان؟! ثلاث مرات يُضْرَب بالسهم ويُنْزَع السهم منه، ومع ذلك لا يتحرك، هذا هو الإقبال على الله تبارك وتعالى[1].

يقول الاستاذ بكر البعداني : يقول الله عزَّ وجل: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(٤٣))[2] ، وقال عزَّ وجل: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(١٨))[3] ، وفي هاتين الآيتَين الكريمتين تَنبيهٌ على جملة من الفوائد، كما ذكَر أهلُ العلم رحمهم الله، ومنها:

١- أنَّ النِّعَم كلها هي من الله عزَّ وجلَّ وحده لا أحد سواه.

٢- إرشاد العِباد إلى طلَب النِّعَم والتزوُّد منها من الله عزَّ وجلَّ لا من أحدٍ سواه.

٣- أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أسبغ على جميع خلقه وعباده هذه النِّعَم ظاهرةً وباطنة.

٤- أنَّه لا سبيل له إلى ضَبط أجناس هذه النِّعم، فضلًا عن أنواعها أو عن أفرادها، ويَكفي أنَّ مِن بعض أنواعه نِعمة النَّفَس التي لا تَكاد تَخطر ببال العبد؛ فإنَّ له عليه في كل يوم وليلة: أربعة وعشرين ألف نِعمة، فإنَّه يتنفَّس في اليوم والليلة أربعة وعشرين ألف نفَسٍ، وكل نفَس نِعمةٌ منه عزَّ وجلَّ، فإذا كان أدنى نِعمة عليه في كلِّ يوم أربعة وعشرين ألف نِعمة؛ فما الظنُّ بما فوق ذلك وأعظم منه؟!

٥- أنَّ النِّعمة من جِنس الإحسان؛ بل هي الإحسانُ، والله عزَّ وجلَّ إحسانه على البَرِّ والفاجِر، والمؤمِن والكافِر، وأمَّا الإحسان المطلَق، فهو للَّذين: (اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ(١٢٨))[4] .

٦- أنَّ هذه النِّعَم ليس لأحدٍ - كائنًا مَن كان - أن يحصيها غير اللهِ؛ لكثرتها عليهم، وجهلِهم بها.

٧- أنَّ دخول الجمْعِ يشعِر بالتحديد والتقييد بعدَد، وإفرادُه يشعِر بالمسمَّى مطلقًا من غير

---

(١) دروس للشيخ أبو إسحاق الحويني ج٣ ص ٢٦.
(٢) سورة إبراهيم .
(٣) سورة النحل .

تحديدٍ؛ فالإفرادُ هنا أكمَل وأكثر معنًى من الجمْع، وهذا بَديع جدًّا؛ أن يكون مدلول المفرد أكثر من مدلول الجمْعِ؛ ولهذا كان قوله عزَّ وجل: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) أعمَّ وأتمَّ معنًى من أن يقال: وإن تَعدوا نِعَم الله لا تُحصوها.

٨- أنَّ هذه النِّعَم غير متناهية؛ ومنها الظَّاهرة ومنها الباطِنة، ومنها الجليَّة ومنها الخفيَّة، ومنها المجملة ومنها المفصَّلة.

٩- أنَّ هذه النِّعمة عامَّة ليس لأحد أن ينزِلَها على نِعمةٍ دون الأخرى؛ لأنَّ (نِعْمَة) هنا مُفرد، والمفرد إذا كان اسمَ جنسٍ وأُضيف إلى معرفة فإنَّه يعمُّ؛ كما قرَّر ذلك أهلُ الأصول وغيرهم

١٠- وبهذا نَعلم أنَّ كلَّ ما ذكَره أهلُ العلم، أو قاله المفسِّرون، هو من قَبيل التمثيل لا الحصر

١١- تدبير بدَن الإنسان على الوجْه الملائِمِ؛ ليتسنَّى له التنعُّم بهذه النِّعم؛ لأنَّه لو ظهَر في بدَنه أدنى خلَل وأيسَر نقص، لنغَّص عليه هذه النِّعَم، وتمنَّى أن ينفِق الدنيا - لو كانت في ملكِه - حتى يَزول عنه ذلك الخلَل.

١٢- الحثُّ على التفكُّر والتدبُّر في تلك النِّعَم الكثيرة والمتنوعة، التي لا نَستطيع إحصاءها، ولا نطيق عدَّ أنواعها، فضلًا عن أفرادها.

١٣- التنبيه إلى الشُّكر وبيان أهميَّتِه، وأنَّه من أعظم الأسباب - إن لم يكن أعظمها - لاستدامَةِ النِّعَم.

١٤- ذَمُّ الإنسان بكونه كَفورًا غير شكور.

١٥- الحثُّ على شُكر الله عزَّ وجلَّ على نِعَمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ لأنَّه متى تعسَّر على الإنسان الوقوف عليها، فلا بدَّ عليه أن يَجتهد بالحمد والشُّكر والثَّناء اللائق بها، وإن كان لن يَقوم بالواجب عليه في هذه الأبواب.

١٦- أنَّ هذا الوصف: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) متعلِّق بالإنسان؛ حتى يؤمِن ويَستقيم على أمر الله عزَّ وجلَّ ورسولِه صلى الله عليه وآله وسلم والإسلامِ كما يجِب.

١٧- التنبيه مع هذا الفَيض المتدفِّق من الإنعام، وأنَّه كما يستدلُّ على الخالق بالخلق، فإنه

يستدلُّ على المنعِم بالنِّعَم؛ إلَّا أنَّه لا يزال هناك مَن يجادِل بالباطِل، ويتعلَّق بالهوى، ويتشبَّث – زعَمَ بالعقل في القرآن والسنَّة وما يدلَّان عليه من أمورِ العقيدةِ والتوحيد، ووجوب طاعته عزَّ وجلَّ وطاعةِ رسوله صلى الله عليه وسلم بغير علمٍ من وحْيٍ، ولا استدلالٍ من عقل سَليم، ولا كتابٍ مُنير واضح بيِّن يَحتجُّون به ويجادِلون بأدلَّته.

١٨- التنبيه على أنَّ الإنسان في محلِّ التقصير في شُكر تلك النِّعم.

١٩- أنَّ الله يَغفر له تقصيرَه في أداء شُكر نِعَمه، ويَرحمه ببقائها، مع تَقصيره في شُكرها.

٢٠- أنَّه بمقدار كَثرة النِّعَم يَكثر كُفر الكافرين بها؛ إذ أعرضوا عن عِبادة المنعِم، وعبَدوا ما لا يُغني عنهم شيئًا، فأمَّا المؤمنون، فلا يَجحدون نِعَمَ الله، ولا يَعبدون غيرَه.

٢١- عِظَم رحمة الله عزَّ وجل، وسَعَة فضلِه؛ فهو ينعِم على المطيع والعاصي، والمؤمنِ والكافر، ومع ذلك تُنسب إلى غيره، وهو المستحقُّ وحده دونما سواه لذلك.

٢٢- تَجلِّي آثار كمال رَحمته عزَّ وجل في خلقه وهدايتهم وإنعامه عليهم؛ وهذا يَقودنا بالتالي إلى فَهْم ولو شيئًا يسيرًا قليلًا من معنى قوله عزَّ وجل: (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(١٨))[1] .

٢٣- أنَّ المنعِم عزَّ وجلَّ علينا بكل هذه النِّعَم هو الموصوف بصِفات العظمة والكمال، والعزَّةِ والجلال.

٢٤- أن المنعِم عزَّ وجلَّ لم يطالِبنا بشكر جميع نِعَمه؛ لِعجزِنا عن القيام بذلك، ولم يأمُرنا به؛ لضعفِنا وعدم المواظبة عليه، ولو أنَّه عزَّ وجلَّ عذَّبَنا لعذَّبنا وهو غير ظالِمٍ لنا، ولكنَّه عزَّ وجلَّ غفور رحيم؛ يَغفر الكثيرَ، ويجازي على اليسير.

٢٥- أنَّ طبيعة الإنسان من حيث هو ظالِمٌ متجرِّئ على المعاصي، مقصِّر في حقوق ربِّه، كفَّارٌ لنِعَم الله، لا يَشكرها ولا يَعترف بها إلَّا مَن هداه اللهُ؛ فشَكَر نعَمَه، وعرف حقَّ ربه وقام به.

---

(١) سورة النحل .

٢٦- أنَّ على الإنسان استِحضار ما أنعَم الله به عليه؛ لأنَّ ذلك يكون باعثًا له على الشُّكر.

٢٧- أنَّ مُطالعة الآلاء والنِّعَم تورِث محبَّةَ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ القلوب جُبلَت على حبِّ مَن أنعَم أو أحسَن إليها، وبُغض مَن أساء إليها، ولا أحد أعظَم نعمًا وإحسانًا من الله عزَّ وجل؛ فإنَّ نعَمَه وإحسانه على عبده في كلِّ نفَسٍ ولحظة، وهو يتقلَّب فيها في جميع أحواله

٢٨- أنَّ النِّعَم ليست فقط فيما يوهَب للإنسان؛ بل قد تكون - أيضًا - فيما يُصرَف عنه من المضرَّات وأنواعِ الأذى وغيرِ ذلك من الأمور التي تَقصده، والتي لعلَّها توازن النِّعَم في الكثرة.)[١] .

س٤٥: لماذا قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ؟.

ج٤٥ : يقول د. يحي إبراهيم محمد: يقول الحق تبارك وتعالى: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ(٤))[٢].

ولله المثل الأعلى، ففي مطلع هذه الآية المباركة إعجاز قرآني علمي يتحدى به الله سبحانه وتعالى خلقه إلى يوم القيامة ويضرب مثلاً حِسِّيًّا للبشر كافة، ويقطع باستحالة وجود قلبين في صدر أي رجل! ولدقة المعنى المراد الوصول إليه بأقصر السبل، جاء اختيار كلمة (رجل) وليس بشرًا أو بني آدم أو مؤمنًا أو إنسانًا، حتى لا يحتمل تفسيرها مشاركة الأنثى في القسم، والتي قد يكون في جوفها أثناء فترة الحمل جنين أو أكثر، ويحمل كل منهم قلب ينبض وهو لا يزال في جوف أمه وبين أحشائها، وقد جاء في كتب التفسير العطرة: أن هذه الآية الكريمة نزلت في رجل من قريش اسمه جميل بن معمر الفهري كان يدّعي أن له قلبين في جوفه، وكان يدّعى ذا القلبين من دهائه! وقيل إنها نزلت ردًّا مُفحِمًا لبعض المنافقين الذين ادّعوا أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلبين، فأكذبهم الله عز وجل في ما يدّعون.

---

(١) شبكة الالوكة تاريخ الإضافة: ٢٠١٦/٢/٢٥ ميلادي - ١٤٣٧/٥/١٦ هجري.
(٢) سورة الأحزاب .

وبهذا المثل الإعجازي يقطع الله سبحانه وتعالى ما جاء بعدها في بقية الآية المباركة؛ باستحالة أن تكون الزوجة التي أقسم عليها زوجها (المظاهِر) بقوله: (أنت علَيَّ كظهر أمّي، أو كأمّي) . أن تكون في منزلة أو مقام أمه التي ولدته! فصارت أجَلّ وأعظم النساء عليه حرمة وتحريمًا وتكريمًا، وزوجته التي هي أحل النساء له! وبذلك يستحيل تشابه النقيضين جملة وتفصيلاً.

ثم ينتقل النص القرآني الشافي إلى قضية بطلان الأدعياء أو التَّبنِّي، ويفصّلها بنفس المثل الإعجازي الذي تصدّر الآية الكريمة، فالله عز وجل لم يجعل الأدعياء الذين تدّعونهم أو يدّعون إليكم أبناءكم! فإن أبناءكم في الحقيقة هم من ولدتموهم وكانوا منكم ومن صلبكم. وأما هؤلاء الأدعياء فإنهم من غيركم ومن صلب غير صلبكم! فكيف يستويان؟! إذًا فهو ادعاء باطل وقولٌ خالٍ من الحقيقة لا معنى له؛ (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) وهذا هو الصدق واليقين الذي بُنيت عليه كل الشرائع التي أنزلها الله عز وجل في محكم آيات كتابه الكريم.

ونعود للإعجاز القرآني بالتحدي في ضرب المثل الرباني الذي تصدّر الآية المباركة: (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) حيث يستحيل علميًّا من وجهة نظر علماء وباحثي علم الأجنة وأطباء وجرّاحي القلب، أن يكون هناك من له قلبين في صدره! ولم تسجل كتب الطب ومراجعه العلمية في ذلك التخصص أو غيره – على مدى تاريخها– وجود إنسان واحد يولد بقلبين، مع العلم بأن معظم الباحثين ومؤلفي تلك المراجع ليسوا بمسلمين!

فمن المعروف والثابت علميًّا، أن القلب يبدأ تكوينه في جوف الجنين مع بداية الأسبوع الثالث من تكون الحمل، حيث ينمو الأنبوب القلبي الأيمن ونظيره الأيسر، ليلتقيا في منتصف القطب العلوي (وهو ما سيكون تجويفًا صدريًّا فيما بعد) من جسم الجنين، ويتلاشى الأنبوب القلبي جهة اليسار بعد أن يزداد سمك جداره السفلي، ويظهر من منتصفه بروز يزداد نموًّا داخل الأنبوب القلبي ليكوّن البُطينين الأيمن والأيسر، ويتكوَّن الأذينان القلبيان بطريقة مشابهة من الجزء العلوي من الأنبوب القلبي، ويتخلل هذه المراحل الدقيقة . وفي نفس الوقت . تكوين الشرايين والأوردة القلبية الرئيسية الكبرى. وتتم كل هذه المراحل حول نقطة لتجمع دموي في

النصف العلوي من الأنسجة الجنينية في مراحلها المبكرة من التكوين، ويبدأ القلب ـ بمشيئة الله وقدرته ـ في الانقباض والانبساط تلقائيًّا قبل نهاية الأسبوع السادس من الحمل، وقبل نمو النهايات العصبية ووصولها إليه!.

بعد هذا الإيجاز في شرح مراحل تكوين القلب في الجنين، فقد يتساءل البعض: أليست هناك بعض التشوهات المرضية والاختلافات الخِلقية في قلوب بعض المواليد؟ فنجيب بنعم، ولكن لم ولن نجد من له قلبين في صدره! وذلك لاستحالة تكوينهما في جنين واحد –كما أسلفنا– وإذا توقفت أي من المراحل السابق ذكرها أثناء تكوين القلب الجنيني، فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى موت الجنين إذا كان ذلك التشوه أو الاختلاف لا يتمشى أو يتعارض مع الحياة، فيتم إجهاضه أو وفاته داخل الرحم قبل ولادته، وهو كما ذكرنا ليس ازدواجيًّا في تخليق القلب، ولكنه توقف عند إحدى مراحل تكوينه الجنيني، وقد يكون اختلافًا خلقيًّا بسيطًا ويولد الطفل بتشوه في قلبه. والأمثلة كثيرة منها وجود ثقب بين الأذينين أو بين البطينين أو كلاهما معًا أو وجود بطين واحد كقلب الطيور أو انحناء القلب جهة اليمين، وقد يكون القلب معيوبًا في مجموعة من مواضع اتصال الشرايين أو الأوردة الكبرى بالقلب أو صماماته مثل مرض ثلاثي أو رباعي فَالْموت (نسبة لمكتشفه) وغيرها من الاختلافات الخلقية البسيطة أو المركبة والمعقدة، ومنها ما قد تصاحبه زرقة أو لا تصاحبه زرقة، ونعود فنقول إنه يستحيل أن يولد رجل بقلبين في جوفه إلى يوم القيامة، حتى في حالات التوائم (السيامية) الملتحمة أو الملتصقة، فقد يكون لكل توأم منهما قلب منفصل، وقد يكون لهما قلب واحد، ولكن يستحيل أن تكون لهما ثلاثة قلوب ،إنه الإعجاز القرآني لله الواحد القهار..(وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلا الْعَالِمُونَ(٤٣))[١] ، [٢].

يقول فضيلة الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله ردا على سؤال مماثل :

---

(١) سورة العنكبوت .
(٢) مجلة الإعجاز العلمي، العدد السادس عشر، رجب ١٤٢٤هـ.

يطلق لفظ القلب بمعنى الفؤاد مطلقا، ويطلق اسمًا لما في جوف الشيء وداخله كقلب الحبة، واسمًا لشيء معنوي وهو النفس الإنسانية التي تعقل وتدرك وتفقه وتؤمن وتكفر وتتقي وتزيغ وتطمئن وتلين وتقسو وتخشى وتخاف، وقد نسبت إليه كل هذه الأفعال في القرآن، والأصل في هذا أن أسماء الأشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء الحسية، ومنها القلب واللب؛ لأن لب الشيء وقلبه من المخلوقات الحية هو مستَقَر حياته ومنشؤها كما يعرف ذلك في الحبوب، وهنالك مناسبة أخرى للقلب هو أن قلب الحيوان هو مظهر حياته الحيوانية ومصدرها، وللوجدانات النفسية والعواطف تأثير في القلب الحسي يشعر به الإنسان .

ولفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة التي يموت الإنسان بخروجها منه، قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ(١٠)﴾[١]، أي الأرواح لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها، وقال: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا.. (٤٦)﴾[٢] أي نفوس أو أرواح وليس المراد أن القلب الحسي هو آلة العقل، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ(١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ... (١٩٤)﴾[٣] أي على نفسك الناطقة وروحك المدركة، وليس المراد بالقلب هنا المضغة اللحمية ولا العقل؛ لأن العقل في اللغة ضرب خاص من ضروب العلم والإدراك لا يقال: إن الوحي نزل عليه، ولكن قد تسمى النفس العاقلة عقلاً كما تسمى قلبًا، وقد يُعزى إلى القلب ويُسند إليه ما هو من أفعال النفس أو انفعالاتها التي يكون لها أثر في القلب الحسي كقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ(٢)﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ(١٥٦)﴾[٥]، وقوله: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ(١٥)﴾[٦] وللاشتراك بين القلب المعنوي وهو النفس، والقلب .

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) سورة الحج .
(٣) سورة الشعراء .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) سورة آل عمران .
(٦) سورة التوبة .

الحسي وهو المضغة التي ينبعث منها الدم؛ أو لأن الاسم الأول مأخوذ من الثاني، وإن صار مستقلاً بمعناه، قال تعالى: (فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ(٤٦))[١] ، أما الجوف في قوله تعالى: (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ(٤))[٢] ، فقد يراد به الصدر، وقد يراد به ما هو أعم منه، فإن جوف الشيء باطنه كقلبه، فالرأس له جوف وفيه الدماغ، والقلب له جوف وفيه السويداء، فعُلم مما تقدم أن القلب في هذه الآية هو الروح الإنساني المدرك .

روى الترمذي عن ابن عباس أنه قال في سبب نزول هذه الآية: (قام النبي صلى الله عليه وسلم يومًا يصلي فخطر خطرةً، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين قلبًا معكم وقلبًا معهم، أي: مع أصحابه الصادقين)[٣]، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان رجل من قريش يسمى ذا القلبين كان يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه ما تسمعون، وروي أنه وجد من المشركين من ادعى أن له قلبين يفهم بكل منهما أو يعقل أفضل من عقل محمد، وأنه هو أو غيره كان يدعى ذا القلبين، وأن الآية ردت هذا الزعم كما أبطلت مزاعم التبني والظهار من ضلالات العرب، ومعنى القلب اللحمي غير مراد على كل حال.

ولو فرضنا أن المراد بالآية نفي أن يكون للإنسان قلبان حسيان لكان الكلام صحيحًا، سواء صحت رواية الجريدة أم لا، ولا تصلح أن تكون هذه الرواية ناقضة لخبر الآية لا؛ لأن خبر الآية ماضٍ وما اكتشف بعدها لا ينقض خبرها عما قبله؛ بل لأن بيان أحوال الخلق إنما تبنى على ما مضت به السنة العامة التي يعبرون عنها بالناموس الطبيعي؛ والشاذ لا حكم له، ولا يعد مكذبًا لمن يخبر عن السنن الكونية بما هو المعروف، فإذا قال علماء وظائف

---

(١) سورة الحج .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) الألباني ، ضعيف الترمذي ، رقم ا ٣١٩٩ ، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي ، ج٦ ، ص ٢٨٥ : لم يصح منه شيء .

الأعضاء والتشريح: إن جسد الإنسان مركب من رأس ويدين ورجلين مثلاً، وإن لكل يد ورجل خمس أصابع فلا ينقض قولهم هذا ولادة طفل برأسين أو أكثر من يدين بست أصابع، ونحو ذلك مما يسمونه فلتات الطبيعة، وإذا أنت تدبرت السياق الذي وردت فيه الآية وفهمت المراد منها بمعونته علمت أن مسألة اكتشاف رجل له ولكل من أولاده قلبان لا يدنو من معنى الآية بوجه ما.

ذلك بأن السورة افتتحت بالأمر بتقوى الله والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحي خاصة، وجاء بعد ذلك قوله تعالى: (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ) فكان المراد منه أن الإنسان لا يمكن أن يكون له قلبان يجمع بهما بين الضدين، وهما ابتغاء رضوان الله وابتغاء مرضاة الكافرين والمنافقين والإخلاص فيكون في وقت واحد مخلصًا لله ومخلصًا لأعداء دينه.

ومن هذا الباب قول الشاعر:

لو كان لي قلبان عشت بواحد وتركت قلبا في هواك معذبا

فهل يتعلق اكتشاف قلبين لحميين لرجل واحد - إذا صح - بشيء من مراد الشاعر هنا؟ لا، إلا إن كانت إدراكاته ووجداناته النفسية صارت تجمع بين الضدين في حال وزمن واحد كأن يكون مؤمنًا كافرًا، محبًّا مبغضًا، آمنًا خائفًا، من غير ترجيح بين هذه الأشياء المتقابلة، وهذا محال[1].

س٤٦ :لماذا كانت الملائكة تستحي من عثمان ؟.

ج٤٦ : كان عثمان رضي الله عنه من أحسن الناس خُلقاً ، وأشدهم حياءً ، فروى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أرحمُ أُمَّتي بأمتي أبو بكرٍ ، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمرُ ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ ، وأقرؤُهم لكتابِ اللهِ أبيُّ بنُ كعبٍ ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبل ، ولكلِّ أُمَّةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمةِ أبو عُبيدةَ بنُ الجرَّاحِ...)[2] .

---

(١) منتديات اتباع المرسلين.
(٢) الألباني ، ضعيف الجامع ، رقم الحديث ٧٧٤ .

ولعله لأجل عِظَم هذه الخصلة الحميدة ، التي لا تأتي إلا بخير، كانت الملائكة تستحيي منه ، ما لا تستحيي من غيره .

روى مسلم عن عَائِشَةَ، قَالَتْ : " كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي ، كَاشِفًا عَنْ فَخِذَيْهِ ، أَوْ سَاقَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ ، فَأَذِنَ لَهُ ، وَهُوَ كَذَلِكَ ، فَتَحَدَّثَ ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ ؟!فَقَالَ: (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟.)[1] ؟! ، وفي لفظ له: (إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِيٌّ ، وَإِنِّي خَشِيتُ ، إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ)[2] ، **فهذا استحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم منه رضي الله عنه .**

وروى الطبراني في (المعجم الأوسط) عَنْ عَائِشَةَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ عُثْمَانَ حَيِيٌّ سَتِيرٌ، تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ)[3] .

وقد روى أحمد عن سَالِمِ أَبِي جُمَيْعٍ قال : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، وَذَكَرَ عُثْمَانَ وَشِدَّةَ حَيَائِهِ ، فَقَالَ : " إِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ وَالْبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ ، فَمَا يَضَعُ عَنْهُ الثَّوْبَ لِيُفِيضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يُقِيمَ صُلْبَهُ)[4] .

قال المناوي رحمه الله : (كان يستحي حتى من حلائله ، وفي خلوته ، ولشدة حيائه كانت تستحي منه ملائكة الرحمن)[5] ، [6].

يقول الشيخ د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان : (قالت عائشة رضي الله عنها: كان

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث٢٤٠١ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٤٠٢
(٣) الطبراني ، المعجم الأوسط ، رقم الحديث ٨٦٠١ ، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢١٠٦) .
(٤)الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٥٤٣
(٥) المناوي ، فيض القدير ، ج١ ، ص ٤٥٩ .
(٥) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٢١٥١٧٦ في ٥ / ٥ / ٢٠١٤ م .

رسول الله صلى الله وعليه وسلم صلى الله وعليه وسلم صلى الله وعليه وسلم مضطجعاً في بيتي، كاشفا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتَحَدَّثَ، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله وعليه وسلم، وسوّى ثيابه - قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تَهْتَشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك فقال: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة[1].

من فوائد الحديث:

١- فضيلة ومنقبة لعثمان رضي الله عنه.

٢- قوله: (كاشفًا عن فَخِذيه أو ساقيه) هو شكٌّ من الراوي، والظاهر أن الثانية هي الصحيحة؛ لأنه لم يكن صلى الله وعليه وسلم ليكشفَ عن عورته، ويجوز أن يكون المراد بكشف الفخذ كشفه عما عليه من القميص لا المِئْزَر.

٣- قول عائشة رضي الله عنها: (دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له) أي: لم تتحرك لأجله، والاهتشاش: إظهار البَشاشة يعني: ما ظهر منك بَشاشة لدخول أبي بكر رضي الله عنه.

٤- المراد من استحياء النبي صلى الله وعليه وسلم والملائكة عليهم السلام من عثمان رضي الله عنه توقيرُه وتعظيمُه[2].

٥- استدل بعض العلماء على أن الفخذ ليس بعورة، من هذا الحديث وغيره.

والصحيح أنّ هذه الرواية ليس فيها جزمٌ بكشْفِ الفَخِذ، بل وقع التردد من الراوي: هل كشف فخذيه أو ساقيه؟ فلا يستدل بذلك على أنّ الفخذ ليست بعورة. فما ورد على الشكّ لا يصلُح أنْ يكون دليلا[3].

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٦٥ رقم ٦٢٨٩. صحيح مسلم ٤/ ١٩٢٩ رقم ٢٤٨٢. واللفظ له

(٢) من ١-٤ مستفاد من شرح المصابيح لابن الـمَلَك ٦/ ٤٢٦.

(٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري للكوراني ٢/ ٥٢. وينظر في هذا: فتوى رقم ٢١٩٨٦٥ (الأدلة على أن الفخذ ليس بعورة والرد عليها) موقع إسلام ويب. وفتوى حول عورة الرجل. الموقع الرسمي لشيخنا ابن باز.

٦- تقدير النبي صلى الله وعليه وسلم لا يدل على حط منزلة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - عنده صلى الله وعليه وسلم وقلة الالتفات إليهما؛ لأن قاعدة المحبة إذا كملت، واشتدت ارتفع التكلف، كما قيل: إذا حصلت الأُلْفة بطلت الكُلْفة[١].

٧- الحياء يبعث على فعل الطاعة، ويحجز عن فعل المعصية.

٨- الحياء في اللغة: تغيّر وانكسار يعتري الإنسان؛ من خوف ما يعاب به. وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب. والترك إنما هو من لوازمه. وفي الشرع: خُلُق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[٢].

٩- قول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله وعليه وسلم صلى الله وعليه وسلم صلى الله وعليه وسلم مضطجعا في بيتي) الإنسان في بيته يأخذ راحته، ويرفع كلّ كلفة. فالبيت مكان لراحة الإنسان، واستقراره.

١٠- من نعمة الله سبحانه أن يجعل للإنسان بيتا ينام فيه، ويرتاح.

١١- أبوبكر وعمر وعثمان يضاف لهم عليّ رضي الله عن الجميع، هم خير أصحاب النبي صلى الله وعليه وسلم. وهم الصفوة.

١٢- على المسلم أن يختار الصحبة الخيّرة.

١٣- لا بأس باجتماع الإنسان بأصحابه، والسلوة، والانبساط معهم فيما أباحه الله سبحانه. فالدين فيه فسحة للترويح عن النّفس.

١٤- كانت عائشة رضي الله عنها تراقب فِعل النبي صلى الله وعليه وسلم وتصرفاته.

١٥- الاستئذان أدب إسلاميّ رفيع. ولا يدخل منزل غيره إلا بعد إذن صاحبه

١٦- بلغ عثمان رضي الله عنه هذا الحبّ من النبي صلى الله وعليه وسلم، وهذه المنزلة العظيمة، بإخلاصه، وتقواه، وبذله في سبيل الدعوة.

١٧- الملائكة - وهم خَلْق عظيم - تستحي من عثمان رضي الله عنه.

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح للمُظهري ٦/ ٣٠٥.
(٢) من ٧-٨ مستفاد من فتح الباري لابن حجر ١/ ٥٢.

١٨- الحياء خصلة جميلة، وهو من الإيمان.

١٩- الثياب ستر ماديّ للإنسان. والتقوى هي الستر المعنويّ.

٢٠- لا بأس في السؤال عمّا يُشكل[١].

س٤٧: لماذا نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنكيس في الصلاة ؟.

ج٤٧: يقول الاستاذ حسام عفانة : (التنكيس مأخوذ من النكس وهو قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره .

والتنكيس في قراءة القرآن له معنيان هما :

١- أن يبدأ من آخره أي من المعوذتين ثم يرتفع إلى البقرة ويختم بالفاتحة .

٢- أن يبدأ من آخر السورة فيقرأها إلى أولها مقلوباً[٢] .

إذا تقرر هذا فينبغي أن يعلم أن السنة لقارئ القرآن سواء أكان في الصلاة أم خارجها أن يقرأ حسب ترتيب السور في المصحف ، قال الإمام النووي :(قال العلماء : الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب سواء قرأ في الصلاة أو في غيرها حتى قال بعض أصحابنا : إذا قرأ في الركعة الأولى سورة (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِ النَاسِ) يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة ، قال بعض أصحابنا : يستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ التي تليها ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة فينبغي أن يحافظ عليها ...)[٣]

وقال الشيخ ابن قدامة المقدسي :(والمستحب أن يقرأ في الركعة الثانية سورة بعد السورة التي قرأها في الركعة الأولى في النظم لأن ذلك هو المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم)[٤] ، فإذا لم يلتزم القارئ بترتيب السور في القرآن فقرأ في الركعة الثانية سورة تقع في المصحف قبل السورة التي قرأها في الركعة الأولى جازت قراءته وصلاته جائزة باتفاق العلماء .

---

(١) شبكة الالوكة . تاريخ الإضافة: ٢٠١٧/١٢/٢٦ ميلادي - ١٤٣٩/٤/٧ هجري).
(٢) تاج العروس ، ج٩ ، ص٢٢ .
(٣) النووي ، التبيان ، ص ٥١ – ٥٢ .
(٤) ابن قدامة ، المغني ، ج١ ،ص ٣٥٦ .

١- عن حذيفة رضي الله عنه قال : (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح وإذا مرّ بسؤال سأل وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم قال : سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريباً من قيامه)[١].

ففي هذا الحديث نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ النساء ثم آل عمران وهذا على خلاف ترتيب المصحف وهو يدل على جواز ترك الترتيب ومما يؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري :(أن الأحنف قرأ بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف أو يونس وذكر أنه صلى مع عمر رضي الله عنه الصبح بهما)[٢] رواه البخاري تعليقاً مجزوماً به .

قال القاضي عياض :(لا خلا ف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى)[٣] .

وبهذا يظهر لنا أن التنكيس بالمعنى الأول وهو أن يقرأ في الركعة الثانية بسورة قبل التي قرأ في الركعة الأولى جائز إن شاء الله ولا كراهة فيه والأولى أن تكون قراءته حسب ترتيب المصحف وأما التنكيس بالمعنى الثاني وهو أن يبدأ من آخر السورة فيقرؤها إلى أولها مقلوباً فقد ذكر كثير من أهل العلم أن ذلك محرم .

قال الإمام النووي :(وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعاً متأكداً فإنه يذهب بعض ضروب الإعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات)[٤]، وهذا التنكيس الممنوع هو الذي حمل عليه قول ابن مسعود : (عندما سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً . قال : ذلك منكوس القلب) .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٧٢ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ و ص ٣٩٩ .
(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٣٩٥ .
(٤) النووي ، التبيان ، ص ٥٢ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

قال القاضي عياض :(وتأول نهي بعض السلف عن قراءة القرآن منكوساً على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها)[1] .

وقال ابن مفلح : (وتنكيس الكلمات محرم مُبْطِل)[2] .

وقال الدسوقي : (وحَرُمَ تنكيس الآيات المتلاصقة في ركعة واحدة وأبطل الصلاة لأنه ككلام أجنبي)[3] .

وقال القرطبي :(وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوساً وقالا : ذلك منكوس القلب . فإنما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة ويبتدئ من آخرها إلى أولها لأن ذلك حرام محظور ومن الناس من يتعاطى هذا في القرآن والشعر ليذلل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ وهذا حظره الله تعالى ومنعه في القرآن لأنه إفساد لسوره ومخالفة لما قصد بها)[4] ، [5] .

يقول ابن عثيمين : (قراءة المتأخر قبل المتقدم من القرآن يسمى تنكيساً ، وهو أقسام : تنكيس الحروف تنكيس الكلمات تنكيس الآيات تنكيس السور أما تنكيس الحروف ، فهو تقديم الحروف المتأخرة على المتقدمة في الكلمة الواحدة ، فيقرأ – مثلاً – بدلاً من (رب) : (بر)! و"هذا لا شك في تحريمه ، وأن الصلاة تبطل به ؛ لأنه أخرج القرآن عن الوجه الذي تكلم الله به ، كما أن الغالب أن المعنى يختلف اختلافاً كثيراً ، أما تنكيس الكلمات ، فهو أن يقدم الكلمة اللاحقة على التي قبلها ، فيقرأ مثلاً بدلاً من (**قل هو الله أحد**) : و هذا أيضاً محرم بلا شك ؛ لأنه إخراج لكلام الله عن الوجه الذي تكلم الله به)[6].

وأما تنكيس الآيات ، وهو قراءة الآية اللاحقة قبل الآية السابقة ، فيقرأ (من شر الوسواس الخناس)قبل (إله الناس) ! فقد قال عنه القاضي عياض رحمه الله : ولا خلاف أن

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٣٥٩.
(٢) ابن مفلح ، الفروع ، ج١ ، ص ٤٢٢ .
(٣) الدسوقي ، الحاشية ، ج١ ، ص ٢٤٢ .
(٤) القرطبي ، التفسير ، ج١ ، ص ٦١ .
(٥) شبكة يسألونك الاسلامية التنكيس حقيقته وحكمه في الصلاة في٢٨ /٢٠١٤/٠٥ م.
(٦) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٣ ، ص ١١٠ .

ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف ، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم)[1] .

وقال الشيخ ابن عثيمين بتفصيل أكثر : (تنكيس الآيات أيضاً محرم على القول الراجح ؛ لأن ترتيب الآيات توقيفي ، ومعنى توقيفي : أنه بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأما تنكيس السور ، فهو قراء السورة اللاحقة قبل السابقة ، فيقرأ – مثلاً – (آل عمران) قبل " (البقرة) ، فحكمه :

- من قال من العلماء إن ترتيب السور ليس توقيفياً : لم ير بذلك بأساً .
- من رأى أن الترتيب توقيفي ، أو أن إجماع الصحابة على ترتيبه حجة : لم ير جواز ذلك

والصحيح : أن الترتيب ليس توقيفيّاً ، وإنما هو من اجتهاد بعض الصحابة ، وأنه لا إجماع على الترتيب بين الصحابة ، إذ كان مصحف (عبد الله بن مسعود) – مثلاً – على خلاف تلك المصاحف ترتيباً .

وفي السنة ما يؤيد الجواز :

عن حذيفة رضي الله عنه قال : (صليتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح بالبقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها.......)[2] ، والشاهد في الحديث أنه قرأ النساء قبل آل عمران .

قال النووي : قال القاضي عياض : فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف ، وإنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي صلى الله عليه وسلم بل وَكَله إلى أمته بعده .

قال : وهذا قول مالك وجمهور العلماء ، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني ، قال ابن الباقلاني : هو أصح القولين مع احتمالهما .

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٦ ، ص ٦٢ ، وكذا قال ابن العربي كما في " الفتح " (٢ / ٢٥٧).
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٧٢ .

قال : والذي نقوله : إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتابة ، ولا في الصلاة ، ولا في الدرس ، ولا في التلقين ، والتعليم ، وأنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نص ، ولا حدٌّ تحرم مخالفته ، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف قبل مصحف عثمان .

قال : واستجاز النبي صلى الله عليه وسلم والأمة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين .

قال : وأما على قول من يقول من أهل العلم : إن ذلك بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم حدده لهم كما استقر في مصحف عثمان ، - وإنما اختلاف المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض الأخير - ، فيتأول قراءته صلى الله عليه وسلم النساء أولا ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب ، وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أبيّ .

قال : ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى ، وإنما يكره ذلك في ركعة ولمن يتلو في غير صلاة .

قال : وقد أباحه بعضهم

وتأويل نهي السلف عن قراءة القرآن منكوسا على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها .

قال : ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ما هي عليه الآن في المصحف ، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال السندي : قوله (ثم افتتح آل عمران) مقتضاه عدم لزوم الترتيب بين السور في القراءة[2] .

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء وكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح ب(قل هو الله أحد) حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا

---

(١) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج ٦ ، ص ٦١- ٦٢ .
(٢) السندي ، شرح صحيح النسائي ، ج٣ ، ص ٢٢٦ .

إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فإما تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال ما أنا بتاركها ، إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ فقال إني أحبها فقال حبك إياها أدخلك الجنة)[1] .

والشاهد منه : قراءة الرجل سورة الإخلاص في صلاته قبل المتقدِّم عليها ، وقد أقرَّه النبي صلى الله عليه وسلم .

٣- فعل عمر رضي الله عنه : قال الإمام البخاري : وقرأ الأحنف بالكهف في الأولى وفي الثانية بيوسف أو يونس وذكر أنه صلى مع عمر رضي الله عنه الصبح بهما .

ويجوز قراءة الآية من (٥٠ – ٦٠) من البقرة في الأولى ثم القراءة من (١ – ٢٠) من سورة البقرة في الركعة الثانية ؛ لأن المعنى يكون تاماً .

أما من (١٠–٢٠) : ففيه انقطاع بالمعنى والأحسن تركه ، ولعلك ذكرت الأرقام على سبيل التمثيل ولا تقصد ذات الآيات[2])، [3] .

س٤٨: لماذا نهى الله تعالى عن التنابز بالألقاب ؟

ج٤٨: التنابز بالألقاب المنهي عنه في قوله تعالى:(وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ.. (١١))[4]هو: أن يعير المسلم أخاه المسلم، ويدعوه بما يكرهه من الأسماء والصفات[5]، وهو هو لغة مسيئة أو مهينة بالإشارة إلى شخص أو جماعة بالإساءة اللفظية. يتم دراسة هذه الظاهرة من قبل مجموعة متنوعة من التخصصات الأكاديمية من الأنثروبولوجيا، وعلم النفس للأطفال، والسياسة. وتدرس أيضا من قبل علماء البلاغة، ومجموعة متنوعة من التخصصات الأخرى

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٩٠١ .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٣ ، ص ١١٠ – ١١ .
(٣) الشيخ المنجد ، الإسلام سؤال وجواب نقلا عن الموسوعة الشاملة .
(٤) سورة الحجرات .
(٥) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ج ٢٦ ، ص ٢٧- ٢٨.

التي تدرس تقنيات الدعاية وأسبابها وآثارها. وغالبا ما تستخدم هذه التقنية في الخطاب السياسي والنظم المدرسية، في محاولة للتأثير سلبا على خصمهم[1].

والإسلام حرم هذه العادة، وأمرنا الا نرتكب مثل هذه العادات في المجتمع لأنها:

١- تعمل على بث الفرق وإثارة النزاعات في المجتمع، حيث أن رأي الشريعة كان واضحاً في هذا الأمر، وكان رأيها أن التنابز بالألقاب حرام شرعاً، والدليل على هذا التحريم هو قوله تعالى: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ(١١))، وهناك يأمرنا الله عز وجل بألا نتنابز فيما بيننا بألقاب سيئة، لأنها من الصفات والعادات التي حرمتها الشريعة الإسلامية، وبالدليل القاطع على الآيات التي تحرم هذه العادة، وتنهانا عن ارتكابها، وإطلاقها على الناس.

٢- إهانة الأشخاص وإثارة المشاكل فيما بينهم.

٣- ترسيخ العادات السيئة والمحرمة بين أفراد المجتمع.

٤- عدم الانصياع لأوامر الله عز وجل التي أمرنا بالنهي عنها.

٥- وقوع غضب الله عز وجل على مرتكب هذه العادة.

٦- بث المشاعر السلبية والعدائية في نفوس أهل المجتمع الواحد.

والأصل في أدب الشرع أن ينادى الإنسان بأحب الأسماء إليه ، ولا بأس بمخاطبته بكنيته التي يحبها ، وأما اللقب فإن غالب استعماله في الذم ، ومثل هذا لا يجوز استعماله ، إلا أن يُعرف أن صاحبه لا يكرهه ، أو أنه لا يُعرف إلا به ، وأما تلقيب الشخص بقلب يكرهه : فلا يحل فعله ، وهو من التنابز المنهي عنه في الشرع ، والتلقيب بألقاب فاحشة ومنكرة منتشر بين الطلاب بعضهم مع بعض ، ويطلقونه على مدرسيهم ، كما أنه منتشر بين أهل المهن اليدوية ، وأكثر تلك الألقاب منهي عنها ، وكثير منها لا يخلو من طعن ، وقذف في العرض ، واتهام بالسوء والفحش ، وتعييب خلقة الله تعالى ، قال الشاعر :

---

(١) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة .

أكنيه حين أناديه لأكرمه   و لا ألقبه والسوأة اللقب

قال ابن القيم رحمه الله : الفرق بين الاسم والكنية واللقب :

هذه الثلاثة وإن اشتركت في تعريف المدعو بها : فإنها تفترق في أمرٍ آخر ، وهو : أن الاسم إما أن يُفهم مدحاً ، أو ذمّاً ، أو لا يفهم واحداً منهما ، فإن أفهم ذلك فهو : اللقب ، وغالب استعماله في الذم ، ولهذا قال الله تعالى : (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) ، ولا خلاف في تحريم تلقيب الإنسان بما يكرهه ، سواء كان فيه ، أو لم يكن ، وأما إذا عُرف بذلك واشتهر به ، كالأعمش ، والأشتر ، والأصم ، والأعرج : فقد كثر استعماله على ألسنة أهل العلم ، قديماً ، وحديثاً ، وسهَّل فيه الإمام أحمد .

قال أبو داود في (مسائله) : سمعت أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يكون له اللقب لا يُعرف إلا به ، ولا يكرهه ، قال : أليس يقال سليمان الأعمش ، وحميد الطويل ؟ كأنه لا يرى به بأساً .

قال أبو داود كذلك : سألت أحمد عنه مرة أخرى فرخص فيه ، قلت : كان أحمد يكره أن يقول (الأعمش) ، قال الفضيل : يزعمون كان يقول (سليمان) .

وإما أن لا يُفهم مدحاً ، ولا ذمّاً ، فإن صُدِّر بـ (أب) ، و (أم) : فهو الكنية ، كأبي فلان ، وأم فلان .وإن لم يُصدر بذلك : فهو الاسم ، كزيد ، وعمرو ، وهذا هو الذي كانت تعرفه العرب ، وعليه مدار مخاطباتهم ، وأما فلان الدين ، وعز الدين ، وعز الدولة ، وبهاء الدولة : فإنهم لم يكونوا يعرفون ذلك ، وإنما أتى هذا من قبَل العجم)[1] .

وعليه : فما يحصل بين الناس من إطلاق ألقاب بعضهم على بعض : فإنه يُنظر في أمرين حتى يكون مباحاً :

الأول : خلو اللقب من فحش ، وسوء ، وقذف ، ولو رضي به الملقَّب ؛ لأنه قد يكون سفيهاً ، ولا يهتم لطعن الناس ، وقذفهم ، أو قد يكون اللقب فيه طعن في أهله الذين

---

(١) ابن القيم ، تحفة المودود ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

يكرههم ، فيمنع من إطلاق اللقب الفاحش لكونه منكراً بذاته ، ولو رضي به الملقَّب .
الثاني : رضى الملقَّب بما أطلق عليه من ألقاب ، وعدم كراهيته له ، فهو صاحب الحق ، وله أن يمنع الناسَ من تلقيبه ، كما له الحق في الموافقة عليه .

فإذا خلا اللقب من فحش وسوءٍ في ذاته ، ورضي به الطالب – وغيره – : فلا مانع من إطلاق ذلك اللقب عليه ، وأحياناً يكون اللقب ملتصقاً بالطالب – وغيره –لا ينفك عنه ، ولا يُعرف إلا به ، فيجوز إطلاقه عليه من باب التعريف ، لا من باب المناداة به ، وبينهما فرق ، قال الحافظ العلائي رحمه الله :والحاصل أن الألقاب على ثلاثة أقسام :
القسم الأول : لا يُشْعِرُ بذمٍّ ، ولا نقص ، ولا يَكره صاحبُه تسميته به : فلا ريب في جوازه كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم (أصَدَقَ ذو اليدين ؟) فقد تقدم أن هذا الصحابي رضي الله عنه كانت يداه طويلتين ، وأنه يحتمل أن يكون ذلك كناية عن طولهما بالبذل ، والعمل ، وأيّاً ما كان : فليس ذلك مما يقتضي ذمّاً ، ولا نقصاً .
وثانيهما : يُشعر بتنقص المسمَّى به ، وذمِّه ، وليس ذلك بوصف خَلْقي : فلا ريب في تحريم ذلك ؛ لدلالة الآية الكريمة ، ولا يزول التحريم برضى المسمَّى به بذلك ، كما لا يرتفع تحريم القذف ، والكذب برضى المقول فيه بذلك ، واستدعائه من قائله .
وثالثها : ما يشعر بوصف خَلقي ، كالأعمش ، والأعرج ، والأصم، والأشل ، والأثرم ، وأشباه ذلك ، فما غلب منه على صاحبه حتى صار كالعلَم له ، بحيث أنه ينفك عنه قصد التنقص عند الإطلاق غالباً : فليس بمحرم ، ولعل إجماع أهل الحديث قديماً وحديثاً على استعمال مثل ذلك ، ولا يضر كون المقول فيه يكرهه ؛ لأن القائل لذلك لم يقصد تنقصه ، وإنما قصد تعريفه ، فجاز هذا للحاجة كما جاز جرح الرواة وذكر مثالبهم للحاجة إليه ، وما كان غير غالب على صاحبه ، ولا يُقصد به العلمية ، والتعريف له : فلا يسمى لقباً ، ولكنه إذا عُلم رضى المقول فيه بذلك ، ولم يقصد تنقصه بهذا الوصف : لم يحرم ، ومتى وُجد أحد هذين : كان حراماً[١].

أما بخصوص السؤل عن حديث (لا يدخل الجنة عجوز) : فقد رواه الإمام الترمذي في (الشمائل المحمدية (ص ١٩٩) عن الحسن البصري قال :

(أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز ، قال : فولَّت تبكي ، فقال : أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لاَ تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ ، إِنَّ الله تعالى يَقُول (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (٣٦) عُرُباً أَتْرَاباً (٣٧))[٢] ، والحديث كما هو ظاهر : مرسل ، ولذا ضعفه طائفة من علماء الحديث ، وهو حريٌّ بالتضعيف ، وفي متنه نكارة ، وهو ترويع النبي صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة ، وقد نهانا عن الترويع جادين ، وهازلين ، وليس هذا من خلُقه صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله للحديث شواهد ، وحسَّنه بها[٣] .

وبخصوص الصحابي الذي كان يلقب حماراً :(فقد ثبت هذا في البخاري وغيره ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)[٤] .

والسؤال هو : كيف أُطلق عليه هذا اللقب ، وظاهر الأمر أنه لقب سوء ؟ .

والجواب : أن مثل هذا اللقب كان مألوفا عند العرب ، بل كانوا يجعلونه من الأسماء التي يسمي أحدهم بها بنيه ! وليس فقط لقباً ، ومنه اسم الصحابي (عياض بن حمار) ، و (عبد الله بن جحش) ، وغيرهما ، وإنما كان يُنظر في ذلك لمعانٍ غير التي يتوهمها أهل زماننا .

---

(١)العلائي ، نظم الفرائد لما تضمنه حديث ذي اليدين من الفوائد ، ص ٤٢٠ – ٤٢١ .
(٢) سورة الواقعة .
(٣) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث ٢٩٨٧ .
(٤)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٩٨ .

ومن ذلك ما لقِّب به الخليفة الأموي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فقد لقِّب (مروان الحمار) ! لصبره ، وجلَده .

قال الحافظ بدر الدين العيني رحمه الله :قوله (وكان يلقب حماراً " : لعله كان لا يكره ذلك اللقب وكان قد اشتهر به)[1] ، [2] .

س٤٩: لماذا سمي الختان ونتف الإبط وما معهما من سنن الفطرة ؟.

ج٤٩ : يقول الدكتور صالح بن علي أبو عراد : (سنن الفطرة هي الخصال التي فطر الله الناس عليها ، والتي يكمُل المرء بها حتى يكون على أفضل الصفات وأجمل الهيئات . وقد ورد ذكرها في أحاديث نبوية مُتعددة منها :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (الفطرة خمسٌ : الختانُ ، والاستحدادُ ، وقصُّ الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الآباطِ)[3].

٢- عن ابن عمرٍ رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من الفطرة : حلقُ العانة ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب)[4].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الفطرة خمس أو خمسٌ من الفطرة : الختانُ ، والاستحدادُ ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، وقصُّ الشارب)[5].

٤- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عشرٌ من الفطرة : قصُّ الشارب ، وإعفاءُ اللحية ، والسِّواك ، واستنشاقُ الماء ، وقصّ الأظفار ، وغسل البراجِم ، ونتفُ الإبط ، وحلقُ العانة ، وانتقاص الماء)[6].

٥- عن عائشة رضي الله عنها قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عشرٌ من الفطرة : قصُّ الشارب ، وإعفاءُ اللحية ، والسِّواك ، والاستنشاقُ بالماء ، وقصّ الأظفار ،

---

(١) العيني ، عمدة القاري ، ج٢٣ ، ص ٢٧٠ .
(٢) الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٧ / ١١ / ٢٠٠٨ م.
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٨٩١ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٨٩٠ .
(٥)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٩٧ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٠٤ .

وغسل البراجِم ، ونتفُ الإبط ، وحلقُ العانة ، وانتقاص الماء يعني الاستنجاء بالماء ، قال زكريا : قال مصعب بن شيبة : ونسيت العاشرة ؛ إلا أن تكون المضمضة)[1] .

٦- عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن من الفطرة : المضمضة ، والاستنشاق)[2].

ومن مجموع هذه الأحاديث النبوية وغيرها يتبيّن أن :

١- سُنن الفطرة ليست محصورةً في عددٍ مُعينٍ ، وأنها أكثرُ من أن تُحصر ، إلا أن من أبرزها كما جاء في بعض كتب أهل العلم ، ما يلي :

قص الشارب ، إعفاء اللحية ، السواك ، استنشاق الماء ، قص الأظفار ، غسل البراجم ، نتف الإبطين ، حلق العانة (الاستحداد) ، الاستنجاء (انتقاص الماء) ، المضمضة ، الختان ، عدم نتف الشيب ، خِضَابُ الشيب ، ترجيل الشعر .

٢- أن جميع هذه السنن تُعنى بمظهر الإنسان المسلم وجمال هيئته وأنها تعمل في مجموعها على وضع الشخصية المسلمة في وضعٍ متوازنٍ ، يُمثل الوسطية المطلوبة من الإنسان المسلم ؛ فلا إفراط ولا تفريط ، ولا غلو ولا تقصير ، وليس هذا فحسب ؛ بل إن هذه السنن تمنح الإنسان تكريماً إلهياً يأتي كأبدع ما يكون التكريم .

٣- يُقدم من خلال سُنن الفِطْرة أُنموذجاً فريداً للتربية الإسلامية ، يتحقق في كرامة الإنسان المسلم الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يكون مُستخلفاً ومُكرَّماً في الأرض، ويتمثل في توازن شخصيته المتميزة في جوانبها المختلفة ،كما يتحقق فيه أيضاً هدف التربية النهائي المتمثل في استقامة الإنسان واستقامة الحياة من خلال تحقيق معنى العبودية الخالصة لله تعالى القائمة على السمع والطاعة ، والامتثال والإتباع ؛ وذلك أسمى ما تصبو إليه العملية التربوية عند بنائها لشخصية الإنسان المسلم.

---

(١)أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٥٣ .

(٢) المصدر السابق و رقم الحديث ٥٤ ..

وتفصيلا في هذا نقول سُنن الفِطْرَة أُنموذج تربوي نبوي :

من المسلمات أن كل تربيةٍ تحتاج إلى أُنموذجٍ واضحٍ يُجسد معالمها، ويوضح تعاليمها بصورةٍ واقعيةٍ تنقل المجرد إلى محسوس ، وتُترجم القول إلى عمل ، وتحول النظرية إلى تطبيق .

ومن المؤكد أنه لا يوجد أعظم ولا أكمل ولا أفضل ولا أجمل من شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتكون أُنموذجاً حياً للتربية الإسلامية ، وقدوةً حسنةً للإنسان المسلم في كل زمان وأي مكان . ولا ريب فهو من اصطفاه ربه سبحانه وتعالى وقال فيه : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .. (٢١))[١] .

وهو الذي بعثه الله جل جلاله ليكون معلماً ومزكياً ومربياً لأُمته ، فقال سبحانه وتعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (١٦٤))[٢] .

وهو الذي مدحه ربه سبحانه بما منحه فقال له جل من قائلٍ في كلماتٍ موجزاتٍ مُعجزات : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤))[٣] فكان كُل خُلقٍ فاضلٍ ، وكُل سُلوكٍ سليمٍ متمثلاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشخصيته المتكاملة التي استوعبت كل جوانب الحياة الإنسانية .

وبذلك جسَّد الرسول صلى الله عليه وسلم منهج التربية الإسلامية السامية في الواقع العملي لحياته من خلال تطبيقه لسُنن الفطرة وتمسكه بها ، وتربية أصحابه الكرام عليها رضوان الله تعالى عليهم لتبقى منهجاً تربوياً نبوياً إسلامياً للأُمة حتى قيام الساعة.

من هنا فإن للمحافظة على هذه السنن أثراً تربوياً عظيماً يتمثل في أن التزام المسلم بها وتطبيقه لها في واقع حياته يدل على أمرين هما :

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة القلم .

١- التصديق بما ورد في سيرة وهدي الرسول ض عن طريق التقليد والإتباع الصادق لهدي التربية النبوية في كافة الأعمال وجميع التصرفات والسلوكيات . وهذا بدوره كفيلٌ بتربية أفراد المجتمع المسلم على السمع والطاعة ، والامتثال لأوامر الله تعالى وهدي الرسول ض، لاسيما وأن في الناس نَزعةً فطريةً لتقليد ومحاكاة من يحبون ، وليس هناك أحب عند المسلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- اتخاذ القدوة الحسنة من المعلم الأول والمربي الأعظم ض كشخصيةٍ فذةٍ متكاملةٍ متوازنة . وتتضح هذه القدوة في الاهتمام بكل ما له علاقةٌ بالجانب الجسمي وما يحتاج إليه من النظافة العامة حينما يتفقد المسلم أظافره فيقلمها ، وفمه فينظفه ، وأسنانه فيسوِّكها ، وشاربه فيقصه ، وشعره فيُرجله ويُسرحه ، ولحيته فيُعفيها ، وإبطيه فينتفهما... إلخ . وهذا بدوره ينفي الزعم الباطل الذي يقول : إن الإسلام لا يهتم بالناحية الجسمية ، بل ويؤكد قضية التوازن في اهتمامات التربية الإسلامية ورعايتها لمختلف الجوانب الجسمية والروحية والعقلية ، فلا يستغرب بعد ذلك أن يُعرَف المسلم لأول وهلةٍ حين يُرى سمته ووقاره ، وهيئته الخارجية ، وشكله العام الذي يُميزه عن غيره من الناس ، ويجعله فريداً في شكله وهيئته ؛ لأن هذه السنن في مجموعها جعلت له شخصيةً مميزةً ، ومظهراً خاصاً ، وأُنموذجاً فريداً يقتدي فيه بإمام الطاهرين وقدوة الناس أجمعين صلى الله عليه وسلم .

سُنن الفطرة والتربية الجسمية :

غني عن القول إن التربية الإسلامية تُعنى بجسم الإنسان عنايةً كبيرة ومُستمرة ؛ لاسيما وأن الجسم بمثابة الوعاء الذي يحوي الذات الإنسانية بدليل أنه محلُ ثلاثٍ من الضروريات الخمس التي دعت الشريعة إلى احترامها و الحفاظ عليها ؛ فالجسم محل (النفس ، والعقل ، والنسل) . وتتمثل عناية التربية الإسلامية بالجسم وسلامة تربيته في كثيرٍ من الجوانب التي يأتي من أبرزها الحث على التزام المسلم بسُنن الفطرة التي " يُطلب من المسلم التمسك بها؛ لتجعل مظهره إسلامياً كريماً ، ورائحته حسنةً مقبولة ، وهيئته وقورةً حسنةً مقبولة ، وليتميز عن غيره من أهل الكتاب الذين لا يغتسلون من جنابةٍ ، ولا يأبهون بالنظافة

الحقيقية – وإن حافظوا على مظهرهم الاجتماعي – ، فضلاً عما فيها من فوائد صحيةٍ واجتماعية ، وفوق ذلك كله التمسك بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١] .

والمعنى أن هذه السُنن ذات علاقةٍ وثيقةٍ بالجانب الجسمي للإنسان ، وتأتي المحافظة عليها دليلٌ على العناية الكاملة بأعضاء الجسم من أعلى الرأس إلى أُخمص القدمين ، وهو ما أشار إليه أحد الكُتّاب بقوله :

(هذه السُنن تمتد مواطنها من أعلى هامة الإنسان إلى قدميه ، ففي أعلى الرأس تكون سنة ترجيل الشعر وتنظيفه وتطييبه ، وفي الأنف تكون سنة الاستنشاق ، وفي الفم تكون سنة السواك وسنة المضمضة ، وفي الإبطين تكون سنة نزع (نتف) الشعر ، وفي وسط الإنسان تكون سنة حلق العانة وسنة الختان وسنة الاستنجاء ، وفي الكفين تكون سنة غسل البراجم ، وسنة قص الأظافر ، وفي القدمين تكون سنة قص الأظافر منها أيضاً)[٢] ، ويُضاف إلى ذلك سنة قص الشارب وسنة إعفاء اللحية في الوجه .

وهنا يمكن الخلوص إلى أن عناية المسلم بسُنن الفطرة ومُحافظته عليها ؛ إنما هي عنايةٌ بسلامة جسمه ، ومُحافظةٌ على صحته ، وحرصٌ على حيويته ونشاطه .

= سُنن الفطرة والتربية الجمالية :

تدعو التربية الإسلامية دائماً ، وتحث على الاهتمام بالمظهر الشخصي والناحية الجمالية ، ليكون المسلم جميلاً في مظهره ، متناسقاً في هندامه ، بعيداً عن الدروشة والقذارة والإهمال والعشوائية . قال تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ.. (٣١))[٣] ،فالله سبحانه كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله جميلٌ يُحب الجمال)[٤] .

---

(١) عبد الحليم عويس ، الحضارة الإسلامية ، ص ١١ -١٢ .
(٢) أحمد الشرباصي ، أخلاق القرآن ، ص ١٣٠ .
(٣) سورة الأعراف .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٦٥ .

وليس هذا فحسب ؛ بل إن في ذلك إشباعاً لحاسة الجمال في نفس المسلم ، فيتولد في أعماقه إيمانٌ شديدٌ بعظمة الخالق سبحانه الذي خلق فأحسن الخلق ، وصور فأحسن التصوير ؛ فكان من الملائم أن يُحافظ الإنسان على ذلك الحُسن والجمال ، وأن يحرص على عدم تشويهه أو إفساده أو العبث به .

كما أن من عناية الإسلام بالمظهر الحسن والهيئة الجميلة ؛ أمره للمسلم وحثه إياه للالتزام بسنن الفطرة وخصالها التي تُربي المسلم تربيةً جماليةً تتمثل في :

- **طهارة الجسم الحسية** : ويُقصد بها تطهير وتنظيف البدن بالوضوء خمس مراتٍ في اليوم والليلة ، والغُسل في كل أسبوعٍ مرةً أو عندما تدعو الحاجة إلى ذلك ، وهي مما يحبه الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله تعالى : (واللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ(١٠٨))[١] ، كما أنها من الأمور التي أمر بها نبينا محمدٍ صلى الله عليه وسلم وحث عليها في سنته القولية والفعلية.
- **الطهارة المعنوية** : ويُقصد بها تطهير النفوس البشرية بجميع جوانبها المختلفة من كل ما لا يليق بها من الخصال والصفات والطباع . وبذلك يُغرس في النفوس طهارة وسلامة الضمير من كل ما يشينه عبادةً وطاعةً وامتثالاً لأوامر الله سبحانه ، وإقتداءً بهدي رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو قدوةٌ تُحتذى في هذا الشأن ، وهو ما يُشير إليه ابن الجوزي بقوله : (وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أنظف الناس وأطيب الناس)[٢].

والمعنى أنه متى ما تحققت للمسلم تلك الطهارة بنوعيها ؛ انعكس أثرُها على المظهر الخارجي للإنسان المسلم الطاهر النظيف ، ومن ثم على المجتمع المسلم الذي جرت العادة أن يوصف أفراده بأنهم أصحاب النفوس الزكية ، والوجوه الحسنة ، والأيدي المتوضئة ، والسمت الصالح .

وهنا إشارةٌ إلى أن هذه التربية الجمالية تؤدي بدورها إلى تطهير النية والعمل والسلوك ، فنظافة المظهر مدعاةٌ لنظافة الجوهر ، ونظافة الشكل مدعاةٌ لنظافة الضمير ، ونظافة الفرد

---

(١) سورة التوبة
(٢) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ، ج١ ، ص٢٨

مدعاةٌ لنظافة المجتمع . وبذلك يتحقق بعدٌ تربويٌ إسلاميٌ عظيمٌ يتمثل في طهارة المجتمع المسلم طهارةً معنويةً من الفواحش والمعاصي والذنوب والآثام والانحرافات السلوكية والأخلاقية ونحوها؛ فترتفع النفس المسلمة بتلك الطهارة من رجس الفوضى ، وحمأة الرذيلة ، وأوحال الوحشية إلى مستوىً رفيعٍ من سمو الأخلاق وحُسن السلوك وجمال الطِباع . ومن ثم يتم تطهير الحياة الاجتماعية عامةً حتى تصبح التربية شاملة للروح والعقل والجسم .

وليس هذا فحسب ؛ بل إن في هذه السنن والخصال مدعاةً لتأليف القلوب ، ومداً لجسور المحبة والمودة ، وتوطيداً للصلة بين الإنسان المسلم وزوجه ، فتكون حياتهما مبنيةً على الرحمة والمودة ، وقائمةً على السكن والراحة والقبول . وليس أجملُ ولا أروعُ من أن يكون كلا الزوجين مناسباً للآخر ، وملائماً له ، مقبولاً عنده في شكله وهيئته ؛ لأن ذلك مدعاةٌ للائتلاف والرضا، وسببٌ مباشرٌ لقناعة كل منهما بالآخر . وهذا بدوره سيؤدي (بإذن الله تعالى) إلى استمرارية سعادتهما الزوجية .

سُنن الفطرة والتوازن في شخصية المسلم :

مما لا شك فيه أن الكيان البشري يشتمل على ثلاثة جوانب رئيسة هي : الجسم ، والعقل ، والروح . ولذلك فإن التربية الإسلامية حرصت على الربط بين هذه الجوانب برباطٍ واحدٍ لتجعل منها كياناً واحداً مترابطاً ، واختطت لذلك منهجاً فريداً في إحاطته بجميع الجوانب الإنسانية ، فجاء هذا المنهج متوازناً مهتماً بالذات الإنسانية في كل حالاتها . ولا ريب فهي تربية للإنسان كله جسمه وعقله ، روحه ووجدانه ، خُلقه وسلوكه ، سرائه وضرائه ، شدته ورخائه ، أي أنها تشمل كل الجوانب الشخصية دون قهرٍ أو كبتٍ أو فوضى أو تسيبٍ أو إفراطٍ أو تفريطٍ .

ولذلك جاءت شخصية الإنسان المسلم متوازنةً سويةً متكاملة ، لا يطغى فيها جانبٌ على آخر ، أو يُهمل جانبٌ على حساب الجانب الآخر . و هو ما نلمسه في هذه السنن التي إلى جانب كونها من المظاهر الدنيوية فهي عبادة يثاب عليها المرء ، وتُكسبه الأجر والثواب متى قصد بها وجه الله سبحانه وتعالى ، والاقتداء بهدي النبوة . وفي ذلك ربطٌ وثيقٌ

بين الهدفين الديني والدنيوي للتربية الإسلامية . كما أن ذلك كفيلٌ بتحقيق خاصية التوازن في شخصية الإنسان المسلم حينما نرى أن التزامه بهذه السنن يجعل الجسم يحظى بحقه من العناية والرعاية والاهتمام فيما يخص المظهر الخارجي والشكل العام اللائق المقبول . فيدل ذلك على أن الإنسان المسلم ينعُم بعقلٍ راجحٍ ، وتفكير سديد، ومدارك واسعة ، وفهم عميق لحقائق الأشياء وجوهرها . الأمر الذي يدفعه من ثم إلى السمو الروحي والرفعة الإنسانية والتعالي عن سفاسف الأمور وصغائرها وحطامها المادي الحقير .

كما أن تمسك المسلم بهذه السُنن يؤدي إلى ما يُسمى بالقبول الاجتماعي للفرد . حين يقترب منه الناس ويطمئنون إليه ويعاملونه بكل حُبٍ وتقديرٍ واحترام ؛ لأنه يفرض ذلك عليهم بحسن مظهره وحسن تدبيره . لذلك كله نقول ونؤكد أن دين الإسلام هو الدين الوحيد القادر على ربط الإنسان بخالقه ، وإصلاح حاله في كل زمان ومكان حينما يمشي على الأرض بجسمه، ويتوجه بروحه إلى السماء ليستمد منها أنوار الهداية والمعرفة ؛ فيُحَكِّم عقله فيها ، ويختار منها ما يناسب حاله ، ويوافق قدراته ، ويلبي حاجاته ، فتسير حياته وفق منهج شرعيٍ مستقيمٍ ، وهدي تربويٍ قويم .

سُنن الفطرة دليل تكريم الله للإنسان المسلم :

لما كان الدين الإسلامي هو المنهج الرباني المتكامل والمناسب للفطرة الإنسانية ، لأنه جاء من عند الخالق سبحانه وتعالى لصياغة شخصية الإنسان صياغةً متوازنةً متكاملة ، لا ترفعه إلى مقام الإلوهية ، ولا تهبط به إلى درك الحيوانيةٍ أو البهيميةٍ ، وإنما لتجعل منه خير أُنموذجٍ على الأرض ؛ فقد خصه سبحانه وتعالى بتكريمٍ يليقُ به لكونه مُستخلفاً في الأرض ليعمُرها وينشر منهج الله بين ربوعها ويقيم شريعته فيها. ثم لأنه سبحانه وتعالى خلقه في أحسن تقويمٍ فكرَّمه بالصورة الحسنة والمظهر الجميل ، فكانت سنن الفطرة عاملاً مهماً في إبراز هذا الجمال والمحافظة عليه . وليس هذا فحسب بل إن الله كرَّم الإنسان بأن نفخ فيه من روحه وهو ما يُشير إليه قوله تعالى في سورة الحجر : (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ**

سَاجِدِينَ(٢٩))[1]. فكان ذلك زيادةً في تكريمه ، وتمييزاً له عن سائر المخلوقات الأُخرى ، إضافةً إلى ما خصه الله به من نعمة العقل العظيمة ؛ فكان للجانب العقلي انعكاسٌ واضحٌ وجليٌّ على جميع سلوكياته وتصرفاته بصورةٍ تجعله يُحَكِّم ذلك العقل في كلُ شأنه ، لاسيما وأن ذلك العقل يُعدُ مناطَ التكريم الإلهي للإنسان .

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن في هذه الخصال والسنن النبوية نمطاً تربوياً إسلامياً يتناسب مع مسئوليات مهمة الاستخلاف في الأرض وما يترتب عليها من وظائف تعمير الكون ، وهي أمرٌ يتميزُ به الإنسان ، وفُضل به عن غيره من الكائنات الحية الأخرى لقوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً(٧٠))[2]. ففي قص الأظافر مثلاً تمييزٌ للإنسان عن غيره من الكائنات ذات المخالب من كواسر وقوارض ونحوها . وفي حلق الشعر وقصه ونتفه تمييزٌ له عن غيره من المخلوقات ذات الشعور المرسلة والمسدلة على أجسادها بلا ترتيبٍ ولا انتظام . وفي السواك والمضمضة تمييز ٌله عن غيره من الكائنات التي لا تُنظف أفواهها ، ولا تعتني بنظافة أسنانها.. وهكذا في كل سنةٍ من هذه السُنن التي لا شك أن في مُحافظة الإنسان المسلم عليها رفعاً لمستواه وتكريماً لإنسانيته ؛ فكان عليه أن يحتم هذه المكانة التي أكرمه الله تعالى بها ، وأن يحرص على ألاّ يهبط بنفسه عن مستواها الإنساني الرفيع الذي خصها الله به عمن سواها.

والخُلاصة ، أن سنن الفطرة دليلٌ على تكريم الخالق سبحانه وتعالى للإنسان المسلم لأمرين :

أحدهما : أن تكريم الله سبحانه للإنسان نابعٌ في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله تعالى في الأرض .

والثاني : أن من السُنة الاقتداء برسول الله ض ، وهذا يحصلُ للمسلم متى حافظ على سُنن الفطرة وخصالها امتثالاً وإتباعاً .

---

(١) سورة الحجر .
(٢) سورة الإسراء .

سُنن الفطرة والاستقامة الإيمانية :

من المسلمات التي يتفق عليها الجميع أن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق هدفٍ أسمى ، و غايةٍ عظمى تتمثل في تحقيق معنى استقامة النفس البشرية على نهج الإيمان الواضح الصحيح الذي لا تشوبه شائبة ، وذلك أمرٌ لا يُمكن تحقيقه إلا بممارسة شرائع الإسلام وإتباع تعاليمه ، والانقياد لأوامره والابتعاد عن نواهيه . فالاستقامة إذاً مرحلةٌ تأتي بعد الإيمان ؛ لأنها أثرٌ من آثاره ونتيجةٌ من نتائجه . قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا.. (٣٠))[١].

وروي عن سفيان بن عبد الله الثقفي أنه قال : قلت : يا رسول الله ! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال ض : (قل آمنتُ بالله ، ثم استقم)[٢]،[٣] .

فهذه الاستقامة الإيمانية المنشودة لا تتحقق إلا بالفقه والعلم الشرعي ومعرفة أمور الدين معرفةً صحيحةً ، والإحاطة بتعاليمه وتوجيهاته وتطبيقها في واقع الحياة ليُصبح الإنسان المسلم بذلك قدوةً صالحةً وأسوةً حسنةً . ثم لأنه متى استقام قلب المسلم على معرفة الله سبحانه ، وعلى خشيته وتقواه في كل لحظةٍ ، وفي كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ؛ استقامت جوارحه كلها على الطاعة والامتثال . وهذا يؤهل من قام به والتزامه ليكون من حملة الرسالة الخالدة الذين قال الله سبحانه فيهم : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠))..

من هنا يمكن القول : إن من ثمرات التزام المسلم بسُنن الفطرة ما تحققه هذه السُنن من ملامح الاستقامة الإيمانية عنده حينما يُطبقها بشكلٍ مناسبٍ ومقبولٍ يعتمد في المقام الأول على الاعتدال والاتزان ، والإتباع لهدي النبي صلى الله عليه وسلم دونما إفراطٍ أو تفريط . إضافةً إلى

---

(١) سورة فصلت .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٥٩ .
(٣) عيد بن حجيج الفايدي، سلوك المسلم في حياته وجميع أحواله وفق تعاليم القرآن الكريم والسُنة النبوية، ص ٢٦٧

تربية المسلم من خلالها على استمرارية المحافظة على هذه السنن المباركة والخصال الحميدة ؛ لما فيها من خيرٍ للفرد ، وصلاحٍ للمجتمع)[١].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (حديث (خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر .) حديث صحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي عليه السلام قال: خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وقلم الظفر، ونتف الآباط، هذه من سنن الفطرة، وهي سنن متأكدة، ينبغي لكل مسلم ولكل مسلمة أن يتعاهد ذلك. الختان سنة في حق الجميع في حق الرجال والنساء، وذهب جمع من أهل العلم إلى وجوبه، ولاسيما في حق الرجال، وهو المعروف من مذهب أحمد رحمه الله أنه واجب الختان، وقال جمع من أهل العلم: إنه سنة مؤكدة في حق الجميع، فينبغي أن يتعاهد، وأن لا يترك، وإذا كان في حال الصغر كان أولى؛ لأنه أسلم للطفل وأقل تعباً وألماً، وأسرع في البرء.

أما الاستحداد وقص الشارب وقلم الظفر ونتف الإبط، هذه سنة مؤكدة في حق الجميع، في حق الرجال والنساء، إلا: أن الشارب يختص بالرجال، لكن قلم الظفر نتف الإبط وحلق العانة هذا في حق الجميع، في حق الرجال والنساء جميعاً سنة، وينبغي أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة، لذا ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: وقت لنا في قص الشارب، وقلم الظفر، ونتف الإبط، وحلق العانة، أن لا نترك ذلك أكثر من أربعين ليلة، ومعنى وقت لنا: يعني: وقت الرسول صلى الله عليه وسلم كما رواه أحمد وغيره، فالحاصل أنه لا ينبغي أن تؤخر هذه الأمور أكثر من أربعين ليلة، بل ينبغي للمؤمن أن يتعاهدها في أقل من أربعين ليلة، قص شاربه، قلم الظفر نتف الإبط حلق العانة، ينبغي التعاهد لهذه الأشياء، وأن لا تترك أكثر من أربعين ليلة.

---

(١) الدكتور صالح بن علي أبو عرّاد ، أستاذ التربية الإسلامية بكلية المعلمين في أبها ومدير مركز البحوث التربوية بالكلية من موقع صيد الفوائد.

وما يعتاده بعض الناس الآن من تطويل الأظافر من بعض النساء هذا غلط، وهذا لا يجوز تطويلها هذا فيه تشبه بالبهائم، ثم إن كان يفعله بعض الكفرة هو تشبه بالكفرة، والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التشبه بأعداء الله، وعن التشبه بالبهائم، فالحاصل أن تطويل الأظافر أمر لا يجوز أكثر من أربعين ليلة، فالواجب على المرأة والرجل جميعاً أن يتعاهدا الأظفار، قبل أربعين ليلة في قصها قلمها، هكذا الإبط ينتف، فإن لم يتيسر نتفه وشق عليه نتفه، أزاله بغير ذلك بالنورة ويمكن بالأدوية التي تزيله؛ إذ المقصود إزالته، وكذلك العانة تحلق بالموسى، فإذا لم يستطع حلقها بالموسى أزالها بما يتيسر من الأدوية، وحلقها بالموسى أفضل إذا تيسر، وهو الاستحداد، فإن كان ذلك يشق، أو لم يتيسر للرجل أو للمرأة، فإنها تزال بالأدوية المعروفة التي يعتادها الناس.

قص الشارب يقص بالمقراض، ويتعاهد حتى لا يطول؛ لأن النبي عليه السلام قال: قصوا الشوارب وأعفوا اللحى، وقال: أحفوا الشوارب، فالسنة إحفاؤها وقصها، وأما اللحى فلا، اللحى يجب إكرامها وإعفاؤها وتوفيرها وإرخاؤها، كما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المصائب اليوم ومن الأسف المحزن أن كثيراً من الناس صار يعاديها ويقصها ويحلقها وهذا منكر ظاهر، لا يجوز لمسلم أن يتعاطاه، بل الواجب إعفاؤها وإرخاؤها وتوفيرها؛ لأنها جمال المؤمن، وزينة وفارقة بينه وبين الكافر والمرأة، فكيف يليق به أن يتشبه بالنساء أو بالحالقين من الكفرة؟! بل يجب عليه أن يوفرها ويعفيها طاعة للنبي عليه الصلاة والسلام وامتثالاً لأمره عليه الصلاة والسلام، حيث قال: قصوا الشوارب وأعفوا اللحى، جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس، هكذا قال عليه الصلاة والسلام.)[١].

س٥٠: لماذا كان عبدالله بن العباس يفسر القرآن ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي بين أمته؟. ؟

ج٥٠ : يقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر : (ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، ولد في السنة الثالثة قبل الهجرة، ورسول الله

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

صلى الله عليه وسلم، ومعه بنو هاشم، محصورون في الشّعب، وقد اختلف في تاريخ ولادته، لكن الأصح أنه ولد في آخر الحصار، توفي رسول الله، وله ثلاث عشرة سنة.

وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل)، وتلميذه عطاء بن أبي رباح إذا حدّث عنه قال: حدثني البحر، وكان ميمون بن مهران إذا ذكر عنده عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس قال: كان ابن عباس أفقه، وكان مشهوراً بقوّة الذّاكرة وسرعة الحفظ.

نشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله، وكانت علائم الذكاء والفطنة بادية عليه، منذ حداثة سنه، وقد روى عن رسول الله أحاديث صحيحة، وكفّ بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، ولذلك حكاية.

له في الصحيحين (١٦٦٠) حديثاً. رُوي عن ابن مسعود أنّه قال: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. وقال مالك بن دينار: ما رأيت مجلساً كان أجمع للعلم ولكلّ خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام، والعربية والأنساب، والشعر. لذا روي عن عطاء قوله: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب وتاريخهم، ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنف إلا يقبل عليهم، بما يشاؤون، وكان كثيراً ما يجعل أيامه يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر ويوما لوقائع العرب.

ويرى ابن الأثير أنه ابن خالة خالد بن الوليد، وكان يسمى حَبْر الأمة؛ لسعة علمه، ويسمى الحَبْر، وقد حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه، وقد رأى جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم، وروي عن إبراهيم بن مهران، بسنده إلى ابن عباس: أنه رأى جبريل مرتين، عليه السلام، ودعا له النبي مرتين، وبسند آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه وقال: اللهم علّمه الحكمة.

وأما حكاية انتقاله للطائف فقد روي عن ابن سعد بسنده، قال: لما وقعت الفتنة بين عبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان، ارتحل عبدالله بن عباس، ومحمد بن الحنفية، بأولادهما ونسائهما حتى نزلوا مكة، فبعث عبدالله بن الزبير إليهما: تبايعان؟ فأبيا وقالا: أنت وشأنك،

لا نعرض لك ولا لغيرك، فأبى وألح عليهما إلحاحاً شديداً، فقال لهما فيما يقال: لتبايعنّ أو لأحرقنكم بالنار، فبعثا أبا الطفيل إلى شيعتهما بالكوفة وقالا: إنا لا نأمن هذا الرجل، فانتدب أربعة آلاف، فدخلوا مكة، فكبروا تكبيرة سمعها أهل مكة وابن الزبير فانطلق هاربا حتى دخل دار الندوة، وقيل: تعلق بأستار الكعبة، وقال: أنا عائذ بالبيت.

ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما، وهم في دور قريبة من الحرم، قد جُمع الحطب فأحاط بهم، حتى بلغ رؤوس الجرر، لو أن ناراً تقع فيه، ما رئي منهم أحد، فأخروه عن الأبواب، وقالوا لابن عباس: ذرنا نريح الناس منه، فقال: لا، هذا بلد حرام، حرّمه الله، ما أحله عز وجل لأحد، إلا للنبي ساعة، فامنعونا وأجيزونا.

قال: فتحملوا، وإن مناديا ينادي في الخيل: ما غنمت سرية بعد نبيها، ما غنمت هذه السرية، إن السرايا تغنم الذهب والفضة، وإنما غنمتم دماءنا، فخرجوا بهم حتى أنزلوهم منى، فأقاموا ما شاء الله، ثم خرجوا بهم إلى الطائف، فمرض عبدالله بن عباس، فبينما نحن عنده، إذ قال في مرضه: إني أموت في خير عصابة، على وجه الأرض، أحبهم إلى الله، وأكرمهم عليه، وأقربهم إلى الله زلفى، فإن مت فيكم، فأنتم هم، فما لبث إلا ثماني ليال بعد هذا القول، حتى توفي رضي الله عنه، فصلى عليه محمد بن الحنفية، فأقبل طائر أبيض، فدخل في أكفانه فما خرج منها حتى دفن، فلما سوي عليه التراب، قال ابن الحنفية: مات والله اليوم حبر هذه الأمة، وكان عمره سبعين سنة على أصح الروايات، مع أنه قد اختلف في تاريخ وفاته.

ولابن عباس رضي الله عنه فضائل؛ فقد أدركته دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو حمل في بطن أمه؛ إذ جاء العباس وهم في الشعب، وقال للنبي: يا محمد أرى أمَّ الفضل قد اشتملت على حمل، فقال: لعل الله أن يقر أعينكم. قال ابن عباس فأُتي بي إلى النبي، وأنا في خرقة، فحنكني بريقه، قال مجاهد: فلا نعلم أحدا حُنّك بريق النبي غيره، وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: (عسى الله أن يبيض وجوهنا بغلام) فوُلِد عبدالله بن عباس.

وكانت خالته ميمونة بنت الحارث، وهي إحدى زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، فكان ينام عندها بعض الليالي، ويكون عندها في أجزاء من النهار، وهذا أهله ليأخذ التربية

الأولى من بيت النبوة. وابن عباس قال – في رواية ابن عساكر –: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، من آخر الليل، فصليت خلفه، فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله على صلاته خنست، فأخذ بيدي فجعلني حذاءه، فلما أقبل صلى الله عليه وسلم، على صلاته خنستُ، فصلى رسول الله فلما انصرف قال لي: ما شأني أجعلك حذائي فتخنس؟! فقلت: يا رسول الله، أو ينبغي لأحد أن يصلي حذاءك، وأنت رسول الله، الذي أعطاك الله عز وجل. قال: فأعجبه قولي، فدعا الله أن يزيدني علما وفَهما، قال: ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نام، حتى سمعته نفخ، ثم أتاه بلال، فقال: يا رسول الله الصلاة، فقام فصلى ما أعاد وضوءً.

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: دعا النبي لعبدالله بن عباس فقال: اللهم بارك فيه، وانشر عنه، وعن رؤيته لجبريل عليه السلام، فإن العباس مر ومعه ابنه على النبي صلى الله عليه وسلم، وعنده جبريل، فسلم العباس يعني على النبي فلم يرد عليه صلى الله عليه وسلم، فشق عليه، فما جاز قال له ابنه عبدالله: يا أبتي من الرجل الذي كان عند النبي، فشق ذلك على العباس، وخشي أن يكون عرض لابنه شيء؛ لأنه لم يرَ مع النبي صلى الله عليه وسلم أحداً، فجاء العباس فقال: يا رسول الله مررت بك فسلمت عليك فلم ترد علي السلام، فلما مضيت قال لي ابني: من الرجل الذي كان مع النبي؟! قال عليه السلام: فلقد رآه؟ ذاك جبريل، فجمع رأسه ودعا له. وفي رواية فقال جبريل: أما إن ذريته ستسود بعده.

وقد روى البخاري وغيره له فضائل كثيرة، جاءت عند المحدثين في كتبهم. ومن ذلك ما جاء عند الترمذي: أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عم إذا كان غداة الاثنين، فأتني أنت وولدك حتى أدعو لكم بدعوة ينفعك الله بها وولدك) قال: فغدونا معه، فألبسنا كساء، ثم قال: (اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنبا، اللهم احفظه وولده). وزاد رزين: واجعل الخلافة باقية في عقبه.
وعن علمه: فقد كان آية من آيات الله في الحفظ، وحسن الاستيعاب، فهو مع حداثة سنه؛ حيث يعتبر من أصغر الصحابة سنا، إلا أنه من أكثرهم رواية للحديث. وكان عمر بن

الخطاب إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس لها، ويقول: أنت لها ولأمثالها، ثم يأخذ بأقواله، ولا يدعو لذلك أحداً سواه.

ومما يروى في حفظه أن عمر بن أبي ربيعة أنشده قصيدته التي مطلعها: (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر)، وهي ثمانون بيتا، فحفظها في مرة واحدة، وكان إذا سمع النوادب سد أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهن.

ومن حرصه على العلم: أنه كان يبذل جهداً كبيراً في سبيله، يقول: طلبت العلم فلم أجد أكثره إلا في الأنصار، فكنت آتي الرجل، فأسأل عنه، فيقال لي: نائم، فأتوسد ردائي، ثم أضطجع، حتى يخرج للظهر فيقول: متى كنت هنا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فأقول: منذ طويل، فيقول: بئس ما صنعت، هلا أعلمتني؟ فأقول: أردت أن تخرج إليّ وقد قضيت حاجتك. ويروي عنه طاووس قوله: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله. وهذا من حرصه على التثبت خوفا من الزلل؛ ولذا فإنه لما سئل كيف أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول، وقد أذللت نفسي في طلب العلم، فأعزني الله بالعلم.

وكانت أول دروسه العلمية أخذها من مشكاة النبوة، إذ عندما كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار أوصاه، وعندما كانت أعماله رضي الله عنه التي كان يأخذها وهو صغير يسجلها علما، ويطبقها عملا، استجاب له الصحابة، كما عرف له عمر بن الخطاب هذا الفضل؛ فكان يدنيه مع كبار الصحابة، ويباهيهم بما عند هذا الغلام من علم، وما وهبه الله من فطنة وذكاء؛ لذا أوصاه أبوه: يا عبدالله إن عمر يدنيك، فاحفظ عني ثلاثا: لا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا يجربن عليك كذباً.

ولقد أعطى الله عبدالله بن عباس علما واسعا، وفهما دقيقا، في كثير من المعارف، حتى أن الناس يرجعون إليه، ويصدرون عن رأيه في التفسير وعلوم القرآن، وفي الفقه والفتيا، وفي الحديث ومتابعة الصحابة لأخذ العلوم منهم.

وفي أيام العرب وأنسابهم، وفي الشعر وغير ذلك من أنواع المعارف، قال عبدالله بن عتبة:

إن ابن عباس قد فات الناس بخصال: بعلم ما سبقه، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسبق. وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديثه صلى الله عليه وسلم منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا بتفسير القرآن، ولا بحساب ولا بفريضة منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً، فيما احتيج إليه منه.

وابن عمر شهد له بأنه ذو مكانة في العلم، فقال: ابن عباس أعلم الناس. وعائشة رضي الله عنها اعترفت بمكانته العلمية، فقالت بعد أن نظرت إليه، والناس حوله حلقاً ليالي الحج، وهو يُسأل عن المناسك، فيصدرون عن رأيه: هو أعلم من بقي بالمناسك. وله تزكيات وشهادات من أكابر الصحابة وفضائلهم تفوق التزكيات العلمية في عصرنا الحاضر، ومن فطنته لفهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي إدراك دقيق لدلالة الحديث مما قد يفوت على من أوتي علما، ومن ذلك ما رواه عكرمة: أن عليا رضي الله عنه حرق ناسا ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تعذبوا بعذاب الله، وكنت قاتلهم لقوله صلى الله عليه وسلم: من بدّل دينه فاقتلوه)، فبلغ ذلك عليا فقال: ويح ابن أمّ الفضل، إنه لغواص على الهنات. فلم ينكر على علي مجابهة، وإنما عرض بالكلام، وهذا من حُسن أدبه وتعليمه.

ومن فتواه عن زكاة الزيتون، هل يدخل في حكم الحبّ والتمر فتجب فيه الزكاة، أم لا يدخل كالخضراوات والأزهار، وغيرها فلا تجب فيه الزكاة، وكان رأي ابن عباس، وأهل الرأي والأوزاعي، والثوري أنها تجب فيها مستدلين بما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: (وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)، قال: حقه أي الزكاة المفروضة، ولأنها جاءت في سياق: الزيتون والرمان، ولأنه يمكن ادخاره وغلته أشبه بالتمر والزبيب[1] ، [2].

---

(١)ابن قدامة ، المغني ، ج١٥ ، ص ٤ .
(٢) جريدة الجزيرة السعودية ، الجمعة ٢٠ شوال ١٤٣٠ العدد ١٣٥٢٥ .

س ٥١: لماذا كانت الغيرة من صفات المؤمنين ؟.

ج ٥١: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (الغيرة: الغضب لله وإنكار المنكر، كونه يغضب لله على بصيرة، ما هو بعلى تعنت، أو على جهل، لا، الغيرة على بصيرة، عند انتهاك محارم الله يغار لله، هذا هو الواجب على المؤمن.

يقول صلى الله عليه وسلم لما ذكروا غيرة سعد بن عبادة قال: تعجبون من غيرة سعد ! وأنا أغير من سعد ، والله أغير مني ويقول صلى الله عليه وسلم ما أحد أغير من الله سبحانه أن يزني عبده أو تزني أمته فالواجب الغيرة لله، لا تعصباً ولا رياءً، بل إذا رأى المحارم تنتهك غار لله وأنكر المنكر، يعني: غضب لله.)[١].

وحين نتحدث عن الغيرة فإننا نستعرض النقاط التالية :

أولا : روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ)[٢] .

وليس الحديث في أي من الصحيحين عن أبي الأحوص ، وإنما هو عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن عبد الله ، وهو ابن مسعود رضي الله عنه .

وروى البخاري ومسلم واللفظ له ، عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ : " قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرُ مُصْفِحٍ عَنْهُ . فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ)[٣] .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث٤٦٣٤ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٧٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٤١٦ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٤٩٩ .

ثانيا :صفة الغيرة ثابتة لله تعالى بصحيح السنة ، على ما هو معروف في لغة العرب ، لكن على وجه يليق به سبحانه ، لا يماثل فيه المخلوقين ، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه.

ثالثا :الغيرة التي تليق بالمخلوقين خلق نجيب جبل عليه الإنسان السوي الذي كرمه ربه وفضله ، وهي في موطنها والاعتدال فيها بالنسبة للرجال والنساء من الخصال المحمودة .

قال ابن حزم رحمه الله :(الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة والعدل ؛ لأن من عدل كره أن يتعدى إلى حرمة غيره ، وأن يتعدى غيره إلى حرمته ، ومن كانت النجدة طبعا له حدثت فيه عزة ، ومن العزة تحدث الأنفة من الاهتضام)[١] .

وقال ابن القيم رحمه الله : (وغيرة العبد على محبوبه نوعان : غيرة ممدوحة يحبها الله ، وغيرة مذمومة يكرهها الله ، فالتي يحبها الله : أن يغار عند قيام الرِّيبة ، والتي يكرهها : أن يغار من غيْرِ رِيبة ، بل من مجرد سوء الظن ، وهذه الغيْرة تفسد المحبة ، وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه)[٢].

رابعا :يمكننا التعرف على تأثير الغيرة في حياتنا بما يلي :

١- ما كان منها على وجه الاعتدال فهو المحمود المرضي ، وما كان منها على وجه الإفراط فهو المذموم ، ولا تستقيم الحياة إلا بالنوع الأول .

٢- الغيرة على محارم الله من خصال أهل الإيمان ، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (المؤمن يدعوه إيمانه إلى الغيرة على محارم الله)[٣] .

٣- الذنوب والمعاصي تضعف الغيرة المحمودة ، وقد تذهب بها بالكلية ، قال ابن القيم :(كُلَّمَا اشْتَدَّتْ مُلَابَسَتُهُ لِلذُّنُوبِ أَخْرَجَتْ مِنْ قَلْبِهِ الْغَيْرَةَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَعُمُومِ النَّاسِ، وَقَدْ تَضْعُفُ فِي الْقَلْبِ جِدًّا حَتَّى لَا يَسْتَقْبِحَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَبِيحَ لَا مِنْ نَفْسِهِ وَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فَقَدْ دَخَلَ فِي بَابِ الْهَلَاكِ)[٤].

---

(١) ابن حزم ، مداواة النفوس ، ص ٥٥ .
(٢)ابن القيم ، روضة المحبين ، ص ٢٩٦ .
(٣) للجنة الدائمة للإفتاء ، ج٢٦ ، ص ٧٩ .
(٤) ابن القيم ، الجواب الكافي ، ص ٦٧ .

٣- قيام دين العبد على الغيرة التي تحمي القلب وتدفع السوء ، قال ابن القيم رحمه الله :(وَلِهَذَا كَانَ الدَّيُّوثُ أَخْبَثَ خَلْقِ اللَّهِ، وَالْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ مُحَلِّلُ الظُّلْمِ وَالبَغْيِ لِغَيْرِهِ وَمُزَيِّنُهُ لَهُ، فَانْظُرْ مَا الَّذِي حَمَلَتْ عَلَيْهِ قِلَّةُ الْغَيْرَةِ ، وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ أَصْلَ الدِّينِ الْغَيْرَةُ، وَمَنْ لَا غَيْرَةَ لَهُ لَا دِينَ لَهُ، فَالْغَيْرَةُ تَحْمِي الْقَلْبَ فَتَحْمِي لَهُ الْجَوَارِحَ ، فَتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْفَوَاحِشَ ، وَعَدَمُ الْغَيْرَةِ تُمِيتُ الْقَلْبَ ، فَتَمُوتُ لَهُ الْجَوَارِحُ ؛ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهَا دَفْعٌ الْبَتَّةَ ، وَمَثَلُ الْغَيْرَةِ فِي الْقَلْبِ مَثَلُ الْقُوَّةِ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ ، فَإِذَا ذَهَبَتِ الْقُوَّةُ ، وَجَدَ الدَّاءُ الْمَحِلَّ قَابِلًا ، وَلَمْ يَجِدْ دَافِعًا ، فَتَمَكَّنَ، فَكَانَ الْهَلَاكُ ، وَمِثْلُهَا مِثْلُ صَيَاصِيِّ الْجَامُوسِ الَّتِي تَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، فَإِذَا تَكَسَّرَتْ طَمِعَ فِيهَا عَدُوُّهُ)[1]..

٤- الغيرة المحمودة لا بد من الاعتدال فيها والحكمة ، قال الشيخ ابن باز رحمه الله :(الذي أوصي به جميع إخواني من أهل العلم والدعوة إلى الله عز وجل هو تحري الأسلوب الحسن والرفق في الدعوة ، وفي مسائل الخلاف ، عند المناظرة والمذاكرة في ذلك ، وأن لا تحمله الغيرة والحدة على أن يقول ما لا ينبغي أن يقول ، مما يسبب الفرقة والاختلاف والتباغض والتباعد)[2] ، وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :(وكثير من ذوي الغيرة من الناس تجدهم يميلون إلى تحريم ما أحل الله أكثر من تحليل الحرام ، بعكس المتهاونين ، وكلاهما خطأ)[3].

٥- الواجب على النساء ألا يخرجن عن حد الاعتدال في الغيرة ، والذي يفضي عادة إما إلى سوء الظن أو ضيق الصدر وسوء معاشرة الزوج ، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :(نصيحتي للنساءِ ألا يغرن الغيرة العظيمة إذا تزوج الزوج عليهنّ ، بل يصبرن ويحتسبن الأجر من الله ولو تكلفن ، وهذه الكلفة أو التعب يكون في أول الزواج ثم بعد ذلك تكون المسألة طبيعية)[4].

فتبين بما تقدم أن الغيرة إذا كانت غيرة محمودة معتدلة يراعي فيها المسلم الحكمة والعدل، فإن أثرها يكون طيبا على خلقه ودينه ودعوته ومعاشرته الناس ، أما إذا كانت بخلاف

---

(١) ابن القيم ، الجواب الكافي ، ص ٦٨ .
(٢) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، ج٥ ، ص ١٥٥ .
(٣) ابن عثيمين ، مجموع فتاوى ورسائل ، ج١٠ ، ص ٧٣٢ .
(٤) ابن عثيمين ، فتاوى نور على الدرب ج١٩ ، ص ٢ .

ذلك فإنها تعود عليه بآثارها السيئة المذمومة من سوء الظن بالناس وسوء التعامل معهم وسوء العشرة ، سواء في ذلك الرجال والنساء[1].

س ٥٢ : لماذا حث الاسلام على حسن الخلق ؟.

ج ٥٢ : سن الخلق هو المعنى الذي بحثت عنه البشرية كثيرًا، وتطلعت إليه منذ ظهور الفلاسفة في القديم، حسن الخُلق في الإسلام من اجل واعظم الأشياء تعبير يحتوي على شقين كل على حده (حُسْنُ) و (الخُلُق).

حُسْنُ لغةً: الحُسْنُ – حُسْنُ : والجمع : مَحَاسن. (على غير قياس). الجمال. اي كلُّ مُبْهجٍ مرغوبٍ فيه. المعجم الوسيط

الخُلُق – خُلُق: الدين والطبع والسجية ويطلق على صفات الإنسان الباطنة التي يمكن وصفها بالحسن والقبح كالصدق والحياء والامانة

الخلق : بضم أوله وثانيه، صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال. المعجم: مصطلحات فقهية[1] .

حُسْنُ الخُلُق في الاصطلاح الشرعي: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، هذا مع ما يلازم المسلم من خلق حسن، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى ، وأوصى النبي أبا هريرة بوصية عظيمة فقال: (يا أبا هريرة! عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة رضي اللّه عنه : وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال: (تصل مَنْ قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتُعطي من حرمك)[2].

إن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء و الصديقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وقد خص اللّه جل وعلا نبيه محمداً جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب[3].

يقول الله تعالى:

---

(١) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، حسن الخلق .

(٢) ذكر الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة برقم ٥٩١٢ ، أنه ضعيف ، وقال عنه العراقي في تخريج الأحياء ج٢ ، ص ٢٧٠ بأن إسناده ضعيف

(٣) ويكيبيديا ، الموسوعة الحرة ، حسن الخلق ..

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤)﴾[(١)]، ويقول الله تعالى عن القول الحسن: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا(٨٣)﴾[(٢)]، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤)﴾[(٣)].

وجاء في السنة النبوية :

١- الأخلاق الحسنة من أسباب دخول الجنة: قال صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[(٤)] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: (سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: الفم والفرج)[(٥)].

٢- الأخلاق الحسنة سبب في محبة الله لعبده: وقد ذكر الله تعالى محبته لمن يتخلق بالأخلاق الحسنة، والتي منها الصبر والإحسان والعدل وغير ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٩٥)﴾[(٦)]، وقال أيضًا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦)﴾[(٧)]، وقال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٤٢)﴾[(٨)].

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة البقرة .
(٣)سورة فصلت .
(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، والطبراني في الكبير (٩٨/٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٢٠/١٠) (٢١١٧٦). وصححه النووي في ((رياض الصالحين ، ص ٢١٦، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٢٦٤٨). .
(٥) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وأحمد (٤٤٢/٢) (٩٦٩٤)، وابن حبان (٢٢٤/٢). قال الترمذي: صحيح غريب. وحسنه الألباني في (صحيح الترغيب (٢٦٤. .
(٦) سورة البقرة .
(٧) سورة آل عمران .
(٨) سورة المائدة .

وقال صلى الله عليه وسلم: (أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا)[1] .

٣- الأخلاق الحسنة من أسباب محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا)[2] .

٤- مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة: قال صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق)[3].

٥- الأخلاق الحسنة تضاعف الأجر والثواب: قال صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار)[4] ، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنَّ المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله عزَّ وجلَّ لكرم ضريبته)[5] (لكرم ضريبته: طبيعته وسجيته).

٦- - الأخلاق الحسنة من خير أعمال العباد:

قال صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذرٍّ، ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر، وأثقل في الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فو الذي نفس محمد بيده، ما عمل الخلائق بمثلهما)[6].

---

(١) (رواه الحاكم (٤٤١/٤)، والطبراني في الكبير(١٨١/١). قال الهيثمي في المجمع (٢٧/٨): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٩/٦): رواته محتج بهم في الصحيح.)

(٢) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وحسَّن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩١). .

(٣) (رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وابن حبان (٥٠٦/١٢). قال الترمذي: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٨).

(٤) (رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وأحمد (١٨٧/٦) (٢٥٥٨٧)، والحاكم (١٢٨/١). وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٠).

(٥) (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٨٠/٣).) وحسن خلقه (رواه أحمد (١٧٧/٢) (٦٦٤٨)، والطبراني في الكبير (٥٨/١٣). قال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٠٠٩): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورواة أحمد ثقات إلا ابن لهيعة. وقال الهيثمي في المجمع (٢٥/٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.) .

(٦) (رواه البزار (٣٥٩/١٣)، وأبو يعلى (٥٣/٦)، والطبراني في الأوسط (١٤٠/٧). وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٤/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢/٨): رجاله ثقات. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١٨/٦): هذا إسناد رجاله ثقات. .

٧- الأخلاق الحسنة تزيد في الأعمار وتُعَمِّر الديار: قال صلى الله عليه وسلم: ((حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار)[1]. .

٨- الأخلاق الحسنة علامة على كمال الإيمان: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم) [2] .

وفي حديث عمرو بن عبسة أنَّه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإيمان أفضل؟ قال: حسن الخلق)[3]، [4] .

س٥٣: لماذا نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ ، وهل للأنبياء والرسول ذنوب؟.

ج٥٣: يقول أ . أحمد صبحي :

(**أولًا**: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل العبادات وأجل القربات، فقد أمر الله تعالى بها عباده المؤمنين، فقال تعالى: (إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٥٦))[5].

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم عليها وبين مضاعفة أجرها، وأنها سبب لمغفرة الذنوب، وقضاء الحاجات، فقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ)[6] .

وروى الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: (مَا شِئْتَ)، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قُلْتُ: النِّصْفَ؟ قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قال:

---

(١) رواه أحمد (١٥٩/٦) (٢٥٢٩٨)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٥١٩).).
(٢) رواه الترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢٥٠/٢) (٧٣٩٦). قال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم (٤٣/١)، قال الهيثمي في المجمع (٣٠٦/٤): رواه أحمد، وفيه محمد ابن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.).
(٣) رواه أحمد (٣٨٥/٤) (١٩٤٥٤)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (ص ٣٠). قال الهيثمي في المجمع (٥٧/١): في إسناده شهر بن حوشب، وقد وثق على ضعف فيه.
(٤) الدرر السنية فضائل الأخلاق الحسنة.
(٥) سورة الأحزاب .

(٦) النسائي ، النن ، رقم الحديث ١٢٩٧ .

قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: (مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: (إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ)[1] .

ثانيًا: ما جاء – في سؤال – من أن النبي عليه الصلاة والسلام كامل معصوم، فلماذا يحتاج منا أن نصلي عليه تلك الصلوات والتسليمات الكثيرة لتدخله الجنة، بينما نحن أحوج لذلك منه لأننا غير كاملين؟! هذا الاعتراض في غير محله؛ وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الصلاة والسلام على النبي "صلى الله عليه وسلم" امتثال لأمر الله بها، حيث قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)، فهي عبادة والواجب على المسلم الامتثال لأمر الله، وألا يعترض على أمره.

الأمر الثاني: فضل الصلاة على النبي "صلى الله عليه وسلم" ليست عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم وحده، بل هي راجعة أيضًا على المصلي نفسه، فالفضل الوارد في الأحاديث السابقة وغيرها من الأحاديث إنما هي لمن صلى على النبي "عليه أفضل الصلاة والسلام".

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عند شرحه للحديث : (إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرة) يعني: إذا قلت: اللهم صل على محمد، صلى الله عليك بها عشر مرات، فأثنى الله عليك في الملأ الأعلى عشر مرات .

الأمر الثالث: حق النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الحقوق بعد حق الله، فقد أنقذ الله به خلقاً من الظلمات إلى النور، قال تعالى: (**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ(٩)**)[2] ٩، وقال تعالى: (**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ... (١)**)[3].

فإذا كان الإنسان قد يكثر من ذكر اسم الطبيب الذي قد جعل الله على يديه شفاءه

---

(١) الترمذي ، السنن ، رقم الحديث ٢٤٥٧ .
(٢) سورة الحديد .
(٣) سورة إبراهيم .

وغاية ما في الأمر صلاح البدن، فكيف بمن جعل الله على يديه صلاح الروح والبدن معًا، فكان من حق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته أن يكثروا من الصلاة عليه ردًا لذلك الجميل وجزاء لبعض حقوقه عليه الصلاة والسلام.

قال ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه عقب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه، والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم عليه فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليما لما نالكم ببركة رسالته" انتهى من "جلاء الأفهام" .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: " ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؛ اقتداء باللّه وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلا لإيمانكم، وتعظيمًا له صلى اللّه عليه وسلم، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا من سيئاتكم[١]، [٢] .

يقول الشيخ المنجد : (أولًا : اتفق أهل العلم على أن الأنبياء معصومون من الشرك وكبائر الذنوب ، وكذلك اتفقوا على عدم جواز وقوع الصغائر التي تُزري بفاعلها وتحط من منزلته منهم ، أو تؤدي إلى الطعن في الرسالة كالكذب ونحو ذلك ، واختلفوا في جواز وقوع الصغائر غير المزرية ، فمنهم من منع وقوع ذلك ومنهم من أجاز وقوعها ،ثم من أجاز وقوعها منهم فكلهم متفقون على أنهم إذا وقعت منهم الصغائر: أنهم لا يُقَرون عليها، ولا يؤخرون التوبة، بل تعظم توبتهم وخوفهم ، حتى إن منزلتهم وقدرهم عند الله : يكون أعظم بعد وقوع الذنب والتوبة ، مما كان عليه من قبل ، قال أبو العباس القرطبي في المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم : واختلف أئمتنا في وقوع الصغائر منهم ، فمِن قائل بالوقوع ، ومِن قائل بمنع ذلك ، والقول الوسط في ذلك أن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ، ونسبها إليهم وعاتبهم عليها ، وأخبروا بها عن نفوسهم، وتنصلوا منها ، واستغفروا وتابوا .

---

(١) السعدي ، تفسير السعدي ، ج١ ، ص ٦٧١ .
(٢) أ . أحمد صبحي، جريدة الأهرام ٤ / ٩ / ٢٠٢٠ م.

وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة، لا تقبل التأويلات بجملتها ، وإن قبل ذلك آحادها ، لكن الذي ينبغي أن يقال : إنّ الذي أضيف إليهم من الذنوب ليس من قبيل الكبائر، ولا مما يُزري بمناصبهم على ما تقدم ، ولا كثر منهم وقوع ذلك ، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم، وعوتبوا عليها: يخف أمرها بالنسبة إلى غيرهم ، وإنما عُدّت عليهم، وعوتبوا عليها: بالنسبة إلى مناصبهم، وإلى علو أقدارهم ؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يُثاب عليه السائس. ولقد أحسن الجنيد حيث قال. حسنات الأبرار سيئات المقربين)[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) :(الَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ إنَّمَا هُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ ، وَأَنَّ اللَّهَ يَسْتَدْرِكُهُمْ بِالتَّوْبَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا اللَّهُ – يُحِبُّ التَّوَّابِينَ – وَإِنْ كَانَتْ حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَنَّ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مَنْ ذَلِكَ، إنَّمَا كَانَ لِكَمَالِ النِّهَايَةِ بِالتَّوْبَةِ لَا لِنَقْصِ الْبِدَايَةِ بِالذَّنْبِ)[2] .

بناء على ما سبق ، فإن أهل العلم قد اختلفوا في المراد بالذنوب في الآيات التي وردت في حق النبي صلى الله عليه وسلم، والتي فيها أمر الله له بالاستغفار ، وكذلك ما جاء في الآيات: أنه سبحانه غفر له ذنبه ، وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث التي فيها استغفار النبي صلى الله عليه وسلم من ذنبه ، ومن ذلك :

- قوله سبحانه :(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ(٥٥))[3].
- قوله سبحانه :(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٣))[4].
- قوله سبحانه :(لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ... (٢))[5].
- وما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :

---

(١) القرطبي ، المفهم ، ج٣ ، ص ٥٨ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج١١ ، ص ٤١٥ .
(٣) سورة غافر .
(٤) سورة النصر .
(٥) سورة الفتح .

" عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: (رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ المقَدِّمُ وَأَنْتَ المؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[١].

- ما أخرجه البخاري في صحيحه ، من حديث أبي هريرة ، قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)[٢].
- ما أخرجه مسلم في صحيحه ، من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : (عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي ، وَنُسُكِي ، وَمَحْيَايَ ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي ، وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا ، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)[٣].

فالذي رجح عصمة الأنبياء ، تأول هذه الآيات والأحاديث ، وصرفها عن ظاهرها ، ومن رجح عدم عصمتهم عن شيء معين منها : حملها على ظاهرها، فيما جوزه على الأنبياء من ذلك ، فمن العلماء من رأى أن هذه من الصغائر كانت قبل الوحي ، وظل النبي صلى الله عليه وسلم مشفقا منها حتى غفرها الله عز وجل له ، ومن هؤلاء الإمام الشافعي رحمه الله.

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٩٨ ، وعند الإمام مسلم برقم ٢٧١٩ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٣٠٧ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٧١ .

قال الشافعي في كتابه الأم: (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ أَنْ قَدْ غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ . يَعْنِي وَاَللَّهُ أَعْلَمُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ قَبْلَ الْوَحْيِ ، وَمَا تَأَخَّرَ: أَنْ يَعْصِمَهُ فَلَا يُذْنِبُ فَعَلِمَ مَا يَفْعَلُ بِهِ مِنْ رِضَاهُ عَنْهُ وَأَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَيِّدُ الْخَلَائِقِ[1]).

ومنهم من رأى أن هذه الذنوب ليست ذنوبا على المعنى المعروف ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى نفسه مقصرا في شكر نعم ربه عليه ، وكان يعد هذا التقصير ذنبا يثقل ظهره ، فيستغفر ربه منه ، قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن:(فَإِنْ قِيلَ: فَمَاذَا يُغْفَرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يُؤْمَرَ بِالِاسْتِغْفَارِ؟ ، قِيلَ لَهُ: كَانَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وَعَمْدِي ، وَجَهْلِي وَهَزْلِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وأنت المؤخر ، إنك على شيء قَدِيرٌ ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَقْصِرُ نَفْسَهُ، لِعِظَمِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَيَرَى قُصُورَهُ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ ذَلِكَ ذُنُوبًا . وَيَحْتَمِلُ ... ثم ذكر أقوالا أخرى)[2].

ومن العلماء من رأى أنها من الصغائر التي لا تحط من منزلة النبوة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُقره الله عليه ، وقد أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من الاستغفار من ذلك، حتى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهذا لا يشين من قدره عليه الصلاة السلام .

قال ابن بطال في شرح صحيح البخاري : (قال غير الطبري: وقد اختلف العلماء في الذنوب هل تجوز على الأنبياء؟ فذهب أكثر العلماء إلى أنه لا تجوز عليهم الكبائر لعصمتهم ، وتجوز عليهم الصغائر ، وذهبت المعتزلة إلى أنه لا تجوز عليهم الصغائر، كما لا تجوز عليهم الكبائر ، وتأولوا قوله تعالى: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..(٢))[2] ، فقالوا: إنما غفر له تعالى ما يقع منه من سهو وغفلةٍ ، واجتهاد في فعل خير لا يوافق به

(١) الإمام الشافعي ، الأم ، ج٧ ، ص ٣١٠ .
(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ج٢٠ ، ص ٢٣٣ .
(٣) سورة الفتح .

حقيقة ما عند ربه ، فهذا هو الذى غفر له ، وسمّاه: ذنبًا ؛ لأن صفته صفة الذنب المنهى عنه ، إلا أن ذلك تعمد ، وهذا بغير قصد ، وهذا تأويل بعيد من الصواب ، وذلك أنه لو كان السهو والغفلة ذنوبًا للأنبياء، يجب عليهم الاستغفار منها ؛ لكانوا أسوأ حالاً من سائر الناس غيرهم ؛ لأنه قد وردت السنة المجمع عليها أنه لا يؤاخذ العباد بالخطأ والنسيان، فلا يحتاجون إلى الاستغفار من ذلك ، وما لم يوجب عليهم الاستغفار، فلا يسمى عند العرب ذنبًا .

فالنبي صلى الله عليه وسلم المخبر لنا بذلك عن ربه، أولى بأن يدخل مع أمته في معنى ذلك ، ولا يلزمه حكم السهو والخطأ ، وإنما يقع استغفاره صلى الله عليه وسلم كفارة للصغائر الجائزة عليه ، وهى التي سأل الله غفرانها له بقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت)[1].

وقال الشيخ الشنقيطي في (أضواء البيان) :(الَّذِي يَظْهَرُ لَنَا أَنَّهُ الصَّوَابُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ: لَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ مَا يُزْرِي بِمَرَاتِبِهِمُ الْعَلِيَّةِ ، وَمَنَاصِبِهِمُ السَّامِيَةِ ، وَلَا يَسْتَوْجِبُ خَطَأً مِنْهُمْ ، وَلَا نَقْصًا فِيهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُمْ بَعْضُ الذُّنُوبِ لِأَنَّهُمْ يَتَدَارَكُونَ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ بِالتَّوْبَةِ ، وَالْإِخْلَاصِ ، وَصِدْقِ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى يَنَالُوا بِذَلِكَ أَعْلَى دَرَجَاتِهِمْ فَتَكُونُ بِذَلِكَ دَرَجَاتُهُمْ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سورة طه : (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(١٢٢))؛ فَانْظُرْ أَيَّ أَثَرٍ يَبْقَى لِلْعِصْيَانِ وَالْغَيِّ بَعْدَ تَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَاجْتِبَائِهِ أَيِ: اصْطِفَائِهِ إِيَّاهُ ، وَهِدَايَتِهِ لَهُ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ بَعْضَ الزَّلَّاتِ: يَنَالُ صَاحِبُهَا بِالتَّوْبَةِ مِنْهَا ، دَرَجَةً أَعْلَى مِنْ دَرَجَتِهِ قَبْلَ ارْتِكَابِ تِلْكَ الزَّلَّةِ. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تمية في المستدرك على الفتاوى :(اتفق الأئمة على أنه صلى الله عليه وسلم معصوم فيما يبلغه عن ربه ، وقد اتفقوا على أنه لا يقر على الخطأ في ذلك ، وكذلك لا يقر على الذنوب لا صغائرها ولا كبائرها.

---

(١) ابن بطال ، شرح صحيح البخاري ، ج١٠ ، ص ١٢٩ .
(٢) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٤ ، ص ١١٩ .

ولكن تنازعوا: هل يقع من الأنبياء بعض الصغائر مع التوبة منها ، أو لا يقع بحال؟

فقال بعض متكلمي (أهل) الحديث، وكثير من المتكلمين من الشيعة والمعتزلة: لا تقع منهم الصغيرة بحال ، وزاد الشيعة حتى قالوا: لا يقع منهم لا خطأ، ولا غير خطأ ، وأما السلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير، وجمهور متكلمي أهل الحديث من الأشعرية وغيرهم: فلم يمنعوا وقوع الصغيرة ، إذا كان مع التوبة، كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة؛ فإن الله يحب التوابين.

وإذا ابتُلِيَ بعضُ الأكابر بما يتوب منه ، فذاك لكمال النهاية، لا لنقص البداية ، كما قال بعضهم: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه ، لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه ، وأيضا: فالحسنات تتنوع بحسب المقامات ، كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فمن فهم ما تمحوه التوبة، وما ترفع صاحبها إليه من الدرجات، وما يتفاوت الناس فيه من الحسنات والسيئات: زالت عنه الشبه في هذا الباب، وأقر الكتاب والسنة على ما فيهما من الهدى والصواب[1] ، [2].

س٥٤: لماذا حث الاسلام على الزواج من الولود ؟.

ج٥٤: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ، فقالَ : (إنِّي أصَبتُ امرأةً ذاتَ حسبٍ وجمالٍ ، وإنَّها لا تلِدُ ، أفأتزوَّجُها ، قالَ : لا ثمَّ أتاهُ الثَّانيةَ فنَهاهُ ، ثمَّ أتاهُ الثَّالثةَ ، فقالَ : تزوَّجوا الوَدودَ الولودَ فإنِّي مُكاثرٌ بِكُمُ الأُممَ)[3].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (أن أعداء المسلمين لبسوا على المسلمين فيما يتعلق بكثرة النسل وأوهموهم أن كثرة النسل يحصل بها ضائقة اقتصادية وأزمات على الحكومة وعلى الأفراد ومن المعلوم أن هذا أعني الضائقة الاقتصادية والأزمات تسبب الفوضى والتفاوت بين الناس بعضهم البعض فهم يصورون كثرة النسل بصورة مخيفة مروعة ويتوهم ضعاف النفوس والإيمان أن هذا أمر حقيقي ولو كان عند الإنسان قوة إيمان وتوكل لعلم أن الله

---

(١) ابن تيمية ، المستدرك على الفتاوى ، ج١ ، ص ٢٠٨ .
(٢) الشيخ المنجد، الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ٣٠٤٤٩٨ ، نشر في ٢٨ / ٧ / ٢-١٩ م.
(٣) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٢٠٥٠ .

سبحانه وتعالى لن يخلق مخلوقاً إلا وقد تكفل برزقه كما قال الله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِّ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا) ، وقال تعالى (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً) ، وقال تعالى (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) فإذا علم المؤمن أن كثرة النسل سبب لكثرة الرزق لأن الأمة إذا كثرت كان ذلك عزاً لها وكان ذلك سبباً لاكتفائها بذاتها عن غيرها، ولهذا امتن الله عز وجل على بني إسرائيل بتكثيرهم قال تعالى (وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) وذكر شعيب قومه بذلك فقال (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ) وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (تزوجوا الودود الولود) والولود كثيرة الولادة، وكلما كثرت الأمة الإسلامية كان ذلك عزاً لها وكان ذلك سبباً لهيبتها بين الأمم وكان ذلك سبباً لاكتفائها بذاتها عن غيرها كما هو ظاهر ومعلوم، وبناء على ذلك فالذي ينبغي للإنسان أن يحرص على كثرة الأولاد أخاطب بذلك الرجل والمرأة ولا ينبغي لهما أن يحاولا قلة الولد، وأما ما ذكره السائل من تنظيم النسل في الحقيقة إن هذا وارد أن ينظم الإنسان نسله وتكون ولادة المرأة بين سنة وأخرى أي سنة للولادة وسنة لعدم الولادة، ولكن الحقيقة أن هذا الأمر ليس إلى الإنسان وقد ينظم الإنسان هذا التنظيم ولكن لا يحصل المراد به، ربما يتأخر الحمل في السنة التي يريد أن يكون فيها حمل، وربما يموت الأولاد الذين كانوا عنده فإذا مات الأولاد ولم يشأ الله عز وجل أن تنجب المرأة بعد ذلك بقيت لا أولاد لها، نعم لو فرض أن المرأة غير قادرة على ذلك أي أنها لا تستطيع أن تحمل كل سنة إلا بمشقة غير معتادة فهذا وجه يبرر لها أن تنظم حملها، ومع ذلك لا يكون هذا إلا بإذن الزوج فلو منع الزوج من ذلك فالحق له كما أن الزوج لو طلب منها أن تستعمل ما يمنع الحمل فليس عليها قبول ذلك، فكل واحد من الزوجين له حق في الولد، ولهذا قال أهل العلم يحرم أن يعزل الرجل عن زوجته الحرة إلا بإذنها يعني لها حقاً في الولد وكذلك القول الراجح إذا تبين الزوج عقيماً فللزوجة حق الفصل لأن لها حقاً في ولد، وأما ما ذكره السائل من قول أعداء الإسلام الانفجار السكاني أو التضخم السكاني أو ما أشبه ذلك فإن هذا كما أشرت

إليه في أول الجواب من تهويل الأمر من أعداء الإسلام على المسلم والواجب على المسلم أن لا يغتر بهؤلاء وتهويلاتهم وأن يعلم أنهم أعداء كما وصفهم الله بذلك بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ والكافر عدو للمسلم مهما كان في أي زمان وفي أي مكان ولهذا يجب على المؤمن أن يعلم أنه أي الكافر لو فعل شيئاً فيه مصلحة للمسلمين فإنه سوف يكسب من وراء ذلك لنفسه ما هو أكثر وأكثر من المصالح.

إن التفكير في تنظيم النسل وتحديده أصله من فكرة معادية للإسلام مضادة لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث حث صلى الله عليه وسلم على تزوج الودود الولود وأخبر أنه يكاثر الأنبياء بنا يوم القيامة ولا شك أن كثرة النسل من نعمة الله عز وجل، كما امتن الله بها على بني إسرائيل في قوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ ، وذكّرها شعيب قومه في قوله ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ فالذي ينبغي للإنسان أن يكثر النسل ما استطاع، نعم لو حصل على الأنثى ضرر لتتابع الحمل عليها لكون جسمها لا يتحمل ذلك فلها أن تفعل ما يقلل الحمل لديها دفعاً لضررها الذي يحصل لها بالحمل، وأما مع استقامة الحال وسلامة البنية فإنه لا شك أنه كلما كثر النسل فهو أفضل وأولى.

وأما تنظيم النسل فالواقع أن التنظيم ليس بيد الإنسان بل هو بيد الله عز وجل كما قال الله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠)﴾ ولو قدرنا أن بإمكان الإنسان أن ينظم حمله في البداية، أو أن ينظم نسله في البداية لو قدرنا ذلك، فإنه لا يمكنه أن ينظمه في النهاية لأنه من الجائز أن يقدر أن يكون أولاده في كل سنتين ولد، ولكن يموت الأولاد قبل أن تأتي السنتان أو بعد أن تمضي سنتان وقد يموتون قبل أربع سنوات وهكذا، فتنظيم النسل في الواقع وإن قدرنا أنه يمكن في الابتداء فإنه لا يمكن في الانتهاء ولهذا نرى أن الإنسان ينبغي له أن يحرص على ما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم من كثرة الولادة، وأما تحديده بحيث يقطع النسل على عدد معين لا يزيد عليه فإنه حرام كما صرح

بذلك بعض أهل العلم لأن ذلك يؤدي إلى قطع النسل في الواقع، فإنه إذا حدده ثم قُدّر فناء هؤلاء الأولاد الذين قد حدد النسل بهم انقطع نسل الرجل نهائياً فنصيحتي لكل من الرجال والنساء أن يحرصوا على كثرة الأولاد تحقيقاً لمباهاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته.

إن تكثير النسل من مراد الشرع وإن النبي صلى الله عليه وسلم حث على تكثير النسل فقال (تزوجوا الودود الولود) فحث على تزوج المرأة الودود التي تتودد إلى الزوج لأن توددها إلى الزوج يستلزم غالبا الاتصال بها ومجامعتها والمجامعة يكون بها كثرة النسل ولهذا أعقب هذا الوصف الودود بالولود أي كثيرة الولادة فلا ينبغي أن نحاول تقليل الولادة مع كون الرسول عليه الصلاة والسلام يحب منا أن تكثر أولادنا أما بالنسبة للجواب على السؤال الخاص فأقول إن الإجهاض في غير وقته اختلف العلماء في جوازه فمنهم من منعه مطلقا وقال إن الله تعالى جعل هذه النطفة في قرار مكين فلا ينتهك هذا قرار إلا لسبب شرعي ومنهم من أجاز إسقاط النطفة أي إسقاط الجنين قبل أربعين يوما ومنهم من أجازه قبل أن يخلق لأنه لا يعلم إذا كان علقة أيكون طفلا أم لا ومنهم من أجازه إلى أن تنفخ فيه الروح فإذا نفخت فيه الروح فقد اتفقوا على منع إجهاضه إلا إذا كان ذلك عند الولادة وتعذرت الولادة الطبيعية وأجهض بولادة عملية فلا بأس والذي أرى أنه لا يجوز متى تحققنا أنه حمل أنه لا يجوز إجهاضه إلا لسبب شرعي مثل أن يتبين أن هذا الجنين مشوه تشويها لا يعيش معه وإيذاء نفسي له ولأهله فحينئذٍ يجهض لدعاء الحاجة أو الضرورة إلى ذلك وكذلك إذا خيف على أمه منه إذا ترعرع في بطنها وكبر فإنه لا بأس بإجهاضه حينئذٍ وهذا مقيد بما إذا لم تنفخ فيه الروح والروح تنفخ فيه إذا تم له أربعة أشهر فإذا نفخت فيه الروح فإنه يحرم إجهاضه مطلقا حتى لو قرر الأطباء أنه إن لم يجهض ماتت أمه فإنه لا يجوز إجهاضه حتى ولو ماتت أمه ببقائه وذلك لأنه لا يجوز لنا أن نقتل نفساً لاستبقاء نفسٍ أخرى فإن قال قائل إذا أبقيناه وماتت الأم فسيموت هو أيضا فيحصل بذلك قتل نفسين وإذا أخرجناه فربما تنجو الأم فالجواب أنه إذا أبقيناه وماتت الأم بسببه ومات هو بعد موت أمه فإن موت أمه ليس منا بل من الله عز وجل

فهو الذي قضى عليها بالموت بسبب هذا الحمل أما إذا أجهضنا الجنين الذي كان حيا ومات بالإجهاض فإن إماتته من فعلنا ولا يحل لنا ذلك.

لا شك أن كثرة الولادة مما يزيد الأمة قوة ويحصل به مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (تزوجوا الودود الولود) ولا شك أيضاً أن المرأة إذا حملت يلحقها الضعف لقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ) ولا شك أيضاً أن المرأة إذا حملت فإنها تحمل الولد كرهاً وتضعه كرهاً كما قال الله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً) ولا شك أن المرأة إذا حملت يلحقها التعب والإعياء وإذا كان هذا أمراً مألوفاً ومعتاداً فإنه لا ينبغي للمرأة أن تتضجر منه وأن تتهرب منه باستعمال ما يمنع الحمل بل عليها أن تصبر وتحتسب الأجر من الله وهي إذا صبرت واحتسبت الأجر من الله ولم تخنع لما يحصل لها من الضعف فإن الله تعالى يقويها على ماحملت ويعينها حتى يكون هذا الحمل خفيفاً عليها نعم لو فرض أن هناك أموراً عارضة غير معتادة تحصل للمرأة عند الحمل فحينئذٍ ينظر في الأمر وما ذكرت السائلة من أنها أصيبت من فقر الدم فهذا أمر طبيعي إذ أن المرأة إذا حملت فإنه ينصرف جزء كبير من دمها إلى الحمل ولكن إن كان هذا الذي أصابها من فقر الدم أمراًّ زائد على المعتاد ولم تتمكن من السلامة منه بأخذ المقويات ففي هذا الحال ينبغي لزوجها أن يراعيها وأن يرخص لها في استعمال ما يمنع الحمل ولكنني أحذرها وغيرها من النساء من استعمال العقاقير والحبوب لأن هذه مضرة على المدى الطويل وقد حدثني من أثق به من الأطباء أنها سبب لفساد الرحم ولتشويه الأجنة ولأمور أخرى تتعلق بالدم والأعصاب لكن هناك وسائل تقي من الحمل غير هذه الحبوب أما تعاطي هذه الحبوب والعقاقير فإنني أنصح بالابتعاد عنها كثيراً وخلاصة الجواب أنه يجب على المرأة أن تصبر على ما أصابها من الضعف والتعب والإعياء في حال الحمل ولها في ذلك أجر عند الله عز وجل وتكفير لسيئاتها وعلى الزوج إذا رأى أن المرأة تتأثر تأثراً غير معتاد في حملها أن يأذن لها في استعمال ما يمنع الحمل أو هو بنفسه يستعمل ما يمنع الحمل رأفة بها ورحمة بها

حتى تنشط وتقوى على ذلك.

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حث على المرأة الودود الولود وكلما كثرت الأمة الإسلامية كان ذلك أعز لها وأوفى بحاجاتها وما يتوهمه بعض الناس من أن كثرة النسل تؤدي إلى ضيق الرزق وهمٌ باطل لا يصدر ممن يؤمن بقول الله تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) فأنا أشكر لزوج هذه المرأة الذي يحب كثرة الإنجاب وأسأل الله تعالى أن يكثر من أمثاله وأقول لهذه المرأة إنه لا يحل لها أن تأخذ مانع الحمل بدون إذن الزوج ورضاه وعليها أن تتقي الله عز وجل وأن تقلع عن أخذ هذه الحبوب محبةً لما يحبه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من كثرة الأولاد وطاعةً لزوجها وزوجها له حق في الإنجاب كما أنها هي أيضاً لها حقٌ في الإنجاب ولهذا لو أراد الزوج أن يعزل عن زوجته حتى لا تحمل كان ذلك حراماً عليه إلا بإذنها يعني مثلاً لو أراد الزوج من زوجته أن لا تحمل وصار يعزل عنها أي إذا أراد أن ينزل نزعه وأنزل في الخارج فإن ذلك لا يحل له إلا إذا وافقت الزوجة على ذلك وسبب هذا أن الزوجة لها حقٌ في الأولاد فلا يحل للزوج أن يحول بينها وبين هذا الحق بغير رضاها ثم إنه بهذه المناسبة أحذر النساء من أن يتعاملن هذه المعاملة التي هي ظلم في حق الزوج ثم على فرض أن الزوج رضي بذلك فإني أنصح الزوج والزوجة عن هذا العمل وأقول إن كثرة الأولاد من النعم التي تستحق الشكر لله عز وجل كما أظهر الله ذلك في قوله في بني إسرائيل (وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) وكما ذكر شعيبٌ قومه بذلك فقال (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ) فأنصح كلاً من الزوجين أن يحرصوا على كثرة الإنجاب لأن ذلك خير لهما وخير للأمة الإسلامية وكلما كثرت الأمة الإسلامية كان ذلك أعز لها وأكرم[1] .

---

(١) ابن عثيمين ، برنامج نور على الدرب ، ج٢٢ .

س٥٥: لماذا يحرم الحلف بغير الله تعالى ؟.

ج٥٥:يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات، لا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا بالكعبة ولا بالأمانة ولا غير ذلك في قول جمهور أهل العلم، بل حكاه بعضهم – هو الإمام أبو عمر بن عبد البر رحمه الله – إجماعًا، وقد روي خلاف شاذ في جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول لا وجه له، بل هو باطل، وخلاف لما سبقه من إجماع أهل العلم، وخلاف للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، ومنها

- ما أخرجه الشيخان عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت) .
- وفي الصحيحين عن أبي هريرة– رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله) ، ووجه ذلك أن الحالف بغير الله قد أتى بنوع من الشرك، فكفارة ذلك أن يأتي بكلمة التوحيد عن صدق وإخلاص ليكفر بها ما وقع منه من الشرك.
- وأخرج الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) .
- وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من حلف بشيء دون الله فقد أشرك).
- وأخرج أبو داود من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بالأمانة فليس منا).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون) أخرجه أبو داود والنسائي،

ومن حكى الإجماع في تحريم الحلف بغير الله الإمام أبو عمر بن عبد البر النمري رحمه الله. وقد أطلق بعض أهل العلم الكراهة فيجب أن تحمل على كراهة التحريم عملًا بالنصوص

وإحسانًا للظن بأهل العلم، وقد تعلل بعض من سهل في ذلك بما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق الذي سأله عن شرائع الإسلام: أفلح وأبيه إن صدق.

والجواب: أن هذه رواية شاذة مخالفة للأحاديث الصحيحة، لا يجوز أن يتعلق بها، وهذا حكم الشاذ عند أهل العلم، وهو ما خالف فيه الفرد جماعة الثقات، ويحتمل أن هذا اللفظ تصحيف كما قال ابن عبد البر رحمه الله وأن الأصل أفلح والله فصحفه بعض الكتاب أو الرواة، ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل النهي عن الحلف بغير الله، وبكل حال فهي رواية فردة شاذة لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتشبث بها ويخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الحلف بغير الله وأنه من المحرمات الشركية.

وقد أخرج النسائي بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه حلف باللات والعزى، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفث عن يسارك ثلاثًا، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تعد وهذا اللفظ يؤكد شدة تحريم الحلف بغير الله وأنه من الشرك ومن همزات الشيطان، وفيه التصريح بالنهي عن العود إلى ذلك.)[1].

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الحلف بغير الله تعالى:

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (أَلاَ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلاَ يَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَحْلِفُ بِآبَائِهَا، فَقَالَ: لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)[2].
- وفي رواية للبخاري أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ)[3] .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى:(أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروهة ، منهي عنها ؛ لا يجوز الحلف بها لأحد)[4].

---

(١) ابن باز ، مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ، ج٣ . ص ١٤٢ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٨٣٦ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٦٤٦ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٦٧٩ .
(٤) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فأما الحلف بالمخلوقات كالحلف بالكعبة، أو قبر الشيخ، أو بنعمة السلطان، أو بالسيف، أو بجاه أحد من المخلوقين: فما أعلم بين العلماء خلافا أن هذه اليمين مكروهة منهي عنها، وأن الحلف بها لا يوجب حنثا ولا كفارة. وهل الحلف بها محرم أو مكروه كراهة تنزيه؟ : فيه قولان في مذهب أحمد وغيره: أصحهما أنه محرم)[١].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :(ومن الكبائر :الحلف بغير الله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله، فقد أشرك)، وقد قصّر ما شاء أن يقصر من قال: إن ذلك مكروه، وصاحب الشرع يجعله شركا ؛ فرتبته فوق رتبة الكبائر)[٢]" انتهى من

والحديث المذكور، هو ما رواه ابْن عُمَرَ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)[٣].

وهذا الشرك قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر محرّما لكن لا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام ، فيكون شركا أكبر: إن جعل المقسم به بمنزلة الله في التعظيم والقدرة على النفع والضر؛ كما يفعل بعض عباد القبور من قسمهم بصاحب القبر واعتقادهم أن له قدرة على التصرف بالضر والنفع الغيبي فيجعلونه شهيدا على صدقهم.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: (فإن اعتقد في المحلوف به ، من التعظيم ، ما يعتقده في الله : حرم الحلف به، وكان بذلك الاعتقاد كافرا ، وعليه يتنزل الحديث المذكور)[٤].

وقال الشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله تعالى:القسم -الذي- يفهم إجلال الحالف للمحلوف به، واعتقاده أن له سطوة غيبية ، بحيث ينال الحالف النفع الغيبي إذا وفى وصدق،

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٣٥ ، ٢٤٣.
(٢) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٦ ، ص٥٧١ – ٥٧٢ .
(٣) رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨ / ١٨٩).
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١١ ، ص ٥٣١ .

وأنه إن لم يف أو يصدق نالته عقوبته ، ونال المحلوف له النفع الغيبي بإيفائه حقه إن كان له حق... ونحوه الحلف بالصنم يفهم احترام الحالف له واعتقاده أن له سطوة غيبية ...إذا ثبت هذا ، فقد ثبت أن القَسَم من هذا الضرب : خضوع وتعظيم للمقسم به ، يطلب به نفع غيبي للحالف ، أو للمحلوف له على فرض، وهذا الخضوع والتعظيم هو العبادة كما مر تحقيقه، والعبادة إذا لم ينزل الله تعالى بها سلطانا فهي عبادة لغير الله ، وعبادة غير الله كفر وشرك)[١]، ويكون الحلف بغير الله تعالى شركا أصغر إذا لم يصل إلى مثل هذا التعظيم.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:(والحلف بغير الله شرك أكبر؛ إن اعتقد أن المحلوف به مساو لله تعالى في التعظيم والعظمة، وإلا ؛ فهو شرك أصغر)[٢] .

وجاء فتاوى اللجنة الدائمة: (الحلف بالأمانة : فهو حلف بغير الله، والحلف بغير الله شرك أصغر، ومن أكبر الكبائر؛ لما روى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك)، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لئن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا)[٣].

ثانيا : عن طَلْحَةَ بْن عُبَيْدِ اللهِ، قال: "(جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ ، نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزَّكَاةَ ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ ، قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ! لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَفْلَحَ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَق)[٤] .

---

(١) المعلمي ، الآثار ، ج٣ ، ص ١٠١٨ .
(٢) ابن عثيمين ، القول المفيد ، ج٢ ، ص ٢١٤ .
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء ، ج٢٣ ، ص ٥٦ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ فَقَالَ: أَمَا وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّهُ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الْبَقَاءَ، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ ، قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ)[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: (قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)[2] ، ثم ساق رواية بعدها، فيها زيادة: (فَقَالَ: نَعَمْ، وَأَبِيكَ لَتُنَبَّأَنَّ) .

فهذه الأحاديث وردت صيغة القسم بالآباء ، وقد أجاب أهل العلم عنها بأجوبة عدة:

فبعض أهل العلم ذهب إلى أن هذه الألفاظ (وَأَبِيهِ) و (وَأَبِيكَ) ضعيفة لا تصح ، أخطأ من أدخلها في هذه الأحاديث، كقول ابن عبد البرّ رحمه الله تعالى: (فإن احتج محتج بحديث يروى عن إسمعيل بن جعفر، عن أبي سهيل نافع بن مالك بن ابن أبي عامر، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله – في قصة الأعرابي النجدي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أفلح وأبيه إن صدق) ، قيل له: هذه لفظة غير محفوظة في هذا الحديث ، من حديث من يحتج به، وقد روى هذا الحديث مالك وغيره عن أبي سهيل لم يقولوا ذلك فيه، وقد روي عن إسمعيل بن جعفر هذا الحديث وفيه: (أفلح والله إن صدق)، (أو دخل الجنة والله إن صدق)، وهذا أولى من رواية من روى (وأبيه) لأنها لفظة منكرة تردها الآثار الصحاح)[3].[4]

وعلى القول بصحتها؛ فالسياق والمقام يؤكد أنها لم ترد على سبيل القسم ، الذي يفيد تعظيم المقسم به، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقسم بأبيه "عبد الله"، فلم يقل "بأبي" حتى ترد شبهة القسم، وأنه ذكره معظما له لحق الأبوة، وإنما ذكر أب المخاطب ، وهو في غالب الظن

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٠٣٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٥٤٨ .
(٣) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج١٤ ، ص ٣٦٧ .
(٤) وقد بسط الشيخ الألباني رحمه الله تعالى بيان عدم صحة ورود هذه الألفاظ داخل هذه الأحاديث، وهذا في كتابه السلسلة الضعيفة (١٠ / ٧٥٠ - ٧٦٨).

مشرك؛ فلا تتطرق شبهة تعظيمه أصلا، وإنما هي صيغة من صيغ توكيد الكلام ، جرت عليها العرب من غير قصد القسم ، كما يقولون : ويحك ، وويلك ، وثكلتك أمك ، ولا يقصدون حقيقة معنى هذه الألفاظ .

قال الخطابي رحمه الله تعالى: (وقوله: (أفلح وأبيه) : هذه كلمة جارية على ألسن العرب ، تستعملها كثيرا في خطابها ، تريد بها التوكيد ، والعرب قد تطلق هذا اللفظ في كلامها على ضربين؛ أحدهما: على وجه التعظيم، والآخر على سبيل التوكيد للكلام ، دون القسم . قال ابن ميادة:

أظنت سِفاها من سَفاهة رأيها لأهجوها لما هجتنى محارب

فلا وأبيها إنني بعشيرتي ونفسيَ عن ذاك المقام لـراغب

وليس يجوز أن يقسم بأب من يهجوه ، على سبيل الإعظام لحقه)[١] .

وقال النووي رحمه الله تعالى:(قوله صلى الله عليه وسلم: (أفلح وأبيه) ليس هو حلفا، إنما هو كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها في كلامها ، غير قاصدة بها حقيقة الحلف. والنهي إنما ورد فيمن قصد حقيقة الحلف، لما فيه من إعظام المحلوف به ، ومضاهاته به الله سبحانه وتعالى ؛ فهذا هو الجواب المرضي)[٢].

فالحاصل؛ أن هذه الألفاظ مختلف في صحتها؛ وليست صريحة في القسم، فلا يصلح أن يعارض بها أحاديث النهي عن القسم بغير الله تعالى ، الصحيحة الصريحة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فقد ثبت بالنُّصوص الصَّحيحة الصَّريحة عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنَّه لا يجوز الحلف بشيء من المخلوقات، لا فرق في ذلك بين الملائكة والأنبياء والصَّالحين وغيرهم)[٣].

ثالثا: إذا أقسم المسلم بغير الله تعالى ذاهلا غير متعمد، كمن عاش زمنا غير ملتزم بأحكام

---

(١) الخطابي ، معالم السنن ، ج١ ، ص ١٢١ .
(٢)النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج١ ، ص ١٦٨ .
(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج١ ، ص ٢٩١ .

الشرع، ثم تاب إلى الله تعالى، فقد يسبق على لسانه –ما تعوده قبل توبته– من غير عمد؛ فهذا غير مؤاخذ عليه، ويدل لهذا؛ إطلاق قول الله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ(٢٣٥))[١] .

وقول الله تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(٢٨٦))[٢].

قال الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله تعالى:(قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)، لم يبين هنا هل أجاب دعاءهم هذا أو لا ، وأشار إلى أنه أجابه بقوله في الخطأ: (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) الآية، وأشار إلى أنه أجابه في النسيان بقوله: (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)، فإنه ظاهر في أنه قبل الذكرى لا إثم عليه في ذلك ، وقد ثبت في صحيح مسلم: (أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)، قال الله تعالى: نعم)[٣]. [٣].

س٥٦: يقول تعالى (والسارق والسارقة) ، وفي آية أخرى (الزانية والزاني)، فلماذا تقدمت المرأة في الآية الأولى وتقدم الرجل في الآية الثانية ؟ .

ج٥٦:يقول أ.د. فاضل صالح السامرائي : (قال تعالى:(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢))[٥].

---

(١)سورة البقرة .
(٢) سورة البقرة .
(٣) الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج١ ، ص ٣١٢ .
(٤) الإسلام سؤال وجواب ، نشر ٢٤ / ٧ / ٢٠١٩ م.
(٥) سورة النور

و في سورة المائدة قدم (السارق على السارقة)...؟قال تعالى:(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جزاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِّ وَاللهُّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَّ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٩))[١].

الملاحظ في هذه السورة تقديم الزانية على الزاني ، وفي هذا التقديم أن سببه أن المرأة هي التي تقع عليها مسؤولية الزنا ، فهي لو أرادت وقع الزنا وإن لم ترد لم يقع فبيدها المنع والقبول،

وهذا على عكس عقوبة السرقة (والسارق والسارقة)، فهنا قدم السارق لأن طبيعة الرجل هو الذي يسعى في الرزق على أهله فهو الذي يكون معرضاً لفعل هذه الجريمة هذا)[٢].

يقول د. عمرو خالد : عندما أمر الله سبحانه وتعالى بتوقيع حد الزنا علي من اقترف هذه الفاحشة والذي يتراوح بين الرجم والجلد للمحصن وغير المحصن، بدأ الآية بالأنثى فقال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) ولكن الأمر تغير عندما تعلق بحد السرقة حيث بدأ سبحانه وتعالى بالذكر فقال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جزاءً بِمَا كَسَبَا) ،ولا شك أن وراء هذا الأمر حكمة إلهية فقد بدأ الله حد الزنا بالأنثى "المرأة"، باعتبارها من تعطي الضوء الأخضر للذكر "الرجل" لبدء هذه العلاقة وإن لم تفعل هذا لانتهت هذه العلاقة فورا ، فالمرأة لو امتنعت عن الرجل لما استمر في تحرشه بها حتى تقع في مصائده، فالمرأة هي التي تفتنه بملابسها غير الشرعية الفاضحة، ونظراتها غير السوية المغرضة، وحركاتها غير الأخلاقية المثيرة ، فالأنثى هي البادئة بالفتنة والإثارة، ولهذا حملها الله المسئولية الأولى عن واقعة الزنا ، ولكنه ساوى بينها وبين الذكر في العقوبة في ظل تورطهما المباشر في هذه الفاحشة أيا كانت هوية من تبني زمام المبادرة في إقامتها ..

---

(١) سورة المائدة .
(٢) موقع محبي الدكتور السامرائي على فيسبوك.

ولكل ما سبق فقد أمر الله سبحانه وتعالى المرأة المسلمة بالعديد من أوامر سد الذرائع أو الأوامر الاحترازية الحامية لها من مثل هذا السلوك المشين والمهين.

هذه الأوامر تتضمن عددا من السلوكيات التي تحميها من هذا الزلل ومنها ألا تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض فيها. قال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢))[(١)] ، فالله تعالي أمرهن الله سبحانه وتعالى بالتستر ولبس اللباس الساتر، والدال على حشمتهن وهويتهن وأنهن مؤمنات عفيفات لا يقبلن المخادعة والمصادقة للرجال، أو إثارة الفتنة فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩))[(٢)] فاللباس الساتر يحميهن من مرضى القلوب والتهم الباطلة.. كذلك أمر الله المرأة المسلمة ألا تبدي صوت زينتها الخفية كالأساور والخلخال وغيرها تجنباً للعديد من المشكلات المترتبة على ذلك. فقال تعالى: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ... (٣١))[(٣)].

الله سبحانه وتعالى أمر كذلك المرأة المسلمة بعدم إبداء زينتها للأجانب من الرجال فقال تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ.. (٣١))[(٤)] ، وغض النظر كان حاضرا بقوة ضمن منظومة ما أمر الله به المرأة المسلمة بها لحفظ الفرج. فقال تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (٣١)) من ثم فإن الأسباب السابقة هي من دعت الله جلا شأنه للبدء بالمرأة وتحميلها المسئولية عن فاحشة الزنا ، وعلي نفس المنوال وفيما يتعلق بحد السرقة فبدأ الله بالذكر في الحد مع مساواته لهم بالنساء

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة النور .
(٤) سورة النور .
(٥) سورة النور .

في العقوبة باعتبار أن الرجل يكون دائما سابقا في ارتكاب هذه الجريمة وهو ما تؤكده الإحصائيات العالمية التي تشير لضلوع الرجال في جريمة[1].

أمر الله سبحانه و تعالى بتوقيع حد الزنا على الزناة، و بدأ الآية التي تنص على ذلك بالأنثى، فقال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢))[2] ، أما عندما أمر الله سبحانه و تعالى بتوقيع حد السرقة بدأ بالذكر فقال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨))[3] .

لقد بدأ الله حد الزنى بالأنثى (المرأة) لأنها هي التي تعطي الضوء الأخضر للذكر (الرجل)، و ذلك بطرق مختلفة، كالتزين و التبرج و ارتداء الفاضح و المكشوف و الشفاف و المزنق من الملابس... و غير ذلك مما تفعله النساء من اجل جذب الرجال مما يجعلها صاحبة الخطوة الاولى في وقوع تلك الفاحشة، فما دامت تعرض سلعتها و تتفنن في إبراز مؤهلاتها فإنها تبحث عن مشترٍ أو حتى مستأجر...

و لو أن المرأة امتنعت عن تلك الأساليب الفاتنة، و صدت الرجل، لما وقعت تلك الفاحشة، فالأنثى هي البادئة بالفتنة و الإثارة، و لهذا حملها الله المسؤولية الأولى في الزنى، ولكنه ساوى بينها وبين الذكر في العقوبة، و الأهم من هذا كله ، الزنى عامة في حق المرأة أشنع و ابشع، و عاقبته أفظع، و تبعاته عليها أضر، فتكوينها الفيزيولوجي الذي جعل منها وعاء مستقبلا، هو نفسه الذي جعل هذا الوعاء المستقبل لا يحتمل سوى بصمة واحدة من الحيوانات المنوية في الوقت الواحد، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن ماء الرجل يحتوى على ٦٢ نوعا من البروتين و أن هذا الماء يختلف من رجل إلى آخر فلكل رجل بصمة في رحم

---

(١) الموقع الرسمي للدكتور عمرو خالد
(٢) سورة المائدة .
(٣)سورة النور

زوجته فإذا تزوجت من رجل آخر بعد الطلاق مباشرة هناك احتمال كبير أن تصاب المرأة بمرض سرطان الرحم لدخول أكثر من بصمة مختلفة في الرحم... (ph problems)
كما اثبتت الابحاث العلمية ان اول حيض بعد طلاق المرأة يزيل من ٣٢ % الى ٣٥ % من أثر البصمة، و الحيض الثاني يزيل من ٦٧% الى ٧٢% من أثر بصمة الرجل، الحيض الثالث يزيل ٩٩.٩% من بصمة الرجل، و هنا يكون الرحم قد تم تطهيره من البصمة السابقة و قد استعد لاستقبال بصمة أخرى، وهي بالضبط ما يحدث بعد (عدة المطلقة كما جاء في الاسلام) فما بالك بالتي تزني!

لذلك: أمر الله سبحانه و تعالى المرأة المسلمة بالعديد من أوامر سد الذرائع أو الأوامر الاحترازية الحامية لها من مثل هذا السلوك المشين و المهين، منها:

- أن لا تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض فيها. قال (إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢))[١].

- أمرهن الله سبحانه وتعالى بالتستر و لبس اللباس الساتر، و الدال على حشمتهن و هويتهن وأنهن مؤمنات عفيفات لا يجوز لهن مصادقة الرجال أو إثارة الفتنة فقال تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩))[٢] ، فهذا اللباس الساتر يحميهن من مرضى القلوب و التهم الباطلة.

- أمر الله المرأة المسلمة أن لا تبدي صوت زينتها الخفية كالأساور و الخلخال و صوت الكعب العالي و غيرها تجنباً للعديد من المشكلات المترتبة على ذلك. فقال تعالى: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ... (٣١))[٣] .

---

(١)سورة الأحزاب .
(٢)سورة الأحزاب
(٣) سورة النور .

- أمر الله سبحانه و تعالى المرأة المسلمة بعدم إبداء زينتها للأجانب من الرجال فقال تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١))[١].

١- أمر الله المرأة المسلمة بغض البصر وحفظ الفرج. فقال تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ)[٢] ، لهذا بدأ الله سبحانه وتعالى في حد الزنا بالأنثى.

أما فيما يخص السرقة، فقد بدأ الله بالذكر في الحد مع مساواته له بالأنثى في العقوبة، فقد ثبت أن إجرام الرجل (بما في ذلك السرقة) يفوق خمسة أمثال إجرام المرأة و في بعض الأحيان يصل إلي عشرة أمثال إجرامها أو أكثر فقد أشار (جرانيه) أن الإحصاء الجنائي الفرنسي لعام ١٩٠٢ أظهر أن نسبة إجرام المرأة تعادل ١٣ % تقريبا من مجموع الجرائم التي ارتكبت في هذا العام . بلغت نسبة إجرام المرأة في ألمانيا الغربية ١٦ % وفي الولايات المتحدة الأمريكية ١٥ % إذ دلت الإحصاءات دائما على انخفاض إجرام المرأة عن إجرام الرجل)[٣] .

---

(١)سورة النور .
(٢)سورة النور .
(٣) موقع هبة أضيف في ٣ أبريل ٢٠١٨ ا من ليلى البصري

س٥٧: لماذا مازال يطبق حد الرجم مع أن آيته اختفت من القرآن قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم ؟.

ج٥٧: (عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : مَن كفرَ بالرَّجمِ فقد كفرَ بالقرآنِ مِن حيثُ لا يحتسِبُ ، قولُهُ :(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ(١٥)) فَكانَ الرَّجمُ ممَّا أخفَوهُ)[1] .

(مَن كفَرَ بالرجْمِ، فقد كفَرَ بالقُرآنِ من حيث لا يَحتَسِبُ، وذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ(١٥))[2] ، فكان ممَّا أخفَوْهُ الرجْمُ)[3] ، ولذلك أشار علي رضي الله عنه : (جلدَ عليٌّ رضيَ اللَّهُ عنهُ شُراحةَ يومَ الخَميسِ ورجمَها يومَ الجُمعةِ وقالَ: جَلدتُها بِكِتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورجمتُها بسنَّةِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ)[4] .

وردت آية الرجم في كتب الحديث (عند أهل السنة) بألفاظ متعددة، وهي كالتالي:

١- (كان ابنُ العاصِ وزيدُ بنُ ثابتٍ يكتُبانِ المصاحفَ فمرَّا على هذه الآيةِ فقال زيدٌ سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ الشَّيْخُ وَالشَّيخَةُ فارجُمُوهُما الْبَتَّةَ فقال عمرُ لما أُنزلتْ أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقلتُ أَكْتِبْنيها فكأنه كره ذلك قال فقال عمرُ ألا ترى أنَّ الشيخ إذا زنى وقد أحصنَ جُلِدَ ورجِمَ وإذا لم يُحصَنْ جُلِدَ وأنَّ الشابَّ إذا زنى وقد أحصَنَ رُجِمَ)[5].

(عمرُ يقولُ: قد خشيتُ أن يطولَ بالنَّاسِ زمانٌ حتَّى يقولَ قائلٌ : ما نجدُ الرَّجمَ في كتابِ اللَّهِ ، فيضلُ بتركِ فريضةٍ أنزلَها اللَّهُ ، ألَا وإنَّ الرَّجمَ حقٌّ علَى مَن زنَىَ إذا أُحصنَ ، وكانت البَيِّنةُ ،أو كانَ الحبَلُ أوِ الاعترافُ وقد قرأناها (الشَّيخُ والشَّيخةُ فارجُموهُما البَتَّةَ) وقد

---

(١) أحمد شاكر ، مسند أحمد ، ج١ ، ص ٦٥٤ .
(٢) سورة المائدة .
(٣) الأرناؤوط ، تخريج مشكل الآثار ، ج١٥ ، ص ٩٥ .
(٤) العيني ، نخب الأفكار ، ج١٥ ، ص ٤٥٧ .
(٥) الطبري ، مسند عمر ، ج٢ ، ص ٨٧٠ .

رجمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ ورجَمْنا بعدَهُ)[1] .

٢- (عن يحيى بنِ سَعيدٍ، أنَّهُ سمعَ سعيدَ بنَ المسيِّبِ، يقولُ: لما صدرَ عمرُ بنُ الخطَّابِ من منًى أَناخَ بالأبطحِ، ثمَّ كوَّمَ كومةً مِن بطحاءٍ ثمَّ طرحَ عليها رداءَهُ، ثمَّ استلقى ومدَّ يديهِ إلى السَّماءِ، فقالَ: اللَّهمَّ كبُرَتْ سنِّي، وضعُفَتْ قوَّتي، وانتشَرَت رعيَّتي، فاقبِضني إليكَ غيرَ مُضيِّعٍ ولا مُفرِّطٍ، ثمَّ قدمَ المدينةَ في عقِبِ ذي الحجَّةِ فخطبَ النَّاسَ، فقالَ: أيُّها النَّاسُ قد سُنَّت لَكُمُ السُّننُ وفُرِضَت لَكُمُ الفرائضُ، وتُرِكْتُمْ على الواضحةِ، إلَّا أن تَضلُّوا بالنَّاسِ يمينًا وشِمالا، وصفَّق إحدَى يديهِ على الأُخرى ثم قالَ: إيَّاكم أن تَهْلِكوا عَن آيةِ الرَّجمِ أن يقولَ قائلٌ: لا نجدُ حدَّينِ في كِتابِ اللَّهِ، فقد رَجمَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ورَجَمنا، بعدَهُ فو الَّذي نفسي بيدِهِ لولا أن يقولَ النَّاسُ زادَ ابنُ الخطَّابِ في كتابِ اللَّهِ، لَكَتبتُها: بيَدي الشَّيخُ والشَّيخةُ فارجُموهما البتَّةَ وإنَّا قَد قرأناها. قالَ مالِكٌ: قالَ يحيى بنُ سعيدٍ، قالَ: سعيدُ فما انسَلخَ ذو الحجَّةِ حتَّى قُتِلَ عمرُ رضيَ اللَّهُ عنهُ)[2] .

٣- (لَمَّا صَدَرَ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ مِن مِنًى أَناخَ بالأَبْطَحِ، ثُمَّ كَوَّمَ كُومَةً بَطْحاءَ، ثُمَّ طَرَحَ عليها رِداءَهُ واستَلْقَى، ثُمَّ مَدَّ يديْهِ إلى السَّماءِ، فقال: اللَّهُمَّ كَبِرَتْ سِنِّي، وضَعُفَتْ قُوَّتي، وانتشرَتْ رَعِيَّتي، فاقبِضْني إليكَ غيرَ مُضَيِّعٍ ولا مُفَرِّطٍ. ثُمَّ قَدِمَ المدينةَ، فخَطَبَ النَّاسَ، فقال: أيُّها النَّاسُ، قد سُنَّتْ لكُمُ السُّنَنُ، وفُرِضَتِ الفرائِضُ، وتُرِكْتُمْ على الواضِحةِ، إلَّا أنْ تَضِلُّوا بالنَّاسِ يمينًا وشِمالًا، وضَرَب بإحْدَى يديْهِ على الأُخرى، ثُمَّ قال: إيَّاكُمْ أنْ تَهْلِكوا عن آيةِ الرَّجْمِ، أنْ يَقولَ قائِلٌ: لا نَجِدُ حَدَّيْنِ في كتابِ اللهِ، فقد رَجَمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقد رَجَمْنا، والَّذي نفْسِي بيدِهِ لولا أنْ يَقولَ النَّاسُ: زادَ عُمرُ بنُ الخَطَّابِ في كِتابِ اللهِ، لَكَتَبْتُها: الشَّيْخُ والشَّيْخةُ فارْجُمُوهُما ألْبَتَّةَ؛ فإنَّا قد قَرَأْناهَا. قال مالِكٌ: قال يحيى بنُ سعيد:

---

(١) ابن حزم ، المحلى ، ج١١ ، ص ٢٣٦ ، : أخرجه البخاي (٦٨٢٩)، ومسلم (١٦٩١)، والترمذي (١٤٣٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٧١٥٦)، وابن ماجه (٢٥٥٣) باختلاف يسير، وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٦) واللفظ له.
(٢) النخشبي ، تخريج الحنائيات ، ج٢ ، ص ١٢٩٢ .

قال سعيدُ بنُ المسَيِّبِ: فما انسَلَخَ ذُو الحِجَّةِ حتَّى قُتِلَ عُمرُ رحِمَه اللهُ.)[1] .

٤- (قال عمرُ قد خشيتُ أن يَطولَ بالناسِ زمانٌ حتى يقولَ القائلُ ما نجدُ الرَّجْمَ في كتابِ اللهِ فيَضلُّوا بتركِ فريضةٍ أَنزلَهَا اللهُ ألا وإنَّ الرَّجْمَ حقٌّ إذا أُحْصِنَ أو قامتْ البَيِّنَةُ أو كان حملٌ أو اعترافٌ وقد قرأتُها الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ . . . الحديثُ رَجَمَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ورَجَمْنَا بعدَهُ)[2] .

٥- (لا يحِلُّ دمُ امرئٍ مسلمٍ يشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ إلَّا بإحدى ثلاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّاني والنَّفسُ بالنَّفسِ والتَّارِكُ لدِينِه المفارقُ الجماعةَ)[3] .

٦- (لا يَحِلُّ دَمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ . . فذكَر منهم : الثيِّبَ الزانيَ)[4] .

٧-(لا يَحِلُّ دمُ امرئٍ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ إلا بإِحدَى ثلاثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي والنَّفسُ بالنَّفسِ والتاركُ لدينِه المفارقُ للجماعةِ)[5].

٨- (لا يحِلُّ دمُ رجلٍ مسلمٍ ، يشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ ، وأنِّي رسولُ اللهِ ، إلَّا بإحدَى ثلاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّاني ، والنَّفسُ بالنَّفسِ ، والتَّارِكُ لدينِه المفارقُ للجماعةِ)[6].

٩- (لا يَحِلُّ دمُ امرىءٍ مسلِمٍ يشهَدُ أن لا إلَه إلاَّ اللَّهُ ، وأنِّي رسولُ اللَّهِ ، إلَّا بإحدى ثلاثٍ : الثَّيِّبِ الزَّاني ، والنَّفسِ بالنَّفسِ ، والتَّارِكِ لدينِه المفارقِ للجماعةِ)[7].

١٠- (لا يَحِلُّ دمُ امريءٍ مسلمٍ يشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأني رسولُ اللهِ إلا بإحدى ثلاثٍ : الثَّيِّبُ الزاني والنفسُ بالنفسِ والتاركُ لدينِه المفارقُ الجماعةَ)[8].

١١- (لا يَحِلُّ دَمُ امريءٍ مسْلِمٍ يشهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنِّ رسولُ اللهِ إلَّا بإحدَى ثلاثٍ : الثيبُ الزانِي والنفسُ بالنفْسِ، والتارِكُ لدينِهِ المفارِقُ للجماعَةِ)[9].

---

(١) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٢٣ ، ص ٩٢ .
(٢)الألباني ، السلسلة الصحيحة ، ج٦ ، ص ٩٧٣ .
(٣) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٤٤٠٨ .
(٤) البيهقي ، السنن الصغير ، ج٣ ، ص ٢٩٣ .
(٥) أحمد شاكر ، مسند أحمد ، ج٦ ، ص ٦٤ .
(٦)الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٤٣٥٢ .
(٧) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ١٤٠٢ .
(٨)الألباني ، تخريج كتاب السنة ، رقم الحديث ٨٩٣ .
(٩) الألباني ، تخريج كتاب السنة ، رقم الحديث ٦٠ .

١٢- (كانَ عُتْبَةُ عَهِدَ إلى أخِيهِ سَعْدٍ: أنَّ ابْنَ ولِيدَةِ زَمْعَةَ مِنِّي، فاقْبِضْهُ إلَيْكَ، فَلَمَّا كانَ عامَ الفَتْحِ أخَذَهُ سَعْدٌ، فقالَ: ابنُ أخِي عَهِدَ إلَيَّ فِيهِ، فَقامَ عبدُ بنُ زَمْعَةَ، فقالَ: أخِي وابنُ ولِيدَةِ أبِي، وُلِدَ علَى فِراشِهِ، فَتَساوَقا إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالَ سَعْدٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، ابنُ أخِي، قدْ كانَ عَهِدَ إلَيَّ فِيهِ، فقالَ عبدُ بنُ زَمْعَةَ: أخِي وابنُ ولِيدَةِ أبِي، وُلِدَ علَى فِراشِهِ، فقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هو لكَ يا عبدُ بنَ زَمْعَةَ، الوَلَدُ لِلْفِراشِ ولِلْعاهِرِ الحَجَرُ ثُمَّ قالَ لِسَوْدَةَ بنْتِ زَمْعَةَ: احْتَجِبِي منه لِما رَأَى مِن شَبَهِهِ بعُتْبَةَ، فَما رَآها حتَّى لَقِيَ اللَّهَ)[١]، أي: المولودَ يُنسَبُ لصاحبِ الفراشِ وهو أبوه، "وللعاهِرِ الحجَرُ"، أي: وللزَّاني الرَّجمُ بالحجَرِ.

١٣- (مُرَّ علَى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا، فَدَعَاهُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي في كِتَابِكُمْ؟ قالوا: نَعَمْ، فَدَعَا رَجُلًا مِن عُلَمَائِهِمْ، فَقالَ: أَنْشُدُكَ باللَّهِ الذي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ علَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي في كِتَابِكُمْ قالَ: لَا، وَلَوْلَا أنَّكَ نَشَدْتَنِي بهذا لَمْ أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ في أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وإذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عليه الحَدَّ، قُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ علَى شيءٍ نُقِيمُهُ علَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ، وَالْجَلْدَ مَكانَ الرَّجْمِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَوَّلُ مَن أَحْيَا أَمْرَكَ إذْ أَمَاتُوهُ، فأمَرَ به فَرُجِمَ، فأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفْرِ) إلى قَوْلِهِ (إنْ أُوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ) يقولُ: ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فإنْ أَمَرَكُمْ بالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وإنْ أَفْتَاكُمْ بالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) ، (وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ، (وَمَن لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ) في الكُفَّارِ كُلُّهَا. وفي روايةٍ: حَدَّثَنَا الأعْمَشُ بهذا الإسْنَادِ نَحْوَهُ، إلى قَوْلِهِ: فأمَرَ به النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَرُجِمَ، وَلَمْ يَذْكُرْ ما بَعْدَهُ مِن نُزُولِ الآيَةِ.)[٢].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٧٤٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٤٥٧ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٧٠٠ .

قال ابن قدامة في فصل وجوب الرجم على الزاني المحصن ، رجلاً كان أو امرأة : (وهذا قول عامة أهل العلم من الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من علماء الأمصار في جميع الأعصار، ولا نعلم فيه مخالفا إلا الخوارج (، وقال : (ثبت الرجم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله في أخبار تشبه المتواتر ، وأجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1]، [2] .

ولا يجوز للمسلم أن يتجرأ على أحكام الشرع الثابتة بالكتاب أو السنَّة ، والواجب عليه التسليم لما قضى الله ورسوله ولا يعارض ذلك بهوى يسميه اجتهاداً ولا برأي يسميه مناقشة ، وقد قال الله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٦٥))[3] .

وحد الرجم للزاني للمحصن ثابت بالكتاب والسنَّة والإجماع ، ولا التفات لرأي الخوارج والمعتزلة قديما في معارضته ولا التفات لأتباعهم حديثاً ، فلسنا نأخذ ديننا من أهل البدع والجهل والضلال والتمييع ، وليس ديننا عرضة للنيل منه بما يسمَّى رأياً أو اجتهاداً أو مناقشة أو تصويتاً ، وأما آية سورة النور والتي ذكر الله تعالى فيها حد الزاني بأنه مائة جلدة : فإن المقصود به الزاني غير المحصن من الرجال والنساء ، وليس فيها تعرض للزاني المحصن بذكر أو إشارة ، ومما يدل على ذلك : تنصيف حد الجلد في حق الأمَة المتزوجة إذا زنت ، والرجم لا ينصف ، وقد قال تعالى في حدِّها : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ... (٢٥))[4]، فقوله تعالى (فإذا أُحصِنَّ) أي : تزوَّجن (فعليهنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ) أي : الحرائر ، والجلد هو الذي يقبل التنصيف ، فالحد مائة جلدة ونصفها خمسون ، وأمَّا الرجم فإنَّه لا يتنصف ؛ لأنَّه موت .

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ٣٩ .
(٢) بحث في :حدّ الرجم للزاني المحصن ونبوءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع وترتيب أ.د. حسين يوسف العمري قسم الفيزياء / جامعة مؤتة / الأردن ، و د. سائد ضمور جمعية الحديث الشريف جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسّنة).
(٣) سورة النساء .

هذا هو ظاهر الآية ، وأنها في الزاني غير المحصن ، وأما حكم الزاني المحصن فإن حكمه الرجم بالحجارة حتى الموت ، وقد ذُكر في آية قرآنية نزلت وتليت وعمل بها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أُحْصِنَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِذَا قَامَتْ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوْ الِاعْتِرَافُ)[1].

وكلا الحكمين ناسخ لحكم سابق للزناة محصنين وغير محصنين وهذا الحكم هو الحبس في البيوت ، فنسخ حكم حبس الزاني غير المحصن بآية النور بالجلد ، ونسخ حكم الزاني المحصن بالآية التي جاءت في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد جاء في السنَّة النبوية ما يؤكد هذين الحكمين والتفريق بين الزاني المحصن وغير المحصن ، فقد جاءت الإشارة إليه في آية قرآنية أنه يحبس في البيت حتى يجعل الله له سبيلاً ، قال تعالى : (وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً(١٥))[2] ، وقد جاء هذا السبيل مبيَّناً في حديث صحيح وهو الرجم بالحجارة للمحصن وأكدته الآية القرآنية في كلام عمر والجلد مائة لغير المحصن ، وأكدته آية النور ، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ)[3].

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٤٢ .
(٢) سورة النساء .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٦٩٠ .

وعليه : فإما أن تُجعل آية النور خاصة في الزاني غير المحصن ، أو يقال إنها عامة لكنها منسوخة في حق المحصن وحده ، إما بالحديث الصحيح في النص على رجم الزاني المحصن ، أو بالآية التي ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة نزولها وتلاوتها وعملهم بها ،قال ابن قدامة رحمه الله: (وقولهم إن هذا نسخ ليس بصحيح ، وإنما هو تخصيص ، ثم لو كان نسخاً لكان نسخاً بالآية التي ذكرها عمر رضي الله عنه)[1] .

وأما قول الصحابي عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه لما سئل " هَلْ رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ " فقَالَ : نَعَمْ ، ثم سئل : بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ أَمْ قَبْلَهَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي : فليس فيه حجة لمن قال إن الرجم لم يقع بعد آية النور ، وإنها نص في عموم الزناة ! لأن الصحابي الجليل ابن أبي أوفى قال إنه لا يدري ، وهو لم ينف ولم يثبت شيئاً ، وقد ثبت أن الرجم وقع بعد نزول سورة النور ؛ فآية النور نزلت بعد حادثة الإفك ، وأبو هريرة رضي الله عنه كان أسلم بعدها ، وقد حضر إقامة حدِّ الرجم على زانٍ محصن ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَنَادَاهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي زَنَيْتُ ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى رَدَّدَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ دَعَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَبِكَ جُنُونٌ ؟) قَالَ : لَا قَالَ : (فَهَلْ أَحْصَنْتَ) قَالَ : نَعَمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ)[2] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وقد قام الدليل على أن الرجم وقع بعد سورة النور ؛ لأن نزولها كان في قصة الإفك ، واختُلف هل كان سنة أربع أو خمس أو ست ، والرجم كان بعد ذلك ، فقد حضره أبو هريرة ، وإنما أسلم سنة سبع ، وابن عباس إنما جاء مع أمه إلى المدينة سنة تسع)[3] .

وقال رحمه الله : (قوله (لا أدري) فيه : أن الصحابي الجليل قد تخفى عليه بعض الأمور

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص ١١٧ .
(٢) الإمام البخاري ، رقم الحديث ٦٤٣٠ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٦٩١ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ١٢٠ .

الواضحة ، وأن الجواب من الفاضل بـ (لا أدري) ، لا عيب عليه فيه ، بل يدل على تحريه وتثبته فيمدح به)[1].

قول عمر رضي الله عنه في الآية التي نزلت في الرجم ليس له تعلق بمسألة " حجية قول الصحابي " ؛ لأن المنقول عن عمر رضي الله عنه ليس رأياً له في مسألة ، بل هو رواية لنص من نصوص الوحي ، وكان ذلك بمشهد من جمعٍ من الصحابة رضي الله عنهم ، ولا فرق في هذا بين ما نقله هنا وما نقله مثلاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا الأَعْمال بِالنِّيَّات)[2] .

س٥٧: لماذا عطل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حد السرقة عام الرمادة ؟

ج ٥٧: الواجب على المسلمين أن يقيموا فرائض الله في حدوده ، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو يخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر رجم الزاني المحصن قال : (وإني أخاف إن طال بالناس زمان أن يقولوا : لا نجد الرجم في كتاب الله ؛ فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل) فبين أن هذا فريضة ، ولا شك أنه فريضة ، لأن الله أمر به فقال : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا(٣٨))[3] ، وقال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ(٢))[4] ، وقال : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا(٣٣))[5] وقال صلى الله عليه وسلم : (إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .

ولا يجوز أن تعطل هذه الحدود بأي حال من الأحوال ، وما روي عن عمر رضي الله

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٢ ، ص ١٦٧ .
(٢) الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٣١ / ٨ / ٢٠١٢ م.
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة النور .
(٥) سورة المائدة .

عنه أنه أسقط الحد عام المجاعة فإن هذا يحتاج إلى شيئين :

الأمر الأول : صحة النقل ، فإننا نطالب من ادعى ذلك بصحة النقل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

الأمر الثاني : أن عمر رضي الله عنه إنما رفع الحد من أجل الشبهة القائمة ، فإن الناس في مجاعة ، والإنسان قد يأخذ الشيء للضرورة إليه لا لتشبعٍ به ، ومعلوم أن المضطر إلى الطعام يجب على المسلمين إطعامه ؛ فخشي عمر رضي الله عنه أن يكون هذا السارق مضطراً إلى الطعام ومُنع منه ، فتحين الفرصة فسرق ، هذا هو اللائق بعمر رضي الله عنه إن صح الأثر المنسوب إليه في أنه أسقط أو رفع الحد : حد السارق عام المجاعة .

أما بعض الحكام اليوم فلا يوثق بدينهم ، يعني أكثرهم لا يوثق بدينه ، ولا يوثق بنصحه للأمة ، ولو فتح الباب لقال هؤلاء الحكام – وأعني بذلك بعضهم – لقالوا : إقامة الحد في هذا العصر لا يناسب ؛ لأن أعداءنا من الكفار يتهموننا بأننا همج ، وأننا وحوش ، وأننا نخالف ما يجب من مراعاة حقوق الإنسان ؛ ثم يرفع الحدود كلياً كما هو الواقع الآن في أكثر بلاد المسلمين مع الأسف ؛ حيث عطلت الحدود من أجل مراعاة أعداء الله .

ولهذا لما عطلت الحدود كثرت الجرائم وصار الناس حتى الحكام الذين تابعوا الكفار في هذا الأمر في حيرة ماذا يفعلون في هذه الجرائم[(١)]، [(٢)].

جاء في (جلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) ما يلي : استدلالهم بما فعله، عمر رضي الله عنه عام الرمادة حين عطل حد السرقة على حد زعمهم–حيث اعتبروا عدم قطع عمر لغلمان حاطب بن أبي بلتعة لما سرقوا: تصرفا في النص وتعطيلا للحد: فهو استدلال مرفوض. لأن ما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما هو إلا: محض القياس، ومقتضى قواعد الشريعة الغراء– التي جعلت لكل حكم علة وشروطا يدور الحكم معها وجودا وعدماً.

---

(١) الشيخ محمد بن عثيمين ، فتاوى علماء البلد الحرام" ص ٤٨٣، ٤٨٤ .

(٢) الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١٣ / ٧ / ٢٠٠٨ م.

فإن آية السرقة: ليست نصا بالمعنى المقابل للظاهر، بل هي عام قابل للتخصيص[1] ، فهي لا تستعمل وحدها بالدلالة على حكم السرقة بالتفصيل قبل البحث عن المخصصات. وإذا فالتمسك بظاهر الآية وحدها دون النظر إلى ما يتعلق بها من مخصصات في السنة الصحيحة، إنما هو تنكب عن جملة الدليل. وقد خصصت السنة الصحيحة كثيرا من آخذي مال الغير فلم تعتبرهم سراقا بالمعنى الذي تقطع به يد السارق. كآخذ الشيء التافه. وآخذ الثمر والكثر، والآخذ من غير حرز. وآخذ ما دون النصاب. وغير ذلك.

ومن هذا القبيل أيضا من يأخذ مال الغير بدون حق، للضرورة [1]، وكأن تكون السنة سنة مجاعة وشدة بحيث يغلب على الناس الحاجة الملحة لحفظ الحياة.

فحينئذ يكون المظنون الغالب: أن لا يسلم سارق من ضرورة تدعوه إلى الحصول على ما يسد به رمقه. مما يجعل المالكين بحال يجب معها البذل والعطاء بالثمن، أو بدونه على خلاف في ذلك. والناس أرجح[3] .

فإذا سرق السارق في هذه الحالة خرج عن مدلول قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ وإلى هذا أشار أمير المؤمنين حين قال لحاطب بن أبي بلتعة: (إنكم تستعملوهم وتجيعوهم.. حتى أن أحدهم لو أكل ما حرم الله عليه حل له)فهل من قواعد الشريعة الإسلامية: أن تقطع أيديهم بعد ذاك؟ والضرورات تبيح المحظورات. ثم إن شبهة الضرورة في هذا المكان أقوى من كثير من الشبه التي جعلها الفقهاء سببا لدرء الحد. مثل كون المال المسروق مما يتسارع إليه الفساد، أو ادعاء السارق ملكية الشيء المسروق دون حجة قائمة، وغير ذلك من الشبه الضعيفة التي لا تعد شيئاً إلى جانب هذه الشبهة القوية التي ألجأت الإمام العادل إلى درء القطع عن غلمان حاطب ابن أبي بلتعة، صحابي شهد الوقائع كلها مع رسول الله، وكان من اشد الرجال توفي بالمدينة سنة ٣٠هـ[4].

---

(١)ابن العربي ، أحكام القرآن ، ج٢ ، ص ٦٠٢ ، وانظر تفسير الرزاي ٤١٥/٣.
(٢) تبصرة الحكام ٣٥٣/٢ – الروض النضير ٢٣٤/٤ .
(٣) الرازي ، الحاوي ، ج١٨ ، ص ١٠٨ .
(٤)ابن قيم الجوزية ، الإعلام ، ج٢ ، ص ١٦٣ .

لولا ذلك لقطعهم ، كما صرح هو بذلك حين قال: (لولا أعلم أنكم تجيعوهم لقطعت أيديهم). لأن الجائع مأخوذ مأذون له في مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ويحفظ عليه الحياة.

ثم إنه على فرض التسليم: بأن ما فعله عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كان تغيير للحكم، وإسقاطا للعقوبة. فليس فيه دليل على جواز ذلك. لأنه ليس فيمن دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة. وهذا أصل يقره عمر بن الخطاب نفسه فيما رواه ابن وهب عن يونس ابن يزيد عن ابن شهاب، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: وهو على المنبر: "يا أيها الناس، إن الرأي: إنما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا، إن الله كان يريه. وإنما هو منا الظن والتكلف[1].

ومن ذلك ما أخرجه البيهقي، من طريق الثوري بالسند إلى مسروق، قال: كتب كاتب لعمر بن الخطاب، فذكر في آخر كتابه: هذا ما أرى الله، أمير المؤمنين عمر. فانتهزه وقال: لا. بل أكتب: هذا ما رأى عمر. فإن كان صوابا: فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر)[2]. ويقول رضي الله عنه: "السنة ما سنه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة[3].

أما قولهم: (إن التشريع الذي تلائم أحكامه أمة ويتفق ومصالحها قد لا تلائم أحكامه أمة أخرى ويعارض مصالحها)فهذا ما نستعيذ بالله من شر خطراته على الذهن ، فإن هذه السمة، إن انطبقت على أحكام الشرائع الوضعية التي جبلت بضعف البشر، وقصر النظر، وضيق المدارك، فإنها أبعد ما تكون عن شريعة الله التي أحكم نسجها، وشهد بكمالها فقال تعالى في سورة المائدة : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وأقرها لكل زمان ومكان فقال في سورة سبأ : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ) وإن من أبسط الفروق بين الشرائع السماوية والوضعية

---

(١)ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٥٤ .
(٢) ابن حجر ، التلخيص الحبير ، ج٢ ، ص ٤٠٦ .
(٣) ابن قيم الجوزية ، إعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٥٤ .

هو : (أن التشريع السماوي من الله سبحانه وتعالى، وهو محيط بكل ما دق وخفي من شئون عباده. يكون مستوفيا لما يعنيهم من وجوه المصالح التي يعلمها الله لهم حتى ينتهي الأمد الذي قدر لهذا التشريع بخلاف النظام الوضعي. فإنه من عمل الواضعين من ذوي السلطة في الجماعة. وليس من شك في أن الواضع يتأثر في تكوينه وفي عمله بالعوامل الاجتماعية، كالعرف والعادة والبيئة. وأن تلك العوامل عرضة للتغيير. فلا يكون القانون الذي وضعه الواضع في هذه الحالة ملائما لحالة أخرى)[1] .

والله سبحانه وتعالى حينما حكم بالقطع على السارق: لم يكن ليخفى على علمه، ما سوف يستجد من اختلاف الظروف والأحوال، ولو شاء لغير عقوبة القطع بعقوبة أخرى.

أما وقد تم التشريع الإسلامي، وأكمل الله دينه وعقوبة السرقة على حالها فليس لا حد: أن يدعي أنه يعلم من وجوه المصلحة ما غاب عن علم الله تنزه ذكره ومن شقي بادعاء ذلك فليسمع قوله تعالى : (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٥٠))[2] .

س٥٨ : لماذا حث الاسلام على بر الصاحب بالجنب ، وماذا يعني بالجنب ؟

ج٥٨ : ورد في القرآن الكريم كلمتا الصاحب بالجنب والجار الجنب، والكثير منا لا يعرف المقصود منهما، وجاء ذكرهما في قول الله تعالى (وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا(٣٦))[4]، ومعنى الجار الجنب هو الذي لا قرابة بينك وبينه، ويسكن بالقرب منك، وله عليك حقوق أقرها الإسلام وحرم الاعتراض له أو إيذاءه، أما الصاحب بِالجَنْبِ، فيقول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنهُ : الصَّاحِبُ بِالجَنْبِ: الزَّوْجَةُ، ورأى آخرون أن المرَاد بِهِ الصَّاحِبُ فِي السَّفَر، وَقِيلَ: رَفِيقُكَ الذي

---

(١) السايس ، تاريخ الفقه الإسلامي للسايس ص٩.
(٢) سورة القصص .
(٣) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ج٦ ، ص ٤٩٧ – ٤٩٩.
(٤)سورة النساء .

يُرَافِقُكَ فِي سَفَرٍ أَو حَضَرٍ.

وردَ عنْ عليٍّ وابنِ مسعودٍ رضي الله عنهما وعنْ عِدّةٍ منْ التابعينَ، أنَّ الصَّاحِبَ بِالْجَنْبِ هنَا هوَ الزوجةُ، ولا شكَّ أنَّه تفسيرٌ ظاهرٌ؛ لأنَّه قالَ قبلَ ذلكَ (وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) فمَا دَامَ عدّ الجارَ القريبَ وعدَّ اليتيمَ والمسكينَ والجارَ الجُنبَ، فمِنَ المعقولِ أنْ يَعُدَّ الصاحبَ بالْجَنبِ أي الْمُجاوِر، وهلْ هناكَ أقربُ منْ الزوجةِ؟

وهذهِ الآيةُ فيها عِدَّةُ دلالاتٍ، أُولاها أنَّ فيها أمرًا بالإحسانِ (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى) أي أَحْسِنوا إليهمْ، بلْ قرنت الآيةُ الإحسانَ لهؤلاءِ جميعًا ابتداءً منَ الوالدَينِ وانتهاءً بالصاحبِ بالجنبِ، بعبادة الله عز وجل (وَاعْبُدُوا اللهَّ) وقرنته أيضًا بعدمِ الشركِ (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) مما يدلُّ علَى المكانةِ العظيمةِ للإحسانِ إلى هؤلاءِ.

ثمَّ إنَّ في قوله: (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) إشارةً وإيماءً؛ أمَّا الإشارةُ فهي أنَّ الأصلَ في الزوجةِ أو الزوجِ أنْ يكونَ أحدهما بجانبِ الآخَرِ، وهلْ هناكَ أقربُ منْ الزوجةِ للزوجِ؟ وهلْ هناكَ أقربُ مِنَ الزوجِ للزوجةِ؟ فليسَ هناكَ إنسانٌ يكونُ قريبًا منْ أحدٍ وبخاصةٍ في حالةِ نومه وغَفْلَتِه ورفعِ القلمِ عنْهُ فِي النَّومِ مِنَ الزوجةِ فَهِيَ أولى الناس باسم الصاحب بالجنْبِ، وَكَذلكَ الزوجُ فَهُوَ صاحبٌ بالجنْبِ.

وأمَّا الإيماءُ، فهو التنبيه على أن بعض الناس خالف الذي ينبغي أن يكون في الصاحب بالجنب! فبعضهم ينحي زوجه! ويبعدها ويقصيها! لماذا يبتعدُ البعضُ عنْ زوجِهِ، ولَماذا تبتعدُ المرأةُ عنْ زوجِها، ولِمَاذَا الهَجْرُ بدونِ سببٍ شرعيٍّ معتبرٍ؟ ولماذا تجدُ الإنسانَ كثيرًا ما يخرجُ منْ بيتِه بدونِ سببٍ فيُصَاحِبُ أصدقاءَهُ، ويجلسُ معَهمْ أكثرَ ممَّا يجلسُ معَ أهلِه؟

إنَّ منْ أسبابِ استقرارِ الحياةِ الإحسانَ إلَى الصَّاحبِ بالجنبِ، ومنَ الإحسانِ المكوثُ معَه ما لم يخل ذلك بأمر شرعي، أوْ يُؤَدِّي إلَى تقصيرٍ فِي حقٍّ شرعيٍّ أوِ اجتماعيٍّ للأهلِ والأقاربِ وغيرِهم، واللهُ أعلمُ[1].

---

(١) موقع المسلم ١١ صفر ١٤٤١أ. د . ناصر بن سليمان العمر.

س ٥٩ : لماذا يغير الإمام موضعه للتنفل بعد المكتوبة بينما لا يغيرها المأموم . ؟.

ج٥٩ : استحب الفقهاء للمصلى إذا انتهى من صلاة الفريضة وأراد أن يصلى النافلة أن يغير مكانه أو يفصل بين الفريضة والنافلة بكلام ، وعلة ذلك : تكثيرا لمواضع سجوده ، أو تمييزا بين الفريضة والنافلة .

فعن عُمَرُ بْنُ عَطَاءِ بْنِ أَبِي الْخُوَارِ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ، أَرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابْنِ أُخْتِ نَمِرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الْجُمُعَةَ فِي الْمَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: (لَا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ، إِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ، فَلَا تَصِلْهَا بِصَلَاةٍ حَتَّى تَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا بِذَلِكَ، أَنْ لَا تُوصَلَ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ)[١] ، قال الإمام النووي معلقا على هذا الحديث : (فيه دليل لما قاله أصحابنا أن النافلة الراتبة وغيرها يستحب أن يتحول لها عن موضع الفريضة إلى موضع آخر وأفضله التحول إلى بيته وإلا فموضع آخر من المسجد أو غيره ليكثر مواضع سجوده ولتنفصل صورة النافلة عن صورة الفريضة وقوله حتى نتكلم دليل على أن الفصل بينهما يحصل بالكلام أيضا ولكن بالانتقال أفضل لما ذكرناه والله أعلم)[٢] .

ومعنى التحول : أن يغير المكان الذى صلى فيه الفريضة إما إلى بيته وهو أفضل ، وإما إلى مكان أخر في المسجد ، وعليه : فيستحب للمصلى إذا أراد أن يصلى النافلة بعد الفريضة أن يغير مكانه إلى مكان آخر ، وإذا صلاها في بيته أفضل ، أو يفصل بين الفريضة والنافلة بكلام .

يقول ابن باز رحمه الله : (لم يثبت في تغيير المكان حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما نعلم، وإنما ورد في ذلك بعض الأحاديث الضعيفة، وقد ذكر بعض أهل العلم أن الحكمة في ذلك على القول بشرعيته هي شهادة البقاع التي يصلي فيها، والله سبحانه أعلم وهو الحكيم العليم[٣].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج٢ ، ص ٦٠١ .
(٢) المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٧٠ .
(٣) نشر في كتاب الدعوة، الجزء الثاني ص١٢٢. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٢٥/ ١٦٦.

جاء في موقع الاسلام سؤال وجواب : (يستحب أن تفصل بين الفريضة والنافلة بكلام أو انتقال إلى مكان آخر ، وأفضل الفصل: الانتقال لصلاتها في البيت ، لأن أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، كما صح بذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ودليل الفصل المذكور ما رواه مسلم في صحيحه عن معاوية رضي الله عنه قال : (إِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ فَلَا تَصِلْهَا بِصَلَاةٍ حَتَّى تَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا بِذَلِكَ ، أَنْ لَا تُوصَلَ صَلَاةٌ بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ)[1] .

قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم : (فيه دليل لما قاله أصحابنا – يعني فقهاء الشافعية – أن النافلة الراتبة وغيرها يستحب أن يتحول لها عن موضع الفريضة إلى موضع آخر، وأفضله التحول إلى البيت، وإلا فموضع آخر من المسجد أو غيره ليكثر مواضع سجوده، ولتنفصل صورة النافلة عن صورة الفريضة. وقوله (حتى نتكلم) دليل على أن الفصل بينهما يحصل بالكلام أيضا ، ولكن بالانتقال أفضل لما ذكرناه. والله أعلم) .

وروى أبو داود وابن ماجه . واللفظ له ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ أَوْ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ، يَعْنِي : السُّبْحَةَ) أي : صلاة النافلة بعد الفريضة[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: رحمه الله في الفتاوى الكبرى :والسنة أن يفصل بين الفرض والنفل في الجمعة وغيرها، كما ثبت عنه في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم نهى أن توصل صلاة بصلاة حتى يفصل بينهما بقيام أو كلام، فلا يفعل ما يفعله كثير من الناس يصل السلام بركعتي السنة، فإن هذا ركوب لنهي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا من الحكمة التمييز بين الفرض وغير الفرض، كما يميز بين العبادة وغير العبادة ، ولهذا استحب تعجيل الفطور، وتأخير السحور، والأكل يوم الفطر قبل الصلاة، ونهي عن استقبال رمضان بيوم أو يومين، فهذا كله للفصل بين المأمور به من الصيام وغير المأمور به، والفصل

(١) لإمام مسلم ، صحيح مسلم ،رقم الحديث ١٤٦٣ .
(٢) أبو داود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث (٨٥٤) وابن ماجه (١٤١٧)

بين العبادة وغيرها، وهكذا تتمييز الجمعة التي أوجبها الله من غيرها)[1] ، فعلة الفصل بين الفريضة والنافلة : تمييز إحداهما عن الأخرى، وذكر بعض العلماء علة أخرى لذلك وهي : تكثير مواضع السجود لأجل أن تشهد له يوم القيامة، كما سبق في كلام النووي رحمه الله .

وقال الرملي في نهاية المحتاج: (ويسن أن ينتقل للنفل أو الفرض من موضع فرضه أو نفله إلى غيره تكثيراً لمواضع السجود ، فإنها تشهد له، ولما فيه من إحياء البقاع بالعبادة ، فإن لم ينتقل إلى موضع آخر فصل بكلام إنسان)[2] ،[3].

س٦٠: لماذا حرم الله تعالى القول عليه بدون علم ؟.

ج٦٠: القول على الله بلا علم، كبيرة من كبائر الذنوب، ومصيبة من المصائب، وهي من أعظم الكبائر والجرائم، قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ(٣٣))[4] ؛ فتدرج بالتحريم من الأدنى إلى الأعلى، فقال سبحانه: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ، ثم قال عز وجل: (وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) ، ثم قال تعالى: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) فجعل القول عليه بغير علم، أعظم من الشرك، ومن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن البغي؛ لأن كل هذه الشرور، أصلها من القول على الله بغير علم، قال تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(١٨))[5] .

وقد حذرنا الله من القول عليه بلا علم، وجعله ذنبًا عظيمًا، قال تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص ٣٥٩
(٢) الرملي ، نهاية المحتاج ، ج١ ، ص ٥٥٢ .
(٣) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١١ /٨ / ٢٠٠٨م.
(٤) سورة الأعراف .
(٥) سورة يونس .

تَفْتَرُونَ(٥٩))[١] وقال سبحانه: (وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ(١١٦))[٢] ، فالقائل على الله بلا علم كاذب على الله، وعلى رسوله، في التحليل والتحريم، ويجب عليه أن يتوقف، ولا يفتي إلا بما يعلم دليله، من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو إن خفي عليه الأمر، فليكله إلى عالمه، وليقل: لا أعلم.

وسُئل الإمام مالك بن أنس، عن أربعين مسألة، فأجاب السائل عن أربع مسائل، وقال في البقية، لا أعلم، فقال السائل: جئتك من بعيد أسألك، وأنت عالم المدينة، وتقول لا أعلم؟! فقال مالك: اخرج وناد في الناس: إن مالكًا لا يعلم.

ولقد عدَّ المسلمون هذا الموقف مفخرة لمالك، ومنقبة من مناقبه، وهكذا شأن الخائف من الله، إنما يفتي فيما يعلم، أما الذين يفتون بالجهل، ويظهرون أنفسهم أنهم علماء، ولا يخجلون أن يقولوا: لا أعلم، فهؤلاء ظالمون لأنفسهم، وظالمون لغيرهم؛ إذ أفتوا الناس بغير هدى، ويتحملون أوزارهم، فليحذو المسلم أن يقول على الله بغير علم، من دليل من كتاب أو سنة، قال تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً(٣٦))[٣] فحسب الإنسان أن يقف عند ما يعلمه، وما لم يعلم فليبتعد عنه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (إنكم لتفتون في مسائل كان عمر رضي الله عنه يجمع لها المهاجرين والأنصار" ، فهكذا يكون الورع والخوف من الله، فلا تفتي إلا بما تعلم، وما خفي عنك عِلْمُهُ، فِكِلْهُ إلى عالمه، ولا تقل على الله بجهل، وضلال)[٤].

قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين: (وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى:

---

(١) سورة يونس .
(٢) سورة النحل .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ، ركن سماحة المفتي فتاوى نور على الدرب ، كتاب العقيدة القول على الله بغير علم ، حكم القول على الله بغير علم(الصفحة رقم:٢٢٣.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٣)﴾[١] فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم. وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه؛ وقال تعالى:﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ(١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١١٧)﴾[٢] ، فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه. وقال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا، وحرم كذا، فيقول الله له: كذبت، لم أحل كذا، ولم أحرم كذا؛ فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ورود الوحي المبين بتحليله وتحريمه، أحله الله ورحمه الله لمجرد التقليد أو بالتأويل)[٣].

وقال ابن القيم كذلك في مدارج السالكين: (وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريمًا، وأعظمها إثمًا، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال. فإن المحرمات نوعان: محرم لذاته لا يباح بحال، ومحرم تحريما عارضًا في وقت دون وقت.

فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه – يعني: القول على الله بلا علم – ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة النحل .
(٣) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٣١ .

أساسها القول على الله بلا علم. ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم والعدوان؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده، بلا برهان من الله.

وأصل الشرك والكفر هو القول على الله بلا علم، فإن المشرك يزعم أن من اتخذه معبودًا من دون الله، يقربه إلى الله، ويشفع له عنده، ويقضي حاجته بواسطته، كما تكون الوسائط عند الملوك، فكل مشرك قائل على الله بلا علم، دون العكس، إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والابتداع في دين الله، فهو أعم من الشرك، والشرك فرد من أفراده.

ولهذا كان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجبًا لدخول النار، واتخاذ منزلة منها مبوء، وهو المنزل اللازم الذي لا يفارقه صاحبه؛ لأنه متضمن للقول على الله بلا علم، كصريح الكذب عليه؛ لأن ما انضاف إلى الرسول فهو مضاف إلى المرسِل، والقول على الله بلا علم صريح افتراء الكذب عليه (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا(٢١))[(١)]، فذنوب أهل البدع كلها داخلة تحت هذا الجنس فلا تتحقق التوبة منه إلا بالتوبة من البدع[(٢)].

س٦١: لماذا يخاف الإنسان من المستقبل رغم أن الله تعالى كتب له كل شيء في هذه الحياة ؟.

ج٦١: الله تعالى هو مقدِّر الأسباب ، وموجدها ، وأما البشر ، والوظائف ، والعمل : فما هي إلا أسباب ، فالله تعالى هو الرزاق ، وهو سبحانه قد قدَّر للرزق أسباباً ، ومن اختلت عقيدته : جعل الأسباب بمنزلة مسببها وموجدها ، والإسلام ليس فيه اعتماد المسلم على الأسباب مع غض الطرف عن مسببها ، وليس فيه قطع الأسباب والتخلي عنها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : (ومما ينبغي أن يعلم : ما قاله طائفة من العلماء ، قالوا : " الالتفات إلى الأسباب : شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً

(١) سورة الأنعام .
(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ج١، ص ٣٧٨-٣٧٩.

: نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية : قدح في الشرع ، وإنما التوكل ، والرجاء : معنى يتألف من موجب التوحيد ، والعقل ، والشرع ، وبيان ذلك : أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ، ورجاؤه ، والاستناد إليه ، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا ؛ لأنه ليس مستقلاًّ ، ولا بد له من شركاء ، وأضداد ، ومع هذا كله : فإن لم يسخِّره مسبِّب الأسباب : لم يسخَّر ، وهذا مما يبين أن الله رب كل شيء ، ومليكه ، وأن السموات ، والأرض ، وما بينهما ، والأفلاك ، وما حوته : لها خالق ، مدبِّر ، غيرها)[1].

وقال رحمه الله : (فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله ، لا على سببٍ من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدورة له ، وهو مأمور بها : فَعَلَها ، مع التوكل على الله ، كما يؤدي الفرائض ، وكما يجاهد العدو ، ويحمل السلاح ، ويلبس جُنَّة الحرب ، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أُمر به من الجهاد ، ومَن ترك الأسباب المأمور بها : فهو عاجز ، مفرط ، مذموم)[2].

وتأمل قوله تعالى : (أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ(٢١))[3]: تجد الأمر واضحاً بيّناً ، إن الله تعالى يخبر الكفار هنا أنه تعالى مقدر الرزق بأسبابه ، كالمطر ، والأنهار ، والعيون ، وأنه تعالى لو شاء فمنع هذه الأسباب ، فأمسك المطر أن ينزل ، والأنهار أن تجري ، والعيون أن تجف : فمن ذا الذي يستطيع منع ذلك ، ومن ذا الذي يستطيع الإتيان بهذه الأسباب للرزق ! ، تتفكر في قوله تعالى : (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(٣))[4] .

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٨ ، ص ١٦٩ .
(٢) المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٥٢٨ – ٥٢٩ .
(٣) سورة الملك .
(٤) سورة الطلاق .

فبعضهم يظن أنه لو مات والداه فقد تنقطع نفقته، والله تعالى يقول لك إن العبد لو اتقاه فجاء بالمطلوب ، وكف عن الممنوع : لرزقه من حيث لا يحتسب ! أي : ليسَّر من أسباب الرزق ما ليس في حسبانه ، وما لم يخطر له على بال ، كما أن العبد لو توكَّل على الله تعالى حق التوكل لكفاه الله تعالى همومه ، وفرَّج عنه غمومه ، وهذا هو عين علاج حالتك ، وما خلطت به بين أسباب الرزق ومسببه ، وما أصابه من قلق وهمٍّ .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا(١٣٠))[١] ، وفي الآية تنبيه على أنه ينبغي للعبد أن يعلِّق رجاءه بالله وحده ، وأن الله إذا قدَّر له سبباً من أسباب الرزق ، والراحة : أن يحمده على ذلك ، ويسأله أن يبارك فيه له ، فإن انقطع أو تعذر ذلك السبب : فلا يتشوش قلبُه ؛ فإن هذا السبب من جملة أسباب لا تُحصى ، ولا يتوقف رزق العبد على ذلك السبب المعين ، بل يفتح له سبباً غيره أحسن منه ، وأنفع ، وربما فتح له عدة أسباب ، فعليه في أحواله كلها أن يجعل فضل ربه ، والطمع في برِّه : نصب عينيه ، وقبلة قلبه ، ويكثر من الدعاء المقرون بالرجاء ؛ فإن الله يقول على لسان نبيه : (أنا عند ظن عبدي بي ، فإن ظنَّ بي خيراً فله ، وإن ظن بي شرّاً فله)[٢] ، وقال : (إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي)[٣] ، [٤] .

ثم تأمل - حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِنَّهُ سَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[٥].

لتعلم أن قضيتك أيها الإنسان إنما هي في تحقيق التوكل على الله ، وصدق الرجاء فيه ،

---

(١) سورة النساء .
(٢) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٣٣٨٦ .
(٣)الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٢٨٠٥ .
(٤) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ٨٥ .
(٥)الإمام أحمد ، المسند ، رقم الحديث ٢٥٠ . ورواه والترمذي (٢٣٤٤) ، وصححه الألباني

والتعلق به ، وليست في موت أحد ولا حياته ؛ فإن سنن الله تعالى في خلق لا تتبدل لأجل موت أحد ولا لحياته !! .

قد يكون ما بالإنسان من قلق ، وهم وغم : إنما هو بسبب معاصٍ أنت مرتكبها أيها الإنسان ، وآثام قد فعلتَها ، فانظر لنفسك وعالج ما أنت واقع فيه من مخالفة ؛ فإن الله تعالى قد يعجل بالعقوبة لمن كانت هذا حاله ، قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله :
(ومن عقوباتها أي : المعاصي والذنوب : ما يلقيه الله سبحانه من الرعب ، والخوف في قلب العاصي ، فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً ، فإن الطاعة حصنُ الله الأعظم ، الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة ، ومن خرج عنه : أحاطت به المخاوف من كل جانب ، فمن أطاع الله : انقلبت المخاوف في حقه أماناً ، ومن عصاه : انقلبت مآمنه مخاوف ، فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر ، إن حركت الريح البابَ قال : جاء الطلب ، وإن سمع وقْع قدمٍ : خاف أن يكون نذيراً بالعطب ، يحسب كل صيحة عليه ، وكل مكروه قاصد إليه ، فمن خاف الله : آمنه من كل شيء ، ومن لم يخف الله : أخافه من كل شيء)[(١)] ، [(٢)].

وتختلف أسباب الخوف من المستقبل من شخص لآخر، ويعتقد معظم الخبراء أن حدثًا مرهقًا للغاية أو مؤلمًا، أو نتيجة الشعور بالقلق الشديد أو الاكتئاب، نتيجة فقدان العمل، أو وفاة أحد الأحباء أو الطلاق جميع هذه الأسباب يمكن أن تؤدى إلى ظهور كرونوفوبيا.

ويمكن أن تصاب النساء أيضاً بكرونوفوبيا، نتيجة إنقطاع الطمث، أو نتيجة قصور الغدة الكظرية وعدم التوازن الهرموني وإجراء الجراحة وبعض الحالات الطبية مثل الغدة الدرقية وأمراض القلب وغيرها، ومن المعروف أيضا أن السجناء الذين يخدمون لفترات طويلة يعانون من كرونوفوبيا لأن هذا يفقدهم الكثير الشعور بالوقت والواقع.

---

(١) ابن القيم ، الجواب الكافي ، ص ٥٠ .
(٢) موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٨ م.

وفي بعض الأحيان، قد يكون كرونوفوبيا أيضا وراثي .

أعراض الخوف من المستقبل :

تختلف أعراض الخوف من المستقبل من شخص لآخر، وهى :

- الشعور بانفصال تام عن الواقع.
- الشعور بنوبة فزع عند التفكير بمرور الوقت، وأعراضها الشعور بضيق في التنفس، وخفقان القلب، والدوخة، والإغماء، والتعرق بشكل مفرط.
- الشعور بالضياع وعدم معرفة ما يجب فعله والشعور بالرغبة في البكاء.
- التفكير في الموت .
- عدم القدرة على التعبير عن نفسك بوضوح[١] .

(يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللهَّ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ(١١)﴾[٢] ، فالعلاج هو في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، **وهذا العلاج يكون فيما يلي:**

١- تقوية إيمان الإنسان بربه: إن الإيمان حصن منيع يحجز طوفان هذه المشكلة من العبور إلى نفس الإنسان، فلا تستطيع بواعث القلق أن تخترقه، وإذا حدثت شقوق في هذا الحصن أمكن السيطرة عليها وعلاجها. لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني عند الإنسان، مع وجود الفطرة السليمة، فان إيقاظ هذا الوازع ليس صعباً.

٢- الصلاة: وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فما من مسلم يقوم فيصلي بخشوع وتدبر وحضور قلب والتجاء لله تعالى إلا ذهبت همومه بغير رجعة، فالصلاة هي الصلة بين العبد وربه وهي راحة وطمأنينة القلوب.

٣- قراءة القرآن: من أنجح العلاجات للقلق قراءة القرآن الكريم، فهو يشرح الصدر ويذهب الهم والغم، ولا بد مع القراءة من التدبر في الآيات.

---

(١) تورا طارق اليوم السابع الجمعة، ٠٥ أكتوبر ٢٠١٨.
(٢) سورة الرعد .

٤- الذكر والاستغفار: وهو أنيس المستوحشين الخائفين وبه يُطرد الشيطان وتتنزل الرحمات.

٥- الدعاء: وهو سلاح المؤمن الذي يتعبد الله به، فمن كان له عند الله حاجة فليلجأ إلى مجيب دعوة المضطر وكاشف السوء، الذي تكفل بإجابة الداعي، وليتخير ساعات الإجابة كالثلث الأخير من الليل، أو ما بين الأذان والإقامة.

٦- قطع الخوف من المستقبل: من الضروري أن يوطن المسلم نفسه على القناعة بما آتاه الله تعالى ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)وهذا في النظر إلى الصحة وسعة الرزق ونحوهما، أما التسابق إلى الأعمال الصالحة فلا يدخل في عموم هذا الحديث لأن الأفضل عكس ذلك.

٧- الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل: بالإحسان يدفع الله عن البار والفاجر الغم والهم في الدنيا، ولكن للمؤمن منه أكمل الحظ والنصيب في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى :(لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤))[١].

٨- الاشتغال بعمل من الأعمال أو بعلم من العلوم: إن إشغال الناس بالمفيد يحجز عنها غير المفيد.

٩- العلاج الطبي: قد يكون هناك حلاً عن طريق الأدوية كالمهدئات، أو التنويم المغناطيسي والتحليل النفسي، بحسب ما تحتاجه كل حالة.

١٠- العناية بالتغذية الصحية السليمة: يجب على الإنسان الاهتمام بصحته وإلزام النفس بممارسة العادات الترفيهية المباحة من رياضة وهوايات، وغيرها لطرد ما يشعر به الإنسان من وساوس الشيطان(مقال بعنوان: القلق هل هو سلوك سوي[٢]؟.

---

(١) سورة النساء .
(٢) إبراهيم عبد الله السماري، بتصرف، جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٢٠ .

س ٦٢: لماذا لا يكون الاعتكاف سوى في شهر رمضان المبارك ؟.

ج٦٢: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى الاعتكاف يكون في رمضان وفي غيره ، وإنما شاع بين الناس أن الاعتكاف لا يكون إلا في رمضان فقط ، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله . (الاعتكاف سنة، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى للتفرغ للعبادة، في الليل أو النهار، ساعة أو يومًا، أو ليلة أو أيامًا أو ليالي، سنة كما قال الله جل وعلا: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ(١٨٧))[1] .

وقد ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه اعتكف العشر الأواخر من رمضان، وفي بعض السنوات تركها، لبعض الأسباب، واعتكفها في العشر الأول من شوال، فهو سنة وفي رمضان أفضل، في رمضان وفي العشر الأخيرة أفضل.

وإن اعتكف في غير رمضان كشوال أو ذي القعدة أو ذي الحجة أو المحرم أو غير ذلك فلا بأس، سنة مطلقة في جميع الزمان، لكن في المساجد خاصة، التي تقام فيها الجماعة، وإذا كان يمر عليه جمعة بأن كانت المدة أكثر من أسبوع، فالأفضل أن تكون في مسجد فيه جمعة، الأفضل أن يكون الاعتكاف في مسجد فيه جمعة حتى لا يحتاج الخروج إليها، فإن اعتكف في مسجد آخر ليس فيه جمعة فلا بأس، إذا جاءت الجمعة يخرج إليها، فالمعتكف يقصد بعبادته وجه الله تعالى ، والتفرغ للعبادة والأنس بالله سبحانه.

ولهذا قال بعضهم: الاعتكاف إنه قطع العلائق عن كل الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، والخلاصة: أنه تفرغ للعبادة للذكر، والدعاء والعبادة في المسجد ولا بأس أن يزوره أهله كما كانوا يزوروا النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بأس أن يزوره بعض إخوانه، ولكن مقصوده أن يتفرغ للعبادة من صلاة، وقراءة، واستغفار، ودعاء.. ونحو ذلك.

وليس له حد محدود ولو ساعة من الزمان، ولا يشترط له الصوم، لو اعتكف وهو مفطر فلا بأس على الصحيح، قال بعض أهل العلم: لابد أن يكون صائمًا، ولكن ليس براجح،

---

(١) سورة البقرة .

هذا جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لا اعتكاف إلا بصوم)، وجاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (ليس على المعتكف صوم إلا أن يجعله على نفسه) .

يعني: إلا أن ينذره ، المقصود أنه ليس بشرط هذا الصواب، لأن: العبادات توقيفية، فلا يشترط فيها إلا ما شرطه الشارع، إلا ما جاء عن الله وعن رسوله عليه الصلاة والسلام: وليس في الأدلة ما يدل على وجوب الصوم للاعتكاف.

فالصواب: أنه لا بأس أن يعتكف وإن كان مفطرًا، ولا بأس أن يكون ليلًا أو نهارًا، وقد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له: أوف بنذرك، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أوف بنذرك، والليل ليس محل صوم)[1].

(ما يتميّز به الاعتكافُ في شهر رمضان:

ذهب الفقهاء إلى أنّ الاعتكاف في رمضانَ، في العشر الأواخر منه: سنّة مؤكّدة، لمواظبة النّبيّ صلى الله عليه وسلم عليه، كما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- «أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتّى توفّاه اللّه تعالى، ثمّ اعتكف أزواجه من بعده.

وفي حديث أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه (أنّ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان يعتكف في العشر الأوسط من رمضان، فاعتكف عامًا حتّى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي اللّيلة الّتي يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال: من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر) .

وارتفاع مرتبة الاعتكاف في رمضان من أن يكون (سُنّة)، إلى أن يكون (سُنّة مؤكّدة) يرجع إلى ما يتميّز به الاعتكاف في رمضان من الميزات الواضحة، والتي نذكر منها ما يلي:

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

أولاً: اقترانه بالصّوم الواجب، وهو صوم الفريضة، وبالتالي يكون المعتكف أكثر قدرةً بإذن الله على تحقيق أهدافه من الاعتكاف، المتعلقة بتحقيق العبودية، ثم محاربة (أنواع الفضول الأربعة: فضولُ: الطعام والشراب، الكلام، الخُلطة، المنام).

والبعض اشترط الصوم في غير رمضان، ولعل من الحكمة والسر أن الاعتكاف حالةٌ لإخراج العبد من ضوضاء الدنيا وشواغل النفس، إلى الإقبال على الله، ولا بد أن تكون النفس ساكنة مطمئنة، والصيام فيه كسرٌ للشهوة، وصفاء للنفس، وانقطاع عن أسباب الشهوات والمتاع، ولذا كان لابد من الاعتكاف ليحقق الصوم ثماره كلها.

ثانياً: فضّل اللّه تعالى رمضان، والعشر الأواخر منه خاصّةً بليلة القدر، التي تتميز بعديدٍ من الفضائل، ومنها ما يلي:

١- أنها ليلة أنزل الله فيها القرآن ، قال تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١))[1].

٢- أنها ليلة مباركة ، قال تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣))[2].

٣- يكتب الله تعالى فيها الآجال والأرزاق خلال العام ، قال تعالى:(فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤))[3] .

٤- فضل العبادة فيها عن غيرها من الليالي كبير وعظيم ، قال تعالى :(لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣))[4].

٥- تنزل الملائكة فيها إلى الأرض بالخير والبركة والرحمة والمغفرة ، قال تعالى : (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤))[5].

٦- ليلة خالية من الشر والأذى وتكثر فيها الطاعة وأعمال الخير والبر ، وتكثر فيها السلامة من العذاب ولا يخلص الشيطان فيها إلى ما كان يخلص في غيرها فهي سلام كلها ، قال

(١) سورة القدر .
(٢) سورة الدخان .
(٣) سورة الدخان .
(٤) سورة القدر .
(٥) سورة القدر .

تعالى : (سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥))[١] .

٧- فيها غفران للذنوب لمن قامها واحتسب في ذلك الأجر عند الله عز وجل ، قال صلى الله عليه وسلم : (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) – متفق عليه

بل إنّ الدافع للاعتكاف في رمضان، إنما هو: التماس ليلة القدر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:((إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ، أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ " فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ)[٢] .

ثالثاً: اقتران الاعتكاف في رمضان بالقرآن الكريم، الذي نزل جملةً واحدةً من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة في السّماء الدّنيا، في شهر رمضان، وفي ليلة القدر منه على التّعيين، ثمّ نزل مفصّلًا بحسب الوقائع في ثلاثٍ وعشرين سنةً ، ولذا فإنه يُستحبّ في رمضان للمعتكف استحبابًا مؤكّدًا مدارسةُ القرآن وكثرةُ تلاوته، وتكون مدارسة القرآن بأن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه، ودليل الاستحباب (أنّ جبريل كان يلقى النّبيّ صلى الله عليه وسلم في كلّ ليلةٍ من رمضان فيدارسه القرآن)[٣] ، وقراءة القرآن مستحبّة مطلقًا، ولكنّها في رمضان آكد، وهي في العشر الأواخر آكد.

رابعاً: اقترانُ الاعتكاف بقيام الليل وصلاة التراويح، وقد أجمع المسلمون على سنّيّة قيام ليالي رمضان، وقد ذكر النّوويّ أنّ المراد بقيام رمضان صلاة التّراويح، يعني أنّه يحصل المقصودُ من القيام بصلاة التّراويح ، وقد جاء في فضل قيام ليالي رمضان قوله صلى الله عليه وسلم: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدّم من ذنبه)[٤] .

أما التهجد؛ يقول الشيخ الفوزان: "فإنه سنة، وفيه فضلٌ عظيم، وهو قيام الليل بعد النوم، خصوصًا في ثلث الليل الآخر، أو في ثلث الليل بعد نصفه في جوف الليل؛ فهذا فيه

---

(١) سورة القدر .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٦٧ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٥٥٤ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٧ .

فضل عظيم، وثواب كثير، ومن أفضل صلاة التطوع التهجد في الليل، قال تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً(٦)﴾[١] ، واقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

ولو أنَّ الإنسان صلَّى التَّراويح، وأوتر مع الإمام، ثم قام من الليل وتهجد؛ فلا مانع من ذلك، ولا يُعيد الوتر، بل يكفيه الوترُ الذي أوتره مع الإمام، ويتهجد من الليل ما يسَّر الله له، وإن أخَّر الوتر إلى آخر صلاة الليل؛ فلا بأسَ، لكن تفوته متابعةُ الإمام، والأفضل أن يُتابع الإمام وأن يوتر معه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : (من قام مع الإمام حتى ينصرف؛ كتب له قيام ليلة)[٢] ، فيتابع الإمام، ويوتر معه، ولا يمنع هذا من أن يقوم آخر الليل ويتهجَّد ما تيسَّر له.

خامساً: مضاعفة ثواب الأعمال الصّالحة في رمضان! وذلك ممّا يُنَشِّطُ المعتكف إلى الاجتهاد في عبادته وتذلُّله لربّه، قال إبراهيمُ: تسبيحةٌ في رمضان خيرٌ من ألف تسبيحةٍ فيما سواه، والاعتكاف من أجلِّ الأعمال في رمضان.)[٣].

س٦٣: لماذا بنيت المساجد؟.

ج٦٣: قال تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)﴾[٤] ويقول تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

---

(١) سورة المزمل .
(٢) رواه أبو داود في سننه (٢/٥١) ، ورواه الترمذي في سننه (٣/١٤٧، ١٤٨) ، ورواه النسائي في سننه (٣/٨٣، ٨٤) ، ورواه ابن ماجه في سننه (١/٤٢٠، ٤٢١).
(٣) موقع المسلم – فضل الاعتكاف ارمضان ١٤٣٧ هـ .
(٤) سورة النور .

الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)[١].

قال ابن كثير رحمه الله: (وليس المراد هنا من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط ، إنّما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه فيها ورفعها عن الدّنس والشرك).تفسير ابن كثير سورة البقرة وعلى هذا فعمارة المساجد تكون إما حسية أو معنوية:

فعمارتها الحسية تكون بالبناء والترميم والصيانة وتوفير ما تحتاج إليه من خدمات.

والعمارة المعنوية تكون بالصلاة وحلقات تحفيظ القرآن الكريم والمحاضرات والندوات والذكر والدعاء.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله علي وسلم يقول: (إنَّكُمْ قدْ أَكْثَرْتُمْ، وإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: مَن بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى، قالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أنَّه قالَ: يَبْتَغِي به وجْهَ اللهِ، بَنَى اللَّهُ له بَيْتًا في الجَنَّةِ. وَقالَ ابنُ عِيسَى في رِوَايَتِهِ مِثْلَهُ في الجَنَّةِ)[٢].

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور ، وأمره يقتضي الوجوب ، فيجب بناء المساجد في الأحياء السكنية ، وكذلك يجوز بناؤها في القصور الضخمة . والدليل على هذا :عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة)[٣] . رواه البخاري (لبخاري ك الصلاة ب ٨٧ الصلاة في مسجد السوق رقم ٤٧٧ .) .الشاهد : قوله : (في سوقه) .

أول عشرة مساجد بنيت في الإسلام؟.

الأول المسجد الحرام :هو أعظم مسجد في الإسلام ويقع في قلب مدينة مكة غرب المملكة العربية السعودية، تتوسطه الكعبة المشرفة التي هي أول بناء وضع على وجه الأرض، وهذه هي

---

(١) سورة التوبة .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥٣٣ .
(٣)ا الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٧٧ .

أعظم وأقدس بقعة على وجه الأرض عند المسلمين. والمسجد الحرام هو قبلة المسلمين في صلاتهم، و سمى بالمسجد الحرام لحرمه القتال فيه منذ دخول النبي المصطفي إلى مكة المكرمة منتصرا، ذكر القرآن ذلك ، قال تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ(٩٦))[١] .

والمسجد الحرام هو أول المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، فقد قال نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم: (لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إلى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هذا، وَمَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى)[٢].

الثاني المسجد الاقصى : هو الاسم الإسلامي الذي سماه الله لهذا المكان في القرآن حيث قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا :حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١))[٣] .

ومعنى الأقصى أي الأبعد والمقصود المسجد الأبعد مقارنة بين مساجد الإسلام الثلاثة أي أنه بعيد عن مكة والمدينة على الأرجح. وقد كان المسجد الأقصى يعرف ببيت المقدس قبل نزول التسمية القرآنية له.

أهمية المسجد الأقصى:

- أنه قبلة المسلمين الأولى.
- أنه مهبط الوحي وموطن الأنبياء وهذا معلوم مقرر.
- أنه من المساجد التي تُشد الرحال إليها .
- أن الله تعالى وصفه في القرآن بأنه مبارك.
- أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.
- عن أبي الدرداء وجابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فضل الصلاة

(١) سورة آل عمران .
(٢)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٩٧ .
(٣) سورة الإسراء .

في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي هذا ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)[1] .

الثالث : مسجد قباء: هو أول مسجد أسس على التقوى وأول مسجد بني في الإسلام، قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(١٠٨)﴾[2].

هذه الآيات تشهد لهذا المسجد العظيم بالعظمة، والخير والبركات، والتفوق على غيره من المساجد. وقد جاء في الحديث: (من تطهَّر في بيتِه ، ثم أتى مسجدَ قُباءٍ ، فصلَّى فيه صلاةً ؛ كان له كأجْرِ عُمرةٍ .)[3]، وفي حديث آخر: (من خرجَ حتَّى يأتيَ هذا المسجدَ – مسجدَ قباءَ – فصلَّى فيهِ ، كانَ لَهُ عدلَ عُمرَةٍ)[4]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قباء يوم السبت راكبًا وماشيًا)[5].

كان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من وضع حجرا في قبلته؛ فكان يأتي بالحجر قد صهره إلى بطنه فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حجر أبي بكر.

يقع هذا المسجد في الجنوب الغربي للمدينة المنورة، ويبعد عن المسجد النبوي أكثر من ثلاثة كيلومترات، وله محراب ومنارة، ومنبر رخامي، وفيه بئر تنسب لأبي أيوب الأنصاري، وفيه مُصلّى النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وكان فيه مبرك الناقة.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الصغرى رقم (١٨٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١١).
(٢) سورة التوبة .
(٣) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ١١٨١ .
(٤)الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٦٩٨ .
(٥)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٣٩٩ .

وتاريخ إنشاء المسجد لما سمع المسلمون بالمدينة المنورة بخروج رسول الله صلّى الله عليه وسلم من مكة المكرمة، كانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة أول النهار، فينتظرونه فما يردهم إلا حر الشمس. ولما وصل رسول الله صلّى الله عليه وسلم قرية قباء في شهر ربيع الأول نزل في بني عمرو بن عوف بقباء على كلثوم بن الهدم وكان له مربد، فأخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس على التقوى، وكان صلّى الله عليه وسلم ينقل بنفسه الحجر والصخر والتراب مع صحابته.

الرابع المسجد النبوي الشريف: هو من المساجد التي يشد الرحال إليها! وهو المسجد المبارك الذي أسس بنيانه النبي الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه، وقد بنى يدا بيد مع المسلمين بناؤه الطاهر، وهو مركز الدعوة الأولى إلى الله تعالى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الأقصى والمسجد الحرام)[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق)[٢] ، وأفضل ما في المسجد النبوي الشريف الروضة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة)[٣]. و عن أبي هريرة رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي)[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(منبري على ترعة من ترع الجنة)[٥]، وفيه المحراب والمنبر والأساطين وأيضا من الأماكن المفضلة الحجرة النبوية الشريفة، وهي الحجرة التي سكنها النبي الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه وأزواجه المطهرات وتقع الحجرة بجوار مسجده صلى الله عليه وسلم وفيها قبره عليه الصلاة والسلام وقبر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ١٢٠٦
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٦٥٨٨ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٧٣٣٥ .
(٤) شعيب الأرناؤوط ، تخريج المسند ، رقم الحديث ٩٢١٥ .

الخامس مسجد الجمعة: عندما هاجر الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة التي وصل إليها يوم الاثنين ١٢ من ربيع الأول من العام الهجري الأول أقام عليه الصلاة والسلام في قباء أربعة أيام حتى صباح يوم الجمعة الموافق ١٦ من شهر ربيع أول (من العام نفسه)، ثم خرج صلى الله عليه وسلم متوجهاً إلى المدينة المنورة، (وعلى مقربة من محل إقامته بقباء) أدركته صلاة الجمعة فصلاها في بطن (وادي الرانوناء)، وقد حدد المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وسمي بعد ذلك (بمسجد الجمعة)، وتم بناؤه من الحجر الذي تهدم عدة مرات، فأعيد بناؤه وتجديده في كل مرة يتهدم بها حتى عام ١٤٠٩هـ عندما أمر خادم الحرمين الشريفين بهدم المسجد القديم وإعادة بنائه وتوسعته وتزويده بالمرافق والخدمات اللازمة (كسكن للإمام والمؤذن ومكتبة ومدرسة لتحفيظ القران الكريم ومصلى للنساء مع دورات المياه) وأصبح المسجد يستوعب لستمائة وخمسين مصلياً بعد أن كان لا يستوعب لأكثر من سبعين مصل وللمسجد منارة رفيعة بديعة وقبة رئيسية تتوسط ساحة الصلاة إضافة إلى أربع قباب صغيرة.

السادس مسجد القبلتين: كانت قبلة المسلمين منذ البعثة النبوية المباركة هي "بيت المقدس" الذي كانت اليهود تتوجه إليه في عباداتها، وظلّ هذا المكان المقدس قبلةً للمسلمين طيلة ثلاثة عشر عامًا يتوجهون إليه في عباداتهم وصلواتهم، وما إليها من الأمور التي يشترط فيها مراعاة القبلة ، وفي ظهر يوم الثلاثاء النصف من شهر شعبان أو رجب حسب أغلب الروايات من السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة، أي بعد البعثة النبوية بثلاث عشرة سنة وبعد ستة عشر أو سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً من الهجرة النبوية تحوّلت قبلة المسلمين من بيت المقدِس إلى الكعبة الشريفة.

جاء في غيون الأثر :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاماً وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين ثم أُمر أن يوجه إلى الكعبة فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب فسمي

المسجد مسجد القبلتين)[1].

أما المكان الذي تمّ فيه تغيير القبلة فهو مسجد ينسب لبني حرام من بني سلمة، وتذكر بعض المصادر أن بني سواد بن غنم بن كعب هم الذين أقاموه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم). ومنذ هذه اللحظة سُمي هذا المسجد بمسجد القبلتين؛ لأن الصحابة صلّوا فيه صلاة واحدة إلى قبلتين.

يقع المسجد في الجنوب الغربي من بئر رومة قرب وادي العقيق وفوق رابية مرتفعة قليلاً، ويبعد عن المسجد النبوي خمسة كيلو مترات بالاتجاه الشمالي الغربي.

السابع مسجد بني حرام: سمي بذلك لوقوعه في منازل بني حرام. يقع المسجد غربي جبل سلع، وعلى يمين القادم من شارع السيح والمتجه إلى منطقة المساجد السبعة، وقد ورد أن في محله حدثت معجزة تكثير الطعام على يد الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب أثناء حفر الخندق . وإنه صلى في موضعه. عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الخربة ومسجد القبلتين وفي مسجد بني حرام بالقاع.

الثامن مسجد الغمامة: مسجد المصلى (الغمامة) ، وفي موضعه كان يصلى عليه الصلاة والسلام صلاة العيد وصلاة الاستسقاء. ولهذا عرف بمسجد المصلى.

التاسع مسجد السقيا: وبهذا الموضع تفقد النبي صلى الله عليه وسلم جيش بدر. وهذه الأرض كانت لسعد بن أبي وقاص ، وفي هذا المكان دعا عليه الصلاة والسلام بالبركة للمدينة ، فعن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ، ثم صلى بأرض سعد، بأصل الحرة، عند بيوت السقيا، ثم قال: (اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك، دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، أدعوك لأهل المدينة، مثل ما دعاك به إبراهيم لأهل مكة، ندعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة، واجعل ما بها من وباء بخم، اللهم إني قد حرمت ما بين لابتيها، كما حرمت على

---

(١) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

لسان إبراهيم الحرم)[1].

العاشر : المساجد السبعة :وهي من معالم المدينة المنورة، وهي مجموعة مساجد صغيرة عددها الحقيقي ستة وليس سبعة، ويروي بعضهم ان مسجد القبلتين يضاف اليها حيث يبعد عنها (٢كيلو متر مربع) فقط لان من يزورها يزور ذلك المسجد أيضاً في نفس الرحلة فيصبح عددها سبعة ، وتقع هذه المساجد الصغيرة في الجهة الغربية من جبل سلع عند جزء من الخندق الذي حفره المسلمون في عهد النبوة للدفاع عن المدينة المنورة عندما زحفت اليها قريش والقبائل المتحالفة معها سنة خمس للهجرة.

ويروى انها كانت مواقع مرابطة ومراقبة في تلك الغزوة وقد سمي كل مسجد باسم من رابط فيه، عدا مسجد الفتح الذي بني في موقع قبة ضُربت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه المساجد على التوالي من الشمال إلى الجنوب هي: مسجد الفتح، مسجد سلمان الفارسي، مسجد أبي بكر الصديق، مسجد عمر بن الخطاب، مسجد علي بن ابي طالب، مسجد فاطمة.[2].

س٦٤: لماذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءة سورة الكهف في يوم الجمعة ؟.

ج٦٤: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جاءت فيها أحاديث كلها ضعيفة لكن يشد بعضها بعضًا، وقد ثبت ذلك عن ابن عمر أنه كان يقرؤها كل جمعة، فإذا قرأها الإنسان يوم الجمعة فهو حسن، ويرجى له فيها الثواب الذي جاء في الأحاديث، وليس ذلك بأمر مقطوع به؛ لأن الأحاديث فيها ضعف إنما هو مستحب)[3].

تُقرأ سورة الكهف كلّ يوم جمعة، ولا فرق بين أن تكون قراءتها ليلاً أو نهاراً، ومن قرأها كانت له نوراً بين الجمعتين، كما نُقل عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: (من قرأ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعةِ، أضاء له من النورِ ما بين

---

(١) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ١١٩٨ .
(٢) احمد امين ، أخبار الآن ٢٠١٣/٠٥/٢٩.
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

الجمُعتَينِ)[1].[2]

ولقراءة سورة الكهف فضائل وحِكمٌ عديدة، وفيما يأتي بيانٌ لها بشكلٍ مفصّلٍ:

١- نزول السكينة: فقد كان صحابي يقرأ سورة الكهف وفي بيته دابّة؛ فجعلت تضطرب وتتحرّك، فتوجّه بالدعاء إلى ربّه بأن يسلّمه من الدابة، فإذا بسحابة قد غشيته، فروى ذلك لرسول الله، فبيّن له الرسول أنّ القرآن الكريم من أسباب حلول السكينة، أي إن السحابة هي السَّكينة والرحمة، ويقصد بذلك الملائكة، لِذا اضطربت الدابة لرؤيتهم، وهذا دليلٌ على فضل قراءة القرآن وأنه سببٌ لنزول الرحمات والسكينة وحضور الملائكة، روى الإمام مسلم في صحيحه: (قَرَأَ رَجُلٌ الكَهْفَ، وفي الدَّارِ دَابَّةٌ فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ، أَوْ سَحَابَةٌ قدْ غَشِيَتْهُ، قالَ: فَذَكَرَ ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: اقْرَأْ فُلَانُ، فإنَّهَا السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ عِنْدَ القُرْآنِ، أَوْ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ)[3].

٢- نيل النور يوم القيامة: قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (من قرأ سورةَ الكهفِ كانت له نوراً إلى يومِ القيامةِ)[4].، [5].

٣- العصمة من المسيح الدجال: إذ إنّ فتنته عظيمة، وما من نبيٍ إلّا وحذّر قومه منه، وقد قيل إنّ العصمة تتحقّق بقراءة أوائل آيات سورة الكهف دون تحديدٍ، وقيل إنّها بأول ثلاث آياتٍ، وقيل تتحقّق بآخر عشرة آيات، وقيل بأول عشرة، ومع ذلك فمن الأفضل أن تُحفظ السورة كاملة وتُقرأ، فإن تعسّر فعشرة أياتٍ من أولها وعشرة من آخرها، وإلّا فالعشرة الأولى فقط، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجّالِ)[6]

---

(١) الألباني، ، صحيح الجامع، رقم الحديث ٦٤٧٠ .
(٢)د. ناصر بن سليمان العمر، تدبر سورة الكهف، الرياض: مؤسسة ديوان المسلم، ص١٧-٢٤.
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٩٥ .
(٤) الألباني ، صحيح الترغيب ، رقم الحديث ٢٢٥ .
(٥) عبد الله الفوزان، الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة،، ص ١٥-١٦.
(٦) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨٠٩ .

س٦٥: لماذا يُقبل في شهادة دخول شهر رمضان شاهد واحد وفي خروجه شاهدان ؟ .

ج٦٥: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (لابد من شاهدين عدلين في جميع الشهور ما عدا دخول رمضان فيكفي لإثبات دخوله شخص واحد عدل، في أصح قولي العلماء؛ لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (تراءى الناس الهلال فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أني رأيته فصام وأمر بالصيام)[1] وله شاهد حسن من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وإذا رأى الهلال شخص واحد ولم تقبل شهادته لم يصم وحده ولم يفطر وحده في أصح قولي العلماء، بل عليه أن يصوم مع الناس ويفطر مع الناس؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون)[2] ، [3].

ثبوت دخول الشهر برؤية العدل الواحد :

اختلف الفقهاء في ثبوت دخول شهر رمضان بشهادة رجل عدل، على الأقوال التالية:

١- الحنفية: المشهور عندهم ثبوت دخول الشهر برؤية شاهد عدل واحد حتى مع وجود غيوم في السماء.

٢- المالكية: المشهور عندهم عدم ثبوت دخول الشهر بشهادة الواحد.

٣- الشافعية: اختلف الشافعية بين قبوله وعدم قبوله، إلّا أنّ المشهور عندهم كما نقل الإمام النووي قبول شهادة الواحد في إثبات دخول الشهر.

٤- الحنابلة: قبول شهادة الواحد في إثبات دخول الشهر ويجب على الناس الصيام بشهادته.

ولا يُشترط في الشاهد أن يكون رجلاً؛ فتجوز شهادة المرأة في إثبات الشهر عند الحنفية والحنابلة، بينما لا تجوز شهادتها عند المالكية والشافعية[4].

ثبوت دخول الشهر برؤية عدلين:

---

(١) أبو داوود ، سنن أبي داوود ، رقم الحديث ٢٣٤٢ .
(٢) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٦٩٧ .
(٣) نشر في (مجلة الدعوة) العدد ١٦٧٧ بتاريخ ١٤١٩/١٠/١١هـ، (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١٥/ ٦٤).
(٤) أحمد بن عبد الله بن محمد الفريح، أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها ، ص ٦٧ – ٦٩ ، وانظر وَهْبَة ابن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ ، ٣ ، صفحة ١٦٥٦.

اختلف الفقهاء في ثبوت شهر رمضان ودخوله برؤية شاهدين عدلين، على الأقوال التالية:

١- الحنفية: فرّقوا بين الصحو والغيم؛ فإن كانت السماء غائمة فتكفي عندهم شهادة واحد عدل، وإن كانت صحواً فيشترطون شهادة الجمّ الغفير.

٢- المالكية: يُثبتون دخول الشهر بشهادة رجلين عدلين في **ثلاثة أحوال، هي:**

الأولى: في حال وجود غيم في السماء، فهي تقبل دون خلاف.

الثانية: إن كانت السماء صحواً والمنطقة صغيرة، فهي تقبل دون خلاف.

الثالثة: إن كانت السماء صحواً والمنطقة كبيرة، فلهم آراء مختلفة؛ بين قبول الشهادة، وعدمها.

٣- الشافعية: اتّفقوا على ثبوت دخول الشهر بشهادة رجلين عدلين؛ لتأكيد الرؤية.

٤- الحنابلة: يثبت عندهم دخول الشهر برؤية رجلين عدلين، ولا خلاف عندهم في ذلك[١].

س٦٦: لماذا لم نسمع أن امرأة شهدت على دخول شهر رمضان أو خروجه ؟ فهل لا يجوز لها أن تشهد على ذلك ؟.

ج٦٦: اختلف الفقهاء في قبول شهادة المرأة في رؤية هلال رمضان على قولين :

القول الأول : قبول شهادتها ، وهو مذهب الحنفية – إذا كان الجو غيما– والحنابلة وأحد الوجهين عند الشافعية .

القول الثاني : أنها لا تقبل ، وهو مذهب المالكية ، والأصح عند الشافعية .

قال ابن قدامة في المغني : (فإن كان المخبر امرأة ، فقياس المذهب قبول قولها . وهو قول أبي حنيفة ، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي؛ لأنه خبر ديني . فأشبه الرواية ، والخبر عن القبلة ، ودخول وقت الصلاة . ويحتمل أن لا تقبل ؛ لأنه شهادة برؤية الهلال ، فلم يقبل فيه قول امرأة ، كهلال شوال)[٣].

---

(١) موقع، موضوع١٢ مارس ٢٠٢٠. نقلا عن أحمد بن عبد الله بن محمد الفريح، أحكام الأهلة والآثار المترتبة عليها ، ص ٥٩ – ٦٤ .

(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٣ ، ص ٤٨ . وينظر : "تبيين الحقائق" (٣١٩/١) ، "التاج والإكليل" (٢٧٨/٣) "المجموع" (٢٨٦/٦) ، "كشاف القناع " (٣٠٤/٢).

والحنفية فرقوا بين حال الغيم والصحو ، ففي الغيم يجزئ شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، وفي الصحو لابد من الاستفاضة)[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (بعض العلماء قالوا : إن الأنثى لا تقبل شهادتها لا في رمضان ولا في غيره ؛ لأن الذي رأى الهلال في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا) والمرأة شاهدة وليست شاهدا .

ودليل المذهب : أن هذا خبر ديني يستوي فيه الذكور والإناث ، كما استوى الذكور والإناث في الرواية ، والرواية خبر ديني . ولهذا لم يشترطوا لرؤية هلال رمضان ثبوت ذلك عند الحاكم ، ولا لفظ الشهادة ، بل قالوا : لو سمع شخصا ثقة يحدث الناس في مجلسه بأنه رأى الهلال فإنه يلزمه أن يصوم بخبره)[٢].

وأما هلال شوال ، فلا يثبت إلا بشاهدين رجلين[٣] .

س٦٧: لماذا لا يعتمد الحساب الفلكي في دخول الأشهر الهجرية ؟.

ج٦٧: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (الواجب في إثبات الأهلة في الحج وفي رمضان الواجب هو الرؤية، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة وقال عليه الصلاة والسلام: لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال، فإن غم عليكم فأكملوا العدة في عدة أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما عن النبي عليه الصلاة والسلام، وقال إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وذكر بيديه الثنتين.. بسط يديه الثنتين وكررها ثلاثاً يعني: ثلاثين هكذا وهكذا وخنس واحدة خنس الإبهام، يعني: تسعاً وعشرين فصوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا العدة في لفظ: فأكملوا ثلاثين في لفظ آخر: فأكملوا عدة شعبان ثلاثين في لفظ ثالث: فصوموا ثلاثين هكذا أوضح النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) ابن نجيم ، البحر الرائق ، ج٢ ، ص ٢٩٠ .
(٢) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج٦ ، ص ٣٢٦ .
(٣) موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١٦ / ٣ / ٢٠٠٧ م.

أما الحساب فلا يعتمد ولا يجوز التعويل عليه وقد نبهنا على هذا غير مرة وكتبنا في هذا مرات كثيرة، وذكر أبو العباس ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله أن العلماء أجمعوا على أن الحساب لا يعتمد في إثبات الأهلة، وإنما العمدة هو رؤية الهلال أو إكمال العدة فإذا رئي شعبان مثلاً ليلة الأحد وجب إكماله فيكون الصوم بالثلاثاء لأن كماله يوم الاثنين، والصوم بالثلاثاء، إذا لم ير الهلال ليلة الاثنين ولو قال الحاسبون: إنه يدخل يوم الاثنين، ما عليه عمل، وكذلك لو قال الحاسبون: إنه لا يدخل إلا يوم الأربعاء فلا عبرة بقولهم، يصام بالثلاثاء؛ لأنا كملنا شعبان ثلاثين؛ لأنه دخل ليلة الأحد فإذا لم ير ليلة الاثنين كملناه ثلاثين لقوله صلى الله عليه وسلم: صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين فأكملوا العدة ثلاثين وهكذا ،فالمقصود أنه لا يعول على الحساب وعلى قول الحاسبين، وإنما التعويل على الرؤية، هكذا أخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام وهكذا درج سلفنا الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان، وهكذا نقل الإجماع على ذلك من ذكرنا وهو أبو العباس ابن تيمية شيخ الإسلام وبين ذلك آخرون من أهل العلم.

وأما وجود من خالف في هذا من المتأخرين فلا يلتفت إليهم، ولو كانوا كباراً ولو كانوا علماء لا يلتفت إليهم في هذا الأمر؛ لأنهم خالفوا السنة والله سبحانه يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا(٥٩))[١] ، ويقول سبحانه: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهَّ..(١٠))[٢] ، وهذه المسألة إذا ردت إلى كتاب الله فالله تعالى يقول: (وَأَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ.. (٩٠))[٣]، ويقول تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...(٧))[٤]، ويقول سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة النساء .
(٢) شورة الشورى .
(٣) سورة المائدة .
(٤) سورة الحشر .

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٦٣))[١] ويقول تعالى : (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥))[٢]، هكذا جاء في كتاب الله العظيم، ويقول النبي +صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الأحاديث: لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروا الهلال فإن غمي عليكم فأكملوا العدة وفي لفظ آخر: لا تصوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة،، ولا تفطروا حتى تروا الهلال أو تكلموا العدة، فإن غبي عليكم فأكملوا العدة ثلاثين فهذا أصرح شيء وأبينه في كلام النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز أن يعول على ما يخالف ذلك)[٣].

يقول الأستاذ حسن المنياوى : (معرفة الشهر فلكيا قد يتسبب في إحداث علة جديدة للصوم والفطر لم يشرعها الله تعالى وقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: (صوموا لرؤيَتِهِ وأفطِروا لرؤيتِهِ، فإنْ غبِّيَ عليكم فأكملوا عدةَ شعبانَ ثلاثينَ)[٤].

والحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (إذا رأَيتُموه فصوموا وإذا رأَيتُموه فأَفطِروا فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له)[٥].

كما أن المقصود من هذه الأحاديث الشهادة البينة العادلة لا أن يرى كلّ واحدٍ الهلال بنفسه والاعتماد على الحساب الفلكي إهدار لهذا المقصد الشرعي، بل إسقاط لحجيّة الرؤية الشرعية وهو كذلك شذوذٌ عن إجماع من يعتد به من أهل الفقه في المذاهب المعتبرة)[٦].

وقد أصدر الشيخ عبدالله بن سليمان المنيع عضو هيئة كبار العلماء عضو لجنة تقويم أم القرى بياناً حول أوائل الشهور القمرية - رجب وشعبان ورمضان وشوال وذي الحجة لعام سنة ١٤٢٩هـ ومحرم لعام ١٤٣٠هـ، وذلك حسب التقويم الفلكي، وفيما يلي نص البيان:

---

(١) سورة النور .
(٢) سورة النساء .
(٣) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٩٠٩ .
(٥)الإمام مسلم ، صحيح مسلم و رقم الحديث ١٠٨٠ .
(٦) جريدة الوفد ١١ أبريل ٢٠٢٠

الحمد لله القائل: الشمس والقمر بحسبان والقائل: (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم).

والقائل عن الأهلة: قل هي مواقيت للناس. والقائل (هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أحمده وأشكره وأثني عليه بما هو أهله وبما ينبغي لكمال جلاله وفضله وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

فعلى ما جرت عليه عادتي من إعداد بيان يتعلق بذكر أوائل الشهور القمرية - رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذي الحجة ومحرم وذلك لتقريب الإجراء الشرعي لإثبات دخول شهر رمضان المبارك وخروجه ولمعرفة يوم عرفة ويوم عيد الأضحى ولمعرفة يوم عاشوراء من شهر محرم وقد شجعني على مواصلة إعداد هذه البيانات أنها أعطت التأني في الاثبات والحد من التسرع في ذلك وإن كانت الجهة المختصة لا تزال في موقف المتردد في قبول المعارف الفلكية مما كان له أثره في الارتباك في الاثبات والإحراج أمام العالم الواعي خارج بلادنا وداخلها ولكننا اليوم في وضع وفي حال ينشط فيها الأمل بتغيير الحال وتعديل المقاييس والأخذ بحقائق الكون ودقائقه ولا سيما بعد أن كان من ولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - موقف إيجابي ضد مواقف التردد والتشكيك في علم يعتبر من أهم العلوم الكونية - علم الفلك - ومن أهم وسائل الاثبات في دخول كل شهر وخروجه.

وقبل أن ادخل في هذا البيان أحب أن أؤكد على مجموعة مسائل تتعلق بهذا البيان من حيث التحقيق والتدليل والتعليل وتوجيه القول بأن الأخذ بالنتائج الفلكية لا يتعارض مع النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق مني أن ذكرت شيئاً من ذلك في بياناتي السابقة لما قبل هذا العام واليوم أحب أن أذكر المسائل التي أرى علاقتها بالموضوع.

المسألة الأولى : القول بأن الأخذ بالعلم الفلكي يتعارض مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا إلى آخره ، وقوله صلى الله عليه وسلم: صوموا لرؤية وأفطروا لرؤيته. إلى آخره. فقوله صلى الله عليه وسلم: إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب تقرير لواقع المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الغالب عليهم صفة الأمية وأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها فمتى كان الأمر عسيراً أو متعذراً تحقيقه فيصار فيه إلى قدر الإمكان حيث إن الأمر إذا ضاق اتسع أما إذا كان الطريق إلى تحقيقه متيسراً وميسراً فيجب الأخذ بذلك ولا شك أن الرخص الشرعية مشروط الأخذ بها بوجود العذر في وقت أدائها فإذا انتفى العذر انتفت الرخصة وتعين الرجوع إلى أصل التكليف. والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها انعدام الماء لجواز التيمم وبطلانه في حال وجود الماء وإمكان استعماله.

وقد تغيرت أحوال المسلمين من جهل إلى علم ووجد في المسلمين الكثير من ذوي الاختصاصات العلمية في الطب والهندسة والفلك والفيزياء والأحياء وعلوم الذرة والطاقة وغيرها من علوم التقنية فلا يجوز لنا الاعتماد في أمورنا الشرعية على الأسباب التقليدية الظنية في النتائج والحال أن لدينا وسائل نتائجها قطعية.

وفي هذا الصدد والخصوص قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في رسالة أوائل الشهور القمرية معللاً قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشهر هكذا وهكذا. قال رحمه الله لأن الأمر باعتماد الرؤية وحدها جاء معللاً بعلة منصوصة وهي أن الأمة أمية لا تكتب ولا تحسب. والعلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً. فإذا خرجت الأمة عن أميتها وصارت تكتب وتحسب. أعني صارت في مجموعها ممن يعرف هذه العلوم. وأمكن الناس خاصتهم وعامتهم أن يصلوا إلى اليقين والقطع في حساب أول الشهر وأمكن أن يثقوا بهذا الحساب ثقتهم بالرؤية أو أقوى.. وجب أن يرجعوا إلى اليقين الثابت وأن يأخذوا في اثبات الأهلة بالحساب إلى آخر ما قال.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته. فهو قول صريح في وجوب

التقيد في الصوم والفطر بالرؤية – أي رؤية الهلال بعد غروب الشمس – ويجب علينا معشر المسلمين التمسك بذلك والعض عليه بالنواجذ وترك ما يخالفه. ولكننا نقول: ما هي الرؤية التي أمرنا بالتقيد بها في صومنا وفطرنا؟ لا شك أن الاخبار برؤية الهلال شهادة والشهادة يشترط لقبولها مجموعة شروط من أهمها أن تكون الشهادة منفكة عما يكذبها فإذا كان علم الفلك يقرر أن الهلال قد غرب قبل الشمس من مكان ادعاء الرؤية فكيف تصح من الشاهد شهادته بالرؤية؟ حيث إن شهادته تعني رؤيته الهلال بعد غروب الشمس وعلم الفلك يقرر قراراً قطعياً أن الهلال قد غاب قبل الشمس بزمن. أليست هذه الشهادة مرتبطة بما يكذبها؟ فهذه الشهادة مردودة. ونحن بردها لم نرد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته. وإنما رددنا الشهادة لأنها باطلة فهي مرتبطة بما يكذبها. وجمعا بين تقيدنا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته. وبين أخذنا بالحساب الفلكي.

تذكر الأحوال التالية وحكم كل حال منها فيما يتعلق بإثبات الرؤية ونفيها:

الحالة الأولى: أن تغرب الشمس قبل الهلال ويرى الهلال بعد غروب الشمس فهذه الحال يثبت فيها دخول الشهر بالاعتبارين الشرعي والفلكي.

الحالة الثانية: أن تغرب الشمس بعد غروب الهلال ولم يتقدم أحد بدعوى الشهادة برؤية الهلال بعد غروب الشمس فهذه الحال اتفق النظر الشرعي مع الواقع الفلكي على نفي الرؤية واعتبار هذه الليلة ليلة آخر يوم من الشهر الحالي.

الحالة الثالثة: أن تغرب الشمس قبل غروب القمر ولم يتقدم أحد بدعوى رؤية الهلال فهذه اختلف الواقع الفلكي مع الحكم الشرعي حيث إن الواقع الفلكي يثبت دخول الشهر والحكم الشرعي ينفي دخوله حيث لم يشهد أحد برؤية الهلال فهذه الحال يجب علينا الأخذ بالنظر الشرعي في نفي دخول الشهر استجابة للنصوص الشرعية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه). (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته). لانحصار الاثبات الشرعي في الرؤية فقط بعد الولادة.

الحالة الرابعة: أن يغرب القمر قبل غروب الشمس ويأتي من يشهد برؤية الهلال بعد غروب

الشمس فهذه الحال اختلف الواقع الفلكي مع دعوى الرؤية قبل الولادة حيث إن دعوى الرؤية تقول بدخول الشهر والواقع الفلكي ينفي دخول الشهر لغروب القمر قبل الشمس ففي هذه الحال يجب الأخذ بالواقع الفلكي حيث إن الهلال لم يولد إلا بعد غروب الشمس فكيف يرى بعد غروبها والحال أن الشمس غربت قبل ولادته؟ فالهلال متقدم عليها نحو الغرب وغاب قبلها وهي متخلفة عنه نحو الشرق فالرؤية التي تقدم بها أصحابها شهادة ومن شروط قبول الشهادة أن تنفك عما يكذبها وهذه الشهادة لم تنفك عما يكذبها حيث إن ما يكذبها ملازم لها فيجب رد هذه الشهادة مهما كان الشاهد بها ومهما تعدد شهودها. وهذا معنى قولنا يجب الأخذ بالحساب الفلكي فيما يتعلق بالنفي دون الاثبات.

المسألة الثانية :قولهم بأن علماء الفلك مختلفون فيما بينهم في تحديد وقت دخول الشهر هل هو بيوم السبت مثلاً أو بيوم الأحد وقد جرى مثل هذا الاختلاف منذ خمسة أعوام حيث إن مجموعة من الفلكيين ادخلوا شهر رمضان بخميس وأحد علماء الفلك وهو الدكتور العجيري الكويتي ادخله بيوم الخميس فهذا اختلاف. فكيف نصير إلى أمر مختلف في تحقيقه؟

والجواب عن هذا بأن الاختلاف يقع في تحديد أول يوم من الشهر لا في تحديد ولادة الهلال ولا اقترانه بالشمس فهذان الأمران محل اجماع بين علماء الفلك قاطبة مسلمهم وغير مسلمهم والاختلاف اختلاف في الاصطلاح حيث إن بعضهم - ومن البعض الدكتور العجيري - يعتبر دخول الشهر إذا كانت الولادة قبل الثانية عشرة مساء بتوقيت غرينتش، اما إذا كانت الولادة بعد الثانية عشرة بتوقيت غرينتش فتعتبر هذه الليلة والنهار الذي يتلوها آخر يوم من أيام الشهر.

والبعض الآخر يرى ان الاعتبار بولادة الهلال ما كان قبل غروب الشمس. فإذا ولد الهلال قبل غروب الشمس وغربت الشمس قبله كان ذلك اليوم آخر الشهر والليلة التالية لغروب الشمس هي ليلة أول يوم من الشهر الجديد.

وإن كانت ولادة الهلال بعد غروب الشمس ولو بزمن يسير كانت الليلة والنهار الذي يتلوها آخر يوم من أيام الشهر الحالي.

ومن أخذ بهذا الاصطلاح لجنة تقويم أم القرى فهي تأخذ بذلك تطبيقاً لقرار مجلس الوزراء رقم ١٣٤في ٢٢/٨/١٤١٨هـ المقتضى الآخذ بوقت غروب الشمس من مكة المكرمة فإن كان غروبها قبل ولادة الهلال فتعتبر هذه الليلة ليلة آخر يوم من الشهر، وإن كان غروبها بعد ولاة الهلال فتعتبر هذه الليلة أول يوم من الشهر، ومستند هذا القول هو النص الشرعي في اعتبار دخول الشهر وخروجه الرؤية الشرعية المعتمدة على الشهادة الصحيحة برؤية الهلال بعد غروب الشمس وبهذا يظهر وجه الاختلاف والجواب عنه، وان هذا الاختلاف ليس اختلافاً في وقت ولادة الهلال وإنما هو اختلاف في الاصطلاح في التوقيت.

ومثل هذا ما وقع في شهر رمضان عام ١٤٢١هـ من الاختلاف في تحديد أول الشهر بين تقويم أم القرى المعتمد على الفلك في تحديد الولادة وبين مجموعة من علماء الفلك المعتمدين على الفلك أيضاً في تحديد الولادة هو اختلاف في الاصطلاح لا في تحديد وقت الاقتران والولادة.

ولا شك ان حساب تقويم أم القرى هو الحق المتفق مع المقتضى الشرعي لأن العبرة في دخول الشهر وخروجه بغروب آخر الشهر قبل غروب القمر، فإن غربت الشمس قبل غروب القمر كانت الليلة ليلة أول يوم من الشهر، وإن غرب القمر قبل الشمس كانت الليلة آخر شهر. وهذا هو المقتضى الشرعي المستند على قوله صلى الله عليه وسلم: "صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته" ولما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً: "إنما الشهر تسع وعشرون فلا تصوموا حتى تروه ولا تفطروا حتى تروه".

المسألة الثالثة: قد يقول أحد المعترضين على الأخذ بعلم الفلك في حال النفي بأن الهلال يولد بعد غروب الشمس ومع ذلك يرى بعد غروب الشمس فكيف يكون ذلك؟.

والجواب عن هذا ومن علماء الفلك بأن هذه الحالة تقع في السنة مرة في أحد شهورها. وحقيقة الأمر ان رؤية الهلال بعد غروب الشمس والحال ان الاقتران والولادة لم يحصلا إلا بعد غروب الشمس. هذه الرؤية ليست رؤية حقيقية وإنما هي رؤية سرابية وهي رؤية عاكسة صورة القمر خلف الشمس كعكس المرآة لمن هو خلفها والحال ان صورته فيها أمامه.

فصورتها العكسية أن الرائي في المرآة أمامها وهي خلفه والحقيقة عكس ذلك ولهذه الحال مزيد بيان وتوضيح في المسألة الرابعة التالية إن شاء الله.

المسألة الرابعة: حول تفسير رؤية متواترة للهلال يقول علماء الفلك بأنه غرب قبل غروب الشمس وهو لم يقترن بالشمس ولم ينفصل عنها – أي لم يولد – إلا بعد غروب الشمس بزمن، **ويمكن الإجابة عن هذا بما يلي:**

١- يحتمل أن يكون المرئي نجماً أو كوكباً قريباً من الشمس في حجم نقطة تظن هلالاً كعطارد أو المشتري أو زحل. ويذكر لنا أن أخوين في عهد قضاء الشيخ علي بن عيسى رحمه الله في الوشم تقدما إلى فضيلته بالشهادة برؤية هلال شوال وحينما ناقشهما رحمه الله عن الهلال وصفته وموقعه من الشمس وبعده عنها واتجاه قرنيه ظهر له من ذلك عدم دقتهما في الوصف والرؤية فقال: لعلكما رأيتما نجمة فقالا نعم لعلها نجمة فرد شهادتهما:

٢- يحتمل أن تكون الرؤية لطائرة أو مركبة فضائية أو قمر صناعي.

٣- يحتمل أن تكون حالة جوية كعاصفة أو سحابة أو سراب.

٤- يحتمل أن تكون حالة نفسية حيث إن المتحري يخيل إليه شيء فيعتقده حقيقة.

٥- يحتمل الكذب في ذلك وهذا أبعد الاحتمالات إلا انه قد يقع.

٦- هناك احتمال يتعلق بحالة للهلال في شهر واحد من شهور العام وقد سبقت الإشارة إليه وهذا وقت تفصيله:

قد يرى الهلال قبل ولادته إلا أن هذه الرؤية ليست رؤية حقيقية للهلال وإنما هي رؤية لانعكاسه في الأفق خلف الشمس والحال انه أمام الشمس لم يولد بعد وهذه الحال قد يحتج بها على مخالفة القول بأن ولادة الهلال قطعية.

وبتفسير هذه الحالة يظهر الرد على القول بالمخالفة وتأكيد القول بقطعية الولادة وتفسير هذه الحال ما يلي:

من المعلوم للجميع بالمشاهدة أن الهلال يكون ناقص الاستدارة ومقوساً حتى ليلة تمام القمر يوم خمسة عشر، وفي ليالي هذه الأيام أي في النصف الأول من الشهر يكون نقص الاستدارة

– فتحة القوس – من الشرق وتكون استدارة القوس من الغرب وذلك بهذا الشكل: شرق – غرب وفي النصف الثاني من الشهر ينعكس الأمر فتكون فتحة التقويس إلى الغرب وتكون استدارة التقويس إلى الشرق وذلك بهذا الشكل: الشرق – الغرب ، ويمكن استخدام هذه الظاهرة الكونية في معرفة الغرب والشرق إذا كان الإنسان في البر في الليل واختلف عليه تعيين القبلة للصلاة، فبمعرفته الجهة يستطيع معرفة القبلة.

فمتى وجدت حالة رؤية الهلال قبل ولادته فهذه حالة انعكاس أفقي للهلال وهو متقدم على الشمس ولهذا سيكون وضع الهلال بالنسبة للتقويس وفتحة التقويس هو وضعه في النصف الأخير من الشهر ويكون بهذا الشكل: الشرق – الغرب

ولو لم يكن هذا الهلال انعكاساً لوضعه قبل ولادته وكانت رؤيته حقيقة لا انعكاساً لكان شكله هكذا: شرق – غرب

وتعليل هذه الظاهرة أن تقويس القمر دائماً يكون إلى قربه من الشمس سواء أكان أول الشهر أو آخره، ولو وجدت مناقشة لمدعي الرؤية ومنها أين قرنا الهلال؟ هل هما إلى الشرق أم إلى الغرب؟ لظهرت حقيقة هذه الرؤية هل هي انعكاس أو حقيقة؟ فإن كان قرناه إلى الشرق فهي رؤية حقيقية، وإن كان قرناه إلى الغرب فهي رؤية انعكاسية.

وهذا جواب عن هذا الإيراد وتفسير لهذه الظاهرة من أن الهلال قد يرى بعد غروب الشمس والحال انه لم يولد بعد فهذه رؤية سرابية لا رؤية حقيقية.. والله أعلم.

المسألة الخامسة: للناظر في الهلال لدخول الشهر وخروجه من الجانب الفلكي أربع حالات هي:

١- المحاق أو الإسرار: وهذه الحال تكون في آخر يوم من الشهر وهي حال تسبق الاقتران بحيث يكون الهلال امام الشمس غربا وهي خلفه شرقا.

٢- الاقتران: هو اجتماع الشمس والقمر في خط أفقي طولي تغطي الشمس القمر تغطية كلية بحيث لا ينعكس ضوء الشمس على القمر ولا على أي جزء منه وهو في فترة قصيرة يعقبها ولادة الهلال.

٣- الولادة: هي بداية افتراق نقطة مركز القمر عن خط الاقتران او عن المستوى الأفقي الذي يحتويه، وبداية امكانية انعكاس ضوء الشمس في اتجاه الأرض عن طريق سطح القمر مهما كانت هذه الكمية من الضوء صغيرة، وهذا يعني بطريقة ميسرة ان الرائي من الأرض يرى الهلال خلف الشمس والشمس أمام الهلال فيظهر بالولادة نور الشمس على جزء يسير من سطح القمر.

٤- إمكان الرؤية: أجمع علماء الفلك على أن ولادة الهلال تتم في لحظة محددة بالدقيقة ان لم تكن محددة بالثانية، وانما يختلفون في امكان رؤية الهلال بعد الولادة فبعضهم يقول: لا يمكن رؤيته وإن كان مولودا الا اذا كان الهلال على زاوية افقية محددة بدرجة معينة وعلى ارتفاع درجات معينة بعضهم يقول بثماني درجات وبعضهم يقول ست او خمس او اقل من ذلك، فهذه مسألة محل اختلاف بينهم مع اتفاقهم جميعا على تحديد وقت الولادة، وهذا الاختلاف هو الذي اوجد خلطا بين علماء الشريعة وفقهائها قديما وحديثا فلم يفرقوا بين الولادة وبين امكان الرؤية من عدمه، فطنوا ان الاختلاف في امكان الرؤية هو اختلاف في تحديد الولادة، والذي ندين الله به جمعا بين النصوص الشرعية والنتائج القطعية للفلك ان الرؤية تثبت بالشهادة بها بعد الولادة وغروب الشمس قبله وان دخول الشهر او خروجه يجب ان ينحصر اثباته بالرؤية بعد الولادة ولو قال الفلكيون بولادة الهلال قبل غروب الشمس ولم يُر الهلال فلا يجوز الأخذ بالإثبات الفلكي وحده بل يجب ان تنضم اليه الشهادة بالرؤية.

كما لا يجوز تقييد رؤية الهلال بعد ولادته وغروب الشمس قبله بإمكان الرؤية وتقييد الامكان بزاوية معينة او درجة معينة، فمتى ولد الهلال وغربت الشمس قبله وجاءت الشهادة بالرؤية تعين اعتبار الشهادة بالرؤية من غير اعتبار للإمكان، واما اذا غربت الشمس قبل الولادة وجاء من يشهد برؤية الهلال بعد غروب الشمس فيجب رد هذه الرؤية حيث ان رؤية الهلال منتفية قطعا في هذه الحال وعليه فيجب اعتبار الحساب الفلكي في حال النفي دون حال الاثبات اما مسألة امكان الرؤية من عدمها بعد ولادة الهلال وغروب الشمس قبل غروب القمر فيجب عدم الالتفات الى ذلك وتحدث شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الهلال

المنقولة في مجموع فتاواه الجزء الخامس والعشرين بما يقارب عشر صفحات وذلك باعتراضه على رد الشهادة بالرؤية بحجة عدم إمكانها وهو اعتراض وجيه وحق وقد ايد هذا الاعتراض الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في رسالته فقال: (اذا وجب الرجوع الى الحساب وحده بزوال علة منعه وجب ايضا الرجوع الى الحساب الحقيقي للأهلة واطراح امكان الرؤية وعدم امكانها فليكون اول الشهر الحقيقي الليلة التي يغيب فيها الهلال بعد غروب الشمس ولو بلحظة واحدة) أ. هـ..

المسألة السادسة: ليس القول بالعمل بالحساب الفلكي في مسألة اثبات دخول الشهر وخروجه ليس القول بذلك من نوازل العصر ومستجداته وانما وجد لبعض علمائنا قديما وحديثا تعرض لذلك ولهم اقوال في حكم العمل به **ومن هؤلاء**:

١- ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى الجزء الخامس والعشرين في رسالة الهلال ص ١٨١ما نصه:

وأما الفريق الثاني فقوم من فقهاء البصرة ذهبوا الى أن قوله صلى الله عليه وسلم (فقدروا له تقدير حساب بمنازل القمر) وقد روي عن محمد بن سيرين قال: خرجت في اليوم الذي شك فيه فلم ادخل على أحد يؤخذ منه العلم الا وجدته يأكل الا رجلا كان يحسب ويأخذ بالحساب، ولو لم يعلمه كان خيرا له، وقد قيل إن الرجل مطرف بن عبدالله بن الشخير – الى أن قال – وقد حكى هذا القول عن ابي العباس ابن سريج ايضا وحكاه بعض المالكية عن الشافعي ان من كان مذهبه الاستدلال بالنجوم ومنازل القمر ولم يتبين له من جهة النجوم ان الهلال الليلة وغم عليه جاز له ان يعتقد الصيام ويبيته ويجزئه – وهذا باطل عن الشافعي – الى أن قال – وانما كان قد حكى ابن سريج وهو كان من أكابر أصحاب الشافعي نسبة ذلك اليه اذ كان هو قائم بنصر مذهبه. أ. هـ ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في الجزء الخامس والعشرين من مجموع فتاواه ص ١٣١ما نصه: بلغني ان من القضاة من يرد شهادة العدد من العدول لقول الحاسب.. انه يُرى أو لا يُرى.

أقول يا ليت شيخ الاسلام رحمه الله اخذ بالدقة في التعبير كعادته فقال مثلا: نسبة

ذلك شيخ الاسلام عن بعض فقهاء اهل البصرة وبعض القضاة في قولهم بالحساب في اثبات دخول الشهر وخروجه دليل على أن المسألة ليست حديثة الإثارة بل كان القول بالعمل في الحساب في الاثبات محل نظر لدى فقهاء الاسلام وقد كان هذا في عهد لم تكن وسائل الكشف والايضاح ونتائج التجارب والمعطيات العلمية مثل المراكب الفضائية والمراصد المتطورة والتقنيات المتقدمة في الكشف والاطلاع كما هو الآن متوافر ومتمثل في اختصاصات علمية وفي مراكز البحوث والتجارب.

٢- جاء في قرار مؤتمر وزراء الأوقاف المنعقد في الكويت عام ١٤٠٩هـ التأكيد على الأخذ بالحساب في مسألة اثبات دخول الشهر وخروجه على اعتبار الحساب في حال نفي الحساب رؤية الهلال لغروبه قبل الشمس حيث جاء في الفقرة الأولى من القرار النص على ذلك وان هذا القول قول مجموعة من أهل العلم من فقهاء المسلمين منهم ابن تيمية وابن القيم والقرافي وابن رشد وجاء في الفقرة الثالثة من القرار ان اثبات دخول الشهر يجب ان يعتمد على الشهادة انظر العدد ٢٧من مجلة البحوث الاسلامية حاشية على البحث لأحد الاخوان في الاعتراض على الأخذ بالحساب من ١١٨الى ص ١٩١ .

٣- قال الشربيني في مغني المحتاة ج ٢ص ١٥٤ما نصه: لو شهد برؤية الهلال واحد أو اثنان واقتضى الحساب عدم امكان رؤيته قال السبكي لا تقبل هذه الشهادة لأن الحساب قطعي والشهادة ظنية والظني لا يعارض القطعي واطال في بيان رده هذه الشهادة .

٤- قال تقي الدين السبكي في فتاواه ما نصه: إن الحساب اذ دل بمقدمات قطعية على عدم امكان رؤية الهلال لم يقبل فيه شهادة الشهود، وتحمل على الكذب او الخطأ.. لأن الحساب قطعي والشهادة والخبر ظنيان والظن لا يعارض القطع فضلا عن أن يقدم عليه والبينة شرطها ان تكون ما شهدت به ممكنا حسا وعقلا وشرعا الى آخر ما ذكر.

٥- وقال الشيخ مصطفى الزرقاء بعد أن اعتذر عن علمائنا الأقدمين في رفضهم الأخذ بالحساب لأنه في ذلك الوقت كان مبنيا على خلطه بعلم التسيير وتأثير الكواكب وان نتائجه كانت مبنية على الحدس والتخمين وانه الآن قد تطور وأصبحت نتائجه قطعية الثبوت وان

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه الأخذ في دخول الشهر بانه هكذا وهكذا ..وهكذا، بأن الأمة أمية ولا يكلف الله نفسا الا وسعها قال بعد ذلك: فاذا ورد النص معللا بعلة جاءت معه من مصدره فإن الأمر يختلف ويكون للعلة تأثيرها في فهم النص وارتباط الحكم به وجودا وعدماً في التطبيق.

٦- قال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله في رسالته: أوائل الشهور العربية جاء فيها ما نصه: قد كان للأستاذ الأكبر الشيخ المراغي منذ أكثر من عشر سنين حين كان رئيس المحكمة العليا الشرعية رأي في رد شهادة الشهود اذا كان الحساب يقطع بعدم امكان الرؤية كالرأي الذي نقلته هنا عن تقي الدين السبكي، واثار رأيه هذا جدلا شديدا وكان والدي وكنت أنا وبعض اخواني ممن خالف الاستاذ الأكبر في رأيه ولكني اصرح الآن بانه كان على صواب وازيد عليه وجوب اثبات الأهلة بالحساب في كل الاحوال الا لمن استعصى عليه العلم به، وما كان قول هذا بدعا من الأقوال ان يختلف الحكم باختلاف أحوال المكلفين فإن هذا في الشريعة كثير يعرفه أهل العلم وغيرهم) أ. هـ .(ص: ١٥من الرسالة نشر مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية).

ما ذكره فضيلة الشيخ أحمد شاكر وما جاء في قرار مؤتمر الكويت عام ١٤٠٩هـ يتضح منه ان القول باعتبار الحساب الفلكي في حال النفي ورد الشهادة برؤية الهلال قبل ولادته وغروبه قبل غروب الشمس قول مجموعة من علماء المسلمين قديماً وحديثاً ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والقرافي وابن رشد والشبكي وابن سريج وعبدالله ابن مطرف وأحمد شاكر ومصطفى الزرقاء وغيرهم من علماء المسلمين.

المسألة السابعة : القول بأن الأخذ بالحساب مطلقاً مناف للنصوص الشرعية من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذا القول فيه حق وباطل أما الحق فصحيح ان القول بالأخذ بالحساب الفلكي في اثبات دخول الشهر وخروجه دون النظر إلى الرؤية الشرعية للهلال في الاثبات هذا القول يظهر لنا بطلانه ومنافاته للنصوص الشرعية من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله محمد صلى

الله عليه وسلم، إذ لا شك ان علماء الأمة الإسلامية إلاّ من شذ مجمعون على ان دخول شهر رمضان وخروجه لا يتم إلاّ برؤية الهلال لا بالحساب الفلكي، قال الله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وقال صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته..) الحديث

وأما الباطل من هذا القول فهو الأخذ بشهادة من يدعي الرؤية – بعد إجراءات تعديله – وذلك قبل ولادة الهلال إذ هي شهادة لم تنفك عما يكذبها إذ كيف يرى الهلال متخلفاً عن الشمس بحيث تغيب قبل غيابه والحال أنه لم يولد بعد فهو لا يزال متقدماً على الشمس فهو غربها وهي شرقه. فهي شهادة باطلة لا يجوز سماعها فضلاً عن قبولها فنحن حينما نقول بالأخذ بالحساب الفلكي نحصر هذا القول في النفي دون الاثبات فإذا قال علماء الفلك بأن الهلال لا يولد إلاّ بعد غروب الشمس وجاء من يشهد برؤيته بعد غروب الشمس والحال أنه لم يولد فهذه الشهادة غير صحيحة وباطلة وان كانت من جملة شهود عدول. فهذا وجه الأخذ بالحساب فيما يتعلق بالنفي.

أما إذا كان الهلال مولوداً قبل غروب الشمس وغربت الشمس قبل غروبه ولم يتقدم بالشهادة على رؤيته شاهد أو أكثر فلا يظهر لنا جواز اثبات دخول الشهر بالحساب والحال أنه لم يتقدم شاهد برؤيته.

وقد أحسن مجلس القضاء الأعلى في قراره عدم ثبوت دخول شهر رمضان يوم الأحد الموافق ٢٦/١٠/٢٠٠٣م فقد كانت ولادة الهلال حاصلة قبل غروب شمس يوم السبت الموافق ٢٩/٨/١٤٢٤هـ، إلاّ ان الهلال لم ير ذلك اليوم بعد غروب الشمس في بلادنا السعودية فأصدر المجلس قراراً بأن يوم الاثنين هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان لعام ١٤٢٤هـ .

وهذا التصرف من المجلس عين الحق، حيث ان المعتمد في الاثبات على الرؤية فقط دون الحساب إذا كانت الشمس قد غربت قبل الهلال. والقول برد شهادة من يشهد برؤية الهلال بعد غروب الشمس والحال ان الشمس غربت قبل ولادة الهلال قول صحيح لا يتنافى مع النصوص الشرعية من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وذلك لأن الشهادة معتبرة إذا سلمت عما يؤثر على اعتمادها وقبولها. ومعلوم ان للشهادة موانع قبول ومن أهم موانع قبول الشهادة ان تكون مرتبطة بما يكذبها ولا شك ان غروب الشمس قبل ولادة الهلال يعد أقوى مانع لرد شهادة من يشهد برؤية الهلال بعد غروب الشمس والحال أنها غربت قبل الولادة. فنحن بهذا لم نرد قول الله تعالى: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ولا قول رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم: (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته)، وإنما رفضنا شهادة باطلة من شاهد هو وأهم أو كاذب في شهادته. فليس في الأمر رؤية صحيحة للهلال حتى يقال بمصادمة رد هذه الشهادة للنصوص الشرعية، فالهلال لم يولد بعد وقد غرب قبل غروب الشمس. وبهذا يتضح الأمر بأن الأخذ بالحساب فيما يتعلق بالنفي ليس فيه مصادمة لنص من كتاب الله تعالى ولا من سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثامنة : حول اقتراح إيجاد مرصد أو أكثر وحصر الرؤية الشرعية في المراصد ورفض أي رؤية بصرية إذا لم تكن بواسطة المرصد.

لا شك ان هذا الاقتراح وسيلة قوية في التحري والتحقيق والتدقيق، ولكن قد يكون فيها ما يتعارض مع النص الشرعي: صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته. فإذا كانت الشمس قد غربت قبل الهلال ولم ير الهلال بواسطة المرصد ولكن جاءنا عدل ثقة يشهد برؤيته الهلال.

وشهادته منفكة عما يكذبها فرسولنا صلى الله عليه وسلم يأمرنا بقبول هذه الشهادة بالرؤية الامتثال لقبولها بالصوم وسواء أكانت الرؤية بالعين المجردة أم بالنظارة أو بالتلسكوب أم بالمرصد والحال ان الشهادة بالرؤية منفكة عما يكذبها، حيث إن الشمس غربت قبل غروب الهلال حسب الإفادة الفلكية أما إذا كانت الافادة الفلكية صريحة في ان الهلال غرب قبل الشمس فيجب رد أي شهادة بالرؤية مهما كان طريق الشهادة بها ومهما تعدد مدعوها وقد سررت من ربط إدارة الفتوى في مصر بالمعهد القومي لعلوم الفلك في حلوان وضرورة التنسيق في ترائي الهلال بين إدارة الفتوى ومعهد حلوان.

وكم أتمنى ان يكون لدينا تنسيق بين الجهة المختصة باثبات الهلال وبين مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية المختصة بعلوم الكون والفلك، كما أتمنى عقد ندوة بين علماء

الفلك في بلادنا .

وبين مجموعة من رجال العلم لدينا ومنهم رئيس وأعضاء المجلس الأعلى للقضاء ورئيس وأعضاء اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء لبحث مسائل الهلال، الاقتران، الولادة، إمكان الرؤية، وذلك لتقريب وجهات النظر المتباعدة في ذلك وتضييق دائرة الخلاف في الاثبات.
وبعد إيراد هذه المسائل يطيب لي الدخول في إعداد بيان أوائل الشهور رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذي الحجة لعام ١٤٢٩هـ وشهر محرم لعام ١٤٣٠هـ كما وعدت والله المستعان)[١].

يقول الشيخ صالح اللحيدان حول ما قاله الشيخ ابن منيع : (رأت ما قيل في شهر رمضان لبعض أهل العلم من أن شهر رمضان هذا العام سيكون ثلاثين يوماً وأنه يستحيل رؤية الهلال ليلة الجمعة وأن يوم الجمعة هو المتمم للثلاثين من شهر رمضان المبارك ففهمت ما قصد من ذلك من أنه يتعذر أو يستحيل والمعنى واحد، والجواب أن أهل الحساب خبرهم "ظني" ليس عن رؤية محددة للهلال في موقعه، وإنما لحساب ما يدعونه الهلال، وهذا مجرد خبر قابل للتصديق والتشكيك به، أما خبر المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي جاء أمراً ونهياً فهو المعتبر، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "صوموا لرؤيته" أي شهر رمضان، "وأفطروا لرؤيته" أي هلال شهر شوال، فإن غم عليكم فأكملوا العدة"، وقال عليه السلام: "لا تصوموا حتى تروا الهلال"، ولا تفطروا حتى تروا الهلال" فاجتمع عندنا أمر ونهي. والله يقول جل من قائل: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".

والنبي عليه السلام قال: نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" ولا يعني أننا لا نعرف الحساب أو الكتابة، فكتاب الوحي كتبوا القرآن بعدما أملاه عليهم النبي عليه السلام بعد ما ينزل عليه وتضمن القرآن ذكر أعداد كما في قصة النبي "فأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون"، وفيما يتعلق بليلة القدر "ليلة القدر خير من ألف شهر" وغير ذلك من مضاعفة الحسنات:

---

(١) جريدة الرياض الاربعاء ١٤ جمادى الآخر ١٤٢٩هـ -١٨ يونيو٢٠٠٨م - العدد ١٤٦٠٤

"الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين إلى مئة إلى سبعمئة" فالعرب في الجاهلية يعرفون الحساب ودقة ومعرفة بأحوال النجوم ويحددون الوقت فقول النبي يقصد به: أن أوقات العبادات المفروضة علينا لا تعتمد على الكتابة والحساب وإنما على ما جعله الله جل وعلا علامة على وقت دخول العبادة وانتهائها، فمثاله "الحج" فقال تعالى: "يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج" فهي مواقيت للناس في عقودهم وفي المبايعات وغيرها وهي أيضاً مواقيت للحج.

فمن يدعون أن الحساب قطعي الدلالة لا يؤيدهم نص من الشارع والتحليل والتحريم والأمور القطعية إنما تكون بالحس والرؤية أو خبر الصادق المصدوق وليس لديهم شيء من ذلك إنما معهم حساب قد يزيد وقد ينقص، واختلافهم في الرؤية حتى في هذه النقطة في إمكان الرؤية متنازعون.)[1].

يقول هيثم بن جواد الحداد في الرد على ابن منيع (ملخص الرد):

١- ن مدار البحثين أعني الرؤية والحساب مداران منفصلان، فلا يصح أن يحكم هذا ذاك، ولا ذاك هذا.

٢- علم مما تقدم كذلك أن الشارع لم يرد لنا أن نصوم الشهر التاسع الفلكي، الذي يبدأ بولادة الهلال التاسع في تلك السنة القمرية، وإنما أراد منا أن نصوم شهرًا، تسعة وعشرين أو ثلاثين يومًا يبدأ بشهود المسلمين لتاسع أهلة تلك السنة، حتى لو صاموا ثمانية وعشرين يومًا ما بين الهلال وإكمال العدة، ويقضون اليوم التاسع والعشرين بعد، وبه يزول الإشكال

٣- أن التفريق بين المعنى الشرعي، وغيره، والحقيقة الشرعية وغيرها له نظائر إن لم يكن هو الغالب في الشريعة.

٤- أن القائلين بالحساب الفلكي أخطأوا يوم أن قالوا بقطعيته كقطعية نتيجة الجمع أو

---

(١) منتدى جمعية الفلك بالقطيف١٢ اكتوبر ٢٠٠٧

الضرب، إذ أن الجمع والضرب من جهة أمر حسي، ومن جهة أخرى أنه يتحدث عن أمر قد وقع وشوهد (ماض أو حاضر)، أما الحساب الفلكي فإنه يتحدث عن توقع لنتائج معينة (مستقبل)، لم يشهد لها الحس ولو مرة واحدة بالصحة، ويستحيل أن يشهد لها، لتغاير مدلول النفي والإثبات[1].

س٦٨: لماذا نهى الاسلام عن المغالاة في المهور ؟

ج٦٨ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: (لا شك أن غلاء المهور من أعظم الأسباب في تأخر النكاح، وتعطل الكثير من الشباب والفتيات بسبب مغالاة المهور، وهذا أيضًا مما يتعلق بالموضوع، موضوع العلاقات الزوجية، فإن تأخر الشباب، وتأخر الفتيات عن النكاح، يسبب مشاكل كثيرة، فالواجب العناية بهذا الأمر، والحرص على عدم المفاخرة والمباهاة في المهور وغيرها، والولائم وغير ذلك، فإن المباهاة في هذه الأمور، والمفاخرة في هذه الأمور، من جهة إغلاء المهور، ومن جهة التوسع في الولائم، كل هذا يضر الجميع، ويسبب مشاكل كبيرة.

والوصية للجميع العناية بتسهيل المهور، وتخفيفها وتقليلها حسب الإمكان، مع العناية بتقليل الولائم وتخفيفها وتخفيضها، وعدم التوسع فيها والناس الآن بخير ونعمة، يشق عليهم التوسع في الولائم، ينبغي لك يا أخي أن لا تتوسع في الولائم، وأن تختصر على الشيء القليل الذي تحصل به السنة، من دون تعب على نفسك، وتعب على المدعوين الذين هم في غنية عن الحضور.

فإذا ذبح الإنسان ما تيسر واحدة أو ثنتين أو ثلاثًا، في وليمة العرس فيها خير كثير، وكذلك ما يتعلق بأمور النساء وما يتعلق بإعلان النكاح، ودعوة النساء الكثيرات، وإعلان ذلك بالمكبرات، وسهر الليل كل هذا شره عظيم، وفساده كبير، فالاختصار فيه الخير العظيم، وفيه تسهيل الزواج، وتكثير النكاح، وتكثير الأولاد، والحرص على الخير، ولعل الدولة توفق لعمل ينفع الله به الأمة، ويكون سببا لكثرة النكاح، وقلة السفاح، من الإعانة على المهور

---

(١) هيثم بن جواد الحداد ضحى الأربعاء ١٩ شوال ١٤٢٨هـ، الدرر السنية

، ومن الاقتصاد فيها، وعدم التوسع فيها، وفي الولائم.

نسأل الله أن يوفق الحكومة وولاة الأمر، وعلماء المسلمين وأعيان المسلمين، لكل ما ينفعهم ،وينفع مجتمعهم، وينفع فقراءهم وضعفاءهم، نسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاحهم ونجاتهم، ومساعدتهم في العاجل والآجل[1].

(الزواج نعمة من نعم الله تعالى ، وآية من آياته ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢١)﴾[2]، الله تعالى الأولياء أن يزوجوا من تحت ولايته ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٣٢)﴾[3] ، وذلك لما يترتب على النكاح من المصالح العظيمة ، كتكثير الأمة ، وتحقيق مباهاة النبي صلى الله عليه وسلم لغيره من الأنبياء ، وتحصين الرجل والمرأة من الوقوع في المحرم . . . وغير ذلك من المصالح العظيمة .

ولكن بعض الأولياء وضعوا العقبات أمام الزواج ، وصاروا حائلا دون حصوله في كثير من الحالات . وذلك بالمغالاة في المهر ، وطلبهم من المهر الشيء الكثير مما يعجز عنه الشاب الراغب في الزواج ، حتى صار الزواج من الأمور الشاقة جدا لدى كثير من الراغبين في الزواج

والمهر حق مفروض للمرأة ، فرضته الشريعة الإسلامية ، ليكون تعبيرا عن رغبة الرجل فيها ، قال الله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً(٤)﴾[4] ، ولا يعني هذا اعتبار المرأة سلعة تباع ، بل هو رمز للتكريم والإعزاز ، ودليل على عزم الزوج على تحمل الأعباء وأداء الحقوق .

ولم يحدد الشرع المهر بمقدار معين لا يزاد عليه ، ومع ذلك فقد رَغَّب الشرع في تخفيف المهر وتيسيره .

---

(١) من تعليق سماحته على ندوة بعنوان (العلاقات الزوجية) ألقيت في الجامع الكبير بالرياض. ، وانظر (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٢١/ ٢١٧).

(٢) سورة الروم .

(٣) سورة النور .

(٤) سورة النساء .

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خير النكاح أيسره)[١]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خير الصداق أيسره)[٢] ،وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل أراد الزواج : (التمس ولو خاتماً من حديد)[٣] .

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لأمته المثل الأعلى في ذلك ، حتى ترسخ في المجتمع النظرة الصادقة لحقائق الأمور ، وتشيع بين الناس روح السهولة واليسر .

روى أبو داود والنسائي –واللفظ له – عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : تَزَوَّجْتُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْنِ بِي – وهو الدخول بالزوجة – ، قَالَ :(أَعْطِهَا شَيْئًا ،قُلْتُ : مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ ، قَالَ : فَأَيْنَ دِرْعُكَ الْحُطَمِيَّةُ ؟ قُلْتُ : هِيَ عِنْدِي ، قَالَ : فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ) ، فهذا كان مهر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة ، وهذا يؤكد أن الصداق في الإسلام ليس مقصوداً لذاته .

وروى ابن ماجه أن عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ قال : لا تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ كَانَ أَوْلاكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصْدَقَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَلا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدَقَةَ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ قَدْ كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ)[٥]، (لا تُغَالُوا) أَيْ لا تُبَالِغُوا فِي كَثْرَة الصَّدَاق . . . (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُثَقِّلُ صَدَقَةَ امْرَأَتِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ) أَيْ حَتَّى يُعَادِيَهَا فِي نَفْسه عِنْد أَدَاء ذَلِكَ الْمَهْر لِثِقَلِهِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ أَوْ عِنْد مُلاحَظَة قَدْره وَتَفَكُّره فِيهِ . . . (وَيَقُولُ قَدْ كَلِفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ) حَبْل تُعَلَّق بِهِ أَيْ تَحَمَّلْت لأَجْلِك كُلّ شَيْء حَتَّى الحبل الذي تعلق به القربة اهـ من حاشية السندي على ابن ماجه ، اثنتا عشرة أوقية تساوي أربعمائة وثمانين درهما أي مائة وخمسة وثلاثون ريال فضة تقريباً (١٣٤.٤) ، فهذا كان صداق بنات النبي صلى الله عليه وسلم ونسائه .

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٣٣٠٠ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٣٢٧٩ .
(٣)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥١٣٥ .
(٤) الألباني ، صحيح النسائي ، رقم الحديث ٣١٦٠ .
(٥) الألباني ، صحيح ابن ماجة ، رقم الحديث ١٥٣٢ .

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة فهو جاهل أحمق ، وكذلك صداق أمهات المؤمنين ، وهذا مع القدرة واليسار ، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة إلا ما يقدر على وفائه من غير مشقة)[١] ،وقال أيضاً: وَكَلامُ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ يَقْتَضِي أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الصَّدَاقُ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالْيَسَارِ فَيُسْتَحَبُّ بُلُوغُهُ وَلا يُزَادُ عَلَيْهِ[١].

وذكر ابن القيم في زاد المعاد بعض الأحاديث الدالة على تخفيف المهر وأنه لا حد لأقله ثم قال :فتضمنت هذه الأحاديث أن الصداق لا يتقدر أقله ، وأن المغالاة في المهر مكروهة في النكاح وأنها من قلة بركته وعسره)[٢] .

وبهذا يتبين أن ما يفعله الناس الآن من زيادة المهور والمغالاة فيها أمر مخالف للشرع ، والحكمة من تخفيف الصداق وعدم المغالاة فيه واضحة : وهي تيسير الزواج للناس حتى لا ينصرفوا عنه فتقع مفاسد خلقية واجتماعية متعددة)[٣].

(والشرع جاء بتخفيف المهر وتيسيره ، وأن ذلك من مصلحة الزوج والمرأة جميعاً . كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خير النكاح أيسره)[٤]، وقد تكلم العلماء في هذه المسألة كثيرا وبينوا الأضرار المترتبة على المغالاة في المهور ، ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن إبراهيم فله فتوى مطولة في هذه المسألة جاء فيها :

إن من الأشياء التي تمادى الناس فيها حتى وصلوا إلى حد الإسراف والتباهي (مسألة التغالي في المهور) والإسراف في الألبسة والولائم ونحو ذلك وقد تضجر علماء الناس

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٣٢، ص١٩٤ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد . ج٥ ، ص ١٧٨ .
(٣) موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٨ / ٩ / ٢٠٠٣ م.
(٤) سبق تخريج هذا الحديث .

وعقلاؤهم من هذا لما سببه من المفاسد الكثيرة التي منها بقاء كثير من النساء بلا زوج بسبب عجز كثير من الرجال عن تكاليف الزواج، ونجم عن ذلك مفاسد كثيرة متعددة . . .

وبحثت الموضوع من جميع أطرافه **وتحرر ما يلي** :

١- أن تخفيف الصداق وعدم تكليف الزوج بما يشق عليه مأمور به شرعا باتفاق العلماء سلفا وخلفا، وهو السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- أن الزوج إذا تكلف من الصداق ما لا يقدر عليه ولا يتناسب مع حاله استحق الإنكار عليه؛ لأنه فعل شيئاً مكروهاً، ولو كان ذلك الصداق دون صداق النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الأَنْصَارِ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا ، فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا ؟ قَالَ : قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا . قَالَ : عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا ؟ قَالَ : عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ ! كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ ! مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ . قَالَ : فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ)[1] ،قال النووي في شرحه لهذا الحديث: معنى هذا الكلام كراهة إكثار المهر بالنسبة إلى حال الزوج ..

٣- ومما لا شك فيه أن الزواج أمر مشروع مرغوب فيه، وفي غالب الحالات يصل إلى حد الوجوب، وأغلب الناس لا يتمكن من الوصول إلى هذا المشروع أو المستحب مع وجود هذه المغالاة في المهور. ومن المعلوم أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ومن هذا يؤخذ مشروعية إرشاد الناس وردعهم عن التمادي في هذا الأمر الذي يحول دون المرء ودون فعل ما أوجبه الله عليه، لا سيما والأمر بتقليل المهر لا يتضمن مفسدة، بل هو مصلحة محضة للزوج والزوجة، بل هو أمر محبوب للشارع مرغب فيه كما تقدم.

٤- إن امتناع ولي المرأة من تزويجها بالكفء إذا خطبها ورضيت به إذا لم يدفع ذلك

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٢٤ .

الصداق الكثير الذي يفرضه من أجل أطماعه الشخصية أو لقصد الإسراف والمباهاة أمر لا يسوغ شرعا، بل هو من باب العضل المنهي عنه الذي يفسق به فاعله إذا تكرر ، قال الشيخ ابن عثيمين : (ولقد أوجد أهل العلم تذليلا لهذه العقبة حيث قالوا إن الولي إذا امتنع من تزويج موليته كفؤا ترضاه فإن ولايته تزول إلى من بعده فمثلا لو امتنع أبو المرأة من تزويجها كفؤا في دينه وخلقه وقد رضيته ورغبت فيه فإنه يزوجه أولى الناس بها بعده فيزوجها أولى الناس بها ممن يصلح للولاية من اخوتها أو أعمامها أو بنيهم) .

٥- أن كثرة المهور والمغالاة فيها عائق قوي للكثير من التزوج ولا يخفى ما ينجم عن ذلك من المفاسد الكثيرة وتفشي المنكرات بين الرجال والنساء، والوسائل لها حكم الغايات، والشريعة المطهرة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، ولو لم يكن في السعي في تقليل المهور إلا سد الذرائع المسببة فعل المحرمات لكفى.

٦- لا يخفي ما سببته المغالاة في المهور من المفاسد، فكم من حرة مصونة عضلها أولياؤها وظلموها فتركوها بدون زوج ولا ذرية ، وكم من امرأة ألجأها ذلك إلى الاستجابة لداعي الهوى والشيطان فَجَرَّت العار والخزي على نفسها وعلى أهلها وعشيرتها مما ارتكبته من المعاصي التي تسبب غضب الرحمن ، وكم من شاب أعيته الأسباب فلم يقدر على هذه التكاليف التي ما أنزل الله بها من سلطان فاحتوشته الشياطين وجلساء السوء حتى أضلوه وأوردوه موارد العطب والخسران، فخسر أهله، وفسد ا تجاهه ، بل خسرته أمته ووطنه ، وخسر دنياه وآخرته!!

٧- من أضرار المغالاة في المهور :

أ- حدوث الأمراض النفسية لدى الشباب من الجنسين بسبب الكبت ، وارتطام الطموح بخيبة الأمل .

ب- أن تكليف الزوج فوق طاقته يجلب العداوة في قلبه لزوجته لما يحدث له من ضيق مالي بسببها ، والهدف هو السعادة وليس الشقاء .

٨- أن كثرة الصداق لو كان فيها شيء من المصلحة للمرأة وأوليائها فإن ما يترتب على ذلك من المفاسد يربو على تلك المصلحة إن وجدت ، والقاعدة الشرعية أن درء المفاسد

مقدم على جلب المصالح.

٩- أما القصة المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما نهى أن يزاد في المهر عن أربعمائة درهم اعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ، فقالت : أما سمعت قول الله تعالى: (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا (٢٠))[١] ، قال : فقال : اللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس إني نهيتكم أن تزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة ، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل .

فاعتراض المرأة عليه له طرق لا تخلو من مقال فلا تصلح للاحتجاج ولا لمعارضة تلك النصوص الثابتة المتقدم ذكرها ، لا سيما وأنه لم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة عمر أو الإنكار عليه غير ما جاء عن هذه المرأة . انتهى كلام الشيخ محمد بن إبراهيم بتصرف واختصار وبعض زيادات عليه .)[٢].

س٦٩: لماذا نهى الإسلام عن المبالغة في حفلات الزواج ؟.

ج٦٩: الأصل العام الذي ينبغي أن يحكم الإنسان في نفقته ، كما هو الأصل العام الذي يجب أن يحكمه في حياته ، هو التوسط والاعتدال ؛ قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا(٦٧))[٣] ، وهذا التوسط والاعتدال : لا يراعى فيه مبلغ معين ، أو حد معين إذا تجاوزه المرء يكون مسرفا ، أو قصر عنه يعد بخيلا مقترا ؛ بل يختلف باختلاف حال الشخص من الغنى أو الفقر ، أو حاله في النفقة المعتادة ، أو الأمر الطارئ ، وهكذا أيضا يختلف باختلاف المكان ، والزمان ، ونحو ذلك ؛ فالحكم بأن مثل هذه النفقة إسراف ، أو ليست إسرافا ، يراعى فيه ذلك كله . قال الله تعالى : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا(٧))[٤] .

---

(١) سورة النساء .
(٢) موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٨ / ٩ / ٢٠٠٣ م.
(٣) سورة الفرقان .
(٤) سورة الطلاق .

وحفل الزواج من الأمور التي يشرع فيها إظهار الفرح والسرور ، وإدخاله على الأهل والزوجة ؛ لكن ذلك لا يعني أن يقع الإنسان في الإسراف ، أو إنفاق ما لا يحتاج إليه ، أو يمكن إتمام الأمر بدون تكلفه ، لأجل أن ذلك يكون مرة واحدة ، فالإسراف مرة ممنوع محرم ، كما أن الإسراف أكثر من مرة ، هو تكرير للوقوع في الممنوع المحرم .

وما زال أهل العلم ينبهون على ترك الإسراف في حفلات الزواج ، وما يتعلق بأمره بصفة عامة من النفقات ، ويشيرون إلى أن ذلك من أسباب تعقيد أمر الزواج على الراغبين فيه ، حتى ازدادت العنوسة بين الفتيات .

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : ما رأيكم في غلاء المهور ، والإسراف في حفلات الزواج خاصة الإعداد لما يقال عنه (شهر العسل) ، بما فيه من تكاليف باهظة. هل الشرع يقر هذا ؟، فأجاب رحمه الله :(إن المغالاة في المهور ، وفي الحفلات : كل ذلك مخالف للشرع ؛ فإن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة ، وكلما قلت المؤونة عظمت البركة ، وهذا أمر يرجع في أكثر الأحيان إلى النساء ، لأن النساء هن اللاتي يحملن أزواجهن على المغالاة في الحفلات مما نهى عنه الشرع ، وهو يدخل تحت قوله سبحانه وتعالى : " ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ". وكثير من النساء يحملن أزواجهن على ذلك أيضاً ، ويقلن إن حفل فلان حدث به كذا وكذا، ولكن الواجب في مثل هذا الأمر أن يكون الوجه المشروع ، ولا يتعدى فيه الإنسان حده ، ولا يسرف ، لأن الله سبحانه وتعالى نهى عن الإسراف ، وقال في سورة الأعراف: (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ(٣١)) أما ما يقال عن شهر العسل : فهو أخبث وأبغض ، لأنه تقليد لغير المسلمين ، وفيه إضاعة أموال كثيرة ، وفيه أيضا تضييع لكثير من أمور الدين ، خصوصاً إذا كان يقضى في بلاد غير إسلامية ، فإنهم يرجعون بعادات وتقاليد ضارة لهم ولمجتمعهم ، وهذه أمور يخشى منها على الأمة، أما لو سافر الإنسان بزوجته للعمرة أو لزيارة المدينة فهذا لا بأس به إن شاء الله)[١].

•(١) ابن عثيمين ، فتاوى إسلامية ' ج٣ ، ص ١٧٦ .

وقد بحثت هيئة كبار العلماء ، في المملكة العربية السعودية هذه المسائل المتعلقة بـ : " تمادي الناس في المغالاة في المهور والتسابق في إظهار البذخ والإسراف في حفلات الزواج وبتجاوز الحد في الولائم وما يصحبها من إضاءات عظيمة خارجة عن حد الاعتدال ولهو وغناء بالآت طرب محرمة بأصوات عالية قد تستمر طوال الليل حتى تعلو في بعض الأحيان على أصوات المؤذنين في صلاة الصبح وما يسبق ذلك من ولائم الخطوبة وولائم عقد القران كما استعرض بعض ما ورد في الحث على تخفيف المهور والاعتدال في النفقات والبعد عن الإسراف والتبذير .. وقالت الهيئة في توصياتها المتعلقة بذلك :(و لما يسببه هذا التمادي في المغالاة في المهور والمسابقة في التوسع في الولائم بتجاوز الحدود المعقولة ، وتعدادها قبل الزواج وبعده ، وما صاحب ذلك من أمور محرمة تدعو إلى تفسخ الأخلاق ، من غناء واختلاط الرجال بالنساء في بعض الأحيان ، ومباشرة الرجال لخدمة النساء في الفنادق إذا أقيمت الحفلات فيها ، مما يعد من أفحش المنكرات ، ولما يسببه الانزلاق في هذا الميدان من عجز الكثير من الناس عن نفقات الزواج ، بل قد يجر هذا التوسع الفاحش إلى انحراف الشباب من بنين وبنات ، ولذلك كله فإن مجلس هيئة كبار العلماء يرى ضرورة معالجة هذا الوضع معالجة جادة وحازمة بما يلي:

١- يري المجلس منع الغناء الذي أحدث في حفلات الزواج ، بما يصحبه من آلات اللهو ، وما يستأجر له من مغنين ومغنيات ، وبآلات تكبير الصوت ، لأن ذلك منكر محرم يجب منعه ومعاقبة فاعله .

٢- منع اختلاط الرجال بالنساء في حفلات الزواج وغيرها ، ومنع دخول الزوج على زوجته بين النساء السافرات ومعاقبة من يحصل عندهم ذلك من زوج وأولياء الزوجة معاقبة تزجر عن مثل هذا من المنكر .

٣- منع الإسراف وتجاوز الحد في ولائم الزواج ، وتحذير الناس من ذلك بواسطة مأذوني عقود الأنكحة ، وفي وسائل الإعلام ، وأن يرغب الناس في تخفيف المهور ، ويذم لهم الإسراف في ذلك على منابر المساجد وفي مجالس العلم وفي برامج التوعية التي تبث في

أجهزة الإعلام .

٤- يرى المجلس بالأكثرية معاقبة من أسرف في ولائم الأعراس إسرافا بيناً ، وأن يحال بواسطة أهل الحسبة إلى المحاكم ليعزر من يثبت مجاوزته الحد ، بما يراه الحاكم الشرعي من عقوبة رادعة زاجرة تكبح جماح الناس عن هذا الميدان المخيف ...

٥- يرى المجلس الحث على تقليل المهور ، والترغيب في ذلك على منابر المساجد وفي وسائل الإعلام ، وذكر الأمثلة التي تكون قدوة في تسهيل الزواج ، إذا وجد من الناس من يرد بعض ما يدفع إليه من مهر ، أو اقتصر على حفلة متواضعة لما في القدوة من التأثير " انتهى من "فتاوى إسلامية" (٣/٢٥١) .

والحاصل :

إن الإسراف ممنوع مذموم في كل حال ، سواء ما تعلق منه بالزواج أو غيره ، والمشروع ألا يشق المرء على نفسه ، ولا يكلفها فوق طاقتها ، بل ينفق بحسب حاله وما يستطيعه ، مع تجنب الإسراف والتبذير في النفقة .

لكن ذلك لا يعني أن نفقة أيام العرس والزواج سوف تكون كنفقته في الأيام المعتادة ، مثلا ؛ فهذا غير مناسب طبعا ، بل يشرع التوسع في نفقة ذلك عن المعتاد ، ولأجل ذلك يسن للرجل أن يجعل في نكاحه وليمة ، ويدعو الناس إليها ، وهذه تكلفة زائدة عما اعتاده ، لكن المعتبر ، كما قلنا البعد عن الإسراف والتبذير في ذلك كله ، ومراعاة كل إنسان لحاله وما يقدر عليه[٢] .

س٧٠: لماذا نهى الإسلام عن طلاق المرأة في طهر جامعها فيه زوجها ؟

ج٧٠ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (هذه المسألة خلاف بين أهل العلم، جمهور أهل العلم يرون أنه إذا طلقها ولو في طهر جامعها فيه يقع الطلاق، لو أنه .. الطلاق في طهر جامعها فيه أو في الحيض أو في النفاس.

---

(١) ابن عثيمين ، فتاوى إسلامية ، ج٣ ، ص ٢٥١ .
(٢) موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر بتاريخ ١٣ / ٧ / ٢٠١١ م.

وذهب آخرون من أهل العلم إلى أنه إذا طلقها في الحيض أو في النفاس أو في طهر جامعها فيه وهي ليست حاملا أنه لا يقع لحديث ورد عن ابن عمر في ذلك أنه طلق امرأته وهي حائض فغضب عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر عليه، وقال له: ارجعها وأمسكها حتى تحيض ثم تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك فقال رسول الله: فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وهذا يدل على أن الطلاق الذي فعله ابن عمر غير واقع؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمره أن يرجعها ولم يسأله هل واحدة أو ثنتين أو ثلاث بل أمره أن يرجعها، فدل ذلك على أن الطلاق غير واقع لأنه عاصٍ لله في طلاقها في الحيض أو في النفاس أو في طهر جامعها فيه، فعليه أن يردها وأن يراجعها، ثم إذا أراد الطلاق يطلقها بعد ذلك إذا طهرت قبل أن يطأها.

وأما إذا طلقها وهي حامل فطلاقها ماضٍ، أو طلقها في طهر لم يجامعها فيه فطلاقها ماضٍ، ولكن إذا طلقها في الطهر الذي جامعها فيه وهي غير حبلى أو في الحيض أو في النفاس، فجمع من أهل العلم يقولون لا يقع الطلاق لأنه معصية.)[1]

(والطلاق في الطهر الذي جامع فيه الرجل امرأته: طلاق بدعي باتفاق العلماء ، وفي وقوعه خلاف بين الفقهاء، والجمهور على وقوعه ، وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يقع، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، والجماع المعتبر هو الوطء في القبل، بإيلاج الحشفة فيه، وهذا الذي يترتب عليه وجوب الغسل، والكفارة في نهار رمضان، ووجوب الحد، وغير ذلك من الأحكام، سواء كان على الذكر حائل أو لا ، وعليه: فجميع ما ذكرت من الصور يعتبر طلاقا بدعيا، لأنه طلاق في طهر جامع فيه ، لكن الصورة الأولى- فقط - فيها خلاف، وهي من جامع مع وجود الحائل، أي لبس واقيا على ذكره، فقد اختلف الفقهاء في هذا الجماع هل تترتب عليه الأحكام أم لا، والجمهور على أن الحائل إذا كان لا يمنع اللذة، فالجماع الواقع معه جماع معتبر.

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .

قال النووي رحمه الله في "الروضة" (١/ ٨٢): "وَلَوْ لَفَّ عَلَى ذَكَرِهِ خِرْقَةً، فَأَوْلَجَهُ، وَجَبَ الْغُسْلُ، عَلَى أَصَحِّ الْأَوْجُهِ، وَلَا يَجِبُ فِي الثَّانِي. وَالثَّالِثُ إِنْ كَانَتِ الْخِرْقَةُ خَشِنَةً، وَهِيَ الَّتِي تَمْنَعُ وُصُولَ بَلَلِ الْفَرْجِ إِلَى الذَّكَرِ، وَتَمْنَعُ وُصُولَ الْحَرَارَةِ مِنْ أَحَدِهِمَا إِلَى الْآخَرِ، لَمْ يَجِبْ، وَإِلَّا وَجَب ... قَالَ صَاحِبُ (الْبَحْرِ) : وَتَجْرِي هَذِهِ الْأَوْجُهُ فِي إِفْسَادِ الْحَجِّ بِهِ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَجْرِيَ فِي جَمِيعِ الْأَحْكَامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)[١] انتهى.

وجاء في **"الموسوعة الفقهية"**: (**اختلف الفقهاء في وجوب الغسل من الإيلاج بحائل**: **ف** :

١- ذهب المالكية وبعض الحنفية: إلى أنه لا يجب الغسل على من أولج حشفته، أو قدرها، ملفوفة بخرقة كثيفة تمنع اللذة، فإن كانت الخرقة رقيقة، بحيث يجد معها اللذة وحرارة الفرج: فإنه يجب عليه الغسل .

٢- ذهب الشافعية في الصحيح وبعض الحنفية إلى أنه يجب عليه الغسل في الخرقة الكثيفة؛ لأنه يسمى مولجا، ولقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا التقى الختانان، أو مس الختان الختان فقد وجب الغسل) ، قال الحصكفي: والأحوط: الوجوب. قال ابن عابدين: والظاهر أنه اختيار للقول بالوجوب .

٣- ذهب الحنابلة إلى أنه لا يجب الغسل على من أولج بحائل مطلقا، من غير أن ينصوا على كون الحائل رقيقا أو كثيفا)[٢].

تنبيه: ما نقل هنا عن الحنابلة هنا من إطلاق القول بعدم الغسل مع الحائل مطلقا، هو أحد القولين في المذهب ، والقول الثاني: أنه يجب الغسل أيضا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولو غيب الحشفة من وراء حائل وجب الغسل في أحد الوجهين[٣]، والوجهان: حكاهما المرداوي أيضا، وذكر من قال بكل منهما[٤].

---

(١) النووي ، الروضة ، ج٢ ، ص ٨١ .
(٢) الموسوعة الفقهية ، ج٣١ ، ص ٢٠١ .
(٣) ابن رشيق ، شرح العمدة ، ج١ ، ص ٣٦٠ .
(٤) ابن الأنباري ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٩١ – ٩٣ .

بل إنه أطلق القول بالغسل أيضا في (كتاب الحيض)، من الإنصاف. قال:" لو لف على ذكره خرقة، ثم وطئ، فهو كالوطء بلا خرقة. جزم به في الفروع، و الرعاية، وابن تميم، وغيرهم[1].

وفرق بعض المحققين بين (الحائل الرقيق) ، فيجب معه الغسل، وغيره، كما سبق نقله عن غيرهم، وكأنه جمع بين القولين المحكيين في المذهب.

قال الرحيباني رحمه الله:(ويتجه باحتمال) قوي: (فلا يفسد) إحرام من أولج (بلا إنزال) إذا كان إيلاجه (بحائل) صفيق، بحيث لا يحس بالحرارة، أما إذا أولج بلا حائل، أو بحائل غير صفيق، فإنه يفسد إحرامه؛ لأنه وطء يوجب الغسل، وهو متجه[2].

والحاصل: أن استعمال الواقي الذكري: لا يؤثر في شيء من الأحكام، فيجب معه الغسل، والطلاق بعده طلاق بدعي، على القول الراجح، وهو مذهب جمهور أهل العلم.

وأما كون الزوج عقيما أو الزوجة عقيمة، أو استعملت وسيلة لمنع الحمل، أو استعملها هو، فهذا كله غير مؤثر، وجماعه معتبر.)[3] ، وينبغي الحذر من استعمال ألفاظ الطلاق ، فالطلاق لم يشرع للتنفيس أو الانتقام ، بل شرع عند الحاجة إليه لنقض الميثاق الغليظ الذي هو الزواج ، وإذا كان الزوج كلما غضب تكلم بالطلاق ، فربما أوقع الطلاق وبانت منه امرأته ، وكان سببا في تمزيق شمل أسرته من حيث لا يريد.

والطلاق المشروع هو طلاق الرجل لامرأته وهي حامل ، أو في طهر لم يجامعها فيه ، وأما الطلاق في طهر جامعها فيه فهو طلاق بدعي ، وهل يقع أو لا ؟ جمهور العلماء على وقوعه ، كما أن جمهورهم على أن الطلاق في العدة واقع أيضا ، فإذا طلق الرجل زوجته طلقة ، دخلت في العدة ، فإذا عاد وطلقها ثانية وقع الطلاق ثانيةً ، فإن عاد وطلقها ثالثة ، بانت منه ، ولم تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

---

(١) ابن الأنباري ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٣٨٢ .
(٢) الرحيباني ، مطالب أولي النهى ، ج٢ ، ص ٣٤٨ ، وينظر: "حاشية الروض المربع" (٢٧٤/١).
(٣) موقع الإسلام سؤال و جواب ، نشر في ٣١ / ٣ م ٢٠٢٠ م.

وبهذا يتبين لك أن الأمر عظيم ، وأن هذه الكلمة التي تخرج من فمك لها تبعات .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الطلاق في الطهر الذي جامعها فيه لا يقع ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم ، وبه يفتي جمع من أهل العلم في هذا العصر .

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة : (الطلاق البدعي أنواع منها: أن يطلق الرجل امرأته في حيض أو نفاس أو في طهر مسها فيه ، والصحيح في هذا أنه لا يقع)[1] .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : "شرع الله أن تطلق المرأة في حال الطهر من النفاس والحيض ، وفي حالٍ لم يكن جامعها الزوج فيها ، فهذا هو الطلاق الشرعي ، فإذا طلقها في حيض أو نفاس أو في طهر جامعها فيه فإن هذا الطلاق بدعة ، ولا يقع على الصحيح من قولي العلماء ، لقول الله جل وعلا : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ... (١))[2] ، والمعنى : طاهرات من غير جماع ، هكذا قال أهل العلم في طلاقهن للعدة . أن يَكُنَّ طاهرات من دون جماع ، أو حوامل[3] . هذا هو الطلاق للعدة[3]، وعلى هذا القول لا يقع عليك شيء من الطلاق)[4].

س٧١: لماذا شرع الإسلام نفقة للمطلقة طلاقا رجعيا ؟.

ج٧١: الزوجة التي تطلب الطلاق وقد دخل بها زوجها لها حالتان :

الحالة الأولى : إما أن تطلبه بسبب تقصير الزوج في أداء حقوقها ، أو وجود خلُقٍ فيه يؤذيها ويمنعها حقها ، أو وقوعه في الموبقات والمعاصي ، ونحو ذلك من الأسباب التي تجيز لها طلب الطلاق ، والقاضي الشرعي هو الذي يقدرها ويقرر هل هي أسباب صحيحة أم لا ، فإن كانت صحيحة ، فيجب على الزوج حينئذ أن يطلقها ، ويمنحها كامل حقوقها وهي :

---

(١) اللجنة الدائمة للإفتاء ، الفتاوى ، ج٢٠ ، ص ٨٥ .
(٢) سورة الطلاق .
(٣) ابن باز ، فتاوى الطلاق ، ص ٤٤ .
(٤) موقع الإسلام سؤال و جواب ، نشر في ٣ / ٩ / ٢٠٠٧ م.

١- المهر المتفق عليه كاملا ، المقدم - إن كان بقي منه شيء - والمؤخر ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا)[١] .

٢- النفقة المعتدلة من مأكل ومشرب ومسكن وملبس خلال فترة العدة إذا كان طلاقا رجعيّاً قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله :(والمطلقة الرجعية زوجة ما دامت في العدة : لها ما للزوجات من نفقة وكسوة ومسكن)[٢] .

فإن كان الطلاق غير رجعي كالطلقة الثالثة : فلا نفقه لها ولا سكنى ، روى مسلم أن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها طلقها زوجها الثالثة ، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لها من النفقة فقال : (لا نفقة لك ولا سكنى)[٣] ، فإذا كانت حاضنة لأولادها منه فيجب عليه أيضا حينئذ أن يعطيها :

٣- أجرة الحضانة والرضاعة .

٤- ونفقة الأولاد ، قال الله تعالى : (**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا... (٢٣٣)**)[٤] ، فأوجب الله تعالى للأم التي ترضع ولدها أو جب لها النفقة على المولود له ، وهو الأب ، وهذا شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة ، فإن على الأب نفقتها[٥] .

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله :(المطلقة ثلاث طلقات هذه ليس على زوجها نفقة لها هي ، لكن ينفق عليها من أجل الحمل ، وعلى هذا فما احتاجت إلى الإنفاق على الحمل : فيجب على زوجها أن يأتي به ، بعد الوضع يكون الإنفاق على الحمل خاصة ، يعني : أجرة الرضاع — حليب - وأيضاً ثياب الصبي ، وما شابه ذلك ، كل ذلك ، لكن طعام الأم بعد الوضع ليس عليه ، قال الله تعالى: (**وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ**

---

(١) الألباني ، إرواء الغليل ، رقم الحديث ١٨٤٠ .
(٢) الفوزان ، الملخص الفقهي ، ج٢ ، ص ٣١٧ .
(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٨٠ .
(٤) سورة البقرة .
(٥) السعدي ، تفسير السعدي ، ص ١٠٥ .

(حَمْلَهُنَّ.. (٦)) [١] ، [٢] .

وجاء في الموسوعة الفقهية :(ذهب الشّافعيّة والحنابلة إلى أنّ الحاضنة لها الحقّ في طلب أجرة على الحضانة ، سواء أكانت الحاضنة أمّا أمْ غيرها ؛ لأنّ الحضانة غير واجبة على الأمّ ، ولو امتنعت من الحضانة لم تجبر عليها في الجملة)[٣].

ويرجع في تحديد الأجرة والنفقة إلى القاضي ، ولا يحل للزوج أن يضيق على زوجته كي يضطرها إلى التنازل عن شيء من الحقوق السابقة .

الحالة الثانية : أن تطلب المرأة الطلاق بغير سبب من الزوج ، فللزوج حينئذ أن يطالبها باسترجاع الصداق الذي دفعه لها ، مقابل تطليقها ، وهذا ما يسمى بـ (الخلع) ، ولا يبقى في هذه الحالة من الحقوق الأربعة السابقة التي تلزمه إلا حق أجرة الرضاعة والحضانة ، ونفقة الطفل الرضيع .

روى عبد الرزاق في المصنف: عن الشعبي سئل عن المختلعة لها نفقة ؟ فقال : كيف ينفق عليها وهو يأخذ منها ؟! .ولأنه إذا تم الخلع فلا رجعة لزوجها عليها ، فهي كالمطلقة البائن ، فلا نفقة لها [٤].

قال ابن القيم رحمه الله : المطلقة البائن (غير الحامل) لا نفقة لها ولا سكنى بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة ، بل الموافقة لكتاب الله ، وهي مقتضى القياس ومذهب فقهاء الحديث .[٥] ، [٦].

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله (المطلقة الرجعية عليها أن تعتد في بيت زوجها، وليس لها الخروج من بيت زوجها إلا إذا أتت فاحشة مبينة فإنها تخرج وتخرج، أما ما دامت على السداد والعافية

---

(١) سورة الطلاق .
(٢) ابن عثيمين ، لقاءات الباب المفتوح ١٤٧ ، سؤال رقم ٨ .
(٣) الموسوعة الفقهية ، ج١٧ ، ص ٣١١ .
(٤) عبدالرزاق ، المصنف ، ج٤ ، ص ٩٠ .
(٥) ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج٣ ، ص ٣٧٨ .
(٦) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١٢ / ٣ / ٢٠٠٨ م.

فإنه تبقى في بيت زوجها، وهذا من وسائل رجوعه إليها وجمع الشمل بها وترك الاستمرار في طلاقها، وقد أمر الله جل وعلا ببقائها في البيت ونهى عن إخراجها، قال جل وعلا: (يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَّ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهَّ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهَّ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَّ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا(١))[(١)] ، هذه الآية الكريمة في الرجعيات؛ لأنها هي التي قد يحدث لها أمر بالمراجعة، بخلاف المطلقة طلاقاً بائناً فإن هذه لا يرجى فيها حدوث أمر وأن يبدو له مراجعتها؛ لأنها لا تراجع إذا كان قد بانت، فالطلاق المذكور في هذه الآية في الرجعيات، التي طلقها طلقة واحدة أو طلقها طلقتين فله مراجعتها ما دامت في العدة، فالواجب عليه بقاؤها في البيت وألا يخرجها وألا يرضى بإخراجها، ولو طلب أهلها خروجها ينبغي له أن يأبى، وينبغي لأهلها ألا يطلبوها، بل عليهم أن يساعدوا على بقائها في البيت لهذه الآية الكريمة: (لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) ، فإذا كانت المرأة على السداد وليس فيها أذى لأهل البيت ولم تأت الفاحشة فإنها تبقى في البيت، وربما ندم فراجعها قبل خروجها من العدة، وينبغي لها أيضاً كما قال جماعة من العلماء أن تتحسن له وأن تتزين له وأن تتعرض له حتى يراها إذا دخل وإذا خرج، فربما تاقت نفسه إليها، وربما رغب في مراجعتها إذا رآها في حالة حسنة، هكذا ينبغي.

فبقاؤها في البيت أمر واجب، وعلى الزوج أن يبقيها، وعلى أهلها أن يوافقوا على ذلك، وعليها هي أن تبقى أيضاً في البيت، وينبغي لها أن تتحسن لزوجها وأن تتعرض له لعله يندم.. لعله يراجع قبل أن تخرج من العدة، هذا هو المشروع في هذه المسألة، وإن كان الغالب على الناس ترك ذلك والجهل بذلك، ولكن جهلهم وعملهم إذا خالف الشرع لا يحتج به.. وبقاؤها في البيت غير متحجبة، بل تكشف وجهها، وتلبس الملابس الحسنة، وتريه من نفسها

---

(١) سورة الطلاق .

ما يرغبه كإظهار شعرها وإظهار محاسنها من يديها ورجليها ووجهها وشعرها ونحو ذلك؛ لأنها زوجة، طلاقها الرجعي لا يحرمها عليه، بل لا تزال زوجة حتى تخرج من العدة، وإظهار محاسنها له وتحسنها وتطييبها له من أعظم الأسباب في رجوعه إليها.)[1] .

س٧٢: لماذا قال الإسلام أن الولد للفراش .. ؟.

ج٧٢ :من المهمات التي اعتنت بها الشريعة (النسب) وهو لحمة شرعية بين الأب وابنه تنتقل من السلف إلى الخلف ؛ ويترتب عليه الكثير من الأحكام في: الرضاع ، والنكاح ، والحضانة ، والولاية ، والنفقة ، والميراث ، والقصاص ، وحد السرقة ، والقذف ، والشهادة وغيرها .

قال الشاه ولي الله الدهلوي : " اعْلَم أَن النّسَب أحد الْأُمُور الَّتِي جُبل على محافظتها الْبشر، فَلَنْ ترى إنْسَانا فِي إقليم من الأقاليم الصَّالِحَة لنشء النَّاس إِلَّا وَهُوَ يحب أَن ينْسب إِلَى أَبِيه وجده ، وَيكرهُ أَن يقْدَح فِي نسبته إِلَيْهِمَا... فَمَا اتّفق طوائف النَّاس على هَذِه الْخصْلَة إِلَّا لِمَعْنى فِي جبلتهم ، ومبنى شرائع الله على إبْقَاء هَذِه الْمَقَاصِد الَّتِي تجْرِي بجري الجبلة)[2].

وقال ابن القيم : (إِثْبَاتَ النَّسَبِ فِيهِ حَقٌّ لِلَّهِ ، وَحَقٌّ لِلْوَلَدِ ، وَحَقٌّ لِلْأَبِ ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْكَامِ الْوَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ مَا بِهِ قِوَامُ مَصَالِحِهِمْ ، فَأَثْبَتَهُ الشَّرْعُ بِأَنْوَاعِ الطُّرُقِ الَّتِي لَا يَثْبُتُ بِمِثْلِهَا نِتَاجُ الْحَيَوَانِ)[3] .

وقد اتفق العلماء على أن الفراش هو الأصل في ثبوت النسب ، والمراد بالفراش : الزوجية القائمة بين الرجل والمرأة ، قال الشيخ عبد الوهاب خلاف : (المراد شرعاً بالفراش : الزوجية القائمة حين ابتداء الحمل ، فمن حملت وكانت حين حملت زوجة يثبت نسب حملها من زوجها الثابتة زوجيتها به حين حملت، من غير حاجة إلى بينة منها، أو إقرار منه، وهذا النسب يعتبر شرعا ثابتا بالفراش)[4].

---

(١) ابن باز ، الموقع الرسمي للشيخ ابن باز .
(٢) الدهلوي ، الحجة البالغة ، ج٢ ، ص ٢٢٢ .
(٣) ابن القيم ، الطرق الحكيمة ، ص ١٩١ .
(٤) عبدالوهاب خلاف ، من أحكام الأحوال الشخصية ، ص ١٨٦ .

قال ابن القيم : (فَأَمَّا ثُبُوتُ النَّسَبِ بِالْفِرَاشِ فَأَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ)[١] ،وقال ابن الأثير : (وإثبات، النسب وإلحاقه بالفراش المستند إلى عقد صحيح أو ملك يمين، مذهب جميع الفقهاء ، لم يختلف فيه أحد من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المجتهدين وغيرهم)[٢] .

واختلف العلماء في الزاني إذا أراد استلحاق ابنه من الزنا به ، هل يثبت نسبه له شرعاً أم لا ؟ ، **فلمسألة استلحاق الزاني لابنه من الزنا صور:**

الصورة الأولى : أن تكون المرأة المزني بها ذات فراش ، أي متزوجة ، وأتت بولد بعد ستة أشهر من زواجها ، ففي هذه الحال ينسب الولد إلى الزوج ، ولا ينتفي عنه إلا بملاعنته لزوجته ، ولو ادعى رجل آخر أنه زنى بهذه المرأة وأن هذا ابنه من الزنا ، لم يلتفت إليه بالإجماع ، وذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ)[٣] .

قال ابن قدامة : (وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ إذَا وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ رَجُلٍ ، فَادَّعَاهُ آخَرُ : أَنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ)[٤].

الصورة الثانية : أن لا تكون المرأة ذات فراش ، ولا يستلحقه الزاني به ، ولا ادَّعي أنه ابنه من الزنا ، ففي هذه الحال لا يُلحق به أيضاً قولاً واحداً ، فلم يقل أحد من أهل العلم بإلحاق ولد الزنا بالزاني من غير أن يدعيه الزاني ، وقد أشار الماوردي في الحاوي الكبير إلى " (إِجْمَاعِهِمْ عَلَى نَفْيِهِ عَنْهُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِالزِّنَا")[٥] ، أي إذا لم يدعه .

الصورة الثالثة :إذا لم تكن المرأة فراشاً لأحد ، وأراد الزاني استلحاق هذا الولد به ،فهذه الصورة محل الخلاف بين العلماء، قال ابن قدامة : (وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِيمَا إذَا وُلِدَ عَلَى غَيْرِ فِرَاشٍ)[٦] ، وهي مسألة مهمة جداً كما قال ابن القيم: " هَذِهِ مَسْأَلَةٌ جَلِيلَةٌ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهَا[٧].

واختلف العلماء في هذه المسألة على قولين مشهورين :

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٦٨ .
(٢) ابن الأثير ، الشافي ج٥ ، ص ٩٤ .
(٣) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٠٥٣ ، وعند الإمام مسلم .
(٤)ابن قدامة ، المغني ، ج٩ و ص ١٢٣ .
(٥) الماوردي ، الحاوي الكبير ، ج٨ ، ص ٤٥٥ .
(٦) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ١٢٣ .
(٧) ابن قدامة ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٨١ .

القول الأول : أن ابن الزنا لا يُنسب إلى الزاني ولو ادعاه واستلحقه به ، وهو قول عامة العلماء من المذاهب الأربعة والظاهرية وغيرهم [(١)].

وبناء على هذا القول : فإن ولد الزنا – ذكرا كان أو أنثى – لا ينسب إلى الزاني ، ولا يقال إنه ولده ، وإنما ينسب إلى أمه ، وهو محرَم لها ، ويرثها كبقية أبنائها ، قال ابن قدامة المقدسي : (وَوَلَدُ الزِّنَى لَا يَلْحَقُ الزَّانِيَ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ)[(٢)] .

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (الصحيح من أقوال العلماء أن الولد لا يثبت نسبه للواطئ إلا إذا كان الوطء مستنداً إلى نكاح صحيح أو فاسد أو نكاح شبهة أو ملك يمين أو شبهة ملك يمين ، فيثبت نسبه إلى الواطئ ويتوارثان ، أما إن كان الوطء زنا فلا يلحق الولد الزاني ، ولا يثبت نسبه إليه ، وعلى ذلك لا يرثه)[(٣)].

القول الثاني : أن الزاني إذا استلحق ولده من الزنا فإنه يلحق به ، وهو قول عروة بن الزبير ، وسليمان بن يسار، والحسن البصري ، وابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وإسحاق بن راهوية[(٤)].

وروى الدارمي في السنن عَنْ بُكَيْرٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: " أَيُّمَا رَجُلٍ أَتَى إِلَى غُلَامٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ ابْنٌ لَهُ وَأَنَّهُ زَنَى بِأُمِّهِ ، وَلَمْ يَدَّعِ ذَلِكَ الْغُلَامَ أَحَدٌ : فَهُوَ يَرِثُهُ ".قَالَ بُكَيْرٌ : وَسَأَلْتُ عُرْوَةَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ[(٥)] .

قال ابن القيم : (كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْمَوْلُودَ مِنَ الزِّنَى إِذَا لَمْ يَكُنْ مَوْلُودًا عَلَى فِرَاشٍ يَدَّعِيهِ صَاحِبُهُ ، وَادَّعَاهُ الزَّانِي : أُلْحِقَ بِهِ ... وَهَذَا مَذْهَبُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ،

---

(١) ينظر: "المبسوط" للسرخسي (١٥٤/١٧) ، "بدائع الصنائع" للكاساني (٢٤٣/٦) ، المدونة (٥٥٦/٢) ، "أسنى المطالب في شرح روض الطالب" (٢٠/٣) ، " المغني" (٢٢٨/٦) ، "المحلى" (١٤٢/١٠).
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ١٢٣ ، وعلى هذا القول فتوى الشيخ ابن إبراهيم كما في "فتاواه " (١٤٦/١١) ، والشيخ ابن باز كما في "مجموع فتاواه" (٢٨/ ١٢٤) ، رحمة الله عليهما .
(٣)فتاوى اللجنة الدائمة ، ج٢٠ ، ص ٣٧٨ .
(٤) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ١٢٣ .
(٥) الدارمي ، السنن ، رقم الحديث ٣١٠٦ .

رَوَاهُ عَنْهُ إسحاق بِإِسْنَادِهِ فِي رَجُلٍ زَنَى بِامْرَأَةٍ، فَوَلَدَتْ وَلَدًا، فَادَّعَى وَلَدَهَا فَقَالَ: يُجْلَدُ وَيَلْزَمُهُ الْوَلَدُ ، وَهَذَا مَذْهَبُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَسُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ[1]".

قال ابن قدامة : (وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : لَا أَرَى بَأْسًا إذَا زِنَى الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ فَحَمَلَتْ مِنْهُ ، أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مَعَ حَمْلِهَا ، وَيَسْتُرَ عَلَيْهَا ، وَالْوَلَدُ وَلَدٌ لَهُ)[2] . ، واختار هذا القول : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وتلميذه ابن القيم ، قال ابن مفلح رحمه الله : (واختار شيخنا أنه إن استلحق ولده من زنا ولا فراش : لحقه)[3]، وقال المرداوي : (وَاخْتَارَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ : إنْ اسْتَلْحَقَ وَلَدَهُ من الزنى وَلَا فِرَاشَ: لَحِقَهُ ، وَنَصُّ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فيها : لَا يَلْحَقُهُ ، وقال في الِانْتِصَارِ في نِكَاحِ الزَّانِيَةِ يَسُوغُ الِاجْتِهَادُ فيه ، وقال في الِانْتِصَارِ : يَلْحَقُهُ بِحُكْمِ حَاكِمٍ ، وَذَكَرَ أبو يَعْلَى الصَّغِيرُ وَغَيْرُهُ مِثْلَ ذلك)[4] [5].

وقد استدل جمهور العلماء على عدم لحوق ولد الزنى بالزاني ب : قول النبي صلى الله عليه وسلم: (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ) ، ووجه الاستدلال : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل ولداً لغير الفراش ، كما لم يجعل للعاهر سوى الحجر ، وإلحاق ولد الزنا بالزاني إلحاق للولد بغير الفراش ، فقوله (الولد للفراش) يقتضي حصر ثبوت النسب بالفراش ، قال الكاساني :

:(**أولا** : النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَخْرَج الْكَلَامَ مُخْرَجَ الْقِسْمَةِ ، فَجَعَلَ الْوَلَدَ لِصَاحِبِ الْفِرَاشِ وَالْحَجَرَ لِلزَّانِي ، فَاقْتَضَى أَنْ لَا يَكُونَ الْوَلَدُ لِمَنْ لَا فِرَاشَ لَهُ ، كَمَا لَا يَكُونُ الْحَجْرُ لِمَنْ لَا زِنَا مِنْهُ ، إذْ الْقِسْمَةُ تَنْفِي الشَّرِكَةَ ،

وَالثَّانِي : أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَعَلَ الْوَلَدَ لِصَاحِبِ الْفِرَاشِ وَنَفَاهُ عَنْ الزَّانِي بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : (وَلِلْعَاهِرِ الْحَجْرُ) لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ يُسْتَعْمَلُ فِي النَّفْيِ .

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ،ص ٣٨١ .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ و ص ١٢٣ .
(٣) ابن مفلح ، الفروع ، ج٦ ، ص ٦٢٥ ، ونسبه إليه البعلي في "الاختيارات الفقهية" ص ٤٧٧ .
(٤) المرداوي ، الإنصاف ، ج٩ ، ص ٢٦٩ .
(٥) اختاره أيضاً من المعاصرين : الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار (٣٨٢/٤)، وهو اختيار الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى ، كما في "الشرح الممتع" (١٢٧/١٢).

و **الثَّالِثُ** : أَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ جِنْسِ الْوَلَدِ لِصَاحِبِ الْفِرَاشِ ، فَلَوْ ثَبَتَ نَسَبُ وَلَدٍ لِمَنْ لَيْسَ بِصَاحِبِ الْفِرَاشِ لَمْ يَكُنْ كُلُّ جِنْسِ الْوَلَدِ لِصَاحِبِ الْفِرَاشِ وَهَذَا خِلَافُ النَّصِّ ، فَعَلَى هَذَا إذَا زَنَى رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ فَجَاءَتْ بِوَلَدٍ فَادَّعَاهُ الزَّانِي لَمْ يَثْبُتْ نَسَبُهُ مِنْهُ لِانْعِدَامِ الْفِرَاشِ .
وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَيَثْبُتُ نَسَبُهُ مِنْهَا لِأَنَّ الْحُكْمَ فِي جَانِبِهَا يَتْبَعُ الْوِلَادَةَ)[1] .

وقال أبو بكر الجصاص: وقوله: (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ) قد اقتضى معنيين:

أحدهما: إثبات النسب لصاحب الفراش .

والثاني: أن من لا فراش له فلا نسب له ؛ لأن قوله (الولد) اسم للجنس، وكذلك قوله "الفراش" للجنس، لدخول الألف واللام عليه ، فلم يبق ولد إلا وهو مراد بهذا الخبر، فكأنه قال: لا ولد إلا للفراش)[2].

وقال ابن حزم الظاهري : (نفى صلى الله عليه وسلم أولاد الزنى جملة بقوله عليه الصلاة والسلام " وللعاهر الحجر " ، فالعاهر – أي الزاني – عليه الحد فلا يلحق به الولد ، والولد يلحق بالمرأة إذا أتت به ، ولا يلحق بالرجل ، ويرث أمه وترثه ، لأنه عليه الصلاة والسلام ألحق الولد بالمرأة في اللعان ونفاه عن الرجل)[3] ،

وقال ابن عبد البر: (البيان من الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في أن العاهر لا يلحق به في الإسلام ولد يدعيه من الزنا ، وأن الولد للفراش على كل حال ، والفراش : النكاح ، أو ملك اليمين لا غير ، أجمع العلماء – لا خلاف بينهم فيما علمته – أنه لا يلحق بأحد ولد يستلحقه إلا من نكاح أو ملك يمين ، فإذا كان نكاح أو ملك فالولد للفراش على كل حال)[4] .

٢– واستدلوا بما رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى : (أَيُّمَا مُسْتَلْحَقٍ اسْتُلْحِقَ بَعْدَ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ ادَّعَاهُ

---

(١) الكاساني و بدائع الصنائع ، ج٦ ، ص ٢٤٢ .
(٢) الجصاص ، أحكام القرآن ، ج٥ ، ص ١٥٩ .
(٣) ابن حزم ، المحلى ، ج١٠ ، ص ٣٢٢ .
(٤) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٢ ، ص ١٦٧ .

وَرَثَتُهُ ، قَضَى : إِنْ كَانَ مِنْ حُرَّةٍ تَزَوَّجَهَا أَوْ مِنْ أَمَةٍ يَمْلِكُهَا فَقَدْ لَحِقَ بِمَا اسْتَلْحَقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حُرَّةٍ أَوْ أَمَةٍ عَاهَرَ بِهَا : لَمْ يَلْحَقْ بِمَا اسْتَلْحَقَهُ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى لَهُ هُوَ ادَّعَاهُ ، وَهُوَ ابْنُ زِنْيَةٍ لِأَهْلِ أُمِّهِ مَنْ كَانُوا حُرَّةً أَوْ أَمَةً)[1] ، ففي هذا الحديث دلالة على أن من استلحق ولداً من الزنا – بحرة أو أمة –: لم يلحق به، وإنما ينسب لأمه .

قَالَ الْخَطَّابِيّ موضحا المقصود من الحديث : "(هَذِهِ أَحْكَامٌ قَضَى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أوائل الإسلام ومبادئ الشَّرْعِ وَهِيَ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ وَاسْتَلْحَق لَهُ وَرَثَتُهُ وَلَدًا : فَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي يدَّعى الْوَلَدَ لَهُ وَرَثَتُهُ قَدْ أَنْكَرَ أَنَّهُ مِنْهُ : لَمْ يَلْحَقْ بِهِ وَلَمْ يَرِثْ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَنْكَرَهُ : فَإِنْ كَانَ مِنْ أَمَتِهِ : لَحِقَهُ ، وَوَرِثَ مِنْهُ مَا لَمْ يُقْسَمْ بَعْدُ مِنْ مَالِهِ ، وَلَمْ يَرِثْ مَا قُسِمَ قَبْلَ الِاسْتِلْحَاقِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَمَةِ غَيْرِهِ ... أَوْ مِنْ حُرَّةٍ زَنَى بِهَا : لَا يَلْحَقُ بِهِ وَلَا يَرِثُ ، بَلْ لو استلحقه الواطئ لم يلحق به ، فإن الزنى لَا يُثْبِتُ النَّسَبَ)[2] .

وهذا الدليل هو أقوى ما يستدل به أصحاب هذا القول ، فهو صريح في أن الزاني إذا استلحق ابناً له من الزنا لا يلحقه ، حتى قال ابن القيم : (إِنْ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ تَعَيَّنَ الْقَوْلُ بِمُوجَبِهِ ، وَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ)[3] .

٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا مُسَاعَاةَ فِي الْإِسْلَامِ ، مَنْ سَاعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَدْ لَحِقَ بِعَصَبَتِهِ ، وَمَنْ ادَّعَى وَلَدًا مِنْ غَيْرِ رِشْدَةٍ : فَلَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ)[4] ، و(لَا مُسَاعَاة فِي الْإِسْلَام) الْمُسَاعَاة الزِّنَا ، وَكَانَ الْأَصْمَعِيّ يَجْعَلهَا فِي الْإِمَاء دُون الْحَرَائِر لِأَنَّهُنَّ كُنَّ يَسْعَيْنَ لِمَوَالِيهِنَّ فَيَكْسِبْنَ لَهُمْ بِضَرَائِب كَانَتْ عَلَيْهِنَّ، قَالَ فِي مَعَالِم السُّنَن : إِنَّ أَهْل الْجَاهِلِيَّة كَانَتْ لَهُمْ إِمَاء يُسَاعِينَ وَهُنَّ الْبَغَايَا اللَّوَاتِي ذَكَرهنَّ اللَّه تعالى فِي قَوْله عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِذَا كَانَ سَادَتهنَّ يُلِمُّونَ بِهِنَّ وَلَا يَجْتَنِبُوهُنَّ ، فَإِذَا

---

(١) رواه أحمد (٦٦٦٠) واللفظ له ، وأبو داود (٢٢٦٥) ، وابن ماجه (٢٧٤٦)، والحديث حسنه : البوصيري في "مصباح الزجاجة" (٩٣/٢) ، والشيخ الألباني، ومحققو المسند ، وصححه الشيخ أحمد شكر .
(٢) البيضاوي ، شرح مصابيح السنة ، ج٢ ، ص ٤٠٨ .
(٣)ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٤٨ .
(٤) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٢٢٦٤ .

جَاءَتْ إِحْدَاهُنَّ بِوَلَدٍ وَكَانَ سَيِّدهَا يَطَؤُهَا وَقَدْ وَطِئَهَا غَيْره بِالزِّنَا فَرُبَّمَا اِدَّعَاهُ الزَّانِي وَادَّعَاهُ السَّيِّد ، فَحَكَمَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوَلَدِ لِسَيِّدِهَا ؛ لِأَنَّ الْأَمَة فِرَاش السَّيِّد كَالْحُرَّةِ وَنَفَاهُ عَنْ الزَّانِي ، وقوله (وَلَدًا مِنْ غَيْر رِشْدَة) : يُقَال هَذَا وَلَد رِشْدَة بِالْكَسْرِ وَالْفَتْح ، مَنْ كَانَ بِنِكَاحٍ صَحِيح ، وَوَلَد زِنْيَة مَنْ كَانَ بِضِدِّهِ)[1] ، لكن الحديث ضعيف ، قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : "فِي إِسْنَاده رَجُل مَجْهُول" ،وقال ابن القيم : (وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ رَجُلٌ مَجْهُولٌ ، فَلَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ)[2]، وضعفه : الشيخ أحمد شاكر والألباني أيضاً.[3].

٤- أن هذا هو الذي جرى عليه عمل المسلمين في العصور المتقدمة ، قال الإمام أبو يوسف : (وَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَجَمَ غَيْرَ وَاحِدٍ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا وَالسَّلَفِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا الْحُدُودَّ عَلَى الزُّنَاةِ ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مَنْهُمْ أَنَّهُ قَضَى مَعَ ذَلِكَ بِمَهْرٍ ، وَلَا أَثْبَتَ مِنْهُ نَسَبَ الْوَلَدِ)[4].

لقد استدل من قال بإلحاق ابن الزنا به إذا استلحقه بما يلي :

١- أن هذا الطفل متولد من مائه ، فهو ابنه قدراً وكوناً ، ولا يوجد دليل شرعي صحيح صريح يمنع من إلحاق نسبه به ، قال الشيخ ابن عثيمين : (الولد للزاني ، وذلك لأن الحكم الكوني الآن لا يعارضه حكم شرعي فكيف نلغي هذا الحكم الكوني ، مع أننا نعلم أن هذا الولد خلق من ماء هذا الرجل ؟ فإذا استلحقه وقال هو ولده فهو له ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من العلماء ، يلحقونه ويقولون : إن هذا الولد ثبت كونه للزاني قدراً ، ولم يعارضه حكم شرعي ، فلا نهمل الحكم القدري بدون معارض ، أما لو عارضه الحكم الشرعي فمعلوم أن الحكم الشرعي مقدم على الحكم القدري)[5].

---

(١) العظيم أبادي ، عون المعبود ، ج٦ ، ص ٣٥٣ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٨٢ .
(٣) ينظر: "مسند أحمد" (١٣٩/٥) ، "ضعيف أبي داود" (٢٢٦٤).
(٤) أبو يوسف ، الرد على الأوزاعي ، ص ٥١ .
(٥) ابن عثيمين ، فتح ذي الجلال ، ١٢ ، ص ٣١٨ .

وأما حديث : (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ) فهو وارد في حال وجود الفراش ، ومسألتنا في حال عدم وجود الفراش ، قال شيخ الإسلام : (فَإِذَا لَمْ تَكُنْ الْمَرْأَةُ فِرَاشًا : لَمْ يَتَنَاوَلْهُ الْحَدِيثُ)(١) ، فقد حكم بذلك صلى الله عليه وسلم عند تنازع الزاني وصاحب الفراش كما ذكر ابن القيم(٢) ، ونقل ابن القيم عن إسحاق بن راهويه أنه : (أُوَّلَ قَوْل النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ) عَلَى أَنَّهُ حَكَمَ بِذَلِكَ عِنْدَ تَنَازُعِ الزَّانِي وَصَاحِبِ الْفِرَاشِ)(٣)،

وقال الشيخ ابن عثيمين : (قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) جملتان متلازمتان ، فيما إذا كان عندنا فراش وعاهر)(٤) ..وفي هذه المسألة لا ينازع الزاني أحد في نسب هذا الولد .

وقال الشيخ ابن عثيمين : (حديث (الولد للفراش وللعاهر الحجر) يدل أن هناك رجلين ، زان وصاحب فراش كل واحد منهما يدعي أن الولد له ، صاحب الفراش يقول: هذا ولدي ولد على فراشي ، والزاني يقول: هذا ولدي خلق من مائي ، فهنا نغلب جانب الشرع كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) ، أما إذا كان الزاني لا ينازعه أحد في ذلك، يعني: زنا بامرأة بكر – مثلاً – أو امرأة ليس لها زوج ولم يدّعِ أحدٌ هذا الولد وقال الزاني: إنه ولدي فهو له)(٥) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (الجمهور على أنه عام ، وأنه لا حق للزاني في الولد الذي خلق من مائه ، وذهب بعض العلماء إلى أن هذا خاص في المخاصمة، يعني إذا تخاصم الزاني وصاحب الفراش قضينا به لصاحب الفراش ، أما إذا كان لا منازع للزاني ، واستلحقه فله ذلك ويلحق به ، وهذا القول هو الراجح المناسب للعقل، وكذلك للشرع عند التأمل)(٦).

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٣٢ ، ص ١١٨ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ١٧٤ .
(٣) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٣٨١ .
(٤) ابن عثيمين ، الشرخ الممتع ، ج١٣ ، ص ٣٠٨ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢١ ، ص ٦٣ .
(٦) المصدر السابق ، ج ١٢ و ص ١٢٧

وقال الإمام أحمد في رواية أبي الحارث: في رجل غصب رجلا على امراته فأولدها ، ثم رجعت إلى زوجها وقد أولدها ،قال : (لا يلزم زوجها الأولاد ، وكيف يكون الولد للفراش في مثل هذا ، وقد علم أن هذه في منزل رجل أجنبي وقد أولدها في منزله ، إنما يكون الولد للفراش إذا ادعاه الزوج ، وهذا لا يدعى : فلا يلزمه)[1]،)واعتبار الألف واللام في الحديث للجنس كما قال الجصاص ، متنازع فيه ، فقد مال الزرقاني إلى أنها للعهد ، فقال: " أل للعهد ، أي الولد للحالة التي يمكن فيها الافتراش)[2] .

وأما حديث : (وَإِنْ كَانَ مِنْ حُرَّةٍ أَوْ أَمَةٍ عَاهَرَ بِهَا : لَمْ يَلْحَقْ بِمَا اسْتَلْحَقَهُ ...) ، فهذا الحديث مداره على عمرو بن شعيب يرويه عن أبيه عن جدة ، وهذه سلسلة اختلف المحدثون فيها كثيراً ، وهو وإن كان الأرجح تحسين حديثه إن كان الراوي عنه ثقة إلا أن تفرده بمثل هذا الحديث الذي يعد أصلاً في بابه يدعو للتوقف في قبول روايته ، قال الإمام أحمد : (أَصْحَابُ الحَدِيْثِ إِذَا شَاؤُوا: احْتَجُّوا بِحَدِيْثِ عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيْهِ، عَنْ جَدِّهِ، وَإِذَا شَاؤُوا: تَرَكُوْهُ)[3]، أي أنهم لا يحتجون به مطلقاً ، ولا يردون حديثه مطلقا ، بل بحسب حال كل حديث ، قال الذهبي: (هَذَا مَحْمُوْلٌ عَلَى أَنَّهُم يَتَرَدَّدُوْنَ فِي الاحْتِجَاجِ بِهِ ، لاَ أَنَّهُم يَفْعَلُوْنَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيْلِ التَّشَهِّي)[4].

ثم إن الرواة له عن عمرو بن شعيب : ضعفاء ومتكلم فيهم ، وأمثلهم رواية : محمد بن راشد يرويه عن سليمان بن موسى ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . وفي كلٍ من : محمد بن راشد ، وسليمان بن موسى ، نزاع بين أهل الحديث :أما محمد بن راشد المكحولي الشامي ، فوثقه الإمام أحمد ، وابن معين ، وابن المديني، وغيرهم. وقال أبو حاتم: صدوق، وقال شعبة: (ما كتبت عنه ، أما إنه صدوق ، ولكنه شيعي أو قدري)، وقال ابن حبان : "كان من أهل الورع والنسك ، ولم يكن الحديث من صنعته ، وكثرت المناكير في روايته

---

(١) الإمام أحمد ، بدائع الفوائد ، ج ، ص ١٢٠ .
(٢) الزرقاني ، شرح الموطأ ، ج٤ ، ص ٢٥ .
(٣) الإمام أحمد ، سؤالات أبي داوود ، ص ٢٣٠ .
(٤) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٥ ، ص ١٦٧ .

فاستحق الترك ، وقال الدار قطني: (يعتبر به)، وقال ابن عدي : " وليس برواياته بأس ، إذا حدث عنه ثقة فحديثه مستقيم ، وفي التقريب : (صدوق يهم ، ورمي بالقدر ، وقال البيهقي : (مُحَمَّد بن رَاشد ضَعِيف عِنْد أهل الحَدِيث)[1].

وأما الراوي الثاني المتكلم فيه فهو سليمان بن موسى القرشي الأموي الأشدق، فقيه أهل الشام في زمانه ، وقد وثقه دُحَيم ، ويحيى بن معين ، والدار قطني ، وابن سعد وابن حبان ، قال ابن عَدي : (وسليمان بن موسى فقيهٌ راوٍ حدَّث عنه الثقات ، وهو أحد علماء أهل الشام ، وقد روى أحاديث ينفرد بها لا يرويها غيره ، وهو عندي ثبت صدوق).

ومن العلماء من غمز في ضبطه وإتقانه ، قال أبو حاتم: (محله الصدق، وفي حديثه بعض الاضطراب ، وقال البخاري: (عنده مناكير) ، وقال (سليمان بن موسى منكر الحديث ، أنا لا أروي عنه شيئا ، روى سليمان بن موسى أحاديث عامتها مناكير)[2] ، وقال النسائي: (أحد الفقهاء، وليس بالقوي في الحديث) ، وقال ابن حجر في التقريب: (صدوق فقيه في حديثه بعض لين ، وخولط قبل موته بقليل.)[3]، وقال المنذري : (رَوى عن عَمرو هذا الحديث ، محمد بن راشد ، وفيه مقال).

والحاصل :أن الحديث لا يخلو من مغمز فيه ، ولذلك قال ابن القيم : (لأهل الحديث في إسناده مقال ؛ لأنه من رواية محمد بن راشد المكحولي)[4]، ومثل هذا الحديث الذي ينفرد بروايته مثل هؤلاء الرواة الذين لم يبلغوا شأواً عالياً في الضبط والإتقان ، ولم يتابعهم على روايته أحد من المشهود لهم بهذا الفن ، مع أهمية الموضوع الذي يتضمنه الحديث : لا يرقى لدرجة الحجية .

---

(١) ابن الملقن ، البدر المنير ، ج٨ ، ص ٤٣٠ ، ينظر: "تاريخ ابن معين" - رواية الدوري - (٤ / ٤٦٥)، الجرح والتعديل" (٢٥٣/٧) ، "الضعفاء الكبير" للعقيلي (٤٤٠/٧)، "الكامل في الضعفاء" (٢٠٢/٦) ، "ميزان الاعتدال" (٥٤٣/٣) ، "تهذيب التهذيب" (١٤٠/٩).

(٢) الترمذي ، العلل الكبير ، ج١ ، ص ٩٣ .

(٣) ينظر: "الكاشف" (٤٦٤/١) ، "تهذيب التهذيب" (١٩٨/٤) ، "مغانى الأخيار" (٤٧٧/١).

(٤) المنذري ، عون المعبود ، ج٦ ، ص ٢٥٥ .

(٤) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج ٥ ، ص ٣٨٣ .

ولذلك قال البيهقي:(مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ وَإِنْ كُنَّا نَرْوِى حَدِيثَهُ لِرِوَايَةِ الْكِبَارِ عَنْهُ ، فَلَيْسَ مِمَّنْ تَقُومُ الْحُجَّةُ بِمَا يَنْفَرِدُ بِهِ)[1] .

قال ابن رجب: (أما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث – إذا تفرد به واحد – وإن لم يرو الثقات خلافه : إنه لا يتابع عليه ، ويجعلون ذلك علةً فيه ، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه ، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً ، ولهم في كل حديث نقد خاص)[2].

والحديث أخرجه عبد الرزاق أيضاً في المصنف عن ابن جريج قال: قال عمرو بن شعيب : (وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل مستلحق ....)[3]، ولكن قال أبو بكر الأثرم : (قال لي أبو عبد الله: إذا قال ابن جريج قال فلان وقال فلان، وأخبرت ، جاء بمناكير ، فإذا قال أخبرني وسمعت فحسبك به[4] .

وقال أبو الحسن الميموني عن أحمد بن حنبل : (إذا قال ابن جريج قال ، فاحذره ، وإذا قال سمعت أو سألت جاء بشيء ليس في النفس منه شيء)[4] .

٢- أن عمر بن الخطاب ألحق أولادا ولدوا في الجاهلية بآبائهم ، فروى مالك في (الموطأ) (١٤٥١) عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ : (أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يُلِيطُ أَوْلَادَ الْجَاهِلِيَّةِ بِمَنْ ادَّعَاهُمْ فِي الْإِسْلَامِ .وفي سنده انقطاع فسليمان بن يسار لم يدرك عمر رضي الله عنه ، قال الباجي : (يُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ يُلْحِقُهُمْ بِهِمْ وَيَنْسُبُهُمْ إِلَيْهِمْ وَإِنْ كَانُوا لِزِنْيَةٍ)[6] ، قال ابن عبد البر: " هذا إذا لم يكن هناك فراش ؛ لأنهم كانوا في جاهلتهم يسافحون ويناكحون وأكثر نكاحاتهم على حكم الإسلام غير جائزة)[7] .

---

(١) البيهقي ، السنن ، ج٢ ، ص ٤٨٣ .
(٢) ابن رجب ، شرح علل الترمذي ، ج١ و ص ٢١٦ .
(٣)عبدالرزاق ، المصنف ، ج١٠ ، ص ٢٨٩ .
(٤) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص ٤٠٥ .
(٥) الميموني ، تهذيب الكمال ، ج١٨ ، ص ٣٤٨ .
(٦) الإمام مالك ، الموطأ ، رقم الحديث ١٤٥١ ، وانظر المنتقى شرح الموطأ" (١١/٦) .
(٧) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج٨ ، ص ١٨٣ .

والمنازعون في هذا يقولون : هذا خاص بأهل الجاهلية فلا يلحق بهم غيرهم .

قال ابن عبد البر: (إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يليط أولاد الجاهلية بمن استلاطهم ويلحقهم بمن استلحقهم إذا لم يكن هناك فراش ؛ لان أكثر أهل الجاهلية كانوا كذلك ، وأما اليوم في الإسلام بعد أن أحكم الله شريعته وأكمل دينه ، فلا يلحق ولد من زنا بمدعيه أبدا عند أحد من العلماء كان هناك فراش أولم يكن)[1] ، وقال : (هذا منه كان خاصاً في ولادة الجاهلية حيث لم يكن فراش ، وأما في ولادة الإسلام فلا يجوز عند أحد من العلماء أن يلحق ولد من زنا)[2]، -نفي ابن عبد البر وجود الخلاف محل نظر كما لا يخفى-

وقال الماوردي : (وَالْعِهَارُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَخَفُّ حُكْمًا مِنَ الْعِهَارِ فِي الْإِسْلَامِ)[3] ، وذهب جمهرة من المالكية إلى أن الحكم يشمل كل من دخل في الإسلام ، قال الباجي : (رَوَى عِيسَى عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ فِي جَمَاعَةٍ يُسْلِمُونَ فيستلحقون أَوْلَادًا مِنْ زِنًى ، فَإِنْ كَانُوا أَحْرَارًا وَلَمْ يَدَّعِهِمْ أَحَدٌ لِفِرَاشٍ فَهُمْ أَوْلَادُهُمْ قَالَ : وَمَنْ ادَّعَى مِنْ النَّصَارَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا أَوْلَادًا مِنْ الزِّنَا فَلْيُلَاطُوا بِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِلُّونَ الزِّنَا فِي دِينِهِمْ فَجُعِلَ ذَلِكَ بِاسْتِحْلَالِهِمْ الزِّنَا ، وَرَوَى ابْنُ حَبِيبٍ عَنْ مَالِكٍ مَنْ أَسْلَمَ الْيَوْمَ فَاسْتَلَاطَ وَلَدًا بِزِنًا فِي شِرْكِهِ فَهُوَ مِثْلُ حُكْمِ مَنْ أَسْلَمَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ)[4] .

وقال ابن العربي : (قال علماؤنا: كان أولئك أولاد لزَنْيَةٍ - أي الذين ألحقهم عمر بآبائهم- ، وكذلك السُّنَّةُ اليومَ فيمن أسلمَ من النَّصارى واليهود، ثمّ ادَّعَى ولدًا كان من زنا في حال نصرانيَّتِه ، أنّه يُلحَق به إذا كان مجذوذَ النَّسَبِ ، لا أَبَ لهَ ولا فِرّاشَ فيه)[5] .

والتفريق بين أمر الجاهلية والإسلام : غير ظاهر؛ لأن النسب أمر قدري كوني بغض النظر عن اعتقاد الزاني وإلحاق ولد الزنا بأبيه إذا استلحقه حكم لا يختلف في جاهلية ولا

---

(١) ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٧ ، ص ١٦٤ .
(٢) المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٧٢ .
(٣) الماوردي ، الحاوي الكبير ، ج٨ ، ص ٤٥٦ .
(٤) الباجي ، المنتقى ، ج٤ ، ص ٣١ .
(٥) ابن العربي ، المسالك ، ج ٦ ، ص ٣٨٣ .

إسلام ،ولا فرق فيه بين معذور وغيره .

٣- يشهد لما سبق من جواز الإلحاق ما جاء في قصة جريج العابد ، لما قال للغلام الذي زنت أمه بالراعي : (قالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ ، قَالَ : الرَّاعِي...)[١] ، فكلام الصبي كان على وجه الكرامة وخرق العادة من الله ، وقد أخبر أن الراعي أبوه ، مع أن العلاقة علاقة زنى ؛ فدل على إثبات الأبوة للزاني ، قال ابن القيم: (وَهَذَا إِنْطَاقٌ مِنَ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ فِيهِ الْكَذِبُ)[٢].

وقال القرطبي : (النبي صلى الله عليه وسلم قد حكى عن جريج أنه نسب ابن الزنى للزاني ، وصدَّق الله نسبته بما خرق له من العادة في نطق الصبي بالشهادة له بذلك ، وأخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم عن جريج في معرض المدح وإظهار كرامته ، فكانت تلك النسبة صحيحة بتصديق الله تعالى وبإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فثبتت البنوة وأحكامها)[٣].

وقال الشيخ ابن عثيمين : (واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن ولد الزنى يلحق الزاني؛ لأن جريجاً قال: من أبوك؟ قال: أبي فلان الراعي، وقد قصها النبي صلى الله عليه وسلم علينا للعبرة، فإذا لم ينازع الزاني في الولد واستلحق الولد فإنه يلحقه ، وإلى هذا ذهب طائفة يسيرة من أهل العلم)[٤].

٤- القياس : قال ابن القيم : (الْقِيَاسُ الصَّحِيحُ يَقْتَضِيهِ ، فَإِنَّ الْأَبَ أَحَدُ الزَّانِيَيْنِ ، وَهُوَ إِذَا كَانَ يُلْحَقُ بِأُمِّه ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا ، وَتَرِثُهُ وَيَرِثُهَا ، وَيَثْبُتُ النَّسَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَقَارِبِ أُمِّهِ مَعَ كَوْنِهَا زَنَتْ بِهِ ، وَقَدْ وُجِدَ الْوَلَدُ مِنْ مَاءِ الزَّانِيَيْنِ ، وَقَدِ اشْتَرَكَا فِيهِ ، وَاتَّفَقَا عَلَى أَنَّهُ ابْنُهُمَا ، فَمَا الْمَانِعُ مِنْ لُحُوقِهِ بِالْأَبِ إِذَا لَمْ يَدَّعِهِ غَيْرُهُ ؟فَهَذَا مَحْضُ الْقِيَاسِ)[٥].

٥- أن الشارع يتشوف لحفظ الأنساب ورعاية الأولاد ، والقيام عليهم بحسن التربية والإعداد

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٢٤٨٢ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٨٢ .
(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج٥ ، ص ١١٥ .
(٤) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٣ ، ص ٧٥ .
(٥) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٨١ .

إن هذا القول تترتب عليه مصالح كثيرة ومنها :

أ- حمايتهم من التشرد والضياع ، قال الشيخ ابن عثيمين : (والشارع له تشوف إلى إلحاق الناس في أنساب معلومة)[١] ، وقال أيضاً : (أما إذا لم يكن له منازع واستلحقه فإنه يلحقه ؛ لأنه ولده قدراً ، فإن هذا الولد لا شك أنه خلق من ماء الزاني فهو ولده قدراً ، ولم يكن له أب شرعي ينازعه ، وعلى هذا فيلحق به ، قالوا : وهذا أولى من ضياع نسب هذا الولد ؛ لأنه إذا لم يكن له أب ضاع نسبه، وصار ينسب إلى أمه)[٢] ، وفي نسبة ولد الزنا إلى أبيه تحقيق لهذه المصلحة ، خصوصًا أن الولد لا ذنب له ، ولا جناية حصلت منه ، ولو نشأ من دون أب ينسب إليه ويعني بتربيته والإنفاق عليه لأدى ذلك في الغالب إلى تشرده وضياعه وانحرافه وفساده ، وربما نشأ حاقدًا على مجتمعه ، مؤذيًا له بأنواع الإجرام والعدوان [٣] .

ب- أن في هذا القول حثًا للزاني على نكاح من زنا بها وإعفافها، وستر أهلها وولدها.

ت- وفيه حل لمشكلة هؤلاء الأولاد الناتجين من الزنا، فلا يشعرون بأنهم ولدوا في الحرام والظلام ، ولا يحسون بالقهر والظلم إثر ما وقع عليهم ، فينشئون مع إخوانهم من النكاح الصحيح نشأة صالحة ، وينتسبون إلى أسرة يهمهم سمعتها ، والمحافظة على شرفها وكرامتها.

ث- ومن الآثار المحتملة بل الواقعة غالباً : سهولة انحراف مجهول النسب ، في حبائل الفساد والرذيلة والشرور التي تتعدى إلى المجتمع بأكمله ، وقد ذكر عدد من المختصين في دور رعاية اللقطاء : أن هذه الفئة - وبنسبةٍ غالبة - مقارنةً بغيرهم ، ينشأون وهم ينقمون على مجتمعهم ، لذلك يسهل لديهم الوقوع في الجريمة .

ج- فيه تحقيق لمقصد تخفيف الشر: فإن في استلحاق ولد الزنا تخفيف لآثار الجريمة التي وقع فيها الزاني ، فالزنا فاحشةٌ محرمةٌ وتزداد فحشاً وقبحاً كلما تعدى أثرها إلى غير الزاني والزانية ؛ فالزنا بالمتزوجة أو بحليلة الجار أشد قبحاً من الزنا بغيرها، والزنا الذي يترتب عليه حَمْلٌ أعظم خطراً من الذي لا ينتج عنه حَمْل؛ ومن ترميم بعض آثار الزنا استلحاق ولد الزنا.

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١٥ ، ص ٥٠١ .
(٢) ابن عثيمين ، شرح رياض الصالحين ، ج٣ ، ص ٧٥ .
(٣) محمد الصالح ، فقه الأسرة عند ابن تيمية ، ج٢ و ص ٧٥٩ .

ج- في هذا القول تحقيق لمبدأ العدل الذي أمر الله به ومن العدل الذي جاءت به شريعةُ الله ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ، فهذا الولد الناتج من هذه الممارسة الخاطئة لا ذنب له ولا جريرة ، وفي نفي النسب عنه من أبيه إذا استلحقه عقوبة له بأمر لم يكن له فيه يد .

خ- ومن مبدأ العدل استواء العقوبة بين الرجل والمرأة : فإنه من القواعد المقررةِ في الشريعة استواء العقاب بين أهل الجريمة إذا كانت المقارَفة لها على حدٍ سواء.

د- أن هذه المشكلة موجودة بكثرة بين المسلمين الجدد ، فيسلم أحدهم مع خليلته وهي حامل منه من الزنا، وهو يرغب نكاحها واستلحاق ولده منها، وقد يكون له علاقة محرمة بزوجته قبل أن يتزوجها، وله أولاد منها من الزنا، وأولاد آخرون بعد نكاحها، فيقع في ورطة لا يحلها إلا الستر عليه ، وإلحاق أولاده من الزنا به.

ذ- أن في هذا القول ترغيبًا لمن يريد الدخول في الإسلام ممن ابتلي بهذه البلية ، ولو قيل لأحدهم: إن أولادك من الزنا الذين يعيشون في كنفك وينتسبون إليك لا يلحقون بك شرعًا لربما صده ذلك عن الدخول في الإسلام ، قال ابن القيم : (هذا المذهب كما تراه قوةً ووضوحاً ، وليس مع الجمهور أكثر من (الولد للفراش) ، وصاحب هذا المذهب أول قائل به ، والقياس الصحيح يقتضيه)[١].

أن القول بالمنع والجواز قولان معتبران عند أهل العلم ، وهذه المسألة من مسائل الاجتهاد ، ويبقى النظر في كل واقعة بملابساتها ، فإذا كان الولد يضيع ديناً أو دنياً فالأخذ بالقول بالاستلحاق فيه تحقيق مصلحة حفظه ، وهي مصلحة شرعية .نسأل الله السلامة والعافية)[٢].

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ٣٧٤ .
(٢) المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٢ / ٥ / ٢٠١٥م. .

س٧٣: لماذا نهى الاسلام الزوج أن يفاجئ أهله برجوعه من سفر ليلا ؟.

ج٧٣: روى الإمام مسلم رحمه الله : (إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة)[1] ، والشبهة على الحديث من فم النصارى أن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم يساعد على الفسق واعطاء الفرصة لممارسة الرذيلة !!!! (وحاشاه أن يكون كما يدعون)

الرد على الشبهة : من باب آداب السفر : قال النووي: " أنه يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلاً بغته، فأما من كان سفره قريباً تتوقع امرأته إتيانه ليلاً فلا بأس كما قال في إحدى الروايات: إذا أطال الرجل الغيبة. وإذا كان في قفل عظيم أو عسكر ونحوهم واشتهر قدومهم ووصولهم وعلمت امرأته وأهله أنه قادم معهم وأنهم الآن داخلون فلا بأس بقدومه متى شاء لزوال المعنى الذي نهي بسببه فإن المراد أن يتأهبوا وقد حصل ذلك ولم يقدم بغته . وفي هذه الأزمان يمكن للمسافر إعلام أهله بقدومه عن طريق وسائل الاتصالات ولله الحمد.

ليس من أصل الإسلام تقديم سوء الظن بل تقديم حسن الظن بين المسلمين وورد في ذلك الكثير ومما يحرم شرعاً في هذا الباب أن يتجسس الزوج على زوجته ما دامت ملتزمة بالأحكام الشرعية ، لأن الأصل فيها هو السلامة من المعاصي والآثام، ولأن التجسس على الزوجة يعتبر من باب إساءة الظن وقد قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا... (١٢))[2] ، ولأن التجسس على الزوجة يؤدي إلى الفساد والإفساد، كما ورد في الحديث عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن فسدهم)[3] .

ومما يدل على حرمة التجسس على الزوجة وتتبع العورات أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يطرق الرجل أهله طُروقاً – قال أهل اللغة الطُروق بالضم المجيء بالليل من سفرٍ أو

---

(١) الإمام م سلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧١٥ .
(٢) سورة الحجرات .
(٣) الألباني ، صحيح الترغيب ، ج٢ و ص ٢٩٣ .

من غيره على غفلة – وقد بوبَّ الإمام البخاري في صحيحه (باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يتخونهم أو يلتمس عثراتهم)، ثم روى بإسناده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً)[١]، وفي رواية عند مسلم عن جابر قال:(نهى رسول الله صلى الله عليه سلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يلتمس عثراتهم)[٢].

قال الإمام الشوكاني: (قوله (يتخونهم أو يطلب عثراتهم)... والتخون أن يظن وقوع الخيانة له من أهله، وعثراتهم بفتح المهملة والمثلثة جمع عثرة: وهي الزلة. ووقع في حديث جابر عند أحمد والترمذي بلفظ: (لاتلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)[٣].

وأما تبرير الزوج بأنه يتجسس على زوجته من باب الغيرة، فهذه الغيرة مذمومة، وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إن من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة)[٤] .

والغيرة من غير ريبة نوع من الإفراط، وأما التفريط في الغيرة فهو من لا يغار على زوجته ومحارمه مع وجود الريبة، فهذا ينطبق عليه وصف الديوث الوارد في الحديث، والدياثة من كبائر الذنوب كما قال ابن حجر المكي في الزواجر عن اقتراف الكبائر[٤] .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : (لنهي ليس وارداً على هذا، فالنهي على إنسان يطرق أهله بغير أن يخبرهم، أما إذا أخبرهم فلا حرج في ذلك، وليس فيه نهي، لأن النبي عليه الصلاة والسلام علل النهي فقال صلي الله عليه وسلم: "حتى تمشط الشعثة، وتستحد المغيبة"، وهذا يدل على أن النهي إنما هو لمن لا يعلم أهله بذلك، أما من علموا وباتفاق بينه وبينهم ويقول

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٢٤٤ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧١٥ .
(٣)الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٦ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .
(٤) الألباني ، صحيح الجامع ج١ ، ص ٤٤٢ .
(٥) ابن حجر المكي ، الزواجر ، ج٢ و ص ١٠٩ – ١١١ .

سآتي في الساعة الثانية عشر ليلاً فلا شيء عليه.(مجموع فتاوى و رسائل الشيخ محمد صالح العثيمين المجلد الخامس عشر.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (النبي نهى عن الطُرُوق ليلًا عليه الصلاة والسلام، أمر ألا يَطْرُق الرجلُ أهلَه ليلًا إلا أن يخبرهم، فلما قدم صلى الله عليه وسلم في آخر النهار نزل حول المدينة ثم دخلها؛ لأنها قد يأتي أهله على حالة غير مرضية، وفي الحديث الآخر: لا يَتَخوَّن أهلَه السُّنَّة للمؤمن ألا يَقْدَم ليلًا إلا إذا كان قد أخبرهم، وإلا يُصبح.)[1] .

(و لم يأت هذا الحديث بهذا اللفظ – فيما نعلم – لكن ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى من طال غيابه عن زوجته أن يأتيها فجأة ، وجاء تعليل هذا الحكم بعلتين :

العلة الأولى :كي تتجهز الزوجة بالتنظف والتجمل وتهيئة نفسها لاستقبال زوجها بعد غيابه الطويل ، فعن جَابِرِ بن عبد اللَّهِ رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في غَزَاةٍ ، فلما قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ ، فقال : (أَمْهِلُوا حتى نَدْخُلَ لَيْلًا – أَيْ عِشَاءً – كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ)[2] ، قال النووي في (شرح مسلم) : (الاستحداد : استعمال الحديدة في شعر العانة ، وهو إزالته بالموسى ، والمغيبة هي التي غاب عنها زوجها)[3].

العلة الثانية :حتى لا يهدم الرجل بيته باتهامه لزوجته ، فعن جَابِرٍ رضي الله عنهما قال : (نهى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ أو يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ)[4] .

قال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) : "يقع الذي يهجم بعد طول الغيبة غالبا ما يكره ، إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما ، وقد أشار إلى ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : (كي تستحد المغيبة ، وتمتشط الشعثة) ، وإما أن يجدها على حالة غير مرضية ، والشرع محرض على

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٧٩ ، وعند الإمام مسلم برقم ٧١٥ .
(٣) النووي ، شرح مسلم ، ج١٠ ،ص ٥٤ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٥٢٤٣ .

الستر وقد أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله : (أن يتخونهم ويتطلب عثراتهم) ...

قال ابن أبي جمرة : فيه النهي عن طروق المسافر أهله على غرة من غير تقدم إعلام منه لهم بقدومه ، والسبب في ذلك ما وقعت إليه الإشارة في الحديث قال : وقد خالف بعضهم فرأى عند أهله رجلا فعوقب بذلك على مخالفته .

قال الحافظ : وأشار بذلك إلى حديث أخرجه ابن خزيمة عن ابن عمر قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطرق النساء ليلا ، فطرق رجلان كلاهما وجد مع امرأته ما يكره) وأخرجه من حديث ابن عباس نحوه وقال فيه : (فكلاهما وجد مع امرأته رجلاً)[(١)].

وقد أنكر ابن العربي رحمه الله أن يكون سبب هذا النهي حتى لا يجد مع امرأته رجلاً ، وضَعَّف ما روي في ذلك ، فقال رحمه الله :"قد سمعت عن بعض أهل الجهالة — غفرها الله لك وسترها عليك – أن معنى نهي النبي صلى الله عليه وسلم لهم لئلا يفتضح النساء ، كما جرى لمن خالف النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي روي لم يصح بحال ، ولو صح لما كان دليلا على أن النبي صلى الله عليه وسلم قصده ، فلا يصح لأحد له معرفة بمقاصد الشريعة ومقدار النبي صلى الله عليه وسلم أن يصححه ولا يجيزه)[(٢)]، [(٣)] .

س٧٤: لماذا لم نسمع عن الناسخ والمنسوخ في الحديث ، كما في القرآن الكريم ؟.

ج٧٤: النسخ : أن يرفع الشارع حكما سابقا متقدما ، بحكم آخر . من الشارع أيضا . لكنه متأخر عن الحكم الأول ، لاحق له ، والنسخ يعرف بأمور:

الأول : أن ينص الشارع على النسخ ، كحديث بريدة رضي الله عنه في صحيح مسلم وفيه: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة).

الثاني: أن ينص الصحابي على ذلك ، كقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: "كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار" أخرجه أصحاب

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ١٢٣ .
(٢) ابن العربي ، عارضة الأحوذي ، ج٥ ، ص ٣٦٥ .
(٢) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١٠ / ١ / ٢٠٠٨ م.

السنن، وقال الزهري: (كانوا يرون أن آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الناسخ للأول).

الثالث : أن تجمع الأمة على أن الحديث منسوخ.

الرابع : أن يتعارض حديثان، ولا يمكن الجمع بينهما بوجه من الوجوه، ويعرف المتقدم منهما من المتأخر، فيكون المتقدم منسوخا.

الخامس : معرفة التاريخ: كحديث شداد بن أوس رضي الله عنه في سنن أبي داود: (أفطر الحاجم والمحجوم)، فقد جاء في بعض الطرق أن الحديث كان في زمن الفتح، فنُسخ بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم في حجة الوداع" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح ، قال النووي رحمه الله: (أما النسخ فهو رفع الشارع حكما منه متقدما ، بحكم منه متأخر ، وهذا هو المختار في حده ...

و النسخ يعرف بأمور منها:

١- تصريح رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، كحديث (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) [(١)].

٢- ومنها قول الصحابى: (كان آخر الأمرين ترك الوضوء مما مست النار) .

٣- ومنها ما يعرف بالتاريخ .

٤- ومنها ما يعرف بالإجماع ، كقتل شارب الخمر في المرة الرابعة ؛ فإنه منسوخ ، عرف نسخه بالإجماع ، والإجماع لا يَنسخ ، ولا يُنسخ ، لكن يدل على وجود ناسخ ، والله أعلم.

٥- وأما اذا تعارض حديثان في الظاهر ، فلا بد من الجمع بينهما ، أو ترجيح أحدهما ، وإنما يقوم بذلك غالبا الأئمة الجامعون بين الحديث والفقه ، والأصوليون المتمكنون في ذلك ، الغائصون على المعاني الدقيقة ، الرائضون أنفسهم في ذلك، فمن كان بهذه الصفة ، لم يُشكِل عليه شيء من ذلك ، إلا النادر ، في بعض الأحيان .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٧٧ .

المختلف قسمان:

القسم الأول : يمكن الجمع بينهما، فيتعيّن، ويجب العمل بالحديثين جميعا ، ومهما أمكن حمل كلام الشارع على وجه يكون أعم للفائدة : تعيّن المصير إليه ، ولا يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع ؛ لأن في النسخ إخراج أحد الحديثين عن كونه مما يعمل به ، ومثال الجمع حديث (لا عدوى) مع حديث (لا يورِد مُمْرِض على مُصِحّ) .

وجه الجمع : أن الأمراض لا تُعدِي بطبعها ، ولكن جعل الله سبحانه وتعالى مخالطتها سببا للإعداء، فنفى في الحديث الأول ما يعتقده أهل الجاهلية من العدوى بطبعها، وأرشد في الثاني إلى مجانبة ما يحصل عنده الضرر عادة ، بقضاء الله وقدره وفعله.

القسم الثاني: أن يتضادا ، بحيث لا يمكن الجمع بوجه : فإن علمنا أحدهما ناسخا : قدمناه . وإلا ؛ عملنا بالراجح منهما، كالترجيح بكثرة الرواة ، وصفاتهم ، وسائر وجوه الترجيح، وهى نحو خمسين وجها ، جمعها الحافظ أبو بكر الحازمي في أول كتابه : (الناسخ والمنسوخ÷ . وقد جمعتها أنا مختصرة ، ولا ضرورة إلى ذكرها هنا كراهة للتطويل[1]، وقال الحازمي رحمه الله فيما يعرف به الناسخ والمنسوخ: (ويعرف ذلك بأمارات عدة منها:

١- أن يكون لفظ النبي صلى الله عليه وسلم مصرحا به ؛ نحو قوله عليه السلام : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ؛ ألا فزوروها) ، أو يكون لفظ الصحابي ناطقا به ، نحو حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالقيام في الجنازة ، ثم جلس بعد ذلك ، وأمرنا بالجلوس) .

٢- ومنها : أن يكون التاريخ معلوما ؛ نحو ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إذا جامع أحدنا ، فأكسل -أي لم ينزل- ؟ فقال النبي : (يغسل ما مس المرأة منه ، وليتوضأ ثم ليصل) .هذا حديث يدل على أن لا غسل مع الإكسال ، وأن موجب الغسل الإنزال .

---

(١) الإمام مسلم ، النووي ،شرح مسلم ، ج١ ، ص ٦٠ – ٦١ .

ثم لما استقرأنا طرق هذا الحديث ، أفادنا بعض الطرق أن شرعية هذا كان في مبدأ الإسلام ، واستمر ذلك إلى بعد الهجرة بزمان .

ثم وجدنا الزهري قد سأل عروة عن ذلك ، فأجابه عروة أن عائشة رضي الله عنها حدثته ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ، ولا يغتسل . وذلك قبل فتح مكة ، ثم اغتسل بعد ذلك ، وأمر الناس بالغسل .

٣- أن تجتمع الأمة في حكمه على أنه منسوخ ، فهذه معظم أمارات النسخ ، وإن لم يمكن التمييز بينهما ، بأن أُبهم التاريخ ، وليس في اللفظ ما يدل عليه ، وتعذر الجمع بينهما ، فحينئذ يتعين المصير إلى الترجيح ، ووجوه الترجيحات كثيرة ، أنا أذكر معظمها)[١].

وبهذا يتبين لك أن الأمر ليس مشكلا، فأكثر الأحاديث الثابتة ليست منسوخة ، ولا يتطرق النسخ إلا للأحاديث المتعارضة التي لا يمكن الجمع بينها، فهذه قد ينص الشارع فيها على النسخ، وقد ينص الصحابي أو ينعقد الإجماع على كون الحديث فيها منسوخا. وقد يُعلم النسخ من جهة التقدم والتأخر ، ولم يترك فقهاء الحديث ، وشرّاح السنة ، شيئا من ذلك إلا بينوه ، ولله الحمد والمنة ؛ فلا وجه لتطريق الاحتمالات ، وإدخال الوساوس والشكوك ، من غير طائل ، ولا موجب من العلم [٢].

قال الإمام الشافعي في الأم: (إذا احتَمل الحديثان أن يُستعملا، لم يُطرح أحدهما». وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: (لا أعرِفُ أنهُ رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثانِ بإسنادين صحيحين مُتضادَّين، فمن كان عندهُ فليأتني بهِ لأؤلِّف بينهما)[٣]،قال الإمام الطحاوي الحنفي في (معاني الآثار) في باب شرب الماء قائماً: (أَولى الأشياء إذا رُويَ حديثان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمَلا الاتفاقَ واحتَملا التضادَّ: أن نحملهما على الاتفاق، لا على التضاد)[٤].

---

(١) الهمداني ، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، ص٨ .
(٢) المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١٨ / ٧ / ٢٠١٦ م.
(٣) الإمام الشافعي و الأم ، ج٥ ، ص ١٦٣ .
(٤)الطحاوي ، معاني الآثار ، ج٢ ، ص ٣٥٨ .

وهذا حق، فلا يجوز أن نزعم نسخ حديث إلا بالأدلة الصريحة وفق ما فصلناه آنفاً. وليحذر المرء من زعم النسخ بمجرد توهم التعارض، فإن هذا يصير من باب الاستشكال بالرأي. إذ أن التعارضَ هنا هو مجرد فَهْم رجُلٍ من الرجال لم يَعرف وجهَ الجمع بين الحديثَين، فلم يَرجع إلى نفسهِ بالعجز. وكون الشناعة في هذا النوع هو أنه استشكالٌ في الفهم أفضى إلى رفع حُكمٍ من أحكام الشريعة بالرأي بعد ثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والنبي إذا أمر بأمرٍ، وفعل خِلافه، دل فعله على أن الأمر ليس للوجوب. ومال البعض إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمر بأمرٍ وفعل خلافه، صار الفعل خاصاً به، وبقي الأمر بالنسبة لكلامه على مدلوله للوجوب. وهذا ضعيفٌ، لأن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم تشمل قوله وفعله. فإذا عارض قوله فعله، فإن أمكن الجمع فلا خصوصية، لأننا مأمورون بالاقتداء به قولاً وفعلاً. ولا يجوز أن نحمله على الخصوصية مع إمكان الجمع، لأن معنى ذلك ترك العمل بشطر السنة وهو السنة الفعلية.

شروط صحة دعوى نسخ الحديث :

الأول: هو ثبوت التعارض بين هذا الحديث وبين حديث صحيحٍ أيضاً، بحيث لا يمكن الجمع بينهما بدون تكلف شديد. ولا يقال بالنسخ مع إمكان الجمع، لأن النسخ مع إمكان الجمع إبطالٌ لأحد الدليلين، وهو ليس بباطل.

الثاني: هو معرفة الناسخ من المنسوخ. ويكون بأمور أهمها:

١- أن يصرح الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك: ومن أظهر ذلك قوله الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن سبرة الجهني رضي الله عنه أنه كان (عام فتح مكة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أيها الناس. إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حَرّمَ ذلك إلى يوم القيامة. فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً)[1].

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٠٦ .

قال ابن حزم في المحلى: (ما حُرِّمَ إلى يوم القيامة، فقد أمِنّا نسخه)[١]. وكذلك قوله الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نهيتُكم عن زيارة القبور، فزوروها. ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فأمسكوا ما بدا لكم. ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء، فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا)[٢].

إن النهي عن زيارة القبور غير منسوخ على الإطلاق، قال ابن القيم في الحاشية: (كان في أول الإسلام قد نُهِيَ عن زيارة القبور صيانةً لجانب التوحيد وقطعاً للتعلق بالأموات وسدّاً لذريعة الشرك، التي أصَّلَها تعظيم القبور وعبادتها كما قال ابن عباس. فلما تمكّن التوحيد من قلوبهم واضمحل الشرك واستقر الدين، أُذِنَ في زيارة يحصل بها مزيد الإيمان وتذكير ما خلق العبد له من دار البقاء. فأُذِنَ حينئذٍ فيها. فكان نهيه عنها للمصلحة، وإذنه فيها للمصلحة)[٣]، فالصواب أن يكون النهي كذلك لقوم إسلامهم حديث أو يخشى عليهم تقليد القبوريين، فأما إن ترسّخ التوحيد في قلوبهم، فلا مانع من الزيارة.

أما الأضاحي فالنسخ فيها صحيح متفق عليه. فقد أخرج البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قوله: (كنا لا نأكل من لحوم بُدْنِنَا فوق ثلاث مِنًى. فأرخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال (كلوا وتزودوا)[٤].

٢- أن يصرح بذلك صحابي، لأن الصحابة يعلمون متى قيلت الأحاديث ، وقد مثلوا لهذا بما أخرجه أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه: (كان آخر الأمرين ترك الوضوء مما غيرت النار). لكن الصواب أن هذا الحديث لا علاقة له للنسخ. فقد أخرج أبو داود: حدثنا إبراهيم بن الحسن الخثعمي حدثنا حجاج قال ابن جريج أخبرني محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: قربت للنبي صلى الله عليه وسلم خبزاً ولحماً فأكل، ثم دعا بوضوء فتوضأ

---

(١)ابن حزم ، المحلى ، ج٩ ، ص ٥٢٠ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٩٧٧ .
(٣) ابن القيم ، الحاشية ، ج٩ ، ص ٤٤ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٦٣٢ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٩٧٢ .

به، ثم صلى الظهر، ثم دعا بفضل طعامه فأكل، ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ)[1]، حدثنا موسى بن سهل أبو عمران الرملي حدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: (كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيّرت النّار)[2] ، قال أبو داود: (هذا اختصار من الحديث الأول). فدلّ ذلك على أنّ المقصود بـ "آخر الأمرين" يعني في تلك الواقعة بالتحديد، وأنّ جابراً لم يكن يتكلّم على نسخ هذا الحكم. وهذا الحديث من الأحاديث الثلاثة المنتقدة على شعيب بن أبي حمزة. وقد أنكره ابن أبي حاتم والدار قطني.

٣- أن يُعرَفَ ذلك بعلمِ تاريخ كل حديث. فالحديث الآخر هو الناسخ ، جاء في سنن أبي داود عن شداد بن أوس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على رجل بالبقيع وهو يحتجم وهو آخذ بيدي لثمان عشرة خلت من رمضان، فقال: (أفطر الحاجم والمحجوم)[3]. وجاء في صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنه أن: (النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم، واحتجم وهو صائم)[4].

قالوا: الثاني ناسخٌ للأول، فقد جاء في بعض طُرُقِ حديثِ شدّاد أن ذلك كان زمنَ الفتح في سنةِ ثمان، وأن الحديث الثاني كان في حجة الوداع في سنة عشر ، وفي الموطأ والسنن حديث الصحابية بسرة بنت صفوان رضي الله عنه : (من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ». صحيح على شرط البخاري، و صححه الترمذي و الدار قطني و ابن معين و البيهقي و الحازمي و ابن حبان و الحاكم و عده السيوطي من الأحاديث المتواترة. وأخرج ابن حبان في صحيحه: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أفضى أحدكم بيده إلى فرجه وليس بينهما ستر ولا حجاب، فليتوضأ)[5].

---

(١) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ١٩٢ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ١٩٣ .
(٣) المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٠٨ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٦٨٥ ، رقم الحديث ١٨٣٦ .
(٥) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج٣ ، ص ٤٠١ .

وفي السنن حديث طلق بن علي قال: جاء رجل كأنه بدوي فقال: «يا نبي الله. ما ترى في مس الرجل ذكره بعدما توضأ؟». قال: «و هل هو إلا مضغة منه أو قال بضعة منه؟». صححه علي بن المديني و الطحاوي و ابن حبان و الطبراني و ابن حزم. و ادعى فيه النسخ ابن حبان و الطبراني و ابن العربي و الحازمي و آخرون.

قال ابن حبان في صحيحه: (خبر طلق بن علي الذي ذكرناه خبرٌ منسوخٌ. لأن طلق بن علي كان قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم أول سنة من سني الهجرة، حيث كان المسلمون يبنون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. وقد روى أبو هريرة إيجاب الوضوء من مس الذكر على حسب ما ذكرناه قبل. وأبو هريرة أسلم سنة سبع من الهجرة. فدل ذلك على أن خبر أبي هريرة كان بعد خبر طلق بن علي بسبع سنين». ثم سرد خبراً يثبت رجوع طلق إلى بلده في نفس سنة قدومه، ثم قال: (في هذا الخبر بيان واضح أن طلق بن علي رجع إلى بلده بعد القدمة التي ذكرنا وقتها. ثم لا يُعلم له رجوع إلى المدينة بعد ذلك. فمن ادعى رجوعه بعد ذلك، فعليه أن يأتي بسُنةٍ مصرحةٍ، ولا سبيل له إلى ذلك)[1] ، والصواب هو صحة الحديث الأول، وضعف حديث طلق، وقد ضعفه الشافعي و أبو زرعة و الدار قطني و البيهقي و ابن الجوزي ورجع ابن المديني عن تصحيحه. وإذا عرفت ضعف الحديث فلا يثبت النسخ.

وهذه الطريقة واهية جداً. لأن كون راوي الحديث من صغار الصحابة، لا يعني بالضرورة تأخر سماعه للحديث، لأنه قد يكون سمعه من صحابي آخر قديم. كما أن كون الراوي من قدماء الصحابة لا يعني أنه سمع الحديث في أول صحبته، بل قد يكون في آخرها، كما أن الذين ينادون بهذه الطريقة (وهم الحنفية)، هم أترك الناس لها إذا خالفت مذهبهم. فإن مقتضاها تقديم روايات أبي هريرة رضي الله عنه على سائر روايات علي رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه. وهم من أشد الناس رفضاً لهذا، بل يعكسون الأمر. وإنما ينادون بهذه

---

(١) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج٣ ، ص ٤٠٤ .

الطريقة ليشغبوا على خصومهم.

٤- أن يُعرَفَ ذلك بالإجماع، وهو لا يكون ناسخاً لكنه يكون دليلاً على وجود الناسخ، فمن ذلك حديث قتل شارب الخمرة في المرة الرابعة، فإنه منسوخ بدليل الإجماع على ترك العمل به. نقل الترمذي الإجماع على عدم العمل به، ونقله قبله الإمام الشافعي في الأم. لكن اختلفوا ما هو الناسخ، وأكثرهم على أنه حديث مرسل، لكن شهرته بين العلماء والإجماع عليه، يدل على ثبوته. وزعم ابن حزم (وربما جماعة من الظاهرية قبله) بأن الإجماع لم يصح لأن عمرو بن العاص رضي الله عنه قد أفتى بغيره. لكن الرواية عنه هي عن الحسن عن عمرو بن العاص، وغفل ابن حزم أن هذه الرواية مرسلة منقطعة لا تثبت بها حجة. فالإجماع إذاً صحيح، والحديث منسوخ لا شك فيه. فلا يكون هناك مثال واضح على هذه القاعدة. بل يبعد أن تحفظ الأمة الحديث المنسوخ، ولا تحفظ الحديث الناسخ.

ولا شك أنه حدث عند بعض أهل الرأي توسع كبير في ادعاء الإجماع الكاذب في مسألة النسخ. قال شيخ الإسلام عن أحد تلك الأحاديث: «والمدعون للنسخ ليس معهم حجة بالنسخ، لا من كتاب ولا سنة. وهذا شأن كثير ممن يخالف النصوص الصحيحة والسنة الثابتة بلا حجة. إلا مجرد دعوى النسخ، وإذا طولب بالناسخ، لم يكن معه حجة لبعض النصوص توهمه ترك العمل. إلا أن مذهب طائفته ترك العمل بها إجماع، والإجماع دليل على النسخ. ولا ريب أنه إذا ثبت الإجماع كان ذلك دليلاً على أنه منسوخ، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة. ولكن لا يُعرف إجماع على ترك نص، إلا وقد عُرِفَ النص الناسخ له. ولهذا كان أكثر من يدعي نسخ النصوص بما يدعيه من الإجماع، إذا حقق الأمر عليه، لم يكن الإجماع الذي ادعاه صحيحاً. بل غايته أنه لم يعرف فيه نزاعاً. ثم من ذلك ما يكون أكثر أهل العلم على خلاف قول أصحابه، ولكن هو نفسه لم يعرف أقوال العلماء.

٥- أن يكون حديث فيه رخصة وآخر فيه عزيمة، فيكون الأول ناسخاً للثاني: قال ابن حزم: (صح حديث (أفطر الحاجم والمحجوم) بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابن سعيد "أرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصائم" وإسناده صحيح. فوجب الأخذ به، لأن

الرخصة إنما تكون بعد العزيمة. فدلّ على نسخ الفطر بالحجامة سواءً كان حاجماً أو محجوماً)، ولا نسلم بهذا المثال بالنسخ لإمكان الجمع، بل النهي الأول محمول على الكراهة خشية أن يضعف الصائم. وأما إن كان قوياً فلا مانع أن يحتجم كما فعل نبينا عليه الصلاة والسلام. وكذلك فهم الصحابة الأحاديث، وفهمهم أولى لأنهم هم المخاطبون بها، فقد أخرج البخاري: أن ثابتاً البناني سأل أنس بن مالك رضي الله عنه : (أكنتم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم تكرهون الحجامة للصائم؟)[1]. قال: (لا، إلا من أجل الضعف).

ومن أحسن ما ورد في ذلك ما رواه وأبو داود من طريق عبد الرحمن بن عابس (ثقة ثبت) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى (ثقة) عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نهى النبي عن الحجامة للصائم وعن المواصلة – ولم يُحرِّمها– إبقاء على أصحابه)[2]، قال ابن حجر: (وهذا إسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر (قلت: هذا إن ثبت سماع التابعي منه). وقوله (إبقاءً على أصحابه) يتعلق بقوله : نهى)[3].

أمثلة على الناسخ والمنسوخ :

١– **نسخ إباحة لبس الحرير والذهب للرجال :**

المنسوخ: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أكيدر دومة الجندل أهدى إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم جُبّة من سندسٍ – وذاك قبل أن ينهى عن الحرير– فلبسها، فعجب الناس منها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده – ثلاثًا –، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه)[4] ، وعن المِسْور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: (قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبيةً، ولم يعط مخرمةَ شيئًا، فقال مخرمة: يا بني، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقت معه، فقال:(ادخل وادعه لي، فدعوته له وعليه قباء من ديباج مزرر بذهب)[5].. وقال: حديث حسن صحيح. والأقبية جمع قَباء بفتح القاف وهو

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ،ج٢ ، ص ٦٨٥ .
(٢) أبو داوود ، السنن ، ج٢ ، ص ٣٠٩ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٤ ، ص ١٧٨ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٢٤٨ .
(٥) لم أجد حديثا بهذا النص .

نوع من الثياب ضيق من لباس العجم، في الحديثين دلالة على أن لبس الحرير والذهب كانا مباحين للنساء والرجال في أول الأمر

الناسخ: عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)[١] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الحَريرُ والذَّهبُ حَرامٌ على ذُكورِ أُمَّتي، وحِلٌّ لإناثِهم.)[٢] ، وهذا يدل على نسخ إباحة الحرير والذهب للرجال، حيث صار ذلك محرمًا على الرجال، واستمرت إباحته للنساء؛ لأن هذين الحديثين متأخرين.

٢- نسخ النهي عن الشرب في الأوعية والظروف :كان من عادة الجاهلية وضع النبيذ في أوعية لتتحول خمرًا؛ لأن لها قوة تسرع باستحالته مسكرًا، وربما شربه ولم يعلم باستحالته مسكرًا، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الشرب بها، والأوعية كانت تتخذ من: (الدبّاء: القرع اليابس)، أو من: (النقير: أصل النخلة يُنقر ويُتخذ منه ظرفٌ)، أو من: (الحنتم: الجرّة الخضراء)، أو من: (المزفّت والمقيّر: الإناء المطلي بالقار).

المنسوخ: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لوفد عبد القيس: (لا تشربوا في نقيرٍ ، ولا مُزَفّتٍ ، ولا دُبّاءٍ ، ولا حَنْتَمٍ ، واشربوا في الجلد الموكّأ عليهِ ، فإن اشتدّ فاكسروهُ بالماءِ ، فإن أعياكُم فأهريقوه)[٤] .

الناسخ: عن بُريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(.. كُنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الظُّرُوفِ، وَإِنَّ الظُّرُوفَ أَوْ ظَرْفًا لَا يُحِلُّ شَيْئًا وَلَا يُحَرِّمُهُ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ)[٥] وفي هذا الحديث دلالة على جواز الانتباذ في كل الأوعية ومنها: الحنتم والنقير والدباء والمزفّت، شريطة أن لا يكون قد بلغ التخمر والإسكار، وهو ناسخ للحديث الأول لأنه متأخر عنه[٥].

---

(١) الأرناؤوط ، تخريج المسند ، رقم الحديث ١٩٥١٥

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٨٣٣ .

(٣)الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٣٦٩٥ .

(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٧٧ .

(٥)موقع طريق الإسلام ، نشر في ٥/ ٥/ ٢٠١٤ م.

س٧٥: لماذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة الحديث في حياته ؟.

ج٧٥: ورد في مركز سلف للبحوث البيان التالي : (لا تزال الحملات الآثمة لمحاربة السنة النبوية على أشدِّها، فما من محفل أو مجتمع يراد به الطعن في السنة والتشكيك فيها إلا وتثار مسألة النهي عن كتابة الحديث النبوي، وأنه قد جاءت أحاديث صحيحة وآثار ثابتة تنهى كلها عن كتابة أحاديثه صلى الله عليه وسلم[١].

وحقيقة الأمر: أن هذه المسألة – أعني: النهي عن كتابة الحديث النبوي — مذكورة في كتب أهل العلم باعتبارها تأريخًا لعلم تدوين السنة، ولم يسقها أحد للطعن أو للتشكيك.

ومن عظيم نعمة الله تعالى على عباده أن حفظ لهم الذكر من التغيير والتبديل؛ يقول تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩))[٢] ، ومن جملة حفظ القرآن الكريم حفظ السنة النبوية المطهرة؛ إذ هي المبينة والشارحة للكتاب العزيز.

وبطبيعة الحال فإن جميع الشبهات التي ينشرها أعداء الإسلام وأذنابهم لا تنتشر ولا تلقى قبولًا، إلا بمقدار ما فيها من الحق المتشابه[٣]، لذا رأينا أصحاب هذه الشبهة يستدلون بما جاء في بعض الأحاديث والآثار من النهي عن كتابة الحديث النبوي، متغافلين عن الأحاديث المستفيضة الصحيحة الصريحة التي تأمر بكتابة الحديث، وسيأتينا طرفٌ منها.

وقبل سوق أدلتهم يقال لهم – في معرض بيان تناقضهم –: إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكتابة، فمن أين جئتم بهذه الأحاديث والآثار التي تستدلون بها؟!

أليست هي مكتوبة في كتب السنة، بغض النظر عن مناقشة فهمكم لها؟ فما كان جوابكم عن جواز تدوينها والاحتجاج بها، فهو جزءٌ من جوابنا عن شبهتكم التي تروِّجونها، أسئلة كثيرة نناقشها في ما يلي :

وفيما يأتي جملة مما استدلوا به، والجواب عنه:

---

(١) أثار هذه الشبهة بعض المستشرقين وتلقفها عنهم أبو رية في كتابه "أضواء على السنة المحمدية" (ص٢٣)، ونقلها عنه من سار على نهجه.
(٢) سورة الحجر .
(٣)ابن تيمية ، قاعدة في المحبة ، ص ٢١٥ .

١- ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ)[١].

والجواب عنه: أنه كان في بداية الأمر؛ خشية أن يختلط الحديث بالقرآن الكريم، على أن بعض المحدثين: كالبخاري وغيره قد أعل الحديث بالوقف على أبي سعيد الخدري[٢].

٢- روى المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: دخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديثٍ، فأمر إنسانًا يكتبه، فقال له زيد: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئًا من حديثه، فمحاه)[٣].

ويجاب عنه: بأنه : (حديث ضعيف؛ فيه كثير بن زيد، وهو غير قوي، والمطلب لم يدرك زيدًا)[٤].

٣- روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلَّب كثيرًا، قالت: فغمَّني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيءٍ بلغَك؟ فلما أصبح قال: أي بنية، هلمِّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فأحرقها، فقلت: لِمَ أحرقتها؟ قال: خشيتُ أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد تقلَّدتُ ذلك)[٥] .

ويجاب عنه: (بأنه لا يصحكما قاله الذهبي)[٦] وقال ابن كثير: (هذا غريب من هذا الوجه جدًّا)[٧] ، وعلى فرض صحته؛ فإنه يدل على جواز كتابة الحديث، وفعل أبي بكر رضي الله عنه معلَّل بخشية الكتابة عمَّن لا يوثق به[٨].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٣٠٠٤ .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٢٠٨ .
(٣) الإمام أحمد ، المسند ، ج٥ ، ص ١٢٨ . ورواه أبو داوود في سننه برقم ٣٦٤٧ .
(٤) المعلمي ، الأنوار الكاشفة ص ٣٥ .
(٥) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ١١ ، والمتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص ٢٨٥ .
(٦) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص ١١ .
(٧) المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص ٢٨٥ .
(٨) المعلمي ، الأنوار الكاشفة ، ص ٣٨ .

٤- روى عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرًا، ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له، قال: إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًا[1].

والجواب عنه: أنه خبرٌ منقطع؛ فإن عروة بن الزبير لم يسمع عمرَ؛ لأنه ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه على الصحيح[2]، وعلى فرض صحته؛ فإنه دليل على جواز كتابة الحديث لا على النهي عنها؛ إذ لو كان منهيًّا عنه لما همَّ به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما أنه بيَّن سببَ عدولِه عن الكتابة: وهو خشية ترك القرآن الكريم، والتباسه بشيء آخر.

٥- روى يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار: من كان عنده شيء فليمحه[3].

ويجاب عنه: بأنه منقطع؛ يحيى بن جعدة لم يدرك عمر بن الخطاب[4].

كما استدلوا ببعض الآثار الأخرى، وهي إما ضعيفة أو منقطعة، والمقام لا يتسع لبسطها[5] .

ثمَّ هذه الأحاديث والآثار التي قد جاء فيها النهي عن الكتابة، قد عارضها ما هو أقوى منها وأصح إسنادًا، وكلها صريحة في الإذن بكتابة الحديث، وإليك طرفٌ منها:

١- قال أبو هريرة: لَمَّا فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة... الحديث، وفيه: فَقَامَ أَبُو شَاهٍ - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ - فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ)[6].

---

(١) البيهقي ، المدخل ، ص ٤٠٧ ،)، وانظر ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٧٤).
(٢) المزي ، تهذيب الكمال ،ج٢٠ ، ص ٢٢ .
(٣) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ج١ ، ص ٢٧٥ .
(٤) المعلمي ، الأنوار الكاشفة ، ص ٣٩ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٩ – ٤٠ .
(٦) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٤٣٤ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٣٥٥ .

٢- قال أبو جُحَيْفَةَ: قلت لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ، قَالَ: لَا، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ[(١)].

٣- قال أبو هريرة: مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ[(٢)].

ثبت عن عدد من الصحابة والتابعين أن لهم صحفا يدونون فيها جملة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كُتب في جمعها ودراستها كتب وبحوث، مثل "دراسات في الحديث النبوي(للأعظمي)، و(صحائف الصحابة) للصويان، وغيرها.

ولما كانت طريقة الراسخين في العلم - أهل الصدق والديانة - هي الأخذ بما صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم كلِّه؛ إذ هي وحيٌ كما قال الله تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤))[(٣)] ولا يلجؤون إلى ضرب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضها ببعض، كما هو حال أهل البدع المنحرفين عن الهدى.

لذا فإن أهل العلم يرون أن كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مرت بمرحلتين:

الأولى: النهي عن كتابة الحديث، وكان ذلك في بداية الأمر؛ مخافة اختلاط القرآن الكريم بغيره[(٤)].

الثانية: الإذن بكتابة الحديث، وذلك بعد أن استقرت الدعوة، وأمن النبي صلى الله عليه وسلم من الالتباس بالقرآن الكريم، فالنهي عن الكتابة متقدم، وآخر الأمرين الإباحة[(٥)] ، يقول ابنُ القيم - موضحًا هذا الأمر -: (قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الكتابة والإذنُ فيها، والإذنُ متأخرٌ، فيكون ناسخًا لحديث النهي)[(٦)].

---

(١)الإمام البخاري ، صحصح البخاري ، رقم الحديث ١١١ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٣٧٠.
(٢)الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١١٣ .
(٣) سورة النجم .
(٤) ابن حجر ، فتح الباري ، ج١ ، ص ٢٠٨ ، وانظر عالم السنن (٤/ ١٨٤).
(٥)الخطابي معالم السنن ، ج٤ ، ص ١٨٤ .
(٦) ابن القيم ، تهذيب مختصر سنن أبي داوود ، ج٥ ، ص ٢٤٥

هذا هو قيد مسألة النهي عن كتابة الحديث؛ فهي مسألة وقتية محددة بظروف واعتبارات معينة: كالخوف من اختلاط السنة بالقرآن، فيؤدي ذلك إلى الريبة والشك من المسلمين الجدد، أو نحو ذلك، ثم زالت هذه الاعتبارات وارتفعت، وجاء الإذن الصريح الصحيح من النبي صلى الله عليه وسلم بالكتابة.

وقد حكي إجماع العلماء في الأعصار المتأخرة على تسويغ كتابة الحديث، وهذا أمر مستفيض، شائع ذائع، من غير نكير[1].

فالموفَّق من فهِم الأمر على هذا النحو، وعلِم وسلَّم، ولزم غرز العلماء الربانيين، مستمسكًا بقوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ(٩٢))[2] ولم يجادل بالباطل، أو يجعل المقيَّد بوقت - وهو النهي عن كتابة الحديث - عامًّا في كل الأوقات؛ بغية التخلص من تشريع السنة وأحكامها، كما هو حال الزائغين عن هدي خير المرسلين صلى الله عليه وسلم.[3].

س٧٦: لماذا نهى الاسلام عن زواج المسلمة من غير المسلم؟ .

ج٧٦: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (زواج النصراني من المسلمة زواج باطل، الله جل وعلا يقول: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا... (٢٢١))[4] ، فلا يجوز نكاح الكافر من المسلمة، والله يقول:(لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ(١٠))[5] ، فإذا تزوجها فالنكاح باطل والأولاد زنا، أولاد زنا يلحقون بأمهم ولا يلحقون به، ينسبون إلى أمهم اللهم إلا إن كانوا جهالا ما عرفوا الإسلام فهذا له شأن، النكاح باطل والأولاد ينسبون إليه لأجل جهله، إن كان جاهلا وهي جاهلة، فالنكاح يكون باطلاً ولكن ينسب الأولاد إلى أبيهم بسبب الجهل لأنه وطء شبهة.

---

(١) ابن كثير ،اختصار علوم الحديث ،ص: ١٣٢
(٢) سورة المائدة .
(٣) إعداد اللجنة العلمية بمركز سلف للبحوث والدراسات.
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة الممتحنة .

أما إذا كان يعرف حكم الإسلام وهي تعرف حكم الإسلام، يعرفون حكم الله ولكن تساهلوا ولم يبالوا بحكم الله فيكون الأولاد ولد زنا، ينسبون لأمهم ولا ينسبون لأبيهم، ويؤدب هو ويقام عليه الحد الشرعي بوطئه المرأة المسلمة بغير حق، وهذا هو الواجب عند القدرة عليه ومن دولة الإسلام.)[1].

البعض يتساءل: "لماذا أباح الشرع زواج المسلم من كتابية، وحرم زواج الكتابي من مسلمة؟!"، موضحة أن المسلم يتزوج من غير المسلمة كالمسيحية مثلًا؛ لأنه يؤمن بعيسى –عليه السلام–، فهو شرط لاكتمال إيمانه، أن يؤمن بجميع الأنبياء، كما أن ديننا يأمر المسلم بتمكين زوجته غير المسلمة من أداء شعائر دينها، وليس له منعها من الذهاب إلى كنيستها للعبادة، كما يمنع الزوج من إهانة مقدساتها؛ لأنه يؤمن بها؛ ولذا فإن المودة غير مفقودة في زواج المسلم من غير المسلمة، بخلاف زواج المسلمة من غير المسلم، فهو لايؤمن برسولنا محمد، ودينه لا يأمره بتمكين زوجته المسلمة –إن تزوجها– من أداء شعائر الإسلام أو احترام مقدساتها، لذا فهو يؤذيها بعدم احترام دينها والتعرض لرسولها ومقدساتها، ولذا فإن المودة مفقودة في زواج المسلمة من غير المسلم، ولذا منعها الإسلام.

وقد أجمع فقهاء المسلمين على أنّ زواج المسلمة من غير المسلم بغض النّظر عن ديانته هو أمر محرّم في الشّريعة الإسلاميّة، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: (وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(٢٢١))[2] ، ولقوله كذلك سبحانه وتعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ... (١٠))[2] .

إنّ الحكمة من تحريم زواج المسلمة من شخص غير مسلم أو كتابي، هو أنّ الإسلام دين

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة الممتحنة .

يعلو ولا يُعلى عليه، وإنّ للزوج فيه قوامةً على زوجته، وهذا أمر ممنوع في حقّ من كان كافراً، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: (وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) سورة النساء، ١٤١، وفي هذه الحالة فإنّه لا يؤمن على المرأة أن تميل إلى زوجها في حال دعاها إلى اعتناق ديانته، ولا يؤمن على الأطفال أن يقوموا باتباع والدهم في ديانته، وأمّا في حال تزوّج المسلم بامرأة كتابيّة فإنّ هذه المفاسد لا تكون موجودةً، لأنّ القوامة تكون للزوج المسلم، ومن الممكن أن يؤثر هو على زوجته وبالتالي تسلم، والزّوج هو الكلف بأن ينشئ الأولاد تنشئةً إسلاميّةً تحميهم من متابعة الأمّ في دينها، وفي حال قصّر في هذا الأمر فإنّ حسابه يكون على الله عزّ وجلّ، وفي حال زواجه من امرأة كتابيّة فإنّه يكون مؤمناً بكتابها غير المحرّف وبنبيّها، وبالتالي يكون لديهما أساس للتفاهم ويمكن لحايتهما أن تستمرّ، وأمّا الكتابي عند زواجه بالمسلمة فإنّه لا يؤمن بدينها، ولا يوجد بينهما أيّ طريقة للتفاهم والوئام، ولذلك منع الشّارع هذا الزّواج ابتداءً[(١)].

س٧٧: لماذا يجبُ السَّمْعُ والطَّاعةُ لولي الأمر ؟ .

ج ٧٧ :(إن السمع والطاعة لأولي الأمر أصل من أصول أهل السنة والجماعة، قل أن يخلو كتاب منها في تقريره وشرحه وبيانه وما ذلك إلا لبالغ أهميته وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنظيم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالاختلاف بالباطل عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا.

وقد أورد كثير من أهل العلم حقوق أولي الأمر على الرعاية في عدة حقوق منها:

١- بذل الطاعة له ظاهراً وباطناً في كل ما يأمر به أو ينهى عنه إلا أن يكون معصية.

٢- بذل النصيحة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة قالوا لمن؟ قال لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) فخص ولاة الأمر بالنصيحة لما فيه أداء حقوق وعموم المصلحة بهم.

٣- القيام بنصرتهم باطناً وظاهراً ببذل المجهود في ذلك لما فيه من نصرة المسلمين وكف

(١) موقع موضوع الألكتوني .

أيدي ا المعتدين.

٤- أن يُعرف له عظيم حقه، وما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله له من الإعظام ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظون حرمتهم ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم، وعدم الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم بخلاف السنة.

٥- إعانته على ما تحمله من أعباء ومصالح، ومساعدته على ذلك بقدر الإمكان، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وأحق من أعين على ذلك ولاة الأمور.

٦- رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أحوال الملة.

٧- الذب عنه بالقول والفعل والمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن والسر والعلانية.

والواقع أن السمع والطاعة لأولي الأمر الشرعيين له آثار كثيرة، وهي تأتي في سلسلة آثار الالتزام بالشرع، عقيدة وسلوكاً، وأخلاقاً ومعاملات وآداباً.. **ومن أبرز ذلك**:

١- امتثال الله تعالى، وابتدار طاعته، فإن من أطاع أولى الأمر بالمعروف فقد أطاع الله. كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ (٥٩))[١] ، وفي هذا الامتثال لأوامر الله من أعظم الأدلة على عبودية الإنسان لله وخضوعه، وإيمانه به رباً وإلهاً وشارعاً.

٢- إن في ذلك ترويضاً للرعية، وتربية لها على الطاعة والانقياد لمن شرع الله طاعته من ولاة الأمر والوالدين والأزواج ونحوهم.

وإذا تربت الأمة على ذلك أصبحت تصرفاتها وفق إرادة الشارع، وبذلك تذوب أهواؤها وأنانيتها كما تتهذب غرائزها وطباعها.

---

(١) سورة النساء .

٣- وبالطاعة لأولي الأمر تتلاحم الأمة وتتماسك، وتقوى الصلة بينهم جميعاً، سواء بين الراعي ورعيته، أم بين الرعايا بعضهم ببضع، بهذا تتحقق وحدة الأمة بل قوتها.

٤- انتظام أمور الدولة وأحوالها سواء في أمور الدين كالعقيدة والعبادة والأخلاق، أم في أمور الدولة كالمعاملات والعلاقات، ونحوها إذ أن تطبيق الشريعة بأصولها وفروعها لا يتحقق إلا بطاعة الراعي، بل لا تتحقق مصالح العباد العاجلة والآجلة إلا بها.

٥- إشاعة الأمن والاستقرار في ربوع ديار الإسلام، وهذا أمر ظاهر، فالطاعة لأولي الأمر تعني سيطرة الشرع والعقل والقلب على كل التصرفات، والتغلب على الهوى والنفس اللذين يجران إلى الجريمة والتمرد والعصيان، وهذا كفيل بتحقيق الأمن بشقيه والاستقرار والطمأنينة في النفس والمجتمع.

٦- ظهور الأمة الإسلامية بمظهر الهيبة والرهبة أمام الأعداء.

ونحن في هذه البلاد قد منّ الله علينا بولاة أمر أقاموا شرع الله وحرسوا جنبات التوحيد ومدوا رواق الشريعة، جمع الله بهم الكلمة وقضى بهم على أسباب الفرقة، وحفظ بهم الأمن، وفتحوا منافذ الخير وقضوا على مظاهر الشرك ونصرة قضايا المسلمين، وقربوا أهل العلم ومهدوا سبل المعرفة وخدموا بيوت الله، وناصروا المسلمين وقضاياهم وأمتهم العربية منذ تأسيس هذه البلاد على يد قائدها الملك عبدالعزيز حتى يومنا هذا فأصبحوا ملاذاً للمسلمين وحكموا بشرع الله الكتاب والسنّة وأقاموا الشعائر الدينية، فالواجب علينا كمواطنين اتباعهم ونصرتهم وأن نكون حصناً ودرعاً واقياً لهم، وأن نجدد لهم البيعة والولاء والسمع والطاعة.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فيمن يدعو لعدم السمع والطاعة لولي الأمر: (ولقد انتشر في الآونة الأخيرة نشرات تأتي من خارج البلاد وربما تكتب في داخل البلاد فيها سب ولاة الأمور والقدح فيهم وليس فيها ذكر أي خصلة من خصال الخير التي يقومون بها، وهذه بلا شك من الغيبة، وإذا كانت من الغيبة فإن قراءتها حرام وكذلك تداولها حرام ولا يجوز أن يتداولها ولا أن ينشرها بين الناس وعلى من رآها أن يمزقها أو يحرقها لأن هذه تسبب الفتن والفوضى والشر).

وقد ذكر الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله أهمية السمع والطاعة لولي الأمر فيما سئل حيث ذكر: (يرى البعض أن حال الفساد وصل في الأمة لدرجة لا يمكن تغييره إلا بالقوة، وتهييج الناس على الحكام وإبراز معايبهم لينفروا عنهم، وللأسف فإن هؤلاء لا يتورعون عن دعوة الناس لهذا المنهج والحث عليه ماذا يقول سماحتكم؟

جواب: هذا مذهب لا تقرّه الشريعة، لما فيه من مخالفة للنصوص الآمرة السمع والطاعة لولاة الأمور في المعروف، ولما فيه من الفساد العظيم والفوضى والإخلال بالأمن. والواجب عند ظهور المنكرات إنكارها بالأسلوب الشرعي، وبيان الأدلة الشرعية من غير عنف، ولا إنكار باليد إلا لمن تخوله الدولة ذلك، حرصاً على استتباب الأمن وعدم الفوضى، وقد دلت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات مِيْتَّة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عميّة، بغضب لعصبية، أو يدعو لعصبية، أو ينصر عصبية، فقتلته جاهلية، ومن خرج على أمتي يضربها بَرها وفاجرها ولا يتحاشى عن مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه) رواه البخاري ومسلم. وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً) رواه ابن حيان والحاكم. وقوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى من أميره شيئاً من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة). وقوله صلى الله عليه وسلم: (على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره في المنشط والمكره ما لم يؤمر بمعصية الله). وقد بايع الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره والعسر واليسر، وعلى ألا ينزعوا يداً من طاعة، إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. والمشروع في مثل هذه الحال مناصحة ولاة الأمور، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم بالتوفيق والإعانة على الخير، حتى يقل الشر ويكثر الخير. نسأل الله أن يصلح جميع ولاة أمر المسلمين، وأن يمنحهم البطانة الصالحة، وأن يكثر أعوانهم في الخير، وأن يوفقهم لتحكيم شريعة الله في

عباده، إنه جواد كريم)[1].

س٧٨: لماذا الهجوم على السلفية وما أسباب ذلك وما دوافعه ؟.

ج٧٨: في عصر المادَّة واعتزاز كلِّ ذي رأيٍ برأيه وتكلُّم الرويبضة في شأن العامَّة لا يكادُ يوجد أمرٌ يُجمع عليه الناسُ رَغمَ اختلاف ألسنتهم وألوانهم وعقائدهم سِوى الهجوم على السلفيَّة، ولكي تأتي بالنَّقائص وتختصرَها يكفي أن تذكرَ مصطلح السلفيَّة ليجرَّ عليك المصطلحُ بذيله حمولةً سلبيَّة من الرمي بالتكفير والتفجير والتبديع والتفسيق، ولتعَضّك السيوف وتنهشك كلاب الديار وتتسلَّط عليك أقلامُ السوء.

وقد يتساءل السلفي البسيط الذي لا يرى من نفسِه ولا معتقده مصداقًا لما يقوله الناس عنه: لماذا كلُّ هذا العداءِ؟! وما الذي صنَع حتَّى استحقَّ كلَّ هذا الشنآن؟!

لا شكَّ أنه لن يجدَ جوابًا موضوعيًّا يناسب تصرُّفات المخالفين تجاهَه، لكنه إن فكَّر وقدَّر قد يجِد مسوِّغات معيَّنةً دعَت لكلِّ هذا العداء، ولا بدَّ أن يغضَّ النظر عن موضوعيَّتها، فهي دوافع دفَعت بأهلها إلى عدائِه، لكنها قد لا تكون شرعيَّةً ولا مقبولة موضوعيَّة، والكلام عنها مجرَّد حكاية حالٍ، **ويمكن تلمُّس هذه الأسباب والدوافع في الآتي:**

أولًا: العداء بين الحق والباطل، وهو سنَّة كونية شرعية لا يمكن تبديلها ولا تحويلها، وقد تحدَّث عنها القرآن وأكَّدها، فقال سبحانه: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢١٧))[2] وقال سبحانه: (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ

---

(١) د. محمد بن حمود الهدلاء - باحث في الشؤون الأمنية والقضايا الفكرية ومكافحة الإرهاب ، ٢٤ /١٤٣٢/ العدد ١٤٢٣٨ .

(٢) سورة البقرة

مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِير(١٢٠))[1]، فكل دعوة ممانِعَة ضدَّ الباطل لا تقبَلُه ولا تؤيِّده وإنما تعتز بما شرع ربها؛ فإنها لا تلقى ترحيبًا مِن أهل الباطل بشتَّى أصنافهم وألوانهم.

ثانيًا: تمسُّكُ السَّلفيِّين بالوحي في مقابل الثقافة الغربية وطغيان المادة، وقناعتهم بذلك، وعدم المساومة على القضايا العقدية، وعلى هويَّة الأمة العقدية والتشريعية؛ أدَّى بالنظام العالمي إلى مناصبة العداء للسلفيَّة.

ثالثًا: التشويه الإعلامي وهو فرع عن النقاط الأولى، فالغربُ حين عادَى السلفيةَ جعل من عدائها مشروعًا ثقافيًّا أمميًا، وجيَّش له القنواتِ والصحفَ والمواقعَ، وبثَّ عداءه من خلالها حتى استحكم في عقل المغفَّلين والحياديِّين ممن وصلهم صوت الباطل ولم يصلهم صوت الحقِّ، أو وصلهم مشوَّشًا.

رابعًا: تبنِّي بعض الأنظمةِ لخصوم السلفيَّة وتقديمهم بدائلَ عنها، والخصوم التقليديون هم المتكلمون والمبتدعة من المتصوفة، فطفق هؤلاء يذمُّون السلفيةَ ويشهدون بما شهد به إعلام الغرب وأَعلامُ الضَّلال من الشرق، وكرَّروه على مسامع الأمَّة وبلغتها، وألبسوه لبوس دينِها لتقبَلَه وتتفهَّمه، وحاولوا جعلَ السلفية في مواجهة العالم بأسره، وليست في مواجهة تيار تغريبيٍّ تخريبيٍّ يحاول مسخَ هويَّة الأمة ودينها.

خامسًا: انتشار المنكرات واستساغتها واستسهالها حتى صار المنكِر لها المبيِّن للحقِّ فيها غاليًا متشدِّدًا، ومن أمثلة هذه المنكراتِ الظاهرة تبرُّج النساء واختلاطهنَّ بالرجال وإذابة الحواجز الشرعية بينهنَّ، ونشر الفسوق والمجون، وترك الشرع واستسهال أمره، واستبعاد حكمه بين الناس في شؤون حياتهم.

سادسًا: انتشار البدع وتبني بعض طوائف الأمة لها؛ مما يجعل من يريد ردَّ الأمة إلى الأمر الأول يقع في عداء مع هذه الطوائف؛ لأن هذه البدع شاب عليها الكبير، وشبَّ فيها الصغير.

سابعًا: البرامج التعليمية التي دبِّرت بليل، وتمَّ دمجها تدريجيًّا من أجل فصل الأمة عن سلفها،

---

(١) سورة البقرة .

وعن كلِّ دعوة إصلاحيَّة جادَّة، وقدَّمت المجدِّدين من وجهة نظر علمانيَّة، فحصرتهم في كلِّ متفهِّمٍ آخذٍ من الثقافة الغربيَّة رافضٍ لجوانب التصادُم بين أحكام الشرع ودعوات الثقافة الغربية ومبادئها، وقد تعمَّدنا هذه البرامجُ المزجَ بين عقيدة الإسلام وتاريخ المسلمين، وبين أقوال الفقهاء في الشرع وبين آراء الطوائف الكلامية؛ من أجل زيادة الشبهة والتعمية على الأمة.

ثامنًا: المراكز البحثية المتخصِّصة في نقد الدين عمومًا، وفي الهجوم عليه وتقديم الخطَط والبرامج الإستراتيجية في محاربته، وقد كثَّفت جهودها ووحَّدتها وخصَّصت جزأَها الأكبر لمحاربة المنهج السلفيِّ وإثارة أكبر كمّ من الإشكالات والتساؤلات حوله.

تاسعًا: توجُّه النظام العالميّ لمحاربة السلفيَّة التي يَرى في انتشارها تناقضًا مع قِيَمِه ومبادئه، وهذا التوجُّه كان هو السبب الرئيس في توسيع دائرة الصراع؛ لأنه فرض على أكثر من جهة أن تنحاز له؛ إمَّا انحيازَ مصالح وعقائد، وإما انحياز خوفٍ وطمعٍ، كما فرض على الإعلام والأنظمة دمج موادَّ تناقض المنهجَ السلفيَّ وتكرِّس الصراعَ معه.

عاشرًا: بعض أبناء المنهج السلفي الذين تربَّوا في مدارس أجنبيَّة عن البيئة السلفيَّة، ولم يتخلَّصوا من موروثهم العلميِّ ورواسبهم الفكريَّة، فإنَّهم نقَلوا إلى المنهج السلفي بعض كوامن الصراع في الاتجاهات الأخرى، فتبنَّى بعضُهم الجرح والتصنيف والكلام في الناس والجماعات وجعلوه منهجًا، ووقفوا أنفسهم بوابين لرحمة الله، فأخرجوا طوائف كثيرة من دائرة الحقّ، وفتنوا أخرى بسبب سوء أخلاقهم، واستعدَوا الناسَ على الحقِّ رغم ضعفهم، ووجد أعداءُ السلفيَّة في تصرفاتهم وسلوكهم ضالَّتهم، فاتَّخذوا ذلك سبيلا للصدِّ عن سبيل الله، وآخرون رفعوا شعار المنهج وحملوا السَّيف على أمَّة محمَّد، فقاتلوا كلَّ برٍّ وفاجِر، ولم يفُوا لصاحب عهدٍ بعهدِه، وجيَّشوا الأمَّة على المنهج؛ لأنهم خالفوا شرع الله باسمه، ففتنوا المؤمنين والمؤمنات.

الوسائل الفعَّالة لأعداء السلفية في حربهم على المنهج السلفيّ:

أولًا: إسقاطُ الرموز بدءًا بالصحابة كأبي هريرة وعمر وعثمان وعلي، وانتهاء بأكابر المحدثين كالإمام أحمد والبخاري وغيرهم.

ثانيًا: التشكيك في المحكمات الشرعية بما في ذلك أصول الاستدلال؛ كأصول الفقه والمصطلح وعلوم القرآن، بالإضافة إلى التشكيك في مصادر التشريع من كتاب وسنة وأجماع وإثارة الشبهات حولها.

ثالثًا: إنكار بعض أحكام الشرع والدندنة حولها من أجل الطعن فيه، وجعلها خصوصية للمنهج السلفي، ورمزا للتشدُّد؛ كالحدود الشرعية وبعض الأحكام التعبدية المحضة كرمي الجمرات والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والتيمم بالتراب وغيرها من شعائر الإسلام التي هي فرع الإيمان وحقيقة العبودية لله عز وجل.

رابعًا: تحريف الشرع عبر تسييس عقيدة الولاء والبراء، والطعن في أحكام الشرع المتعلقة بالأسرة من ولاية وقوامة وطلاق وإرث، والدندنة حول ذلك، وجعله أم القضايا التي إن حرفتها الأمة التحقت بركبِ الأمم السابقة لها ماديا.

خامسًا: تبني المتراجعين عن المنهج، والنفخُ فيهم، وجعل تراجعهم نتاجَ قراءة موضوعية وأسباب عميقة أدت بهم إلى رفض المنهج جملةً وتفصيلا، وكلَّما كان الناكص أكثر وقاحة كان الانفتاح الإعلاميُّ عليه أكثر والترحيبُ به أوسعَ.

وخلاصة القول: إنَّ الحرب على المنهج السلفي أعمق مما يتصوَّره السُّذَّج من عامة الأمّة، ومما يتصوره بعض أتباع المنهج، فهي حرب كونيَّة لم يتخلَّف عنها منافق ولا مداهنٌ، فقد أجلب النظام العالمي على المنهج السلفي بخيلِه ورَجِله، ولا يريد غيرَ استئصاله إن استطاع إلى ذلك سبيلا، وخُصوم المنهج بعدَدِ أنفاس أهل الباطل، فقد اشترك في الحرب عليه أهلُ الكفر وأهل الأهواء والبدع، لا يريد أحد منهم أن يظفَر عليه صاحبه بخصلة القضاء على المنهج[1].

س٧٩ : لماذا حث الإسلام على التعامل مع غير المسلمين وشجع على ذلك ؟..

ج٧٩ : الاسلام دين الله الحق ، وهو دين الإخاء والمحبة والرحمة ، هو دين عالمي أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله علبه ويلم إلى الناس جميعا ، ولذلك فالإسلام لم يحرم التعامل

---

(١) موقع سلف للبحوث .

مع غير المسلمين بل شجع عليه وحث الناس عليه ، وفي سيرته صلى الله عليه وسلم ما يؤكد ذلك حين نعلم كيف تعامل صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة مع أنهم على غير شريعته ، كذلك فعل ذلك من بعده خلفاؤه الراشدون وغيرهم من الخلفاء الذين توالوا على حكم الدول الإسلامية المتعاقبة ، فلم يكن لتغير شريعتهم التي يتعبدون بها أثرا في التعامل مهم وقد أوردن في ثنايا هذا الكتاب شيئا من تعامل المسلمين مع غيرهم من أهل الملل الأخرى ، ف(قام النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وأصحابُه لجِنازةِ يهوديٍّ ، حتَّى توارتْ)[١]، وروى البخاري رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله عنه قال : (كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ)[٢]، وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أدلة أخرى كثيرة توجب التعامل والتواصل مع غير المسلمين والاستفادة منهم ومن خبراتهم وخصوصا إذا كانوا أهل وطن واحد خصوصا في دول كثيرة من الدول الإسلامية .

الأمور التي يحث الاسلام على التعامل بها مع غير المسلمين:

١- البيع والشراء: فقد عامل النبي صلى الله عليه وسلم اليهود والمشركين، وباع لهم واشترى منهم، ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي، على ثلاثين صاعًا من شعير ، روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من يهودي طعامًا إلى أجل، ورهنه درعًا له من حديد)[٣]، وروى البخاري في صحيحه (باب البيع والشراء مع المشركين وأهل الحرب)، عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل مع أحد منكم طعام؟)، فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن ، ثم جاء رجل مشـرك

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٦٠ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣٥٦
(٤) الإمام مسلم، صحيح مسلم رقم الحديث ١٦٠٣ .

مشعان– نتفش الشعر ومتفرقه– طويل، بغنم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أبيعٌ أم عطية؟)، أو قال: (هبة)، قال: لا، بل بيع، قال: فاشترى منه شاة)[1]، مما يدل على جواز التعامل مع غير المسلمين بالبيع والشراء، بشرط ألا يكون مما يستعان به على حرب المسلمين؛ كالسلاح ونحوه، وكذلك لا يجوز بيع أو شراء ما هو محرَّم في ديننا؛ مثل: الخنزير والخمر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... (٢)﴾[2].

٢– الإجارة (وهي بيع المنفعة): فيجوز أن يؤجر غير المسلم في كثير من الأعمال : (صناعة – زراعة – خدمة – بناء ...)، فقد:

أ– استعمل النبي صلى الله عليه وسلم يهود خيبر في أراضي المدينة ليزرعوها ولهم نصف ما يخرج منها .

ب– استأجر عبدَالله بن أريقط وهو مشرك دليلًا في الهجرة .

وما نراه اليوم من عمل كثير من غير المسلمين في بلادنا دليل على إجازة ذلك من قبل ولاة أمرنا وعلمائنا ، ولو علموا أن هناك ما يمنعه من كتاب الله وسنة رسوله لمنعوه ،وقد عمل أولئك بكل إخلاص في بلادنا وكثير منهم أسلم لما رأوا من تسامح المسلمين ، وكذلك يجوز أن يعمل المسلم عند غير المسلم وما نراه اليوم من هجرة كثير من المسلمين إلى الغرب أو الشرق للعمل عند غير المسلمين أمر مباح مادام لا يضر دينه ، قال الدكتور شوقي علام، مفتي جمهورية مصر العربية : (إن الأصل جواز عمل المسلم مع غير المسلم؛ لحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: أصاب نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم خصاصة، فبلغ ذلك على رضى الله عنه، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئًا ليغيث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى بستانًا لرجل من اليهود، فاستقى له سبعة عشر دلوًا، كل دلو بتمرة، فخيره اليهودي من تمره سبع عشرة عجوة، فجاء بها إلى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم)[3].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٣٨٢ ،
(٢) سورة المائدة .
(٢) صحيفة اليوم السابع المصرية ، السبت، ٢٤ ديسمبر ٢٠١٦

٣- البر والإحسان معهم: قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)﴾[١] ومن ذلك البر والإحسان:

أ- الرحمة العامة بهم؛ كإطعامهم وسقيهم ومداواتهم وإنقاذهم من التهلكة؛ قال صلى الله عليه وسلم: (ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء)[٢].

ب- الصدقة على الفقير منهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٥٩)﴾[٣] ، وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨)﴾[٤] ، والأسير في دار الإسلام لا يكون إلا غير مسلم .

ت- صلة القريب الغير مسلم ؛ كالوالدين والأخ بالزيارة والهدية ونحوها في غير محبة ومودة؛ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: "قدِمَتْ عليَّ أمي - وهي مشركة - في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأَصِلُ أمي؟ قال: (نعم، صِلِي أمكِ)[٥].

ث- الإهداء إليهم ترغيبًا لهم في الإسلام أو في حال دعوتهم، وكذلك يجوز قَبول هديتهم، فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم شاةً من يهودية، وأكل منها، وكانت مسمومة، ولكن ورد النهي عن قبول هدية الكافر إذا كان يريد أن يصل بذلك إلى الموالاة؛ عن عياض بن حمار: أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية له أو ناقة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أسلمت؟) قال: لا، قال: (فإني نهيت عن زبد المشركين)[٦].

٤- عيادة المريض منهم: لدعوتهم إلى الإسلام أو لأي مصلحة شرعية؛ فقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم غلامًا يهوديًّا، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وعاد عمه أبا طالب حين حضرته

---

(١) سورة الممتحنة .
(٢) ابن حجر ، الامتاع ، ج١ ص ٦٢ .
(٣) سورة البقرة .
(٤) سورة الإنسان .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٦٢٠ .
(٦)الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ١٥٧٧ .

الوفاة ودعاه إلى الإسلام.

٥- الانتفاع بما عندهم من أنواع العلوم الدنيوية والخبرات العلمية: (صناعة - طب - هندسة ...)؛ فقد استأجر النبي صلى الله عليه وسلم رجلًا كافرًا يدله على الطريق أثناء الهجرة إلى المدينة، وجعل فداءَ بعض أسرى بدر - ممن لم يكن عنده فداءٌ من المال - أن يعلِّم عشرة من أولاد الأنصار القراءة والكتابة.

٦- يجوز للمسلم أن يذهب إلى الطبيب غير المسلم ليعالجه إذا وثق به وهو ما يحصل من المسلمين حين يذهبون للعلاج في البلاد الغير إسلامية.

٧- يجوز للمسلم أن يتزوج بالكتابية العفيفة، إذا أَمِن من ضررها على الدين والنفس والأولاد، قال تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٥))[١]، وقد يحبها حبًّا فطريًّا؛ مثل حب شكلها أو معاشرتها، مثل الحب الفطري الطبيعي للوالدين، مع بغض كفرهما إذا كانا كافرين.

والمحصَنة: هي العفيفة عن الزنا، وإن كان الأولى أن يتزوج بمسلمة؛ لأن ذلك أسلم له ولذريته، أما الكافرات من غير الكتابيات، فلا يجوز أن يتزوج المسلم بواحدة منهن؛ قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ(٢٢١))[٢] أما المسلمة، فلا يجوز لغير المسلم أن يتزوجها، سواء كان كتابيا أو غير كتابي، بإجماع المسلمين.

والمعاملة مع الزوجة (الكتابية) تكون بالحسنى؛ لتأليف قلبها وإعطائها حاجاتها، والنفقة عليها، قد يكون ذلك سببًا في إسلامها، أما في قلبه فلا يكون مبغضًا لها لعدم إسلامها، و

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة البقرة .

يجب عليه حسن المعاملة لها؛ مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء: (صِلي أمك).

٨- **يجوز دفع الزكاة إلى المؤلفة قلوبهم من غير المسلمين** : قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠))[١]، وقصة عمر رضي الله عنه حين أعطى شيخا يهوديا فقيرا من بيت مال المسلمين تدل على أن الإسلام دين رحمة للمسلمين ولغيرهم ممن يكونون تحت ولاية المسلمين .

٩- **يجوز التصدق عليهم من غير الزكاة** : ودليل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينكر على عائشة رضي الله عنها إعطاءها صدقة ليهودية، ولو كان غير جائز لأنكره؛ إذ تأخر البيان عن وقت الحاجة غير جائز.

١٠- **رد السلام عليهم**: و قال الجمهور بوجوب ذلك؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا سلم عليكم أهل الكتاب، فقولوا: وعليكم)[٢] ، وإذا عطس الكافر نقول له: "يهديكم الله ويصلح بالكم"؛ لحديث أبي موسى الأشعري عبدالله بن قيس رضي الله عنه: (كان اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاءَ أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول: (يهديكم الله ويصلح بالكم)[٣].

١٠- **الاستعانة بغير المسلم لغرض حماية الداعي**: ومن أدلة ذلك: حماية أبي طالب للنبي صلى الله عليه وسلم في مكة، وقبول أبي بكر رضي الله عنه الدخول في جوار ابن الدغنة، وذلك للتمكن من نشر الدين والدعوة إلى الله، أو للنجاة من إيذاء غير المسلمين ، بشرط ألا يكون على حساب أحكام الإسلام ، وكذلك لا نحرم هذه المعاملات وقد أجازها الشرع، فالإسلام دين الوسطية والاعتدال؛ قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا(١٤٣))[٤].

---

(١) سورة التوبة .
(٢) الإمام البخاري ' صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٩٢٦ .
(٣)الإمام البخاري ، صحيح الأدب المفرد ، رقم الحديث ٧١٩ .
(٤) سورة البقرة .

فأجاز معاملة غير المحارِبين بالبر والإحسان.

١١- عدم مجادلتهم : فلقد اهتمّ الإسلام بأدق التفاصيل في تنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين وعلى الأخص أهل الكتاب؛ فقد أرسى قواعد مهمّة في معاملتهم؛ فنهى عن مجادلتهم في دينهم إلّا أن تكون المجادلة بالحُسنى، وذلك أدعى إلى عدم وقوع البُغض والطائفية والعداوة بين الناس، وحتى لا تتغير النفوس بسبب هذا الجدل.

وأخيرا نقول : هذا هو الإسلام ، الدين السماوي الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩))[١]، وتَمكَّن هذا الدين من قلوب الناس بآدابه القيِّمة، وتعاليمه النيِّرة، وكانت تلك الأخلاق السامية التي رسَّختها المبادئ الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين من اليهود والنصارى والمشركين والمجوس سببًا بارزًا في التعريف بالإسلام، ووسيلة مهمة في الدعوة إليه، دخل الإسلام معظم أنحاء آسيا وإفريقيا عن طريق التجار المسلمين العُزَّل من أي سلاح - سوى العقيدة الراسخة - الذين جذَبوا أنظارَ السكان الأصليين بالأمانة والصدق ومكارم الأخلاق، ونجحوا في دعوتهم إلى الإسلام بالقدوة الحسنة[٢] ، والتعاملُ الحَسَن مع غير المسلمين هو الذي دفع الكثيرين منهم إلى دراسة الإسلام ومطالعة القرآن، وكان ذلك سببًا في قَبُولهم الإسلام، وانضمامهم إلى صفِّ المسلمين، يقول الشيخ علي الطنطاوي - وهو يشرح حقيقة الجهاد في سبيل الله ومقاصده، وأن الإسلام لم ينتشر بقوة السيف، بل يرجع الفضل فيه إلى الأخلاق الفاضلة العالية التي كان المسلمون يحملونها ويتَّسِمون بها في دعوتهم إليه : (ضلَّ قوم زعموا أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، لا والله، إنما انتشر بمِثْل هذه الأخلاق السماوية، إنما فتح المسلمون ثلاثة أرباع العالم المتمدن بهذا الإيمان الذي ملأ قلوبهم، وهذا

---

(١) سورة الصف .

(٢)الإسلام والآخر، الحوار هو الحل؛ حمدى شفيق، (ص: ٥٨-٥٩).

النور الذي أشرق على نفوسهم، وهذه القوة التي عادت بها عليهم عقيدة التوحيد، وإن الفتح الإسلامي لهو الفتح الأعظم الذي لم يَعرِف التاريخ فتحًا مثله، وكثير هم الفاتحون الذين فتحوا بلادًا واسعة بسيوفهم، وأخضعوها بجنودهم، وحكموها بقوتهم وسطوتهم، ولكن ليس فيهم مِثْل المسلمين الذين فتحوا البلاد بإيمانهم، وفتحوا القلوب بعدلهم، وفتحوا العقول بعِلْمهم، فكانوا أصحاب السلطان، وكانوا دعاة الإيمان:

مَلْكنا فكان العدلُ منا سجيَّة — فلما ملكتُم سال بالدم أبطحُ

وحلَّلتم قتْلَ الأسارى وطالما — غدونا على الأسرى نَمُن ونَصفَحُ

فحسْبُكم هذا التفاوتُ بينَنا — فكل إناء بالذي فيه يَنضحُ(١)

يقول غوستاف لوبون: (فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سَمْحا مِثل دينهم)(٢).

ويقول أحد الكتاب الأمريكيين المعاصرين، وهو آندرو باترسون: (إن العنف باسم الإسلام ليس من الإسلام في شيء، بل إنه نقيض لهذا الدين الذي يعني السلام لا العنف)(٢).

وكانت سماحة الإسلام سببًا في إسلام الشاعر الأمريكي رونالد ركويل؛ فقال بعد أن أشهر إسلامه: (لقد راعني حقًّا تلك السماحة التي يُعامِل بها الإسلام مخالفيه؛ سماحة في السِّلم، وسماحة في الحرب، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كلِّ وصاياه"؛ (معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي)(٣).

فالعالم اليوم في حاجة إلى الاطلاع على الأخلاق والآداب والحقوق التي دعا إليها الإسلام أتباعَه للتمسُّك بها والحِفاظ عليها نحو إخوانهم المواطنين والمعاهَدين من غير المسلمين، وبه

---

(١) علي الطنطاوي، الفتح الإسلامي، مجلة الرسالة.. السنة: ١٤، العدد: ٦٦٢.
(٢) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٧٢٠ .
(٢) بول فندلي ، لا سكوت بعد اليوم؛ ، ص: ٩١
(٤) إدوار غالي الدهبي ، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي) ، ص: ٤٩.

يتحقَّق الخير كله بإذن الله، ويكون الدين كله لله[1].

إن من أهم مقاصد الشريعة : الحفاظ على النفس والدم والعرض والمال ، وحفظ الأمن والجوار، في ظل تعدد الديانات واختلاف المشارب والأفهام ، مع الحفاظ على نقاوة العقيدة ومقتضيات التوحيد، إلا أن الواقع اليوم ينذر بغلبة قسمين من الناس : قسم: جبل نفسه على محبة الكفار وتعظيمهم ونصرتهم ، وتنحية شريعة الله عن الحكم في الأرض ، ورميها بالقصور والجمود. وقسم : تشدد وتعصب ، ولم يترجح عنده إلا ما يراه فيما اختلف فيه، وتشبعت أنفسهم في كل ما يتعلق بغير المسلمين بالكراهية المطلقة الذي ترتب عليه إزهاق للأرواح، واخلال بالأمن. وكان لهذين القسمين قسيم ثالث قصر في بيان جانب الوسطية في التعامل مع القضايا المعاصرة .

إن موقف الاسلام من غير المسلمين هو موقف الداعي ، لذا يجب أن يتأسس على الرحمة ولين القول ، وصون أموالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم .

س٨٠:لماذا حرم الاسلام التنقص من الانبياء والرسل ؟.

ج٨٠: (إن تمثيل أنبياء الله ورسله صلى الله عليهم وسلم ، وكذا تمثيل الصحابة رضي الله عنهم ؛ لا يجوز لما في القيام بذلك من تنقصهم والامتهان لهم والاستخفاف بهم ، والإخلال بتعظيمهم وتوقيرهم ، وتعريضهم للنيل منهم ، ولما فيه من الاختلاق والكذب على أصفياء خلق الله ، وهذا الفيلم المشار إليه زعم مخرجه أنه أخرجه من وجهة نظر إسلامية ؛ حيث تقوم فكرته على نفي قصة الصلب وفق ما جاء بالقرآن الكريم ، كما أنه يتضمن بشارة المسيح بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه موجه في الأساس إلى الغرب ؛ ردا على الإساءات الغربية المتكررة لنبينا صلي الله عليه وسلم بشكل خاص وللإسلام بشكل عام ، ولبيان منزلة المسيح عليه السلام عند المسلمين ، وأن الإسلام جاء بالإيمان بجميع أنبياء الله ورسله بلا استثناء ولا تفريق بينهم في ذلك .

---

(١) محمد إقبال النائطي التعامل مع غير المسلمين في الإسلام ، الندوي شبكة الالوكة في ١٤٣٥/٦/٢٣ هجري

ومع إيماننا بأن المسيح عليه السلام لم يصلب ، ولم يقتل ، وقد صرح بذلك القرآن الكريم ؛ فإننا لا نقبل أن يقدم ذلك في عمل تمثيلي يظهر فيه شخص على أنه المسيح عليه السلام ، أو حتى ترسم صورة له بذلك ، فهذا كله ممنوع محرم ، لما فيه التنقص من مقام أنبياء الله عليهم السلام ، وابتذال مكانتهم في النفوس ، ولما يدخله عادة من الكذب عليهم ، وإظهارهم في حال غير ما كان عليه واقعهم ، سواء كانت المخالفة قليلة أو كثيرة ؛ فلا يحل لأحد أن يكذب على أنبياء الله عليهم السلام ، أو يتنقص من مقامهم ، أو يمثل شخصهم ، أو يصوره ، مهما كان مقصده نبيلا ، وغايته شريفة ؛ فالغاية إذا كانت نبيلة ، فالوسيلة . أيضا لا بد أن تكون مشروعة .

قال علماء اللجنة الدائمة في معرض بيان عدم جواز تمثيل الأنبياء والصحابة : دعوى أن هذا العرض التمثيلي لما جرى بين المسلمين والكافرين طريق من طرق البلاغ الناجح والدعوة المؤثرة والاعتبار بالتاريخ دعوى يردها الواقع ، وعلى تقدير صحتها فشرها يطغى على خيرها ، ومفسدتها تربو على مصلحتها ، وما كان كذلك يجب منعه والقضاء على التفكير فيه. ووسائل البلاغ والدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس كثيرة ، وقد رسمها الأنبياء لأممهم وآتت ثمارها يانعة ؛ نصرة للإسلام ، وعزة للمسلمين ، وقد أثبت ذلك واقع التاريخ فلنسلك ذلك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولنكتف بذلك عما هو إلى اللعب وإشباع الرغبة والهوى أقرب منه إلى الجد وعلو الهمة [1].

وحينئذ ؛ فليس خطأ أحد من المسلمين حجة على الشرع ، ولا هو خطأ لعامة المسلمين ؛ وقد قال الله تعالى : (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(١٤٦))[2]

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة ، ج٣ ، ص ٢٦٩-٢٧٠

(٢) سورة الأنعام .

(٣) المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٥ / ١١ / ٢٠١٢ م.

يقول القاضي عياض: من استخف بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو بأحد من الأنبياء، أو أزرى عليهم، أو آذاهم ... فهو كافر بالإجماع[1] .

ويقول أيضاً: وحكم من سبّ سائر أنبياء الله تعالى... واستخفّ بهم أو كذّبهم فيما آتوا به، وأنكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً(١٥٠) أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا... (١٥١))[2] وقال تعالى: (كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ... (٢٨٥))[3]، [4] .

ولقد بيّن ابن تيمية حكم هذه المسألة بياناً شافياً حيث قال: (والحكم في سب سائر الأنبياء كالحكم في سب نبينا، فمن سب نبياً مسمى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفاً بالنبوة مثل أن يذكر في حديث: أن نبياً فعل كذا وقال كذا، فيسبّ ذلك القائل أو الفاعل، مع العلم بأنه نبي، وإن لم يعلم من هو، أو يسبّ نوع الأنبياء على الإطلاق ، فالحكم في هذا كما تقدم (في مسألة حكم من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم)؛ لأن الإيمان بهم واجب عموماً، وواجب الإيمان خصوصاً بمن قصّه الله علينا في كتابه، وسبّهم كفر وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي.

وقد تقدم في الأدلة الماضية ما يدل على ذلك بعمومه لفظاً أو معنى، وما أعلم أحداً فرّق بينهما، وما كان أكثر كلام الفقهاء إنما فيه ذكر من سبّ نبينا، فإنما ذلك لمسيس الحاجة إليه، وأنه وجب التصديق له، والطاعة له جملة وتفصيلاً، ولا ريب أن جرم سابه أعظم من جرم ساب غيره، كما أن حرمته أعظم من حرمة غيره، وإن شاركه سائر إخوانه من النبيين والمرسلين في أن سابهم كافر حلال الدم.

---

(١)القاضي عياض ، الشفا . ج٢ ، ص١٠٩٦ .
(٢)سورة النساء .
(٣) سورة البقرة .
(٤) القاضي عياض ، الشفاء ، ج٢ ، ص ١٠٩٧

فأما إن سبّ نبياً غير معتقد لنبوته فإنه يستتاب من ذلك، إذا كان ممن علمت نبوته بالكتاب والسنة؛ لأن هذا جحد لنبوته، إن كان ممن يجهل أنه نبي، فإنه سبّ محض، فلا يقبل قوله: إني لم أعلم أنه نبي[١] .

ويحكي ابن تيمية الإجماع على كفر ساب نبي من الأنبياء فيقول: من خصائص الأنبياء أن من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الأئمة، وكان مرتداً، كما أن من كفر به وبما جاء به كان مرتداً، فإن الإيمان لا يتم إلا بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله[٢] ، ويقول أيضاً: والمسلمون آمنوا بالأنبياء كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، ومن سبّ نبياً من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء[٣].

ويذكر ابن تيمية ما يوجبه الطعن في الأنبياء عليهم السلام من الطعن في توحيد الله تعالى وشرعه، وأن سبّ الأنبياء هو أصل جميع أنواع الكفر، فيقول: الطعن في الأنبياء طعن في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وكلامه ودينه وشرائعه وأنبيائه وثوابه وعقابه عامة الأسباب التي بينه وبين خلقه، بل يقال: إنه ليس في الأرض مملكة قائمة إلا بنبوةٍ أو أثر نبوة، وإنّ كل خيرٍ في الأرض فمن آثار النبوات وليست أمة مستمسكة بالتوحيد إلا أتباع الرسل، قال سبحانه وتعالى: (**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ... (١٣)**)[٤] فأخبر أن دينه الذي يدعو إليه المرسلون كبر على المشركين، فما الناس إلا تابع لهم أو مشرك، وهذا حق لا ريب فيه. فعلم أن سب الرسل ينبوع جميع أنواع الكفر، وكل كفر ففرع منه، كما أن تصديق الرسل أصل جميع شعب الإيمان، وجميع مجموع أسباب الهدى[٥] .

---

(١) ابن تيمية ، الصارم المسول ، ص ٥٦٥ .
(٢) ابن تيمية ، الصفدية ، ج١ ، ص ٢٦١ .
(٣) المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣١١ .
(٤) سورة الشورى .
(٥) ابن تيمية ، الصارم المسلول ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

وقد أورد ابن حزم أدلة القائلين بتكفير ساب نبي من الأنبياء عليهم السلام ثم رجّح هذا القول... فكان مما قاله في هذه المسألة: فقوله تعالى في المستهزئين بالله وآياته، ورسوله، أنهم كفروا بذلك بعد إيمانهم عني قوله تعالى:(قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ .. (٦٦))[١] ، فارتفع الإشكال، وصح يقيناً أن كل من استهزأ بشيء من آيات الله وبرسول من رسله فإنه كافر بذلك مرتد.

وقد علمنا بضرورة المشاهدة أن كل ساب وشاتم فمستخفّ بالمشتوم مستهزئ به، فالاستخفاف والاستهزاء شيء واحد. ووجدنا الله تعالى قد جعل إبليس باستخفافه بآدم عليه السلام كافراً، لأنه إذ قال: (أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ(٧٦))[٢] ، فحينئذ أمره تعالى بالخروج من الجنة ودحره، وسماه كافراً بقوله في سورة (ص) كذلك :(وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ(٧٤)) ، إلى أن قال: فصح بما ذكرنا أن كل من سبّ نبياً من الأنبياء، أو استهزأ به... فهو بذلك كافر مرتد، له حكم مرتد، وبهذا نقول[٣].

كلام أهل العلم في ختام هذه المسألة:

يقول القاضي عياض: قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد، وقال ابن القاسم، وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون فيمن شتم الأنبياء، أو أحداً منهم، أو تنقصه: قتل ولم يستتب، ومن سبهم من أهل الذمة: قتل إلا أن يسلم. وروى سحنون عن ابن القاسم: من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر، ضرب عنقه، إلا أن يسلم[٤].

وقال ابن نجيم الحنفي: ويكفر بعيبه نبياً بشيء[٥].

ويقول الدردير المالكي: من سب نبياً مجمعاً على نبوته، أو عرّض بسب نبي، بأن قال عند

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة ص .
(٣) ابن حزم ، المحلى ، ج١٣ ، ص ٥٠٠ – ٥٠١ . وانظر: ((الفصل)) (٢٩٩/٣).) .
(٤)القاضي عياض ' الشفا ، ج٢ ، ص ١٠٨٩ .
(٥) ابن نجيم ، البحر الرائق ، ج٥ ، ص ١٣٠ .

ذكره: أما أنا فلست بزانٍ أو سارقٍ فقد كفر. وكذا إن ألحق بنبيٍ نقصاً، وإن ببدنه كعرج، وشلل، أو وفور علمه، إذ كل نبي أعلم أهل زمانه وسيدهم صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق[1] .

ويقول الشربيني الشافعي: من كذّب رسولاً أو نبياً، أو سبّه أو استخفّ به أو باسمه.. فقد كفر [2].

ويقول مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي: من سب رسولاً... كفر[3].[4] .

س٨١: لماذا يرفض المسلمون الإساءة لدينهم؟.

ج٨١: (يقول المشككون في ديننا :(لماذا يرفضُ المسلمون الإساءة لدينهم، ويشتدُّ غضبُهم عند الإساءة لرسولهم؛ مع أن دينهم يتضمَّن الإساءةَ للأديان الاخرى؟! ألم يصفِ القرآن المشركين بأنَّهم نجسٌ، وأنَّ غيرهم كالأنعام بل هم أضلُّ؟! أولم يصف المسلمون كلَّ من خالف الإسلام بالكفر والشرك والخلود في النار؟!).

هكذا يردِّد كثير ممن فُتن بالغرب وشعاراته ومذاهبه الفاسدةِ عند حدوث غَضبَة من المسلمين تجاه الإساءةِ لمقدَّساتهم! فهم يرونها غضبةً غيرَ مبرَّرة، ولا داعيَ لها، بل ربما رأوها همجيَّةً وتخلُّفًا! فها هو الغرب المتحضِّر لا ينزعجون من مثل هذا حتى ولو كان ضدَّ دينهم، ولا تَحدُث ضجَّةٌ إلا عند الإساءة للإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم.

وعليه فواجب المسلمين في نظرهم أحد أمرين: إما أن يحذفوا أو يتركوا ما في دينهم من الإساءة لغيرهم، أو أن يقبلوا بحرية التعبير بسقفها الغربي، والذي لا يمانع من الإساءة والسخرية من المقدسات الدينية.

---

(١) .انظر (الشرح الصغير على أقرب المسالك) للدردير (١٤٩/٦، ١٥٠) بتصرف. وانظر: (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير) (٢٧٤/٤)، و(بلغة السالك) للصاوي (٤٤٨/٣)، و(منح الجليل) لعليش (٢٧٦/٢)، و(الفواكه الدواني) للنفراوي (ص: ٢٢٧٦). .

(٢) انظر (مغنى المحتاج) للخطيب الشربيني (١٣٤/٤). وانظر: (نهاية المحتاج) للرملي (٣٩٥/٧)، و((حاشيتا قليوبي وعميرة) (١٧٥/٤).

(٣) انظر (غاية المنتهى) لمرعي الكرمي (٣٣٥/٣) باختصار. وانظر: (المبدع شرح المقنع) لابن مفلح المؤرخ (١٧١/٩)، و(شرح منتهى الإرادات) (٣٨٦/٣)، و(كشاف القناع) للبهوتي (١٦٨/٦) .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن علي العبداللطيف، نواقض الإيمان القولية والعملية ص: ١٨٠

والحقيقة أن هذا الكلام مليء بالمغالطات والمقدِّمات الفاسدة والاستنتاجات الباطلة، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: هذا الكلام يتضمَّن التسويةَ بين الحقِّ والباطل: فالإسلام هو الحقُّ وما سواه باطل، ولا يمكن لمؤمنٍ أن يسوِّي بين دين الله المنزل وما سواه من المذاهب الأرضية أو الأديان والملل المحرفة ، فهذا الكلام لو صدر من غير مسلم لكان له وجه –وإن كان مجابًا عنه كما سيأتي– ، ولكنه لا ينبغي صدورُه من مسلمٍ يؤمن بالإسلام، ويرى صحَّةَ الإسلام حقيقةً مطلقَةً، لا يعتريها شكٌّ بوجهٍ من الوجوه ، ولكنَّ كثيرًا من المسلمين تأثَّر بدعاوى نسبيَّة الأديان، ويتعامل مع الخلاف بين الأديان كالخلاف بين النظريات السياسية والاجتماعية والفلسفية.

وطَردُ هذا الكلام أن يقالَ: لماذا يدعو المسلمون غيرَ المسلمين إلى دينهم، ولا يقبلون أن يروِّج الكفار لدينهم في بلاد المسلمين؟! ولماذا يرحِّب المسلمون بدخول غير المسلمين للإسلام، بينما يريدون معاقبةَ من يخرُج عن الإسلام؟! وغير ذلك من هذه الدعاوى التي يغفل أصحابها عن هذه الحقيقةِ، وهي أن الإسلام حقٌّ وما سواه باطل، وأن هذه حقيقةٌ مطلَقة، وليست أمرًا نسبيًّا تتفاوت فيه الأنظار.

ثانيًا: المسلمون يحتِّم عليهم دينُهم الإيمانَ بجميع الرسل: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والحكمُ في سبِّ سائر الأنبياء كالحكم في سبِّ نبيِّنا، فمن سبَّ نبيًّا مسمًّى باسمه من الأنبياء المعروفين المذكورين في القرآن أو موصوفًا بالنبوة، مثل أن يذكرَ في حديثٍ أن نبيًّا فعل كذا وقال كذا، فيسبّ ذلك القائل أو الفاعل، مع العلم بأنه نبيّ، وإن لم يعلم من هو، أو يسبّ نوعَ الأنبياء على الإطلاق، فالحكمُ في هذا كما تقدم في مسألة حكم من سبّ النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ الإيمانَ بهم واجب عمومًا، وواجب الإيمان خصوصًا بمن قصّه الله علينا في كتابه، وسبّهم كفرٌ وردة إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي"[1]، ولا يستجيزون سبَّ المسيحية واليهوديَّة؛ لأنها في أصلها أديان منزلة من عند الله تعالى.

---

(١) ابن تيمية ، الصارم المسلول ، ص ٥٦٥ .

فالمسيحية الحقَّة واليهودية الحقة هي والإسلام كلُّها دين واحدٌ ؛ ولذلك فالمسلمون لا يجوز عندهم سبُّ المسيحية، ولا اليهودية، ولا التوراة، ولا الإنجيل، ولا أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، بل هذا في الحقيقة كفر بالله تعالى، وكفر بدين الإسلام. وهذا بخلاف ما يعتقدُه هؤلاء ويفعلونه منَ السبِّ لدين الإسلام ونبيِّ الإسلام صلى الله عليه وسلم، فكيف يسوَّى بين صنيعهم وما عندنا مما ليس فيه إساءة لشيء من المقدسات الحقيقية؟!

ثالثا: مع ما سبق فإننا لا نلزم غيرَ المسلمين في هذا إلا بنظير ما ألزمنا به أنفسَنا: وبيان ذلك: أنَّ الله تعالى نهى عن سبِّ آلهة المشركين، فقال تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ(١٠٨))[٢] ، ومع ذلك أبطل القرآنُ عبادتَها، وبين بطلان هذه العبادة بذكر أوصافها التي تبيِّن عدم صلاحيتها للعبادة، وليس هذا من السبِّ. وهذا نظير ما نلزمهم به، فإنَّ أهل الذمَّة والعهد لا يُنقَض عهدُهم إذا ذكروا من أصول كفرهم ما قد كفَروا به، بخلاف السبِّ والشَّتم، فإنهم لا يُقَرّون على ذلك ، وهذا الفرقُ حاضر في كلام الفقهاء والمفسِّرين، ففي تفسير القرطبي للطَّعن في الدين الذي يستوجب نقضَ العهد قال: "أكثرُ العلماء على أنَّ من سبَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من أهل الذمة، أو استخفَّ بقدره، أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به ، فإنه يُقتل[٢].

قال الطاهر بن عاشور في بيان الفرق بين السب المنهي عنه وإبطال عبادة الأوثان: (وليس من السبِّ إبطال ما يخالِف الإسلامَ من عقائدهم في مقام المجادلةِ، ولكن السبّ أن نباشرهم في غير مقام المناظرة بذلك، ونظيرُ هذا ما قاله علماؤنا فيما يصدُر من أهل الذمة من سبِّ الله تعالى أو سب النبيء صلى الله عليه وسلم بأنهم إن صدر منهم ما هو من أصول كفرهم فلا يُعَدُّ سبًّا وإن تجاوزوا ذلك عُدَّ سبًّا، ويعبِّر عنها الفقهاء بقولهم: (ما به كفَر، وغير ما به كفر)[٣]..

---

(١) سورة الأنعام ،

(٢) القرطبي ، التفسير ، ج ٨ ، ص ٨٣.

(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٧ ، ص ٤٣١ ، وينظر: الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٩٨).

رابعا: نهي الإسلام عن سب آلهة الكفار والمشركين: قال تعالى: (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ(١٠٨))[١] ، وفي هذه الآية مسائلُ، نذكر منها ما يتَّصل بالمراد هنا:

المسألة الأولى: سياق الآية وسبب نزولها: قال الفخر الرازي: (اعلم أن هذا الكلام أيضًا متعلِّق بقولهم للرسول عليه السلام: إنما جمعت هذا القرآن من مدارسة الناس ومذاكرتهم، فإنه لا يبعُد أنَّ بعضَ المسلمين إذا سمعوا ذلك الكلامَ منَ الكفار غضبوا وشتموا آلهتَهم على سبيل المعارضة، فنهى الله تعالى عن هذا العمل؛ لأنك متى شتَمتَ آلهتهم غضِبوا، فربما ذكروا الله تعالى بما لا ينبَغِي من القولِ، فلأجل الاحتراز عن هذا المحذور وجب الاحتراز عن ذلك المقال، وبالجملة فهو تنبيهٌ على أنَّ خصمَك إذا شافهك بجهلٍ وسفاهة لم يجز لك أن تقدِم على مشافهتِه بما يجري مجرى كلامِه؛ فإنَّ ذلك يوجب فتحَ باب المشاتمة والسفاهة، وذلك لا يليق بالعقلاء)[٤].

فالنهيُ عن السبِّ عطفٌ على الأمر بالإعراض، و(ليس المقصود من الإعراض ترك الدعوة، بل المقصود الإغضاء عن سبابهم وبذيء أقوالهم، مع الدوام على متابعة الدعوة بالقرآن، فإن النهي عن سبِّ أصنامهم يؤذِن بالاسترسال على دعوتهم وإبطال معتقداتهم، مع تجنُّب المسلمين سبَّ ما يدعونهم من دون الله [٤].

وأمَّا سبب نزولها: فأصحُّ ما روي في ذلك ما روي عن قتادة قال: (كان المسلمون يسبُّون أوثان المشركين، فيردّون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسبُّوا لربهم، فإنهم قوم جهلة، لا علم لهم بالله)[٦] ، وأمَّا ما روى الطبريّ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ.. (٩٨))[٥] قال المشركون: لئن لم تنتهِ

(١) سورة الأنعام .
(٢) الرازي ، تفسير الرازي ، ج ١٣، ص ١٠٩.
(٣) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج ٧، ص ٤٢٧.
(٤) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٢ ، ص ٣٤ .
(٥) سورة الأنبياء .

عن سبِّ آلهتنا وشتمها لنهجوَنَّ إلهَك، فنزلت هذه الآية في ذلك، فهو ضعيف؛ لأن علي بن أبي طلحة ضعيف، وله منكرات ولم يلق ابن عباس. ومن البعيد أن يكون ذلك المراد من النهي في هذه الآية؛ لأن ذلك واقع في القرآن، فلا يناسب أن ينهى عنه بلفظ: (وَلَا تَسُبُّوا)، وكان أن يقال: (ولا تجهروا بسبِّ الذين يدعون من دون الله)[1] .

المسألة الثانية: معنى السبِّ والفرق بينه وبين ما ورد في القرآن من إبطال آلهة المشركين: (السبُّ في كلام العرب: ''كلامٌ يدلُّ على تحقير أحدٍ أو نسبته إلى نقيصة أو معرَّة، بالباطل أو بالحقِّ، وهو مرادفُ الشتم. وليس من السب النسبةُ إلى خطأ في الرأي أو العمل، ولا النسبة إلى ضلال في الدين، إن كان قد صدر من مخالف في الدين)[2].

وعلى ذلك فـ(القرآن الكريم المنزَّل من ربِّ العالمين لَا يكون فيه سبٌ ولا شَتم، وإنما يكون فيه ذكرُ الحقائق الثابتَةِ ، وعلى ذلك لَا يمكن أن يكونَ وصف الأوثان بأنها لَا تضر ولا تنفع سبًّا؛ لكنه لكي يمنع العرب من عبادتها لَا بد من وصفها بحقيقتها ومآلها... إنما السب هو شتم الأوثان مثل: (لعنها الله)، و(قبحت آلهتكم)، من غير ذكر أوصافها)[3].

قال صاحب المنار: (واستشكل بعضهم النهي بما ورد في الكتاب العزيز من وصف آلهتهم أنها لا تضر ولا تنفع، ولا تقرِّب ولا تشفَع، وأنها وإياهم حصبُ جهنم، وتسميتُها بالطاغوت وهو مبالغة من الطغيان، وجعل عبادتها طاعةً للشيطان، وقد يجاب عنه بأن هذا لا يسمَّى سبًّا وإن زعموه جدلا؛ لأنَّ السبَّ هو الشتم، وهو ما يقصد به الإهانة والتعيير، والغرضُ مِن ذكر معبوداتهم بذلك بيانُ الحقائق والتنفيرُ عن الخرافات والمفاسد، وأجيب على تقدير التسليمِ بأنَّ سبَّ ما يستحقُّ السبَّ جائزٌ في نفسه، وإنما يحظُر إذا أدى إلى مفسدة أكبر منه، والحال هنا كذلك. وقد صحَّ النهيُ عن الصلاة في المقبرة والحمام، وكمثلها التلاوة في المواضع المكروهة[4].

(١) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٧ ، ص ٤٢٨ .
(٢)المصدر السابق.
(٣) محمد أبو زهرة ، زهرة التفاسير، لج٥ ، ص ٥٢٤ .
(٤) محمد رشيد رضا ، تفسير المنار، ، ج٧ ، ص ٥٥٦ .

وقال القاسمي رحمه الله: (والذي يجب علينا بيان بغضها، وأنه لا يجوز عبادتها، وأنها لا تضرُّ ولا تنفع، وأنها لا تستحقّ العبادة، وهذا ليس بسبٍّ[1] .

ونخلص من كلام هؤلاء العلماء وغيرِهم أنَّ الفرقَ بين السب المنهيِّ عنه وما ورد من إبطال دينهم ومعبوداتهم أمران:

الأول: أنَّ ما ذكر في القرآن ليس سبًّا أصلا، بل هو وصفٌ بحقيقة حال هذه المعبودات بأنزه تعبير؛ بيانًا لحالها.

الثاني: أنه في المقام المناسب، فليس في مقام التعيير أو الإغاظة والشتم، بل في مقام المحاجحة والدعوة، بما يسقط منزلتها في نفوس عابديها.

خامسًا: الحكمة من النهي عن السبِّ: (الحكمةُ من ذلك مذكورة في الآية، وهي أن لا يرجع ذلك بسب الله –تقدست أسماؤه– فيزدادون بذلك بُعدًا عن الحق، وهو نقيض مقصود الدعوة إلى الله تعالى، مع كون السبِّ لا تتحقَّق به مصلحة؛ ''لأن المقصود من الدعوة هو الاستدلال على إبطال الشرك وإظهار استحالة أن تكون الأصنام شركاء لله تعالى، فذلك هو الذي يتميز به الحق عن الباطل، وينهض به المحق ولا يستطيعه المبطل، فأمَّا السبُّ فإنه مقدور للمحقِّ وللمبطل، فيظهر بمظهر التساوي بينَهما، وربما استطاع المبطل بوقاحتِه وفُحشه ما لا يستطيعه المحقُّ، فيلوح للناس أنه تغلَّب على المحقِّ... فتمحَّض هذا السبُّ للمفسدة، ولم يكن مشوبا بالمصلحة)[2].

قال الفخر الرازي: (لأن هذا الشتم كان يستلزم إقدامهم على شتم الله وشتم رسوله، وعلى فتح باب السفاهة، وعلى تنفيرهم عن قبول الدين، وإدخال الغيظ والغضب في قلوبهم، فلكونه مستلزمًا لهذه المنكرات وقع النهي عنه)[3].

---

(١) القاسمي ، محاسن التأويل ، ج٤ ، ص ٤٦٤

(٢) ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٧ ، ص ٤٣٠

(٣) الرازي ، تفسير الرازي ، ج١٣ ، ص ١١٠ .

وقال أيضًا: (وفيه تأديبٌ لمن يدعو إلى الدين؛ لئلا يتشاغل بما لا فائدة له في المطلوب؛ لأن وصف الأوثان بأنها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في إلهيتها، فلا حاجة مع ذلك إلى شتمها)(١).

وقال: (لأنَّ ذكرَ الحجَّة لو اختَلط به شيء من السبِّ والشتم لقابلوكم بمثله... ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود، أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثَّر في القلب تأثيرا شديدًا)(٢).

سادسًا: الآيةُ محكمة غير منسوخة: قال القرطبي: ''قال العلماء: حكمها باقٍ في هذه الأمَّة على كلِّ حال، فمتى كان الكافر في منعة وخِيفَ أنه إن سبَّ المسلمون أصنامَه أو أمور شريعته أن يسبَّ هو الإسلام أو النبيء عليه الصلاة والسلام أو الله عز وجل لم يحلَّ للمسلم أن يسبَّ صلبانهم ولا كنائسهم؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية)(٣).

ومما سبق من النقول يتَّضح أيضًا أنه ينهى عن ذلك ليس في حال قوة الكافر فقط، بل إذا خشي منه النفور عن الدين، فليس في السبِّ مصلحة، فالمصلحة تقوم بالحجة الخالية عن السب والشتم.

سابعًا: النهي عن سبِّ المشركين: ما سبق تقريره هو النهي عن سبِّ آلهتهم، وأما سبُّ المشركين فنشير فيه إلى النقاط الآتية:

١- ورد النهي عن السبِّ والشتم عمومًا، ففي الحديث: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذيء)(٤).

ولما قالت عائشة رضي الله عنها لليهود: عليكم السام واللعنة والغضب، قال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف» أو: «الفحش)(٥).

---

(١) الرازي ، تفسير الرازي ، ج١٣ ، ص ١١٠ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢٠ ، ص ٣٥٥ .
(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٧ ، ص ٦١ .
(٤) رواه الترمذي (١٩٧٧)، وأحمد (٣٨٣٩)، وقال الترمذي: "حسن غريب"، وصححه ابن حبان (١٩٢)، وحسنه الذهبي في المهذب (٨/ ٤٢٠٠).
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٤٠١ .ال

٢- أن القرآن لم يتضمَّن سبًّا للمشركين، وإنما أوصافًا لهم في العموم، تنطبق على حالهم، ليس المراد منها السبّ، وإنما بيان حالهم. فوصفُهُم بالنجاسة المقصود منها: نجاسةُ الاعتقاد، وليست النجاسة الحسيَّة، ووصفهم أنهم أضل من الأنعام تشبيهٌ لهم حالَ إعراضهم عن الحجة؛ تنفيرًا عن مثل هذا الحال. وهكذا في كل المواضع.

٣- أن ما جاء عن بعض الصحابة من ذلك -كعمل أبي بكر رضي الله عنه مع عروة بن مسعود[١]، فهو استثناء من الأصل، اقتضته الحاجة، وليس هو المعتاد من حال الصحابة رضي الله عنهم. وهذا يكون عند الحاجة ورد الاعتداء، قال الحافظ ابن حجر: (وفيه جواز النطق بما يُستبشع من الألفاظ؛ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحقُّ ذلك)[٢] ، وقال شيخ الإسلام: (ومتى ظلم المخاطب لم نكن مأمورين أن نجيبه بالتي هي أحسن)[٣].

فتبين بهذا فسادُ هذه المقدمة، فإن المسلمين لا يسبون أديانَ غيرهم، ولا ما يرونه مقدَّسًا لهم، وإنما يبطلونها بالحجة المناسبة الخالية من السب والشتم.

ونختم مقالتنا هذه بنقطتين، لا يتسع المقام للتفصيل فيهما، ولكننا نكتفي بالإشارة:

أولاهما: أن إلزام الخصم بما يدعيه ولا يلتزمه -وإن كنا لا ندعيه- ليس تناقضا، فإذا كان الغرب يروِّج للعلمانية على أنها تحترم جميع الأديان، وتقف على مسافة واحدة منها؛ فلا حرج على المسلمين إذا طالبوه بالتزام ذلك واحترام الإسلام.

ثانيتهما: أنَّ حريةَ التعبير حتى في مفهومها الغربي لا تسمح بالإساءة للإسلام ولا الإساءة للمقدسات الدينية بما يجرح مشاعر أصحابها، وتنصُّ قوانينهم على ذلك صراحةً، وهي منشورة على الشبكة لمن أراد الاطلاع عليها[٤].

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٥٨١.
(٢) ابن حجر ، فتح الباري، ج٥ ، ص ٣٤٠ .
(٣) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ج٣ ، ص ٢٥٢ .
(٤) مركز سلف للبحوث .

س٨٢ : لماذا شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل؟!

ج٨٢: يقول ابن كثير رحمه الله تعالى :(الْمَقْصُودَ بِالشَّهَادَةِ أَنْ يُعْلَمَ بِهَا ثُبُوتَ الْمَشْهُودِ بِهِ ، وَأَنَّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ ، فَإِنَّهَا خَبَرٌ عَنْهُ .. وأما كون شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل فقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حِكْمَةَ تَعَدُّدِ الاثْنَتَيْنِ فِي الشَّهَادَةِ ، وَهِيَ أَنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ تَنْسَى الشَّهَادَةَ وَتَضِلُّ عَنْهَا فَتُذَكِّرُهَا الأُخْرَى ، قال الله تعالى : (**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى... (٢٨٢)**)[١] ، (ومعنى قوله أن تضل إحداهما ،يعني : المرأتين إذا نسيت الشهادة ، فتذكر إحداهما الأُخرى أي يحصل لها ذكرى بما وقع به الإشهاد)[٢] ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِإِشْهَادِ امْرَأَتَيْنِ لِتَوْكِيدِ الْحِفْظِ ؛ لأَنَّ عَقْلَ الْمَرْأَتَيْنِ وَحِفْظَهُمَا يَقُومُ مَقَامَ عَقْلِ رَجُلٍ وَحِفْظِهِ[٣].

وليس معنى هذا أن المرأة لا تفهم أو لا تستطيع أن تحفظ ، ولكنها أضعف من الرجل في هذا الجانب – غالباً – وقد أثبتت الدراسات العملية والتخصصية أن عقول الرجال أكمل من عقول النساء والواقع والحس والتجربة يشهد بذلك ، وكتب العلم خير شاهدٍ على ذلك فالعلم الذي نقله الرجال والأحاديث التي حفظوها أكثر من تلك التي جاءت عن طريق النساء .

هذا من حيث الجنس أي أن جنس الرجال أكمل من جنس النساء قال الله تعالى : (**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ .. (٣٤)**)[٤] ، ومع ذلك فمن النساء من تفوق كثيراً من الرجال في العقل وحسن التدبير ، ولكنهن قليل ، والحكم للأعم الأغلب ، والمرأة قد تعوّض باجتهادها ، وتتفوق عند إهمال الرجل فلذلك نجد بعض الطالبات في بعض الكليات يتفوقن على الطلاب لاجتهادهن أكثر من الطلاب وحرصهن على التحصيل في الوقت الذي يهمل

---

(١) سورة البقرة .
(٢) ابن كثير ، التفسير ، ج١ ، ص ٧٢٤ .
(٣)ابن القيم ، إعلام الموقعين ، ج١ ، ص ٧٥ .
(٤) سورة النساء .

فيه كثير من أولئك الطلاب ولا يحرصون على التعلّم ، كما أن الرجل يمكن أن يتفوق على المرأة في بعض ما هو من مجالاتها أصلاً فنجد أن أمهر المتخصصين في الطبخ وتصميم الملابس والتجميل وتخصص النساء والولادة على المستوى العالمي هم من الرجال .

فالعبرة إذن بالأعم الأغلب ولا يُنازع عاقل اليوم بأن أكثر المبدعين في علوم الدين كالفقه والحديث والتفسير والعقيدة والوعظ ، والعلوم الدنيوية كالطب والفلك والهندسة والفيزياء والكيماء وغيرها هم من الرجال .

ولو تأملنا في المجتمعات الغربية التي ساوت بين الرجل والمرأة من جميع الجوانب ، لوجدنا ومع هذا وذاك فإن الله قد أعطى النساء وفضلهن على الرجال في جوانب أُخرى كالعناية بالأطفال ، والصبر والحنان والعطف عليهم ، وتدبير المنزل ؛ ولذلك جعلت الشريعة الحضانة إليها فالأم هي المدرسة الأولى ، التي تُخرج رجال المستقبل وقواد العالم ، وعلماء الأمة ، فهل بعد هذا الفضل من فضل ؟.

هذا وقد حث الإسلام على الأم وأولاها عنايةً خاصة ، وأوجب على أبنائها برها والإحسان إليها وقدمها في البر على الأب ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَجُلٌ :(يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ[١] ، فهل بعد هذا الفضل من فضل ؟.

فليعمل إذن كلٌ في مجال تخصصه ، فلا يدخل الرجل في الحمل والرضاع ولا تدخل المرأة في الجهاد وقتال الأعداء والخلافة والإمارة ، وما يجوز لكليهما القيام به يجب أن يكون وفق الضوابط الشرعية كعدم اختلاط الجنسين ، وعدم اهمال الواجبات الأخرى كحق الزوج وحق الزوجة .)[٢] .

وللتفصيل في ذلك نقول أن الشهادات تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

الأول : ما يقبل فيه أربعة شهود ليس بينهم امرأة، وهو حد الزنا ؛ لقوله تعالى:

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٥٤٨ .
(٢) المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٨ / ٥ / ٢٠٠١ م.

(وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ...(١٥))[١] ، قال ابن قدامة رحمه الله :(وَلَا تُقْبَلُ فِيهِ شَهَادَةُ النِّسَاءِ بِحَالٍ . وَلَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا ، إلَّا شَيْئًا يُرْوَى عَنْ عَطَاءٍ وَحَمَّادٍ : أَنَّهُ يُقْبَلُ فِيهِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ وَامْرَأَتَانِ . وَهُوَ شُذُوذٌ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْأَرْبَعَةِ اسْمٌ لِعَدَدِ الْمَذْكُورِينَ، وَيَقْتَضِي أَنْ يُكْتَفَى فِيهِ بِأَرْبَعَةٍ ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْأَرْبَعَةَ إذَا كَانَ بَعْضُهُمْ نِسَاءً لَا يُكْتَفَى بِهِمْ ، وَإِنَّ أَقَلَّ مَا يُجْزِئُ خَمْسَةٌ ، وَهَذَا خِلَافُ النَّصِّ ، وَلِأَنَّ فِي شَهَادَتِهِنَّ شُبْهَةً ؛ لِتَطَرُّقِ الضَّلَالِ إلَيْهِنَّ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (أَنْ تَضِلَّ إحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) وَالْحُدُودُ تُدْرَأُ بِالشُّبُهَاتِ)[٢] .

الثاني : ما يقبل فيه شاهدان ، ليس منهما امرأة ، وهو ما سوى الزنى من الحدود والقصاص ، كالقطع في السرقة ، وحد الحرابة (قطع الطريق) ، والجلد في الخمر ، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة ؛ وخالفهم الظاهرية [٣].

الثالث : ما يقبل فيه شهادة رجل وامرأتين ،وقصره جمهور أهل على العلم على المال ، وما كان فيه معنى المالية : كالبيع ، والإقالة ، والحوالة ، والضمان ، والحقوق المالية ، كالخيار ، والأجل ، وغير ذلك .

وأما يطلع عليه الرجال غالبا ، مما ليس بمال ولا يقصد منه مال ، كالردة ، والجرح ، والتعديل ، والموت ، والإعسار ، والوكالة ، والوصاية ، ونحو ذلك ، فإنه لا يثبت عند جمهور أهل العلم إلا بشاهدين لا امرأة فيهما .

وأجاز الحنفية شهادة رجل وامرأتين في الأموال وغيرها ، من النكاح والطلاق والعتاق والوكالة والوصاية ، واختار قولهم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ، وقال : (الله تعالى ذكر العلة في اشتراط العدد في النساء ، وهي (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى) ، ولم يذكر أن العلة المال، بل العلة أن تقوى المرأة بالمرأة فتذكِّرها إذا نسيت، وهذا يكون في الشهادة في

---

(١) سورة النساء .
(٢) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ٦٩.
(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٢٦ ، ص ٢٢٦ .

الأموال ، وفي غير الأموال، إلا ما سُلِكَ فيه طريق الاحتياط، ويكون كذلك في المرأة معها رجل ، أو ليس معها رجل، وهذا القول هو الراجح)[1].

وهناك حالات لا يطلع عليها إلا النساء غالبا ، فتقبل شهادتهن فيها ، ولو انفردت بها إحداهن ، وقد اتفق الفقهاء على قبول شهادة النساء في هذه الحالات في الجملة ، بغض النظر عن بعض الاختلاف في مسائل معينة ، كالرضاع والولادة مثلا .

قال ابن قدامة رحمه الله :(لَا نَعْلَمُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ خِلَافًا فِي قَبُولِ شَهَادَةِ النِّسَاءِ الْمُنْفَرِدَاتِ فِي الْجُمْلَةِ ، قَالَ الْقَاضِي: وَالَّذِي تُقْبَلُ فِيهِ شَهَادَتُهُنَّ مُنْفَرِدَاتٍ : خَمْسَةُ أَشْيَاءَ :

١- الْوِلَادَةُ .

٢- الِاسْتِهْلَالُ .

٣- الرَّضَاعُ .

٤- الْعُيُوبُ تَحْتَ الثِّيَابِ ، كَالرَّتَقِ وَالْقَرَنِ وَالْبَكَارَةِ وَالثِّيَابَةِ وَالْبَرَصِ.

٥- وانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ.

وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ: لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُنَّ مُنْفَرِدَاتٍ عَلَى الرَّضَاعِ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ مَحَارِمُ الْمَرْأَةِ مِنْ الرِّجَالِ، فَلَمْ يَثْبُتْ بِالنِّسَاءِ مُنْفَرِدَاتٍ، كَالنِّكَاحِ ، ومَا رَوَى عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ، قَالَ: (تزَوَّجْت أُمَّ يَحْيَى بِنْتَ أَبِي إهَابٍ، فَأَتَتْ أَمَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا. فَأَتَيْت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْت ذَلِكَ لَهُ، فَأَعْرَضَ عَنِّي، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَقُلْت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّهَا كَاذِبَةٌ. قَالَ: (كَيْفَ، وَقَدْ زَعَمَتْ ذَلِكَ)[2] ، وَلِأَنَّهَا شَهَادَةٌ عَلَى عَوْرَةٍ ، لِلنِّسَاءِ فِيهَا مَدْخَلٌ ؛ فَقُبِلَ فِيهَا شَهَادَةُ النِّسَاءِ، كَالْوِلَادَةِ ، وَتُخَالِفُ الْعَقْدَ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِعَوْرَةٍ.

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَيْضًا، أَنَّ شَهَادَةَ النِّسَاءِ الْمُنْفَرِدَاتِ لَا تُقْبَلُ فِي الِاسْتِهْلَالِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ بَعْدَ الْوِلَادَةِ.

وَخَالَفَهُ صَاحِبَاهُ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ حَالَ الْوِلَادَةِ، فَيَتَعَذَّرُ حُضُورُ الرِّجَالِ، فَأَشْبَهَ

---

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١٥ ، ص ٤٥٣ .

(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري و رقم الحديث ٢٦٥٩ .

الْوِلَادَةَ نَفْسَهَا.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ أَجَازَ شَهَادَةَ الْقَابِلَةِ وَحْدَهَا فِي الِاسْتِهْلَالِ. رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ. إلَّا أَنَّهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ ، وَأَجَازَهُ شُرَيْحٌ، وَالْحَسَنُ، وَالْحَارِثُ الْعُكْلِيُّ، وَحَمَّادٌ)[1] .

أما ما تقبل فيه شهادة النساء وحدهن ، تقبل فيه أيضا شهادة الرجال ؛ لأن الرجال أعلى حالا في الشهادة من النساء ، فما قبل فيه شهادتهن منفردات ، فقبول شهادة الرجل فيه أولى قال ابن قدامة :(فَإِنْ شَهِدَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو الْخَطَّابِ: تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ أَكْمَلُ مِنْ الْمَرْأَةِ، فَإِذَا اُكْتُفِيَ بِهَا وَحْدَهَا، فَلَأَنْ يُكْتَفَى بِهِ أَوْلَى ، وَلِأَنَّ مَا قُبِلَ فِيهِ قَوْلُ الْمَرْأَةِ الْوَاحِدَةِ، قُبِلَ فِيهِ قَوْلُ الرَّجُلِ، كَالرِّوَايَةِ)[2] ، [3] .

س٨٣: لماذا كانت مدة الرضاع سنتين كما حددها الله تعالى في كتابه الكريم ؟.

ج٨٣: يقول الله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣))[4].

في هذا النص القرآني يحدد الله تعالى حد اكتمال الرضاعة بعامين وإن كان يفهم من كلام المفسرين بصفة عامة أن إرضاع الحولين ليس حتماً بل هو التمام. ويعد تحديد الحولين إعجازا علميا لم يقرره أحد قبل نزول القرآن. وتؤكد الدراسات الطبية والأبحاث المنشورة في مجلة السكرى والمناعة وفى المجلات الطبية الأخرى على الحقائق التالية المتعلقة بالرضاعة الطبيعية:

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج١٠ ، ص١٣٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ٢٨ / ٨ / ٢٠١٧ م.
(٤) سورة البقرة .

١- وجود ارتباط قوي بين تناول منتجات الألبان الصناعية (خاصة لبن الأبقار) في السن المبكر حتى العام الأول من العمر وازدياد نسبة الإصابة بمرض السكري.

٢- خلو الأجسام المناعية المضادة للبن الأبقار في الأطفال الذين تناولوا لبن الأبقار بعد عامين ووجودها في الأطفال الذين تنولوه قبل العامين الأول.

٣- كلما اقتربت مدة الرضاعة الطبيعية من عامين قل تركيز الأجسام المناعية الضارة بخلايا بيتا البنكرياسية التي تفرز الأنسولين.

٤- الاكتمال التدريجي حتى نهاية العام الثاني للإنزيمات والغشاء المبطن للجهاز الهضمي وحركية هذا الجهاز وديناميكية الهضم والامتصاص .

وما لا شك فيه أن الطب سيكشف عن أسرار جديدة ستظهر العلة من تحديد العامين الكاملين للرضاعة.

وتفتح الآية السابقة قضايا علمية منها:

١- فضل الرضاعة الطبيعية من لبن الأم على الرضاعة الصناعية.

٢- أكمل فترة للرضاعة.

٣- دراسة الآثار المترتبة على الرضاعة من غير الأم[١].

يقول د. عبد الدايم الكحيل : (تأمل معي أخي القارئ قول الحق تبارك وتعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ(٢٣٣))[٢] ، إنه نداء إلهي مفعم بالرحمة يطلب من كل أم أن ترضع أطفالها، ورحمة بهن فقد حدد لهن المدة المثالية للإرضاع وهي حولان كاملان.

لقد تضمن النداء الإلهي الكريم ثلاث معجزات طبية:

١- في قوله تعالى (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ): هذا أمر إلهي لكل أمّ أن ترضع أبناءها من لبنها، ولا تلجأ إلى غذاء آخر، وهذا النداء نسمعه اليوم بكثرة في الولايات المتحدة

(١) شبكة الألوكة تاريخ الإضافة: ٢٠١٣/٧/١٣ م. - ١٤٣٤/٩/٥ ه.
(٢) سورة البقرة .

الأمريكية، من منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف، بسبب الفوائد العظيمة التي اكتشفها العلماء في حليب الأم. ألا نستطيع أن نستنتج أن النداء الإلهي سبق النداء البشري بأربعة عشر قرناً!

٢- في قوله تعالى (حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ): تحديد دقيق للمدة اللازمة للإرضاع الطبيعي للطفل بحولين كاملين، واليوم نجد الأطباء يؤكدون على أن المدة المثالية للإرضاع هي سنتان. وتأمل معي كلمة (كَامِلَيْنِ) والتي نلمس فيها تأكيداً من الله تعالى على ضرورة إكمال السنتين وعدم التهاون في هذه المدة. ولو تأملنا أقوال الأطباء في القرن الحادي والعشرين نجدهم يؤكدون وبإصرار على ضرورة إرضاع الطفل من ثدي أمه سنتين كاملتين (٢٤ شهراً).

٣- في قوله تعالى (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ): إشارة رائعة إلى أن الرضاعة لا تتم إلا بعد مرور سنتين من عمر المولود. وقد رأينا كيف اكتشف العلماء أن هاتين السنتين هما الأهم من عمر الطفل، حيث تعتبر هذه الفترة مرحلة حرجة يتكون خلالها الجهاز المناعي للطفل، وأن العديد من الأمراض تصيب الطفل خلال هاتين السنتين، ولذلك هم يؤكدون على أهمية أن ترضع الأم طفلها سنة كاملة والأفضل أن تتم الرضاعة إلى سنتين[١].

ويقول الدكتور الكحيل كذلك : (لقد كان الأطباء يظنون أن الرضاعة الطبيعية تكسب الطفل ارتباطاً نفسياً مع أمه فقط، وليس هنالك أية منافع أخرى، ولكن بعد إجراء البحوث على مدى نصف قرن بدأت تظهر الفوائد الكبيرة لهذا الإرضاع، بل إن العلماء في كل يوم يكشفون منافع جديدة لحليب الأم.

فالأجسام المناعية المسماة بـ immunoglobulins اكتُشفت أولاً في حليب الأم. وهي أجسام مضادة للبكتريا والفيروسات بأنواعها، بل إن العلماء وجدوا أن كمية البكتريا في أمعاء الطفل الذي يتغذى على حليب البقر أكبر بعشرة أضعاف من تلك الموجودة في أمعاء الطفل الذي يرضع من صدر أمه.

---

(١) الموقع الرسمي للدكتور الكحيل .

منافع الإرضاع الطبيعي:

الرضاعة الطبيعية هي أفضل أنواع الغذاء على الإطلاق للطفل، وجميع أنواع الغذاء الأخرى تختلف بدرجة كبيرة عن حليب الأم، هذا الحليب الذي يحمي الطفل من كثير من الأمراض[1] ، إن حليب الأم يحوي دائماً نسباً طبيعية من البروتين والسكريات والدسم، وهذه النسب يصعب التحكم فيها في حليب البقر وغيره. كذلك حليب الأم دائماً يخرج بدرجة الحرارة الصحيحة والمناسبة للطفل.

أولا :منافع للطفل :

١- إن الأجسام المناعية تساعد الطفل خلال الأشهر الأولى على حماية أجهزة جسمه من الهجوم الجرثومي المتكرر الذي يتعرض له، بل وتساعده أيضاً في تشكيل جهازه المناعي الخاص وتقويته. كما تشير بعض الدراسات إلى أن جهاز المناعة لدى الطفل ينمو بسرعة أكبر عندما يتغذى على حليب الأم.

٢- يحوي حليب الأم أيضاً مواد مناعية تسمى mucins هذه المواد تحوي الكثير من البروتينات والكربوهيدرات وهذه المواد تلتصق بالبكتريا والفيروسات وتزيلها من جسم الطفل نهائياً دون أي تأثيرات جانبية، بعكس الأدوية الكيميائية.

٣- إن البروتين الموجود في حليب البقر مثلاً يعادل ضعف الكمية الموجودة في حليب الأم، ولذلك لا يستطيع الطفل أن يمتص هذه الكمية من البروتين البقري، فيختزنها في جسده مما يؤدي مستقبلاً لأمراض السمنة. بينما نجد أن الطفل يمتص البروتين الموجود في حليب الأم بنسبة ١٠٠ % ،كما بينت الدراسات أن المدة اللازمة لهضم البروتين في حليب الأم من قبل الطفل هي ١٥ دقيقة، بينما تستغرق العملية ذاتها مع حليب البقر أكثر من ٦٠ دقيقة. إذن هنالك توفير في الوقت والجهد، كما يساعد حليب الأم الطفل على تطوير جهازه الهضمي بشكل صحيح. حيث يعتبر حليب البقر مثيراً للأمعاء.

---

(١) وهذا الكلام للأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال نقله الدكتور الكحيل .

٤- إن حليب الأم يمنح الطفل الاستقرار النفسي ويساعده على النوم والتهدئة. إنه يعمل كأفضل مسكن طبيعي للطفل!.

٥- إن حليب الأم يقي الطفل من مرض الحساسية فهو يوقف عنده تطور هذا المرض.

٦- من مخاطر التغذية بحليب البقر مثلاً أنه يزيد احتمال الإصابة بالسرطان ثمانية أضعاف.

منافع للأم :

١- لقد أجريت دراسات في ٣٠ دولة وأظهرت بأن الأم التي تغذي طفلها بحليب صدرها تكون أقل عرضة للإصابة بسرطان الثدي.

٢- إن الرحم يتوسع ٢٠ مرة أثناء الحمل والولادة، وقد بينت الدراسات أن الإرضاع الطبيعي يساعد على عودة حجم الرحم للحدود الطبيعية، بعكس الأم التي لا ترضع طفلها فإن حجم الرحم يبقى عندها أكبر من الحدود الطبيعية.

٣- الإرضاع يقي الأم من سرطان الرحم.

٤- إن الرضاعة الطبيعية تساعد الأم على إنقاص وزنها وتقيها من السمنة.

٥- الرضاعة الطبيعية تعمل كمسكن طبيعي للأم أيضاً.

٦- إن الإرضاع الطبيعي يساعد الأم على النوم، ويساعد الطفل على النوم أيضاً.

منافع للمجتمع :

١- الإرضاع الطبيعي غير مكلف بعكس الإرضاع الصناعي، وربما نذهل إذا علمنا أن الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال تؤكد أن الولايات المتحدة الأمريكية لو اتبعت أسلوب الرضاعة الطبيعية فإنها ستوفر كل سنة ٣٦٠٠ مليون دولار!!.

٢- إن الرضاعة الطبيعية تنعكس إيجابياً على البيئة أيضاً! وذلك بسبب توفير التلوث الناتج عن عمليات تصنيع زجاجات الحليب ، والنفايات الناتجة عن استهلاك وهذه الزجاجات .

لقد قامت منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف بالعديد من الأبحاث على الأطفال الرضع، وخرجوا بنتيجة أبحاثهم أن المدة المثالية هي سنتان! لأن الطفل خلال السنتين الأوليين من عمره يكون بحاجة ماسة لحليب معقم مثل حليب الأم، ولأن جهازه المناعي لا

يستطيع مواجهة أي مرض محتمل قبل سنتين من عمره ، لقد اكتشف العلماء أن حليب الأم يحوي مواد مناعية مضادة للجراثيم، مع العلم أن الجنين في بطن أمه يستمد الأجسام المناعية منها طيلة فترة الحمل، وعندما يخرج هذا الجنين يكون محاطاً بعوامل كثيرة ممرضة، ولذلك فهو بحاجة لمناعة إضافية لا يجدها إلا في حليب الأم.

لقد عقدت منظمة الصحة العالمية مؤتمراً لها بعنوان Complementary feeding عام ٢٠٠١ وجاء بنتيجته :(

١- إن السنتين الأوليين من حياة الطفل هما نافذة حرجة يتم خلالهما بناء التأسيسات للنمو والتطور الصحي. إن تغذية الطفل الرضيع هي بعد جوهري للعناية خلال هذه الفترة.

٢- وجاء في نتيجة المؤتمر أيضاً أن المدة المثالية للإرضاع هي سنتان، لأن الطفل خلال هاتين السنتين يكون بحاجة ماسة للأجسام المناعية لتطوير جهازه المناعي، وهذه الأجسام لا يجدها إلا في حليب الأم.

٣- يؤكد الأطباء أن جميع أنواع الأغذية لا يمكن أن تكون كافية للطفل بمفردها خلال السنتين الأوليين من عمر الطفل. لأن الطفل يتعرض للكثير من العوامل والتي يصاب بنتيجتها بالعديد من الأمراض، وعندما يبلغ من العمر سنتان، تصبح العوامل ذاتها غير مؤثرة كما كانت من قبل، لذلك عمر السنتين هو عمر حرج وحساس للطفل وينبغي الاعتماد على حليب الأم خلاله لدرء هذه الأخطار.

يقول العلماء اليوم:

١- بعد أن يبلغ الطفل سنتين من العمر من الصعب جداً أن ينعكس العامل المعيق للنمو والذي كان ممكن الحصول قبل هذه المدة.

٢- فقد بينت الأبحاث الحديثة أن الإرضاع الطبيعي لمدة ٢٤ شهراً يقي الأم من خطر كذلك سرطان المبيض بنسبة الثلث[(١)]

---

(١) الكحيل ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، الموقع الرسمي .

س٨٤: لماذا لا تؤم المرأة الرجال ؟.

ج٨٤: جرى عمل المسلمين عبر القرون أن الرجال لا يؤمّهم إلا الرجال، وأن الفقهاء اشترطوا في الإمام شروطًا؛ كالإسلام والتمييز والعقل... إلخ.

وأما النساء فيشرع أن يؤمهنَّ في الصلاة الرجال والنساء، وكره بعض الفقهاء أن يؤم الرجل نساءً أجانب، لا رجل معهنّ[1]، وبقيت صورة هي محلّ بحثنا وهي: ما حكم إمامة المرأة بالرجال؟ وهل الصورة المعاصرة للمسألة هي المذكورة عند الفقهاء؟

ويعود موضوع هذه المسألة إلى أقل من عقدين، حين قامت إحدى النساء بالأذان في أحد المساجد، ثم قامت الأخرى وصلَّتْ بالمسلمين إمامًا، وهذا الحدث الشاذّ وإن حصل بعيدًا عن ديار المسلمين يخشى أن يتكرر، ويفهم بعض الناس جواز ذلك؛ مستمسكين بأقوال بعض الفقهاء، دون تمحيص لمراداتهم ولا تطبيقاتهم.

صورة المسألة المعاصرة: أن تتقدَّم المرأة الصفوف وتصلِّي إمامًا بالرجال في المسجد.

وهذه الصورة في الإمامة تحتوي على أمرين لافتين للنظر:

الأول: تقدم المرأة على الرجال.

الثاني: الصلاة بهم جماعة في المسجد.

وقبل الخوض في حكم المسألة نقدم بالمقدمات الآتية:

١- لا تجب صلاة الجماعة على النساء، فعند الشافعية والحنابلة: يسن لهن الجماعة منفردات عن الرجال، سواء أأمهن رجل أم امرأة، وعند الحنفية: مكروهة، ومنع المالكية جماعة النساء[2].

٢- خير صفوف النساء آخرها، فن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها)[3].

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) البدائع (١/ ١٥٥، ١٥٧)، الاختيار (١/ ٥٩)، الشرح الصغير (١/ ١٥٦، ١٦٠)، أسهل المدارك (١/ ٢٤١)، مغني المحتاج (١/ ٢٢٩)، شرح منتهى الإرادات (١/ ٢٤٥)، المغني (٢/ ٢٠٢.

(٣) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٤٤٠ .

٣- المرأة لا تصُفُّ مع الإمام، سواء كانت منفردة أو مع الرجال في صفهم، وسواء كانت عجوزًا أو شابة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصففت واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم انصرف(١).

٤- المرأة تقطع صلاة الرجل إذا مرت من أمامه، فعن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، ويقي ذلك مثل مؤخرة الرحل)(٢).

واختلف الفقهاء في معنى هذا الحديث: فذهب بعضهم في تأويل القطع المذكور في الحديث إلى أنه ليس المراد به إبطال الصلاة وإلزام إعادتها، وإنما المراد به القطع عن إكمالها والخشوع فيها بالاشتغال بها والالتفات إليها، وعلل بعض العلماء ذلك: بأن المرأة تفتن؛ فإن النساء حبائل الشيطان، وإذا خرجت المرأة من بيتها استشرفها الشيطان، وإنما توصل الشيطان إلى إبعاد آدم من دار القرب بالنساء(٣).

٥- مشروعية التصفيق للمرأة في الصلاة والتسبيح للرجال حال حصول السهو من الإمام، مع أهمية التنبيه لصحة الصلاة؛ لأنها مأمورة بخفض صوتها، فعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من رابه شيء في صلاته فليسبح؛ فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء)(٤).

٦- عمل المسلمين عبر القرون في المساجد أن المرأة لا تؤم الرجل أو الرجال، قال الشوكاني: (لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في جواز إمامة المرأة بالرجل أو الرجال شيء، ولا وقع في عصره، ولا في عصر الصحابة والتابعين من ذلك شيء، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهن بعد صفوف الرجال؛ وذلك لأنهن عورات، وائتمام الرجل بالمرأة خلاف

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٨٠ ، وعند الإمام مسلم ، رقم الحديث ٦٥٨ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٥١١ .
(٣) القرطبي ، المفهم ، ج٢ ، ص ١٠٩ ، وفتح الباري لابن رجب (٣/ ١٣٥)
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٨٤ ، وعند الإمام مسلم برقم ٤٢١ .

ما يفيده هذا)[1].

فهل يوجد من أجاز من العلماء إمامة المرأة بالرجال؟

نقول وبالله التوفيق : يمكن تقسيم المذاهب في هذه المسألة إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو عدم صحة إمامة المرأة للرجل أو الرجال، يستوي في ذلك المحارم وغيرهم. وهو قول الحنفية[2] ، قال ابن حزم: (واتفقوا على أن المرأة لا تؤم الرجال وهم يعلمون أنها امرأة، فإن فعلوا فصلاتهم باطلة بإجماع)[3] ، ونقل في الإفصاح إجماعهم على عدم جواز إمامة المرأة بالرجال في الفرائض[4].

قال النووي: (وسواء في منع إمامة المرأة للرجال صلاة الفرض والتراويح وسائر النوافل، هذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء من السلف والخلف رحمهم الله، وحكاه البيهقي عن الفقهاء السبعة فقهاء المدينة التابعين، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وسفيان وأحمد وداود)[5].

القول الثاني: تجوز إمامة المرأة للرجال في النفل خاصة، وهذا القول رواية عند الحنابلة[6]، قال المرداوي بعد أن ذكر المذهب : وهو عدم صحة إمامتها مطلقًا: (وعن أحمد رواية أخرى وهي: صحة إمامتها في النفل، وعنه أيضًا: تصح في التراويح نصَّ عليه، وهو الأشهر عند المتقدمين من أصحابه)[7]، وخصّ بعض الحنابلة الجواز بذي الرحم، وخصه بعضهم بكونها عجوزًا، وخصه آخرون: بأن تكون أقرأ من الرجال)[8] ، ويستدل أصحاب هذا القول بحديث أم ورقة: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها في بيتها، وجعل لها مؤذنًا يؤذن لها،

---

(١) الشوكاني ، السيل الجرار ، ج١ ، ص ٣٥٠ .
(٢) انظر : (فتح القدير (١/ ٢٥٣)، حاشية الطحاوي (١/ ٢٨٨).) والمالكية(: حاشية الدسوقي (١/ ٣٢٦)، مواهب الجليل (٢/ ٤١٢).) والشافعية(الأم (١/ ٤٣٥)، المجموع (٤/ ١٥١).) والحنابلة(المغني (٣/ ٣٣)، الإنصاف (٢/ ٢٥٥).) والظاهرية(المحلى (٤/ ١٤١).).
(٣) ابن حزم ، مراتب الإجماع .ص ٢٧ .
(٤) ابن حزم ، الإفصاح ، ج٢ ، ص ٤٢ .
(٥) النووي ، المجموع ، ج٤ ، ص ١٥١ .
(٦) انظر : المغني (٣/ ٣٣)، التوضيح (١/ ٣٣٨)، الإنصاف (٢/ ٢٥٦).
(٧) المرداوي ، الإنصاف ، ج٢ ، ص ٢٦٣ – ٢٦٤ .
(٨) ابن مفلح ، المبدع ، ج٢ ، ص ٧٢ .

وأمرها أن تؤم أهل دارها، قال عبد الرحمن: فأنا رأيت مؤذنها شيخًا كبيرًا)[1]، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص: (وفي إسناده عبد الرحمن بن خلاد وفيه جهالة)[2]، لكنه قد توبع بجدة الوليد ليلى بنت مالك، وأعله المنذري بالوليد بن عبد الله إلا أن ابن معين وغيره وثقوه. قال الألباني في صحيح سنن أبي داود : (إسناده حسن، وصححه ابن خزيمة، وأقره الحافظ)[3].

وقد اختلف الشُراح في توجيه هذا الحديث: فمنهم من ضعفه؛ إذ كل طرقه لا تخلو من علة، ومنهم من جعله خاصًّا بأم ورقة، ومنهم من جعله للمرأة القارئة تؤم الأميِّين من الرجال، ومنهم من جعله للمرأة العجوز.

يقول د. عبد الكريم زيدان بعد أن قرر جواز إمامة المرأة للرجل في دارها بناء على حديث أم ورقة: (أما إمامة المرأة للرجل أو للرجال في المسجد فلا يجوز اتباعًا لمذهب الجمهور، والذي يؤيده: أنه لم ينقل إلينا ولو لمرّة واحدة أن المرأة صارت إمامًا في الصلاة لجماعة الرجال، لا في عهد الصحابة ولا في عهد من جاء بعدهم من التابعين)[4].

القول الثالث: الجواز مطلقًا؛ لحديث أم ورقة السابق، فقد احتجَّ به من يرى صحة إمامة المرأة بالرجل أو الرجال على الإطلاق، في فرض ونفل، وينسب هذا القول لأبي ثور والمزني والطبري[5] ، إلا أنه قول شاذّ كما وصفه ابن رشد الحفيد[6].

أين موقفها في الإمامة إذا صلت بالرجال؟:

على القول بجواز إمامة المرأة القارئة أو العجوز للرجال الأميين في النفل وفي الدار –كما في حديث أم ورقة عند من يحتج به– يأتي السؤال: أين موضع وقوفها في الإمامة؟

من المعلوم أن المرأة إذا صلت بالنساء فإنها تقوم في وسطهن، وفي هذا يقول ابن قدامة

---

(١) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٥٩٢ .
(٢) ابن حجر ، التلخيص ، ص ١٢١ .
(٣) الألباني ، صحيح سنن أبي داوود ، ح٣ ، ص ١٢٤ .
(٤) عبد الكريم زيدان ، المفصل في أحكام المرأة ، ج١ ، ص ٢٥٢ .
(٥) النووي ، الجموع ، ج٤ ، ص ١٥٢ ، وابن قدامة في المغني ، ج٣ ، ص ٣٣ .
(٦) ابن رشد ، بداية المجتهد ، ج١ ، ص ٢٨٠ .

بعد أن نقل الخلاف في استحباب جماعة النساء، قال: ''إذا صلّت بهنّ قامت في وسطهنّ، ولا نعلم فيه خلافًا بين من رأى أنها تؤمهنّ، ولأنّ المرأة يستحبّ لها التستّر... وكونها في وسط الصفّ أستر لها؛ لأنّها تستتر بهنّ من جانبيها[١].

وقال أيضًا: ''وكذلك سن لإمامة النساء القيام وسطهن في كل حال؛ لأنهن عورات[٢].

وقال صاحب المهذّب: ''السنّة أن تقف إمامة النساء وسطهنّ؛ لما روي أنّ عائشة وأمّ سلمة أمّتا نساء، فقامتا وسطهنّ[٣].

ونخلص من هذا أنه إذا كانت إمامة المرأة بين النساء لا تقف إلا في وسطهن؛ لأنهن عورات، فمن باب أولى ألا تتقدم على الرجال، سواء كانوا أجانب أو محارم.

ويضاف إلى ذلك: أن من لوازم تقدم المرأة على الرجال نظر الرجل إليها في الصلاة، وقد ثبت المنع من ذلك في نصوص واضحة الدلالة، قال الله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠))[٤] ، وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفُجاءة، فأمرني أن أَصرف بصري)[٥] ، وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا علي، لا تُتبع النظرةَ النظرة؛ فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة)[٦].

وفي إمامتها مقدمة صفوف الرجال إتباع النظرة النظرة، وفيها من الفتنة ما لا يخفى، ومخالفة صريحة لمناهي الشرع؛ لذا اختلف بعض الحنابلة القائلون بالجواز في كيفية إمامتها للرجال على قولين:

القول الأول: أن تكون وراء الرجال، قال ابن قدامة: (وقال بعض أصحابنا: يجوز أن تؤم

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٤٩ .
(٢) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٢٨ .
(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .
(٤) سورة النور .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٥٩ .
(٦) أخرجه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد (٣/ ٣٦)، والحاكم (٣/ ١٩٤)، وصححه على شرط مسلم، ولم يتعقبه الذهبي، وحسنه الألباني.

الرجال في التراويح، وتكون وراءهم)[1].

ويذكر صاحب الإنصاف كيف تؤم المرأة الرجال في صلاة التراويح: (فائدة: حيث قلنا: تصحّ إمامتها بهم، فإنها تقف خلفهم؛ لأنه أستر ويقتدون بها)[2].

القول الثاني: أن تكون وراء الرجال، ويعيّن رجل في الأمام يُقتدى به في غير القراءة! فقد نقل صاحب الإنصاف عن أحد الحنابلة قوله: (وعنه: تقتدي هي بهم في غير القراءة، فينوي الإمامة أحدهم)[3].

نخلص إلى نتيجة وهي:

(أن تعلم الأمة جمعاء مدى عناية الفقهاء بالمرأة المسلمة وحرصهم على حشمتها وصيانتها؛ إذ لم يفتوا بجواز إمامتها في المسجد وتقدّمها على الرجال حتى مع قولهم بالجواز في النافلة، ولا مجال للمساواة بين المرأة والرجل في الإمامة، ولا فيما خصّ الله عز وجل به الرجال؛ إذ الصلاة من أعظم أركان الإسلام، أمَّ المسلمين إمام الأنبياء والمرسلين، وخَلَفه مِن بعده خلفاؤه الراشدون والتابعون لهم بإحسان، ولم يعهد إمامة النساء للرجال في القرون المفضلة ولا ما بعدها، بل هو إجماع عملي، توارثته الأمة جيلًا بعد جيل: أن المساجد لا يؤم رجالها إلا الرجال، ونقول للنساء المؤمنات الباغيات للخير: (**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ... (٣٢)**)[4]، [5].

س٨٥: لماذا لا يجوز تهنئة النصارى بأعيادهم ؟.

ج٨٥: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (هذا لا يجوز، تهنئة الكفَّار بأعيادهم مُشافهةً، أو من طريق الهاتف – التليفون- أو بأوراقٍ تُطبع، كل هذا منكر لا يجوز من المسلم، لا في بلاد الإسلام، ولا في غير بلاد الإسلام، لا يُهنِّئهم بأعيادهم، ولا يُشاركهم فيها، ولا يعمل معهم فيها ويُعينهم عليها؛ لأنَّ هذه إعانة على الباطل، فلا يشترك معهم، ولا

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٢ ، ص ١٩٣ .
(٢) الباقلاني ، الإنصاف ، ج٢ و ص ٢٦٤ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) سورة النساء .
(٥) مركز سلف للبحوث .

يُعينهم، ولا يُهنّئهم بأعيادهم الباطلة[١].

(والمحذور في تهنئة النصارى في أعيادهم هو إظهار الفرحة لهم ، وإبداء المجاملة والموافقة على صنيعهم ، ولو كان في الظاهر دون الباطن .

فالتحريم واردٌ فيمَن أظهر لهم أي شكل من أشكال المشاركة والموافقة ، كالهدية ، والتهنئة القولية ، والإجازة عن العمل ، وصنع الطعام ، والذهاب إلى أماكن الألعاب ونحوها من عادات العيد ، والنية المخالفة لظاهر اللفظ لا تنقل الحكم إلى الجواز ، فظاهر هذه الأعمال كافٍ في القول بالتحريم ،ومعلوم أن أكثر الناس المتساهلين في هذه الأمور لا يقصدون مشاركة النصارى في شركهم ، وإنما يدفعهم إليها المجاملة حينا ، والحياء أحيانا أخرى ، ولكن المجاملة على الباطل لا تجوز ، بل الواجب إنكار المنكر والسعي في تغييره .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى : (لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء ، مما يختص بأعيادهم ، لا من طعام ، ولا لباس ولا اغتسال ، ولا إيقاد نيران ، ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة ، وغير ذلك ، ولا يحل فعل وليمة ، ولا الإهداء ، ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك ، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ، ولا إظهار زينة .

وبالجملة ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم ، بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام لا يخصه المسلمون بشيء من خصائصهم . وأما إذا أصابه المسلمون قصدا ، فقد كره ذلك طوائف من السلف والخلف . وأما تخصيصه بما تقدم ذكره فلا نزاع فيه بين العلماء . بل قد ذهب طائفة من العلماء إلى كفر من يفعل هذه الأمور ، لما فيها من تعظيم شعائر الكفر ، وقال طائفة منهم : من ذبح نطيحة يوم عيدهم فكأنما ذبح خنزيرا .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : من تأسى ببلاد الأعاجم ، وصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت ، وهو كذلك ، حشر معهم يوم القيامة .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز و تفريغ نصي.

وقد شرط عليهم أمير المومنين عمر بن الخطاب والصحابة وسائر أئمة المسلمين أن لا يظهروا أعيادهم في دار المسلمين ، وإنما يعملونها سرا في مساكنهم .

وقد قال غير واحد من السلف في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢)) قالوا : أعياد الكفار ، فإذا كان هذا في شهودها من غير فعل ، فكيف بالأفعال التي هي من خصائصها . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في المسند والسنن أنه قال : (من تشبه بقوم فهو منهم) وفي لفظ : (ليس منا من تشبه بغيرنا) . وهو حديث جيد . فإذا كان هذا في التشبه بهم ، وإن كان من العادات ، فكيف التشبه بهم فيما هو أبلغ من ذلك ؟ ، وقد كره جمهور الأئمة – إما كراهة تحريم ، أو كراهة تنزيه – أكل ما ذبحوه لأعيادهم وقرابينهم ، إدخالا له فيما أهل به لغير الله ، وما ذبح على النصب ، وكذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم بإهداء أو مبايعة ، وقالوا : إنه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم ، لا لحما ، ولا دما ، ولا ثوبا ، ولا يعارون دابة ، ولا يعاونون على شيء من دينهم ؛ لأن ذلك من تعظيم شركهم ، وعونهم على كفرهم ، وينبغي للسلاطين أن ينهوا المسلمين عن ذلك ؛ لأن الله تعالى يقول : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ، ثم إن المسلم لا يحل له أن يعينهم على شرب الخمور بعصرها ، أو نحو ذلك ، فكيف على ما هو من شعائر الكفر ؟! وإذا كان لا يحل له أن يعينهم هو ، فكيف إذا كان هو الفاعل لذلك ؟!)[١] ، [٢] .

جاء في فتاوى المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء :

مما لا شك أن القضية قضية مهمة وحساسة خاصة للمسلمين المقيمين في بلاد الغرب، وقد ورد إلى المجلس أسئلة كثيرة من الإخوة والأخوات، الذين يعيشون في تلك الديار، ويعايشون أهلها من غير المسلمين، وتنعقد بينهم وبين كثير منهم روابط تفرضها الحياة، مثل الجوار في المنزل، والرفقة في العمل، والزمالة في الدراسة، وقد يشعر المسلم بفضل غير المسلم عليه في

---

(١) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص ٤٨٨ .
(٢) المنجد ، موقع الإسلام سؤال وجواب ، نشر في ١٩ / ١٢ / ٢٠٠٩ م.

ظروف معينة، مثل المشرف الذي يساعد الطالب المسلم بإخلاص، والطبيب الذي يعالج المريض المسلم بإخلاص، وغيرهما. وكما قيل: إن الإنسان أسير الإحسان، وقال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ!

أما موقف المسلم من هؤلاء (غير المسلمين) المسالمين لهم، الذين لا يعادون المسلمين، ولا يقاتلونهم في دينهم، ولم يخرجوهم من ديارهم أو يظاهروا على إخراجهم، فإن القرآن الكريم قد وضع دستور العلاقة بين المسلمين وغيرهم في آيتين من كتاب الله تعالى في سورة الممتحنة، وقد نزلت في شأن المشركين الوثنيين، فقال تعالى: (لَّا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩))[١]، ففرقت الآيتان بين المسالمين للمسلمين والمحاربين لهم:

١- فالأولون (المسالمون):شرعت الآية الكريمة برهم والإقساط إليهم، والقسط يعني: العدل، والبر يعني: الإحسان والفضل، وهو فوق العدل، فالعدل: أن تأخذ حقك، والبر: أن تتنازل عن بعض حقك. العدل أو القسط: أن تعطي الشخص حقه لا تنقص منه. والبر: أن تزيده على حقه فضلا وإحسانا.

٢- وأما الآخرون الذين نهت الآية الأخرى عن موالاتهم: فهم الذين عادوا المسلمين وقاتلوهم، وأخرجوهم من أوطانهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله، كما فعلت قريش ومشركو مكة بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

وقد اختار القرآن للتعامل مع المسالمين كلمة (البر) حين قال: (أن تبروهم) وهي الكلمة المستخدمة في أعظم حق على الإنسان بعد حق الله تعالى، وهو (بر الوالدين).

---

(١) سورة الممتحنة .

وقد روى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنها جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وهي مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ قُرَيْشٍ، إذْ عَاهَدُوا رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ومُدَّتِهِمْ مع أَبِيهَا، فَاسْتَفْتَتْ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ وهي رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُهَا؟ قالَ: نَعَمْ صِلِيهَا.)[1] ، هذا وهي مشركة، ومعلوم أن موقف الإسلام من أهل الكتاب أخف من موقفه من المشركين الوثنيين ، حتى إن القرآن أجاز مؤاكلتهم ومصاهرتهم، بمعنى: أن يأكل من ذبائحهم ويتزوج من نسائهم، كما قال تعالى: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ....(٥))[2] ، ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: وجود المودة بين الزوجين، كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً.. (٢١))[3] ، وكيف لا يود الرجل زوجته وربة بيته وشريكة عمره، وأم أولاده؟ وقد قال تعالى في بيان علاقة الأزواج بعضهم ببعض: (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ.. (١٧٨))[4]، ومن لوازم هذا الزواج وثمراته: المصاهرة بين الأسرتين، وهي إحدى الرابطتين الطبيعيتين الأساسيتين بين البشر، كما أشار القرآن بقوله: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ... (٥٤))[5]، ومن لوازم ذلك: وجود الأمومة وما لها من حقوق مؤكدة على ولدها في الإسلام، فهل من البر والمصاحبة بالمعروف أن تمر مناسبة مثل هذا العيد الكبير عندها ولا يهنئها به؟ وما موقفه من أقاربه من جهة أمه، مثل الجد والجدة، والخال والخالة، وأولاد الأخوال والخالات، وهؤلاء لهم حقوق الأرحام وذوي القربى، وقد قال تعالى:

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣١٨٣ .
(٢) سورة المائدة .
(٣) سورة الوم .
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة الفرقان .

((وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ .. (٧٥))[١] ، وقال تعالى: ((إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ .. (٩٠))[٢]، فإذا كان حق الأمومة والقرابة يفرض على المسلم والمسلمة صلة الأم والأقارب بما يبين حسن خلق المسلم، ورحابة صدره، ووفاءه لأرحامه، فإن الحقوق الأخرى توجب على المسلم أن يظهر بمظهر الإنسان ذي الخلق الحسن، وقد أوصى الرسول الكريم أبا ذر بقوله: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[٣] هكذا قال: (خالق الناس) ولم يقل: خالق المسلمين بخلق حسن، كما حث النبي صلى الله عليه وسلم على (الرفق) في التعامل مع غير المسلمين، وحذر من (العنف) والخشونة في ذلك.

ولما دخل بعض اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم، ولووا ألسنتهم بالتحية، وقالوا: (السام) عليك يا محمد، ومعنى (السام): الهلاك والموت، وسمعتهم عائشة، فقالت: وعليكم السام واللعنة يا أعداء الله، فلامها النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فقالت: ألم تسمع ما قالوا يا رسول الله؟ فقال:(سمعت، وقلت: وعليكم)، (يعني: الموت يجري عليكم كما يجري علي) يا عائشة: الله يحب الرفق في الأمر كله)[٤] .

وتتأكد مشروعية تهنئة القوم بهذه المناسبة إذا كانوا –كما ذكر السائل– يبادرون بتهنئة المسلم بأعياده الإسلامية، فقد أمرنا أن نجازي الحسنة بالحسنة، وأن نرد التحية بأحسن منها، أو بمثلها على الأقل، كما قال تعالى: ((وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا))[٥].

ولا يحسن بالمسلم أن يكون أقل كرما، وأدنى حظا من حسن الخلق من غيره، والمفروض أن يكون المسلم هو الأوفر حظا، والأكمل خلقا، كما جاء في الحديث (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)[٦] وكما قال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللهَ بعثني بتمامِ مكارِمِ الأخلاقِ)[٧].

---

(١)سورة الأنفال .
(٢) سورة النحل .
(٣) الألباني ، صحيح الترمذي ، رقم الحديث ١٩٨٧ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢١٦٥ .
(٥) سورة النساء .
(٦) الألباني ، صحيح أبي داوود ، رقم الحديث ٤٦٨٢ .
(٧)الألباني ، ضعيف الجامع ، رقم الحديث ١٥٧٩ ، وقال عنه حديث ضعيف .

ويتأكد هذا إذا أردنا أن ندعوهم إلى الإسلام ونقربهم إليه، ونحبب إليهم المسلمين، وهذا واجب علينا فهذا لا يتأتى بالتجافي بيننا وبينهم بل بحسن التواصل.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق، كريم العشرة، مع المشركين من قريش، طوال العهد المكي، مع إيذائهم له، وتكالبهم عليه، وعلى أصحابه. حتى إنهم – لثقتهم به عليه الصلاة والسلام– كانوا يودعون عنده ودائعهم التي يخافون عليها، حتى إنه صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة، ترك عليا رضي الله عنه، وأمره برد الودائع إلى أصحابها.

فلا مانع إذن أن يهنئهم الفرد المسلم، أو المركز الإسلامي بهذه المناسبة، مشافهة أو بالبطاقات التي لا تشتمل على شعار أو عبارات دينية تتعارض مع مبادئ الإسلام مثل (الصليب) فإن الإسلام ينفي فكرة الصليب ذاتها (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ.. (١٥٦))[1] ، والكلمات المعتادة للتهنئة في مثل هذه المناسبات لا تشتمل على أي إقرار لهم على دينهم، أو رضا بذلك، إنما هي كلمات مجاملة تعارفها الناس.

ولا مانع من قبول الهدايا منهم، ومكافأتهم عليها، فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم هدايا غير المسلمين مثل المقوقس عظيم القبط بمصر وغيره، بشرط ألا تكون هذه الهدايا مما يحرم على المسلم كالخمر ولحم الخنزير.

ولا ننسى أن نذكر هنا أن بعض الفقهاء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم قد شددوا في مسألة أعياد المشركين وأهل الكتاب والمشاركة فيها، ونحن معهم في مقاومة احتفال المسلمين بأعياد المشركين وأهل الكتاب الدينية، كما نرى بعض المسلمين الغافلين يحتفلون بـ(الكريسماس) كما يحتفلون بعيد الفطر، وعيد الأضحى، وربما أكثر، وهذا ما لا يجوز، فنحن لنا أعيادنا، وهم لهم أعيادهم، ولكن لا نرى بأسا من تهنئة القوم بأعيادهم لمن كان بينه وبينهم صلة قرابة أو جوار أو زمالة، أو غير ذلك من العلاقات الاجتماعية، التي

---

(١) سورة النساء .

تقتضي حسن الصلة، ولطف المعاشرة التي يقرها العرف السليم .

أما الأعياد الوطنية والاجتماعية، مثل عيد الاستقلال، أو الوحدة، أو الطفولة والأمومة ونحو ذلك، فليس هناك أي حرج على المسلم أن يهنئ بها، بل يشارك فيها، باعتباره مواطناً أو مقيماً في هذه الديار على أن يجتنب المحرمات التي تقع في تلك المناسبات)[١].

ملحوظة : خالف عضو المجلس الدكتور محمد فؤاد البرازي هذا القرار بقوله: (لا أوافق على تهنئتهم في أعيادهم الدينية، أو مهاداتهم فيها)[٢].

يقول مفتي مصر السابق د.نصر فريد واصل في إجابته على سؤال عن حكم تهنئة النصارى بأعيادهم : (قد خلق الله الإنسان على اختلاف ملله وأشكاله وأجناسه من أبٍ واحد وأم واحدة (إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ)، كما جاء في "مسند الإمام أحمد" في خطبة الوداع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟)[٣] قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يفرق المولى عز وجل في الخلق ولا في الرزق بين مسلم وغير مسلم، ولقد جاءت الرسالات السماوية من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكلُّها يكمل بعضها بعضًا؛ لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ»، قَالَ: «فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)[٤]، كما أن الرسالات السماوية كلها تدعو إلى هدف واحد، وهو توحيد الله وعبادته، وترجو نتيجة واحدة هي الفوز بالجنة في الدار الآخرة، وإن اختلفوا في الأسلوب والطريقة الموصلة إلى ذلك، ومن المقرر شرعًا أن الإسلام لم يمنعنا من مجالسة أهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي

---

(١) فتاوى المجلس الأوربي للبحوث والإفتاء.
(٢) ارشيف اسلام اون لاين.
(٣) الألباني ، غاية المرام ، رقم الحديث ٣١٣ .
(٤) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٥٣٥ .

أحسن؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... (٤٦)﴾[١] وأن نأكل من طعامهم وشرابهم، بل أكثر من ذلك أباح لنا الزواج منهم؛ فقال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ... (٥)﴾[٢] ، والزواج كما هو مقرر شرعًا ما هو إلا مودة ورحمة؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً... (٢١)﴾[٣] ، ومن غير المعقول أن يتزوج المسلم بامرأة من أهل الكتاب، ويطلب عندها المودة والرحمة، وتهنئه في عيده ولا يرد التهنئة في عيدها، ألم يكن ذلك مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها...(٤)﴾[٤] ، حيث إنه لم يفرق بين من يلقي التحية مسلم أو غير مسلم.

والتهنئة في الأعياد ما هي إلا نوع من التحية.

ولقد أوصانا الإسلام بالجار خيرًا سواء أكان مسلمًا أم غير مسلم؛ فلقد ورد عن مجاهد أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ذُبِحَتْ له شاة في أهله، فلما جاء قال: أَهْدَيْتُم لجارنا اليهودي؟ أَهْدَيْتُم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ)[٥] ، ولقد أكدت السنة النبوية الإحسان بالجار وعدم التطاول عليه وإيذائه؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٦] ، وفي حديث آخر: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[٧] .

---

(١) سورة العنكبوت .
(٢) سورة المائدة .
(٣) سورة الروم .
(٤)سورة النساء .
(٥) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٠١٥ .
(٦) ذكره الإمام أحمد في موضوعات ابن الجوزي ، ج٢ ، ص ٦٣٣ ، وقال لا يصح .
(٧) الألباني ، صحصح الترغيب ، رقم الحديث ٣٠٠٦ .

فالإسلام لم يفرق بين أتباعه وأصحاب الديانات الأخرى، ومن ذلك حديث : (أنه مَرَّتْ بِالنبي صلى الله عليه وآله وسلم جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ! فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟)[١].

وقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدية من غير المسلمين، وزار مرضاهم، وعاملهم، واستعان بهم في سلمه وحربه، حيث لم يحس منهم كيدًا، كل ذلك في ضوء تسامح المسلمين مع مخالفيهم في الاعتقاد، ولم يكن هذا التسامح نابعًا من اجتهادات فردية أو مآرب شخصية أو أمزجة نفسية، وإنما هي تعاليم ملزمة من الله سبحانه وتعالى ينال منفذها الثواب ويلحق مخالفها العقاب، فمكارم الأخلاق أصل من أصول الدين، والتزام الحق ركن من أركانه، والمسلم في أخذه بهذه المبادئ ليس له الخيرة في أن يطبقها متى شاء ويتركها متى شاء، بل هي ركيزة ثابتة وميزان منصوب يعامل به الكل على حسب ما عنده، لا حسب ما عندهم، كما أنه جاء في الأثر أن الجيران ثلاثة: جار له حق واحد وهو الجار غير المسلم له حق الجوار، وجار له حقان وهو الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق وهو الجار القريب المسلم له حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام.

وعلى ذلك: فيجب أن يسود الود والوئام بين المسلمين وغير المسلمين وإن كانوا مختلفين معنا في الدين؛ لقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.. (٢٥٦))[٢]، وقوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٩٩))[٣] وقوله تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦))[٤] ، وصدق من قال:

نعلي تعاليم المسيح لأجلهم ويوقرون لأجلنا الإسلاما
الدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما
هذي قبوركـم وتلك قبورنا متجاورين جماجمًا وعظاما

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ١٣١٢ .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة يونس .
(٤) سورة الكافرون .

ولقد أوجب الإسلام على أتباعه إذا عاش بينهم أهل الديانات الأخرى أن يكون لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين من حقوق وواجبات، وخير دليل على ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى شيخًا ضريرًا يسأل على باب، فلمَّا علم أنه يهودي، قال له: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله، فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول له: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفنا إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، إنما الصدقات للفقراء والمساكين، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه.

وفي واقعة السؤال، وما استشهد به طائفة من أهل الأحباش من قوله تعالى: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا(٧٢))[١] من عدم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم من نصارى ويهود، إنما هي نظرة قاصرة، فلقد ورد في تفسير هذه الآية عدة آراء كما جاء في تفسير الطبري قال: (اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه؛ فقال بعضهم: معناه الشرك بالله؛ عن الضحاك، في قوله: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال: الشرك. وقال آخرون: بل عنى به الغناء؛ عن مجاهد في قوله: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال: لا يسمعون الغناء. وقال آخرون: هو قول الكذب؛ عن ابن جُرَيج قوله: (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) قال: الكذب، ... فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئا من الباطل؛ لا شركًا، ولا غناء، ولا كذبًا، ولا غيره، وكلَّ ما لزمه اسم الزور، لأن الله عمَّ في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل)[٢] .

فلماذا يأخذ المتشددون برأي وهو التحريم، ويدعون آراء أخرى وهي الحِل؟! كيف يطلب منا ألَّا نجالسهم والقرآن يقول: (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا

---

(١) سورة الفرقان .
(٢) الطبري ، التفسير ، ج١٩ ، ص ٣١٣ .

نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ(٨٢))[١]، ويقول تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨))[٢].

وما جاء في الفتوى من أن تهنئتهم تعتبر تشبهًا بهم، وموافقتهم على ما هو من شعائرهم، فالتشبه إنما يكون في أشياء أخرى غير هذا؛ مثل: المأكل والملبس وطرق الحياة المختلفة التي نهانا عنها الإسلام، فالمنهي عنه شرعًا موافقتهم في أفعالهم واعتقاداتهم والتشبه بهم فيما نهى الإسلام عنه أو خالف شيئًا من ثوابته.

وعلى ذلك: فإن دار الإفتاء المصرية ترى أنه لا مانع شرعًا من مجاملة غير المسلمين وتهنئتهم أو مواساتهم في أي مناسبة تحل بهم، وأن هذا هو التطبيق الأمثل للإسلام، وليس في ذلك خروج عن الدين، أو فيه نوع من الحرمة كما يرى بعض المتشددين، فالدين يُسرٌ لا عُسرٌ، ولما ورد في صحيح البخاري: (وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ)[٣]. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،والله سبحانه وتعالى أعلم.)[٤].

س٨٦: لماذا لا يؤمن أهل السنة بحديث كتاب الله وعترتي رغم أنه روي من قبل بعض الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟

ج٨٦: يقول علوي السقاف : (إنَّ حديثَ الثَّقلَين (تَركتُ فِيكم الثَّقلين، ما إن تمسَّكتُم بهما، لن تضلُّوا: كِتابَ اللهِ، وعِترتي أهلَ بيتي) ، مِن الأحاديثِ التي كثُر فيها القولُ صِحَّةً وضعفًا، وتباينتْ فيه الأفهام، واشتبه على بعضِ الناس معناه؛ فأردتُ بهذه الدِّراسة المختصرة للحديث توضيحَ الصواب فيه، وتنتظم هذه الدراسةُ في ثلاث مسائلَ:

المسألة الأولى: ألفاظ الحديث، وتخريجها.

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة الممتحنة .
(٣) الإمام البخاري ' صحيح البخاري ، رقم الحديث ٣٩ .
(٤)دار الافتاء المصرية في ١٩٩٨/١٠/٠٨

المسألة الثانية: معنى الحديث.

المسألة الثالثة: الردُّ على الشُّبَه المثارة حوله

المسألة الأولى: ألفاظ الحديث، وتخريجها.

جاء حديث الثَّقلين بلفظ: (... كتاب الله، وعِترتي أهلَ بيتي) عن جمْعٍ من الصَّحابة؛ منهم: علي بن أبي طالب، وأبو سعيد الخُدري، وجابر بن عبد الله، وجُبَير بن مُطعِم، وحُذيفة بن أَسيد، وزَيد بن أرقمَ، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن حَنطب، ونُبَيط بن شُرَيط، (رضي الله عنهم أجمعين)، بألفاظٍ مختلفة كما سيأتي.

وجاء بلفظ: (كِتَابَ الله، وسُنَّتي)، أو: (... وسُنَّة نبيِّه) عن جمْع من الصَّحابة أيضًا؛ منهم: عُمر بن الخطَّاب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبَّاس، وأبو هُريرَة، وأبو سعيد الخدريُّ، وأنس بن مالك، وعَمرو بن عوف المزَني، وناجية بن جُنْدُب، (رضي الله عنهم أجمعين)، بألفاظٍ مختلفة كما سيأتي.

وليس واحدًا منها في أحد الصَّحيحين - البخاري ومسلم - بل الذي في صحيح مسلم ليس فيه التمسُّك بالعِترة ولا بالسُّنة، بل فيه التمسُّك بالكتاب، والوصيةُ بالعترة، ولفظُه: (أنا تاركٌ فِيكم ثَقلينِ: أوَّلهما: كتابُ الله، فيه الهُدى والنُور؛ فخُذوا بكتاب الله، واستمسِكوا به، فحثَّ على كِتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: وأهلُ بَيْتي، أُذكِّركم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذكِّركم اللهَ في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهلِ بَيتي)، وسيأتي بيانُ ذلك بالتفصيل.

والحاصل: أنَّ حديث الثقلين:

١- جاء تارةً بالأمْر بالتمسُّك بالكتاب والسُّنَّة.

٢- جاء تارةً بالتمسُّك بالكتاب والعِترة.

٣- جاء تارةً أخرى بالتمسُّك بالكتاب والوصيةِ بأهلِ بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وعليهم وسلَّمَ، وسمَّى الكتاب ثَقلًا

٤- وجاء في بعض الروايات والطرق تسمية السُّنة ثَقلًا، وجاء في بعضها تسمية العِترة ثَقلًا.

أولًا: الأحاديث التي ذُكرت فيها العترة دون السنة :

جاء ذِكر العترة دون الأمر بالتمسُّك أو الأخْذ بها، أو الحث على اتِّباعها مِن حديث: عليٍّ بن أبي طالب[1] وأبي سعيدٍ الخدريِّ[2] ، وجابر بن عبد الله[3] ، وجُبَير بن مُطعِم[4] ، وحُذيفةَ بن أَسيد[5] ، وزيد بن أرقمَ[6] وزيد بن ثابت[7] ، وعبد الله بن حَنْطَب[8] ، ونُبَيط بن شُرَيط[9] رضي الله عنهم، ومن ألفاظ ذلك: (وَاللَّهُ سَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَتَيْنِ: عَنِ الْقُرْآنِ، وَعَنْ عِتْرَتِي)، وهذه لن أتعرَّض لها؛ رغبةً في الاختصار.

وجاء ذِكرها مع الحثِّ على التمسُّك بها تارةً بقوله: ((مَا إنْ أخذتُم به))، وتارةً: ((ما إنْ تمسَّكتُم به))، وأخرى: (إنِ اتَّبعتُموهما))، من حديث: عليٍّ بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيدٍ الخُدريِّ، وزيد بن أرقمَ، وزيد بن ثابتٍ، رضي الله عنهم، وهذا تفصيلها[10] :

١- حديثُ عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تضلُّوا: كتابَ الله، سببُه بيده وسببُه بأيديكم، وأهلَ بَيتي)[11] .

٢- حديثُ زَيد بن ثابتٍ رضي الله عنه: (إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعِترتي أهل بيتي؛ فإنَّهما لن يفترقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ)[12]..

---

(١) أخرجه البزَّار (٨٦٤)، وأبو نُعَيم في حلية الأولياء (٦٤/٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١١١٩) و(١١١٤٧)، وأبو يَعلَى (١٠٢٧) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١٩٤/٢)، وابن الجَعد في مسنده (٢٧١١)، والآجُريُّ في الشريعة (١٧٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٦/٣) (٢٦٧٩).

(٣)أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق (٣١/٢)

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة (١٤٦٥)

(٥)أخرجه بَقيُّ بن مَخلَد في الحوض والكوثر (١٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٠٥٢) و(٢٦٨٣)، وأبو نُعَيم في حلية الأولياء (٣٥٥/١).

(٦)أخرجه أحمد (١٩٣٣٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٦/٣)، و(١٦٧/٥)، والبزَّار (٤٣٢٥) والنَّسائي في السُّنن الكبرى. (٨٤٦٤)، والطَّحاوي في شرح مُشكِل الآثار(١٧٦٥).

(٧)أخرجه أحمد (٢١٦١٨) ، وابن أبي شَيبة في (المصنف) (٣٢٣٣٧)، والطبراني في (المعجم الكبير) (١٥٣/٥) (٤٩٢١).

(٨)أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٩٨/٥).

(٩)أوردَه الذهبيُّ في نسخة نُبيط (٢٩).

(١٠) واختصارًا سأذكر الشاهدَ منها فقط.

(١١) أخرجه إسحاقُ بن رَاهُوْيهِ كما في إتحاف الخِيَرة المَهَرة للبُوصِيري (٢١٠/٧)، والمطالب العالية لابن حجر (٢٥٢/٤). والطحاوي في (شرح مشكل الآثار(١٧٦٠). وفي سنده كثير بن زيد: قال أحمد بن حنبل: ما أرى به بأسا، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين، وقال النسائي: ضعيف، وقال أبو جعفر الطبري: وكثير بن زيد عندهم ممن لا يحتج بنقله. وقال ابن حبان: كان كثير الخطأ على قلة روايته لا يعجبني الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن حجر: صدوق يخطىء ، ينظر: الجرح والتعديل) (٨٤١)، (الضعفاء والمتروكين) (٥٠٥)، (المجروحين) (٨٩٤)، (تقريب التهذيب) (٥٦١١)، (تهذيب التهذيب) (٧٤٥) ، والحديث صحَّح إسناده الحافظ ابن حجر في (المطالب العالية) (٢٥٢/٤).

(١٢)إسناده ضعيف] أخرجه عَبْدُ بن حُمَيد في (مسنده) (٢٤٠). وفي سنده يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني؛ متَّهم بالكذب، وسِرقةِ الحديث. ينظر: ((تهذيب التهذيب)) لابن حجر (٣٩٩)، تقريب التهذيب لابن حجر (٧٥٩١).

٣- حديث زَيد بن أرقمَ رضي الله عنه: (إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا بعدي – أحدُهما أعظمُ من الآخَر –:كتاب الله، حبْلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما)[(١)].

وفي لفظ آخر: (أيُّها الناس، إنِّي تاركٌ فيكم أمرينِ لن تضلُّوا إن اتَّبعتموهما، وهما: كتابُ الله، وأهلُ بيتي عِترتي)[(٢)].

٤- حديثُ جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما: (يا أيُّها الناس، إني تركتُ فيكم ما إنْ أخذتُم به لن تضلُّوا: كتاب الله، وعِترتي أهْلَ بَيتي)[(٣)] .

٥- حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه: (إنِّي قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به، لن تضلُّوا بعدي: الثَّقلَينِ أحدهما أكبرُ مِن الآخَر كتاب الله، حبْلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ألَا وإنهما لن يَفترِقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ)[(٤)]، وفي لفظ آخر: (تركتُ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به، فلن تضلُّوا: كتابَ الله، وأهلَ بيتي)[(٥)]، وفي لفظ آخر: (إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به، لن تضلُّوا بعدي – أحدهما أعظمُ من الآخَر –: كتاب الله،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٨)، والفَسَوي في المعرفة والتاريخ (٥٣٦/١)، والشَّجري في ترتيب الأمالي (٧٣٨). قال الترمذيُّ: (حسن غريب). وفي سنده عليُّ بن المنذر كوفي؛ قال عنه النَّسائي: شيعيٌّ محض، ثِقة. وقال ابن حجر: صدوق يتشيَّع. ينظرالجرح والتعديل لابن أبي حاتِم (١١٢٨)، وتقريب التهذيب لابن حجر (٤٨٠٣)، وفي سنده أيضًا: محمَّد بن فُضيل؛ قال أحمد: كان يتشيَّع، وكان حسنَ الحديث. ووثَّقه يحيى بن معين، وذكَره ابن حبَّان في الثقات، وقال: كان يَغْلُو في التشيُّع. وقال أبو داود: كان شيعيًّا محترقًا. ينظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٩٧/٢٦)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٦٦٠). والحديث ضعَّفه الإمام أحمد؛ قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة في منهاج السنة (٣٩٤/٧): (سُئل عنه أحمدُ بن حنبل، فضعَّفه، وضعَّفه غيرُ واحد من أهل العِلم، وقالوا: لا يصحُّ)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي(٣٧٨٨).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه الحاكم (٤٥٧٧)، والشجري في ترتيب الأمالي (٧١٢). وفي سنده: محمَّد بن سَلمة بن كُهَيل؛ واهٍ. ينظر: الثقات لابن حبان (١٠٥٠٥)، ميزان الاعتدال للذهبي (٧٦١٤).

(٣) إسناده ضعيف أخرجه الترمذي (٣٧٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٦/٣) (٢٦٨٠)، قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه. وقال الطبراني في المعجم الأوسط (٨٩/٥): (لم يَروِ هذا الحديثَ عن جعفر بن محمَّد إلَّا زيدُ بن الحسن الأنماطي)، وزيد هذا قال عنه أبو حاتم: منكَر الحديث، وقال الذهبي: ضُعِّف. وضعَّفه ابن حجر. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٥٣٣)، الكاشف للذهبي (١٧٣١)، تقريب التهذيب) لابن حجر (٢١٢٧) ، والحديث صحَّحه الألبانيُّ في صحيح سنن الترمذي (٣٧٨٦).

(٤) سناده ضعيف أخرجه أحمد (١١٥٧٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٣)، وأبو يَعلَى (١١٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٦٥/٣) (٢٦٧٨)، والبغوي في شرح السنة (٣٩١٤) واللفظ له. وفي سنده عطية العوفي ضعفه أحمد، وأبو حاتم الرازي وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب. وقال ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرا وكان شيعيًّا مدلسًا. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٨٣/٦)، المجروحين لابن حبان (١٧٦/٢)، تقريب التهذيب لابن حجر (٤٦١٦).

(٥) إسناده ضعيف أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٧٠)، وفي سنده: إسماعيل بن موسى ابن بنت السُّدِّي؛ قال ابن عدي: أنكروا عليه الغلو في التَّشَيُّع وَأما في الرِّواية فقد احتمله النَّاس وَرووا عنه. ينظر: الكامل في الضعفاء (٥٢٩/١)وفيه: أبو الجَحَّاف - واسمه داود بن أبي عَوف؛ قال ابن حجر: صدوق، شيعيٌّ، ربَّما أخطأ. ينظر: تقريب التهذيب (١٨١١).وفيه عطيَّة العَوفي؛ ضعيف، وقد تقدم الكلام عليه.

حبلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهْل بيتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما)[1]

ثانيًا: الأحاديث التي ذُكرت فيها السنة دون العترة:

جاء الحثُّ على التمسُّك بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ في أحاديثَ عن عددٍ من الصَّحابة – كما تقدَّم – وهي:

١- حديث عُمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه: (تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا بعدهما: كتابَ الله جلَّ وعزَّ، وسُنَّةَ نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ)[2].

٢- حديث عبد الله بن عُمرَ رضي الله عنهما: (...وما عطَّلوا كتابَ الله وسُنَّةَ رسولِه، إلَّا جعَل الله بأسَهم بينهم)[3] .

٣- حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما: (تركتُ فيكم أيُّها الناس، ما إنِ اعتصمتم به، فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه)[4] .

٤- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (قد تركتُ فيكم بَعْدي ما إن أخذتُم، لم تضلُّوا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّكم صلَّى الله عليه وسلَّمَ)[5].

٥- حديث أبي هُرَيرة رضي الله عنه: (إنِّي قد خَلَّفتُ فيكم اثنين، لن تضلُّوا بعدهما أبدًا: كتاب الله، وسُنتي، ولن يتفرَّقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوض)[6].

---

(١) إسناده ضعيف أخرجه الترمذي (٣٧٨٨). قال الترمذي: حسنٌ غريب. وفي سنده عطيَّة العوفي أيضًا، والحديث صحَّحه الألباني في صحيح سنن الترمذي) (٣٧٨٨).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه بَحْشَل في تاريخ واسط (ص٥٠)، وفي سنده مجهول.

(٣)أخرجه البيهقيُّ في شُعب الإيمان (٣٣١٥).، ضعَّف إسنادَه البيهقيُّ، والسَّخاوي في الأجوبة المرضية (٥٤٦/٢)، وصحَّحه لغيره الألبانيُّ في صحيح الترغيب (٢١٨٧).

(٤) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك، والمروزيُّ في السُّنة (٦٨)، والعُقيلي في الضعفاء الكبير (٢٥٠/٢)، (٣١٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٤٩/٥).قال الحاكم: احتجَّ البخاريُّ بأحاديث عِكرمة، واحتجَّ مسلمٌ بأبي أُويس، وسائرُ رُواته متَّفق عليهم. وقال المنذريُّ في الترغيب والترهيب (٦١/١): أصلُه في الصَّحيح. وجوَّد طريقَه ابنُ الملقِّن في البدر المنير (٦٩٣/٦)، وصحَّح إسنادَه ابنُ القيِّم في تهذيب السنن (٢٧٩/٧)، وصحَّحه ابن العربي في أحكام القرآن (٢٥٠/٤)، والألبانيُّ في صحيح الترغيب (٤٠).

(٥) إسناده ضعيف أخرجه أبو نُعَيم في تاريخ أصبهان (١٣٨/١).وفيه يَزيد الرَّقَاشي: قال البخاري: تكلَّم فيه شُعبة. وقال أبو داود عن أحمدَ: لا يُكتب حديث يزيد. وقال ابن مَعِين: رجل صالح وليس حديثُه بشيء. وقال أبو حاتم: في حديثه ضَعْف. وقال النَّسائي والحاكمُ أبو أحمد: متروكُ الحديث. وقال ابن عَديٍّ: له أحاديثُ صالحةٌ عن أنس وغيره، وأرجو أنه لا بأسَ به؛ لروايةِ الثِّقات عنه. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٧١/١١)

(٦) أخرجه البزَّار (٨٩٩٣) واللفظ له، والعُقيلي في الضعفاء الكبير (٢٥٠/٢)، وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦٩/٤)، والدار قطني (٢٤٥/٤)، والحاكم (٤٣٢١). وفي سنده صالحٌ الطَّلحي؛ ضعَّفوه، انظر: ذخيرة الحفاظ لابن القيسراني (١٠١٠/٢)،

٦- حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه: (يا أيُّها الناس، إنِّ قد تركتُ فيكم الثَّقلين: كتاب الله، وسُنَّتي؛ فاستنطِقوا القرآن بسُنَّتي، ولا تعسفوه؛ فإنَّه لن تعمَى أبصارُكم ، ولن تَزِلَّ أقدامكم، ولن تقصرَ أيديكم ما أخذتُم بهما)[1].

٧- حديث عُروة بن الزُّبير رضي الله عنهما: (تركتُ فيكم ما إنِ اعتصمتُم به، لن تضلُّوا أبدًا: أمرين بيِّنينِ: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّكم)[2] .

٨- حديث عبد الله بن أبي نَجِيح رضي الله عنه: (تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به، فلن تضلُّوا أبدًا: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه)[3].

٩- حديث عَمرو بن عوف المزني رضي الله عنه: (تركتُ فيكم أمرين، لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما: كِتاب الله، وسُنَّة نبيِّه)[4] .

١٠- حديث موسى بن عُقْبة رضي الله عنه رضي الله عنه: (... لن تضلُّوا بعده أبدًا، أمرًا بيِّنًا: كِتاب الله، وسُنَّة نبيِّه)[5].

١١- حديث ناجية بن جُنُدب رضي الله عنه: (تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به، لم تضلُّوا: كتاب الله، وسُنَّته بأيديكم! ويقال: قد تركتُ فيكم: كتابَ الله، وسُنَّة نبيِّه)[5] .

---

(١) إسناده ضعيف أخرجه الخطيب في لفقيه والمتفقه (٢٧٥/١).فيه: سيف بن عُمر؛ قال ابن مَعين: ضعيفُ الحديث. وقال أبو حاتم: متروكُ الحديث، يُشبه حديثُه حديثَ الواقديِّ. وقال أبو داود: ليس بشيءٍ. وقال النَّسائيُّ والدار قطنيُّ: ضعيف. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٥٩/٤).وفيه أيضًا: أَبَان بن إسحاق الأسديُّ، والصَّبَّاح بن محمَّد؛ مختلَف فيهما. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٧٥/١)، والمجروحين لابن حبان (٤١٣/١)، ومعرفة الثقات للعجلي (٧٥٧) وتقريب التهذيب لابن حجر (٢٨٩٨).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤٤٨/٥).وفيه: عبد الله بن لَهِيعة؛ ضعيفٌ. ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٤٧/٥)، المجروحين لابن حبان (٤٣١/١)، تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين لابن شاهين (ص١١٨)، الكاشف للذهبي (٢٩٣٤)، وتقريب التهذيب لابن حجر (٣٥٦٣).

(٣) أخرجه الطبريُّ في تاريخه (١٨١/١٢) بإسناد رجالُه ثقات، إلَّا شيخ الطبري محمَّد بن حُمَيد الرازي.

(٤) إسنادُه ضعيفٌ جدًّا أخرجه ابن عبد البَرِّ في جامع بيان العلم وفضله (١٣٨٩)، والشجري في ترتيب الأمالي (٧٥٣)؛ وفيه إسحاق بن إبراهيم الحُنَينيُّ، وكثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف؛ ضعيفان. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٩٤/١) و(٣٧٧/٨).

(٥) أخرجه البيهقيُّ في دلائل النبوة (٤٤٨/٥).وفيه: ابن أبي أويس؛ قال أحمد: لا بأسَ به. وقال يحيى بن مَعين: صدوق، ضعيفُ العقل، ليس بذلك. وقال أبو حاتم الرازي: محلُّه الصدق، وكان مغفَّلًا. الجرح والتعديل (٦١٣).

(٦) أورده الواقديُّ في مغازيه (٥٧٧/٢). والواقديُّ: متروك الحديث. ينظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٢٣/٩).

١٢- عن مالكٍ أنَّه بلَغَه أنَّ رسولَ اللَّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: ((تَركتُ فيكُم أمرَينِ، لن تضِلُّوا ما تَمسَّكتُم بهما: كِتابَ اللَّه، وسُنَّةَ نَبيِّه))[١] .

الخلاصة: ورد حديث الثقلين بلفظ: (كتاب الله وعترتي) ولفظ: (كتاب الله وسنتي) بأسانيد ضعيفة، وبأسانيد جياد يصح الاحتجاج بها، والله أعلم.

المسألة الثانية: معنى الحديث وفقهه :

يُسمَّى هذا الحديث "حديث الثقلين"؛ لقوله صلَّى الله عليه وسلَّمَ كما في بعض ألفاظه: (إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقَلينِ))، والثَّقَل: (المتاع المحمولُ على الدَّابَّة)[٢] ؛ قال القاضي عياض: (قِيل سُمِّيَا بذلك؛ لعِظم أقدارهما، وقيل: لشدَّة الأخْذ بهما)[٣] ، وقال النوويُّ: (سمِّيَا ثَقلين؛ لعظمهما، وكبير شأنهما)[٤] ، وقال البغويُّ: (فجَعلهما ثَقلينِ؛ إعظامًا لقدرهما)[٥].

وقد تمسَّك الشِّيعةُ ومَن تلوَّث بلوثتهم بلفظ: (كتاب الله، وعِترتي) حتى زعَموا زعمًا باطلًا أنَّ الأمر بالتمسُّك بالكتاب والعِترة جاء في صحيح مسلم، وتمسَّك بعض أهلُ السُّنَّة بلفظ: (كِتاب الله، وسُنَّتي) حتى ضعفوا لفظ (وعِترتي) ، والأولى الجمع، حيث لا تعارض بينهما، كما سيتضح ذلك من خلال البحث.

وقبل نقْل أقوال العلماء وفَهمهم للحديث تجدُر الإشارة إلى أنَّ الأمر بالتمسُّك بالكتاب والسُّنَّة والاعتصام بهما، من أساسيات هذا الدِّين، وقد جاء الأمرُ به في كِتاب الله تعالى، وفي الأحاديثِ الصَّحيحة، فسواء صحَّ لفظ: (كتاب الله، وعِترتي)، أو لفظ: (كتاب الله، وسُنَّتي)، أو لم يصحَّ منهما شيء، فالتمسُّك بالسُّنَّة كالتمسُّك بالقرآن، سواءً بسواء، وهذه جملةٌ من الآيات والأحاديث التي تدلُّ على ذلك:

---

(١) أخرجه مالك بلاغًا في الموطأ (٨٩٩/٢).قال ابن عبد البَرِّ في التمهيد (٣٣١/٢٤): محفوظٌ، معروفٌ، مشهورٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم عند أهل العِلم، شهرةً يكاد يُستغنَى بها عن الإسناد.
(٢) انظر: الفائق للزمخشري (١٧٠/١).
(٣) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١٣٤/١).
(٤) انظر: شرح صحيح مسلم (١٨٠/١٥).
(٥) انظر: تفسير البغوي (٤٤٧/٧).

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا... (٣٦)﴾[١]

وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ.. (٣١)﴾[٢]

وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.. (٧)﴾[٣].

وقال صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ((عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاء المهديِّين الراشِدين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجِذ)[٤] ، وقال: (فمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي، فلَيسَ منِّي)[٥] .

وقال: (خَيْر الحَديثِ كِتابُ الله، وخَير الهُدَى هُدَى مُحمَّدٍ)[٦] .

وقال: (ألَا إنِّي أوتيتُ الكِتابَ ومثلَهُ معهُ)[٧] .

أقوال العلماء في معنى الحديث:

١- قال ابن قُدامة المقدسيُّ: (لا نسلِّم أنَّ المراد بالثقلين: القرآن، والعِترة، وإنَّما المراد: القرآن والسُّنة، كما في الرِّواية الأخرى: (تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما: كتاب الله، وسُنَّة رسوله)، أخرجه مالكٌ في الموطأ ، وإنَّما خصَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ العترةَ بالذِّكر؛ لأنَّهم أخبرُ بحاله صلَّى الله عليه وسلَّمَ)[٨] .

٢- وقال الآمديُّ: (لا نُسلِّم أنَّ المراد بالثَّقلينِ: الكتاب، والعترة، بل الكتاب، والسُّنَّة، على ما رُوي أنَّه قال: "كِتاب الله، وسُنَّتي")[٩] .

---

(١) سورة الأحزاب .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) سورة الحشر .
(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذيُّ (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٨٤)، من حديث العِرباض بن ساريةَ رضي الله عنه. ، قال الترمذيُّ: حسنٌ صحيح، وصحَّحه البزَّار كما في جامع بيان العلم لابن عبد البَرِّ (١١٦٤/٢)، وابنُ تيميَّة في مجموع الفتاوى (٣٠٩/٢٠)، وابن الملقِّن في البدر المنير (٥٨٢/٩)،
(٥) أخرجه البخاريُّ (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٦) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
(٧) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (١٧٢١٣) من حديث المِقدام بن مَعْدِ يكَرِبَ رضي الله عنه. جوَّد إسنادَه أحمدُ الحكمي في معارج القبول (١٢١٧/٣)، وابنُ باز في مجموع فتاواه (٢٤٥/١)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٦٠٤)، وحسَّنه لغيره الوادعيُّ في صحيح دلائل النبوة وصحَّح إسنادَه ووثَّق رجالَه شُعيبٌ الأرناؤوط في تحقيق مسند أحمد (١٣٠/٤).
(٨) روضة الناظر (٤٧٠/١).
(٩) الإحكام في أصول الأحكام (٣٠٨/١).

٣- وقال شيخ الإسلام ابنُ تَيميَّة: (إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال عن عِترته: إنَّها والكتاب لن يَفترِقَا حتى يرِدَا عليه الحوضَ، وهو الصادقُ المصدوق؛ فيدلُّ على أنَّ إجماع العِترة حُجَّة، وهذا قولُ طائفةٍ من أصحابنا، وذكره القاضي في المعتمَد، لكن العترة هم بنو هاشم كلهم: ولد العبَّاس، وولد عليٍّ، وولد الحارث بن عبد المطَّلب، وسائر بني أبي طالب وغيرُهم، وعليٌّ وحده ليس هو العِترة، وسيِّد العِترة هو رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ... (و) إجماع الأمَّة حُجَّة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، والعترة بعضُ الأمَّة، فيلزم من ثُبوت إجماعِ الأمَّة إجماعُ العِترة)[1] .

٤- وقال ابنُ حجر الهيتميُّ: (وفي روايةٍ صحيحة: (إنِّي تاركٌ فيكم أمرين، لن تضلُّوا إن تبعتموهما، وهما: كتابُ الله، وأهلُ بيتي عِترتي)... وفي روايةٍ: (كِتاب الله، وسُنَّتي) وهي المرادُ من الأحاديث المقتصِرة على الكتاب؛ لأنَّ السُّنة مبيِّنة له، فأغْنى ذِكرُه عن ذكرها، والحاصل: أنَّ الحثَّ وقَع على التمسُّك بالكتاب، وبالسُّنة، وبالعلماء بهما من أهل البَيت)[2].

٥- وقال الملا عليٌّ القاري: (أهلُ البيت غالبًا يكونون أعرفَ بصاحب البيت وأحواله؛ فالمراد بهم أهلُ العلم منهم، المطَّلعون على سِيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحُكمه وحِكمته، وبهذا يصلُح أن يكونوا مقابلًا لكتاب الله سبحانه، كما قال: (وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ)) [3].

٦- وقال الألبانيُّ: (من المعروف أنَّ الحديث ممَّا يَحتجُّ به الشِّيعة، ويَلهجون بذلك كثيرًا، حتى يتوهَّم بعضُ أهل السُّنة أنهم مصيبون في ذلك، وهم جميعًا واهمون في ذلك، وبيانُه من وجهين:

الأوَّل: أنَّ المراد من الحديث في قوله صلَّى الله عليه وسلَّمَ: (عِترتي) أكثرُ ممَّا يريده الشِّيعة، ولا يردُّه أهلُ السُّنة، بل هم مستمسكون به، ألَا وهو أنَّ العترة فيه هم أهلُ بيته صلَّى الله عليه

---

(١) ابن تيمية ،منهاج السنة النبوية، ج ٧ ، ص٣٩٣-٣٩٧.
(٢) الهيتمي ، الصواعق المحرقة، ج٢، ص٤٣٩).
(٣) القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج ٩، ص ٣٩٧٥.

وسلَّمَ، وقد جاء ذلك موضَّحًا في بعض طرقه كحديث الترجمة: (وعِترتي أهْل بيتي)، وأهل بيته في الأصل: هم نِساؤه صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وفيهنَّ الصِّدِّيقةُ عائشةُ رضي الله عنهن جميعًا...، وتخصيص الشِّيعة (أهل البيت) في الآية بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، دون نِسائه صلَّى الله عليه وسلَّمَ من تحريفهم لآياتِ الله تعالى؛ انتصارًا لأهوائهم ...

الوجه الآخَر: أنَّ المقصود من (أهل البيت) إنَّما هم العلماءُ الصالحون منهم، والمتمسِّكون بالكتاب والسُّنة؛ قال الإمام أبو جعفر الطحاويُّ رحمه الله تعالى: (العِترة: هم أهلُ بيتِه صلَّى الله عليه وسلَّمَ، الذين هم على دِينه، وكذلك المتمسِّكون بأمْره).

والحاصل: أنَّ ذِكر أهل البيت في مقابل القرآن في هذا الحديث كذِكر سُنة الخلفاء الراشدين مع سُنَّته صلَّى الله عليه وسلَّمَ في قوله: (فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الرَّاشدين...)... إذا عَرفتَ ما تقدَّم، فالحديث شاهدٌ قويٌّ لحديث (الموطأ) بلفظ: (تركتُ فيكم أمرينِ لن تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما: كتاب الله، وسُنَّة رسوله)[1] .

المسألة الثالثة: الردُّ على الشُّبه المثارة حوله :

أثار الشِّيعة ومَن تأثر بهم شُبهةً حول هذا الحديث، طارت في الآفاق، وصدَّقها بعضُ الناس، وتساءل عنها آخَرون، خلاصتها: أنَّ حديث الأمر بالتمسُّك بالعِترة واتِّباع أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ صحيح، وأنَّه ثابتٌ في صحيح مسلم، بخِلاف التمسُّك بالسُّنة؛ فلم يُروَ في أحد الصَّحيحين، وأسانيده ضِعاف.

والردُّ على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: ليس في صحيح مسلم الأمرُ باتِّباع العِترة، بل أمَر فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ بالأخْذ بكتاب الله، والتمسُّك به، وحثَّ عليه، ورغَّب فيه، ثم أوْصَى فيه أصحابَه بأهلِ بيته، وكان هذا في حَجَّة الوداع قبل موته صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ولفظ الحديث: (أيُّها النَّاسُ، فإنَّما أنا بَشَرٌ يوشِك أنْ يأتيَ رسولُ ربي فأُجيبَ، وأنا تاركٌ فيكم ثَقلَينِ: أوَّلهما: كتابُ الله، فيه

(١) الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

الهُدى والنُّور؛ فخُذوا بكتابِ الله، واستمسِكوا به – فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه – ثم قال: وأهل بَيتي، أُذكِّركم الله في أهْل بيتي، أُذكِّركم اللهَ في أهل بيْتي، أُذكِّركم اللهَ في أهْل بيتي)[1] .

قال أبو العبَّاس القرطبيُّ: وقوله : (وأهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي – ثلاثًا)؛ هذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يَقتضي : وجوبَ احترام آل النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وأهل بيته، وإبرارَهم، وتوقيرهم، ومحبَّتهم وجوبَ الفروض المؤكَّدة، التي لا عُذرَ لأحد في التخلُّف عنها. هذا مع ما عُلِم من خصوصيتهم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وبأنهم جزءٌ منه؛ فإنَّهم أصولُه التي نشأ منها، وفروعُه التي تنشأ عنه)[2] .

وقال ابنُ كثير: (ولا تُنكَرُ الوصاةُ بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم؛ فإنَّهم من ذريَّة طاهرة، مِن أشرف بيت وُجد على وجه الأرض، فَخرًا وحسَبًا ونسَبًا، ولا سيَّما إذا كانوا متَّبِعين للسُّنة النبويَّة، الصَّحيحة الواضحة الجليَّة، كما كان عليه سلفُهم، كالعبَّاس وبنِيه، وعليٍّ وأهل بيتِه وذُريَّته، رضي الله عنهم أجمعين)[3] .

وقال ملا علي القاري: ((فخُذوا بكِتاب الله)، أي: استنباطًا وحِفظًا وعِلمًا، (واستمسكوا به)، أي: وتمسَّكوا به اعتقادًا وعملًا، ومِن جملة كتاب الله العملُ بأحاديث رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ لقوله سبحانه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...(٧))[4]، (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ... (٨٠))[5]، و (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ... (٣١))[6]، وفي رواية: (فتمسَّكوا بكتاب الله، وخُذوا به) – (فحَثَّ) – بتشديد المُثلَّثة – أي: فحرَّض أصحابَه (على كتاب الله)، أي: على محافظةِ ومراعاةِ مبانيه ومعانيه، والعمل بما فيه، (ورغَّب فيه) –بتشديد الغَين المعجَمة–، أي: ذكَر المرغِّبات

(١) أخرجه مسلم من حديث زيد بن أَرقمَ رضي الله عنه. رقم الحديث ٢٤٠٨
(٢) القرطبي ،(المفهِم لِمَا أشكل من تلخيص كتاب مسلم)، ج ٢٠، ص ٥١.
(٣) ابن كثير ، تفسير ابن كثير، ج٧ ، ص٢٠١ .
(٤) سورة الحشر .
(٥) سورة النساء .
(٦) سورة آل عمران .

من حصول الدرجات في حقِّه، ثم يمكن أنَّه رهَّب وخوَّف بالعقوبات لِمَن ترك متابعةَ الآيات، فيكون حذفه من باب الاكتفاء، ويمكن أنَّه اقتصر على البشارة؛ إيماءً إلى سَعة رحمة الله تعالى، وأنَّ رحمته للعالَمِين، وأمَّته أمَّة مرحومة.

(ثم قال)، أي: النبيُّ عليه السَّلام (وأهل بيتي)، أي: وثانيهما أهْلُ بيتي (أُذكِّركم الله) - بكسر الكاف المشدَّدة - أي: أُحذِّركموه، (في أهل بيتي): وُضِع الظاهر موضعَ المضمر؛ اهتمامًا بشأنهم، وإشعارًا بالعِلَّة، والمعنى: أُنبِّهكم حقَّ الله في محافظتهم، ومراعاتهم واحترامهم وإكرامهم، ومحبَّتهم ومودَّتهم، ... كرَّر الجملة لإفادة المبالَغة، ولا يبعُد أن يكون أراد بأحدهما آلَه، وبالأخرى أزواجَه؛ لِمَا سبَق من أنَّ أهل البيت يُطلق عليهما)[1].

وقال ابن باز: (نحن معكم في محبَّة أهل البيت الملتزمين بشريعة الله، والترضِّي عنهم، والإيمان بأنَّهم من خِيرة عباد الله؛ عملًا بوصية رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ حيث قال في حديث زيد بن أَرقمَ المخرَّج في صحيح مسلم : (إني تاركٌ فيكم ثَقلينِ: أولهما: كتاب الله، فيه الهُدى والنُّور؛ فخُذوا بكتابِ الله، وتمسَّكوا به... ثم قال: وأهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهْل بيتي)[2] .

وقال في موضع آخَر: (إني تاركٌ فيكم ثَقلينِ: أوَّلهما: كتاب الله، فيه الهُدى والنُّور؛ فخُذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، ثم قال: وأهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي)، يعني بهم: زَوجاتِه، وقَراباتِه من بني هاشم، يُذكِّر الناس بالله في أهل بيته، بأن يَرفُقوا بهم، وأن يُحسنوا إليهم، ويكفُّوا الأذى عنهم، ويُوصوهم بالحقِّ، ويُعطوهم حقوقَهم ما داموا مستقيمين على دِينه، متَّبِعين لشريعته عليه الصَّلاة والسَّلام)[3] .

فالحديث - إذن - فيه الوصيةُ والتذكير بآل بيته صلَّى الله عليه وسلَّمَ بعدَ موته، وليس فيه الأمرُ بالتمسُّك والاتباع. ولم يقل أحدٌ من علماء الأمة ممن تعرض لشرح الحديث أن أفراد

---

(١) القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٩ ، ص ٣٩٦٧.
(٢) ابن باز ، مجموع فتاوى ابن باز ج ٣/٣، ص .
(٣) المصدر السابق ، ج٩، ص٣٤.

عترته صلى الله عليه وآله وسلم يكون لقولهم من المنزلة مثل ما للقرآن، فضلاً عن أن يكون أولى بالاتباع من سنة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم.

الوجه الثاني: على تقدير أنَّ ما صَّح من الأحاديث جاء فيها الأمرُ بالاتِّباع فقد جاء في الحديث: (وعِترتي أهل بيتي)، وعترة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ هم بنُو هاشم كلُّهم، من ولد العبَّاس، وولد عليٍّ، وولد الحارثِ بن عبد المطَّلب، وسائر بني أبي طالب وغيرهم[1] (، وليس هم فقط عليَّ بن أبي طالب وابْنَيه: الحسن والحسين، وذُريتهم - كما تزعم الإماميَّةُ الاثنا عشرية - كما أنَّ أهل بيته يدخُل فيهم أزواجُه رضي الله عنهن؛ فعبد الله بن عبَّاس، وعائشةُ رضي الله عنهم - وهما من أكثر الصَّحابة روايةً عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ومن أكثرهم فقهًا وعِلمًا - داخلان في هذا الحديث بلا شكٍّ دخولًا أوليًّا. وهذا الأمر لا يرتضيه من يحتج بهذا الحديث على تقديم العترة في رأيهم وما ينقلونه هم عنهم على أدلة التشريع المتفق عليها.

الوجه الثالث: ما المقصودُ بعِترة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؟ هل هم الذين صحِبوه ورَوَوْا عنه، كعليِّ بن أبي طالب، وابنيه: الحسن والحسين، والعبَّاس بن عبد المطَّلب وابنيه: عبد الله وعُبيد الله، وجعفر بن أبي طالب وابنه عبد الله، وعَقيل بن أبي طالب؟ أمْ عليُّ بن أبي طالب وذُريَّته، بل وأحد عَشرَ رجلاً منهم فقط، كما تزعُم الشيعة؛ تحكُّمًا منهم بلا برهانٍ ولا بيِّنة؟!

أم أنَّهم عامَّة العِترة، وفيهم - كما هو الواقع اليوم - السُّنِّي، والشِّيعي، والزَّيدي، والصُّوفي، والعالم والجاهل؟. **فمَن هم العترة المعنيُّون في الحديث؟**

لا يمكن أن يَستقيم فَهْمُ الحديث إلَّا بجَمْعه مع اللَّفظ الآخَر (كتاب الله وسُنَّتي)؛ فنفهُم منه - إذن - أن العِترة هم المتَّبعون لسُنة النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

الوجه الرابع: تقدَّم معنا أنَّ اتباع السُّنة كاتِّباع القرآن، وفيهما الأمرُ بالاقتداء بصحابة رسولِ الله، وليسوا كلُّهم من العترة، بل في الحديث الصحيح الأمر بالتمسُّك بسُنَّة الخلفاء الراشدين؛

---

(١) انظر:(النهاية في غريب الحديث والأثرلابن الأثير، مادة (عتر)، منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٣٩٥/٧)، التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٣٧٦/٢).

(عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلفاء المهديِّين الرَّاشدين؛ تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجِذ)، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعُثمان، وهم ليسوا من العترة، بل في الحديث الصحيح: (اقتدُوا باللذَيْنِ من بعدي: أبي بكرٍ وعمرَ)[1] ، ومع ذلك فتعظيم أهل السُّنَّة للسُّنَّة عصَمَهم من أن يجعلوا الاقتداء بأبي بكرٍ وعمرَ أصلًا من أصول الإسلام مقابل الكتاب والسُّنَّة.

الوجه الخامس: على فرض أن ما صح من الأحاديث جاء فيها الأمر بالاتباع فماذا لو خالفتِ العترةُ كتابَ الله؟ مَن يجب علينا نتَّبع منهما؟! ولا شكَّ يجب أنْ نتبع كتابَ الله، ومَن شكَّ في ذلك، فقد كفَر!

إذن العِترة تابعةٌ لكتاب الله، وفي كتاب الله الأمرُ باتِّباع سُنَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ (فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)، (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)؛ إذن العترة تابعةٌ للسُّنة باتِّباعها لكتاب الله، فكان مردُّ العِترة للسُّنة، والحمد لله ربِّ العالمين. بل إن شرف العترة ومكانتهم فرعٌ على شرف من شرَّفهم الله به، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يستقيم في شرعٍ ولا عقلٍ تقديم التابع على المتبوع، والفرع على الأصل، لمن كان له عقل يعي به، والله المستعان.

الخاتمة: حَديثُ الثَّقلين - (إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقَلين) - جاء بلفظ: (كتاب الله، وعِترتي أهْل بَيتي)، وبلفظ: (كِتاب الله وسُنَّتي)، وقد اختلف العلماءُ في تصحيحها وتضعيفها، ولم يرِدْ في صحيح مسلم كما يظنُّ ويُردِّد البعض، ومردُّ العِترة إلى الكتاب والسُّنَّة، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وأخيرًا:

فلا بدَّ هنا مِن تذكير كلِّ مَن يَمُتُّ إلى هذه العِترة الشَّريفة بصِلة، بما أنعم الله به عليهم من النَّسَب الشَّريف، وبما أوجبه الله على عباده المؤمنين من محبَّتهم وموَدَّتهم، مِن أنَّ هذه نِعمةٌ يُسألون عنها يوم القِيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد (٢٣٢٩٣).

فيا مَن شرَّفكم اللهُ تعالى بهذا النَّسَب، إيَّاكم أن تغترُّوا بما يُنمِّقه لكم مَن ضلَّ سعيُه، وعمِي عن الرَّشاد منهجُه، ممَّن يريد أن يتجاوز بكم خيرَ المنازل التي وضعَكم اللهُ تعالى ورسولُه صلَّى الله عليه وسلَّم بها!

وإيَّاكم والفرحَ ببعض أقوال أهل الأهواء التي ضخَّمت من هذا الحديث، وأوهمت بإعطاء العِترة من المكانة في التَّشريع ما لم يأذنْ به الله؛ فكلُّ عاقل منكم يعلم أنَّه ليس في قوله هو ولا فِعله ولا هَدْيه فلاحٌ إلَّا بمقدار اتِّباعه واستمساكه بهَدْي النبيِّ المعصوم صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم.

ومِن ثَمَّ فلا حاجةَ، ولا فرحَ، ولا مزيَّةَ، ولا فخرَ لأحدٍ منكم بأن يظنَّ أنَّ قولَه أو فِعله، أو قول أحدٍ من الناس وفِعله يكون حُجَّةً بمنزلة قول محمَّد بن عبد الله، وفِعله، صلواتُ الله وسلامُه وبركاتُه عليه.)[1].

س٨٧ : لماذا يقرأ الإمام في صلاة فجر يوم الجمعة سورتي السجدة والإنسان ؟.

ج٨٧: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (السنة للإمام أن يقرأ في صلاة فجر يوم الجمعة سورتي تنزيل السجدة في الركعة الأولى وسورة هل أتى على الإنسان في الركعة الثانية، ولا يلتفت إلى قول من يعترض في ذلك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهما في صلاة الفجر يوم الجمعة وهو أرحم الناس وأعلم الناس وأشفقهم على الضعيف، وإذا ترك قراءتهما في الشهر أو في الشهرين مرة ليعلم الناس أن قراءتهما غير واجبة وأنه يجوز قراءة غيرهما فلا بأس. وفق الله الجميع لما يرضيه[2].

يقول د. عبدالسميع الأنيس : (تأمَّلت في ذلك والإمامُ يَقرأ، فرأيتُ أن السورتين تحكيانِ قصة حياة الإنسان؛ من بداية خلقه، مرورًا بحياته في الدنيا واختياراته فيها، ثم مصيره في الآخرة. وحولَ هذه المحاور الثلاثة تتحدَّث السورتان! وكأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يحكي قصة حياة الإنسان في فجر كل يوم جمعة؛ ليكون على ذُكْر منها في كل أيام الأسبوع،

---

(١) علوي السقاف ، الدرر السنية ، عترتي و سنتي .
(٢) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ، ج ١٢، ص ٣٩٥

وبعض البيان في الآتي:

المحور الأول: بداية خلقه: قال تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ(٩)﴾[١] ، قال تعالى:﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا(٢)﴾[٢]،

المحور الثاني: حياته واختياراته: وفي سورة السجدة هناك الإنسان المؤمن الصالح، الشاكر الساجد -وفيها سجدةٌ تحقيقًا لذلك، وتحققًا فيه- والقائم في الليل، المنفق في النهار. وهناك الإنسان الكافر المجرم، الظالم الفاسق. وفي سورة الإنسان: هناك الإنسان الشاكر البار، العابد الخائف، ، وعلى حبِّه من غير جزاءٍ على فعل! وهناك الإنسان الكافر الظالم.

المحور الثالث: مصيره: ويلاحَظ أن الحديث عن مصير المؤمن في سورة السجدة كان موجَزًا؛ قال تعالى:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٧)﴾[٣] ، بينما جاء في سورة الإنسان مفصَّلًا بصورة واضحة، وهناك تفصيلاتٌ دقيقة عن النعيم في الجنة؛ لا حَرَمنا الله سبحانه منها! كما يُلاحَظ أن الحديث عن مصير الكافر في سورة السجدة كان مطوَّلًا، بينما كان موجزًا في سورة الإنسان! ولعل الحكمة من ذلك: أن الإنذار في الركعة الأولى كان مطوَّلًا، بينما جاءت البشارة في الركعة الثانية مطولة؛ رحمةً بهذا المؤمن الساجد؛ لِيَسكن بذلك قلبه، وتطمئنَّ نفسه! وكأن الحق سبحانه يخاطب الإنسان: يا أيها الساجدُ بين يديَّ، ارفع رأسك، واستَمِع إلى ما أخفيتُ لك من نعيم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ... (١٧)﴾[٤] ،ثم جاء التفصيل والبيان في سورة الإنسان التي اختار النبيُّ صلى الله عليه وسلم قراءتها في الركعة الثانية؛ ليبيِّن جانبًا من إكرام الحق تعالى لهذا الإنسان الساجد[٥].

---

(١) سورة السجدة .
(٢) سورة الإنسان .
(٣) سورة السجدة .
(٤)سورة السجدة .
(٥) موقع طريق الإسلام .

يقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله : (بت أنه في يوم الجمعة يقرأ بسورتين في صلاة الفجر في الركعة الأولى ا لم السجدة كاملة وفي الركعة الثانية هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ السورة الأولى ثلاث صفحات، والسورة الثانية صفحة وزيادة يعني آياتها قصيرة. الحكمة من قراءة هاتين السورتين ما فيهما من الحكم ففيهما ذكر المبدأ والمعاد وذكر الثواب والعقاب وذكر الوعد والوعيد هذا هو السبب في قراءة هاتين السورتين، وليس القصد حصول السجود؛ سجود التلاوة في سورة ا لم، وإنما القصد ما تضمنته تلك السورة؛ حيث ذكر الله تعالى فيها بدأ الخلق في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) إلى قوله: (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) إلى قوله: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) إلى قوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) وكذلك ذكر الوعد والوعيد في قوله: (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) إلى آخرها.

وكذلك في سورة هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ فالذي يقرأها يريد السنة، عليه أن يكمل السورتين، ولا يقول قائل: إن الناس لا يتحملون وإن الناس ضعفاء وإنهم يملون. نقول: إذا كان فيهم عاجز فإن له رخصة في أن يجلس حتى يركع الإمام، وأما إذا كانوا أقوياء يقف أحدهما إذا كان يناجي إنسانا يقف عشر دقائق أو نصف ساعة ولا يمل من الوقوف، فهكذا فليكن الأمر في هذه القراءة.)[1]

وبناء عليه نقول :

يسن أن يقرأ في فجر يوم الجمعة بسورتي ا لم تنزيل، وهل أتى على الإنسان، قال ابنُ القيِّم: (يظنُّ كثير ممَّن لا عِلمَ عنده أنَّ المراد تخصيصُ هذه الصلاة بسجدةٍ زائدة، ويُسمُّونها سجدة الجمعة، وإذا لم يقرأْ أحدهم هذه السورة استحبَّ قراءة سورة أخرى فيها سجدة؛ ولهذا كرِه مَن كره من الأئمَّة المداومةَ على قِراءة هذه السورة في فجر الجمعة؛ دفعًا لتوهُّم الجاهلين،

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن جبرين .

وسمعتُ شيخَ الإسلام ابن تيميَّة يقول: إنما كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة؛ لأنَّهما تضمَّنَتا ما كان ويكون في يومها، فإنَّهما اشتملتَا على خَلْق آدم، وعلى ذِكر المعاد وحَشْر العباد، وذلك يكون يومَ الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكيرٌ للأمَّة بما كان فيه ويكون، والسجدة جاءتْ تبعًا ليستْ مقصودةً؛ حتى يَقصد المصلِّي قِراءتَها حيث اتَّفقت. فهذه خاصَّة من خواصِّ يوم الجمعة)[1] ، وهو قول طائفة من السلف، قال ابن رجب: (ممَّن استَحبَّ قِراءة سورة الم سورة السجدة، وهَلْ أَتَى في صلاة الفجر يومَ الجمعة: الثوريُّ، والشافعيُّ، وأحمدُ، وإسحاقُ، وأبو خيثمة، وابنُ أبي شَيبةَ، وسليمانُ بن داود الهاشميُّ، والجوزجانيُّ، وغيرهم من فقهاء الحديثِ، وهذا هو المرويُّ عن الصحابة، منهم: عليٌّ، وابنُ عباس، وأبو هريرة)[2] ، واختاره ابن دقيق العيد فقال: (فيه دليلٌ على استحباب قِراءة هاتين السورتينِ في هذا المحلِّ)[4] ، قال ابنُ تيميَّة: (ويقرأ في أُولى فجْر الجمعة الم السجدة، وفي الثانية هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ)[5] ، قال ابنُ باز: (السُّنَّة للإمام أن يَقرأ في صلاة فجر يومِ الجمعة سُورتَي تنزيل السجدة في الركعة الأولى، وسورة هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ في الركعة الثانية)[6] ومن الأدلة على ذلك :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة: الم تنزيل وهل أتى على الإنسان [7].

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر)[8]، [10].

---

(١) زاد المعاد (٣٦٣/١). ، وهذا مذهب الشافعية تحفة المحتاج للهيتمي (٥٥/٢)، ويُنظر: ((أسنى المطالب لزكريا الأنصاري (١٥٥/١).) ، والحنابلة (كشاف القناع للبهوتي (٣٨/٢)، ويُنظر: المغني لابن قدامة (٢٧١/٢).

(٢) ابن رجب ، فتح الباري ، ج٥ ، ص ٣٨٣ .

(٤) ابن دقيق العيد ، إحكام الأحكام ، ص ٢٢٨ .

(٥) ابن تيمية ، الاختيارات الفقهية ، ص ٤٤٠ .

(٦) ابن باز ، مجموع الفتاوى ، خ١٢ ، ص ٣٩٥ .

(٧) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٩١ ، وعند الإمام مسلم برقم ٨٨٠ .

(٨) الإمام مسلم ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٨٧٩ .

(١٠) علوي السقاف ، الدرر السنية ، قراءةُ سورةِ السَّجدةِ والإنسانِ في صَلاةِ فَجرِ الجُمُعةِ.

س٨٨ : لماذا يدعو المسلمون غيرَ المسلمين إلى دينهم، ولا يقبلون أن يروِّج الكفار لدينهم في بلاد المسلمين؟!

ج٨٨: حكم الدعوة إلى غير الإسلام في بلاد المسلمين، تتجلى لنا في مقدمات لا بد من عرضها قبل الجواب على هذه المسألة، وملخص ذلك يعود إلى عدة أصول مقررة في الإسلام. نجملها في الآتي:

أولاً: إن حقيقة الإسلام تقوم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومؤدى ذلك هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله قال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢٥٦))[١]، وهذه هي دعوة الرسل جميعاً، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ(٣٦))[٢] ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام ليس لهم دين سوى الإسلام، يقول الله تعالى عن نوح: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٧٢))[٣]، وقال عن إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(١٢٣))[٤]، وقال عن موسى: (يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ(٨٤))[٥]، وقال عن الحواريين: (...آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ(١١١))[٦].

ثانياً: وقد تقرر أن من الأصول المجمع عليها بين المسلمين أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من دين الإسلام قد نسخ ما قبله من الملل والشرائع والأديان، وأنه لا يقبل من أحد أن يتعبد بغير دين الإسلام:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥))[٧]، فالدين عند الله الإسلام ومن خرج عنه فقد خرج عن دين الأنبياء جميعاً وفارقهم فكان في الآخرة من الخاسرين.

---

(١) سورة البقرة .
(٢)سورة النحل .
(٣) سورة يونس .
(٤) سورة البقرة .
(٥) سورة يونس .
(٦)سورة المائدة .
(٧) سورة آل عمران .

كما أن كتاب الله –القرآن– قد نسخ كل كتاب سماوي من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..(٤٨))[١] .

والكتب السابقة لا تخلو من التبديل والتحريف زيادة ونقصانا كما أخبرنا الله بذلك في غيرما موضع كقوله: (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ(٧٩))[٢] ، وكقوله عن أهل الكتاب: (...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ...(١٣))[٣]، و(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ(٤١))[٤] ، فالتحريف واقع عندهم في الألفاظ والمعاني: (وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٨))[٥] .

وعلى ذلك فإن ما صح منها فهو منسوخ بالإسلام وغيره محرف أو مبَّدل، وقد ثبت في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب صحيفة فيها شيئاً من التوراة وقال عليه الصلاة والسلام: (يا ابنَ الخطَّابِ، أمُتَهَوِّكون أنتُم كما تَهَوَّكَتِ اليهودُ والنَّصارى؟ أمَا والذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بِيَدِه لقد جِئتُكُم بها بَيضاءَ نَقيَّةً، ولكنِّي أُعطيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، واختُصِرَ لي الحَديثُ اختِصارًا)[٦].

فلمَّا كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين: (...وَلَكِن رَّسُولَ اللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ... (٤٠))[٧]، لم يبق إلا متابعته، ولا يسع أحداً كائناً من كان إلا ذلك.

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة البقرة .
(٣)سورة المائدة .
(٤) سورة المائدة .
(٥) سورة آل عمران .
(٦)الأرناؤوط ، تخريج المسند ، ج٢٣ ، ص٣٥٠ . رجاله ثقات إلا أنه من مراسيل الحسن البصري، توضيح حكم المحدث: إسناده لا يصح.
(٧) سورة الأحزاب .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ(٨١)﴾[١]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ... (١٥٧)﴾[٢].

والأنبياء قد بشروا به صلى الله عليه وسلم وأخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به وينصره إن أدركوه، وآخرهم عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ(٦)﴾[٣]، ولهذا يكون عيسى عند نزوله في آخر الزمان تابعاً له وعاملاً بشريعته عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: ومن الأصول المجمع عليها بين المسلمين أن محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الناس كافة بل والجن كذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ(١٧٠)﴾[٤]، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... (١٥٨)﴾[٥]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(٢٨)﴾[٦].

وصح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار)[٧].

ومن هنا فإنه يجب على كل مسلم أن يعتقد كفر من لم يدخل في دين الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الملل، وأنهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، وأنهم إن ماتوا على

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الأعراف .
(٣) سورة الصف .
(٤) سورة الأنبياء .
(٥) سورة الأعراف .
(٦) سورة سبأ .
(٧) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رم الحديث ٢٤٠ .

ذلك فإنهم من أهل النار: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ(١))[١]، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ(٦))[٢]، ومن شك في كفر هؤلاء الذين علم من دين الإسلام بالضرورة كفرهم فهو مثلهم في الكفر بناء على قاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر).

يقول القاضي عياض: (ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك)[٣].

وقال الحجاوي: (من لم يكفر من دان بغير الإسلام كالنصارى أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فهو كافر)[٤].

وقال ابن تيمية: (ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب)[٥].

فيجب على المسلمين دعوة جميع الكفار إلى الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم بالحسنى كما قال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ(٤٦))[٦]. (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ(٦٤))[٧]، ويجب على المسلمين اعتقاد أنهم على الحق وحدهم وأنهم آخر الأمم وخير أمة أخرجت للناس ونقول لأهل الكتاب كما: (.. انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ.. (١٧١))[٨].

---

(١) سورة البينة .
(٢)سورة البينة .
(٣) القاضي عياض ، الشفاء ، ج٢ ، ص ٢٨١ .
(٤) الحجاوي ، كشاف القناع ، ج٦ ، ص ١٧٠ .
(٥) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٢٨ ، ص ٥٢٤ .
(٦) سورة العنكبوت .
(٧) سورة آل عمران .
(٨) سورة النساء .

وبناء على ما سبق من أصول الإسلام ومحكمات الشريعة نخلص إلى ما يلي:

أولاً: منع وحجر أي إنسان أو جهة أو هيئة تدعو إلى غير الإسلام لأن ذلك يعني دعوة المسلمين إلى الردة والخروج من الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وإشاعة الفتنة وتكفير المسلمين، ومن حق أي نظام أن يضع التشريعات التي تحميه وتوفر له البقاء والحياة، والردة خطر على المجتمع بأسره ولا بد من أن تقاوم كما قاومها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتابعه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولو أن الصحابة تهاونوا مع دعاة الردة كمسيلمة، والأسود العنسي وغيرهم من المتنبئين الكذابين لاجتث الإسلام من جذوره، فالردة تعني نقل الانتماء والولاء من أمة إلى أمة مخالفة فهي نقض للعهد، ومفارقة للإسلام، وخيانة يستحق مقترفها الفناء كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من بدل دينه فاقتلوه)[1].

ثانياً: عدم السماح لكافة الجهات المشبوهة التي تدعو المسلمين إلى التنصير تحت أي غطاء كان إذا علم من حالها أنها تسعى لذلك بين المسلمين ، ويعرف حال هذه الجهات بأمور منها:

١- القيام بالدعوة إلى التنصير .

٢- توزيع نسخ من الأناجيل بين المسلمين .

٣- بناء الكنائس، مستغلين في ذلك الأوضاع الاقتصادية المتردية وحاجة الناس إلى المال.

٤- ممارسة التنصير بواسطة التدثر ببعض المناشط الطبية مثل أطباء بلا حدود وغيرها من المنظمات المشبوهة.

٥- ممارسة الأنشطة التنصيرية بواسطة غطاء تعليم اللغة الانجليزية والقيام برحلات مخلطة بين الجنسين لإفساد الشباب وزعزعة ثقتهم بدينهم ومحاولة بعثهم إلى الخارج لتعلم اللغة الانجليزية ومن ثم ربطهم بالمنظمات الكنسية.

---

(١) الإمام البخاري ، ج٤ ، ص ٧٥ ، رقم الحديث ٣٠١٧ .

٦- القيام بالخدمات الإنسانية والمساعدات في الكوارث التي تقع في بلاد المسلمين بحيث يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى فيستغلون مثل هذه النكبات لنشر أباطيلهم وعقائدهم المحرفة.

٧- هدم الأخلاق والقيم وجلب الشباب والشابات إلى مستنقع الرذائل والفواحش والخمور حتى يبعدوهم عن دينهم.

فإذا علم من حال جهة من الجهات أنها تسعى إلى إخراج المسلمين من دينهم فإنه يجب على الدولة أن تمنع هذه الجهات من ممارسة أنشطتها لمخالفتها للشريعة الإسلامية الغراء، وقد تقرر أن من الشروط العمرية (أن لا يظهروا أعيادهم وشعائرهم وإلا فلا ذمة لهم)، كما أن واجب العلماء والدعاة أن يبينوا للناس مخاطر هذه المنظمات المشبوهة حتى لا ينخدع الناس بهم فيخسروا دنياهم وأخراهم.

ثالثاً: ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات إلى غير الإسلام تتمثل فيما بات يعرف بالدعوة إلى وحدة الأديان، وهي دعوة في مضمونها تهدف إلى هدم أصول الإسلام واقتلاعها من جذورها، حتى وجد في بلاد المسلمين من يدعوا إلى إقامة مجمعات يكون فيها مسجد وكنيسة ومعبد جنباً إلى جنب، ولا شك أن ذلك من أبطل الباطل، وأشنع أنواع الكفر والردة لما يلي:

١- قيام هذه الدعوة على التكذيب للقرآن الكريم ورد ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام وتسوية الإسلام بغيره فلا فرق بين التوحيد والشرك، والحق والباطل، والمسجد والكنيسة، والإسلام والكفر، والمعروف والمنكر، ولا ولاء ولا براء، ولا جهاد.

٢- الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي دعوته من حيث شمولها وكمالها، وكفايتها، وختمها لسائر النبوات، مع مناقضتها لأصل من أصول الإسلام وهي شهادة التوحيد التي قال عنها عليه الصلاة والسلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله....)[1].

ليست الدعوة إلى وحدة الأديان من منتجات هذا العصر بل لقد كان لهذه الدعوة

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص ٣٩ ، رقم الحديث ٢٥ ، والإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٥١ ، رقم الحديث ٣٢ .

الخبيثة جذورها في الماضي عند ملاحدة وحدة الوجود، والذين سوغوا التعبد بأي ملة من الملل كما قال قائلهم:

عقد الخلائق في الإله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوهُ

يقول ابن تيمية: (لهذا كان هؤلاء؛ كابن سبعين ونحوه يعكسون دين الإسلام؛ فيجعلون أفضل الخلق: – المحقّق عندهم–؛ وهو القائل بالوحدة. وإذا وصل إلى هذا فلا يضرّه عندهم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، بل كان ابن سبعين، وابن هود، والتلمساني، وغيرهم يُسوّغون للرجل أن يتمسّك باليهوديّة والنصرانيّة؛ كما يتمسّك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقاً إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين)[1]، كما وجدت عند التتار يقول ابن تيمية في ذلك: (وكذلك الأكابر من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارى وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين)[2].

ولما كانت الدعوة إلى وحدة الأديان كفراً بواحاً وردة ظاهرة يدركها العوام فضلاً عن الخواص فقد حرص أعداء هذه الدين إلى إيجاد الذرائع المبطنة إلى مآربهم في هذه القضية، ولذا تجدهم ابتداء يجاهرون بضرورة التعايش بين الأديان، والحوار فيما بينها ثم يتبعونه بالحاجة الملحة إلى زمالة الأديان، والتعاون فيما بينها من أجل مواجهة قوى الإلحاد والمادية، وصولاً فيما بعد ذلك إلى القول بوحدة الأديان)[3].

وخلاصة القول: إن كل دعوة إلى غير الإسلام سواء كانت تنصيرية أو إلحادية أو علمانية أو وثنية أو من الدعوات الباطنية أو غير ذلك من الملل المفارقة لدين الإسلام فإنه لا يجوز بحال من الأحوال أن يسمح لها بممارسة أنشطتها والدعوة إلى كفرها لما في ذلك من الإقرار والرضا بأفعالها ولما تؤدي إليه من الفساد في الأرض، ومناقضة دين الإسلام وإخراج الناس من النور إلى الظلمات، ولما فيها من مشاقة الله ورسوله، فإن الله سبحانه وتعالى لم يخير

---

(١) ابن تيمية ، الصفدية ، ج١ ، ص ٢٦٨ ، والرد على المنطقيين ، ص ٢٨٢ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتوى ، ج٢٨ ، ص ٥٢٣ .
(٣) د. عبد العزيز العبد اللطيف ، نواقض الإسلام القولية والعملية ، ج٢ ، ص ١١٧ .

الناس في الاستجابة لأمره وعدمها بحيث يكون الأمر متساوياً بين الفعلين، وصدق الله إذ يقول: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(١٨))[١] ويقول تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(٣٣))[٢] ،[٣] .

س٨٩ : لماذا يقتل من يرتد عن الإسلام ؟.

ج٨٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (ل القرآن الكريم والسنة المطهرة على قتل المرتد إذا لم يتب في قوله سبحانه في سورة التوبة: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٥))[٤] ، فدلت هذه الآية على أن من لم يتب لا يخلى سبيله.

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من بدل دينه فاقتلوه وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه أنه قال لمرتد رآه عند أبي موسى الأشعري في اليمن: لا أنزل – يعني من دابته– حتى يقتل قضاء الله ورسوله والأدلة في هذا كثيرة، وقد أوضحها أهل العلم في باب حكم المرتد في جميع المذاهب الأربعة، فمن أحب أن يعلمها فليراجع الباب المذكور، فمن أنكر ذلك فهو جاهل أو ضال لا يجوز الالتفات إلى قوله، بل يجب أن ينصح ويعلم لعله يهتدي)[٥].

يقول الشيخ المنجد :

أولاً : الردة ... هي الكفر بعد الإسلام .

ثانياً : تنقسم الأمور التي تحصل بها الردة إلى أربعة أقسام :

١– ردة بالاعتقاد ، كالشرك بالله أو جحده أو نفي صفةٍ ثابتة من صفاته أو إثبات الولد لله فمن اعتقد ذلك فهو مرتد كافر .

---

(١) سورة الأنبياء .
(٢) سورة التوبة .
(٣) شبكة الالوكة محمد بن موسى العامري ، ٢٥ / ٧ / ٢٠١١ م.
(٤) سورة التوبة .
(٥)ابن باز ، أسئلة المجلة العربية بإملاء سماحته في ٣ / ٦ / ١٤١٦ هـ. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٣٠٣/٩.

٢- ردة بالأقوال ، كسب الله تعالى أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣- ردة بالأفعال ، كإلقاء المصحف في محلٍ قذر ؛ لأن فعل ذلك استخفاف بكلام الله تعالى ، فهو أمارة عدم التصديق ، وكذلك السجود لصنم أو للشمس أو للقمر .

٤- الردة بالترك ، كترك جميع شعائر الدين ، والإعراض الكلي عن العمل به .

ثالثاً : ما هو حكم المرتد ؟.

إذا ارتد مسلمٌ ، وكان مستوفياً لشروط الردة – بحيث كان عاقلاً بالغاً مختاراً – أُهدر دمه ، ويقتله الإمام – حاكم المسلمين – أو نائبه - كالقاضي - ولا يُغسَّل ولا يُصلى عليه ولا يُدفن مع المسلمين ، ودليل قتل المرتد هو قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من بدل دينه فاقتلوه)[١] ، والمقصود بدينه أي الإسلام ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٢] .

وبهذا يتبين أن قتل المرتد حاصلٌ بأمر الله سبحانه حيث أمرنا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقتل المرتد كما تقدم بقوله : " من بدل دينه فاقتلوه وقد تحتاج هذه المسألة منك إلى وقت للاقتناع ، وإلى تأملٍ فيها ، ولعلك تفكر في مسألة أن الإنسان إذا اتبع الحق ودخل فيه واعتنق هذا الدين الوحيد الصحيح الذي أوجب الله ، ثم نجيز له أن يتركه بكل سهولة في أي وقت يشاء وينطق بعبارة الكفر التي تُخرج منه ، فيكفر بالله ورسوله وكتابه ودينه ثم لا تحدث العقوبة الرادعة له ، كيف سيكون تأثير ذلك عليه وعلى الداخلين الآخرين في الدين .

ألا ترى أن ذلك يجعل الدين الصحيح الواجب اتباعه كأنه محل أو دكان يدخل فيه الشخص متى شاء ويخرج متى شاء وربما يُشجع غيره على ترك الحق .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٢٧٩٤ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٦٨٧٨ ، وعند الإمام مسلم برقم ١٦٧٦ ، أنظر الموسوعة الفقهية ١٨٠/٢٢

ثم هذا ليس شخصاً لم يعرف الحق ولم يمارس ويتعبد ، وإنما شخص عرف ومارس وأدى شعائر العبادة ، فليست العقوبة أكبر مما يستحق وإنما مثل هذا الحكم القوي لم يُوضع إلا لشخص لم تعد لحياته فائدة لأنه عرف الحق واتبع الدين ، ثم تركه وتخلى عنه ، فأي نفس أسوأ من نفس هذا الشخص .

والخلاصة أن الله الذي أنزل هذا الدين وفرضه هو الذي حكم بقتل من دخل فيه ثم تخلى عنه ، وليس هذا الحكم من أفكار المسلمين واقتراحاتهم واجتهاداتهم ، وما دام الأمر كذلك فلابد من إتباع حكم الله ما دمنا ارتضيناه رباً وإلهاً .)[1]

تقول دار الافتاء المصرية : (عن شبهة حرية الاعتقاد مناط احترام الدين الإسلامي وهي حق مكفول للجميع ومتفق عليه، فكيف نفهم ذلك في ضوء شبهة قتل المرتد؟)

الرد على الشبهة : تمثل قضية "قتل المرتد" في الفكر الغربي إشكالية كبيرة، فيظنون أن الإسلام يُكْرِه الناس حتى يتبعوه، ويغفلون عن دستور المسلمين في قضية حرية الاعتقاد التي يمثلها قوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ....(٢٥٦))[2] .

ويمكن النظر إلى قضية (قتل المرتد) من زاويتين:

الزاوية الأولى: هي النص الشرعي النظري الذي يبيح دم المسلم إذا ترك دينه وفارق الجماعة[3].

والثانية: هي التطبيق التشريعي ومنهج التعامل في قضية المرتد في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك خلفائه رضوان الله عليهم.

فأما في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنه صلى الله عليه وآله وسلم

١- لم يقتل عبد الله بن أبي، وقد قال: (لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)[4].

---

(١) المنجد، موقع الإسلام سؤال وجواب ، رقم السؤال ، ٢٠٣٢٧ تاريخ النشر : ٢٠٠٢/٠٥/١٩ م.
(٢) سورة البقرة .
(٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (ج١ ص٣٨١)، والبخاري (ج٦ ص٢٥٢١)، ومسلم (ج٣ ص١٣٠٢).
(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (ج٦ ص ٢٦٣٦)، ومسلم في "صحيحه" (ج٢ ص١٠٠٦).

٢- ولم يقتل ذا الخويصرة التميمي وقد قال له: (اعْدِلْ)[(١)] .

٣- لم يقتل من قال له: (يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَنْهَى عَنِ الْغَيِّ وَتَسْتَخْلِي بِهِ).[(٢)]

٤-ولم يقتل القائل له: (إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ)[(٣)].

٥- ولم يقتل من قال له لما حكم للزبير بتقديمه في السقي: (أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ)[(٤)]

وغير هؤلاء ممن كان يبلغه عنهم أذًى له وَتَنَقُّص، وهي ألفاظ يرتد بها قائلها قطعًا؛ لأنها اتهام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بما في ذلك من تكذيب له بأمانته وعدله.

وقد كان في ترك قتل من ذكرت وغيرهم مصالح عظيمة في حياته، وما زالت بعد موته من تأليف الناس وعدم تنفيرهم عنه؛ فإنه لو بلغهم أنه يقتل أصحابه لنفروا، وقد أشار إلى هذا بعينه، وقال لعمر رضي الله عنه لما أشار عليه بقتل عبد الله بن أبي: (لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)[(٥)] ولم يستخدم ما أباحه الله له في الانتقام من المنافقين ومعاقبتهم كما ورد في سورة الأحزاب قال تعالى: (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا(٦١))[(٦)].

وكذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَايَعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلَامِ، فَأَصَابَ الأَعْرَابِيَّ وَعْكٌ بِالْمَدِينَةِ، فَأَتَى الأَعْرَابِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، ثُمَّ جَاءَهُ فَقَالَ: أَقِلْنِي بَيْعَتِي، فَأَبَى، فَخَرَجَ الأَعْرَابِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: (إِنَّمَا المدِينَةُ كَالكِيرِ، تَنْفِي خَبَثَهَا،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (ج٣ ص١٢٩٦)، ومسلم في "صحيحه" (ج٤ ص٢١٤٠).
(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" (ج٥ ص٢).
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (ج٣ ص١٢٤٩)، ومسلم في "صحيحه" (ج٢ ص٧٣٩).
(٣) خرجه أحمد في "مسنده" (ج١ ص١٨٥)، والبخاري في "صحيحه" (ج٢ ص٨٣٢)، ومسلم في "صحيحه" (ج٤ ص١٨٢٩)، وبقية أصحاب الكتب الستة.).
(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" (ج٦ ص٢٦٣٦)، ومسلم في "صحيحه" (ج٢ ص١٠٠٦).
(٦) سورة الأحزاب .

وَيَنْصَعُ طِيبُهَا[1] ، فهو لم يقتله، فلماذا لم يقتل كل أولئك الذين يصدق عليهم قول ربنا: (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ(٧٤))[2] .

وأما في عهد الخلفاء، وبالتحديد في زمن الفاروق عمر رضي الله عنه، فقد روي أن أنسًا رضي الله عنه عاد من (تُستَر)، فقدم على عمر رضي الله عنه فسأله: (مَا فَعَلَ الرَّهْطُ السِّتَّةُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: فَأَخَذْتُ بِهِ فِي حَدِيثٍ آخَرَ لِيَشْغَلَهُ عَنْهُمْ، قَالَ: مَا فَعَلَ الرَّهْطُ السِّتَّةُ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ فَلَحِقُوا بِالْمُشْرِكِينَ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُتِلُوا فِي الْمَعْرَكَةِ، قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَهَلْ كَانَ سَبِيلُهُمْ إِلَّا الْقَتْلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَعْرِضُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَبَوَا اسْتَوْدَعْتُهُمُ السِّجْنَ)[3] ، فلم يرَ عمر رضي الله عنه قتلهم بدءًا؛ رغم أنهم ارتدوا وقاتلوا المسلمين؛ لكنه رأى استتابتهم، وإلا سجنهم.

كل تلك الوقائع التي كانت في عهد التشريع جعلت فقهاء المسلمين يفهمون أن مسألة (قتل المرتد) ليست مسألة مرتبطة بحرية العقيدة والفكر، ولا مرتبطة بالاضطهاد، وأن النصوص التي شددت في ذلك، لم تعنِ الخروج من الإسلام بقدر ما عنت الخروج على الإسلام الذي يُعدُّ جرمًا ضد النظام العام في الدولة، كما أنه خروجٌ على أحكام الدين الذي تعتنقه الأمة، ويُعتَبر حينذاك مرادفًا لجريمة الخيانة العظمى التي تحرمها كل الشرائع والدساتير والقوانين.

ويرى الشيخ شلتوت رحمه الله أن قتل المرتد ليس حدًّا فيقول: (وقد يتغير وجه النظر في المسألة؛ إذ لوحظ أن كثيرًا من العلماء يرى أن الحدود لا تثبُت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحًا للدم، وإنما المبيح هو محاربة المسلمين والعدوان عليهم ومحاولة فتنتهم عن دينهم، وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات تأبى الإكراه في الدين)[4] .

فقتل المرتد لم يكن لمجرد الارتداد، وإنما للإتيان بأمر زائد مما يفرق جماعة المسلمين ،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" ، ج٦ ، ص٢٥٤٠

(٢) سورة التوبة .

(٣) سنن البيهقي الكبرى ، ج٨ ص٢٠٧ .

(٤) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ١٠٣ .

حيث يستخدمون الردة ليردوا المسلمين عن دينهم، فهي حرب في الدين كما قال تعالى: (وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٧٢))[١] .

ويؤيد ذلك أيضًا ما ذكره الشيخ ابن تيمية: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قبل توبة جماعة من المرتدين، وأمر بقتل جماعة آخرين، ضموا إلى الردة أمورًا أخرى تتضمن الأذى والضرر للإسلام والمسلمين، مثل أمره بقتل مقيس بن حبابة يوم الفتح، لما ضم إلى ردته قتل المسلم وأخذ المال، ولم يتب قبل القدرة عليه. وأمر بقتل القُرَنيين لما ضموا إلى ردتهم مثل ذلك، وكذلك أمر بقتل ابن خطل لما ضم إلى ردته السبَّ وقتل المسلم، وأمر بقتل ابن أبي السرح لما ضم إلى ردته الطعن والافتراء)[٢] .

ومما سبق يتبين لنا: أن (قضية قتل المرتد) غير مطبقة في الواقع العملي المعيش، ووجودها في المصادر التشريعية لم يكن عقوبة ضد حرية الفكر والعقيدة، وإنما تخضع للقانون الإداري. والله سبحانه وتعالى أعلم.)[٣] .

س٩٠: لماذا قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم :(فاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) مع أنهم ماتوا قبله ؟.

ج٩٠ : قال الله عز وجل : (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ(٩٤))[٤] .

ومعنى الآية : إن كنت يا محمد – صلى الله عليه وسلم – في شك مما أنزلنا إليك أنه الحق ، فاسأل الذين يقرءون التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى ، فإنهم يعلمون أنه الحق ، فلا تكونن من الممترين الشاكين ، ولكن كن من المؤمنين الموقنين .

---

(١) سورة آل عمران .
(٢)ابن تيمية ، الصارم المسلول ، ص ٣٦٨ .
(٣) دار الافتاء المصرية ، شبهة القول بقتل المرتد ، الموقع الرسمي.
(٤) سورة يونس .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين الموقنين ، بل هو أعظم الناس إيمانا ويقيناً ، ولم يشك قط في الذي أنزل إليه من ربه أنه الحق ، ولم يسأل قط عن ذلك أيضا ، وقد صح عن سعيد بن جبير قال : (ما شك وما سأل)[1]، وتعليق الحكم بالشرط لا يستلزم تحقق الشرط ووقوعه ، كقولك للرجل : إن كنت لا تعرفني فاسأل فلاناً ، فإن هذا لا يلزم منه أنه لا يعرفك ، فمعنى الآية : إن كنت في شك فاسأل ، وإن كنت غير شاك فلا تسأل ، فإنما يسأل الشاك أو الجاهل ، أما العالم الموقن : فكيف يسأل ؟

ففي الآية نفي الشك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمْرُ الشاكين المرتابين أن يسألوا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :(النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَشُكَّ وَلَمْ يَسْأَلْ ؛ وَلَكِنَّ هَذَا حُكْمٌ مُعَلَّقٌ بِشَرْطِ ، وَالْمُعَلَّقُ بِالشَّرْطِ يُعْدَمُ عِنْدَ عَدَمِهِ ، وَفِي ذَلِكَ سَعَةٌ لِمَنْ شَكَّ ، أَوْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَجَّ ، أَوْ يَزْدَادَ يَقِينًا)[2] .

وقال ابن جرير رحمه الله :(فإن قال قائل : أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في شكٍّ من خبَرِ الله أنه حقٌّ يقين ، حتى قيل له : (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) ؟ قيل : لا . وكذلك قال جماعة من أهل العلم ، فإن قال : فما وجه مخرج هذا الكلام ، إذنْ ، إن كان الأمر على ما وصفت ؟ ، قيل : قد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا ، استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه : (إن كنت مملوكي فانتهِ إلى أمري)، والعبد المأمور بذلك لا يشكُّ سيدُه القائل له ذلك ، أنه عبده . كذلك قول الرجل منهم لابنه : (إن كنت ابني فبرَّني) ، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه ، وأنّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم ، وذكرنا ذلك بشواهده ، وأنّ منه قول الله : (وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ.. (١١٦))[3] ، وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك .

---

(١) الطبري ، التفسير ، ج١٥ ، ص ٢٠٢ .
(٢) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، ج٤ ، ٢٠٩.
(٣) سورة المائدة .

وهذا من ذلك ؛ لم يكن صلى الله عليه وسلم شاكًّا في حقيقة خبر الله وصحته ، والله تعالى كان عالمًا بذلك ؛ ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه ، بعضهم بعضًا ، إذْ كان القرآن بلسانهم نزل)[1] .

وقال ابن القيم رحمه الله :(أشكلت هذه الآية على كثير من الناس ، وأورد اليهود والنصارى على المسلمين فيها إيرادا ، وقالوا : كان في شك ، فأُمِر أن يسألنا ؟ ، وليس فيها بحمد الله إشكال ، وإنما أُتِيَ أشباه الأنعام من سوء قصدهم ، وقلة فهمهم ؛ وإلا فالآية من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وليس في الآية ما يدل على وقوع الشك ولا السؤال أصلا ، فإن الشرط لا يدل على وقوع المشروط ، بل ولا على إمكانه ، كما قال تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢))[2] ، وقوله : (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢))[3] ، وقوله :(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١))[4]، وقوله : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥))[5] ونظائره ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يسأل ، فإن قيل : فإذا لم يكن واقعا ولا ممكنا ، فما مقصود الخطاب والمراد به ؟ قيل : المقصود به : إقامة الحجة على منكري النبوات والتوحيد ، وأنهم مقرون بذلك لا يجحدونه ولا ينكرونه ، وأن الله سبحانه أرسل إليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه بذلك ، وأرسل ملائكته إلى أنبيائه بوحيه وكلامه ، فمن شك في ذلك ، فليسأل أهل الكتاب ، فأخرج هذا المعنى في أوجز عبارة ، وأدلها على المقصود ، بأن جعل الخطاب لرسوله الذي لم يشك قط ، ولم يسأل قط ، ولا عرض له ما يقتضي ذلك . وأنت إذا تأملت هذا الخطاب بدا لك على صفحاته : من شك فليسأل ، فرسولي لم يشك ولم يسأل)[5].

---

(١) الطبري ، تفسير الطبري ، ج١٥ . ص ٢٠١ – ٢٠٣ .
(٢) سورة الأنبياء .
(٣) سورة الإسراء .
(٤) سورة الزخرف .
(٥) سورة الزمر .
(٦) ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ج١ ، ص ٩٩ – ١٠٥ .

وقال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء :(تعليق الحكم بالشرط لا يستلزم تحقق الشرط ووجوده ؛ إذ قد يتعلق الحكم بشرط ممتنع كما في قوله تعالى : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) الآيات إلى قوله سبحانه : (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، فأخبر سبحانه بأن هؤلاء الأنبياء لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ، مع انتفاء الشرك عنهم ، بل مع امتناعه منهم ؛ لأنهم قد ماتوا على التوحيد ، ولأنهم معصومون من الشرك .

وقال تعالى : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ(٦٦)) .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يسأل أحدا من أهل الكتاب ؛ لأنه لم يفهم من ذلك الخطاب طلب السؤال لإزالة شك ؛ بل فهم أن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك ، فيما كذبك فيه الكافرون ، كما في قوله تعالى : (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) ، وقوله سبحانه : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ، وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) إلى أمثال ذلك من الآيات التي تدل على أن المقصود بيان أن أهل الكتاب عندهم ما يصدق محمدا صلى الله عليه وسلم ، فيما كذبه فيه المشركون من الدعوة إلى التوحيد ، وفي أن الرسل إلى البشر من البشر ، كما هي سنة الله تعالى الحكيمة .

وقد أشار الله إلى ذلك في أول هذه السورة سورة يونس قال تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ)[1].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى " (٣/٣٤٥-٣٤٦) .(٢٢٦٧٢٨تاريخ النشر : ٢٧-٠٣-٢٠١٥ ، دون تخريج كما ورد من اللجنة .

س٩١: لماذا سميت ليلة القدر بهذا الاسم ؟.

ج٩١ : اختلف العلماء في سبب تَسميتِها بليلة القدر على أقوال:

القول الأول: لأن الله تعالى يقدِّر فيها الأرزاق والآجال وما هو كائن؛ أي: يقدِّر فيها ما يكون في تلك السنَة، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام؛ قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: "يكتب في أمِّ الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنَة من الخير والشرِّ والأرزاق والآجال، حتى الحُجَّاج، يقال: يحج فلان، ويحج فلان"، وقال الحسن ومجاهد وقتادة: "يُبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخَلْق ورزِق، وما يكون في تلك السنَة[(١)].

القول الثاني: أنها مأخوذة من عِظَم القدر والشرف والشأن كما تقول: فلانٌ له قدر[(٢)]، وفلان ذو قدر عظيم، أي: ذو شرف.

القول الثالث: سُميَت بذلك لأنَّ العمل فيها له قدرٌ عظيمٌ، وهذا لا يحصل إلا لهذه الليلة فقط، فلو أن الإنسان قام ليلة النِّصف من شعبان، أو ليلة النصف من رجب، أو ليلة النصف من أي شهر، أو في أي ليلة لم يَحصُل له هذا الأجر ، يقول الشيخ ابن عثيمين: (إن الإنسان ينال أجرها وإن لم يَعلم بها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا) ولم يقل: عالمِا بها، ولو كان العلم شرطًا في حصول هذا الثواب لبيَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم[(٣)].

وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(٣)) قال: (عملُها وصيامها وقيامها خيرٌ من ألف شهر)[(٤)] ، وعن عمرو بن قيس الملائي قال: (عملٌ فيها خيرٌ من عمل ألف شهر)[(٥)]".

القول الرابع: سُميَت بذلك لأن الله تعالى قدَّر فيها إنزال القرآن[(٦)].

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٢٧ - ٢٢٨)، وانظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٢١٣) وفضائل الأوقات للبيهقي (ص: ٢١٣).
(٢) البغوي ، تفسير البغوي (٨/ ٤٨٥).
(٣)ابن عثيمين ، الشرح الممتع (٦/ ٤٩٤).
(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٥٣٣)، وانظر: شرح الصدر بذكر ليلة القدر؛ للحافظ العراقي (ص: ١٧ - ١٨).
(٥) المصدر السابق.
(٦) تفسير القرآن للعزِّ بن عبدالسلام (٣/ ٤٧٣).

القول الخامس: لأنها ليلة الحكم والفصل؛ عن مجاهد قال: "ليلة القدر ليلة الحكْم"[1] ، وقال النووي: (وسُميَت ليلة القدر، أي: ليلة الحكم والفصل، هذا هو الصحيح المشهور)[2]، [3].

س٩٢: لماذا حرم الله صيد البر وأحل صيد البحر للمحرم ؟.

ج٩٢ : يقول الله تعالى : (قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٩٦))[4] .

يقول الدكتور سليمان الماجد : (مسائل محظورات الإحرام من الأمور التعبدية التي لم يرد نص يبين علتها وحكمتها على الخصوص، ولكن لعل المراد من تحريم صيد البر دون البحر هو قصد التعبد والتعويد على الطاعة والالتزام بأمر الله؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: "ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب"؛ فهو بلوى وامتحان، وحاجة المحرم إلى صيد البر أكثر من صيد البحر فيكون الامتحان به أكبر بخلاف صيد البحر فلا يتحقق به الاختبار والامتحان لقلة المحتاجين إليه[5].

إن الشرط الأساسي في المناسك هو الإحرام والاحرام ، يعنى تجرد الحاج من زيه المميز لشخصيته بارتداء ازار شبيه بأكفان الموتى وفى ذلك يكون الحاج قد تجرد قبل ذلك من الاعتداد بشخصيته وذاته ويقتضى ذلك التواضع الذى لا يتحقق مع ما ينسبه الانسان إلى

---

(١)انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٦٥٢) .
(٢) المجموع شرح المهذب (٦/ ٤٤٧).
(٣) د. محمد أحمد عبدالغني تاريخ الإضافة: ٢٠١٤/٧/٢٠ م. - ١٤٣٥/٩/٢٢ ه.، شبكة الالوكة.
(٤) سورة المائدة .
٥٦) الموقع الرسمي للدكتور سليمان الماجد ، نشر في ١٤٣٠/٦/٢٩ هـ .

نفسه من براعة وشجاعة ومهارة وتصويب ، ومعلوم أن صيد البر ينسب عادة إلى دقة الصياد وبراعته في القدرة ومهارته وطبيعي أن ينسب صياد البر المحرم كل هذه الصفات لنفسه ويتحدث بها في مجال لا يتسع الا للتلبية وذكر الله اما صيد البحر ، فلا يستطيع صياد البحر أن ينسب صيده إلى براعته وإنما ينسب الفضل والقدرة كلها الى الله عز وجل القدير الرزاق ولا شك أن في ذلك نوعا من التسبيح يحبه الله ويرضاه[1].

س٩٣: لماذا لا نرى الجن والملائكة كالحيوانات التي تراهما ؟.

ج٩٣: روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ، فإنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وإذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فإنَّهَا رَأَتْ شيطَانًا.)[2] ، وموضوع قدره الرؤية لدى عيون الحيوانات والطيور والتي تتميز بها عن عين الإنسان بينها حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

لتبيين الموضوع وتوضيحه نذكر ما قد اكتشفه العلم الحديث في هذا المجال و هو ما أكتشفه العلماء بأن عين الديك ترى الأشعة فوق البنفسجية وتتفوق في تركيبها على عين الإنسان حيث تستطيع رؤية موجات الضوء من ٣٠٠-٧٠٠ نانوميتر بينما الإنسان يرى من ٤٠٠-٧٠٠ نانوميتر- (النانوميتر وحده قياس الاطوال الموجية) ، أي أن عين الإنسان لا تستطيع رؤية الأشعة من ٣٠٠ - ٤٠٠ نانوميتر وهى في مجال الأشعة فوق البنفسجية بينما تستطيع الطيور بما فيها الديك رؤيتها.

تتميز عين الديك عن عين الإنسان في وجود القمع الرابع بالشبكية والذي يحتوى على صبغات خاصة لرؤية الأشعة فوق البنفسجية وكذلك وجود القمع المزدوج وتسمى قدره رؤية الأشعة فوق البنفسجية بالبعد الرابع .

العلم الحديث لم يثبت بعد بان هناك مستقبلات للأشعة تحت الحمراء في شبكيه الحيوانات ومنها الحمار ولكن وجود العصيات بكميات كبيره بالشبكية أوحت عن أهميه

(١) محمد جاد ، موقع شخصي على فيسبوك.
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٧٢٩ .

الرؤية الليلة لدى الحيوانات ومنها الحمار.

هناك دراسات وأبحاث العلماء تركزت على عيون القطط والكلاب حيث وان عيون الحيوانات تتشابه في عملها فعين الحمار تكون اقرب في تركيبها إلى عين الكلب منها إلى عين الإنسان ،فبالنسبة لحساسية العين للضوء فهناك عده عوامل تؤثر في النظر ليس استقبال الضوء فحسب ولكن حقل النظر و عمق الاستقبال ، و بالنسبة لحده الأبصار وتمييز الألوان بوضوح فقد خلق الله سبحانه وتعالى عيون الحيوانات ليكون لديها القدرة للرؤية الواضحة بالضوء الخافت بينما يعتمد الإنسان أساسا على الرؤية بالضوء الساطع أي في ضوء الشمس مثلا إذ تستطيع الحيوانات التأقلم في الضوء الخافت اكثر من الإنسان بعده مرات ففي القطط مثلا يكون التكيف بالليل أكثر من قدره الإنسان بست مرات أما الكلاب فالقدرة لديها أكثر من ذلك بكثير و هناك عده طرق استنتجها العلم الحديث في دراسته للرؤية الليلية بالحيوانات : ١- في الكلاب مثلا شبكيه العين تتكون أساسا من مستقبلات خاصة بأعداد كبيره تعمل بالليل تسمى العصيات وهى موجودة في شبكيه عين الإنسان ولكن بكميات قليلة ، وهذه العصيات هي المسؤولة عن الرؤية بالليل ، الحيوان والإنسان يمتلكان شبكيه تحتوى على العصيات والأقماع لكن توزيعها وعددها يختلفان الطريقة الأخرى والتي يعتمد عليها الكلاب في الرؤية الليلية هي بواسطة الجزء العاكس من الشبكية والموجودة خلف مستقبلات الضوء في الحيوانات وهذه الطبقة لا توجد في الإنسان وتعمل كالمرآه وهى مسؤولة عن حدوث بريق عيون الحيوانات كالقطط والكلاب عند توجيه ضوء بالظلام إليها وتسمى (تابيدم ليوسيدم)Tapidum Lucidum ، وتعمل هذه الطبقة اللامعة على تطوير الرؤية الليلية وذلك بعكس الضوء الخافت إلى طبقه المستقبلات الضوئية بواسطة تغيير الأطوال الموجية للضوء الخافت إلى أطوال موجيه تستقبل بوضوح بواسطة المستقبلات الحساسة (العصيات)

٢- يوجد طبقه (تابيدم نيجرم)Tapidum nigrum وهى أسفل الشبكية ولونها داكن وتعمل على رؤية الضوء في السماء.

٣- أما بالنسبة لحقل النظر وهو المحيط الذي يمكن للعين رؤيته فتتفوق عين الحيوانات عن

عين الإنسان في ذلك فالكلب يستطيع رؤيه حقل نظر الى درجه ٢٥٠ درجه بينما الإنسان يرى ١٨٠ درجه.

٤- الديكة من الطيور والتي تستطيع تمييز الأشعة فوق البنفسجية بينما لا يستطيع الإنسان تمييزها.

٥- لم يثبت العلم بأن عين الحمار تستقبل الأشعة تحت الحمرا ء بمستقبلات خاصة مثلا ولكن من خلال حديث الرسول صلى الله عليه وسلم نتوقع وجود مستقبلات خاصة بالأشعة تحت الحمراء في شبكيه عين الحمار قد يثبت وجوده العلم في المستقبل

وذكرت الأشعة تحت الحمراء هنا لعد ه أسباب :

أ- لأنها في الجانب الآخر من الطيف (الضوء) فالديك يرى الأشعة فوق البنفسجية التي لا تراها عين الإنسان فيكون الحمار يرى الأشعة تحت الحمراء.(حسب الحديث)

ب- لان الشيطان مخلوق من نار والنار تبث أشعه تحت حمراء.

٦- أن قدرة الجهاز البصري للإنسان محدودة ...وتختلف عن القدرة البصرية للحمير، والتي بدورها تختلف في قدرتها عن القدرة البصرية للديكة ٬ وبالتالي فإن قدره البصر لدى الانسان محدود لا ترى ما تحت الأشعة الحمراء ، ولا ما فوق الأشعة البنفسجية ... لكن قدره الديكة والحمير تتعدى ذلك ..

٧- إن الحمير ترى الأشعة تحت الحمراء والشيطان وهو من الجان خلق من نار أي تصدر منه الأشعة تحت الحمراء.. لذلك ترى الحمير الجن ولا ترى الملائكة ..أما الديكة فترى الأشعة فوق البنفسجية والملائكة مخلوقة من نور أي تصدر منه الاشعة فوق البنفسجية، لذلك تراها الديكة ، وهذا يفسر لنا لماذا تهرب الشياطين عند ذكر الله ..والسبب هو لأن الملائكة تحضر إلى المكان الذي يذكر فيه اسم الله فتهرب الشياطين ، إذن : لماذا تهرب الشياطين عند وجود الملائكة ؟الجواب لأن الشياطين تتضرر من رؤية نور الملائكة فإذا اجتمعت الأشعة الفوق بنفسجية والأشعة الحمراء في مكان فإن الأشعة الحمراء تتلاشى.

وفى الأخير لازلنا بالقرآن والسنه النبوية الشريفة نتفوق علميا على الآخرين ، ومن ذلك أن سبب صياح الديك في الصباح الباكر وكذا زقزقه العصافير هو وجود الملائكة (المخلوقات النورانية) وبكثره وان هناك تأثيرات لا مرأيه تؤثر على حياه وسلوك الحيوانات والطيور[1] .

يقول الكاتب فهد عامر الأحمدي : (أثناء طفولتي كنت – مثل كل الأطفال – أسعد كثيراً بالذهاب إلى بيت جدتي واختلاق أي عذر للبقاء هناك، وكانت لديهم قطة بيضاء تتصرف مثل كل القطط حتى تقترب من ركن مميز من المنزل فتتوقف لفترة طويلة – وكأنها رأت شيئاً مخيفاً – ثم تبدأ بالتكشير والصراخ.. حينها كانت جدتي تتعوذ من الشيطان معتقدة أنها رأت جانا أو مارداً فيما كانت خالتي تصر على أنها تتابع (خط النمل) على الجدار.. ولحسم الموضوع أتيت بخرقة مبللة ومسحت خط النمل وجلست أمام الركن منتظراً قدوم القطة. وحين قدمت وكررت نفس التصرف أيقنت أنها ترى شيئاً خفياً فتملكني الرعب وأصبحت أخاف من ذلك الركن!.

هذه الحادثة قد تسمع شبيهاً لها من كل شخص امتلك حيواناً أليفاً، فكلاب الحراسة تثور بين الحين والآخر وتوجه نباحها وتهديدها لشيء لا يراه البشر. وفي كثير من الأحيان ترفض القطط أو الكلاب دخول مكان معين – خصوصاً دورات المياه – خوفاً من شيء لا نراه نحن.. وحين أخبرت أصدقائي بالقصة السابقة، قال إن شقيقته كان لديها قطة ترى دائماً شيئاً في السقف – لا يراه أهل المنزل – وتتابعه من كل جانب!.

واليوم أصبح معروفاً أن الحيوانات تتمتع بمدى رؤية – وسمع – يفوقان الإنسان بكثير. فمن المعروف أن أعيننا تستعمل الضوء للإبصار.. ولكن الضوء بحد ذاته جزء (ونطاق محدود) من الأشعة الكهرومغناطيسية، ولو كانت أعيننا قادرة على التعامل مع أشعة جاما أو الأشعة السينية (التي تسبق الضوء في النطاق الموجي) لرأينا من خلال الجدران والأجسام الصلبة، ولو كانت تستطيع التعامل مع الأشعة تحت الحمراء أو الموجات الراديوية (التي تلي الضوء في

---

(١) منتدي قصة العلوم

النطاق الموجي) لاستطعنا الرؤية في الظلام وشاهدنا الكون بطريقة مختلفة تماماً.. وكثير من الحيوانات (وبالذات فصيلة السنوريات والقطط) تتمتع ببصر حاد يتجاوز الحد الطيفي للضوء. كما تتمتع حيوانات ليلية كثيرة (كالبومة والأفعى) بالقدرة على تركيز الأشعة تحت الحمراء وبالتالي الرؤية بالليل!!.

أما بالنسبة للسمع فالأذن البشرية أيضاً محصورة في نطاق محدد لا يمكن تجاوزه أو النزول عنه. وهذا يعني أن هناك أصواتاً أخفى من أن نسمعها وأعظم من أن تستطيع آذاننا التعامل معها – بل يمكن القول إن الإنسان يعد أصماً مقارنة بالوطواط والجراد–.. فالإنسان مثلاً لا يستطيع سماع الأصوات التي يقل مستواها عن ٢٠ديسبل (وحدة قياس الصوت) ولا يسمع التي تزيد عن ٢٠ألفاً، وفي المقابل تسمع القطة نبرات صوتية مرتفعة تصل إلى ٦٥ألف ديسبل في حين يتفوق الوطواط والجراد على الإنسان بخمسة أضعاف ويسمع أصواتاً تصل إلى ١٠٠ألف ديسبل. أما الكلاب فتسمع أصواتاً خفية لا يسمعها الناس تنخفض إلى ١٥ديسبل.. وتوجد حالياً في الأسواق صافرات "تحت صوتية" لا يسمعها البشر ولكن تستجيب لها الكلاب من مسافة بعيدة ، وهذه الحقائق الفيزيائية تساندها أحاديث صريحة تدل على قدرة الحيوانات على سماع ورؤية ما لا يراه البشر.. فهناك مثلاً قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم أصوات الديكة فسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا". وقال أيضاً: "يا معشر أهل الإسلام أقلوا الخروج بعد هدوء الرِّجل فإن لله دواب يبعثهن في الأرض فمن سمع نباح كلب أو نهاق حمار فليستعذ بالله من الشيطان فإنهن يرين ما لا ترون".. وجاء في عذاب القبر حديث طويل قال في نهايته "... فيضربه ضربة فيسمعها الخلائق إلا الثقلين" – الإنس والجن!!.. (أتساءل فقط) عن إمكانية اللجوء للديوك والكلاب – وربما الحمير – لكشف الجان وتحديد الملك من الشيطان!!)[1].

(١) جريدة الرياض الثلاثاء ٢٩ رمضان ١٤٤٢هـ ١١ مايو ٢٠٢١م

س٩٤ : لماذا تكرر الرقم سبعة كثيرا في القرآن الكريم والسنة النبوية؟ .

ج ٩٤ : يقول الدكتور عبد الدائم الكحيل : (لا مصادفة في كتاب الله، ولذلك نقول :

١- يعتقد البعض بأن ما نراه من تناسقات عددية إنما هو من قبيل المصادفة، ولذلك يجب أن ندرك أنه لا مصادفة في كتاب الله تعالى بل إحكام وإعجاز. فلو تأملنا القرآن نلاحظ أن أول رقم ذُكر في القرآن هو الرقم سبعة، ولو تأملنا الكون نلاحظ أن كل ذرة من ذراته تتألف من سبع طبقات.

٢- فعندما يخبرنا الله تعالى أن عدد السموات سبعاً، ثم نجد أن ذكر السَّموات السَّبع قد تكرر في القرآن سبع مرات، فندرك أن هذا التناسق لم يأتِ عبثاً، إنما هو بتقدير من الله تعالى.

٣- وعندما يخبرنا ربنا تبارك وتعالى أن عدد أبواب جهنم هو سبعة، ثم نكتشف أن كلمة (جهنَّم) تكررت في القرآن عدداً من المرات هو من مضاعفات الرقم سبعة، إذن لابد أن يكون من وراء ذلك حكمة، وهي أن الذي جعل لجهنم سبعة أبواب هو الذي أنزل هذا القرآن وأحكم كلماته بهذا التناسق العجيب.

٤- وقد تكون الحكمة من هذا الرقم هي أن ندرك عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته في خلقه وأنه قد أحاط بكل شيء علماً، يقول تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً(١٢))[1].

٥- وعندما نتأمل أول مرة وآخر مرة ذُكر فيها الرقم سبعة في القرآن نجد أن هذا الرقم يُذكر للمرة الأولى في سورة البقرة في قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٢٩))[2]. وآخر مرة ورد فيها الرقم سبعة نجده في سورة النبأ في قوله تعالى: (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً(١٢))[3].

---

(١) سورة الطلاق .
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة النبأ .

فلو قمنا بعدّ السور من سورة البقرة إلى سورة النبأ، أي من السورة التي ذُكر فيها الرقم سبعة لأول مرة وحتى السورة التي ذُكر فيها الرقم سبعة لآخر مرة، وجدنا بالضبط سبعاً وسبعين سورة، وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة، فهو يساوي سبعة في أحد عشر.

ولو قمنا بعدّ الآيات من الآية الأولى أي من قوله تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) إلى قوله تعالى: (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً) وجدنا خمسة آلاف وست مئة وتسع وأربعون آية، وهذا العدد من مضاعفات الرقم سبعة أيضاً.

ولو قمنا بعدّ الآيات التي تسبق الآية الأولى لوجدنا ٢٨ آية، ولو قمنا بعدّ الآيات التي تلي الآية الأخيرة لوجدنا ٢٨ آية أيضاً، والعدد ٢٨ من مضاعفات الرقم سبعة.

وسبحان الله! كيف يمكن أن تأتي المصادفة بنظام بديع كهذا؟ الرقم سبعة يذكر للمرة الأولى في سورة البقرة ويذكر للمرة الأخيرة في سورة النبأ، ويأتي عدد السور من مضاعفات الرقم سبعة، وعدد الآيات من مضاعفات الرقم سبعة، وعدد الآيات التي تسبق الآية الأولى من مضاعفات السبعة، وعدد الآيات التي تلي الآية الأخيرة من مضاعفات السبعة! فأي إنسان عاقل يمكن أن يصدق بأن المصادفة هي التي جاءت بمثل هذا التناسق المحكم؟!

إنها أول سورة وأعظم سورة وهي أمُّ القرآن، إنها سورة الفاتحة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم عنها: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه)[1].

وقد اخترنا هذه السورة لأنها مفتاح الإعجاز في كتاب الله تعالى. فإذا ما تأملنا اسم هذه السورة (السَّبع المثاني) وجدناه يتألف من كلمتين:

(السَّبع): وتتضمن هذه الكلمة إشارة للرقم سبعة.

(المثاني) وتتضمن هذه الكلمة إشارة إلى التثنية والتكرار، تقول العرب ثنَّاه أي جعله اثنين، وجاؤوا مثنى: أي اثنين اثنين، كما في القاموس المحيط، وقد يكون في هذا الاسم إشارة لوجود نظام يقوم على الرقم سبعة ومكرراته، وهذا ما سنلمسه من خلال الحقائق الرقمية الآتية:

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٠٦ .

الحقيقة الأولى : لقد سمّى الله تبارك وتعالى سورة الفاتحة بالسبع المثاني، وجاء عدد آيات السورة مساوياً سبع آيات، إذن هنالك تناسق بين اسم السورة وعدد آياتها. ولو عددنا الحروف التي تتألف منها سورة الفاتحة وجدنا ٢١ حرفاً (عدا المكرر) أي من مضاعفات الرقم سبعة.

الحقيقة الثانية: بما أن الله تعالى هو من أنزل هذه السورة فهل أودع فيها ما يدل على أن هو قائل هذه الكلمات؟ من أعجب التوافقات مع الرقم سبعة أن عدد حروف اسم (الله) في سورة الفاتحة هو (سبعة في سبعة)! فاسم (الله) مؤلف من ثلاثة حروف ألفبائية، هي الألف واللام والهاء، وإذا قمنا بعدّ هذه الحروف في سورة الفاتحة وجدنا حرف الألف يتكرر ٢٢ مرة، وحرف اللام يتكرر ٢٢ مرة أيضاً، أما حرف الهاء فقد تكرر ٥ مرات، ومجموع هذه الأعداد هو ٤٩ حرفاً: ٤٩ = ٧×٧ ، وكأن الله تبارك وتعالى يريد أن يعطينا إشارة لطيفة إلى أنه هو من أنزل هذه السورة ولذلك سمّاها بالسبع المثاني، وجعل عدد حروف اسمه فيها مساوياً سبعة في سبعة، فتأمل هذا التناسق المحكم!

الحقيقة الثالثة : هنالك آية تتحدث عن سورة الفاتحة هي قوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)، هناك تناسق سباعي بين كلمات سورة الفاتحة وكلمات الآية التي تتحدث عن سورة الفاتحة، فعدد كلمات سورة الفاتحة هو ٣١ كلمة، وعدد كلمات الآية التي تحدثت عن سورة الفاتحة هو ٩ كلمات، ويكون العدد الناتج من صفّ هذين الرقمين ٩٣١ من مضاعفات الرقم سبعة مرتين. ٩٣١ = ٧ × ٧ × ١٩

لقد أراد الله لهذه الآية أن تكون في سورة الحجر، وسورة الحجر تبدأ بالحروف المقطعة (الر)، ولو بحثنا عن تكرار هذه الحروف في الآية لوجدنا حرف الألف يتكرر ٧ مرات، وحرف اللام يتكرر ٤ مرات، وحرف الراء يرد مرة واحدة. والعجيب أن العدد الناتج من صف هذه الأرقام هو ١٤٧ من مضاعفات الرقم سبعة مرتين أيضاً. ١٤٧ = ٧ × ٧ × ٣

والأعجب من ذلك أن الحروف ذاتها في سورة الفاتحة تتكرر بنظام مماثل! فحرف الألف تكرر

في سورة الفاتحة ٢٢ مرة وحرف اللام تكرر ٢٢ مرة أما حرف الراء فقد تكرر ٨ مرات. وعند صفّ هذه الأرقام نجد عدداً من مضاعفات الرقم سبعة مرتين: ٨٢٢٢٢ = ٧ × ٧ × ١٦٧٨ ، والسؤال: أليست هذه معجزة تستحق التدبّر والتفكر؟

الحقيقة الرابعة : في سورة الفاتحة لدينا سبع آيات، وكل آية خُتمت بكلمة محددة، وهذه الكلمات هي: (الرَّحِيمِ، الْعَلَمِينَ، الرَّحِيمِ، الدِّينِ، نَسْتَعِينُ، الْمُسْتَقِيمَ، الضَّالِّينَ) ، وقد سميت هذه الكلمات قديماً فواصل السورة، فهي التي تفصل بين الآيات. والعجيب أن حروف هذه الكلمات السَّبع جاءت بنظام يقوم على الرقم سبعة. فلو قمنا بعدّ حروف هذه الكلمات السَّبع نجدها على الترتيب: ٦-٧-٦-٥-٦-٨-٧ حرفاً.

إن العدد المتشكل من صف هذه الأرقام هو ٧٨٦٥٦٧٦ من مضاعفات الرقم سبعة خمس مرات متتالية!! ٧٨٦٥٦٧٦ = ٧×٧×٧×٧×٧×٤٦٨

وإذا تأملنا طريقة رسم كلمات القرآن نجد كلمات كثيرة قد كُتبت بطريقة خاصة، مثل (العَلَمِينَ) فهذه الكلمة كُتب من دون ألف، ولو فكر أحد بإضافة حرف الألف فسيؤدي ذلك إلى انهيار البناء الرقمي المحكم ويختفي إعجاز الرقم سبعة ، وفي هذا برهان على وجود إعجاز في رسم كلمات القرآن الكريم. وهذا يثبت بما لا يقبل الشك أنه لو تغير حرف واحد من هذه السورة لاختفى هذا التناسق المحكم، ولكن الله هو الذي حفظ القرآن وحفظ هذه التناسقات الرقمية، لتكون دليلاً مادياً على صدق كتابه المجيد.

لو تساءلنا عن لغة الأرقام في القرآن العظيم، وتدبَّرنا الأرقام الواردة فيه، ودرسنا دلالات كل رقم، فهل فضَّل الله تعالى رقماً عن سائر الأرقام؟ بلا شك إن الرقم الأكثر تميّزاً في كتاب الله تعالى بعد الرقم واحد هو الرقم سبعة! فهذا الرقم له خصوصية في عبادات المؤمن وفي أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، وفي الكون والتاريخ وغير ذلك.

العجيب جداً أن اسم (الله) هو أكثر كلمة تكررت في القرآن الكريم، وهذه ميزة يتميز بها كتاب الله عن غيره، فلا يوجد كتاب واحد في العالم كله يكون اسم مؤلفه هو الكلمة الأكثر تكراراً، وهذا دليل مادي على أن هذا القرآن هو كلام الله!

ولكن ما هي أسرار هذا الرقم؟ ولماذا تكرر ذكره في العديد من المناسبات القرآنية؟ لنبدأ بهذه المقارنة بين الكون والقرآن.

البناء الكوني والبناء القرآني والرقم سبعة :

هذا الكون الواسع من حولنا بكل أجزائه ومجرّاته وكواكبه.. كيف تترابط وتتماسك أجزاؤُه؟ من حكمة الله تعالى أنه اختار القوانين الرياضية المناسبة لتماسك هذا الكون، ومن هذه القوانين قانون التجاذب الكوني على سبيل المثال، هذا القانون يفسر بشكل علمي لماذا تدور الأرض حول الشمس ويدور القمر حول الأرض...، هذا بالنسبة لخلق الله تعالى فماذا عن كلام الله؟

حتى نتخيل عظمة كلمات الله التي لا تحدها حدود يجب أن ننظر إلى كتاب الله على أنه بناء مُحكَم من الكلمات والأحرف والآيات والسور، وقد نظّم الله تعالى هذا البناء العظيم بأنظمة مُعجِزة.

إذن خالق الكون هو مُنَزِّل القرآن، والذي بنى السماوات السبع هو الذي أنزل القرآن، وكما نرى من حولنا للرقم سبعة دلالات كثيرة في الكون والحياة نرى نظاماً متكاملاً في هذا القرآن يقوم على الرقم سبعة، وهذا يدل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وأن القرآن هو كتاب الله عزَّ وجلَّ.

لماذا اقتضت مشيئة الله عزَّ وجلَّ اختيار الرقم ٧ ؟:

هذا الرقم يملك دلالات كثيرة في الكون والقرآن وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، حتى تكرار هذا الرقم في كتاب الله جاء بنظام محكم، وهذا البحث يقدم البراهين على ذلك، فلا يوجد كتاب واحد في العالم يتكرر فيه الرقم سبعة بنظام مشابه للنظام القرآني، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الرقم وأنه رقم يشهد على وحدانية الله تعالى.

فعندما ندرك أن النظام الكوني قائم على الرقم سبعة، ونكتشف الرقم ذاته يتكرر بنظام في كتاب أنزل قبل أربعة عشر قرناً، فإن هذا التشابه يدل على أن خالق الكون هو منَزِّل القرآن

سبحانه وتعالى.

الرقم سبعة في الكون :

١- عندما بدأ الله خلق هذا الكون اختار الرقم سبعة ليجعل عدد السماوات سبعة وعدد الأراضين سبعة، يقول عزَّ وجلَّ: (اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَّ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(١٢))[١] .

٢- كل ذرة من ذرات هذا الكون تتألف من سبع طبقات إلكترونية بعضها فوق بعض، وهذا قانون ثابت في الكون كله، يشهد على وحدانية الخالق تبارك وتعالى!

٣- حتى الذرة التي تعد الوحدة الأساسية للبناء الكوني تتألف من سبع طبقات إلكترونية ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك. كما أن عدد أيام الأسبوع سبعة وعدد العلامات الموسيقية سبعة وعدد ألوان الطيف الضوئي المرئي هو سبعة. ويجب ألا يغيب عنا أن علماء الأرض اكتشفوا حديثاً أن الكرة الأرضية تتكون من سبع طبقات!

٤- الأرض تتألف من سبع طبقات بعضها فوق بعض، وهذه الميزة حدثنا عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً في زمن لم يكن أحد يعلم شيئاً عن طبقات الأرض، فسبحان الله!

٥- أن الطيف الضوئي (ألوان قوس قزح) يتألف من سبعة ألوان، ولو تأملنا الكون من حولنا نرى الكثير من الدلالات لهذا الرقم بما يشهد على أن الله تعالى أودع سر هذا الرقم في الكون، وأودع سراً آخر في القرآن ليقول لنا إن منزل القرآن هو خالق الكون!

الرقم سبعة في السُّنَّة النبوية:

كثيرة هي الأحاديث النبوية الشريفة التي نطق بها سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم. وقد كان للرقم سبعة حظ وافر في هذه الأحاديث وهذا يدل على أهمية هذا الرقم وكثرة دلالاته وأسراره..

١- فعندما تحدث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن الموبقات حدد سبعة أنواع فقال:

---

(١) سورة الطلاق .

(اجتنبوا السبع الموبقات....)[١]

٢- عندما تحدث عن الذين يظلُّهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة حدد سبعة أصناف، فقال: (سبعة يُظلّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه...)[٢]

٣- عندما يتحدث عن الظلم وأخْذِ شيءٍ من الأرض بغير حقِّه فإنما يجعل من الرقم سبعة رمزاً للعذاب يوم القيامة، يقول عليه الصلاة والسلام: (مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأرضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أراضين)[٣] .

٤- عندما أخبرنا عليه الصلاة والسلام عن أعظم سورة في كتاب الله قال: (الحمدُ لله ربِّ العالمين هي السَّبْعُ المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه)[٤] .

٥- في السجود يخبرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن الأمر الإلهي بالسجود على سبعة أعضاء فيقول: (أُمرت أن أسْجُدَ على سَبْعَةِ أَعْظُم)[٥]، إذاً لا تصح الصلاة إلا إذا سجد المؤمن على سبعة أعضاء وهي اليدين والقدمين والركبتين وجبهة الوجه.

٦- إذا ولغ الكلب في الإناء فإن طهوره يتحدد بغسله سبع مرات إحداهن بالتراب.

٧- عندما قدم أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يخبره عن المدة التي يختم فيها القرآن فقال عليه الصلاة والسلام: (فاقرأه في سَبْعٍ ولا تَزِدْ على ذلك)[٦]

٨- عندما تحدث عن القرآن جعل للرقم سبعة علاقة وثيقة بهذا الكتاب العظيم فقال: (إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف)[٧] .وهذا الحديث يدل على أن حروف القرآن تسير بنظام سباعي مُحكَم، والله تعالى أعلم.

٩-تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن جهنَّم يوم القيامة فقال: (يُؤتَى بِجَهَنَّم يومئذٍ لَها

---

(١) الإمام البخاري ،صحيح لبخاري و رقم الحديث ٦٨٥٧ .
(٢) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٦٠ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٢٤٥٣ .
(٤)المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٠٠٦.
(٥)المصدر السابق ، رقم الحديث ٨١٢ .
(٦)المصدر السابق ، رقم الحديث ٥٠٥٤ .
(٧) الألباني ، السلسلة الصحيحة ، رقم الحديث .١٥٢٢ .

سبعون ألفَ زمام)[1]

١٠- كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستجير بالله من عذاب جهنَّم سبع مرات فيقول: (اللهمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ)[2] .

١١- وفي أسباب الشفاء أمرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن نقول سبع مرات: (أعوذُ بالله وقدرته من شرِّ ما أجد وأحاذر)[3] .

١٢- حتى عندما يكون الحديث عن الطعام نجد للرقم سبعة حضوراً، يقول صلى الله عليه وسلم: (من تصبَّح كلَّ يوم بسبع تَمرات عجوة لم يضرَّه في ذلك اليوم سمٌّ ولا سِحْرٌ)[3].

١٣- أما الحديث عن الصيام في سبيل الله نجد من الأجر الشيء الكثير الذي أعده الله للصائم. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعَدَ الله بذلك اليوم وجهَهُ عن النار سبعين خريفاً)[4] .

١٤- كما كان عليه الصلاة والسلام يستغفر الله سبعين مرة. وكان يقول عن مضاعفة الأجر: (لُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إلى سَبْعمِئَة ضِعْفٍ)[5].

١٥- وفي اللجوء إلى الله تعالى لإزالة الهموم كان النبي عليه صلوات الله تعالى عليه وسلامه يردد سبعاً هذه الآية: (حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(١٢٩))[6].

وهكذا نرى بأن الرقم سبعة هو الرقم الأكثر تميزاً في أحاديث المصطفى عليه صلوات الله وسلامه. هذه الأحاديث الشريفة وغيرها كثير تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصَّ هذا الرقم بالذكر دون سائر الأرقام بسبب أهميته، فهو الرقم الأكثر تكراراً في أحاديث

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٨٤٢ .
(٢) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ١٦٢٤ .قال عنه السخاوي في القول البديع برقم ٢٣١ بأن إسناده لا يصح
(٣)الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٠٤٧ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ١١٥٣ .
(٥) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١٥١ .
(٦) سورة التوبة .

المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهو الرقم الأكثر تكراراً في القرآن (بعد الرقم واحد) وهو الرقم الأكثر تكراراً في الكون.

الرقم سبعة والفاتحة :

فاتحة الكتاب هي أعظم سورة في القرآن وهي السبع المثاني وتتألف من سبع آيات، والعجيب أن هذه السورة تحوي نظاماً عددياً رائعاً يقوم على الرقم سبعة، مثلاً: عدد حروف اسم (الله) في هذه السورة المباركة هو سبعة في سبعة، أي تكرر حرف الألف ٢٢ مرة وحرف اللام تكرر ٢٢ مرة وحرف الهاء تكرر ٥ مرات والمجموع ٤٩ أي سبعة في سبعة!!

الرقم سبعة والحج :

نعلم جميعاً أن عبادة الحج تمثل الركن الخامس من أركان الإسلام. في هذه العبادة يطوف المؤمن حول بيت الله الحرام سبعة أشواط. ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط أيضاً.

وعندما يرمي الحصيات فإن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد رمى سبع حصيات أيضاً. وقد ورد ذكر هذا الرقم في الآية التي تحدثت عن الحج العمرة، يقول الله تعالى: (فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ(١٩٦))[١].

الرقم سبعة في القصة القرآنية :

تكرر ذكر الرقم سبعة في القَصَص القرآني:

١- نبيُّ الله نوح عليه السلام يدعو قومه للتفكر في خالق السماوات السبع فيقول لهم: (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً(١٥))[٢].

٢- يوسف عليه السلام فقد فسَّر رؤيا الملك القائمة على هذا الرقم، وقد تكرر ذكر هذا الرقم في سياق سورة يوسف مرات عديدة. يقول تعالى:

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة نوح .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ(٤٣)﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ(٤٨)﴾[٢].

٣- ورد ذكر الرقم سبعة في عذاب قوم هود الذي أرسله الله إلى قبيلة عاد فأرسل عليهم الله الريح العاتية، يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً(٧)﴾[٣].

٤- في قصة موسى عليه السلام وورد ذكر الرقم سبعين وهو من مضاعفات الرقم سبعة، يقول تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا(١٥٥)﴾[٤].

٥- وقد ورد هذا الرقم في قصة أصحاب الكهف، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ(٢٢)﴾[٥]

إذن هناك علاقة بين تكرار القصة القرآنية والرقم سبعة. والذي يتابع تاريخ الشعوب القديم يلاحظ بأن الرقم سبعة يتكرر كثيراً، خصوصاً في تاريخ الفراعنة بمصر القديمة.

الرقم سبعة ويوم القيامة :

١- كلمة (القيامة) تكررت في القرآن الكريم سبعين مرة أي عدداً من مضاعفات السبعة،

---

(١) سورة يوسف .
(٢)سورة يوسف .
(٣) سورة الحاقة .
(٤)سورة الأعراف .
(٥)سورة الكهف .

فالعدد سبعين هو حاصل ضرب سبعة في عشرة: ٧٠ = ٧ × ١٠.

٢- كلمة (جهنَّم) تكررت في القرآن كله سبعاً وسبعين مرة، أي عدداً من مضاعفات السبعة: ٧٧ = ٧ × ١١.

٣- أبواب جهنم السبعة يقول سبحانه وتعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) [الحجر: ١٥/٤٤].

٤- عذاب الله في ذلك اليوم فنجد حضوراً لمضاعفات الرقم سبعة، يقول عزَّ وجلَّ: (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ(٣٢))[١]

٥- الله تعالى قد ذكر الرقم سبعة عند الحديث عن كلماته: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٢٧))[٢] .

الرقم سبعة والصدقات :

ورد ذكر هذا الرقم في مضاعفة الأجر من الله تعالى لمن أنفق أمواله في سبيل الله، يقول تعالى: (مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ(٢٦١))[٣].

الرقم سبعة والصدقات :

ورد ذكر الرقم (سبعين) وهومن مضاعفات السبعة في سورة التوبة في استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ(٨٠))[٤].

الرقم سبعة والتسبيح :

في القرآن الكريم سبع سور بدأت بالتسبيح لله تعالى، وهي: (الإسراء ، الحديد ، الحشر ،

---

(١) سورة الحاقة .
(٢) سورة لقمان .
(٣) سورة البقرة .
(٤)سورة التوبة .

الصف ، الجمعة ،. التغابن ، الأعلى) كما هو آت :

١- (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(١))[1] .

٢- (سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١))[2]

٣- (سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١))[3] .

٤- (سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١))[4] .

٥- (يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(١))[5].

٦- (يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١))[6] .

٧- (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى(١))[7].

إذن هنالك علاقة بين تسبيح الله والرقم سبعة، ولذلك فقد ارتبط هذا الرقم مع ذكر التسبيح وذكر السماوات في قوله تعالى: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً(٤٤))[8] .

الرقم سبعة و السموات :

السماوات عددها سبعة والعجيب أن ذكر السموات السبع تكرر في القرآن سبع مرات بالتمام والكمال، فهل هذه مصادفة؟ إن الله الذي خلق سبع سماوات هو الذي أنزل القرآن وذكر فيه هذه السموات السبع بعددها (أي سبع مرات)!

---

(١) سورة الإسراء .
(٢) سورة الحديد .
(٣) سورة الحشر .
(٤) سورة الصف .
(٥) سورة الجمعة .
(٦) سورة التغابن .
(٧) سورة الأعلى ..
(٨) سورة الإسراء .

الرقم سبعة وحروف القرآن:

١- لقد اقتضت حكمة البارئ سبحانه وتعالى أن يُنَزِّل هذا القرآن باللغة العربية، وجعل عدد حروف هذه اللغة ثمانية وعشرين حرفاً، أي: ٢٨ = ٧ × ٤ .

٢- ونجد في أول سورة من القرآن هذا الرقم في آيات سورة الفاتحة التي افتتح الله تعالى بها هذا القرآن وجعلها سبع آيات. وقد خاطب الله سبحانه وتعالى سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام فقال له: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ(٨٧))[(١)].

٣- والسبع المثاني هي سورة الفاتحة وهي أعظم سورة في القرآن الكريم وهي سبع آيات، وعدد الحروف الأبجدية التي تركبت منها هذه السورة هو ٢١ حرفاً أي عدداً من مضاعفات الرقم سبعة.

٤- القرآن الكريم هنالك سور مميزة ميزها الله تعالى عن غيرها فوضع في أوائلها حروفاً مميزة مثل: (الم . الر . حم . يس . ق.....).

إن عدد هذه الافتتاحيات المميزة عدا المكرر أربعة عشر، أي من مضاعفات السبعة. وإذا أحصينا الحروف التي تركبت منها هذه الافتتاحيات عدا المكرر، أي عددنا الحروف الأبجدية التي تركبت منها الافتتاحيات المميزة الأربعة عشر، وجدنا أيضاً أربعة عشر حرفاً ، وهذه الحروف موجودة كلها في سورة الفاتحة، وإذا عددنا الحروف المميزة في سورة السبع المثاني عدا المكرر نجد ١٤ حرفاً، وإذا عددنا هذه الحروف مع المكرر نجد ١١٩ حرفاً، وهذا العدد من مضاعفات السبعة.

خَلْقُ السَّماوات والرقم سبعة :

هنالك عبارات تتحدث عن خلق السماوات والأرض في ستة أيام، فلو بحثنا في كتاب الله تعالى عن هذه الحقيقة، أي حقيقة خلق السماوات والأرض في ستة أيام نجدها تتكرر في سبع آيات بالضبط وهي:

---

(١) سورة الحجر .

١- (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٥٤))[١] .

٢- (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ(٣))[٢].

٣- (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ(٧))[٣].

٤- (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً(٥٩))[٤].

٥- (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(٤))[٥].

٦- (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ(٣٨)) [٦].

٧- (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٤))[٧] .

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة يونس .
(٣) سورة هود .
(٤)سورة الفرقان .
(٥) سورة السجدة .
(٦) سورة ق .
(٧) سورة الحديد .

حقيقة السَّماوات السبع:

ولو بحثنا في كتاب الله تعالى عن حقيقة السماوات السبع نجد أن الرقم سبعة ارتبط بالسماوات السبع بالتمام والكمال سبع مرات وذلك في القرآن كلِّه. وهذه الآيات السبع:

١- (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٢٩))[١] .

٢- (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً(٤٤))[٢].

٣- (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(٨٦))[٣] .

٤- (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(١٢))[٤] .

٥- (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً(١٢))[٥] .

٦- (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ(٣))[٦] .

٧- (أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً(١٥))[٧].

فتأمل هذا التناسق، هل جاء بالمصادفة؟! إن كل هذه الحقائق الرقمية التي تأتي دائماً متناسبة مع الرقم سبعة أليست بمثابة إشارات لنا لكي نبحث عن أسرار هذا الرقم في كتاب الله [٨].

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) سورة المؤمنون .
(٤) سورة فصلت .
(٥) سورة الطلاق .
(٦) سورة الملك .
(٧) سورة نوح .
(٨) الموقع الرسمي للدكتور عبد الدائم الكحيل .

س ٩٥ : لماذا أمر الله لوطا وأهله ألا يلتفتوا وراءهم عند خروجهم من قريتهم ؟.

ج٩٥: يقول الدكتور ناصر العمر : (وقد رأيت في الآية (ولا يلتفت منكم أحد) تقريرا لمنهاج تربوي ينبغي لزومه، والسير على جادته، وهذا ما فصلته في هذه الرسالة.

فتحدثت عن النهي عن الالتفات، وبينت السبب الذي دعاني للاسترسال في الموضوع، وأشرت إلى أقوال أهل اللغة والتفسير حول الآية الكريمة، ثم ذكرت قصصا من أخبار الأنبياء عليهم السلام، تبين استمساكهم بالإمساك عن الصوارف في حياتهم، ثم تحدثت عن المنهج في سنة محمد، وكيف كان يتبدى في سيرته جليا.

وأوضحت أهمية الحذر من التفات القلب، لأنه سبيل السلامة من التفات المرء ببدنه، ثم تعرضت لبعض الأسباب التي تقطع الناس عن سبيلهم، وتجعلهم يلتفتون عن مقاصدهم.

وختمت الحديث بذكر الالتفات الجائز والرجوع إلى الحق والاهتمام بالمشورة.

أسباب الحديث عن هذا الموضوع :

١- تربص الباطل وأهله بالأمة وأبنائها ودعاتها وعلمائها ومنهجها الأصيل، وهذه الهجمة تركت أثرها في نفوس بعض المسلمين.

٢- حملة التشكيك التي يمارسها العلمانيين والليبراليين والمنافقين، مما أحدث تشكيكا في عقول فصيل من أبناء الأمة.

٣- الاضطراب الذي يعيشه بعض الدعاة وطلاب العلم، مما أدى لتراجع بعضهم أمام تلك الضغوط عما كان يقرره وينصره وينشره من الحق.

٤- طول الطريق واستيحاش كثير من الصالحين والسالكين، مما أدى لبعضهم بالانعزال والانخذال والضعف.

الخطوات الأربع :

خطوات أربع يجب أن يراعيهن السائرون في طريق الحق، في كيفية بدء أعمالهم ومشاريعهم، وكيفية رسم الطريق نحو أهدافهم .. وهي :

١- على المرء أن يحدد مشروعه في الحياة، وأن يجعل له هدفا ساميا، ويضعه نصب عينيه،

مراعيا في ذلك قدراته ومميزاته.

٢- أن يدرس هذا المشروع من الناحية الشرعية، ويكيفه بالصورة التي يرى أن فيها رضا الله سبحانه.

٣- أن يدرس الوسائل المستعملة في قطع الطريق، وأن يختار أنسبها.

٤- أن يجد في السير بعد ذلك مستقيما إلى ذلك الهدف، في ذلك الطريق، عبر تلك الوسائل، ولا يلتفت حتى يبلغ القصد.

إن الأمة مليئة بالأخيار والصالحين ولله الحمد، لكن المشكلة تكمن في قلة من يحملون مشاريع تخدم الأمة، ثم في القلة التي تحمل المشاريع وتعقد عليها الآمال، هل درست مشاريعها، وحررت أهدافها، وحددت سبلها، وعرفت وسائلها الملائمة لها؟ ثم هل استقامت عليها بعد ذلك، ولم تلتفت للمشغلات والمغريات والمثبطات؟

كثير من الناس يتيهون في خضم الحياة عن سبيلهم الذي يجب أن يسيروا فيه ويستقيموا عليه، فيغيب الطريق عن بعضهم، وتغيب الوسائل الصالحة لقطعه عن آخرين، وقد يبتدئ بعضهم في السير ثم ينشغل عن مقصده الساعي إليه ومراده السائر نحوه، فنرى الانحراف بعد الاستقامة، والتساقط بعد الجد والوثب، وأصل البلاء التفات القلب عن القصد، ويتبعه التفات البدن ولابد!!.

أقوال المفسرين في معنى الآية :

١- قال ابن عباس : ولا يلتفت منكم أحد، أي : لا يتخلف منكم أحد، ولا يشتغل منكم أحد بما يخلفه من مال أو متاع.

٢- قال القرطبي : ولا يلتفت منكم أحد، أي : لا ينظر وراءه منكم أحد؛ قاله مجاهد.

٣- قال الشوكاني : ووجه النهي عن الالتفات أن لا يروا عذاب قومهم، وهول ما نزل بهم، فيرحموهم ويرقوا لهم، أو لئلا ينقطعوا عن السير المطلوب منهم بما يقع من الالتفات.

٤- قال ابن كثير : ولا يلتفت منكم أحد، أي : الأمر باستمرار السير دون اضطراب أو تأثر بالهول النازل.

وحاصل ما سبق من الأقوال : فإنه يدور على جمع الهم على قصد الخروج والنجاة، وبلوغ الغاية والمقصد، وتركيز الجهد في ذلك، دون الالتفات للوراء.

إشارة منهجية في الآية :

قوله : (وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وامضوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) أمر من الله تعالى لنبيه لوط عليه السلام، جاء بعد أن سبقه أمره بأن يسري بأهله بالليل، ثم أتبعه بالأمر بالنهي عن الالتفات، ثم قال : وامضوا حيث تؤمرون؛ أي : لم يكن الانطلاق هياما على الوجه، بل ثمة وجهة وهدف منشود، مقصود السير إليه : (حيث تؤمرون)، وثمة طريق يوصل إليه، وثمة تدابير يجب أن يلتزمها السالكون لدرب السلامة.

والخلاصة : حدد هدفك، وحرره من الناحية الشرعية، واعرف الطريق، وادرس الوسيلة، وخذ التدابير، ثم بعد ذلك انطلق : (وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وامضوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ).

أسباب الالتفات :

هناك ثلاثة مسببات رئيسية :

١- من أعظم أسباب الالتفات (الهوى)، فهو مضيع للإنسان، ومذهب بلبه.

٢- الجهل، فالجاهل قد لا يدرك أهمية الجد في السير، وقد يغفل عن مقاصد السير فيضعف أمام العوائق، بل قد لا يبصر الهدف فيسير رأسا في غير سبيل سلامة.

٣- الشيطان ووسواسه، فهو قد نذر نفسه لغواية بني آدم ولفتهم عن سبيل الهدى.

ثم هناك أسباب أخرى للالتفات، من أهمها :

١- ضعق العزم، فالالتفات دليل على ضعف العزم أو فساده بالكلية، وهذه آفة منتشرة بين بعض الأخيار للأسف.

٢- التشتت وعدم وضوح الهدف أو الوسيلة، وغياب الهدف من أهم أسباب التخبط في السير، وكذلك إذا حدد المرء هدفه ولم يحدد الوسيلة التي توصله، فلن يستطيع بلوغه.

٣- النفس، فنفس الإنسان من أكبر أسباب الالتفات، فهي دوما تميل نحو الإمتاع والراحة والدعة، وتنفر من الجهد والتعب والعرق.

٤- الضغوط السياسية، فالضغوط السياسية تمثل نوعا مهما من الضغوط العصرية التي يمكن أن يتعرض لها الدعاة وطلبة العلم.

٥- الضغوط الجماهيرية، ويقصد بها موافقة الجماهير والانسياق خلف أهوائهم، وهذا النوع من الضغط أشد من غيره.

الالتفات الجائز :

قد يكون الالتفات محمودا في الأحوال التالية :

١- إذا كان رجوعا إلى الحق.

٢- إذا كان إعادة للنظر في الطريقة المناسبة.

3- إذا كان تغييرا في الوسيلة لتتناسب مع الزمان والمكان.

إن من أعظم ما يعين الإنسان على مواصلة سيره، والاستمرار في طريقه، أن يشاور قبل أن يشرع ، ولكن يلزم أن يستشير المستشير خبيرا بما يشاوره فيه، أو عالما به، أو عنده ما يمكن أن يضيفه على أقل تقدير.

والشورى تنفع قبل اختيار الهدف لحسن الاختيار، وتنفع قبل اختيار الوسيلة ليختار أحسنها وأقومها، وتنفع أثناء السير لتقويم الطريق وتسديد السير، فينبغي أن لا نغفل عنها[١] .

س٩٦: لماذا لم يخرج الشيخان- البخاري ومسلم - أحاديث المهدي ؟.

ج ٩٦ : لقد جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي عليه السلام ، وأنّه سيكون في آخر الزمان وهو علامة من علامات الساعة **ومن هذه الأحاديث**:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً وتكثر الماشية وتعظم الأمة ، يعيش سبعاً أو ثمانياً يعني حجاجاً (أي سنين)[٢].

---

(١) ملخص موجز لكتاب(ولا يلتفت منكم أحد، للدكتور ناصر بن سليمان العمر من إصدارات مؤسسة ديوان المسلم الطبعة الثانية ١٤٣٦)لخصه لموقع صيد الفوائد وضاح بن هادي

(٢) مستدرك الحاكم ٤/٥٥٧-٥٥٨ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال الألباني : هذا سند صحيح رجاله ثقات ، سلسة الأحاديث الصحيحة مجلد ٢ ص٣٣٦ح٧٧١ .

٢- وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة)[١] .

٣- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ (انحسار الشَّعر عن مقدّمة الجبهة) أَقْنَى الأَنْفِ (أي أنفه طويل رقيق في وسطه حدب) يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ)[٢] .

٤- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي - أي من نسبي وأهل بيتي - مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ)[٣] .

٥- وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا ، فيقول : لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الأمة " . والحديث في صحيح مسلم بلفظ : .. فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ)[٤].

٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه) . رواه أبو نعيم في أخبار المهدي وقال الألباني : صحيح[٥].

٧- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لا تَذْهَبُ أَوْ لا تَنْقَضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي[٦].

وقد تواترت الأحاديث بظهور المهدي تواتراً معنوياً ، كما نصَّ على ذلك بعض الأئمة

---

(١) مسند أحمد ٥٨/٢ ح ٦٤٥ تحقيق أحمد شاكر وقال : إسناده صحيح وسنن ابن ماجه ١٣٦٧/٢ . والحديث صححه أيضاً الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦٧٣٥ قال ابن كثير : أي يتوب عليه ويوفقه ، ويلهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك . النهاية في الفتن والملاحم ٢٩/١ تحقيق : طه زيني .
(٢) سنن أبي داود - كتاب المهدي ٣٧٥/١١ ح ٤٢٦٥ . ومستدرك الحاكم ٥٥٧/٤ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وهو في صحيح الجامع ٦٧٣٦ .
(٣) سنن أبي داود ٣٧٣/١١ . وسنن ابن ماجه ١٣٦٨/٢ ، وقال الألباني في صحيح الجامع : صحيح ٦٧٣٤ .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٥ .
(٥) الجامع الصغير ٢١٩/٥ ح٥٧٩٦ .
(٦) مسند أحمد ١٩٩/٥ ح ٣٥٧٣ . وفي رواية : " يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي " . سنن أبي داود ٣٧٠/١١ .

والعلماء وفيما يلي ذكر طائفة من أقوالهم :

١- قال الحافظ أبو الحسن الآبري : قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأن عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه

٢- وقال محمد البرزنجي في كتابه الإشاعة لأشراط الساعة : الباب الثالث في الأشراط العظام والأمارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي كثيرة منها المهدي وهو أولها ، وأعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر ، وقال أيضاً : قد علمت أن أحاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة عليها السلام بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لإنكارها .

٣- وقال العلامة محمد السفاريني : وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الروايات حتى بلغت التواتر المعنوي ، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم . ثم ذكر طائفة من الأحاديث والآثار في خروج المهدي وأسماء بعض الصحابة ممن رواها ثم قال : وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة ، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد بمجموعه العلم القطعي ، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومُدوَّن في عقائد أهل السنة والجماعة .

٤- وقال العلامة المجتهد الشوكاني : الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة ، بل يَصْدُق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول ، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك .

٥- وقال العلامة الشيخ صدبق حسن خان : الأحاديث الواردة فيه - أي المهدي - على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حد التواتر المعنوي ، وهي في السنن وغيرها من دواوين

الإسلام من المعاجم والمسانيد .

٦- وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام)[١] .

هذا وينبغي العلم بأنّ عددا من الكذّابين قد وضعوا أحاديث في المهدي عليه السلام أو في تعيين أشخاص من الكذّابين على أنّهم المهدي أو أنّه على غير ملّة أهل السنّة والجماعة ، كما حاول ادّعاء المهدوية عدد من الدّجالين مخادعة لعباد الله ولنيل شيء من حُطام الدّنيا ولتشويه صورة الإسلام وقام بعضهم بحركات وثوْرات وجمعوا من استغفلوهم من النّاس أو ساروا معهم منتفعين ثمّ هلك أولئك وتبيّن كذبهم وانكشف زيفهم ونفاقهم ، وكلّ ذلك لا يضرّ بمعتقد أهل السنّة والجماعة في المهديّ عليه السّلام وأنّه خارج لا محالة ليحكم الأرض بشريعة الإسلام . والله تعالى أعلم[٢].

بقول الشيخ احمد حسين يعقوب : الرد على هذا السبب :

١- لم يقل أحد من علماء الحديث أن كل ما لم يروه البخاري ومسلم غير صحيح.

٢- صحيحا البخاري ومسلم لم يشتملا على كافة الأحاديث الصحيحة بدليل قول البخاري عن صحيحه : (أخرجت هذا الكتاب من مائة ألف حديث صحيح ، أو من مائتي ألف حديث صحيح ، فما أعلن البخاري صحته يزيد عما أخرجه في صحيحه بعشرات الأضعاف).

٣- إن البخاري ومسلم قد كتبا صحيحهما بتاريخ ولادة المهدي المنتظر وكان مجرد ذكر المهدي المنتظر يثير الرعب في أوصال أركان الدولة العباسية ، فكانت مخابراتها وعيونها تتحرى عن كل المواليد في ذلك التاريخ ، فمن غير المعقول بهذه الظروف أن يخاطر الشيخان بذكر لفظ المهدي المنتظر ، فلو فعلا ذلك لواجها دولة لا طاقة لهما بمواجهتها والأهم أن الدولة يمكن أن تتلف صحيحيهما.

---

(١) لـ/ يوسف بن عبد الله الوابل ، أشراط الساعة ، ص ١٩٥ -٢٠٣ .

(٢) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، ١٢٥٢تاريخ النشر : ١٩٩٩/٠٦/٢٩م.

ومع هذا تطرق الشيخان إلى الأحاديث الواردة بخروج الدجال ، وأحاديث نزول عيسى ، وإمامة أمير المسلمين لعيسى ، فهما يعبران عن وجود الإمام المهدي : (بكلمة أمير أو الإمام مطلقاً ثم إن شراح صحيح البخاري متفقون على أن البخاري قد يلفظ الإمام : الإمام المهدي)[1] .

٤- الإمام مسلم فقد ذكر حديث عن خليفة يحثي المال حثياً ولا يعده عداً ، وذكر حديث الخسف ، وهذه أوصاف وأحاديث لا تنطبق إلا على الإمام المهدي وعلامات ظهوره.

٥- ثم إن الأحاديث التي أخرجها أصحاب الصحاح الأخرى تتكامل إلى درجة التطابق مع ما ذكره البخاري ومسلم ، مما يؤكد تحاشي الشيخين المتعمد لإغفال الإمام المهدي خشية سطوة الدولة التي كانت معبأة بالكامل ضد شبح المهدي ، وخوفاً على كتابيهما.

٦- لقد تعرف علماء دولة الخلافة على أن كتب الأحاديث المشهورة عندهم هي ستة كتب ، وسموها بالصحاح ومنها صحيح البخاري ومسلم ، والكتب الأربعة الأخرى التي تحمل صفة الصحاح أخرجت أحاديث المهدي المنتظر بمعنى أن اثنين من أصحاب الصحاح قد أخرجا أحاديث المهدي المنتظر بالوصف دون أن يصرحا باسمه ، بينما أخرجٍ أربعه من أصحاب الصحاح أحاديث المهدي المنتظر وصرحوا باسمه ووصفه معاً.

٧- ثم إن البخاري ومسلم لم يخرجا كل الأحاديث المتفقة مع الشروط التي وضعاها فطالما كرر الحاكم النيسابوري جملة : (هذا الحديث صحيح على شروط الشيخين ولم يخرجاه).

٨- لم يرد في القرآن ولا في السنّة ، ولا أجمع المسلمون بأن البخاري ومسلم معصومان ، وأن قولهما هو القول الفصل ، عاش المسلمون قرابة قرنين ونصف بدون البخاري ومسلم وتدبروا أمورهم!!

٩- ثم ما هي قيمة قولي البخاري ومسلم أمام إجماع أهل بيت النبوة أعدال الكتاب والمشهور لهم بالطهارة إلهياً ، والمفروضة مودتهم على العباد!!

---

(١) عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ج ١٦ ص ٣٩ ـ ٤٠ المجلد الثامن. وفتح الباري ج ٦ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٥ ، وإرشاد الساري ج ٥ ص ٤١٩.

١٠- ثم إن البخاري ومسلم ليسوا أكثر من عالمين فاضلين من علماء الحديث من جملة مئات علماء الحديث الذي ن تألقوا في سماء العا لم الإسلامي ، ولهما شيوخ وأساتذة ، كلهم أخرجوا أحاديث المهدي المنتظر وقالوا بصحتها وتواترها.

١١- ثم إنه ليس منطقياً أن نوقف أو أن نتجاهل حركة الأحداث الربانية لأن صحيحي البخاري ومسلم لم يشتملا عليها!!

١٢- من المؤكد أن البخاري ومسلم لم يخرجوا في صحيحيهما بأن الشمس تطلع من المشرق ، وتغيب من المغرب ، فهل نتجاهل هذين الحدثين وننكرهما أو نتنكر لهما بحجة أن البخاري ومسلم لم يتطرقا إلى هذه الناحية! ما لكم كيف تحكمون)[1].

س ٩٧ : لماذا لا يمكن استرجاع ما سلبه الذباب ؟.

ج٩٧ : يقول الأستاذ عبد السلام محمد علي : (كان الخليفة أبو جعفر عبدالله المنصور في مجلسه، فوقع عليه ذباب فذبه عنه، فعاد فذبه حتى أضجره وأغضبه، وفي هذه الأثناء دخل جعفر بن محمد عليه، فقال له المنصور: يا أبا عبدالله لم خلق الله الذباب؟ فقال ليذل الجبابرة. الذباب ذلك الطائر الصغير في حجمه والحقير في مظهره المزعج برقصاته ونغماته، آية على ضعف الإنسان وعجزه، وقدرة الخالق ووحدانيته.

وقد ذكر الله هذه الحشرة في القرآن مؤكداً هذا المعنى فقال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(٧٣)**)[2] .

بديع الأسلوب:

الخلق كله لله، ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير، ويتحدى بخلقه بل باسترجاع ما يخطفه منه، لأن العجز أمام هذه الحشرة الحقيرة المستقذرة، يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل وأمثالهما، وهذا من بدائع الأسلوب

---

(١) احمد حسين يعقوب، حقيقة الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر ، ص ١١٨ – ١١٩ .
(٢) سورة الحج .

القرآني العجيب، على أن هذه الحشرة رغم ضعفها ومهانتها وقذارتها، كثيرة ومتنوعة تربو على ١٠٠ ألف نوع من الذباب كل نوع يحتوي على ملايين الملايين.

من وظائف هذه الحشرة أنها تُنَقِّي الهواء، بقضائها على النباتات أو العضويات المتفسخة، ولكنها تحمل في طيّاتها ما يزيد على ٥٠٠ مليون جرثوم، ووجود الذباب في مكانٍ ما مؤشِّر على أن هذا المكان ليس نظيفاً، فكأنها رادعٌ قوي كي ننظف أفنيتنا كما وجَّهنا النبي عليه الصلاة والسلام، فهل في الوجود قوة، أم تستطيع كل القوى المعبودة المخترعة لو اجتمعت أن تخلق ذباباً واحداً؟.

التحدي القرآني:

إن كل القوى عاجزة ليس عن خلقه فقط، بل وأيضاً عن مقاومته والانتصار منه، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب، أو مما حولها من الطعام، لذا قال تعالى (**وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**).

أنى لتلك الأصنام المصنوعة والأوثان المنحوتة أن تكف عنها الذباب أو تدفع عنها الأذى بل كل المخلوقات، حتى الحيوانات عاجزة عن ذلك، لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن هذا التحدي القرآني قد ازداد قوة ورونقاً وإعجازاً، حينما اكتشف العلم الحديث أن الذباب لا يملك الجهاز الهضمي، ولذلك يلجأ إلى الهضم الخارجي، وذلك من خلال إفراز العصارات الهاضمة على المواد المغذية ثم تدخل هذه المواد المهضومة إلى الأنبوب الهضمي حتى يتم امتصاصها لتسير في الدورة الدموية إلى خلاياه ويتحول جزء منها إلى طاقة تمكنه من الطيران، وجزء آخر إلى خلايا وأنسجة ومكونات عضوية، وجزء أخير إلى مخلفات يتخلص منها جسم الذباب، فأين قطعة الغذاء؟ وما السبيل إلى استرجاعها؟.

مضادات حيوية:

ثم إن هذا الذباب الذي يحمل الكثير من الأمراض، يحمل أيضاً الكثير من المضادات الحيوية التي تشفي من هذه الأمراض، وهذا أمر منطقي لأن الذبابة تحمل الكثير من البكتريا الضارة على جسدها الخارجي، ينبغي أن تحمل أيضاً مواد مضادة للبكتريا حتى تستمر في

حياتها، وهذه المواد زودها الله بها ليقيها من الفيروسات والأمراض.

ومن المفاجآت أن العلماء وجدوا أن أفضل طريقة لتحرير هذه المواد الحيوية المضادة، أن نغمس الذبابة في سائل لأن المواد المضادة تتركز على السطح الخارجي لجسد الذبابة وجناحها.

علماء الغرب :

ولقد أدهش هذا الاكتشاف علماء الغرب، وتحدثوا عنه باستغراب، فالباحثة كلارك تقول: إننا نبحث عن المضادات الحيوية في مكان لم يكن أحد يتوقعه من قبل.

وقال البروفسور الدكتور جوان ألفاريز برافو، من جامعة طوكيو: إن آخر شيء يتقبله الإنسان، أن يرى الذباب في المشفى! ولكننا قريباً سوف نشهد علاجاً فعالاً لكثير من الأمراض مستخرج من الذباب.

ولكن هذه الحقائق العلمية هي التي أرشد إليها النبي الأمي، صلى الله عليه وسلم، قبل ألف وأربعمائة سنة، حينما قال: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء» (رواه البخاري). ولا غرو فإنه الرسول الأمين لرب العالمين الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وطبيعة الذباب بديعة ومعقدة، يقول أهل الاختصاص: إن الذبابة لها ٦ أرجل ورأس وبطن وصدر، ولها عينان مركبتان في كل عين ٦٠٠٠ عيين، وعين الذبابة فيها قرنية وشبكية وقزحية، وكل عيين فيها ٤٨ ألف مستقبل عصبي وكل عين في مساحة نصف مليمتر مكعب والذبابة فيها ١٠ ملايين خلية، ٩ ملايين خلية جسمانية، ومليون خلية عصبية، ووزن دماغها واحد من مليون جزء من الجرام، وهو يعمل بأعلى كفاءة.)[١] ة (وللدكتور زغلول النجار بحث علمي طويل بديع في هذا الخصوص في "أسرار القرآن"، نوجزه فيما يلي:

١- يسلبهم، في استخدام التعبير ومضة معجزة لأن الذباب يختلس ما يأخذه من أشربة وأطعمة الناس اختلاسا، وينزعها منهم علي القهر لعجزهم عن مقاومته في أغلب الأحوال.

---

(١) صحيفة البيان الاماراتية التاريخ: ١٦ يوليو ٢٠١٤

٢- حركة الذبابة على درجة عالية من التعقيد، بدأ من الاستعداد للطيران والإقلاع والهبوط والطيران والمناورة البارعة، والعضلات المستخدمة: وتتم العملية في ٠١% من الثانية.

٣- سرعة الذبابة تصل إلى ١٠ كلم/س

٣- الأجهزة المستخدمة للرؤية وقياس الأجواء.. الخ تجعل قدرة تجنب المخاطر والإفلات عالية جداً في المناورة.

٤- خيوط عيونها العصبية (٤٨ ألف خيط) تعالج أكثر من ١٠٠ صورة في الثانية الواحدة.

٥- الرؤية في كل الاتجاهات بواسطة عين لا تزيد عن نصف مليمتر.

٦- كل ذلك يعين الذبابة علي الانقضاض علي الشراب أو الطعام فتحمل منه بواسطة كل من فمها والزغب الكثيف المتداخل الذي يغطي جسمها ما تحمل ثم تهرب مبتعدة في عملية استلاب حقيقية بمعنييها: الاختلاس، ونزع الشيء علي القهر.

٧- للذباب نحو ١٠٠ ألف نوع.

٨- الذبابة المنزلية تتذوق الشراب أو الطعام بمجرد أن تحط عليه، وذلك بواسطة خلايا حساسة منتشرة في كل من شفتها وأقدامها فإن راقها سلبت منه ما تستطيع وهربت بسرعة فائقة كما يفعل اللصوص.

٩- فإن كان ما سلبته شرابا امتصته بواسطة خرطومها، ليصل إلي جهازها الهضمي المزود بالقدرة علي إفراز الخمائر القادرة علي هضمه وتمثيله تمثيلا كاملا في ثوان معدودة، وبذلك لا يمكن استنقاذه منها.

١٠- أما إذا كان الطعام صلبا فإن الذبابة المنزلية تفرز عليه من بطنها عددا من الإنزيمات والعصائر الهاضمة بالإضافة إلي لعابها، وهذه تبدأ في إذابة ما تقع عليه من الطعام الصلب فورا مما يمكن الذبابة من امتصاصه بخرطومها وبأجزاء فمها ذات الطبيعة الإسفنجية، ومن ثم لا يمكن استرجاعه أبدا، أو استنقاذه بأي حال من الأحوال.

١١- من الثابت علميا أن البشرية كلها عاجزة كل العجز عن خلق خلية حية واحدة في الزمن الراهن زمن التقدم العلمي والتقني المذهل وغير المسبوق في تاريخ البشرية كله وهي

بالتالي أعجز عن خلق ذبابة واحدة، ونحن نعلم اليوم أن جسد الذبابة مكون من ملايين الخلايا المتخصصة، الموزعة في أنسجة متخصصة، وفي أجهزة متعددة تعمل في توافق تام من أجل حياة هذه الحشرة الصغيرة.

١١- والطالب في هذه الآية الكريمة هو المسلوب الذي سلبه الذباب شيئا مما هو له، والمطلوب هو الذباب السالب.

١٢- هذه الحقائق لم يصل إليها علم الإنسان إلا في القرن العشرين، وفي العقود المتأخرة منه، وورودها في كتاب الله بهذه الإشارات الدقيقة، المحكمة الموجزة لمما يشهد بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده.)[١].

س ٩٨ : لماذا أنزل الله على بني إسرائيل المن والسلوى ؟.وهل هما طعام لهم من قبل ؟.

ج : ٩٨: يقول الدكتور عبد الكريم الخضير : (اختلفت عبارات المفسرين في المراد بالمن والسلوى، وذُكر في التفاسير أقوال للسلف فيهما، فروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أن المنَّ كان ينزل عليهم على الأشجار فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاؤوا، فهو شيءٌ ينزل على الأشجار، وجاء وصفه في روايات أخرى بأنه كالصمغ وطعمه كالعسل.

وقال قتادة: كان المنُّ ينزل عليهم في محلتهم سقوط الثلج، أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل.

وقال الربيع بن أنس: المن شرابٌ كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (والظاهر – والله أعلم- أنه كل ما امتنَّ الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد) .

وفي البخاري وغيره عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) موقع المسلم ١٣ رمضان ١٤٤٠هـ.

(الكَمْأَةُ مِن المنِّ وماؤُها شِفاءٌ لِلعَيْن)[1] ، وهذا من الطب النبوي الثابت عنه عليه الصلاة والسلام ، ويَذكر الشراح أنه جُرِّبَ من أكثر من شخص فقدوا البصر، ثم تداووا بماء الكمأة فأبصروا، ويذكرونهم بالأسماء، حتى النووي رحمه الله في (شرح مسلم) ذَكَر بالأسماء، وكذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله ذَكَر، وغيرهم ذكروا، وهذا من الطب النبوي، فمن المفيد جدًّا أن يتداوى ويتعالج الناس بهذا العلاج الشرعي.

وأما السلوى فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه طائر شبيه بالسمّانى، كانوا يأكلون منه ، وعن عكرمة: أنه كطير يكون بالجنة أكبر من العصفور ، وقال الراغب في المفردات: (السلوى أصلها ما يُسَلِّي الإنسان، ومنه: السُلوان والتسلي، وقيل: السلوى طائر كالسمانى).

فالمنُّ هو: كل ما امتن الله به عليهم. وإن أُريد تخصيصه بالشراب كما قيل: إنه ينزل على الأشجار كالصمغ يُمزج بالماء ويُشرب، وطعمه كالعسل فيكون السلوى: طعامًا.)[2]ا.

وجاء في الكتب السابقة عن المن والسلوى ما يلي : (المنّ اسم عبري معناه (ما هو هذا ؟ أو (هبة) وهي مادة انزلها الله على بني اسرائيل على سبيل أعجوبة مدة اقامتهم في البرية قامت عندهم مقام الخبز وقد سميت خبزاً من السماء[3] .

ومن الأمور التي تستحق الذكر في المن:

١- إن المقدار الذي كان ينزل في بقية الأيام،

٢- أنه لم ينزل يوم السبت،

٣- إن ما كان يحفظ منه من اليوم السادس إلى اليوم السابع كان يبقى جيداً صالحاً للأكل بخلاف ما كان يحفظ من يوم إلى آخر من أيام الاسبوع فإنه كان يفسد ويتولد فيه الدود وكان كل ذلك دليلاً على قداسة يوم السبت.

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٤٧٨ .
(٢) الموقع الرسمي للدكتور عبدالكريم الخضير .
(٣) سفر الخروج ١٦ : ٤

وكان المن كبزرة الكزبرة ابيض وطعمه (كطعم قطائف بزيت) "(ومنظره كمنظر المقل)[١] ، و وكان ينزل يوماً فيوماً مدة أربعين سنة ما عدا أيام السبت. وتذكاراً لهذه العجيبة أمر موسى بأن يعمل قسط من ذهب يسع عمرا ومقداره لتران وثلاثة أعشار اللتر ويحفظ فيه شيء من المن[٢] ، وكان هذا العمر محفوظاً في التابوت أو بقربه لكي يرى أولادهم القوت الذي انزله الله عليهم مدة رحلاتهم الطويلة في البرية.

ويشبه المن بعض الشبه المن الطبي الذي هو عصير منعقد من شجرة الدردار ، وكذلك يشبه المن الذي يتكون من شجرة الطرفاء بعض الشبه أيضاً. ولكن يظهر قوة الله وعنايته في أن المن المذكور في الكتاب المقدس يختلف عن المن العربي في الامور الآتية:

١- كان المن الكتابي كافياً لألوف من الناس أما المن العربي فيوجد بمقادير قليلة.

٢- لا يوجد المن العربي إلا تحت الطرفاء وفي أول الصيف فقط.

٣-يمكن حفظه مدة طويلة ولا يدود.

٤- لا يمكن طحنه أو دقه دقيقاً .

٥- يتكون المن كل يوم من أيام الأسبوع مدة الفصل.

وحسب المسيح المن رمزاً إلى ذاته لأنه هو الخبز الحي النازل من السماء وبذلك أثبت كونه طعاماً عجيباً[٣] ، وسمي المن (برُ السماء) (وخبز الملائكة)[٤] ، إشارة إلى أنه أعطي على سبيل أعجوبة، أما (المن المخفى)[٥] فيشير إلى القوت السري الذي يعطيه المسيح للمؤمن ولا يعطي إلا له.

السلوى :

طيور ترحل من إفريقية في الجنوب إلى الشمال في أسراب كثيرة العدد جداً، وقد صيد منها في إيطاليا مئة ألف طائر في يوم واحد، وهي تطير في أسراب فتشبه السحاب الكثيف.

---

(١) سفر العدد ١١: ٧ .
(٢) سفر الخروج ١٦ : ٤
(٣) سفر يوحنا ٦ : ٢٩ – ٥١ .
(٤) سفر مزمور ٧٨ : ٢٤ -٢٥ .
(٥) سفر الرؤيا ٢ : ١٧ .

وقد أرسل الله كمية كبيرة من هذه الطيور إلى محلة العبرانيين ليأكلوا لحمها بعد أن تذمروا على موسى[1] ، وقد طارت أسرابها من الجنوب عن طريق البحر الأحمر، فقطعت خليجي العقبة والسويس، ووصلت إلى البرية في شبه جزيرة سيناء متعبة مرهقة، وإذ بدخان محلة العبرانيين يعاكسها فتسقط بالآلاف على الأرض، فيسهل إمساكها باليد والسلوى حلوة المذاق، وهي تبيض من ١٢ إلى عشرين بيضة وتحتضنها في عش على الأرض، وتطير على ارتفاع صغير (نحو ذراعين فوق وجه الأرض)[2] ، وقد نشر العبرانيون السلوى ليجففوها باسطين إياها حول الملحلة، وقد كان إرسال السلوى بهذه الكمية الوافرة مدة شهر كامل علامة من علامات عناية الله الكاملة [3]، [4] .

وتفصيلا أكثر جاء ذكر المن والسلوى في سفر الخروج على النحو التالي : (١ثُمَّ ٱرْتَحَلُوا مِنْ إِيلِيمَ. وَأَتَى كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَرِّيَّةِ سِينٍ، ٱلَّتِي بَيْنَ إِيلِيمَ وَسِينَاءَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ ٱلشَّهْرِ ٱلثَّانِي بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٢ فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ. ٣ وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مُتْنَا بِيَدِ ٱلرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، إِذْ كُنَّا جَالِسِينَ عِنْدَ قُدُورِ ٱللَّحْمِ نَأْكُلُ خُبْزًا لِلشَّبَعِ. فَإِنَّكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذَا ٱلْقَفْرِ لِكَيْ تُمِيتَا كُلَّ هَذَا ٱلْجُمْهُورِ بِٱلْجُوعِ. ٤ فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: هَا أَنَا أُمْطِرُ لَكُمْ خُبْزًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ. فَيَخْرُجُ ٱلشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُونَ حَاجَةَ ٱلْيَوْمِ بِيَوْمِهَا. لِكَيْ أَمْتَحِنَهُمْ، أَيَسْلُكُونَ فِي نَامُوسِي أَمْ لَا. ٥ وَيَكُونُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ أَنَّهُمْ يُهَيِّئُونَ مَا يَجِيئُونَ بِهِ فَيَكُونُ ضِعْفَ مَا يَلْتَقِطُونَهُ يَوْمًا فَيَوْمًا». ٦ فَقَالَ مُوسَى وَهَارُونُ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: فِي ٱلْمَسَاءِ تَعْلَمُونَ أَنَّ ٱلرَّبَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٧ وَفِي ٱلصَّبَاحِ تَرَوْنَ مَجْدَ ٱلرَّبِّ لِٱسْتِمَاعِهِ تَذَمُّرَكُمْ عَلَى ٱلرَّبِّ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْنَا؟. ٨ وَقَالَ مُوسَى: ذَلِكَ بِأَنَّ ٱلرَّبَّ يُعْطِيكُمْ فِي ٱلْمَسَاءِ لَحْمًا لِتَأْكُلُوا، وَفِي ٱلصَّبَاحِ خُبْزًا لِتَشْبَعُوا،

---

(١) سفر الخروج ١٦ : ١٣ ، وسفر العدد ١١ : ٣١ .
(٢)سفر العدد ١١ : ٣١ .
(٣) سفر المزمور ٨٧ : ٢٦ – ٣٠ .
(٤) موقع منتدى اولاد الملك ما هو المن و السلوى الأربعاء أغسطس ١٧، ٢٠١١ .

لِٱسْتِمَاعِ ٱلرَّبِّ تَذَمُّرَكُمُ ٱلَّذِي تَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا؟ لَيْسَ عَلَيْنَا تَذَمُّرُكُمْ بَلْ عَلَى ٱلرَّبِّ. ٩ وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: قُلْ لِكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ٱقْتَرِبُوا إِلَى أَمَامِ ٱلرَّبِّ لِأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ. ١٠ فَحَدَثَ إِذْ كَانَ هَارُونُ يُكَلِّمُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمُ ٱلْتَفَتُوا نَحْوَ ٱلْبَرِّيَّةِ، وَإِذَا مَجْدُ ٱلرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي ٱلسَّحَابِ. ١١ فَكَلَّمَ ٱلرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ١٢ «سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلِّمْهُمْ قَائِلًا: فِي ٱلْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي ٱلصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا ٱلرَّبُّ إِلَهُكُمْ.١٣ فَكَانَ فِي ٱلْمَسَاءِ أَنَّ ٱلسَّلْوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ ٱلْمَحَلَّةَ. وَفِي ٱلصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ ٱلنَّدَى حَوَالَيِ ٱلْمَحَلَّةِ. ١٤ وَلَمَّا ٱرْتَفَعَ سَقِيطُ ٱلنَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ ٱلْبَرِّيَّةِ شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَٱلْجَلِيدِ عَلَى ٱلْأَرْضِ. ١٥ فَلَمَّا رَأَى بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَنْ هُوَ؟» لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا مَا هُوَ. فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: هُوَ ٱلْخُبْزُ ٱلَّذِي أَعْطَاكُمُ ٱلرَّبُّ لِتَأْكُلُوا. ١٦ هَذَا هُوَ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي أَمَرَ بِهِ ٱلرَّبُّ. اِلْتَقِطُوا مِنْهُ كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. عُمِرًا لِلرَّأْسِ عَلَى عَدَدِ نُفُوسِكُمْ تَأْخُذُونَ، كُلُّ وَاحِدٍ لِلَّذِينَ فِي خَيْمَتِهِ.١٧ فَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَكَذَا، وَٱلْتَقَطُوا بَيْنَ مُكَثِّرٍ وَمُقَلِّلٍ. ١٨ وَلَمَّا كَالُوا بِٱلْعُمِرِ، لَمْ يُفْضِلِ ٱلْمُكَثِّرُ وَٱلْمُقَلِّلُ لَمْ يُنْقِصْ. كَانُوا قَدِ ٱلْتَقَطُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. ١٩ وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: لَا يُبْقِ أَحَدٌ مِنْهُ إِلَى ٱلصَّبَاحِ. ٢٠ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا لِمُوسَى، بَلْ أَبْقَى مِنْهُ أُنَاسٌ إِلَى ٱلصَّبَاحِ، فَتَوَلَّدَ فِيهِ دُودٌ وَأَنْتَنَ. فَسَخَطَ عَلَيْهِمْ مُوسَى. ٢١ وَكَانُوا يَلْتَقِطُونَهُ صَبَاحًا فَصَبَاحًا كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حَسَبِ أُكْلِهِ. وَإِذَا حَمِيَتِ ٱلشَّمْسُ كَانَ يَذُوبُ ٢٢.ثُمَّ كَانَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ أَنَّهُمُ ٱلْتَقَطُوا خُبْزًا مُضَاعَفًا، عُمِرَيْنِ لِلْوَاحِدِ. فَجَاءَ كُلُّ رُؤَسَاءِ ٱلْجَمَاعَةِ وَأَخْبَرُوا مُوسَى. ٢٣ فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا مَا قَالَ ٱلرَّبُّ: غَدًا عُطْلَةٌ، سَبْتٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. ٱخْبِزُوا مَا تَخْبِزُونَ وَٱطْبُخُوا مَا تَطْبُخُونَ. وَكُلُّ مَا فَضِلَ ضَعُوهُ عِنْدَكُمْ لِيُحْفَظَ إِلَى ٱلْغَدِ». ٢٤ فَوَضَعُوهُ إِلَى ٱلْغَدِ كَمَا أَمَرَ مُوسَى، فَلَمْ يُنْتِنْ وَلَا صَارَ فِيهِ دُودٌ. ٢٥ فَقَالَ مُوسَى: «كُلُوهُ ٱلْيَوْمَ، لِأَنَّ لِلرَّبِّ ٱلْيَوْمَ سَبْتًا. ٱلْيَوْمَ لَا تَجِدُونَهُ فِي ٱلْحَقْلِ. ٢٦ سِتَّةَ أَيَّامٍ تَلْتَقِطُونَهُ، وَأَمَّا ٱلْيَوْمُ ٱلسَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ، لَا يُوجَدُ

فِيهِ.٢٧وَحَدَثَ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ أَنَّ بَعْضَ ٱلشَّعْبِ خَرَجُوا لِيَلْتَقِطُوا فَلَمْ يَجِدُوا. ٢٨ فَقَالَ ٱلرَّبُّ لِمُوسَى: «إِلَى مَتَى تَأْبَوْنَ أَنْ تَحْفَظُوا وَصَايَايَ وَشَرَائِعِي؟ ٢٩ اُنْظُرُوا! إِنَّ ٱلرَّبَّ أَعْطَاكُمُ ٱلسَّبْتَ. لِذَلِكَ هُوَ يُعْطِيكُمْ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّادِسِ خُبْزَ يَوْمَيْنِ. اُجْلِسُوا كُلُّ وَاحِدٍ فِي مَكَانِهِ. لَا يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ. ٣٠ فَٱسْتَرَاحَ ٱلشَّعْبُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ. ٣١ وَدَعَا بَيْتُ إِسْرَائِيلَ ٱسْمَهُ مَنًّا. وَهُوَ كَبِزْرِ ٱلْكُزْبَرَةِ، أَبْيَضُ، وَطَعْمُهُ كَرِقَاقٍ بِعَسَلٍ.٣٢ وَقَالَ مُوسَى: هَذَا هُوَ ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي أَمَرَ بِهِ ٱلرَّبُّ. مِلْءُ ٱلْعُمِرِ مِنْهُ يَكُونُ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. لِكَيْ يَرَوْا ٱلْخُبْزَ ٱلَّذِي أَطْعَمْتُكُمْ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ حِينَ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٣٣ وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: خُذْ قِسْطًا وَاحِدًا وَٱجْعَلْ فِيهِ مِلْءَ ٱلْعُمِرِ مَنًّا، وَضَعْهُ أَمَامَ ٱلرَّبِّ لِلْحِفْظِ فِي أَجْيَالِكُمْ. ٣٤ كَمَا أَمَرَ ٱلرَّبُّ مُوسَى وَضَعَهُ هَارُونُ أَمَامَ ٱلشَّهَادَةِ لِلْحِفْظِ. ٣٥ وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ٱلْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا ٱلْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ. ٣٦ وَأَمَّا ٱلْعُمِرُ فَهُوَ عُشْرُ ٱلْإِيفَةِ.)[1].

س٩٩: لماذا شرع القنوت في الصلاة وأين مكانه منها ؟.

ج ٩٩: يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (دعاء القنوت يشرع في الوتر كل ليلة، وقد جاء في حديث الحسن بن علي بيانه وهو: اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك .. ... في حديث آخر حديث علي زيادة: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وإذا دعا بزيادة فلا بأس، إن دعا بدعوات طيبة زيادة كله طيب، هذا قنوت الوتر يسمى قنوت الوتر، في الركعة الأخيرة الواحدة التي يوتر بها، بعدما يرفع من الركوع يرفع يديه ويقنت هذا القنوت، ويدعو بما يسر الله له من الدعاء.

---

(١) سفر الخروج ١٦ : ١ – ٣٦ .

ويشرع القنوت أيضاً في النوازل، إذا نزل بالمسلمين نازلة تعدى عليهم العدو أو حصل عليهم شدائد، يدعون الله بتفريجها وإزالتها في جميع الصلوات، في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر أو في بعضها، وقد كان النبي في الغالب إذا نزل به أمر قنت في الفجر، وربما قنت في الفجر والمغرب جميعاً، وربما قنت في الصلوات الخمس كلها، وكان يقنت في المدينة يدعو على كفار قريش لما أخرجوه وآذوه، ويدعو للمستضعفين من المسلمين بمكة .... أن الله يخلصهم من شر عدوهم وينجيهم، ولما تعدى بعض الأعراب على جماعة من أصحابه قنت يدعو عليهم شهراً عليه الصلاة والسلام)[1] .

يقول الشيخ إبراهيم المزروعي : (تعريف القنوت لغة : فيطلق على عدة معاني منها :

١- القنوت بمعنى الطاعة : قال الله تعالى (...وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ... (٣٥))[2] أي المطيعين والمطيعات .

٢- القنوت بمعنى السكوت : قال الله تعالى (...وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨))[3] .

٣- القنوت بمعنى الدعاء: لأن حقيقة القنوت والعبادة الدعاء لله عز وجل، ومن ذلك قنوت الوتر والنوازل.

٤- القنوت بمعنى القيام : لحديث جابر قال :(سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)[4] .

٥- القنوت بمعنى الصلاة : لحديث (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم أي المصلي)[5] ، وغير ذلك من معاني القنوت في اللغة.

وأما تعريف القنوت في الاصطلاح : فهو الدعاء في القيام في الركعة الأخيرة من الصلاة ، وهذا هو الأظهر في معنى القنوت وهو موضوع بحثنا .

---

(١) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز ، تفريغ نصي .
(٢) سورة الأحزاب .
(٣) سورة البقرة .
(٤) الإمام مسلم ، صحيح مسلم و رقم الحديث ٧٥٦
(٥) المصدر السابق و رقم الحديث ١٨٧٨

و القنوت مشروع في النوازل وفي صلاة الوتر وفي قيام رمضان ، أما مشروعيته في النوازل : فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنسٍ رضي الله عنه قال : (بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلاً لحاجة يُقال لهم القرّاء ، فعرض لهم حيان من سليم : رعل وذكوان ، عند بئر يقال لها بئر معونة ، فقتلوهم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم شهراً في صلاة الغداة ، وذلك بدء القنوت)[1] .

وأما مشروعيته في صلاة الوتر ، فقد روى أحمد وأصحاب السنن عن الحسن بن علي قال : علمني رسول الله كلمات أقولهن في قنوت الوتر (اللهم اهدنا فيمن هديت)[2].

وأما مشروعيته في رمضان في النصف الثاني منه فقد ثبت عن بعض الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وأبّي بن كعب وغيرهم كما سيأتي أثناء البحث .

وأما قنوت الفجر : فالراجح عدم مشروعيته لعدم وجود دليل صريح صحيح في شرعيته ، بل أنكره بعض الصحابة ولم يفعله أحد منهم، كما أنكره جمهور العلماء كما سيأتي.

وهذه أنواع القنوت وأحكامها :

١- قنوت النوازل (**الحاجة**) :

أ – **مشروعيته** : للعلماء قولان في قنوت النوازل : والجمهور قالوا : يُشرع القنوت للنازلة مطلقاً أي في جميع الصلوات إلا الحنفية قصروه على الصلوات الجهرية فقط ، وسيأتي أن النبي صلى الله عليه وسلم قنت في الصلوات الخمس كلها ، وقال بعض الكوفيين والليث بن سعد وغيرهم بنسخ قنوت النوازل ، والجواب عليهم بأنه لو كان منسوخاً ما فعله الصحابة والتابعون ، قال الإمام النووي: (الصحيح المشهور أنه إن نزلت بالمسلمين نازلة كعدو وقحط ووباء وعطش وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك ، قنتوا في جميع الصلوات المكتوبة وإلا فلا) وعُقد باباً في شرح مسلم قال : باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة[3] .

---

(١) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٠٨٨ .
(٢) الألباني ، صحيح سنن أبي داوود . رقم الحديث ١٤٢٥ .
(٣) النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج٥ ، ص ١٧٦ .

ب – فوائد قنوت النوازل :

١- فيه تطبيق لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وقضاء على البدع المحدثة .

٢- فيه اهتمام بأمر المسلمين ورغبة في حل مشاكلهم وفرح لفرحهم وغضب لغضبهم .

٣- فيه تعريف للمسلمين بأحوال إخوانهم في كل مكان .

٤- فيه براءة لنا أمام الله إذا سألنا يوم القيامة ماذا صنعتم لإخوانكم .

٥- فيه عبادة الدعاء خاصة في الصلاة ، وفي الحديث الصحيح (إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بصلاتهم ودعوتهم وإخلاصهم)[١] .

ت: محل قنوت النوازل : وردت أحاديث في القنوت تفيد الدعاء بعد الركوع وبعضها تفيد الدعاء قبل الركوع ولذلك اختلف العلماء على ثلاثة أقوال ، منهم من قال أنه بعد الركوع ومنهم قال قبل الركوع ومنهم من قال جواز الأمرين ، والراجح هو أن موضع قنوت النوازل هو بعد الركوع وهو قول جمهور المحققين لما يلي :

١- حديث أنس رضي الله عنه ، قال : (قنت النبي صلى الله عليه وسلم بعد الركوع شهرا يدعو على رعل وزكوان)[٢]

٢- حديث ابن عمر رضي الله عنه :(أنه سمع النبي إذا رفع رأسه من الركوع)[٣] .

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع)[٤].

٤- قال البيهقي (ورواةُ القنوت بعد الركوع أكثرُ وأحفظُ فهو أولى)[٥] .

٥- قال ابن حجر: (ومجموع ما جاء عن أنس في ذلك أن القنوت للإجابة بعد الركوع لا خلاف عنه في ذلك ، وأما لغير الحاجة (النازلة) فالصحيح عنه أنه قبل الركوع)[٦].

---

(١) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث ٢٣٨٨ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤-٩٤ .
(٣) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٥٥٩ .
(٤) المصدر السابق ، رقم الحديث ٤٥٦٠ .
(٥) البيهقي ، السنن ، ج٢ ، ص ٢٠٨ .
(٦) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ٥٦٩ .

والخلاصة أن محل قنوت النوازل بعد الركوع وما ورد خلاف ذلك فإنه يحمل على القنوت بمعنى طول القيام لحديث (أفضل الصلاة طول القنوت)[1] .

ث– مدة قنوت النوازل : يُشرع القنوت مدة النازلة إن كانت ذات وقت وإن نزلت فجأة ثم أقلعت فيشرع لأيام بعدها والسنة في ذلك شهر لقنوت النبي صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو على رعل وذكوان ، وإن كانت النازلة مستمرة استمر في القنوت إلى أن تقلع لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم نج الوليد بن الوليد ، اللهم نجِّ المستضعفين من المؤمنين)[2] قال أبو هريرة (ثم رأيت رسول الله ترك الدعاء بعدُ ، فقيل (وما تراهم قد قدموا) فقد قنت رسول الله حتى فرّج الله همّ المسلمين فقدم منهم إلى مكة الكثير) . قال ابن القيّم في الزاد (إنما قنت عند النوازل للدعاء لقوم و للدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وتخلصوا من الأسر ، وأسلم من دعا عليهم فكان قنوته لعارض ، فلما زال ترك القنوت)[3].

ج– حكم الجهر به والتأمين ورفع الأيدي ومسح الوجه بعد الدعاء والصلاة على النبي فيه :

–أما الجهر به فقد اتفق العلماء على الجهر في قنوت النازلة في الصلوات الخمس لما ورد من الأحاديث وكذلك ليسمع الناس ويؤمنون على دعاء الإمام .

– وأما التأمين فيستحب للمأمومين أن يؤمنوا على دعاء الإمام في قنوت النازلة لما رواه ابن عباس قال: (قنت رسول الله شهراً متتابعا ويؤمن مَنْ خلفه)[4] . قال النووي في المجموع يؤمّن المأموم عند الدعاء ويشارك أو يسكت عند الثناء ، والمشاركة أولَى لأنه ثناءٌ لا يليق فيه التأمين) ،وقال المطيعي في هامش المجموع (ومن البدع التي لم نجد لها أصلاً قول المأمومين عند عبارات الثناء (حقاً) وقولهم عند تباركت ربنا وتعاليت (يا الله))[5].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٥٦ .
(٢) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٤٥٩٨ .
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ٢٧٢.
(٤) الحديث رواه أبو داود وأحمد والحاكم وهو في صحيح سنن أبي داود (١٤٤٣).
(٥) النووي ، المجموع ، ج١ ، ص ٧٩٠ .

وأما رفع اليدين للإمام فقد ثبت في غير حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الدعاء مطلقاً ومنها حديث أنس في قصة قتل القراء السبعين وفي إحدى رواياته (فلقد رأيت رسول الله في صلاة الغداة رفع يديه فدعا عليهم) وذكر البيهقى أثاراً عن الصحابة في رفع اليدين منهم عمر[١] .، ويرفع المأمومون أيديهم اقتداء بالإمام لحديث (إنما جعل الإمام ليؤتم به)[٢].

وأما مسح الوجه بعد دعاء القنوت مطلقاً : فلم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ولا في خارجها . قال البيهقي في سننه (فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء فلست أحفظه عن أحدٍ من السلف)[٣] وقال النووي في المجموع (لا يمسح وهذا هو الصحيح) وضعّف الحديث الوارد في ذلك[٤] .

وأما الصلاة على النبي في آخر القنوت فلم يثبت فيها حديث ولكنها مشروعة لفعل الصحابة ، قال الألباني في صفة الصلاة : (ثبت في حديث إمامة أبي بن كعب الناس في قيام رمضان أنه كان يصلي على النبي في اخر القنوت وذلك في عهد عمر)[٥] . رواه ابن خزيمة في صحيحه(١٠٩٧) وثبت مثله عن أبي حليمة معاذ الأنصاري الذي كان يؤمّهم أيضاً في عهده فهي زيادة مشروعة لعمل السلف بها فلا ينبغي إطلاق القول بأن هذه الزيادة بدعة والله أعلم)[٦].

و صيغة الدعاء في قنوت النوازل : ما ورد من أحاديث في قنوت النوازل كان خاصاً بأناس معينين ولا يمكن أن يكون عاماً في كل عصر ، ومن هنا فإن عليه أن يغير ألفاظ الدعاء الوارد وأن يستبدلها بما يوافق القضايا المعاصرة ويتقيد بالنص حرفياً وهو الأوْلَى كأن

---

(١) سنن البيهقي (٢١٢/٢) وكذلك النووي في المجموع (٥١١/٣) نقلاً عن البخاري في جزء رفع اليدين وصححها.
(٢) الإمام البخاري و صحيح البخاري ، رقم الحديث ٧٣٤ .
(٣) البيهقي ، سنن البيهقي ، ج١ ، ص ٢١٢ .
(٤) النووي ، المجموع ، ج٣ ، ص ٥٠١ .
(٥) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، رقم الحديث ١٠٩٧ .
(٦) الألباني ، صفة الصلاة ، ص ١٨٠ .

يقول (اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين) وأن لا يطيل في دعاء قنوت النوازل وإنما يختار من الدعاء أجمعه ما يناسب الحال . قال ابن تيمية (١٠٩/٢٣) (كما أن النبي لما قنت على قبائل بني سُليم دعا عليهم بالذي يناسب مقصوده ، ثم قنت للمستضعفين من أصحابه ، دعا بدعاء يناسب مقصوده ، فسنّة رسول الله وخلفائه الراشدين تدل على شيئين أحدهما : أن الدعاء فيه ليس دعاء راتباً بل يدعو في كل قنوت الذي يناسبه ، والثاني: أن دعاء القنوت مشروع عند السبب الذي يقتضيه ليس سنّة دائمة في الصلاة)[١] قال النووي في المجموع (قال البغوي : يكره إطالة القنوت)[٢]

ح :صفة القنوت في النوازل :

أما في حق الإمام ، فإنه يبدأ الصلاة ناوياً فعل القنوت فيها ، فإذا كان في الركوع الأخير فيها يقول : سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ، ثم يرفع يديه بمحاذاة كتفيه أو أذنيه وتكون بطون كفيه إلى السماء وظهورها إلى الأرض وعيناه تنظران إلى بطون كفيه ، ويدعو بالدعاء المناسب للحالة النازلة ، فإذا انتهى من دعائه صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وأنزل كفيه بلا مسح للوجه أو الصدر، ثم يسجد.

وأما في حق المأموم ، فإنه إذا بدأ الإمام في القنوت رفع يديه كما سبق للإمام ولا يدعو المأموم بل يؤمّن على دعاء الإمام ، ويسكت إذا كان الإمام يُثني على ربه ولا يقول حقاً أو صدقاً أو نشهد أو يا الله ولا يصلي على النبي في خاتمة الدعاء . وإذا انتهى الإمام من الدعاء ، خفض المأموم يديه ولا يمسح وجهه ثم يتابع الإمام .

٢- قنوت الوتر : المختص بالركعة الأخيرة من صلاة الوتر وقال الجمهور ما عدا المالكية :

أ- مشروعيته : وقد شرع الإسلام دعاء خاصاً في صلاة الوتر . فعن الحسن بن علي قال : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في قنوت الوتر (اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا شر ما

---

(١) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج ٢٣ ، ص ١٠٩ .
(٢) النووي ، المجموع ، ج٣ ، ص ٤٩٩ .

قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت) وفي إحدى الروايات زيادة في آخره هي (لا منجا منك إلا إليك)[1] ذكرها الألباني في صفة صلاة النبي ، ولم يصح في قنوت الوتر سوى هذا الدعاء بلفظه ، فالواجب على من قرأه أن يلتزم به وهو أفضل الدعاء لقنوت الوتر ، ويجوز بغيره لفعل بعض الصحابة في عهد عمر[2] .

ب- موضع قنوت الوتر : والسنّة أن يقنت بعد الفراغ من القراءة قبل الركوع لما رواه أُبيّ بن كعب رضي الله عنه (أن رسول الله كان يوتر ويقنت قبل الركوع)[3]. وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح (عن علقمة أن ابن مسعود وأصحاب النبي كانوا يقنتون في الوتر قبل الركوع)[4] قال الألباني رحمه الله في قيام رمضان (ولا بأس من جعل القنوت بعد الركوع ومن الزيادة عليه بلعن الكفرة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء للمسلمين في النصف الثاني من رمضان لثبوت ذلك عن الأئمة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[5] .

ت- حكمه : لم يقم دليل على وجوبه ، فهو سنة ، يفعلها المرء أحيانا ويتركها أحيانا لعدم ثبوت دوام رسول الله على فعلها . قال الألباني في صفة صلاة النبي : (وإنما قلنا (أحيانا) لأن الصحابة الذين رووا الوتر لم يذكروا القنوت فيه ، فلو كان يفعله دائما نقلوه جميعا عنه)[6].

ث- حكم التكبير ورفع الأيدي فيه والصلاة على النبي في آخره : أما التكبير عند بدء القنوت فلم يرد فيه دليل صحيح .وأما رفع اليدين فقد قال الألباني في الإرواء : (ثبت مثله عن عمر وغيره في قنوت الوتر) ثم هو دعاء يُستحب فيه رفع اليدين وخاصة إذا رفع الإمام يديه في

---

(١) الألباني ، صفة الصلاة ، ص ـ١٨١ ، وصحح الحديث كذلك في صحيح سنن أبي داود (١٤٢٥)
(٢) ابن خزيمة، ج٢ ، ص ٢٥٥ .
(٣) رواه النسائي وبن ماجه وصححه بشواهد الألباني في إرواء الغليل (٤٢٦) وهو في صحيح سنن أبي داود (١٤٢٧) .
(٤)ابن أبي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٦٩١١ .
(٥) الألباني ، قيام رمضان ، ص ٣١ ، رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٥٥/٢).
(٦) الألباني ، صفة صلاة النبي ، ص ١٧٩ .

القنوت لابد من اتّباعه لحديث (إنما جُعل الإمام ليؤُتم به)[1] .وأما مسح اليدين بالوجه في القنوت قلم يرد مطلقاً لا عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه فهو بدعة بلا شك[2] . وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أخره فقد ثبت عن أبي بن كعب في قيام رمضان أنه كان يفعل ذلك في آخر القنوت وذلك في عهد عمر رضي الله عنه كما رواه ابن خزيمة في صحيحه[3] وثبت عن معاذ الأنصاري أيضاً ، والأثران ذكرهما في صفة صلاة النبي ثم قال (فهي زيادة مشروعة لعمل السلف بها ، فلا ينبغي إطلاق القول بأنها بدعة)[4].

٣ – قنوت رمضان : وهو في الركعة الأخيرة من صلاة الوتر في قيام رمضان ، يقنت الإمام في رمضان في النصف الثاني منه لثبوت ذلك عن الصحابة في عهد عمر . والفرق بين قنوت رمضان وقنوت الوتر في غيره ما يلي :

- أنه جهر من الإمام في جماعة وقنوت الوتر يكون للمنفرد ويُسرّ به .
- أنه في النصف الثاني من رمضان فقط . وقنوت الوتر على دوام السنة يُفعل أحياناً .

أن المأمومين يسمعون فيؤمنون ولا يدعون ، وقنوت الوتر يدعو المنفرد ولا يؤمّن .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد حسن عن محمد بن بكر عن ابن جريج قال : قلت لعطاء: القنوت في شهر رمضان ؟ قال (عمرُ أول من قنت) قلت: النصف الآخر أجمع، قال (نعم)[5] وأخرج ابن أبي شيبة أيضاً عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يقنت إلا في النصف . يعني من رمضان)[6] واسناده صحيح . وروى أبو داود والبيهقي وابن أبي شيبة من طرقٍ عن الحسن (أن أُبي بن كعب رضي الله عنه أمَّ الناس في رمضان وكان يقنت في النصف الآخر يسعهم الدعاء)[7] والأثر في صحيح سنن أبي داود.

---

(١) الألباني ، إرواء الغليل ، ج٢ ، ص ١٨١ .
(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
(٣) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، رقم الحديث ١٠٩٧ .
(٤)الألباني ، صفة صلاة النبي ، ص ١٨٠ .
(٥) ابن ابي شيبة ، المصنف ، رقم الحديث ٦٩٣٦ .
(٦) المصدر السابق ، رقم الحديث ٦٩٣٣ .
(٧) الألباني ، صحيح سنن أبي داوود ، رقم الحديث ١٤٢٧ .

وثبت قنوت رمضان في النصف الثاني منه عن جمهرة من أئمة التابعين كالحسن والزهري وابن سيرين وغيرهم رواه عنهم البيهقي وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والقنوت هذا هو مذهب مالك والشافعي وروايةٍ عن أحمد كما في المغني لابن قدامة[1]. وقد ورد عن بعض السلف المنع من القنوت في رمضان كله ، وعن أخرين مشروعيته في رمضان كله .

٤- **قنوت الفجر** : في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح ، وهو عند المالكية سراً في صلاة الصبح للإمام والمأموم والمنفرد ، أما الشافعية فيرون القنوت فيه جهراً ويذهب الحنفية والحنابلة وأهل الحديث إلى عدم مشروعية قنوت الفجر وهذا هو الراجح لعدم ثبوت مداومة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ولذلك أنكره بعض السلف . قال ابن القيم في الزاد : (من المعلوم بالضرورة أن رسول الله لو كان يقنت كلّ غداةٍ ويدعو بهذا الدعاء ويؤمّن الصحابة لكان نقل إلينا)[2] وقد صحت آثارٌ كثيرة عن الصحابة في عدم قنوتهم في الفجر إلا عند النوازل ، بل صح عن بعضهم بأن هذا الفعل محدثة وبدعة ، وإليك أقوالهم :

- روى مالك في الموطأ عن نافع قال (إن ابن عمر كان لا يقنت في شيء من الصلاة) وعن ابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طرق عن أبي الشعثاء قال : سألت ابن عمر عن القنوت في الفجر فقال (ما شعرت أحداً يفعله)[3].

وعند الطبراني وابن أبي شيبة وعبد الرزاق من طرق كثيرة عن علقمة والأسود وغيرهما قالوا (كان عبد الله . أي أبن مسعود . لا يقنت في شيء من الصلوات إلا في الوتر قبل الركعة) وفي لفظ (كان لا يقنت في الفجر)[4].

وعند ابن حبان عن أبي هريرة قال (كان رسول الله لا يقنت في صلاة الصبح إلا أن يدعو لقوم أو على قوم) قال ابن حجر في الفتح (وعند ابن خزيمة مثله عن أنس واسناد كل منهما صحيح)[5]

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج١ ، ص ٧٩٤ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ٢٧٢ .
(٣) الإمام مالك ، الموطأ ، رقم الحديث ٣٧٩ .
(٤) رواه الطبراني (٩٤٢٨) وابن أبي شيبة (٦٩٠٤) وعبد الرزاق (٤٩٦٦)
(٥) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٨ ، ص ٢٢٦ .

روى الترمذي وابن ماجه وأحمد عن سعد بن طارق الأشجعي قال (قلت لأبي : يا أبتِ إنك صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي هاهنا، فكانوا يقنتون في الفجر؟ فقال أي بنيّ محدث) وفي رواية النسائي قال (يا بني بدعة)[١].

قال ابن حجر في الدراية (ويؤخذ من أخباره صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يقنت إلا في النوازل وقد جاء ذلك صريحا فعند ابن حبان عن أبي هريرة كان رسول الله لا يقنت في صلاة الصبح إلا أن يدعو لقومٍ أو على قوم)[٢].

قال ابن تيمية في الفتاوي (من تأمل الأحاديث علم علماً يقيناً أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم على القنوت في شيء من الصلوات لا الفجر ولا غيرها ولهذا لم يذكر هذا أحد من الصحابة بل أنكروه ، وإنما المنقول عنه ما يدعو به في العارض كالدعاء لقوم أو على قوم ، فأما ما يدعو به في قنوت الفجر قوله (اللهم اهدنا فيمن هديت ...) فهذا إنما في السنن أنه علّمه للحسن يدعو به في قنوت الوتر ثم العجب أنه لا يستحب المداومة عليه في الوتر ويداوم عليه في الفجر ولم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قاله في الفجر)[٣].

قال ابن القيم في الزاد : (وكان هديه صلى الله عليه وسلم القنوت في النوازل خاصة وتركه عند عدمها ولم يكن يخصه بالفجر)[٤].

قال ابن القيم رحمه الله في الزاد :(فأهل الحديث متوسطون وهم أسعد الناس بالحديث ... فإنهم يقنتون حيث قنت رسول الله ويتركونه حيث تركه فيقتدون به في فعله وتركه)[٥] ، وهكذا نجد أهل الحديث في كل مسألة من مسائل الدين ، هم فيها وسط وسنّة رسول الله لهم مسلكاً .

وأما ما استدل به القائلون بقنوت الفجر على الدوام من أدلة فإما أنها صحيحة غير صريحة أو

---

(١) رواه الترمذي (٤٠٢) وابن ماجه (١٢٤١).
(٢)ابن حجر ، الدراية ، ص ١١٧ .
(٣) ابن تيمية ، الفتاوى ، ج٢١ ، ص ١٥٤ .
(٤) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ٢٧٣ ،وهذا ما رجّحه الشوكاني في نيل الأوطار (٣٤٦/٢)
(٥) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ٢٧٢ .

ضعيفة لا يحتج بها ، وأشهرها حديث أنس قال (ما زال رسول الله يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا)[1] رواه أحمد والبيهقي ، وقد أسهب ابن القيم في الزاد في بيان ضعف هذا الحديث ونكارته ثم قال: (ولو صح لم يكن فيه دليل على هذا القنوت المعيّن البتة فإن القنوت يطلق على القيام وتطويل هذا الركن قنوت وتطويل القراءة قنوت ، وهذا الدعاء المعين قنوت فمن أين لكم أن أنساً إنما أراد هذا الدعاء المعين دون سائر أقسام القنوت)[2] وحمل الحافظ ابن حجر في الدراية معنى الحديث وقول أنس في حديث آخر (ما كان يقنت إلا إذا دعا لقوم)[3] بأن مراد أنس اثبات قنوت النوازل في الفجر إلى أن فارق الدنيا ...)

٥-بدع الناس في القنوت :

- ما يفعله بعض الأئمة من التلحين في الدعاء والتغني والوعظ والتمطيط في الدعاء .
- جلب أدعية مخترعة لا أصل لها والمواظبة عليها
- قصد السجع في الدعاء والبحث عن غرائب الأدعية .
- التطويل في القنوت بما يشق على المؤمنين .
- استفتاح دعاء القنوت بغير ما ذكر في النصوص وأثار السلف .
- قال المطيعي في هامش المجموع للنووي (ومن البدع التي لم بجد لها أصلاً قول المأمومين عند عبارات الثناء هذه (حقاً) وقولهم عند (تباركت ربنا وتعاليت) (يا الله ...)[4]
- المداومة على قنوت الوتر وكذلك قنوت الفجر في غير النوازل مع الصلوات الخمس[5] .

---

(١) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ٥٥٧٤ وقال عنه منكر ، وقال عنه ابن باز في فتاوى نور على الدرب ج١٠ ، ص ٢٤٥ بأن إسناده ضعيف .
(٢)ابن القيم ، زاد المعاد ، ج١ ، ص ٢٧٥ .
(٣)ابن حجر ، الدراية ، ص ٢٤٦ .
(٤) المطيعي ، هامش المجموع للنووي ، ج١ و ص ٧٩٠ .
(٥) موقع شبكة بينونة ، الإمارات العربية المتحدة ٢٠١٧/٠٦/٠١م.

س١٠٠ : لماذا شرع التهجد؟. وهل الرجوع إلى المساجد آخر الليل للتهجد سنة حسنة أم بدعة ؟.

ج : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (الصلاة في الليل تُسمَّى تهجدًا، وتُسمَّى قيام الليل؛ كما قال الله تعالى: (...وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ.. (٧٩)) ، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)) ، وقال سبحانه عن عباده المتقين: (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧))[٣] .

أما التراويح: فهي تُطلق عند العلماء على قيام الليل في رمضان أول الليل مع مراعاة التَّخفيف وعدم الإطالة، ويجوز أن تُسمَّى تهجدًا، وأن تُسمَّى قيامًا لليل، ولا مشاحة في ذلك. والله الموفق[٤].

يقول الشيخ المنجد : (قيام الليل : هو قضاء الليل ، أو جزءا منه ولو ساعة ، في الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله ، ونحو ذلك من العبادات ، ولا يشترط أن يكون مستغرقا لأكثر الليل وجاء في مراقي الفلاح : معنى القيام أن يكون مشتغلا معظم الليل بطاعة ، وقيل : ساعة منه ، يقرأ القرآن أو يسمع الحديث أو يسبح أو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم [٥].

وأما التهجد : فهو صلاة الليل خاصة ، وقيده بعضهم بكونه صلاة الليل بعد نوم .

قال الحجاج بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه : (يحسب أحدكم إذا قام من الليل يصلي حتى يصبح أنه قد تهجد ، إنما التهجد أن يصلي الصلاة بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، وتلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير إسناده حسن ، فيه أبو صالح كاتب الليث وفيه لين ، ورواه الطبراني وفي إسناده ابن لهيعة وقد اعتضدت روايته بالتي قبله)[٦] .

---

(١) سورة الإسراء .
(٣) سورة المزمل .
(٣) سورة الذاريات .
(٤) من ضمن الأسئلة الموجهة من المجلة العربية. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ١١/ ٣١٧).
(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٣٤ ، ص ١١٧ .
(٦) ابن حجر ، التلخيص الحبير و ج٢ ، ص ٣٥ .

فتبين بهذا أن قيام الليل أعم وأشمل من التهجد ، لأنه يشمل الصلاة وغيرها ، ويشمل الصلاة قبل النوم وبعده .

وأما التهجد فهو خاص بالصلاة ، وفيه قولان :

الأول : أنه صلاة الليل مطلقا ، وعليه أكثر الفقهاء .

والثاني : أنه الصلاة بعد رقدة [1]. الموسوعة الفقهية (٢/ ٢٣٢).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا(٩٧) ﴾[2] الإسراء/٩٧ :

والتهجد : من الهجود ، وهو من الأضداد ؛ يقال : هجد : نام ؛ وهجد : سهر ؛ على الضد . قال الشاعر:

أَلا زارَت وَأَهلُ مِنىً هُجودُ وَلَيتَ خَيالَها بِمِنىً يَعودُ

وقال آخر :

ألا طرقَتنا والرفاقُ هجودُ فباتَت بعِلّاتِ النوالِ تجودُ

يعني : نياما ، وهجد وتهجّد بمعنى ، وهجدته أي : أنمته ، وهجدته أي : أيقظته .

والتهجد التيقظ بعد رقدة ، فصار اسما للصلاة ؛ لأنه ينتبه لها ، فالتهجد القيام إلى الصلاة من النوم ، قال معناه الأسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الأسود وغيرهم ، وروى إسماعيل بن إسحاق القاضي من حديث الحجاج بن عمرو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أيحسب أحدكم إذا قام من الليل كله أنه قد تهجد إنما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة كذلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : الهجود النوم يقال : تهجد الرجل إذا سهر وألقى الهجود وهو النوم ، ويسمى من قام إلى الصلاة متهجدا لأن المتهجد هو الذي يلقى الهجود الذي هو النوم عن نفسه.[3]

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .
(٢) سورة الإسراء .
(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٠ ، ص ٣٠٧ .

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله : " ما هو الفرق بين صلاة التراويح والقيام والتهجد ، أفتونا مأجورين ؟

فأجاب : الصلاة في الليل تسمى تهجدا ، وتسمى قيام الليل ، كما قال الله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) . وقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(٢)) . وقال سبحانه في سورة الذاريات عن عباده المتقين : (آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ(١٧)).

أما التراويح : فهي تطلق عند العلماء على قيام الليل في رمضان أول الليل ، مع مراعاة التخفيف وعدم الإطالة ، ويجوز أن تسمى تهجدا ، وأن تسمى قياما لليل ، ولا مشاحة في ذلك[١] ، [٢] .

س١٠١ : لماذا حرم الله مكة المكرمة ؟.

ج ١٠١ : يقول الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى : (لا يخفى على كل من له أدنى علم وأدنى بصيرة حرمة مكة، ومكانة البيت العتيق؛ لأن ذلك أمر قد أوضحه الله في كتابه العظيم في آيات كثيرة، وبينه رسوله محمد –عليه الصلاة والسلام– في أحاديث كثيرة، وبينه أهل العلم في كتبهم ومناسكهم، وفي كتب التفسير.

والأمر بحمد الله واضح، ولكن لا مانع من التذكير بذلك، والتواصي بما أوجبه الله من حرمتها والعناية بهذه الحرمة، ومنع كل ما يضاد ذلك ويخالفه، يقول الله عز وجل في كتابه المبين: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦)فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَللهِّ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَّ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٩٧))[٣].

أوضح الله سبحانه في هذه الآيات أن البيت العتيق هو أول بيت وضع للناس، وأنه

---

(١) ابن باز ، الفتاوى ، ج١١ ، ص ٣١٧ .
(٢) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ٤٣٢٤٠ اتاريخ النشر : ٢٠١٠/٠١/٢٨م.
(٣) سورة آل عمران .

مبارك، وأنه هدى للعالمين. وهذه تشريفات عظيمة، ورفع لمقام هذا البيت، وتنويه بذلك. وقد ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس، فقال: عليه الصلاة والسلام: المسجد الحرام قلت ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلت كم بينهما؟ قال: أربعون عامًا، قلت ثم أي؟ قال: حيثما أدركتك الصلاة فصل، فإن ذلك مسجد ويبين هذا المعنى قوله –عليه الصلاة والسلام– في الصحيحين: أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورًا الحديث.

هذا البيت العتيق هو أول بيت وضع للناس للعبادة والطاعة، وهناك بيوت قبله للسكن، ولكن أول بيت وضع للناس ليعبد الله فيه ويطاف به هو هذا البيت، وأول من بناه هو خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وساعده في ذلك ابنه إسماعيل.

أما ما روي أن أول من عمره هو آدم فهو ضعيف، والمحفوظ والمعروف عند أهل العلم أن أول من عمره هو خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأول بيت وضع بعده للعبادة هو المسجد الأقصى على يد يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وكان بينهما أربعون سنة، ثم عمره بعد ذلك بسنين طويلة سليمان نبي الله–عليه الصلاة والسلام، وهذا البيت العتيق هو أفضل بيت، وأول بيت وضع للناس للعبادة، وهو بيت مبارك لما جعل الله فيه من الخير العظيم بالصلاة فيه، والطواف به، والصلاة حوله، والعبادة، كل ذلك من أسباب تكفير الذنوب، وغفران الخطايا، قال تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(١٢٥))[١]

فالله سبحانه قد جعل هذا البيت مثابة للناس يثوبون إليه، ولا يشبعون من المجيء إليه، بل كلما صدروا أحبوا الرجوع إليه والمثابة إليه؛ لما جعل الله في قلوب المؤمنين من المحبة له والشوق

---

(١) سورة البقرة .

إلى المجيء إليه؛ لما يجدون في ذلك من الخير العظيم، ورفع الدرجات، ومضاعفة الحسنات، وتكفير السيئات، ثم جعله آمنًا يأمن فيه العباد، وجعله آمنًا للصيد الذي فيه، فهو حرم آمن، يأمن فيه الصيد الذي أباح الله للمسلمين أكله خارج الحرم، يأمن فيه حال وجوده به، حتى يخرج لا ينفر ولا يقتل.

ويقول سبحانه: (..وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا .. (٩٧))[١] ، يعني وجب أن يؤمن، وليس المعنى أنه لا يقع فيه أذى لأحد ولا قتل، بل ذلك قد يقع، وإنما المقصود أن الواجب تأمين من دخله، وعدم التعرض له بسوء ، وكانت الجاهلية تعرف ذلك، فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فلا يؤذيه بشيء حتى يخرج، فهذا البيت العتيق وهذا الحرم العظيم جعله الله مثابة للناس وأمنًا، وأوجب على نبيه إبراهيم وإسماعيل أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود، أي المصلين، وقال في الآية الأخرى: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦))[٢].

والقائم هنا هو: المقيم وهو: العاكف، والطائف معروف، والركع السجود هم: المصلون. فالله جلت قدرته أمر نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل أن يطهرا هذا البيت، وهكذا جميع ولاة الأمور، يجب عليهم ذلك. ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم فتح مكة، وأخبر أنه حرم آمن، وأن الله حرمه يوم خلق السماوات والأرض، ولم يحرمه الناس، وقال: (لا ينفر صيده، ولا يعضد شجره، ولا يختلى خلاه، ولا يسفك فيه دم، ولا تلتقط لقطته إلا لمعرف) ويعني عليه الصلاة والسلام بهذا: حرمة هذا البيت.

فيجب على المسلمين، وعلى ولاة الأمور، كما وجب على إبراهيم وإسماعيل والأنبياء، وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم أن يحترموه ويعظموه، وأن يحذروا ما حرم الله فيه من إيذاء المسلمين، والظلم لهم، والتعدي عليهم حجاجًا أو عمارًا أو غيرهم، فالعاكف: المقيم، والطائف معروف، والركع السجود هم: المصلون. فالواجب تطهير هذا البيت للمقيمين فيه،

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة الحج .

والمتعبدين فيه، وإذا وجب على الناس أن يحترموه وأن يدفعوا عنه الأذى، فالواجب عليهم أيضًا أن يطهروا هذا البيت، وأن يحذروا معاصي الله فيه، وأن يتقوا غضبه وعقابه، وأن لا يؤذي بعضهم بعضًا، ولا أن يقاتل بعضهم بعضًا، فهو بلد آمن محترم يجب على أهله أن يعظموه وأن يحترموه، وأن يحذروا معصية الله فيه، وأن لا يظلم بعضهم بعضًا، ولا يؤذي بعضهم بعضًا؛ لأن السيئة فيه عظيمة، كما أن الحسنات فيه مضاعفة.

والسيئات عند أهل العلم والتحقيق تضاعف لا من جهة العدد، فإن من جاء بالسيئة فإنما يجزى مثلها، ولكنها مضاعفة بالكيفية ، فالسيئة في الحرم ليست مثل السيئة في خارجه، بل هي أعظم وأكبر، حتى قال الله في ذلك: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(٢٥)﴾[١] ،ومن يرد فيه: أي يهم فيه ويقصد، فضمن يرد معنى يهم، ولهذا عداه بالباء، بقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ أي: من يهم فيه بإلحاد بظلم ،فإذا كان من هم بالإلحاد وأراده استحق العذاب الأليم، فكيف بمن فعله؟ وإذا كان من يهم ومن يريد متوعدًا بالعذاب الأليم، فالذي يفعل الجريمة، ويتعدى الحدود فيه من باب أولى في استحقاقه العقاب والعذاب الأليم. ويقول جل وعلا في صدر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ(٢٥)﴾[٢] ،وهذا يبين لنا أنه محرم، وأنه لا فرق فيه بين العاكف وهو المقيم، والباد وهو: الوارد والوافد إليه من حاج ومعتمر وغيرهما ،وهذا هو أول الآية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ وبين جل وعلا عظمة هذا المكان، وأن الله جعله آمنًا وجعله حرمًا، ليس لأحد من المقيمين فيه ولا من الواردين إليه أن يتعدى حدود الله فيه، أو أن يؤذي الناس فيه. ومن ذلك يعلم أن التعدي على الناس وإيذاءهم في هذا الحرم الآمن بقول أو فعل، من أشد المحرمات المتوعد عليها بالعذاب الأليم، بل من الكبائر.

---

(١) سورة الحج .
(٢) سورة الحج .

ولما فتح الله على نبيه مكة-عليه الصلاة والسلام، خطب الناس وقال: إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، ولم يحرمه الناس، وأن الله جل وعلا لم يحله لي إلا ساعة من نهار، وقد عادت حرمته اليوم كحرمته بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب وقال: (إنه لا يحل لأحد أن يسفك فيه دمًا، أو يعضد فيه شجرة، ولا ينفر صيده، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته إلا لمنشد) أي معرف.

فإذا كان الصيد والشجر محترمين فيه، فكيف بحال المسلم؟ فمن باب أولى أن يكون تحريم ذلك أشد وأعظم وأكبر؛ فليس لأحد أن يحدث في الحرم شيئًا مما يؤذي الناس لا بقول ولا بفعل، بل يجب أن يحترمه، وأن يكون منقادًا لشرع الله فيه، وأن يعظم حرمات الله أشد من أن يعظمها في غيره، وأن يكون سلمًا لإخوانه يحب لهم الخير ويكره لهم الشر، ويعينهم على الخير وعلى ترك الشر، ولا يؤذي أحدًا لا بكلام ولا بفعل، ثم قال جل وعلا في سورة آل عمران: (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ(٩٧))[١] فالله جعل فيه آيات بينات، وهي التي فسرها العلماء بمقام إبراهيم، أي مقامات إبراهيم، لأن كلمة مقام لفظ مفرد مضاف إلى معرفة، فيعم جميع مقامات إبراهيم، فالحرم كله مقام إبراهيم تعبد فيه، ومن ذلك المشاعر: عرفات، والمزدلفة، ومنى، كل ذلك من مقام إبراهيم، ومن ذلك الحجر الذي كان يقوم عليه وقت البناء، والذي يصلي إليه الناس الآن كله من مقامات إبراهيم.

ففي ذلك ذكرى لأولياء الله المؤمنين، ليتأسوا بنبي الله إبراهيم، كما أمر الله نبينا بذلك في قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا (١٢٣))[٢] فأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يتبع ملة إبراهيم الخليل أبي الأنبياء جميعًا. ونبي الله محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرسل جميعًا، وأكملهم بلاغًا ونفعًا للناس، وتوجيهًا لهم إلى الخير، وإرشادًا لهم إلى الهدى، وأسباب السعادة.

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) سورة النحل .

فالواجب على كل مسلم من هذه الأمة أن يتأسى بنبيه صلى الله عليه وسلم في أداء الواجبات، وترك المحرمات، وكف الأذى عن الناس، وإيصال الخير إليهم.

ومن الواجب على ولاة الأمور من العلماء أن يبينوا وأن يرشدوا، والواجب على ولاة الأمور من الأمراء والمسئولين أن ينفذوا حكم الله وينصحوا، وأن يمنعوا كل من أراد إيذاء المسلمين في مكة من الحجاج والعمار وغيرهم، كائنًا من كان من الحجاج أو من غير الحجاج، من السكان أو من غير السكان، من جميع أجناس الناس.

ويجب على ولاة الأمور تجاه هذا الحرم الشريف أن يصونوه وأن يحفظوه، وأن يحموه من كل أذى كما أوجب الله ذلك، وأوجب نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك يعلم أن ما حدث في العام ١٤٠٧هـ من بعض حجاج إيران من الأذى أمر منكر، وأمر شنيع لا تقره شريعة، ولا يقره ذو عقل سليم، بل شريعة الله تحرم ذلك، وكتاب الله يحرم ذلك وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تحرم ذلك.

وهذا ما بينه أهل العلم وأجمعوا عليه من وجوب احترام هذا البيت وتطهيره من كل أذى، وحمايته من كل معصية ومن كل ظلم، ووجوب تسهيل أمر الحجيج والعمار وإعانتهم على الخير، وكف الأذى عنه، وأنه لا يجوز لأحد أبدًا لا من إيران ولا من غير إيران أن يؤذوا أحدًا من الناس، لا بكلام ولا بفعال، ولا بمظاهرات ولا بمسيرات جماعية تؤذي الناس وتصدهم عن مناسك حجهم وعمرتهم، بل يجب على الحاج أن يكون كإخوانه المسلمين في العناية بالهدوء والإحسان إلى إخوانه الحجاج وغيرهم، والرفق بهم وإعانتهم على الخير والبعد عن كل أذى.

هكذا يجب على الحجيج من كل جنس ومن كل مكان طاعة لله عز وجل، وتعظيما لبيته العتيق، وإظهارًا لحرمة هذا المكان العظيم، مكة المكرمة، وتنفيذًا لأمر الله، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرًا على منهج رسوله، ومنهج أصحابه رضي الله عنهم. هذا هو الواجب على الجميع، وهذا الأمر بحمد الله واضح لا يخفى على أحد، وإنما يؤذي الناس في هذا البيت العتيق من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، أو من يجهل أحكام الله أو يقصد ظلم العباد، فيكون عليه من الوزر ما يستحق بسبب إيذائه وظلمه.

وأما من آمن بالله واليوم الآخر إيمانًا صحيحًا، فإن إيمانه يردعه عن كل ما حرم الله في هذا المكان وغيره، فإن الإيمان يردع أهله عن التعدي على حدود الله وارتكاب محارمه سبحانه، وإنما يقدم العبد على المعصية لضعف إيمانه.

والواجب على ولاة الأمور إزاء المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة: العناية بحمايتهما، ودفع الأذى عنهما، وعن سكانهما، وعمن يقصدهما من العمار والحجاج، والزوار؛ طاعة لله ولرسوله، وتعظيمًا لأمر الله عز وجل، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعونًا للجميع على طاعة الله ورسوله، وتأمينًا لقلوبهم، حتى لا يذهلوا عن بعض ما أوجبه الله عليهم، أو يقعوا في شيء مما حرمه الله عليهم، والله يقول سبحانه وتعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ.. (٢))[١] ويقول سبحانه : (وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣))[٢] ، فلا بد من التواصي بالحق والصبر، والتعاون على البر والتقوى في هذا المكان وغيره، بل إن هذا المكان أعظم من غيره، وأفضل من غيره، فإن مكة المكرمة هي أفضل البقاع، وهي أحب البلاد إلى الله، وأفضل مكان وأعظم مكان، ثم يليها المدينة المنورة، ثم المسجد الأقصى، هذه هي المساجد الثلاثة التي خصها الله بمزيد التشريف على غيرها، وهي أعظم مساجد الله، وأفضل مساجد الله، وأولى مساجد الله بالاحترام والعناية.

وأعظم ذلك هذا البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا، وواجب على أهله والوافدين إليه أن يعرفوا قدره، وأن يعرفوا فضله؛ حتى لا يقعوا فيما حرم الله، وهذا واجب الجميع من المقيم والوارد، ويجب على المقيمين فيه والساكنين فيه أن يعرفوا قدره وأن يعظموه، وأن يحذروا ما حرم الله، فإذا كان المريد فيه بذنب له عذاب أليم، فكيف بالفاعل؟ وليس الوارد إليه هو المخاطب بهذا الأمر، إذ المقيم أولى وأولى، لأنه دائم فيه.

---

(١) سورة المائدة .
(٢) سورة العصر .

والواجب عليه أن يعلم ما حرم الله، وأن يبتعد عن معصية الله، وأن يجتهد في طاعة الله ورسوله، وأن يكون عونًا لإخوانه في مكة وإخوانه الوافدين إليها في حج وعمرة، وأن يكون مرشدًا لهم في الخير.

وهكذا على سكان مكة أن يعينوهم ويوجهوهم إلى الخير، ويرشدوهم إلى أسباب النجاة، وأن يحذروا إيذاءهم بأي أذى من قول أو فعل، وأن يكونوا دعاة للحق. هكذا يجب في هذين المسجدين، وفي هاتين البلدتين، ويجب على المسلم في كل زمان ومكان أن يتقي الله وأن يعظم حرماته، وأن يتعاون مع إخوانه على البر والتقوى، وأن يبتعد عن كل ما حرم الله عز وجل، ويجب على ولاة الأمور الضرب بيد من حديد، على كل من خالف أمر الله، أو أراد أن يتعدى حدوده، أو يؤذي عباده؛ طاعة لله سبحانه وتعالى، وطاعة لرسوله-عليه الصلاة والسلام، وحماية للمسلمين من الحجاج والعمار والزوار وغيرهم، واحترامًا لهذا البلد العظيم، وهذا البلد الأمين، أن تنتهك فيه حرمات الله، أو يتعدى فيه على حدود الله، أو يؤمن فيه من لا يخاف الله ويراقبه على إيذاء عباده، وتعكير صفو حجهم وأمنهم بفعل سيئ أو بقول سيئ)[1].

س١٠٢ : لماذا قال تعالى : (بليل تسكنون فيه) ولم يقل (بظلام تسكون فيه)؟.

ج١٠٢ : يقول الله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٣))[2] أين قوتكم و قدرتكم التي تغترون بها لو جعل الله تعالى الليل مستمراً بلا نهار منتظر ، لا حيلة لكم وقتئذ و لا حول و لا قوة ، سرعان ما ستستنفد الطاقة و تغطون في ليل طويل سرمدي لا نهاية له إلا

---

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشيخ في النادي الثقافي الأدبي في مكة مساء الأحد ٢٦/ ١١/ ١٤٠٨.
(مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٣/ ٣٧٧).
(٢) سورة القصص .

بالموت ، هل ستحاكمون ربكم لو فعلها ؟لا طاقة لكم و لا محاكمة و لا مجرد سؤال :(لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) و أين هي قواكم و غروركم لو كان العكس و جعل الله عليكم النهار سرمديا لا ليل بعده ، فلا سكون و لا هدوء و إنما نهار قائظ باستمرار و شمس مشرقة لا تغرب أبداً بلا أدنى قدر من راحة أو سكون أو هدوء ! استشعروا نعمة الله التي لا و لن تحصوها ، و من غرور الإنسان يظن أنها حق مكتسب له ، و لا يتذكر إلا قليلاً أنها رحمة تستحق الشكر ، قال السعدي في تفسيره : هذا امتنان من اللّه على عباده، يدعوهم به إلى شكره، والقيام بعبوديته وحقه، أنه جعل لهم من رحمته النهار ليبتغوا من فضل اللّه، وينتشروا لطلب أرزاقهم ومعايشهم في ضيائه، والليل ليهدأوا فيه ويسكنوا، وتستريح أبدانهم وأنفسهم من تعب التصرف في النهار، فهذا من فضله ورحمته بعباده. فهل أحد يقدر على شيء من ذلك؟ فلو جعل (عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ) مواعظ اللّه وآياته سماع فهم وقبول وانقياد، ولو جعل (عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) مواقع العبر، ومواضع الآيات، فتستنير بصائركم، وتسلكوا الطريق المستقيم. وقال في الليل (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) وفي النهار (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر، وعكسه النهار. وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أن العبد ينبغي له أن يتدبر نعم اللّه عليه، ويستبصر فيها، ويقيسها بحال عدمها، فإنه إذا وازن بين حالة وجودها، وبين حالة عدمها، تنبه عقله لموضع المنة، بخلاف من جرى مع العوائد، ورأى أن هذا أمر لم يزل مستمرا، ولا يزال. وعمي قلبه عن الثناء على اللّه، بنعمه، ورؤية افتقاره إليها في كل وقت، فإن هذا لا يحدث له فكرة شكر ولا ذكر[(١)].

يقول الشيخ المنجد (شروق الشمس وغروبها آيتان عظيمتان من آيات الله تعالى، كما قال تعالى:

---

(١) محمد درويش ، موقع طرق الإسلام ، في ١٧ / ١٠ / ٢٠٠٨ م.

(رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(١٨))[١] ، وهما مَشْرِق الصَّيف ومَشْرِق الشتاء، ومَغْرِب الصَّيف ومَغْرِب الشتاء للشمس والقمر جميعاً ، وقال تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ(٤٠))[٢] .

فهذه الشمس العظيمة التي تجري كل يوم، فتصبح طالعة من جهة المشرق، ثم تغرب آخر النهار، بحساب ونظام لا يدخله ذرة من خلل، دليل على عظمة الخالق المدبر سبحانه، فهو الذي أجراها، ودبر نظامها، وجعلها سراجا وضوءا لأهل الأرض في النهار، وأخفاها عنهم في الليل ليحصل لهم السكون والراحة، فكل ذلك آيات على عظيم قدرته، ورحمته، وإحسانه إلى خلقه، ولهذا قال: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٣))[٣] .

قال ابن القيم رحمه الله في بيان نعمة الشمس وأنها آية عظيمة من آيات الله: (ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ، ثم هي في كل يوم تطلع وتغرب ، بسير سخرها له خالقها ، لا تتعداه ولا تقصر عنه، ولولا طلوعها وغروبها ، لما عرف الليل والنهار ، ولا المواقيت ، ولأطبق الظلام على العا لم ، أو الضياء ، ولم يتميز وقت المعاش من وقت السبات والراحة، وكيف قدر لها السميع العليم سفرين متباعدين ، أحدهما سفرها صاعدة إلى أوجها ، والثاني سفرها هابطة إلى حضيضها ، تنتقل في منازل هذا السفر ، منزلة ، منزلة ؛ حتى

---

(١) سورة الرحمن .
(٢) سورة يس .
(٣) سورة القصص .

تبلغ غايتها منه ، فأحدث ذلك السفر بقدرة الرب القادر اختلاف الفصول من الصيف والشتاء والخريف والربيع ، فإذا انخفض سيرها عن وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء ، وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ ، وإذا كانت بين المسافتين اعتدل الزمان ، وقامت مصالح العباد والحيوان والنبات بهذه الفصول الأربعة ، واختلفت بسببها الأقوات ، وأحوال النبات وألوانه ، ومنافع الحيوان والأغذية وغيرها) " انتهى من "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٩٨).

وقال رحمه الله : (ثم تأمل حال الشمس والقمر ، في طلوعهما وغروبهما ، لإقامة دولتي الليل والنهار ، ولولا طلوعهما لبطل أمر العالم ، وكيف كان الناس يسعون في معايشهم ، ويتصرفون في أمورهم ، والدنيا مظلمة عليهم ، وكيف كانوا يتهنؤون بالعيش مع فقد النور ، ثم تأمل الحكمة في غروبهما ، فإنه لولا غروبهما لم يكن للناس هدوء ولا قرار ، مع فرط الحاجة إلى السبات وجموم الحواس ، وانبعاث القوى الباطنة وظهور سلطانها في النوم المعين على هضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء . ثم لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بدوام شروق الشمس واتصال طلوعها ، حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات ، فصارت تطلع وقتا بمنزلة السراج يرفع لأهل البيت ليقضوا حوائجهم ، ثم تغيب عنهم مثل ذلك ، ليقروا ويهدؤوا، وصار ضياء النهار مع ظلام الليل ، وحر هذا مع برد هذا ، مع تضادهما ؛ متعاونين متظاهرين ، بهما تمام مصالح العالم)[٢]"

فما على المؤمن إلا أن يراقب شروق الشمس وغروبها، ويستحضر قوتها وعظمتها، وما يترتب على ظهورها من الضياء والدفء الذي تصلح معه المعيشة، وتنبت معه الأجساد والنباتات، وتقل الأمراض والأدواء، وما يترتب على غروبها من حصول السكون والراحة وغير ذلك من النعم، فإذا انعكس سيرها وطلعت من المغرب كان إيذانا بنهاية العالم وقيام الساعة.

---

(١) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ، ج١ ، ص ١٩٨ .
(٢) المصدر السابق ج١ ، ص ٢٠٧ .

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ : أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا ، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا ، يُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى في سورة يس : (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ(٣٨))[١] .

والتفكر في آيات الله الكونية وآياته الشرعية عبادة عظيمة، تثمر حياة القلب، وزيادة اليقين، وتعظيم الخالق ، ومن الغفلة ألا ينتبه الإنسان للآيات العظيمة التي تحيط به، كالسموات، والجبال، واختلاف الليل والنهار، وتصريف الرياح والسحاب الذي بين السماء والأرض ، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(١٦٤))[٢] وقال تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(٣٨))[٣] .

فينبغي أن يتأمل الإنسان فيما حوله، وأن يتدبر ويتفكر في تلك الآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق سبحانه وقدرته وحكمته ورحمته، وألا يكون للغافلين، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

---

(١) رواه البخاري في " صحيحه " (رقم/٣١٩٩، ٤٨٠٢، ٧٤٢٤)، ومسلم في " صحيحه " (رقم/١٥٩).
(٢) سورة البقرة .
(٣) سورة يس .

اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٩١))[١] .

وقد روى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... الْآيَةَ كُلَّهَا)[٢] ،[٣] .

س١٠٣ : لماذا تقول بعض الطوائف أن المعوذتين ليستا من القرآن الكريم ؟.

ج١٠٣ : يقول محمد بن علي بن جميل المطري : (من الشبه التي يذكرها بعض الطاعنين ليطعن بها في أصح كتاب بعد كتاب الله سبحانه: ما رواه البخاري رحمه الله عن ابن مسعود أنه كان يقول: (إن المعوذتين ليستا من القرآن الكريم)، وزعموا كذباً وزوراً أنَّ البخاري لم يرو هذا الكلام إلا لمحاولة النيل من القرآن الكريم!

والجواب عن هذه الشبهة:

أن البخاري لم يتفرد برواية هذا الأثر، فقد رواه غيره كما سيأتي في كلام الحافظ ابن حجر، بل إن البخاري عندما روى هذا الحديث أبهم قول ابن مسعود ولم يصرح به لعلمه ببطلانه ومخالفته إجماع الأمة، ولفظ الحديث في صحيح البخاري برقم : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ أَبِي لُبَابَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ ح وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قُلْتُ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ أُبَيٌّ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِي: (قِيلَ لِي فَقُلْتُ)، قَالَ: فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم[٤].

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (هَكَذَا وَقَعَ هَذَا اللَّفْظ مُبْهَمًا، وَكَأَنَّ بَعْض الرُّوَاة أَبْهَمَهُ اِسْتِعْظَامًا لَهُ.. إلى أن قال: وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَحْمَد أَيْضَاً وَابْن حِبَّان مِنْ رِوَايَة حَمَّاد بْن سَلَمَة

---

(١) سورة آل عمران .
(٢) ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، رقم الحديث ٦٢٠ .
(٣) المنجد ، الإسلام سؤال وجواب ، ٣٣٢٥٣١تاريخ النشر : ٢٠٢٠/٠٧/٢٦ م.
(٤) الإمام البخاري ، صحي البخاري ، رقم الحديث ٤٩٧٧ .

عَنْ عَاصِم بِلَفْظِ: إِنَّ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود كَانَ لَا يَكْتُب الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفه، وَأَخْرَجَ أَحْمَد عَنْ أَبِي بَكْر بْن عَيَّاش عَنْ عَاصِم بِلَفْظِ: إِنَّ عَبْد اللَّه يَقُول فِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَهَذَا أَيْضًاً فِيهِ إِبْهَام، وَقَدْ أَخْرَجَهُ عَبْد اللَّه بْن أَحْمَد فِي زِيَادَات الْمُسْنَد وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق الْأَعْمَش عَنْ أَبِي إِسْحَاق عَنْ عَبْد الرَّحْمَن بْن يَزِيد النَّخَعِيِّ قَالَ: كَانَ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود يَحُكّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفه، وَيَقُول: إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَاب اللَّه، قَالَ الْأَعْمَش: وَقَدْ حَدَّثَنَا عَاصِم عَنْ زِرّ عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْب فَذَكَرَ نَحْو حَدِيث قُتَيْبَة الَّذِي فِي الْبَاب الْمَاضِي، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبَزَّار، وَفِي آخِره يَقُول: إِنَّمَا أُمِرَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَتَعَوَّذ بِهِمَا)[1] .

فالبخاري لم يتفرد برواية هذا الأثر الموقوف على ابن مسعود، وعندما احتاج إلى روايته في صحيحه في اثناء حديث ذكر قول ابن مسعود مبهما؛ لأنه يريد الاستدلال برواية أبي بن كعب لا برأي ابن مسعود، ولكن جاء قول ابن مسعود عرضاً في الإسناد.

ثم هذا قول ابن مسعود وليس حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا قولاً للبخاري، وكم من صحابي رُوي عنه قولاً شاذاً أو اجتهد اجتهاداً خاطئاً؛ كقول ابن عباس بجواز متعة النساء، وقد أنكر عليه الصحابة ذلك حتى رجع عن قوله، وكقول أم المؤمنين عائشة في جواز إرضاع الكبير من أجل النظر، وخالفها في ذلك سائر أمهات المؤمنين وجميع الصحابة رضي الله عنهم ، فما من عالم من الصحابة ومن بعدهم إلا ويصيب ويخطئ، ولا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ومن اجتهد من العلماء وأصاب فله أجران، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

وقد خالف جميع العلماء قول ابن مسعود رضي الله عنه المبشر بالجنة، والذي قدماه أثقل في الميزان من جبل أحد، وتأول أهل العلم كلام ابن مسعود وحملوه على أحسن المحامل؛ تأدباً معه لكونه من أهل العلم ومن حملة الوحي، ولكونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين زكاهم الله في قوله: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٨ ، ص ٧٤٢ .

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٠٠))[١] .

قال الحافظ ابن حجر: (قَالَ الْبَزَّار: وَلَمْ يُتَابِع اِبْن مَسْعُود عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ الصَّحَابَة. وَقَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَرَأَهُمَا فِي الصَّلَاة.. وَقَدْ تَأَوَّلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْر الْبَاقِلَّانِيّ فِي كِتَاب الِانْتِصَار وَتَبِعَهُ عِيَاض وَغَيْره مَا حُكِيَ عَنْ اِبْن مَسْعُود فَقَالَ: لَمْ يُنْكِر اِبْن مَسْعُود كَوْنهمَا مِنْ الْقُرْآن، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ إِثْبَاتهمَا فِي الْمُصْحَف، فَإِنَّهُ كَانَ يَرَى أَنْ لَا يَكْتُب فِي الْمُصْحَف شَيْئًا إِلَّا إِنْ كَانَ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَذِنَ فِي كِتَابَته فِيهِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغهُ الْإِذْن فِي ذَلِكَ، قَالَ: فَهَذَا تَأْوِيل مِنْهُ وَلَيْسَ جَحْدًا لِكَوْنِهِمَا قُرْآنًا)[٢].

فانظر إلى أدب العلماء مع هذا الصحابي الجليل حين أخطأ في اجتهاده، ثم قارن هذا الأدب بتهويل الطاعنين في السنة، المتعالمين المغرورين؛ لتعلم مدى انحرافهم عن منهج العلماء الراسخين، وبعدهم عن الأدب والإنصاف، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون[٣].

الفارق بين مُصحف ذي النوريْنِ عُثمان بن عفان .. ومُصحف ابن مسعود رضي اللهُ عنهما كبير :

١- فمُصحف عُثمان يُراد به القرآن الكريم كامِلاً ، أما مُصحف ابن مسعود فقد كتب فيه ما سِمعه فقط من الرسول مُباشرة وخشي أن ينساه ...

٢- مُصحف ابن مسعود حوى بِضع وسبعون سورة سِمعها مُباشرة من فمِ رسول الله في حين كان مُصحف عُثمان يحوي القرآن الكريم كامِلاً كما قرأهُ رسول الله وجمهور الصحابة.

٣- مُصحف عُثمان كُتِب بعد العَرضة الأخيرة على رسول الله وبعد انتهاء الوحي القرآني كامِلاً وبعد الاستِقرار على الناسِخ والمنسوخ ، في حين مُصحف ابن مسعود كُتِب قبل العَرضة الأخيرة وكُتِب مُنذ القِدم في أوائل زمان نزول القرآن ، مما جعله قد يفتقِر لآيات نزلت فيما بعد أو أن يكون شيء طبيعي وجود سُوَر لم تكتمِل بعد في مُصحفِه ..

---

(١) سورة التوبة .
(٢) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٨ ' ص ٧٤٣ .
(٣) شبكة الالوكة ٢٠١٧/١١/١ ميلادي - ١٤٣٩/٢/١١ هجري)

٤- مُصحف عُثمان أجمع عليْه جميعُ الصحابة بلا خِلاف بينهُم ، فقد كُتِب في وجودِهِم وبِشهادتِهِم ، في حين كان ابن مسعود يكتُب مُصحفه بنفسه مما يسمعه من النبي مباشرة اما في خُطبِهِ او بعد الصلاة .. وبالتالي يكون عُرضة للخطأ بسبب عدم المراجعة .

٥- مُصحف عُثمان شارك في كِتابتِهِ جميع الصحابة منذ عهد أبي بكر وإلى عهد عُثمان ، حين جمعه أبو بكر في الصُحُف في وجود الصحابة و شاهِدين على كل آية ، ثم نسخه عُثمان من صُحُف ابي بكر بيد من كتبوه انفُسُهم ، ثم مُشاركة و مراجعة ١٢ صحابياً معه ، ثم راجعه عُثمان بن عفان نفسه وقد كان هو أيضاً كاتِباً لوحي الرسول فراجعهُ اربع مرات ، ولكِن لم يُراجِع أحد لابن مسعود ما كتبه .. من راجع ما كتبهُ ابن مسعود ؟!!....إذاً مُصحف عُثمان مكتوب بالإجماع ومُصحف ابن مسعود انفرد هو وحده بكتابته وهل يثبُت قرآن بالانفراد؟!.. لا .. القرآن يثبُت فقط بالإجماع.

٦- مُصحف عُثمان كُتِب كامِلاً على القِراءة العامة التي قرأ بِها جمهور الصحابة وأجمعوا عليْها بِما فيهِم ابن مسعود ، أما مُصحف ابن مسعود فقد كتب فيه بعض القرآن على ما قد يكون نُسِخ أو على ما يُحمل كتفسير ، وعلى ما اختصّهُ بِهِ الرسول من بعض الأحرُف السبعة التي تتناسب مع لهجته لأنه كان من هزيل.

٧- مُصحف ابن مسعود لم يوجد بين أيدينا تاريخياً أصلاً وكثُرت الروايات المتناقِضة حوْله حتى ان ابن النديم يقول انه وجد العديد من المصاحِف المكتوبة وكل يزعُم صاحِبُها انها لابن مسعود وتختلف جميعها فيما بينها في ترتيب السُور ... في حين جميع المصاحِف المنسوخة التي وصلتنا هي على ترتيب وخط عُثمان بن عفان.

٨- مُصحف ابن مسعود قد يكون حوى بجانِب القرآن تفسير او شرح او خِلافه ، لأن المصحف لم يكُن يُطلق على القرآن فقط وإنما على أي كِتاب في زمانِهِم ، أما بعد جمع عُثمان فقد اقتصر إطلاق المصحف على الكِتاب المجموع فيه القرآن الكريم كامِلاً وفقط ...!

٩- أن ناسِخ المصحف وكاتِبه لعُثمان – رضِيَ اللهُ عنه – هم كتبة الوحي ، وكتبة الوحي هم أعلم بما هو مكتوب وكيفية كِتابتِه ، فقد نقلوا الوحي كما كتبوه في الصُحُف على عهد أبي

بكر ومن الصُحُف نسخوها في المصاحِفِ في عهد عُثمان ... وهم أولى بِكِتابتِه لأنهم هم الذين عدّل لهم الرسول ما كتبوا فكان يقول لهم اعيدوا القراءة علي فيُقوِّم ما فيها مِن عوج ، في حين ان ابن مسعود بجلالة عِلمه و صُحبتِه ومالهُ مِن فضل لم يكتب للرسول و لم يُقوِّم له الرسول كِتابته.

١٠- جميع الصحابة اعترضوا على تحيُّزِ ابن مسعود لمِصحفِهِ وأنه لم يُرِد حرْقهُ ، في حين أنهم باركوا جميعاً بلا منازع جمع عُثمان ... **لأن مُخالفة ابن مسعود نشأت عن أمور :**

– مخالفته في رفضه أن يختار عُثمان زيد بن ثابِت لكتابة المصحف .. فقد كان ابن مسعود رضي اللهُ عنه يرى أنه الاحق بالاختيار فهو الأعلم بتفسير القرآن وعلومِه ... و الاكبر سِنّاً و الأقدمُ اسلاما من زيد الذي كان طِفلاً يهودياً في المدينة .

– مُخالفتُهُ لهم في حرق مُصحفِهِ ..لاعتِزازِهِ بما أخذهُ مُباشرة مِن فم رسول الله ولم يضع في الحُسبان أن رسول الله كان يُقْرِئُهُ بِما يُناسِب لسان ابن مسعود ، ولم يُفرِض عليْنا القرآن بقراءة هزيل ، وإنما عمّمه الرسول على الصحابة بالقراءة التي نُسِخت في مصاحِف عُثمان .. بل مِن قبل عُثمان ، أرسل عُمر بن الخطاب إلى ابن مسعود ان لا تُعلِّم الناس في الكوفة بقراءة هزيل فلم ينزِل القرآن على هزيل ...!

– مُخالفتُهُ في اعتِزازِه بما أخذه مُباشرة عن رسول الله صلى اللهُ عليْهِ وسلّم ، ولم يُراعي أموراً كالفتنة الناجِمة عن ذلِك خاصة وان هناك من الآي ماهو منسوخ أو كُتِب على التيسير وأن من المسلِمين الجُدد من وقع في فِتنة التكفير و الاقتِتال.

١١- أجمع الصحابة على خطأ ابن مسعود ، ورجع رضي اللهُ عنه عما فعل و أقرأ التابِعين جميعاً بقراءة المسلِمين العامة ..

إن رأيت كل ما سبق وجدت ان ابن مسعود نفسُه ايضاً لم يعترِض على القراءة العامة و جمع عُثمان للقرآن لأنه نفسُه قرأ بِها وأقرأ من أخذ عنه القرآن بها ، ولكِنه اعترض في اول الأمر ظانا أنهم سيفرِضوا عليه قراءة زيد ، واعترض ظانا أنهم أهملوا عِلْمه واعترض اعتِزازاً وتيمُّناً بِما أخذه مِن الرسول ولم يُرِد أن يحرِق شيئاً خصّهُ بِهِ الرسول وكتبهُ عنه ....

وزيْدُ ابن ثابِت أولى في كِتابة المصحفِ من ابن مسعود رضي اللهُ عنهُما ، لأننا حين نُريد كِتابة كِتاب فإننا نبحث عن ناسِخ جيِّد وكاتِب ولا نبحث عن الأكثر عِلْماً أو دِراية بالتفسير او خِلافه ... فالمفسِّر نحتاجه في التفسير وليس الكِتابة ، والكاتِب نحتاجه في الكِتابة وليس التفسير ، و أولى الصحابة بنسخ ما كُتِب من وحي في العسب و الرق إلى الصُحُف في زمان أبي بكر هو من كتبها وكاتب الوحي الأصلي وهو زيد ، وأولى الصحابة في نسخ الصُحُف التي كُتِبت زمان أبي بكر في مصاحِف عُثمان هو كاتِبها وهو زيد بن ثابِت أيضاً.. فهو الأعلم بِما كتبه في زمان الرسول وزمان أبي بكر ، فنسخُهُ لهم في زمان عُثمان أولى به مِن غيرِه[1].

س١٠٤: لماذا قال الله تعالى (فالتقمه الحوت) ولم يقل (فأكله الحوت) ؟.

ج١٠٤: يقول د. زغلول النجار: كنت أقرأ لعشرات المرات بعشرات السنين قصة سيدنا يونس ومنذ سنتين فقط توقفت عند قوله تعالى: (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ(١٤٢))[2] ، فقلت: لماذا قال ربنا تبارك وتعالى: (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)؟ فبدأت أدرس طبيعة الحيتان فوجدت أن هناك مجموعة من الحيتان اسمها الحيتان الزرقاء، والحوت الأزرق أضخم حيوان خلقه الله تبارك وتعالى، فهو أضخم من الديناصورات ومن الفيلة ، فطوله يمكن أن يصل إلى أكثر من ٣٥ متراً، ويمكن أن يصل وزنه إلى أكثر من مائة وثمانين طناً ، وهذا الحيوان على ضخامته لا يأكل إلا الكائنات الميكروسكوبية الضئيلة التي تسمي (البلانكتون) الكائنات الطافية الهائمة فهو لا يملك أسنان إطلاقاً وله ألواح رأسية يصطاد بها هذه الكائنات الطافية، وطريقة تناوله لطعامه كالآتي: يأخذ بفمه عدة أمتار مكعبة من الماء فيصطاد ما فيها من كانت طافية ويخرج الماء من جانبي الفم يعني لا تفلت منه واحدة فقط من هؤلاء (البلانكتون).

وعن قصة الحوت الأزرق ويونس. عليه السلام نورد الآتي :

١– هذا الحوت على ضخامته، بلعومه لا يبلع إلا هذه الكائنات الدقيقة، فإذا دخل فمه أي

---

(١) ارشيف ملتقى أهل التفسير ، نقلا عن عبد الله خلف - الفارق بين مُصحف ذي النوريْنِ عُثمان بن عفان.
(٢) سورة الصافات .

شيء كبير لا يُبتلع، ولذلك بقي سيدنا يونس عليه السلام في فمه كاللقمة، ولهذا قال الله ربنا الحق: (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)؛ يعني لا هو قادر على بلعه ولا مضغه لأنه ليس له أسنان.

٢- الحوت يتنفس بالأوكسجين، ولذا فهو يرتفع فوق سطح الماء مرة كل خمس عشرة دقيقة.

٣- قال علماء الحيوان: إن لسان الحوت يستطيع أن يقف عليه أكثر من رجل والفم مغلق مرتاحين بدون أي مضايقة، بمعنى أن يونس عليه السلام كان جالساً بما يشبه الغرفة الواسعة المكيفة، ولهذا قال ربنا تبارك وتعالى: (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)، ولم يقل ابتلعه أو هضمه.

ولقد قرأت الآية مئات المرات، ولم تستوقفني أبداً إلا حينما تأملت فيها، ولذلك أقول: كلما تأمل الإنسان في القرآن الكريم يرى العجب ويفهم ما يجعله على يقين تام بالله رب العالمين سبحانه جل وعلا، وصدق كل حرف بالقرآن المجيد، ولقد تأملت وراجعت المصادر العلمية، وكذلك عدت للعهد القديم باللغة الإنجليزية وهو التوراة فوجدتهم يقولون:
He was swallowed by a big fish؛ ابتلعته سمكة كبيرة ، وطبعاً هناك فرق كبير جداً لأنه لو أُبتلِع لهلك بعملية الهضم ، فالتقمه غير فابتلعه؟ يعني الدلالة القرآنية هنا دقيقة تماماً، بل غاية في الدقة (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ)؛ تعني بقي كلقمة في فم الحوت لا يستطيع أن يبلعها ولم يلفظها مباشرة.(١) .

س١٠٥ : لماذا كان اليقطين هو النبات الذي انبته الله ليونس عليه السلام ؟.

ج١٠٥ : يونس، في قول الله تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ(١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(١٤٠)فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ(١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ(١٤٢)فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ(١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ(١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ(١٤٨))(٢).

---

(١) موقع اعجاز القران والسنة الخميس/أبريل/٢٠٢٠م.
(٢) سورة الصافات .

اليقطين في كتب الأولين :

يصنف اليقطين على أنه فرع من عائلة القرع. وهو بأنواع وأشكال وأحجام عديدة. وهو قابل للتخزين من دون تلف لمدة طويلة لسماكة قشرته. أما قطافه فلا يحتاج الى مجهود فهو يستند على الأرض كالبطيخ. يقول ابن كثير في تفسيره عند حديثه عن اليقطين: ...وذكر بعضهم في (القرع) (يقصد اليقطين) فوائد، منها: سرعة نباته، وتظليلُ ورقه لكبره، ونعومته، وأنه لا يقربها الذباب، وجودة أغذية ثمره، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا''. ويقول الدميري في كتابه (حياة الحيوان الكبرى) عند حديثه عن الذباب: ... ولا يقع على شجرة اليقطين. ولذلك أنبتها الله على نبيه يونس عليه الصلاة والسلام، لأنه حين أُخرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته فمنع الله عنه الذباب بذلك، فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه.

الحال الصحية ليونس عليه السلام في أثناء محنته :

مع أن الآيات التي تتكلم عن حالة يونس عليه السلام الصحية والنفسية في بطن الحوت وخارجه لم تخرج عن العموميات إلا أنها واضحة ليبنى عليها من أجل إظهار صورته الصحية بالقدر المعقول.

روت لنا الآيات السابقات أن يونس الذي ألقاه الحوت على الساحل كان في حالة إعياء وكرب شديدين. يقول ابن كثير في تفسيره: ''وَهُوَ سَقِيمٌ'' أي: ضعيف البدن. قال ابن مسعود، رضي الله عنه: كهيئة الفرخ ليس عليه ريش. وقال السدي: كهيئة الصبي حين يولد، وقاله ابن عباس ، وفي سورة الأنبياء يقول الله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ(٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ(٨٨))[١]، وهنا يستدل من الآيتين على الحالة النفسية ليونس عليه السلام .

---

(١) سورة الأنبياء

وقد اختلف العلماء والمفسرون في مدة بقاء يونس عليه السلام في بطن الحوت فقال البعض ٣ أيام وقال آخرون اسبوع وقال غيرهم بل ٤٠ يوما. وبصرف النظر عن تحديد المدة فيكفي أن تتخيل معي أخي القارئ أن توضع في قبو مظلم ورطب وحار لعدة ايام دون طعام فكيف سيكون حالك؟ فما بالك في بطن حوت يصعد وينزل في المحيطات ولا ترى داخله إلا الظلمة. ومع أن الله تعالى أوحى إلى الحوت بعدم إيذاء نبيّه إلا أن هذا الغم أو الكرب الذي أصابه ترك آثاره عليه كما تقدم.

فوائد اليقطين كما حدده علم التغذية وحاجات يونس عليه السلام :

يعتبر اليقطين مصدراً ممتازاً للفيتامينات المضادة للأكسدة كالفيتامينات A وC وE والمغنيزيوم والحديد... علماً أنه يحتوي على النسبة الأعلى من الفيتامين A . ويعتبر فيتامين أ أو A ضروري للجسم بشكل كبير. وهو ضروري بوجه خاص لنمو العظام والأسنان. ويحافظ فيتامين أ على سلامة الجلد، وقد أثبتت الأبحاث أن عصارة نبات الدباء (اليقطين) وعصارة ثمرته تعيد صبغيات الجلد وتنمي أنسجته وتقوي الجسم وهذا ما دل عليه القرآن الكريم حين اختار الله عز وجل اليقطين لنبيه يونس وهو هزيل الجسم بعد إخراجه من بطن الحوت. كما إنّ مضادات الأكسدة الموجودة في اليقطين تعمل على حماية الجهاز التنفسي من الالتهابات وتساهم في الحد من نوبات الربو.

كما يساعد فيتامين أ في تكوين الإفرازات المخاطية، التي تبني المقاومة ضد الأمراض. ويُصاب الناس الذين لا يتناولون قدرًا كافيًا من فيتامين أ بحالة يُطلق عليها اسم جفاف المِلْتحمة، حيث يصبح سطح العين جافًا مع احتمال إصابتها بالمرض. ويشكّل فيتامين أ أيضًا جزءًا من صبغتين تساعدان العين في تأدية وظيفتها الطبيعية في الضوء المتباين الشدة. ويعتبر العشى الليلي عرضًا مبكرًا لنقص فيتامين أ. وصحيح أن أحداً من المؤرخين أو المفسيرين لم يذكر شيئا عن مدى تأثر نظر سيدنا يونس بالظلمة التي عاش بها الأيام في بطن الحوت، إلا أنه يمكننا أن نستنتج (طبيا) بانه لا يوجد أحد عاش في ظلمة لعدة أيام وبقي نظره طبيعيا.

وهذا يمكن أن نراه يوميا حين نستيقظ من النوم فمن الصعوبة الإبصار بسرعة حين يظهر النور فجأة.

ويعتبر اليقطين خفيف الهضم مليناً للمعدة، فهو يحتوي على حوالي ٨٠% من وزنه ماء، لهذا فهو طارد للعطش ويزيل الحرارة والحمى، مدر للبول يفتت الحصى والرمل، ويعالج مشاكل غدة البروستات كما يزيل التهابات الكلى وينشط الكبد. ومرة أخرى يمكن أن نستنتج من أن سيدنا يونس صام في بطن الحوت إذ ماذا كان يمكنه أن يأكل ويشرب؟ وإذا كانت الحال كذلك فسوف يحتاج لفوائد اليقطين السابقة بمعظمها فعدم الأكل والشرب سيخلق مشاكل في أعضاء الجسم كافة.

واليقطين لا يذكر في بحث إلا ويشار إلى أنه مهدئ للأعصاب وأمراض النفس. لكن هذا لا يعني أن يونس عليه السلام كان يعاني من مرض نفسي – فحاشاه – إلا أن حزنه على ما رآه معصية لله حين ترك قومه وهو الذي وصفه الله بـ ‘‘أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ‘‘. كما أن سجنه في بطن الحوت أوجد له هذا الكرب وحالة السقم التي تحدثت عنها الآيات السابقات.

فكان لا بد من أن يكون في اليقطين ما يساعد سيدنا يونس للتغلب على حزنه. فبذور اليقطين تحتوي على الTryptophan الذي يساعد على الحصول على نوم هانئ وعلى مقاومة الاكتئاب كونه يتحول إلى Serotoninوينصح الدكتور خالد يوسف، أخصائي السمنة والنحافة بزيادة الأطعمة الغنية بالمغنيسيوم في نظامنا الغذائي اليومي اذ انها تساعد على تعزيز المزاج والحالة النفسية[1].

س١٠٦ : لماذا جاءت كلمة إملاق في القرآن الكريم في صغيتين : من إملاق ، وخشية إملاق ؟.

ج : يقول الاستاذ : ياسين بن علي : قال الله سبحانه وتعالى:(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ

(١) المصدر: بتصرف يسير في العنوان والنص عن موقع منتدى الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ١٨ اكتوبر ٢٠١٨ م.

﴿إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ (١٥١)﴾[١]. .وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١)﴾[٢].

أوجه العظمة والروعة في هاتين الآيتين كثيرة وفيرة منها:

١- في الآية الأولى قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وفي الآية الثانية قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، فقدم رزق الآباء في الآية الأولى على الأبناء: ﴿نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وفي الثانية قدم رزق الأبناء على الآباء: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾؛ وذلك لأنّ الكلام في الآية الأولى موجه إلى الفقراء دون الأغنياء، فهم يقتلون أولادهم من الفقر الواقع بهم لا أنهم يخشونه، فأوجبت البلاغة تقديم عدتهم بالرزق تكميل العدة برزق الأولاد. وفي الآية الثانية الخطاب لغير الفقراء وهم الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر، لا أنهم مفتقرون في الحال، وذلك أنهم يخافون أن تسلبهم كلف الأولاد ما بأيديهم من الغنى، فوجب تقديم العدة برزق الأولاد فيأمنوا ما خافوا من الفقر. فقال: لا تقتلوهم فإنا نرزقهم وإياكم أي أن الله جعل معهم رزقهم فهم لا يشاركونكم في رزقكم فلا تخشوا الفقر[٣].

٢- قال الله سبحانه في الآية الثانية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾، فجاء هنا بلفظ الخشية دون الخوف؛ لأنّهم فوق توقّعهم لمكروه الفقر عظّموه، ودليل تعظيمهم له وتهويلهم أمره أنّهم أقدموا على قتل أولادهم، فناسب هنا التعبير بالخشية دون الخوف لبيان تعظيم الأمر عندهم.

٣- في الآيتين نجد لفظة (الإملاق) ولا نجد لفظة (الفقر)، ورغم أنّ العرب تستعمل لفظة الإملاق للدلالة على الفقر إلا أن بينهما بعض الفروق:

---

(١) سورة الأنعام
(٢) سورة الإسراء .
(٣) ينظر: (أسرار البيان في التعبير القرآني)، للدكتور فاضل السامرائي.

فالإملاق من أملق أي افتقر، وهو جاري مجرى الكناية لأنّه إذا أخرج ماله من يده ردفه الفقر؛ فاستعمل لفظ السبب في موضع المسبب. قال الزمخشري: (ومن المجاز: أملق الدهر ماله: أذهبه وأخرجه من يده. وأملق الرجل: أنفق ماله حتى افتقر)[١].

والفقر يستعمل على أربعة أوجه:

الأول: وجود الحاجة الضرورية، وذلك عام للإنسان ما دام في دار الدنيا بل عام للموجودات كلها، وعلى هذا قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥))[٢].

الثاني: عدم المقتنيات.

الثالث: فقر النفس.

الرابع: الفقر إلى الله المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم أغنني بالافتقار إليك، ولا تفقرني بالاستغناء عنك)[٣] وإياه عني بقوله تعالى: (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤))[٤] وبهذا ألمّ الشاعر فقال: ويعجبني فقري إليك ولم يكن ... ليعجبني لولا محبتك الفقر[٥]". (٤)

وقد ناسب في هذا السياق استعمال لفظة (الإملاق) دون (الفقر)؛ لأنّه سبحانه وتعالى قد تكفّل في الآيتين برزق الآباء والأبناء، فنجد في الآية الأولى قوله تعالى: (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) وفي الآية الثانية قوله تعالى: (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ)، وهذا يفيد ضمان الرزق بعد أن تكفّل به الحقّ سبحانه. ولما كانت الحاجة الضرورية ممتنعة بعد أن تكفّل الله سبحانه وتعالى بسدّها، فلا يتصور الفقر إذن إلا من جهة سوء التصرف في الثروة وإن قلت أو سوء توزيعها؛

---

(١)الزمخشري ، أساس البلاغة، ص٦٠٤

(٢) سورة فاطر .

(٣) ليس هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما هو من دعاء عمرو بن عبيد.

(٤) سورة القصص .

(٥) الراغب الاصفهاني ، المفردات ، ص٣٩٧ .

ومن هنا جاء استعمال لفظة "الإملاق" لأنّها تفيد إخراج ما في اليد من مال أي أنّ الرزق موجود تكفّل به سبحانه إلا أنّ صرفه وإنفاقه وتوزيعه وإن قلّ يعود إلى الأبوين أو إلى النظام الذي وجدا فيه. فالفقر في حقيقته هو المسبّب والإملاق هو السبب. فيكون المعنى: لا تقتلوا أولادكم من فقر أو خشية فقر أنتم سببه (بسوء تصرف أو سوء توزيع)؛ لأننا تكفّلنا برزقكم وما تلدون[١].

س١٠٧ : لماذا كان هناك فرق بين الفرار والافتداء يوم القيامة ؟.

ج: سبب إختلاف ترتيب الأقارب في الآيتين في قوله تعالى : (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢))[٢] ، وقوله تعالى : (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦))[٣] ، يقول الدكتور حسام النعيمي في ذلك : يقول تعالى في سورة المعارج : (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) المعارج) الكلام على يوم القيامة (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)) المعارج) نتوقف عند كلمة (يفتدي). إذن الكلام هنا عن الفدية، أن يفدي نفسه، لما كان الكلام على فداء النفس، أن يقدِّم فداء لنفسه بدأ ببنيه، وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه. يقولون الواو لا تقتضي الترتيب لكن الإيراد بهذه الصورة له دلالته.

ويقول تعالى في سورة عبس : (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)) إذن الكلام هنا على فرار، هناك كان الكلام عن فدية. نحن نكاد نكون قد أجبنا نصف الجواب الآن لما قلنا هناك على الفدية وهنا على الفرار.

---

(١) موقع مجلة الزيتونة

(٢) سورة المعارج .

(٣) سورة عبس .

لو تخيلنا الأمر على شكل دوائر محيطة بالإنسان: الدائرة الضيقة أقرب دائرة له هو الإبن الذي هو مظنّة أن يطيع أباه، الدائرة التي بعدها الزوجة المرتبطة بالأولاد، ثم الدائرة الأخرى دائرة الفصيل. والفصيلة هي العشيرة أو الأقارب الأدنون من القبيلة. الإنسان لما يكون من قبيلة يكون عنده أقارب أدنون يعني أبناء العمومة وأبناء الخال التي ينتسب إليها في كثير من الأحيان. مثلاً عندنا نحن في العشائر أحياناً تكون العشيرة كبيرة مثل (شمّر) عشيرة كبيرة في العراق، زوبع جزء من شمر، النعيم يقولون باللهجة العامية هؤلاء البوبندر من النعيم أي آل بندر، أي فصيلة بندر، أبناء بندر. كما قال هو من تميم "أنف الناقة"، تميمي تزوج كما تزوج من قبله قبل الإسلام في مدة قصيرة وأنف الناقة طفل صغير أبوه ذبح الناقة ركض إخوته نحو الناقة يأخذون اللحم فوجد رأس الناقة كبيراً فوضع يده في أنف الناقة وبدأ يجرها فصار أنف الناقة يسخرون منه، صار كبيراً، تزوج وصار له ذرية وله أكثر من عشر زوجات في الجاهلية فصاروا بنو أنف الناقة ما كانوا يقولون التميمي وإنما يقولون بنو أنف الناقة. هؤلاء هم الفصيل أقرب شيء إليه ثم (من في الأرض جميعاً) وراء ذلك.

فالافتداء، الإنسان لما يرى حاله يريد أن يفدي نفسه، يقدم شيئاً: خذوا هذا بدلي، أقرب شيء له هو ولده، أقرب الناس إليه الابن. فلهول المشهد في ذلك الوقت يتناول الأقرب خذوا هذا، لا ينفع يأخذ الذي بعده – الزوجة –، ثم الفصيل ثم ما في الأرض جميعاً بدلي، لاحظ الترتيب لأن فيه نوع من الفداء.

لما نأتي إلى سورة عبس، نوع من الفرار يعني الهزيمة، الإنسان لما يهرب :يهرب من البُعداء أولاً، يتخلى عن من هو بعيد ثم يبدأ يتساقط شيئاً فشيئاً، لنقل كأنهم مرتبطون به فلما يركض أول من يخفف من ثقله: أخيه ثم أمه وأبيه، أيضاً يتخفف منهم. ونلاحظ هناك كان فداء لم يذكر الأم والأب لأنه لا يليق أن يفتدي الإنسان نفسه بأمه وأبيه، فلا يليق أن يذكر مع أنهم داخلون ضمن (ومن في الأرض جميعاً) لكن ما ذكر اسمهم لأن ذكر الأم والأب في الفداء مسألة كبيرة عند الناس أن يفدي نفسه بأمه وأبيه. لكن في الحرب ممكن أن يقول هم يحارون بأنفسهم، يدبرون حالهم. (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ

(٣٦)) التساقط صار شيئاً فشيئاً، (وبنيه) آخر شيء لاصق به كأنه شيء مرتبط بهذا الإنسان وهو يركض هارباً يتساقط البعيد ثم القريب ثم الأقرب حتى تعطى الصورة لهذا المشهد في يوم القيامة. فلما نتخيل هذه الصورة ونرى الفارق في الفداء وفي الفرار عند ذلك تتضح لماذا اختلف الترتيب .

(وصاحبته) هي زوجته والزوجة الإنسان ينام في حجرته معه زوجة وأولاده في السابق فهم أقرب إليه من غيرهم، فقد لا يكون في بيته الأم والأب. الترتيب اختلف لأن الصورة اختلفت: هناك صورة فداء من يعطي وينجو بنفسه فيبدأ بأقرب شيء إليه، بينما الهارب كأنها سلسلة تتساقط يسقط البعيد منها ثم الذي يليه ثم الذي يليه ثم آخر شيء اللاصق به. هذه الآية في سورة في مكان وهذه الآية في سورة في مكان ومحمد صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يرتب هذه الأمور، ألا يكفي هذا في الدلالة على نبوة محمد لم ؟ ألا يفكر الإنسان أن هذا الرجل الأمي لا يصدر منه مثل هذا التنظيم في مكانين مختلفين تنظر هنا تجد شيئاً وتنظر هنا تجد شيئاً والذي قال الشيئين كان مدركاً لما يقول هنا ولما يقول هنا في آن والمدة متباعدة بين نزول هذه السورة ونزول هذه السورة، هذا كلام ربنا سبحانه وتعالى دأبنا أن نذكر قراءة نافع لإخواننا في المغرب العربي: (لو يفتدي من عذاب يومِئذٍ) عذاب مضاف ويومٍ مضاف إليه، نافع قرأ (من عذاب يومَئذٍ) بالفتح. توجيه علماء العربية لذلك أن (يوم) ظرف والمفروض أن يكون مُعرباً لكن أضيف إلى مبني وهو (إذ) فإذا أضيف إلى مبني كثير من قبائل العرب تبنيه بسبب إضافته إلى المبني فيبنى على الفتح يقال (مبني على الفتح في محل جرّ)، تبنيه على الفتح (يومَئذ). وأكثر القراء قرأوها بالكسر (يومِئذ). نافع والكسائي فقط قرأوا بالبناء على الفتح (يومَئذ). يومِئذ مضاف إليه مجرور بالكسر فإذا فُتِح فالسرّ أنه أضيف إلى مبني. هي أصلها (يومِئذْ) والتنوين عوض عن جملة محذوفة. لأن عندنا التنوين أنواع: تنوين التمكين وتنوين العِوض. تنوين العِوض يمكن أن يكون عوضاً عن مفرد وهو اللاحق لكل عوضاً عما تضاف إليه (كلٌ يعمل على شاكلته) يعني كل إنسان فحذف كلمة إنسان وعوّض بالتنوين، هذا التنوين عوضاً عن مفرد. ويكون عوضاً عن حرف وهو

اللاحق بنحو جوار وغواش وهذا فيه كلام طويل، عوض عن الياء المحذوفة لأن جوار وغواش ممنوع من الصرف لا ينوّن لأنه على صيغة منتهى الجموع فلما نوّن قالوا حذفت الياء ونون عوضاً عن الياء المحذوفة وهذا فيه كلام كثير ، وعوض عن جملة وهو اللاحق لـ (إذ) في قوله تعالى (وأنتم حينئذ تنظرون) يعني حينئذ بلغت الروح الحلقوم. نقول قال زيد كذا وكذا وحينئذٍ رد عليه فلان بكذا يعني وحينئذ قال كذا وكذا رد عليه فلان، فهنا (يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١)) يبصرونهم يعني يُرى الأحمّاء أحماءهم يعني: يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذْ يبصروهم ببنيه[١].

س١٠٨ : لماذا قال أكله الذئب ولم يقل افترسه الذئب ؟.

ج١٠٨: يقول لأستاذ محمد إسماعيل عتوك المتخصص في إعجاز القرآن البلاغي: قوله عز وجل : (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ... (١٣))[٢] .

١- الذئب حيوان مفترس من الفصيلة الكلبيَّة، وهو كلب بَرِّيٌّ وحشيٌّ ، ومن خلقه الاحتيال والنفورُ والغدر ، وهو يفترس الغنم ، وإذا قاتل الإنسان فجرحه ورأى عليه الدم، ضَرِيَ به فربما مزَّقه ، وفيه لغتان: ذئب، وذيب، والأولى هي الأصل، وهي لغة الحجاز، وبها قرأ الجمهور . ومن الثانية قول الشاعر يخاطب جرو ذئب كان قد رباه، واستأمنه على أغنامه بدلاً من الكلب:

أكلت شُوَيْهَتي وربيتَ فينا فمن أدراك أن أباك ذيب

٢- ومعنى (أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ): أن يقتله ويأكل منه . وفعل الأكل يتعلق باسم الشيء، والمراد بعضه . يقال: أكلَه الأسد، إذا أكل منه . قال تعالى: (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ..(٣))[٣] ، عطفًا على المنهيات عن أن يؤكل منها . أي: بقتلها . ومن كلام عمر رضي الله عنه حين طعنه أبو لؤلؤة:(أكلني الكلب) ،أي: عضَّني .

(١) د. حسام النعيمي ، برنامج أسرار بلاغية على تلفزيون الشارقة ، تفريغ صوتي .
(٢) سورة يوسف .
(٣) سورة المائدة .

٣- وخصَّ الذئب بالذكر دون غيره، لأنه أغلب ما يخاف منه من الصحارى . وكانت أرضهم- على ما قيل-: مذئبة . أي: كثيرة الذئاب، ولهذا خصَّه بالذكر . وقيل: إنما خصَّه بالذكر، لأنه سبع ضعيف حقير، فنبَّه عليه السلام بخوفه عليه منه على خوفه عليه مما هو أعظم منه افتراسًا من باب أولى .. ولحقارة الذئب خصَّه الربيع بن ضبع الفزاري في كونه يخشاه، لما بلغ من السن ما بلغ في قوله:

والذئب أخشاه إن مررت به وحدي، وأخشى الرياح والمطرا

٤- والتعريف في (الذئب) يجوز أن يكون تعريف العهد الذهني، مثل تعريف (السفينة) في قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا(٧١))[١]. قال الكلبي:« رأى في منامه أن الذئب شَدَّ على يوسف، فلذلك خافه عليه. ويجوز أن يكون تعريف الحقيقة، أو الجنس ، أي: ذئب من الذئاب . ومثله تعريف (الإنسان) في قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢))[٢] ، ومثل ذلك على القولين تعريف (الكهف) في قوله تعالى:(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ.. (١٦))[٣] فيجوز أن يكون تعريف العهد، بأن كان الكهف معهودًا عندهم يتعبدون فيه من قبل ، ويجوز أن يكون تعريف الحقيقة، أو الجنس . أي: فأووا إلى كهف من الكهوف .

والقول الثاني هو الأرجح والأقوى في التعبير عن المراد، وهو أبلغ من التعبير بلفظ النكرة . فلو قيل:(وأخاف أن يأكله ذئب)، بلفظ النكرة، لما كان له من القوة والبلاغة ما كان لقوله:﴿ (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ) ، بلفظ المعرفة، لأن التنكير ينبيء عن ذئب تافه ضعيف لا ينبغي الخوف منه، فالخوف من ذئب كالخوف من لا شيء، وذلك بخلاف التعريف فإنه ينبئ عن خوف عظيم، لأنه يشمل الذئاب كلها ضعيفها، وقويها .. ومثل هذا التعريف في القرآن كثير، كتعريف (الحمار) في قوله تعالى: (كَمَثَلِ الْحِمَارِ(٥))[٤] وتعريف (الكلب) في

---

(١) سورة الكهف .
(٢)سورة العصر .
(٣) سورة الكهف .
(٤) سورة الجمعة

قوله تعالى: (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ(١٧٦))[١]..

٥- ما وقع من يعقوب عليه السلام من هذا القول كان تلقينًا للجواب من غير قصد، وهو على أسلوب قوله سبحانه:(يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(٦))[٢] ، والبلاء موكل بالمنطق .. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا تلقنوا الناس، فيكذبوا، فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الناس، فلما لقنهم أبوهم كذبوا، فقالوا: أكله الذئب)[٣]، [٤].

س ١٠٩ : لماذا أقر بعض علماء الإسلام الكفاءة في النسب عند الزواج ؟.

ج ١٠٩ : يقول سمير بن خليل المالكي : (يتفرع من هذه المسألة مسألتان :

١ – هل الكفاءة شرط في صحة النكاح ؟ .

٢ – وما هي الكفاءة المعتبرة ؟

أولا : هل الكفاءة شرط ؟.

قال ابن قدامة في المغني : اختلفت الرواية عن أحمد في اشتراط الكفاءة لصحة النكاح ، **الرواية الأولى** :روي عنه أنها شرط له . قال : إذا تزوج المولى عربية فُرِّق بينهما . وهذا قول سفيان ، وقال أحمد في الرجل يشرب الشراب : ما هو بكفء لها ، يُفرق بينهما ، وقال: لو كان المتزوج حائكاً فرقت بينهما ، لقول عمر رضي الله عنه : لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء . رواه الخلال بإسناده.

وعن أبي إسحاق الهمداني قال : خرج سلمان وجرير في سفر، فأقيمت الصلاة ، فقال جرير لسلمان : تقدم أنت. قال سلمان : بل أنت تقدم ، فإنكم معشر العرب لا يتقدم عليكم في صلاتكم ولا تنكح نساؤكم ، إن الله فضلكم علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجعله فيكم ، ولأن التزويج مع فقد الكفاءة تصرف في حق من يحدث من الأولياء بغير إذنه

---

(١) سورة الأعراف .
(٢) سورة الانفطار .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: برقم ١١٣٧٤ ، ولم أجد ما يثبت صحته .
(٤) موقع اعجاز القرآن والسنة | اعجاز القرآن.

، فلم يصح ، كما لو زوجها بغير إذنها .

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تُنكحوا النساء إلا من الأكفاء، ولا يزوجهن إلا الأولياء. رواه الدار قطني ، إلا أن ابن عبد البر قال : هذا ضعيف لا أصل له ، ولا يُحتج بمثله .

الرواية الثانية : عن أحمد ، أنها ليست شرطاً في النكاح، وهذا قول أكثر أهل العلم . لقوله تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) ، وقالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنّى سالماً وأنكحه ابنة أخيه هند ابنة الوليد بن عتبة ، وهو مولى لامرأة من الأنصار[1].

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت قيس أن تنكح أسامة بن زيد مولاه ، فنكحها بأمره [2]..

وزوّج أباه زيد بن حارثة ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية. وقال ابن مسعود لأخته : أنشدك الله أن تتزوجي مسلماً ، وإن كان أحمر رومياً أو أسود حبشياً .

ولأن الكفاءة لا تخرج عن كونها حقاً للمرأة ، أو الأولياء ، أولهما ، فلم يشترط وجودها، كالسلامة من العيوب .

وقد روي أن أبا هند حجم النبي صلى الله عليه وسلم في اليافوخ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بني بياضة ، أنكحوا أبا هند ، وانكحوا إليه[3] .

والصحيح أنها غير مشترطة ، وما روي فيها يدل على اعتبارها في الجملة ، ولا يلزم منه اشتراطها ، وذلك لأن للزوجة وكل واحد من الأولياء فيها حقاً ، ومن لم يرض منهم فله الفسخ .

---

(١) الإمام البخاري ، صحيح البخاري ، رقم الحديث ٥٠٨٨ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١١١٩ .
(٣) الألباني ، صحيح الجامع ، رقم الحديث٧٨٩٦ .

ولذلك لما زوج رجل ابنته من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته ، جعل لها النبي صلى الله عليه وسلم الخيار ، فأجازت ما صنع أبوها ، ولو فقد الشرط لم يكن لها خيار ..." .

إلى أن قال " فإن قلنا : ليست شرطاً ، فرضيت المرأة والأولياء كلهم ، صح النكاح ، وإن لم يرض بعضهم فهل يقع العقد باطلاً من أصله أو صحيحاً ؟ .

فيه روايتان عن أحمد ، وقولان للشافعي .

أحدهما : هو باطل ، لأن الكفاءة حق لجميعهم ، والعاقد متصرف فيها بغير رضاهم فلم يصح ، كتصرف الفضولي .

والثاني : هو صحيح ، بدليل أن المرأة التي رفعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن أباها زوجها من غير كفئها خيّرها ، ولم يبطل النكاح من أصله ..

ثم قال (فعلى هذه الرواية ، لمن لم يرض الفسخ . وبهذا قال الشافعي ومالك) .

وقال أبو حنيفة : إذا رضيت المرأة وبعض الأولياء ، لم يكن لباقي الأولياء فسخ ، لأن هذا الحق لا يتجزأ ، وقد أسقط بعض الشركاء حقه فسقط جميعه ، كالقصاص .

ولنا : أن كل واحد من الأولياء يعتبر رضاه ، فلم يسقط برضى غيره ، كالمرأة مع الولي .

فأما القصاص فلا يثبت لكل واحد كاملاً ، فإذا سقط بعضه تعذر استيفاؤه ، وهاهنا بخلافه ولأنه لو زوّجها بدون مهر مثلها ، ملك الباقون عندهم الاعتراض ، مع أنه خالص حقها ، فهاهنا مع أنه حق لهم أولى .

وسواء كانوا متساوين في الدرجة أو متفاوتين ، فزوّج الأقرب ، مثل أن يزوج الأب بغير كفء ، فإن للإخوة الفسخ .

وقال مالك والشافعي : ليس لهم فسخ إذا زوج الأقرب ، لأنه لا حقّ للأبعد معه ، فرضاؤه لا يعتبر.

ولنا : أنه وليٌّ في حالٍ ، يلحقه العار بفقد الكفاءة ، فملك الفسخ كالمتساويين[1].

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج ٩ ، ص ٣٨٧ .

قلت : قد أطلت في نقل كلام ابن قدامة هنا ، لأنه جمع في حكم الكفاءة بين الأدلة والمذاهب باختصار ، **وتلخص كلامه في الآتي** :

١- اشتراط الكفاءة لصحة النكاح مختلف فيه بين المذاهب ، وللحنابلة فيه روايتان ، وأكثر أهل العلم على أنها ليست شرطاً ، فلو زُوِّجت المرأة بغير كفء صح النكاح ، فالكفاءة معتبرة وليست شرطاً .

٢- أن للأولياء ، أو بعضهم ، حق المطالبة بفسخ النكاح إذا زوجت المرأة بغير كفء ، لكن أبا حنيفة يقول : إذا رضيت المرأة وبعض الأولياء ، فليس لباقي الأولياء حق الفسخ .

ومالك والشافعي يقولان : إذا زوّج الولي الأقرب ، فليس للأبعد حق الفسخ ، لأن رضا الأبعد لا يعتبر .

٣- والنصوص التي ذكرها ابن قدامة تدل على عدم اشتراط الكفاءة في الدين والنسب والصنعة ، وسنناقشها من حيث الدلالة والثبوت .

وقال في الكفاية في شرح قول صاحب الهداية (الكفاءة في النكاح معتبرة) (أي : يعتبر وجودها في حق اللزوم في النكاح ، فعند عدمها كان للأولياء حق الاعتراض بالتفريق) .

وعن الكرخي رحمه الله أنه كان يقول : الأصح عندي أنه لا تعتبر الكفاءة أصلاً ، لأن الكفاءة غير معتبرة فيما هو أهم من النكاح ، وهو الدماء ، فلأن لا يعتبر في النكاح أولى .

ولكن هذا ليس بصحيح ، فإن الكفاءة في الدين غير معتبرة في باب الدم ، حتى يقتل المسلم بالكافر الذمي ، ولا يدل ذلك على أنه غير معتبر في النكاح[1].

ثانياً : ما هي الكفاءة المعتبرة ؟

قال ابن قدامة في المغني في شرح قول الخرقي " والكفء ذو الدين والمنصب : (يعني بالمنصب الحسب ، وهو النسب ، واختلفت الرواية عن أحمد في شروط الكفاءة ، فعنه هما شرطان : الدين والمنصب ، لا غير ، وعنه أنها خمسة : هذان ، والحرية ، والصناعة ، واليسار

---

(١) الشوكاني ، فتح القدير ، ج٣ ، ص ١٨٥ .

وذكر القاضي في (المجرد) :أن فقد هذه الثلاثة لا يبطل النكاح ، رواية واحدة ، وإنما الروايتان في الشرطين الأولين .. .

إلى أن قال ابن قدامة : وقال مالك : الكفاءة في الدين لا غير . قال ابن عبد البر : هذا جملة مذهب مالك وأصحابه . وعن الشافعي كقول مالك ، وقولٌ آخر : أنها الخمسة التي ذكرناها ، والسلامة من العيوب الأربعة ، فتكون ستة .

وكذلك قول أبي حنيفة والثوري والحسن بن حَي ، إلا في الصنعة والسلامة من العيوب الأربعة.. .

ثم استدل ابن قدامة على اعتبار الدين بقوله تعالى : (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨))[٢] ، قال : (والفاسق لا يجوز أن يكون كفؤاً لعفيفة ، ولا مساوياً لها ، لكن يكون كفؤاً لمثله) ، واستدل على اعتبار النسب بأثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ، قال : قلت وما الأكفاء ؟ قال في الحسب .

قال ابن قدامة :(ولأن العرب يعدُّون الكفاءة في النسب ويأنفون من نكاح الموالي ، ويرون ذلك نقصاً وعاراً ، فإذا أطلقت الكفاءة وجب حملها على المتعارف).

واستدل ابن قدامة على اعتبار الكفاءة في الخصال الثلاث الأخرى وهي : الحرية ، واليسار ، والصناعة بأدلة[١] .

والذي يعنينا هنا هو النظر في اعتبار الكفاءة في الدين والنسب ، فهما أهم الخصال المطلوبة في النكاح ، ولأن ما سواها أضعف حجة ودلالة .

الكفاءة في الدين :

أما اعتبار الكفاءة في الدين فأدلته صريحة في الكتاب والسنة ، وعليه جرى عمل الصحابة في النكاح .

الآيات الدالة على ذلك :

---

(١) ابن قدامة ، المغني ، ج٩ ، ص ٣٩١ .
(٢) سورة السجدة .

١ – قال تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣))[1] .

٢ – وقال تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ.. (٧١))[2].

٣ – وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.. (١٠))[3]..

٤ – وقال تعالى: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا(٢٢١))[4] .

٥ – وقال تعالى: (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٣))[5] .

وأما الأحاديث والآثار ، فمنها :

١- حديث عائشة رضي الله عنها :(أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة زوج مولاه سالماً ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة)[6] .

٢- زوج النبي صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية[7] .

٣- وأمر النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت قيس أن تنكح أسامة بن زيد فنكحها بأمره[8] .

٤- حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وانكحوا إليه وكان أبو هند حجاماً)[9] .

٥- حديث " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد)[10]، ويشهد له حديث أبي هريرة الآخر " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه

---

(١) سورة البقرة .
(٢)سورة التوبة .
(٣) سورة الحجرات .
(٤) سورة البقرة .
(٥)سورة النور .
(٦) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ١٣١ .
(٧) الدار قطني ، السنن ، ج٣ ، ص ٣٠١ .
(٨) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ١٤٨٠ .
(٩) رواه أبو داود (٢١٠٢) وصححه الحاكم(١٦٤/٢)وقال ابن حجر في بلوغ المرام (٩٤١) " سنده جيد
(١٠) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٠٨٥ .

فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[1] .

٦- حديث أبي هريرة قال :(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله)[2] .

٧- حديث :(لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[3] .

الكفاءة في النسب:

وأما اعتبار الكفاءة في النسب ، فقد ذكر ابن قدامة له أدلة ، وهي :

١- حديث: (لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء)[4] ، رواه الدار قطني في سننه وضعفه . وكذا البيهقي ، وقال (هذا ضعيف بمرة) وقد قال البيهقي قبل ذلك وفي اعتبار الكفاءة أحاديث أخر لا تقوم بأكثرها الحجة ، وقد نقل ابن قدامة تضعيف ابن عبد البر لهذا الحديث ، وقوله " لا أصل له ولا يحتج بمثله[5].

٢- أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء)[6]

٣- أثر سلمان رضي الله عنه : (إنكم معشر العرب لا يتقدم عليكم في صلاتكم ولا تنكح نساؤكم) كذا ذكره ابن قدامة وهو في سنن البيهقي بلفظ :(لا نَنكح نساءكم ولا نؤمكم)[7] وذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم وساق إسناده من مسند البزار ، ثم قال : (هذا إسناد جيد)[8] ،ثم قال ابن تيمية: وهذا مما احتج به أكثر الفقهاء الذين جعلوا العربية من الكفاءة بالنسبة إلى العجمي ، واحتج به أحمد في إحدى الروايتين على أن الكفاءة ليست حقاً لواحد معين ، بل هي من الحقوق المطلقة في النكاح ، حتى إنه يفرق بينهما عند

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ١٠٨٤ .

(٢) أبو داوود ، السنن ، رقم الحديث ٢٠٥٢ .

(٣)الإمام أحمد ، المسند ،ج٥ ، ص ٤١١ .

(٤) رواه الدار قطني في سننه (٢٤٥/٣) وضعفه . والبيهقي (١٣٣/٧).

(٥) وانظر نصب الراية للزيلعي (١٩٦/٣)وإرواء الغليل(٢٦٤/٦ .

(٦) رواه الدارقطني (٢٩٨/٣) والبيهقي (١٣٣/٧).

(٧) البيهقي ، السنن ، ج٧ ، ص ١٣٤ .

(٨) ابن تيمية ، اقتضاء الصراط المستقيم ، ج١ ، ص ٣٩٤ .

عدمها..

وهناك أحاديث صحيحة مشهورة استدل بها بعض أهل العلم على اعتبار الكفاءة في النسب ، ومنها حديث الاصطفاء المشهور ، (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)[1] .

وأدلة من اعتبر الكفاءة في النسب إما صحيحة غير صريحة في مسألة النكاح ، كهذا الحديث . أو غير صحيحة ، كحديث (لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء)[2] ، ثم هو مع ضعفه ، فإنه غير صريح في اعتبار النسب ، لأنه قد يكون مقصوده الكفاءة في الدين .

وأما أثر عمر بن الخطاب ، فإنه إن صح ، فقد يكون سببه ما رآه من تساهل في تزويج ذوات الأحساب بالموالي ، مع وجود من هو أفضل منهم شرفاً وعلماً .

وهذا كنهيه عن متعة الحج حتى لا يهجر البيت ، وكما ألزم الناس بالطلاق بالثلاث عقوبة لهم لما تتايعوا عليه ، إلى غير ذلك من الأقضية والسنن العمرية المشهورة ، التي سنها لسبب عارض .

ثم نقول : إن الاستدلال بهذا الأثر على منع تزويج ذات الحسب بمن هو دونها في النسب ، يعارضه الأدلة الصريحة في تزويج زيد بن حارثة وابنه أسامة وسالم مولى أبي حذيفة وبلال بن رباح وغيرهم بالقرشيات ، وقد أقر ذلك من هو أفضل من عمر ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قد تزوج بأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهي ارفع منه نسباً .

وبقي أثر سلمان في قوله للعرب (لا تنكح نساؤكم) وقد رأينا أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة على خلاف ذلك في النكاح وفي الإمامة في الصلاة .

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٢٧٦ .
(٢) قال عنه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ج٨ ، ص١٦٤ بأنه باطل .

والذي يظهر لي أن قصد سلمان رضي الله عنه من ذلك التنويه بمنزلة العرب ورفعتهم على سائر الشعوب ، وليس مقصوده التحريم والمنع ، بقرينة قوله " لا يتقدم عليكم في صلاتكم " ومعلوم أن إمامة الأعجمي للعربي جائزة ، والحديث المشهور صريح في تقديم الأقرأ ثم الأعلم بالسنة في الإمامة ، عربياً كان أم أعجمياً .

وقد تولى عدد من الموالي في زمن الصحابة بعض الإمارات ولم ينكره أحد ، وقد بوب البخاري في صحيحه بقوله (باب إمامة العبد والمولى) ، ثم ذكر قصة إمامة سالم مولى أبي حذيفة للمهاجرين الأولين قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لأنه كان أكثرهم قرآناً ، وذكر أيضاً حديث أنس المرفوع " اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم حبشي ، كأن رأسه زبيبة[١] .

وفي صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب لما سأل نافع بن عبد الحارث عن إنابته أحد الموالي على إمارة مكة ، فأجابه بأن هذا المولى قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض ، فقال عمر بن الخطاب (أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)[٢] .

واعتبار الكفاءة في الدين هو الذي اتفق عليه علماء الأمة ، وهو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة . قال الحافظ ابن حجر في الفتح ،(واعتبار الكفاءة في الدين متفق عليه ، فلا تحل المسلمة لكافر أصلاً)[٣] .

وأما اعتبار الكفاءة في غير الدين فهو مختلف فيه ، كما رأيت ، وأدلته معارضة بما هو أقوى منها ، واعتبار الكفاءة في النسب مختلف فيه اختلافاً كثيراً ، فبعضهم جعل العرب كلهم أكفاء ، وبعضهم خص قريشاً من بينهم ، وبعضهم خص بني هاشم من قريش ، وقد اختار كثير من الأئمة المحققين القول الأول ، وهو اعتبار الكفاءة في الدين .

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٢ ، ص ١٨٤ .
(٢) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٨١٧ .
(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج٩ ، ص ١٣٢ .

قال البخاري في صحيحه : باب الأكفاء في الدين . وقوله : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤))[١] ، ثم استدل عليه بقصة سالم مولى أبي حذيفة ، وبتزويج المقداد بن الأسود ، وكان من حلفاء قريش ، بضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب ، وبحديث تنكح المرأة لأربع .. (وفيه : فاظفر بذات الدين تربت يداك) ، وبحديث هذا (خير من ملء الأرض مثل هذا) ، يعني الفقير الذي قال عنه الصحابة : (حريٌّ إن خطب أن لا ينكح) في مقابلة الآخر الذي قالوا عنه : (حريٌّ إن خطب أن ينكح) ، وقد أطال ابن عبد البر في التمهيد الكلام على مسألة الكفاءة ، واستدل بقصة فاطمة بنت قيس وأمر النبي صلى الله عليه وسلم إياها بنكاح أسامة بن زيد ، فقال " وأما قوله : انكحي أسامة بن زيد ، قالت فنكحته ، ففي هذا جواز نكاح الموالي القرشية ، وأسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو رجل من كلب ، وفاطمة قرشية فهرية أخت الضحاك بن قيس الفهري ، وهذا أقوى شيء في نكاح المولى العربية والقرشية ، ونكاح العربي القرشية ، وهذا مذهب مالك ، وعليه أكثر أهل المدينة ، وروى ابن أبي أويس عن مالك قال : لم أر هذا من أهل الفقه والفضل ، ولم أسمع أنه أنكر أن يتزوج العرب في قريش ، ولا أن يتزوج الموالي في العرب وقريش ، إذا كان كفؤاً في حاله ، قال مالك : ومما يبين ذلك أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنكح سالماً فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلم ينكر ذلك عليه ، ولم يعبه أحد من أهل ذلك الزمان .

ثم قال ابن عبدالبر : قد كرهه قوم ، وهذا الحديث حجة عليهم . قال الله تعالى :(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. (١٣)) ، واختلف العلماء في الأكفاء في النكاح ، فجملة مذهب مالك وأصحابه : أن الكفاءة عندهم في الدين ،وقال ابن القاسم عن مالك : إذا أبى والد الثيب أن يزوجها رجلاً دونه في النسب والشرف ، إلا أنه كفؤ في الدين ، فإن السلطان

---

(١) سورة الفرقان .
(٢) سورة الحجرات .

يزوجها ، ولا ينظر إلى قول الأب والولي من كان ، إذا رضيت به وكان كفؤاً في دينه .قال مالك : تزويج المولى العربية حلال في كتاب الله عز وجل ، لقوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ). وقوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا) .

ثم ذكر المذاهب الأخرى في اعتبار النسب وغيره ، وذكر بعض ما استدلوا به ثم قال ابن عبدالبر :(أصح شيء في هذا الباب حديث مالك وغيره ، في قصة فاطمة بنت قيس ونكاحها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد ، وهو ممن قد جرى على أبيه السبأ والعتق) .

ثم ذكر الأحاديث في الترغيب في نكاح ذات الدين والصلاح ، ثم ختم كلامه بقوله : (هذه الآثار تدل على أن الكفاءة في الدين أولى ما اعتبر واعتمد عليه[1].

وقال ابن حزم في المحلى وأهل الإسلام كلهم إخوة ، لا يحرم على ابن من زنجية لَغِيَّة نكاح ابنة الخليفة الهاشمي ، والفاسق الذي بلغ الغاية من الفسق المسلم ، ما لم يكن زانياً ، كفؤ للمسلمة الفاضلة ، وكذلك الفاضل المسلم كفؤ للمسلمة الفاسقة ، ما لم تكن زانية .." إلى أن قال " احتج المخالفون بآثار ساقطة ، والحجة قول الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) ، وقوله تعالى مخاطباً لجميع المسلمين :(فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) ، وذكر عز وجل ما حرم علينا من النساء ، ثم قال تعالى: (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ) ، وقد أنكح رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب أم المؤمنين زيداً مولاه ، وأنكح المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب .

وقال المرداوي في الإنصاف وقال الشيخ تقي الدين (يعني ابن تيمية) : لم أجد نصاً عن الإمام أحمد رحمه الله ببطلان النكاح لفقر أو رقٍّ ، ولم أجد أيضاً عنه نصاً بإقرار النكاح مع عدم الدين والمنصب خلافاً ، وأختار أن النسب لا اعتبار به في الكفاءة .

---

(١) ابن عبد البر ، التمهيد ، ج١٩ ، ص ١٦٢ ١٦٨ .

وذكر ابن أبي موسى عن الإمام أحمد رحمه الله ما يدل عليه .واستدل الشيخ تقي الدين رحمه الله بقوله تعالى في الحجرات : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾[١] ... إلى أن قال : قال الشيخ تقي الدين رحمه الله أيضاً : ومن قال : إن الهاشمية لا تزوج بغير هاشمي ، بمعنى : أنه لا يجوز ذلك ، فهذا مارق من دين الإسلام ، إذ قصة تزويج الهاشميات من بنات النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن بغير الهاشميين ثابت في السنة ثبوتاً لا يخفى[١].

وقال ابن القيم رحمه الله : فصل : في حكمه صلى الله عليه وسلم في الكفاءة في النكاح قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وقال تعالى :﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم : (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، الناس من آدم وآدم من تراب)، وقال صلى الله عليه وسلم : (إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء ، إن أوليائي المتقون حيث كانوا وأين كانوا) ، ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك ، منها حديث :إذا جاءكم من ترضون دينه .. وحديث " انكحوا أبا هند .. وتزويج زينب من زيد ، وفاطمة بنت قيس من أسامة ، وأخت عبدالرحمن بن عوف من بلال بن رباح .

يقول الكاتب : حديث :(إن آل بني فلان .... وجدته بنحوه بلفظ : (إن آل أبي فلان)[٢] ، وأخت عبدالرحمن بن عوف قيل اسمها هالة ، ذكرها الحافظ في الإصابة . وأنها تزوجت من بلال [٣]، ثم قال " فالذي يقتضيه حكمه صلى الله عليه وسلم اعتبار الدين في الكفاءة ، أصلاً وكمالاً ، فلا تُزوّج مسلمة بكافر ، ولا عفيفة بفاجر ، ولم يعتبر القرآن

---

(١) ابن حزم ، المحلى ، ج١٠ ، ص ٢٤ .
(٢) " رواه البـــخاري١٠/٣٥١ ومسلم ٢١٥ وانظرالأدب المفرد للبخاري ٨٩٧ .
(٣) ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص ٤٠٦ .

والسنة في الكفاءة أمراً وراء ذلك ، فإنه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث ، ولم يعتبر نسباً ولا صناعة ولا غنىً ولا حرية ، فجوّز للعبد القِنِّ نكاح الحرة النسيبة الغنية ، إذا كان عفيفاً مسلماً ، وجوّز لغير القرشيين نكاح القرشيات ، ولغير الهاشميين نكاح الهاشميات ، وللفقراء نكاح الموسرات)[١] .

وللإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني كلام نفيس في اعتبار الكفاءة في الدين ، ذكره في كتابه سبل السلام شرح بلوغ المرام ، ومما جاء فيه قوله : (وقد اختلف العلماء في المعتبر من الكفاءة اختلافاً كثيراً ، والذي يقوى هو ما ذهب إليه زيد بن علي ومالك ... أن المعتبر : الدين ، لقوله تعالى :(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) والحديث :(الناس كلهم ولد آدم) وتمامه (وآدم من تراب) .. إلى أن قال : وأشار البخاري إلى نصرة هذا القول حيث قال : باب الأكفاء في الدين ...إلى أن قال " وللناس في هذه المسألة عجائب لا تدور على دليل غير الكبرياء والترفع ، ولا إله إلا الله ، كم حُرمت المؤمنات النكاح لكبرياء الأولياء واستعظامهم أنفسهم ، اللهم إنا نبرأ إليك من شرطٍ ولّده الهوى وربّاه الكبرياء[٢] ..

وقال الشوكاني في كتاب : السيل الجرار :الكفاءة في الدين معتبرة اتفاقاً كما حكاه ابن حجر في الفتح ، ويدل على ذلك قول الله عز وجل :(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) ، ثم ذكر بعض الأدلة على اعتبار الكفاءة في الدين ، ثم أدلة من اعتبر الكفاءة في النسب ، وأجاب عليها ، ثم قال " وإذا تقرر لك هذا عرفت أن المعتبر هو الكفاءة في الدين والخلق لا في النسب ، لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم بأن حسب أهل الدنيا المال ، وأخبر أن في أمته ثلاثاً من أمر الجاهلية ، وذكر منها " الفخر في الأحساب " ، كان تزويج غير كفء في النسب والمال من أصعب ما ينزل بمن لا يؤمن بالله واليوم الآخر .. إلى أن قال : فيا عجباً كل العجب من هذه التعصبات الغريبة والتصلبات على أمر الجاهلية.[٣]

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ، ص ١٤٤ – ١٤٦ .
(٢) الصنعاني ، سبل السلام ، ج٣ ، ص ١٠٠٧ .
(٣) الشوكاني ، السيل الجرار ، ج٢ ، ص ٢٩١ .

قال الكاتب : قصد بذلك تعصبات الأشراف وتصلباتهم في مسألة النسب ، كما هو حال كثير منهم هنا في مكة وفي غيرها من مدن الحجاز ، وأما تعصب بعض القبائل النجدية ، من تميم وغيرها ، فحدث عنه ولا حرج ، وهو مما عمت به البلوى في هذا الزمان ، وسارت بخبره الركبان ، والله المستعان ، وحديث : (أربع في أمتي من الجاهلية)[١]…. ، وذكر منها الفخر بالأحساب .

وقد وافق الإمام الشوكاني فيما ذهب إليه من اعتبار الكفاءة في الدين والخلق ، العلامة صديق حسن خان ، وانظر كلامه في الروضة الندية] وقد أطال الكلام في المسألة ، ومما قاله رحمه الله " وأعلى الصنائع المعتبرة في الكفاءة في النكاح على الإطلاق العلم ، لحديث " العلماء ورثة الأنبياء ..ثم ختم كلامه بقوله : (وهكذا كان شأن التزوج في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يعرِّج أحد منهم على الكفاءة في النسب ، وإنما أخذ بذلك الجهلة من الأمة ، لاسيما أهل القرى والقصبات من نسل العترة والصحابة رضي الله عنهم أجمعين . وأكثرهم خائضون في الباطل عاطلون عن حلي العلم الموصل إلى الحق ، وكان أمرالله قدراً مقدوراً)[٢]" اهـ .

وذكر سيد سابق اختلاف المذاهب في اعتبار الكفاءة في النسب ، ثم قال :على أن شرف العلم دونه كل نسب وكل شرف ، فالعالم كفء لأي امرأة ، مهما كان نسبها ، وإن لم يكن له نسب معروف ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " الناس معادن ، كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وقول الله تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ(١١))[٣]، وقوله عز وجل : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ(١٠))[٤] ،[٥].

---

(١) الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، رقم الحديث ٩٣٤ .
(٢) الشوكاني ، الروضة الندية ، ج٢ ، ص٨ – ١٠ .
(٣) سورة المجادلة .
(٤) سورة الزمر .
(٥) سيد سابق ، فقه السنة ، ج٢ ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

وقد قال الشيخ العثيمين رحمه الله في شرحه لزاد المستقنع في اعتبار الكفاءة في الدين: المراد بالدين هنا : أداء الفرائض واجتناب النواهي ، فليس شرطاً أن يكون الزوج مؤدياً لجميع الفرائض مجتنباً لجميع النواهي ، فيصح تزويج الفاسق ، والصحيح أن الدين شرط لصحة عقد النكاح إذا كان الخلل من حيث العفاف ، فإذا كان الزوج معروفاً بالزنا ، ولم يتب ، فإنه لا يصح أن يزوج ، وإذا كانت الزوجة معروفة بالزنا ولم تتب فإنه لا يصح أن تزوج ، لا من الزاني ولا غيره ..إلى أن قال : وقوله : ومنصب وهو النسب ، يعني أن يكون الإنسان نسيباً ، أي : له أصل في قبائل العرب ، احترازاً من الذي ليس له أصل ، فالنسب ليس شرطاً في صحة النكاح ، وعلى هذا فيجوز أن تزوج امرأة قبيلية من إنسان غير قبيلي .. ، إلى أن قال : قوله : فلمن لم يرض من المرأة أو الأولياء الفسخ ، المرأة معلوم يشترط رضاها ، كما سبق ، فإذا لم ترض لا تزوج ، لكن الأولياء ولو بعدوا لهم الفسخ ، يعني : لو أن شخصاً قبيلياً زوّج ابنته برضاها برجل غير قبيلي ، والرجل صاحب دين وتقوى وخلق ومال ومن أحسن الناس ، فجاء ابن عم بعيد وقال : أنا ما أرضى ، فله الفسخ على المذهب ، حتى من وُلِدَ بعد ، فهذه امرأة قبيلية تزوجها غير قبيلي وبقيت معه خمسين سنة ، وأنجبت منه أولاداً ، فولد لأحد أبناء عمها البعدين ولد ، فلما كبر قال : أنا ما أقبل ، افسخوا النكاح ، فيفسخ النكاح ، ولو لها أولاد وبيت ، فيفسد البيت وكل شيء من أجل ابن العم الذي قد يكون حاسداً ، ولا يهمه شرف النسب ، وظاهر كلام المؤلف أنه حتى أولادها يفسخون ، لأنهم أولياء ، والصحيح أنه ليس لأحد الحق في فسخ النكاح مادام النكاح صحيحاً ، ونقول لهؤلاء الذين يقولون بالصحة ، ثم يقولون : يجوز الفسخ ، نقول : إذا صح العقد بمقتضى الدليل الشرعي ، فكيف يمكن لإنسان أن يفسخه إلا بدليل شرعي ؟! ولا دليل ، وعلى هذا فنقول : إذا زوّج الأب الذي هو من القبائل الشريفة المعروفة بمن ليس بقبيلي ، فالنكاح صحيح ، وليس لأحد من أوليائها أن يفسخ النكاح ، وهذا كله من الجاهلية ،

(١) ابن عثيمين ، الشرح الممتع ، ج١٢ و ص ١٠١ -١٠٥ .

قال الكاتب : صدق الشيخ العثيمين رحمه الله فيما قاله ، فالنكاح إذا وقع صحيحاً ، برضا الفتاة ووليها ، فلا يحل لأحد أن يفسخه إلا بدليل صحيح من كتاب أو سنة أو إجماع ، وليس عند الذين رأوا فسخه باعتبار النسب أي دليل ، سوى التعصب لقول أو لمذهب .

ثم نقول أيضاً : إن فسخ النكاح الصحيح من دون دليل شرعي يخالف الأصول والقواعد الشرعية ، مع ما فيه من مفاسد وشرور عظيمة ، وذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن عقد النكاح إذا استوفى أركانه وشرائطه ، فإنه يكون عقداً صحيحاً متيقناً . ومن أراد فسخه فلابد أن يكون لديه حكم متيقن ، لأن " اليقين لا يزول بالشك " ، ولا ريب أن من يحكم بفسخ مثل هذا النكاح اليقيني لمجرد أن أحد الأولياء الأباعد طالب به لعدم كفاءة النسب ، ليس معه نص من كتاب ولا من سنة ولا إجماع ، فكيف يحكم به ؟.

قال ابن القيم : لا يُزال النكاح المتيقّن إلا بيقين مثله من كتاب أو سنة أو إجماع متيقّن ، فإذا أوجدتمونا واحداً من هذه الثلاثة رفعنا حكم النكاح به[1].

وذكر ابن القيم أيضاً أن النكاح يحتاط له ، فلا يخرج منه إلا بيقين ، فقال " فإنا احتطنا ، وأبقينا الزوجين على يقين النكاح حتى يأتي ما يزيله بيقين ، فإذا أخطأنا فخطؤنا في جهة واحدة ، وإن أصبنا فصوابنا في جهتين : جهة الزوج الأول ، وجهة الثاني .

وأنتم ترتكبون أمرين : تحريم الفرج على من كان حلالاً له بيقين ، وإحلاله لغيره . فإن كان خطئاً فهو خطأ من جهتين ، فتبين أنا أولى بالاحتياط منكم ، ثم ذكر ابن القيم أن النكاح : لا يُخرج منه إلا بما نصبه الله سبباً يُخرج به منه ، وأذن فيه ، وأما ما ينصبه المؤمن عنده ويجعله هو سبباً للخروج منه فكلا[2].

قال الكاتب : قلت : وكلامه – رحمه الله – وإن كان في سياق الرد على من أوقع الطلاق البدعي ، فإنه يناسب هذا المقام أيضاً ، بل هنا أولى ، لأن الطلاق البدعي استدل من ذهب إليه بنصوص من السنة وآثار الصحابة ، بخلاف فسخ النكاح لعدم كفاءة النسب

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج٥ ' ص ٢٠٣ .
(٢) المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢١٩ – ٢٢٠ .

، فليس معه إلا التعصب للمذهب .

ثم إن إيقاع الطلاق البدعي له وجه ، فإنه من فعل أحد طرفي العقد ، وهو الزوج ، بخلاف الفسخ لعدم كفاءة النسب فإنه لا دخل لأحد طرفي العقد فيه ، لا الزوج ولا المرأة ولا الولي الأقرب ، بل هو من فعل من لا يعتد به في صحة هذا العقد ، وربما لم يكن قد ولد بعد أثناء العقد !

الوجه الثاني : معلوم قطعاً أن القرآن نزل على أمة العرب التي كانت أشد ما يكون حرصاً على اعتبار النسب والفخر بالحسب ، وكانت تعيِّر به بعضها ، وتفخر به على من هو دونها ، ولو كان عربياً ، فكيف بالموالي والأعاجم ؟ز

وقد أبطل الله كل تلك النعرات الجاهلية ، وألغى كل الاعتبارات القبلية ، والآيات في تقرير ذلك أكثر من أن تحصر ، ومثلها نصوص السنة ، ولم يجعل الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم لأي نسب فضلاً ورفعة على نسب ، إلا ما خصه الدليل ، وفي مسائل محدودة ، ومنها على سبيل المثال : تقديم قريش في الإمامة على غيرها ، وتفضيل آل البيت على غيرهم ، لكنهم في سائر الأحكام والأقضية الشرعية سواء كأسنان المشط ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في شأن المخزومية التي سرقت " وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها[١] .

وقد تواترت الأحاديث والآثار على عدم اعتبار الكفاءة في النسب ، فتزوج الموالي بالقرشيات ، واشتهر ذلك في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ولم ينسخه شيء ولا اعترض عليه معترض ، ولا أنكره منكر ، مع قرب عهدهم بالجاهلية ، واستمر العمل عليه بعد ذلك في الأمة ، حتى طرأ القول باعتبار الكفاءة في النسب ، وتفرع عنه القول بفسخ النكاح إذا لم يرض أحد من الأولياء به ، ولو كان هذا الولي بعيداً بغيضاً ، فهل هذا إلا معارضة صريحة للنصوص المحكمة التي أبطلت مثل هذا الأمر ونسخته ، وجعلته من مساوئ الجاهلية ، كما نص على ذلك

---

(١) ابن الأثير ، جامع الأصول ، ج٣ ،ص ٥٦١

النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال " إن الله قد أذهب عنكم عُبيِّة الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، الناس رجلان : بَرٌّ تقي كريم على الله عز وجل ، وفاجر شقي هيِّن على الله عز وجل ، الناس كلهم بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣))[١] ، ولولا أن الله تعالى قد فرّق في بعض الأحكام بين الحر والعبد ، والذكر والأنثى ، لما كان لأحد أن يفرِّق بينهم ، ولو لم يكن عندنا من حجة إلا قول الله تعالى : (فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) ، لكفى في إلغاء أي اعتبار ، سوى الدين والعفاف ، لورود النصوص التي خصصت عموم هذه الآية .

الوجه الثالث : إن عقد النكاح قد سماه الله تعالى في كتابه بالميثاق الغليظ ، فقال : (وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا(٢١))[٢] والميثاق الغليظ هو عقد النكاح كما قال ابن كثير رحمه الله.

وقد جاء في حديث جابر في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة :(اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[٣] ، فما كان هذا شأنه ، فلا يحل أن يبطله أحد أو يفسخه برأيه كائناً من كان ، فإن أمان الله وكلمته فوق كل رأي ومذهب .

الوجه الرابع : إن الضرر الذي يحصل بفسخ النكاح ، للزوج والزوجة وغيرهما من الأقارب من الجهتين ، أعظم بكثير من الضرر الذي قد يلحق بعض الأولياء من عدم تكافؤ النسب .

فالضرر الأول متحقق ومُتيقّن ، وآثاره أعظم ، بخلاف الضرر الثاني ، فإنه متوهم ، وآثاره أخف وأهون ، ولا يتعدى اللمز والتعيير ، وهما من أمور الجاهلية ، التي ذمها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) .

---

(١) الترمذي ، سنن الترمذي ، رقم الحديث ٣٢٦٦ .
(٢) سورة النساء.
(٣) الإمام مسلم و صحيح الإمام مسلم ، رقم الحديث ١٢١٨ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لينتهينّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ،إنّما هم فحم جهنم ، أو ليكوننّ أهون على الله من الجعلان الذي يدهده الخِراءَ بأنف)[1] ، ثم نقول لمن يفتي أو يقضي بفسخ نكاح المرأة المسلمة التقية ،من دون سبب إلا معرة النسب ، إن هذا مع ما فيه من إحياء لسنة الجاهلية ، ومخالفة النصوص القطعية ، فإن فيه إعانة للظالم ومكافأة له ، بدلاً من تعزيره والأخذ على يده ، فالمعيِّر بالنسب ظالم جاهل ، فكيف يُعان على ظلمه وجهله ، ويعاقب بسببه المظلوم الذي لا ذنب له ، وهم : الزوجة والزوج والأولياء والأولاد ؟! .

الوجه الخامس : إن الأخذ بهذا المذهب الضعيف يضعف الثقة في عقود الأنكحة ، ويجعل الزوجين والأولاد في خوف دائم ، إذ لا يؤمن أن يأتي بعد سنة أو عشر أو عشرين أو أكثر ، من أبناء عمومة الزوجة ، وأوليائها الأباعد ، من يطالب بفسخ النكاح ، فأي شريعة تقر مثل هذا الحكم ؟ .

الوجه السادس : إن البيوت المسلمة في بلادنا ، وفي غيرها أيضاً ، تعاني من اطراد نسبة العنوسة ، وكذا الطلاق ، فليس من الحكمة ولا من المناسب ، أن يقدم على فسخ عقود الأنكحة الصحيحة ، بل العقل يقضي بأن يُعضّ على تلك العقود بالنواجذ ، ويوسَّع باب النكاح والرجعة والإصلاح ، ويضيَّق باب الفسخ والطلاق والشقاق[2] .

س ١١٠ : لماذا كره الإسلام الزواج من الإماء حيث قال تعالى : (ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ)؟.

ج : اتفق العلماء على أنه يجوز للعبد أن يتزوج الأمة، وعلى أنه يجوز للحرة أن تتزوج العبد إذا رضيت بذلك هي وأولياؤها كما اتفقوا على أنه لا يجوز أن تتزوج من ملكته، وأنه إذا ملكت زوجها انفسخ النكاح.

واختلفوا في زواج الحر بالأمة:

---

(١) ابن الأثير ، جامع الأصول ، ج١٠ ، ٦١٧ .
(٢) موقع صيد الفوائد .

رأي الجمهور أنه لا يجوز زواج الحر بالأمة إلا بشرطين:

أولهما :عدم القدرة على نكاح الحرة.

وثانيهما : خوف العنت.

واستدلوا على هذا بقول الله تعالى: (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥))[١] .

قال القرطبي: الصبر على العزبة خير من نكاح الأمة، لأنه يفضي إلى إرقاق الولد، والغض من النفس، والصبر على مكارم الاخلاق أولى من البذالة روي عن عمر أنه قال: أيما حر تزوج أمة فقد أرق نصفه وعن الضحاك بن مزاحم قال سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من أراد أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليتزوج الحرائر)[٢] .

وذهب أبو حنيفة إلى أن للحر أن يتزوج أمة، ولو مع طول حرة، إلا أن يكون تحته حرة. فان كان في عصمته زوجة حرة حرم عليه أن يتزوج عليها محافظة على كرامة الحرة[٣].

ولقد فرض الله ورسوله صلى الله عليه وسلم شروط وقيود للزواج من الإماء . الشروط وضعها الله في كتابه . والقيود سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته .

الشروط الواردة في كتاب الله هي :

١- أن يكون الرجل الحر ممن لا يملك الطول الذى يستطيع به التزوج بحرة مثله بمعنى عدم استطاعته أو قدرته على المهر أو الصداق أو النفقة مما يلزم الحرة . لقوله تعالى :

---

(١) سورة النساء .
(٢) الألباني ، السلسلة الضعيفة ، رقم الحديث ١٤١٧ ، وقال عنه ضعيف .
(٣) سيد سابق ، فقه السنة ج١ ، ص ١٠٤ .

(وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ) . يقول الإمام الشافعي في الأم : (الطول هو الصداق ولست أعلم أحداً من الناس يجد ما يحل له به أمة إلا وهو يجد به حرة فإن كان هذا هكذا لم يحل نكاح الأمة) .

٢- أن يكون الرجل الحر ممن يخشى العنت وهو الخوف من الوقوع في الزنا لقوله تعالى : (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ) ومن غلبته شهوته ورقّ تقواه فهو خائف ومن ضعفت شهوته أو يستطيع أن يكسر شهوته فهو غير خائف

٣- أن تكون الأمة التي يرغب الحر من التزوج بها مسلمة لأن الإيمان المقصود في الآية هو إيمانها بدين الإسلام وليس ديناً غيره . لقوله تعالى : (فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) .

٤- أن تكون الأمة عفيفة ليست مسافحة (غير زانية) وليست ممن يشْتهِرْن بالخُلق والفضيلة . وليسلها خِدن أو صاحب أو صديق . لقوله تعالى : (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) .

وما شرعه الله في هذه الشروط :

١- ما هو إلا تيسيراً من الله على عباده المؤمنين ممن هم غير قادرين على مهر ونفقة الزواج بالحرة .

٢- وما هو إلا منعاً لإرقاق الولد الذى يأتي من الأمة حيث أن الولد يتبع أمه في الرق والحرية

٣- وما هو إلا لتشوف الإسلام إلى دفع العبودية والرق .

والقيود التي ذكرها نبي الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم في سنته هي :

١- لو كانت الأمة حاملاً : فلا يحل ولا يجوز الزواج بها إلا بعد وضع حملها . لعموم الآية .

٢- إن كانت حائلاً غير حامل : فبحيضها حيضة واحدة . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :(لا توطأ حامل حتى تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة)[١] .

---

(١) الألباني ، تخريج مشكاة المصابيح ، رقم الحديث ٣٢٧٣

٣- فإن تزوجت بعد سبيها برجل حر ثم طلقها : وكانت ممن يحضن : فعدتها حيضتان .
لقول رسول الله عليه الصلاة والسلام :(طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان)[١] .
٤- وإن كانت ممن لا يحضن ليأس أو لكبر سن أو لأى سبب آخر : فعدتها : نصف عدة المرأة الحرة . أي نصف الثلاثة قروء على التفصيل الوارد في معنى الحيض أو الطهر .
٥- فإن توفى عنها زوجها التي تزوجته بعد السبي فعدتها : أربعة أشهر وعشرا . لعموم الآية .
فإن توافرت هذه الشروط وأزيلت تلك القيود جاز للسيد أو الرجل الحر أن يتزوج بأمة غير حرة .

ولقد أجمع الفقه الإسلامي على أن الحر إذا قدر على الزواج بحرة مسلمة أو كتابية من أهل الكتاب فليس له أن يتزوج بأمة . قال جابر رضى الله عنه : (من وجد صداق حرة لا ينكح أمة) ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما (فمن وجد صداق حرة لم يحل له نكاح الأمة) ، وإذا ما تزوج الرجل الحر من أَمَة وحملت منه انعقد ولده حراً مثله ، لأن بعض الولد منها وبعضه منه فصار بعضها حراً فاستتبع ذلك باقيها . وإذا مات السيد تعتق الأمة بموت سيدها حتى ولو لم تضع مولودها طالما حملت به وأصبح الولد جنيناً في بطنها[٢] .

---

(١) الكحلاني ، سبل السلام ، ج٣ ، ص ٢٠٦ .
(٢) موقع مشكاة الاسلامية ٠٧-٠١-١٢، ١٢ م ١ / ٢٠٠٧ م.


المراجع

الكتب :

القرآن الكريم .

الكتب السماوية السابقة ..... ثم

١- الإبداع في مضار الابتداع؛ المؤلف: علي محفوظ؛ المحقق: سعيد بن نصر بن محمد؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مكتبة الرشد - الرياض؛ سنة النشر: ١٤٢١ - ٢٠٠٠؛ عدد المجلدات: ١

٢- ابن عدي ومنهجه في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال ، المؤلف: زهير عثمان علي نور ، نبذة عن الكتاب: أصل هذا الكتاب هو رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى ، مكتبة الرشد ، توزيع شركة الرياض للنشر والتوزيع ، البَستوي ، دار النشر: حديث أكادمي - فيصل آباد، باكستان .

٣- اتقاء الحرام والشبهات في طلب الرزق : أحمد بن أحمد محمد عبد الله الطويل (٢٠٠٩)، (الطبعة الأولى)، الرياض - المملكة العربية السعودية: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع،

٤- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م عدد الأجزاء: ٤

٥- أحكام الخلع في الشريعة الإسلامية: عامر سعيد الزيباري ، الناشر: دار ابن حزم ، سنة النشر: ١٤١٨ — ١٩٩٧ .

٦- أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م عدد الأجزاء:٤

٧- أحكام أهل الذمة المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري الناشر: رمادى للنشر - الدمام الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧ عدد الأجزاء: ٣

٨- الإحكام شرح أصول الأحكام : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ .

٩- الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي المحقق: عبد الرزاق عفيفي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان

١٠- الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت عدد الأجزاء: ٨

١١- إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت .

١٢- الأخبار الطوال :أبي حنيفة أحمد بن الدينوري، ط وزارة الثقافة مصر.

١٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي الناشر: عالم الكتب.

١٤- أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٩٨٦معدد الأجزاء: ١

١٥- أدب الكاتب (أو) أدب الكتّاب المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: محمد الدالي الناشر: مؤسسة الرسالة عدد الأجزاء: ١

١٦- الأذكار: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، : عبد القادر الأرنؤوط الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

١٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ترجمة المؤلف: ناصر الدين الألباني ، إشراف: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

١٨- أساليب التعامل مع كبار السن : الأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم الزهراني الناشر : دار الخضيري ١٤٢٧ هـ .

١٩- الاستذكار : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠.

٢٠- الإسلام والصحة محمود عبد الوهاب فايد - دار القلم والكتاب - الرياض ١٩٩٣م.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ،الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ

٢١- إعلام الموقعين عن رب العالمين المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية - ييروت الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م عدد الأجزاء:٤

٢٢- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام : ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٢٣- الأعياد وأثرها على المسلمين المؤلف: سليمان بن سالم السحيمي الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ١

٢٤- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .

٢٥- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم :تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ،الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

٢٦- الأم : المؤلف :الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) الناشر: دار المعرفة - بيروت الطبعة: بدون طبعة سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م عدد الأجزاء: ٨

٢٧- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) المحقق: محمد عبد الحميد النميسي الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ١٥

٢٨- الإيمان :أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين المحقق: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥ ، سنة النشر:١٤١٦ هـ. .

٢٩- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ .

٣٠- البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م عدد الأجزاء: ١٥

٣١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ،الناشر: دار الكتب العلمية ،الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٢- بدائع الفوائد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان عدد الأجزاء: ٤

٣٣- البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء: ٤

٣٤- البيان الصحيح لدين المسيح مؤلف الكتاب: ياسر جبر تقديم : أ.د / عمر بن عبد العزيز قريشي.. د. وديع أحمد فتحي ، ط١ ، دار الخلفاء الراشدين ، الإسكندرية .

٣٥- تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .

٣٦- تاريخ الأندلس : وول سميث . تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . دار الحقائق . بيروت . ١٩٨٠م.

٣٧- تاريخ الأندلس د، إيناس محمد البهيجي ، ،مركز الكتاب الأكاديمي

٣٨- تاريخ الحضارة ، دورانت، ويل، ، ج ٤، ترجمه أبو طالب صارمي، أبو القاسم پاينده وأبو القاسم طاهري، سازمان انتشارات وآموزش انقلاب اسلامي، طهران ، ١٣٦٨ هـ . ش.

٣٩- تاريخ الخلفاء المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: حمدي الدمرداش الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م عدد الأجزاء: ١

٤٠- تاريخ المدينة لابن شبة المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ) حققه: فهيم محمد شلتوت طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة عام النشر: ١٣٩٩ هـ

٤١- تاريخ بغداد المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) المحقق: الدكتور بشار عواد معروف الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م عدد الأجزاء: ١٦

٤٢- تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، محمد بشير العامري، دخل في ٤ يونيو ٢٠١٨. نسخة محفوظة ١٥ فبراير ٢٠٢٠ على موقع واي باك مشين.

٤٣- تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، محمد بشير العامري، دخل في ٤ يونيو ٢٠١٨. نسخة محفوظة ١٥ فبراير ٢٠٢٠ على موقع واي باك مشين.

٤٤- تاريخ دمشق المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) المحقق: عمرو بن غرامة العمروي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس)

٤٥- تبسيط علوم الحديث / محمد نجيب المطيعي، ط دار حسان القاهرة توزيع الاعتصام.

٤٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين

٤٧- تحفة الأحوازي / محمد المباركفوري، ط المكتبة السلفية بالمدينة ١٩٦٤.

٤٨- تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ط٢ ، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٣هـ .

٤٩- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج (على ترتيب المنهاج للنووي): ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المحقق: عبد الله بن سعاف اللحياني ،الناشر: دار حراء - مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

٥٠- تحفة المحتاج في شرح المنهاج: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد ، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م .

٥١- تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: مكتبة دار البيان – دمشق ، ط١، ١٣٩١ – ١٩٧١.

٥٢- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، المؤلفون: العِراقي ابن السبكى ، الزبيدي ، أبي عبد اللَّه مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد الناشر: دار العاصمة للنشر – الرياض ، ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

٥٣- تدريب الراوي - جلال الدين السيوطي، ط دار الفكر بيروت.

٥٤- تراث الإسلام :أرنولد، سير توماس: تعريب جرسيس فتح الله، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢.

٥٥- ترتيب الأمالي الخميسية : يحيى الشجري (٢٠٠١)، (الطبعة الأولى)، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية،

٥٦- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري ،المحقق: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ .

٥٧- التشريعات الإسلامية لحماية البيئة د. احمد فؤاد باشا - - مجلة الأزهر - شوال ١٤١٧هـ - فبراير ١٩٩٧م

٥٨- التعاون والاشتراك في جيوش غير المسلمين محمد السعيد النحاس دار التقوى القاهرة ، ١٤٢٧ / ٢٠٠٦).

٥٩- التعريفات الاعتقادية ، سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف ، مدار الوطن للنشر ، السعودية ، ط ٢ ، ١٤٣٢ هـ

٦٠- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٦١- التعليقات الرضية على الروضة الندية: محمد ناصر الدين الألباني، المحقق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ، الناشر: دار ابن القيم - دار ابن عفان ، ١٤٢٣ – ٢٠٠٣ ، ط١ .

٦٢- التَّفْسِيرُ البَسِيْط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ عدد الأجزاء: ٢٥

٦٣- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط٣ - ١٤٢٠ هـ .

٦٤- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٦٥- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

٦٦- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩

٦٧- تفسير الكشاف - الزمخشري، ط بولاق ١٢٨١ .

٦٨- تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م عدد الأجزاء: ٣٠

٦٩- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل عبد الله النسفي) ، (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكلم الطيب،

٧٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة: الأولى

٧١- التقوى : عمر الأشقر ،التقوى «تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها» (الطبعة الأولى)، عمان: دار النفائس،

٧٢- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب ، الناشر: مؤسسة قرطبة — مصر ،الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

٧٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ،تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب ، عام النشر: ١٣٨٧ هـ

٧٤- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي ،الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت ،الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠

٧٥- تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار، تحقيق: د. أحمد عبد الرحيم السايح، المستشار توفيق علي وهبة، مكتبة النافذة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م، ص١٦٥.

٧٦- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه ، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب ، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة: الأولى .

٧٧- تهذيب الأسماء واللغات ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

٧٨- تهذيب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ عدد الأجزاء: ١٢

٧٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) المحقق: د. بشار عواد معروف الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ عدد الأجزاء: ٣٥

٨٠- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان ، الناشر: مكتبة الرشد - السعودية – الرياض ، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ

٨١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

٨٢- التيسير في أحكام الحج: أ.د. عبدالله الدرعان، أ.د.محمد بن يحيى النجيمي، د.عبدالسلام بن محمد الشويعر وآخرون (٢٠٠٧م ، -: كلية الملك فهد الأمنية،
٨٣- جامع الأصول في أحاديث الرسول المؤلف : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون الناشر : مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى
٨٤- جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة
٨٥- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت .
٨٦- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي ،تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ،الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
٨٧- الجامع الكبير - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ،المحقق: بشار عواد معروف ،الناشر: دار الغرب الإسلامي — بيروت ،سنة النشر: ١٩٩٨ م .
٨٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ عدد الأجزاء: ٩
٨٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير

بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٩٠- الجامع لأحكام الفقه على المذاهب الأربعة : عبد الحكيم حمادة، ، بيروت: دار الكتب العلميّة،

٩١- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات)

٩٢- الجنة والنار المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: السابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م عدد الأجزاء: ١

٩٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد ، الناشر: دار العاصمة، السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٩٤- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ،الناشر: دار المعرفة — المغرب ،ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٩٥- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مطبعة المدني، القاهرة عدد الأجزاء: ١

٩٦- حاشية الجمل على شرح المنهج = فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب: سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل ، الناشر: دار الفكر

٩٧- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (١٣٩٧)، (الطبعة الأولى)،

٩٨- حاشية الصاوي على الشرح الصغير = بلغة السالك لأقرب المسالك: أحمد الصاوي: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي ، الناشر: دار المعارف .

٩٩- حاشية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على بلوغ المرام : ابن باز المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم ،الناشر: دار الإمتياز للنشر – الرياض ، سنة النشر: ١٤٢٥ – ٢٠٠٤ .

١٠٠- حاشيتا قليوبي وعميرة: أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة ، الناشر: دار الفكر – بيروت .

١٠١- الحج والعمرة والزيارة :عبدالله بن محمد البصيري، (الطبعة الثانية)، -: مكتبة الملك فهد الوطنية،

١٠٢- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين :محمود حمدي زقزوق وآخرون الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر ، سنة النشر: ١٤٢٣ – ٢٠٠٢

١٠٣- الحلم : أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا ، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، ط١، ١٤١٣

١٠٤- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ،الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

خلق الإنسان بين الطب والقرآن ، محمد علي البار ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى .

١٠٥- الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة: سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، ط١ ،سنة النشر: ١٤٣١ – ٢٠١٠.

١٠٦- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار المؤلف: محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ) المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م عدد الأجزاء: ١

١٠٧- الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار): ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي ، الناشر: دار الفكر-بيروت ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ .

١٠٨- الدعاء للطبراني المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣ عدد الأجزاء: ١

١٠٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ عدد الأجزاء: ٧

١١٠- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ) المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ١

١١١- رحلة الإيمان في جسم الإنسان : د. حامد أحمد ، ، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ...ط١ .

١١٢- الرحيق المختوم المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى عدد الأجزاء: ١

١١٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٦

١١٤- الروض الداني (المعجم الصغير) المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار - بيروت ، عمان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ عدد الأجزاء: ٢

١١٥- الروض المربع شرح زاد المستقنع: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي ، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير ، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة .

١١٦- روضة الطالبين وعمدة المفتين: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان ، ط٣ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

١١٧- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت .

١١٨- زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ [

١١٩- زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٥

١٢٠- الزاهر في معاني كلمات الناس ابن الأنباري (١٩٩٢ (الطبعة الأولى)، بيروت: الرسالة،

١٢١- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، دار المعرفة .

١٢٢- السلام والحرب في الشريعة الاسلامية : محمد محمد طنطاوي ، ، دراسة مقارنة ، مصر د.ن. د. م. ط١ ١٤١٦/ ١٩٩٦ م.

١٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ناصر الدين الألباني ط، المكتب الإسلامي ١٣٩٩.

١٢٤- السنة - أبو بكر بن أبي عاصم، ط المكتب الإسلامي ١٩٨٠ بيروت.

١٢٥- سنن ابن ماجة - أبو عبد الله محمد القزويني ط، دار إحياء التراث بيروت.

١٢٦- سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني ،المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت .

١٢٧- سنن البيهقي الكبرى . أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، الناشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٤ — ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

١٢٨- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن. الضحاك، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٢٩- سنن الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدار قطني ، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ .

١٣٠- السنن الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

١٣١- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ،قدم له: عبد الله بن

عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١٣٢- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْ جِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٣٣- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، الناشر : دار القلم ، بيروت ، لبنان سير أعلام النبلاء المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م عدد الأجزاء : ٢٥ (٢٣ ومجلدان فهارس)

١٣٤- سير أعلام النبلاء المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ) المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م عدد الأجزاء : ٢٥

١٣٥- السيرة النبوية لابن هشام المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م عدد الأجزاء: ٢

١٣٦- شرح العقيدة الطحاويةالمؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٣٧- شرح العمدة : شيخ الإسلام ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ) المحقق: خالد بن علي بن محمد المشيقح الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية .

١٣٨- الشرح الكبير على متن المقنع المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ) الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع

١٣٩- الشرح الكبير على متن المقنع: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار .

١٤٠- الشرح الكبير للشيخ الدردير وحاشية الدسوقي: محمد بن أحمد الدسوقي الناشر: دار الفكر .

١٤١- الشرح الممتع على زاد المستقنع : محمد بن صالح بن محمد العثيمين ،دار النشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ .

١٤٢- شرح بلوغ المرام المؤلف : عطية بن محمد سالم (المتوفى : ١٤٢٠هـ) مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

١٤٣- شرح صحيح البخاري لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ١٠

١٤٤- الشرق والإسلام في أدب جوته عبدالرحمن صدقي: ، دار القلم، القاهرة (المكتبة الثقافية١٠)

١٤٥- شعب الإيمان المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي

عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م عدد الأجزاء: ١٤

١٤٦- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ،المحقق: شعيب الأرناؤوط ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣ .

١٤٧- صحيح أبي داود – الأم المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت عدد الأجزاء: ٧ أجزاء الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

١٤٨- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م .

١٤٩- صحيح الإمام مسلم ابن الحجاج بشرح الإمام النووي ج٩ ص٦٣ ط مؤسسة قرطبة – مصر.

١٥٠-صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري، ط الحلبي القاهرة بتفسير السندي.

١٥١- صحيح الترغيب والترهيب – ضعيف الترغيب والترهيب: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري زكي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ،الناشر: مكتبة المعارف ،سنة النشر: ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

١٥٢- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب: محمد ناصر الدين الألباني ،الناشر: مكتَبة المِعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ .

١٥٣- صحيح الجامع الصغير وزياداته المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: المكتب الإسلامي عدد الأجزاء: ٢

١٥٤- الصحيح المسند من أسباب النزول ، مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ الناشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م .

١٥٥- صحيح سنن النسائي ، صحّح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني. تقديم الدكتور: علي بن محمد التويجري، أشرف على طباعته والتعليق عليه وفهرسته: زهير الشاويش. بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض .الإصدار: ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

١٥٦- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج ط إحياء التراث بيروت ١٩٧٢، ط استانبول ١٣٢٩.الجامع الصحيح - أبو عيسى الترمذي ط الحلبي ١٩٧٥ القاهرة.

١٥٧- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ومع الكتاب: أحكام محمد ناصر الدين الألباني.

١٥٨- صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

١٥٩- صحيح وضعيف سنن أبي داوود ، محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية ، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث .

١٦٠- صحيح وضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية .

١٦١- صحيح وضعيف سنن النسائي ، محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

١٦٢- الصلاة والرياضة والبدن، عدنان الطرشة (بتصرف) ، مكتبة العبيكان ط٣

١٦٣- الضعفاء الكبير المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ) المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي الناشر: دار المكتبة العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م عدد الأجزاء: ٤

١٦٤- الضعفاء والمتروكون ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الله القاضي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٦

١٦٥- الضعفاء والمتروكون أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي – حلب ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ .

١٦٦- ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، أشرف على طبعه: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي .

١٦٧- ضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش ، بتكليف: من مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض ، توزيع: المكتب الاسلامي ،بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٦٨- الطبقات الكبرى : المؤلف : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م عدد الأجزاء: ٨

١٦٩- طبقات فحول الشعراء المؤلف: محمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ) المحقق: محمود محمد شاكر الناشر: دار المدني - جدة عدد الأجزاء: ٢

١٧٠- طرح التثريب في شرح التقريب: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي ،الناشر: الطبعة المصرية القديمة .

طريق السعادة ، أحمد فريد ،، الناشر مكتبة ابن تيمية في القاهرة

١٧١- العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ، الناشر: أضواء السلف – الرياض ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٧٢- علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي ، الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، ط١ ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م .

١٧٣- علم الفرائض والمواريث في الشريعة الإسلامية والقانون السوري/ محمد خيري المفتي.

علوم الحديث للإمام أبي عمرو بن الصلاح ص١١ ، ط دار الفكر المعاصر – لبنان ، دار الفكر – سوريا ، ت: نور الدين عنتر .

١٧٤- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (النسخة الكاملة): إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين - أحمد محمد شاكر المحقق: أحمد شاكر .الناشر: دار الوفاء ،سنة النشر: ١٤٢٦ – ٢٠٠٥ ط٢

١٧٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين العيني ج١٠ ص١٢٨ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ت: عبد الله محمود محمد عمر.

١٧٦- العواصم من القواصم - أبو بكر بن العربي، تحقيق محب الدين الخطيب، ط المكتبة السلفية ١٣٩٩.

١٧٧- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١٤

١٧٨- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال .

١٧٩- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) تعليق: إبراهيم محمد رمضان الناشر: دار القلم - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٣/١٤١٤. عدد الأجزاء: ٢

١٨٠- عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت ، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ .

١٨١- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت الطبعة: الثالثة — ١٤٠٥

١٨٢- غني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م عدد الأجزاء: ٦

١٨٣- فتاوى إسلامية :عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين (١٤١٣هـ)، (الطبعة الأولى)، الرياض: دار الوطن للنشر.

١٨٤- الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م عدد الأجزاء: ٦

١٨٥- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، المحقق: أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، الناشر: دار المؤيد للنشر والتوزيع — الرياض ، سنة ١٤٢٤ هـ. ط١ .

١٨٦- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ : محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ، المحقق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الناشر: مطبعة الحكومة - مكة المكرمة سنة النشر: ١٣٩٩ ، ط١ .

١٨٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز عدد الأجزاء: ١٣

١٨٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) تحقيق: ١ - محمود بن شعبان بن عبد المقصود. ٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي. ٣ - إبراهيم بن إسماعيل القاضي. ٤ - السيد عزت المرسي. ٥ - محمد بن عوض المنقوش. ٦ - صلاح بن سالم المصراتي. ٧ - علاء بن مصطفى بن همام. ٨ - صبري بن عبد الخالق الشافعي. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية. الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

١٩٠- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد ، أحمد البنا، ط دار التراث العربي بيروت ط ثانية.

١٩١- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ط١- ١٤١٤ هـ.

١٩٢- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام المؤلف: محمد بن صالح العثيمين تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م عدد الأجزاء: ٦

١٩٣- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين المحقق: عبد القادر الأرناؤوط الناشر: مكتبة دار البيان - مكتبة المؤيد سنة النشر: ١٤٠٥ — ١٩٨٥ .

١٩٤- الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي ، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

١٩٥- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ،الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة — مصر.

١٩٦- الفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ،المحقق: عدنان درويش - محمد المصري ،الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت .

١٩٧- الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي، (الطبعة الرابعة)، دمشق: دار الفكر، فقه السنة : سيد سابق ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، ط٣، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

١٩٨- الفقه الميسر :عبدالله الطيار (٢٠١٢م)، (الطبعة الثانية)، الرياض: المدار للنشر والتوزيع.

١٩٩- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة: مجموعة من المؤلفين الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ،سنة الطبع: ١٤٢٤هـ.

٢٠٠- الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي ، الناشر: دار الفكر.

٢٠١- الفوائد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت ، ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣.

٢٠٢- قادة الغرب يقولون : دمّروا الإسلام أبيدوا أهله، البليدة جلال العالم، ، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع

٢٠٣- الكافي في فقه الإمام أحمد: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي ،الناشر: دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

٢٠٤- الكامل في ضعفاء الرجال المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م

٢٠٥- كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع وحاشية ابن قلدس (ت: التركي)؛ المؤلف: محمد بن مفلح شمس الدين المقدسي - علي بن سليمان المراداوي علاء الدين - أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف البعلي؛ المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مؤسسة الرسالة - دار المؤيد؛ سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ ...

٢٠٦- كشاف القناع عن متن الإقناع : منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى ، الناشر: دار الكتب العلمية .

٢٠٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء ، الناشر: المكتبة العصرية ، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي ، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٢٠٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ،المحقق: عدنان درويش - محمد المصري ،الناشر: مؤسسة الرسالة — بيروت .

٢٠٩- الكنز الذي لا يكلفك درهما :علي الحمادي ،الناشر : بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ،الناشر ٢ : دبي : مركز التفكير الإبداعي ، سنة النشر : ٢٠٠٠ .

٢١٠- كوثر المعاني الدَّرَارِي في كشف خفايا صحيح البخاري محمد الشنقيطي (١٩٩٥)، (الطبعة الأولى)، بيروت: الرسالة

٢١١- اللباب في علوم الكتاب المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م عدد الأجزاء: ٢٠

٢١٢- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥

٢١٣- لسان الميزان ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ، دائرة المعرف النظامية – الهند الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ،الطبعة: الثانية، ١٣٩٠هـ /١٩٧١م.

٢١٤- اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» المؤلف: موسى بن راشد العازمي تقريظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس الناشر: المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م عدد الأجزاء: ٤

٢١٥- مباحث في علوم القرآن ،مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ،الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

٢١٦- المبدع في شرح المقنع: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٢١٧- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ عدد الأجزاء: ٩

٢١٨- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ،المحقق: محمود إبراهيم زايد ، الناشر: دار الوعي – حلب ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦هـ.
٢١٩-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، المحقق: حسام الدين القدسي ، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .
٢٢٠- مجموع الفتاوى : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية .
٢٢١- مجموع الفتاوى :تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٢٢٢- المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي)
٢٢٣- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر .
٢٢٤- مجموع فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: صالح بن فوزان الفوزان المحقق: حمود بن عبد الله المطر - عبد الكريم بن صالح المقرن ، سنة النشر: ١٤٢٤ – ٢٠٠٣، ط١
٢٢٥- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين ، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ، الناشر: دار الوطن - دار الثريا.

٢٢٦- محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٢٧- المحرر في الحديث: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، المحقق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي ، الناشر: دار المعرفة - لبنان / بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٢٢٨- المحلى بالآثار: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، الناشر: دار الفكر — بيروت .

٢٢٩- محيي السنة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي —بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ .

٢٣٠- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت — صيدا ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٢٣١- مختصر الكامل في الضعفاء، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي ، المحقق: أيمن بن عارف الدمشقي ،الناشر: مكتبة السنة - مصر / القاهرة

٢٣٢- مدارج السالكين (ت. البغدادي) ، ابن قيم الجوزية ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، الناشر: دار الكتاب العربي ، ط٧ ، سنة النشر: ١٤٢٣ — ٢٠٠٣.

٢٣٣- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية المؤلف: د عثمان جمعة ضميرية تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع الطبعة: الثانية ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م عدد الأجزاء: ١

٢٣٤- مذكرة في أصول الفقه المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م عدد الأجزاء: ١

٢٣٥- المرأة المسلمة أمام التحديات ، أحمد بن عبد العزيز الحصين ، دار المعراج الدولية ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ،

٢٣٦- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات المؤلف : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى : ٤٥٦هـ) الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء : ١

٢٣٧- المراسيل المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ عدد الأجزاء: ١

٢٣٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م عدد الأجزاء: ٢

٢٣٩- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري: إسحاق بن إبراهيم بن هانئ النيسابوري ، المحقق: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي ١٤٠٠ هـ ، ط١ .

٢٤٠- المستدرك - أبو عبد الله الحاكم، ط دار الفكر ١٩٧٨ بيروت.

٢٤١- المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ عدد الأجزاء: ٤

٢٤٢- المستشرقون ج٢ ، ص ١٧٣نجيب العقيقي، دار المعارف، ط. الخامسة، ٢٠٠٦م.

المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية ج٢ ، ص ٢٧٠ د. إسماعيل عمايرة، دار حنين — عمّان، ط
٢٤٣- المسلم وحقوق الآخرين: أبو فيصل عبدالعزيز عبدالرحمن البدراني ، دار المعرفة .
المسند : أحمد بن حنبل ، المحقق: أحمد شاكر - حمزة الزين الناشر: دار الحديث ، سنة النشر: ١٤١٦ ، الطبعة: الأولى .
٢٤٤- مسند إسحاق بن راهويه ، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: ٢٣٨هـ) ، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة ، ط١ الأولى، ١٤١٢ — ١٩٩١ .
٢٤٥- المسند الأم : الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة .
٢٤٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة — القاهرة ، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤوط عليها.
٢٤٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م عدد الأجزاء: ٨
٢٤٨- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار ، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى
٢٤٩- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م .

٢٥٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت عدد الأجزاء: ٥

٢٥١- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي ، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي — بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

٢٥٢- المصاحف ، أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، المحقق: محمد بن عبده ، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٥٣- مصادر التشريع الإسلامي - سيد سابق، ط دار الفتح للإعلام العربي مصر.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس ، الناشر: المكتبة العلمية — بيروت .

٢٥٤- المصنف في الأحاديث والآثار المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ عدد الأجزاء: ٧

٢٥٥- مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، الناشر : المكتب الإسلامي — بيروت .

٢٥٦ - معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨

٢٥٧- معالم السنن ، الخطابي ، وهو شرح سنن أبي داود ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي . الناشر: المطبعة العلمية — حلب ، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

٢٥٨- معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة (الجوانب الأخلاقية والسلوكية) بواسطة عصام بن عبدالمحسن الحميدان ،عبدالرحمن بن عبدالجبار هوساوي ، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، إدارة البحث العامي، العبيكان

٢٥٩- المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة المؤلف: أحمد عمر أبو شوفة الناشر: دار الكتب الوطنية – ليبيا عام النشر: ٢٠٠٣ عدد الأجزاء: ١

٢٦٠- معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ المؤلف: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ) الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م عدد الأجزاء: ١

٢٦١- معجم افتراءات الغرب على الإسلام أنور محمود زناتي: ، دار الآفاق العربية، ٢٠٠٩ م.

٢٦٢- المعجم الأوسط المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني الناشر: دار الحرمين – القاهرة عدد الأجزاء: ١٠

٢٦٣- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ،الناشر: دار الحرمين — القاهرة .

٢٦٤- المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء:٢٥ ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣

٢٦٥- المعْجَمُ الكَبِير للطبراني المجَلَّدان الثَّالِثَ عَشَرَ والرابع عشر المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي عدد الأجزاء: ٢

٢٦٦- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تحقيق :(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة .

٢٦٧- المغني لابن قدامة المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) الناشر: مكتبة القاهرة الطبعة: بدون طبعة عدد الأجزاء: ١٠ تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

٢٦٨- مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة: خالد بن عبد الكريم اللاحم ، الناشر: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، : ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ ، ط ٢ .

٢٦٩- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٢٧٠- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ،المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

٢٧١- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي المحقق: محي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال سنة النشر: ١٤١٧ - ط١ .

٢٧٢- المقنع في رسم مصاحف الأمصار المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ) المحقق: محمد الصادق قمحاوي الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة عدد الأجزاء:١

٢٧٣- المقنع والشرح الكبير والإنصاف: موفق الدين ابن قدامة المقدسي-شمس الدين ابن قدامة المقدسي-علاء الدين المرداوي ، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي - عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر: دار هجر ١٤١٤

٢٧٤- منار السبيل في شرح الدليل : ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم المحقق: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: السابعة ١٤٠٩

٢٧٥- مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة سعيد القحطاني (٢٠١٠)، (الطبعة الثانية)، القصب: مركز الدعوة والإرشاد،

٢٧٦- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢

٢٧٨- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المحقق: محمد رشاد سالم ، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٧٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات)

٢٨٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات)

٢٨١- المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة ،نخبة من علماء جامعة الأزهر، (باللغة البنغالية)، ترجمة: إي. بي. رفيق أحمد ومحمد موسى، (داكا: المؤسسة الإسلامية بنغلاديش، ١٩٨٧م).
٢٨٢- مَوْسُوعَةُ الأَخْلَاقِ : خالد بن جمعة بن عثمان الخراز (٢٠٠٩)، (الطبعة الأولى)، الكويت: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع،
٢٨٣- موسوعة الفقه الإسلامي المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري الناشر: بيت الأفكار الدولية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
٢٨٤- الموسوعة الفقهية الكويتية ، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ) ،مصر: مطابع دار الصفوة
٢٨٥- الموضوعات المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة الطبعة: الأولى جـ ١، ٢: ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م جـ ٣: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م
٢٨٦- الموطأ - مالك بن أنس، ط دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٥، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) .
٢٨٧- ميراث المرأة وقضية المساواة : د. صلاح الدين سلطان ، طبعة القاهرة، دار نهضة مصر سنة ١٩٩٩م. سلسلة :في التنوير الإسلامي.
٢٨٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م
٢٨٩- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) ،

المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ،الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية — قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ .

٢٩٠- النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، كارين آرمسترونغ، ترجمة محمد الجورا، دار الكلمة، طبعة أولى، دمشق ٢٠٠٥، ص.٩٢

ن٢٩١- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي ،الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٢٩٢- النظرية العامة لإثبات موجبات الحدود / تأليف عبد الله العلي الركبان. بواسطة: الركبان، عبد الله علي محمد،، ١٣٦٤ هـ-. الناشر: بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨١الطبعات:ط. ١. .

٢٩٣- النفسير المنير في العقيدة والشيعة والمنهج د. وهبة بن مصطفى الزحيلي (١٤١٨هـ (الطبعة الثانية)، دمشق: درار الفكر المعاصر، صفحة ١٣٦-١٣٧، جزء ٣.

٢٩٤- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي ، الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: ط ١٤٠٤

٢٩٥- النهاية في غريب الحديث والأثر المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي عدد الأجزاء: ٥

٢٩٥- نيل الأوطار : الشوكاني الكتاب: نيل الأوطار المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني تحقيق: عصام الدين الصبابطي الناشر: دار الحديث، مصر.

نيل الأوطار المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي الناشر: دار الحديث، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م عدد الأجزاء: ٨

٢٩٦- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م عدد الأجزاء: ١٣

٢٩٧- الوقاية من كل داء ابن مقصد العبدلي، تقديم د. خالد فكري ومحمد اسماعيل العمراني ، الناشر دار عثمان للتراث ، ط١

الصحف والمجلات:

١- جريدة (البلاد) العدد ١٤٩٠٣ في ١٤١٧/١٢/٩هـ.

٢- جريدة (الجزيرة) يوم الجمعة ١٤١٨/١٢/٦هـ.

٣- جريدة (الرياض) العدد ١٠٨٦٨ في ١٤١٨/١١/٢٩هـ.

٤- جريدة (الندوة) العدد ١٢٢١٨ بتاريخ ١٤١٩/٩/١٧هـ.

٥- جريدة أخبار اليوم المصرية ، الثلاثاء ٠٤ يناير-كانون الثاني ٢٠١١ .(الاعجاز العلمي في القران والسنه في تحريم الذهب علي الرجال...).

٦- جريدة الأهرام ٤ / ٩ / ٢٠٢٠ م.

٧- جريدة الجزيرة ، الخميس ٢٧ /٦/ ١٤٢٨ .

٨- جريدة الجزيرة السعودية ، الجمعة ٢٠ شوال ١٤٣٠ العدد ١٣٥٢٥ .

٩- جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٢٠ .

١٠- جريدة الرياض الاربعاء ١٤ جمادى الآخر ١٤٢٩هـ -١٨ يونيو٢٠٠٨م - العدد ١٤٦٠٤.

١١- جريدة الرياض الثلاثاء ٢٩ رمضان ١٤٤٢هـ ١١ مايو ٢٠٢١م

١٢- جريدة الوفد ١١ أبريل ٢٠٢٠.

١٣- صحيفة أخبار اليوم ٠٨ أكتوبر ٢٠١٩.
١٤- صحيفة اسبوتنك عربي فك شيفرة أهم ألغاز القرآن بعد ١٤٠٠ سنة© العالم العربي ٢٠/ ١/ ٢٠١٧ م.
١٥- صحيفة البيان ، المصدر:أحمد محمد الشحي ، ٠٣ أبريل ٢٠١٨..
١٦- صحيفة البيان ، فضل صيام عاشوراء ، ٠٩ سبتمبر ٢٠١٩..
١٨- صحيفة البيان الاماراتية التاريخ: ١٦ يوليو ٢٠١٤.
١٩- صحيفة الخليج ٢٠ مارس ٢٠١٥.
٢٠- صحيفة المدينة شره الجمعة ٢٧ أيّار / مايو ٢٠١٦ .
٢١- صحيفة صدى البلد لخميس ٢٠/فبراير/٢٠٢٠..
٢٢- صحيفة وقائع رقم ٣٦٢آذار/ مارس ٢٠١٥
٢٣- مجلة (الدعوة) العدد ١٦٧٣.
٢٤- مجلة الجامعة الإسلامية.

الصوتيات :

١- الشيخ ابن باز ، فتاوى برنامج نور على الدرب ، تفريغ صوتي.
٢- الشيخ ابن باز ، نور على الدرب.
٣- الشيخ ابن عثيمين ، شرح بلوغ المرام ، صوتيات ، إسلام ويب.

المواقع الألكترونية :

١- موقع بالعربيك.
٢- موقع دار الإفتاء المصرية.
٣- موقع gold particle migration).
٤- موقع ابن مريم.
٥- موسوعة الأسرة المسلمة ، ميراث .
٦- موسوعة البحوث والمقالات العلمية ، د.علي نايف الشحود.

٧- الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا.

٨- موسوعة الفقه الإسلامي ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري.

٩- موقع إعجاز القرآن والسنة .

١٠- موقع إعجاز الكتاب والسنة.

١١- موقع الإسلام اليوم.

١٢- موقع الإسلام سؤال وجواب.

١٣- موقع الأمة.

١٤- موقع البوابة .

١٥- موقع البوابة نيوز.

١٦- موقع الدرر السنية.

١٧- موقع الدكتور عبد الكريم الخضير.

١٨- موقع الدليل الفقهي.

١٩- الموقع الرسمي للشيخ ابن جبرين.

٢٠- الموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين .

٢١- الموقع الرسمي للشيخ ظافر بن حسن آل جبعان.

٢٢- الموقع الرسمي للشيخ عبدالرحمن البراك.

٢٣- موقع الشيخ ابن باز الرسمي .

٢٤- موقع الشيخ المنجد.

٢٥- موقع الشيخ جعفر السبحاني.

٢٦- موقع الشيخ سليمان الماجد.

٢٧- موقع الشيخ علوي السقاف.

٢٨- موقع الشيخ محمد الغزالي.

٢٩- موقع الشيخ محمد با مزمول .

٣٠- موقع المحيط.

٣١- موقع المرصد الإسلامي.

٣٢- موقع المسلم.

٣٣- موقع المشكاة.

٣٤- موقع المعرفة.

٣٥- موقع إمام المسجد.

٣٦- موقع أنا السلفي.

٣٧- موقع بيان الاسلام.

٣٨- موقع بيان الاسلام للرد على شبهات الاسلام.

٣٩- موقع تعبير الرؤى في الإسلام.

٤٠- موقع ثمرات القلم .

٤١- موقع حزب الوفد .

٤٢- موقع حياتك.

٤٣- موقع د. عجيل النشمي .

٤٤- موقع د. علي محمد.

٤٥- موقع د. عمر المقبل.

٤٦- موقع ذوات العربي الإسلامي.

٤٧- موقع رابطة العا لم الاسلامي.

٤٨- موقع زاد الواعظين.

٤٩- موقع سطور.

٥٠- موقع شاشة نيوز.

٥١- موقع شبكة الألوكة .

٥٢- موقع صيد الفوائد.

٥٣- موقع عائشة البوريني.
٥٤- موقع عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الجنيد.
٥٥- موقع محيط.
٥٦- موقع مداد.
٥٧- موقع معابر.
٥٨- موقع ملتقى الخطباء.
٥٩- موقع منتديات أتباع المرسلين.
٦٠- موقع موضوع .
٦١- موقع هاجس .
٦٢- موقع هيئة حقوق الإنسان لجنة مكافحة الاتجار بالأشخاص.
٦٣- موقع واي باك مشين.

المؤسسات الرسمية :

١- وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية.
٢- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الموسوعة الفقهية الكويتية (الطبعة الثانية).
٣- منظمة الصحة العالمية .
٤- وكالة الأنباء السعودية ، (واس).


فهرس المجلد الثالث


تم بحمد الله المجلد الثالث